

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57 298** DU **11** MARS **1957**)

PROVENANCE DE LA COLLECTION

**INSTITUT DU MONDE
ARABE**

Cote: 833 (051) RIW

MICROFILM ÉTABLI

PAR

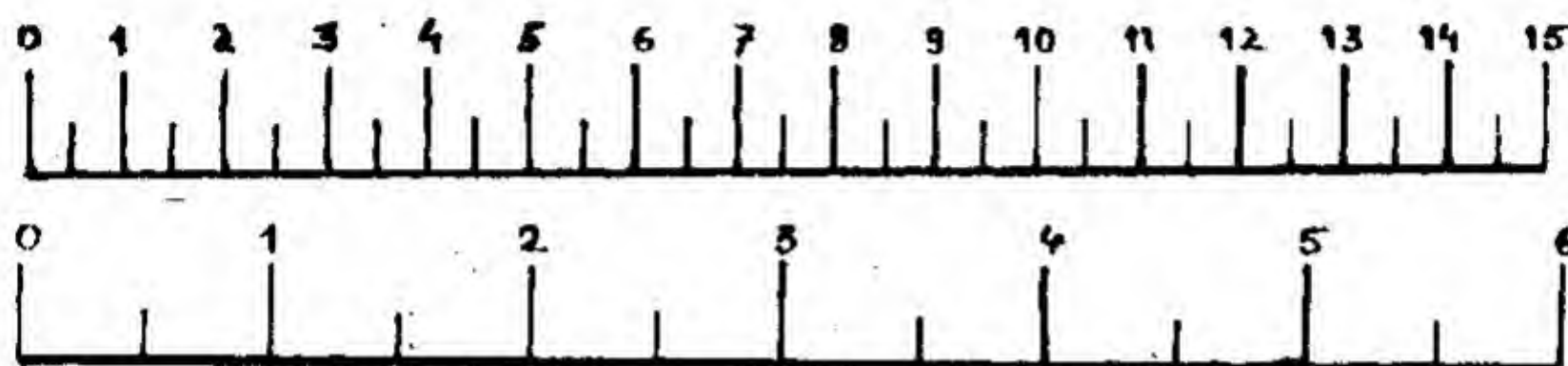
**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

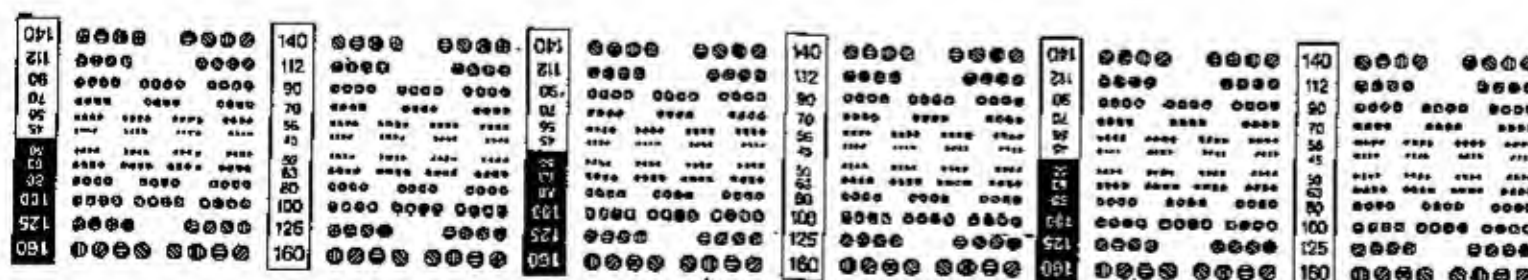
© 1998 A.C.R.P.P.

ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9-

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1
NF Z 43-007

AFNOR

Cedex 7 - 92080 PARIS-LA-DÉFENSE

graphicom 898.57.70



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثالث عشر ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ — أول أغسطس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | المؤلف | العنوان |
|------|------------------------|--|
| ٧٧٨ | النائب | أقصصة مصرية ... |
| ٧٨٣ | الغرفة المشتركة | لجون ماديسون ... |
| ٧٨٨ | يوميات نائب في الأرياف | صور مصرية ... |
| ٧٩٥ | أجلافيين وسيليزيت | رواية تشيلية لموريس ماترلنك .. |
| ٨٠٦ | طرق القدر | للكاتب الأمريكي أو هنري ... |
| ٨٢٤ | شجرة عيد الميلاد | لفيدور دستوفسكي ... |
| ٨٢٩ | اعترافات فتى العصر | لألفريد دي موسيه ... |
| ٨٣٥ | الأوديسة | لهومروس ... |
| | | للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ... |
| | | بقلم الأديب احمد فتحي مرسى ... |
| | | بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ... |
| | | بقلم الدكتور محمد غلاب ... |
| | | بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ... |
| | | بقلم الأستاذ عبد الليف النشار ... |
| | | بقلم الأستاذ فليكس فارس ... |
| | | بقلم الأستاذ دريني خشبة ... |



الساعة

للمستأذ إبراهيم بن عبد الصار المازني

الوالد لما سمع بالفجعة
التي أصابته أن يلتبس
من الحكمة أن تؤجل
قضاياها، فقبل القاضي وهو
مغتبط، وطمان الوالد
المتلهف ودعا الله أن يرد
إليه ابنه سالماً، وطوى
أوراقه التي كانت أمامه،

ونهض فما كان في الحكمة كلها من المحامين إلا اثنان
أو ثلاثة، وخرج مع المحامي وهو يرت له على ظهره،
ويقول له: «لا تقلق ولا تنزعج... ستجده إن
شاء الله يلعب في البيت» وخرج وراءهما أصحاب القضايا
وهم ينفخون ويهزون رؤوسهم ولا يرون لهم حيلة.
وفي الساعة الثانية عشرة عقدت الأسرة جلسة
برئاسة الوالد وعضوية الأم المنتخبة والعمة التي
دعيت من بيتها على عجل، ونودي الشهود، فتقدمت
«حليمة» وقررت - من غير أن تحلف أي يمين
فإن الموقف لا يعقل فيه الكذب ولا يحتمل هذه
الاجراءات الطويلة - أنها رأت «سيدى فوزى»
في الصباح يفتح الخزانة ويخرج حق السكر ويسرق
منه قطعة. وكانت معه قطعة من الخبز الطازج
- فقد كانت الأسرة تعجن وتخبز كل يوم جمعة
ويوم اثنين - فصاحت الأم المسكينة: «ياريتنا
ما خبزنا ولا نيلنا... أناريه غطس ولا حد شافه...
ويا كل عيش وسكر؟ يا حبيبي يا ابني... خرج
من غير فطور... والوقت الضهر...»

فقالت العمة: «الله يهديك يا بنتي...
تصبري... الصبر طيب»
وقال الأب: «حلمك يا أم فوزى... انتظري
علينا... خلينا نفهم الولد راح فين»

في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين
تماماً اختفى الطفل «فوزى» ولم يعد أحد يراه لا في
البيت ولا في الحديقة الواسعة ولا حول النافورة
أو فيها، ولا في الشارع. وفي الساعة العاشرة والرابع
بدأت أمه تسأل عنه بعد أن أعدت له الحمام على
عادتها كل يوم جمعة. وبعد ربع ساعة من السؤال
والاستفسار بلا جدوى انطلق الخادم الهرم «عم محمد»
وزوجته «حليمة» يبحثان عن فوزى ويسألان كل
صاحب دكان في الحارة هل رآه منهم أحد؟ وفي
أثناء هذا البحث العقيم كانت أم فوزى قاعدة على
آخر درجة من درجات السلم وكوعها على نخدها،
وذقها على كفها، والزفرات الحارار يعلو بها صدرها
ويهبط. وينفذ صبرها أحياناً فتضرب كفها بكف
وتقول: «مسكين يا ابني... يا ترى رحت فين
يا ابني... المسكينة أمك... أمك المسكينة...
بعد التعب وطول القلب أخسرك مرة واحدة...
لو كنت مت كنت عرفت انت فين... كنت
أعرف أرضك وأروح أزورك...» الخ الخ

وفي الساعة الحادية عشرة عاد الرسول بأبي الغلام
المفقود من «بيت القاضي» فقد كان محامياً شرعياً
وكان «بيت القاضي» هذا هو دار الحكمة - بين
حي سيدنا الحسين وحي النحاسين - وقد اضطر

لا ينبغي أن يعول عليه ، وذكرت من أسباب قرارها :
أن المزاخرة بين الجزارين هي التي أغرت الصبي بهذا
الكلام الفارغ

وفي الساعة العاشرة مساء عاد فوزي إلى البيت
تحمله جارية سوداء لامعة الجلد كالقحم « الكوك »
وقالت إنها وجدته نائماً على عتبة بيتها فرق له قلبها
وحملته فأدخلته وعالجت أن توقظه ، فلم تفلح ، فتركته
حتى تغلب فهازته ففتحت عينيه وسألته عن اسمه ولكن
النوم كان يغالبه فلم يجيبها فاستشارت جارة لها فاتفق
لحسن الحظ أنها تعرف الغلام فدلته على أهله

ونضت عنه أمه ثيابه القذرة الملطخة وألبسته
أخرى نظيفة وغسلت له رأسه فسال منها غسل
كثير ولم يستطع أحد أن يعرف أين ذهب الغلام
ولا أين كان غائباً طول النهار وإلى ما بعد العشاء ،
ولكني كنت نده وكنا نلعب معا ولا نكاد نفترق
فقص على ما يأتي وأوصاني ألا أبوح بالسر . فأنا
أوصي القراء بمثل هذا الكتمان

وقد صرخ لي شهادة الشهود أولاً فقال إنه لم
يأخذ السكر لياً كله بل ليمصه ، لأن أسنانه مختلفة
النبتة غير منتسقة وبعضها طويل والبعض
قصير فالص لهذا أسهل — وأحلى أيضاً — وقال
إن الذي كان معه وهو يكلم صبي الجزار لم يكن
ودعات وإنما كان خرزات ، وعجب للصبي كيف لا يعرف
الفرق بين الودعة والخرزة . ولم يصدق الصبي في
قوله إنه ذهب إلى دكان الجزار الآخر ليكلم أحداً
فما وقف أمام دكانه إلا لأن منظر الجزار وهو يفرم
اللحم الأحمر سحره فلم يسعه إلا أن ينظر ، وكان
يتوقع في كل لحظة أن تقطع السكين أصابع الرجل ،
ولكن الأصابع كانت تدفع اللحم وتكومه للسكين
الهاوية وتبقى وقعها بمهارة عجيبة ، وقد كان فوزي

وتقدم الشاهد الثاني « عم محمد » وكان رجلاً
مغضن الوجه ، كما تبدو مبانى المدينة للمخلق في
طيارة ، ولكنه قوى جلد يعرف المشى ولا يعرف
الركوب ، ويجوب المدينة كلها على قدميه ولا يتأفف
أو يتذمر ، ولا تراه قط إلا كالرمح أو الجندی في
الصف . ويظل طول النهار يعمل ، ويروح ويحجى
ولا يكل ، ويقبل الليل فيخدم سيده في المكتب
حتى إذا صعد سيده إلى مسكنه — فقد كان المكتب
في البيت — تسلل « عم محمد » إلى « البوطة »
المحلية ثم عاد يتطرح إلى غرفته فيرتجى في أى مكان
فيها إلى الصباح

وقال عم محمد : « أهو كان يلعب في الجنة »
فسأله الأب : « هل رأيته يخرج ؟ » قال :
« آه ... وقف عند الجزار »
فسأله الأب : « وهل رأيته يعود بعد ذلك ؟ »
فقال : « أنا خرجت أقضى الحاجة »
فسأله الأب : « ماذا كان يصنع عند الجزار ؟ »
فقال الشاهد : « أنا عارف ... كان يكلم الصبي »
فدعى الصبي ، وكان يناهز التاسعة من عمره ،
ولكنه كان ممتلئاً ضخماً ، وكانت رقبته غليظة ،
ورأسه لهذا يبدو كأنه مغروس بين كتفيه ، فغطت
السيدتان وجهيهما لما دخل عليهما الصبي

وقال الشاهد إن فوزي كان يريه ودعتين كانتا
معه وإنه بعد ذلك ذهب إلى دكان الجزار الذي في
آخر الحارة . وهنا تبرع الشاهد برأى له فقال إنه
يعتقد أن ذلك الجزار خطف فوزي وأنه يخفيه ليدبجه
ويبيع لحمه للزبان باسم لحم ضأن مصغر . فصرخت
الأم واستباعت العمة بالله ، وقالت يا حفيظ ، وطرده
الأب من الجلسة . ثم تشاورت المحكمة وقررت
ألا تأخذ بهذه الشهادة ، وإن كلام صبي الجزار

يسد به ، فلم يشك في أن هذا غسل لأنه رأى مثله في البيت فغافل الرجلين ومد يده بخفة ورفع الغطاء ودس يده في الوعاء حتى بلغت العسل ثم راح يلحس وتكرر منه ذلك . ويظهر أنه أفرط فيه أو شغل بلحس العسل عن الحذر الواجب فقد فاجأ أحد الرجلين بزجر عنيف وكانت يده في ذلك الوقت في جوف « البلاصى » فانتزعها بسرعة وبلا حساب فخرجت ولكن الوعاء مال وسقط على الأرض فأريق العسل . وذهب فوزى يجري غير أن الرجل أدركه وعاد به وجعل يضربه ويشتمه ، ثم لم يكفه الضرب والشتم القبيح بل تناول بيده من العسل المراق على الأرض ونزع الطاقية عن رأس فوزى وجعل يمسح له شعر رأسه — أو يعجنه على الأصح — بالعسل المزوج بالطين والوحل . ثم مسح يديه في جلبابه وعلى وجه الغلام ورفسه فكبّه على وجهه ، وارتد إلى ما كان فيه من غير أن يغسل يديه . اكتفاء بمسحهما على ثياب الفتى ووجهه

(ولم أستطع أن أفهم من فوزى كيف اتفق له ما سيحيى والظاهر أنه سار على غير هدى وأنه كان مشغولاً بما أصابه من هذا الجلف القاسى الذى ضربه ولوث له ثيابه ووجهه ورأسه بالطين والعسل على أنه فراغ لا يؤثر في الموضوع فليسده القارىء بما شاء) وألقى فوزى نفسه في شارع لا عهد له به وكان الذى لفته إلى ذلك أنه سمع طبولاً تدق وأصوات مزامير — أى موسيقى — فتلفت وأنصت حتى استطاع أن يعرف مصدر الصوت فأتجه إليه وإذا بسراق كبير تنبعث منه هذه الأصوات المغرية تصحبها ضججات عالية وضخكات مقرقة وتصفيق وصفيح وصيحات ، فأيقن أن ههنا شيئاً يستحق الرؤية وحاول أن يدخل من الباب ولكن رجالاً واقفين عليه منعه وانتهروه بعد أن طالبوه بقرش

وهو واقف ينظر ويعجب ، يود لو أن الجزار سمح له بالتدرب على هذه « اللعبة » وأعرب لى عن أسفه لأن أباه وأمه لا يسمحان له بلعبة تشبه هذا وكان يلبس جلباباً — جلاية — مخططاً وحذاءين ، وعلى رأسه « طاقية » مزركشة ، وكان في يده « عقلة » مما تتخذ منه الأقلام « البسط » التى يحتاج إليها أبوه في أعمال مكتبه وقد أعطاه إياها « عم محمد » — وقد نسي أن يفضي بذلك في شهادته أو لعله خاف أن يؤنبه سيده — فراح فوزى يتمشى ويدفع الحصى في طريقه طوراً بقدميه وتارة بالعقلة وكانت عينه إلى الأرض فلم يلتفت إلى الطريق (يجب أن يلاحظ القارىء أنى أنا الذى أقص الحكاية الآن لفوزى وأنى أحاول أن أجعلها مفهومة على قدر ما يتيسر ذلك) فلما تنبه ألقى نفسه في حارة لا يعرفها فجعل يتلفت وشق عليه أن يكون قد ضل وأدار عينه في الرأحين والغادين لعله يعرف واحداً منهم أو عسى أن يعرفه منهم أحد فلم يوفق وكاد يبكي من الجزع ولكن عينه أخذت رجلاً يصنع أمام دكانه ما استطعت أن أفهم أنه ما يسمى « الحلاوة المحصية » وكان يعطها وهي مشدودة إلى عمود مركز في الأرض ثم يعود فيطويها ففتنه هذا المنظر كما فتته منظر القصاب وهو يفرم اللحم ودنا من الرجل ووقف يتطلع إليه ثم حانت منه التفاته فرأى ما هو أغرب وأولى بعنايته . ذلك أنه أبصر رجلاً ضخمًا على وسطه فوطة مخططة وأمامه مرجل كبير يقلب فيه يديه ما أدركت أنه « الحلاوة الطحينية » فوقف مبهوراً ثم زاغت عينه بين الرجلين وأحس بريقه يجري وشعر بعضه الجوع وكان ظهره إلى باب الدكان وكانت يده تعبت بالعقلة فضربت شيئاً استغرب صوته فأدار وجهه لينظر فاذا به يرى وعاء هو الذى نسميه « البلاصى » وعلى فيه أو — فتحته — لوف

على أقرب عتبة حتى يوقظه داخل أو خارج . فينهض ويستأنف المشي وهو يفرك عينيه . ويكي أولاً يكي — حسب الأحوال — حتى ارتقى على عتبة الجارية . وهذا تصحيح آخر فقد حملته ودخلت به كما قالت ولكنه لم يكن مستغرقاً في النوم كما زعمت ، فقد استيقظ لما أحس بها وزأها تحمله على صدرها ، ويؤكد فوزي أنه نظر بمؤخر عينيه إلى وجهها ، فلما رآه أسود كالفحم خاف فأغمض عينيه وتظاهر بالنوم ، ووضعته الجارية على حشية طويلة ودست تحت رأسه وسادة ووقفت تتأمله وكان هو يحس عينها عليه وإن كانت عيناه مغمضتين من الخوف . وقد كبر في وهمه أنها ستأكله ، فلما هزته ليستيقظ أبى أن يفتح عينيه وأصر على التناوم ولح في هذا العناد خوفاً وقلقاً . وجعل بعد ذلك يلاحظها من حيث لا تشعر ويتبعها بعينه وهي تروح وتجيء . ولكنه ينام أخيراً — غلبه النوم لا يدرى كيف على الرغم من الخوف الذي كان يساوره فلما استيقظ سأله عن اسمه فأشفق أن يذكره لها فخاورته ودأورته وجاءته بشيء من الحلوى وكان جائعاً فأكل فلما أحس ببعض الشبع امتنع عن الأكل مخافة أن يكون في الحلوى سم مدسوس كما سمع في القصص التي تقصها عليه « حليلة » كل ليلة قبل أن ينام . وجاءت سوداء أخرى فنظرت إليه ملياً ثم قالت له : « إنت مش فوزي ابن الست أم فوزي ؟ » فلم يجب وأصر على التباله ، فأكدت السوداء الثانية أنها واثقة أنه فوزي وقالت إن عمته ساكنة على مقربة من هنا وإنها رآته مراراً يجيء إلى عمته مع خادمته فلما سمع فوزي كلام هذه الجارية بكى وقال : « عاوز أروح لعمتي » فصاحت الجارية التي عرفته : « شفتي ؟ . شفتي بقي ؟ . عشان تصدقيني » واتخذت من بكائه ومن رغبته أن يذهب إلى عمته

ولم يكن معه شيء من الفلوس . فارتد آسفاً كاسف البال واغمرورقت عيناه بالدموع وعز عليه أن يحرم هذه « الفرجة » التي يتمتع بها كل هؤلاء الذين هم في السرادق من الأطفال مثله ومن الكبار أيضاً . ثم جعل يعزى نفسه وراح يتمسح بالسرادق ويطل من بين قطع الخيام المشدود بعضها إلى بعض ، فرأى ملعباً مرفوعاً وعليه خيل تدور وتدخل في دوائر كبيرة وتخرج منها إلى أخرى بعدها وتنب من فوق ما يشبه المقاعد سوى أنها بغير ظهور ، فلم يطق صبراً على هذا الحرمان وظل يدور حول السرادق حتى اهتدى إلى مكان يسعه أن يدخل منه — من تحت الخيمة — وتمتع ساعة بالخيال الدائرة وبمنظر المهرج الذي يلبس فوق رأسه « طرطورا » ويرتدي ثياباً مرقعة مختلفة الألوان وعلى وجهه طبقات من الأبيض في مواضع دون أخرى ، وبغير ذلك مما يجري هذا المجرى . وانفض السامر وانصرف المتفرجون وهو معهم أو بينهم وصار في الشارع مرة أخرى . وكان الجوع قد ألح عليه ولا طعام معه ولا فلوس في جيبه . وشعر أن قواه بدأت تنحور ، فلما مرت به مركبة يجرها جوادان تعلق بها من الخلف فسارت به وراحت وجاءت ولطف الله بالفتى فلم يش به أحد إلى الجودى وإلا لكواه بالسوط الطويل ، كما هي العادة . وأخيراً وقفت المركبة في الموقف — وكان لحسن الحظ عند بيت القاضي — فتركها فوزي ومشى يجر رجليه والجوع يعضه والنوم يغالبه

(وهنا غموض آخر في القصة وأحسب أن السبب فيه أن فوزي كان عشى وهو كما يقول الشاعر : « مشاهد للأمر غير مشاهد » من فرط التعب ومن إلحاح الجوع والنعاس عليه . وله العذر)

وقد قال لي إن بيت الجارية ليس أول بيت نام على عتبته فقد كان يسقط من الأعياء والجوع فينام

ونام فوزى على كتفها وهى عائدة به إلى بيته وأهله ، فلما نهض فى صباح اليوم التالى ألقي نفسه على سرير المألوف فهل كان كل هذا حلمًا ؟ كلا . فان ثيابه « المعسولة » هالك تذكره بما لقي فى رحلته العجيبة . وهذا شعره لا يزال كلما غسلوه له يقطر عسلا ولا يذكر فوزى أنه كان يحن إلى البيت أو إلى أمه أو أبيه . وكل ما كان يحسه هو الجوع والتعب . وقد علمته هذه التجربة شيئًا هو ألا يخرج قط من البيت — يجاوز عتبة — إلا إذا كان معه فلوس . إذ من يدرى ؟ فقد يضل مرة أخرى فيجوع فماذا يصنع بغير فلوس . ؟ ؟

وقد كبر فوزى وصار رجلا ولكنه لم ينس هذه التجربة ولا الدرس الذى حذقه فى السادسة من عمره منها فاذا لقيته فى الطريق فتق أن معه ما يكفيه للطوارئ . وأنت وذمتك

ابراهيم عبد القادر المازنى

دليلا على صدق فراستها . وقد تكون عمته هذه فى آخر الدنيا ولكن رغبة الصبي فى رؤيتها كانت حسب الجارية دليلا على صحة رأيها . وكثرت الجوارى فى البيت واجتمع على فوزى ظلام الليل وظلام وجوههن ، ولكن هذا لم يفزعه فقد راقه بياض أسنانهن وبعض الحمرة فى عيونهن — من أثر البوطة وفعلها على الأرجح فقد كان شربها شائعا بين الجوارى فى ذلك الزمان — وكان لغطهن عظيما وكن جميعا يتكلمن ولا يبدو أن واحدة منهن تصني إلى ما يقال أو تعنى بغير ما تقول هى ، ولم يكن هو يفهم شيئًا من كلامهن لشدة الضوضاء ولعجزه عن متابعتهم ولغرابة لهجتهم أيضا . وأخيرا انتهى المؤتمر الأسود فخرجن جميعا إلا صاحبة البيت فقد عادت من توديعهن وقالت له : « تعال يا حبيبي » وحملته على كتفها وهو يعجب أين ياترى تريد أن تذهب به ، ويدعو الله فى سره ألا تذهب به إلى الجزار

الفلاح المصرى يزرع القطن

والعامل المصرى يغزله وينسجه

فالقطن ثروتكم وهو فخركم

أعدته لكم منسوجات لا تقارن فى جودتها

شركة مصر للغزل والنسيج

اشتروا ما يلزمكم من

شركة بيع المصنوعات المصرية

القبعات تتشكل على رأسه بتشكيل الأيام ...
السيدة بنسر - أجل إنه يعمل في محل قبعات
أريد شيئاً يا سيدي .

بوكس - كلا... لك الشكر (تخرج السيدة بنسر)
بوكس - لقد لبثت طول الليل لا يغمض لي
طرف ... فيجب أن أنام قليلاً ويجب أن أتناول
أيضاً ما تيسر من الطعام ... أيهما سأفعله أولاً ؟
أتناول الطعام قبل أن اضطجع على السرير أم
اضطجع على الطعام قبل أن أتناول السرير أعني
اضطجع على السرير قبل أن أتناول الطعام ؟ ...
سأتناول الطعام أولاً ... أين صندوق الثقاب ؟ ...
لقد تركته على المنضدة أمس . إنه الآن على شفا الموقد ..
لا أظن أن للصندوق سيقاناً فيقفز هذه القفزة
الخطرة ... لا بد أن السيدة بنسر قد استخدمت
شيئاً منه .

(يوقد النار في الموقد فتذكو وتتوهج ثم يتناول آنية
في يده قبلها وبتشمها) لا شك أنت مسر بنسر
استعملت تلك الآنية في إعداد طعامها . إن رأيتها
تفوح برائحة السمك ...

(يخرج من جيبه ورقة في طواياها قطعة من اللحم
يضعها في الاناء على النار - ثم يذهب فيتطرح على السرير
ويدل الأستار) - والآن سأغفو غفوة سريعة
حتى ينضج اللحم . (يدخل مستر كوكس)

كوكس - (لنفسه) إن عجائب هذه الدنيا
لا تنتهي ... لقد قال لي المدير وما أطيب قلبه ...
ليس لك عمل اليوم ويمكنك أن تقضي يوماً سعيداً
هنيئاً على شاطئ النهر ... والآن سأتناول طعامي
سريعاً ثم أمضي إلى ضفاف النهر الناضرة ...
(يخرج من جيبه قطعة من السمك) ... أين صندوق
الثقاب ، لقد تركته على حافة الموقد ... والآن
هوذا على المنضدة ... أظن أن ليس للثقاب سيقان

كوكس - إذن فمن أين جاء هذا الدخان الخانق
السيدة بنسر - إن الرجل الذي يشغل الحجرة
التي فوق حجرتك يدخن الغليون ... فربما نفذ
إليك دخان غليونه

كوكس - أظن أن الدخان يصعد إلى أعلى
ولا يهبط إلى أسفل ... أتحدثين عن ذلك الرجل
الذي يقابلني صاعداً عندما أهبط ، وهابطاً عندما
أصعد ؟ أهو يقيم في أعلى الدرج ؟

السيدة بنسر - (في اضطراب) ... لماذا ...
أجل أجل بالطبع ...

كوكس - والآن لقد أرف موعدي ... عمي
صباحاً يا سيدي (يخرج)

السيدة بنسر - لقد ذهبت أخيراً ... إنها
فكرة نيرة ولا شك تلك التي جعلتني أتناول أجراً
مضاعفاً لغرفة واحدة ... كم أتمنى أن يكون كل
القطان مثل هذين الرجلين ... والآن يجب أن أنسق
الغرفة فقد أوشك السيد بوكس أن يعود (تسمع المستر
بوكس في الخارج)

بوكس - (في الخارج) لماذا لا تلزم جانباً
واحداً من الدرج في هبوطك يا سيدي ؟.. لقد
كدت أن تدوس قدى .

كوكس - إنه خطأك يا سيدي

بوكس - بل خطأك أنت يا سيدي
كوكس - إنه خطأك يا سيدي لأنك لم تنظر من الهابط
بوكس - بل خطأك يا سيدي لأنك لم تنظر
من الصاعد . (يدخل)

إلا خبريني يا مس بنسر من هذا المخلوق الذي
يقابلني صاعداً عندما أهبط ، وهابطاً عندما أصعد ؟
السيدة بنسر - (في اضطراب) إنه ... إنه
السيد الذي يقيم في الحجرة الصغيرة التي في أعلى الدرج
بوكس - يخيل إلي أنه بائع قبعات ... لأن

حتى يقفز تلك القفزة ... إن السيدة بنسر تعد غداءها على موقدي ... إني أعجب كل العجب من وسائلها الهائلة ... (يرفع قطعة اللحم ويلقيها في طبق آخر ثم يضع سمكة في الآنية ويذهب إلى أقصى الغرفة ليأتي بالشاي ويوصل الباب في طريقه بصوت ظاهر

بوكس - (يستيقظ ويبرز رأسه من خلف السدول) أهذه سيدتي بنسر ؟ تفضلي ... ألا تعلمين كم من الوقت قضيته نائماً . فلا بد أن اللحم قد احترق الآن (ينهض من الفراش ويستمع شطر الموقد) ما هذا السمك ؟ آه يا لها من فكرة نيرة تلك التي حفزت السيدة بنسر أن تستغل نومي لتعد طعامها (يأخذ قطعة السمك ويلقيها من النافذة غاضباً) الآن لقد ذهب طعام السيدة بنسر ولم يبق إلا أن أعد العدة لطعامي وآتي بالصحاف (يخرج ليأتي بالصحاف من باب إلى اليمين يصل الحجر بالمتزل) كوكس - (يبحث خطاه راجعاً من باب في أقصى الغرفة) أظن أن النار قد هبات ما عليها ... ما هذا ؟ اللحم ثانياً ... لقد عيل صبري (يقذف اللحم من النافذة ويضع على النار إناء الشاي ويستدير لبعده المائدة فيقابل السيد بوكس عائداً من الباب وهو يحمل الصحاف)

كوكس - من أنت ياسيدي ؟
بوكس - من أنت ياسيدي ؟
كوكس - إني أكرر على سمعك من أنت ياسيدي ؟

بوكس - إني أكرر على سمعك من أنت ياسيدي ؟
كوكس - آه إنه عامل المطبعة الذي يقطن الحجر التي في أعلى الدرج
بوكس - آه إنه عامل القبعات الذي يقطن الحجر التي في أعلى الدرج

كوكس - إن لم تصعد إلى حجرتك في الحال فسأحملك على مغادرتها عنوة
بوكس - إن لم تصعد إلى حجرتك في الحال فسألقيك على الدرج

كوكس - إني آمرك أن تغادر غرفتي
بوكس - غرفتك ... أتعني غرفتي ؟
كوكس - إنك مجنون أيها السيد ... إن لم تكن تعلم ... هوذا عقد الغرفة
بوكس - بل أنت المجنون أيها السيد ... إن لم يكن كلانا مجنوناً ... هوذا عقد الغرفة

(يصبح) أيها السيدة بنسر
(تدخل السيدة بنسر مسرعة)
بوكس - اطردي عامل القبعات بعيداً عن غرفتي ... إنه مجنون

كوكس - إن لم تطردني عامل المطبعة ... فسأجن السيدة بنسر - ولكن يا سادتي لا يمكنني أن أطرده أحداً ... سأفصل لك الأمر
بوكس - هيا فصلي ... لمن هذه الغرفة ... أليست لي ؟

السيدة بنسر - كلا
كوكس - أسمع يا سيدي ؟ ... إن تلك الغرفة تخصني ... اليس كذلك ياسيدي
السيدة بنسر - كلا ... إنها تخص كلا منكما .. الاثنين معاً - نحن نكرر ... فضلي الأمر
السيدة بنسر - أنت ترى أيها السيد بوكس أنك تقضي سواد الليل في عملك ، وأنت ترى ياسيد كوكس أنك تقضي في عملك سحابة بهارك ... فرأيت أن أشرككما في تلك الغرفة ، ولكني سأعد غرفة أخرى في الحال لأحدكما (تخرج السيدة بنسر وهي مضطربة عجي ... ويقوم السيد كوكس فيذرع الغرفة جيئة وذهاباً)

بوكس - إن لم تكن ربيضت قدميك اليوم يا سيدي فأنصحك أن تريض على شاطئ النهر
كوكس - إني أريض متى وأين يروق لي
(يضع السيد بوكس غليونه في جانب فمه)
(٢)

بوكس — خفض عليك جأشك يا سيدي فأني
 لا أريد أن نتشاحن .
 بوكس — وكذلك أنا لا أود أن نتشاحن ..
 أمزوج أنت يا سيدي ؟
 بوكس — كلا ... ولكني عقدت النية
 على الزواج
 بوكس — أتمنى لك مستقبلا سعيداً
 بوكس — لك الشكر ... وإن كنت أعتقد
 أنه لن يكون سعيداً
 بوكس — ولم ذلك ... ألا تنتظر زوجة
 دقيقة تذوب شوقاً لرؤيتك ؟
 بوكس — لا أظن هذا ... فزوجتي الآنسة
 بنلوب آن تذوب شوقاً لرؤية المال لا لرؤيتي أنا
 بوكس — بنلوب آن ؟!
 بوكس — تماماً
 بوكس — أوف مارجات .
 بوكس — بالضبط ... أوف مارجات
 بوكس — أنتظر لتلك الآنسة كزوجتك
 المستقبل ؟
 بوكس — أجل .. أني أنظر إليها كزوجتي
 المستقبل .
 بوكس — وهل هي تنظر إليك كزوجها
 المستقبل ؟
 بوكس — إنها تفعل ... فقد وعدتني بالزواج
 بوكس — إذن دعني أقول لك إن بنلوب آن
 هي زوجتي المستقبل ... يا عامل المطبعة البسيط
 بوكس — كلا إنها زوجتي المستقبل أيها الصانع
 الفقير ولن أتركها لك ولو أقاتلك إلى النهاية
 الاثنان معاً — أيها السيدة بنسر (تدخل السيدة
 بنسر علي عجل)
 بوكس — علينا بالسلاح .

بوكس — أتنوى أن تدخن في غرفتي يا سيدي ؟
 بوكس — إني أدخن متى وأين يروق لي
 (يفتح السيد بوكس نافذة الغرفة)
 بوكس — أفتح نافذة غرفتي أيها السيد ؟
 بوكس — أجل إني أفتح نافذة غرفتي لأستريح
 أفسام الخارج
 بوكس — أقفل هذه النافذة
 بوكس — ضع هذا الغليون
 بوكس — هوذا ... (يضع الغليون)
 بوكس — هي ذى ... (بوجد النافذة)
 بوكس — أظن أنه مادمنا نقطن غرفة واحدة
 يا سيدي فيجب أن يكون التفاهم رائدنا ... إني
 أرى في نفسي ميلاً إليك يا سيدي
 بوكس — وإني لكذلك أيها السيد
 بوكس — إذن دعنا نشغل وقتنا بأية وسيلة ..
 أغني يا سيدي ؟
 بوكس — كلا ... إن زوجتي لا تسمح
 لي بذلك
 بوكس — وهل أنت متزوج يا سيدي ؟
 بوكس — كلا يا سيدي ... ولكني عقدت
 العزم على الزواج
 بوكس — لك مني خير الأمنيات
 بوكس — لك الشكر يا سيدي
 بوكس — وعلى ذكر هذا أقول ... عند ما
 تزوج يا سيدي أظنك سترك الغرفة الأخرى التي
 ستعدها لك السيدة بنسر
 بوكس — إني لن أقيم في الغرفة الأخرى ...
 هذه غرفتي ولن أرحها بأية حال
 بوكس — ولكن هذه غرفتي
 بوكس — كلا إنها غرفتي

آه إن قطعتك تحمل رأسين أيضاً... ألا تحجل من خيانتك

كوكس — أتعونني خائناً؟... إنك أنت الخائن
بوكس — كيف تجرؤ أن تقول ذلك
(يبدأ في التشاجر)

الاثنان معاً — هل انتهيت من إعداد الحجرة
الأخرى أيتها السيدة بنسر

السيدة بنسر — ليس تماماً ياسادتي... لم
أتمكن من الاتيان بالسلح ولكني أتيت بخطاب
(يأخذ السير كوكس الخطاب وتخرج السيدة بنسر)

كوكس — إنه من بنلوب آن
بوكس — إذن أعطه لي... (ينظر السير بوكس
إلى الخطاب من فوق كتف كوكس) إنه معنون باسمي
ب. و. ك. س « بوكس »

كوكس — إنه معنون باسمي وهذه الكاف
واضحة ظاهرة للعيان

بوكس — وأنا أقول لك إن هذه الباء يراها
الأعمى

كوكس — إذن دعنا نقرأه سوياً
(يفتح الخطاب وينظر فيه)

كوكس — أخبار محزنة؟
بوكس — أية أخبار؟

كوكس — أخبار مفزعة
بوكس — دعني أر...

كوكس — دعني أر ثانية... لعل أخطأت
(يقرأ)

« عزيزي السير كوكس »
بوكس — بوكس

كوكس — عزيزي السير كوكس — بوكس
« إن عندي لك خبراً محزناً... »

« فاني أرى أن مشاربنا تختلف ووزعاتنا تتباين »

السيدة بنسر — أجل ياسيدي (تهم بالخروج)
كوكس — اقمطري... أتعنين أيتها المرأة أنك
تحتفظين بسلح محشو في منزلك؟

السيدة بنسر — كلا إنه غير محشو
كوكس — إذن فعلينا به (تخرج السيدة بنسر)

بوكس — ولكن ما رأيك ياسيدي في القتال؟
أظن أن أمثالنا من الفضلاء يتقاتلان على تلك
الصورة.

كوكس — كلا... لا أظن هذا!...
فالأفضل أن نحل النزاع بالتفاهم. إن لدى لفكرة... وهي
أن يقذف كل منا بقطعة من النقود فإذا سقطت
قطعتي ورأس الملك إلى أعلى فأنا الفائر.

بوكس — وإذا سقطت قطعتي ورأس الملك
إلى أعلى فأنا الفائر... وإذا سقطت القطعتان على
الوجه الآخر فلا فائر بيننا.

كوكس — فكرة نيرة (يخرج من جيبه قطعة
من النقود)

بوكس — (يخرج من جيبه قطعة أخرى) أنت
على أهبة... إذن دعنا نبدأ

كوكس — (يقذف قطعه إلى أعلى فتسقط فينظر
إليها) : رأس الملك.

بوكس — (يقذف قطعه) : رأس الملك
كوكس — يجب أن نقذفها ثانية

الاثنان معاً — (يقذفانها ثانية) : رأس الملك
— (يقذفانها ثالثة) : رأس الملك

كوكس — إن هذا عجيب... دعني أر
قطعتك ياسيدي آه. لك الخزي... إنها كما ظننت

ليست قطعة حقيقية إنها تحمل رأس الملك على
الوجهين... إن هذه خيانة... ألا تحجل من ذلك؟

بوكس — دعني أر قطعتك ياسيدي...

فاضت بها خزائني ... آه من هذه الشكاوى ! إنها
أكثر عدداً من ذلك « البق » الزاحف جيوشاً
على حائط دار النيابة الرطب المهدم ! يخيل إلى أن
الشكاوى لا تنزل على رأسى كالوابل إلا أيام الأسواق ؛
كأن الفلاح إنما يخرج إلى سوق الخميس من كل
أسبوع يبيع كيلة ذرة ليشتري قليلاً من السكر
والشاي ويملاً زجاجة « السرج » ويستكتب أحد
الكتبة العمومية « بلاغاً » أو « عريضة » ضد
مأذون الناحية أو العمدة أو وكيل شيخ الخفر .
ولعل هذا أصبح بنداً ثابتاً معتاداً في ميزانية كل
خارج إلى السوق من هؤلاء الفلاحين . لست أدري
لذلك من سبب . أهو الظلم حقاً أم هو داء الشكاوى
استوطن دم الفلاح على مدى أحقاب من الجور
مرت به حقيقة ! على أي حال ماذنبى أنا أجرع مافي
هذه الأوراق من سخف . يظهر أن حضور جلسات
المحاكم وضبط قضايا التلبس في النهار ، وقيد وارد



من صحائف الأيام

يَوْمِيَّانَا فِي الْإِثْنَيْنِ

للاستاذ توفيق الحكيم

٢٢ أكتوبر ...

استيقظت اليوم متأخراً . فقد سهرت أكثر
الليل في التهام الأوراق المتأخرة . إذ بعد أسبوع
تبدأ السنة القضائية الجديدة . ومعنى هذا أنه
لا ينبغي أن تبقى عندي قضية واحدة لم يتم التصرف
فيها من قضايا العام المنصرم . ومعنى هذا أيضاً أنه
يجب على أن أحبس نفسي طول هذا الأسبوع حتى
أنظر في المتأخر من أكداش « الشكاوى » التي

حتى لا سبيل إلى الاتفاق

« وأنا أحرر لك هذا الخطاب لأخبرك أنه قر
عزى على الزواج من السير بوكس وهو رجل فاضل
ثري من أمثال المدينة ... أأمل أن توافقي على ذلك ...
وأتمنى لك حياة سعيدة » (بنلوب آن)

بوكس — أظن أنني لا أكون مبالغاً إن قلت
أنني كنت أمقت هذه الفتاة من كل قلبي
كوكس — وهكذا كنت أنا أيضاً فاني لم
أكن مشتاقاً إلى هذا الزواج

السيدة بنسر — (خارج الغرفة) لقد انتهيت من
إعداد الغرفة الأخرى أيها السيدان

بوكس — هيا أيها السير كوكس

كوكس — هيا أيها السير بوكس

بوكس — ولكن ياسيدى أرى أننا متفقان
في كثير من مشاربنا ونواحي حياتنا . أليس كذلك؟
كوكس — أجل ياسيدى ... إني أرى هذا
بوكس — إذن أليس من الغباء أن نفترق على
تلك الصورة؟

كوكس — أجل إني لا أوافق على أن نفترق
بوكس — إذن أتوافق أن نعيش سوياً؟
كوكس — أجل إن ذلك يلائم حياتي
بوكس — إنه يلائم حياتي أيضاً

(تدخل السيدة بنسر وقد سمعت حديثهما في الخارج)
السيدة بنسر — وأنا يسرني أن أقول إن
نصف هذا الأجر يلائمني

الاثنتان مناً — ويلأعنا أيضاً « ستار »

(اسكندرية) أحمد فني مرسى

خلالها نظرات صريحة إلى المجتمعين في أروقة دار النيابة من وكلاء المحامين وأرباب القضايا كأنما يستحشرونهم على الوقوف له . ولا حديث عنده إلا ذكر علاقته وصلاته بكبار الموظفين ، يقول ذلك في زهو وانتفاخ . ولطالما طلبت اليه حساباً عن عمله فيجيبني دائماً :

— أنا والله الحمد رجل لا أميل إلى الأبهة ولا إلى الفخفخة !

تراني سألته في ذلك ؟ لم يحدث قط . يخيل إلى أن من الناس من يلقي الكلمة يدفع بها عن نفسه فإذا فيها الاتهام الصارخ . ولعل كل منهم يحمل في طيات كلامه دليل إجرامه ، كما يحمل المريض في دمه جراثيم دائه !

لا بد إذن من العمل المضني حتى تختم السنة القضائية على خير . وقد أمرت بإغلاق أبوابي على حتى أنفرد لهذه الملفات أتصرف فيها باليمين وبالشمال ، ومضيت أعمل وأنا أقول : « خذ من التل يختل » ! ولكن الذي وضع هذا التل كان يقصد بالتل النقود والذهب . أما أوراق « الشكاوى » فهي تل دائم النمو ، لا يختل ولا يزول .

وهل تنقطع للإنسان « شكوى » على هذه الأرض مادام هو إنساناً . ونسيت نفسي في العمل ، فلم أسمع طريقة خفيفة قيل إنها وقعت على الباب . ولكنني رأيت رجلاً أنيقاً في وسط الحجر يتسم إلى وخلفه حاجب يحمل حقبتين . عجبا ! هذا زميلي وكيل نيابة طنطا ! ماذا أتى به ؟ وما هذه الحقائق ؟ ولم يترك لي زميلي وقتاً للتساؤل . فقد أشار إلي حاجبه أن يضع الحقيقتين على الأرض وينصرف . وما إن صرنا وحدنا حتى جثا على قدميه أمامي في حركة تمثيلية وقال :

الجنح والمخالفات في المساء ، والانتقال لتحقيق وقائع الجنايات بالليل ، كل هذا لا يكفي وكيل النيابة في الأرياف . فهو ما زال يجد وقتاً يتنفس فيه . . . فلتسد عليه إذن مسالك الهواء بأكوام الأوراق التافهة الآتية من المركز باسم « الشكاوى » و « العوارض » و « الأحوال » . ومعنى هذا أيضاً أني أنا الشخص الضعيف الجسم والبنية الدقيق الحس والشعور الذي يتوق إلى نصف الساعة يفرغ فيها إلى مطالعة كتاب جميل ، ينبغي لي أن أقرأ أيضاً ما جرى بين « ست الدار » وجارتها « قطايف » من تبادل « الردح » والسباب وما تلقاه المركز من بلاغات فقد الأختام و « محاضر » البحث الجاري عن جحش هرب من أمام الباب ، وإصابة قدم طفل داس على قطعة زجاج ، وسقوط فرع جيزة على رأس كبش الحاج هباب ! إني والله لأعذر ذلك النائب في الصعيد الذي قيل إنه كان يعبر النيل في قارب للوصول إلى مقر عمله وكان معه حمل من هذه « الشكاوى » حار في أمره ، فأوماً إلى صاحب القارب ، فقال بقاربه على أحد جنبيه ميلاً أسقط « الشكاوى » في الماء ! ويزيد في بلائي أكثر من هذا إلحاح عبد المقصود أفندي رئيس القلم الجنائي . فهو المنوط بإرسال « كشوف » القضايا في مواعييدها إلى النائب العام ووزارة الحفانية . هذا الرجل لا أرى له عملاً عندي غير التنقل بين الحجرات حاملاً في يده ورقة يأمر هنا وينهى هناك . حتى عملية « التنفيذ » التي من نصيبه قد ألقى بعثها على غيره من مرؤوسيه واكتفى هو « بمهمة » الصباح في الكتبة والحجاب . وهو أول من ينصرف من الموظفين واضعاً على طرف أنفه عويناته الذهبية ، يرسل من

— أَعُوذُ بِاللَّهِ !

وجعل هذا الضيف يخرج الأكداس تلو الأكداس وهو يقول :

— النبي قبل الهدية !

فلم أجد ما أقول لهذا الانسان الذي يصر على أن يسمى هذه «السخرة» هدية ، ولعنت في نفسي قولهم إن « النياية لا تتجزأ » . هذا المبدأ الذي نسير عليه ؛ وهذا النظام الذي يفرض التضامن بين كل أعضاء النياية ، ويعطى الحق لوكيل نياية أسوان أن يتصرف في قضايا وكيل نياية الأسكندرية دون أن يبطل تصرفه اختصاص مكاني أو زمني . لعنت ذلك ولعنت الضيف ولعنت نفسي إذ أن لي حقيقة من سوء حظي صيتاً بين زملائي بأني من أصحاب الهمم خصوصاً في الشكاوى الإدارية وسرعة التصرف فيها . وقد نقل عني الكثير من إخواني أعضاء النياية طريقتي في قراءة الشكاوى . فهم يقولون إنني أقرأ الشكوى من آخرها لا من أولها . وهذا صحيح فأنا لست مجنوناً حتى أقرأ الأوراق من أولها كما يقرأ الناس والعقلاء ! لو فعلت ذلك لما انتهيت ، ولكني أضرب صفحاً عن الديباجة وما فيها من « أنتم يا ملاذ العدل ويا نصير الحق ويا مبيد دولة الظلم ويا ما حق . . . الخ الخ » وأنظر في الحال إلى السطر الأخير ففيه عادة لب الموضوع : وهذا اللب أيضاً قلما أجده لباً ، وكثيراً ما يجري فيه قلبي بالكسب أي « بالحفظ » في سرعة وجرأة وهمة أطمعت في زملاء المورطين الفارقين في بحار هذا «الواغش» ، ولكني اليوم آخر من يعين الناس . إنني أنا نفسي في حاجة إلى المعونة . وإن هبوط هذا « الضيف » علي كما تهبط المصيبة لأمر شاق على النفس . ولم

— أنا وقعت من السما وأنت تلقفتني !

فنظرت إلى يدي الهزيلتين ثم إلى جسمه الممتلئ — أنا تلقفتك ؟ ونزلت « صاغ » سليم !

— اسمع ! الموضوع جد . أنت رجل مغرور بيننا جميعاً أنك صاحب همة ومروءة . . .

هنا لعب في « عبي الفار » ! وأدركت أن هذا الزميل قد ترك مقر عمله طنطا في هذا الوقت العصيب وقت مولد السيد البدوي وما يتبعه من ازدحام المدينة بأفواج الوافدين وكثرة الحوادث والوقائع التي تصحب عادة كل مولد وكل ازدحام . ترك ذلك وأتى إلى يطلب ولا شك إلى همتي ومروءتي معونة كبرى ترى ما نوع هذه المعونة ؟ وخامرني قلق ، وأردت أن أعرف سريعاً ما يريد مني حتى اطمئن فقلت :

— أنا في خدمتك !

فما كاد يسمع هذه الكلمة المشجعة حتى قام إلى رأسي يقبله ويقول في صوت كصوت «الشحاذين»

— ربنا يخليك ويبقيك ويمد في عمرك و . . .

ثم تركني وأسرع إلى حقائبه وقال لي :

— تسمع ؟

فقلت له وقد حمدت له في نفسي ذوقه ومراعاته اللياقة في الزيارة :

— والله ما كان فيه لزوم تكلف نفسك هدية

وفتح إحدى الحقيبتين وأنا أتوقع أن أرى فيها على الأقل حمصاً من حمص السيد البدوي وفي الأخرى حلوة المولد . . . ولكنه أخرج أحمالاً من أوراق « الشكاوي » ووضعها على مكثي وهو يقول في تواضع :

— هديتنا على قدنا :

فنظرت إلى الأوراق في روع وتمتمت :

الواقع أنها بلاد قرية من الفطرة والوحشية .
هذا الوجه القبلي من مصر شئ مخيف لساكن الوجه
البحري . إن المرأة هناك شيخ لا يرى ولا ينبغي أن
يرى . وهي مخلوق جاف لا فرق بينها هناك وبين
الرجل . كلاهما شئ لا أثر للرقعة فيه . وكلاهما في
الجسم والطبع والروح كتلك الأرض السوداء التي
يعيشان عليها وقد جف عنها النيل في زمن التحريق !
آدميون قد جف عن تركيبهم ذلك الماء الذي فيه
سر امتياز الآدميين

ونفخ صاحبي الدخان من أنفه وفمه ثم استطرده :
— لعنة الله على دى بلد ! أنا أراهن أن تسفة
أعشار أهالي ديروط لو تكشف رؤسهم تلقي معمول
لهم جميعاً عمليات « طرينة » من ضربهم في بعض
النبايت !

فصادقت برأسي على قوله ثم زدت :

— وأبنوب ؟

— ألن !

قالها في إشارة من يده أضحكنتي وذكرتني بشئ
قرأته عن هذه البلدة : إحصائية صدرت في أوروبا
أو أمريكا (لست أذكر على التحقيق) غرضها بيان
الاجرام في العالم : ورد فيها أن « شيكاغو »
أكثر بلاد الأرض في عدد جرائمها ، وتليها مباشرة
« أبنوب » ، وبعدها بقية مدن العالم الشهيرة .
وقد حسبت وقتئذ أن « أبنوب » هذه مدينة في
أمريكا . لولا ملحوظة في هامش الإحصائية
ذكرت أنها من بلاد الوجه القبلي بالقطر المصري .
دهشت عند ذلك أن يكون لهذه البلدة الحظيرة
الصغيرة هذا المقام العظيم بين مدن الدنيا الشهيرة .

أتمالك ، وتجهمت للشكاوى الخارجة من الحقائق
وقلت في سخرية المغيظ :

— يا سلام ! يا سلام على حمص المولد ! حاجة
تشرح القلب صحيح !

فقال الضيف وهو ينفذ يديه من آخر ملف :

— كان غرضي أجيب لك شوية حلوة ...

فقاطعته صائحاً مرتاعاً :

— من الصنف ده ؟ !

فاستمر في قوله باسم :

— لكن والله غاب عن فكري في آخر لحظة ...

— الحمد لله ! جاءت سليمة ! ..

فضحك الزميل المحترم . وجاءت القهوة فشرب
هنيئاً . ثم قام فدار دورة في الحجرة واقترب من
النافذة كعادته التي أعرفها عنه وأطلق بصره فيما
حولنا من منازل قليلة وغمز بعينه :

— في البيت ده بنت حلوة !

فبادرت إليه وجذبه من ذراعه بعيداً وأنا
أقول له :

— كنت فاكرك عقلت وبطلت المجلس !

فقال باسم وهو يعود إلى الحجرة ويجلس على
مقعد :

— أبطل ازاي ؟ « البصبصة » في دمي !

وجعل يذكرني بأيام « ديروط » حيث كنا
نعمل معاً في نيايتها . وطلب مني سيجارة طفق
بدخنها ويقول :

— فاكرك في ديروط لما كنا نقف في الشبايك

نبحث بعيننا فوق الأسطح عن قيص حريمي مشغول

« بالتنتنة » لأجل بس نظمئن على وجود صنف

النسوان في البلد !

وإن كان هذا المقام في عالم الاجرام ! « شيكاغو »
و « أبينوب » ! قطبا الغريزة السفلى على هذه
الأرض . الأولى إجرام الحضارة ، والثانية إجرام
البداءة ! كل له طابعه ومميزاته . إجرام الحضارة ،
قد ازددى هو أيضاً ثوب الحضارة بأسلحتها
وأغراضها وأسبابها !

هناك الجريمة المتحضرة تخرج في سيارتها
المصفحة حاملة « المسدسات » و « المتراليوزات »
و « المفرقات » تهجم على أضخم « البنوك »
ويوت المال ثم تعود إلى مكمنها بثروات طائلة من
الجنهات ! وهنا الجريمة الفطرية تخرج متدثرة في
عباءتها حاملة هراوتها أو فأسها أو بندقيتها لتسفك
دم رجل ضعيف انتقاماً لعرض أهين في نظر التقاليد
والعادات . هنا لك الثروة والمال ، وهنا التقاليد
والعادات . هذا هو الفرق بين الحضارة والفطرة ،
بين ما يشغل بال الرجل المتحضر وما يشغل بال
الرجل المتأخر ! نعم إن الشر هودأماً الشر . ولكن
الشر الناتج عن سبب كبير لأجدر بالتقدير من شر نشأ
عن سبب تافه حقير ! إن الحضارة العظيمة لا تربل
الشر ولا تمحو الجريمة ، ولكنها توجد الشر
العظيم والجريمة العظيمة !

والتفت إلى زميلي المطرق وقلت له :

— أنا روجي طلعت خلاص ! زهقت من
حاجة اسمها أرياف ! زهقت من أصناف « اللبد » !
— إزهق على كيفك !

— أنا اشتقت لمصر ! نسيت شكل عاصمة
بلادي ! أحب ياناس أغير نوع الجريمة ، وأشتغل
مع مجرمين لابسين سترة وبنطلون !

— حركة التنقلات في نوفمبر .

— أظن على الدور أنتقل لمصر .

— النقل لمصر مش بالدور يا حبيبي . عندك
واسطة ؟ ؟
— لا .

— حاتعيش وتموت في الأرياف .

— وإخواننا اللي قاعدين متمتعين في مصر
بقي لهم سنين ؟

— تشملهم كذلك حركة التنقلات . لكن
على الوجه المفهوم وعلى الطريقة المعتادة : وكيل نيابة
الموسكى ينقل إلى نيابة الأزبكية . ووكيل شبرا إلى
نيابة الخليفة . ووكيل السيدة زينب إلى كلية مصر ؛
يعنى تنقلات مع مراعاة عدم خروجهم من لجنة
العاصمة . ومع ذلك تجد حضراتهم غير راضين .
لأن بعضهم يقول لك : « شبرا ! يا سلام شبرا
بعيدة جدا جدا عن بيتي في الزمالك ! » والآخر
يقول لك : « إزاي أروح نيابة السيدة ! ؟ حي
ديموقراطي قوى ! ! » أما حضرتك وحضرتي ،
فأنت إن شاء الله من هنا إلى « الفشن » من غير
كلام . وأنا من طنطا إلى « طما » أو « منفلوط »
من غير كلام . وإن فتح واحد منا فه بالشكوى
أو الاحتجاج هبوا فينا : إيه دلع أعضاء النيابة ده !
تفضلوا روحوا نياباتكم بلا دلع ! !

فأطرقت طويلا في حزن وغم ؛ ولم أجد في
يدي غير التمسك بالصبر حتى لا أضيف على بلائي
بلاء وقلت متهددا :

— أمرنا الله ! لنا رب ! لكن ده شيء يصد
النفس عن الشغل . . .

أره . لأن أحدا لم يعطيه ! إنهم يطلبون إلي أن أنظر في شكاوى الناس ولا يتنازلون هم إلى النظر في شكاوى وشكاوى المئات من زملائي ! وأجريت القلم في الأوراق أوسعها « حفظاً » ! ودخل على عبدالمقصود أفندي يحمل ملفات ضخمة فقلت مرتاعاً :
— إيه كل ده ؟

— الجنج الباقية على التصرف . .

ثم التفت خلفه ونادى الحاجب :

— هات الجنائيات يا جدع !

ونظر إلى قائلاً :

— حانعمل إيه في الجنائيات الباقية . . .

ووضع أُمَامِي ملفات قرأت على غلاف أحدها قضية « قمر الدولة علوان » . فتذكرت أن الفاعل في هذه القضية لم يعرف . لم يعرف ، طبعاً لم يعرف ولن يعرف . وكيف يراد منا أن نعرف متهمها في قضية غامضة كهذه القضية وكل من المأمور والبوليس « ملبوخ » من رأسه إلى قدمه في تزيف الانتخابات ، وأنا « ملبوخ » في قراءة شكاوى وجنج ومخالفات وحضور جلسات . لو أن لدينا « بوليس سري » على النظام الحديث ، و « قاضي محقيق » ينقطع لقضايا الجنائيات كما هو الحال في أوروبا والعالم المتحضر ! إنهم هنالك ينظرون إلى أرواح الناس بعين الجسد . أما هنا فلا أحد يأخذ ذلك على سبيل الجد . وإن الأموال لتنفق هنا بسخاء في التباقة من الأمور ، أما إذا طلبت لأقامة العدل أو تحسين حال الشعب فإنها تصبح عزيزة شحيحة تقبض عليها إلا كيف المبرمجة كأنها ستلقى في البحر هباء . ذلك أن « العدل » و « الشعب » . . . الخ الخ كلمات لم يزل معناها غامضاً عن العقول في هذا البلد . كلمات كل مهمتها أن تكتب على الورق وتلقى في الخطب كغيرها من الألفاظ والصفات المعنوية التي لا يحس لها وجود (٣)

لفظت ذلك وقد وقعت عيني على أكوام الأوراق التي لا بد من إنجاز التصرف فيها فأحسست أن رغبتني في العمل قد فترت . فقال صديقي :

— الشغل . . . هو آخر شيء يهم أسيادنا الرؤساء الكبار ! المحسوية أولاً ، ومصلحة العمل أخيراً ، وكون نفس حضرتك تنسد أو تنفتح للشغل مسألة غير مفهومة بالمرّة ولا مهمة بالمرّة عند أسيادنا الكبار !

ونظر الزميل في ساعته ثم نهض سريعاً مستأذناً فأمسكت به في لفحة . ففي وجودنا معاً وتقليب ذكرياتنا ببعض الراحة والعزاء :

— أقعد ! أنت رايح تتعدي عندي النهارده !

— مستحيل ! نيايتي قاضية ووقت مولد . أرجوك تسامحني . . .

وشكر لي ومد إلي يده وودعني بسرعة وهو يقول مشيراً إلى ملفات الشكاوى التي جاء بها :

— على الله نفسك تنفتح على السكم ورقه الهدية . . . ويبقى لك عندي المرة الجاية الحلاوة . . . حلاوة بصحيح : حمصية وسمسمية وبالجوز واللوز والفستق و . . .

— طيب رح بقى ، ريتى جرى مقدماً . . . وشيعته باسمًا إلى باب حجرتي حتى اختفى . فرجعت إلى ما كنت فيه ولكن في شيء من الشاغل بالضيق والكآبة . وألقيت نظرة أخرى على « الشكاوى » . ورأيت أن أمضى في عملي وأن لا أضيع الوقت في تبرم لافائدة منه ، لا يشعربه أحد ولا يراه أحد غير تلك الحيطان الأربعة التي تحبس روحي وأنفاسي . وأمسكت بالقلم . وتناولت من السكوم ملفاً وفتحته . وقرأت « ياملاذ العدل . . » فماتالكت أن ضحكت بصوت مرتفع ضحكة مرة . أنا ملاذ العدل ؟ أين هو العدل ؟ إني لا أعرفه ولم

فيها للوصول إلى معرفة الفاعل وأنه مواصل بحته ومصر عليه لا يعتبر ذلك عذراً ، وسفهه زملاؤه وحسبوه « غشياً » ونصحوه بأن « يحفظ » القضية « مؤقتاً » حتى تعتبر « متصرفاً فيها » ؛ فالجهات العليا يهملها ويطمئنها « التصرف » في القضايا أى « نفض » اليد والفراغ منها كما يفرغ النجار من كراسي صنعها ، حتى تستطيع تلك الجهات أن تدون في الاحصائيات : « وقع في القطر هذا العام عدد كذا جنائيات . . . تم التصرف في عدد كذا منها . . . الخ » . وكلما كان عدد القضايا التى تم فيها التصرف كبيراً كان ذلك دليلاً ناصعاً على نشاط رجال العدل وغيرتهم على استتباب الأمن وحسن سير الدولاب الحكومى !! وأشار عبد المقصود أفندى بأصبعه إلى الملفات وقال :

— قبل كل شئ يأسعاده البك تصرف لنا في الكم جناية الباقيين لأجل أن أسدد كشف الجنائيات وأصدره للباشا النائب والوزارة . . .

— بس كده ؟ حاضر !

وغمست القلم في المداد وتناولت القضية الأولى وهي قضية « قمر الدولة » :

— طالب تصرف ، خد تصرف !

ثم كتبت في ذيل المحضر الاشارة المعهودة :

« تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل . . . الخ الخ »

وسحبت « الجنائيات » الأخرى وفعلت بها مثل ذلك وناولتها رئيس القلم الجنائى وأنا أقول له في نبرة خرجت ساخرة مريرة على الرغم منى .

— مبسوط ! أدحنا خلاص سددنا كشف

الجنائيات !

(انتهى)

نرفيس الحكيم

حقيقى . فلماذا ينتظر منى أنا أن آخذ على سبيل الجد روح « سى قمر الدولة علوان » ! إن هذا المجنى عليه قد مات وانتهى مثل غيره من مئات المجنى عليهم فى هذا المركز والمركز الأخرى فى القطر ، ذهب دمهم جميعاً أرخص من المداد الذى حبرت به محاضر قضاياهم ، وانتهى ذكرهم عندنا « رسمياً » بذلك الاجراء الأخير البسيط : « تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل ويكتب للمركز باستمرار البحث والتحرى » . فيجيب المركز بعبارة مألوقة محفوظة يحررها كاتب الضبط فى حركة آلية وهو يقضم « شرش جزر » : « جارين البحث والتحرى . . » وهي كلمة الوداع التى تقبر بها القضية نهائياً . لقد كان فى قضية قمر الدولة « قمر » مضى ميز فى أعيننا هذه القضية عن غيرها وجب إلينا العمل والجهد فى سبيلها . ولقد اختفى هذا القمر إلى الأبد وترك القضية ومحققها فى الظلام ! بل إنه بذهابه قد زال عنها ذلك الاعتبار الخاص فأصبحت قضية عادية كمئات القضايا التى لا يعنيننا من أمر أشخاصها شئ . وللقضية أى لذلك « الملف » المادى من الورق المكتوب « شخصية » قائمة بذاتها فى نظر رجال العدل . وإن ما يعنى جهاتنا الرئيسية هو ذلك « الملف » وسرعة التصرف فيه . وإنه لن يعيننا شئ إذا حفظنا القضية ، ولكن العيب كل العيب أن تظل هذه القضية باقية قيد التصرف ويثبت ذلك فى « الكشف » الرسالة إلى النائب العام والوزارة فى آخر السنة القضائية . أى عار عند ذلك وأنى إهمال ينسبان إلى وكيل النيابة ؟! وأي مكاتبات مستعجلة وغير مستعجلة تسقط على رأسه من جميع الجهات عن سبب بقاء هذه القضية قيد التصرف ؟ فإذا أجاب بأنه لم يستوف بعد أبحاثه

أجلافين وسيليزيت

رواية تمثيلية في خمسة فصول

للطبيب البلجيكي موريس مارتلك

بقلم الدكتور محمد غريب

لقد كان هذا
السفر سعيداً وموفقاً،
غير أنني حين نزلت إلى
الشاطئ وجدت
الطريق مغطى بمياه
الأمطار الغزيرة، ومن
المحتمل أن الشمس
ستغرب قبل أن ألمح
برج ذلك القصر العتيق
حيث سيليزيت الخيرة

أشخاص الرواية

تظهر في هذه الرواية خمس شخصيات ، ثلاث
منها تلعب دوراً جوهرياً ، واثنان قليلتا الأهمية ،
فأما الثلاث الأولى فهي شخصية « سيليزيت »
وشخصية « ميلاندر » زوجها و « أجلافين » أيم
شقيق « سيليزيت » ؛ وأما الشخصيتان الثانويتان في
هذه الرواية فهما شخصيتا « مينجران » جدة
« سيليزيت » و « إيسالين » الفتاة الصغيرة .

الفصل الأول

المنظر الوحيد : يجرى هذا المنظر في إحدى
قاعات قصر « ميلاندر » حيث تشاهد الجدة المعجوز
مستغرقة في النوم على كرسي طويل ذي مسند عال
في نهاية القاعة .

ميلاندر — سيليزيت :

ميلاندر ممسكاً بيده الرسالة التي وردت إليه
من أجلافين يقرأ :

« لا تخرج لمقابلتي ، بل انتظري في نفس
القاعة التي تنتظر فيها عادة سماع دقات ساعات الراحة
حتى لا أحس أنني أجنبية : إنني أكتب إليك هذه
الرسالة على أثر نزولي من الباخرة التي كانت تحملني إليك .

أرادت أن تستقبل (أيم) شقيقها

سيليزيت مصفقة :

أوه ، الشمس آذنت بالمغيب ، أنظر إذاً ، لا بد
أن تكون قد اقتربت ، سأرى . ولكن « ميلاندر »
يمنعها من الخروج بإشارة ويستأنف القراءة .

« أنا لم أرك إلا مرة واحدة « يا ميلاندر »
وكانت في وسط الحيرة والارتباك ، لأنها كانت في
يوم عرسى ، ذلك العرس البائس الذي مع الأسف
لم نلمح فيه ذلك الضيف ^(١) الذي لا يدعوه أحد ،
ولكنه كان يجلس دائماً في مكان السعادة التي
تنتظرنا . لم أرك إلا مرة واحدة منذ ثلاثة أعوام ،
ومع ذلك فأننى أجيء نحوك بلا قلق كأننا كنا
ننام منذ الطفولة في مهد واحد . إنني متأكدة
أنى أجد فيك أخاً شقيقاً . نحن لم نتحدث معاً تقريباً
ولكن الكلمات القليلة التي قلتها لي كان لها في مسمعى
نبرات تغاير جميع النبرات التي سمعتها حتى الآن . »

سيليزيت — لا تقرأ سريعاً إلى هذا الحد
ميلاندر مستمراً في القراءة : « كم أنا أشتهى

(١) المراد بالضيف الموت .

سعيدة ويكي حين تكون حزينة ، على حين أنها هي شخصيا قد تجهل ما إذا كان ينبغي لها أن تكون سعيدة أو حزينة . وأنا لم أر قط شعرا تنبعث منه الحياة كهذا الشجر . إنه يخدعها في جميع الأحيان إذا صح أن نسمى إظهار الفضيلة المراد إخفاؤها خداعا ، لأنها ليس لديها ما تحاول أن تخفيه إلا الفضيلة سيليزيت — أنا أعرف أنني لست جميلة

ميلياندر — لا تقولي هذا الكلام أثناء وجودها هنا ، لأنه ليس من الممكن أن يقال أمامها كلام غير مجد كهذا الكلام ، إذ أنها تطفئ بقوتها كل ما يخالف الحقيقة حولها .

سيليزيت — إنها تطفئ بقوتها كل ما يخالف الحقيقة حولها ... !

ميلياندر — سيليزيت ؟

سيليزيت — ميلياندر ؟

ميلياندر — إنه قد مضت علينا أربعة أعوام ونحن نعيش معا .

سيليزيت — إن العام الرابع سيكمل في نهاية هذا الصيف .

ميلياندر — ها هي ذى أربعة أعوام قد مضت وأنا أجذك بجانبى دائما جميلة ودائما محبة ووديدة ، والبسمة الحلوة التى تنم عن السعادة العميقة لا تفارق تفرك . أنت لم تبك كثيرا فى هذه الأعوام الأربعة .

أليس كذلك ؟ اللهم إلا حين يفر من يديك أحد طيورك المحبوبة ، أو حين تشاكسك جدتك ، أو حين تذوى إحدى زهورك المنتقاة فتسكين بضع عبرات قليلة ، ولكن عند ما يعود الطائر وتهدا الجدة وتنسى الزهرة تعودين إلى القاعة ضاحكة مستبشرة دافعة الأبواب والنوافذ ، قافزة فوق ركبتي مقبلة خدى كأنك طفلة تعودين من المدرسة . وأحسب أنه بناء على هذا يمكن أن نقول : إننا كنا

أن أقبل سيليزيت لا بد أن تكون غاية فى الخيرية وغاية فى الجمال ما دمت تحبها وهي تحبك . سأحبها حتما أكثر من حبك إياها ، لأن التعاسة علمتى كيف أحب . والآن أنا سعيدة بأن تأملت كثيرا ، وأستطيع أن أقاسمكما الخير الذى يناله الأشقياء أثناء آلامهم . يخيل إلى أن الفداء الذى دفعته أنا يكفى لأن يفتدينا نحن الثلاثة ، وأن القدر لن يطالبنا بعد بشيء ، وأنا نستطيع منذ الآن أن نتحقق من وجود حياة قيمة ، وأنا لن ننشغل بعد ذلك إلا بالسعادة ؛ فأنت وأنا وسيليزيت كما نبأتني عنها نظفر بالسعادة ، لأن السعادة لا تنبع إلا من نواحي الخير التى فى داخل أنفسنا . سوف لا يكون عندنا ما يشغلنا إلا أن نصبح غاية فى السمو حتى يحب كل منا الآخر أكثر مما يحبه الآن ، وحتى نصير أخيارا بقدر ما نتحاب فيما بيننا . إننا سنشغل نفوسنا ونحوظ أشخاصنا بالحب حتى لا ندع فيها مجالاً للشقاء ولا للحزن ؛ وإذا أراد الشقاء والحزن أن يتدخلنا بيننا على رغم كل هذا فيجب أن يصيرا عذيين قبل أن يطرقا بابنا »

سيليزيت — هل هي جميلة ؟

ميلياندر — من هي ؟

سيليزيت — أجلافين

ميلياندر — نعم هي جميلة جداً .

سيليزيت — من تشبه ؟

ميلياندر — إنها لا تشبه أية واحدة من النساء .

إنه جمال من نوع آخر ، وهذا هو كل ما أقول . إنه جمال أكثر غرابة وأكثر سموا . إنه جمال ذو نواح متعددة . إنه جمال يدع الروح دائما تنعكس على الوجه دون أن يحول بينها وبين ذلك الانعكاس مرة واحدة ، وسترين أن لها شعرا يصح أن يكون المفرد العلم في بابه ، شعرا يضحك حين تكون

سعداء ، ومع ذلك فاني أراني مضطرا أحيانا إلى أن أسأل نفسي : هل يعيش كل منا قريبا من الآخر؟ ولست أدري هل أنا الذي يعوزه الصبر لكي أتبعك أو أنت التي تهربين مني بسرعة فائقة ، ولكن الذي لاشك فيه هو أنني حينما أريد أن أحادثك كما حدث منذ لحظة ، فانك في أغلب الأحيان تكونين كأنك تجاوبيتني من الطرف الآخر للعالم حيث تفرين مني وتبحثين عن مأوى آخر ، ولا أعرف لشيء من هذا كله سببا . فهل حقا أن أرواحنا تروح إلى هذا الحد من المواقف الجدية أو من ذكر الحقائق التي تتعلق بالحب ؟ ثم ألم يحمل هذا التباعد الروحي بيننا وبين بعض الأشياء التي كانت تستطيع أن تربط بيننا أكثر من قبل الشفاء ؟ أنا لست أدري لماذا أحس هذا الاحساس الليلة أكثر من كل وقت آخر ؟ هل السبب في هذا الاحساس هو ذكريات « أجلافين » الأكثر حيوية ، أو هو رسالتها التي بين أيدينا ، أو هو قدومها الذي أصبح مناقب قوسين أو أدنى ؟ ذلك القدوم الذي سيستخلص حتما بعض الشيء من قلوبنا .

يخيل إلى أننا قد تحايينا بقدر ما يستطيع النوع الانساني أن يتحاب ، ولكن حينما نحضر « أجلافين » سيزداد حبنا ، وسيكون من نوع آخر أكثر عمقا ؛ ولهذا السبب على الأخص ، أنا سعيد بقدومها ، أما وأنا وحدي فلا أستطيع هذا النوع الجليل من الحب ، لأنني لا أملك القوة التي عندها وإن كنت أرى الأشياء كما تراها . إنها إحدى هذه الكائنات التي تعرف كيف تجمع القلوب إلى منابعها ، وحينما تكون هنا سوف يشعر كل واحد منا بأنه لا فرق بين ما هو عليه وبين الحقيقة .

سيليزيت - أحبها ، فإذا أحببتها فسأنصرف
ميلياندر - سيليزيت ... !

سيليزيت - أنا أعرف أنني لا أفهم ذلك
ميلياندر - أنت تفهمين ياسيليزيت - وإن كنت لا تريد أن تعترفي بذلك - ولولا أنني واثق من هذا لما حدثت لك عن كل ذلك ؛ إن لك روحا أعمق مما تظهرين لي ، وهذه الروح العميقة هي التي تتلهين باخفائها عني حين أبدأ في البحث عنها لا تبكي ياسيليزيت فليس ذلك تأنيبا لك من جاني
سيليزيت - أنا لا أبكي ، ولماذا أبكي ؟
ميلياندر - ومع ذلك فأنا أرى شفيتك ترتعشان
سيليزيت - إنني كنت أفكر في شيء آخر لا علاقة له ألبتة بما تقول ، هل كانت شقية حقا ؟
ميلياندر - نعم إنها كانت شقية بسبب شقيقك
سيليزيت - لعلها تستحق
ميلياندر - أنا لا أدري إذا كان في العالم سيدة تستحق أن تكون شقية

سيليزيت - ماذا عمل لها أخي ؟
ميلياندر - إنها توسلت إلى ألا أنبثك بشيء مما فعله أخوك معها

سيليزيت - هل كنتم تراسلان ؟
ميلياندر - لقد أريتكم رسائلها أكثر من مرة ولكنك لم تكوني تهتمين بقراءتها

سيليزيت - لا أذكر ذلك
ميلياندر - ولكني أنا أذكره جيدا
سيليزيت - أين رأيتها آخر مرة ؟

ميلياندر - أنا لم أرها إلا مرة واحدة ؛ ولقد قلت لك ذلك آنفا ؛ ولقد كان ذلك في حديقة قصر شقيقك تحت الأشجار الوارفة الظلال

سيليزيت - في المساء ؟
ميلياندر - نعم في المساء
سيليزيت - ماذا كانت تقول ؟

ميلياندر - لقد قلنا يومئذ شيئا قليلا ولكننا استطعنا أن نرى أن غابتنا واحدة

بها؛ ولو أنك لم تكوني هنا لما استطعت أن أرى نفسي. أنا لا أجد شخصيتي ولا أبتسم لنفسي، بل أنا لا أحبها إلا في ذاتك أنت. يخيل إلى غالباً حين أعانقك أنني أعانق باكياً جزء نفسي الذي ليس من هذا العالم الأرضي.

أجلائين - وأنا أيضاً أقول بدوري ياميلياندر حين أعانقك أنني أعانق نفسي بعد أن أصير أكثر جمالاً؛ أنا لست حقيقة من الحقائق إلا حين تكون بجانبى، ولا أسمع صوت نفسي إلا ممتزجاً بصوتك. إننى أبحث عن نفسي خارج ذاتي فلا أجدها إلا ممثلة فيك. أنا لم أعد أعرف إذا كنت أنت ضوئى أو أنا نورك. إن امتزاج ذاتينا قد وصل إلى حد لا يستطيع معه تمييز أين يبدأ أحدهما وأين ينتهى الآخر. إنى أشعر أنني أزهى فى نفسك كما تزهى فى نفسي، وأن كلاً منا يتوالد فى نفس الآخر بدون انقطاع.

ميلياندر - إنه لا يوجد شئ يباعد بيننا قليلاً إلا تلك الدهشة التي تخالج نفسيها. أجلائين - هذا حق! إننى أدهش نهاراً وليلاً من أن كائناً مثلك يوجد فى الحياة الواقعية.

ميلياندر - وأنا أيضاً أعترف بأن جميع حواسي لم تعد كافية لأن أفهمك. إننى أحسبني أحلم حين أراك، وأحسبني أحلم حين أسمعك، وأظن أنني فى حلم حين لا أراك. وأعتقد أنني مخدوع حين لا أسمعك. فأجبه نحوك ظناً أنني لا أزال مخدوعاً فأراك وأسمعك وأعانقك، وفى هذه اللحظة نفسها أريد أن أفر، لأبحث عن شئ أكثر تآكداً من هذا.

أجلائين - وأنا أيضاً حينما أكون بجانبك أود أن أبعدك عني لكي أراك أكثر امتزاجاً بي حين أكون منفردة، ولكننى حين أكون وحدى

سيليزيت - وهل تعانقنا

ميلياندر - متى ذلك؟

سيليزيت - فى نفس ذلك المساء

ميلياندر - نعم تعانقنا فى ساعة الفراق

سيليزيت - آه...

ميلياندر - أنا لا أظن أنها ستمكث بيننا زمناً

طويلاً يا سيليزيت

سيليزيت - بلى، أنا أريد أن تمكث

بينما الزوجان على هذه الحال إذ سمعا ضجيجاً خارج المنزل فصاحت الزوجة قائلة: إنها جاءت ثم قفزت إلى النافذة وقالت إنه يوجد فى المر الأسفل مصباح، ثم تلت ذلك لحظة من السكون فتح الباب على أثرها وظهرت على عتبة «أجلائين» التي لم تلبث أن دخلت واتجهت نحو سيليزيت بعد أن نظرت إليها نظرة قصيرة فاحصة

ميلياندر - تعانقا

أجلائين - نعم. وعانقت سيليزيت ثم اتجهت

نحو ميلياندر وعانقته قائلة: وأنت أيضاً

الفصل الثانى

المنظر الأول

يجرى هذا المنظر فى حديقة القصر حيث يجلس ميلياندر وأجلائين على مقعد فى هذه الحديقة ميلياندر - لم يمض بعد أسبوع على مقامنا تحت سقف هذا القصر، ولكننى لا أستطيع أن أتخيل أننا لم نولد فى مهد واحد، يخيل إلى أننا لم نفترق قط وأننى عرفتك قبل أن أعرف نفسي، إنك تظهرين لى سابقة على كينونتى نفسها. إننى أحس بروحك أكثر مما أحس بروحى. إنك أكثر قرباً إلى من كل ذاتى. ولو أنه قيل لى: يج حياتك لبادرت إلى تنجية حياتك أنت لى أحياء

ميلياندر - ولكن هل كنت تستطيعين أن
تجيني كما أحبك قبل أن تريني؟
أجلافين - وأنت هل رأيتي كما رأيتك قبل
أن ألتقي بك؟

ميلياندر - أنا لا أصدق أن ما يحدث لنا الآن
قد حدث لأحد غيرنا وأن توجد حياة أخرى تشبه حياتنا
أجلافين - آه إنني أعتقد أحياناً أن ذلك مستحيل
ميلياندر - وأنا أيضاً ، ولهذا أرتاع .
أجلافين - من ماذا أنت مرتاع ؟ لقد وجد
كل منا صاحبه ، فإذا يمكن أن يخشى بعد ذلك ؟
ميلياندر - بالعكس إنما يجب على المرء أن يرتاع
أكثر حيناً يكون سعيداً . إنه لا يوجد شيء يهدد
الإنسان أكثر من السعادة ، وإن كل قبلة تتبادل
بين الحبيبين يمكن أن توقظ عدواً جديداً ، وفوق
ذلك فإن هناك شيئاً آخر .

أجلافين - ماهو ؟
ميلياندر - هي سيليزيت .
أجلافين - ثم ماذا ؟
ميلياندر - هل فكرت في سيليزيت ؟
أجلافين - نعم .
ميلياندر - أو ليس يروعك هذا ؟
أجلافين - لا . هذا لم يعد يروعني
ميلياندر - إنها يمكن أن تتألم
أجلافين - ألا أستطيع أن أحبك كشقيق
يا ميلياندر ؟

ميلياندر - ومع ذلك فإذا يكت فإذا يكون ؟
أجلافين - إنها لن تبكي طويلاً إذا صعدت
إلى صفنا . لماذا لا تصعد معنا إلى الحب الذي يتجاهل
صغائر الحب ؟ إنها خير مما نعتقد يا ميلياندر ، إننا
سنمد إليها يدينا ، وإنها ستعرف كيف تلحق بنا ،
ومتى نحقق لها ذلك ، فإنها لن تبكي . إنها ستباركنا

أشعر بشيء يجذبني إلى البحث عنك ، لأنني أعتقد
أن روحك تنتظرنى بحالة أكثر عمقاً ألف مرة مما
أستطيع أن أ تخيله . أنا لم أعد أعرف ماذا ينبغي
عمله في وسط سعادة . كسعادتنا . إنه ليخيل إلى أحياناً
أننى شقية من فرط السعادة .

ميلياندر - أين كنت توجدن أثناء السنين
التي مرت قبل أن يعرف كل منا الآخر .
أجلافين - أنا كنت أفكر في أن أوجه
إليك هذا السؤال نفسه ، لأن روحنا تتكلمان
غالباً قبل أن يفرج ثغراننا عن ألفاظ .

ميلياندر - ومع ذلك فإنك حين تتكلمين
فإنما هو صوتي أنا الذي أسمع للمرة الأولى .
أجلافين - وأنا حيناً تتحدث إلي فإنما هو
قلبي الذي أستمع إليه ، وحيناً أصمت فإنما أستمع
إلى قلبك . أنا لا أستطيع أن أجد قلبي دون أن
أتلقي مع قلبك ، ولا أستطيع أن أبحث عن قلبك
دون أن أجد قلبي .

ميلياندر - إن روحنا كان يجب من غير
شك أن تكونا في جسم واحد ، ولكن لست
أدرى لماذا وضعهما الإله في جسمين مختلفين .
أجلافين - أين إذا كنت أثناء هذه الأعوام
التي كنت أحيها منفردة ؟

ميلياندر - كنت أنتظرك منفرداً أيضاً وإن
كان ذلك بلا أمل .
أجلافين - وأنا أيضاً كنت أنتظر منفردة ،
ولكنني كنت أومل .

ميلياندر - ولكن من الذي قال لك : إن
أحدنا من هذا النوع ينتظر .
أجلافين - لم يقل لي أحد شيئاً ، ولم أكن أعرف
شيئاً إلا أن يكون المرء يعرف دون أن يعرف ، ولقد
كنت أعرفك دون أن أراك .

ولكن يجب ان نعمل كما لو كنا نعرف ، وإذا كان لا بد من الخطأ فالأفضل ان يخطئ الانسان على نفسه
ميلياندر — أنا أعرف ذلك ، ولكن كيف العمل ؟ .

أجلافين — إن القدر قد قرب بيننا فتعارفنا
بهية قد لا يكون أحد سبقنا إليها ؛ لقد أحب كل
منا الآخر حباً لا يستطيع شيء في الدنيا أن يغيره
فيمنعك من أن تحبني أو يمنعني من أن أحبك .
ميلياندر — إنني أعتقد ما تعتقدن ولا أرى
شيئاً في العالم

أجلافين — ومع ذلك فلو أنني أبكيت كائناً
طاهراً، هل ستظل تعرفني ؟ .
ميلياندر — إنه من غير الممكن أن يبكي أحد
بسيك إلا إذا كان مخدوعاً .

أجلافين — إن الدموع التي تنسكب خطأ هي
مؤلة أيضاً .

ميلياندر — إنه لم يبق لنا إلا أن يغادر كل
منا صاحبه يا أجلافين ، ولكن هذا مستحيل ، لأنني
لا أستطيع أن أتخيل أن حبنا ولد ليفنى في الدموع ؛
وفوق ذلك فإنه يجب علينا أن نؤدى واجبنا نحو أنفسنا
أجلافين — أنا أعتقد ذلك أيضاً يا ميلياندر،
وأعتقد أن هناك شيئاً أفضل من الفراق ، لأن هذا
الحب الجميل لم يولد ليموت .

ميلياندر — أنا لا أعرف لماذا ولدت هذه الأشياء،
ولكني أعرف أن الدموع تجيء على غير انتظار .

أجلافين — إذا كان هناك أحد يجب أن
يتألم فينبني أن نكون نحن . إن هناك ألف واجب
ولكني أعتقد أن الانسان لا ينخدع إلا نادراً حينما
يحتمد في ان يرفع الألم عن الضعفاء ، ليحتمله هو نفسه
ميلياندر — (ضاماً إياها بين ذراعيه) : إنك
لجميلة يا أجلافين .

بدموعها ، لأن بعض الدموع خير من القبل .
ميلياندر — هل تصدقين أنني أحبك كأخت ؟
أجلافين — آه !

ميلياندر — وهل تعتدين أنك تستطيعين أن
أن تحبيني كأخ ؟ .
أجلافين — حينما تسألني عن هذا لا أعرف
عنه شيئاً .

ميلياندر — لم أعد أستطيع أن أصدق ذلك ،
إننا سنجاهد وسنقاوم وقتاً طويلاً ، وإن أبدع قوانا
التي سنكسبها من الحب النفيس أو من الجمال النقي
أو من الحقيقة العميقة ستنهك في هذه المغالبات
العابثة ، وبقدر ما نقاوم سنجد بيننا رغبة تشبه ستاراً
تزيد كثافته شيئاً فشيئاً حتى تنهأ في الظلمة . ولا
شك أن أسمى نواحي أنفسنا ستندم أمام هذه الرغبة .
يخيل إلى أنه لا يوجد في أعماق كل هذا إلا أشياء
تافهة بين روحين وبين سعادتهما . هل النجوم
والأزهار ، أو المساء والصباح . أو الفكر والدموع .
لا تتطور تبعاً للقبل التي تتبادلها معاً ؟ بل هل الليل
نفسه له في نظر الأخت عين العمق الذي هو في نظر
العشيقة ؟ ينبغي ألا نفلق الباب دون الحقيقة العميقة
فنور حياتنا سيتضاءل أمام هذه الكذبة الصغيرة .
أنت لست أختي يا أجلافين ، وأنا لن أستطيع أن
أحبك كأخت .

أجلافين — إنه لحق أنك لست أختي ، وهذه
نقطة آلامنا من غير شك .

ميلياندر — أنت أيضاً إذا تحبين الألم العاث
أجلافين — أنا لا أحب إلا الألم الذي أحتمله
عن الآخرين .

ميلياندر — وأي ألم ذلك الذي نحمله هنا عن
الآخرين دون أن نفقد أنفسنا لدينا ؟
أجلافين — نحن لا نعرف ذلك حتى الآن ،

يسألني الصفح عنه ، وحينما يتعاقبان يجب أن أختفي كما لو أنني كنت قد سرقت شيئاً . إنهما قد خرجا أيضاً هذا المساء ، لقد غاب غنى أثرهما في الحديقة . إن سيليزيت الصغيرة لا علم لها ألبتة بسرهما ، وإنه لم يعد يتحدث إليها أحد منهما إلا باسمًا . ولا يتقدم إليها إلا بقبلة فوق الجبهة أو بشيء من الزهور أو الفواكه . إن سيليزيت الصغيرة محمية الآن بهذه الأجنبية ، إنهما يعاقبانها باكين ، ليقولا فيما بينهما وبين أنفسهما : أوه ! يا للمسكينة الصغيرة ! إنها لن تنصرف ، ولكنها لن ترى شيئاً . على أثر ذلك يتناول كل منهما يد صاحبه ، نعم نعم إلى هذه اللحظة . . . صبرا صبرا . . . إن سيليزيت سيكون لها يومها ، إنها لا تعرف إلى الآن ماذا تفعل ، ولكن صبرا صبرا ، سزى »

وبينما هي كذلك إذ بها تلمح أجلافين نائمة على المقعد الملاصق للحفرة ، فاقتربت منها قائلة : إنها منفردة أيضاً ، وهذا الذي على وجهها ؟ أهو شعاع القمر ؟ أم هو نصيفها ^(١) الأبيض ؟ إنها نائمة ، ماذا سأعمل ؟ إنها على شاطئ الحفرة من حيث لا تدري ، فلو أنها تحركت أقل حركة لسقطت في الهوة ، وفوق ذلك فقد أمطر المطر ، وإنها قد غطت رأسها ، ولكن صدرها ظل مكشوفاً ، إنها مبللة بالمياه وستصاب بضربة برد ، لأنها لا تعرف جو هذه البلاد ، هل سقطت على هذا المقعد أو هي مريضة ؟ آه . إنها تضطرب في نومها ، سأعطيها معطفي ، ثم غطت أجلافين بمعطفها وأزاحت النقاب عن وجهها . إنها تنام نوماً عميقاً . أنا أظن أنها بكت ، إنها لا تلوح عليها علامة السعادة ولا يظهر على وجهها أنها أسعد مني ؛ إنني أرى أنها لا تزال

(١) النصيف : النقاب

أجلافين (ضامة إياه بدورها) : إنني أجبك ياميلياندر .

ميلياندر — هل أنت التي تبكين يا أجلافين ؟

أجلافين — لا ، لست أنا ، وإنما نحن .

ميلياندر — وهل نحن أيضاً الذين نضطرب ؟

أجلافين — نعم

(في هذه اللحظة أخذ الحبيبان يتعاقبان بحركة وإنهما كذلك إذ سمعا صيحة ألم ثم رأيا سيليزيت فارة نحو القصر والهواء يعث بشعرها)

ميلياندر — ها هي ذى سيليزيت .

أجلافين — نعم .

ميلياندر — إنها سمعتنا وفرت نحو القصر .

أجلافين — (قائلة وهي تشير إلى سيليزيت) :

إذهب إليها .

ميلياندر — نعم

(قال هذا وانفلت مسرعاً نحو سيليزيت بينما استندت أجلافين إلى شجرة من أشجار الحديقة وأخذت تبكي بكاء صامتاً)

المنظر الثاني

يقع هذا المنظر في حديقة القصر على شاطئ حفرة مفعمة بالمياه حيث ترى أجلافين نائمة على مقعد من الحجر ملاصق لحافة الحفرة .

سيليزيت تحدث نفسها قائلة : « سيليزيت الصغيرة لا ينبغي أن تبكي ، إنه يشفق على ، لأنه لم يعد يحبني ، وأنا كذلك لم أعد أحبه ، إنهما يعتقدان أنني سأظل هادئة ، وأنه حسبي أن يعانقني وهو متجه إلى ناحية أخرى .

سيليزيت — سيليزيت ، هذه الكلمة تقال بحنان ، وبحنان أكثر من المعتاد ، إنه ينظر إلى شيء آخر حين يعانقني الآن ، أو هو ينظر إلى كأنما

أجلافين - أنا أرجوك ألا تحاولي الفرار في اللحظة التي كل مافي كينوتك من عمق وسعة قد أراد أن يتجه نحوي . هل تعتقدين أنني لا أسمع الجهود التي تتفاعل الآن في نفسك؟ هل تعتقدين أن كلاً منا سيكون أكثر قرباً إلى صاحبه في أي وقت آخر منه الآن؟ لا ينبغي أن نضع كلمات تافهة تشبه الشوك بين قلوبنا المسكينين. فلنتحدث ككائنين مسكينين من بني الانسان كما هي حالتنا وكما يتكلم كل كائنين بقدر ما يستطيعان، أي بأيديهما وأعينهما وروحيهما كما أرادا أن يتحدّثا عن شيء أكثر حقيقة من ان تسمو إليه الألفاظ . هل تعتقدين أنني لا أسمع قلبك حين ينبض بمختلف العواطف وشتى الاحساسات؟ عاتقيني في هدوء هذا الليل ودعيني أحوطك بذراعي ، وإذا لم تستطعي ان تجاوزيني فلا تهتمي لذلك ، لأن في داخل نفسك شيئاً انا اسمعه كما تسمعيه انت سواء بسواء .

سيليزيت - (باكية) أجلافين . . .

أجلافين - (باكية) وأجلافين أيضاً تبكي ، إنها تبكي ، لأنها تحبك ولأنها هي أيضاً لا تستطيع أن تقول بالضبط ما ينبغي لها أن تعمل وما ينبغي لها أن تقول . ها نحن أولاء وحدنا ياسيليزيت المسكينة ؛ ها نحن أولاء وحدنا ، فلتضم كل واحدة منا الأخرى في هذه الظلمة . إن السعادة أو اليأس اللتين ستزلاان بنا قد يوضع تصميم مصيرها في هذه اللحظة في داخل أنفسنا ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يعرف ذلك ، وإنني كلما أسألت المستقبل عما يمكنه لنا لا أجد جواباً على سؤالي إلا الدموع . أنا أعتقد أنني أكثر حكمة ، وحينما تجيء اللحظة التي تنبغي فيها المعرفة فسأشعر أنني محتاجة إليك أكثر مما محتاجين إلى . ولهذا السبب أنا أبكي ، ولهذا السبب أنا أعانقك هكذا حتى يقترب كل واحد منا من صاحبه بقدر المستطاع

تبكي ، إنها جميلة حين تكون ممتعة هكذا حتى لكانها ممتزجة بأشعة القمر ! لا ينبغي إيقاظها بغتة لأنها يمكن أن ترتاع فتسقط في الهوة . قالت هذا وانحنى عليها برقة ثم نادتها بهدوء : أجلافين أجلافين ! أجلافين (مستيقظة) : آه ! الجو مضى

سيليزيت - خذي حذر إنك على الشاطئ ، لا تتحركي فيأخذك الوم .

أجلافين - أين أنا ؟

سيليزيت - إنك على حافة خزان المياه الحلوة للقصر ، ألم تكوني تعرفين ذلك ؟ وهل جئت وحدك إلى هنا ؟ كان ينبغي أن تحتاطي ، إن هذا هو المكان الخطر .

أجلافين - إنني لم أكن أعرف ذلك ، لأن الجو كان مظلماً فلم أر إلا هاتيك الشجيرات التي حالت بيني وبين رؤية الماء ، وإلا هذا المقعد ؛ وقد كنت حزينة ومتعبة فنمت .

سيليزيت - هل أصابك البرد ؟ أحكمي على جسمك المعطف .

أجلافين - ما هذا المعطف ؟ إنه لمعطفك ياسيليزيت ، إنك أنت التي غطيتني حينما كنت نائمة ، لكن أنت التي أصابك البرد ، تعالى هنا لأدرك أيضاً . إنك ترتعشين أكثر مني . قالت هذا والتفت نحو الحفرة ثم صاحت : آه . . . الآن قد أشرق القمر ، فأنا أرى الماء يلمع بين جدران الهوة فلو أنني تحركت أدنى حركة . . . هل أنت . . . ياسيليزيت . . . (ثم نظرت إلى سيليزيت)

سيليزيت - لا نمكث هنا ، هذا هو مكان الحمى أجلافين - لا ينبغي أن نضيع فرصة مثيلات هذه اللحظات ، لأنها لا تتكرر . لقد رأيت روحك ياسيليزيت ، لأنك أحببتني بالرغم منك حين أيقظتني آنفاً .

سيليزيت - إننا سنصاب بالبرد يا أجلافين .

طبقاً لما يتركز في نفسينا من عواطف ، لقد آلمتك كثيراً في هذا الصباح .

سيليزيت - لا لا ، أنت لم تؤلميني .

أجلافيين - لا ، بل آلمتك كثيراً في هذا الصباح ، وأريد ألا أقدم إليك شيئاً من ذلك في المستقبل ، ولكن ماذا ينبغي أن يعمل الإنسان حتى لا يؤلم من يحبه ؟ لكأنني بالحب هو منشأ الألم ، إذ لا يكاد المرء يحب الآخر حتى يكون هذا الحب مجلبة لآلام المحبوب ، وهكذا في اللحظة التي أحسست فيها بأنني أحبيتك أكثر من ذي قبل ، طبعت على خدك القبلية التي أبكتك للمرة الأولى .

سيليزيت - لقد بكيت يا أجلافيين ، ولكنني لم أكن عاقلة ، وسوف لا أبكي بعد الآن .

أجلافيين - يا سيليزيتي المسكينة : إن الشخص لا يعرف بالضبط متى يكون عاقلاً ؛ ولا ينبغي أن نسأل الذين يكونون : هل هم متعلقون أو غير متعلقين ؟ وإنما يجب أن نبحث بكل بساطة عما ينبغي أن يتخذ من الوسائل لمنعهم من البكاء .

سيليزيت (بكية) - أجلافيين . . .

أجلافيين - ماذا حدث ؟ إنك لشديدة الاضطراب .
سيليزيت - إنني لم أكن قد رأيتك نائمة قبل الآن يا أجلافيين .

أجلافيين - ستريني نائمة منذ الآن كثيراً يا سيليزيت .

سيليزيت - إنه لم يتحدث إلى أحد قط بهذه الطريقة .

أجلافيين - بلى ، بلى ، يا سيليزيتي المسكينة . من المحتمل أن يكون قد قيل لك ما يقال للناس جميعاً ، لأن كل أحد يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام متى أراد ، ولأن كل كائن لا بد أن يظفر بسمع مثل هذا الأسلوب متى انتهز فرصة الحديث الضروري له ، ولكنك أنت لا تعرفين إلى الآن

كيف تسمعين ذلك .

سيليزيت - إن المستقبل لا يشبه الماضي في هذه الناحية ، بل إنه شيء آخر يغيره تماماً .
أجلافيين - إن هذا الذي كنت لا تسمعينه يا سيليزيت لا يمكن أن يسمع بالأذن ؛ وهذا الذي تسمعينه الآن لا تسمعينه بأذنك حقاً ، لأنك في الحقيقة لا تسمعين الألفاظ التي أقولها لك ، وإنما تسمعين أنني أحبك .

سيليزيت - وأنا أيضاً أحبك .

أجلافيين - ولهذا أنت تسمعين وتفهمين جداً ما لا أستطيع أن أقوله : ليس يدانا وحدهما هما اللتين تتعانقان الآن يا سيليزيت المسكينة ، ولكن ملياندر يحبك أيضاً ، فلماذا لا تسمعين إليه ؟

سيليزيت - إنه ليس مثلك يا أجلافيين .

أجلافيين - إنه خير مني ، إنه لا بد أن يكون قد تحدث إليك أكثر من مرة وبأسلوب لا أستطيع أن أصل إليه .

سيليزيت - لا لا ، ليس الأمر واحداً في الحاليتين ؛ اسمي : أنا لا أستطيع أن أقول لك بالضبط ما معنى هذا ؟ وإنما كل ما أعرفه أنه حينما يكون موجوداً أختبي في داخل نفسي ، أنا لا أريد أن أبكي ولا أريد أن يعتقد أنني أفهم ما يجري ، لأنني أنا أحبه أكثر مما ينبغي .

.....
سيليزيت - أوه ، إنني بدأت أحبك يا أجلافيين .
أجلافيين - أنا أحبك منذ وقت طويل يا سيليزيت .
سيليزيت - أما أنا فلا ، لأنني حين رأيتك للمرة الأولى لم أكن أحبك ثم أحبيتك مع ذلك . لقد تمتد لك سوء آفي وقت من الأوقات ، ولكنني لم أكن أعرف أنك هكذا ، لو أنني كنت في مكانك لكنت مؤذية .
أجلافيين - لا لا يا سيليزيتي المسكينة ، إنك في داخل نفسك لست خبيثة ولم تكوني لتصبحي

منا نحن الاثنين .
سيليزيت — أنا لا ادري لماذا ابكي، انا لست
شقية ، انا سعيدة بأن ايقظتك يا اجلافين .
اجلافين — وانا ايضا سعيدة بأن ايقظتك
يا سيليزيت (١) . تعالى ننصرف من هنا ، إذ لا ينبغي
المكث طويلا في نفس المكان الذي سعدت فيه
روحانا بما لم يتح للنوع الانساني ان يسعد به .

المنظر الثالث

يقع هذا المنظر في جناح من اجنحة القصر
حيث تشاهد سيليزيت وميليجران جدتها العجوز
في نهاية القاعة يتحدان تحت ستار الظلام
ميليجران — انت لم تعودى تقوين على الاحتمال
ياسيليزتي المسكينة ، لا تقولى : لا ، لانهزى راسك
محقة دموعك .

سيليزيت — ولكن يا جدتي انا قلت لك : إننى
ابكى لأننى سعيدة .
ميليجران — لا يبكى الانسان هكذا حينما
يكون سعيداً .

سيليزيت — بلى ، إن السعيد يبكى هكذا مادامت
أنا أبكى هكذا .

ميليجران — إستمعي إلى يا سيليزيت ، لقد
سمعت ما كل قصصه على هذا المساء في موضوع
أجلافين ، أنا لا أعرف أن أتكلم مثلها ، أنا لست
إلا امرأة عجوزا لا تعرف شيئا كثيرا ، ولكننى
تألت أيضا في شبابى . أنا ليس لى في العالم إلا أنت ،
وإننى أقرب من القبر ، وكل هذه العوامل تظهر
لنا من الحقائق ما قد يكون أقل جمالا مما تحدثنا عنه
أجلافين ، ولكن ليس من اللازم دائما أن تنتصر
الحقائق الأكثر جمالا على الحقائق الأكثر بساطة

(١) المراد بالجملة الأولى هو إيقاظ سيليزيت لأجلافين من
فوق حافة الهوة والمراد بالجملة الثانية هو إيقاظ أجلافين
لسيليزيت من الناحية الروحية .

مؤذية ، وإنما فقط كنت لا تعرفين كيف يكون
الانسان خيرا حينما يكون شقيا . يحتمل أنك كنت
تظنين إذ ذاك أن واجبك يقضى عليك بأن تكونى
مؤذية مادامت الشجاعة تُعوزك لأن تكونى خيرة
يتمنى الانسان الشر لجميع الذين يهينونه ولكن
عند ما يحدث لهم أقل ألم تنعكس الآية ، ويتمنى
أن يمنحهم كل ماله من سعادة حتى يحول بينهم وبين
البكاء ، ولكن لماذا لا يحبهم قبل ان يصبحوا تعساء ؟
لا يخطئ الانسان إذا أحبهم مقدما ، لأنه لا يوجد في
هذه الحياة كائن واحد يستمتع بالسعادة طول حياته .
سيليزيت — أريد أن أعانقك مرة أخرى
يا أجلافين إن هذا لشيء عجاب ، في مبدأ
الأمر لم أكن أستطيع ان أعانقك . كنت اهرب
فك ولا ادري لماذا . والآن ، هل يقبلك غالبا ؟
اجلافين — هو . . . ؟

سيليزيت — نعم
اجلافين — نعم ياسيليزيت ، هو يقبلني ، وانا
أقبله ايضا .

سيليزيت — ولماذا ؟
اجلافين — لأنه توجد اشياء لا يمكن ان تقال
إلا في حالة العناق ، وذلك لأن أكثر الأشياء عمقا
ونقاء لا يمكن ان تبرز من الروح إلا حين تدعوها
القبل للبروز .

سيليزيت — أنت تستطيعين أن تقبليه أمانى
يا أجلافين .

أجلافين — أنا لن أقبله بعد الآن إذا كنت
تريدن ذلك ياسيليزيت .

سيليزيت — (باكية فجأة) وتستطيعين أن تقبليه
دون أن أراكما .

(قالت هذا وانحنى على كتف اجلافين
واستمرت في البكاء) .

أجلافين — لا تبكى يا سيليزيت ، لأنك خير

هو ذلك الذي تسكينه ، ولكنني قلقة منذ بضعة أيام ، ولقد قلت لنفسى أكثر من مرة : إن وراء هذه الحقيقة التى يمكن أن ندركها حقيقة أخرى أكثر خطراً وعمقاً وإنها تنتظر فى أعماق نفوسنا ساعتها المحددة ، وإن كل كلماتنا لا تستطيع أن تمحو بسمتها ولا أن تجفف الدموع من عينيها ، وإننى أعتقد أننى وجدت اليوم هذه الحقيقة التى تصيرنا برغم مجهوداتنا . وذاعاً يا سيليزتي ، قبلنى فقد تقدم بنا الليل ، وميلياندر ينتظرك

سيليزت — ألا تجيئين لتقبيله معى
أجلافين — أنا لن أقبله بعد الآن ، أنا سأقبلك أنت حين سنكون معا ، وسأستطيع أن أقول له كل ما ينبغى أن يقال له كما لو كنت أقبله

سيليزت — ماذا حدث ؟ إن عينيك تلمعان كأنك تخفين عنى شيئاً
أجلافين — بالعكس إن عيني تلمعان ، لأننى لم أعد أخفي شيئاً ، لقد عرفت أنه يحبك ، إنه يحبك بهيئة أعمق مما كان يظنه هو نفسه

سيليزت — وهل قال لك ذلك ؟
أجلافين — لا ، ولو أنه قاله لى لما كنت متأكدة منه مثل تأكدى الآن

سيليزت — لكن ، وأنت ؟ ألم يعد يحبك ؟
أجلافين — إنه يحبني أقل مما يحبك
سيليزت — أوه يا أجلافيني المسكينة إن هذا غير ممكن ، لماذا هو يحبك أقل منى ؟ ماذا تريد أن أفعل ؟ ينبغى ألا تظلى وحدك هذا المساء إذا كنت تعتقدين أنك لست سعيدة ، هل تريد أن أمكث معك ؟ سأقول له

أجلافين — إذهبي ! إذهبي ، أسرع يا سيليزت ، أنا لن أكون أبداً أكثر سعادة فى أى وقت منى فى هذا المساء . قالتا ذلك ثم تعانقتا فى ضمت وخرجتا متتايعتين
(البقية فى العدد القادم) محمد غريب

وشيوخوخة . أنا لا أرى إلا شيئاً واحداً يا سيليزتي المسكينة وهو أنك — بالرغم من ابتسامتك التى تظهرينها — عندما تعتقدين أنك منفردة تتمتعين وتبكين . لا ينبغى للانسان أن يغالب قواه النفسية إلى هذا الحد . عبثاً قيل : إن البكاء برهان عدم التمثل ، إذ حين يصل الانسان مثلى إلى نهاية الحياة يكون قد رأى كثيراً أن البكاء هو وحده برهان الحقيقة ، لأن القدر هو الذى يتحدث من خلال الدموع ، وأن الدموع التى تصعد إلى أعيننا إنما تجيء إليها من أعماق المستقبل
(إنهما لكذلك ، وإذا بأجلائين تدخل عليهما دون أن يلحاهما)

ميليجران — (مستمرة فى الحديث) لقد بكيت كثيراً يا سيليزتي المسكينة فيماذا تريد أن ينتهي كل هذا ؟ لقد فكرت طويلاً فى هذا كله ، وأنا فى هذه الزاوية واجتهدت أن أتحدث إليك بلهجة هادئة بالرغم مما أعانيه من ألم حين أراك تتألمين ظلماً . إنه لا يوجد من الحلول الانسانية لعقدة هذه الأحرار إلا حل واحد ، وهو أن تحتفى واحدة منك إما بالموت وإما بالانصراف . ومن التى يجب أن تنصرف إذا لم تكن تلك التى أتى بها القدر متأخرة

سيليزت — ولماذا لا تكون التى أتى بها القدر متقدمة
أجلافين — (متقدمة نحوها وهي تقول) : لا يجيء أحد قبل الأوان يا سيليزتي المسكينة ، وإنما يجيء كل فى ساعة معينة ، وإننى أعتقد أن الجدة محقة
سيليزت — إذا كانت الجدة محقة ، فأننا سنصير تعيسات

أجلافين — وإذا كانت الجدة مخطئة ، فأننا سنبتكى أيضاً . ماذا تريد يا سيليزت ونحن لا نملك إلا الاختيار بين دموعنا فحسب ؟ ولو أننى لا أستمع إلا إلى تعقل الضعيف لقلت لك : إنه ينبغى أن نختار الحل الذى هو أكثر جمالا ، والأكثر جمالا هنا



خاطبتني بها هذا النهار »

وفيما عدا الفتية الصاخين في الحانة كان جميع أهل القرية في فراشهم ناعمين ، قتلل داود في هدوء إلى غرفته في بيت أبيه ، وجمع متاعه القليل في حزمة حملها على عصا وانطلق في الطريق الخارجة من فرنوى .

ومر بغم أبيه وقد تجمعت في حظيرتها الليلية - وهذه الغم هي التي كان يراها كل يوم فيتركها مشردة بينما هو يكتب الشعر على قصاصات من الورق ، فرأى نوراً لا يزال مضيئاً في نافذة إيفون ، فزعزع غريمته شيء من الوهن المفاجئ . ومن الجائر أن يكون معنى ذلك النور أنها قد ندمت ، ساهدة ، على ما بدا من غضبها ، وأن صباح الغد قد يحمل معه ... ولكن لا ! لقد استقرت غريمته ، فليست فرنوى بالمكان اللائق به ، فما فيها من إنسان واحد يشاطره آراءه وأفكاره . وهناك على مدى هذه الطريق يقوم حظه ومستقبله .

وكانت الطريق تمتد مسافة ثلاثة فراسخ في خط مستقيم كأحدود المحراث ، وهي مسافة قطعها الفتى في الظلام . وكان أهل القرية يعتقدون أن هذه الطريق تصل على الأقل إلى باريس . واسم باريس هو الاسم الذي كان الشاعر يهتف به لنفسه في أغلب الأحيان كلما مشى من مكان إلى مكان . ولكن

إني أسير في طرق كثيرة باحثاً عما سيكون .
أحمل قلباً صادقاً قوياً يضيئه الحب
فهل ترى تهودني هذه الطرق ، في معركة الحياة ،
إلى إصابة ما كتب لي في لوح القدر
أم إلى تفاديه أم إلى تلطيفه أم إلى تسويته ؟
« من الشعر غير المطبوع لداود ميجنوت »

انتهت الأغنية ، وكان المغنى هو داود ، وكان المكان إحدى قرى الريف ، فصفت الجماعة الصغيرة الملتفة حول مائدة الحانة تصفيقاً حاداً هو صدى حماسهم القلبية ، فقد دفع الشاعر الصغير ثمن الشراب . ولم يشذ عن الجماعة غير موسيو باينيو . مسجل العقود ، مكتفياً بأن هن رأسه عند سماع ذلك الشعر ، لأنه من أهل العلم ولم يكن قد شارك القوم في احتساء الخمر .

وانطلق داود إلى الطريق الرئيسية في القرية حيث أطار هواء الليل ما بقي في رأسه من أثر الخمر فذكر أنه وإيفون قد تشاجرا في أثناء النهار ، وأنه قد اعترم أن يغادر بيته تلك الليلة ليبحث عن الصيت والشرف في العالم الواسع وراء هذه القرية الضيقة .

وقال الفتى يحدث نفسه في شيء من الزهو البهيج :

« ومتى جرى شعري على ألسن الناس جميعاً
فقد تفكر يومذاك في الكلمات الشديدة التي

داود لم يتعد من قبل عن قريته مثل هذه المسافة الطويلة .

طريق الشمال

قطع الفتى ثلاثة الفراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيراً ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة . فبقى لحظة لا يستقر على رأى ، ثم سلك طريق الشمال .

وفي هذه الطريق العامة الأعظم شأنًا من سابقها رأى الفتى آثار عجلات حديثة المرور ، وبعد نصف ساعة رأى العربة التي خلفت هذه الآثار ، وهي عربة هائلة ثقيلة غرزت عجلاتها في مجرى موحل عند قاعدة تل شديد الانحدار ، وكان السائق ومساعدوه في ضجة وصخب يشدون لجم الخيل في عنف ليستحثوها ولكن على غير طائل . وقد وقف على إحدى جانبي الطريق سيد ضخيم الهامة يرتدى السواد ، وإلى جانبه سيدة هيفاء القوام متبشحة بعباءة طويلة خفيفة .

وأدرك داود افتقار الخدم إلى المهارة فيما يبذلون من جهد لإخراج العربة من وحلتها ، فتقدم في هدوء يتولى إرشادهم إلى ما يجب أن يعملوا ، فطلب من الخدم الواقفين خارج العربة أن يكفوا عن صخبهم وأن يوجهوا جهدهم وقوتهم إلى العجلات وأن يكتفي السائق وحده بتحسيس الخيل بصوته العادى . وأسند داود كتفه القوية إلى مؤخرة العربة ودفعها دفعة شديدة حركتها فاجتازت العجلات المجرى الموحل إلى الأرض الصلبة ، فأسرع الواقفون في الخارج بالتسلق إلى أماكنهم .

ووقف داود لحظة على قدم واحدة ، فلوح الرجل الضخم الهامة بيده في الهواء وقال في صوت

ضخم كهامته ولكنه يرققه بالصناعة والعادة :
« لتدخل إلى العربة » ، ولم يكن سامع هذا الصوت ليستطيع غير الطاعة ؛ وعلى الرغم من أن تردد الفتى لم يطل ، فإن تكرر الأمر من السيد قضى على كل أثر للتردد ، فارتفعت قدم داود من تلقاء نفسها إلى سلم العربة وقد رأى في الظلام سيدة جالسة على المقعد الخلفي ؛ وبينما هو يتأهب للجلوس على المقعد المقابل إذا بصوت السيد الضخم يخضعه لأمره من جديد وقد قال :

« لتجلس إلى جانب السيدة »

وجلس السيد على المقعد المقابل ، ومضت العربة تصعد المرتفع . وكانت السيدة منكشة في مكانها صامتة لا تنطق ولا تتحرك . ولم يكن في مقدور داود أن يحكم من منظرها إذا كانت صغيرة أو كبيرة ، ولكن شذا عطرياً رقيقاً انبعث من ملابسها ألقى في روع خياله الشعري أن وراء ذلك السر الغامض شيئاً جميلاً ؛ إذن هو على باب إحدى تلك المغامرات التي كثيراً ما حلم بها ، ولكنه حتى هذه اللحظة لم يهتد إلى مفتاح ذلك الباب ، إذ لم ينس أحد بكلمة في أثناء جلوسه مع رفاقه الصامتين وبعد ساعة لاحظ داود من خلال النافذة أن العربة تجتاز طريقاً في إحدى المدن . ثم وقفت العربة أمام بيت مغلق مظلم ؛ ونزل أحد الخدم من العربة فدفق الباب دقاً عنيفاً سريعاً ، ففتحت نافذة مشبكة من الطابق العلوى وأطل منها رأس معصوب وسمع صوت يقول :

« من أنتم يا من تقلقون الأشراف النائمين في مثل هذه الساعة من الليل ؟ إن بيتي مغلق . وليست مثل هذه الساعة هي الساعة التي ينبغي فيها السائحون

«مولاي... لو كنت على علم بمقدمكم لأعددت ما يجب لمقامكم الرفيع من أسباب التكريم . وعندى الآن خمر ودجاجة باردة وقد يكون هناك . . . »
فقال الركيز وقد بسط أصابع يده الغليظة البيضاء:
« الشموع . . . »

قال الرجل : « أمرك يا مولاي »
وأحضر ست شمعات أشعلها ووضعها فوق المائدة وقال :

« لعل مولاي يتفضل بتذوق نوع من خمر بورجندي فعندى قنينة . . . »
فقال السيد باسطة أصابعه :
« الشموع »
قال الرجل :

« أمرك يا مولاي . . . في الحال سأطير بها إلى مولاي . . . »

وجاء الرجل باثنتي عشرة شمعة أخرى أشعلها فأضيئت الغرفة . وكان جسم الركيز الضخم قد غطى الكرسي الذي يجلس عليه ، وكان يرتدى من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ملابس رقيقة سوداء فيما عدا الزركشة البيضاء حول معصميه وعنقه . وحتى قبضة سيفه وغمده كانا أسودين . وكانت ملامح وجهه تنم عن كبرياء ساخرة . وكان سبالاه المعقوصان إلى أعلى يكادان يلامسان عينيه الهاربتين وجلست السيدة جامدة لا تتحرك ، وقد لاحظت داود على ضوء الشموع أنها صبية وأنها ذات جمال محزون جذاب . وقد قطع عليه تأمله في حسنها صوت الركيز القوي وقد صاح به :

« ما اسمك وما صناعتك ؟ »

« اسمي داود ميحنون ، وأنا شاعر »

الأخير خارج الأبواب . فكفى طرقاً على بابي وانصرفوا »

فصاح الخادم في صوت يقرب من الصراخ :
« افتح . . . افتح للسيد الركيز دى بويرتيز »
فصاح الرجل المطل من النافذة :

« آه ، عفواً ألف مرة يا مولاي . إنى لم أستطع معرفتكم . فالساعة متأخرة - سيفتح الباب في الحال وسيكون البيت رهن أمر مولاي »

وسمع من الداخل رنين سلسلة من الحديد وصوت تحرك المزلاج وفتح الباب على مصراعيه ، ووقف صاحب بيت القنينة الفضية على عتبة الباب منتفضاً من البرد والخوف ، يحمل شمعة في يده وهو نصف عار .

وخرج داود من العربة وراء الركيز الذي ألقى إليه بهذا الأمر :

« ساعد السيدة في النزول »

فأطاع الشاعر الأمر وأحس بيد السيدة ترتجف وهي تهبط السلم . ثم دوى في أذنيه صوت الركيز ملقياً إليه بهذا الأمر الجديد :

« ادخل البيت »

وكانت الغرفة التي دخلوها غرفة مائدة الفندق المستطيلة . وقد وضعت في وسطها مائدة كبيرة من خشب البلوط . فجلس السيد الكبير الهامة على كرسي عند أدنى طرفها إليه ، وجلست السيدة على كرسي يجوار الجدار ، وقد بدا عليها أثر الضجر الشديد . ووقف داود يفكر في أصلح الطرق للاستئذان في الانصراف والانطلاق في طريقه

وقال صاحب الدار وقد انحني حتى كاد جبينه يلمس الأرض :

وكأنما هو بيت هائل قد أغلق جميع أبوابه ونوافذه في وجه القادمين . وكان من أمانى داود أن يتكلم ولكن منظر الرجل الهائل قد عقد لسانه . فوقف إلى جانب كرسي السيدة وانحنى وقال — وقد عجب في نفسه من انطلاق لسانه في سهولة أمام مثل ما تحلت به الحسنة الغريبة من عظمة وجمال :

« أيتها الأنسة . لقد سمعتنى أقول إننى راع . كذلك يلقي في روعى أحياناً أننى شاعر . وإذا كان من زعات الشاعر أن يعبد الجمال ويحبه فان هذه النزعة قد قويت الآن في نفسى . فهل في مقدورى أن أقدم اليك يا سيدتى خدمة ما فى أية ناحية من النواحي ؟ »

فنظرت الفتاة إليه بعينين جافتين محزوتين . ولكن مارأت على وجهه من أمارات الصراحة والاشراق ، ومظهر الجلد الذى نشأ عن خطر المغامرة التى واجهها ، وما تمثل لها من قوة جسمه واستقامته وما لحظت في عينيه من شفقة متدفقة ، ولكن ذلك كله وقد تضاف إليه أيضاً حاجتها الملحة إلى المساعدة والشفقة اللتين حرمتها منذ زمان طويل ، قد بعث إلى عينيها بالدموع المفاجئة ...

وقالت الفتاة فى لهجة خافتة :

« سيدى ، إنه ليبدو عليك أنك صادق شقيق ؛ وهذا الرجل هو عمى شقيق أبى ، وقريبى الوحيد فى الحياة . ولقد أحب أبى فهو ينفضى لأننى أشابهها . ولقد أحال حياتى إلى فزع طويل . وإنى لأخاف مجرد نظراته ، ولم أجرو قط من قبل على مخالفة أوامره . ولكنه الليلة كان على وشك أن يزوجنى من رجل تبلغ سنة ثلاثة أمثال سنى ؛ ولعلك تسامحنى إذ أبعث إلى نفسك الغضب بمثل هذا

(٥)

فازداد سبالا المركيز دنواً من عينيه وقال :
« وكيف تعيش ؟ »

فارتفع رأس داود وعلا الاحمرار وجنتيه وقال :
« وإنى أعمل راعياً أيضاً ؛ أرى قطع أبى »
« إذن اصغ إليها السيد الراعى الشاعر إلى الحظ الذى عثرت به الليلة . هذه السيدة هى ابنة أخى الأنسة لوسى دى قارين . وهى من سلالة نبيلة وتملك دخلاً سنوياً قدره عشرة آلاف فرنك لاشريك لها فيه . أما محاسنها فيمكنك أن تقدرها بنفسك ، فاذا وقعت نتيجة الفحص من قلب الراعى موقعاً حسناً فانها تسمى زوجك بكلمة واحدة . لاتقاطعنى ؛ لقد ذهبت بها الليلة إلى قصر الكونت دى فيلمور ، وكان موعوداً بالزواج منها . وقد استكمل عدد المدعوين ، وجلس القسيس ينتظر عقد زواجها على الرجل الذى يماثلها نسباً وثروة ، ووقف العروسان أمام المذبح ، ولكن هذه الفتاة التى تراها هنا وديعة مطيعة ، قد التفتت إلى ، وقد انقلبت لبؤة ، فاهتمتى بالقسوة وارتكاب الجرائم ، وفسخت أمام الراهب المذهل العهد الذى قطعه عنها . عندئذ أقسمت وأنا فى موقف بعشرة آلاف شيطان أن أزوجه من أول رجل نصادفه فى طريقنا بعد مغادرة القصر سواء أكان هذا الرجل أميراً أم موقد حطب أم لصاً . وانت أيها الراعى أول من صادفنا فى الطريق ؛ وهذه الفتاة لابد أن تزوج الليلة إن لم يكن منك فى سواك . وأنى أمهلك عشر دقائق للتفكير والاختيار ، فلا تضايقنى بالكلمات والأسئلة . عشر دقائق أيها الراعى ، والدقائق تمضى سريعاً »

نقر المركيز بأصابعه البيضاء تقرراً قوياً على المائدة . ثم جلس ينتظر فى صمت يحيطه الغموض .

فتسربت يدها الرقيقة الصغيرة من تحت معطفها حتى أمسكت بيده وقالت مشهدة :
« سأثق بك وأضع حياتي بين يديك . و ...
والحب - قد لا يكون بعيداً كما تظن . فأجبه .
ومتى بعدت عن قوة عينيه فقد أنسى »

فمشى داود حتى وقف في وجه المركز . فتحرك الهيكل الضخم ، ونظرت عيناه الساحرتان الى الساعة الكبيرة المعلقة على الجدار وقال :
« لم يبق غير دقيقتين . أحتاج الراعي لثاني دقائق ليقرر اذا كان يقبل أو لا يقبل الزواج من عروس ذات جمال وثروة ؟ تكلم أيها الراعي ، أتوافق على أن تسمي زوج الأنسة ؟ »

فبدت الكبرياء على داود وقال :
« لقد شرفني الأنسة بأن قبلت رجائي في أن تسمي زوجي »
فقال المركز :

« لقد أحسنت التعبير . وإن في نفسك أيها السيد الراعي لروح النديم . وكان من الجائز أن تقع الأنسة في شر من هذه النتيجة . والآن لنتنه من هذا الأمر بأسرع ما تسمح به الكنيسة والشيطان »

وضرب المركز المائدة بقبضة سيفه اضر به شديدة ، فأقبل رب الدار مضطرب المفاصل حاملاً شموعاً جديدة متوقفاً سلفاً ما يأمر به المركز ، ولكن المركز فاجأ بقوله :

« أحضر لنا قسيساً . . قسيساً أقهمت ؟ في عشر دقائق يجب أن تحضر القسيس الى هنا وإلا ... »
قالت الرجل بالشموع وجرى وجاء القسيس مثقل الجفون من أثر النوم

الكلام وأحسبك سترفض ، دون ريب ، ذلك الأمر الجنوني الذي يحاول أن يقرضه عليك قسراً . ولكن اسمح لي أن أشكر لك على الأقل ، ما وجهت إلى من كلمات كريمة ، فاني لم أسمع منذ زمان طويل أحداً يخاطبني بمثل هذه الكلمات »

وهنا نظقت عين الشاعر بشيء أكثر من الكرم . وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسي إيفون ، وقد تملكته هذه الحسنة الجديدة بما وهبها الله من عظمة ونضارة ، وقد أثار الشدا الجميل المنبعث منها عواطف غريبة في نفسه . فنظر إليها نظرة رقيقة أغضت لها متعطشة لما فيها من خنان وقال داود :

« لقد منحت عشر دقائق للبت فيما كنت أجعل للبت فيه عدة من السنين . ولا أقول إنني أشفق عليك أيها الأنسة ، لأنني لو قلت ذلك لما كنت صادقاً - فاني أحبك . وما أستطيع بعد أن أطلب منك مقابلة الحب بالحب ، ولكن اسمح لي بأن أنقلك من هذا الرجل القاسي ، وسيجيء الحب مع الزمن ؛ وإنني لأظن أن لي مستقبلاً ، فلن أكون راعياً طوال عمري . وسأحيطك في الوقت الحاضر بكل ما في قلبي من القوى لأخفف من أحزانك الموحجة ، فهل تودعين حظك آمنة بين يدي ياسيدي ؟ »

« آه ! ستضحى بنفسك شفقة على ! »
« لا ، ولكنني أقدم إليك باسم الحب ، والزمن كفيل في الغالب بكل شيء يا آنسة »
« إنك ستندم على ذلك وستحتقرني وتردديني »
« سأقف حياتي على إسعادك وعلى رفع نفسي إلى المستوى اللائق بك »

« لقد شرفتنى فى هذه اللحظة بأن دعوتنى
« السيد » هل آمل إذن أن يكون زواجى من
الآنسة قد رفقنى إلى مكانة تدنو قليلاً من مكانة
ولتكن مكانة الظل من الأصل — فيسمح لى ذلك
بأن أقف موقف الند من السيد المركيز فى شأن
صغير معين أنمله فى رأسى ؟ »

فقال المركيز ساخراً :

« قد تأمل فى ذلك أيها الراعى »

فألقى الفتى بكأسه بين عيني المركيز الساخرتين
اللتين تهزآن به وقال :

« اذن ، قد تتنازل فتبارزنى »

فتجلت ثورة السيد العظيم فى لعنة مفاجئة
انفجرت من بين شفثيه كنفخة البوق الكبير .
وجرد الرجل سيفه من غمده وصاح رب البيت
المضطرب :

« جىء هذا الحلف بسيف ! »

ثم التفت إلى السيدة ضاحكاً ضحكة أزجفت
قلبها وقال :

« -انك تحملينى كثيراً من المتاعب أيها
السيدة ؛ ويلوح لى أنه لا بد من أن أزوجه وأرملك
فى ليلة واحدة »

فقال داود وقد احمر وجهه لاضطرابه إلى هذا
الاعتراف أمام زوجه :

« أنا لا أعرف استعمال السيف »

فقال المركيز فى لهجة الساخر :

« أنا لا أعرف استعمال السيف ! أتبارز اذن
كالفلاحين بهراوات البلوط ؟ مرحى ! أحضر
يافرانسوا غدارتى ! »

فأسرع أحدهم الخدم وأحضر من العربية غدارتين

مترجماً ؛ فأجرى الطقوس التى أسمى بها داود
ميجنوت ولوسى دى فارين زوجين ؛ ثم دس فى
جيبه قطعة من النقود الذهبية ألقى بها المركيز إليه ،
وغادر البيت من حيث جاء دالفاً فى الظلام
فبسط المركيز أصابعه الكبيرة فى وجه رب الدار
وصاح به :

« هات خمرآ »

فلما جاءه بالخمر قال :

« املأ الكؤوس »

ووقف على رأس المائدة فى ضوء الشموع ،
فكان أشبه بجبل أسود من الضغينة والغرور .
وعند ما وقع نظره على ابنة أخيه بدا فى عينيه شئ
كذكرى الحب القديم وقد انقلب سما قاتلاً . .
ورفع كأسه فى يده وقال :

« مسيو ميجنوت ! اشرب بعد أن أقول لك
هذه الكلمات : لقد تزوجت من فتاة ستملاً حياتك
غشاً وتعاسة ، قادم الذى يجرى فى عروقها هو
سيل موروث من الأكاذيب السود والدمار
الأحمر . فستجلب لك العار والهواجس . فالشيطان
الذى انحدر إليها بالوراثة كامن هناك فى عينيها
وجلدتها وفمها الذى ينزل حتى لخدايع رجل فلاح .
هذا هو ما وعدت به أيها السيد الشاعر من الحياة
السعيدة . اشرب خمر . وأنت أيها الفتاة لقد
تخلصت منك آخر الأمر »

وشرب المركيز كأسه ؛ وخرجت من بين شفثى
الفتاة صرخة محزونة كأنها منبعثة من جرح مفاجئ ،
فتقدم داود وكأسه فى يده ثلاث خطوات ثم
وقف من المركيز وجهاً لوجه . فلم يكن فى منظره
ما يشبه منظر الرعاة ، وقال فى هدوء :

كبيرتين لامعتين قد زينتا أيديهما بالفضة المنقوشة.
فذا لقي المركز إحداهما فوق المائدة على مقربة من يد
داود وصاح به :

« الى الطرف الآخر من المائدة . وحتى الراعى
قد يستطيع أن يطلق الغدارة . وقليل منهم هم الذين
ينعمون بشرف الموت بسلاح دى بوبرتيز »

وتواجهه المركيز وداود من طرفي المائدة .
وأصاب الجزع رب الدار فأخذ يخبط الهواء بيديه
ويقول مترنماً :

« ميدي . . . سيدي ، بحق المسيح لا تفعل ذلك في بيتي ! لا ترق الدماء هنا - فیدمر ذلك سمعتي ويقضي على مستقبلی . . »

ولكن نظرة المركز التهديدية اليه عقلت لسانه،
وقد صاح به الرجل :

«كفى ثروة أيها الجبان، وهيء لسانك الطويل
ليعلن كلمة القتال»

ولكن ركبتى رب الدار كائنا قد لامستا
الأرض ، وقد ذهل عن كل شيء فهو لا يكاد
يسمع أو يبى ولكنه كان مع ذلك لا يزال يستجدى
السلام باسم سمعة بيته والحرص على غملائه .

وقالت السيدة في صوت جلي :

« سأعطى أنا الكلمة »

ثم تقدمت إلى داود فقبلته قبلة رقيقة . وكانت
عيناها تبرقان وقد علا الاحمرار وجنتيها . ووقفت
بجوار الجدار وصوبت الرجلان غدارتيهما أحدهما
إلى الآخر منتظرين أمرها بإطلاق النار :

« واحد . اثنان . ثلاثة ! »

وخرج الطلقان في وقت واحد على التقريب
فلم يضطرب لهب الشموع غير مرة واحدة ووقف

الركيز باسمًا وقد استندت أصابع يده اليسرى إلى
المائدة . وبقى داود منتصباً في مكانه ؛ ثم أدار رأسه
في بطاء شديد باحثاً بعينه عن زوجته ، ثم إذا هو
يسقط فجأة كتلة جامدة كما يسقط العطف عن
الشجب .

فجرت العروس الأرملة ، وقد صرخت صرخة
الجزع واليأس ، فأمحنت على جثة زوجها القتيل ،
وعثرت على جرحه ، ثم نظرت نظرها القديمة
الجامدة من الحزن الموجه وقالت هامسة :

« في صميم قلبه ، أواه ! في قلبه ؟ »

فدوى صوت المركز المربع في أرجاء الغرفة :
« تعالى لنذهب إلى العربة ! ولن يراك الفجر
بين يدي ، فستزوجين مرة أخرى ، في هذه الليلة
ومن زوج حي . وسيكون هذا الزوج أول رجل
نصادفه في الطريق ، عظيمًا كان ذلك الرجل أم فلاحًا
حقيرًا . فإذا لم نصادف في الطريق أحداً فستزوجين
من البواب الذي يفتح أبواب قصرى . هلمي إلى
العربة ! »

خرج الركيز الضخم الجثة المتحجر الضمير ،
تبعه السيدة ملتفة في معطفها الذي يحيطها بالأسرار ،
وحولها الخدم يحملون السلاح - خرجوا جميعاً إلى
العربة الواقفة في الانتظار ، فلم يلبث دوي عجالاتها
الكبيرة أن تردد صدهاء في أرجاء القرية الناعمة ؛ بينما
صاحب بيت « القنينة الفضية » منحن فوق جثة
الشاعر القليل نشارد الفكر يندق يداً بيد ، ولهيب
الأربع والعشرين شمعة المضاءة فوق المائدة يرقص
متأججاً في الهواء

طريق المين

قطع الفتى ثلاثة الفراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيراً ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة ، فبقى لحظة لا يستقر على رأى ، ثم سلك طريق المين

لم يكن داود يدري إلى أين تقوده هذه الطريق ولكنه كان قد اعتزم أن يتعد الليلة عن فرنوى ما استطاع . وبعد أن قطع فرسخاً في الطريق الجديدة مر بقصر تدل الطواهر على أنه عمر باحتفال حديث ، فقد كانت الأنوار بادية من جميع نوافذه ، وكانت آثار عجلات العربات التي حملت الضيوف واضحة ممتدة من داخل الباب الكبير إلى طول الطريق

وبعد ثلاثة فراسخ أخرى أحس داود بالتعب ، فجلس يستريح ثم رقد على كومة من الأعشاب إلى جانب الطريق . واستيقظ بعد فترة فواصل السير إلى حيث لا يدري .

وعلى هذه الصورة قضى الفتى خمسة أيام ماشياً في هذه الطريق الواسعة الطويلة ، ينام على فراش الطبيعة فوق ركام الفلاحين ، آكلاً من خبزهم الأسود السخى ، شارباً من الجرادل أو أكواب الرعاة الكرماء .

وأخيراً عبر جسراً كبيراً فوضع قدمه على أرض المدينة الباسمة التي حطمت أو توجت من الشعراء عدداً يزيد على مجموعة الشعراء في أى مكان آخر . وجري تنفسه سريعاً عند ما غنت له باريس في صوت خافت أغنية الترحيب — وهي أغنية عناصرها مهمة الأصوات ووقع الأقدام ودوي العجلات .

واستقر الفتى في غرفة صغيرة فوق سطح منزل قديم بإشارع كونتى ، فدفع أجر الإقامة ، وجلس

على كرسي من الخشب منكباً على أشعاره ، وكان الشارع الذى يقيم فيه من الشوارع التى هجرها أهل الجد والعمل ، فاصبحت مسرحاً للذين يسرحون في فترة الانحدار .

وكانت البيوت عالية ، يبدو عليها أثر العظمة الزائلة ، وكان أغلبها خالياً إلا من الأتربة والعنكبوت ، ولم يكن يسمع في الليل غير جلجلة الحديد وصراخ المشاغبيين المتنقلين من حانة إلى حانة ؛ وفي الجملة أصبح ذلك الحى الذى كان مسرح السادة الأشراف مأوى للرعاع المجرمين ، ولسكن داود وجد في هذا الحى المسكن المناسب لماله القليل ، ولم يره نور النهار ولا ضوء الشموع إلا منكباً على الأقلام والورق .

وفي ذات مساء كان داود عائداً من جولة في الأحياء الفقيرة حاملاً شيئاً من الخبز والأدام وزجاجة من النبيذ الخفيف ، وفي منتصف درجات السلم التقى — أو بعبارة أخرى وقع على — سيدة فتية ذات جمال يعطل حتى خيال الشعراء . ترتدى مغطاً أسود خفيفاً ينفرج عن ملابس غالية تم عن الثراء ، وكانت عيناها تتغيران في سرعة مذهشة وفاق ما يدور في رأسها من آراء . ففي لحظة تراهما مستديرتين لا أثر للصناعة فيها كأنما هما عينا طفل برىء ، وفي لحظة أخرى تراهما مستطيلتين خداعتين كعيون نساء الفجر ، وقد رفعت إحدى يديها طرف ثوبها كاشفة عن حذاء عالى الكعب محلول الرباط ، وهي في وقفها مخلوقة سماوية غير خليقة بالأنحاء ، فهي إنما خلقت لتسحر الناس ولتأمر فتنطاع ! ولعلها قد رأت داود يصعد الدرجات فانتظرت ليقدّم إليها ما تود من مساعدة .

آه ، أيغفر لها السيد وقوفها في الطريق ، ولكن

في الغرفة الصغيرة التي يعيل السلم أمامها .
فادارت السيدة رأسها ناحية وقالت :
« في الغرفة الأمامية ؟ »

« في الخلفية يا سيدتي »

فتنهدت السيدة كأنما قد شعرت بشيء من
الارتياح . وقالت وقد استدارت عيناها وضاع منهما
كل أثر للصناعة :

« لن أؤخرك أكثر من ذلك يا سيدى . وعليك
أن تحافظ على منزلى . أسفا ! إن ذكرياته هي كل
ما أملك منه الآن . وداعا وتقبل شكري لما قدمت
لي من مساعدة »

واختفت السيدة عن نظر الفتى غير تاركة وراءها
إلا ابتسامة والاشدا حلوا منعشا . وتسلى داود
السلم تسلى النائم يسير في المنام ، ولكنه لم يلبث
أن استيقظ ، ولازمته الابتسامة والشدا ولم يبد أن
أحدهما قد فارقه بعد ذلك أبداً ، فقد أحاطته هذه
السيدة بكل ما يحيط به الملاك الساحر الشاعر الرقيق
الحسن من مغريات .

وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسي
إيفون ، وقد تملكته هذه الحسناء الجديدة بما
وهبتها الطبيعة من عظمة ونضارة . وذلك الشدا
الجميل الذي انبعث منها بعث عواطف غريبة في نفسه

وفي ليلة ما اجتمع ثلاثة أشخاص حول مائدة
في غرفة بالطابق الثالث من هذا البيت نفسه . ولم
يكن في الغرفة من أثاث غير الثلاثة الكراسي
والمائدة والشمعة المضيئة فوقها . وكان أحد
الأشخاص رجلاً ضخماً الهامة يرتدى السواد ، تدل
تقاسيم وجهه على ما في نفسه من كبرياء ساخرة ،

الحذاء : — ذلك الحذاء الشقي الماكر ! أسفا ! إنه
لا يبقى على ربطته . آه ! لو أن السيد تفضل بتقديم
مساعدته الكريمة !

وارتجفت أصابع الشاعر وهو يعقد الرباط . ثم
لكأنه حاول الهرب الذي يواجهه في حضرتها ،
ولكن عينيها قد استطالتا خدعتين كميون الفجر
فشلتا حركته . فقال على حاجر السلم ممسكا بزجاجة
الخمير الرديء .

وقالت السيدة مبتسمة :

« لقد كنت كريماً يا سيدى ، فملكك من سكان
هذا البيت . »

« نعم يا سيدتى ... أنا — أنا اظنني كذلك . »

« لملك إذن تسكن الطابق الثالث ؟ »

« لا ، يا سيدتى ، بل أعلى من ذلك . »

فحزكت السيدة أصابعها حركة تدل على شيء من
الضجر وقالت :

« عفواً فما أنا طفيلية في سؤالى ، وإنى لأرجو
السيد أن يسامحني ، فما أقصد حقاً أن أعرف أين
يسكن . »

« لا تقولى ذلك يا سيدتى ، فإننى أسكن في .. »

« لا ، لا ، لا ، لا تقل لى ، فاني مدركة الآن

أننى قد أخطأت ، ولكننى لا أستطيع أن اتغلب
على إهمامى بأمر هذا المنزل وكل ما يتصل به ، فلقد

كان بيتى يوماً ما . وإنى لأحضر إلى هنا في أغلب
الأوقات ، ولكن لجرد التمتع باستعادة ذكريات
تلك الأيام السعيدة . فهل تقبل منى هذا العذر ؟ »

فقال الفتى مترجماً :

« لتصنى إلى إذن ، فما بك من حاجة للاعتذار ،

انى لأسكن في الطابق الأخير فوق سطح الدار —

فصرب الكابتين دزروول على المائدة مرة أخرى
وقال مكرراً كلماته الأولى :

« الليلة . . لقد سمعني ، ياسيدي المركيز ، أقول
إن يدي ستضرب الليلة الضربة الواجبة »

فقال الرجل الضخم الجثة في شيء من الرقة :
« ولكن الآن يعرض لنا هذه المسألة : يجب

أن نرسل كلمة لأصدقائنا في القصر الملكي ، وهناك
إشارة متفق عليها . ويجب أن يصحب رجالنا المخلصون

عربة الملك . فمن هو الرسول الذي يستطيع في هذه
الساعة أن يتوغل حتى الباب القبلي ؟ فركز

ريوت عند ذلك الباب ، فتمت وصلت الرسالة إلى يده
فسيتم كل شيء على ما نحب »

فالت السيدة :

« سأتولى أنا إبلاغ الرسالة »

فرفع المركيز حاجبيه وقال :

« أنت يا كوتس ؟ إننا نعرف أن اخلاصك

عظيم ولكن . . . »

فوقفت السيدة واتكأت بيدها على المائدة وقالت :

« أصبغ الى ، في غرفة بأعلى هذا المنزل مسكن

شاب من الريف مخلص وديع كالحراف التي يرعاها

هناك ، ولقد قابلته على السلم مرتين أو ثلاثاً .

وسألته عن مسكنه خيفة أن يكون قريباً من الغرفة

التي نجتمع فيها ، وإنه لطوع يدي إن أردت ، فهو

يكتب الشعر في غرفته وأظن أنه يحلم بي . وسيفعل

ما أطلب منه فعلاً ، وسيحمل الرسالة إلى القصر »

فوقف المركيز وأحنى شم قال :

« إنك لم تسمح لي يا كوتس بأن أتم جملتي

فلقد كنت أريد أن أقول إن اخلاصك عظيم

ولكن ذكائك وحسنك لاحد لعظمتها »

وكان سبالاه المقتولان الى أعلى يكادان يلامسان

عينيه الهازئين . وكان الشخص الثاني سيدة صبية

جميلة ، ذات عينين تراهما حيناً مستديرتين لا أثر

للتصنع فيهما كأنهما عينا طفل بريء ، وتراهما مرة

مستطيلتين خداعتين كعيون الفجر ولكنهما كانا

ساعة هذا الاجتماع حادثين تنطقان بما في نفسها من

مطامع كعيون غيرها من التآمرين ؛ أما الشخص

الثالث فكان رجل عمل ، وكان محارباً شجاعاً صبوراً

فعلاً يستنشق أنفاسه خلال النار والحديد ، وكان

صاحبه يدعو الكابتين دزروول .

ضرب هذا الرجل المائدة بيده وقال في صوت

ثابت قوي :

« الليلة . . الليلة حين يذهب لصلاة نصف الليل .

لقد تعبت من التآمر الذي لا يؤدي إلى نتيجة . واني

لأختنق من الاشارات والرموز والاجتماعات السرية

ومثل هذه المهمة التي تتحدث بها . فلنكن خونة

أشرافاً ، فإذا كان لابد لفرنسا أن تتخلص منه

فلنضرب ضربتنا علناً ، غير مخادعين ولا ملتجئين

للحيائل والاشراك . فالليلة كما قلت . وكما أكرر القول ،

الليلة ستضرب يدي هذه الضربة الواجبة ، الليلة

عند ما يذهب لصلاة نصف الليل »

فنظرت اليه السيدة نظرة تقدير وأعجاب . والمرأة

وان انعمت في المؤامرات لا تزال أبداً تنحنى أمام

مثل هذه الشجاعة المتدفقة . وبرم الرجل الضخم

شاربيه وقال في صوت غليظ يلطفه بحكم العادة :

« إنني متفق معك في هذه المرة ، أيها الكابتين

العزيز ، فليس هناك ما نحنيه من وراء الانتظار ،

فبين حرس القصر من أصدقائنا العدد الكافي لضمان

نجاح مشروعنا »

فستمكن والدتي من رؤيته قبل أن تغمض عينها
إلى الأبد »

فقال داود متحمساً :

« هات الكتاب ياسيدي ، ولكن هل أتركك
تعودين وحدك في الشوارع في هذه الساعة
التأخرة ؟ أنا ... »

فقالت السيدة وقد استطالت عينها وبدا
خداعتين كميون الفجر :

« لا . لا — أسرع أنت ، فكل لحظة تمر
كأنها جوهرة نفيسة ؛ وسيأتي الوقت الذي أحاول
فيه أن أشكر لك طيبتك »

فدس الشاعر الخطاب في صدره واتجه إلى السلم
فهبطه مسرعاً . فلما انصرف عادت السيدة إلى غرفة
النائم .

فكانت حركة حاجبي الركيز تم عن سؤالها
عما حدث فأجابت :

« لقد ذهب بالكتاب أبله غيباً كما جدى الغم
التي يراها »

فاهتزت المائدة مرة أخرى بأحدى ضربات
الكاتب دزول وصاح :

« يا لله ! لقد نسيت غدارتي ، ولا أستطيع أن
أثق بغيرها »

فسحب الركيز من تحت معطفه غدارة كبيرة
لامعة مزينة قبضتها بالقبضة المنقوشة وقال :

« خذ هذه فما هناك من غدارة آمن منها ،
ولكن حافظ عليها جيداً فإنها تحمل اسمي وشعاري ،
وأنا بالفعل مشتبّه في أمري . وفيما يختص بي سأبتعد
الليلة عدة فراسخ عن باريس . وسيشرق على صباح
الغد في قصرى ، تفضلي ياسيدي الكونتس »

وبينما كان المتآمرون مشغولين بهذا الحديث
في غرفتهم كان داود يهذب بعض أبيات من الشعر
وجهها إلى « حسناء السلم » ولم يلبث أن سمع
طرقاً خفيفاً على باب غرفته ، وما كاد يفتحه حتى
اضطرب قلبه إذ رأى الحسناء الذى يتغنى بها واقفة
على عتبة تلمث مفتوحة العينين بريئة النظرات
كالطفل ، وكأنما هي في ضيق شديد وما رآه حتى
قالت في صوت متقطع :

« سيدى ، إنى أجيئك الآن جازعة ، وإنى
لأعتقد أنك طيب صادق ولا أعرف سواك من
أجأ إليه للمساعدة . ولو رأيتنى وأنا أجري في
الشوارع وسط الرجال المختالين بأنفسهم ! ولكن
دفعنى إلى ذلك ياسيدي أن أمى في حالة النزاع ؛
وخالى ضابط فى حرس الملك ؛ ولا بد من أن
يسرع إليه أحد فيأتى لى به . وإنى لأرجو »

وهنا وضعت السيدة فى يد الفتى رسالة مختومة
ومضت تقول :

« اذهب إلى الباب القبلى — الباب القبلى
لاتنس ذلك — وقل للحرس الذين تجدهم هناك :
« لقد غادر البازى وكره » وعندئذ يسمحون لك
بالمرور ، فاقصد إلى مدخل القصر القبلى وكرر
الجملة نفسها ، وسلم هذا الخطاب للرجل الذى يجيئك
بقوله : « دعه يضرب متى أراد » فهذه كلمة المرور
التي أطلعني عليها عمى ياسيدي ، لأنه فى وسط
الاضطراب الحاضر فى البلاد ، وبينما يوجد قوم
يتآمرون على حياة الملك لا يستطيع أحد بدون
هذه الكلمة أن يدخل إلى القصر بعد هبوط
الظلام ؛ فإذا أنت حملت إليه هذا الخطاب ياسيدي

(7)

تغنى بين الأحراج : أليس ذلك هو شأن الراعى ؟
فأجاب داود متنهداً :

« هو ذاك يا مولاي ، وكذلك يصنعى إلى النحل
فوق الأزهار ، وقد يصنعى كذلك إلى جناة العنب
وهم يغنون »

« نعم ، نعم ، قد يصنعى إلى جناة العنب ولكن
الذى لا شك فيه أنه يصنعى للطيور السوداء ، فهي
غالباً ما تغنى فى الأحراج ، أليس أمرها كذلك ؟ »
« إنها لا تغنى فى مكان آخر بأحلى مما تغنى فى
إيرايه لوار . ولقد حاولت أن أصف غناءها فى بعض
الأشعار التى أنشأتها »

فسأله الملك فى لهفة شديدة :

« أأتستطيع أن تكرّر على سمى هذه الأبيات ؟
فمنذ زمان بعيد أصفيت للطيور السوداء . وإنه لأكبر
من الملك أن يستطيع إنسان تصوير غنائها تصويراً
صادقاً ... وكنت فى المساء تدفع الأغنام إلى حظيرتها
ثم تجلس فى هدوء واطمئنان ، فتأكل خبزك الهنى !
هل تستطيع أن تكرّر هذه الأبيات أيها الراعى ؟ »
فقال داود فى حماسة ملؤها الاحترام :

هذه هى يا مولاي :

« أيها الراعى الكسول ! انظر خرافك الصغيرة

« وهى تثب مرحة فوق الأغشاب

« وانظر إلى فرائها تهتز فى النسيم

« واصنع إلى إله الرعاة ينفخ فى أرغوله

« فيترجم أقوال الطيور وهى تقول : -

« اصنع إلينا ونحن نصيح فوق الفصون ،

« وانظر إلينا ونحن ننقض على أغنامك

« لنلقط منها الأصواف التى تدق أوكارنا

« على فروع ال . . . »

هنا قطع هذا الحديث صوت أجش يقول :

« أياذن لى مولاي أن أسأل هذا الوزان سؤالاً
أو سؤالين . فليس لدينا من وقت نضيعه قبل أن
نعمل . وإنى لأسأل مولاي العفو إذا كان اهتمامى
بسلامة جلالكم قد أدّى إلى هذه المقاطعة التى قد
تسوءكم »

فقال الملك :

« إن اخلاص الدوق دومول أكبر من أن
يسبب لى أى امتعاض أو غضب »
ثم غاص الملك فى كرسيه وعادت الغشاوة
فاستولت على عينيه . فقال الدوق :

« وسأبدأ بأن أقرأ لجلالتكم الخطاب الذى حمّله
هذا الفتى وهذا هو :

« الليلة هى ليلة ذكرى وفاة ولى العهد . فاذا
خرج كعادته لحضور صلاة نصف الليل على روح
ابنه ، فإن البازي سيضرب ضربته عند زاوية شارع
اسبلاناد ، فاذا كانت هذه هى نيته فضع نوراً أحمر
فى الغرفة العليا فى الركن الجنوبي الغربى من القصر
حتى يأخذ البازي أهبته »

ثم قال الدوق فى شدة :

« أيها الفلاح ، لقد سمعت هذه الكلمات ، فمن
الذى أعطاك هذه الرسالة لا يصلحها إلى القصر ؟ »
فقال داود فى لهجة الجد :

« سأخبرك يا مولاي الدوق ، لقد أعطتنى

هذه الرسالة سيدة قالت إن أمها مريضة وإن هذه
الرسالة تستدعى خالها ليقف إلى جانب فراش أخته
وهي تموت . ولم أكن أعرف ما يحتوى عليه

الليل ، فهل تقبل هذه التجربة ؟ »
فابتسم داود وقال :

« لقد نظرت إلى عينيها ، فبرهاني في يدي ،
ولك أن تجري تجربتك على ماتريد »

وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين
مساء وضع الدوق دومول بيده مصباحاً أحمر في نافذة
بالركن الجنوبي الغربي من القصر ، وفي الساعة
الحادية عشرة والدقيقة الأربعين خرج داود من
الحجرات الملكية مرتدياً ملابس الملك من قمة
رأسه لأخص قدمه متكئاً على ساعد الدوق حائياً
رأسه إلى الأمام حتى وصل إلى العربة المنتظرة أمام
السلم الخارجي ، فساعده الدوق في دخولها وأقفل
الباب . فسارت العربة في طريقها إلى الكاندرائية .
وفي نقطة (كي فيف) أمام بيت في زاوية شارع
اسبلاناد اختبأ كابتن تيترو مع عشرين من رجاله
مستعدين للانقضاض على المتآمرين عندما يظهرون

ولكن يظهر أنه لأمر ما عدل المتآمرين في
خطتهم تعديلاً طفيفاً . فبما وصلت العربة الملكية
شارع كريستوفر ، وهو أقرب في الطريق من شارع
اسبلاناد ، حتى اندفع منه كابتن دزروول وعصابته
التي عقدت النية على قتل الملك ، فهاجموا العربة .
وعلى الرغم من أن الحراس المحيطين بالركب قد بوغتوا
بهذا الهجوم المفاجيء فانهم ترجلوا وقتلوا المهاجمين
مستبسلين . واسترعى تقارع الأسلحة وضجيج القتال
أنظار كابتن تيترو ورجاله فاسرعوا لنجدة اخوانهم ،
ولكن حدث في الوقت نفسه أن ثارت نفس كابتن
دزروول ، بعد أن استولى عليه اليأس ، فانقض على
باب العربة وفتحها بعنف وصوب غدارته إلى صدر

خطابها ، ولكنني أستطيع أن أقسم أنها جميلة
وطيبة »

فقال الدوق آمراً :

« صف لنا المرأة وقل كيف أصبحت رسولها
الآبله »

فقال داود مبتسماً ابتسامة رقيقة :

« أصفها ؟ انك بذلك تأمر الكلمات أن تأتي
بالمعجزات ! انها يامولاي مخلوقة من شعاع
الشمس تحيطها هالة رائعة ، هيفاء كشجرة الحور ،
إذا خطرت اكتنفها العظمة من كل ناحية ،
وعيناها تتغيران وهي تحدثك ، فهما في لحظة
مستديرتان ، وفي لحظة أخرى نصف غامضتين كما
تطل عين الشمس من بين سحابتين . إذا جاءت
فالسما حولها ، وإذا ذهبت تركت وراءها شذاً
يسحر النفوس ، لقد جاءني في شارع كونتي رقم
٢٩ »

فالتفت الدوق إلى الملك وقال :

« إنه البيت الذي كنا نراقبه ، فشكراً للسان
الشاعر ، فقد رسم لنا صورة من الكونقس ليبدو
مفضوحة السمعة »

فقال داود في لهجة الجد :

« صاحب الجلالة ، ومولاي الدوق ، أرجو ألا
تكون كلماتي التعيسة قد ظلمت أحداً . لقد نظرت
إلى عيني هذه السيدة ، وإني لأراهن بحياتي على أنها
ملاك دون نظر إلى أمر هذا الخطاب »

فأحرق الدوق فيه النظر وقال في هدوء :

« إني سأختبرك ، فستلبس ملابس الملك ،
وتذهب بنفسك في عربته لحضور صلاة نصف

وهب داود واقفا فنفض عوامل القلق والفكرة الحوشية التي استولت عليه ، وأدار وجهه إلى طريق القرية وعاد من حيث أتى . وما كاد يقطع الطريق حتى كان قد زال من نفسه كل أثر لفكرة الهجرة والبعد عن وطنه ، ومرر بحظيرة الغنم التي ريعت من وقع أقدامه في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، فأحس من حركاتها بحرارة الحنين إلى الوطن فتسلل في هدوء إلى غرفته الصغيرة حيث رقد على فراشه شاكرًا لله أن نجت قدمه هذه الليلة من الانزلاق في طرق المخاطر .

وما كان أعرف الفتى بقلب المرأة ! ففي المساء التالي كانت إيفون واقفة مع الفتيان والفتيات المتجمعين حول البئر للاشتراك مع القسيس في الصلاة ، وكانت الفتاة تنظر من طرف عينها باحثة عن ... ولو أنه يخيل إلى من يرى فيها الجامد أنها قاسية لم ترحم ، ورأى داود نظرتها ورأى على فيها ما يناقض النظرة فادرك أنها تحاول أن تخفي بحركة فيها حقيقة شعورها فلاطفها ، وبعد فترة حظى - وهما عائدان في الطريق - بقبلة من ذلك الفم الذي اصطنع الجفاء

وبعد ثلاثة أشهر من تاريخ ذلك اليوم تزوج الحبيبان ، وكان أبو داود ميسر الحال كريما ، فأقام لزواجهما عرسا سمع بعظمته الناس إلى مسافة ثلاثة فراسخ . وكان العروسان محبوبين من أهل القرية جميعا ، فر الموكب في الطرق وأقيم المرقص فوق الأرض الخضراء ، وأحضر من بلدة درو بعض اللاعبين لتسلية الضيوف .

ومضى عام ومات والد داود ، وورث الفتى عنه البيت والقطيع . وكانت زوجته دون شك أطف

الهيكل الأسود القابع في داخلها وأطلق النار .
والآن ، وقد أقيمت النجدة من الجنود المخلصين فقد علا الضجيج والصياح مصحوبا بققعة السلاح .
على أن الخيل الجافلة قد اندفعت بالعربة على غير هدى وعلى فراش العربة رقدت جثة الملك الكاذب المسكين والشاعر الراعي ، وقد قتل برصاصة من غدارة السيد المركيز دي بويتريز .

الطريق الأصلية

قطع الفتى ثلاثة فراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيرا ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة . فبقى لحظة لا يستقر على رأى ، ثم جلس ليستريح على جانب الطريق .
لم يكن الفتى يعرف إلى أين تؤدي هذه الطرق ، وخيل إليه أن وراء كل منها دنيا واسعة مليئة بالفرص الحسنة وبالاخطار أيضا . وبعد أن جلس فترة يفكر وقعت عينه على نجم متلألئ في السماء ، وهو نجم اتفق هو وإيفون على أن يسمياه نجمهما . فحوت رؤيته أفكاره إلى إيفون ، فسأله نفسه ألم يتسرع في مغادرة القرية على هذه الصورة ؟ وهل يصح أن يترك حبيبته وبيته لغير سبب إلا أنه تبادل وهذه الحبيبة بضع كلمات حارة ؟ وهل كان الحب شيئا هشا تقصفه الغيرة - وهي دليل صدقه - بمثل هذه السهولة ؟
وذكر أن الصباح يحمل دائما الشفاء للرؤوس التي يصدعها المساء . ورأى أن الوقت لا يزال متسعا أمامه للعودة دون أن يشعر أحد من أهل القرية النيام بخروجه منها . لقد كان قلبه ملكا لإيفون فهناك في القرية حيث عاش طوال عمره يستطيع إلى جانب حبيبته أن يقول الشعر وينعم بالسعادة .

يقضى وقته ناعساً : وأدركت الذئاب أن صياغة الشعر والنعاس صنوان من الوجهة العملية ، فواصلت حملتها على القطيع ، واستمر عدد الخراف في النقصان وازداد خلق إيفون سوءاً تمشياً مع ازدياد ما يهدد حياتها البيئية من شقاء ، فكانت أحياناً تقف في الفناء وترفع صوتها لتسمع زوجها القابع في غرفته ماتنهال عليه من ألفاظ قاسيات .

وكان مسيو باينيو المسجل المعجوز رجلاً شقيقاً يتدخل في شئون أهل قريته ينصح لهم بما يفيدهم ؛ وقد رأي ما صارت إليه حال داود فقصد إليه يوماً وقال : —

« يا صاحبي ميجنوت إني أنا الذي ختمت شهادة زواج أليك ، لذلك يؤلني أشد الألم أن أضطر يوماً لنشر ورقة تعلن إفلاس ابنة ؛ ولكن هذه هي النتيجة التي أراك سائراً نحوها . فاصغ الآن لما أقول لك ، وثق أني أخاطبك كصديق قديم : إني أراك عاقداً غرمك على مواصلة حياة الشعر والخيال . ولي صديق في درو اسمه مسيو بريل - جورج بريل وهو عالم يعيش وسط الكتب والأوراق . ويؤور باريس كل عام ، وله مؤلفات عديدة . وهذا الصديق العالم الخبير هو الذي يحسن النصيحة لك متى اطلع على شعرك ، فإما نصح لك بالمضي فيه أو نصح لك بالعود إلى العناية بأمرك وأعمالك ، فإن شئت كتبت له خطاباً تحمله إليه وتصني لما يدلي به إليك »

فقال داود :

« أكتب الخطاب وإنه ليؤلني أنك لم تخاطبني بذلك قبل هذا اليوم بزمان »

وعند شروق شمس اليوم الثاني كان داود يسير

وألقى امرأة في القرية ؛ شديدة العناية بأواني اللبن وأوعية الطهي ، فهي دائماً نظيفة لامعة ، وكانت إلى جانب ذلك ناعمة الصوت إذا غنت أشجت السامعين .

ولكن جاء يوم فتح فيه داود درجاً مقفلاً منذ زمان ، فأخرج منه أوراقاً وقرض بأستانه طرف قلم من الرصاص ، وكان الريح قد أقبل وحرك أوتار قلبه ، وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسي إيفون وهام قلبه بحمال الطبيعة وما تمثل فيها من بهاء وعظمة . وقد أثر في نفسه تأثيراً غريباً ذلك الشذا الجميل المنبعث من الغابات والمراعي . وكان من قبل يذهب كل يوم بقطيعه ويعود به في المساء سالماً إلى حظيرته . أما الآن فقد ألف الرقاد إلى جانب السياج يرص الكلمات بعضها إلى جانب بعض على صفحات القرطاس ، تاركا الغنم تشرذ في كل مكان ، وأدركت الذئاب أن انهماك الراعي في صياغة الأشعار تيسر لها الانقضاض على فرائسها المشتهاة ، فكانت تتسلل من الغاب إلى المرعى تخطف ماتشاء من الخراف .

ونما محصول داود من الشعر وتناقص عدد قطيعه ، وتسربت الحدة إلى أخلاق إيفون وقلت عنايتها بأوانيها ولكن عينها ما زالتا محتفظتين بيريقيهما ؛ ولقد صارحت زوجها بأن إهماله قد أدى إلى نقصان عدد القطيع وأنه سينزل الدمار بالبيت فاستأجر داود غلاماً يرعى الأغنام عليه ، وحبس نفسه في غرفته الصغيرة بأعلى البيت مكباً على صياغة الأشعار . وكان الغلام الذي استأجره لرعاية الغنم شاعراً بطبيعته ولكنه لم يكن يعرف الكتابة فكان

في طريق درو متأبطاً حزمة شعره النفيس . وعند ذلك نفخ التراب عن نعليه أمام بيت مسيو بريل . وفرض الرجل العالم غلاف خطاب مسيو بايننو ، فلما قرأه أدخل داود إلى مكتبه وأجلسه على مقعد كأنه الجزيرة وسط بحر من الكتب .

وكان مسيو بريل رجلاً حي الضمير ، تناول حزمة الورق التي تحتوى شعر الفتى فكسر خاتمها وأخذ يقرأ ما فيها بسرعة العالم الخبير ودقة الناقد الصادق .

وكان داود في الوقت نفسه جالساً يضطرب في وسط ذلك البحر من العلوم ، وقد خيل إليه أن نصف العالم لا بد أن يكون من المؤلفين .

وانتهى مسيو بريل من قراءة المجموعة كلها فرفع نظارتيه عن عينيه ومسحهما بمنديله وسأل داود : « هل يتمتع صديقي بايننو بصحة جيدة ؟ » فأجاب داود :

« إن صحته على خير ما يكون »
« كم عندك من الغنم يا مسيو ميجنوت ؟ »
« ثلاثمائة رأس وتسعة رؤوس عند ما عدتها أمس . وقد أصاب القطيع سوء الحظ فأنحدر إلى هذا العدد بعد أن كان عدده ثمانمائة وخمسين رأساً »
« ولك زوج وبيت وتعيش في رخاء تدر الغنم عليك الخير الوفير وتذهب يومياً إلى الحقل فتستنشق الهواء الجيد وتأكل الخبز الأسمر اللذيذ . وليس عليك أن تتيقظ وتتكىء هناك على صدر الطبيعة مصغياً إلى صفير الطيور السوداء بين الأحراج . . . فهل أنا مصيب الحقيقة ؟ »

فقال داود :

« لقد كان الأمر كما تقول »
فقال مسيو بريل وعيناه تدوران في بحر كتبه كأنهما تسبران مدى الأفق :

« لقد قرأت شعرك فانظر من خلال هذه النافذة وقل لي ماذا تري هناك على الشجرة يامسيو ميجنوت »

فنظر داود وقال :

« أرى غراباً »

فقال مسيو بريل :

« هنالك طائر ، وهذا ما يساعدني على أداء واجبي ، فهل تعرف هذا الطائر يامسيو ميجنوت ؟ إنه فيلسوف الجو ، إنه سعيد بقناعته بحظه ، وليس هناك من هو أسعد منه بنعيه وعينه المتقلبتين وخطواته الطروب المرحية ، والحقول تزوده بما يطلب ، وهو لا يحزن أبداً لحرمانه من ريش جميل بهيج اللون كريش الصفارة الجميل . ولقد سمعت يامسيو ميجنوت النغمة التي خصته بها الطبيعة . فهل تظن أن البلبل أسعد من هذا الطائر حالا ؟ »

فهب داود واقفاً ، ونعب الغراب نعيًا عاليًا من موقفه فوق الشجرة وقال داود في ببطء :

« شكراً لك يامسيو بريل ، إذن لم تجد نغمة واحدة من نغمات البلبل بين كل هذا النعيب ؟ »

فقال مسيو بريل متنهداً :

« لو وجدت لها خفيت على : لقد قرأت كل كلمة . فدع الشعر أيها الرجل ، ولا تحاول أن تعالجه مرة أخرى »

فقال داود ثانية :

« أشكر لك نصيحتك وسأعود الآن إلى غنمي »

أن تكثر من مغادرة البيت والجلوس مع الجيران .
ولكن النار كانت مشتعلة في موقد المطبخ ، ففتح
داود باب الموقد وألقى بشعره فوق الفحم المتقد .
فكان لا حترق الأوراق صفيح خشن فقال الشاعر :
« هذا نعيب الغراب »

وصعد إلى غرفته فأقفل عليه بابها . وكان الجو
هادئاً فسمع كثير من الرجال صوته الطلق الناري ،
فجروا هناك وهناك ، وصعدوا ذرج السلم حيث استرعى
نظرهم الدخان .

ووضع الرجال جثة الشاعر فوق فراشه ، محاولين
أن يخفوا عن الأعين ريش الغراب الممزق : وتحدثت
النسوة معبرات في سيل من الألفاظ عما شعر به
من شفقة وأسف ، وجرت بعضهن يحملن الخبر
إلى إيفون .

وكان أنف مسيو باينو الذي يشم رائحة شئون
الناس قد جذبته إلى دار القتل في طليعة القادمين
فالتقط الغدادة ففحص يدها المحلاة بالفضة فحس
الخبر وقد بدت عليه أمارات الأسي .
وقال يخاطب القسيس :

« أرى على هذه الغدادة شعار السيد المركز
دي بويرتيز »

عبد الحميد صمدى

« ألا تتناول الغداء مع فأريك ماخفي عليك ؟ »
« لا . إذ يجب أن أعود إلى حقل فأرعى قطيعي »
وعاد داود في طريق فيرنوى متأبطاً شعره .
فلما وصل إلى قرية مال إلى حانوت يهودى من أرمينيا
اسمه زيجلر يتجر بكل ما يصل إليه من أنواع البضائع
وقال له داود :

« يا صاحبي . إن الذئب تأتى من الغابة فتسطو
على غنمى وتخطفها ولا بدلى من سلاح لأحميها .
فأى نوع لديك من السلاح ؟ »
فد زيجلر يديه وقال :

« إن هذا اليوم من أسوأ أيامى يا صاحبي ، إذ
أرأى مضطراً أن أبيعك سلاحاً لن تدفع فيه عشر
ثمنه . ففي الأسبوع الماضى فقط اشتريت من بائع
متحول عربية من البضائع ابتاعها في مراد على
لحساب التاجر . وهو مراد فيه قصر وأمتعة
سيد عظيم — لا أعرف لقبه — كان قد نفى لتأميره
على حياة الملك . وبين هذه البضائع مجموعة من
الأسلحة النارية القيمة . وهذه الغدادة التى أقدمها
إليك خليقة بأن تكون سلاح أمير من الأمراء !
ولن أتقاضى منك ثمنها أكثر من أربعين فرنكا
يا صاحبي ميجنوت ، وبذلك أخسر عشرة فرنكات
من ثمن المشتري ، ولكن قد تراها من الطراز القديم ..
فقال داود وهو يلتق الثمن على مائدة التاجر :

« إنها كافية ، فهل هى محشوة ؟ »

قال الرجل :

« سأحشوها وإن دفعت عشرة فرنكات

أخرى أعطيتك كمية من الذخيرة والرصاص »

وضع داود الغدادة تحت معطفه وسار إلى بيته
فلم تكن إيفون هناك فقد تعودت في العهد الأخير

كتابا زحكيان
الموجز في الحوادث
هما غير كتابهما يحفظك الشر من نفسك
سأمان جميع المطالبين ومن كل منهما مجلد ٦

شجرة عيد الميلاد

للفصصى الروسى فيدور دوستويفسكى
بقلم الأستاذ عبد اللطيف لنسار

ولم أكاد أدنو منه فى
الركن الذى هو جالس به
حتى تزايدت ابتسامة كانت
مرتسمة على وجهه . وعلا
وجهه العبوس . ولم يكن
يعرف أحداً ممن بالحفلة
غير صاحب المنزل ، وقد
أبدى كل علامة على السأم

والملاة وإن كان قد بقى إلى نهاية الحفلة وبه من
الشجاعة ما بأى إنسان يقاوم نفسه حتى يحملها على
ماتكره . وقد غلقت فيما بعد أنه من أهل الأقاليم ، وأنه
جاء إلى العاصمة فى أمر شديد الخطر والخطورة ، وأنه
كان يحمل خطاب توصية إلى مضيفنا ، فدعاه هذا
من باب المجاملة إلى حضور الحفلة . ولكن أحداً لم
يدعه إلى لعبة الورق ولم يقدم إليه لفافة تبغ ولم يبدأ
معه حديثاً . ولعلمهم كانوا ذوى فراصة فعرفوا
الطائر فى مسبحه بالجو من لون ريشه . لذلك قضى
الليل فى قتل شاربيه . وكان شارباه جميلين ، ولكنهما
كانا كبيرين حتى ليخال من يراه أن الله خلقهما
أولاً ثم خلق هذا الرجل تابعا لهما لكي يقتلها

وكان من المدعويين رجل آخر استرعى انتباهي ،
ولكنه من نوع غير هذا النوع ، فان مجرد النظر
إليه يدل على أنه صاحب شخصية . وكانوا يدعونه
جوليان ماستا كوقتش

وكانت النظرة الأولى إليه تدل على أنه موضع
الحفاوة والتكريم ، وأن مركز صاحب المنزل منه
مركز صاحب الشارين الطويلين من صاحب المنزل .
فقد كاد لا ينقطع سيل الفكاهات والطرائف التي
يتحدث بها إليه صاحب المنزل وزوجه ، وهما كثيرا

منذ أيام شاهدت عرساً . . . ولكن لا ، فلن
أتكلم عن العرس بل عن شجرة عيد الميلاد . . .
لقد كانت حفلة العرس جميلة وأحببتها جداً شديداً
ولكن حادثة عيد الميلاد أجمل ، ولا أعرف
لماذا أتذكر شجرة عيد الميلاد كلما رأيت عرساً . . .
ولكن هذا هو الذى حدث :

منذ خمسة أعوام كاملة دعاني إلى حفلة راقصة
أقيمت للأطفال خصيصاً رجل من أغنياء التجار له
قرباته ، وله معارفه وله أيضاً دسائسه . وقد
ظهر لي أن تلك الحفلة لم تكن إلا ذريعة لكي يجتمع
الآباء والأمهات ويتحدثون فيما يهمهم بتلك النزاهة
المعتادة

وكنت دخيلاً فى هذه الحفلة لأنه لم يكن لي
بأحد شأن خاص . لذلك كان فى استطاعتي أن
أقضى هذه الحفلة بينهم وأنا بمعزل عن كل واحد
منهم . وكان بين الجلوس واحد يشابهني فى ذلك ،
فكان لهذا السبب أول من استرعى انتباهي ، ولم يكن
مظهره دالاً على أنه ابن أسرة كبيرة أو أنه نبيل المولد .
وهو طويل القامة نحيل جداً ، تبدو عليه علامات المبالغة
فى الجد والوقار . وهو شديد الاناقة فى ملبسه ،
ويظهر أنه لم يكن يميل إلى هذه الاجتماعات العائلية

جالساً فيها فجلست في ركن منها وفي يدها الدمية
تلاعبها

وكان كل من الضيوف يحدث جاره بأن أبلها
من أغنى التجار وبأنه منذ الآن قد أعد لها بائنة
قدرها ٣٠٠ ألف روبل

ولما التفت إلى الجماعة الذين سمعهم يتحدثون
بهذا وقع نظري على جوليان ماستا كوقتش فوجدته
واقفاً ينصت إليهم ويداه مشتبكتان خلف ظهره،
ورأسه مائل إلى أحد الجانبين. وكنت طول هذا
الوقت أعجب من الكاء الذي أبداه صاحب المنزل في
توزيع الهبات على الأطفال، فالطفلة التي أعد لها أبوها
بائنة كبيرة تهدي أحسن لعبة، وسائر اللعب تقسم
وفق مرا كز الآباء في الحياة الاجتماعية

وكان آخر طفل دعى لتقدم إليه هدية يبلغ من
العمر عشرة أعوام، وهو هنريل أحمر الشعر ضعيف
البنية. وكانت هديته كتاب قصص ليس فيه صور
ولا رسوم. وهو ابن المريية، وهي أرملة مسكينة،
وشكل الطفل دال على الحزن، وعليه كساء رث،
فتناول كتابه وانساب في بطاء بين الأطفال جامعي
اللعب

وقد كان يود أن يسذل أى شئ ليلعب معهم
ولكن كيف وليست له لعبة؟

إننى من الذين يحبون أن يراقبوا الأطفال ليروا
كيف تناضل أرواحهم روح الجماعة

وقد لاحظت أن الأعيب الأطفال كانت سحراً
وفتنة في نظر الطفل الأحمر الشعر. وشرع الأطفال
يلعبون فأصر على أن يلاعبهم وعلى أن يناضل لو
منعوه؛ فابتسم وسار نحو واحد منهم فأقامه من مكانه
(٧)

الالتفات إليه يدنوان منه ويحومان حوله ويستجمعان
الضيوف لتقدمهم إليه. ولكنهما لا يقودانه ليقدماه
إلى أى إنسان. وقد رأيت الدموع تترقق في عيني
صاحب المنزل وفي عيني زوجه لما قال جوليان
ماستا كوقتش إنه قلما قضى ليلة سارة كهذه الليلة.
وقد أخذت بعد انتهاء الحفلة أشعر بالسأم من هذا
الضيف فانصرفت إلى الأطفال أتسلى بملاحظتهم،
وكان خمسة منهم يستحقون النظر والملاحظة، فهم
شهادة بعناية أمهاتهم بهم؛ ثم تركت الغرفة بعد ذلك
إلى الغرفة المجاورة ولم يكن فيها أحد، فجلست في
طرفها المجاور للمكان الزجاجي المعد لحفظ الأزهار في
غير فصولها

وكنت لا أزال من مكانى هذا أراقب الأطفال
والحق أن رؤيتهم تسحر

لقد كانوا يابون محاكاة من أهم أكبر منهم على
الرغم من الجهود التي كانت تبذلها أمهاتهم ومربياتهم؛
ولم تمض ساعة حتى نجح هؤلاء الأطفال في تجريد
شجرة عيد الميلاد من أوراقها وأعوادها وفي كسر
أكثر من نصف الألعاب المعلقة فيها قبل أن
يقتسموا تلك الألعاب بينهم

وكان أحد هؤلاء الأطفال فتان الحسن أسود
العينين مجعد الشعر، وقد أصر في عناد على تصويب
بندقيته نحوى، وقد استرعى نظري كثيراً، ولكن
أخته استرعت نظري أكثر مما استرعاه. وهي في
عامها الحادى عشر، ولا يقل جمالها عن جمال كيوييد؛
وتبدو عليها علائم الهدأة والتفكير. وعلى عينيها
الواسعتين وسم الأحلام؛ وقد أغضبها الأطفال
لأمر ما فتركهم وانسحبت إلى الغرفة التي كنت

وجلس بذله لأن الأطفال كانوا قد جلسوا في دائرة ولم يتركوا له مكاناً .

ولكن ذلك الطفل حمل عليه فلطمه لطمه قوية فلم يلبث أحر الشعر حتى رفع صوته بالبكاء ، وجاءت أمه فنهته عن اللعب معهم فانسحب نحو الغرفة التي كنت جالسا بها مع الفتاة التي تقدم ذكرها وتركته الفتاة يجلس بجانبها واشتركا في لباس الدمية ثوبها ومضى نحو نصف ساعة ، وكاد النعاس يدركني وأنا جالس أنصت حيناً إلى حديث الطفل أحر الشعر ويشرد ذهني حيناً . وعلى حين فجأة دخل جوليان ماستا كوقتش وكان قد انسحب من غرفة الجلوس التي أنا فيها عند ما اشتد ضجيج الأطفال . ولم يغب عني وأنا جالس أراقبه من الركن الذي أنا فيه أنه كان في الفترة الأخيرة من الوقت يتخادث مع والدة الطفلة الجالسة معي في الغرفة .

موظل واقفاً بعد الحديث يفكر وكأنه يعد على أصابعه - ثلاثمائة - أحد عشر - اثنا عشر عاماً - خمسة أعوام - سعر أربعة في المائة - خمسة أضعاف ، ستون وأربعمائة -

ويظهر أن هذا الخبيث يعجبه الحساب على سعر أربعة في المائة ، ثم أعاده على حساب ثمانية ، ثم على حساب عشرة .

وخرج من الغرفة فأطال النظر إلى الطفلة . وقد تخطاني نظره فلم يرني ؛ ويظهر أن الحساب هو الذي أغفله عني ، ثم مسح يديه وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان وهو لا يزال يزداد اضطراباً . وأخيراً تمكن من ضبط عواطفه وألقى نظره على عروس المستقبل وهم أن يتجه نحوها ، ثم وقف

يمثل حالة المخطيء الذي يؤنبه ضميره وانتصب على أطراف أنامله أمام الفتاة وانحنى يقبلها وهو يتسهم وقد كان إقباله نحوها على غير انتظار حتى أنها صرخت ، عند تقبيله إياها صرخة فزع .

قال لها بصوت خافت وهو يقرص خدها : « مالذي تفعلين هنا يا بنية ؟ فأجابته : « نحن نلعب » فقال بلهجة المستنكر : « مع من ؟ مع هذا ؟ » وأشار إلى ابن المربية ثم قال له : « يجب أن تذهب إلى الغرفة الأخرى »

ظل الطفل صامتاً وهو ينظر تخملاً في وجه الرجل ، فدار جوليان ماستا كوقتش بنظره في الغرفة ثم أكب على الفتاة وقال : « ماذا معك يا عزيزتي ؟ دمية ! » فأجابته : « نعم ياسيدي » وقد قطبت حاجبيها وهي تجيب . قال : « دمية ؟ ومن أي شيء تصنع الدمي ؟ »

فأحنت رأسها وقالت : « لا أعرف ياسيدي » قال : « تصنع من الخرق » ثم نظر إلى الطفل وقال : « اذهب أنت إلى الغرفة الأخرى التي فيها الأطفال »

وكانت نظره إلى الطفل في هذه المرة نظرة قاسية ، فقطب الطفلان وتشبث كل منهما بالآخر وأيا أن يفترقا ، فقال جوليان وهو يخفص من صوته : « وهل تعرفين لماذا أعطوك هذه الدمية ؟ » فقالت : لا .

قال : « لأنك كنت طيبة - طيبة جداً طول الأسبوع » قال ذلك ثم عمراه اضطراب شديد ونظر حوله فقال بصوت خافت يكاد لا يسمع وبلهجة شديدة الدلالة على فقدان الصبر : « إذا جئت إلى

ودخل تحت المنضدة فحار مطاردة ثم أخرج منديله وقتله فجعله كالسوط وضرب به الطفل ليخرجه من مكانه .

ولا بد هنا من الملاحظة أن جوليان كان قوى البنية ضخيم الخدين تبدو عليه علامم التغذية الجيدة . وكانت أطراف أصابعه كأنها لضخامتها حبات البندق وقد أحالته كراهيته (أو لعلها غيرته) نحو الطفل إلى الجنون المحض .

ضحكت من أعماق قلبي فالتفت جوليان ولعله ذكر في هذه اللحظة احترامه نفسه وكبر أهميته . وفي الوقت نفسه ظهر صاحب المنزل عند الباب وخرج الطفل من تحت المنضدة فأخذ يمسح ذراعيه وركبتيه وأسرع جوليان فجمع منديله الذي كان مفتولاً كالسوط وجعله تحت أنفه .

ونظر صاحب المنزل إلى ثلاثتنا نظرة المرتاب ، ولكنه وهو رجل يعرف الكثير من شئون الدنيا قد انتهز هذه الفرصة لينال من ضيفه الكبير الأهمية أكثر مما يستطيع أن يناله منه فقال : « هذا هو الطفل الذي حدثت بك بشأنه وأنا أعتمد على فضلك فيما يتعلق به » وأشار إلى الطفل الأحمر الشعر .

ولم يكن جوليان قد استرجع إلى الآن سيطرته على نفسه فقال وهو شارد الذهن : « أهذا هو ؟ » قال صاحب المنزل : « هو ابن المريية ، وهي فقيرة مسكينة وقد كان زوجها موظفاً شريفاً ، فإن كان في وسعك . . . » فصاح جوليان مقاطعاً : « مستحيل مستحيل ! أرجو أن تعذرني يا فيليب ألكسيفنش فلا توجد محال خالية ، وفي قوائم المرشحين نحو عشرة

منزلكم لزيارة أيبك فهل تحبينني يا عزيزتي ؟ » وحاول أن يقبلها على أثر هذا السؤال ، ولكن الطفل الأحمر الشعر أمسك بيدها كمن يريد أن يحمئها وبكى بأعلى صوته كالستجير . فأنارت حركته هذه غضب الرجل وصاح : « اذهب ! اذهب إلى الغرفة الأخرى حيث يلعب رفاقك » فقالت الطفلة : « لست أريد أن يذهب ، فاذهب أنت ودعه هنا »

وكادت الطفلة تبكي . وسمع وقع أقدام من ناحية الباب فارتعج جوليان ، وكان الطفل الأحمر الشعر أشد منه انزعاجاً فترك يد الطفلة وتسلسل إلى غرفة المائدة . وكى لا يسترعى جوليان نظر أحد ممن بغرفة الجلوس تسلسل هو أيضاً إلى غرفة المائدة ، وكان وجهه قد صار من الأحمرار في مثل لون الحناء ، حتى أن نظرة واحدة منه إلى وجهه في المراة تكفى لازعاجه . وكان سبب الاضطرب كله أن حسابه أضله فأوهمه أن الطفل عقبة في سبيل الثروة التي تنتظره . نعم إنه الآن لا يزال في العاشرة فهو قليل الخطر ولكنه سيصبح خطراً بعد خمسة أعوام أو نحو ذلك . وتبعتهما بنظري فوجدت نظرات جوليان صارت كأنها نظرات ثعبان ، وأصبح صوته مسمماً . وأخذ يتوعد الطفل . وكان الطفل يتراجع أمام هذا الوعيد حتى لم يعد مكان يتسع لتراجعه ، وكان جوليان يصيح به :

اخرج من هنا ! ما الذي تصنعه هنا ؟ تسرق الفاكهة ! أليس كذلك ؟ اذهب من هنا يادميم إلى أمثالك !

وأدرك اليأس هذا الطفل المسكين فانكمش

فنظر إلى جوليان نظرة مسمومة وقال لي جاري :
« كلا » ولكن سؤالي وإن أجاب عليه سلباً قد
أثار اهتمام الجميع

ومتد غهد غير بعيد مررت بكنيسة فرأيت عند
بابها جمعاً كبيراً قد احتشد ليحضر حفلة عرس -
وكان اليوم مكفهرأ وقد بدأ المطر يتساقط . واخترت
الصفوف فدخلت فرأيت العريس بديناً مرهلاً تبدو
عليه علامت التغذية الدسمة . ورأيت رجلاً قصيراً
روح ويغدو من طرف الكنيسة إلى الطرف الآخر
وهو لا يكف عن إصدار الأوامر

وأخيراً سمعت أن العروس مقبلة فاندفعت في
وسط الزحام ، ورأيت جمالاً عجيباً قد اكتسى بعلامت
الحزن العميق

كانت العروس شاحبة مضطربة حتى لقد خلت
أن عينيها حراوان من أثر البكاء . وتحت مظهر الجمال
والحزن طهارة الطفولة التي كانت كأنها تضرع
وتتوسل طالبة الرحمة

وكانوا يقولون إن عمرها ستة عشر عاماً .
ونظرت إلى العريس محققاً مدققاً فعرفت أنه جوليان
ماستا كوقتش الذي لم أكن قد رأيته في الأعوام
الخمس الماضية . ثم نظرت إلى العروس ورحماك
يا رب ولطفك !

رأيتها قولت فراراً من باب الكنيسة على
عجل ، وسمعت الناس يتحدثون عن غنى العروس
وعن بائنتها البالغة ٥٠٠ ألف روبل .

قلت في نفسي : « لقد صدق حساب هذا
اللعين » . وأسرعت في مشيتي فراراً
عبد اللطيف النشار

أحق منه . . . إنني آسف »

فقال صاحب المنزل : « مسكين ! مسكين ! »
قال جوليان : « إنه شقي شرير . أخرج من
هنا أيها الوغد الصغير . لماذا بقيت حتى الآن ؟
أخرج إلى سائر الأطفال »

ونظر إلى نظرة جانبية وهو عاجز عن السيطرة
على نفسه وأنا أيضاً عاجز عن السيطرة على نفسي ،
فضحكت في وجهه ساخراً منه ، فالتفت إلى المضيف
وسأله بصوت يكفي لبلوغ مسمي عمن عسى أن
أكون . وتهامس الرجلان وخرجا من الغرفة غير
مبالين بي .

واهتز جسمي من شدة الضحك وخرجت أيضاً
إلى الغرفة الأخرى . وهناك رأيت الرجل العظيم
محاطاً بالآباء والأمهات وهو يتكلم باهتمام مع
سيدة قدمت إليه في تلك اللحظة . وكانت تلك
السيدة ممسكة بيد الطفلة ، وكلام جوليان كله إطراء
للطفلة وثناء عليها ، فهو يتنقل من مدح جمالها إلى
مدح مواهبها إلى مدح تربيتها والأم تصني إليه ولا
تكاد تمنع دموع السرور أن تفيض ، والأب يبدى
علامة لشكره ابتسامة عذبة .

وكان السرور شاملاً فاشترك فيه كل إنسان
حتى الأطفال ، ووقفوا اللعب حتى لا يشوشوا على
المتحدثين . وسمعت أم الطفلة وهي تتخير المتقي من
اللفظ في مخاطبة ذلك الرجل داعية إياه أن يتنازل
فيشرف منزلها بالزيارة ، وسمعته يقبل الدعوة في تمس
لا يحاول أن يخفيه ، ثم تجمع المدعوون من أرجاء
الغرفة مقبلين نظرم بين والدته الفتاة وبين جوليان .
وسألت جاري بصوت عال سمعه الجميع : « هل
هو متزوج ؟ »

ولو أن هذه الحسنة لم تفتح لي بيتها بمثل هذا الولاء لكنت عزيزة عاطفتي بشيء من الاقدام ولم أكبت هذه الأشواق العنيفة التي كانت تهزني هزاً كلما فارقتها ولو إلى حين . ولكن ما كان يدولي من صراحة وإخلاص في معاملتها لي كان كافياً لصدي عن كل إقدام ؛ فضلاً عن ذلك فإن مدام بيارسون لم تبدل لي صداقتها إلا استناداً إلى اسم والدي ، وما كان هذا الاعتبار إلا ليزيد في احترامي لها وفي منلي إلى المحافظة على كرامة هذا الاسم .

قيل « إن من يتحدث عن الغرام فقد كشف من يحدثه بغرامه » لذلك لم أذكر الغرام إلا عرضاً في حديثي ؛ وكنت كلما تعرضت لكلمة الحب أرى جليستي تقتضب الكلام وتتحول إلى موضوع آخر ، وما كنت لأعرف لذلك سبباً ، غير أنني كنت في مثل هذه المواقف ألح على وجهها التجهم المتألم ؛ وما كنت سألتها شيئاً عن حياتها الماضية ولا خطر لي أن أفاتحها في هذا الأمر لذلك ضربت صفحاً عن كل محاولة .

وكان يقام مرقص في كل يوم أحد في القرية فكانت تذهب إليه في أغلب الأحيان ؛ وما كانت لتبدل شيئاً من بساطة ملابسها لهذه المناسبة بل كانت تكتفي بوضع زهرة تربطها على شعرها بشريطة زاهية فزيد في رونق شبابها . وكان الرقص يثير فيها المرح لأنها كانت تحبه كرياضة بريئة . وكان لها مقعدها الخاص قرب جوقة الموسيقى ، فكانت تتوجه إليه قافزة ضاحكة لتجتمع بصويحباتها ثم تندفع إلى الرقص دون انقطاع . وكنت ألاحظ زوال الكلفة بيني وبينها في هذه الأوقات ؛ وما كنت أشارك في الرقص لأنني لم أزل في مدة الحداد . ولكم خطر لي حين أراها مرحلة أن أنتهز الفرصة لأبوج

لقد تبادلتم النظرات مع شخص مجهول مر بكم فشعزتم فجأة بانطلاق شيء منكم لا يحيط به اسم ولا يحدده تعبير ، فوقف الهوى بكم يشد بأعراقكم إلى الأرض كأنكم حبة الحنطة تشعر بالحياة تستنبت منها سنابل الحصاد .

وكنا جالسين سوية أمام النافذة المفتوحة نطل على حديقة يخر في طرفها ينبوع صغير تصل سقسقته إلى آذاننا . ولكم أتعنى لو أنني أعيد الآن ما أسالت هذه العين من قطرات ونحن تبادل الحديث ؛ تلك أويقات كنت أتمل منها حتى لأعنى يقولون إنه لا شيء أسرع إلى القلب من الشعور بالنفور ، غير أنني أرى أسرع منه إلى القلب الشعور بالتفاهم وبترصده الحب للمتفاهمين . فان لكل كلمة في هذه المرحلة الأولى قيمة تفوت كل تقدير وما يقف الفكر عند ما تنطق به الشفاه عند ما تتجاوب في أحاديثها القلوب .

لله ما أحلى هذه النظرات الأولى يبادلها العاشق نظرات امرأة تجتذبه ؛ ولله أوائل حديث كأنه محاولات تفكير متردد وتجاوب بيان ؛ ثم يشعر العاشقان بفرح غريب إذ يتحقق كل منهما أن صوته قد أهاج صدى كامناً في قلب الآخر فيحيا حياة مزدوجة يدهشه تقاربها وتلاصقها ، وإذا يثق أحدهما بالآخر ويتيقن من حبه ويعلم أنه ظفر بالتأخي المشود تفيض الروحان غبطة فتتعطل لغة الكلام إذ يسبقها الحس الباطن بياناً وإدراكاً وإذا تخاطبت الروحان أسكت تخاطبهما الشفاه . فيالها من أويقات صمت يعجى فيها من التذكار كل الوجود .

وكان الحب قد قبض على مشاعري منذ أول لقيا وتزايد حتى بلغ الهيام ؛ ولكنني استجيت من هذه المرأة فوجت أمامها لا أبدى ولا أعيد .

لها يحيى . ولكننى ما كنت أحاول ذلك حتى أشعر
برهبة لا أستطيع مقاومتها فأعود إلى موقفي الجدى .
وعزمت مراراً أن أكتب إليها ولكننى منعت
جميع رسائلنى قبل أن أصل إلى نصفها .

وفى هذا المساء كنت تناولت العشاء معها
فكنت أنظر إلى ما حولى من هدوء وسلام وأفكر
فى الراحة التى ذقتها منذ تعرفت إليها ، فقلت فى نفسى
ولماذا أطلب مزيداً على هذا ؟ أفما يكفينى ما أتمتع به ؟
فما أدرى لعل الله لم يقدر لى مزيداً . ولعل هذه المرأة
تصننى إذا أنا أعلنت حبى لها فأحرم مشاهدتها .
وهل إذا قلت لها إننى أحبها سأزيد فى سعادتها ؟ وهل
أبلغ أنا سعادة أوفر من التى أتمتع بها الآن ؟

وكنت أفكر فى هذه الأمور وأنا مستند إلى
البيانو فشعرت بحزن شديد يستولى على ، وبدأ الفسق
يعد ظلاله ، فأوقدت شمعة ثم عادت نحو مقعدها
فأرت دمعاً تتدحرج على خدى فقالت : — مالك ؟
فأدبرت وجهى

والتمست عذراً فما عثرت على ما أعتذر به .
وحاذرت أن تقع عينها على عيني فتوجهت نحو
النافذة . وكان الهواء يهب بليلاً والقمر يطل مرة
وراء أشجار الزيزفون حيث كنت رأيته لأول مرة
فحكمتى الدهول ونسيت كل شئ حتى وجودها هى ،
ورفعت ذراعى نحو السماء فخرجت زفرة كأنها الأنين
من أعماق فؤادى

ونفضت من مكانها فإذا هى واقفة ورأى تقول :
— ما هذا ؟

فقلت لها لقد تذكرت أبى وجميعى بموته عندما
رأيت هذه الأشجار
واستأذنت بالانصراف وخرجت

وما كنت أعرف شيئاً لا صرارى على الصمت ،
وبدلاً من أن أتوجه إلى مسكنى ذهبت شارداً فى
القرية وفى الغاب ، فكنت أجلس حيث أجد مقعداً
ثم أمهض فجأة . وما انتصف الليل حتى رأيته
أقرب من بيت مدام بيارسون فرأيته مظهراً من
النافذة فارتعشت وأردت أن أنكص على أعقابى
فوقفت كالماخوذ ثم تقدمت على مهل وقعدت تحت
نافذتها ولا أعلم إذا كانت عرفتني . ومرت دقائق على
وجودى فسمعت صوتها الناعم الرنان يتعالى بنشيد
هيام ، وشعرت بزهرة تسقط على كتفى فإذا هى وردة
كانت تحلى بها صدرها فى المساء ، فرفعتها إلى شففى
فقلت :

— من هنا فى مثل هذه الساعة ؟ أهذا أنت ؟
ونادتنى باسمى . وكان الحاجز مفتوحاً فهضت
دون أن أجيب ؛ ودخلت الحديقة ، وإذا وصلت إلى
وسط المرج توقفت لأنى كنت كسائر فى المنام
لا أعى ما أفعل

ولاحت على باب الدرج وهى تحديق بأشعاع
القمر وقد بدا التردد على ملاحظتها . ونشت نحوى
فتقدمت إليها وعصاني الكلام فانطرحت جاثياً أمامها
وقبضت على يدها

فقلت : اصغ إلى . أنا عارفة . ولكن إذا
كان بلغ الأمر منك هذا الحد فيجب أن تذهب . أنت
تجيب كل يوم فنرحب بك . أفما يكفيك هذا ؟ وما
بوسعى أن أفعل من أجلك ؟ أفما بذلت لك صداقتى ؟
ولكم كنت أتمنى لو أنك حافظت على صداقتك لى
إلى أمد أطول

الفصل السابع

قالت هذا وسكنت كأنها تتوقع جواباً . وإذا رأيتني لا أزال متهدماً تحت وقر أحزاني سحبت يدها من يدي على مهل وتراجعت خطوات ثم وقفت لحظة وتولت إلى بيتها .

وبقيت على المرج وكنت أتوقع أن أسمع منها ما سمعت ، لذلك لم أتردد في التصميم على الذهاب . وقفت وفي قلبي غصة وانطلقت أجوب أنحاء الحديقة وأنا أحرق بالمسكن وبنافذة غرفة مدام بيارسون ؛ ثم عدت أدراجي إلى الحائز وخرجت مغلقاً الباب ورأيتني ؛ وقبل أن أبتعد وضعت شفتي على القفل وقبلته طويلاً

وعند ما وصلت إلى مسكني طلبت من لاريف أن يعد متاعى لأنني أزمعت السفر في الصباح ، فدهش المسكين لهذه المفاجأة ، فأشرت إليه بأن ينفذ الأمر دون أى استفهام . فأحضر صندوقاً كبيراً وأخذنا نضع المتاع فيه

وكانت الساعة الخامسة صباحاً وقد لاحت تباشير الصباح فوقفت أسأل نفسي إلى أية جهة سأسافر ؟ وما كان خطري هذا الأمر حتى الساعة ، فاضطربت له ووهى تجلدى ، فسرحت أنظاري على الحقول وما وراءها من آفاق فاستولى الوهن عليّ فاستلقيت على مقعد وتبلبلت أفكاري . رفعت راحتي إلى جيبني فإذا هو يتصبب عرقاً . وشعرت بحمى شديدة تهز جميع أعضائي ، فنهضت أطلب فراشي وأنا أستند إلى ذراع لاريف . وطرأ على الدهول فما كنت أذكر شيئاً مما جرى لي . ومن النهار وأمسي المساء فإذا بنغمات موسيقية تصل إلى أذني

فتذكرت أن اليوم يوم أحد ، فأدركت أن المرقص قد دار فأرسلت لاريف ليرى ما إذا كانت مدام بيارسون موجودة فيه . فعاد لاريف قائلاً : أنها ليست هناك . أرسلته إلى بيتها فرأى النوافذ مقفلة ، وقالت له الخادمة أن سيدتها سافرت مع عمها لقضاء بضعة أيام عند أحد الأبناء في مدينة . . . وهي مدينة صغيرة تبعد مسافة ليست قصيرة عن القرية . ودفع إليّ لاريف بكتاب سلمته إياه الخادمة جاء فيه ما يأتي :

« منذ ثلاثة أشهر لم أقطع عن مشاهدتك ؛ ومنذ شهر اتضح لي أنك أخذت بالعاطفة التي يدعوها من في سنك غراماً . وكنت أحسب أنك مصرّ على كتمان أمرك والتغلب على نفسك . لقد كنت أحترمك وليس لي أن أوجه أية ملامة إليك عما حدث وعلى فثقل عزمك .

ان ما تحسبه جاً ليس إلا شهوة ؛ ولا أجهل ان كثيرات من النساء يحلوهن تنبيه مثل هذه الشهوة وكان الأجدر بهن أن يرضين كبرياءهن باكتساب الإعجاب دون إثارة الشهوات ، ولكنني أرى الآن ان هذه الكبرياء نفسها خطرة وقد أسأت باندفاعي معها تجاهك .

انني أسبقك في مرحلة العمر بسنوات ، فأطلب منك ألا تحاول الاجتماع بي لأن من يستسلم لضعفه لن يجد بعد ذلك للنسيان سبيلاً . ان ما جرى بيننا لا يمكن العود اليه ولا يمكن أن يُنسى تماماً .

انني لا أفارقك بلا حزن ، فأنا سأغيب عدة أيام . فإذا بارحت البلد أثناء غيابي فاني لأشكرك على ذلك كدليل على ما تشعر به نحو من صداقة واحترام . »

بريجيت بيارسون

الفصل الثامن

أننى ملت إلى الظن بأن ارتياحها ناشئ عن المفاجأة ليس إلا .

ولكنها بما لكت روعها وكررت كلمتها بكل هدوء، فقلت لها: أطلب إليك أن أراك للمرة الأخيرة . فأنى سأسافر وأترك هذه البلاد فأصعد بأمرك بل أذهب إلى أبعد ما تقصدين . أقسم لك بأننى سأبيع بيت أبى وكل ما يملك لأهاجر إلى البلاد الأجنبية ! ولن أنفذ هذا القسم إلا إذا قبلت رجائى، وإلا فأننى أبقي . . لا تخافى . فأننى مصمم على هذا . فقطبت حاجبها وأجالت نظرات غريبة إلى ما حولها ثم قالت فى شيء من اللطف : تعال غداً فى النهار فأقابلك . وذهبت .

ذهبت إليها فى اليوم التالى عند الظهر فأدخلتنى الخادمة إلى غرفة قديمة الرياش حيث وجدت مدام بيارسون وحدها فجلست تجاهها وقلت : ما أتيت لأشرح ما أعانى أو لأنكر ما فعل حبك بى . لقد قلت لى فى كتابك إن ما جرى بيننا لا يمكن نسيانه فما أصدق ما عبرت عنه ؟ غير أنك قلت بعد ذلك إن اجتماعنا على ما كنا عليه من قبل أصبح مستحيلاً ، وهذا مالا أراك على حق فيه . أنا أحبك وما فى ذلك إهانة لك ، فوضعك لم يتغير مادمت أنت لا تحبيننى ، فإذا ماعدت إلى الالتقاء بك فلن يكون مدار الأمر إلا على وحدى وحبى لك كافل لك صياتك .

وأرادت أن تقاطعنى فلم أتوقف بل تابعت قائلاً : — بحقك اسمح لى أن أذهب إلى آخر حديثى . إننى أعلم ولا يعلم أحد أكثر منى أن حبى سيتغلب على كل ما لك من حرمة عندى وعلى كل عهد أقطعه تجاهك على نفسى . وأنا أكرر لك القول بأننى ما أتيت لأنكر عليك ما يضره فؤادى ؛ وأنت أعلنت لى أنك عارفة بحبى منذ زمان فما الذى ردنى حتى

(٨)

والزمتنى الحى الفراش أسبوعاً كاملاً . ولما استعدت قواى كتبت إلى مدام بيارسون أقول لها إننى أطيع أمرها ، وكتبت هذا العهد وأنا عازم على القيام به غير أننى ما لبثت حتى عدلت عنه .

استقلت عربية فسارت تبعدنى عن القرية حتى إذا أصبحت منها على مسافة ميلين صرخت بالسائق فأوقف السير وترجلت أتمشى على الطريق وأنا معلق أبصارى على البلد الذى قررت مبارحته ، ووقفت تتنازعنى عوامل بلبت من خاطرى ، فشعرت بأننى أعجز من أن أتابع طريق وأن مواجعتى الموت فى مكانى أسهل على من ركوب العربية المولية . وأصدرت أمرى إلى السائق بالتكوص وبدلاً من الاتجاه نحو باريس انطلق الفرسان يقطعان الأبعاد إلى قرية . . . حيث نقيم مدام بيارسون .

وصلت إلى هذه القرية عند الساعة العاشرة ليلاً ، وما كدت أنزل فى الفندق حتى طلبت من الخادم أن يدلنى على بيت نسيب بريجيت . فذهبت إليه ، وإذا قرعت الباب قابلتنى الخادمة فقلت لها أن تبلغ سيدتها أن رسولا من قبل دسبريس كاهن القرية يطلب مواجعتها .

وتوارت الخادمة فى الدهليز فوقفت فى الباحة وكان المطر يتساقط ، فتقدمت إلى قبو تحت الدرج أتقى فيه الليل ؛ وبعد فترة نزلت مدام بيارسون تتبعها خادمتها فما رأتنى وأنا فى الظلمة ، فتقدمت إليها ووضعت يدي على ساعدها فرجعت مذعورة ونادت : « ماذا تريد منى ؟ »

وكان صوتها يرتجف ؛ وإذا تقدمت الخادمة بالنور رأيت وجهها ممتعاً إلى درجة حسبتها نافرة منى لولا

الذى أحاذره هو فقدانى إياك . ألقى التجارب على
فاذا ما بلغ بي الألم حدا لا قبل لى باحتماله فأننى لن
أتردد فى الرحيل . وأنت واثقة من خضوعى لآننى
مستعد اليوم للسفر تنفيذاً لأمرى .

وتوقفت أنتظر جوابها ، فهضمت من مكانها فجأة ثم
عادت فاستلقت على مقعدها وبعد صمت قصير قالت :
— كن واثقاً من أن الأمر ليس على ما تظن .
ولحظت أنها تتلمس فى تذكراها كلمات تخفف
من صرامة بيابها فوقفت وقلت لها :

هى كلمة واحدة لا غير أطلبها منك . أنا
لا أعرف من أنت فاذا كان فى قلبك رحمة فأنا
أشكرك عليها . قولى هذه الكلمة فأن حياتى
متوقفة عليها .

وهزت رأسها بتردد ، فاردفت قائلاً : إنك نظنين
أننى سأشفي وأنا أسأل الله ألا يحرمك من هذا
الظن . إذا أنت طردتنى الآن .

ونظرت إلى الأفق فرأيت العزلة تنتصب أمامى
ورأيتني طريداً شريداً فشعرت بتجمد الدم فى عروقى
ونظرت إليها وأنا واقف أعلق عليها أبصارى وأنتظر
جوابها وكانت كل حياتى معلقة على شفتيها .

فقلت : اصغ إلى . إن قدومك إلى كان
مجازفة ، فيجب ألا يعلم أحد أنك أتيت من أجلى
وسوف أعهد إليك بمهمة تقوم بها ، فاذا ما رأيت
السفر فى هذه المهمة طويل الأمد فلك أن تقصره ؛
ولكن إلى حد ، وعلى كل حال أرى سفرك إلى
حين سيسكن من اضطرابك

إنك ستذهب إلى « الفوج » ومنها إلى
ستراسبورغ وعندما تعود بعد شهر أو على الأصح بعد
شهرين تطلعننى على نتيجة مهمتك وعندئذ أتمكن من
أن أعطيك جوابى بأصرح مما يمكننى أن أفعل الآن
(يتبع)
فيلكنى فارس

اليوم عن إعلان هذا الحب لك ؟ إن ما أزمى
الطصت إنما كان خوفاً من فقدك وحرمانى من
الاجتماع بك ، وهذا الذى حاذرت قد وقع . فأنا أراضى
بشرطك على أن توصدى بابك فى وجهى إذا
ما بدرت منى بادرة تنحرف عن احتراى الشديد لك .
لقد تمكنت من السكون فيما مضى فلن أتكلم بعد
الآن . أنت تظنين أننى أحبيتك منذ شهر . لا ، لقد
أحبيتك منذ أول يوم . وأنت عرفت حى فادعاك
ذلك إلى منى من مشاهدتك . فاذا كنت فى هذه
الثناء واثقة من أن حرمتك لن تجزلى أن أسى
إليك فلماذا تفقدينى هذه الثقة اليوم ؟ لقد أتيت
مطالباً بهذه الثقة فما الذى ارتكبته بمجاهك ؟ ألا أنى
طويت ركبتي على الأرض دون أن أنبس بكلمة
أعد جانباً ؟ وهل عرفت من هذه الحركة شيئاً كنت
تجهلينه قبلها ؟ لقد وهنت قواى لأننى كنت متألماً
فاصغ إلى يا سيدتى . إننى فى العشرين من عمري ومع
ذلك فقد رأيت من الحياة ما أورثنى كرهها حتى
غدوت لا أرى لى فيها مقاماً أرتاح فيه ، لا بين الناس
ولا فى العزلة والانفراد ؛ وليس لى من مستقر أتنفس
الحياة فيه إلا هذا المدي الذى تجده جدران حديقتك .
إنك دون سواك الكائن الذى أو من قربك بالله .
ولقد كنت أعرضت عن كل شى قبل أن عرفتك ،
فلماذا تريدن حرمانى من الشعاع الوحيد الذى منحنى
الله إياه من الشمس ؟ فاذا كان الخوف يدعوك إلى
هذا الاحتياط فهل أتيت ما يبرر هذا الخوف ؟ وإذا
كان سعيه نفرة منى فبأى عمل استحققت هذا النفور ؟
أما إذا كان ما دعا إلى هذه المعاملة إشفاقاً على
ما احتمله من الآلام فأنك منخدعة فى اعتقادك بإمكان
شفائى . لقد فات إمكان الشفاء منذ شهرين ، ولسكنى
فضلت أن أحتمل آلامى بقربك . ولست بنادم الآن
ولا غداً على هذا مهما فعلت فى الأيام . إن الشفاء



هوميروس

قصته منذ غادر طروادة وكيف غزا إزماروس وما كان من أصحابه في بلاد اللوتوفاجي - أكلة اللوتس - ثم ما كان بعد ذلك من حبسهم في كهف السيكلوب ونجاتهم منه بعد أن أكل منهم عدداً وفيراً - ثم ما حدث لهم في أرض المردة الآخرين ، ورسوهم بجزيرة ربة البحر سيرس وكيف سحرت بعض أصحابه إلى خنازير ثم ذهابه لأقازم من سحر هذه الربة. وغرامها به ثم نصيحته له أن يرحل إلى الدار الآخرة للقاء الكاهن الطبي تيرزياس ليعرف له عن مستقبله ورجوعه إلى بلاده - وهو في الفصل التالي يقص كيف قام بهذه الرحلة إلى هيدز وكيف لقي الكاهن ولقي روح أمه . . . الخ »

رحلة أوديسيوس إلى الدار الآخرة

« وذهبنا إلى الشاطئ فأزلنا الفلك إلى الماء ، ثم أصلحنا القلاع ونشرنا الشراع ، ووضعنا القرايين على السطح ، وذرفنا من الدموع ما شئت لنا الهموم والآلام . . . وأقلعنا . . . وأرسلت سيرس



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصول السابقة

« بعد أن وضعت الحروب الطراودية أوزارها عاد الأبطال اليونانيون إلى ديارهم ما عدا أوديسيوس ملك إيتاكا ، وكانت زوجته بنلوب من أجل غادات هيلاس فطمع في التزوج منها جميع أمراء البلاد ، ولكنها وفّت لزوجها ولولدها تلياك فظلمتهم ولكنهم حاصروا بيتها ليرغموها على تخير واحد منهم بعلاها . ولما شب تلياك أبحر إلى ييلوس وأسيرطه لينت عن أبيه وقد أخبره ملك أسيرطه أن أباه ما يزال سجيناً عند عروس البحر كاليبسو - وقد غيظ العشاق لما علموا بسفر تلياك فترجموا له ليقتلوه في عودته . أما أوديسيوس فقد سافر من عند كاليبسو بأمر كبير الآلهة نريوس على رمت ظل يشق به عباب البحر حتى كاد يفرق بالقرب من شاطئ مملكة شيريا بلاد الفياشين ، وقد نجح بعد جهد ولقي ابنة الملك تلعب وتلهو في ررب من أترابها فسألها أن تدله على بيت الملك فدلته عليه ، ولقي ثمة الملك ألكينوس الذي أكرم مشواه وأقام له حفلاً رياضياً تبجيلاً له ، وقد أبدى أوديسيوس في هذا الحفل من ضروب القوة ما بهر القوم ولكنه بكى بكاء طويلاً حيناً سمع المانشد الأعشى - مطرب الملك - ينشد ما حدث عن طراودة ويتغنى بشجاعة أوديسيوس ؛ فلما سأله الملك من هو وما سبب بكائه أخذ يسرد

بين أيدينا ربحاً رخاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق في سفرتنا الرهيبة هذه، حتى تركناها مقاليد الفلك، وأنسَدَحْنَا^(١) فوق السطح من غير ما عمل. ولم تزل تجري بنا طول هذا اليوم حتى إذا أوشكت الشمس أن توارى بالحجاب، وقارب الظلام أن يلقى أردانه على الكون الهادي، أشر فناعلى تخوم البحر الأعظم، حيث تنهض مدينة السمرين التي ينعقد من فوقها دَجَنٌ^(٢) كثيف وظلمات داجية، فلا تنفذ إليها شعاعة من نور، ولا يحيطها رسول من شمس هذه الدنيا العاملة الدائبة، التي يسطح في سماواتنا ركبها الفخم؛ فهي أبداً في ليل متصل مدلم، لا تنجاب عنها غواشيه. وهنا، ألقينا مراسينا، وأزلنا الكبش والشاة إلى البر، وانطلقنا فوق سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس الإلهية، وتركنا يوريلوخوس بن برميد عند القربانين، وعنيت أنا باحتفار الوهدة فجعلتها ذراعاً في ذراع، ثم شرعت أصب تقدمات الشراب باسم الموتى، فبدأت بمزيج اللبن والعسل الصفي، وأتبعته بالخمر المعتقة؛ وثلثت بالماء القراح؛ ثم نثرت على ذلك كله دقيق الشعير؛ وصليت من أجل الموتى، ونذرت — إن عدت إلى إيثاكا — أن أضحي لهم بعجل جَسَدِ ذِي خوار يكون أسمن وأقوى ما في قطعاني؛ أذبحه وأحرقه في نار مجللة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح وطيوب. وخصصت الكاهن الطبيي (تيرزياس) فنذرت أن أضحي له بأحسن كباشي وأعظمها منة. ثم شمريت عن ساعدي، وذبحت القربانين، فتدفق الدم في الوهدة... وهنا... أهرعت الأشباح

(١) أنسدح الذي سقط من السطح فوق عتقه (الفصل السابق)

(١) أنسدح نام وفرج بين ساقيه.

(٢) السحاب المظلم

التي تتأجج عن قبسها حياتك ، بولئك الأوحاد
تلياك أن تجمع ما تبقى من سلاحى وعتادى إذا عدت
إلى أرض سيرس ، وإنك إليها لعائد حين ترجع
أدراجك من عالم هيدز ، وأن تحرق جثمانى فى نيران
هذا العتاد ، ثم تصلى لى ، وتضرع للآلهة من أجل
حتى أقر هنا ، وتهدا فى تلك الظلمات روحى ، وأن
تغرس فوق الكومة التى تشمل زفاتى ، مجدافى
العزير الذى عملت به فى البحر تحت إمرتك ، وفى
ذرى سلطانك وقيادتك ، حتى يذكرنى فى العالم
الفانى الداكرون . ووعده أنى فاعل . ثم لم أزل
أذود الأشباح عن الدماء المتدفقة . وفجأة لمحت بين
أرواح الموت شبح أمى ! أمى المحبوبة أتكليا ابنة
الشجاع أوتوليكوس ، التى تركتها يوم يممت شطر
طروادة قوية « شابة » غريضة الصباريئة الشباب .
وما وقعت عيني عليها حتى أجهشت وأجهشت ، ثم
انهمرت من مقلتي أحر العبرات . . . ومع ما كان
يعتلج به صدرى من الأسى عليها ، فقد ذذتها عن
الدماء كذلك ، وبى من الهم لتلك الفعلة ما أوهنتي
وأضواني . ثم أقبل بنوطية وكاهنها الجليل ، يتوكأ
على عصاه الذهبية ؛ وما كاد يحملق فى قليلا حتى
عرفنى وخاطبنى يقول : « لم غادرت الدنيا الدافئة
المشرقة أيهذا التعس ، وقدمت لترى هؤلاء الموتى
ولتضرب فى ظلمات هذا العالم العبوس ؟ ! ولكن
نح هذا السيف قليلا حتى أجرع من تلك الدماء ،
وإنى لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أجله . »
وأغمدت سيفى ، وانجنى الكاهن فعب من الدماء
ما شاء ، ثم نهض فقال لى : « أوديسيوس ! إنك
تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك ، غير أن طريقك
إليها محفوفة بالمكاره ، ممتلئة بالعقبات ؛ وإن لك

فيها لعدواً لدوداً يتأثر ك ، ذلك هو نيتيون الذى
أسخطته بما سميت عين ولله السيكلوب (بوليفيم)؛
على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ،
فإنك إن كبحت جراح شهواتك ، أنت ومن معك ،
فإنك واصل يوماً إلى شيطان تريناشيا ، وتكون قد
أفلت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة ، فأحذر
أن تمس قطعان رب الشمس الساعمة فى الجزيرة بأذى
إن كنت جد حريص على العودة إلى بلادك سالماً ،
مهما اقتحمت بعد ذلك من عذاب وعقاب . فإذا
مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعاً ! إن
فللك تغوص إلى الأعماق ، ويغرق رجالك أجمعون ؛
أما أنت فتنجو بعد جهد ، وتلتقطك سفينة
عابرة وتعود بك بعد شقاء وبلاء ، وعناء أيماء عناء ،
إلى وطنك الذى ينتظرك فيه ألف ويل وويل !
ستجد قصر ك المنيف محتلاً بطغمة أشرار من عشاق
زوجك الوفية لك ، يرغبون خيرك ويذبحون
شاءك ، ويغفرون بنلوب بالعطايا والرشى لتختار
من بينهم بعلاً لها . . . ولكنك ستنتقم منهم
وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستبيد جموعهم ؛
فإذا تم لك النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب
الذى لم ير البحر أحد من أهله ولم يذق الملح أحد
منهم قط ، وليكن معك مجذاف عظيم يدلك عليهم
فإنهم إن رأوه عجبوا من منظره ، وظنوه مذراة مما
يذرى به القمح ؛ فإذا عرفتهم فاغرس المجذاف فى
أرضهم ، وضح لنبتيون رب البخار بمجل جسد
وكبش سمين وخنزير كناز (١) ، ثم تبثل إليه
وأخبت ، وانطلق إلى وطنك ، وضح بأحسن

(١) باليكسر سمين

تجشمت الأهوال الثقال منذ توجهت مع أجا ممنون
 للقاء أبناء طروادة... وهأنذا منذ ذلك اليوم لم
 تطأ قدماى أرض وطنى... ولكن.... نبشنى يا أماء
 أية ضربة أودت بحياتك الغالية؟ هل سفك
 دمك أحد؟ أم أصماك سهم من ديانا؟... وحدثينى
 كذلك عن أبى السند الشيخ، وعن ولدى تليماك،
 وحدثينى عن ملكي وعتادى، هل غلب عليها أحد
 من سادات البلاد، حين يئس الكل من عودتى؟
 وخبرى عن زوجى، أما تزال تعيش مع ولدى
 مخلصه وفية لى، أم تزوجت من أحد أمراء
 هيلاس؟! « وقال الشبح الكريم مجيئني: حاشا يا بنى!
 إنها لا تزال وفية لك، مبقية على ذكراك، مقيمة
 فى قصرك، وإن تكن تقضى لياليها وأيامها فى
 حزن ممض عليك، ودموع جارية من أجلك،
 وآلام ماتنهي لبعدك. أما أملاكك فما تزال لك،
 وما يفتأ ولدك يغلفها باسمك، وما يفتأ يغشى الولائم
 فى أبهة الأمراء، ورؤاء الأماثل العطاء! ولم يزل
 أبوك مقما فى مزارعك، عزوقاً عن المدينة
 وبهرجها، وأرائك القصور وزرابيها، وهو يقضى
 أيامه يصطلي نار المدفأة فى الشتاء، قابعاً على فروته
 الفقيرة المتواضعة، غاراً فى أثماله ومراقه، فإذا جاء
 الصيف، أو فجأه الخريف، اعتكف فى ناحية،
 وانطرح على الهشيم المساقط من الأشجار، وراح
 يعالج من الحزن عليك، والبكاء بسبك، ما يوهيه
 ويضنيه، طوال تلك السنين السوالف؛ وهكذا
 هلكت أنا الأخرى من طول التفجع عليك،
 والتصدع من أجلك، فلا ديانا أصغت فؤادى بسهم
 ولا اعتدى على معتد... بل الحزن وحده

ما تملك من الشاء والنعم للآلهة، وصل لكل
 منها واخشع، تعيش آمناً غانماً، وتمت بعد حياة
 هادئة موة قريرة ناعمة بعد حكم عادل طويل،
 وشيوخوخة هائلة موفورة... هذا من أبناء الحق
 عرقها لك. »

وقلت له: « أنا لا أكذبك يا تيرزياس فيما
 كشفت لى من أبناء الغيب؛ ولكن حدثني
 جعلت فداك: إني ألمح شبح أُمى جائئاً بالقرب من
 الدم دون أن تتعطف بكلمة واحدة على ابنها الحبيب.
 فمن ذا الذى يشعرها أنى - أنا ابنها الأوحى - قريب
 منها! » فقال: « لا أيسر من ذلك يا بنى! فانك
 إن تركت أُمى من هذه الأشباح يرشف رشفة من
 ذاك الدم، فإنه يتحدث إليك بعد، وينبئك بما
 تشاء. » ثم غاب شبح الكاهن فى ظلمات مملكة
 بلوتو، وسمرت أنا مكاني أنتظر شبح أُمى، التى
 ما كادت تتذوق الدم حتى عرفتني، وانطلقت
 تكلمنى فى رفق وحنان: أُمى بنى كيف أتيج لك
 الضرب فى دياجير هذه الدار الآخرة وأنت ما تزال
 حياً تدب على رجلك؟! ألا ما أشق هذا على بنى
 الموتى من أهل الدار الأولى! إن ههنا أنهاراً من
 حميم يدور بعضها على بعض، وقد تطنى على شيطانها
 بعباب حمى، ويحيط بها البحر الأعظم الذى
 لا تشق أجياله فلك، بلبه قدم سائر عابر! أواه!
 لقد ذرعت البحار شرقاً ومغرباً فى رحلتك من
 اليوم، أنت ومن معك، ولما تصل إلى إيتاكا
 العزيزة! « وسكنت قليلاً، فسألتها: « الظروف القاسية
 وحدها يا أماء هى التى قادتنى إلى مملكة بلوتو،
 ليعرف لى الكاهن الصالح الطيبى تيرزياس، ولقد

أنهار الدنيا - قد كان مشغولاً بها حباً ، وأنها ظالما كانت تغشى شطآنه النضر ، وخائله الخضر ، من أجل ذلك . وأنها كانت يوماً تلعب هناك ، فلذا شبح جميل كأنه شبح حبيبها يظهر فجأة ثم يأخذها بين ذراعيه ، ثم يعلو طوفان من اليم فيطويهما معا ، ثم تفيق فتري نفسها بين ذراعى نبتيون الجبار رب البحار الذى يشا كىها غرامه هو الآخر ويثبها حبه ، ولاعج قلبه ، ثم يهوى بها إلى أعماق مملكته السحيقة ، ويعاشرها كزوجة ، ثم يرسلها بعد أن يوصيها بولديه التوأمين منها ، ثمرة الحب السرمدي المقدس ويفوص في اليم . وتعود هى إلى بلدها فتضع ولديها العظيمين - وزيرى جوف الآكبر - بلياس ونليوس - ويشب بلياس ويضرب فى الأرض ، فينتهى إلى مروج إياؤلخوس ويرعى ثمة بهمه وقطعانه ؛ أما نليوس فيسكن البلع الجذب من أرض بيسلوس وتزوج من كريتيوس بعد ذلك كله ، فتجب منه أبناءها الثلاثة الآخرين^(١) ، ذوى الشهرة والمجد . ثم كملت انتيوب ابنة آسوب التى راحت تفخر بما كان بينها وبين جوف - كبير آلهة الأولب - من هوى وصباة وحب ، وأنها أنجبت له ولديه العظيمين أمفيون وزيتوس منشئ طيبة العظيمة ذات القلاع والتلاع والأبواب السبعة ولقيت بعدها ألكينة ابنة أمفيريون حبيبة جوف ، وأم هرقل الحديدى الجبار ولقد ذكرت لى أنها تزوجت من كريون بعد ، فأنجبت له ابنته ميجارا ، زوجة ابن

(١) حذفنا هنا الأسماء مؤقتاً

يا أوديسيوس ، والوحشة والضنى ، وطول الوجد ، وذكراك فى كل حين ؛ كل أولئك يابنى اختضر عود حياتى ، وعجل إلى مماتى ! » وما كادت تفرغ من حديثها حتى أزرقت^(١) إليها أودلو ضممتها إلى صدرى ، بيد أنى فشلت مرة وأخرى وثالثة ، إذ كانت تنفث فى كل مرة من بين ذراعى كما ينفث الظل . أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على ذلك صبراً فقلت لها : « لماذا تأين على عنائك يا أماء وقد تتداوى به مما بنا من شجو ، ولو كنا هنا فى مملكة پلوتو ؟ ! أم ياترى أرسلت إلى پرسفونيه شبحاً يعثب بى ويتضاحك على ؟ ! » قالت : « أواه يابنى ، يا أتعس بنى الموقى ! أبداً ما حاولت ربة هيدز أن تعثب بأحد ، ولكنها طبيعة الموقى هنا ، فهم لاعضل ولا لحم ولا عظم ، ولا ماذهبت به النار بعد الموت فى الدار الأولى بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام فى خفتها وسرعة انفلاتها ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور فلقد جاءك من الحق ما هو حسبك » . ثم همهمت حولى أشباح العذارى والأزواج من بنات هيدز ، سعين من عند پرسفونيه ، فامتشقت سيفى ، وطففت أذودهن فلا يقربن الدم إلا باذنى ، واحدة بعد واحدة ، لتقص على كل منهن قصة حياتها . ولقد كملت أول من كملت تيرو^(٢) الحسناء ، كريمة المحدث ، طيبة الأعراق فذكرت لى أنها ابنة سالمون وزوجة كريتيوس بن إيولوس - وأن أينيوس إله السلسبيل ، أعذب

(١) أسرعت

(٢) لم نشأ أن ننقل أحاديث أوديسيوس مع بنات هيدز كما فعل بعض مترجمي هومر ، بل آثرنا إثباتها كما هى ، ونحن نجل القارىء عن الملل لأن الأوديسة أعلى من أن تمل

ما تمتعت ثمة قليلاً ولا كثيراً، فقد أصمتها ديانا الغادرة
بسماحها، وشهد فعلها المنكرة باخوس العظيم...
في دريا

ورأيت ميرو... وكليمنيه... وإريفيل التاسعة
التي قبلت أن تنال ثمن روح زوجها من الذهب
والآن!! وقد أوشك الليل أن يلقي علينا طيلسانه
فما أحسبني أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال
العظام وبناتهم اللائي لقيت في هيدز، فخذوا لو أمر
الملك فانطلقت لأستريح في سفينتي... أو هنا إن
أذن... وكلى ثقة فيكم، وإيمان بالآلهة، أنكم
ستدبرون أمر إبحاري إلي وطني حتى الصباح...
(ينبع) دريني ضئبة

تاريخ الأدب العربي

للدكتور أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

أمفثيون...؟؟... ولقيت الحسناء أتيكاست^(١)
أم أديبوس الملك التاسع، الذي تزوجها وهو لا يدري
أنها أمه، بعد أن ذبح أباه، فصبت عليه السماء
سياط عذابها، وذهب على وجهه في الأرض حيران؛
أما أمه، فقد سبقت روحها إلى هيدز بعد إذ شنت
نفسها في سقف بيتها، تاركة ولدها لربات العذاب
يسمنه الخسف ويجرعنه الأوصاب... ولقيت الغادة
الحسنان خلوريس التي هام بها نليوس وتثر تحت
قدميها هداياه، فأسلست له ورزق منها أبناء الثلاثة
نسطور وخروم وپركل، الميامين ذوى المجد...
ثم كلمتني ليذا زوجة تندار، أم كاستور الصنديد
ويوللكس الملاكم العتيد، إنهما ينعمان بنعمة زيوس
أبي الآلهة، فهما يتبادلان الموت والحياة، سنة
فسنة^(٢)، وفاء منهما ومحبة وإعزازاً...؟؟...
ثم رأيت إفيميديا الحبيبة التي نخرت بهيام نيتيون
والتي أقيمت له طفليه الجميلين أوتوس وإفالت اللذين
بزا بجملهما كل من دب على وجه الأرض، باستثناء
أوريون... يا لهما من طفلين!! لقد شبا نيران
الحرب على آلهة السماء وحاولا رفع أوسا إلى قمة
الأولب فجعلها نليون على أوسا ركاباً، وقد أوشكا
أن يفلح لولا أن ذبحهما نريوس وولده أبوللو ليكونا
عبرة لغيرهما... فيا للموت! هذا المعتدي على شبابهما
الفض فاذبل الحدود وأذوى الورود!

ورأيت بعد ذلك فيدرا، ولقيت آريادن المفتان
وبروسيز اللغوب، أما آريادن فقد حملها ثيديوس من
كريت إلى فراديس أثينا... ولكن واستفاه! إنها

(١) جوكشا

(٢) وردت عنهما أسطورة رائعة سننشرها قريباً

(طُبعت بمطبعة الرسالة والرواية بتأليف المهدي عمارة عميم رقم ٧)



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامت العربية

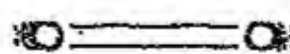
الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، وإلخارجي ما يساوي جنهما مصرياً ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية تلفيقية والتاريخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الرابع عشر ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٦ - ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

مسابقات الرواية

١ - مسابقة القاتل في مذكرات نائب في الأرياف

اشترك في هذه المسابقة قرابة ألف كاتب، ولكن أحداً منهم لم يوفق إلى الحل الذي انتهت به هذه القصة في العدد الماضي من الرواية وهو حفظ القضية لعدم معرفة القاتل. ولذلك لم يظفر أحد بالجائزة

٢ - مباراة الأقصوصة

تجمع لدينا في هذه المباراة ثلاث وسبعون وأربعمئة أقصوصة من مختلف الأقطار العربية. ولما كان الأساتذة الذين ستؤلف منهم لجنة التحكيم قد تركوا القاهرة للاضطرابات في أماكن متفرقة، اضطررنا إلى تأجيل تأليف هذه اللجنة إلى أول الخريف. على أننا نستطيع أن نعلن من الآن أن اللجنة ستؤلف من الأساتذة: توفيق الحكيم، محمد فريد أبو حديد، إبراهيم عبد القادر المازني، محمود تيمور ثم رئيس تحرير هذه المجلة.

فهرس العدد

| صفحة | |
|------|---|
| ٨٤٢ | الحب للكاتب الروسي أنطون تشيخوف ... للأستاذ عبد الحميد حمدي |
| ٨٤٨ | شبح كانتريل للكاتب الإنجليزي اسكار وايلد بقلم الأستاذ بشير الصريق |
| ٨٦٥ | الفتاة التي سلبني ولي مترجمة عن الإنجليزية بقلم إميل فرج ... |
| ٨٧٥ | الأحجار الجائعة للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندي ... للأديب شاكر محمد عياد |
| ٨٨١ | أجلايين وسيليزيت رواية تمثيلية لموريس ماترنك ... بقلم الدكتور محمد غلاب |
| ٨٩٤ | اعترافات فتى العصر لألفريد دي موسيه بقلم الأستاذ فليكس فارس |
| ٨٩٩ | الأوذيسة لهوميروس بقلم الأستاذ دريني خشبة |

كتابة هذا الخطاب
خمس مرات، وكنت
في كل مرة أضرق
الورق وأحوص صفحات
كاملة وأعيد كتابتها،
ولقد قضيت في
كتابته من الوقت
ما يكفي لكتابة قصة
كاملة وتهذيبها. ولم
يك ذلك لأنني حاولت
أن أزيد الخطاب طولاً

الحب

للمطالع الكبير انظرون تسير هوف
بسم الاستاذ عبد الحميد حمدي

أو أن أبالغ في تنميته واذكاء نار حماسه، ولكن
لأنني أردت أن أطيل إلى غير نهاية زمن الكتابة
بينما أنا جالس في هدوء مكثي أناجي نفسي بأحلام
يومي، وليلة الربيع الجميلة مطلة على من خلال نوافذي،
ولقد كنت أرى في ثنايا الأسطر طيفاً محبباً إلى
نفسي، وخيل إلي أن على المائدة التي أنا جالس
عليها أرواحاً هي مثلي في سذاجة سعادتها، وفي
غفلتها، وفي ابتسامتها الهنية. ولقد مضيت أكتب
في استمرار، ناظراً إلى يدي التي ما زالت تتوجع
في لذة حيث ضغطتها يد « ساشا » في آخر مرة
التقيت بها. ولما حولت عيني عن يدي تخيلت منظر
الشعرية (١) الخضراء على الباب الصغير. فمن خلال
هذه الشعرية نظرت « ساشا » محدقة إلي بعد أن
ألقيت إليها بكلمة الوداع، وعند ما كنت أودعها لم
أكن أفكر في شيء، ولم يكن مستولياً علي غير
شعور الإعجاب بقوامها إعجاب كل رجل محترم بامرأة
جميلة. ولما رأيت من خلال فتحات الشعرية عينيها

(١) الشعرية شبكة من الأخشاب الدقيقة توضع في الطاقة
أو غيرها لحجب النظر من الخارج إلى الداخل.

« الساعة الثالثة صباحاً، وليلة إبريل الهادئة
الصافية تطل علي من نوافذ غرفتي، غامرة لي
بنجومها، في رقة وفي لطف، وما أستطيع أن أنام
فاني لجد سعيد!

« وإن كياني كله من قمة رأسي إلى أخمص قدمي
ليفيض بشعور غريب لا يدرك العقل كنهه، ولست
بقادر على أن أحلل هذا الشعور - في ساعتى
هذه - فوقتي لا يتسع لهذا التحليل، وإنى لكسول
مفرق في الكسل؛ ثم إن هناك إلى جانب ذلك...
ألا بعداً للتحليل! وهل من اليسور أن يفسر
الرجل شعوره وهو يهوى على قمة رأسه ساقطاً
من فوق قبة ناقوس؟ أو هل يستطيع الرجل أن
يفسر شعوره في اللحظة التي علم فيها أنه قد ربح
مائتي ألف من الروبلات؟ أو يكون مثل هذا
الرجل في حال تسمح له بالتحليل؟ »

هذه هي، على التقريب، الكلمات التي بدأت
بها خطاب غرامي إلى « ساشا » وهي فتاة في التاسعة
عشرة من عمرها وقعت في أشراك حبها. لقد بدأت

بعد إلقائه خطاب غرامه إلى حبيبته في صندوق البريد ، وكيف يسرع في الدخول إلى سريره وفي جذب اللحاف حتى يغطي وجهه ، معتقداً الاعتقاد كله أنه متى استيقظ من النوم في الصباح فستغمره ذكريات اليوم السابق ، وسينظر نظرة تقيض فرحاً وسروراً إلى النافذة حيث يندفع ضياء النهار من خلال ستارها في قوة وحماسة .

وإليك الواقع ... في منتصف نهار اليوم التالي جاءني خادم « ساشا » يحمل الرد الآتي : « تأكد أنني مفروجة إذا تفضلت وحضرت عندنا اليوم وسأنتظرك . حبيبتك س »

ولم تكن في الرسالة أية علامة من علامات الترقيم ، وهذا الإهمال في الكتابة ، والخطأ في كتابة كلمة فرجة ، وما في الكتاب كله من ضعف في الانشاء ، وحتى الظروف الطويل الضيق الذي وضعته فيه ، كل هذا ملأ نفسي بشعور من الحنان . ولقد رأيت في ثنايا خطها المفرطح الحى خيال مشيتها وطريقها في رفع حاجبها إذا ضحكت ، وحركة شففتها ولكن نفسي لم تقنع بما تضمنه كتابها ... وأول ما آخذه عليها أن كتب الغرام الشعرية لا يرد عليها بهذا الأسلوب ، وإنى لأتساءل بعد ذلك لماذا تدعوني إلى زيارة بيتها حيث أبقى تحت رحمة أن تتفضل أمها الرشيقة أو إخوتها أو أقاربها الساكنين بتركنا منفردين في الغرفة ؟ فمثل هذا الخاطر لن يدخل رؤوسهم أبداً ، وليس أبغض إلى الانسان من أن يكبح جماع عواطفه لسبب واحد بسيط هو الحياء من تطفل امرأة عجوز نصف صماء أو طفلة صغيرة توجه إليه من الأسئلة المضجرة ما لا يرى معدى من الاجابة عليه ... لهذا بعثت مع خادم « ساشا » جواباً على رسالتها سألتها فيه أن تتخير أحد الميادين

الواسعتين محدقان بي علمت ، فجأة كما لو كان قد أوحى إلي ، أنني وقعت في شرك الغرام ، وأن الأمر كله قد سوى بيني وبينها ، وأن كل شيء قد استقر بالفعل فلم يبق على ما أعمله غير إتمام اجراءات شكلية معينة .

وإنه لمن بواعث الابتهاج أيضاً أن يختم الانسان خطاب غرام ، وأن يلبس في بطء قبعته ومعطفه ، وأن يغادر البيت في هدوء ، حاملاً هذا الكنز النفيس إلى صندوق البريد . والسماء في هذه الساعة خالية من النجوم التي اختفت وحل محلها ، من جهة الشرق ، خيط أبيض طويل ، تقطعه في أكثر من ناحية ، سحب تعلو سطوح البيوت الصغيرة الحقيمة ، ومن هذا الخيط غمرت السماء كلها بضوء خفيف باهت . . والبلدة نائمة ولكن عربات الماء قد خرجت إلى الطرقات ، وفي ناحية بعيدة يدوى في الجو صفير أحد المصانع لا يطاق النائمون من العمال . وإنك لعلّ يقين من أن تجد إلى جانب صندوق البريد المبلل قليلاً بندى الليل ، هيكل أحد البوابين الضخم على كتفيه رداء من جلد الماعز وفي يده عصا يستند إليها ، وهو أشبه ما يكون بالتمثال الجامد لا يتحرك ، وما هو بالنائم ولا بالصاحي ولكنه بين الحالتين .

ولو عرفت صناديق البريد كيف يلجأ إليها الناس في أغلب الأوقات لتعرف ما ينتهي إليه مصيرهم لما رضيت بما يبدو عليها من سياء التواضع . ولقد كنت على كل حال أقبل في أكثر المرات صندوق بريدي ، وكنت كلما نظرت إليه ذكرت أن مصلحة البريد هي أعظم النعم التي حظي بها الانسان .

وإنى لأرجو أى إنسان وقع يوماً في شرك الغرام أن يذكر كيف يسرع الانسان إلى بيته ،

الخيالية ، ققبلاتي وصمت الأشجار المظلمة والمواثيق التي أقطعها على نفسي . . . فلم تمر دقيقة نسيت فيها نفسها ، أو غلبها شيء على ما تفكر فيه ، أو سمحت للمعنى السرى البادئ على وجهها أن يفارقه . والحق أنه لو كان في مكاني في تلك اللحظة إنسان سواي كائننا من كان لما كانت في حضرة بأقل شعوراً بالسعادة منها في حضرتي . وكيف يستطيع الإنسان في ظرف كهذا الظرف أن يعرف إذا كان محبوباً أو غير محبوب ؟ وكيف يستطيع أن يعرف إذا كان الحب هو « الشيء الحقيقي » أو لا ؟

ولقد أخذت « ساشا » من المتنزه إلى بيتي . وليس حضور المرأة التي يحبها الإنسان إلى بيته — وهو أعزب — بأقل في نفسه أثراً من الخمر أو الموسيقى . والمألوف في موقف كهذا أن يبدأ الإنسان بالكلام في المستقبل ، وهو إذا تكلم في هذه الناحية لم يقف عند حد فيما يبدى من ثقة واعتزاز بالنفس ، وانك عندئذ لتضع المشروعات وترسم الخطط وتتكلم في حماسة عن رتبة القائد وإن لم تكن قد وصلت بعد إلى رتبة الملازم ، وفي الجملة أنك تهذى بمثل هذا السخف الضارب إلى العلاء ، حتى ليتطلب تصديق سامعك لما تقول أن يكون مغرمًا بك إلى أقصى حدود الغرام وأن يكون كذلك جاهلاً إلى أقصى حدود الجهل . ومن حسن حظ الرجال أن النساء اللواتي يحببن تعميهن عواطفهن دائماً عن رؤية الحقائق فلا يعرفن شيئاً من شئون الحياة . وإنهن لبعيدات جداً عن أن يكذبن ما يسمعن ، وإنهن ليشتعن فعلاً بشيء من الرهبة المقدسة فتهرب الدماء من وجوههن ، وتفيض نفوسهن احتراماً ويتعلقن في شره بالكلمات البادية الحماسة والجنون . ولقد أصغت إلي « ساشا » في تنبه شديد

أو التزهات فتضرب لي فيه موعد اللقاء ، ولقد قوبل اقتراحى بالرضا في غير تردد ، فقد ضربت على الوتر الحساس كما يقول المثل .

وفيما بين الساعتين الرابعة والخامسة من مساء ذلك اليوم اتخذت طريقاً إلى أقصى حدود المتنزه العام وأكثر نواحيه ازدحاماً بالأشجار وأكثرها نباتاً . ولم يك في المتنزه كله مخلوق واحد ، ولعله كان من الأنسب أن يضرب الموعد في مكان أقرب كأحد الشوارع الكبرى أو تحت إحدى مظلات الحدائق الصغيرة ، ولكن النساء لا يردن أن تكون أعمالهن فيما يتصل بالخيال والغرام بين بين ، فهن يجرين وراء خيالهن الشعري إلى آخر المدى — فاذا ضربن موعد اللقاء ضربنه في أبعد الأدغال وأوعرها طريقاً ، حيث يتعرض الإنسان لخطر الاصطدام بشيء خشن أو سكير معربد .

ولما وصلت إلى المكان الذي تخبرته ساشا وجدتني واقفة وقد ولت ظهرها نحوي ، وكان في مقدوري أن أقرأ في ذلك الظهر كثيراً من الأسرار الشيطانية ؛ ولقد خيل إلي أن ظهرها ، وخلف عنقها ودثارها ، والنقط السوداء على رداؤها ، كل ذلك يقول : صه ! ... كانت الفتاة مرتدية لباساً بسيطاً من القطن ألقت فوقه دثاراً خفيفاً ، ولتبائع في إحاطة نفسها بجو من الأسرار غطت وجهها بنقاب أبيض ولكي لا أفسد أثر هذا المظهر السحري تقدمت منها مشياً على طرفي قديمي ، وتكلمت في صوت أدنى إلى الهمس منه إلى الصوت المسموع

ومما أتذكره الآن أنني لم أكن — إلى حد ما — بيت القصيد في هذه المقابلة إذا نحن تناولناها بشيء من التفصيل ، فلم يكن اهتمام ساشا بالمقابلة في ذاتها كاهتمامها بما يحيط بالمقابلة من الأسرار الشعرية

إليها لما كان هناك من شك في أن ترفع حاجبيها وتفكر لحظة ثم تقول كما قالت أولاً :
« جميع الأنواع »

ثم أوصلت ساشا إلى بيتها وصرت أزورها وأغادر دارها في انتظام ، وقد تمت الاجراءات الرسمية للخطبة ، ووقفت موقف الانتظار حتى يحين يوم الإكليل . ولو سمح لي القاريء أن أحكم على الأمور بمجرد تجاربي الشخصية لقلت إن « الخطبة » من الأمور الموحشة جداً ، فالإنسان في أثنائها يكون أبعد جداً من أن يكون زوجاً أو أن يكون شخصاً غريباً لا علاقة له على الإطلاق بالخطبية . فليس الرجل في هذه الحال بالزوج ولا بالرجل الغريب ، فقد ترك إحدى ضفتي النهر ولم يصل إلى الضفة الثانية ، فلا هو بالزوج ولا من الممكن أن يسمى أعزب

وصرت — في كل يوم — إذا وجدت لدى فترة فراغ من العمل قصدت إلى دار خطيبي . وكنت كلما قصدت إليها حملت معي مقداراً عظيماً من الآمال والرغبات والنيات والاقتراحات والعبارات المختارة . وكنت دائماً أتصور ، لشدة ما أشعر به من الضيق والكآبة ، أن الخادمة لا تكاد تفتح الباب حتى أغوص إلى عنقي في بحر من السعادة المنعشة . ولكن الأمور كانت دائماً تنقلب إلى العكس من ذلك في الواقع . ففي كل مرة قصدت إلى زيارة خطيبي وجدت أن أسرتها وكل من يحويه الدار مشغولين بأمر « الجهاز » السخيف . (وعلى فكرة أقول إنهم كانوا من الممكنين بالعمل في الجهاز منذ شهرين إنهما كآ شديداً فجهزوا أشياء تقدر بأقل من مائتي روبل) . . . وهناك يشم الإنسان رائحة الكاوي ، ودهن الشموع ودخانها . وترتطم قدمه

ولكنني لم ألبث أن تبينت على وجهها أثر التفكير الشارد . فهي لم تفهم شيئاً مما قلت لها ، ولم يكن المستقبل الذي يحدث عنه ليهما إلا من وجهته الظاهرة فقط . ولقد كنت أضيع وقتي في عرض خطتي ومشروعاتي عليها . فقد كان ههما كله منصرفاً إلى معرفة أية الغرف ستكون غرفتها ، وأى نوع من أنواع الورق ستغطي به جدران هذه الغرفة ، ولماذا فضلت البيان ^(١) المرتفع على البيان الضخم الذي يشغل حيزاً كبيراً من الغرف . . . وهكذا . وفحصت في دقة جميع الأشياء الصغيرة الموضوعة على المائدة ، ونظرت إلى الصور الفوتوغرافية وشممت القناني ونزعت طوابع البريد القديمة عن الظروفات قائلة إنها تحتاج إليها لأمر ما .

وقالت وقد تبهم وجهها :

« أرجو أن تجمع لي الطوابع القديمة ! ومن فضلك لا تنس ذلك »

ثم وجدت على قاعدة النافذة بندقية فكسرتها بصوت عال وأكلتها .

ونظرت إلى خزانة الكتب وقالت :

« لماذا لا تلصق بطاقات صغيرة على ظهر كتبك ؟ »
« لماذا ؟ »

« أوه . . . لكي يحمل كل كتاب رقمه . . . ثم أين أضع كتبتي ؟ فإن لي أنا أيضاً كتباً كما تعلم »
فسألها :

« أي نوع من الكتب عندك ؟ »

فرفعت ساشا حاجبيها وفكرت لحظة ثم قالت :
« جميع الأنواع . »

ولو أنه خطر لي أن أسألها عن نوع تفكيرها وما تعتنق من المذاهب وعن الاهداف التي ترى ^(١) استعملت كلمة البيان بكسر الباء منذ سنوات تعريباً لكلمة بيانو

يكرات الخيط وتخطمها . وكانت الغرفتان الرئيسيتان مشحونتين بالوسائد المصنوعة من التيل وغيره من الأقمشة الناعمة . من بين هذه الوسائد أطل رأس (ساشا) الصغير وبين أسنانها خيط معلق ، ورحب جميع من في الدار من المشتغلين « بالجهاز » بصيحات السرور والابتهاج ، ولكنهم لم يلبثوا أن أدخلوني إلى غرفة الاستقبال حتى لا أعطل عملهم وحتى لا أرى ما لا يجوز أن يراه غير الأزواج . ولقد اضطررت ، وإن كان ذلك لا يتفق وشعوري ، أن أجلس في غرفة الاستقبال متحدثاً مع يمينيوفنا إحدى قريبات ساشا الفقيرات . وكان القلق والانفعال باديين على ساشا فكانت تمر بي بسرعة ما بين لحظة وأخرى حاملة في يدها بعض أدوات التطريز أو غيرها من الأشياء التي تضايقني ، وتقول بحية على نظراتي المتوسلة السائلة :

« صبراً ، صبراً ، فلن أعيب عنك أكثر من دقيقة ، ولكن انظر كيف أتلفت اللعينة استيانيدا مشد لباس الزفاف ! »

وبعد أن أنتظر عبثاً أن تفي بما تفضلت به من وعد ، يضيق صدري وتثور أعصابي وأترك البيت لأتجول في الطرقات مصطحباً عصاي الجديدة التي ابتعتها منذ عهد قريب

و كنت قد تفت مرة إلى اصطحاب خطيبي في زهرة على الأقدام أو في عربة ، فلما وصلت إلى دارها وجدتني واقفة بالفعل مع أمها في ردهة الدار تعبت بمظلتها مستعدة للخروج . ولقد بادرني بقولها :

« أوه . . . إننا خارجتان إلى السوق فلا بد من أن نبتاع كمية أخرى من الكشمير ، وأن نغير هذه القبعة »

ولقد شعرت عندئذ كأن صدمة قوية قد أصابت

مقدم رأسي . فلقد كنت مضطراً أن أصحب السيدتين إلى السوق ، وإنه لما يهد أعصابي ويضايق صدري أن أصنى إلى النساء وهن يبتعن شيئاً من الحوانيت ، فيساومن البائع المتنبه محاولات أن يغلبنه . ولقد كنت أخجل عندما أرى ساشا بعد أن تقلب كمية هائلة من البضائع وبعد أن تنزل بالثمن إلى النهاية الصغرى ، تخرج من الحانوت دون أن تشتري شيئاً على الإطلاق ، أو تطلب من التاجر أن يقطع لها من القماش ما لا يزيد ثمنه على نصف روبل

وإذ خرجت خطيبي وأما من الحانوت أخذتا وقد بدت على وجهيهما علامات الغضب والجهد ، تتناقشان في أنهما قد أخطأتا فابتاعتا نوعاً ليس هو المطلوب ، لأن الوردات في القماش الجديد شديدة السمرة أو ما إلى ذلك

نعم إن فترة الخطبة لمن أثقل الفترات وأجلها للضيق ، وإنه ليسرني أن قد انتهت هذه الفترة بسلام والآن أنا متزوج . وهذا هو المساء قد أقبل ، وأنا جالس في مكثي أقرأ أحد الكتب ، وقد جلست ساشا ورأي على الصفة تمضغ شيئاً في فمها في صوت مرتفع ، وإن بي الحاجة إلى قدح من البيرة فأقول : « ابحتي يا ساشا عن فتاحة القناني ، فقد تجدينها في مكان ما هنا »

فتهب ساشا من مكانها وتفتش مبعثرة رزمتين أو ثلاثاً من الورق ، وتسقط علبة الكبريت على الأرض ، ودون أن تجد الفتاحة تعود فتجلس صامتة لا تنبس بحرف . . .

وتعشى خمس دقائق ثم عشر . . . وتبدأ أعصابي تثور من العطش والغضب ، فأقول ثانية :

« أرجو يا ساشا أن تبحتي عن الفتاحة »

فتنب ساشا مرة أخرى وتعود إلى بعثرة الأوراق

أُنْبِي في الأيام الماضية ، يوم لم أكن واقعا تحت سلطان الحب ، كنت أنقر من المرأة إذا رأيت بقعة على جوربها ، أو إذا سمعت منها كلمة بلهاء ، أو لأنها لا تحسن تنظيف أسنانها ، والآن أراني أغتفر كل شيء ! المضغ ، والعبت بالأوراق عند التفتيش عن الفتاحة ، وعدم اتساق الملابس ، والكلام الطويل فيما لا فائدة منه . أغفر ذلك كله على غير شعور أو إرادة مني ودون أن أحمل إرادتي أي مجهود في سبيل ذلك . كأنما أغلاط ساشا هي أغلاطي الشخصية . وهناك كثير من الأشياء التي كانت في الماضي تزعجني وتثيرني قد أصبحت اليوم تبعث إلى نفسى الحنان والاشفاق ، بل إنها لتغمرني أحيانا بعواطف الغرام . وتفسير هذا التسامح في كل شيء منطوق في حبي ساشا ، ولكن ما هو تفسير الحب نفسه ؟ الحق أننى لا أستطيع أن أفسر الحب .

ترجمة محمد الحميد حمدي

القريبة مني ، فيؤثر في صوت مضغها واحتكاك الورق تأثير السكاكين إذا حكّت بعضها ببعض لا رهاقها . فأقوم من مكاني وأبحث بنفسى عن الفتاحة فأجدها آخر الأمر ، وأفتح زجاجة البيرة . فتجلس ساشا بجوار المائدة وتبدأ تحدثني في موضوع طويل لا ينتهى . فأقول :

« يحسن أن تقرأي شيئا يا « ساشا »

فتناول كتابا وتجلس في مواجهتي وتبدأ تحرك شفيتها . . . فأنظر إلى جبهتها الصغيرة وشفيتها المتحركتين وأستغرق في التفكير . فأقول في نفسي : « لقد قاربت العشرين من عمرها . . . فلو قارنها الانسان بفتى في سنها من الطبقة المثقفة فيا لعظم الفارق الذي يجده بينهما ! فسيجد الفتى على شيء من العلم والبادى والدكاء »

ولكننى لا ألبث أن أغتفر هذا الفارق اغتفاري جبينها المائل وشفيتها المتحركتين . وإني لأذكر

الفلاح المصرى يزرع القطن

والعامل المصرى يغزله وينسجه

فالقطن ثروتكم وهو فخركم

أعدته لكم منسوجات لا تقارن في جودتها

شركة مصر للغزل والنسيج

اشتروا ما يلزمكم من

شركة بيع المصنوعات المصرية

ومن فروعها بالقطر المصرى ومن تجار المانيفاتورة

عن عيني ليدى
كاترفيل .

فأجاب الوزير:

سأدفع ثمن الشبح

ياسيدى اللورد كما

أدفع ثمن رباش

القصر . أنا من عالم

يبتاع فيه المال كل

شيء ويطغى شبانه على العالم

القديم من حين الى حين

يصبغونه بالحمرة ويحملون إلى

بلادهم أشهر ممثلاتكم وأعظم

عقيلاتكم . وانى لأقرر هنا أن

هذا الشيء الذى نتحدث عنه

إذا عد شعباً في أوروبا فانا

تضعه في بلادنا في أحد

المتاحف العمومية في وقت

قصير أو في الطريق ليتفرج عليه الغادى والرايح

قال لورد كاترفيل مبتسماً - أخاف أن يكون

الشبح موجوداً . إنه معروف منذ ثلاثة قرون : أعنى

منذ سنة ١٥٨٤ ؛ ومن عادته أن يظهر قبل موت

أى فرد من أسرتنا .

- حسن . هذا هو اعتقاد العائلة في هذه المسألة ؛

وفى رأيى أنه ليس هناك من شبح ؛ وأحب أن

أصارك ياسيدى أن قوانين الطبيعة لا يمكن أن

تكون يوماً من الأيام خاضعة للأرستقراطية الانكليزية

أجاب لورد كاترفيل دون أن يدرك تماماً مغزى

الملاحظة الأخيرة : إذا كنت لا تكترث بالشبح يقيم في

المنزل فهذا حسن ، ولكن أرجو ألا تنسى أنى حذرتك .

شبح كاترفيل

للكاتب الانجليزى اسكار وايلد
بترجم الأستاذ بشير الشيرقى



حينما ابتاع السيد هيرام .

ب . أوتس الوزير الأمريكى

قصر كاترفيل الصيفى خطاه

الناس أجمعون وقالوا له إنك

تتصرف تصرفاً سخيفاً لأن

القصر مسكون لا يشك في

ذلك أحد ، حتى لورد كاترفيل

نفسه الرجل الطيب النبيل قد

رأى أن من واجبه أن يلفت

نظر السيد أوتس إلى هذه الحقيقة حينما شرع

يبحث معه ثمن القصر .

قال لورد كاترفيل - لقد أهملنا منكى هذا

القصر منذ اليوم الذى أغمى فيه على عمى العجوز

إغماءة لم تشف منها أبداً متأثرة من يدين عظيمتين

وضعتا على كتفها وحى ترتدى ثوب الغداء - وأرانى

مضطراً أن أخبرك يا سيد أوتس أن أفراداً من عائلتنا

عديدين قد شاهدوا الشبح ، كما أن أسقف الأبرشية

أوغسطس دامبير قد شاهدته أيضاً ، وأنه يعد حادث

عمى المزعج لم تعد تجراً خادمة من خادماتنا الشابات

على المسكث عندنا ؛ وكذلك نفت هذه الأصوات

المبهمة التى تتصاعد كل ليلة من المر والمكتبية الرقاد

ولكن السماء خجبت فجأة بالغيوم حين وصلوا إلى مدخل القصر الذي غرست الأشجار على جانبيه، واستولت على الجو سكينه رهيبه، وطار فوق رؤوسهم سرب عظيم من الغربان، ثم تدفقت أمطار غزيرة حين وقفت بهم العربيه عند باب القصر؛ وكانت في انتظارهم على الدرج امرأة عجوز في ثياب من الحرير الأسود وقبعة بيضاء ومثري هي السيدة (أمى) قهرمانه المنزل التي انحنت لهم حين أقبلوا انحناء الاحترام وقالت بلهجة قديمة أنيقة: (لقد حلتم أهلاً)؛ ثم سارت أمامهم وهم يتبعونها فمروا بالبهو الفخم ثم دخلوا المكتبة فاذا هي غرفة واطئة طويلة قد سودت جدرانها بأخشاب السنديان، وفي نهايتها نافذة كبيرة قد ثبتت ألواح الزجاج في ردهتها؛ وفي هذه الغرفة وجدوا الشاي قد هيأ لهم فخلعوا ماتدثروا به من ثياب وجلسوا يديرون أبصارهم في الغرفة والسيدة أمى قد وقفت رهن إشارتهم.

وفجأة لفت نظر السيدة أوتس بقعة على البلاط حمراء قائمة قرية من الموقد فقالت للسيدة أمى وهي غافلة تماماً عن الجواب: ما أحسب إلا أن شيئاً أريق هنا.

أجابت القهرمانه العجوز هامسة: نعم ياسيدتى لقد أريق دم في هذه البقعة.

صاحت السيدة أوتس — باللفظاعة: أنا لا أطيق أبداً أن أرى بقع دم في غرفة الجلوس. يجب أن تزال حالاً.

ابتسمت العجوز وأجابت في نغمة هادئة مبهمه: إنه دم الليدى أليورا كاتريفيل التي قتلها زوجها السير سيمون كاتريفيل في نفس هذه الغرفة وعند هذه البقعة سنة ١٥٧٥ وقد عاش زوجها بعد (٢)

وبعد هذا الحديث بعدة أسابيع تمت صفقة البيع؛ وفي مطلع فصل الصيف قصد الوزير وعائلته قصر كاتريفيل، وكانت العائلة مؤلفة من السيدة أوتس وهي التي اشتهرت بجملها الساحر في شبابه، ولا تزال وقد بلغت منتصف عمرها جميلة العينين جذابة الملامح، ومن ولدها البكر وشنجطون وهو شاب جميل الوجه حقاً، جميل القد، جميل الشعر، دقيق الحس رقيق العاطفة، ومن الأنسة فرجينا وهي فتاة صغيرة في سن الخامسة عشرة لطيفة في عينيها الزرقاوين الواسعتين حرية مستحبة، وكانت إلى جانب ذلك مسترجلة سابقة في أحد الأيام وهي راكبة على مهرها لورد ييلتون العجوز فسبقته وكانت حلبة السباق تمتد من تمثال (اشيل) إلى حيث وقف دوق شيشر الشاب الذي أعاده رواده إلى (ابتون) في الليلة ذاتها باكياً على فراق فرجينا؛ ثم التوأمان البهيجان وكانا أشهر أفراد العائلة إذا استثنينا الوزير الخطير.

ولما كان قصر كاتريفيل يبعد عن محطة (اسكوت) سبعة أميال فقد خاطب السيد أوتس هذه المحطة ليهيئوا لهم عربيه؛ حتى إذا وقف القطار في (اسكوت) كانت العربيه في انتظارهم فركبوها مغتبطين.

لقد كان مساء جميلاً من امساء تموز وقد لطف الجو عبير غابات الصنوبر، وكانوا يسمعون من وقت لآخر قمرى الغاب يرجع أغانيه العذبة، ويلمحن السناجيب الصغيرة ترمقهم من أشجار الزان حين يمرون بها، والأرانب تندفع مسرعات في الأجمة وأذنانها البيضاء في الهواء ثم سرعان ما تختفي عن الأبصار.

قالت : لقد شاهدت بعيني رأسي أشياء يقف لها شعر كل مسيحي . وما أكثر الليالي التي لم يغمض لي فيها جفن هلعاً من حوادث مريعة كانت تقع هنا وعلى كل حال فقد اطمان السيد أوتس وزوجه هذه السيدة الطيبة القلب وأكدا لها أنهما لا يخافان الشبح ؛ وهي بعد أن توسلت إلى الله أن يحفظ سيدها الجديد وسيدتها وبعد أن بحثت معهما في زيادة مرتبتها سارت وهي ترتجف إلى غرفتها .

لم تهدأ ثورة العاصفة طوال الليل ولكن لم يقع من الحوادث ما يستحق الذكر .

وفي الصباح نزلت الأسرة لتناول الفطور فوجدوا بقعة الدم المزججة على البلاط للمرة الثانية . فقال وشنجطون : لا أظن أن الخطأ خطأ (دهان بنكرتون) لأنني جربته في كل شيء ، بل إنه الشبح . وعاد يمسح البقعة مرة ثانية ولكنها ظهرت في الصباح الثاني ، وكانت في مكانها في صباح اليوم الثالث على الرغم من أن السيد أوتس قد أقفل بنفسه في المساء باب المكتبة وحمل معه المفتاح .

والآن تجلس الأسرة بأجمعها تتفكه بالأحاديث ، فالسيد أوتس يعترف أنه غالي في إنكار وجود الشبح ، والسيدة أوتس أعلنت عزمها على الانضمام إلى (الجمعية الطبيعية) ، وأعد وشنجطون رسالة مطولة في موضوع (ثبات البقع الدموية حين تتصل أسبابها بجريمة) وهكذا زال من بال الجميع في تلك الليلة كل شك يتعلق بوجود الشبح .

كان النهار مشرقاً دافئاً وقد ركبت العائلة للنزهة في نفحة المساء البارد ولم يعودوا إلى المنزل إلا في

ذلك تسع سنين ثم اختفى فجأة على أثر حوادث غامضة ، ولم تكتشف جثته ، ولكن روحه الشريرة لا تزال تسكن القصر ؛ وكثيراً ما أثارت بقعة الدم هذه استغراب السامحين واستغراب سواهم خصوصاً وهي باقية لا تزول أبداً

صاح وشنجطون أوتس : هذا كله هراء . إن قليلاً من هذا الدهان سيزيلها في الحال . وقبل أن تعترض القهرمانة المروعة ركع على ركبتيه واخذ يفرك بسرعة أرض البلاط بعود صغير كأنه ميثاق أسود وفي لحظات قليلة لم يبق أثر لبقعة الدم

فأعلن وشنجطون وقد غلبته نشوة الظفر : لقد كنت موقناً أن (دهان بنكرتون) سيجعلها أثراً بعد عين . قال ذلك وهو يجيل بصره في أهله الذين تملكهم الدهشة ، ولكنه ما كاد يفوه بكلماته هذه حتى أضاء الغرفة وميض خطف الأبصار ، وقصفت الرعود قصفاً مخيفاً هزهم هزاً عنيفاً وأوقع السيدة أمي مغشياً عليها

قال الوزير الأميركي وهو يشعل سيجاره الطويل بكل هدوء : ياله من جو مرعج ! لقد كنت أحسب أن انكلترا هي خير بلد للسياحة فإذا بها مكتظة بالسكان وإذا بالمرء لا يجد فيها جواً معتدلاً

صاحت السيدة أوتس — يا عزيزي هيرام ما الذي نستطيع أن نفعله لامرأة أغمى عليها ؟ أجاب الوزير — قتشى عن الذي سبب لها الاغماء ثم داوها به فلا يغمى عليها بعد ذلك . وفي الواقع فقد استيقظت السيدة أمي بعد لحظات ولكنها كانت ترتعش رعباً ، وقد أخطرت السيدة أوتس بحرارة المفجوع أن يحذر أموراً مروعة لا بد أن تقع في المنزل .

الساعة التاسعة ، فتناولوا طعاماً خفيفاً ثم دار الحديث فلم يصل إلى الأشباح من أى طريق . تحدثوا عن ساره برنار كفنانة بلغت قمة الشهرة ، وعن صعوبة الحصول على دقيق وكعك وعسل حتى فى أحسن البيوت الانكليزية ، وعن أهمية بلدة (بوسطن) فى حركة النشاط العالمى ، وعن فوائد نظام (الأمتعة فى سكة الحديد) ، وعن حلاوة اللهجة النيويوركية إذا قيست بتشدق لندن ، ولم يرد فى أحاديثهم ذكر لخوارق الطبيعة ولا للسير سيمون دى كاتريفيل أصلاً . وعند ما دقت الساعة الحادية عشرة قامت الأسرة ، لتنام وبعد نصف ساعة أطفئت الأنوار ؛ وبعد قليل استيقظ السيد أوتس على صوت مزعج فى الممر خارج غرفته أشبه بقعقة الحديد . وكان الصوت يدنو شيئاً فشيئاً فنهض فى الحال وأشعل عود ثقاب ونظر فى ساعته فإذا هى واحدة بعد منتصف الليل . لقد كان فى كامل هدوئه فجس نبضه فلم يجد أثراً للحمى ، ولكن لم ينقطع الصوت المبهم وها هو يسمع معه بوضوح وقع أقدام ، فتدثر بثيابه وتناول من صندوق فى الغرفة قارورة مستطيلة صغيرة وفتح الباب فإذا به يشاهد أمامه على ضوء القمر الباهت رجلاً عجوزاً فى مظهر خفيف يقدهح الشرر من عينيه الجراوين وقد انسدل على كتفيه شعر طويل أشيب أشعث ، عليه عباءة من طراز قديم قدرة كالحة يتدلى من رصغيه وكاحليه أغلال ثقيلة وسلاسل صدئة .

اللفافة عدة شهادات على حسن تأثيرها . وها أنا أضع لك القارورة إلى جانب شمعات غرفة النوم ، ويسرنى أن أقدم إليك ما تحتاجه من مقادير أخرى . قال الوزير هذه الكلمات وهو يضع القارورة على المنضدة الرخامية ثم أغلق باب غرفته وعاد إلى فراشه . وقف الشبح لحظة جامداً فى غيظ طبيعى ، ثم رمى القارورة على البلاط اللامع فخطمها واندفع فى الممر يصعد أنفاساً ثقيلة وينشر ضوءاً أخضر شاحباً ، ولكنه لم يكد يصل إلى أعلى السلم الكبير حتى فتح باب وظهر فيه وجهان صغيران أبيضان ودوت وسادتان فى رأسه ، ولكنه كان مستعجلاً لا يقدر على التأخر لحظة فغاب فى باطن الجدار وعمت السكينة القصر .

ولما وصل الشبح إلى غرفة سرية صغيرة فى الجناح الأيسر وقف متكئاً على الحائط أمام أشعة القمر ليسترجع أنفاسه ، وأخذ يفكر ويتأمل فى حاله . إنه لم يهن مثل هذه الإهانة قط خلال ثلاثئة عام مرت متلائئة هادئة . لقد فكر فى الدوقة (داو جر) التى أغمى عليها من الخوف بينما كانت واقفة أمام المراة فى أشرطتها وجواهرها ، وفى الخادومات الأربع اللاتي أصبن بالضرع لمجرد أن حرق أسنانه لهن من خلال ستائر إحدى غرف النوم ، وفى أسقف الأبرشية الذى أطفأ له شمعه فى إحدى الليالي التى عاد فيها متأخراً من المكتبة فقضى عمره تحت عناية السير وليام شهيد اضطراب عصبي ، وفى سيدة (تريمولاك) العجوز التى استيقظت مبكرة فى صباح أحد الأيام فشاهدت هيكلاً عظيماً يجلس فى كرسي كبير إلى جانب النار يقرأ فى مذكراتها اليومية فظلت طريحة الفراش على أثر هذا المشهد ستة أسابيع تحرقها

فبادره السيد أوتس قائلاً : ياسيدى العزيز ! أرانى مضطراً أن ألح عليك أن ترّيت هذه الأغلال وقد أحضرت لك لهذه الغاية قارورة صغيرة من زيت (تآمنى) المعروف بفائدته العاجلة ؛ وإنك لتجد فى

من الرقاد ومثل هذه الأصوات لاتنقطع خارج
غرف النوم .

وعلى كل فقد قضوا بقية أيام الأسبوع دون
أن يزعمهم أحد ، ولكن الشيء الوحيد الذى كان
يشير انتباه الجميع هو ظهور بقعة الدم على بلاط
المكتبة ظهوراً متوالياً ؛ وهذا العمر الحق مستغرب
لأن السيد أوتس كان يقفل الباب كل ليلة ويحكم
إغلاق النوافذ ، وكذلك كان تغير لون بقعة الدم
كتغير الحراء محل ملاحظة وانتقاد ، ففي صباح
يكون معتما ، وفي آخر أحمر فاتحا ، ثم أحمر فاقعا ، ثم
بنفسجيا ؛ وكان إلى ذلك موضوع تسلية للعائلة
ومراهنات حرة كل مساء ، ولكن الصغيرة فرجينيا
كانت الوحيدة التى لم تشترك في هذا المزاج ، وكانت
تظهر عليها علام الامتعاض لسبب مجهول كلما
شاهدت بقعة الدم حتى أنها كادت تبكي في صباح
أحد الأيام الذى ظهرت فيه البقعة خضراء لامعة .

وفي مساء يوم الأحد ظهر الشبح للمرة الثانية ،
وذلك أن الأسرة بعد أن ذهبت إلى الفراش بقليل
إذا بها تنتفض فجأة على صوت سقوط جسم ثقيل في
القاعة فاندفعوا جميعا إلى الطابق السفلى فاذا بدرع
قديم قد حل من موضعه في الحائط وسقط على
البلاط ، وإذا بشبح كاتريفيل قد جلس في مقعد كبير
يفرك ركبته وقد ارتسمت على وجهه صورة النزع
الأخير ، فسدد التوأمان في الحال سهام اللعب التى
أحضراها معها ورمياه بسهمين بمهارة من أمضى
وقتا كبيرا يتمرن على ظهر الأستاذ وهو على
اللوح ، بينما رفع وزير الولايات المتحدة مسدسه
في وجهه وطلب إليه على الطريقة الكاليفورنية
أن يرفع يديه ، فمض الشبح يصيح من الغضب صياحا

حمى دماغية ، ولما شفيت لزمّت الكنيسة وانقطعت
عن (فولثير) الدهرى ذي السمعة السيئة .

لقد استعرض في مخيلته كل أعماله العظيمة
فذكر أيضاً هذا الخادم الذى أطلق على نفسه النار
في بيت المؤونة لأنه أبصر يدا خضراء تنقر على
زجاج النافذة ؛ وليدي (استوتفيلد) الجميلة التى
اضطرها إلى أن تلف عنقها دائما بعصابة من مخمل أسود
لتخفى أثر خمس أصابع طبعت بالنار فوق بشرتها
البيضاء والتي انتحرت آخر الأمر بأن أغرقت نفسها
في بحيرة للسماك .

ثم بعد هذا كله يأتيه أمر يكي متجدد حقير
فيقدم إليه بكل برود (زيوت تامنى) ثم يكون في
القصر من يقذف رأسه بوسائد . إن هذا لا يطاق
أصلا ؛ وفوق ذلك فإن التاريخ لا يذكر أن شبحاً
عومل مثل هذه المعاملة ، ولهذا قد صمم على
الانتقام وظل حتى القجر يقلقه التفكير العميق

حينما جلست عائلة أوتس لطعام الفطور في صباح
اليوم التالي تناولت حديث الشبح من بعض الوجوه ،
فوزير الولايات المتحدة قد أغضبه قليلا رفض هديته
وقد قال : إننى لا أضمر للشبح إلا كل خير ، ولا
أريد أن يزعمه أحد ، وأراني مضطراً إلى أن أقول إن
رى الشبح بالوسائد وهو الذى أمضى كل هذا الزمن
الطويل في القصر ليس من الذوق في شيء . إنها
لملاحظة دقيقة يؤسفنى أن أصرح بها . وهنا
انفجر التوأمان عن هدير من الضحك واستمر
الوزير يقول : ومن جهة أخرى فإنه إذا كان يرفض
حقيقة استعمال زيوت تامنى . فسنضطر إلى تزج
السلاسل عنه إنه لمن المستحيل أن يتمكن أحدا

وقد ظل بعد ذلك عدة أيام يشكو المرض الشديد ملازماً غرفته لم يخرج منها إلا ليطلع بقعة الدم في مكانها الخاص ، ولكنه شفى أخيراً بفضل عنايته الشديدة بنفسه وصمم على تجربة نالسة يفرع بها وزير الولايات المتحدة وأسرته وقد اختار يوم الجمعة ١٧ أغسطس موعداً لظهوره منفقاً معظم هذا اليوم في النظر إلى خزانة ثيابه ؛ وأخيراً قرأه على قبعة مهذلة ذات ريشة حمراء ، وعلى كفن مكشكش عند الرسغين والرقبة ، وعلى مديّة ذات حدين . وفي المساء هطلت أمطار غزيرة وعصفت الرياح عصفاً شديداً اهتزت لها أبواب القصر القديم ونوافذه فكان الجو تلك الليلة هو الجو الذي يرغبه الشبح ؛ وكانت خطة عمله : أن يجعل طريقه إلى غرفة وشنجطون أوتس رأساً في وطن عند أقدامه وهو راقد في سريره . إنه يحمل لو شنجطون حقداً من نوع خاص لاعتقاده أنه هو الذي اعتاد أن يزيل كل مرة بقعة الدم المشهورة بواسطة دهان (بنكرتون) ، وبعد أن يترك هذا الشاب فريسة للفزع الأكبر يتقدم إلى الغرفة التي يشغلها وزير الولايات المتحدة وزوجه فيضع يداً دبقه على جبين السيدة أوتس ، ثم يهمس في أذن زوجها المرتجفة أهول أسرار المقابر ؛ أما فرجينيا الصغيرة فأنه لم يقطع في شيء يتعلق بها لأنها لم تؤذ أصلاً وكانت جد مؤدبة ولطيفة ، وقد اعتقد أن أنات قليلة يصعداها من خزانة الثياب هي فوق الكفاية ، حتى إذا لم تستيقظ لسل لحافها بأصابع مشلولة . أما ما يختص بالتوأمن فقد صمم على أن يعطيها درساً أي درس ؛ وأول ما سيفعله بهما هو أن يجلس على صدريهما يخنق أنفاسهما ، ومن ثم يقف بين فراشيها المتقارنين في صورة جيفة خضراء مثلجة ، وأخيراً يخلع كفنه ويحبو حول الغرفة

وحشياً ونشر حولهم ما يشبه الضباب ، وحيناً مر بوشنجطون أطفلاً له شمعة فتركهم جميعاً في ظلام حالك ؛ ولما وصل إلى أعلى الدرج وكان قد ملك وعيه واسترجع قواه صمم أن يضحك ضحكته الجنونية التي أتت له في مناسبات عدة بأحسن الثمرات ، هذه الضحكة التي ابيض لها شعر (لورد ريكور) المستعار ، وأكرهت القهرمانات الفرنسيات الثلاث على ترك الخدمة قبل انقضاء الشهر . ضحك ضحكته التقليدية المربعة فاهتز لها السقف العقود القديم ، ولكن الصدى الخفيف تلاشى حين فتح باب وخرجت منه السيدة أوتس في جلباب أبيض أزرق وقالت مخاطبة الشبح : « أخشى أن تكون مريضاً ؛ لهذا أحضرت لك قارورة من (اكسير الدكتور روبيل) فإذا كنت تشكو سوء الهضم فانك ستجد فيها الدواء الشافي . فخلق فيها الشبح مغیظاً ، وما كاد يهيم بتحويل نفسه إلى كلب أسود كبير حتى سمع وقع أقدام تقترب منه ، فعدل عن تنفيذ ما صمم عليه واكتفى بأن حول نفسه إلى ضباب باهت ، ثم تلاشى خلال أنين عميق وكان ذلك في الوقت الذي وصل فيه التوأمان . وحين دخل غرفته ارتدى خاثر القوى فريسة لأشد أنواع القلق . أما فظاظلة التوأمن وبلادة السيد أوتس وماديته فما يتعب حقاً ، ولكن الذي زاد في سخطه أنه لم يستطع أن يرتدى الدرع وكان يعلق على ارتدائه آمالاً كباراً لأنه يحسب أن منظر الشبح في الدرع يرعب حتى الأميركي المتجدد ؛ وفوق ذلك فإن الدرع درعه قد ارتداه في مبارزة (كيت لورث) فكان فيه مثال البهاء والجلال فما باله الآن قد انهد تحت ثقل الصدرية النحاسية الضخمة والخوذة الفولاذية ؟

مرعبة، وينبعث من عينيه أشعة ضوء قرمزية، وكان فيه بئر واسعة من نار قد وضع على صدره لوحة عليها كتابات غريبة ورفع في يده اليمنى حساماً قصيراً من فولاذ.

لقد كان خوفه شديداً لأنه لم يسبق له أن شاهد شبحاً من قبل فألقى نظرة ثانية خاطفة على الشبح المرعب ثم تراجع هارباً إلى غرفته يتعثر في أذيال كفنه الطويل، وحين وصل إلى جناحه الخاص رمى نفسه على سرير صغير وخبأ وجهه بالحاف؛ وبعد زمن تمالك شبح كاترفيل الشجاع نفسه فصمم أن يعود حين يطلع النهار ويكلم الشبح الآخر. وعلى ذلك ما كاد الفجر يلمس التلال بأصابعه الفضية حتى عاد إلى المكان الذي وقع فيه نظره لأول مرة على الشبح الهائل تدفعه فكرة خطرت متأخرة على باله أن شبحين خير من شبح واحد وأنه سيتمكن بفضل صديقة الجديد من التغلب على التوأمين. وحين وصل إلى المكان وقع نظره على مشهد مزعج. لقد حدث للشبح حادث، فقد انطفأ النور الذي كان ينبعث من عينيه الجاحظتين وسقط من يده الحسام الفولاذي الملامع؛ ثم ما باله يتكئ على الجدار في وضع متخاذل؟ فاندفع إلى الأمام وقبض على ساعديه بيدين مضطربتين فسقط الرأس وتدحرج على البلاط، وإذا بشبح كاترفيل يعانق سريراً مجللاً بنسيج أبيض قد ارتقى عند أسفله ساطور مطبخ ومكنسة ورأس لفت كبير، فلم يستطع أن يفهم شيئاً من هذا التغير العجيب؛ وبسرعة المحموم أنشب مخالبه في اللوحة فاذا به يقرأ على ضوء الصباح الباهت هذه الكلمات المخيفة:

بعضامه الصفراء المبيضة وعينه الواحدة الكروية المائرة. وعند منتصف الساعة الحادية عشرة ونصف سمع حركة الأسرة ذاهبة إلى الفراش وظل بعد ذلك برهة ترعجه قهقهات التوأمين الرنانة، ولكنهم أخذوا إلى السكنينة جميعاً عند حوالى الساعة الحادية عشرة وعند منتصف الليل انبرى لهم. وكان اليوم ينقر على زجاج النافذة والغربان تنوح من شجرة السنديان العتيقة، والرياح تئن حول المنزل كالروح التائه، ولكن أسرة أوتس كانت تنام ملء أجفانها غافلة عما يجري لها القدر؛ وكان بإمكان الشبح أن يسمع غطيط وزير الولايات المتحدة يرتفع خلال المطر المهمر والصواعق القاصفة.

انسل الشبح من الخزانة وعلى فمه الصلب المتغضن ابتسامة شيطانية، وحينما مر بشرفة النافذة خبأ القمر وجهه في الضباب وأظهر الليل البهيم شتمزازه؛ وفجأة خيل إليه أنه يسمع شخصاً يصيح فوقف ولكن لم يكن هذا الصياح إلا نباح كلب آت من مزرعة قريبة فاستمر في سيره يقذف شتائم القرن السادس عشر الغريبة ويلوح بمخنجره في الهواء دائماً أبداً؛ وأخيراً بلغ زاوية الممر المؤدى إلى غرفة وشنجتون السى الحظ فوقف هناك لحظة والرياح تعبت بفدائره. عندئذ دقت الساعة رباعاً بعد منتصف الليل فأحس أن قد آن الأوان فضحك في سره وتحول إلى الزاوية، ولكنه ما كاد يتقدم خطوة حتى تراجع إلى الوراء يولول من الخوف وخبأ وجهه الأبيض بين يديه الطويلتين العظمتين فقد وقف أمامه شبح جامد كالتمثال المنحوت خيف كأحلام مجنون، وكان أصلع الرأس مصقولاً، مستدير الوجه ضخمة، تقلب سجنته إلى كشرة دائمة ابتسامة

جعلته يفر راكضاً إلى غرفته بكل ما أوتي من قوة ،
وإذا به في صباح اليوم الثاني طريق الفراش يشكو
الزكام القوي ويتسلى عن همه أن رأسه لم يكن معه
في هذا الحادث وإلا كانت العاقبة وخيمة جداً
لقد قطع الآن كل أمل من تخويف هذه الأسرة
الأميركية الفظة الغليظة القلب وأقنع نفسه بالزحف
حول الغرف وفي الممرات بخف خفيف وبملحفة
حمراء خشنة يلفها حول عنقه تقيه البرد ، وبقدارة
صغيرة يصد بها هجوم التوأمين .

وفي اليوم التاسع عشر من سبتمبر جاءت آخر
صدمة ، فقد هبط الطابق السفلي إلى البهو العظيم
موقناً أنه سوف لا يجد هنالك ما يزعجه معللاً نفسه
بتسجيل ملاحظات هجوية على صورتي الوزير الأمريكي
وزوجه اللتين حلتا محل صور عائلة كاترفيل ، وكان
يرتدي كفنًا بسيطاً طويلاً قد طرز بطين المقبرة
ويربط شذقه بقطعة مستطيلة من الكتان الأصفر ،
ويحمل قنديلاً صغيراً في يده وفأس سادن الكنيسة
في يده ، وكانت الساعة تبلغ الثانية والنصف صباحاً
والكل كما كان يتصور نيام ؛ فبينما هو متجه نحو
المكتبة ليرى هل بقي أثر لبقعة الدم وإذا شخصان
يقفزان عليه فجأة من زاوية مظلمة ويلوحان ساعديهما
حول رأسيهما وينفخان في أذنه (بو) ، فاحتاطه
الفرع واندفع نحو السلم ولكنه وجد وشنجطون
ينتظره هنالك ومعه محقق الحديقة . ولما رأى نفسه
محاصراً بأعدائه من كل جانب ومكرهاً على التسليم
غاب في الموقد الحديدي الكبير الذي كان لحسن
حظه غير موقد ، وكان عليه أن يجعل طريقه إلى
غرفته خلال معابد الدخان فوصل إلى غرفته في حالة
يرثي لها من الوسخ والاضطراب واليأس

التحرش الأخير فصمم ليقوم بعمل جديد يسترجع
به اعتباره ومركزه الاجتماعي فيزور الصغيرين
السفيهين في الليلة الآتية في زيه المشهور (روبرت
الطائش) . إنه لم يظهر في هذا الزى منذ سبعين عاماً
أي منذ أن أخاف به اللندي (برباره مودش) الجميلة
فاضطرت أن تفسخ خطبتها من جد لورد كاترفيل
الحالي وتفر مع (جاك كاتيلون) الظريف معلنة أنه
لا يوجد في العالم من يكرهها على الاقتران من أسرة
تسمح لثل هذا الشيخ الخفيف أن يخطر في القصر
عند الفسق . مسكين جاك ! لقد قتل على أثر ذلك في
مبارزة نشبت بينه وبين لورد كاترفيل ثم ماتت
برباره محطمة القلب في بلدة « تبردج » قبل نهاية
العام وكان ذلك من توفيق الشيخ .

كانت عملية التنكر جد متعبة إذا جاز لنا أن
نستعير هذا التعبير المسرحي لندل به على ما يتصل
بأحد المظاهر الغامضة الخارقة للطبيعة ، فقد قضى
ثلاث ساعات وهو يستعد ؛ وأخيراً كان كل شيء
على أحسن حال فارتاح كثيراً لمظهره ؛ غير أن (حذاء)
الركوب كان واسعاً قليلاً ولم يجد إلا مهمزاً
واحداً ، ولكنه كان على العموم راضياً كل الرضاء .
وعند الساعة الواحدة وربع انسل من خزانة الثياب
وزحف إلى المر ، وحين بلغ الغرفة التي يشغلها
التوأمين وكانت تسمى غرفة النوم الزرقاء لكثرة
ما فيها من الأشرطة والصور الملونة بهذا اللون ،
وجد الباب منفرجاً قليلاً ولكي يجعل دخوله مؤثراً
انقض على الباب وفتحه على مصراعيه ، ولكنه
لم يشعر إلا بجرة ماء ثقيلة قد صبت عليه فغسلت
كل جسمه ، ثم سمع رنين ضحكات عالية آتية من
الفراش . لقد هزبت الصدمة كيانه المتوتر هزة

بقية أسرتك الفظة الغليظة البربرية الغادرة

— صاحت فرجيننا واقفة على قدميها :

اسبكت ! إنك أنت الفظ الغليظ البربري الغادر. أأنت أنت الذي سرقت مساحيق من صندوقي لتطبع وترخف في المكتبة بقعة الدم ؟ لقد أخذت باديء ذي بدء اللون الأحمر بأجمعه وأخذت معه اللون القرمزي وبذلك لم يعد باستطاعتي أن أترين بألوان الغروب ؛ ثم أخذت اللون الأخضر الزمردي والأصفر وأخيراً لم تترك لي سوى اللون النيلي والأبيض الصيني ؛ وهكذا لم يعد في مقدوري أن أترين إلا بألوان ضوء القمر، هذه الألوان التي لا تسر الناظر والتي ليس من السهل اتقانها. إنني لم أشكك على الرغم من ألي الشديد. وقد أغضبني أكثر من كل شيء أن تجعل بقعة الدم خضراء قرمزية ؛ فهل سمع أحد أن دماً يمكن أن يكون أخضر قرمزيًا ؟

قال الشبح متلطفًا : في الواقع أنك على حق ، ولكن ما الذي أصنعه ؟ إنه لمن الصعب جداً أن يحصل المرء على دم حقيقي في هذه الأيام ؛ وما دام أخوك قد أخذ على عاتقه إزالة البقعة (بدهان بنكروتون) فاني لم أجده بداً من أخذ مساحيقك . لقد كان دم أسرة كانترفيل أزرق وأشد زرقاً من كل دم في انكلترا ، ولكني أعلم أنكم معاشرة الأميركيين لا تكثرثون بالأشياء التي بهذا اللون .

— إنك لا تعرف شيئاً عن ذلك ؛ وأرى أن توسع مداركك وتثقف عقلك ؛ وأعتقد أن والدي لا يمانع في سفرك إلى أميركا. إنك ستلاقي نجاحاً عظيماً في نيويورك ؛ وإنني لأعرف جماعة هناك يدفعون ألف دولار لو يكون لهم جد ، ويدفعون أكثر من هذا

أجاب الشبح وهو ينظر مشدوها إلى هذه الفتاة الجميلة الصغيرة التي جرأت على مخاطبته : إن من العيب أن تطلي إلى صفو العيش . من العيب حقاً ، فأنا مكتوب على أن أقرقع في أصفادي ، وارطن من ثقب المفاتيح ، وأخطر في المساء ، فكيف تطالبين مني أن أريح نفسي من أمور لم أوجد إلا من أجلها ؟ — ليس من معنى لهذا الوجود . وفوق ذلك فأنت تذكر أنك اقترفت جريمة فظيعة . لقد أخبرتنا السيدة (إمى) في اليوم الأول من وصولنا أنك قتلت زوجتك

قال الشبح محتدًا : حسن ! إنني أعترف بذلك ولكن الحادث كان عائلياً بحثاً وليس له علاقة بأحد

أجابت فرجيننا : إنه لأجرام أن تقتل أي شخص

— إنني لأكره الشدة الرخيصة في التأديب . لقد كانت زوجتي جد مهملة فهي لا تحسن يوماً تنشية قبائي ولم تكن تعرف شيئاً عن الطبخ . لماذا ؟ أنا مخبرك ؛ لقد اصطدت يوماً غزالاً من أجنة (هوجلي) أتدري كيف وضعت على مائدة الطعام ؟ ولكن لا ليس من الضروري الآن . لقد انتهى كل شيء ، وإنني لأحسب أنه يجعل باخوانك أن يمتوني جوعاً لأنني قتلتهما

— يمتونك جوعاً ! آه يا سيدي الشبح ! لا بل أريد أن أقول السير سيمون ! هل أنت جائع ؟ إن في صندوقي (سندويتش) أحب السندويتش ؟

— لاء أشكرك . إنني لا آكل شيئاً الآن على كل حال . هذا لطف عظيم منك . وإنك لأفضل من

أظلمت عينا فرجينا بالدموع وخبات وجهها
في يديها ثم قالت متممة :

— إنك تعنى حديقة الموت

— نعم الموت ! يجب أن يكون الموت جميلاً كل هذا الجمال . جميل أن يستريح الانسان في الأرض

الناعمة السمراء والعشب يتموج فوق رأسه مصغياً
للهدوء الشامل . جميل ألا يكون لنا أمس ولا غد !

جميل أن نسي الزمن ونعفو عن الحياة فنظل في سلام .
إنك تستطيعين مساعدتي لأن الحب معك دائماً والحب

أقوى من الموت .
ارتعشت فزجينا وسرت في جسمها قشعريرة
باردة وسادت السكينة لحظات قليلة . لقد شعرت

كانتها في حلم مزعج .
عندئذ عاد الشبح إلى الكلام وكان صوته أشبه
بأنين الريح :
— هل قرأت مرة النبوءة القديمة المنقوشة على

نافذة المكتبة ؟
فصاحت الفتاة الصغيرة رافعة بصرها : أوه
كثيراً ما أقرأها ، وأني لأعرفها جيداً . إنها منقوشة
بأحرف سوداء غريبة ومن الصعب قراءتها وهي
سنة أسطر ونصها :
« حينما تستطيع فتاة كالعسجد أن تستخرج
صلاة من بين شفتي الخطيئة ؛

حينما تحمل شجرة اللوز اليابسة ،
وتسخر طفلة صغيرة بالدموع ؛
عندئذ يعم القصر الهدوء
ويعود السلام إلى كاتريفيل «
ولكني لا أعرف ماذا تعني هذه الأبيات .
فأجاب باكتئاب - تعني أنك يجب أن تبكي

ماحولها، وإذا بها تشعر كأن يداً تجذبها من ثيابها،
فصاح الشبح: (اسرعى اسرعى وإلا وصلنا متأخرين)
وفي لحظة أغلق الجدار ذو النقوش خلفهما وخت
الغرفة .

وبعد عشر دقائق دق الجرس لتناول الشاي
فلم تحضر فرجينيا، فأرسلت السيدة أوتس أحد الخدم
في طلبها فعاد بعد قليل وقال إنه لم يجد الأنسة
فرجينيا في أى مكان . ولما كان من عادتها أن تخرج
إلى الحديقة كل مساء لتقطف ورداً لمسائدة الطعام
فان السيدة أوتس لم تهتم بادىء ذي بدىء، ولكنها
أخذت تضطرب حين دقت الساعة السادسة ولم تظهر
فرجينيا، فأرسلت الأولاد ليفتشوا عنها خارجاً بينما
أخذت تفتش هي وزوجها في كل غرفة في القصر
وقد عاد الأولاد عند الساعة السادسة والنصف
يقولون إنهم لم يتركوا مكاناً لم يفتشوه ولكنهم لم
يجدوا أى أثر لشقيقتهم .

إنهم الآن جميعاً في أشد حالات الاضطراب
لا يدرون ماذا يصنعون؛ وفجأة تذكر السيد أوتس
إنه سمح للجماعة من النور منذ أيام قليلة أن تخيم في
جهات القصر وإن هذه الجماعة قد رحلت إلى ضاحية
(بلاك فيل)، فركب في الحال هو وولده البكر مع
خادمين إلى تلك الضاحية ليتحرى بين النور عن
الفتاة وقد طلب الدوق شيشر وكان عظيم القلق على
فرجينيا أن يسمح له بالذهاب أيضاً، ولكن السيد
أوتس لم يأذن له بمراقبتهم لأنه كان يخشى وقوع
اصطدام هنالك .

وحين وصلوا المكان وجدوا النور قد رحلوا،
وكانت الآثار تدل على أنهم رحلوا فجأة ومنذ وقت

من أجلي ومن أجل ذنوبي لأنه ليس لدى دموع،
وتصلى من أجل نفسى لأنه ليس عندي إيمان؛
وعندئذ يرحمنى ملك الموت من أجل جمالك وصلاحك
وأدبك . إنك ستشاهدين في الظلام أظلالاً مخيفة،
وستهمس أرواح خبيثة في أذنك، ولكنها سوف
لا تؤذيكم لأن قوى جهنم لن يمكنها أن تغلب على
طهارة طفلة صغيرة

— لم تجب فرجينيا . ففرك الشبح يديه بيأس
قاتل وهو ينظر إلى رأسها المنحني الذهبي، ولكنها
وقفت فجأة شاحبة اللون ينبعث من عينيها نور غريب
وقالت في حزم: إننى لا أخاف وسأطلب إلى الملك
أن يرحمك

فهض من مقعده يصيح صيحة غبطة لطيفة
وانحنى على يدها يقبلها بلهفة ورشاقة . كانت أصابعه
باردة كالثلج، وشفتاه مشتعلتين كالنار، ولكن فرجينيا
لم تتلصق حين أخذ يقودها وسط الغرفة المظلمة

لقد أخذ الصيادون الضغار الذين طرزت
صورهم على القماش المعلق الباهت ينفخون بأبواقهم
ذات الديول ويشيرون إليها بأيديهم الصغيرة لترجع:
(ارجعنى يا فرجينيا ارجعنى) ولكن الشبح شد على
يدها وأشاحت هي عنهم بوجهها ثم أطلت من
مدخنة في الجدار حيوانات هائلة بأذنان سحابة
وعيون جاحظة رمقها وتتمتم: (كونى على حذر يا فرجينيا
الصغيرة! كونى على حذر! قد لا نراك مرة ثانية)
ولكن الشبح انسل مسرعاً، ولم تصغ فرجينيا لأحد.
وحين وصلا إلى نهاية الغرفة وقف يتمتم ببعض
كلمات لم تفهمها ففتحت عينيها وأبضرت الجدار
ينقشع شيئاً فشيئاً كما ينقشع الضباب فاذا أمامها
كهف عظيم أسود، وإذا بريح شديدة باردة. تكنس

يعلم منه شيئاً؛ غير أن المدير أبرق لجميع المحطات وطمأن السيد أوتس أنهم سوف لا ينقطعون لحظة عن التحري عنها. وبعد أن ابتاع السيد أوتس قبعة للدوق الصغير من أحد المخازن وكان صاحبه على وشك إغلاقه أتجه إلى (ميكلي) وهي قرية تبعد أربعة أميال عن (اسكوت) ويقيم فيها النور عادة؛ فلما وصلوا إليها قصدوا البوليس الريفي ليستعلموا منه عن فرجينيا، ولكنه لم يقدم شيئاً. وهم بعد أن تنقلوا في كل الساحات العامة والخاصة حولوا أعنة خيولهم إلى القصر وقد أنهكهم التعب وحطم قلوبهم الفشل فوجدوا وشنجطون والتوأمن في انتظارهم عند مدخل القصر يحملون المضايح

لم يظهر أثر لفرجينيا. لقد قبض على الفجر في مرج (بروكلي) ولكنها لم تكن معهم وقد عللوا رحيلهم المفاجئ أنهم أخطأوا في تاريخ موسم (تشورتين) فاضطروا إلى الرحيل على عجل خوفاً من التأخر. وفي الحق لقد أظهروا غاية الأسف حينما سمعوا بضياع فرجينيا لما يحفظون للسيد أوتس من جميل منذ أن سمح لهم بالإقامة في أراضيه، وقد تطوع أربعة منهم للمعاونة في التفتيش عنها

وأخيراً وبعد أن ذهب كل مجهود عبثاً أصبح في حكم الثابت أن فرجينيا قد فقدت.

دخل السيد أوتس والأولاد القصر فالتقوا في القاعة بجماعة الخدم الفرعين، ثم دخلوا غرفة المكتبة فاذا بالسيدة أوتس قد ارتعت على المقعد الكبير يكاد الحزن يفقدها الوعي، والقهرمانة تفرك جبينها بماء الورد، فألح عليها السيد أوتس أن تتناول قليلاً من الطعام وأمر بتهيئة العشاء للجميع. لقد جلسوا للطعام وهم في حزن لا يوصف؛ حتى التوأمان كانا

قصير، لأن نارهم كانت لا تزال في اشتعال وعدداً من أطباقيهم ملقى على الحشائش، فأرسل الوزير ولده والرجلين ليطوفوا في المقاطعة متقبين، وعاد هو إلى المنزل على عجل وكتب برقيات إلى جميع مفتشي البوليس في المقاطعة يطلب إليهم أن يتحروا عن فتاة صغيرة خطفها المتشردون أو خطفها النور. ومن ثم طلب أن يهيا له جواده؛ وبعد أن ألح على زوجته وأولاده أن ينزلوا ويتناولوا غداءهم ركب وسار في طريق (اسكوت) يرافقه السائس. وما كاد يسير ميلين حتى سمع شخصاً يعدو خلفه، فنظر حوله فأبصر الدوق الصغير قائماً على مهره مغبر الوجه عارى الرأس.

لهت الولد قائلاً: إني لأسف جداً ياسيد أوتس ولكني لا أقدر أن أتناول أى غداء وفرجينيا ضائعة. أتوسل إليك ألا تغضب على. لو كنت وافقت في العام الماضي على عقد خطبتنا لما حدث شيء من هذا الازعاج. سوف لا تأمرني بالرجوع. أتأمرني؟ إني لا أستطيع أن أعود ولا أريد أن أعود.

لم يمالك الوزير نفسه من الابتسام لم رأى هذا الشاب الطائش الظريف وقد أثر فيه حبه العظيم لفرجينيا فأنحنى عن جواده وربت بلطف على ظهره وقال: حسن ياسيسيل! إذا كنت لا تريد أن تعود فمعنى ذلك أنك تحب أن ترافقني ولكن على أن أبتاع لك قبعة من (اسكوت).

صاح الدوق الصغير مبتسماً: أوه لا تزعج نفسك بقبعتي إني أريد فرجينيا.

وسارا ينهبان الأرض إلى محطة سكة الحديد، وهناك سأل السيد أوتس مدير المحطة إذا كان أحد شاهد فتاة بأوصاف فرجينيا على الرصيف، ولكنه لم

إلى فتحة الجدار تقودهم في ممر ضيق سرى وفي يد
وشنجلون قنديل تناوله عن المنضدة . وأخيراً وصلوا
إلى باب كبير من سنديان قد رصع بمسامير غليظة
فما لسته فرجيناً حتى فتح على مصراعيه ، فإذا بهم
يجدون أنفسهم في غرفة صغيرة واطئة معقودة
السقف قد تمدد على أرضها الحجرية هيكل عظمي
هزيل ، فركت فرجيناً إلى جانبيه وأخذت تصلي
بهدهوء ضامة يديها الصغيرتين إلى بعضهما والأسرة
تنظر دهشة إلى هذه المأساة المزعجة التي أخذ ينجلي
لها سرها .

وخجأة أعلن أحد التوأمين وهو يطل من النافذة
ليتحقق في أي جناح من القصر قامت الغرفة .
اسمعوا ! إن شجرة اللوز الكبيرة اليابسة قد نورت ؛
إني أرى الأزهار واضحة على ضوء القمر .

قالت فرجيناً برزانة وهي تنهض على قدميها
ونور جميل يضيء وجهها : لقد غفر الله كل ذنوبه
صاح الدوق الصغير : يالك من ملاك طاهر !
وطوق عنقها بذراعيه وقبلها .

بعد هذه الحوادث المفجعة بأربعة أيام خرجت
جنازة من قصر كانترفيل حوالي الساعة الحادية
عشرة مساءً وكان النعش محملاً على عربة يجرها
ثمانية جياد سود ومغطي ببساط أرجواني ثمين
قد طرز عليه بالذهب ثوب كانترفيل الحربي . وسار
الخدم إلى جانب النعش والعربة يحملون المصابيح .
وفي الحق كان الموكب يبعث الرهبة والخشوع في
النفوس .

وكان اللورد كانترفيل الذي حضر من (ويلز)
ليشارك في الجنازة أول المؤمنين . وقد جلس

واجين ذاهلين . وحينما انتهوا أمرهم السيد أوتس أن
يذهبوا جميعاً إلى الفراش قائلين إنه لم يعد في الأماكن
عمل شيء آخر الليلة . وأنه سيرق في الصباح إلى
(اسكوتلاند يارد) لتتشر العيون في كل مكان .

وبينما هم خارجون من غرفة الطعام دقت ساعة البرج
مشعرة بالتصاف الليل ، وحينما دقت الدقة الثانية عشرة
سمعوا صوت انكسار أعقبته صرخة رنانة ، ثم هز
القصر هزيم رعد مخيف ، وطاف في الهواء لحن علوي ،
وإذا بفتحة تظهر في الجدار عند أعلى الدرج ، وإذا
بفرجيناً تخرج منها شاحبة اللون جداً وفي يدها
قبة صغيرة فاندفعوا نحوها جميعاً وطوقها السيدة
أوتس بذراعيها في حنان ، وكم الدوق أنفاسها بقبلة
متقدمة ، وأخذ التوأمين يرقصان حولهم رقصاً غريباً .
قال السيد أوتس مغضباً حاسباً أنها كانت
تمازحهم — يا إله السماء ! وأين كنت أيتها الطفلة ؟
لقد ركبت أنا وسيسيل نفتش عنك المقاطعة بأسرها ،
وكاد يقضي الأسى على والدتك . يجب ألا تعودى
إلى مثل هذه المهازل بعد الآن .

صاح التوأمين وهما يقفزان — إلا مع الشبح
إلا مع الشبح .

تمت السيدة أوتس وهي تقبل الطفلة المرتعشة
وتمسح على رأسها : أشكر الله يا عزيزتي أنا وجدناك .
يجب ألا تتركي جانبي بعد الآن .

قالت فرجيناً مبينة : لقد كنت مع الشبح
يا بابا ! لقد مات . ويجب أن تشاهده . لقد اقترف
ذنوباً كثيرة ولكنه تاب أخيراً توبة نصوحاً وقدم
لي هذا الصندوق الممتلئ بالجواهر قبل أن يموت
تفرست فيها الأسرة بدهشة خرساء ، ولكنها
كانت تتكلم برزانة وجد ؛ ثم تحولت قليلاً وسارت

2017-11-15 15:04:13

— أعلم ذلك ولكن أنا يجب أن أخبريني .
أرجو ألا تطلب مني ذلك . إنني لا أقدر أن
أخبرك بشيء . مسكين السير سيمون ! إنني لمدينة له
بكثير . نعم لا تضحك ياسيسيل . إنني لمدينة له حقاً .
لقد أطلعني على سر الحياة والموت وعلمني كيف يكون
الحب أقوى من الحياة والموت .
نهض الدوق وطبع على فم زوجته قبلة حارة
وتتم :
— يمكنك أن تحتفظي بسرّك ما دمت أحتفظ
بقليك .

إنك تحتفظ به دائماً ياسيسيل .
— وإنك ستخبرين أطفالنا يوماً ما . أليس كذلك ؟
فاحمري وجنتا فرجينا حياء .
(شرق الأردن) ترجمته (بشر الميرقي)

تاریخ الأدب العربی

للأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط
يعرض تاريخ الأدب العربى منذ نشأته إلى اليوم
في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة
ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

لقد ضاق السيد أوتس كثيراً برفض لورد
كاثر فيل هذا وزجاء أن يراجع رأيه ، ولكن اللورد
التبيل ظل مصراً على رأيه ، فاضطر الوزير أخيراً
أن يسمح لابنته أن تحتفظ بهدية الشبح
وفي ربيع عام ١٨٩٠ حينما مثلت دوقة شيشر الشابة
بمناسبة زواجها أمام الملكة كانت حليها موضوع
إعجاب العالم أجمع . لقد اقترنت فرجينيا بعشيقتها
الشاب حين بلغت سن الرشد . وقد بلغ من فتنة
العروسين وحبهما لبعضهما أن كل شخص اغتبط
لهذا القران اللهم إلا مركيزة (دويليون) العجوز
التي كانت تعمل لاقتناص الدوق زوجاً لإحدى
كريماتها السبع الأوانس وقد أقامت لهذه الغاية
ما لا يقل عن ثلاث دعوات .

وعند ختام شهر العسل عاد الدوق والدوقة إلى قصر كانترفيل ؛ وبعد ظهر اليوم الثاني من وصولهما زارا قبر السير سيمون وثرأ عليه وروداً جميلة نضرة وبحثاً فيما يجب أن ينقش على شاهد القبر ؛ وأخيراً قررا أيهما أن يكتفى بنقش اسم السيد القديم والآيات المطبوعة على نافذة المكتبة ؛ وبعد أن طافا في محراب الدير القديم الحرب جلست الدوقة على عمود متهدم وتمدد زوجها عند قدميها يدخن ؛ وفجأة رمى سيجارته بعيداً وتناول يدها وقال لها :

— يافرجينا ! إن الزوجة لا ينبغي أن تخفى شيئاً
عن زوجها .

— يا عزيزي سيسيل إني ما أخفيت عنك شيئاً
أجاب مبتسماً — بل إنك لتخفين أنك لم تخبرني
ماذا كان بينك وبين الشيخ حين اختليت به .
أجابت فرجيناً جادة : إني لم أخبر أحداً بذلك
يا سيسيل .

الفتاة التي سلبتني ولدي

مترجمة عن الانجليزية

بتم اميل فرج

من العمر ستة أسابيع
حتى مات زوجي العزيز.
فقدت بموته كل أمل
لي في الحياة وانهارت
الأحلام الذهبية من
أساسها وخيل لي في ذلك
الوقت أن يداً خفية
جبارة تصرعني بقسوة

وعنف، ولكن... وسط الدموع الغزيرة والأحزان
المستبعدة تراءى لي وجه هاري الصغير وهو يتسم
ابتسامته الملائكية فاسترجعت صوابي وعزمت على أن
أعيش... أجل أعيش من أجل ولدي العزيز. لأنه
يحتاج إلى حناني.

ونشأ هاري الصغير دون أن يعرف شيئاً عن أبيه
الراحل، ولذلك كنت له أبا وأماً ومنحته كل مجهودي
وحبوبي لأنني أيقنت أنه مفتقر إليهما... لقد كان
هاري الصغير حياتي التي أحيأها... كان روحي التي
تردد في جسدي... كان كل نصيبي في الحياة
وهكذا مررت الأسابيع مملّة ثقيلة، ولكن تمكن
طفلي العزيز بعد مدة أن يملأ هذا الفراغ الموحش
الذي كان يضايقني ويبدد الظلام الدامس الذي كان
يسود حياتي... ومررت السنوات وتتابعت الأيام
وأصبح هاري رجلي الحبيب الوحيد وكنت به
سعيدة قانعة...

واعتقدت في ذلك الوقت أنني مثال الأم الرحيمة
الحنون. ولكنني وجدت نفسي مخطئة فقد منحت
هاري حياتي ولذلك أردته أن يكون لي وحدي...
أهي الأثرة وحب النفس الذي جعلني هكذا...؟
ربما، ولكنني لم أكن لأدرك هذا في ذلك الوقت إذ
(٤)

« أهي غيرة امرأة أم حب أم الذي جعلها
تمقت الفتاة التي أحبت ابنها الحبيب...؟ »

كان هاري جرائت فقيراً معدماً عند ما تبادلنا
حباً جنونياً جارفاً، وكنت أنا في العشرين من
عمرى فتزوجنا... فولد زواجنا في نفسه حلمًا رائعًا
جميلًا ورغبة ملحة قاهرة في أن يفتني، ولذلك عزم
على مبارحة إنجلترا إلى أمريكا ليحرب حظه فيها.
إن صوته الآن ليبلغ أذني من بعيد فيردد قلبي
صداء في ثورة مكتومة حبيسة، وعيناه... إلى
لأراها ترتفعان في الفضاء أمامي في تساؤل حبيب
وهو يقول:

— هل تراقبيني يا لوسي في رحلتى إلى
أمريكا...؟

— سأكون معك في أي مكان يا حبيبي...
سأرافقك إلى أقصى العالم... سأتابع معبودي
الفريد:

وهناك في أمريكا وبالرغم من كراهيتي للطهي
والحياكة، وبالرغم من مزاجي الحاد المتقلب فقد طابت
لنا الحياة، واغتنينا لأن الحب والشباب كانا يولدان
فيينا قوة هائلة لا تقهر.

ولكن... لم يكد طفلنا هاري الصغير يبلغ

شيئا من ذلك لم يحدث وأخيراً سمعته يقول :
— لقد مضى هذا الوقت يا أماء ... إنك
تتكلمين عن الماضي ... إنني ابن هذه اللحظة ...
لقد ولدت من جديد ...

ثم ... ثم غاب عن نظري ...
كنت مطمئنة برغم ذلك لأننا سرعنا إلى لندن
حيث يستطيع هاري أن ينسى فتاته الطريفة ذات
العينين الواسعتين العميقتين والشباب الغض الفاتن،
وينظر لأمه المسكينة التي قضت أتعس زهرة في حياتها
وفي اللحظة الأخيرة قبيل رحيلنا رحت أتلهي
بالنظر من خلال النافذة وما كدت أفعل حتى
رأيت ماري تميل على هاري وتقبله في وجنتيه
فيضمها هو بدوره ضمة حارة ويقبلها قبلة طويلة عميقة
لم أستطع أن أحتمل هذا المنظر لأنني كنت
أفضل أن أتعذب أمر العذاب ولا أراها تقبله ...
لقد كرهتها كاللوت، ومقتها كجهنم، وشعرت في هذه
اللحظة أن الغيرة تجتاح قلبي في عنف وثورة
ثم أقبل هاري فرحاً مغتبطاً ولم يعرف المسكين
أن كلماته التي فاه بها بعد لحظة قد وقعت على رأسي
وقوع الصاعقة ...

— ماما ... ماما ! ستذهب ماري إلى لندن
ولذلك سترافقنا في رحلتنا ...
فأجبت بوحشية ثائرة :

— سوف لا تذهب هذه الفتاة إلى لندن ...
سوف لا ترحل معنا ... أفهمت ما أقول ؟
— ولكنها سترحل معنا يا أماء وقد وعدتها
بذلك ... إنها جميلة ماهرة ... وهي المرأة الوحيدة
القادرة على أن تجعل السعادة تغمر قلبي ، فهي تعمل
كل شيء في سبيلي ومن أجل ...
وما كدت أسمع كلماته هذه حتى انتفضت واقفة
كحيوان حبيس وقلت صارخة :
— ماذا تعني أيها الطفل ؟

الفتان ، إلا أن كبرياءها وعزة نفسها أقامت حاجزاً
شفافاً بينها وبين أم الشاب الذي تحبه ...
كانت تخبرني بأدب وكياسة أن أعني فقط
بشئوني ولا أضايق الآخرين ، فأقول لنفسى حينئذ
إنها خبيثة ماكرة ، ولذلك كنت أخشى حبها لولدى
العزير الوحيد .

وفي آخر يوم من أيام زهتنا في الرشييرا
جلست في غرفة نومي أنتظره لأبذل آخر مجهود
لاسترجاعه إلى أحضاني . فتجملت وتأنقت في ملبسي
حتى أظهر أمامه جميلة مقبولة . وفي منتصف الليل
أقبل هاري بابتسامته الحلوة الحبيبة هاتفا :

— هالو ماما ...
وحينئذ نظرت إليه فشعرت بالدموع تترقق
في عيني شفقة به ورثاء له ثم قلت :
— أظن يا هاري أن الانسان يجدر به أن
يواجه الحقائق كما هي ... لقد أصبحت لا تحب
أمك لأن قلبك قد علق فتاة تكرهني كل الكراهة ؛
لقد انكسر قلبي وخاب أمني ...
ونظرت إليه فرأيت أنه ينظر خلال النافذة نظرة
حالة مفكرة ، فقال دون أن يلتفت إلي :
— أنت مخطئة يا أماء في ماري ... هي
لا تكرهك ... هي ... لماذا ؟ ... هي لا تفكر
فيك مطلقاً ...

فقلت متحملة هذه الالهانة بجلد وصبر ، ولكني
لم أتمكن من جعل صوتي مستقيماً رائقاً :
— وأنت يا هاري ... ألم تعد تفكر في أمك
العزيرة التي كانت لك كل شيء في العالم ، في مدى
العشرين سنة الماضية ... أنسيتني يا هاري ...
يا ولدى العزير ؟

وانتظرت على مضض ... انتظرت أن يسجد
الابن أمام أمه الحبيبة ليعتذر إليها ويؤكد لها حبه
وإخلاصه كما كان يفعل هاري من قبل ، ولكن

— لقد كنت أفضل أم في العالم ... ولكن حياتي يا أماء ... سأسير في الطريق الذي أراه لنفسى ؛ اننى أرجو منك ألا تتدخل في شئوني مرة أخرى .. إننى حر ... حر لأن حياتي ملكي وحدي لا ينازعني فيها منازع ... حاولي يا أماء أن تأخذى الأشياء كما هى .

ثم قال ببطء وصوته يتهدج :

— لقد جاهدت أيتها الأم العزيزة ولكنك فشلت ... وهذا ما يحزننى .

— أيمكن أن يكون هذا حقيقة ؟ هارى العزيز الذى من أجله ضحيت كل حياتي يخاطبني الآن بهذه اللهجة القاسية ... ما أعظم تعاستي وشقائى ...

وقد تعهدت أمام الله ونفسي ألا أغفر لمارى ريفرز ما فعلت ... سوف لا أحبها ولا أصادقها مطلقاً ... مطلقاً ...

وكان عهدي هذا هو العار الأبدى الذي ظللنى بظله الظلم المقبوت طيلة حياتي، وسيرافقني لعنة أبدية إلى قبري . لأننى حافظت عليه ...

ومرت الأيام متتابعة كنغمة تتكرر فى إحدى الأوبرات الثقيلة المملة ، وكنت لا أزورها منذ تزوجا إلا لما ، فهارى أدمن الخمر وأصبحت لا أراه إلا قليلا ، ومارى أخذت تلهو بسيارتها الصغيرة تقودها بسرعة جنونية مخيفة هابطة نحو المدينة أو آتية منها طيلة النهار

وفى يوم من أيام الربيع الجميلة زارنى هارى وزوجته وقد غرما على أن يقضيا يوم عطلة فى إيست بورن ...

كانت مارى جميلة فى هذا اليوم بكل ما فى هذه الكلمة من معان ، رائعة فاتنة ... فكانت فى شعرها الأسود الجميل وعينيها اللامعتين اللتين تنطقان

— ستقترن بي مارى

— هارى .. إنك مجنون يا ولدى ، لأنك ستزوج من فتاة لم تعرفها إلا منذ أسابيع . ستلوك الأفواه سيرتك ، وستتناولك الألسن بالهزاء والسخرية .. ارجع لصوابك يا هارى وكن ابني الطيع كما عهدتك ...

— دعهم يتكلموا يا أماء فانى لا أعبأ بهم ولا بمحدثهم مادمت أحب مارى وهى تحبني ... عند ذلك انفجرت باكىة بكاء مرأاً لم أعرفه منذ وفاة زوجي العزيز ثم قلت :

— أنت مجنون يا هارى .. مجنون حقاً ... وكان الحزن قد أخذ منى كل مأخذ ، والغيرة كانت تفرى عظامي بوحشية رهيبة ... وقلبي ... وقلبي شعرت به يقف عن الحركة ، وكأن نصلاً حاداً اخترقه بعنف فتمزق ، لأن هارى سيفر من يدي ... ثم تمالكت نفسي وقلت بحرارة ...

— هارى ... ولدي ... كيف تزوج من فتاة لا تعرف من هى وما أصلها . ؟ لابد أن تكون فقيرة معدمة ، وإلا لما بذلت هذا المجهود الهائل لاقتناصك ... كل الناس سيقولون إنك ضحية غريزة ضعيفة ...

— هذا لا يعنهم ... مارى يقيمة ... لقد عرفت مارى جيداً وأظنها هي المرأة الوحيدة القادرة على أن تجعلني سعيداً ... سعيداً جداً يا أماء ... سأزوجها .. أجل سأزوجها وأرجو أن تحبها بعد ذلك — مطلقاً ... مطلقاً ... سأكرهها ... سأمقتها ... ستكون عدوى اللدود ... هارى إنى أمنعك أن تزوج من فتاة ...

— كفى يا والدتى ... لا تنطقي بشئ تشدمين عليه فيما بعد ... ثم قال وكأنه ينظر فى آفاق بعيدة مجهولة :

من الذى مات ...؟ من الذى ذوى كشمعة فى
مهب الرياح؟ ... لا يمكن أن يكون هارى ...
هارى الذى كان مثلاً حياً جيلاً للشباب الفاضل
اليانع ...؟ لا ... لا ... لا يمكن أن يكون
هذا حقيقياً . أخبرنى ثانية يا دكتور ... أخبرنى
ثانية ماذا تعنى ...؟

وأخيراً وقف الرجل أمامي وأخبرنى بحزن
عميق أن مارى كانت تسوق السيارة بسرعة جنونية
عندما اعترضها حاجز مرتفع فانقلبت بهما السيارة ،
فهارى مات ومارى أصيبت ببعض جروح ...
— هارى يموت ومارى تبقى حية ؟ ! كانت
تسوق السيارة . أجل هي التى قتلتها باهالها الفظيع .
ليعاقبها الله ... ليعاقبها الله ...

فأجابني الدكتور بصوت خافت مرتعش :
— لقد عوقبت ياسيدي ... لقد كسر ظهرها
ثم أمسك يدي المتصلبتين بوحشية مرعبة
وجعل يكفكف الدموع الغزيرة التى انهمرت كالطرر
الغزير ...

كم أنا حزينة ... وكم أنا شقية ... لقد قتلتها
اللعينة ... لقد قتلت وحيدى .. حياتي ... رجلى ...
ومررت على ساعات مظلمة حالكة مليئة بالأحزان
طافحة باللوعة ... كنت أخاطب نفسي فيها قائلة :
— سأنتقم لك يا هارى ... سأنتقم لك يا ولدي
لقد قتلتك الملعونة فعلها لعنة الله

وقد رأيتها واقفة أمام المحكمة تدلى بجريمتها ،
فاعترفت أنها كانت تقود السيارة بسرعة جنونية ،
ولكنها عند ما قيل لها إنها هي المسئولة الوحيدة عن
وفاة زوجها ... اهتزت الفتاة ... اهتزت من الأعماق
وصار وجهها باهتاً ترسم عليه علامات الألم الصارخ
والحزن العميق ... ثم انتهت المحاكمة وبرئت الفتاة
المجرمة التى قتلت ولدي ... عند ذلك لم أحتمل الصدمة

بمعان عميقة بعيدة ... ويديها الرقيقتين وقدها
الرشيق الساحر ... كانت تمثل ملاكاً من الحسن
والجمال هبط الى الأرض ليؤدى رسالة حية خالدة
في الفتنة والاغواء .

وقبلني هارى ضاحكاً فرحاً ، ولكنى شممت رائحة
الخر تنبعث بشدة من فمه ، ثم قال لي إنه يريد أن يخبرنى
بخبير سار عند رجوعه من نزهته ، وما كادت
مارى تسمعه حتى ابتسمت ابتسامة رزينة ولم تنبس
بكلمة لأنها لا تحادثنى إلا قليلاً ... فكانت رزانتها
ونظراتها الثابتة العميقة تزيد من حنقي عليها وكرهتى
لها ... وأخيراً ذهباً لنزهتهما

لا أدري كيف أكتب البقية الباقية من سلسلة
عذابي المرير ... أهى الذكرى أسطرها لتفرج
من كربتي أم هي حياة حافلة بالظلم والغيرة قضيتها
واسترجعها الآن فى مخيلتي لأشعر باللعنة تسحق
عظامي والندم يكوى قلبي ؟ ... لا أدري . وإنما
أدري أنى معذبة شقية ...

وفى عصر هذا اليوم المشؤوم فوجئت بزيارة
الطبيب بورت الذى ساعدنى فى ولادة هارى ، كانت
نظراته حزينة كثيفة رأيت خلالها دفيناً وحزناً
بالغا فسألته جافلة :

— ما الذى حدث يا دكتور ...؟ أجبني بربك
ماذا حدث ...؟

— لا شيء يا عزيزتي ... إنما هناك
حادث مروع

عندئذ صرخت من أعماق قلبي :
— هارى ... هارى ... أخبرنى بسرعة
هل هارى بخير ؟ ...

— هارى سعيد يا سيدتي ... آه ... لقد ...
لقد ... مات ولدك المسكين ...

— مات ... مات ... ماذا تعنى أيها الرجل ..؟

— لن أرحمها .. لقد أذاقتني مر الحياة ، ولذلك سأعذبها .. سأمقتها
— إنك لا تعذبينها وحدها ياسيدتي .. فإن امرأة ابنك ستصير أمًا عما قريب

— ما .. ماذا تقول يادكتور !.. ماذا تقول ؟ شعرت في هذه اللحظة أني أهتز بكليتي اهتزازاً عنيفاً كأنني ريشة في مهب الرياح ... إذن الخبر المهم الذي أراد هاري أن يقوله لي هو .. هو هذا الخبر . يا إلهي لم يعيش هاري العزيز حتى يرى ابنه وفلذة كبده يدرج على الأرض ... لم يتمتع بشبابه ولم ير السعادة التي تصبو إليها نفوس الآباء ...

ولأول مرة في حياتي صرخت من الأعماق وبكيت بدموع الحزن الذي لا يفنى ، والألم الذي لا يسكن ... بكيت من أجل ذلك الطفل اليتيم الذي حرم عطف الأبوة ... فإشقاقي من امرأة رمتها الأيام ذرة مضطربة في هذا المحيط الواسع الشاسع فتقلبت في أجواء قاتمة مظلمة ، وراحت تتقاذفها أعاصير الحياة القاسية المريعة بوحشية وقسوة . بكيت بحرارة ولكني لم أبك من أجل ماري ، لأنني لن أنسى لها جريماتها ، ومع ذلك تمنيت لها الشفاء من أجل الطفل اليتيم الذي يعيش في أحشائها ... ولذلك انتظرت قرار الدكتور الذي أخبرني أن ماري في حالة سيئة ، وستلد بصعوبة ... وبهذه الكلمات القاسية امتلأ كأس شقاقي حتى فاض وأغرقني ، ولم أعد أحتمل ... لم أعد أحتمل

لم أستطع أن أجلس إليها إلا بعد مدة ... وكانت وقتذاك مضطجعة على ظهرها بهدوء على فراش المستشفى البسيط . كانت كالحمامة الهزيلة الضعيفة ... ولكن عينيها ظلتا عميقتين ساحرتين لم يحب بريقهما ولم ينطقن نورهما ... وشعرها الاسود الجليل ... كان متهدلاً باهتال لطيف فوق الوسادة .. كانت نبيلة في رقتها رائعة في نظرتها ... حينئذ لم

فجلست على مقعد خارج المحكمة فرأيتها أممي شاحبة الوجه منكسرة النفس ... فنظرت إليها وصرخت في وجهها بعد أن هزرتها هزاً عنيفاً ثم صحت بها :
— سأقتلك أيتها المجرمة ... سأقتلك لأنك قتلت ولدي الوحيد ...

كانت الفتاة أقوى مني لأنها شابة في عنفوان الشباب ... كانت تستطيع أن تطرحني أرضاً ولكنها ظلت صامتة حزينة ، وكان وجهها الحزين يمثل الألم الصامت النبيل وترسم عليه علامات غريبة غامضة كافية لأن تبعث في أقسى القلوب الشفقة والرحمة ثم ... ثم رأيتها تترنح وتسقط على الأرض بقامتها المديدة ووجهها النبيل أبيض كالثلج ... لقد تمددت على الأرض فاقدة الوعي ، وكانت حتى في إغمائها نبيلة هادئة رزينة

أجل لقد انتقمتم بعض الشيء ... لقد جعلتها تتألم ... لقد جعلتها تعرف أنني سأنتقم ، حسن ، سوف نرى ...

لا أدري أيهما يستحق عطف الناس وأيهما يستحق سخطهم ... أمي الأم التي تحزن لوفاة ابنها وتنتقم له من قاتله ... أم الفتاة التي قتلت زوجها ؟ لا أدري ... ولكني حالاً ترنحت ماري رأيت وجوهاً كثيرة ترتفع أممي ساخطة لاعنة ، وعيوناً تنظر إليّ باشمئزاز وجفاء ... ولكن هذه الوجوه وتلك العيون الظالمة راحت تواسي تلك الفتاة المجرمة الممددة أممي ... راحت تعطف عليها وتعهدها بالرعاية والحنان ... ربى ! أى عدالة تلك التي تعاقب البري وتبرئ المجرم ؟ ..

وفي هذه اللحظة سمى إليّ الدكتور — صديق القديم — متجهماً الوجه ، وفي صوته رنة مريرة من التأنيب والغضب

— ماذا فعلت ياسيدتي ؟ .. كان يجب أن ترحمي هذه الأرملة البائسة ... لقد سلكت معها مسلكاً شائناً

أتمالك نفسي من أن أحنو عليها قليلا فقلت لها :
— إننى آسفة ...

فقاطعنى بابتسامة لطيفة صافية

— لا تأسنى فكل شيء قد مضى ... مضى
كلهم رائع دأب خيالى حينما ثم ولى ... ولى يا عزيزتى
كما ولى الرجل الذى أحبيناه معا ... هناك طفل ...
طفل سيتطلب حنانك وعفوك ...

— لا تخافى يا ماري ...

— ولكن كيف ... كيف ؟

— لقد أعددت كل ما يلزم وستنتقلين إلى
منزلي حالا تستطيعين الحركة وتعيشين معى حتى
تتحسن حالتك وتلدى ...

وعند ذلك أجابتنى بانفعال وقد تصاعد الدم إلى
وجهها الشاحب الجميل :

— لا يمكننى أن أذهب معك يا سيدتى ...
لا ... لا يمكن أن أكون عالة على غيرى ؛ أجل
لا أحب أن أكون حملا ثقيلًا بغيضًا فوق أكتاف
المرأة التى كرهتنى

قالت ذلك بكبرياء وأنفة كأمية متكبرة أهينت
فى الصميم ... ودون أن أدري وجدت نفسى أضغط
على يديها المتصلبتين من الانفعال والغضب وقلت
لها بحنان وعطف :

— حقا ما تقولين يا ماري ... ولكن يجدر
بنا يا عزيزتى أن نفكر فى ابن هارى ، لننس أحقادنا
فقد قاسيت كثيرا يا فتاتى المسكينة ... فهل لك أن
تصفحي عني يا ماري ... اصفحي عن المرأة التى
أساءت إليك فكانت مخطئة عمياء ...

عند ذلك صرخت المسكينة صرخة مزقت نياط
قلبا ... صرخة تعيسة مريرة جمعت كل صنوف
الشقاء وحوث كل ألوان التعاسة . صرخت
المسكينة قائلة :

— هارى ... هارى ... !

أجل لقد كانت تحب ولدى كما أحبه ، وفى هذه
الصرخة التى مازال طنينها يتجاوب فى فضاء قلبى
كأنه جرس رهيب فى معبد مهجور ... وفى هذه
الصرخة ألف الأسى بين قلبينا وطهر الحزن نفسينا
وعشنا مدة من الزمن كأننا شخص واحد وروح
واحدة وقلب واحد يخفق من أجل شخص
حبيب عزيز ...

وهكذا قبلت ماري أن تنتقل إلى منزلي وهناك
بالرغم من العناية الفائقة كانت دائما شقية تعيسة ودائما
حزينة باكية ...

وفى يوم جلست أحدثها عن طفولة هارى العزيز
وكنت قد منعتها من ذكر سيرته فلمحتها تفكر بحزن
ثم قالت :

— يظهر أنك جعلته الشيء العزيز الذى ملأ
عليك حياتك ... أهذا حقيقى ؟

— هذا حقيقى ... لأنه حين مات زوجى
كان هارى كل مالى فى الحياة ، فقد اشتغلت وتعبت
وضيحت من أجله وحده ... كان كل كنزى فى
حياتى الحزينة ... كان ذلك السماع الذى
أضاع حياتى المظلمة ... كان الخيط المتين الذى ربطنى
بالسما والحياة ... ولذلك صرت له أما وأبا وأختا ،
وكان هو لى وحدى لا ينازعنى فيه منازع

وغابت ماري فى تفكير طويل عميق ثم قالت :
— إني لا أصدق ذلك ... يخيل إلى يا سيدتى
أن حبك لشيء ما خطر فظيع
— خطر ... ؟ ؟

— أجل يا سيدتى ... عند ما تحبين شخصا
تريدن أن تستولى عليه وحدك ، وهذا سر بغضائك
لى عند ما قاسمتك هارى العزيز ... أما أنا فسوف
لا أكون كذلك مع طفلى ... سأدعه يعيش الحياة
التي يريد أن يحياها ...

عند ذلك فتحت فى لأقول شيئا قاسيا ، ولكنى أمام

— إنني آسفة . . . سأحاول أن أصفح
ثم . . . ثم خرجت هاربة من الغرفة . . . تمنيت
أن أسترجع هذه الكلمات ولكن كبريائي المقوطة
وغيرتي القاتلة منعتاني من استرجاعها وإصلاح ما فعلت
وعند ما دخلت حجرتها مرة ثانية رأيته راقدة
ووجهها إلى ناحية الحائط تبكي بكاءً أمراً صامتاً فقسوت
عليها مرة ثانية وخرجت دون أن أتكلم لأنها
لا تستحق الشفقة والرحمة . . . فهل أنا ملاك حتى
أغفر لها جريمتها؟ كلا . . . كلا ستكون عدوتي
للنهاية . . .

وفي ليلة حزينة كثيفة سمعت صوتاً خافتاً كأنه
حشرة ميت منبعث من غرفة ماري، أنين موجه
أليم يصل إلى أذني فيحرمني النوم والراحة . . .
صوت حزين حملني على أن أقوم من نومي وأذهب
إلى غرفة ماري فأراها مستلقية على ظهرها مغمضة
العينين، ولكن الصوت الحزين ينبعث من بين شففتيها
الجميلتين . وبرغم إرادتي كنت إلى جانبها أنظر إليها
بعطف، وحنان وهمست في أذني :

— أظن من الأحسن استدعاء الدكتور بالتلفون

— كم من الوقت قضيته على هذه الحال ؟

— منذ . . . منذ غادرتني في أول الليل

شعرت بالخزي والألم يجتاحان قلبي المحطم لأنني
تركته وحيداً في مثل هذا الليلة . كم أنا قاسية وكم
أنا شريرة مجرمة . . .

كانت ماري لا تستطيع الحركة ولا الجلوس . . .
كانت تتألم ألماً لا تقوى أشد النساء على احتماله . . .
وعيناها الدابلتان تنظران إلى لاشي وجبينها المتهب
الجميل . . . كل ذلك جعل منها صورة مجسمة حية
للألم العميق والتعاسة البالغة . . . فقلت لها بحنان
عظيم حتى أعوض ماضى :

— هلا استطعت أن أفعل شيئاً ؟

نظراتها الرزينة الحاملة، وعينيها الواسعتين في كبرياء،
وعظمتها المغرية الجذابة . . . صمت ولم استطع النطق
ومررت الأيام وفي ليلة زرتها في فراشها فوجدتها
تبكي بتعاسة مرة ثم راحت تنظر إلى باشفاق ورثاء
وأخيراً قالت :

— أريد أن أحادثك يا سيدتي . . . لقد حملت
حلماً سريعاً عن ذلك اليوم المشؤم الذي مات فيه
هاري . . . إن الصمت يقتلني يا سيدتي . . . إن
الوحدة تعذبني عذاباً أليماً . . . لماذا لا تسمحين لي
أن أتحدث عنه؟ . . . لقد بنيت حاجزاً منيعاً
بيننا . . . إنني وحيدة في هذا العالم . . . وحيدة
عند ذلك أحبتها يرود وخشونة حتى لا أدع
مجالاً لها في التحدث عنه :

لماذا نتحدث عنه وهو موضوع مؤلم لكليتنا . . . ؟
فأجابتنى بوحشية ثائرة كأنها نمر محبوس
— إنني أحبه أيتها المرأة وما زلت أحبه ولن
أجد أحداً سواك أتكلم معه عن هاري حبيبي
العزير . . . إنك لا زلت تكرهينني لأنني سلبتك
وحيدك ولأنني قتلتها أيضاً . أيتها المرأة القاسية !
ارحمي . . . ارحمني ضعفي وحزني . . .

— إنك تبجهدين نفسك بدون طائل . . .
عندما يولد الطفل وتحسن حالته ساء . . .

— سيكون الوقت متأخراً . . . أخبريني
يا سيدتي . . . أخبريني بربك . . . ألا يمكن أن
تصفحي عني ؟

ثم مدت يديها الجميلتين النحيلتين في ضراعة
واستغفار . . . وعيناها . . . آه إنني لأراها تنظران
إلى بوحشة وباشفاق وتساؤل وقد انتظرت جوابي ،
كان يخيّل لي أن أميل عليها وأقبلها قبلة طويلة تنسى
فيها شقاءها . . . ولكنني تذكرت هاري وميته
الشنعاء . . . وخسارتي الفادحة التي لا تبعوض ،
فقلت لها بصوت منخفض :

— لقد مضى ... لقد مضى ... إذهبي ونامي
ياسيدتي ... سأستريح عما قليل ...

لقد أجهدتها الكلام وكان وجهها أصفر
شاحباً ... كانت وحيدة ... وحيدة وسط صحراء
شاسعة مترامية الأطراف ومع ذلك كان النبل ينشر
عليها لوناً ساحراً جذاباً يجعل أقسى القلوب ينكسر
ويتمزق تحت أقدامها ... حينئذ أردت أن أسامحها
وأغفر لها ... أردت أن أسكب في أذنيها كلمات
الحب والعطف التي حرمتها ... ولكن ... ولكن
منعني من ذلك دخول الطبيب والمرضة .

كل إنسان يعلم خطورة هذه الساعة على أي
أم ولكن حالة ماري كانت أردأ الحالات وأعقدها
فوقف الدكتور أمامها متعباً منهكاً لأنها كانت
مهمة ثقيلة على قواه الضعيفة .

وما دقت الساعة الرابعة صباحاً حتى سمعت
صرخة طفل صغير ... فقفزت من مكاني من فرط
السرور ، وبعد قليل دخلت غرفتي الممرضة حاملة
الطفل بين يديها قائلة :

— ها هو ذا حفيدك ياسيدتي ...
حاولت أن أتناوله بين يدي ولكن سخاقتي
منعتني من ذلك ... ولماذا أسر؟ إنه ابن هاري
الذي قتل ورجل ... ولكن ماري ... ربما تموت
المسكينة دون أن أسمعها كلمة الففران والحب لأنهم
لن يسمحوا لي أن أدخل غرفتها الآن ... وبعد
برهة أقبل الدكتور وقال :

— إنها لا تريد أن تشفي ياسيدتي ... إنها
قوية ويحق لها أن تفتخر بقوتها حينما تخرج من
هذا المأزق ولكنها لم تحاول ذلك ... لن تحاول ...
وما كدت أسمع ذلك حتى هلع قلبي وارتجفت
أعضائي ، وفهمت ماذا يعني فأجبتة :

— أنت مخطئ يا دكتور ... إنني أريد ...
أن تشفي ... لقد صفحت عنها ...

— تصفحين عنها ... يا إلهي ... أتعرفين ماذا
فعلت هذه الفتاة عندما ولد الطفل ؟ ...

لقد قالت خذ الطفل يا دكتور إلى جدته
العزيزة فربما تصفح عني الآن ...
لم أستطع أن أحتمل هذا العذاب فرخت أكرر
بغباوة ومهارة ...

— لقد صفحت عنها ... أجل لقد صفحت ...
كان يبدو على الدكتور علامات التعب المضني ...
كأن في عينيه بريقاً هائلاً ؛ كأنه يحمل فيهما سرّاً يريد
الكشف عنه ... وفجأة جلس على مقعد وأجلسني
بجانيه ثم أمسك يدي وهو يقول ...

— سيدتي ... سأدلي إليك الآن بشئ مقدس
عاهدت ماري منذ ستة شهور مضت أن أخفيه في
طيات قلبي الحزين

— أي عهد يا سيدتي ؟ ... أي عهد ؟ !
— إنها عاهدتني ألا أقول لك كيف مات
هاري ... ولكني سأنقض هذا العهد وأقول لك
ما منعتني ماري المسكينة من قوله حتى تمنني أن
تبعثها من قبرها إن ماتت ... إنها شريفة ونبيلة
ياسيدتي ...

عندئذ عيل صبري ولم أعد أحتمل التلميح فقلت :
— ما الذي تعهدت من أجله ... قل بربك
— إنك تعلمين ياسيدتي كما يعلم جميع الناس أن
ماري هي التي كانت تقود السيارة وقت وقوع الحادثة ،
ولكن هذا خطأ ... خطأ وظلم ... هاري ...
هاري ... ياسيدتي هو الذي كان يقود السيارة وقت
وقوع الحادثة المؤلمة ... فقد كان ثملاً ...

— أتقول الصدق حقيقة يا دكتور . ؟ هاري
لماذا ؟ لماذا ؟ ...

— لأنها وجدتك مغرمة غراماً جنونياً بهاري
(٥)

العزيزة إننا نحبك يا ماري . . . ماري . . .
ماري . . . أجيبي يا حبيبتى . . .

ولكنها لم تسمعنى . . . إذن لماذا لا يسمعنى
الله . . . سأبتهل إليه . . . وانكبت على وجهى
أبتهل إليه بحرارة وإيمان لم أعرفهما من قبل وبعد
أن فرغت من الصلاة مدت يدي إلى وجهها
أتحسس . . . ولكن . . . ولكن وجدت أن
الأمر قد انتهى . . . وكطير مكدود هزيل وسط
عاصفة هوجاء . . . سقطت ماري المسكينة وسط
زعازع الحياة وشقاء الانسانية . . . لقد ماتت كما
يموت الجندي الشجاع وسط صحراء شاسعة رهبة
وحيداً . . . منفرداً . . . لقد ماتت . . . أجل . . . لقد
ماتت . . . وإني موقنة أنها سعيدة بهذا الموت سعيدة .

والآن وأنا أسير بخطوات واسعة نحو نهايتى . . .
أعيش مع حفيدتى العزيزة ماري التي كثيراً ما أجلس
الساعات أحدثها عن أبيها الجميل وأُمها النبيلة
الشجاعة . . . وإن كنت أحدثها عن أمها حديثاً
جميلاً حاراً فاني أجد نفسي أشد احتياجاً من هذه
الطفلة إلى هذا الحديث لأجعل الندم واللوعة
يخفان من ثقلهما على صدرى الضيق المموم . . .
أيتها التعاسة . . .

إذا كانت هذه القصة تمس الناحية الشريرة في
الانسان فقد أدت غرضها المقصود . . . لأنها قصة
امرأة شريرة غيورة ، كما أنها قصة امرأة نبيلة النفس
كبيرة القلب . . . لقد قلتها لتحكم الأجيال بعدي
على هذه الفتاة الصغيرة الراقدة الآن بجانبى كالملاك
والتي تشبه أمها كل الشبه فكانها قطعة حية منها . . .
وإني لأتمنى أن يكون الحكم عادلاً . . . شريفاً . . .

أميل فرج

لأنها خافت أن تهدم ذلك الحلم الرائع الذي يداعب
خيالك . . . لأنها رأت أن إخبارك بالحقيقة كسر لقلبك
وتعاسة لنفسك ففضلت المسكينة أن تنال سخطك
وكراهيتك وتقع تحت طائلة عقابك وعقاب العدالة
على أن تشوه تلك الصورة القدسية الحبيبة التي
تحتفظين بها لماري . . . لقد ضحت فكانت في تضحياتها
نبيلة ، وأحبت فكانت في حبها مخلصه . . . لقد
خافت عليك ياسيدتى ، ولم ترد أن تشوه سعادتك
لأنها رأت أن سعادتك هي أن تكون سيرة ابنك
نقية ومكانته سامية في نفسك إلى الأبد

صمت رهيب نشر ألويته فوقنا عقب كلمات
الطبيب الدامية . . . حاولت أن أتخلص من هذا
الكابوس المروع وأتحرر من هذا الجو البغيض
ولكني لم أفلق وظل صوت الضمير يعلو . . . ويعلو
حتى صار أشبه بقرعة المدافع تدوي في الميدان ،
وبصرخات الجنود تطلب الرحمة . . . الرحمة وأخيراً
قلت بعباوة وبسخافة :

— أستطيع أن أقابلها . . . يجب أن أقابلها
يا دكتور .

— لك ما تريد يا سيدتى . . . لك ما تريد
وفي لحظة كنت في غرفتها فركت بجانب فراشها
ورحت أتم . . .

— إلهي . . . إلهي . . . أنقذ ماري . . .
اجعل ماري تعيش مدة أطول حتى أستطيع أن
أكفر . . .

لم تتحرك المسكينة ولم تفتح عينيها . . . كان
وجهها الشاحب يحمل معاني هائلة من الألم والشقاء
وكان جبينها النبيل الصافي يلهب من الحمى . . .
وأخيراً تحركت حركة ضعيفة فهتفت :

— ماري . . . ماري . . . امكثي معنا . . .
لا تفارقينا . . . أنا والطفل سنحتاج إليك أيتها

الأخجار الجائعة

لشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندي
بمعلم الأديب شكرى محمد عياد

تعزيز وجهة السفر،
وقصدنا إلى غرفة
الاستراحة فسمعنا
باحتمال تأخر القطار
لارتباك أصاب
الخطوط فحيات
لنفسى فوق النضد
قراشا ، وتأهبت

لأسلم عيني لا غفاءة مريحة . ولكنى لم أجمع تلك الليلة
لغوباً ووصبا ، فقد جاء الرجال يغتزل غزاله ، ويمحيك
خيوط هذه الأقصوصة . .

حينما أُلجأتني الخلافات الإدارية إلى اعتزال
منصبى فى چنچارا ، ودخلت فى خدمة نظام حيدر
أباد - كنت فى ضحوة شبابى ، وعنفوان قوتى ،
فاختارونى جايئاً لضرائب القطن فى باريش

وباريش بلد جميل ، يعزف السوستا فيه ألحانه
على مجرى حجرى وحصباء مفروشة ، فيمسها مساً
رقيقاً ، كأنه أقدام راقصة ماهرة مُفَتَنَةٍ ، ثم يسير
بين الآجام متثنياً مرجحنا . ويرتفع منه سلم درجاته
خمسون ومائة ، يجثم فى أعلاه قصر من رخام أقيم
على سفح الهضبة ، وأشرف على شاطئ النهر ،
وأقام فى مكانه ذاك منعزلاً وحيداً . . فما كان حوله
موطن لبشر ، بل خلفته منازل القرية فريداً .

فمنذ مائتين وخمسين عاماً على التقريب ابنتى
السلطان محمود شاه الثانى قصره ذاك ليُجعله آية ترف
وموطن نعيم ، فناء الورد منبجس من نافوراته ،
وغيد الفرس يفتش رُخام الأرض فى حجراته ،
وشعورهن للاستحمام مرسله محلولة ، وأقدامهن
الناعمة عارية مبالولة ، تعبث فى الماء ، فتنتطلق
حناجرهن بالغناء ، ويرددن أصوات فارس على
ألحان القيثارة . ثم صوح جمال القصر وذهب غزاله ،

كنت قافلاً وقربى من رحلتنا فى پوجا عند ما
لقينا الرجل فى القطار . ولقد طالعنا من ملبسه
ومسلكه ما جعلنا نراه بادیء الرأى مسلماً من أهل
الأقاليم العليا . ثم راعتنا منه جهارة منطق ، وعذوبة
حديث . فقد كان واسع فنون القول ، متشعب
أطراف الكلام . وكنا قبل ناعمى البال لا نعلم أن قوى
خفية تعمل ؛ وأن الروس قد أصبحوا منا قاب
قوسين ؛ وأن سياسة الإنجليز تنطوى على أسرار ،
وتدور على عمق ؛ وأن الخلاف بين الزعماء القوميين
قد بلغ منتهاه ، وأشرف على مداه . ولكن صاحبنا
الجديد قال وهو يتسم ابتسامة ماكرة : « إن فى
السما والأرض لأحداثاً تجل عما تذكره الصحف » .
وإذ كنا قبل ما كفين على ديارنا لا نفارقها فقد
دهشنا لحديث الرجل ؛ كان يطرق الموضوع السائر
فيخلطه بالعلم ، ثم يعلق على الكتب المقدسة ، ثم
يردد رباعيات لشاعر فارسى . وكان قربي رجلاً
من المتصوفة ، فاعتقد اعتقاداً لا يخالجه شك أن
صاحبنا مزود بقوة مغناطيسية خفية من لدن جرم
فى السماء ! فكان إذا سمع تافهاً من القول تسقطه
شفتا الرجل العجيب ابتسم معدراً ، وألقى السمع
جذلاً . ويخيل إلى أن الرجل لاحظ منه إعجابه ،
فطرب له وارتاح .

وفى الساعة العاشرة مساء بلغنا المحطة حيث يجب

وقد خمد الهواء وهمد فما تحس نفخة ريح ولا نفخة نسيم ، وتحمل برائحة قابضة نفثها شجيرات توابل تنمو على التل المصائب . وعند ما غابت الشمس وراء التل انسدل على مسرح النهار ستار طويل . وتعجلت اللال المحدقة ظلمة المساء فأجهزت على الشمس ، وابتلعت فترة الغروب حينما يشعشع الليل أضواء النهار . فخطر لي أن أذهب راكباً في نزهة . وبينما أنا موشك على الهوض إذا بوقع خطوات على الدرج ورأي ، فالتفت فلم أجد أحداً ، فعزوت ما سمعت إلى وهم خداع وخيال غرار . وجلست وما كدت أفعل حتى تخيلت جمعاً كبيراً يهبط الدرج ، فأخذتني رجفة من سرور ، وهزة من خوف . ولئن لم تبصر عيناي أحداً فقد خيل إلى أني رأيت سرباً من عذارى كواعب يهبطن الدرج ليستحممن في السوستا . تلك الأمسية من أمسيات الصيف . وما كنت تسمع في السهل أو النهر أو القصر صوتاً يبدد السكون ، أو نامة تخفف الرهبة ، ولكن أذني نقلت إلى في وضوح ضحكات العذارى ، مرحلة سعيدة . وحينما ذهبن إلى النهر يتطاردن لأعبات كنت أسمع هديرأ كهدير ارتطام ينبوع بمائة شلال . ولكنهن لم ينتبهن لوجودي ولعلهن لم يرينني كما قصر عنهن بصرى . وكانت صفحة النهر ساكنة هادئة ، ولكنني شعرت كأنما حركتها أيد كثيرة ، توسوس فيها الأساور ، ويأتلق فيها الذهب . ثم ضحك فداغن موجاً عاشقاً فما خلاهن إلا لوج عاشق . فتقاذفن برشاش الماء فرحات ، وضربن الموج بأرجلهن الصغيرة فانطلق في الهواء حبات من لؤلؤ ؛ فارتجف قلبي عجباً ، وخيل إلي أني أستطيع بشحذ الحس أن أسمع كل ما يقلن ، فما سمعت إلا زقزقة العصافير في الدغل القريب . وخيل إلي أن سترأ من مائتين وخمسين عاماً قد قام من دوني ، فوددت لو رفعت منه ركنياً ،

فلا ماء الورد ينبجس من نافوراته ، ولا الصوت الرخيم يرن في جنباته ، ولا الأقدام البيض تليه بمرمرى أرضه وحجراته ، صار لجباة الضرائب مستقراً ومقاماً ، وأولئك رجال حرموا دل النساء فهم في وحشة سادرون .

ولقد طالبا جذرتي الحاج « كريم خان » من أن آتخذ في ذلك القصر مقامى . فقد قال لي : « إن شئت فمض هناك يومك ، ولكن إياك أن تبقى فيه ليلك ! » فضحكت منه بنفس لاهية وقلب جرى . ورضي الخدم أن يعملوا هناك نهاراً على ألا يبيتوا فيه ليلاً ، فوافقهم دون مناقشة . فان للبيت اسماء يبعث الرهبة حتى في قلوب اللصوص ، فلا يجرؤون أن يقربوه متى حماء الليل بدرعه

ولقد جثمت على صدرى أول الأمر وحشة القصر المهجور ، فكنت أخب البقاء خارجه ، وأغرق نفسي في العمل أطول مدة أستطيع ؛ فإذا أتت في المساء كنت منهوكة مكدوداً ، فأنطرح على الفراش فتهجع عيني وتنام .

ولكن قبل أن يتقضى على ذلك أسبوع بدأ المكان يريني من سحره عجيباً ، حتى ليلتات على الوصف ويعجزني الأمر فأعرف كيف أستطيع حمل الناس على التصديق . ولكنني شعرت كأنما كان البيت كائناً حياً يتمصني دون شعور ، ويخدرني بافراز عجيب من معدته ؛ ولعل البيت بدأ عمله منذ وطئته قدمي أول مرة ، ولكنني أذكر جيداً ذلك اليوم الذي عرفت فيه ما هو بسيله .

كنا في بواكير الصيف ، وكانت السوق راكدة فلم يكن لي ما أعمله ؛ وقبيل الغروب كنت جالساً على كرسي مريح على ضفة المساء قرب سلم النهر ، وكان السوستا قد أجفل ، فأنحسر إلى أسفل ، فامتد على الضفة المقابلة كثيب من الرمل يشع بأضواء المساء . والحصباء تحت المياه الضحلة براقة ملتزمة ،

ولما تُضأ المصابيح . فما كدت أدفع الباب حتى
ابتدرني لجب وضوضاء ، كأن أقواماً يتدافعون
مسرعين ، ويهرعون إلى الأبواب والنوافذ والدهاليز
والشرفات والحجر ، ويستبقون إليها هارين
ولكني لم أر أحداً ، فوقفت مأخوذاً بالبمبندوها .
وقد قف شعر رأسي من نشوة مجنونة ، وسطعت في
أنفي رائحة العطور والأدهان وقفت في ذلك البهو
العريض المنعزل ، والظلام يكنفني ، وصفوف الأعمدة
القديمة تحديق بي . فتبينت صوت نافورات تسفع بمائها
رخام الأرض ، ولحناً غريباً يعزفه القيثارة ، وخشخشة
حلي ، ووسوسة خلاخيل ، وزنين أجراس تعد الزمن ،
واصطفاق البلور في علائق الثريات ، وتغريد البلابل
من أقفاص في الدهاليز ، ولقلقة اللقالق في الحدائق .
نخلقت أصواتها حولي موسيقى غير أرضية

ثم أدى بي الأمر إلى الاعتقاد بأن هذه الرؤى
التي لا تمس ولا تبلغها يد ولا تنتسب لأرض إنما هي
الحقيقة الفريدة في هذا العالم ، وليس ما عداها إلا
حلم . فلقد كنت أذكر أن اسمي سرجوت بن طيب
الذكر فلان ، وأني أقتاضي مرتباً قدره أربعمائة
وخمسون جنياً ، جزاء وظيفة جامع لضرائب القطن ،
وأني أركب كل يوم إلى مقر عملي في عربة صغيرة ،
وسترة قصيرة ، وقبعة عريضة ، فلا أرى كل ذلك
إلا وهماً عجيباً يبعث على السخرية ، فأنفجر ضاحكاً
في صوت أجش ، وأنا واقف وسط البهو المظلم
وفي تلك اللحظة يدخل خادمي ويده
مصباح مضاء من الكيروسين . ولست أدري إن
كان يحسبني مجنوناً ، ولكني كنت أفي إلى عقلي
وأثوب إلى رشادي ، فأومن أنني حقاً سرجوت بن
طيب الذكر فلان ، ومهما قال الشعراء إن على الأرض
أو خارجها أصقاعاً تنبجس فيها نافورات لا تبصرها
العين ، وتعزف أصابع غير مرئية على أوتار لا تسمعها
الأذن ، مهما قالوا فأنا ولا ريب أجمع ضرائب القطن

فأختلس النظر مرتعباً . ولكن الجمع ظل خفياً
عن عيني ، يشمله الظلام فلا أراه . ثم هبت عصفه
ريح فاجئة فأزاحت كابوس الليل ، وجعدت صفحة
النهر ، فتلوى كشعر حورية . وانبعثت من الغابة
المظلمة همهمة فكأنها أفاقت من حلم أسحيم ...

فليكن ما رأيت حقيقة ، أو فليكن حلماً ، أو
فليكن سراً التمتع من وراء مائتين وخمسين عاماً ،
ثم خبا في مثل ومضة البرق ، أو لمحة البصر . ولكن
هاتيك الكائنات السحرية التي ادلقت من حولي ،
تخطو بلا جسد ، وتضحك بلا صوت ، ثم ألت
بنفسها في النهر لم تعتصر أثوابها النضاجة بالماء
عند ما همت بذهوب . بل حملها الريح على أجنحته ،
كأنها عبير الزهر طوحت به أنفاس الربيع . فأفعمني
خوف محجب ، وخشيت أن تكون عروس الشعر
قد عابثني ، فرأت وحدتي ، فاحتوتني ... وكأنما
أثني الساحرة لتحطم في شيطاناً فقيراً يتعيش من
جمع ضرائب القطن ! فاعتزمت أن أهني نفسي
عشاء طيباً ، فالمعدة الفارغة موطن كل داء عياء .
فبعثت في طلب الطاهي ، فأمرته بأعداد عشاء فاخر .
وفي اليوم التالي بدا لي الأمر كله خيالاً عجيباً
فتقبعت فرحاً وركبت إلى عملي . وكان على أن
أكتب تقريرى ذلك اليوم ، فتأهبت لعود متأخر .
فلما أذنت الشمس بالمغيب إذا بي أجد نفسي مسوقاً
إلى البيت لعله لا أدريها . وإنما كنت أشعر «أنهم»
جميعاً في انتظاري ، فلا يليق أن أتأخر أكثر مما
تأخرت . فقامت والتقرير لم يتم ، ثم تقبعت وشرعت
أطوى الطريق الكثيب بعربتي حتى شارفت القصر
الواسع المنعزل ، الرابض في سفوح الهضاب

وكان سلم الطابق الأول يؤدي إلى بهو فسيح
شيد سقفه على ثلاث أقواس منقوشة ، تحملها ثلاثة
صفوف من أعمدة ضخمة ، والسقف متصل أنينه ،
رازح تحت ثقل وحدته . وكان النهار قد آذن بزوال

على من دنيا الخيال ، كأنها نفحة العطر يحملها نسيم
الرياح . وكأنما كنت أسير في دروب بغداد النائمة
والليل مظلم بهيم ، ميمما شطر مجتمع تحف به الزرايا .
وأخيراً توقفت قائدتني الحسنة قبالة ستر أزرق
عميق الزرقة ، ثم كأنني بها أشارت إلى شيء أسفله .
وما كان هناك من أحد ، ولكن جدد الدم في قلبي
من فزع ورهبة ، فقد خيل إلى أنني أبصرت على
الأرض بين طيات الستر عبداً خصياً ، لابساً حلة
من حرير مشجر ، وساقاه ممدودتان قدماه ،
والسيف مسلول على فخذه . فشت صاحبتني تسترق
الخطي ، ورفعت من الستر ركننا ، فلمحت غرفة
فرشت بأبسطة فارسية ، فيها سرير توسدته غادة
لم أر منها إلا قدمين بديعتي التكوين ، في كوث
مذهب عجيب الصنعة ، تطلان من متامة سابغة
فضفاضة زعفرانية اللون ، وتستريحان على بساط من
نخل برتقالي الصبغ ، وإلى جانبها طبق بلوري يتأهب
لاستقبال زائر قريب ، بما فيه من تفاح وبرتقال
وعنب وكثيرى وسكرية مذهبة ، وهفوف حوالى
شذا بخور عطر فكان يغيب عقلي ، ويرين على حواسي
وتقدمت والقلب واجف والطرف طارف لا تخطي
أقدام الخصي ، فهب مذعوراً فسقط السيف من على
فخذه فرن على رخام الأرض . فصرخت صريراً فإذا
أنا قاعد على الفراش أتصبب عرقاً ، والهلل يبدو
شاحباً ، وقد كسفه ضوء النهار ، كليل أشرف
عليه الفجر ، ولم يهجع منه الطرف ولا نام . وماهر
على المعتوه يصيح صيحة كل صباح : « مكانك !
مكانك ! إنك لن تضلال ! إنك لن تضلال ! »
ويطوى بقدميه وحشة الطريق .

وكذاك ولي حلم ليلة ، ولكن بقي ألف حلم ،
وتنافرت أيامي وليالي ، ففي الصباح كنت أذهب
إلى عملي متهوكاً مكدوداً ، لا عناء سحر الليل وبرقه
الخلب ، فإذا أقبل المساء خلعت برودة النهار ،

من سوق باريش ، وتدر على مهنتي أربعمئة وخمسين
جنيهاً في العام . ثم أضحك مما كنت أسبح فيه من
وهم وضلال ، وأجلس إلى منضدتي الصغيرة فأقرأ
الصحف على ضوء مصباح الكيروسين ، ثم أفرغ
من صحيفتي ، وأتم عشائي ، وآوى إلى مضجعي في
غرفة صغيرة جانبية ، وأنظر من النافذة فإذا بحمة وضئمة
تطالعني من فوق تلال (آفالي) ، تحديق من ملايين
الأميال إلى السيد الجامع ، راقداً في فراشه الصغير
التواضع ... ! وأفكر في ذلك وأطيل التفكير ، فيملأني
التفكير سرورا ، فلا أدري كيف أغفلت عيني ورائ
النوم على جفوني ، بل أهب فأقعد متفزراً ، ولكني
لا أسمع صوتاً ولا أرى أحداً ، لا شيء إلا أن النجم
خبا ، وضوء القمر الباك يتسلل من النافذة المفتوحة
كأنه خجلان من اندفاعه ، خزيان لتطفله ... !
لم أبصر أحداً ولكني أحسست كأن يد أرفيقة
تدفعني ، فلما صحت لم تنبس بكلمة ، بل أومأت
إلى بأصابعها الخمس المحلاة بالخواتم أن اتبعني واحذر
واتد . فانهضت لا أحدث صوتاً ، ولم يكن في القصر
سواي ، فكنت فريداً في أجنحته العتيدة ، نجياً
لأصواته النائمة ، وأصدائه الحاملة . ولكنني كنت
أخشى مع كل خطوة أن أوقظ أحداً . وكانت أغلب
غرف القصر على الدوام مغلقة لا أطرقها أبداً .
فاكتمت أنفاسي ، وتبعت قائدتني التي لا أراها ،
لا أدري الآن إلى أين ... ! الله ما أحلك الظلام ،
وما أطول الطريق ، وما أبعد المدى ... ! ولكم
جزت من حجرات عليها مسحة الجلال ، ومررت
بزنازين فيها خشوع الرهبة ، واتخذت من الظلام
جلايب سودا ! لم أكن أرى دليلتي الفاتنة ، ولكني
أبصرتها بعين خيالي ، عريية عذراء لها ذراعان قويتان
لا معتان كالمرمر ، تبدوان من بين طيات كمها الفضفاض
وقد ضربت على وجهها خماراً رقيقاً ، وتمنطقت خنجراً
ملوياً . فخيّل إلى أن ليلة من ألف ليلة قد أقبلت

وتقنعت بقلنسوة من مخمل أحمر، وارتديت منامة فضفاضة وصداراً موشى، وقفطاناً سابغاً هفهافاً. فإذا أخذت زينتى جلست على كرسى واتكأت على حشايا، واستبدلت بلقائف التبغ «نارجيلة» ملوأة ملؤها ماء الورد، فكأننى أتأهب لاستقبال عشيقه موموقة، وإن البيان يقصر عن وصف ما تكشفته لى عنه ظلمة الليل من عجائب وخوارق

وبين موج الحلم الجميل، وشذا الزهر العاطر، ورنين القيثارة المطرب، وهفهة النسيم العرف، كان الطرف يسبح فيلمح عادة وضاعة، هى تلك التى رأيته قبل فى منامة زعفرانية اللون، وأبصرت منها قدمين بيضاوين ناعمتين، فى كوث موشى بالذهب، مَلَوِيَّ مقدمه؛ وكانت تتمنطق بنطاق من ذهب، وتتبع بقلنسوة حمراء تنوس حلقها على خد فى بياض السوسن، وجبين فى صفاء الثلج. ولقد والله أخذت بلى. فكنت أطاردها من حجرة إلى حجرة، وأتأثرها من ردهة إلى ردهة، وأتقفاها من بهو إلى بهو، فى منعطفات خلقها الخيال، ومنعرجات أوغلت فى ابتداعها الأحلام، فكأننى أهيى فى الأرض السفلى، أو أضرب فى طرقات الجحيم! فأحس فى أريج الجوقلات هائمة، وبسمات حائمة، ورنوات حائلة، وتدليلة وعناقاً، وقلباً خفاقاً، وهمساً فى الأذن! ثم تطوق جسدى أفعى عجيبة وتلف حورياتها حولى، فأفقد الحس وأروح فى نوم عميق وذات مساء أزمعت الخروج على صهوة جوادى ولم أصنع لتوسل أو رجاء، ولكن أى توسل؟ وأى رجاء؟ وكانت على الشجب قبعتى وسترتى، فبينما أنا موشك أن أنزعهما هب إعصار فاجئ، محمل برمال السوستا، وهشيم الأوراق الدابلة الساقطة على تلال آفالى، فأطاحهما ودار بهما دورات عديدة فجلبجت ضحكة ممرنة، تعالت وارتفعت

فياضه بالجور والسعادة، ثم تلاشت على تخوم الغروب! فلم يعد عن البقاء محيص ولا متحول. وفى اليوم التالى ألقيت - قانطاً - بقبعتى وسترتى فلما أدير النهار ونشر الكون ذوائبه الطاخية، سمعت فى هدأة الليل ولولة مكتومة تشق المرائر، وكأنها صادرة من تحت الفراش، من تحت أرض الحجر، من تحت أحجار ذلك القصر العظيم، من أعماق هوة دامية، من أغوار جدث أسحم! وسمعت صوتاً يستغيث: «أواه! أنقذنى! تخبط أبواب الوهم، وجز طرقات النوم العميق، والحلم العقيم! خذنى إلى جانبك على صهوة جوادك، ثم ضمنى إلى قلبك، وطرّبنى فوق الرنى والحزون، واطو الغاب والنهر، وجز رجاء البید! خذنى إلى علاك المضيء، وشمسك الصاحية، وهوائك الطلق» وفجأة فى تلك اللحظة صاح ماهر على المجنون: «مكانك! مكانك! إنك لى ضلال! إنك لى ضلال!» ففتحت عيني على ضوء يفيض فيغمرنى، وإذا بخادمى قد أقبل بخطاباتى، والطاهي ينتظر أوامرى! فقلت: «كلا! لن أبقى هنا بعد الآن» وحزمت فى ذلك اليوم حقائى، وتحولت إلى مقر عملى، فابتسم كريم خان ابتسامة طفيفة، فاحتدمت غيظاً ولكنى لم أنبس بكلمة، وانهمكت فى العمل. فلما أقبل الليل شت منى الفكر وشعرت كأننى كنت ضربت موعداً لا بد أن أوفيه، وبدأت فى مراجعة ضرائب القطن شيئاً تافهاً لا غناء فيه، ثم خلت الحاضر وهما، والسعى فى سبيل العيش ضلالاً وجرياً وراء عرض تافه. فألقيت القلم وطويت الدفاتر، وركبت عربتى الصغيرة. ولاحظت أنها توقفت من تلقاء نفسها أمام بوابة القصر الرخامى، وكان الشفق يكلل جبين الأرض، فثقت الخطى صاعداً الدرج ثم داخل الحجرة. وكان يرين عليها

وتقنعت بقلنسوة من مخمل أحمر، وارتديت منامة فضفاضة وصداراً موشى، وقفطاناً سابغاً هفهافاً. فإذا أخذت زينتى جلست على كرسى واتكأت على حشايا، واستبدلت بلقائف التبغ «نارجيلة» ملوأة ملؤها ماء الورد، فكأننى أتأهب لاستقبال عشيقه موموقة، وإن البيان يقصر عن وصف ما تكشفته لى عنه ظلمة الليل من عجائب وخوارق

وبين موج الحلم الجميل، وشذا الزهر العاطر، ورنين القيثارة المطرب، وهفهة النسيم العرف، كان الطرف يسبح فيلمح عادة وضاعة، هى تلك التى رأيته قبل فى منامة زعفرانية اللون، وأبصرت منها قدمين بيضاوين ناعمتين، فى كوث موشى بالذهب، مَلَوِيَّ مقدمه؛ وكانت تتمنطق بنطاق من ذهب، وتتبع بقلنسوة حمراء تنوس حلقها على خد فى بياض السوسن، وجبين فى صفاء الثلج. ولقد والله أخذت بلى. فكنت أطاردها من حجرة إلى حجرة، وأتأثرها من ردهة إلى ردهة، وأتقفاها من بهو إلى بهو، فى منعطفات خلقها الخيال، ومنعرجات أوغلت فى ابتداعها الأحلام، فكأننى أهيى فى الأرض السفلى، أو أضرب فى طرقات الجحيم! فأحس فى أريج الجوقلات هائمة، وبسمات حائمة، ورنوات حائلة، وتدليلة وعناقاً، وقلباً خفاقاً، وهمساً فى الأذن! ثم تطوق جسدى أفعى عجيبة وتلف حورياتها حولى، فأفقد الحس وأروح فى نوم عميق وذات مساء أزمعت الخروج على صهوة جوادى ولم أصنع لتوسل أو رجاء، ولكن أى توسل؟ وأى رجاء؟ وكانت على الشجب قبعتى وسترتى، فبينما أنا موشك أن أنزعهما هب إعصار فاجئ، محمل برمال السوستا، وهشيم الأوراق الدابلة الساقطة على تلال آفالى، فأطاحهما ودار بهما دورات عديدة فجلبجت ضحكة ممرنة، تعالت وارتفعت

لم يعقه عن الهجاء جنونه ، فصار يأتي كل صباح ويحوم حوله مفتوناً بسحر المارد المرمى ، فاندفعت إليه لأبالي بالزوبعة الثائرة والمطر المهمل ، ولم يجب الرجل ، بل نحاني عن طريقه ، وظل يحوم صائحاً صيحته المجنونة ، فكأنه طائر يرفرف مسحوراً حول أنياب ثعبان ، فعدوت إلى مكنتي وسط المطر المهرم ، فكأنني مجنون ذاهب العقل مسلوب الرشاد . وسألت كريم خان : « خبرني ما معنى كل هذا ؟ » فقال : إن جدران هذا القصر ضمت عواطف كبتت ، ونزوات كتمت ، وشعلا من اللذة ثارت والتهبت ؛ فتصاعدت منه دعوات ولعنات من قلوب مكلومة ، وآمال محطمة ، فصيرت كل حجر منه جوعان ظمآن ، فكأنه غول جائع يتبلع كل من يدنو منه . فلم يستطع إلا فلات من أنياب هذا القصر كل من أقام فيه ثلاث ليال متتابة ، إلا ما همر على الذي دفع عقله ثمناً لنجاته فسألت : « أما من خلاص ؟ » فأجاب الرجل العجوز : « هناك طريق واحد فحسب ، ولكنه صعب وعمر ، وسأرشدك إليه ، ولكني سأسمعك قبلاً قصة عذراء فارسية عاشت في ذلك القصر الفخيم ، وإنها لقصة لم تعرف الأرض أخفم منها » وفي تلك اللحظة تناقل السافرة أن القطار قد أقبل . هكذا سريعاً ؟ وطفقنا نرتب أمتعتنا عجولين ، وبينما كان القطار يزفر زفيره وهو داخل المحطة ، رأينا رجلاً إنجليزياً يطل من نافذة في الدرجة الأولى ويحاول أن يقرأ اسم المحطة . وما كاد يلمح صاحبنا حتى ناداه وحياء وأخذه في رفقته . وكانت تذاكرنا للدرجة الثانية ، فلم نعرف الرجل ولا خاتمة قصته . فقلت : « من الواضح أن الرجل ظن فينا البلاهة والسذاجة فأتخذنا هزأة وملهاة ، فالقصة خيال من مبدئها إلى منتهاها »

شكري محمد عياد

صمت عميق ، وقد ساد الظلام غرف القصر فبدت غاضبة معرضة . وامتلاً قلبي ندماً ولكني لم أر أحداً أفضى إليه بسر قوادي ، أو أسأله العفو والمغفرة ؛ فنجست في ظلمة القصر موزع الفكر مشئت الدهن ووددت لو كان لي قيثارة فأضرب على أوتاره ، وأزجي منه الألحان إلى غادتي المجهولة : « أيتها النار ! إن الفراشة الضالة التي أرادت لتبتعد عنك قد عادت لترى بهاءك ، فاغفري فانما هي مرة واحدة ، والهبي جناحيها بجذوتك ! » وجأة سقطت دمعتان فأنحدرتا على جبينى ، وحلقت على تلال آفالى سحب سوداء ، والأحراج الكثيرة تنتظر ، ومياه السوسنا القائمة تترقب في قلق وسكون مخيف . ثم مادت الأرض ، ومار الماء واهتزت السماء ، وهبت في الغابة المهجورة عاصفة ثائرة ، ففرقت أبواب القصر

وكان الخدم كلهم في مكتب عملي ، فلم يبق منهم أحد فيضيء المصابيح ، وكانت السحب منعقدة والقمر ممتحفاً ، فأحسست في الظلام الدامس امرأة منبطحة على وجهها فوق سجادة تحت الفراش ، تشد بأصابع يائسة شعرها الطويل المتناثر ، وقد تسایل الدم على جبينها الوضاء ؛ وهي آنا تضحك ضحكات قاسية ، وآونة تصرخ صرخات مدوية

ولم تنقطع الريح طوال الليل ولا خمدت تلك الصيحة الأليمة ، فطفت أهيم في الظلام من حجرة إلى حجرة ، وقد سرع الهيم قلبي ، وأظلم الحزن نفسي ... من أواسي ولا أحد بجنبي ؟ ومن هي تلك التي جن جنونها من عذاب وألم ؟ ومنذ متى جثم على قلبها ذلك الحزن المقيم ؟

وصاح الرجل المعتوه : « مكانك ! مكانك ! إنك لن تضلال ! إنك لن تضلال ! » فاذا النور قد انبثق ، والفجر قد بزغ ، وماهر على يطوف بالقصر يصيح صيحة في ذلك الطقس اللعين ، وخطر لي أنه ربما كان قد عاش في ذلك القصر أيضاً ، ثم

أجلائين وسيلزيت

رواية تمثيلية في خمسة فصول

للطبيب البلجيكي موريس مازرنك

بقلم الدكتور محمد غريب

شعرك أثناء حديثك
معي ، ومن حيث أن
الظلام سيحول بينك
وبين رؤية وجهي فلن
ترتاعي من شيء . أنا
أعتقد أن لديك شيئاً
ثقيلاً يجهد قلبك

سيلزيت — ليس

هذا الشيء فوق قلبي ،

وإنما هو فوق أنا ،

ولا أستطيع أن أقول : أين هو ؟ إنه يمكن أن يكون

فوق روحي ، وإنه لشيء ثقيل ، وهو يلهم الفهم ،

وإن كنت لا أدري ما هو موضوع ذلك الفهم غير

أنني أرزح تحت هذا الثقل

ميلياندر — لقد تغيرت كثيراً يا سيلزيت ،

وأنا أيضاً لدى كلام أريد أن أتحدث به إليك ، أنا

لم أعد أرى وجهك السابق ، وأما زهرتا وجنتيك فلم

تعودا تنتعشان تحت قبلاقي كما كانت الحال قبل الآن

إذ كنت تضحكين كلما قبلتك

سيلزيت — فيما مضى كنت أضحك في أغلب

الأحيان ، أما الآن فأنا أكثر سعادة

ميلياندر — لا أدري أحقاً ما تقولين أم غير حق

يا سيلزيت ، إذ قد يحدث أحياناً أن تشعر الزوح

بالسعادة بينما يكون القلب قد وصل إلى أقصى حدود

الاحتمال ، ولكن فلندع كل هذا ولنقول لي قبل

كل شيء : ما الذي يعذبك هذا المساء ؟

سيلزيت — هو أن أجلائين سترتحل

ميلياندر — أجلائين ؟ هل قالت لك ذلك ؟

سيلزيت — نعم

الفصل الثالث

المنظر الأول

يقع هذا المنظر في حديقة القصر بين « ميلياندر »

و « سيلزيت »

سيلزيت — عفواً يا ميلياندر ، فأنت تريد أن

تكون منفرداً ، وأنا دائماً مبعث من مبعث أحزانك ،

ولكنني سأصرف حالا . أنا خارجة الآن من غرفة

« أجلائين » إنها نائمة وقد قبلتها فوق شفتيها

وبالرغم من أن النجوم تسطع فوق سريرها فإنها لم

تستيقظ . أنا لن أعوقك وقتاً طويلاً وسنذهب معاً

لنوقفها بعد قليل ، لأنها تبكي في حلمها ، وأنا لم

أجرو على إيقاظها وحدي ، ولكنني أريد أن أتحدث

إليك عن شيء ، ولا أدري أمحقة أنا فيه أم مخطئة ؟

كما أنني لا أدري أخير ذلك الشيء أم شر ؟ ولا أريد

أن أسأل عنه « أجلائين » ولكنني أسألك الصفع

عني إذا كنت خاطئة

ميلياندر — ماذا حدث يا سيلزيت ؟ تعالي هنا ،

تعالي على هذا المقعد واجلسي على ركبتي ، لأداعب

ميلياندر - متى ذلك ؟ ولماذا ترتحل ؟

سيليزيت - هي لم تنبئني بالسبب ، ولكنها تؤكد أنها سترتحل مادامت تعتقد أن هذا هو الشيء الذي ينبغي عمله ، ولهذا أنا أسألك نفسي : أليس الأفضل أن أكون أنا التي يجب عليّ أن أرتحل ؟

ميلياندر - أنت ؟ ماذا حدث ؟

سيليزيت - لم يحدث شيء ، واني أرجوك - إذا لم ترد أن تبكيها بدون سبب - ألا تتحدث إليها بذلك . ولكن أرايت يا ميلياندر أنني فكرت في كل هذا حينما كنما معا ، وأنا كنت بجانب جدتي ؟ . عند ما كنما تعودان من الزهرة سعيدين مرتبطين ، كان كل من يراكما على هذه الحال يصمت بالرغم منه ، أما أنا فقد كنت أقول لنفسي في أغلب الأحيان : إنني لست إلا شيئاً صغيراً ضئيلاً غير قيمين باصطحابكما ، ولكنكما كنما دائماً خيرين نحوي بدرجة لم أتبينها إلا فيما بعد ، وفي أكثر الأحيان كنما ترغبان في أن أرافقكما ، لأنني كنت حزينة ، وحينما كنت أ اصطحبكما كنما تظهران أكثر غبطة من المعتاد ، ولكن روحكما لم تكونا تحتفظان بسعادتهما ، وكنت بينكما أجنية فارة ، ومع ذلك فليست هذه غلطتكما ولا غلطتي أنا أيضاً . أنا أعرف جيداً أنني لا أستطيع أن أفهم كل ذلك .

ميلياندر - يا عزيزتي سيليزيت الخيرة ، إن أجلافيين محقة فيما تقوله عنك ، وإنني لم أكن أعرف أنك تقية إلى هذا الحد ، ولكن ما الذي تظنين أنك لم تفهميه ؟ هل تظنين أن هناك شيئاً نفهمه نحن ، وأنت لا تفهمينه ؟ أنا آسف يا سيليزيت المسكينة ، فالفرق بين الأشياء ضئيل إلى حد أن الإنسان لا يستطيع أن يعلل لماذا هو يجب أو ينعض ؟

ولكن من حيث إنك استطعت أن تقولي ما قلته الآن ، فأنت لم تعودي في حاجة إلى أن تفهمي شيئاً جديراً ، وإنما أنا وحدي الذي لم أكن أفهم .

سيليزيت - لا لا يا ميلياندر المسكين . إن خيريتك هي التي تتكلم الآن . إنني أعرف ما الذي ينبغي أن يكون ، ومع ذلك فأنا لن أستطيع أن أكون مثلكما .

ميلياندر - أنا لم أعد أعرفك يا سيليزيت كأنني لم أكن قد رأيتك قبل الآن . إنني لم أكن أفهمك ، لست أدري من أية سماء أنت تنزلين عند ما تتكلمين بهذا الأسلوب ؟ !

سيليزيت - إنني أنزل من أجلافيين يا ميلياندر . ميلياندر - إننا جميعاً نزل من أجلافيين يا طفلي إذ أننا منذ عرفنا أجلافيين لم يعد لدينا منبع مشتهي لإطفاء غلتنا إلا منبع الجمال ، ولكن هل تظنين أنه يوجد فرق كبير بين روحك وروح أجلافيين ؟

سيليزيت - نعم أنا أظن أنه يوجد بين روحينا فرق عظيم .

ميلياندر - أنا لا أظن ذلك ، ولا سيما حينما كنت ألمح ما كان يختبئ في نفسك وراء ضحكات تشبه ضحكات الطفولة البريئة . إن الإنسان يتجه عادة إلى الأرواح التي تعرف كيف تظهر نفسها ، على حين يجب عليه أن يعرف جيداً أن الأرواح التي لا تظهر نفسها قد لا تقل نبلا عن الأولى ، بل يمكن أن تفوقها في السمو ما دامت هي واثقة من نفسها .

سيليزيت - لا لا ، مهما أعمل فسيكون عملي نوعاً من العبث ، إنه ليس مماثلاً لعمل أجلافيين من جميع الوجوه يا ميلياندر ؛ وحينما أعمل شيئاً تحبه فأنا أكون قد حاولت أن أقلد فيه أجلافيين .

ميلياندر - سيليزيت

سيليزيت - أوه يا ميلياندر أنا لم أقل هذا الكلام لتؤنبك ، فهل فهمته كذلك ؟ أنا لم أعد كما كنت سابقاً ولن أقدم في المستقبل تأنيباً إلى أحد . أنا لا أعرف ما الذي غيرني هكذا . ولو أن قائلاً قال لي منذ زمن : إنني سأكون سعيدة بصيرورتى أكثر حزناً أو أنني سأضع شفتي فوق شفتي تلك التي تحبها لما صدقت من ذلك شيئاً ، ومع ذلك فأنا أفعله .

ميلياندر - أنا لا أدري ما الذي تحبّه السماء للرجل الذي تحوطه بمثل هذه الظروف .

سيليزيت - أنا لست إلا شيئاً ضئيلاً ، ولكنني أريد أن أكون خيراً مما أنا الآن ، وأريد أن أكون محبوبة ، وأن يبكي من يحبنى كما تبكي أنت حين تعجب بها .

ميلياندر - عمن تتكلمين ؟

سيليزيت - أنا أتكلم عن التي أنت تفكر فيها بدون شك كلما تكون صامتاً .

ميلياندر - حيناً أكون بجانبك فأنما فيها أفكر ، وحيناً أكون بجانبها فأنما بك أحلم .

سيليزيت - لقد رأيت جيداً أن الحالة ليست واحدة ، وأن الدموع التي تذرفها على ليست هي الدموع التي تسكبها عليها ، وأن هذه الأخيرة تجي من أمكنة أبعد من أمكنة الشفقة التي تجي منها الدموع المسكوبة على ، ولأنني أعرف أنها منبعثة عن أسباب غير قابلة للنسيان . وحيناً تقول لي : إنك تحبني ، لكي أكون أقل حزناً لن تستطيع ألبته أن تقول لي ما تقوله لأجلافيين .

ميلياندر - أنا لا أدري ما إذا كنت أقول

لك نفس الكلام يا سيليزيت ، لا يقول الانسان ما يريد بالضبط ، وحيناً يريد أن يتحدث إلى من يحبه ، فانه لا يزيد على أنه يجيب عن أسئلة نفسية لا تسمعها الأذن ، وهذه الأسئلة النفسية لا تتشابه فيما بينها ، ولذلك تختلف أحاديثنا دون أن نعلم ذلك أو أن نفهمه ، غير أن أسئلتك النفسية المشتملة على براءة الطقولة لا تقل جمالاً عن أسئلة أجلافيين وإن كان النوعان ليسا من منبع واحد ، ولهذا ينبغي ألا تحزني ، كما ينبغي ألا توجد الفيرة بين الأرواح . هل تعتقدين أني لا أحدث إليك الآن كما لو كنت أحدث إلى أجلافيين ؟ وهل تظنين أنه يمكن أن يتحدث أحد إلى أي كائن بشيء آخر غير ما أحدث به إليك ؟ . أوه ياسيليزيت المسكينة ! لو أن ملكاً نزل من السماء بين ذراعي ليأخذ مكانك لما فتحت له قلبي بنفس البساطة والعمق اللذين أفتح بهما قلبي لك . ولم يبق مما ينبغي أن أقوله لك بعد الذي قلته إلا ما لا يقال في هذه الحياة الدنيا . فلننتظر ياسيليزيت فإما أن ترتحل أجلافيين أولاً ترتحل ، إذ هي وحدها التي تعرف ذلك ، وهي لا تفضل فيما تعمل ، ولكن سواء أمكثت أم ارتحلت ، فإنها عرفت كيف تكشف لي عن كنزك وكيف تعلمني أن أحبك بطريقة لم أكن أعرف قبل ذلك سلوكها ، وعلى أي حال من الأحوال ياسيليزيت إذا كان هناك أحد ينبغي أن يظل يبكي فليس هو أياك ، وفوق ذلك ، هل تظنين أننا نصير سعيدين لو ارتحلت أنت يا طفلي ؟ وهل تظنين أن سعادة تؤسس على ألم كائن صغير تقي وديع مثلك تكون سعادة طويلة الأجل أو جديرة بنا ؟ وهل تظنين أنني أستطيع أن أقبل أجلافيين أو أنها تستطيع أن تحبني إذا قبل أحداً هذه

أجلافين - آه .

ميلياندر - إنها احتفظت لنا بجمرة دموعها
أجلافين - أنت ترى جيداً أنها ما دامت
لا تتكلم فإن هذه الأشياء الصغيرة ستتكم نيابة
عنها لتقول لي : إن الوقت قد أوفى . دع لي هذا
التدليل ... أيها البرهان الصغير : إن من لا يفهمك
يجب أن يكون ميتاً .

ميلياندر - يناديها محاولاً تقبيلها .

أجلافين - لا تقبلني اليوم وأحبها جيداً
يا ميلياندر .

ميلياندر - أنا لا أدري ماذا أعتقد . يخيل
إليّ أحياناً أنني أحبها كما أحبك ، وأحياناً أخرى
أكثر منك ، لأنها أبعد منك عني ، وأكثر
غموضاً أمام فهمي ؛ ثم حيناً أراك ينمحي كل ماحولها
فلا أعود ألحها ، ومع ذلك ، فلو أنني فقدتها إلى
الأبد ، فاني سوف لا أستطيع أن أعاقبك بدون
حزن .

أجلافين - أنا أعرف جيداً أنك تحبها ،
ولأجل ذلك ينبغي أن أرتحل .

ميلياندر - أنا لا أحبها إلا فيك ، وإذا
ارتحلت فلن أحبها بعد الآن .

أجلافين - أنا أعرف جيداً أنك تحبها
وأعرف ذلك إلى حد أنني لا أستطيع أن أمنع
نفسى من أن أشتى أحياناً مثل هذا الحب الذى
تمنحه إياها . ينبغي ألا تظن أنني كاملة من جميع
الوجوه . إذا كانت سيليزيت لم تعد كما كانت في
الماضى فأنا أيضاً قد تغيرت بمقامى بينكم . لقد حثت
إلى هنا ، وأنا أكثر حكمة مما ينبغي أن أكون .
لقد كنت مقتنعة ، بأن الجمال لا ينبغي له أن

السعادة المؤسسة على شقائقك ؟ نحن نتحاب جبا
يفوق شخصيتنا سمواً . ومنذ زمن لم يعد يمكننا أن
نحبك دون أن نراك . تعالى إلي وأعطينى شفقتك .
أنا أقبلك قبله روحية هذا المساء ياسيليزيت . تعالى
فأنا أظن أن الساعة الثانية عشرة تدق الآن . هلمى
بنا لنرى هل أحلام أجلافين لا تزال تبكى في نومها ؟

المنظر الثانى

(يقع هذا المنظر فى أحد أجنحة القصر بين أجلافين
وميلياندر اللذين يدخلان فجأة)

أجلافين - هل تسمع صوت هذا الباب الذى
يغلق ؟

ميلياندر - نعم .

أجلافين - إنها سيليزيت وقد سمعنا وأرادت
أن تتركنا وحدنا .

ميلياندر - لقد قالت لي إنها ستصعد فوق
البرج فى هذا الصباح ، لأنها علمت أن طائرًا عجيبًا
قد وفد إليه .

أجلافين - إننى متأكد أنها كانت هنا ،
وأن كل شيء فى الغرفة يلوح عليه أنه ينتظر عودتها .
أنظر هذه الأدوات الصغيرة التى تستعملها فى الحياة
والنسج ، فأنها لا تزال موضوعة فى النافذة مع
الخيوط الحريرية : الفضية والذهبية ، ومع الأحجار
التي ترصع بها ملابسها .

ميلياندر - وها هو خاتمها الذى كتب عليه
اسمنا ، وها هى بنفسجتها ، وها هو منديلها . قال
ذلك ثم تناول المنديل دهشاً حينما وجده مبللاً .

أجلافين - ماذا حدث ؟

ميلياندر - ماذا إليها المنديل : خذى هذا
المنديل وانظرى كيف هو .

أو أفكر فيه ، ولا بما كانت تقوله هي أو تفكر فيه
أجلائين - حينما جئت إلى هذا القصر كنت
أعتقد أن كل شيء ممكن ، وأن أحداً لن يتألم ،
ولكنني اليوم أرى أن الحياة لا تريد أن تخضع
لمشروعاتنا الجميلة ، وإنني أعرف في نفس الوقت
أنني إذا بقيت إلى جانبك وكان هذا البقاء مؤلماً لأحد
فإنني لن أكون جديرة بك . وإذا أنت أقررت
ذلك ، فلن تكون جديراً بي ولن يكون حبنا
إذ ذاك شبيهاً بحبنا الحاضر .

ميلياندر - قد يكون هذا حقاً ، ولكن ألا
نكون مصيبين لو أننا فعلنا ذلك ؟

أجلائين - إن الصواب في مثل هذا الموقف
شيء بآفه . وإنني أعتقد أنه ينبغي للإنسان أن يظل
طول حياته مخطئاً فإن ذلك خير له من أن ييكن
المخطئين . أنا أعرف كذلك كل ما ينبغي أن يقال ،
ولكن لماذا يقال لنا ذلك مادامنا نعرف جيداً أنه
لا يستطيع أن يغير شيئاً من تلك الحقائق العميقة
التي لا تصني إلى معسول الكلمات ؟ يجب ألا نستمع
إلا إلى ذلك الداعي الذي يدعونا دون أن يؤلف جملاً .
إن الذي يقتاد حياتنا بالرغم من أفاظنا وأفعالنا
إنما هو بساطة الأشياء ، وإن الإنسان يتخضع دائماً
كلما أراد مقاومة البساطة . من يدري لأي سبب
تلاقينا في هذا الوقت المتأخر عن الأوان ؟ ومن
يجرؤ على القول بأن القدر الذي فعل هذا ليس هو
منتهى الحكمة الإلهية إننا عاقلان في هذه
اللحظة ياميلياندر المسكين إلى حد أن من يسمعنا
تسكلم في هذه الآونة لا يتردد في أن يقول : إنهما
يتحaban حبا فآراً ، وإنهما يجهلان الحب الحقيقي
جهلاً تاماً ، وما ذلك إلا لأننا قد تحابيننا حبا أعلى

ينشغل بالدموع التي تذرف بسببه ، وقد كنت أظن
أن الخيرية لا مرشد لها إلا الحكمة ، ولكنني الآن
أعترف أن الخيرية لا ينبغي أن تكون حكيمة دائماً
وأن الأفضل لها أن تكون إنسانية ومجنونة . لقد
كنت أعتقد أنني أجهل النساء . والآن أنا أعترف
أن أصغر الكائنات قد تساويني في الجمال ، وإن
كانت لا تعرف ذلك . أنا حين أنظر إلى سيليزيت
أسائل نفسي في كل لحظة : أليس كل ما تتخبط
فيه روحها البريئة أعظم وأطهر ألف مرة من جميع
ما يمكن أن أفعله أنا ؟ إنها الجميلة إلى درجة تعجز كل
تعبير ؛ وليس عليها لا اكتشاف جمالها إلا أن تنحني
قليلاً ، فإنها إن فعلت وجدت في قلبها كنزاً عظيماً ،
فاذا عثرت على هذا الكنز ، أفاضته على من
يحيطونها دون علم منها كأنها عمياء صغيرة تملأ يديها
بالجواهر ثم توزعها وهي لا تدري ماذا توزع .

ميلياندر - إن هذا الأمر عجيب . حينما
تحدثين إلي عنها فأنما أنت وحدك التي أعجب بها
والتي أحبها أكثر من ذي قبل ، وأنه لا يستطيع
شيء في العالم أن يحول بينك وبين الإتيان بجميع
هذه المحامد التي أفضتها عليها ولو أن إلها تدخل في
الأمر لما استطعت أن أحبها كما أحبك .

أجلائين - إن هذا هو ظلم الحب . فلو أنك
أثنت على أخيك ، لعرفت أنك الذي صرت أكثر
جمالاً . إنني أريد أن أعانقك وأن أبكي ياميلياندر .
إنه من المستحيل إذاً أن يساو المحبان عن حبهما
ميلياندر - أنا أظن أن ذلك مستحيل . وقد
رأيت هذا بنفسى آنفا حينما كنت أتحدث إلى
سيليزيت ، لأنني حينما كنت أتحدث إليها كنت
أشعر أن الحب لا يريد أن يتصل بما كنت أقوله

يحتمله غيرهم . إنه لا توجد على مثل عواطفنا هذه
مكافأة ، وإنما نحن أيضاً لا ننتظر مكافأة .

المنظر الثالث

(يقع هذا المنظر في أسفل أحد الأبراج القديمة العالية
بين أجلافين وميلاندر)

أجلافين — لقد رأيتها هذا الصباح فوق البرج
وحولها عدد من الطيور البحرية تصيح بأصوات
عالية . إنها تصعد فوق هذا البرج بدون انقطاع
منذ يومين أو ثلاثة أيام ولا أدري ما هو الأثر الذي
يحدثه ذلك العمل في نفسي . إنها تظهر في نفس
الوقت أكثر قلقاً وأقل حزناً ، وكأنما هناك شيء
يجهز في داخل هذا القلب الصغير العميق .

ميلاندر — يخيل إلي أنها أخذت تبسم من
جديد لحياتها القديمة الشبيهة بحياة الطفولة التي كانت
تحياها قبل حضورك إلى هنا . ألم تلحظي أنها أخذت
تغنى وتنشئ ؟ إنها تسير أمامنا كما لو كان هناك نور
غير منتظر يضئ لها الطريق . ألا ينبغي أن نترك
الحديث الآن في أمر رحيلك إلى أن تسترد هدوءها
وأن يثبت في نفسها هذا التطور الجديد ؟

أجلافين — لا ، أنا أريد أن أعلن لها رحيلي
اليوم .

ميلاندر — ولكن كيف ستعلنين لها ذلك
وآلا تخشين أن هذه الطفلة التي اقتربت كثيراً من
قلبيننا والتي لم تعد تحيا إلا فيك — تتألم من رحيلك
كما تتألمين أنت لو أنك رأيت كأننا أسمي منك بضحي
بخطه في الحياة في سبيل حظك الذي هو أدنى منه ؟
أجلافين — ليس لنا الحق في أن نزن أو تقدر
حظوظ الآخرين ، ولكنني أيضاً فكرت فيما ينبغي
أن أقوله لها . في أول الأمر فكرت في أن أكذب

من أن يفكر فيه المحبون العاديون .

ميلاندر — إنني أحبك يا أجلافيني ، وإن
الحب الذي من هذا النوع هو أرق أنواع الحب
أجلافين — إنني أحبك يا ميلاندرى ، وإن
هذا الحب يعد الخالد حقاً .

ميلاندر — والآن قد فكرت فيما ستكون
عليه حياتنا حينما يفترق كل منا عن الآخر ولا يبقى
لنا من هذا الحب إلا تذكّار صغير يظل يضوّل مع
الزمن شأن كل الذكريات التي تعفيها الأيام . ماذا
سأعمل أنا هنا ؟ وماذا ستعملين أنت هناك في العام
المقبل ؟ لاشك أننا سنتعب الأيام والشهور بعد أذرعنا
في الفراغ عبثاً وبدون فائدة . من المؤسف أنني
لا أريد أن أبكى مع أن أقل تفكير في حالتنا هذه
يدعونا إلى أن تتعاقب حتى تنفطر قلوبنا . عبثاً
نحاول أن تقنع أنفسنا بأن حبنا سيظل كما هو رغم
السنين والغابات والبحار التي ستفصل بيننا . إنه
يوجد في حياتنا كثير من الأوقات التي لا نستطيع
فيها أحلى الذكريات أن تعزى المحبين عن الفراق
الطويل المدى .

أجلافين — أنا أعرف جيداً أن القول بأن
الحب مع الفراق يظل كما هو لا يعزى إلا لفظياً فحسب ،
إذا بقينا معاً فسادتنا ستكون أمراً ممكناً ، وإذا
افترقنا فشقاًؤنا سيكون شيئاً محققاً ، ومع ذلك فنحن
الاثنان نشعر أن ما سأفعله أنا ، وهو الرحيل فهو
ما ينبغي أن يفعل ، ستبكي منه وقتاً طويلاً ، وأنا
سأبكي إلا الأبد ، لأنه لا يكفي المرء أن يفكر في
أنه قام بعمل نبيل لكي يحول بين عينيه وبين سكب
الدموع ، ومع ذلك ، فينبغي لأولئك الذين استطاعوا
أن يحبوا ما لم يستطع غيرهم حبه أن يحتملوا ما لا

سيليزيت — إن ذلك هو منشأ عذابي ، فأنا
أشتهي أن أحيط أحداً بها علماً ، لأنني لا أعرف
شيئاً وحدي ، ولكنني إذا أخبرت بها أحداً
صارت أقل جمالا من ذي قبل .

أجلافين — أنا لا أدري ما عسى أن تكون
هذه الفكرة ، ولكن يخيّل إلي أن أية فكرة تزيد
جمالا كلما زاد الإعجاب بها .

سيليزيت — وما هي ذي سيليزيت الصغيرة
أيضاً لديها سر تعرف كيف تحتفظ به ، ولكن
ما ذا كنت تعملين في مثل موقعي هذا لو أنك كنت
سيليزيت الصغيرة ثم رأيت أجلافين الأكثر منك
جمالا تقبل زوجك ؟

أجلافين — أنا أعتقد أنني في مثل هذا
الموقف كنت أحاول أن أكون سعيدة كما لو
أن أحداً حمل إلي منزلي نوراً جديداً ؛ وكنت أجهّد
في أن أحب تلك السيدة كما تحبيني الآن يا سيليزيت

سيليزيت — أما كنت تصيرين غيورة ؟
أجلافين — أنا لا أدري فقد يكون من الممكن
أن تمر بي لحظات أحس فيها بالغيرة ، ولكن لو
وقع لي شيء من ذلك لما تعدى أعماق نفسي
ولا جتهدت في أن أكون سعيدة .

سيليزيت — لقد أوشكت أن أكون سعيدة
يا أجلافين .

أجلافين — لا ينبغي أن تشعرى دقيقة واحدة
بعد الآن أنك شقية يا سيليزيت .

سيليزيت — لو أنني كنت متأكدة من أن
فكرتي حسنة لأصبحت في منتهى السعادة .

أجلافين — لماذا لا تكون فكرة حسنة
ما دامت ستصيرك سعيدة ؟

عليها حتى لا تتألم . لا تبتسم يا ميلياندر . حقاً إنني
لست امرأة عادية ، ولهذا أنت تتصور أنني لا
أكذب ، ولكنك تغالي في هذا ، فأنا أملك فن
الكذب وأعرف بجميع أخواتي النساء كيف
أكذب كلما أعلن الحب أن الكذب أمر ضروري ،
لقد كان في نيتي أن أقول لها : إنني لم أعد أحبك
وإنني كنت مخدوعة فيك ، وإنك أنت أيضاً لم تعد
تجبنني إلى غير ذلك مما ينقصني في عينيها ، ويجعلني
غير قمينة باحترامها ، وبالتالي يبدد أسفها علي ؛ أردت
كل هذا ، ولكنني شعرت أمام عينيها الواسعتين
الطاهرتين أنه من المستحيل علي أن أقول لها ذلك
مادام يخالف الحقيقة . استمع : إنني أسمعها تغني وهي
نازلة على سلم البرج . انصرف أنت ودعني أتحادث
إليها وحدي ، لأنها تقول لي ما لا تستطيع أن تقوله
لك ؛ ثم إن الحقيقة لا تنزل من سمائها أجل ما تكون
إلا حين تستطيع أن تأخذ مكانها بين كائنين اثنين .

(يخرج ميلياندر ويسمع صوت سيليزيت وهي تقرب من
أجلافين شيئاً فشيئاً مترنمة بأنشودة حزينة ينتهي آخر مقطع
منها بهذه الكلمة : إنني أرى الموت لا يزال ينتظر !)

أجلافين — أوه يا سيليزيت ما أوسع عينيك !
وما أكثر نورهما في هذا الصباح !

سيليزيت — هذا لأن لدي اليوم فكرة جميلة
يا أجلافين .

أجلافين — نبئني بها يا سيليزيت ، لأن الانسان
لا ينبغي له أن يخفي الفكرة الجميلة التي تسعد الناس
جميعاً .

سيليزيت — لا أستطيع حتى الآن أن أنبئك بها
أجلافين — حدثيني عنها مع ذلك فقد أستطيع
أن أساعدك في تنفيذها .

سيليزيت - إن من الصعب على أن أعرف ذلك ، وإنني وحيدة .

أجلافين - ولكن لماذا لا تتحدثين بها إلى وأنا واثقة من أنني أستطيع مساعدتك .

سيليزيت - نعم نعم أنت ستساعديني ولكنني أريد أن تفعل ذلك دون أن تعرفه .

أجلافين - أنت إذا تريدين أن تخفي عني شيئاً سيليزيت - سأخفي عنك شيئاً ، ولكنني أخفيه ، لكي أظهره عند ما يصير جد جميل .

أجلافين - متى سيصير ذلك الشيء جميلاً ؟

سيليزيت - عند ما سأعرف ، عند ما سأعرف ستجبانني أنما الاثنان حباً أقوى من حبكما الحاضر

أجلافين - وهل يمكن الانسان أن يحب أكثر من هذا الحب يا سيليزيت ؟

سيليزيت - كم أنا أشتهي أن أعرف ماذا كنت ستعملين لو أنك في موقفي ؟ !

أجلافين - إنني مستعدة لأن أقول لك ذلك سيليزيت - أما أنا ، فلو أنني قلت لك ما سأفعله

لما كانت حالتك بعد القول مماثلة لحالتك قبله ولأيت أن تنبئيني بالحقيقة .

أجلافين - ألم أقل الحق دائماً ؟

سيليزيت - بلى ، أنا أعرف جيداً أنك تقولين الحق ، ولكنك في هذا الموقف كنت لا تستطيعين أن تقوليني الحق .

أجلافين - أنت عجيبة في هذا الصباح ، ويجب أن تحذري من أن تكوني مخدوعة .

سيليزيت - لا ، لا ، تعالى أقبلك يا أجلافين ، إذ بقدر ما أقبلك أكون واثقة من أنني لا أنخدع

أجلافين - عندي ما سأقوله لك .

سيليزيت - ماهو إذاً ؟ كأنك أنت أيضاً لا تجرئين أن تقولي لي ما عندك ، أيمكن أن يكون مماثلاً لما عندي ؟

أجلافين - وما هو الذي عندك ؟ سيليزيت - لا شيء ، لا شيء ، أنا أثرر ، ولكن

قولي حالا : ما الذي عندك ؟

أجلافين - إن ذلك يحزنك ، ومع ذلك فقد كان ينبغي أن يسعدك .

سيليزيت - أنا لن أبكي بعد الآن أبداً ، بعد الآن يا أجلافين .

أجلافين - ما هذا ؟ إنك تقولين ذلك الكلام وعلى وجهك مسحة يخليل إلى أنها غريبة .

سيليزيت - لكن لا ، لكن لا . أنا لن أبكي بعد الآن ، وهذا هو كل شيء . أليس ذلك طبيعياً ؟

أجلافين - دعيني أنظر في عينيك . سيليزيت - انظري انظري ؟ ماذا ترين ؟

أجلافين - عيشاً أكد الناس أن أرواحنا تظهر من خلال أعيننا ، إذ الحقيقة هي أنه كلما نظر

أحد إلى العينين خيل إليه أن الروح تفر من أمام نظراته ، وحينما أغمس نظراتي في ماء عينيك النقي

يخليل إلي أن هاتين العينين هما اللتان تسألانني قائلتين : ماذا تقرئين فينا بدل أن تجاوبا على سؤال

لا أستطيع أن أوجهه إليهما .

سيليزيت - ماذا عندك فتنبئيني به ؟ . . . أجلافين - تعالى بين ذراعي ياسيليزيت الصغيرة التي كدت أحرماها من أعز ما لديها .

سيليزيت - أأنت حزينة يا أجلافين ؟ أجلافين - لا ، أنا لست حزينة ، لأنك

ستكونين سعيدة .

سيليزيت — إن في عينيك قطرات من الدموع
أريد أن أجففها .

أجلافين — لا تنشغل بهذا ، وأنت إذا بكيت
فسأتولى تجفيف دموعك قبل أن أنشغل بدموعي .
والآن لنجلس هنا على عتبة البرج كما جلسنا في ذلك
المساء الذي تحدثنا فيه للمرة الأولى . أتذكرين المساء
الذي كنا فيه على حافة خزان المياه ؟ لقد مضى على
ذلك أكثر من شهر وجدت اثناءه أشياء وانعدمت
أشياء وأصبحت أرواحنا أبعد نظراً من ذي قبل .
أعطيتني شفتيك ياسيليزيت فلن نفوز بلحظات
أخرى تشبه هذه اللحظة ، لأنني سأرتحل غداً ،
وكل مانعمله في اللحظة الأخيرة يظهر أمام قلبينا
البائسين أكثر جدية وعمقاً من كل ما حدث أولاً .
سيليزيت — أسترحلين غداً ؟

أجلافين — نعم غداً ياسيليزيت ، وهذا
ما كنت أريد أن أقوله لك . لقد أردت في أول
الأمر أن أخفي عنك ذلك وأن أكذب عليك
لكي أؤخر ألك بعض الشيء ، ولكني أراك جميلة
وأحبك حباً عالياً يستطيع ألا يحول بينك وبين
ألم يقربك منا . وفوق ذلك ، فإذا عاش أشخاص
ثلاثة أشهر تحت ظلال الحقيقة كما عشنا تبدلت
حالمهم وأصبح الجو الذي يعيشون تحته غير قابل
لكل ما يخالف الحقيقة ، ولأجل هذا أنا أعلن لك
أنني سأرتحل غداً ، لكي تصيري سعيدة ، وإنني
أقول لك هذا الآن لتعلمي أنني أتألم كثيراً من
ارتحالي على هذه الصورة فتتألمي بدورك ، وهذا
الألم هو نصيبك من التضحية ، لأن كلا منا نحن
الثلاثة يضحي بنصيب في سبيل شيء لا يعرف اسمه ،
ولكنه فوق قوته . ولكن أليس غريباً ياسيليزيت

أنني أحبك وأحب ميلياندر ، وميلياندر يحبني ويحبك
أنت أيضاً ، وأنت تحبيننا نحن الاثنين ، ومع ذلك
فلا نستطيع أن نحيا سعداء ، لأن الساعة التي
يستطيع فيها بنو الانسان أن يحيا هذه الحياة لم
تحن بعد . والآن أنا أرتحل راجية إليك أن تقبلي
هذا الرحيل بمثل القلب الذي أنا أقدمه به . فإذا
قبلت ذلك ياسيليزيت فانك ستعملين عملاً لا يقل
جمالاً عما أعمله وتضحين تضحية قد تكون أكبر
من تضحتي مادام من المفهوم أن الشخص المخلص
هو أكثر سعادة من الشخص المقدم إليه هذا
الاخلاص . ألا يحيل إليك عند ما تاتي كل منا
بنفسها بين ذراعي الأخرى ، وعند ما نغمس في وسط
الحقيقة البسيطة — أننا نلمس شيئاً أعظم منا ؟ .

سيليزيت — لا ترحلي غداً

أجلافين — لماذا لا ينبغي أن أرتحل غداً مادام
الرحيل واجباً ؟

سيليزيت — أنا أسألك ألا ترحلي قبل أن أقول
لك ما وعدتك به

أجلافين — وهل ستقولين ذلك عما قريب ؟

سيليزيت — نعم الآن قد صرت متأكدة من
ذلك . وهل ميلياندر يعرف ما اعزمته ؟

أجلافين — نعم

سيليزيت — أنا لم أعد حزينة يا أجلافين

أجلافين — ماذا كنت تعملين لو أنني ارتحلت
دون أن أنبئك بشيء ؟

سيليزيت — كنت ألحق بك وأعيدك إلى
هنا ثانية

أجلافين — وإذا كنت لم تجدني ؟

سيليزيت — كنت أبحث عنك طول حياتي

تكونى مثلى جاهلة ثم عرفت بعد ذلك . أنا لا أدري لماذا أنا أشتى أن أرحل أو أموت لأجلكما . أنا سعيدة وأريد أن أموت لأكون أكثر سعادة أجلائين - إنه من الخطر أن يفكر الانسان في الموت عندما يكون سعيداً . هل ينبغي لى أن أعترف بما هو فى نفسى ؟ إن الخوف قد اعترانى مرة ، إذ تخيلت أن الفكرة التى تتحدثين عنها هى... سيليزيت - نعم

أجلائين - ... لقد خشيت أن تكون هذه الفكرة

سيليزيت - لا تخافى يا أجلائين فلن تكون هذه الفكرة إلا فكرة فتاة صغيرة

أجلائين - نعم لو وجدت لكنت فكرة قلب صغير أعمى لا يستطيع أن يبرهن على الحب إلا بالموت . ينبغي على العكس أن يعيش الانسان إذا كان يحب ، إذ بقدر ما يحب يجب أن يحيا ؛ ثم أنا أعرف جيداً أنك تحبيننا كثيراً حتى تفعل بنفسك هذه الفعلة . وحينما يفكر الانسان تفكيراً صحيحاً ، يتضح له أنه لا يوجد جلب الشقاء لكائنين طريقة أقسى من إيجاد موت بري بينهما

سيليزيت - هل تريد أن أعترف لك أنا أيضاً بشئ يا أجلائين ؟

أجلائين - ينبغي أن تعترفى بكل شئ كما اعترفت لك بكل ما عندى ياسيليزيت الصغيرة . إنه لا يوجد بين الكائنين المؤلفين شئ أجمل من ألا يخفى كل عن صاحبه أية فكرة ولو خلف زهرة .

سيليزيت - لقد فكرت فى ذلك حيناً .

أجلائين - أفكرت فى الموت ؟

سيليزيت - نعم فكرت فى ذلك منذ وقت

أجلائين - أنا أخشى أنك ترتحلين قبلى ، وأن تكون هذه الفكرة هى التى كنت تتحدثين عنها آنفاً

سيليزيت - كانت تكون فكرة سيئة ، أما الآن فلدى فكرة سعيدة

أجلائين - لكن الآن سوف لا ترتحلين

سيليزيت - لا لا يا أجلائينى ، أنا ان أغادر هذا القصر

أجلائين - أمن أعماق نفسك تعدينى بهذا ؟

سيليزيت - إنه من أعماق نفسى وأقسم لك عليه بسعادتى الأبدية يا أجلائين

أجلائين - أنا لا أدري ما إذا كان الأفضل هو عدم مجيئى من أول الأمر إلى هذا القصر

سيليزيت - لو أنك لم تجيئى إلى هنا لما كنت أنا شقية ولا سعيدة ، بل لما كنت شيئاً مطلقاً

أجلائين - من يدري إذا كان إيقاظ النائمى من الأمور المسموح بها لاسيما إذا كان نومهم طاهراً ولديداً ؟

سيليزيت - ينبغي أن يكون ذلك مسموحاً به مادام أولئك النائمون لم يعودوا يرغبون فى النوم .

قبل أن تجيئى إلينا كنت أقبل ميلاندر كأنى عمياء صغيرة وكنت لا أعرف أننى كذلك . ولكن هل من جريمتى أن أكون صغيرة ؟ أما الآن فأنا فى حالة أخرى ، إنه كان نائماً هذه الليلة بينما كنت ساهرة أنظر إليه وكنت أقبله دون أن يستيقظ ، وفى نفس الوقت كنت أنظر إلى النجوم من خلال النوافذ

ترصع صفحة السماء الزرقاء كأنها قد أرادت أن تتخذ لها من روحى سماء تسطع فيها . أوه يا أجلائين أنت لا تعرفين ذلك لأنك لم تمرى بهذه الظروف إذ لم

أن أحداً يصير إليها ، وقد شعرت بأن حياتي تأمنه حول شفتي تحاول الخروج بلا عودة ، وهذه هي المرة الأولى التي أحسست فيها بطعم الحياة والموت معاً في في . لقد فتحت النافذة وصحت بك وقتنا طويلاً لأحذرك ، ولكنك لم تفهمي أو لم تسمعي . لا ينبغي أن تحومي حول الحظ السيء الخطر . ماذا كنت تعملين فوق البرج ؟ هاهي ذي المرة الثالثة التي أراك فيها هناك . يخيل إلى أنك كنت تحركين الأحجار بيديك . ماذا كان هناك ؟ إنه كان يلوح عليك أنك تبحثين في الفراغ عن شيء مفقود

سيليزيت — كنت أبحث في الواقع عن شيء . ولكن لا ترتاعي فليس هناك ما يدعو إلى الخوف . البرج العتيق متين وسيظل شامخاً وقتنا طويلاً بعد موتنا جميعاً . لماذا نحقق عليه ؟ إنه إلى الآن لم يسيء إلى أحد . أنا أعرف أكثر من غيري أن أحجار البرج لا تتحرك ، وأنت مادمت لم تربه فلا تعرفين ما يقع بعيداً عنك . لقد وصل إلينا منذ خمسة أوسبنة أيام طائر مجهول ، وهو لا يزال يطير حول البرج دون أن يحس بالتعب ، له جناحان أخضران خضرة غريبة مشربة بصفرة لا يمكن شرحها ؛ ثم إن في هذا الطائر شيئاً أكثر غموضاً من الأول وهو أنه يكبر في كل يوم ، وأن أحداً لم يستطع أن يقول لي من أي الجهات هو يجيء . أنا أعتقد أنه عيش في جحر من الحائط عند نفس المكان الذي رأيته منحنية عليه .

أجلافين — هل ذلك المفتاح الكبير المذهب الذي تعبثين به هو مفتاح البرج ؟ وهل تتكلمين باعطائي إياه ؟

سيليزيت — أعطيك إياه ؟ وما تصنعين به ؟

مضى ، ولكنني عدت فقلت في نفسي ماتقولينه أنت الآن ، وبناء على ذلك وجدت شيئاً آخر .

أجلافين — وماذا وجدت ؟

سيليزيت — إنه شيء آخر تماماً وإنه في جانب الحياة ، غير أن الساعة الملائمة لا يضاحه لك لم تجيء بعد ، وسترين أنا أقبلك أنا لا أدري ماذا عندي ؟ كأن روعي — كما قيل — ثملة في جسمي ؟ ثم إنى عرفت أخيراً ماذا كنت تعملين لو كنت في موقعي . (قالتا هذا وخرجتا متعاقبتين)

الفصل الرابع المنظر الأول

(يقع هذا المنظر في طرف من أطراف أحد أجنحة القصر المطلة على البحر بين أجلافين وسيليزيت)

أجلافين — الشمس تشرق على البحر ، هل ترين ذلك السرور الهادي العميق الذي يفيض على الأمواج ؟ إن هذا اليوم سيكون من أجمل الأيام يا سيليزيت ، وأنت أيضاً ما أجلك الآن ! بل إن جمالك ليتضاعف مع إشراق فجر كل يوم . ألا تقولين لي ما الذي جعلك تتطورين هكذا حتى آخذ بنصيب من قبل أن أرتحل ؟ أهى روحك الثملة بالطهر والبراءة ؟ أو هل دعوت إلها لا أعرفه ؟ أو هل هو شيء لاعد لك به ؟

سيليزيت — نعم أنا أعتقد أنني أحب أكثر من ذي قبل .

أجلافين — لقد جئت لمقابلتك لأنني رأيته من نافذة غرفتي . ولقد روعني إذ ذاك منظره وأنت منحنية فوق الحائط الأيل للسقوط من البرج حتى ظننت أنني أرى أحجاره تضطرب فامتقع لوني وتجمد الدم في أعضائي إلى درجة لم أكن أتصور

أجلافين - أريد أن أحفظه معي إلى ساعة الرحيل .

سيليزيت - ولماذا هذا يا أجلافين ؟

أجلافين - لأعرف ذلك بالضبط . لا تصعدي إلى قمة البرج إلا بعد رحيلي ولا تشغلي بعد الآن بالطائر ذى الجناحين الأخضرين ، إذ قد رأيت رؤيا مزعجة مر فيها ذكر هذا الطائر

سيليزيت - ها هو ذا المفتاح . أنا لا أتمسك به لأنه ثقيل .

أجلافين - إنه ثقيل في الواقع .

سيليزيت - قبليني فقد آلمتك .

أجلافين - لا ، إلى هنا أنت لم تؤلى أحداً . إن عينيك مغرورتان بالدموع .

سيليزيت - إن ذلك جاءني من تحديقى إلى الشمس أثناء كنت أقبلك . أنا أريد أن أرى ميلياندر . قال لي : إنه سيستيقظ مبكراً . إلى اللقاء يا أجلافين .

أجلافين - ببطء : إلى اللقاء يا سيليزيت .
(على أثر ابتعاد سيليزيت وقفت أجلافين وحدها وتأملت في المفتاح لحظة ثم قدقت به إلى البحر وخرجت من الطنف بدورها) .

المنظر الثانى

(يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر حيث ترى « ميليجران » الجدة العجوزة نائمة وتشاهد سيليزيت وأختها « إيسالين » تدخلان عليها) .

يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر حيث ترى « ميليجران » الجدة العجوزة نائمة وتشاهد سيليزيت وأختها « إيسالين » تدخلان عليها .

سيليزيت - سنبداً قبل كل شيء بمعاينة جدتنا التي سوف لا يعانقها أحد بعد رحيلنا ، ومع ذلك فهي في حاجة إلى العناق مثل غيرها ، ولكن لا تقولى شيئاً . قد أخذت أجلافين مفتاح البرج ، لأنها كانت تخشى من تركه معي ، ولكنى سأجد المفتاح

الذى كان يظن أنه فقد وسنصعد إلى أعلى البرج دون أن يعلم بصعودنا أحد ، وسأمسك الطائر الأخضر

إيسالين - وهل ستعطينى إياه حالا ؟

سيليزيت - سأعطيك إياه إذا لم تحدثى أحداً عن صعودنا . احذرى فسأوقف جدتنا . هل تلوح على ملامح الشقاء يا إيسالين ؟

إيسالين - ماذا ينبغى أن أقوله لكى تصيري سعيدة يا أختى ؟

سيليزيت - يجب عليك أن تنبئنى بالحقيقة ، إذ ينبغى ألا تتصور الجدة أننى شقية . إنه أحياناً حينما يكون الانسان سعيداً ينخدع الناس ويظنون أنه كان يبكى . ألا يرى على وجهى أننى كنت أبكى ؟

إيسالين - انتظرى حتى أراك بدقة يا أختى .

سيليزيت - ألا يرى على شيء ؟

إيسالين - إنحنى قليلاً يا أختى ، لأنه لا يعرف بالضبط متى تبكين ، إذ أنت تبكين دائماً بكاء صامتاً

سيليزيت - لكن أنا لم أبك مطلقاً . أعتقد أنه قد دخل في عيني رماد أو شيء غير مرئى ، فإذا سألك في المستقبل سائل عنى وقال لك : ماذا فعلت ؟

وماذا قالت ؟ وهل كانت ممتعة أو حزينة ؟ فلا تجاوبى باندفاع على هذه الأسئلة عند ما ترين الذين يحوطونك

مروعين أو ممتعين أو محزونين ، ولكن ينبغى أن تلاحظى أننى كنت دائماً مسرورة ، لأن ذلك شيء

واضح ، فأنا أبتسم على ممر اللحظات ! وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغى أن تخفى الحقيقة . والآن ، لنكن

عاقلتين ، فأنا سأقرب من الجدة . آه كم تلوح على وجهها أمارات الوحدة والهجران !

(ثم تنادىها مقبلة إياها : جدتى ، أنا التى أناديك يا جدتى كم هي مستغرقة في نوم عميق ! جدتى :

إننى جئت لأودعك)

الذي ينبعث دائماً من الغابة قد أضحى كأنه ينبعث من
ظلال حطب تلهمه النار، وأن الشمس تلوح عليها
ملامح أسد مزعج يريد أن يلتهم السماء. قبليني
يا سيليزيت، لأن قبلاتك هي كل ما بقي لنا من ندى
الفجر الرطيب.

سيليزيت — لا، ليس عندي وقت، لأن وراي
من ينتظرنى الآن وستقبلنى هذا المساء.

ميلياندر — ماذا عندك يا سيليزيت؟

سيليزيت — آه هوشىء بسيط وسيمر سريعاً.

ميلياندر — ماذا تقولين؟

سيليزيت — لا شيء. قبلنى سريعاً.

(قال هذا وقبلته بعنف)

ميلياندر — لقد جرحت فى شفتى.

سيليزيت — ماذا؟

ميلياندر — الدم يقطر من شفتى قليلاً. أسنانك

الصغيرة الجميلة جرحتنى جرحاً بسيطاً يا سيليزيت.

سيليزيت — أوه، إننى لذئبة صغيرة. أنت

متألم يا ميلياندر؟

ميلياندر — بالعكس. لا شيء. انتهى كل شيء.

سيليزيت — أوه، إننى لذئبة صغيرة... كم

الساعة؟

ميلياندر — إنها تقترب من الظهر.

سيليزيت — الظهر؟ أوه ليس عندي وقت.

إنهم ينتظروننى. وداعاً يا ميلياندرى.

ميلياندر — سيليزيت، سيليزيت أين تذهبين؟

(ولكن سيليزيت تبعد بسرعة وهي تنفخ بتلك

الأنشودة الحزينة التي مرت بك آنفاً بينما ميلياندر ينظر إليها

وهي مبتعدة ثم يخرج بدوره)

(البقية فى العدد القادم)

محمد غريب

ميليجران — أوه هو أنت يا سيليزيت؟
سيليزيت — نعم يا جدتى. أنا جئت أقبلك مع
إيسالين الصغيرة قبل أن نذهب للزهة فى الأرياف
ميليجران — أين تذهبان؟

سيليزيت — لم أعرف بعد. ولكننا نريد أن

نذهب إلى أبعد من المعتاد، ولن نعود قبل المساء.

أعندك كل ما يلزمك يا جدتى؟ إن أجلائين ستعنى

بك بدلى. أتريدى أن أنظم المساند قبل أن أخرج؟

إنه لا يوجد أحد يعرف كيف يرفعك^(١) دون أن يؤلمك

إلا أنا وحدى، ولكن أجلائين ستتعلم ذلك على

ممر الأيام. إنها لخيرة وستتعلم ذلك حالاً إذا مكنتها

منه، أتريدى أن أدعوها لك الآن؟

ميليجران — لا لا، أنا سأنام إلى أن تعودى.

سيليزيت — وداعاً يا جدتى وداعاً.

ميليجران — إلى اللقاء يا سيليزيت وعودى

قبل أن يدخل الليل.

(تخرج سيليزيت قابضة على إيسالين الصغيرة)

المنظر الثالث

(يحدث هذا المنظر فى أحد دهاليز القصر حيث يلتقى

ميلياندر بسيليزيت وأختها)

ميلياندر — أين تذهبين بسرعة إلى هذا الحد

يا سيليزيت؟

سيليزيت — لا أذهب إلى مكان معين يا ميلياندر

وإنما نبحت عن مأوى من الشمس.

ميلياندر — حقاً يخيّل إلينا أن الأحجار اليوم

تنصهر فى بواتق الحوائط من قوة الشمس، وأن

البحر قد صار بحيرة من النار، وأن الهواء الرطيب

(١) يلاحظ أن الجدة العجوز كانت مثبولة، وأن

سيليزيت هي التي كانت تعنى بها

يلوح لي أنها تتحاشى تناول ما وقع ، وما كنت أنا لأعود إلى البحث فيه . ومع ذلك فقد كان ما بيننا شئ من الاحتراس بالرغم من أننا عدنا إلى ما كنا تعودناه من علاقات الجوار . فكان في عدم تقيدنا شئ من الكلفة . وكأننا كنا نسرُّ إلى نفسنا : « لقد كانت الحال على هذا المنوال من قبل فلنستمر عليه » وكانت تمنحني ثقتها كأنها تعيد إليَّ حرمتي فأرى في صنعها شيئاً تراح نفسي إليه . غير أن أحاديثنا تولاهما شئ من البرود لأن عينيها كانتا تتناحيان خلسة فلا يبق وراء الحديث ما يتكلف الفكر اكتشافه . وقد كان كل منا يحاول من قبل أن ينفذ بمحدثه ما يجول في خاطر الآخر فأصبحنا ولا تقدير لكل منا يتجسس به ما تنطوى عليه الكلمات وما تضره العواطف . وقد كانت تعاملني بكل لطف فأحاذر لطفها ، وكنت أذهب متمشياً معها في الحديقة ولكنني انقطعت عن مرافقتها إلى الخارج فلم يعد لنا أن نجتاز الغابات والوديان معاً . وعندما كنت أنفرد بها كانت تفتح البيانو وتنشد ؛ غير أن صوتها لم يعد يثير في قلبي من الشباب ما يستخفه ليدفع بأنين كأنه هتفة الآمال .

ولما كنت أخرج من بيتها مودعاً كانت تمد يدها إليّ ؛ وحين أقبض على أناملها أحس أن لا حياة فيها . فلقد كان في ارتياحنا كثير من المجالدة ، وفي كلامنا كثير من التفكير ، ويسود كل ذلك كثير من الأسى المكبوت .

لقد كنا نشعر بأن ما بيننا ثالثاً هو حي لها ، وما كنت لأبديه بأية إشارة مني ، غير أن وجهي كان ينم عنه . وفقدت مرحي وقوتي وما كان على خدي من نضارة العافية . وما مضى شهر على حتى تبدل حالي ولم يبق من شبه بيني وبين من كنته



استنفاث في العَصْرِ

لألفريد دي موسيه

بقلم الأستاذ فليكس فنارس

الجزء الثالث

الفصل التاسع

وأرسلت لي مدام بيارسون في المساء كتاباً موجهاً إلى ر . د . في استراسبورغ ، وما مضت ثلاثة أسابيع حتى كنت قد قمت بالمهمة وعدت من سفرى . وما كنت انقطعت عن التفكير فيها أثناء غيابي فعلمت أن لا أمل لي في نسيانها يوماً . غير أنني كنت مصمماً على الاحتفاظ بصمتي أمامها ، لأن ما أقدمت عليه من المجازفة وما تلاها من خطر فقدى لها وما تحملت من الآلام في موقعي ، كل ذلك كان يصدني عن التعرض مرة أخرى لهذه الأخطار ، وما كان احتراي لها ليدع مجالاً لارتياي بإخلاصها ، وما خطر لي قط أن إقدامها على مبارحة البلاد كان تصنعاً ، ولذلك كنت على ثقة من أن أول كلمة غرام أتفوه بها ستكون سبباً لا يصادها الباب في وجهي ولما لقيتها رأيته شاحبة متغيرة وكانت بسمتها كأنها ترتعى ارتماء على شفيتها المتفتتين .

وقالت لي إنها كانت مريضة

ولم يدر بيننا أى حديث عما جرى . وكان

وبقي صامتا وبقيت مستغربا فقلت له أخيراً :
— لا بأس! سأراها غداً فتطلعتني على جليلة الأمر
وعاد إلى خيرة فقال إن مدام بيارسون قد
عهدت إليه أيضاً بابلأغى أنها جدمريضة ولا
يمكنها أن تستقبلني إلى أسبوع .

خرجت من مسكني شعرت باستيلاء الحزن عليّ. وكنت لا أعلم ما تقصد هذه المرأة من اعادتها إليّ ما سلبتني إياه من معاملة، وأرى في عملها شيئاً من القسوة لأنها إذا كانت لا تزال علي حالها ولا حب في قلبها فأية تسلية كانت تطلبها من تحدي مجالدي وهي تعلم أنني أهواها.

وتسلطت هذه الفكرة علي فبدلتني تبديلاً، وما وضعت راحتي تحت رجلها لأساعدتها علي اعتلاء صهوة جوادها حتى شعرت بخفقان شديد في قلبي وما عرفت أكان هذا القلب يختلج شهوة أم غضباً. وكنت أقول في نفسي: «إذا كانت هذه المرأة أصيبت بدائي فلم هذا التجني؟ وإذا كانت سليمة فلم هذا الدلال؟»

وهكذا هم الرجال. ولاحظت هي لأول وهلة أنني أرمقها شزراً وأن في سيأتي تغيراً. وانتحيت الجهة الثانية من الطريق وسرت لا أنطق بكلمة. وكنا نقطع السهل فأراها هاذئة تدير لحاظها بجوي من حين إلى آخر لتتأكد أنني ما أزال أتبعتها. ولكننا ما بدأنا نصعد الجبل متوغلين بين الأشجار وما بدأت خوافر فرسينا تقرع الصخور حتى رأيتها ترتعش فجأة. وتوقفت حتى أصبحت علي مقربة منها فانطلقت بسرعة وأنا أتبعتها حتى وصلنا إلى المنحدر فاضطرت إلى تخفيف السير، وعندئذ اقتربت حتى حاذيتها وكنا كلانا مطرقين فشعرت بأن الزمن قد حان فقلت:

— هل أتعبتك شكواي يا بريجيت؟ وهل أزعجك مني أنني بعد أن عدت إلى مشاهدتك لا أرجع من مسكنك إلى مسكني مرة دون أن أسأل نفسي ما إذا كانت لم تزل بعيدة عن الموت؟ لقد قضيت شهرين وأنا أذوق الأمرين وأكتبكم ما أعانيه

(٨)

فرأني على أسوأ حال وما جسرت علي طلب الايضاح منها إلا تلميحاً. فلم تجب بصراحة، وهكذا أكرهتني علي ألا أحاول تناول الموضوع مرة أخرى.

وكنت أعد الأيام التي تفصلني عنها حتى إذا جاء ميعاد الزيارة هزعت إليها وأنا مصمم علي الانطراح أمام قدميها لأشرح لها حالي وما وصلت إليه من اليأس آملاً إثارة إشفاقها، ولكنني كنت أذكر ما فعلت أولاً ويتمثل أمامي رحيلها وقسوتها فيستولي علي الذعر وأحاذر فقدانها وكنت أفضل الموت علي هذا البلاء.

وهكذا كان مقضياً علي أن أتعذب ولا أتنفس بالشكوى فما طال بي الحال حتى تهدمت قواي، وكنت أحس بوهن ركبتني عن حملي إلى بيتها لأنني كنت أشعر بأن ليس فيه غير ما يستدرف دمعي؛ وما عدت مرة من زيارتها إلا لأطلق عنان مدامعي كأنني أبارحها كيلا أراها بعد.

أما هي فكانت تخاطبني بلهجة لم أعهد لها فيها من البرود فتسألني رأيي في مبارحتها البلاد ولا تردد في أن تقول لي إنها أصبحت تشتهي الرحيل. فأقف واجماً أمام هذه المحادثة وأنا أقرب إلى الموت مني إلى الحياة. وما كانت تعود لحظة إلى حالتها الطبيعية حتى أراها ترتد فجأة إلى تصنع البرود القتال. وخانني الجلد يوماً فتساقطت دموعي أمامها وشكوت بالرغم مني فرأيت الاصفرار يعلو وجهها. ولما وقفت علي بابها مودعاً قالت: إنني سأذهب غداً إلى سان لوس «وهي قرية علي مسافة غير بعيدة» وبما أنني أفضل الذهاب راكبة فاحضر غداً علي فرسك لمرافقتي إذا لم يكن لديك ما يمنعك.

وحضرت في الميعاد المضروب مبكراً، وكنت قضيت الليل متقبلاً علي مهاد السرور ولكنني عندما

سببا لفقداني إياك . لقد كفاني غرامي دموعاً وآلاماً
وقد طال الأمد علىّ وأنا أكرم جبا جنونيا يرى
أحشائي ، وقد بلغت بك القسوة . . .

ورأيها تتحفز للوثوب من صهوة جوادها
فتقدمت والتقيتها بذراعي ملصقاً شفتي بشفتيها .
وعلا وجهها الاصفرار فأطبقت جفونها فسقط
الزمام من يدها وارتمت على الأرض .

وصحت : يا لله ! إنها تحبني

وكانت قد بادلتني قبلي فسارعت إلى رفعها عن
المرج ففتحت عينها ومشى الارتعاش فيها يهزها
هزاً فدفعت يدي عنها وانهمرت دموعها فهبت
تطلب الفرار .

وكنت لا أزال واقفاً جنب الطريق أنظر إليها
وهي أجمل من الضحى وقد استندت إلى جذع شجرة
وانحل شعرها متساقطاً على كتفيها ويدها ترتجفان
وقد علا الاحمرار وجهها كأنه الأرجوان تلتصع عليه
لآلي الدموع .

وصاحت : لا تقرب مني . لا تتقدم خطوة
واحدة نحوي .

فقلت : لا تخافي يا حبيبتى ! إذا كنت أسأت
إليك فأترلي بي عقابك . لقد تولاني نأثر الألم لحظة
فافعلي بي ما تشائين ولك أن تذهبي الآن ، كما لك
إرسالى إلى أية جهة تريدني ، فأنا أعرف الآن أنك
تحبينني يا بريجية فأنت في هذا المكان تتمتعين بأمان
لا يتمتع به الملوك في قصورهم المنيعه .

ونظرت إلي عندئذ بعينها الداميتين فرأيت
سعادة الحياة تعمرنى ، فتقدمت إليها وجشوت أمامها
وما يجب الحب الجسم من بوسعه أن يتذكر
الكلمات التي أعلنت بها من يهوى أنها تهواه .

فليكنس فارس

من هذا الحب الذي يرتي حشاشتي ويقتلني ، وأنت
سليهة كأنك لا تعلمين بحالي . إرفمي رأسك قليلاً
وانظري إلي . أفي حاجة أنت لأبك ما ألقى من
الأوصاب وما تفعل بي الليالي أقضيها باكيًا على نفسي
لقد مررت يوماً في هذا الغاب المروع فرأيت
شقياً موجعاً أسند جبينه إلى راحتيه ؟ أفما نظرت
إلى رشاش دمه فوق هذه الأعشاب ؟ انظري إلي
وإلى هذه الجبال أفما خطر لك أنني أهواك وقد
عرفت بتولهي هذه الصخور وهذه الأرجاء المقفرة
وكلها شهود غرامي .

لماذا أتيت بي أمام شهودي عليك ؟ أفما كفالك
ما أتحمّل من بلاء ؟

أيخونني الجلد الآن ؟ أفما ترين أنني ذهبت إلى
أبعد مدى في طاعتك ؟

إلى أي التجارب تعرضيني ؟ بل أي تعذيب
تعدينه لي على جنابة لا أعرفها ؟ ماذا أتيت تفعلين
هنا إذا كنت لا تحبينني ؟

فصاحت : فلنذهب من هنا . أرجعني من حيث
أتيت .

فقبضت على زمام فرسها قائلاً : لالن نعود ،
لأنني بحت بما أضمر ، فإذا رجعنا فقدتلك إلى الأبد ؛
وهذا ما لا أجهله وأنا أعرف مقدماً ما ستقولينه
لي عندما ندخل بيتك . لقد أردت ابتلاء صبري
وتحديت آلامي ولعلك قصدت بذلك إيلاء نفسك
حق طردى . لقد أتعبك هذا العاشق الحزين ، يتحمل
آلامه كأنما أمره كارعاً حتى الثمالة كأس احتقارك .

وكنت تعلمين أنني إذا ما انقردت بك أمام هذا
الغاب في هذه العزلة التي نشأ فيها غرامي ونما لن
أتمكن من التغلب على نفسي ، فأردت أن تعرضي
نفسك للالهانة ، اصني إلي ياسيدي وليكن ما أقوله

روعة ما حدث ، حتى نهضت أرينا الملكة ، ذات
الذراعين العاجيتين ، فقالت : «أيها الفياشيون كيف
أنتم وهذا المهاجر النبيل الذي زادتة الآلهة بسطة في
العقل والجسم ، وأضفت عليه هذا البهاء وذاك الرواء ؟
إنه ضيفي ، بيد أنكم تشركونني في ضيافته والاحتفاء
به ، تخليق بكم ألا تسرحوه على عجل كما يجب ، بل
حري بكم أن تستبقوه أياماً حتى تخلعوا عليه ،
وتقدموا له أطرف الهدايا وأعز الهوى ، وتفيئوا عليه
مما حبتكم السماء ، فكلكم غني جم الغنى ، ثرى
واسع الثراء » . وتكلم البطل إخنوس ، أكبر
أمرء فياشيا وأتلههم ذكر فقال : «إن مليكتكم ذات
المجد والكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبة فحسب ،
بل هي تصدر عن إرادة عالية وأمر سني ، فخذ
لو أصختم وصدعتم ... على أن كل شيء هو رهين
بمشيئة الملك ، فليز إذن رأيته . » وقال الملك : «إني
أوافق على ما رأت الملكة ، زهرة فياشيا سيدة البحار
ليبق الضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحذوه من الشوق
إلى بلاده ، حتى أسبغ عليه ، وأدبر أمر عودته التي
يُعنى بها الجميع » وكأنا صادم مقال الملك هوى
في فؤاد أوديسيوس فهض وقال : « ألكينوس !
يا ملك فياشيا العظيم ! بودى لو بقيت هنا عاماً بأكمله
ليتم الملك نعمته علي ، وليدبر أمر عودتي سالماً إلى
أرض الوطن ... فما أجمل أن أعود بالعطايا والهدايا
والنعم ، لأملأ عيون مواطني ، ولأكسب احترامهم
وأنال محبتهم بعد طول النأي وفدح البعاد »

فأجابه الملك : «لله ما أروع ما حدث
يا أوديسيوس ! ويكأنما حدثت بلسان ساحر عليم يهرج
القصص ويوشى الأخبار ، ويروق ويروق ، في
زكاته وفطانه وحذق وترتيب ! أبدأ ما حملت هذه



الأول ذليبي

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصل الفصل السابق

« أبحر أوديسيوس إلى الدار الآخرة (هيدز)
ليلق تيرزياس الكاهن الطيبي كي يعرف له عن عودته
إلى بلاده . فبعد أن ضحى لآله الموتى وزججه وجزر
الغرايين للأشباح الهائمة في دار الفناء أقبل إليه تيرزياس
فأخبره بما سعى إليه ، ثم رأى شبح أمه فكلما
وقد أخبرته بما تم في بيته من أحداث وطمأنته على
وفاء زوجه بتلوب وعدم خضوعها لما أراد العشاق
قسرها عليه وحدثته عن ابنه تليك وما أخذ نفسه به
من صيانة ممتلكات أبيه ثم أنبأته عن والده الرجل
الشيخ الذي اعتزل الدنيا في ركن سحيق من حقوله
باكياً على أوديسيوس . وقد لقي أوديسيوس طائفة من
عذارى اليونان وأزواجهن اللاتي توفين في غضارة
الشباب ونضارة العمر فكلسهن وروين له قصصه . وهو
يسرد فيما يلي طائفة أخرى من مشاهداته في هيدز »

أوديسيوس يروي قصته (٢)

وسكت أوديسيوس ، وصمت الجمع المحتشد في
الردهة الملكية فكان على رؤوسهم الطير من

الأرض ألب منك ولا ألبق في رواية وتحديث ؛
وأبدأ تساكبت الموسيقى والنغم الحلو من لسان
كلسانك الذرب الحبيب ! ولكن ماذا عندك من
أخبار الأبطال الأغريق ، الصيد الصناديد ، الدادة
الذاويد ؟ حدث يا أوديسيوس ! قل ، قص علينا
أخبارهم ؛ أرايت أحداً ممن شهد معك وقائع طروادة ؟
إن الليل ما يزال في عنفوان يا صاح ، وما بأعيننا
من سنة فناوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛
هلم فحدثنا ، فبنا من حديثك شغف ، وكلنا إليه
شوق ، ولو حدثت حتى مطلع الفجر ، إن لم ينل
منك وصب أو يعيك ملال »

وقال أوديسيوس : « بورك سيد فياشيا الملك
الكيнос ! ما يزال في الوقت متسع للحديث والنوم
معاً ، وإن شئت حدثتك طائفة من الأحاديث عن
أبطال الأغريق سواء منهم من ثوى تحت أسوار
طروادة ومن أفلت من الموت ثمة فترصده المنايا في
أرض وطنه ، صبيهاً من كف زوجة الأثيم الزنيم !
إليك إذن... وحينما هتفت برسفونيه - ربة هيدز -
بأشباح العذارى وأرواح الحسان فتكبحكن واشثنين
عنى إلى ظلمات دار الفناء ، بدا لي طيف أجا ممنون
- بن أتريوس - ومن حوله كوكبة من أشباح
الذين قتلوا معه في داره بيد إيجستوس... أهرع
إلى الدماء فرشف منها رشقات ، ثم نهض فعرفى ،
وكأنا شاعت فيه رعدة من الدهشة والدعر ،
وتحدرت دموعه. الحار السخينة فوق خديه ، ثم
مد إلى ذراعيه يود لو عاتقنى ، ولكن... وأأسفاه !
وهل يعانق الشبح إنسياً ؟ ! ونال مني الحزن
فبكيت لهذا المنظر الفادح الأليم ، وقلت أكله في

أسلوب بائس وعبارة باكية : « ويحك يا ابن أتريوس
يا ملك الدنيا العظيم ؟ ! ماذا جرعتك كأس المنايا ؟
خبرنى ! هل جرعتها في قرار أليم مفارقاً بيد نبتيون
أم فوق ظهر الأرض حين كنت تسوق قطعانك ،
أم قتلت وأنت تحارب من أجل بنات أخايا إذ هن
محاصرات خلف أسوار مدينتهن ؟ ! » فقال يجبنى :
« أوديسيوس الزعيم النبيل ؛ يا ابن ليرتس الحكيم :
أبدأ ما مت مفارقاً بيد نبتيون ، ولا فوق ظهر
الأرض في حومة حرب زبون ، بل ذبحنى اللثيم
إيجستوس بعد أن دبر غيلتى مع زوجتى الأثمة ،
حين ملق^(١) لى وبالغ جهده في الاحتفال بى ، ثم
ذبحنى كما يذبح الثور في مذوده ، وكر على رجلى
فذبهم كما تذبج الخنازير لوليمة في عرس أو في حفل
لزعيم عظيم . أوه أوديسيوس ! لا جرم أنك قد
شهدت ألف معركة ومعركة جندلت فيها أبطال وراء
أبطال ، بيد أنها جميعاً لم تك شيئاً في ذلك الحديث
الرهيب ! لقد هويينا تتخبط في دماننا التى ضرجت
الأرض ، تحت أخاوين^(٢) حافلة بأطيب الآكال
وأشهى الأشربات... ثم... جلجلت في أذنى
الصرخة الرهيبية ، صرخة ابنة بريام ، فكانت ما
أروع وما أفدح ! لقد انبطحت على الأرض إلى
جانبى كاسندرا ، قتيلة بيد زوجتى كليتمسترا...
ومع ذاك لم أفقد الأمل يا صديق بل حاولت أن
أمتشق جرازى ، لكن الخائفة انسحبت كالأفعى ،
ولم تعبأ بى ، بل لم تشأ أن تغض عيني ، أو تسند
ذقنى ، فى اللحظة التى أوشكت أطرق فيها أبواب
هيدز ؟ ! ويلاه ! ويلي على المرأة التى طاوعتها يداها

(١) ملق فلاناً وملق له تودد .

(٢) أخاوين وخون وأخوة جمع خوان .

فأنت هذا المنكر، وارتكبت إثم قتل زوجها
ورفيق صباها !!

لقد حسبت حين عدت أدراجي أنني سأقابل
بالأهل وبالسهر، من أبنائي وأهلي وحاشيتي،
ولكنها... الفاجرة الغادرة، التي بزت بفجورها
كل صنوف الفجور، قد سحبت على نفسها أذيال العار
والخزي، بل هي قد سحبت أذيال العار والخزي على
كل أنثى لم تر النور بعد، وعلى كل الصالحات
الطيبات من بنات جنسها.

وسكت أجامتون، فقلت بدوري: «ياسماء!!
ما أقسى ما قضت يد زيوس على بيت أثريوس، منذ
البدء! كله من الأنثى!! الأنثى دائماً! لقد قتلنا في
غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين^(١)؛ وتدير لك
كليتمنسترا تلك الفعلة بينما أنت نازح بعيد عن
ديارك!!»

قال: «من أجل ذلك أوصيك ألا تلين
عريكته لامرأة قط، وألا تجعلها موضع شرك
ومحل ثقتك، بل إن أسررت لها بشيء، فخبئي
عنها أشياء، هذا وإن تكن زوجك وفية خالصة
لك، لا يخشى عليك منها رهق، ولا غدر كهذا
القدر، لأنها ابنة إيكاريوس وحسب ذات الحصافة
واللب، لقد غادرناها ولما نزل عروسا يوم غادرناها
إلى اليوم، وعلى صدرها الوفي ولدك الحبيب، الذي
شب ليحمل اسمك، ويعلى في الخافقين ذكرك،
والذي ينتظرك لهفان ليضمك إلى صدره يوم تعود
إلى إيثاكا... وإنك إلى إيثاكا لبائد، وبذا قضت
الآلهة... أما أنا فوا أسفاً على أورست، ولدى
(١) التي فر بها باريس وكانت سبباً في حروب طراودة

المسكين، الذي قتلني الغادرة قبل أن أتزود منه
نظرة! اسمع يا أوديسيوس، إصنع إليّ، إني سأق
عليك من كنوز خبرتي وتجاربي، عليك بالسرى
أوبتك إلى وطنك. واستعن على رحلتك بالكتمان
لأنه لاثقة في امرأة بعد اليوم^(١).. ولكن اصدقني
بربك، أين يأوي ولدي الآن؟ هل يقيم في فيلوس؟
أم يشوى في أرخومينوس؟ أم هو يستدري بذري
جده، أي الحبيبة، في قصرها المنيف بأسبرطة؟
إنه ما يزال حياً يرزق، ولم يأو بعد إلى دار الظلال
هيدز. واعتذرت إليه أني لا أعلم إذا كان حياً
يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز، وظللنا نتحدث
شجون الحديث، ونذرف الدموع على كل ذكرى
حتى وافي شبح أخيل البطل، ابن فيليوس العتيد،
وفي إثره شبح تربه بتروكاوس العظيم، وبمقربة
منه طيف أنتيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل
المغوار أجاكس الذي امتاز ببسطة الجسم وجبروت
المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده. وعرفني
شبح العداء الكبير إياسيدس^(٢) فقال يخاطبني في
خفة وظرف: «أوديسيوس يا رجل الدهاء والخدع
أي تدبير ليست فيه تدابيرك الماضية وحيلك السوالم
شيئاً ما، أنى بك إلى هذه الدار أضيف أنت؟ أم
هو طيشك وقلة مبالاتك جعلاك تضرب في دياجير
هيدز؟ هيدز الرهبة بيت الأرواح والظلال
والأشباح؟» ووجهت الجواب عن تساؤله إلى أخيل
فقلت: «أخيل! يا ابن فيليوس العظيم، يا أشجع أبناء
أخايا قاطبة، لقد سمعت إلى هنا لألقى الكاهن الطيبي

(١) وهكذا عاد فاستمسك برأيه في النساء حتى في بنلوب

(٢) قد يكون أخيل.

وعز ، وتجلبك الناس كأحد آلهتهم ، وها أنت تحكم هنا وتنتهي وتأمري على جميع هؤلاء الموتى ، فما أجدرك بك ألا تأسى لأنك مت هذه الموتة في الدار الأولى » وأجابني على الفور : « أودسيوس ياذا الذي ، لا تخالن عزاء يخفف من وطأة الموت ! لقد كنت أوثر لو أعيش في الدنيا كأحقر الأجرء الأذلاء ، وأتبلغ بلقيت قليلات لا تقيم أود الشيخ الفاني ، على أن أقيم هنا مملكا في جميع هذه الأشباح والهاويل ! ! ولكن تعال ؛ هلم فحدثني عن ولدي الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حياتي الحربية ، أم هجر السيف وطلق المعمة ؟ وحدثني عن أبي بليوس الكريم ، أما يزال يتمتع باحترام الناس وتبجيلهم وجب اليرميدون ^(١) وفدائهم ، أم تجرد من الآبهة ونزل على حكم المشيب والكبر ، والأيام التي أوهنت عظامه ؟ أو اه يا أبتاه ! ليس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب في جنبات طروادة ؛ أو اه لو وسعني أن أعود إليك لحظة ، إذن لقسرت الناس على الخضوع لك ، ولأرغمت كل جبار عصي على تمليقك وذل العبودية لك بدل الثورة بك ، وقلة الاحتفال بشيخوختك . » وقلت أجيئه : « أنا لا علم لي بما كان من أمر بليوس أيبك ، ولكني ذاكر لك ما تراهي إلى من أخبار ولدك نيوبتلموس لأنني حملته على سفائني من سكيروس إلى الجيوش تيرزياس ليعرف كيف أصل إلى شيطان إيثاكا الصخرية لأنني عيت بالزوابع والمواصف في عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو في بلادى . إني أغبطك يا أخيل من أعماقي ! فلقد عشت في هناء

الحاشدة من أخايا ؛ ولقد كنا نجتمع للشورى ^(١) تحت أسوار اليوم فما كان يتكلم إلأ لماماً ، وما كان ينطق عن الهوى إذا فعل ، وإذا استثنينا نسطور . . . وأنا . . . فما كان أحد ينهض إلى مقامه أو يقارن به من جميع الأبطال الأغريق . . . وكنا نكر حول طروادة ونفر ، فما أعرف أن أحداً كان أجراً منه كراً ولا أحذق فراً . . . ولقد جندل من أبناء طروادة الصناديد أقراناً وفرساناً حتى ما أستطيع سرد أسمائهم جميعاً ، بيد أنني أذكر فيمن أذكر منهم يوربيلوس بن تلفوس البطل الذي أغرى على خوض غمار الحرب في صفوف الطرواديين بمارشا (بريام) نساءه وعذاراه ، فزالوا به حتى خاضها هو وجنوده السيتيون . . . لله ما كان أجمل وما كان أروع ! ! أبداً مارأيت زعيماً ولا سيد قوم ، باستثناء ممنون ، أبهى منه ولا أصفى جمالاً ! وما أبس لا أنس يوم حصان إيبوس الخشي ، يوم قت أنخير الصناديد المزويد من أبناء هيلاس ليكونوا معي داخله ، وكنت على أن أظل عند بابيه السرى لأرى في فتحه أو إغلاقه ما أرى . . . لا أنسى ما كان من هلع أبطالنا وذعرهم وذهاب نفوسهم وتحدردموعهم من هذه المهمة رعباً وفرقاً ؛ أما ولدك ، فيأما كان أشجع ، ويأما كان أربط جأشاً ! ! إن عبرة واحدة لم تنسرق من عينيه ، بل إنه كان يحثني ويحرص جد الحرص على أن أختاره ، حتى إذا فعلت تقدم متبخترأ يجر رحله الظمى ، وينقل صدره بنار الانتقام يود لو يصيبها على طروادة وأبنائها جميعاً ! ! وما إن فتحت طروادة

(١) يحسن بالغارى أن يذكر أن أخيل قتل قبل سقوط طروادة .

(١) جنود أخيل في حروب طروادة .

كبير الآلهة ، الذي مايفتك يصب لعنته على جيوش
آخايا ، هو الذي قضى عليك بالموت . أيها البطل
هلم نحوى كما تسمع إلى الكلم الطيب الذي أجهد
أن أرضاك به ؛ لتخمد جذوة الغضب على في نفسك ،
ولتخسم ما بيننا من خصام ! « بيد أنه ما حرك شفتيه ،
بل لوى عنانه وانخرط في جماهير الأشباح الهائجة ،
وترك الرغبة الملحة المشتعلة في صدرى شوقاً إلى
تكليمه تنطفي رويداً ... فقلبت نظرى في الأرواح
القرية عسى أن أعرف منها أحداً فأحدث إليه ،
فلمحت بينها مينوس سليل جوف الأكبر ، وكان
يجلس على عرش ممرد للقضاء بين الموتى ، وفي يمينه
صولجانه الذهبي الثمين ، ومن حوله زرفت جموع
سكان هيدز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ، ومنهم
المنتصب يشرح للقاضي شكواه ، ويثنه بلواه ، بينما
قد أهطعت الرؤوس وانجذبت النفوس ، وتكاثرت
الموتى عند البوابات الكبيرة الهائلة تنتظر دورها ...
ثم راعنى أن أرى بين تلك الجموع أوريون الجبار
يسوق قطعانه التي ذبحها بيديه في الدار الأولى ،
وهو يرهاها على أوراق البرواق ... ورأيت فيمن
رأيت تيتوس الجبار ، سليل هذه الغبراء ، وقد كان
منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أقدنة ؛
وعلى كل من جنبيه أفعوان هائل أرقى يعتذى
بمضغ من كبده الكبير الدامى ، وينغب من
أحشائه الغلاظ ، جزاء بما حاول أن يستذل لاتونا
اللعب الطروب ، عشيقه جوف سيد أولب ، التي
فرت من وجهه في بطائح بيتو إلى فراديس بانوبيوس .
ثم رأيت تاتالوس في ضعف من العذاب ! رأيتنه
يتخبط في عين حمئة من حميم ، وقد غاص فيها إلى

علينا ، وأبنا منها بالفنائم والأسلاب والسبي نظرت
إليه قبل أن يسحر فما وجدته يشكو رمية ، ولا
يئن من جرح ، ولا أثر في جسمه لخدش مما تصنع
الحرب ، وما ثبت فقال مارس : «

وزهي أخيل من كثرة ما أثنت على ولده فراح
يتخايل ويدل وسط شجر البرواق^(١) ... وكانت
جموع من أشباح الموتى تملأ الرب ، وقد جلس
كل أوهام على وجهه يبكي ويشكو بثه لغير سميع ...
وقد رأيت بينهم شبح صديق التيلاموني - أجاكس -
وكان يحدجنى في الفينة بعد الفينة ، ولكنه لم يشأ
أن يكلمنى ! آه ! إنه ما يزال ينقم على ما شجر
بني وبينه من نزاع على عدة أخيل (بعد مقتله) ،
وما كان من طلب زيتيس^(٢) ألا يلبس دروع ولدها
سواى ، ثم ما كان من تأييد ميرفا للأم الرؤوم فيما
طلبت . لقد كان انتصاراً لي ، كم كنت أوتر ألا
يكون ، لأنه كان فيما يبدو سبب مقتل أجاكس
العزير ، أجاكس المغوار ، الذى لم يكن فينا من هو
أشجع منه إلا أخيل نفسه ... ولقد وجهت إليه
ألين الخطاب لأفل من سورة غضبه . فقلت له :
« أيها العزيز أجاكس ، يا ابن تيلامون المجيد ، أما
تستطيع أن تغضى ، وأنت في الدار الآخرة ، عما
شجر بيننا بسبب هذه العدة المشئومة ؟ لعنتها الآلهة
من عدة كُتبت فوقها صحيفة موتك ، نخسرنا فيك
أشجع فرساننا وأعظم مقاتليننا ! إنا ما نفتأ نبكيك
ونشكو رزاًنا فيك ، ونعد ققدك كفققدنا أخيل
نفسه ! ولكن لا تثرى على أحد قط ، فجوف ،

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم وقد
ذكره الفيروز آبادى .

(٢) أم أخيل وهى إحدى عرائس الماء .

ذقته ، والوج يضرب وجهه ويسعفه ، وهو مع
ذاك يلهث من الظمأ ، لا يجد ما يبل به غلته ، أو
يطفىء جؤاده وصداه ! فهو إن حنى رأسه غمره
الحم ، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه
بأمر ربها ، فهو في عذاب مقيم . . . والله أشجار
الفاكهة دانية قطوفها فوق رأسه ، من رمان حلو
وتفاح عطري ، وتين معسول وزيتون ، كلما اشتهى
أن يقطف ثمرة وكاد ، هبت الرياح عاتية فذهبت
العصون عالية في السحاب . . . ثم رأيت
سيسفوس ذا الأنياب يضني ويشقى ويتعذب ؛ يدفع
أمامه حجراً جاموداً عظيماً فيجعله في رأس جبل ،
حتى إذا انتهى إليه غاضت الأرض من تحته بقوة
خفية فكانت بئراً عميقة ، فهوى الحجر من عل ،
فيعود المسكين إلى نصبه عوداً . . . على بدء ،
ويتحدر عرقه على جسمه العظيم ، ويتبخر من
رأسه كأنما ينقذ من بركان . . . ثم شهدت
هرقل الحديدي القوى الجبار . . . شبحه فقط ،
لأنه هو قد منح بركة الآلهة وخلودها ، فهو أبداً
يحضر ولأتمها في شعاف الأولب . . . شهادته
يحتضن ابنة خوف الجميلة المفتان ، هيب ، ذات
القدمين الناصعتين ، والفعلين الذهبيتين ؛ رأيت
وأشباح الموتى ترف من حوله صافات كالطير ، ثم
يقبضن . . . وراعى أن أراه عابساً كالحأ كقطعة
من الظلام ، وقد حمل بعينه في الأرض وفي يديه
قوسه وسهامه يوشك أن يرميها ، وعلى وسطه حزامه
الرائع المموه بالذهب ، وقد نقش عليه صور مئات
من الديبة والدواب والسباع ، ينقذ الشر من

عيونها وتداب في عواء وزئير وتقاتل ونهش ، صنعة
معجزة لم يقدر على مثلها أحد من قبل ولا من
بعد . . . وما كاد يتبينني حتى عرفني ، وظل يقلب
في عينيه السادرتين ، ثم قال لي : « آه يا ابن ليرتيس
النيل ذا المجد ما أتعسك ! ! ما أظنك إلا معنياً
ببعض المجازفات التي كنت أشغف بها في حياتكم
الدنيا . . . ها أنت تراني هنا ، في ظلمات هيدز ،
عبداً رقيقاً لآله أحقر مني شأنًا وأقل قدراً ، لأنني
وأنا ابن خوف الأعظم ، قد كتب علي أن أشقى
هنا لأصل آلام الحياة ولأواءها . . . أتصدق أنه
يأمرني أحياناً أن أسوق كلبه ، مع مافي هذا الأمر
من سخرية وتحقير ؟ ولكني لن أنسى أني جذبته
من مملكته هيدز إلى نور الحياة الدنيا بمساعدة أخي
هرمز ، وبعمونة مبرقا ذات العينين اللازورديتين »
ثم هام على وجهه في ظلمات مملكة بلوتو . . . ثم
تلبثت أنا مكاني راجياً أن ألقى غير من لقيت من
أرواح الأبطال الذين عرقهم في الدار الأولى ،
أولئك العطاء ذوى العزة والمجد . . . وكم وددت أن
أرى بيرثوس وثيديوس سليلي الآلهة . . . بيد أن
جوع الموتى الحاشدة التي أقبلت تصرخ قذفت
الرعب في قلبي . ونخفت أكثر أن ترسل برسفوني
ملكة هيدز ، رأس الجرجون من ظلمات هيدز
فتفعل بي الأفاعيل . . . فأثرت أن أسرع إلى
مركبي ، وأمرت الملاحين فأقلعوا ، وجلسوا على
الظهر ، وحملنا تيار سريع عبر البحر المحيط بعد أن
أعملنا المجاذيف وقتاً غير طويل .

« يتبع »

دربني فشب

طُبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة عجم رقم ٧

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الخامس عشر ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٦ - ١ سبتمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | المؤلف | العنوان |
|------|----------------------------------|-------------------------------------|
| ٩٠٦ | نمر مسز باكتيد | للكاتب الانجليزى ساكى ... |
| ٩١٠ | الحيز والزيوتون | لأحد كتاب الأتراك النوانغ .. |
| ٩٢٦ | فديريجو .. | للكاتب الفرنسى بروسبير ميريميه .. |
| ٩٣٣ | كرد على .. | للقصصى الروسى بوشكين ... |
| ٩٣٧ | عودة الروح .. | للكاتب الفرنسى تيودور دى بانفيل ... |
| ٩٤١ | أجلافين وسيليزيت .. | رواية تشيلية لموريس ماترنك ... |
| ٩٥٣ | اعترافات فتى العصر .. | لألفريد دى موسيه ... |
| ٩٦٠ | الأوذيسة .. | لهوميروس ... |
| | بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى . | |
| | بقلم الأديب عبد اللطيف أحمد . | |
| | بقلم الدكتور حسن صادق . | |
| | بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار . | |
| | بقلم السيد محمد الغزاوى . | |
| | بقلم الدكتور محمد غلاب . | |
| | بقلم الأستاذ فليكس فارس . | |
| | بقلم الأستاذ درينى خشبة . | |

الرسالة

بمبادرة جمعية الثقافة والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبير باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تستجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

==

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

==

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرياً ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪

لغاية ظاهرها تكريم لونا
بمرتون ، وباطنها أن يرى
المدعوون جلد النمر الذي
اصطادته يغطي القسم
الأكبر من أرض الغرفة ،
وأن يستغرق حديث هذا
الصيد كل الوقت الذي
يقضيه الضيوف في هذه

مَرْمَسَزْ بَاكَلْتِيدْ

لِلْكَاتِبِ الْإِنْجَلِيزِيِّ سَاكِي

بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْحَمِيدِ حَمْدِي

الوليمة. كذلك رسمت في رأسها صورة المشبك المصنوع
من مخلب النمر الذي تقدمه هدية للونا بمرتون في
عيد ميلادها المقبل . وكانت مسز بَاكَلْتِيدْ امرأة
شاذة في عالم مفروض فيه أنه واقع تحت تأثير الجوع
والحب ، فكانت تتأثر — إلى مدى بعيد — في
أغراضها وحرركاتها بكرهها للونا بمرتون .

وساعدت الظروف مسز بَاكَلْتِيدْ ، فقد
عرضت أن تدفع ألف روية لمن يهيء لها فرصة
اصطياد نمر دون التعرض لخطر جدى ودون بذل
مجهود شاق . وقد اتفق أن إحدى القرى
المجاورة كان في مقدورها أن تفخر بأنها الملتقى
الحبيب إلى وحش محترم الأصل اضطره ضعف
الشيخوخة أن ينصرف عن تحصيل قوته باقتراس
حيوانات الغاب ، وأن يعود معدته القناعة
بالحيوانات الصغيرة الأليفة . فحزكت الألف روية
الموعود بها غريزة القرويين الرياضية التجارية ،
فرابطوا ليل نهار على الحدود الخارجية للغابة
الحلية ليقبضوا النمر داخل هذه الحدود ويحولوا
بينه وبين الخروج منها سعيًا وراء ميدان جديد

كان من أقوى بواعث السرور إلى مسز بَاكَلْتِيدْ
ومن أشهى أمانها أن تصطاد نمرًا ، لا لأن شهوة
القتل قد استولت فجأة على نفسها ، ولا لأنها
شعرت بأنها تترك الهند — عند مغادرتها إياها —
آمن وأهناً مقاماً مما وجدتها عند قدومها إليها
إذا هي أُنقصت من عدد وحوشها الضارية بنسبة
جزء من وحش إلى مليون من السكان ؛ إنما نشأت
هذه الرغبة المفاجئة الملحة في اقتفاء خطوات ذلك
الوحش النمرود على أثر ما سمعته عن لونا بمرتون
التي ركبت منذ عهد قريب طيارة مع أحد الطيارين
الجزائريين قطعت بها في الجو أحد عشر ميلاً ؛
ولم يكن للونا من حديث غير حديث هذه الرحلة
الجوية الجريئة . وهذا حادث لم يكن لمسز بَاكَلْتِيدْ
بد من أن تكشفه بحادث من جانبها أشد منه جرأة
وأدعى إلى الإعجاب بأن تصطاد نمرًا تحمل جلده معها
عند عودتها ، وبأن تنشر الصحف مجموعة من صورها
الفوتوغرافية لمناسبة هذا الحادث العظيم

ورسمت مسز بَاكَلْتِيدْ في رأسها بالفعل صورة
لأدبة غداء تأديها في بيتها بشارع كرزون استريت

وقد أجابها مسز باكتيد :
« كلام فارغ ! فهذا النمر عجوز جداً ولن يستطيع
أن يثب إلينا هنا حتى لو أراد ذلك » .

فقلت صاحبها :

إذا كان نمرأً عجوزاً فمن رأيي أن تحصيلي عليه
بأرخص من هذا الثمن ، فإن الألف روبية مبلغ
كبير » .

وكانت مس لوزا ميين متطبعة بطبع أخت لها
كبرى شديدة الحرص فيما يتصل بمسائل المال على
العموم دون نظر إلى الجنسية والدين . وكان تدخلها
المستمر سبباً في اقتصاد عدد كبير من الرويات
فلا تبدد « بقشيشاً » في بعض فنادق موسكو ، كما
كانت الفرنكات والسنتيمات تلتصق بأيديها التصاقاً
طبيعياً في ظروف من شأنها أن تنزعها دون تعب
من أيد أقل من أيديها شفقة . وقطع عليها ملاحظتها
على الثمن الذي تشتري به جثة النمر ووجوب تخفيض
هذا الثمن ظهور النمر نفسه على المسرح . . . على
أن ذلك الحيوان الشيخ المحترم لم يكذب يقع نظره على
الشاة المعتقلة حتى انبطح على الأرض هادئاً ،
لا رغبة في أن يحتاط على إخفاء نفسه عن نظرها ،
حتى لا تهرب منه ، ولكن حرصاً على أن يرتاح
قليلاً قبل أن يبدأ حملته الهائلة على فريسته

فقلت لوزا ميين في صوت عال باللغة الهندوستانية
لتسمع رئيس القرية الذي كان مختبئاً على شجرة
مجاورة :

« إنى أعتقد أنه مريض »

فقلت مسز باكتيد :

للصيد . وأخذوا يتركون الأنواع الرخيصة من
الغنم مهمة عن عمد في دائرة تجوله ليقنع بالبقاء في
حدود هذه الدائرة . وكان أخوف ما يخافونه أن
يموت ذلك الوحش بمرض الشيخوخة قبل حلول
الأجل الذي حددته مسز باكتيد لاصطياده .
وكانت النسوة وهن عائدات من أعمالهن في الحقول
يحملن أطفالهن على سواعدهن يكتمن غناءهم إذا
مررن بالغابة حتى لا يقطع على سارق الغنم المحترم
نومه الهادئ المريح .

وأقبلت الليلة التي جعلت أجلاً للصيد . وكانت
ليلة مقمرة صافية ، وكان القرويون قد أعدوا
مصطبة مريحة فوق إحدى الأشجار القائمة في نقطة
تناسب عملية الصيد ، وعلى هذه المصطبة قبع
مسز باكتيد ورفيقتها المأجورة مس ميين ، وكان
القرويون قد عقلوا في المكان المناسب شاة وهبتها
الطبيعة القدرة على الثغاء الذي لا ينقطع حتى لو أن
نمرأً كان نصف أصم لسمعها دون شك في الليلة
الهادئة . وانتظرت المرأة الرياضية صابرة صبر الكرام
مجيء الصيد المشتهي ، وكانت مزودة ببندقية مجهزة
أدق تجهيز لإصابة المرمى ، كما كانت تحمل معها
رزمة من ورق اللعب لقطع الوقت في غير ملل .

وقالت مس ميين :

« أحسبنا معرضتين لشيء من الخطر ؟ »

ولم تكن مس ميين في الواقع قلقة من ناحية
الوحش المفترس ، ولكنها كانت ذات طبيعة تأبي
أن تؤدي ذرة من العمل فوق القدر الذي أجرت
على أدائه .

« ضه ! »

وفي اللحظة نفسها أخذ النمر يسير متخطراً إلى
فريسته .

فقلت مس ميين في شئ من اللهفة :

« إذا النمر لم يس الشاة فليس ما يدعوننا إلى
أن ندفع ثمنها . . . »

وكان لهذه الشاة المعدة طعماً للنمر ثمن خاص

وهنا دوى في الجوصوت الطلق النارى مسبقاً
بوميض خاطف للأبصار ، فوثب الوحش الكبير
مائلاً على أحد جنبيه ورقد ساكناً سكون الموت .
فلم تمض لحظة حتى احتشد حول الفريسة عدد
كبير من الأهالى التلهفين ، ولم يلبث صياحهم أن حمل
الخبر السار إلى القرية ، فدقت الطبول دقة النصر .

وكان تهليل النصر وأغاني الابتهاج صداها الجميل في
قلب مسز با كلتيد . وبدأ لها في الحال أن ولية الغداء
في شارع كرزون استريت ستكون أقرب مما قدرت
وكانت لويزا ميين هي التي لفتت الأنظار إلى

أن الشاة المسكينة تعاني آلام الموت من أثر إصابتها
بطلق نارى بينما لا يوجد في جسم النمر أي أثر
للمصاصة التي أطلقت من بندقية الصيادة الماهرة .

فكان من الواضح أن الطلق النارى قد أصاب
الحيوان غير المقصود ، وأن الوحش الضارى قد مات
بهبوط القلب من أثر صوت الطلق المفاجئ ، وقد

ساعد على ذلك انحلال الشيخوخة . وقد ارتفعت
مسز با كلتيد ارتياً ظاهراً من كشف هذه الحقيقة
ولكنها على كل حال قد أصبحت مالكة نمر آميتا ، أما

القرويون الذين كان لعابهم يسيل على الألف روية

فلم يروا بأساً في أن يتغاضوا عن خرافة اصطيد
الوحش . وأما مس ميين فكانت رفيقة مأجورة .
وعلى ذلك واجهت مسز با كلتيد آلات التصوير
طروبة القلب ، وطار صيتها المصور من صفحات
جريدة « تكساس وسكلى اسنابشت » إلى ملحق
يوم الاثنين المصور لجريدة « نوفوى فريميا »

أما فيما يتصل بلونا بمرتون فقد بقيت عدة
أسابيع آية النظر إلى أية صحيفة مصورة . وكان
الخطاب الذى بعثت به إلى مسز با كلتيد تشكر لها فيه
إهداءها إليها مشبكاً من مخلب النمر مثلاً للانفعالات
المكتومة ، وقد رفضت في الوقت نفسه حضور
وليمة الغداء ، فان هناك حدوداً إذا تخطتها الانفعالات
المكتومة كان ذلك هو الخطر المحقق

وانتقل جلد النمر من شارع كرزون استريت
إلى « مانور هاوس » حيث فحسه رجال البلدية
فحصاً قانونياً وأعجبوا به إعجاباً شديداً . ولقد كان
من عوامل الزهو في نفس مسز با كلتيد ذهابها إلى
حفلة تنكرية في مرقص البلدية في لباس ديانا
إلهة الصيد . ولقد أبت مع ذلك أن تميل إلى اقتراح
كلوفيس المغرى عند ما اقترح إقامة مرقص على
طراز العصور القديمة يلبس فيها الراقصون جلود
الحيوانات التى اصطادوها حديثاً . ولقد قال
كلوفيس عندئذ :

« وسأكون في هذه الحال كالطفل الرضيع
لا أجد ما ألبسه غير جلد أرنب أو أرنبين »

ثم قال وهو ينظر إلى تقاسيم وجه ديانا نظرة
خبثية :

وقد حكم الجميع بأن لوزا قد أبدعت الابداع
كله في اعداد دارها وتجميلها .
وقررت مسز باكتيد ألا تقاصر في رياضة الصيد
مرة أخرى
وكانت تجيب أصدقاءها إذا سألوها عن السبب
في ذلك الاجحام بقولها :
« لأن الصيد يتطلب أكلافاً عرضية باهظة ! »
عبد الحميد حمدي

في أصول الأدب

لأستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث
تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها
تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة
في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم .
تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب
في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية
للرواية التمثيلية الخ . الخ . . .

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وتمنه ١٢ قرشا

« وإن قوامي ليشبه قوام ذلك الطفل الروسي
الراقص »

وبعد أيام قليلة من ليلة المرقص قالت لوزا ميين
تخاطب مسز باكتيد :

« ما أبلغها فكاهة أن يعرف الجميع حقيقة
ما حدث ! »

فسألها مسز باكتيد بسرعة :

« ماذا تقصدين بذلك ؟ »

فاجابت مس ميين وهي تبتسم ابتسامتها الممضة :

« أقصد لو عرفوا كيف أصبت الشاة خطأً

وأمت النمر خوفاً »

فقالت مسز باكتيد ، وقد تقلبت الألوان على

وجهها في سرعة مذهشة :

« لن يصدق إنسان ذلك القول »

فقالت مس ميين :

« ولكن لونا بمبرتون تصدقه في غير تردد »

فاخضر وجه مسز باكتيد اخضراراً غريباً

وقالت :

« أظنني على يقين أنك لن تخونيني ؟ »

فأجابت مس ميين في لهجة ذات معنى :

« لقد رأيت على مقربة من دور كنج داراً

خاوية لقضاء نهاية الأسبوع وإني لأحب أن أبتاعها ،

ولكنهم يطلبون ثمناً خالصاً لها ستمائة وثمانين جنياً

وهو مبلغ مناسب لقيمة الدار ولكني لا أملكه »

وأصبح الأصدقاء جميعاً معجبين بالدار الجميلة

التي أطلقت عليها مس ميين اسم « الأمواج » وهي

دار صيفية جميلة تحيط بها حديقة غناء تحوى مجموعة

من الأزهار البديعة .

الجبر والنسب

لأحد كتاب الأثر في النوايف
بقلم عبد اللطيف أحمد

- من النادى؟
- أنا يا صابرة .
- فمن أنت ؟
- أنا ناجية

وقبضت صابرة
على قفازيها براحتها
وأخذت تعصرهما من
فرط الحيرة ، ثم
اتجهت نحو النافذة

منفعلة وكررت سائلة :

- أية ناجية تعنين ؟
- بنت سعيد أفندي
- فمن سعيد أفندي هذا ؟
- صراف البندر
- ماذا تقولين ؟
- أجل . أجل . أنا هي

وقفت صابرة برهة وعينها شاخصتان ، ثم
أخذت تحديق في تلك الغرفة الأرضية وفي الخراب
البادى عليها . كان زجاج النوافذ محطاً قد ألصق
في مكانه أوراق الجرائد ، وكان كل شيء في هذه
الغرفة يبنى بحقارته عن شظف عيش هذه الشابة
التي عصفت الزمن بها
قالت صابرة :

- قولى بربك ماذا تصنعين هنا ؟
- لا شيء
- ما معنى لا شيء ؟
- هذه دارنا
- أتقولين إن هذه داركم ؟
- نعم

كانت فتاة ممشوقة القوام ، عليها ملابس رثة
باهتة اللون ، وكان شعر رأسها الغزير الجعد مرسلًا
على كتفيها الرمرمتين ، فكان الناظر إليها لا يشك في
أنه يرى المثال التام للفقير والجمال

أطلت من نافذة مخدعها العتيق المظلم وهي سابحة
في بحر لجي من الأفكار ، وكانت في استغراقها
وذهولها أشبه بشخص محكوم عليه بالاعدام ينتظر
جلاده . هتفت هذه الشابة بغتة صائحة : يارباه ! . .
ولم تلبث أن استجمعت نفسها بسرعة اهتزت لها
ركبتها ونهضت واقفة ، ثم أطلت متدلية من النافذة
وجعلت تنادى :

صابرة ! صابرة !

وما كاد يسمع رنين صوتها حتى وقفت سيدتان
أنيقتان كانتا تسيران وأخذت إحداها —
وهي التي كانت أكثر رشاقة وأطول قدًا —
تبحث عن مصدر النداء مستغربة حائرة ؛ ثم
شخصت بصرها نحو النافذة وقد قطبت حاجبيها
الأسودين ، وضربت بقفازيها فخذهما التي كانت
تبدو شبه عارية كسائر تقاطيع جسمها تحت إزارها
الزاهي الشفاف ، ثم سألت :

فاستولى على صابرة وعلى رفيقتها الدهش ، وما لبثتا أن تبادلتا النظر واستغرقتا في الضحك كأنهما كانتا تستمعان إلى مزاح مثير للضحك
ثم قالت صابرة :

— ناجية ، أيتها اللعوب ، الكذوب ، هلا فتحت الباب لأرى ؟ فاني لا ألبث أن أستجلى دواعي وجودك هنا ..

ثم تقدمت إلى عتبة ذلك الباب المهدم المشوه بما رسم عليه أطفال الحي من صور الطيور والحيوانات المختلفة ، فتخطتها بخطوات عجيبة كانت صابرة وناجية صديقتين أيام الطفولة ، ولكن ما كادت الحرب تنتهي بالهزيمة حتى أخذ أبواهما - وكان أحدهما قاضياً للبندر والآخر صرافه - طريق الحرب ، وضلت كل من الأسرتين سبيل الأخرى ومضت أعوام ثمانية لم تتقابل الصديقتان في أثنائها إلا بهذه المصادفة .

دخلت صابرة الردهة ، وما إن رأت ما على صديقتها من الأظفار الممزقة حتى صرخت تقول :
— ماذا أرى ..؟! أعطت كلب عقور يا ناجية ؟ وكانت ناجية تنظر إلى صديقتها وإلى مئزرها الأنيق وإلى خاتمها الذهبي بفصه الزبرجدي الكبير ، ثم تدير بصرها إلى يدها الأخرى فتراها ممسكة بحافظة تقودها الفاخرة ذات المقبض الذهبي . ولم تلبث أن شملها الحجل لما هي عليه ، ثم حركت شفيتها لتجيب على سؤال صديقتها ، فاستطاعت أن تقول بعد الجهد :
— إنه الفقير يا عزيزتي ...

أجالت صابرة عينها حول الردهة ، فرأت الجدران قد سقط بعض لبناتها ، والسقف قد تصدعت أركانها ؛ ثم أدارت وجهها وحدقت في ناجية طويلاً ، وقالت لصاحبها التي كانت بجانبها :
— جمال رائع ! أليس كذلك ؟

فأجابت الأخرى بشئ من التكلف :
— بلى ، هي مثل أعلى للجمال

وكانت صاحبها هذه لا تزيد على صابرة في السن إلا شيئاً يسيراً ؛ على أنها كانت آنق من صاحبها وأكثر تعاطفاً ، وكان يسدو على وجهها الشديد البياض غرور الجرا كسة بأجلى معانيه . وقفت تنظر من عتبة الردهة ولم تدخلها كأنها كانت تشعر بغضاضة تمس كبرياءها إذا هي دخلت داراً كهذه متهمة حقيرة ...

قالت صابرة بصوت تدل ثبراته على أثر الشفقة التي أخذتها على ناجية :

— واأسفاه عليك يا ناجية ! واحسرتاه ! أبلغت الحال بك إلى هذه الغاية ؟ أين أمك ؟
— ماتت .
— فأبوك ؟
— توفي .
— فأخوك ؟
— لحق بهما .
— وأنت ماذا تصنعين هنا ؟
— هنا دار زوجي .
— تقولين دار زوجك ؟

— نعم . . .

— وما صناعة زوجك هذا ؟

كان بناءً ولكنه الآن هو جندي في فرقة العمال ،
هنا في المدينة .

سكتت النسوة الثلاث ملياً . وكانت الشابة
البائسة تنجل من دعوة هاتين الأنيقتين إلى الجلوس
في غرفتها ، ولكن صابرة تظاهرت بالتواضع الذي
كان الصلف يطل من وراءه ، وقالت وهي تضحك
على غرار الفتيات المترفات :

— لهني عليك يا ناجية ! هلم نجلس ولنحدث
قليلاً .

ثم التفتت إلى صاحبها وقالت :

— ها أنت ذي ترين هذه الشابة ، أرأيت قط
امرأة يحاكي جمالها هذا الجمال ؟ بربك تكلمي ،
انظري إلى هذا الشعر الفاحم ، وهذا التجعد
الطبيعي الذي لا أثر للصنعة فيه . . . آليت عليك
إلا أنعمت النظر . . .

كانت صاحبها المتعاطفة تتظاهر بالاعجاب
المتكلف ، فتبتسم تارة وتضحك أخرى ، وتقول :

— ماذا تريدن أن أقول في وجهه سلب
الشمس ضياءها وجمالها ؟

مرتا بالردهة الضيقة القذرة المظلمة ، ودخلتا
الغرفة وشاهدتا فيها مدى البؤس المخيم عليها فظلتا
جامدتين كالجليد ، لفرط ما ألم بهما من الدهشة ،
ولم تكونا لتستطيعا أن تجلسا إذ لم تجدأ مكاناً للجلوس ،
فازدادت ناجية ارتباكاً وخجلاً ووقفت منكسة
الرأس كثيرة الاطراق . . .

كان في أحد أركان الغرفة فراش عتيق ممزق ،
وإلى جانبه صندوق قذر عليه جرة ماء كبيرة ، يليها
صحن مليء بالزيتون ، وكانت إلى جانب النافذة التي
لا ستار عليها خشبة مرتفعة عن الأرض باللبن
الذي وضع تحتها من الجانبين فبدت كأنها مقعد
للجلوس .

قالت ناجية وهي تشير إلى هذه الخشبة
— اجلسا عليها فانها نظيفة .

وجلست السيدتان وأخذت صابرة تحدث
صديقة طفولتها وراحت الأخرى تبجل نظرها في
الغرفة المصدعة الأركان وما عليها من مظاهر البؤس
قالت صابرة :

— تعالى إلى جانبنا .

فجلست ناجية بجانبها على تلك الخشبة .

— ما هذا ؟ ماذا جرى لك يا ناجية حتى بلغت
هذه الحال ؟
— هو كما ترين .

ثم أخذت تسرد حكايتها : كان أبوها قد مرض
أثناء المهاجرة ولم يكد يمضي على وصوله إلى الأستانة
شهر واحد حتى قضى نحبه ، فاستأجرت أمها غرفة
في (اسكدار) فأوتا إليها فترة من الزمن هادئتين
مطمئنتين . ولكن المرض لم يلبث أن اهتدى إلى
تلك الغرفة وأبت ذات الرئة إلا أن تختطف
أمها منها . ولما أصبحت وحيدة لا عائل لها ولا
موئل أشقت عليها ربة الدار الأرملة فسعت إلى
رجل أعزب . تعرفه فزوجتها منه فلم تجد
فيه ما يسيئها ؛ وقد مضى على زواجها منه أربع

— أين الآن أبوك يا صابرة ؟
فأجابت : — إنه في إحدى مدن الأناضول
لا أعرفها بالذات . . .

— فأمالك ؟

— معه .

نظرت ناجية في عيني صابرة نظرة عميقة ثم
عن شعور يعجز عن وصفه القلم وقالت :
— فأنت ؟

— أتسألين عني ؟ إن قصتي طويلة . كنت
اقتربت بضابط في الجيش ثم افترقنا .

— والآن مع من تقيمين ؟

— مع ذوي قرابتي .

لكن ناجية لم تكن تعلم أن لصابرة في مدينة
استانبول ذوي قرابة أثرياء . ولم تبحث صابرة قط
ولا أهلها قبل المهاجرة عن مثل هؤلاء الأقرباء .
سكنت ناجية رغبة منها عن توجيه أسئلة أخرى
إلى رفيقتها . أماها فكاتنا ترنوان إليها متعجبتين
مأخوذتين ، وكانت تمتد بين آونة وأخرى يد إحداها
تعبث بشعرها الفاحم الأثيث وتربت على كتفها
وتدللها . ولم تستطع صابرة أن تملك نفسها عن الميل
على عنقها الجميل البض تلثمه مرة إثر أخرى ، وناجية
حائرة واجمة من فرط الحجل . وظلت المرأتان تغلظان
في العتب على الحظ وقسوته والسخط عليه ، إذ أخنى
على صاحبة هذا النحر الجميل ، والقد الرشيق ،
وأخذتا تذكران من عرفتا من النساء الدهميات
اللائي قدر لهن أن يسعدن بالغنى وينعمن بالرفاهية .
قالت صابرة لصاحبتها :

(٢)

سنين ، والرجل طيب وديع إلا أنه شديد الفقر .
كان يكسب قبل الحرب ريالاً من عمله ، ولما جندته
الحكومة خصصت لها في الشهر ثلاثين قرشاً ، وهو
يحصل على إجازة مرة أو مرتين في الأسبوع ؛ وربما
حمل إليها في هذه الأثناء آنية ملأى بالحساء ، وختمت
حديثها بالشكر لله على ما أفاض عليها من فضله . . .
عندئذ لم تمالك صابرة نفسها من الغيظ وصرخت في
وجهها قائلة :

— أحمدين الله على هذه الخطوب وأنت
ترزحين تحت عبئها ؟

— نعم وأشكر فضله .

— ما كنت أحسب أنك بلهاء إلى هذا الحد !
إنك تأكلين الخبز قفاراً فاذا وافاك الحظ بجبتي
زيتون حمدت الله على هذا وشكرت فضله ! ثم التفتت
بغته إلى رفيقتها وقالت :

— ها أنت ذى تشاهدين يا منيرة ! كم لله من
عباد أصفياء ، وعلى الأصح من مخلوقات أغبياء . ثم
أخذتا تتأملان في ناجية طويلة بعيون تشف عن
شدة الريب . كيف احتمل هذا الجسم الغض الجميل
هذا العناء والبؤس والجوع ولم تزل فيه هذه
النضارة الرائعة ؟ وكيف لم تحطم خطوب الزمن كيانه
وقد انصب عليه من ويلاته ما لا يقوى على احتماله
أحد من الناس مهما كان قوياً . فانهما ومعظم
الفتيات المترفات يأكلن من الأطعمة أشهاها
ويشربن من الأشربة أسوغها ، وبرغم هذا كله لم يسلمن
من فقر الدم . . .

سألت ناجية متلجلجة خجلة :

— إنك تعرفين زينب وعزيرة وبهيجة وخالدة
وتذكرين كيف ينعمن بالسرور والهناء في مجبوحة
من العيش مع ما هن عليه من الدمامة والقبح .
والآن انظري إلى ناجية هذه وما هي فيه من شظف
العيش ، ثم احكى إن طاوحتك نفسك بعدالة
الطبيعة . ترين لو قدر أن يرى (فصيح بك) امرأة
كصاحبتنا هذه فماذا كان يصنع ؟ — كان لا يصدق
عينيه — حقاً إنه ما كان يصدق عينيه .

التهب خذاً ناجية من فرط الحجل ، وشاع
الحزن في وجهها ، واضطرب صدرها بشقى الآلام
حينما تبينت بوضوح البون الشاسع بين أبهة المائتين
أمام عينها في مطارف العز ، وبين مهانة البؤس
الذى شملها في أطمار الدل .

سألت صابرة ناجية قائلة :

— اصدقيني الحديث يا ناجية ، هل أنت حقاً
تستطيعين أن تعيشي بالبلغ الزهيد الذى ذكرته لنا ،
أعنى الثلاثين قرشاً فقط ؟

— في العام الماضى كنت أخيط لبعض الجنود
قمصانهم ، ولا أعلم لماذا انقطعوا هذا العام عن المجيء
— يالك من بائسة ! ومع ذلك فأنى لا أستطيع
أن أطمئن إلى صدق حديثك .

عجيب هذا ولعمر الله ! كيف استطعت ولازلت
تستطيعين أن تعيشي بهذا الببلغ اليسير التافه ؟
— هي العادة التى ألفتها يا صديقتى .

— نحن لم نستطع اليوم أن نشترى عصفوراً
واحداً من الكناريا بثلاثين قرشاً في حين أنك
تؤكدين أنك تزودين بمثل هذا الببلغ شهراً كاملاً !

كيف ؟ كيف هذا ؟ ...

— إن زوجى يحاول جهده أن يأتى فى كل
أسبوع بنصف أقة من الزيتون ، وأنا الأخرى
أقتصد ما وسعنى الاقتصاد .

لم يدد صدق حديثها ما خامر صابرة وصاحبتها
من الشك . إذ كيف تتصوران وهما تبصران
خادماتهما يأنفن أن يأكلن الخبز إذا بات يوماً واحداً ،
فى حين أنهما تريان الخبز الأسود على الصندوق
أمامهما وهو ما تأكل منه ناجية ، ولا ريب أنه قد
أصبح على مر الأيام يابساً كالعظم .

هزت منيرة رأسها يمنة ويسرة وابتسمت
ابتسامة تشف عن حيرتها وقالت :

— إنها لدينا عجبية . وهل يستطيع الانسان
أن يستسيغ مثل هذا الخبز ما كلاً ؟ أقسم بالله إننى
أعطيت مرة خبزاً أجود من هذا لكلبنا «بوبي»
فأبى أن يأكله وكشر عن أنيابه وكاد أن يهجم
علينا وأخذ ينبح نباحاً شديداً حتى ظننا أنه جن .

قالت صابرة وكانت تبدو شديدة التأثر :
والله ما أنا بتاركتك هنا يا ناجية . هيا انهضي
— إلى أين ؟

— إنا ذاهبتان بك إلى دارنا .
— ماذا تقولين ؟ أيمكن هذا ؟
— ولم لا ؟

— أقبل أن أستاذن زوجى ؟
— دعى هذه البلاهة وهيا . أفتقوم القيامة
لو أنك جئت معنا ولبثت عندنا بضعة أيام ؟
ألا تستطيعين العودة إلى هنا مرة أخرى ؟ وهل

يعد خروجاً عن طاعة الزوج أن تأكل وتشربي
بعض الشيء ، وأن تبدلي الهواء ؟ ...

— يالها من جرأة ...

— أقول لك هيا وأقلعي عن التردد .

كان عقل ناجية لا يستسيغ أن يهون لها مجرد
الخروج من كنفها دون إذن بعلها ، فكيف بما تشير
به عليها صابرة وفيه ما فيه من خروج على العرف
والتقاليد ؟ وهل هذا في الامكان ؟ هاتان السيدتان
أشفقتا على ناجية ولا سيما بعد أن عرفتا حقيقة
حالها وعلمتا أن هذه الغرفة لم يدخلها طعام ساخن
منذ أربع سنين ، فرغبتا في مواساتها وتهوين خطبها .
وقد كان من حسن الاتفاق أن جاءت اليوم بالركبة
من « قاضي كوي » وعرجتا على هذا الحى لتبحثا
فيه عن طاهية بدل التي عندها ، لأنها شرسة
الطباع ، ميالة إلى النزاع ؛ وأرادتا أن ترتبطا مع
هذه قبل صرف الأولى والاستغناء عنها فلم تهتديا
إلى مسكنها .

دار الحديث حول الطعام وعددت منيرة
ووصفت أصناف الطعام والحلوى التي أوصت
باعدادها ثم استطردت في الكلام حول المشروبات
وأأنوعها ، ولم تستطع ناجية أن تصدق أذنيها حينما
علمت أن صديقة صباها وصاحباتها يحتمسين كل
ليلة من الشمبانيا والويسكي ما يتراوح ثمنه بين
الخمسة والعشرة جنيهات . ولما أخذتا تسهبان
في حديث الطعام وأنواعه من المشويات والمقلبات
والفطائر والحلوى خيل إليها أن معدتها أخذت
تتخدر ، وكانت كلما أسهبتا في الحديث ازدادت

شعوراً بنكد طالعها ومندی هوانها ، واستيقنت
أن هوة الشقاء التي هوت إلى أغوارها أشد
عمقاً مما كانت تحس به من قبل . وكانت
كمسافر خلى البال لا يشكو بأساً في سفره الشاسع
ثم شعر يبعد الشقة بغتة ، وتبين أنه ذو أهوال
ومخاطر . فهتف بها هاتف نفسى : « مالك ترفضين
هذه الدعوة رفضاً ، وتنفضين يديك من إجابتها
نفضاً ؟ هلا قبلت الدعوة فأصبت من أطيب الطعام
ونفائسه ؟ ! » انتابها حى لا تقاوم ، ولكن هذه
الحى مستكنة في أعماق النفس لا يقدر أن يشخصها
الأطباء ولا المتنطسون ، وإنما يستطيع أن يستشفها
ويعرف كنفها من استبد بهم البؤس ورزحوا تحت
وطأته أمداً طويلاً . وأخيراً قبلت ناجية الدعوة
لليلة واحدة . . . ولكن ما العمل ؟ وتذكرت
أن ليس لديها إزار تأزر به فلم تجد بداً من
الاعتراف بالواقع وقد اعترأها ارتباك وخجل ؛
فحدقت الصديقتان إحداها في الأخرى حائرتين
متسائلتين عن حل هذه العقدة . قالت صابرة :

— نأخذ ناجية ونذهب بها إلى (عزيزة)

فنتستعير منها لناجية أنخر ملابسها إذ هما لا تكادان
تتفاوتان في القدر والقامة .

أجابت الأخرى :

— أصبت ، وربما نأخذ تلك المجنونة معنا .

قالت هذا ثم نهضت ، فهضت الأخريان على
أثرها . ولكن ناجية لم تكن قد ذقت من الصباح
حتى تلك اللحظة من الطعام شيئاً تسكن به سورة
الجوع ، كأنها قد عافت ذلك الطعام الذى عندها

أثناء سير المركبة حول الملاهي، والملابس، والأزياء المستحدثة، وناجية لا تكاد تسمع الحوار لأن خيالها كان يشط بها عن الموضوع ويرغمها على الجلوس إلى جانب المائدة المتخيلة...

وبينا المتحدثان تقطعان الطريق تارة في الحديث وأخرى في اجتلاء مشهد جمالها إذ لفت نظر السيدة منيرة ساعدا ناجية فتناولت ذراعها وقالت:

— هذه الذراع وهذه اليد لم ينلها التعب والنصب بسوء كائنهما تغسلان كل يوم باللبن . والحق أن وضاعة بشرة يديها وبضاضة ساعديها وبديع انسجام كل أولئك كان خليقاً أن يخلب ألباب الفنانين؛ على أنها ما كانت تغسل بدنها مساء إلا بالماء الذي تحمله من صنوبر الحى وتحتال ما أمكنها على تلافي نقصان الصابون الذي كانت لاتساعدنا حالها على كثرة استعماله .

أمرت صابرة الحوذى بالوقوف أمام دار عظيمة في زقاق أكثر دوره عتيقة متهمة، وكانت هذه الدار بينها كأمر ضل سبيله فاضطرته ظروفه الملحة أن ينزل ضيفاً على الصعاليك .

سألت صابرة الخادم التي فتحت الباب:

— هل سيدتك بالدار ياماريكة؟

— نعم

— هيا اصعدى إليها وأخبريها بقدمونا

— تفضلى، تفضلى

فدخلن الردهة فأخذت الخادم تعدو أمامهن،

وبيناهن يصعدن السلم، إذ استقبلتهن امرأة يخيل

وتقرزت منه . ألم يكفها أنها داومت عليه أربعة أعوام؟ هذا إلى أنها الآن قد اتسع خيالها من حديث هاتين المرأتين حول الشواء، والفطير، والحلوى، ولم تجد هذه البائسة، من تلك الفكرة المخيمة على خيالها متسعاً حتى تفكر في هذه الضيفة التي أتت دارها بغنة وتنساءل كيف أصبحت ثرية . وكانت فكرة الطعام شغلت من ذهنها حيزاً كبيراً إذ صارت تتخيل أنها على كثر من مائدة من فضة نضدت عليها أطباق ذهبية، احتوت كل ما تلهفت عليه شهيتها وتحلب له ريقها من كل ما لد وطاب من ألوان الطعام؛ وأثر خيالها على حواسها بحيث كان يخيل إليها أنه لم يكن بينها وبين تلك الأطايب إلا أن تمد يدها فتناول منها . وبينما هي على هذه الحال إذ نهضت صاحبها، فاستوت هي الأخرى قائمة واندفعت بتأثير الفرع المبهم الذي استولى عليها نحو الفرش فأخرجت من ثناياها مزرراً أسود مرقعاً لبسته وهي تحاول عيثاً إخفاء خجلها، لأن صابرة كانت ترنو إليها وتلفت إلى صديقتها وتقول:

— بربك تأملى! ألا يخيل لرائيها برغم أسماها أنها مليكة ذات تاج؟

خرجن من الدار وغادرنها وهن يسرعن الخطأ، ولم يكدن يصلن إلى أول الشارع حتى زكن مركبة كانت تنتظر هنالك، وقالت صابرة للحوذى عند ركوبها:

— اذهب بنا إلى «دوغا نجيلر»

وجلست ناجية أمام الآخرين ودار الحديث

وماراق وفاق من الخلل والنفائس ، وعندئذ تبصران
كيف تكون الروعة

فأخذها النسوة الثلاث إلى حجرة اللباس
وجعلن يخلعن عنها ثيابها المهلهلة . ولما جردنها من
ثيابها وأبصرنها عارية اعترتهن دهشة . وطفقت ربة
الدار تضرب فخذاها بيدها وتقول :

— رباه ! ليتني كنت رجلاً ...

ألبسها غلالة رقيقة من الحرير الأبيض الثمين ،
ولما أخذن يلبسها الجورب وشاهدن ما لقدميها
وساقها من الانسجام ولبشرتها من الوضاعة لم
يستطعن أن يكبحن أنفسهن عن التصايح بالإعجاب
والإكبار . رجّلن شعرها الفاحم الجميل ورتبته .
ولم يكدن ينتهين حتى أجلسنها على كرسي هزاز ،
فأخذن يمتعن أبصارهن بتلك الدمية التي أكلن
زيتها ، وهن يشعرن بما يشعر به الفنانون حين
ينظرون مأخوذين بما أبدعته أيديهم وابتكرته
عبقريتهم من آيات الفن . وكانت ناجية تنسم
دون أن تنبس بينت شفة ، وهي لا تشك في
أن ما تبديه صواحبها من إعجاب وإكبار لجمالها إنما
كان من قبيل المبالغة والمغالاة ، ولكنها على رغم
هذا أرادت أن تبين مدى الصدق فيما زعمن ،
فكانت تنظر خلصة وعلى مهل إلى صورتها في
المرآة .

دخلت الخادم المخدع وهي تحمل بين يديها صحفة
من الفضة عليها إبريق الشاي وحوله الفناجين ،
فنهضن وأخذت كل واحدة منهن كرسيًا وأحدقن
بالمفضدة وناجية أمامهن ، ثم أشعلن لفائف التبغ

إلى من يراها لأول مرة أن بها مسًا من الجن .
وقالت وهي تفهقه :

— أية ريح عصفت فألقت بكن إلى هنا ؟ ومن
أين يا عديمات الوفاء ؟

ثم فتحت ذراعيها واحتضنت منيرة أولاً وثنت
بصابرة فقبلتها

— احزري من أين ؟

— أنى لي أن أعلم ؟ فهل تقمن الليلة هنا ؟

— لا

كانت هذه المرأة مفرطة في تجميل وجهها ،
وعلى رغم تقدمها في السن كانت بادية الجمال
حدقت في ناجية ثم طبقت عينيها النجلوين
المكحلتين وفتحتهما وقالت :

— من تكون هذه الغانية المتكررة ؟

— هي ليست متكررة ، إنما هذه ملابسها

— لا تمزح

— نحن لا نمزح . ولقد جئنا لناخذها من
عندك ثيابًا ومُزْرًا وحذاء ، فهي الليلة ضيفتنا

— تكذبان ، وأقسم أنكما تكذبان

— بل نحن نقسم أنا نقول حقًا

وكانت المرأة ترنو إلى ناجية وقد علا خدوها
الاحمرار ، ولم تستطع أن تقنع نفسها بصحة حديثهما
ثم قالت على غرار الرجال ، وقد رفعت عقيرتها .

— ما أروع هذا الجمال !

فما لبثن أن التفتن إليها جميعاً وحدقن فيها .
فقال منيرة :

— دعوها تلبس مآدق ورق من حر الملابس ،

الأمامي، ولذا ضيقتا على نفسيهما وأجلستاها في وسط المقعد الخلفي بينهما . طفق الجوادان يعدوان كأنهما يسابقان الرياح، وكان يبدو على ناجية أنها تصغي إلى حوارهما؛ على أنها كانت منهمكة بما ينسجه خيالها من نسيج لا يعدو سداً ولحمته الطعام . وصلت المركبة إلى « حيدر باشا » وجعلت تجرى من الأفرز الذي يلي ساحل البحر وناحية تنظر جواليها بعينين زائفتين لا تبصران شيئاً . لم تشاهد « قاضي كوي » قط ، ولما كانت عيناها اعتادت أن تشهدا في غدوها ورواحها دورا سكار الضيقة المهمة وأزقتها الموحلة ، فقد أذهلتها من هذا الحى دوره الشاحنة ، وأبنته الباذخة ، وأرصفتها المهمة ، وأرضه المعبدة ؛ وخيل إليها أنها حلت بأرض أجنبية . وأبصرت في أثناء سير المركبة رجالاً في غاية الأناقة كانوا يبطأطئون رؤوسهم اجلالاً لمن بداخلها ، ولم تلبث المركبة أن وقفت أمام ميدان فسيح .

وكان الناظر من خلال هذه الأشجار يرى بحراً خضماً لا يحده البصر . ومما لفت نظر ناجية في هذا المتنزه اختلاط الرجال والنساء اختلاط الأسرة الواحدة ، يتزهون ، ويركضون ، ويقهقهون . وبينما هي تسرح نظرها حولها إذا بصوت صابرة تهمس إلى أحد ، فالتفت فأبصرتها تكلم شاباً أصفر اللون حليق الشارين ، أنيق الهندام ، كان يقول :

— أقسمت عليك إلا قلت من هذه وكانت صابرة تحيب على سؤاله بابتسامة دلال : — إنني لا أعرفها ، فانها ركبت مركبتنا على جهلنا حقيقة أمرها .

وبينما تتحدث إلى نفسها ، كانت معدتها تجب وجيب القلب ، ولم يعد يسترعى سمعها شيء من حديثهن إذ سبغ خيالها في ذكريات الأطعمة التي طالما أكلت منها قبل المهاجرة ، وأمسّت تتلف عليها فلو أنها خرجت متبرمة منهن وهربت مغاضبة فماذا تستطيع أن تأكل في مخدعها ؟ وما لبثت أن تمثل أمام عينيها إناء الفخار الأخضر ، وبدا لها ما بداخله من الجيوب السوداء ، فتقرزت وانتفضت انتفاضة العصفور بلله القطر . رفعت رأسها وهي تتمم : « مهما كانت الحال فانها ستلبث الليلة بين هؤلاء النسوة » ثم قالت : « لأجل الطعام . نعم لأجل الطعام » ولم ترد أن يخطر ببالها شرفها الذي كان معرضاً لأعظم خطر في حياتها . هذا على أن منيرة وصابرة أخذتا تبديان لها ما انطوت عليه عزيمتهما ، ولم تخفيا عليها الغرض من جلبها ، إذ كانتا تقولان إنهما سيقدمانها إلى بعض البكوات وهما مطمئنتان إلى أنها ستسلب منهم ألبابهم بجملها الساحر . وأخذت (معزز) تحثهن على المبادرة قائلة :

— عجلن واركن المركبة حتى تدركن ركب باخرة الساعة الرابعة عند خروجهم منها ، وتنهن في حديقة « مودا » فانكن ولا ريب ستصادفن أناساً ممن يرغبون فيكن وترغبن فيهم .

فما لبث أن نهضن واثنرن ، وقبل أن يغادرن الدار قبلت صابرة ومنيرة السيدة معزز قبلات حارة ذات أنفاس طويلة ، ودارت هي الأخرى فقبلت ناجية ، ثم شيعتهن جميعاً حتى الباب . في هذه المرة لم تشأ السيدتان أن تستوي ناجية كما سبق على المقعد

— صابرة لاتعا كسينى . إن عائلتي فى جزيرة
الأمراء وليس فى القصر من أحد ، وإن هذه الفرصة
لن تسنح لى مرة أخرى . دعينى أتمتع فى ظلها
الوارف بعودها الريان ، ولا ريب أنى سأعد هذا
الصنيع منك منة كبرى ويداً لاتنسى . وكأنا يتكلمان
بهمس ، ولكن ناجية على الرغم من دقائق قلبها ،
كانت تسمعهما دون أن يفوتها من حديثهما شىء
— فان أسديت إليك هذه اليد فماذا تكافئني

— ماذا ترومين ؟

— أنا لا أخصص

— أعطيك الآن خمسين جنيهًا

— مهلا ، مهلا ، فلست بها أهلا

— ثمانين جنيهًا

— هيهات ، هيهات ، قل لى بربك أنت فى

سوق المراء ؟ إذن خير لك أن ترفع القيمة قرشًا
قرشًا ...

— هل تعترضين أيضاً إذا ما قدمت إليك مائة

وخمسين جنيهًا ؟

— أنعم النظر يا عزيزى فى هذا الجمال الذى

تقاذف نحوه القلوب وتشرئب إليه النفوس ، وتأمل
بأى جوهرة كريمة ستمتع ، وبأى لؤلؤة يتيمة
ستتجلى ، واذكر ميلويج تلك المرأة التى فانت
الأربعين وتضحيتك لها بما عز وهان . هلا صنت

خرمة الجمال ؟ اصعد ، اصعد .

— مائتين .

— وماذا ستعطي لها ؟

— لا شأن لك فى هذا

أرهفت ناجية أذنها ولم تكدر تصوب طرفها
إلى الشاب حتى أغمض عينيه وأدار وجهه صوب
منيرة وعجب لأمر هذه الشابة التى صعقته بنظرة
واحدة منها ، ودهش لما تبديه فى أطوارها من وقار
وما يتجلى فى نظراتها إليه من عدم اكتراث به ،
كأنها لم تسمع عنه شيئاً ولم تشاهده قط .

— بربك يا صابرة من هذه ؟

— هاهي ذى أمامك كما ترى ، إنسانة !

— عجيب والله ! كأنك تخشين أن تقولي إنها

ملاك .

— نعم إنها ملاك .

— — أتوسل إليك يا صابرة بكل عزيز لديك

أن تقدمينى إليها .

— أى حملي الوديع ! هى لا تحادث الرجال ولا

تستأنس بهم

— آليت عليك بربك

— إذن تعال إلينا الليلة

— إن حفلاتك يا صابرة لا بد لها من اللهو

العاصف الأهوج ولا تخلو من الزحام ، وأنا جئت

بآخر باخرة متعباً وقد تعشيت ، ولا تجهلين أنى

لا أستطيع أن أحتسى شيئاً بعد الطعام ، فاذا

جئت فسا كون بينكم متفرجاً فحسب

— حسن ! فهلم والبث بيننا متفرجاً

— لست ممن يعشون بدقائق حياتهم ويضيعونها سدى

— ويحك ! أريد أن تأخذ هذه الحورية

وتذهب بها كيلا تكون سيادتك عابثاً ؟ ما أروع

ذكاءك ؟؟

— لا بل يجب أن تقول .

— أقسم يا صابرة أنني لم أر طيلة حياتي امرأة لها مثل هذه الروعة . ربما أتخذها خليله أو خليلته — اخساً ! إنك منذ ثلاث سنين تمنى كل من تشاهدها بالمحالة ! أنسيت أنك استغفلتني بالقاء مثل هذه الأمنية في روعي ؟

— لكن هذه لا تقاس بغيرها فإنها أجمل من كل جميلة .

كانت المساومة ولا ريب بدور حولها فضاقت الأرض في عينيها بما رحبت ، وخطر لها مرة أخرى أن تقفز من المركبة وتهرب ، ولكن إلى أين ؟ إنها لا تستطيع أن تذهب وهي وشيكة السقوط على الأرض مغشياً عليها من الجوع . فتذكرت دارها ، ولكن هذه لم تردها إلا اضطراراً شاف عن يأس شديد . وما لبثت أن عاودتها روائح الأطعمة الزكية فطقت تتجلد . كان صديق صابرة الشاب دعاهن إلى التنزه والتمس من منيرة ألا ترفض فنزلن من المركبة . واثنت صابرة التي تقدمت بضع خطوات على عقبها بسرعة غريبة وقالت :

— صديقة الطفولة السيدة ناجية

وقالت لناجية :

— فصيح بك الشاب الذي عكف على إتلاف ثروة أبيه وبذلها في أودية الهوى بأريحية وسماحة ، وأخذت تضحك حتى بدت نواجذها وتقوس ظهرها . وابتسمت ناجية ابتسامة منقبضة من فرط حيرتها

جرفهن الزحام في قياره ، وكن أثناء سيرهن محط أنظار الفتيات والفتيان . وبينما الجوع قد بلغ من ناجية حداً جعلها تشعر بمغص وتضور شديدين ، وقد خيل إليها أنها ترى نقطاً سوداء تتطاير أمام عينيها من فرط الاعياء ، كانت الشمس أخذت تغيب وراء الأشجار . فقالت صابرة :

— لنعد أدراجنا ، فاني شعرت بالتعب وأخشى أن يكون المدعوون لمأدبة الليلة قد حضروا وأخذوا في انتظارنا

قالت منيرة :

— أياي معنى فصيح بك أيضاً ؟

— وجهي القول إليه . أظن أنه لا يريد المجيء فأجاب فصيح بك :

ألتس المعذرة فاني لا أستطيع المجيء

قالت صابرة :

— فصيح بك ! إن داري ستكون الليلة

غاصة بالمدعوين وناجية لا عهد لها بمثل هذا الزحام والضجيج فهلا أخذتها عندك هذه الليلة ؟

— إني أعد هذا منها مكرمة . وحذالو تنازلت

بتشريف داري

لم تستطع ناجية أن تجيب واكتفت بابتسامة

مصطنعة وحدثتها نفسها بأنها إن ذهبت مع صابرة فلا بد أن مجال الطرب والرقص والسمر كل هذا سيسترق من الوقت ما يتجاوز ثلثي الليل ثم ياشرون الطعام ، هذا على أن الليل قد حل ولا سبيل إلى الفرار من يد هذه الطائفة لو أرادت

وقفز منها فصيح بسرعة ومد لها يده :

— تفضلي !

ومشياً بضع خطوات ثم وقفا أمام باب حديدي
وكان يبدو للناظر من داخله المظلم طريق صفت على
جانبيه الأشجار ، وفي نهايته شبح قصر . أخذ
فصيح ينادي بصوت عال :

— آدم ! آدم !

أجابه من الداخل صوت رجل يبدو من لهجته
أنه ألباني :

— نعم يا سيدي .

— أسرع وأشعل مصاييح البهو .

وكان يبدو من زى هذا الرجل الطويل الذي
ظهر أمامهما أنه بستانى القصر :

التفت فصيح إلى ناجية وقال لها :

— ليس في الدار من أحد غير هذا البستانى

فأرجو أن تأخذى نصييك من الحرية دون خجل .

— سأفعل ...

صعدا ، وكانت المصاييح أشعلت وبدأ البهو

رائعاً بما احتواه من الأثاث والرياش الثمينة ، ولم

تكذب ناجية تبصر هذه العظمة حتى أخذتها الدهشة

وكادت تنسيها الجوع وآلامه ، إذ كانت الطنائس

والأبسطة النادرة والرسوم البديعة التي تحلت بها

الجدران والستائر الغالية من أنفاس ما اجتلتها الأنظار ؛

وكان فصيح بجانبها قد أصبح بلبلاً غريداً لا يكاد

يسكت ولا ينفك يحطرها وإبلا من أحاديثه التي لم

تفهم منها شيئاً ، وتحدث إليها عن الحب الأزلى ،

والزواج ، وعن ثمرة الهناء من رفاء وبنين وعدد لها

ذلك . أما الشاب فلا ريب أن داره خالية من الزوار ،

وإن ذهبت فلا تلبث أن تجلس إلى المائدة وتشبع

بطنها ثم تتمحمل الأعداء وتحتال حتى يتنفس الصبح ؛

وعند الصباح يحمد القوم السرى . فالأرجح إذن

هو أن تختار الذهاب مع هذا الشاب ... وعندها

انصرفت صابرة ومنيرة وأسرع الشاب وتأبط

ذراع ناجية وأركبها المركبة ، وطفق يثنى على جمالها

النادر وحسنها الرائع ، ويغالى في إطرائه ويحاول

بأنواع المغالطات العجيبة أن يشير فيها رغبة الحديث ،

ولكن ناجية كانت في شغل شاغل عنه وعن

مغالطاته ، إذ كانت تفكر في المائدة التي ستجلس

إليها عما قريب . إن رب دار يجود للمرأة التي قدمتها

فحسب بمائتين من الجنيهاً لا عجب أن تجمع مائدته

أنحر الأطعمة وأطيب الأغذية .

بينما هي مستغرقة في مثل هذه الخيالات والمركبة

تركض في أهم شوارع الحى ، كان الشاب أيضاً

يتأمل محاسنها التي زادها استغراقها في أحلامها

حسناً على حسن . وما لبث أن قال :

— بربك يا سيدي فيم تفكرين ؟ هل

تشكين الماء ؟

— لا يا سيدي .

— إذن فلم هذا الاستغراق في الفكر ؟

— لا شيء .

وأوشكت أن ترجوه إذا ما بلغا الدار ألا يلبث

لحظة واحدة قبل أن يجلسا إلى المائدة . ولكنها لم

تستطع أن تكشفه بما في نفسها . وما إن وقفت المركبة

حتى اهتزت ناجية كمن استيقظ من نوم عميق ،

— نحن الآن ياسيدى فى منتصف الليل ،

ولا يوجد حانوت مفتوح

— لا تصدع رأسى بثرثرتك ، بل ابذل جهدك

واعمل المستحيل حتى تجد طعاماً ، ولا تتسكأ فى
إحضاره إلى غرفة الطعام

— أسرع ! أسرع ! ولا تنبس بكلمة .

— ياسيدى ! ماذا أستطيع أن أصنع وكل

الحوانيت موصدة ؟

— قلت لا تنبس بكلمة . أفأنت تعتمد عصيان

أوامرى ؟ هيا أسرع وأحضر طعاماً .

فلما ذهب الألبانى التفت فصيح إلى ناجية

وقبض على يمينها البيضاء ، وطفق يطبع عليها

قبلات الاستعطاف ، ويقول بخنان يوشك أن
يسيل رقة :

— أرجوك العفو يا قرة عيني ، فوالله لأتلافين

هذا الأمر غداً .

— لقد شرد لى وطار صوابى حين وقع

بصرى عليك فأنسيت كل شئ فأصفح عني .

— عفواً ياسيدى !

— حقاً إني كنت عديم الذوق بل مغفلاً .

— العفو !

طرق سمعها وقع أقدام الخادم ، وكان قد دخل

البهو ، فما كانت تصنى إلى حديث الشاب إلا قليلاً .

جاء الخادم وقال من خارج الباب :

— قد أعد الطعام ياسيدى

نهضاً ، وتقدمها الشاب حتى بلغ بها إلى غرفة

أنواع المتع والسعادة التى سيجنيانها : استرسل فى

مثل هذا الحديث حتى فاجأها بقوله :

— هلم يا عزيزتى نصعد إلى فوق

فسألتها ناجية وقد كان ذهنها غاصاً بذكريات

الأطعمة :

— إلى أين !

— إلى غرفة نومنا

فقلت فى ذعر : — « ولكن ... »

— ماذا يا روحى ؟

فاستطاعت أن تقول بشق النفس :

— لو أكلنا شيئاً يسيراً !

فصرخ فصيح وقال :

— الله ! لا ريب أنى مغفل ، بل حمار ، ولكن

لى بعض العذر بجمالك الذى أذهلنى عن هذا الأمر .

إنى أتوسل إليك راجياً العفو عني . لقد أفرطت فى

تناول الطعام قبل عودتى فى « سرکه جى » حتى لم

يخطر لى الطعام ببال . فاسمح لى أن أعد شيئاً .

ونهض ثم خطا نحو النافذة فأطل منها ورفع عقيرته

ينادى :

— آدم ! آدم !

— نعم !

— أسرع فأتنا بشئ من الطعام .

أرهفت ناجية أذنها عند ذكر الطعام وسمعت

الخادم يقول :

ماذا أصنع ياسيدى ؟

— اصنع ما يمكنك صنعه وأحضر طعاماً .

الطعام الواسعة المؤتة على أنخر طراز وأشار إليها
يقول :

— تفضلي ياسيدتي

فدخلت ، وكان حول المائدة كرسيان متقابلان
وضع أمام أحدهما صحفة واحدة ، فأجلسها هذا على
الكرسي ، لكنها لم تكدر ترى مافي الصحفة حتي
انتفضت انتفاضة الدهشة ، وعلا وجهها شحوب
خفيف ، كأنها أبصرت فيها شيئاً لا يقوى الانسان
على احتمال رؤيته . وصرخت بأعلى صوتها

— يا لله !

فما كانت الصحفة تحتوى إلا زيتوناً ، وما كان
بجانبه شيء غير ذلك الخبز الأسود الذي اعتادت
أكله منذ أربع سنين !

أسندت ذراعيها على المائدة ، وغطتهما برأسها ،
وفاضت عيناها بالدموع ، وكان إجهاشها ونشيجها
يفصحان عن القنوط واليأس ، وينبئان بأشد
خالات التأثر والألم . ولم يستطع فصيح أن يدرك
من هذا الانفعال المفاجئ شيئاً ، لأنه كان ينظر إلى
جيدها الشفاف الذي بدا واضحاً لدى انكبابها على
المائدة ، فأعماه عن رؤية الزيتون والخبز الأسودين
الذين لم يجد الخادم سواهما في المنزل

اشتدت بناحية الحال ونجمهم وجهها ، وتوترت
أعصاب صدغيها ، وزاد ضغط فكها . ولم يكن
فصيح قد استرجع رشده الذي أفقده إياه هذا التغير
المفاجئ فأخذ يقول :

— ماذا دهالك يا حبيبتى ؟ ماذا بك يا إنسانة عيني ؟

فنهضت ناجية ، وقالت :

— ليس بي شيء

وأخذت تمشي نحو الباب . فهم فصيح لينعها
فصرخت في وجهه ، وجعلت تحديق فيه تحديقة
حقد وبغض شديدين . وقالت :

— أرجو أن تتركني وإلا أسأت إليك .

ثم أشاحت عنه ممتعة . وكانت عيناها
الجميلتان قد جحظتا حتى كادتاً تخرجان من محجريهما
فتجنبها الشاب ولبت فاعراً فاه مدهوشاً وهو
يصرها تسرع الخطا حتى خرجت من الباب .

ولما سمع وقع أقدامها على حصا الحديقة ،
جعل يقول في نفسه :

— ما أعجب هذه المرأة ! إنها لغز . إنها ولا ريب
مصابة بالهستيريا .

انطلقت ناجية هائمة على وجهها ، راكبة رأسها
تعدو في عرض الفضاء ، يحيطها الظلام الدامس ،
ولماذا لا تعدو وقد أوشكت الليلة أن تضحي بشرفها
من أجل أكلة طعام واحدة . وها هي ذى تلج تلك
الدور الشائخة وترتاد هذه الحداثق الغناء ، وتتناول
بيدها أواني الذهب والفضة ، ثم لم يكن نصيبها من
هذه الدخائر والكنوز التي حوتها غرفة الطعام ،
إلا الزيتون الأسود والخبز الأسود ! ظلت تتغلغل
في أحشاء الظلام ، ولم تبك بعد ، كأن قلبها قد
تحجر ، ولا ريب في أنه تحجر ، إذ أحست بثقله في
صدرها . ولم تزل على حالها تلك ، تعدو ما وسعها
العدو ، تجر وراءها ذيول القنوط واليأس من طريق

فَدْرِيجُو

للكاتب الفرنسي برويسير ميريميه
بقلم الدكتور حسن صادق

عاش في هذه المحنة
ثلاث سنين كان في أثنائها
يخرج إلى الصيد نهراً
ويلعب الورق ليلاً مع فلاح
يزرع له الحديقة الصغيرة
على أن يأخذ نصف غلتها
أجرأ له .

وفي أحد الأيام ، عاد
إلى البيت مبتهجاً لأنه وفق في الصيد إلى درجة لم
يعهدها من قبل . وما أن استقر به المقام حتى
طرق المسيح ، ومعه اثنا عشر رسولاً عليه بابه
وسأله الضيافة .

سرت بنفس فدريجو عبقة من السرور حين
رأى ضيوفاً يطرقون بابه في يوم أصاب فيه صيداً
كثيراً ، وأدخل الضيوف في بشر وإيناس وأعد
لهم كل ما عنده من ألوان الطعام ، ثم رجا منهم أن
يلتمسوا له المذرة إذا رأوا فيه العجز عن أن
يعاملهم كما يتطلب قدرهم لأن الزيارة جاءت على غير
انتظار .

نظر إليه المسيح الذي يعرف دون ريب
الغرض الذي يقصد إليه من زيارته ، وغفر له هذا
الشعاع البسيط من الزهو في سبيل إظهار ميله
الشديد إلى إكرام ضيوفه ، ثم قال له : « سنكتفي
بما عندك ، فرباعداد العشاء لأننا في وقت متأخر »
ثم أشار بيده إلى القديس بطرس وقال : « وهذا
جائع إلى أقصى درجات الجوع »

أسرع فدريجو إلى إجابة هذا الطلب ، وأراد

زعموا أنه كان بإحدى المدن الإيطالية رجل
يسمى فدريجو ، وسيم الطلعة رائع القسمات بديع
التكوين ، إلى أدب جم وحديث عذب وحلم
مستطاب . ولكنه كان ماجناً مستهتراً يألف
الرجس والفجور . كان كلفاً بالنساء مولعاً بالميسر
لا يطبق الصبر عنه . ولم يكن يؤدي قط (فريضة
الاعتراف) أو يذهب إلى الكنيسة إلا لبحث فيها
عن فرص تعبد له سبل الخطيئة .

شاء له الحظ أن يرمح في الميسر أموال اثني
عشر شاباً من أسر كريمة ، وأن يضرب عليهم ذل
الفاقة وظلم الخراب ، فاضطروا إلى الاندماج في
سلك الجندية المأجورة ، وماتوا وهم يحاربون القواد
المأجورين الذين يستخدمهم الملك ، محرومين من
الاعتراف والطقوس الدينية الأخيرة .

دارت الأيام دورتها وخسر فدريجو كل ما ربح
ثم جميع ما يملك ، فأنحدرت عنه النعمة ولم يبق له
إلا بيت عشيق قائم في مكان هادي خلف بعض
التلال ، فذهب إلى هذا البيت وفي صحبته الاكثاب
والحسرة ليعتزل الاجتماع ويخفي بؤسه عن الناس .

وفي صباح اليوم التالي اجتمعت الجماعة المقدسة في الردهة فقال المسيح لفديرجو: « نشكر لك استقبالك الجميل ونريد أن نجازيك عليه أحسن الجزاء ، فتمنّ علينا ثلاثة أشياء نستجب لك ، لأننا قد منحنا كل قوة في السماء وعلى سطح الأرض وفي مستقر الأرواح »

فلما سمع ذلك فديرجو ، أخرج من جيبه الورق الذي يحمله معه دائماً وقال : « أيها المنقذ العظيم ، أريد أن أربح في كل مرة ألعب فيها بهذا الورق » فأجابه المسيح في هدوء : « لك ما تريد » وكان بطرس الرسول جالساً إلى جانب فديرجو فقال له بصوت خافت : « كيف تطلب هذا أيها الخاطئء التمس ؟ ! ينبغي أن تسأله السلام لروحك وأن يغفر لك ذنوبك وخطاياك » فأجاب فديرجو مطمئن النفس : « إنني لا أشغل بالي كثيراً بسلام روحي » فقال المسيح : « لك عندي شيئان آخران تسألني إياهما »

— سيدي بما أنك كريم إلى هذا الحد فاني أرجو منك إذا شئت وتفضلت شيئاً يسيراً خلاصته أن أي شخص يتسلق شجرة البرتقال التي تظلل بابي وتمتد فروعها إلى نافذتي ، لا يستطيع النزول إلا بإذني ومشيتي .

فأجابه المسيح إلى ما طلب . وفي تلك اللحظة ضرب بطرس الرسول فديرجو على مرققه ضربة قوية وقال مغمغماً : « أيها الخاطئء الشقي ، ألا تخاف عذاب جهنم الذي تقودك إليه خطاياك ؟ ! لم يفت الوقت بعد ، وفي استطاعتك أن تسأله مكاناً

أن يقدم إلى ضيوفه شيئاً آخر فضلاً عن صيده ، فأمر الفلاح أن يذبح الجدى الذي يملكه وأن يشويه على السفود .

ولما هيء الطعام وجلس الضيوف إلى المائدة شعر فديرجو بأسف ، لأن نبيذه لم يكن جيداً إلى درجة ترضيه ، فقال للمسيح : « سيدي ، بودي لو يكون النبيذ أجود من هذا ، ولكنني أقدمه إليكم كما هو بقلب خالص »

لم يتكلم المسيح ولكنه ذاق النبيذ وقال « كيف تقول ؟ ! وم تشكو ؟ ! نبيذك بلغ الغاية في الجودة . وإنني أسأل الرأي هذا الرجل » وأشار بأصبعه إلى بطرس الرسول .

ذاق بطرس النبيذ واستمرأه وأعلن أنه حلو جيد ، ثم طلب من مضيفه راجياً أن يشرب معه فأقر فديرجو رأي بطرس بإيماءة من رأسه ، وقد أخذ قوله وقول المسيح على سبيل المجاملة والأدب ؛ ثم تناول جرعة ، فعراه الدهش الشديد ، لأنه وجد أن النبيذ ألذ طعاماً من كل نبيذ ذاقه في حياته ، حتى أيام كان يملك الثروة البضخمة ، ويفشى أنفخ المشارب . فعرف من هذه المعجزة أن « المنقذ » في بيته ، فهض من مكانه في إجلال وخشوع كأنما هو غير جدير بأن يأكل مع هذه الجماعة المقدسة .

ولكن المسيح أمره بالجلوس فأطاعه في احترام وفير . وبعد انتهاء العشاء ، انسحب المسيح ورسله إلى الحجرات التي أعدت لهم ، وبقي فديرجو مع الفلاح يلعب الورق كعادة ويشرب ما تبقى من النبيذ .

من السامعين أن فدريجو قد أصاب ثروة في بلاد أجنبية على حساب مقاصرين أقل مهارة منه ، وشعروا بالرغبة الشديدة في الحصول على هذه الثروة الجديدة في أقرب وقت مستطاع .

وأراد بعضهم أن يجره في الحال إلى اللعب ، ولكن فدريجو رجا منهم أن يرجئوا اللعب إلى المساء وانتقل بالجماعة إلى بهو كبير مدت فيه موائد الطعام والشراب بأمره ، فوقع ذلك من نفوسهم موقعا حسنا ونال جميل إعجابهم .

كان هذا الغداء أكثر بشرا من عشاء الرسل . وقدم فدريجو إلى رفاقه أجود أنواع النبيذ وأشهى صنوف الطعام . وقبل مجيء هؤلاء الرفاق كان فدريجو قد حصل على ورق يماثل الذي معه تماما حتى يستطيع عند الحاجة أن يحمله محل الآخر وأن يخسر مرة في كل ثلاث مرات أو أربع فلا يمر بأذهان رفاقه أية خلجة من الشك في اللعب . وكان يحمل الورق الأول في جيبه الأيمن ويحمل الآخر في جيبه الأيسر .

ولما انتهى الغداء اجتمعوا حول منضدة خضراء وضع عليها فدريجو الورق العادي ، وحدد زمنا للعب ومبلغا معقولا من المال . وأراد أن يشعر بلذة اللعب ، وأن يعرف مبلغ قوته ومهارته ، فلب الدوزين الأولين في حرص شديد ، ولكنه خسر وشعر في دخيلته بألم وحسرة ، ثم طلب للجميع نبيذاً وانتهز فرصة انهماك الراجحين في احتساء الشراب نخب ربحهم الماضي والمستقبل ؛ وأخفى باحدى يديه الورق العادي ووضع في مكانه ييده

في جنة الخلد . فأجاب فدريجو : « ليس هذا بالأمر الذي يتطلب العجلة » ثم ابتعد عن القديس بطرس حتى لا يضايقه بملاحظاته .

وطلب المسيح من مضيفه أن يسأله الأمانة الثالثة ، فقال فدريجو : « أريد أن أرى مخلوق يجلس على هذا المقعد المجاور للموقد لا يستطيع أن ينهض إلا بإذني ومشيتي » . فاستجاب المسيح لهذا الطلب وغادر البيت هو ورسله .

وما إن اجتاز آخرهم عتبة الباب حتى أراد فدريجو أن يجرب فضيلة الورق ، فاستدعى الفلاح ولعب معه دوراً دون أن يلقى باله إلى اللعب ، فربح ؛ ثم لعب عدة مرات حتى ثبت لديه أن أمنيته قد تحققت .

غادر بيته وذهب إلى المدينة ، واستأجر أجمل جناح في أنخم الفنادق . وانتشر خبر وصوله في سرعة عجيبة ، فتقاطر عليه رفاقه الأقدمون في اللعب والمجون وقالوا : « كنا نعتقد أننا لن نراك أبداً لأن بعض الناس قالوا في صيغة اليقين إنك زهدت في مسرات الحياة وأصبحت ناسكا ! » فأجاب فدريجو وعلى شفثيه ابتسامة غامضة : « وهم على حق » فسأله أحد رفاقه : « إذن كيف كنت تقضي وقتك أثناء الأعوام الثلاثة التي لم يرك فيها أحد ؟ » فأجاب فدريجو في لهجة الورع : « في الصلاة يا أصدقائي الأعزاء ، وها هو ذا كتاب الصلاة » ثم أخرج من جيبه الورق الذي يحرص عليه الحرص كله .

أثار هذا الجواب ضحكا عالياً واعتقد كل فرد

كل يوم أنخر أنواع النيسد وأبدع ألوان الطعام ، واشتهر قصره بأنه معهد السرّات .

وبعد عام قضاء فدريجو في لعب لا يدعو إلى الشك فيه ، عزم على أن يجعل انتقامه كاملاً فظيماً من جميع كبار الأغنياء في البلد ، ثم استبدل بالجزء الأكبر من ذهبه أحجاراً كريمة ، ودعا هؤلاء الأغنياء إلى حفلة شائقة منقطعة النظير ، وأعان أنه سيجلب إليها أعظم الفنانين والمغنين ، وأنها ستختم بمقامرة جسيمة هائلة ، فحضر بعضهم ومعه كل ما يملك من الذهب ، والبعض الآخر اقترض المال الكثير من اليهود . وفي تلك الليلة ربح فدريجو كل هذا المال وسافر به بعد انصراف المدعويين

ومنذ ذلك الوقت اتخذ لنفسه قاعدة لا يحدد عنها ، وهي ألا يلعب بالورق المبارك إلا مع اللاعبين ذوي النية السيئة ، لأنه يستطيع بمهارته أن يلعب مع الآخرين بالورق العادي . زار مدناً كثيرة مقامراً في كل مكان راجحاً في كل موطن ، وكان يشتري من كل بلد ما ينتجه من البدائع . ورغم ذلك لم ينس قط ضراعه الاثني عشر شاباً ، وكانت هذه الذكرى الأليمة تكدر عليه صفو حياته وتبطل به في كل حين .

ولما ضاق ذرعاً بها ، عزم ذات يوم على أن يتقدم أو يهلك معهم ، فرحل إلى جهنم تنفيذاً لغرضه ويده عصا وعلى ظهره حقيبة ، ولم يصحب غير كلبته العزيزة عليه (مارشسلا)

بلغ صقلية وتسلق جبل (جيل) ثم هبط من فوهة البركان إلى جوفه ، وظل يتعمق في الهبوط إلى مسافة تماثل ارتفاع الجبل حتى أشرف على فناء (٤)

الأخرى الورق المبارك . وفي الدور الثالث لم يعط فدريجو أقل التفات للعب ، واستطاع أن يلاحظ الآخرين فوجدهم يغشون في لعبهم ويسرقون . وهذه المعرفة المباشرة بعثت في نفسه سروراً كبيراً وجعلته يعتقد أنه يستطيع أن يحصل على ما في جيوبهم وهو هادئ الضمير ، لأن خرابه الماضي كان منشؤه غشهم لا حسن لعبهم أو ضخامة ثروتهم . وفي تلك اللحظة جالت بخاطره ذكرى ثروته الماضية وذكى الاثني عشر شاباً الذين أقام يسره على عسرهم وخرابهم ، وآمن بأنهم كانوا أشرف اللاعبين الذين صادفهم في حياته ، وندم للمرة الأولى على النجاح الذي أحرزه عليهم . ثم حلت في وجهه سحابة قائمة محل أشعة الفرح ، وتهد تهدة عميقة وهو يربح الدور الثالث .

اتصل هذا الدور بأدوار ربح أخرى لفدريجو واستطاع في ذلك المساء أن يجمع مبلغاً وفيراً من المال دفع منه ثمن الغداء الفاخر وأجر جناحه في الفندق شهراً كاملاً . وكان هذا كل ما يريد في ذلك اليوم . وأصاب الكدر الشديد رفاقه ، ولكنهم وعدوه قبل أن يغادروا الفندق بالعودة إليه في اليوم التالي .

وفي الأيام التالية عرف فدريجو كيف يخسر ويربح في اللحظات الملائمة ، فجمع في وقت قصير ثروة هائلة دون أن يشك أحد فيه أو يدرك سبب ربحه الحقيقي . ثم غادر الفندق ليعيش في قصر كبير اشتراه ، كان يقيم فيه من حين إلى آخر أبهج الحفلات وأنفمها . وأصبحت أجمل النساء يتشاحن في سبيل نظرة من نظراته ؛ وكان يقدم للزائرين في

کبیر یوڈی اِلی باب الجحیم .

وكان يحرس هذا الفناء كلب ذو رؤوس ثلاثة
فاجتازه فدرى بجو دون مشقة . وبينما كان الكلب يغازل
مارشسلا ويتألفها ، قرع فدرى بجو الباب ، فلما فتح
سأله بليتون خازن النار :

— من أنت ؟

— المقام فدرمجو

— وماذا تريد؟

— بليتون ، إذا كنت تقدر أن أول وأمر
مقامر على سطح الأرض يكون جديراً بأن يلعب
معك ، فاني أقترح عليك ما يأتي : نلعب عدداً من
الأدوار كما تشاء ، فإذا خسرتُ دوراً واحداً كان
لك ربحي ملكاً حلالاً تضيفه إلى الأرواح الأخرى
التي تعمر دولتك . وإذا ربحْتُ كان لي الحق في
اختيار روح من رعاياك في كل مرة أحمله معي
— لك حكمك

وطلب ورقاً للعب فقال فدرججو في لففة :
« هاهو ذا الورق » وأخرج من جيبه الورق المبارك
وشرعا يلعبان .

ربح فدريجو الدور الأول وطلب من بليتون
روح (ستفاند جاني) أحد الإثني عشر الذين يريد
إتقاذهم ، فأجيب إلى طلبه في الحال . وضع هذا
الروح في الحقيقة ثم ربح دوراً ثانياً وثالثاً إلى الدور
الثاني عشر ، وفي كل مرة كان يتسلم الروح الذي
يريد ويضعه في الحقيقة .

ولما تم له ما أراد، عرض على بليتون أن يواصل اللعب، فأجابته وقد أخفى تذمره: « بكل سرور، ولسكن لنخرج قليلا لأنني لا أدرى أية رائحة كريهة

قد انتشرت الآن في هذا المكان « وهو في الواقع كان يبحث عن وسيلة للخلاص من فدريجو . فلما اجتاز هذا الباب ومعه حقيته وعصاه ، صاح خازن النار أن أغلقوا الباب خلفه . عاد فدريجو إلى بيته القديم المنعزل ، وعزم على قضاء بقية عمره فيه . وبعد عودته ببضعة أشهر ، وضعت كلبته مارشالا عدداً كبيراً من الشياطين غريبة التكوين ، فألقاها جميعاً في الماء .

وبعد انقضاء ثلاثين عاماً (وقد بلغ فدريجو السبعين من عمره) جاءه الموت وأُنذره وطلب إليه أن يعد ضميره لأن ساعته قد حانت . فقال له فدريجو المحتضر :

— إني على أتم استعداد ، ولكن قبل أن
تختطف روحي أيها الموت ، أرجو أن تعطيني
برقالة من هذه الشجرة التي تظلل بابي . حقق لي
هذا الرجاء فأموت راضياً ممتناً

— إذا لم يعوزك غير هذا ، فأنا لا أرفض
تحقيق رجائك

ثم تسلق الشجرة ليقتطف برتقالة . وحين أراد
النزول عجز لأن فدريمجو أراد له هذا العجز . فصاح
الموت :

— آه ! لقد خدعتني يا فدريجو ! إني الآن في قبضة يدك وتحت سلطانك . رد إلي الحرية أعدك بعشرة أعوام تقضيها في الحياة

— عشرة أعوام ! ما أشد بخلك يا عزيزي !
إذا أردت النزول يا صديقي وجب عليك أن تكون
أكثر سخاء من ذلك

— أَهْبِ لَكَ عَشْرِينَ عَامًا

كرد علي

للقصص الروسي برشكين
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

وبعد الموقعة
التي أفنى فيها زهرة
الشباب اليوناني
أشار عليه يورداكي
ألبوتي بالتخلف .
وتولى هو مكانه .
وهرب أبلانتي إلى
حدود النمسا ثم
أرسل لعناته إلى

الشعب الذي كان يقوده واصفاً رجاله بأنهم خونة
جبناء أسافل

ولكن هؤلاء الموصوفين بالخيانة وبالجن هلكوا
تحت أسوار معبد سيكوا أو على ضفاف نهر بروث
وهم يدافعون دفاع المستميت جيشاً يربو عدده على
عشرة أمثال عددهم

وكان كرد علي في فرقة جورج كاتتا كوزين
الذي يصح أن يقال عنه ما قيل عن أبلانتي
وفي الليلة التي حدثت فيها موقعة أسكولانا
استأذن كاتتا كوزين السلطات الرسمية ، وتخلف
عن فرقته منضمّاً إلى جيشنا فبقيت فرقته بغير قائد ،
ولكن كرد علي وسفينا نوس وكاتتا جوني وغيرهم
لم يكونوا بحاجة إلى قائد

ولم توصف موقعة أسكولانا على ما يظهر
بالوصف الذي تستحقه فتخيل سبعائة رجل من
الألبان واليونان والبلغار وحشالات كل
الأجناس وليس فيهم من يعرف شيئاً عن فنون
الحرب . . . تخيل هؤلاء أمام خمسة عشر ألف

« كرد علي » بلغاري بمولده . وهذا اللقب في
اللغة التركية يطلق على ذوى الجرأة والقوة ، ولا أعرف
ما هو أصل الاسم الذي يتسمى به بطل هذه القصة
فقد أطلق عليه لقب « كرد علي » وعرف به وأصبح
شخصية مخوفة مرعبة في أنحاء « مولدافيا » لكثرة
ما ارتكبه من العدوان

ولما أعلن اسكندر أبلانتي الثورة وأخذ في
حشد المتطوعة جمع له كرد علي أصحابه القدامى من
قطاع الطرق ومن على شاكلتهم . وكان هؤلاء
لا يدركون حقيقة السبب في نشوب الثورة فقد
كان مثيرها يعني من وراءها تحرير اليونان .
ولكنهم كانوا يرون في الحصول على الثروة من
أسلاب الأتراك أو أهل مولدافيا سبباً كافياً لنشوب
أية ثورة

وكان اسكندر أبلانتي شجاعاً ، ولكن لم
يتوافر لديه من الصفات ما يكفي لتنفيذ المهمة التي
اضطلع بها ، فلم يستطع السيطرة على رجاله الذين لم
يكونوا يحترمونه ولم يكونوا يثقون به

مولدافيا من الثوار إلا ستمائة ألباني تشرّدوا في أنحاء
بساريا . ومع أنهم كانوا لا يكادون يحصلون على
القوت فإنهم كانوا شاكرين حماية روسيا . وكانوا
يرون جلوساً في المقاهي الصغيرة في بساريا التركية
الروسية وعلى أفواههم أقذاح القهوة . وقد
أخذت الرثانة تبدو على أكسيتهم الملونة وأحذيتهم
الحمر . ولكن طرايشهم الحمراء المطوية ذات
الزر الطويل كانت لا تزال ماثلة إلى أحد الجانبين .
وكانت الخناجر والمسدسات لا تزال على مناطقهم ،
ولكن أحداً لم يشك فيهم ، فقد كان من المحال
أن يتصور إنسان أن هؤلاء المساكين بقية من
ثوار مولدافيا زملاء كرد على وأن كرد على نفسه
كان بينهم

على أن الباشا التركي علم بهذه الحقيقة وطلب
إلى السلطات الروسية عملاً بالمعاهدات أن تسلمهم
إليه فاعتقلتهم ولم ينكر كرد على شخصيته ولم ينكر
ماضيه وقال :

« ولكنني منذ عبرت نهر بروث على أثر
الموقعة لم أمد يدي على أي إنسان ، وقد يكون
الأتراك وأهل مولدافيا محقين في عداوتهم إياي لأنني
كنت أقطع الطريق عليهم ، ولكنني ضيف على
الروس فلماذا يسلمونني إلى أعدائي ؟ »

وبعد هذا القول لزم الصمت وانتظر في هدأة
ما تقضى به الأقدار في شأنه . ولم يطل أمد انتظاره
فإن السلطات لا تنظر إلى قطاع الطرق نظرة العطف
التي يلقيها عليهم الكتاب والشعراء لا نصرافهم

فارس من فرسان الجيش التركي العظيم
عسكرت هذه الفرقة أمام نهر بروث وأمامها
مدفعان قل في الفرقة من يعرف كيف يستعملان .
وكان بود الأتراك أن يبدأوا بإطلاق النار ولكنهم
في تشبث وعناد أرادوا أن تكون نحن البادئين
وكان قائدنا بحمد الله لم يسمع قط صوت
رصاصة تطلق ، فلما بدأ الجيشان بإطلاق الرصاص
في الهواء نفر سمعه ، ونفذ صبره ، وتقدم جيشنا
متوعداً الجيش التركي بسبابته ثم ارتبك فلم يعرف
ماذا يفعل . ثم بدا له أن يجري فجري على شاطئ
النهر وجرى وراءه جيشه . وفي أثره كتلة الجيش
التركي .

وكان هذا القائد الذي هدد جيش الترك
بأصبعه يدعى خوتشفسكي ولا أعرف ماذا صار
إليه أمره

وفي اليوم التالي هاجم الأتراك جيش الثوار .
وعلى خلاف عادة الترك لم يستعملوا المدافع ، بل
استعملوا السلاح الأبيض ، فكنت ترى الرمح في
يد كل جندي . ولم يكن الأتراك قد استعملوا
الرمح من قبل ، وكانت رماحهم روسية سلبوها
من جنودنا في موقعة سابقة . جرح كرد على في
تلك الموقعة ، وقتل سفيانوسي . وكان كاتاجوني
عظيم الجسم فأصابته حربة في بطنه فاستل سيفه
باحدى يديه ، وقتل نفسه حتى لا يموت بسلاح
العدو .

وبانتهاء هذه الموقعة تم النصر للأتراك . وخلت

الباشا فحكم باعدامه ، ولكنه أرجأ موعد التنفيذ إلى يوم عيد . وحجز المحكوم عليه في السجن إلى أن يحين الموعد .

وتولى حراسته في السجن سبعة أتراك هم في صميم أنفسهم لا يختلفون شيئاً عن كرد على لأنهم قطاع طريق مثله . ولذلك كانوا يحترمون ويصغون في دهشة ولذة إلى ما يقصه عليهم من الأحاديث

ونشأت بين السجين وبين حراسه مودة وصداقة . وفي يوم من الأيام قال لهم كرد على : « أيها الاخوان ! إن ساعتى قريبة وليس يستطيع إنسان أن يفر مما قدر عليه ، فسأترككم ولكي أريد أن أترك لكم أثراً تذكرونني به »

أرهف الأتراك آذانهم ليسمعوا ، واستمر كرد على يقول : « أيها الاخوان ! منذ ثلاثة أعوام كنت من قطاع الطريق في منس ميخالاكي . ودفنا بالقرب من هذه المدينة آنية مملوءة بالمال . ثم منعتنا ظروف الثورة والحرب عن أن نستردها وسأدلكم عليها فهي لكم »

كاد الأتراك أن يفقدوا حواسهم ، وكان السؤال الوحيد الذى يخطر ببال كل منهم هو كيف يستطيع الوصول إلى مكان هذه الآنية . ورأوا أنهم لا يستطيعون ذلك إلا بإرشاد السجين نفسه . فلما أقبل الليل ، فكوا الحديد عن يديه ورجليه وربطوه بحبل ثم أطلقوه وساروا خلفه خارجين من المدينة

قادم من مكان إلى مكان فمشوا مسافة طويلة .

إلى الجانب الروائى من حياتهم . ومن أجل ذلك سيق كرد على مكبلاً بالحديد إلى السجن فكان يبدو من النظر إلى وجهه أنه ابن الثلاثين . وقد كان طويل القامة عريض الكتفين عظيم القوة عليه علام الخشونة ، وفي نظراته زهو وهدأة . ودخل غرفته في السجن موظف تركي أهر الوجه أشيب الشعر يرتدى ثوباً عسكرياً قد سقطت منه ثلاثة أزرار . وفي وجهه كتلة حمراء من اللحم مثقوبة تقوم في ذلك الوجه مقام الأنف . وكان في يده أوراق أخذ يتلوها وهو بين حين وحين ينظر إلى كرد على وهو يصغى إليه باهتمام .

وبعد أن فرغ الموظف من القراءة طوى الأوراق وصاح في خشونة بأن يحمل السجين إلى مدينة جاسى ، فالتفت كرد على إلى الموظف وتتم في صوت يهدج ، وقد تساقطت من عينيه العبرات وتغير شكله تغيراً عظيماً ؛ وعمرته رعشة جعلت لأصفاده وأغلاله رنيناً أزعج الموظف فتقهقر ثم صدع السجين بالأمر فاستسلم للجنود الذين حملوه إلى عربة جرت به في الطريق .

قال موظف صغير لذلك الموظف العسكري : « ما الذى قاله لك كرد على ؟ » فأجاب وهو يتسم : « لقد طلب إلى أن أعني بزوجته وبابنه اللذين يعيشان غير بعيد في مدينة كيلىا وهي من قرى بلغاريا فإنه يخشى أن تؤذيها الجماهير بسببه فإن الجماهير حمقاء .

ووصل كرد على إلى مدينة جاسى فحوكم أمام

وأخيراً وقف أمام صخرة عظيمة . وقال : هنا تحت هذه

وقف الأتراك يتدبرون . ولما استقر رأيهم أخرج أربعة منهم الخناجر ، وأخذوا يحفرون بها حول الصخرة . وبقي ثلاثة منهم في الحراسة . وجلس كرد علي فوق الصخرة ينظر ويتربص ؛ ثم قال بعد مدة : ألم تجدوها ؟ فقالوا : كلا

فأظهر أنه فقد صبره وقال : من أي نوع من الناس أنتم حتى حفر الأرض لا تستطيعونه ؟ إنني كنت أفرغ من عملكم هذا في دقيقتين . حلوا وثاقى وأعطوني خنجراً

فكر الأتراك ثم قالوا : أي ضرر في إجابته وهذا هو كرد علي عبد اللطيف النشار

عليكم المصري يرفرف على

النيل و كوث

فهما رمزا بلادكم

سافروا عليهما تجدوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة

شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩

وكثيراً ما كانت الحقيقة شيئاً مستحيلاً ، فليس ضرورة أن يكون الشيء ممكناً حتى نقول بأنه حقيقة وإنه لمن الضلال البعيد أن نقول بأن هورتنس قد فجأها الحب بغتة ، ولكنها كانت تشعر في قلبها بحب قديم ، له آلامه وآماله ، ولسبب ماخذ وانطفأ بل نزع من القلب والدهن انتزاعاً . ولكنه استمر فجأة ، وقفز إلى ذهنها وقلبها معاً يعذب هذا بالذكريات ، ويكوي ذاك بالشوق والألم

وتفقدت الرسائل فاذا بامضاء واحدة تذييلها جميعاً . وقرأتها في شغف وجنون . ثم كانت لا تنى عن القراءة والإعادة كأنها محبوبة . ولم يكن عسيراً أن يجمع المرء خيوط القصة التي أنجبت تلك الرسائل تزوجت جدتها السيدة إيودكسي تيرين من أحد متعهدي الجيوش . وكان كهلاً أنانياً ، أفسدته الخلاعة ، وأضواء المجون . وقد مكنتها مهنة زوجها من الاتصال بضباط الجيش . فهم بحبها ملازم شاب من جند نابليون ، يدعى بول فيرادير وجرفها تيار هواه . فلم تستطع أن تقاوم أو تتشبث . فسأرت التيار في هواة وإخلاص . فكان جميلاً أن ترى عاشقين شفهما الهوى وبرح بهما الغرام يتعاطيان كؤوس الوصل مترعة هنية ، وينهلان من منبع الحب الخالص ، فيحلمان بسعادة خالدة ، ونعيم مقيم . غير أنهما — طوال الوقت — يشعران بأجنحة الموت السوداء تصفق فوقهما كأجنحة الخفاش الأعمش ، ويأنسان بمسوح الردى الطخياء تهددهما بالبعد والحداد .

وسرعان ما تبددت الأحلام ، وحلت المخاوف ! لقد فرق الدهر المشتت بينهما أيام « أوسترتز » وإيننا وإيلو ؛ أيام فريدلند ووجرام . . . وكانا قليلاً ما يلتقيان — في تلك الأعوام العصيبة — لحظات

صورة الجدة — التي صورت من ثلاثة وخمسين عاماً خلون — شبهاً قوياً . بل لتكاد — إذ تنظر إليها — ترى وجهها في مرآة صافية !

ذلك بأن الطبيعة يحلو لها في فترات مختلفة وفي أسرار خاصة ، أن تعيد خلق وجوه درست وثوت بالتراب من أمد بعيد . . . تعيد خلقها كما كانت ؛ كأنها مثال يأخذ عدة أشكال من قالب واحد . ولكن المرء يسائل نفسه في تلك الأحوال : إلى أي حد يبلغ الشبه ؟ أيقصر على الوجه والحلقة ؟ أم يسيطر على الأفكار والمشاعر ؟ أم ينفذ إلى سواد الفؤاد ؟ . . . تلك مشكلة من مشا كل العلم الحديث يرمينا بها فتفتح أمامنا آفاقاً واسعة غير ذات بر ولا حدود . . .

وقبل أن تقرأ السيدة دافراي أولى الرسائل لمحت سكة كبيرة تتدحرج في الصندوق بجوار جداره الرقيق . فالتقطتها ، وتفقدتها ، فاذا بها رسم ملازم شاب ، من ضباط الدولة الأولى ، ذى شعر وحف جعد ، وعينين يلعب فيهما بريق الشهامة وبأس الشباب . وجهه قسمتها ندبة جرح طولى إلى قسمين عريضين . ينسبط أكبرهما من حاجبه الأيمن إلى بنبت الشعر بوسط الحيا . وجهته عامة جبهة شجاع جسور . وأدمنت هورتنس النظر في الصورة ، فجذبها بريق العينين ، وفتنها سحر الجمال ، وأخضعها بأس الهوى ! فاستشعرت في قلبها آلافاً من المشاعر المتضاربة المركبة ، آلافاً من خوف وأخرى من سرور ، إنها تحب ! ولكن ويلها من تحب ! ؟ فتى مرت على وفاته حقب وأعوام ، وتوالت على قبره أجداث ورجام ! فتى دالت دولته ، وراحت صولته ؛ وقدر لها ألا تراه على الأرض حياً ! . . . ولكن كثير ما لعبت الجذوة التي تلهبنا بالحقائق والأفكار !

توجد المستحيل ! ولم تكتف بذلك بل وهبت نفسها
لفرنديير هذا دون أن تفكر لحظة أنه مات منذ أمد
بعيد ، في تيه المجد وضجة النصر المبين . واعتقدت
أنه يوماً موافياً ، وأنها ملاقيته بعد أمد قريب
أو بعيد ، وأنها مسلمة عليه ومصغية لحديثه الحنون ،
ولم يخامرها في يقينها هذا شك ، ولا وجدت على
عقيدتها غباراً ... رأت فأحبت فأغرمت فتعذبت
ثم راحت تنتظر الحبيب بثقة واطمئنان !

لو رأى النائم المعجزات في حلمه لما استغرب ،
لأن النفس تكون متطلقة من الواقع ونظمه ،
والحقيقة وأشراتها . وكذلك لم تستغرب هورتنس
دافراي — حينما كانت تزور مدام دي سيمور —

أن تعلن الخادم قدوم السيد پول فرانديير !
رأته يدخل ؛ هو بعينه الذي أحبت وتحب :
پول فرانديير ! پول فرانديير بشعره الوحف المجدد ،
وعينه السوداوين ؛ ثم بندبة الجرح في جبهته
العريضة ... لم يكن هناك فرق سوى أنه يرتدى
زى ملازم من مدفعية الفوج الأفريقي الأول ...
كلا ! لم تعجب مدام دافراي إذ تراه ، فقد كانت
تنتظره بصبر واطمئنان . على أن قلبها غاص في حنايا
صدرها البض ، وراح يحطم ضلوعها بخفقه الشديد ،
وودت أن لم تكن بين ذلك الجمع من الرجال المتأيقنين
وتلك الثلة من النساء ذوات الأساور والحلي ، فتقفز
كالغزال إليه ، ثم تغيب في أحشاء صدره الرحيب
قائلة « هأنا ذى » !

وانحنى فرانديير لعمته مدام دي سيمور . ثم
يرى هورتنس فجأة ، فيبهت ، لا عرف لديه ولا نكر ؛
وغاض لونه واصفر وجهه ، واستطاع بعد لأي أن
يعتمد على الحائط ويمر قدمه الواهنة إلى مخدع كان
لحسن الحظ خالياً ، فتخاذل وارتمى على بساطه

معدودات . ولكن فرانديير كان يختلس ما بين
واقعتين أو مابين نصرين فيسطر لها — وهو أشعث
أغبر — آيات الحب والهيام . ويثبها وقدة الشوق
وجذوة الهوى . يسطر لها رسالات مترعة أسي
وعذاباً ، تقرؤها الآن حفيدتها الصغرى بين دمع
واكف وقلب خافق ؛ بين صدر يعلو ويهبط كالوج ،
وأنفاس حرى تذهب وتجيء . كان من أجل
إيودكسى — كما كان من أجل نابليون — أن
خاض فرانديير المعارك الدامية ، وشرق في البلاد
وغرب ، وقاسى كثيراً واصطبر . كان يريد أن ينصر
العاهل حتى النفس الأخير ، وأن يكسب لا يودكسى
عرشاً فخماً .

ومات في تلك الأثناء زوجها . وجن فرانديير
الأمل ، وحن إليها ففكر في الرجوع إلى الوطن .
وبينما الأمل ينمو ويوطد الجذور ، والشوق يستعر
والقلب خفاق ، إذا به يقع في الميدان يتشحط في دمه
المغرم ، وإذا برصاصة تخرق صدره العاشق وتسكت
قلبه الخفاق . فتوى في حزون سمولنسك الباردة
وحيداً ، لا قلب يخفق له ، ولا دمع يترقق في
المهاجر أسي عليه . ونى فرانديير زميل ائتمنه
على سر قلبه وذات صدره . وكان خطاب الزميل مع
الرسائل الأخرى في الصندوق الصغير .

ما في هذا الأمر من شيء غريب . ولكن
الغريب حقاً أن يترأى لهورتنس دافراي أن
التوسلات والدكريات التي حفلت بها الرسائل ، وأن
الجوى والهيام كل ذلك لها هي من دون جدتها
إيودكسى تيرين . واندفعت روحها الظامئة ناشدة
ذلك الحب ، تاركة وراءها الحقيقة ونواميسها ؛
وحلقت بالغرام في الخيال غافلة عن الواقع ونظمه ،
وتماذت في ذلك فاستباححت لنفسها أن تخلق العدوم وأن

من أمري شيئاً . وكنت أعلل نفسي أنى ملاقيها
في جنان الرحمن حيث لا تعجز اللقيا ... ولم يكن
خيالى يستريح لنفسه — وهو الشرود الجموح —
أن يتصورها حية في عصرنا هذا . فهو إن صورها
يصورها نائمة بجلال بين الورود والزهور في جدتها
العاطر . فيطير لبي شعاعاً ، وتنسرق نفسي هياماً
وحباً ! ...

— هذا حسن ! ولكنك لم تحدث لي من أمر
الصورة ذكراً . كيف تناهت إليك ؟

— ذاك أمر بسيط ! فقد كان لدى أبي
— في مكتبته — مكتباً مهجوراً . طلبته منه كي
أستذكر عليه فأعطانيه ولم يمهل . وقال لي إنه من
مخلفات — سمي — عمه الأكبر بول فراندير .
كان ملازماً في جيش الدولة الأولى . ومات في
سمولنسك في السابع عشر من أغسطس سنة ١٨١٢ .
وكانت مفاتيح المكتب ضائعة فاضطرت إلى كسر
أغلاقه ، وفي أحد أدراجة الخفية عثرت يداي
المجدودتان بتلك الصورة المقدسة ، ولقد عشقتها من
ذلك الحين .

— حقاً إن في ذلك الحادث جانباً كبيراً من
الغموض والابهام ، وعلى أية حال فأنت شاب طليق
وهي فتاة حرة . فلا مانع يفصلكما من الحب
ويحرمكما الزواج .

ولكن الأمانى كانت سراهاً . فقد أدرك كل من
بول وهورتنس صاحبه ، فتذاكرا العهود وجددا
الغرام ، فنعما بجنة الحب لأمد قصير . ولكن بول
ذهب في فوجه إلى « تونكين » وهناك مات —
كجده — برصاصة شقت الصدر وباتت في القواد ...
أي بؤس وعذاب ! ...

سيد محمد العزاوي

« شين الكوم »

الذين . ودهشت مدام سيمور من سلوكه الناشز
عن العرف والتقليد ، فتعقبته إلى حيث تداعى يثن
أنيباً . ودخلت المخدع ساعة رانت عليه صفرة الموت
وغاب عن الوجود

واستدعت عمته طبيباً مشهوراً من أضيافها .
ولكنها أحست — بفريزة المرأة — أن هناك سرّاً
لا يحسن أن تُفَضَّ غُلفه لأحد غريب . فبحثت
على العليل تلك رأسه وصدغيه ، وتنشقه بعضاً من
ملح قوى مفيق . ثم رفعت رأسه براحتها ووضعة
تحتها وسادة من حرير غال

ولما أن أفاق وثاب إليه الوعي ، دس يده في جيب
صداره وأخرجها تحمل رسماً على ورق قديم ، حملة
قبلات والهة ، فأراه عمته ، ثم صاح في فرح المجنون
وطرفه غريق في الدمع الهتون : « أي بلانش !
بلانش ! إنها تحيا ! » فأجابته عمته : بلانش ! بالطبع !
إن هورتنس دافراي تحيا ، وهي فوق ذلك صديقتي .
ولكن قل لي لم تدخل في زى الدولة الأولى ؟ على
أنك لم ترها مرة واحدة ! فما معنى تلك النوبة التي
انتابتك من لحظة ؟ فقال فراندير :

— إنى لم أرها إلا الآن ولكن روحي هامت
بها من زمن بعيد ، وأوسعتها حباً وعشقاً . وقد
استقر حبها بين جوانحي وفؤادي ، وسرى بين لحمي
وعظمي . لم يفارقني ذلك الرسم منذ خلص إلى
وتناهي من ثلاثة أعوام خلون . واصططعني في
الفتح والحروب ، في النفق والخنادق ؛ فكان
رسول السلام إلى قلبي الموله الجازع إذا ما اشتد
النزال وحى الوطيس ؛ وكان بشير الحصانة إذا
مارنق على الرؤوس الموت ليختار على أى يقع .
كان فيض الأمل ونبع الحياة ؛ كان كل هذا برغم
ما كنت أعلم عن موت صاحبه . ولكنى لا أملك

أجلافين وسيليزيت

رواية تمثيلية في خمسة فصول

للطبيب البلجيكي موريس مارتلك

بقلم الدكتور محمد غريب

هنا . إنه على حافة
الحزان ، ذلك المكان
الذي أيقظت فيه
« أجلافين » آنفاً
إيسالين -
شقيقتي ، انظري من
هنا ، إنني أرى
البستاني الذي لا يزال
يغرس زهوراً حول
القصر

تتمة الفصل الرابع

المنظر الرابع

(يقع هذا المنظر فوق قمة البرج حيث ترى
« سيليزيت » وأختها « إيسالين » الصغيرة)

سيليزيت - ها نحن أولاء فوق قمة البرج
يا إيسالين ، وفي هذه الآونة يجب أن نعرف ما ينبغي
عمله ... أوه ما أكثر النور في السماء وعلى الأرض
وفوق سطح البحر ! ثم لماذا هذا اليوم هو أكثر
جمالاً من جميع الأيام الأخرى ؟

إيسالين - أين هو ذلك الطائر الأخضر ؟

سيليزيت - إنه هنا ، ولكنه لم يُرَ بعد ،
وسننتحني بعد قليل على الحائط ، ولكن انظري
هنا قبل كل شيء ، إننا نرى كل القصور والحدائق
والغابات . إن جميع الزهور قد تفتحت على شواطئ
الجداول ، أوه ! ما أبدع خضرة الأعشاب في هذا
الصباح ! .. إنني لا أجد « أجلافين » ... ولكن
هل ترين هناك « ميلياندر » إنه ينتظرها ... اخفضي
قامتك ، فلنختبي ، إذ لا ينبغي أن يكتشف وجودنا

سيليزيت - إنك ستريها تكبر وتتفتح
يا إيسالين وستقطفها لأجلي^(١) ... تعالى تعالى ،
أنا لم أعد أستطيع النظر إلى ذلك ، فلننظر من هذه
الجهة الأخرى التي لا يرى منها إلا البحر الأكثر
بعداً عنا من القصر ... إن البحر جميل أيضاً ! إن
الإنسان لا يستطيع أن يجد فيه مكاناً حزيناً في هذا
الصباح ، إنه قد بلغ من الخضرة والعمق إلى حد أن
الإنسان لا يجد الشجاعة الكافية ... ثم إن كل
ما يمكن أن يحدث لا يستطيع أن يحول بينه وبين
ابتسامته هذه إلى المساء . هل ترين هذه الموحة
الصغيرة التي تنكسر على الشاطئ ؟ أنا لا أستطيع ،
أنا لا أستطيع ، قلت لك : إن الزهور والبحر يمنعانني
من عمله . لا أستطيع أن أفعل ذلك أثناء النهار
إيسالين - هذه هي الطيور البحرية يا أختي ،
إنه يوجد منها آلاف مؤلفة
سيليزيت - إنها تجي معاً من الجانب الآخر

(١) عبر المؤلف هنا بمجملته تدع القاري يفهم أن سيليزيت
تقصد أن أختها ستقطف الزهور لتضعها على قبرها دون أن
تصرح بهذا حتى لا تنبه الفتاة الصغيرة إلى ما تري إليه شقيقتها

والدتي ولم تبسم لي في اللحظة الأخيرة ، فاني لا أزال أتمثل أمامي أنها لم تبسم لي كأن كل أيام الحياة لا يعتبر منها إلا هذه اللحظة الأخيرة . ثم ما ذا قلت لها عن أخلافي ؟ إنني لم أعد أتذكر . . ينبغي أن أرى جدتي ثانية ، أما الآخرون فأنا أفعل كل هذا لأجل سعادتهم ، فينبغي ألا يعلموا شيئاً . لكن هي منفردة ، وليس لأجلها أني صعدت فوق البرج أو أني سأزل من فوقه . أنت تفهمين أنه من غير الممكن أن أتركها هكذا . تعالى تعالى ، سنعاتقها عناقاً أكثر قوة من قبل .

المنظر الخامس

(يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر حيث توجد الجدة العجوز نائمة وترى « سيليزيت » و « إيسالين » داخلين عندها)

سيليزيت موقظة « ميليجران » : جدتي . . ميليجران — ها أنت في النهاية قد عدت بعد أن انتظرتك طويلاً .

سيليزيت — اصفحي غني أيتها الجدة ، فأنا أعتقد أنني لم أكن وديعة حين فارقتك منذ زمن ميليجران — بلى ، لقد كنت جد وديعة ، ما ذا حدث ؟ يخيل إلي أنك مضطربة .

سيليزيت — أنا لست مضطربة يا جدتي ، ولكنني كنت محتاجة لأن أقول لك : إني أحبك .

ميليجران — أنا أعرف ذلك يا سيليزيت ، ولقد برهنت لي عليه أكثر من مرة في حياتك ، وأنا لم أرتب قط في هذا الحب .

سيليزيت — نعم يا جدتي ، ولكنني لم أكن أعرف ذلك حتى الآن .

ميليجران — اقتربي مني أكثر من ذلك

للبحر كأنما تحمل معها أخباراً جديدة ...
إيسالين — لا لا ، إنها تحمل أسماً كما يا أختي ، وإن صغارهن تصبح في أحجار حوائط البرج ، إن مناقير تستوى مع أجسامهن في الطول . هل ترين ذلك الطائر الكبير الذي يحمل ثعبان البحر ؟ انظري إنها قد انتهت من أكله

سيليزيت — ماذا قلت لجدتي يا إيسالين ؟

إيسالين — لماذا تبكين يا أختي ؟

سيليزيت — أنا لا أبكي ، وإنما أفكر ...

أنا أفكر ... هل قبلت جدتي قبل أن أنصرف ؟

إيسالين — نعم أنت قبلتها ساعة انصرافك

سيليزيت — كم مرة ؟

إيسالين — مرة واحدة يا أختي ، لأننا كنا

معجلتين

سيليزيت — أنا أعتقد أنني لم أكن وديعة معها

إيسالين — لقد كنا على عجل يا أختي

سيليزيت — لا لا ، أنا لا أستطيع أن أفعل

هكذا ، إنما ستكون وحيدة ، وإنما سوف

لا تذكر إلا شيئاً واحداً ، وهو أنني لم أكن وديعة

ألا ترين أنه حين يرتحل الانسان ولم يكن ساعة

رحيله أكثر وداعة منه قبل الرحيل ، فإن من حوله

يظنون أنه لم يعد يحبهم ؟ ولكن العكس هو الذي

ينبغي أن يعتقد في مثل هذا الموقف ، لأن الانسان

الذي يفرط في الحب هو الذي يخشى أن يكون

وديعة . حقاً إن هذا الحب الذي يأبى أن يكون وديعة

في اللحظة الأخيرة هو مخطيء ، لأن من يحوطونه

لو عاشوا بعده ألف سنة لما تذكروا من كلامه إلا

الكلمة الأخيرة . ولقد رأيت أنا نفسي حينما توفيت

أقول : إنني كنت سعيدة ما دمت أنت لم تغادري المنزل الذي أحيا فيه .

سيليزيت - لا ينبغي أن تتعلق السعادة بهذا يا جدتي . أ كنت تصيرين شقية لو لم أكن أعيش معك ؟

ميليجران - ستستطيعين أن تكوني سعيدة حين لم أصبح موجودة يا طفلي ، لأنه سيتبقى لك بعدى أشياء كثيرة .

سيليزيت - إذا فقدتني فستكون لديك أجلافين

ميليجران - إنها لم تتم قط على ركبتي ياسيليزيت

سيليزيت - أحبها بالرغم من ذلك يا جدتي .

ميليجران - أنا أحبها مادمت تحبها يا طفلي

سيليزيت - يجب أن تحبها على الأخص لأنها

هي التي صيرتني سعيدة . إنها جميلة أيتها الجدة

إلى حد أنني منذ عرفتها من قلبي وأنا أعيش إلى جانبها ، وعيناي دائماً مبتلتان بالدموع .

ميليجران - إن يديك محرقتان اليوم ياسيليزيت !

سيليزيت - هذا لأنني مفرطة في السعادة

أيتها الجدة . هل آلمت أحياناً ؟

ميليجران - أنا لا أذكر ألبتة شيئاً من ذلك يا طفلي .

سيليزيت - بلى ، بلى ، لا بد أنك تتذكرين ،

لأن الانسان لا ينحو من أن يؤلم من يحبه أحياناً ،

لكن ينبغي أن تقول لي : متى قدمت إليك أ كبر الآلام ؟

ميليجران - أنت لم تقدي إلى إلا قليلاً من

الآلم كلما كنت تبكين ، وحينما كنت تبكين لم تكن

هذه غلطتك ، وهذا هو كل ما أذكره .

سيليزيت - أنت لن تريني بأكية بعد الآن

أيتها الجدة .

يا طفلي ، لأنك تعرفين أنني لا أستطيع أن أعانق من أحب ما دامت ذراعاي المسكينتان لا تطيعاني .

أنت تظهرين لي غريبة هذا اليوم . ألم تكوني تعرفين إلى الآن أنك تحبينني ؟

سيليزيت - بلى ، أنا كنت أعرفه كما

يعرف الانسان أحياناً دون أن يعرف ، ثم يعود

فيقول في نفسه : إنه لم يكن خيراً ، وإنه كان يمكنه

أن يفعل أكثر من ذلك ، وإنه لم يجب كما كان

ينبغي أن يحب ، ثم هو بعد ذلك يريد أن يستأنف

قبل أن يمضي الوقت وتضيع الفرصة . أنا ليس لي

أب ولا أم يا جدتي ، ولولا وجودك لما عرفت كيف

تكون الأم . أنت لم تهجري قط سيليزتك الصغيرة .

ولقد كان يسعدني أن أعرف إلى من أتجه حينما

تنزل بي عادية من عادات الشقاء .

ميليجران - لكن لا .. لكن لا ياسيليزيت بل

أنت التي لم تهجريني . لقد كانت تلوح عليك علام

الجد المرير بعد ظهر اليوم ، ومع ذلك ، فأنا لا أظن

أنك حزينة .

سيليزيت - لقد كنت دائماً سعيدة ، والآن

أنا أعرف ما يمكن أن تكون السعادة .

ميليجران - أو لم تفقديها على الأقل ؟

سيليزيت - بالعكس ، أنا أعتقد أنني وجدتها .

وأنت يا جدتي أ كنت سعيدة أيضاً ؟

ميليجران - متى ذلك يا سيليزيت ؟

سيليزيت - في الزمن يا جدتي .

ميليجران - عن أي زمن تتكلمين يا طفلي ؟

سيليزيت - أنا أتكلم عن زمن الحياة يا جدتي

ميليجران - لقد مرت بي أيام سيئة لجميع

الذين يعيشون فوق الأرض ، ولكنني أستطيع أن

سيليزيت — وشفتاك أيضاً ، وفوق ذلك فإن
فيهما قوة عجيبة .
أجلافين — إنك تظهرين لي منيرة الليلة كأنك
مصباح صغير يا سيليزيت .

سيليزيت — ألم ترى جدتي ؟
أجلافين — لا ، هل ينبغي أن أراها ؟
سيليزيت — لا لا ، إن هذا عبث ، لأنها نائمة
في هذه اللحظة ، هل أنت ذاهبة الآن لتقابل ميلياندر ؟
أجلافين — نعم ، وأنت يا سيليزيت ؟

سيليزيت — حينما ترينه قبله بالنيابة عني .
أنا سعيدة بأن أفكر في أنه سيقبلك أنت حينما لا
أوجد أنا . ولكن ألا ترين أن إيسالين يعوزها
الصبر وأنها تجذبني من يدي ؟ وداعاً يا أجلافي !
ستريني في المستقبل .

(قالت هذا وخرجت مع أختها إيسالين وأخذت
تبتعد مترنمة بتلك الأنشودة الحزينة السابقة التي طالما
رددت فيها اسم الموت ثم انقطع الترنم فجأة وخرجت
أجلافين بدورها .)

المنظر السابع

(يحدث هذا المنظر فوق قمة البرج حيث تشاهد سيليزيت
وإيسالين تدخلان)

سيليزيت — والآل هي الساعة يا إيساليني
الصغيرة ، وأنا لن أنزل بعد ذلك لأبتسم لهما مرة
أخرى . إن الطقس بارد الليلة فوق قمة البرج ،
وإن ريح الشمال هي التي جعلت موج البحر يلمع
الآن هكذا . لم يعد الانسان يرى الزهور ولا يسمع
أصوات الناس ، وكل شيء صار الآن أكثر حزناً
منه في هذا الصباح .

إيسالين — والطائر ، أين هو أيتها الأخت ؟

(٦)

ميليجران — سيليزيت ! ... سيليزيت ! ...
ثم أخذت تبكي بكاء خافتاً في وسط الظلمة
الحالكة التي جعلت تعم وتشمل كل شيء) .

المنظر السادس

(يقع هذا المنظر في أحد دهاليز القصر حيث كانت
سيليزيت مارة مع شقيقتها الصغيرة ثم لحقت أجلافين قادمة
نحوها فحاولت أن تختبئ . ولكنها لم تنجح في هذه المحاولة
إذ لحقتها أجلافين فاقتربت منها قائلة : هل هو أنت يا سيليزيت ؟
لماذا أنت تختبئين ؟)

سيليزيت — أنا لا أدري بالضبط لماذا أنا أختبي .
لعل ظننت أنك تريد أن تكوني منفردة .
أجلافين — أين كنت ذاهبة ؟ ها هي ذي
إيسالين الصغيرة تنظر إلى نظرات تدل على أنها تخفي
شيئاً ، لا بد أنكما قد تأمرتما على شيء .

سيليزيت — نعم لقد أعطيت وعداً يجب على
أن أتمسك به .

أجلافين — إلى أين أنت تقودين سيليزيت
يا إيسالين ؟

(ولكن إيسالين لم تجب على هذا السؤال)
أجلافين مستمرة : ألا تريدان أن تقول لي
ذلك ؟ وإذا جعلت أقبلك حتى تنبئيني فإذا أنت فاعلة ؟
سيليزيت — أوه ! إنها بدأت تعرف كيف تحتفظ
بالسر كأنها شخص كبير .

أجلافين — أنت تظهرين لي الآن ممتعة ولا
أدري أذلك مسبب عن ظلمة المساء أو عن شيء آخر ؟
سيليزيت — أنا أشتهي أن أقبلك يا أجلافين .
(قالت هذا ثم تعانقتا)

أجلافين — إن شفتيك غضتان وعذبتان في
هذا المساء .

إيسالين - أنا لا أريد أن تبكي أيتها الأخت .
 سيليزيت - لكن أنا لا أبكي يا إيساليني
 الصغيرة، وهذا على الأخص هو الذى ينبغى ألا تتخليه؛
 إنما من الإفراط فى الابتسام تظهر على ملامح البكاء .
 إيسالين - ولكن لماذا عيناك كأنهما تبكيان؟
 سيليزيت - أنا لا أستطيع أن أعرف ما تفعله
 عيناي ، ولكن احفظي جيداً ما يأتى : إذا قلت
 لأحد إننى كنت أظهر حزيمة فستعاقبين زمنًا طويلاً
 إيسالين - ولماذا؟

سيليزيت - لأسباب ستعلمينها يوماً ما ، ثم
 لا ينبغى أن توجهى إلى هذه الأسئلة فأنت لست
 إلا شيئاً صغيراً لا يستطيع أن يفهم ما يفهمه
 الآخرون ؛ وأنا أيضاً فى مثل سنك لم أكن أفهم
 بل وبعد ذلك بوقت طويل ، فإذا رأيتنى أفعل هذا
 أذاك ، فليس ما ترينه هو الأكثر أهمية . هل
 ترين يا إيساليني الصغيرة ؟ . أنا لا أستطيع أن
 أتحدث به . ومع ذلك فسأكون فى حاجة إلى أن
 أقوله لأحد ، لأنه من المحزن أن ينفرد الإنسان
 بمعرفة مثل هذا .

إيسالين - لم يعد الإنسان يرى الشمس تقريباً
 أيتها الأخت .

سيليزيت - انتظري ، انتظري أيضاً يا إيساليني
 الصغيرة ، لأن شيئاً آخر يقترب بقدر ما تبعد
 الشمس ، وبقدر ما يقترب هذا الشيء تنكشف
 أمانى الحياة بشكل أوضح ، أنا لم أعد أعرف إذا
 كنت أحسنت العمل باحضارك معى إلى قمة هذا البرج
 ومع ذلك فقد كان ينبغى أن يحضر أحد إلى هنا ،
 لأنه يوجد من الناس من يشتهي أن يعرف كل شيء
 وإن كانوا لا يصيرون سعداء إلا بأن يجهلوا هذا .

سيليزيت - ينبغى الانتظار حتى تهبط الشمس فى
 عمق البحر وتموت جميع الأضواء فى الأفق ، لأن الطائر
 يخشى النور ، ولأنه هو والشمس لم يتلاقيا قبل الآن
 إيسالين - وإذا وجدت النجوم أيتها الأخت ؟
 سيليزيت - وإذا وجدت النجوم ؟ ! ولكن
 النجوم لم تظهر بعد فى السماء ، وإن كانت مستعدة
 لأن تثقبها عما قريب ؛ ولهذا ينبغى الإسراع لأنه
 حينما تظهر النجوم يكون ذلك أكثر رعباً
 وإزعاجاً .

إيسالين - أنا أشعر كثيراً بالبرد أيتها الأخت .
 سيليزيت - لنجلس هنا إلى جانب الحائط
 الذى سيحمينا من الهواء إلى أن ينطفئ آخر خط
 أحمر فوق سطح البحر . أترين كيف تنغمس الشمس
 فى الماء ببطء ؟ . عند ما تغرب سأذهب لأرى .
 دعيني ألفتك فى إزارى الأبيض الذى لم أعد
 محتاجة إليه .

إيسالين - أنت تقبلينى بعنف أيتها الأخت .
 سيليزيت - هذا لأننى فى غاية السعادة
 يا إيسالين . أنا لم أكن قط أكثر سعادة منى الآن؛
 ولكن انظري إلى جيداً . ألسن الآن أكثر جمالاً
 منى فى الماضى ؟ . أنا أبتسم ، أنا أبتسم وأشعر بذلك .
 وأنت ؟ ألا تبسمين لى ؟ .

إيسالين - لا ، أنت تتكلمين سريعاً جداً
 أيتها الأخت .

سيليزيت - هل أتكلم سريعاً ؟ .

إيسالين - نعم ، وفوق ذلك فأنت تمزقين
 الزهور .

سيليزيت - أية زهور ؟ آه ، هذه ؟ لقد
 نسيت أنها زهورك .

بعد الآن . قفى ، تعالى ، إجلسنى فى هذه الزاوية
ودعيني أربط طرفى إزارى على صدرك ، لأن الهواء
أمسى بارداً ... هل أنت أحببتى حقاً ؟ لكن
لا لا ، لا تجيبى على هذا السؤال فأنا أعرف الجواب
جيداً . أنا أريد أن أضع هنا أربعة أحجار ضخمة ،
لأحول بينك وبين الاقتراب من الفتحة التى سأبنى
عليها . إذا أنت لا ترينى ، فلا تخافى ، لأنى
سأكون قد نزلت من جهة أخرى ... لا تنتظرينى
حينئذ وانزلى وحدك من السلم الحجرى ، وعلى الأخص
لا تقربى من الحائط لترى ماذا أفعل ، وإذا فعلت
ذلك فلن ترى شيئاً وستعاقبين . أنا سأنتظرك تحت
البرج ... قبلينى يا إيسالين وقولى لجدتنا ...
إيسالين — ماذا ينبغى أن أقول لها أيتها الأخت ؟
سيليزيت — لا شيء لا شيء ، لقد كنت أعتقد
أنى نسيت شيئاً .

(قالت هذا وتقدمت نحو الحائط المهدم بجانب
البحر ثم انحنت عليه قائلة : أوه ، إن البحر يظهر
بارداً وعميقاً !)
إيسالين — أيتها الأخت ؟
سيليزيت — إنه هنا ، أنا أراه ، لا تتحركى
من مكانك .

إيسالين — أين هو ؟
سيليزيت — انتظري انتظري ... يجب أن
أنحنى أكثر من ذلك ... يا إيسالين !
يا إيسالين ... ! إن الأحجار تضطرب ! إننى
أهوى ! ... أوه ...

(لم تكد تنهى هذه الكلمات حتى انخلع جانب
من الحائط وسقط معها إلى أسفل البرج فسمع له
ضجيج ممتزج بصوت ضعيف مؤلف من ألم وخوف

وفى الوقت الحاضر أيتها الأخت الصغيرة أنت لا تحفظين
كل ما أقوله لك . نعم ولكن سيجىء اليوم الذى
ستفهمين فيه كل شيء وسترين كل مالا ترينه الآن
أثناء عرضه عليك : وإذا ذاك فتصيرين حزينة ولن
تستطيعى أن تنسى ما ستلمحه عيناك المسكينتان
عما قريب . ومع ذلك أفلا ينبغى أن ترى دون أن
تفهمى حتى لا يفهم الآخرون ؟ ولكنك لن تستطيعى
أن تمنع نفسك من البكاء حينما ستكبرين وقد
يثقل هذا المنظر حياتك ، ولذلك أنا أسألك أن
تصفحى عني اليوم دون أن تفهمى ما سيؤلك عند
ما تفهمينه جيداً فى المستقبل

إيسالين — إن قطعان الحيوانات تعود من
الحقول أيتها الأخت .

سيليزيت — وغداً ستعود القطعان أيضاً .
إيسالين — نعم أيتها الأخت .
سيليزيت — وغداً ستغنى الطيور أيضاً .
إيسالين — نعم أيتها الأخت .
سيليزيت — وغداً ستفتح الزهور أيضاً .
إيسالين — نعم نعم أيتها الأخت .
سيليزيت — لماذا ينبغى أن يكون الأصغر هو
الذى ؟

إيسالين — لم يعد باقياً إلا الخط الصغير الأحمر
أيتها الأخت .

سيليزيت — أنت محقة ، لقد جاء الوقت ...
إنما أنت التى تدفعينى ، وكذلك النجوم يعوزها
الصبر . وداعاً يا إيسالينى ! إننى لسعيدة جداً جداً .
إيسالين — وأنا أيضاً أيتها الأخت أسرعى ،
فإن النجوم ستظهر .

سيليزيت — لا تخافى يا إيسالين إنهم لن يرونى

آه ! . أليست هذه الجملة نفسها هي التي تدبنا نحن الاثنين وتأتي علينا المسؤولية ؟ ... والآن كل ما قالت لنا من كلمات ، وكل ما قامت به أمامنا من أفعال يصعد من جديد إلى نفسى في شكل ارتياب وحشى مخيف سينتهى بتحطيم حياتى ... إن الحب لا يقل قسوة عن البغض ... أنا لم أعد أصدق ، أنا لم أعد أصدق ! ... إن كل آلامي قد تحولت إلى تقزز ... إننى أبصق على الجمال الذى يجلب الشقاء ... أنا أبصق على العقل الذى يريد أن يكون قيا أكثر من اللازم . أنا أبصق على الحظ الذى لا يريد أن يلين أو يتسامح فى شيء ... أنا أبصق على الكلمات التى لا تخدع إلا الجانب الحيوانى فى الإنسان ... أنا أبصق على الحياة التى لا تريد أن تستمع إلى الحياة ، أو على الأثرة التى لا تريد أن تستمع إلى الإيثار .

أجلائين — ميلاندر

ميلاندر، في جفاف وقسوة : ماذا تريد منى ؟؟
أجلائين — تعال تعال ، أنا أريد أن أراها لأن هذا غير ممكن ... ينبغى أن نعرف ... إنها لم تعمل ذلك بإرادتها ، لأنها لا تستطيع أن تفعل ذلك ، وإلا لكانت إذاً

ميلاندر — إذا ، ماذا ؟ .
أجلائين — ينبغى أن نعرف ... تعال تعال ... لا أهمية للوسيلة التى يجب أن نعرف بها ... لا بد أن تكون قد تأملت كثيراً حتى تصل إلى درجة الانتحار ! . أنا لن أعرف ذلك ولن أستطيع أن أعرفه أبداً .

(نطقت بهذه الجملة ثم جذبت ميلاندر بغتة إلى حجرة سيليزيت)

وحزن ثم تلا ذلك سكون طويل عميق) .
إيسالين، صائحة : أيتها الأخت ... أين أنت ؟ ...
إننى خائفة أيتها الأخت !
(ثم أخذت تبكى وحدها فوق قمة البرج)

الفصل الخامس

المنظر الاول

(يحدث هذا المنظر فى أحد دهاليز القصر حيث يشاهد « ميلاندر » و « أجلائين » داخلين)

ميلاندر — إنها الآن نائمة ، وإن كل توسلاتى إلى الطبيب ذهبت عبثاً ، إذ لم أستطع أن أنزع من فمها كلمة أمل واحدة ، وهو قد غادر القصر . إنها سقطت على ربوة من الرمال كأن هواء البحر قد جمعها هذا المساء إلى جانب البرج ، كأنما فعل ذلك خصباً ليستقبلها فى وداعة ولين . هناك قد وجدها الخدم فى نفس الوقت الذى كنت تظنين فيه أنك ستذهبين لملاقاتها عند طريق القرية . لم يظهر بها أى جرح ، وكأن جسمها الصغير لم يمسه أى شيء ، ولا يرى عليها شيء غير عادي إلا ما ينساب من الدماء من بين شفثتها . وحينما فتحت عينيها ابتسمت لى دون أن تنبس بينت شفة .

أجلائين — لكن إيسالين ماذا قالت ؟ قد قيل لى إنها كانت معها .

ميلاندر — لقد سألتها . إنهم وجدوها فوق قمة البرج تضطرب هلعاً وبردأ . إنها تردد باكية أن الحائط قد انفتح بينما كانت سيليزيت منجنية لتقبض على طائر كان يمر فى تلك اللحظة ... حينما قابلتها بعد ظهر اليوم فى هذا الدهليز نفسه ، بل وبين هذين العمودين كانت تظهر لى أقل حزناً من ذي قبل .

المنظر الثاني والآخر

(يقع هذا المنظر في حجرة سيليزيت المحتضرة المطروحة على سرير الموت حيث يشاهد ميلاندر وأجلافين يدخلان . سيليزيت محاولة النهوض من سريرها في ضعف شديد وهي تقول : هل هو أنت يا أجلافين ؟ هل هو أنت يا ميلاندر ؟ لقد كنت أنتظر كما لكي أسعد بمرآ كما .

ميلاندر يلتقي بنفسه على السرير باكياً ، متجنباً وهو يصيح : ياسيليزيت ياسيليزيت)

سيليزيت — ماذا عندكما ؟ إنكما تبكيان .

أجلافين — سيليزيت ، سيليزيت ماذا فعلت ؟ إنني لتعسة .

سيليزيت — ماذا حدث يا أجلافين ؟ إنك تظهرين لي قلقاً ، هل أنا فعلت ماصيرك بأثمة ؟ .

أجلافين — لا لا ياسيليزيتي المسكينة ، لست أنت التي تسليين من الناس سعادتهم ، وإنما أنا التي أجذب الناس نحو الموت ، أنا التي لم أعمل ما كان يجب عمله .

سيليزيت — أنا لا أفهم هذا . ماذا حدث ؟ أجلافين — لقد كان يجب علي أن أعرف

ذلك ، بل أنا أظن أنني عرفت بالفعل يوم كنت أتحدث اليك عنه . ها أنذا أسمع منذ أكثر من

أسبوع صوتاً يصيح من غير انقطاع في داخل قلبي مررداً صدى هذا الحادث ، ولكني لم أعرف ماذا

أعمل ولم أستطع الحصول على شيء ؛ على حين أن أقل الجمل في هذا الموقف كانت تستطيع أن تنجى

حياة ذلك الكائن الذي لم يكن يطلب إلا أن يحيا ، وإن أصغر الناس شأنًا كان يمكنه أن يجد بسهولة

تلك الجمل التي تحفظ الحياة .

سيليزيت — ولكن ماذا كنت تعرفين إذا ؟ أجلافين — حينما تحدثت إلى عن الفكرة التي

كانت عندك منذ أيام ، بل وفي هذا الصباح ، بل

وبعد ظهر اليوم أيضاً كان يجب علي أن أغمس يدي

في أعماق روحك ، لأبحث فيها عن الموت الذي

كنت أتمثله حياً في داخل نفسك . كان ينبغي أن

أستعين بالحب لأنتزع من نفسك الاعتراف ،

ولكنني لم أعرف شيئاً . ولقد كنت أنظر دون

أن أرى بالرغم من كل ما أرى ، ولكن أتفه فتاة

من بنات هذه القرية كانت تستطيع أن تجد من

القبل ما تنجى به حياتنا جميعاً ، وبالأحرى ، إنها

كانت تستطيع أن تفعل خيراً مما فعلته أنا في هذا

الموقف . أنا إما أن أكون سافلة إلى درجة لا يمكن

التعبير عنها ؛ وإما أن أكون عمياء إلى حد لا يدرك

مداه . ! إنني في هذا الموقف قد قررت من الحقيقة

للمرة الأولى في حياتي كما تفر الأطفال . أنا لم أعد

أجرؤ على أن أسأل نفسي . اصفحي عني ياسيليزيت

لأنني لن أكون سعيدة بعد الآن .

سيليزيت — أنا أوكد لك أنني لا أفهم هذا .

أجلافين — لا تهربي من الحقيقة بدورك ،

فقد رأيت ماذا يحدث للانسان حينما لا يستطيع

ما يسمعه في أعماق نفسه .

سيليزيت — ماذا سمعت إذا في أعماق نفسك ؟

أجلافين — لقد كنت أسمع نهارة وليلاً أنك

تبحثين عن الموت .

سيليزيت — أنا لم أبحث عنه يا أجلافين ،

وإنما هو الذي دفعني دون أن أذهب لملاقاته .

أجلافين — إن الموت كان مشفقاً علينا جميعاً ،

ولهذا أنت ترين أنه لم يبحث عنك ما دام قد فر

منك حينما كنت تتعقبينه .

سيليزيت — لا لا يا أجلافي ، إنه بكل بساطة

هذه اللحظة ، فليس معنى هذا أنني أرتاب ،
ولكنني كنت أرغب في أنك أنت لاترتابين ...
يا سيليزتي المسكينة إنني أركع أمامك ، إنك بكل
بساطة فعلت أجهل ما يمكن أن يفعله الحب حينما
ينخدع ولكن الآن ، أنا أسألك باسم حبنا
الذي لاينخدع أن تفعل شيئاً أسى مما فعلت . أنت
تحوين الآن بين شفتيك الصغيرتين جوهر الهدوء
العميق في حياتنا جميعها .

سيليزت - عن أى هدوء تتكلمين يا أجلافين؟
أجلافين - أنا أتكلم عن هدوء شديد الحزن
وشديد العمق !

سيليزت - ولكن كيف يمكن أن أستطيع
أنا منحكم هدوءاً عميقاً ؟ أنا لأرى في نفسي الموطن
الذي أستطيع منه الحصول على هذا الهدوء ، فكيف
أمنح مالم أحصل عليه ؟

أجلافين - ينبغي أن تقولي لنا بكل بساطة
إنك أردت أن تموتى ، لتسعدينا .

سيليزت - كنت أشتهى أن أقوله لك ،
ولكن هذا مستحيل ما دام غير حقيقى . هل
تعتقدين أن الانسان يكذب هكذا في ساعة موته ؟
أجلافين - أنا أرجوك يا سيليزت ألا تفكرى
في موتك عند ما أقبلك هكذا ، فأنا أنزل لك
عن حياتى كلها ، وليس من الممكن أن يموت
الانسان ما دامت روح أخرى تنفمس في أنفاس
حياته . يا إلهى ... ماذا ينبغي عمله لوقف روحك
عن الخروج ؟ .. لو أن الموت كان هنا لفهمت أنك
قد تكذبين ، ولكنه بعيد عنا ، وإن الحياة هي
التي تريد الحقيقة ، حقيقة حبك الجميل ، لأجل أن
تصيرى محبوبة أكثر مما كنت . لا تقولي : لا ؛

ينتظر حتى تكونى أكثر سعادة .
أجلافين - إذا فسينتظر زمناً طويلاً يا سيليزتي
المسكينة .

سيليزت - استمعى إلى : إننى لجد مسرورة
من مجيئك إلى على الفور ، لأنى أحس أننى لن أبقى
متعلقة وقتاً طويلاً ، إذ لدى الآن شىء يحدث فى
عينى اضطراباً خفيفاً ، لكن ما سأقوله بعد قليل ،
أنا نفسى لا أعرفه ، لأن من يحضرون - كما
تعرفين جيداً - لهم أفكار غريبة لقد رأيت
فى الماضى من يموتون ، والآن هذا دورى ، وعلى
ذلك ، فلا تلتفتى إلى ما سأقوله عما قريب ولا تعبى
به ألبتة ، أما الآن فأنا أعرف ما أقول ، وهو وحده
الذي يجب عليك أن تتمسكى به . أنا أظن أنك
مرتابة يا أجلافين .

أجلافين - واجر قلبساه ! إنها يقينيات
لا شكوك .

سيليزت - أتظنين أن ...
أجلافين - نعم ...

سيليزت - أتظنين أننى لم أسقط بارادتى ؟
أجلافين - أنا متأكدة من ذلك يا سيليزت
سيليزت - يقال إن الانسان لا يستطيع
أن يكذب إذا حضره الموت ، ولأجل هذا أردت
أن أثبتك بالحقيقة .

أجلافين - أنا أعرف أنك تحبيننا الحب الذى
يشجعك على أن تقولي لنا الحقيقة .

سيليزت - لقد هويت دون أن أريد ذلك ...
هل هو أنت الذى تنتحب هكذا يا ميلياندر ؟ .

أجلافين - استمعى إلى بدورك يا سيليزت ،
أنت تعرفين أننا نعلم الحقيقة ، وإذا كنت أسألك فى

لا تهزي رأسك ، لأنك تعرفين أن الانسان لا يتخدد حينما يتحدث بهذه اللهجة .

سيليزيت - ومع ذلك فأنت تتخددين يا أجلائين
أجلائين - إذاً ، فسنظل نبكى وكل منا بينها وبين صاحبها بعد ألف مرحلة ما دمنا لا نفهم .

سيليزيت - ولماذا لا تصدقين الحقيقة ؟
أجلائين - لأنه لا توجد كلمة واحدة ولا فعل واحد مما حوانا يؤيد عكس ما أذهب إليه ولو عند أصغر طفل .

سيليزيت - وما هو ذلك الذي حولنا ؟
أجلائين - لماذا كنت ذاهبة لتودعي جدتك ؟

سيليزيت - لكن أنا كنت أودعها في كل مرة أخرج فيها .

أجلائين - لماذا ... ولماذا كل شيء ياسيليزيتي ؟ ! أليس من الشقاء أن يوجه الانسان مثل هذه الأسئلة عند ما يفقأ الموت العيون لاسيما وأنا أعرف جيداً أن الحقيقة هنا تحت يدي وعلى مقدار إصبعين من قلبي ؟ .

سيليزيت - أنا كنت أظن أنني سعيدة ، ولكنك ستحزنينني إذا ارتبت فيما أقول . ماذا ينبغي أن أعمل ، لكي لا تشكى ؟ .

أجلائين - لا توجد إلا الحقيقة ياسيليزيت .
سيليزيت - لكن أية حقيقة أنت تريدين إذاً يا أجلائين ؟ .

أجلائين - إنما أنا التي قذفت بك من فوق البرج دون أن أعرف .

سيليزيت - لا لا لم يقذف بي أحد (١) ...
أجلائين - إن كلمة واحدة تكفي لإضاعة الحياة ، وإنني أسألك راحة أن تنطق بهذه الكلمة . قولها لي بصوت منخفض إذا أردت أو أشيرى بعينيك ؛ وميلياندر نفسه لن يعرفها .
ميلياندر - إن أجلائين محقة ياسيليزيت فأنا أطلب ذلك أيضاً .

سيليزيت - لقد هويت وأنا أنحني ...
أجلائين - لقد سألتني كثيراً عما كنت سأفعله لو أنني في موقفك

سيليزيت - لقد هويت وأنا أنحني
أجلائين - ألا تعرفين لماذا أنا أسأل هكذا ؟
سيليزيت - أجلائين ! ...

أجلائين - سيليزيت ماذا حدث ؟ أنت متمتعين ! أتألمين أكثر من ذي قبل ؟

سيليزيت - لا ، أنا أتألم من قرط السرور ...
أوه كم أنت تنحب يا ميلياندر !
ميلياندر - سيليزيت ...

سيليزيت - لا تبك هكذا يا ميلياندرى المسكين ، إنما الآن فقط يتحاب الناس ولا داعي للدموع ، وسترى بعد قليل أنني سأبتسم لك حينما أصبح جثة هامدة ، ولن تستطيعا إذ ذاك أن تصدقا أنني ميتة مما تريانه على وجهي من السعادة ، وأنا لا أفهم كيف أنني - مع صغر شأني إلى هذا الحد - أستطيع أن أجد في قلبي فردوساً عظيماً إلى هذه الدرجة ؛ ولهذا أنا أخشى أحياناً أن أرحل جاملة

(١) يقصد المؤلف بقذفها إياها من فوق البرج أنها هي التي تسببت لها في الانتحار .

معي جميع السعادة التي أحس بها دون أن أترك شيئاً لمن سيقفون بعدي

ماذا؟ أتبكين أنت أيضاً يا أجلائين؟

أجلائين — إمنحينا السلام العميق ياسيليزيت
سيليزيت — أنا أرد إليك السلام الذي منحتني إياه يا أجلائين

أجلائين — أنت تستطيعين منحه ، ولكنك لا تفعلين

سيليزيت — إن ما لدى هو مع ذلك عظيم جداً
أجلائين ، باكية : لو كان القدر نفسه ضدك لكان خاطئاً يا سيليزيت

سيليزيت ، هاذية بصوت متغير : جدتي كانت تقول لي : لماذا أنت ترهقين ؟ لماذا ترهقين يا طفلي ؟
— إنني أرهق بسبب المفتاح الذي وجدته يا جدتي
أجلائين — سيليزيت !

سيليزيت ، مستفيدة : إيسالين ماذا أنا قلت ؟ قولي لي : ماذا قلت ؟ ليس هذا حقاً
لقد تكهنت بذلك ونهتكت إليه

أجلائين — لا شيء ، لا شيء ، أنت لم تقولي شيئاً ، لا تعذبي نفسك يا سيليزيت المسكينة

سيليزيت — لقد نهتكت إلى أن كل ما يمكن أن أقوله عما قريب سوف لا يكون صحيحاً . ينبغي الصفع عني ، لأن روحي ضعفت . هل أنا تكلمت غن جدتي ؟

أجلائين — نعم

سيليزيت — نعم أنا كنت أريد أن أقول لك : ينبغي أن تهضيها دون أن تلمسي ذراعها لقد كنت أريد أن أعلمك هذا ، ولكن الوقت لم يرد ، أوه إحدري يا أجلائين

أجلائين — ماذا يا سيليزيت ؟

سيليزيت — لا شيء ، لا شيء ، هذا سيمر ،

لقد كنت أظن أنني لن أقول الحقيقة

أجلائين — أنا لن أطلبها بعد الآن يا سيليزيت

سيليزيت — عندما أقول لك غير الحقيقة ،

ضعي يدك على فمي ، عذيني بذلك ، أنا أرجوك

أجلائين — أنا أعدك بذلك يا سيليزيت

سيليزيت ، إلى ميلياندر : إن لدى شيئاً أريد أن أقوله لها يا ميلياندر

(لم يكده ميلياندر يسمع هذا حتى يتعمد في

سكون)

سيليزيت — إنه حزين ، إنه حزين ، ستقولين

له ذلك يوماً في المستقبل حينما يحل النسيان محل

الذكريات ... ضعي يدك على شفتي يا أجلائين إنني

أتألم فجأة

أجلائين — قولي لي ، قولي لي ياسيليزيت .

سيليزيت — لقد نسيت كل ما كان ينبغي أن

يقال ... لم يكن ذلك هو الحقيقة وإنما الكذب

هو الذي كان يصعد إلى فمي ... ضعي يدك في نفس

الوقت على عيني يا أجلائين . ينبغي أن تغلقيهما

كما فتحتهما .

أجلائين — سيليزيت ! ...

سيليزيت في ضعف شديد : إنني ... إنني

هويت وأنا أنحنى ...

(ثم ماتت)

أجلائين ، صارخة موعلة : ميلياندر ميلياندر . . .

ميلياندر ينكب منتحياً فوق جثة سيليزيت

صائحاً : سيليزيت ، سيليزيت !

« انتهت » محمد غنوب

لتقف فجأة مستغرقة في التفكير ثم تعود إلى معاملتي
كأنني طفل تداعبه فلا تلبث حتى تغرورق عيناها
بالدموع فتجهد خيالها لتخترع كلمة أو حركة ملاطفة
تعلل بها حالها وتبتعد بعد ذلك عنى منتحية مقعداً
لتستسلم عليه لتفكيرها .

أفي العالم مشهد أجمل من هذا المشهد ؟ و كنت
كلما التقينا تحت ظلال الشجر أهتف بها قائلاً :
— إن الله نفسه ليس مما تثيرين بي من
حب لك .

وما كنت مع هذا لأتمكن من إخفاء ما تفعل
بي أشواقي وما أعاني من مغالبة شهواتي .

و كنت عندها ذات ليلة فقلت لها إنه بلغني أنني
خسرت دعوى هامة لها شأنها في أعمال
فقلت : أخبرني بمثل هذا وأنت ضاحك ؟
فقلت : لقد أعلن أحد شعراء الفرس أن من تحبه
حسناء لا ينال منه القدر .

فأطرقت ولم تجب ، وحاولت أن تظهر بمظهر
السرور أكثر من عاداتها ذلك المساء ؛ وجلست
إلى عمتها ألعب باليسر فكانت هي تداعبني وتعمل على
نكايتي منتقدة ضروب ألعابي ، وراحت ضدي حتى
خسرت كل ما كان معي من المال .

وعند ما انسحبت العجوز إلى غرفتها خرجت
بريحية إلى الشرفة فلحقت بها ، وهنالك شملنا
الصمت أمام ذلك الليل الرائع وقد جنح القمر إلى مغربه
ولعت النجوم في قبته ، وقد اكفهرت آفاقه الزرقاء ،
وسكن النسيم عن الأشجار فما لاح لها أملود ، فعبق
الجو بعطر الأزهار .

وكانت مسندة ذراعها إلى متكأ الشرفة متطلعة
إلى السماء ، فأنحيت إلى جنبها أتفرس في ملامحها
(٧)

من أعماق النفوس



اعترافاً في العصر

لأفريدي موسى

بقلم الأستاذ فليكر فانس

الجزء الثالث

الفصل العاشر

لو أنني كنت صائغاً وأردت أن أقدم عقداً من
اللؤلؤ مما اكتنزت لما كان يبلغ سروري أشده إلا إذا
أنا قلده بيدي للمهدي إليه ، ولو كنت أنا من يتقبل
الهدية لكنت أفضل الموت على أن أنزعها انتزاعاً
من مقدمها

ولكم رأيت من الناس من يسارعون إلى وصال
من يعشقون من النساء ، أما أنا فكنت أسير على عكس
هذه الطريقة مدفوعاً إلى اختيارها بداهة لا تعملاً
وقصداً فإن المرأة التي تحب قليلاً وتقاوم لم يبلغ
الحب منها مداه ، أما التي يملكها الهيام فإنها لا تقاوم
إلا لشعورها بعدم تكامل الحب في قلب مرادوها .
وازدادت ثقة بدام يارسون بي وما كنت
أعهد بها مثل هذا الاستسلام من قبل أن تعترف
لي بحبها . وما كان ما أبدية لها من احترام إلا ليثير
فيها سروراً شديداً تظهر أماراته على وجهها الصبوح
فكانت زهرة تنور من انتعاش فؤادها ، وكانت
تذهب بعض الأحيان بسرورها إلى المرح الصاحب

روح الوجود، وأنت الشعلة المقدسة قضت الطبيعة
على نفسها إمدادها بالوقود في هيكل الله فلا يحبو
لها نور

أنت محور الوجود أيها الحب وبك قوام كل
موجود، وما تنفخ روح الغناء عليك إلا لتغني . إنني
لا أعجب أن يدنس اسمك من جهلوك إذ حسبوا
أنهم عابنونك لأنهم فتحوا عيونهم على الحياة ، وأنت
عندما تمر بتابعين أخلصا لك تجمعهم بقبلة وتأمر
أجفانهم بالانسداد على أحداقهما كيلا يبصرا
بالسعادة على هذه الغبراء

ولكن أنت يا من نراك وأنت لنا ، أيتها
البساتم المتراميات على الشفاء، أيتها اللمسات الحائرة ،
أيتها المناغة الأولى المترددة على شفة الحبيبة ، أحررة
أنت من سلطان الله بأكثر من سائر ما في الوجود ؟
وهل أنت إلا ملاك يرف في مأوى عاشقين لينزع
النوم من أجفانهم فينتبها من السبات الذي ألقاه
الله عليهما ؟

أي بنات نشوة الهوى .. لكم أنتم عزيزات على
قلب أمكن . أنت أيتها النجوى بين عاشقين تتلمسين
أوائل الأسرار باللمسات المرتجفة متملصة على مهل
من عفافها وبالنظرات الجائعة ترسم على صفحات
القلب أوائل الخطوط الغامضة لصورة المحبوب
أيتها الملكة العظمى القائمة على الفتح المبين ،
إن في أرجائك وتحت أعلامك ينشأ العاشقون
وأنت أيها التاج الذي يعصب رأس المحبين بالغبطة
والحبور فيلقون من تحته أول نظرة على الوجود
فينجلي لهم من خلال عاطفتهم الثائرة ؛ وأنت أيتها
الخطوات الأولى يسير بها العاشق إلى قرب من
يهوى ، من يقدر على تناولك ببيانه ؟ وأية كلمات

فجذبت عيناى إلى هدف عينيها في العلاء ، وشعرنا
كلانا بنشوة من عبق الأزهار ونحن نشيع بأبصارنا
آخر ما أبقى القمر على الأفق من نوره الباهت وهو
يتوارى وراء كتل غاب الكستنا السوداء .

وتذكرت اليوم الذي شخصت فيه إلى هذا
الأفق الواسع الباهر حين قبض اليأس على مشاعري
فلم أجد فيه غير الفراغ ، فارتعشت وأنا أراه الآن ولا
فراغ في أية ناحية فيه . وخيل إلى أنني أسمع نشيد
الحمد يرتفع من قلبي ، وأن غرامنا يتعالى مع هذا
النشيد إلى عرش الله .

وطوقت محبوبتي بذراعى فأدارت وجهها نحوى
على مهل وقد انهمرت من عينيها الدموع فالتوى
خصرها وارتمت بشفتيها المنورتين على فمي وتوارى
أمامنا الوجود ...

الفصل الحادى عشر

من له أن يصف ما في صمتك من معان أيها
الملاك الناشر جناحين أبدأ على ليالى اللذات . أيتها
القبلة تتساقى الشفاء بها الرضاب المسكر كأساً تندفق
على كأس ، لأنك خالدة كمبدأ الوجود

يا لنشوة الغرام ، وأنت حافزة كل كائن وصلة
جميع الكائنات ! بأى بيان تناولك من تجشموا وصفك ؟
لقد دعوك عاطفة زائلة وأنت الدائمة المبدعة ، فقالوا
إنك التماعة خاطفة أنارت وشيكا أيامهم الدائرات .
قالوا إنك كلمة أقصر من لفظة الحياة على شفاء المدنفين ،
بل هتفة حيوان يهزه الشبق ويعجب لقصر بقائه
ناظراً إلى شعاع المصباح الأبدى نظرة إلى شرارة
تنقذ من حصاة

لاعجب إذا دنس الناس اسمك أيها الحب وأنت

بشرية تصل إلى تصوير أضعف لسانك ؟

إن من خرج في صبيحة بليلة بغض إهابه من باب سرى تدفع من لاجه يد محبوه ، فشى بخطواته الحائرة إلى حيث لا يدرى فاجتاز مجتمع الناس ولم يسمع صوت صديق يناديه واتجه إلى مكان منعزل ضاحكا با كيا دون أن يعلم ما يضحكه وما ييكه ومسح وجهه بكفه مستنشقا آثار ما عبق عليه من عبير ؛ ونسي فجأة جميع ما أتاه على الأرض إلى ذلك الحين ، إن من وجه خطابه إلى الأشجار النائمة على جانب طريقه وما يرفرف عليها من أطيوار ثم رأى نفسه بين الناس مضيقا رشده في حواره فجثا شاكرا ربه على ما أنعم عليه ، لعاشق له أن يموت غير متدمر من القضاء لأنه امتلك المرأة التي يحبها

الجزء الرابع

الفصل الأول

على أن أقص الآن ما آل إليه غرامى وما طرأ على نفسى من تغير وأنا عاجز عن تعليله ، ولكنها الحقيقة آليت ألا أكتهما

وما كان مضى على استسلام مدام بيارسون لى أكثر من يومين ، وكنت خرجت من الحمام فى الساعة الحادية عشرة ليلا وسرت أجتاز المتزهر قاصدا بيتها وقد استولى على المرح حتى جعلنى أقفز على الطريق قفزاً ويدي ممدودتان نحو السماء

ووجدت بريجيت واقفة على قمة السلم مسندة ذراعها إلى عارضته وأمامها شمعة تنقد وقد كانت فى انتظارى ، فما لمحتنى حتى سارعت إلى لقيائى ، وما مضت لحظة حتى كنى فى غرفتها وقد أوصدنا الباب علينا

وبدأت تعرض على ما بدلت من زى شعرها مجارة لدوقى ، وتشير إلى إطار أسود نزعته عن الجدار لأننى رأيت قاتما محزنا ، وإلى ما وصحت من الأزهار فى جوانب الغرفة ؛ وأخذت تسرد على ما فعلت إذ كانت تشهد عذابى مؤكدة لى أنها أرادت مزاراً مبارحة البلاد هرباً من غرامها ، ولجأت إلى كل حيلة تقيها منى ، واستشارت عمها وماركسون والكاهن ، وأنها كانت حلفت أن تموت ولا تستسلم ، وعادت تذكر من كلمائى ولفاتائى ما جعل كل هذا الحذر هباء . وكانت ترفق كل قسم من اعترافاتها بقبلة تلقيها على وجهى . وكنت أبدو استحسنانى لبعض ما فى غرفتها من التحف فأصرت على إعطائى إياها لأضعها على رفى غرفتى ، وطلبت منى أن أضع لها منها جاك تسير عليه فى حياتها اليومية لأن ما يهتمها فى الحياة إنما هو رضى فما تعباً بأقوال الناس ؛ وصرحت لى بأنها إذا كانت فيما مضى تعللت بالقليل والقال ، فما كان ذلك إلا بقصد إبعادى عنها ؛ أما الآن فهى تضم أذنيها عن كل صخب ولا تسمع إلا لهاتف قلبها يحدو بها إلى التمتع بالسعادة ، إذ أنها بلغت الثلاثين وما ينقص العمر لها مجالا طويلا للتنعم بحبى لها . كانت تقول هذا ثم تسألنى : هل ستحببنى طويلا ؟ أصادقة هذه الكلمات العذبة التى أسكرتنى بها ؟

وتعود عاتبة على لتأخرى فى الحضور إليها ، وتنتقد العطر الذى يفوح منى فتراه حيناً قويا وآونة ضعيفا ؛ ثم تقول إنها ألفت الخفين عن رجلها لأرى أن بياضهما يضاهاى بياض يديها ؛ ثم تستدرك قائلة إنها ليست جميلة وتتمنى لو أن لها أضعاف هذا الجمال ، وقد كانت على مثل ما تتمنى وهى فى الخامسة عشرة من سنيتها

إلى الأنعام فأمرر راحتي على جبیني كأنني أحاول طرد ما يحيم على عيني من ضباب، فكنت أضرب الأرض بقدمي وأهز كتفي كأنني أوقع على ما يساورني من جنون. وجلست أخيراً على وسادة على الأرض فهرعت بريجت إلى وأنا أنزع تفكيري فيما يحتاجه من لبدات الظنون قفلت لها :

— الحق أنك ماهرة في الكذب . أنت واضحة هذه الأنعام ؟ أمثل هذه السهولة تكذابين ؟ فنظرت إلى باستغراب متسائلة عما يدور في خلدي وهي لاتصدق أن بي من الجنون ما يدفع بي تقربها على مثل هذا المجنون البريء . وكانت تعلم تفاهة السبب في كدري فزاد هذا الكدر أهمية في تقديرها . ولأجل لها أنني أردت مقابلة مجونها بمثله ، ولكنها رأت على جبیني من الشحوب ما منعها من الأخذ بهذا الافتراض فانفرجت شفتاها وانحنحت فوق وقد خانتها القوى فقالت :

— يا لله ! أهذا ممكن ؟

لقد تبسم أيها القارئ وأنت تطالع هذه الصفحة ولكنني أنا كاتبها لا أزال أرتعش منها حتى الآن .

إن للمصائب ما للأمراض من أعراض تدل عليها ، ولا شيء أشد خطراً في البحر من نقطة سوداء تلوح على أفقه .

ولما طلع الفجر وضعت بريجت في وسط الغرفة خواناً صغيراً أعدت عليه طعام العشاء أو بالحرى فطور الصباح ، لأن العصافير كانت بدأت بالزقزقة في الحديقة وأسراب النحل بدأت بالطنين . وما كنت أرفع الكأس إلى فمي قبل أن ترطب مرشفه بشفتيها

وكانت تتكلم وهي تخطر في الغرفة يطير بها المرح ويشعل خديها الغرام فكأنها لم تكن تعلم ما يجب أن تقول وأن تفعل لتهدئ روحها وجسدها وكل ما لها

وكنت مستلقياً على المقعد أستمع إلى أقوالها فأشعر عند كل عبارة من عباراتها أن ساعة سوداء من ساعات حياتي الماضية تنفصل عني ، فكنت أتطلع إلى كوكب السعادة يطل من الأفق علي وكأنني شجرة جرى في أعراقها نبع الحياة فهي تنفض أوراقها الجافة لتكتسي خضرة جديدة

وجلست إلى البيانو وقالت إنها ستعزف مقطوعة « ستراويللا » وكنت ولا أزال أحب الموسيقى الخاشعة ، وكانت أستمعني هذه القطعة من قبل فهزت أوتار قلبي

وبعد أن أتمت عزفها التفتت إلي وقالت : إن هذه القطعة من تأليني أنا

— أنت واضحة هذه الأنعام ؟

— أجل وكنت أوهمتك أنها من موضوعات « ستراويللا » لأعلم رأيك فيها ، وما تعودت أن أوقع على البيانو الأنعام التي أتوصل أحياناً إلى تأليفها ، وقد أردت هذه المرة أن أعرف مبلغ نجاحي ، وقد جاء انخداعك مؤيداً حسن ظني

يا للإنسان وما فيه من غرائب !

إن هذه الحيلة البريئة التي تخطر لولد يريد مفاجأة معلمه نشرت أمام عيني غماماً ؛ ولحظت هي أن سحنتي تغيرت فسألتنى فأخفيت عنها ما بي وزجوتها أن تكرر العزف

وبدأت أخطر ذهاباً وإياباً في الغرفة وأنا أستمع

لاتقرأ هذا . فرميت الكتاب إلى الخوان قائلاً :
لك الحق . فما كنت أعلم ما أفعل ، فقالت — وقد
لاحظت امتعاضى — أتواجه هذا أيضاً كأنه جد ؟
خذ الكتاب فانى أريد أن تقرأ . فقلت : لنضرب
صفحة عن هذا فما عسانى أجد مما يشير اهتمامى فى هذا
الكتاب ؟ إن أسرارك تعنيك أنت يا عزيزتى .

وبقى الكتاب على الخوان ؛ غير أن عيني كانتا
منصبتين عليه . وسمعت فجأة صوتاً يهمس فى أذنى ؛
ولاح لى أننى أرى وجه ديجنه فى قساوته وعلى
شفثيه ابتسامته المتجمدة فى صقيعها .

فتساءلت عما أنى يفعل ديجنه هنا ، كأننى رأيته
منتصباً أمامى حقيقة لا خيالاً . وقد ظهر لى كما
رأيت ذات ليلة وقد انحنى جبينه أمام شعاع مصباحى
واندفع يلقي بصوته الأجش دستور العاشقين

وكننت لأزال معلقاً أبصارى على الكتاب وقد
ترددت على حافظتى بعض كلمات مهمة لا أذكر أين
سمعتها ، فقبضت على فؤادى وشعرت أن روح الشك
الحائمة حول رأسى قد قطرت سمها الزعاف فى غمروقى
وتصاعدت أبخرة هذا السم إلى دماغى فأورثنى دوار
السكر القاتل .

أى سر تخفيه بريجيت عنى ؟ وكننت أعلم أن
ليس على إلا أن أمد يدي لأفتح الكتاب ، ولكننى
ما كنت أعرف أين يجب أن أفتحه لأصادف الصفحة
التي وقعت أنظارى عليها .

وقد كنت فضلاً عن ذلك أرى كبريائى تحول
دون رجوعى إلى فتح الكتاب . ولكن هل
الكبرياء وحدها كانت السبب فى امتناعى عن
اقتحامه ؟

واخترق نور الضحى الستائر المفوفة فاستقر على
مافى وجهها من بهاء ، وما على جفونها من استرخاء ،
وشعرت بالنعاس فألقت رأسها على كتفى تقبل عنق
متمتمة كلمات هياخها .

وغلبت على شكوكى أمام هذا الاستسلام
فحسبتنى تخلصت من أشباحها المزعجة فطلبت العفو
عن لحظة نار فيها جنونى قائلاً بكل إخلاص :
يؤلى أن أكون وجهت إليك التقرير فقد ظلمتك
من أجل مزاح برىء ؛ غير أننى أطلب إليك إذا
كنت تحببني ألا تكذبى على حتى فى أتعفه الأمور
فلا شئ أظفح لدى من الكذب وما لى طاقة
باحتماله .

وانطرحت على سريرها تطلب الوسن فأردت
البقاء إلى جنبها إلى أن تنام ، ورأيت جفنيها ينسدلان
على جمال عينيها ، ولاحت ابتسامه الهجوع على
شفثيها فأنحيت ملقياً على وجهها قبلة الوداع ؛
وخرجت مراتح القلب أعلل النفس بالتمتع يسعادتى
دون أن أعكر صفوها .

وفى اليوم الثانى قالت لى بريجيت دون أن
تقصد : إن لدى كتاباً أدون فيه مذكراتى وما
يعن لى من خواطر ، وسأعطيك هذا الكتاب
لتقرأ فيه ما كتبت فى الأيام الأولى التي تعرفت
فيها إليك .

وقرأنا سوياً ما يتعلق بى وأضفنا إليه ما عن لنا
من سائحات ، وأخذت بعد ذلك أقلب الصفحات
بحركة آلية فاذا بنظري يقع على عبارة كتبت بأحرف
كبيرة . فقرأت بعض كلمات ليس فيها ما يسترعى
الاهتمام حتى إذا تجاوزتها استوقفتنى بريجيت قائلة :

واجتاحني حزن شديد فهتفت في نفسي قائلاً :
 هل الماضي هو طيف يبعث من الفناء ؟ فيا لله
 لشقوتي ! هل سأقف عاجزاً عن الشعور بالحب فيما بعد ؟
 واجتاز خاطري فجأة جميع ما كنت رددته من
 أمثال احتقار النساء والهرؤ بهن أيام كنت ضارباً
 في بيداء الفحشاء . ومن الغرائب انني في ذلك الزمن
 كنت أردد هذه المأثورات مباهياً بها دون أن
 أعتقد بصحتها . فأصبحت الآن أعتقد أنها تصور
 حقيقة ما يقع الآن أو على الأقل ما يقع فيما مضى
 وكانت مضت أربعة أشهر على تعرفي بمدام
 بيارسون دون أن أعرف شيئاً عن حياتها الماضية
 ودون أن أسألها شيئاً عنها . فكنت مستسلماً لحبا
 بثقة عمياء فأجد لذة في تمنعي بالصمت تجاهها وتجاه
 كل من يتعلق بها . وما كان في طبيعتي أن
 تساورها الشكوك وتحكمها الغيرة ، لذلك كنت
 أشد استغراباً من بريجيت لما تجلى بي من غيرة
 وشكوك . وما كنت يوماً في سابق غرامي أو
 معاملتي للناس رجل محاذرة ووساوس ، بل كنت
 مقداماً أذهب في طريق صريحاً لا أحاذر شيئاً ولا
 أظن السوء في شيء ، ولولا أنني رأيت بعيني حياة
 عشيقتي لما كان خطر يبالى أنها تخدعني . وقد كان
 ديمجنه وهو يلتقي على مواعظه يضحك من سذاجتي
 ويراني أسهل الناس انخداعاً ؛ وما كانت وقائع حياتي
 كلها إلا دليلاً على سلامة طويتي وبعدي عن كل
 وساوس . لذلك شعرت وأنا أحديج كتاب مذكرات
 بريجيت بعين الازتياب أن شخصية غريبة مثلت
 في ذاتي ، وأن تفكيري يتمرد على هذا الحافز وقد

أرعبني الهدف الذي رأيته يدفعني إليه
 فكأنني وجدت نفسي فجأة تجاه ما كنت
 أحسبه قد تواري في من أوجاع تحملتها ، ومن ذكرى
 مخادعات شهدتها ، ومن دواء كان أقطع من العلة في
 نتائجها ، ومن أقوال رددتها لأصحاب على مسامعي ، ومن
 انطباعات ألقاها على المجتمع الذي مررت بفجائعه ،
 ومن مفاسد أدركتها استنتاجاً بنافذ بصيرتي ، وأخيراً
 تجاه الفحشاء واحتقار الحب والافراط في كل شيء .
 وهكذا بينما كنت أوئل الرجوع إلى الأمل والحياة
 هبت من نفسي هذه القوى الكامنة ثائرة تقبض
 على عنقي لتصيح بي قائلة : أنا لم أزل هنا

ومددت يدي ففتحت الكتاب ثم طويته
 ورميت به إلى الخوان . وكانت بريجيت شاخصة إلي
 وليس في لحاظها ما يدل على عزة جريحة أو بادرة غضب ،
 بل كان بها ما ينم عن اضطراب أم تنظر إلى طفل
 مريض ؛ وقالت وهي تطوقني بذراعها : أتحسب
 أن لدى أسراراً ؟ فقلت : لا ، إنني لا أظن شيئاً
 وليس بي إلا اعتقاد واحد وهو أنك جميلة وأني
 أود أن أموت وأنا غارق في بحار حبك

وعدت إلى مسكني . ولما جلست لأتناول طعامي
 قلت لخادمي لاريف : من هي مدام بيارسون ؟

فالتفت إلي والدهش باد على حياء ، فقلت : إنك
 في هذه البلاد منذ سنوات عديدة ، ولا ريب في أنك
 تعرفها أكثر مني . فماذا يقول أهل القرية عنها ياترى ؟
 وماذا كانت حياتها قبل أن عرفتها ؟ ومن هم الأشخاص
 الذين ترددوا عليها ؟ فقال لاريف : والله ياسيدي إنني
 ما رأيته يوماً تفعل إلا ما تفعله في هذه الأيام ، فهي
 تذهب إلى الزهرة في الوادي ، وتلعب بالورق مع عمته

فرايته يتقدم نحوى قائلاً :
لقد أظهرت نحوى ذلك اليوم من الغضب مالا
يمكن لثلي أن يذكره حاقداً . فأنا أقدم إليك الآن -
اعتذارى لا اضطرارى إلى القيام بمهمة مكدره فكنت
مشوشاً في الأمر على غير مناسبة .
فأجبت متلطفاً ظاناً أنه سيذهب عني ولكنه
تابع مسيره إلى جنبى :

فبدأت أردد في ذهنى اسم دالانس قائلاً في
نفسى إن لا ريف لم يقل لى عنه إلا ما يمكن لخادم
أن يسرد تقلاً عن خادمة أو عن مزارعين ، وأنا أريد
شاهداً يكون رأى هذا الرجل عند مدام بيارسون .
وتحكت هذه الفكرة في دماغى فقررت أن أفأخ بها
ماركاسون .

فليكس فارس

« يتبع »

تاريخ الأدب العربى

لـرؤـسـتـار أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربى منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمانه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

وتقوم بأعمال البر محسنة إلى الفقراء . ويدعوها
القرويون بريجت الوردية ، وما سمعت قط كلمة سوء
عنها ؛ فكل ما يقال أنها تتجول في المزارع وحدها
نهاراً وليلاً لغاية حميدة ، فهى رسول العناية فى هذه
البلاد . أما معاشروها فهما الكاهن والمسيو دالانس
وذلك أثناء العطلة

— ومن هو دالانس هذا ؟

— هو صاحب القصر القائم وراء الجبل وهو

لا يزور هذه الأرجاء إلا للصيد

— أهو شاب ؟

— نعم ياسيدى

— أيبينه وبين مدام بيارسون صلة قرابة ؟

— لا بل كان صديقاً لزوجها

— أمتد زمن طويل مات زوجها ؟

— فى عيد جميع القديسين يكون قد مر خمس

سنوات على وفاته ، وقد كان رجلاً طيب الخلال

— وهل سمعت أن المسيو دالانس يتجيب إليها ؟

— والله ياسيدى ... قال هذا وسكت متردداً

— تكلم

— قال الناس هذا وما قالوه ... أما أنا فما

رأيت شيئاً

— قلت لى أولاً إن أحداً فى القرية لم يقل

شيئاً عن مدام بيارسون

— لم يقل أحد شيئاً ، وكنت أعتقد أن سيدى

عارف بالأمر

— وأخيراً هل تكلم أحد عن هذا ؟

— أجل ، أظن أن الناس تكلموا

نهضت عن المائدة وسرت إلى المتبزه فوجدت

ماركاسون هناك وحسبت أنه سيتحاشى ملاقاتى

له الكاهن الطبي تيرزياس عن المصاعب التي لا بد من
تجشمها قبل أن يصل إلى بلاده — وقد عرف له
الكاهن ثم لقي أمه وكلها فأخبرته عما صنع عشاق
زوجها بنلوب بقصره وما كان من ولده تليماك — ثم
كلم أشباح طائفة كبيرة من عذارى اليونان وأبطال
الحرب الطروادية أمثال أخيل وأجاكس وأجاممنون
— وعاد أدراجه إلى جزيرة سيرس — وهو هنا
يتم قصته »

أوديسيوس يتم قصته

١ - السرينات المغنيات

٢ - سكيلا الهولة

« والآن ، وقد احتملنا العباب ذو الشَّبَج
وذرعنا اليم المتراخي ، وعمتنا نضرب في موج كالجبال ،
فقد وصلنا بعد لأي إلى جزيرة إاييا المرجانية حيث
ترتع أورورا ابنة الفجر الوردية وتلعب ، وحيث
مطلع الشمس وراء البحر المضطرب . . . وألقينا
مراسينا ، وتلبثنا فوق رمال الشاطئ نرقب انبلاج
الفجر ، حتى إذا لاحت تباشيره أرسلت طائفة من
رجال إلى قصر سيرس فأحضروا جثمان إليينور
(الذي خر من السطح فدق عنقه) ، ثم إننا يكينا
عليه أحر البكاء ، وجعنا له من الحطب والخشب
ما وسعنا ، وطرحناه وسط الكومة التي صنعناها
من هذا الوقود ، وطرحنا معه سلاحه ، وأقمنا إلى
جانبه مجدافه العظيم ؛ ثم أدبنا له الشعائر الجنائزية
التي أرويناها بأزكى دموعنا ، وأشعلنا النيران بعد
إذ أقمنا له نُصباً جليلاً ، تحية وذكرى . ولم تعلم
بعودتنا سيرس ؛ بيد أنها مع ذاك أقبلت في ررب
من وصيقاتها الحسان الأتراب يتهادين نحونا ،
حاملات دفناً من أكرم الخمر . . . ووقفت بيننا
العروس الهيفاء ، ثم قالت : « ويحكم أيها الأشقياء



الأوليين

لهوسيروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة قصة أوديسيوس

« لما وضعت حرب طروادة أوزارها أفلح أوديسيوس
— بطل الأوديسة — بصفته قبل أن يقدم القرابين
للآلهة فقصت عليه أن يشق طويلاً في عرض البحر
— وقد أغار في طريقه على مدينة إزماروس ولكن
أهلها كروا عليه فأخرجوه ورجاله من مدينتهم — ثم
عمر بأرض اللوتوفاجي وهم قوم يأكلون اللوتس العجيب
الذي ينسى آكله كل ماضيه ولا يقبل حين يأكله أن
يعود إلى وطنه — وقد أكل بعض رجاله من هذا
الثمر ولم يرضوا مغادرة الجزيرة حتى ذهب إليهم وأعادهم
إلى سفنه بالقوة — ثم أرسوا على جزيرة السكالبة ، وهم
مخلوقات عجبية ولكل منهم عين واحدة ، وقد حبسهم
أحدها في كهفه وراح يفتلهم طائفة بعد طائفة حتى دبر
أوديسيوس حيلة سمل بها عينه وفريقه رجاله من وجهه
— وأرسوا بعد ذلك بجزيرة عروس البحر سيرس التي
سحرت بعض رجاله فأصبحوا خنازير إلا واحداً فر
ليخبر أوديسيوس الذي لقي هرمز رسول السماء فنصحه
وزوده بعشبة لا يسحر حاملها بسحر ساحر . وقد
استطاع أوديسيوس قهر سيرس فأعاد رجاله إلى صورهم
ونزلوا في ضيافتها جميعاً بعد أن أقسمت أغلظ الأقسام
ألا تلحق بهم أذى — وقد نصحت لأوديسيوس أن
يذهب في رحلة إلى الدار الآخرة — هيدز — ليعرف

يخطر السيرينات بين شجر البرواق متهاديات
فوق السندس الحلو الجميل ... فأوصيك أن تفرغ
في آذان رجالك من سائل الشمع قبيل أن تبلغ
أرضهن ، فانهن بذلك لا يسمعون شدوهن ولا
يسحرون بغنائهن . أما أنت ، فلك أن تنصت إلى
ذاك الغناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رجالك
وثاقك في قلع سفينتك شداً قوياً محكماً ، فيربطون
ذراعيك وساقيك بأمراس وأحبال ، حتى لا يسبيك
ما يُشنف أذنيك من غناء وشدو فلا ترضى إلا أن
تتوى بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتد بك الوجد
من سحر ماتسمع وطلبت إلى رجالك أن يخلوا عنك
لزم أن يزيدوا في رباطك ويحكموا وثاقك أضعاف
ما فعلوا بك من قبل فإذا جُزّتم تلك الجزيرة
وغابت مناظرها عن أبصاركم ، فارجعوا أن يطلقوا
سراحك ... على أنني لا أدري أي السبل ينبغي أن
تسلكوا بعد هذا ، فهناك طريقان أحلاهما مر ،
وأيسرها عناء وضر ، وإني واصفة لك كليهما ،
وأدع لك كائنك أن يختار لك . . . إنكم بالغون في
مبيلكم إلى صخور هائلة ناتئة في البحر ، تتكسر
فوقها أواذيه ، وترطم بجلاميدها أمواجه ، وتدافعه
على أحيادها أمفترت (زوجة نيتون) الجبار .
وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم (إبراتيكا)
وهي قلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن
يقرب منها ، ولا يجسر الطير أن يهبط فيها ، بل
طير أينا جوف نفسه الذي يحمل إليه غذاءه
الإلهي المقدس ، لم يجازف مرة فخط فيها يستجم
من سفر ، لما يعلم من أنها مهلكة زلقة . ولم
ترس عندها سفينة قط إلا ارتطمت فوق تتوئها
وهوت إلى القاع بمن حملت ، أو ابتلعها العواصف

كيف حلاً لكم أن تموتوا مرتين بينما يموت جميع
الناس مرة واحدة ؟ ولكن تعالوا ، هلموا إلى
طعامكم ، وتحسّوا من هذه الخمر لتقضوا يومكم
فوق رمال هذا الشاطئ في شراب وآكال ، فإنكم
ضاربون في ظلمات ذاك البحر فجّر غد . وإني
منبئكم عما يروكم في طريقكم عسى ألا تضل بكم .
وياما أكثر ما تتجشمون من أهوال في البر والبحر
ولبينادعوة الربة المضياف ، فأقبلنا على طعام شهى وشراب
روى طيلة يومنا ، حتى إذا توارت ذكاء بالحجاب ،
وشملنا ظلام الليل ، تطرح رجال فوق الرمال الناعمة ،
ثم انتحيت أنا وسيرس ناحية ، وجلست قبالتها ،
وراحت هي تحدثني وتقول : « أما وقد أوشكت
متاعبك أن تنتهي ، فاصنع إلي ؛ إققه ما أقوله لك
وتدبره ، فهو وحي يوحى إليك من السماء ينفعك
إذا جد بك الجد ، وأزفت حولك الآزفة ... ستصل
أول ما تصل في رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة
السيرينات الشاديات اللاتي يسحرن بغنائهن
القلوب ، ويخلبن بحرسهن الأبواب ، ويطّين^(١) كل
من أوصله سوء حظه إلى جزيرتهن بحلو تطريهن
وجميل شدوهن حتى ليلصق بأرضهن وينسى آله
وأوطانه ، ولا يخطر في باله أن يعود إلى بلاده لينها
بلقاء زوجه الحبيبة وأولاده الأعزاء ، بل يجمد
مكانه من الشاطئ حيث يكون بمسمع من السيرينات
وتكون عن يمينه وشماله رفات الضحايا الكثيرين
الذين عرجوا من قبل ليشنفوا آذانهم بغناء أولئك
العذارى فجمدوا مثله ، وذهلوا عن أنفسهم حتى
ذووا ، وذبلوا وضربوا ، وحق بهم الغناء بينما

(١) لطفي القوم فلانا خالوه وقتلوه

فهو تنقض كالصاعقة على السفينة العابرة ، وتلتقم بأفواهها الستة الجائعة ستة من بحارتها مرة واحدة تقضمهم قضا . . . وتلقاء هذه الهضبة ، هضبة أخرى على مري سهم يا أوديسيوس ، وقد كُنت فوقها تينة بزية كبيرة ذات أفنان وعساليح حانيات فوق الماء ، وتحتها عين خاريديس الجملة التي يغيض فيها ماء البحر كله ثم تعود فتمجه ثلاث مرات في اليوم . ويك أوديسيوس ! خذوا حذركم ! فوالله إنكم إن دنوتم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نبتيون نفسه بعد ذلك أن ينجيكم . وإني أرى أن تدنوا من الصخرة الأولى فتلتقم سكيلا ستة منكم ، فهو خير لكم من أن تفرقوا جميعاً » وسكت سيرس ، وقالت أسائلها : « بحق الآلهة عليك يارية أن تُخبري : أما أستطيع أن أنقذ رجالى الساكنين من سكيلا إذا نجونا من خاريديس ؟ » فقالت تجيني : « أيها التعس ، أما تفتأ تحن إلى مجازفات الحرب وخوض غمار الوغى ؟ إنه لا سلطان للآلهة نفسها على سكيلا ، وهى ليست مخلوقاً مما يجوز عليه الفناء ، بل هى غول سرمدي شديد المراس ، شكس شديد الشراسة ، لا يغالب أحداً إلا غلبه ؛ فأطلق سفينتك للريح ، ولد منها بالفرار . وإياك أن تفكر في التسليح لها ، فهى لا بد ملتقمة ستة من رجالكم إذا حاولت مدافعها فإنك منهم ! فإذا بعدت فاضرع إلى كرافيس ، أم هذه الهولة التى هى إلى الأبد طاعون للبشر ، أن ترد كيد ابنتها عنكم فلا تتبعكم في سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر مما فعلت . . . وإنكم بالفن (تريناشيا) بعد هذا حيث ترعى الربتان الحسناوان : لميتيا وفيتوزا ابنتا هيريون من عروس الماء نيرا ،

الهوج فغابت حيث لا يدري أحد . ولا يعرف أحد سفينة جازت مهالك هذه الصخور إلا السفينة (آر جو) التى حاطتها جونو ^(١) برعايتها رحمة بجاسون وحناناً من لدن سيدة الأولمب ، حين أقلت من جزيرة إيايا ؛ وقوام تلك الصخور هضبتان شاحتان شاهقتان ، تمثل إحداها صنما هولة ضخما يضرب في السماء بروقه وتتراكم فوقه منذ الأزل ثقال السحاب التي لا يذيبها خريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تنشر عليها أشعتها قط . . ولو أن أحداً من العالمين له عشرون يداً وعشرون رجلاً ما استطاع أن يرقى عليها أبداً ، لأنها ملساء ناعمة كأنما صقلتها يدا مثال صناع . . . وإن في سنده الغربي لكهفاً سحيقاً نقر ثمة باسم إربوس ^(٢) ، وإني لأحذرك أن تقترب منه حين تجوز به يا أوديسيوس ، بل كن بنجوة منه ، بعيداً بقدر ما تستطيع ، أو على الأقل على مري سهم مراش من سفينتك إلى وصيده ؛ ذلك لأنه مأوى سكيلا المخيفة التى تدوى بصوتها وعوائها ، ويفرق الناس والآلهة من وجهها المكلم القبيح ؛ وحسبك أن تعلم أن لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينتهي كل منها برأس كبير فظيع ، سلح بثلاثة صفوف من أنياب حداد أضلها ثابت ، وحشوها سم زعاف . وهى تربض في غور كهفها السحيق ، بينما أروسها بارزة من فوهة الكهف تبحث في الماء عن الدلافن وكلاب البحر ودواب الماء وجميع حيوان مملكة امفترت . . . وليس يجسر بحار أن يفخر بأنه نجا مرة من شرها

(١) هى حيرا زوج زيوس كبير الآلهة .

(٢) إله الظلام الذى تزوج من أمه (ليله)

إن أردتم أن نكون بنجوة من الهلك في تلك الأرض الملعونة) . وهكذا نهبت غافلهم بتحذيري . ثم إننا انطلقنا في اليم ، وأخذنا تقترب من جزيرة السيرينات ، وعرفت ذلك لما هددت الريح فجأة ، ونام الموج ، وخفت أنفاس الطبيعة ، وشمل الركود كل شيء حولنا ، كأنما مسحت يد مقدسة علوية كل هذا الوجود الرحب . ونشط الملاحون إلى مجاذيفهم فالتجتم تحتها بساط الماء ، ثم نشطت أنا إلى قذر من الشمع فعالجته بسكين ، ثم قومته براحتي وتركته كي يلين قليلا في أشعة الشمس ، ثم جعلت منه في آذان رجالي واحداً فواحداً . . . واستسلمت لهم بعد هذا فشدوا وثاقى في شراع السفينة شداً محكما ، وجلس كل إلى مجدافه ، وانسربت الفلك في الماء تشقه وتجر جرفيه . . . وصرنا على مدى ما يبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت وأصغيت ، وإذا السيرينات الشاديات يتغنن هكذا : « أودسيوس أيها الزعيم ! يا من لهج بذكره كل لسان »

« ألقى في جزيرتنا مراسيك يا نحر اليونان »
« تلبث عندنا أيها العزيز وشنف أذنيك بأغانينا »

« فما من أحد جاز بجزيرتنا حتى عرج يزود من هذا الغناء »

« ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأفطن ما يكون »
« ذلك ونحن نعلم من أنباء ما أصابك كل شيء »
« ما خضت من معمان طروادة ، وما أصابتك الآلهة من مصيبة ، وما لقي قومك في كل مكان »

قطعان أبيهما السبعة التي يشمل كل منها خمسين شاة ذوات صوف ناصع كالثلج . . . وكل هذه الشاة يرعى ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا كنتم حقاً تتشوقون لبلادكم ، وتتحرقون شوقاً إليها ، فاحذروا أن تصيبوا تلك القطعان بسوء ، فإنكم إن فعلتم غرقت بكم سفينتكم وذهب رجالكم أبديداً . أما أنت ، فتنجو بعد كل شيء وبعد نضال وأهوال ، فتصل إلى بلادك ملوماً محسوراً ! »

وتنفس الصبح الندي الرخي فذهبت تبختر وتجرر أذيالها إلى قصرها النيف ، وذهبت أنا إلى الشاطئ فأيقظت رجالي وأمرتهم فخرجوا السفينة حتى استوت في الماء ، ورفعت مراسيها ، ثم جلس كل إلى مقعده ، وأعملوا أيديهم في مجاذيفهم فتدافعت الفلك في البحر ، وما هي إلا لحظة حتى أرسلت سيرس ، الزبة المقدسة ، نسيماً رخاءاً كان خير رفيق لنا ، إذ كفانا عناء التجديف ، فتطرحنا في المركب ، واشتدت الريح في غير عصف فأسرعت بنا دراكاً . . . ثم كلمت رجالي وفي قلبي وجيب فقلت : « أيها الأصدقاء تعالوا أحدثكم عما تنبأت به سيرس لنا في رحلتنا هذه ، فانه سيان إن أفلتنا من العذاب أو تردنا فيه ؛ بل أردت أن أطلعكم على ما خبأته المقادير لنا لتأخذوا حذركم ، وتبرموا أمركم ، ويكون كل على نفسه وكيلاً . لقد حذرتني أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات الشاديات وحلو تطريهن ، وأجازت لي وحدي أن أصغي إليهن ؛ بيد أنها أوضتني أن أخبركم أن تشدوا وثاقى بأمتن الأمراس في سارية السفينة فلا تطلقوا سراحي حتى نبعد عن جزيرتهن . وكلما رجوتكم أن تجلوا عني شددتم وثاقى أكثر فأكثر (هذا

« تعال تعال ... هلم نحدثك فعندنا علم كل شيء » .

وهكذا شرع العذاري يسكنن إرناهن الجميل في قلبي ، وكأنا كن ينفتن فيه السحر فيصني ويصني وتلح عليه الرغبة في الإصغاء ، ورحت أنا أضرع إلى قومي أن يفكوا قيودي ويطلقوا سراحي ويخلوا بيني وبين أولئك السيرينات المطربات ، فلم يسمعوها لإشاراتي ولم يستجيبوا لتوسلاتي ، بل هب يوريلوخوس وپرميديس فضاغفوا أغلالى وشدوا على جنابى ... ثم بعدنا ... وظللنا نبعد ونبعد ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من شدو السيرينات شيء ، نهض رجالى فأزالوا ما كنت قد جعلته في آذانهم من الشمع ، ثم عمدوا إلي فأطلقوا سراحي ... وما كادوا يفعلون حتى أبصرت في ظلام البعد موجاً كالجبال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض ، ودخاناً كثيفاً ينعدق في الجو ، ثم إذا بى أسمع رعداً قاصفاً يصم الأذان ! وقد ذهل رجالى عن أنفسهم ، وطار المجاديف من أيديهم فلم تعد تُجدهم نفعا ، ووقفت السفينة كأنها الأرجوحة على رؤوس الموج ؛ وذهبت أنا أشجعهم رجلاً فرجلاً : « أيها الرفاق ! ها نحن نلقى أولى عقباتنا ، وهى ليست على كل حال أشد هولاً من مصيبتنا يوم حبستنا السيكلوب في كهفه السحيق ، وكيف احتلت لقرارنا من وجهه ؛ وسيأتى يوم نذكر تلك الشدة المفاجئة بمثل الغبطة التى نذكر بها الشدائد السوالف ... هلموا إذن ، اثبتوا فى أما كنكم ، واصمدوا لهذا اللج المصطخب ، واضربوا فيه فى جلد وصبر ، عسى أن يكلاً كم جوف ربكم فينجيكم منه . وأنت أيها الربان أضغ إلى ، إنك تقبض على ناصية الحال ، فتحاش أن تقترب من

هذا الدخان وتلك الأمواج الشائرة ... إبتعد ما استطعت عنها ، وخذ سبيل هذه الصخرة ، ذلك أدنى ألا تقذف بنا فى حمأة الخطر ... » وظللت أنفخ فيهم روح الصبر حتى فاءوا إلى أمرهم فاستقتلوا فى مجاهدة الأمواج استقتالاً ... وتسلحت أنا بكل ما استطعت من عدة ، وجعلت فى يدي رحمين طويلين ، ووقفت أقرب سكيلا الهولة من بعد ، ولم أجسر أن أذكر كلمة عنها لرفاقى حتى لا تفرغ أفئدتهم فرقاً فيهربوا من عملهم ويكتظوا فى بطن السفينة مخافة أن يمسه منها أذى ... وشرعنا نعب البوغاز ، ... ولشد ما أفرغنى أن أرى سكيلا ترمقنا وتلمظ ، وقد انتصبت كالوت على الشاطئ القريب ، ثم أرى فى الوقت نفسه خاربيديس على الشاطئ الآخر تحسرج فى حلقها الرحب الفظيع عباب الماء ثم توجه ، فكأنا تقذف من جوفها ماء فائراً يعلو فى الجو كالبحر ، ثم ينهمر وبله فى كل فج ، وتعود فيغيض البحر فى بلعومها ، ثم تقذفه ، وهكذا دواليك ... ياللروع ، وياللفزع الأكبر ! تالله لقد كنا ننظر ما تبدى خاربيديس وما تعيد فى جزع وفى هلع ، بينما كانت سكيلا تتوثب وتتوثب ، ثم ترسل رؤوسها الستة فتلتقم ستة من رجالنا كانوا وا أسفاه أشجعهم جميعاً ، وكان قلبى يتمزق حين راحوا يهتفون بى ، وينادوننى باسمى وأنا كالذى أسقط فى يديه ، ما استطيع شيئاً فأصنعه ، بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تتقلب فى الهواء وهم يصيحون ويعولون ، وأنا ساكن ذاهل أقلب كفى ولا أفعل شيئاً آخر ! واحزنناه ! ما كان أشبه سكيلا المتوحشة بصائد السمك الذى أطعم سناره وأرسلها من فوق صخرة تداعب السمكة المسكينة ،

أفرغ حتى انتصب يوريلوخوس يرد على في جفوة
وضيق : « أوديسيوس ، أيها القاسي الطاغية ،
أما أوهنت كل تلك الشدائد جلدك ؟ أمخلوق أنت
من حديد فما ترق وما تلين ؟ أتأبى على رجالك
الموهوبين المكودين أن يرسوا بهذه الجزيرة الفيحاء
المشبعة ليريفوا مما بها من آلاء ، وليطعموا من
خيرها الكثير ؟ أتصرفنا عنها بنزقك وقلة بصرك
لنخبط طول الليل في هذا البحر الأجاج خبط
عشواء مع ما تكون الريح عليه حينئذ من شدة
وعنف ؟ خبرنا أيها الأحمق ما ذا نصنع إذا عصفت
بنا نكباء من الجنوب تحطم فلكنا ولا ينجينا من
بطشها حتى الآلهة ؟ أليس الأفضل لنا أن نرسو
في هذه الجزيرة فنقضي بها ليلنا ، حتى إذا انفلق
الإصباح أقلعنا منها على هدى ؟ ! »

وحبذ الملاحون ما قال ، فدار في خلدي أن لا بد
مما ليس منه بد ، وأن لا بد من وقوع القارعة
الكبرى بنا ، فقلت في كلمات يائسات : « لا ضير
يا يوريلوخوس ! وليس بي من بأس أن أخضع لما
تري الجماعة ؛ ولكن تعالوا جميعاً فأعطوني موثقم
ألا تذبجوا شاة ولا تجزروا نعمة مما هنا من هذه
القطعان ، مهما ألح عليكم السَّغْبُ ، وأضواكم
الجوع ... بل يكون حسبكم ما ختم من آكال
من عند سيرس »

وأقسموا أغلظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم عمووا
بالفلك في جون هادى ترفع في وسطه نافورة
رائحة ؛ فأرسوا ثمة ، وتدفعوا إلى الشاطئ ،
وراحوا يعدون وجبة النساء ؛ بيد أنهم سرعان

حتى إذا حان الحين جذبها إلى عل ترنح هنا وهناك .
هكذا كانت هذه اللعينة التي جذبت إلى كهفها
أشجع رجالنا وراحت تقتات بهم بين الصراخ
والبكاء ، وبين التوجع والأنين ، وكلهم يمد إلى
ذراعيه مستنجداً مستغيثاً في قنوط ويأس ! ! أبداً
ما وقعت عيناي في مشارق البحار ومغاربها ، بل في
جميع مخاطراتي ، على منظر أبعث للأسى ، وأمض
للنفس ، وأجرح للفؤاد ، من ذلك المنظر الرهيب !
وما كدنا نفلت من سكيللا وخاريديس بعد تلك
الفاجعة حتى اقتربنا من أرض الشمس ، حيث
ترعى قطعان هيريون^(١) الجميلة الكثيرة ذات الفراء
الناصعة ... ولقد كنت أسمع ثغاءها ورغاءها إذ أنا
على ظهر سفينتي في عرض البحر . وسرعان
ما ذكرت ما قاله لي الكاهن الطبيي الأعمى ، تيردياس
في هيدز ، عن هذه القطعان ، ثم ما أنذرتني به سيرس
سيدة إاييا من وجوب الابتعاد عن هذه الجزيرة التي
كانت منذ الأبد غواية للبشر ، حتى قمت في رجالي
فجعلت أحذرهم وأقول : « أيها الرفاق اسمعوا ؛ هذه
هي جزيرة الشمس المائلة التي حذرنا تيردياس الكاهن
الطبيي من الرسو بها أو الاقتراب منها . وكذلك
حذرتني منها سيرس ربة إاييا ، فإن كل ما لقينا من
أهوال ليس شيئاً إلى الهول الذي يحيق بنا إذا حللنا
بها . فاسمعوا نصحي وسيروا بنا نذر ع هذا البحر
نسلم من شر مستطير ، وبلاء لا يجيرنا منه مجير »
وكانوا يصغون إلى في حيرة وذ هول ، وما كدت

(١) في بعض المصادر أن الشمس غير هيريون ، وفي بعضها أنها هو ، وفي بعضها أنه أحد سواس عربتها

مخرجاً ... وبيننا أجوب الجزيرة إذا بي أبعد كثيراً
عن رفاقي ، فبدأ لي أن أسكن إلي منعطف دافئ
هادئ على سيف البحر ، فأغسل^(١) يدي مما علق بهما
من قدر ، ثم جلست أصلي للآلهة ، وأدعوها واحداً
بعد واحد أن تهني لنا من شدتنا مرفقاً ، ولكنها
جميعاً - وا أسفاه - أصمت آذانها عن دعائي ، ثم
أرسلت على طائفاً من الكرى ... فتمت يوماً
عميقاً ... بينما كان يوريلوخوس التمس يوسوس
إلى رفاقه فيقول : « أيها الأصدقاء ! أنا أخوكم في
البلاء فاسمعوا وعوا . ليس أشنع من الموت إلى النفس ،
ولكن الموت جوعاً هو أشنع ألوان المنايا التي يرتجف
منها الإنسان ... هلموا ... لنذبح من هذه الشاة
والنعم ، ولنضح للآلهة أضخم ثيران الشمس ،
ولننذر أن نبنى للرب المبارك هيريون هيكلاً عظيماً
حالما نصل سالمين إلى إيثاكا ، ولننذر أيضاً أن نجعل
في الهيكل من الطرف والتحف ما يرضى الآلهة ويكفر
عن سيئتنا . أما إذا آثر أن يفرق فلكننا وتضافرت
معه جميع الآلهة على ذلك ، لأننا ألحقنا أذى بعدد
من قطعانه ، فاني أول من يجاهر بقبول الموت
مرة واحدة في أعماق هذا اليم ، على أن أموت
هذا الموت البطيء جوعاً ! » وزين لهم ما قال ،
فاستاقوا أسمن ما في القطعان التي كانت ترعى العشب
قريباً منهم ، ثم أطعموها أنضر أوراق الشجيرات
الباسقة إذ فرغ كل ما لديهم من الشعير ، ثم

مانحوا مسغبتهم حين تذكروا إخوانهم الذين غالتهم
سكيللا ، وراحت تغتذي بهم أمام كهفها السحيق
فأخذوا ييكونهم ويذرفون عليهم دموعهم حتى
غلبهم النعاس ، فناموا ... وفي الهزيع الثالث من
الليل ، حين عبرت النجوم فكانت في كبد السماء ،
ساق چوف رب السحاب الثقيل ريحا جابت البر
والبحر ، وغمرت بهما بماء منهمر ، ثم عقد في الكون
ظلمات فوق ظلمات يتدجى بعضها في بعض ... ثم
أشرقت أورورا الوردية ، فهضنا من مراقدنا ،
وسحبنا الفلك إلى غار كان لبعض عرائس البحر
يرقصن به أو يستروحن فيه ؛ وما كاد شملنا يجتمع
ثمة حتى نهضت في رجالي أقول : « أيها الرفاق إننا
ما ينقصنا غذاء ، وما بنا من حاجة إلى أكل ، فعنا
من ذلك الشيء الكثير ، فاياكم وأن تمسوا هذه
القطعان بأذى ؛ وحسبكم أن تعلموا أنها ملك خالص
لربة الشمس التي تراكم أينما كنتم » وهكذا أيقظت
في نفوسهم النخوة . ثم إنا لبثنا في تلك الجزيرة
شهرًا ما نريم عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول ؛
ذلك لأن الدبور^(١) ظلت تهب من الجنوب في
صرامة وبشدة ، فاذا هدأت ، لم تهدأ إلا لتهب ريح
شرقية أشد منها عنفا . لم يمسوا قطعان الجزيرة
السائمة بأذى مادام لم ينفد ما كان معهم من طعام .
فلما تناقصت ميرتهم راحوا يتلمسون صيد البر
والبحر ، أما أنا فكنت أجوس خلال الجزيرة عسى
أن ألقى إلهها أضرع إليه فيجعل لنا من أمرنا

(١) كان غسل اليدين كالوضوء عندنا شرطاً لا تصح

الصلاة اليونانية بدونه

(١) ربح الجنوب ضد الصبا

على هينتك ؛ بل ظل مشرقاً على بنى الموتى الدائنين
 فى تلك الأرض ، وإنى مسخر صواعقى على سفينتهم
 فى عرض البحر فى مثل لمح البصر فتذهب بها
 وبهم أبديداً . . . أما من أخبرنى هذا فقد نبأتني
 به كليسو ، فقد حدثها به هرمز رسول الآلهة . . .
 ثم وقفت فيهم أنهرهم وأني عليهم ، ولكن . . .
 وأسفاه ! أى انتهار وأني وقد سبق السيف
 العذل ؟! ثم حدثت المعجزة ! ! وبدأت السماء تشهد آياتها
 فقد تحركت الجلود الملقاة على الأرض وزحفت نحونا
 ثم سمعنا مضغ اللحم الغريض سواء منها ما ظل دون
 أن يمس وما علق منها بالسفايد ، وقد أرسل ثغاء
 وخواراً كأنها ما تزال على قيد الحياة ! . . . وهكذا ظل
 رفاقى يجزرون كل ثور حنيد من ماشية إله الشمس
 ويفتقدون بحواياها طوال ستة أيام ، حتى إذا كان السابع
 أمر جوف العاصفة فهدأت ، والبحر فتطمأن ، فأهبطنا
 إلى الفلك فأنزلناه فى اليم ، ونشرنا الشراع ، وأقلعنا
 حيث لا ندرى ماذا يراد بنا ! ! ثم غابت الأرض
 عن الأنظار ، ولم يكن إلا البحر من ورائنا وأماننا
 وعن شمائلنا وأيماننا . . . ثم السماء من فوقنا . . . ثم
 شرع زفيروس^(١) يهب ويهب ، ويقلب اللج من
 حولنا ، ثم اشتد واشتد ، وصار ريحاً عاصفاً
 هوجاء ، كسرت قلاعنا وحطمت سكاكنا ، وذابت
 بقلب الربان المسكين فلم يعد له صبر ولا جلد . . . ثم
 سلط علينا جوف صواعقه فقصمنا ، وحطم سفينتنا
 فترنحت أول الأمر ، ثم غاصت إلى الأعماق ،

(١) إله الصبا .

صلوا للآلهة ، وجزروا الحيوانات البائسة ثم
 سلخوها ، وفصلوا الأنخاز والشحم ، وقذفوا بها
 إلى النار تقدمه للآلهة وقرباناً . . . ولم يكن معهم
 خمر ليطمئنا بها الشعائر القدسية ، فقفوا فى النار
 بدلاً منها ماء قراحاً . . . وجلسوا بعد هذا يعدون
 سواءهم من الحوايا^(١) والكبد وما إلى ذلك مما فى
 جوف البهيم ؛ حتى إذا طعموا ملء بطونهم انطرحوا
 فى مراقدهم بينما استيقظت فجأة من سباتي ونهضت
 لأنطلق فى طريقى صوبهم . وما كدت أشرف عليهم
 حتى ملأ خياشيمى قنار^(٢) ما فعلوا ، فوجت وجوماً
 شديداً ؛ ثم أجهشت ، ثم استخرطت فى بكاء طويل
 وضرعت إلى الآلهة وظللت أقول : « أهكذا يا أرباب
 السماء تلقون على ذلك الطائف من الكرى فيفعل
 أصحابى ما فعلوا إذ أنا أعطى فى نوم عميق ؟ » . .
 وطاررت لبتيا بالخبر المشؤم إلى إله الشمس فنار ثأره
 وطفق يصخب ويهتف بالآلهة ويقول : « يا جوف
 العلى ، وأنت يا آلهة السموات ! إئنارى لما فعل
 السفهاء من رجال أودسيوس . لقد اجتروا وفجزروا
 من نعمي وشأى التى هى بهجتى وأنسى والتى أرمقها
 أبداً من علياء السماء ؛ فإن لم تنتقمى لى فوعزتى
 لأهبطن بشمسى إلى هيدز فأنير آفاقها ، وأضفى
 أضوائى على الأشباح ثمة (وأدع هذا العالم المشرق
 الجليل يضرب فى دياجير ما مثلها دياجير . »
 وأجابه رب السحاب الثقيل فقال : « يا إله الشمس

(١) الأمعاء .

(٢) ريح الشواء .



سكيللا الهائلة طافياً هنالك ! إذن ما استطاع إتقاضي
رب الأرباب نفسه من مخالبها وأنيابها !! ثم بقيت هكذا
تسعة أيام بلياليها . . . يصرعني البحر وأصرعه ،
ويناضلني الموج وأناضله ، حتى رثت الآلهة لخالي
فساقتني في العاشر إلى أوجيجيا ، جزيرة عروس
الماء كليپسو ، فرسوت ثمة في ليلة ليلاء ، مظلمة
طخياء . . . وقد نالني من كرم العروس وجميل
معروفها ما رد إلى قواي ، وأثابني عما لقيت من
شقوة وأرزاء ...

ولكن لم هذا ؟ لقد تمتعت قصتي مع كليپسو
من قبل ، إذ رويتها للملك ولزوجه أمس ، وإني
لأكره الحديث المعاد

(تمت قصة أوديسيوس)

دريتي غشبية

(يتبع)



تصحيح

نأسف ونعتذر لأن أربعة أسطر في صفحة ٩٠٢
من العدد الماضي وهي التي في أول العمود الأيمن
وضعت مكان أربعة الأسطر التي في آخره فاختلف
السياق وضاع المعنى . وتصحيحها بالطبع أن تنقل
الأسطر الأربعة التي في آخر العمود إلى أوله ، وتنقل
الأربعة التي أوله إلى آخره ، فيتصل الكلام

وطفونا على سطح البحر الغاضب بلا أدنى أمل في أي
شيء بله العودة إلى بلادنا . . . ولقد كنت
أرقب حطام الفلك يطفو معنا ويفوص ، حتى عن
لي أن أعلق بالهراب القريب مني ، فطويت عليه
قطعة من الشراع الممزق وجعلته لي ثمماً لصقت
به ، بينا نامت الشمال لسوء حظي ، وأخذت
الجنوب تهب في عنفوان وبأس ، وتدفعني بقسوة
وقوة حتى خيل لي أنها ستنتهي بي إلى عين خاربيديس
الحمئة . . . يا للهول ! لقد مضى على ليل أيما ليل ...
حتى إذا أشرقت ذكاء ، رأيتني وبالأسف عند صخرة
سكيللا ، وعلى مسافة من عين خاربيديس . ولحسن
حظي كانت اللعينة قد ابتلعت كل مياه الشاطئ ...
ثم دفعتني موجة من الأعماق فاستطعت أن أعلق
بأحد أغصان التينة الهائلة النامية فوق صخرتها ،
فبقيت لاصقاً به كالخفاش لا يمكنني أن أهبط أو أن
أتسلق لعظم ما كانت الأغصان تبتعد من الأرض
وتعتمد من حولي ، ولأنها كانت تعرش من فوق
خاربيديس ، حتى كنت أرتعد من فزع وهلع عندما
كنت أبصر تحتي فأرى العين الحمئة الملعونة تبتلع
الموجة إثر الموجة ؛ ثم رأيت الهراب وقطعة الشراع
التي كنت عالقاً بهما ينقذان نحوهما ويكونان تحتي
فطربت ولو أن هذا جاء متأخراً حتى ريع قلبي
ووهنت قواي ؛ وغمرني شعور الذي انفرجت أزمته ،
وكشفت عنه غمته ، فهويت إلى الماء ، وتعلقت بهما
بقبضتين مستميتين . . . ويلاه علي !! أواه ! لو لمحتني

طُبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة عجم رقم ٧

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد السادس عشر ١٠ رجب سنة ١٣٥٦ — ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | | | |
|------|-------------------------|-----------------------------|---|
| ٩٧٠ | على الحديدية | أقصوصة مصرية | بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني |
| ٩٧٤ | قصة بلا نهاية | للكاتب الروسي أنطون تشيخوف | بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي |
| ٩٨٢ | المرض المتبادل | أقصوصة مصرية | بقلم الأديب نجيب محفوظ |
| ٩٨٧ | جبات | للقصصي الفرنسي دي موباسان | بقلم السيد محمد العزاوي |
| ٩٩٣ | فاوست | للكاتب الروسي تشيركوف | بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب |
| ١٠٠١ | على الباغي تدور الدوائر | مترجمة عن الإنجليزية | بقلم الأديب أميل فرج |
| ١٠١٣ | إنها أمي | أقصوصة مصرية | بقلم الأستاذ محمود خيرت |
| ١٠١٧ | الغلب الفضي | للقصصية الألمانية فيكي باوم | بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى |
| ١٠٢٣ | اعترافات فتى العصر | لألفريد دي موسيه | بقلم الأستاذ فليكس فارس |

2017-11-15

وفراغاً من الطعام فاضطجع أحمد في كرسیه ،
وقد امتلاً ورضى عن الدنيا ، فناوله جميل سيجارة
فأشعلها وراح يدخن مسروراً ، فدار رأسه وزاغ
بصره ، كما هي العادة إذا انقطع المرء عن التدخين
وقتاً ثم عاد إليه . ولح جميل ذلك فhez رأسه أسفاً ،
وعز عليه ماصار إليه أمر صديقه . وكان يعرف في
أحمد الأباء والعفة فاتقن أن يصارحه بشيء أو أن يلح
عليه بالأسئلة لئلا يجرح إحساسه .

وقال جميل : « والآن . . ما قولك ؟ . . هل
تريد أن تذهب إلى مكان معين فأحملك إليه ؟ »
فقال أحمد وقد شعر أن ليس في وسعه بعد
هذه الأكلة الهنية أن يحكي قدميه بالمشي بحثاً عن
عمل : « لا . سأرجع إلى البيت »

وعاد إلى بيته يمشي الهوينى ، وفي قلبه سكينه ؛
وامتدت يده إلى جيبه — عفواً لا عمدأ — فأحس
شيئاً صلباً فيه ، فدهش وأخرجه فإذا هو علبة
سجائر ! « فوقف مكانه ، وقد تفصد جيبه عرقاً ،
فقد كبر في ظنه أن يده لا بد أن تكون قد امتدت
إلى هذه العلبة وتناولتها ودمتها في جيبه وهو غير
مدرك لما يصنع ! ففوا خجلناه ! وماذا عسى أن يقول
جميل حين يفتقد علبته ؟ لن تأخذه حيرة في الاهتداء
إلى الذي أخذها ومضى بها ، فما كان معه في البيت
سواه ، وهذه الخادمة الصبية التي لا يعقل أن تكون
من المدخنات ؛ وهبها كانت منهن فإن جميلاً ما كان
يحفظ بها لو أن يدها كانت طويلة ؛ ثم إن العهد
بها قديم ، فلا وجه للاشتباه فيها . ولا نكران أن
جميلاً كريم عظيم المروءة ، ولكنه ليس من الكرم
أن يكون المرء عرض اللصوص ؛ ولو أنه طلب منه
العلبة لما تردد في تركها له ، فلاداعي للسطو ، ولكن
كيف فعل هذا ؟ إنه لا يذكر أنه خطر له أن يأخذ
العلبة ، بل لا يذكر أنه غنى بأن ينظر إليها ، وكل

وإن كان لا عيب فيها إلا أنها غير مكوية ، وصفق
جميل — فقد كان هذا اسمه — فأقبلت خادمة شابة
فقال لها : « إني ميت من الجوع . . فهات لي بسرعة
شيئاً يؤكل »

وكان لا يكف عن التحديق في وجه أحمد فقد
راعه اصفراره ثم سأله :

« هل كنت مريضاً ؟ »

فقال أحمد وهو يتكاف الاستخفاف : « لا . .
أبدأ . . تعب بس »

فسأله : « العمل كثير ؟ . . »

فزل لسان أحمد وقال وهو يضحك : « لا كثير
ولا قليل » وأراد أن يتدارك الأمر فقال : « شيء
بسيط على كل حال »

ففتن جميل إلى الحقيقة كلها وأدرك أن هذا
اصفرار الجوع

وأعد الطعام فجلسا إلى المائدة ، ولم يكن جميل
يموت من الجوع كما قال لخادمتة فجعل همه أن
يتكلم ، وأن يحث أحمد على الأكل ؛ وأقبل أحمد
على الطعام في أول الأمر متعففاً يتناول بقدر ولكن
الطبيعة غلبته ، فما ذاق طعاماً حسناً كهذا منذ
أسبوعين ، فلم يعد يبالي أن يتكلف أو يتظاهر
بالزهد . وكان ربما تذكر زوجته وهو يلهم اللقم
فيتمنى لو استطاع أن يحمل إليها بعض ما أمامه من
الألوان . ولكن كيف يصنع ذلك ؛ ويحدث نفسه
أنها لو كانت خرجت معه لكانت الآن تأكل بلا
حرج أو خجل . ولم يخطر لأحمد أن جميلاً عرف
حقيقة حاله . نعم زل لسانه بما يفيد أنه لا عمل له
الآن ولكن هذا ليس معناه أنه هو وزوجته لا يكادان
يجدان الكفاف وأنهما يستعينان على العيش برهن
أشياء مما في البيت حتى لم يبق إلا الفرش والأوعية
والأدوات التي لا يستغنى عنها ولا يحجى رهنها بشيء .
وهذا كله لا يعرفه — ولا يمكن أن يعرفه — جميل

إنه سيرجع أدراجه لعله يعثر على الظرف حيث سقط
ولا نحتاج أن نقول إنه لم يجد شيئاً !

ومضى يومان انقطع في خلالها تيار الكهرباء،
وازدادت الحالة سوءاً، وكان شر ما فيها وأشقاه على
الزوجة أن لا ماء في البيت، وأن الالتجاء إلى
جار أو غيره يفضي إلى الفضيحة وهتك السر؛ ولم
تكن تدري أن ما تحرص على كتمانها معروف، وأن
الجيران لا يلغطون بشيء كغطهم به، وأن هذا أمتع
ما تدور عليه أحاديثهم في مجالسهم وسهراتهم، وكانوا
ينصفونها ويحمدون منها تعفها وتجلدها وتسترها،
ولكنها هي كانت لا تعرف هذا، ولا يعينها إلا أن
من الواجب أن تستر هذه الخلعة حتى تنفرج الأزمة
وتتفتح أبواب الرزق. وكانت تنفق ما تحصل عليه
من رهن أشياءها على الطعام، وكان الأمر يحتاج
إلى التقدير الشديد، والحساب الدقيق، لقلّة ما تأخذه
من الراي الذي كان يعطيها القروش وكأنه يسكنها
من جلده. وقد نفذ ما يسعها رهنه، ولم يبق إلا
الآثا وما إليه؛ وكان الجزع ينتابها حين تفكر في
أنها ستضطر أن تخرج هذه الأشياء فيراها الجيران
ويعلمون إلى أين تذهب؟؟ وإذا طالت بطالة أحمد
أسابيع أخرى فلن يصبح من الميسور الاحتيا
لتدبير أجرة البيت، وحينئذ ماذا يكون المصير، ولا
ضرب لأحد على مفلس؟؟

ودخل الليل والرجل وامرأته جالسان، ساهمين
لا يتكلمان، وإذا بياب الشقة يذق دقاً عنيفاً، فذعرا
وتبادلا نظرات الاستغراب. ومن ترى يكون الطارق
في هذا الوقت؟؟ وماذا ينبغي؟؟ وماذا عسى أن
يقدم إليه إن كان زائراً؟

وتوالى الدق وتعالى، فهض أحمد وهو يقول لامرأته:
« ما العمل؟ ليس عندنا نور... ولا جاز ولا
شمع... لا حول ولا قوة إلا بالله »

ما يذكركم أنه كان قرير العين جداً وهو يدخن السجارة
بعد أن زال عنه الدوار، حتى الدوار الذي اعتراه لم
يكن يخلو من لذة

والآن ماذا يصنع؟ لم يتردد أحمد في أن الواجب
هو أن يحتفظ بالسجائر ليردها إلى جميل متى سنحت
له فرصة يزوره فيها، وعليه أن يعجل بذلك ليحو
من نفس جميل ما عسى أن يكون قد دار فيها،
وبذلك يصبح الأمر مدعاة للضحك

وبلغ البيت وهو مبهرم الغزم على ذلك، فألقى
زوجته جالسة إلى المائدة وفي يدها قلم، وأمامها ورقة
عليها أرقام شتى، فضحك وهو يقول:
« ما أغرب أن يغري المفلسون بالحساب!!
أم تراك وجدت رزقاً يا امرأة؟ »
فقلت وهي متجهمة: « أقعد. أين أوراق
الرهن؟ »

فسألها: « ما حاجتك إليها؟ »
قالت: « سبحان الله! أريد أن أعرف حساب
البيت على وجه الدقة »
قال: « أي بيت؟؟ ما بقي من البيت لنا، أم
ما انتقل إلى ذلك الراي؟ »
قالت: « هات بس! »

فدس يده في جيبه فأخرج علبة السجائر، ثم
دسها مرة أخرى ليخرج الظرف الذي يحفظ فيه
أوراق الرهن، فلم يجد شيئاً! فبهت واصفر وجهه
وزاغت عيناه؛ ورأت منه ذلك فسألته: « مالك »
قال: « مالي؟ ضاع الورق! »

قالت: « يا خبر أسود! ضاعت أشياء كلها،
ومصوغاتي جميعاً! »

فهض أحمد، وجعل ينفذ جيوبه واحداً واحداً
بلا فائدة، فانحط على كرسي وقد أيقن أن الظرف وقع
منه حينما أخرج عليه السجائر، وأخبرها بذلك، وقال

زوجته ذاهلة مرتبكة ، وكان كل شيء قد أعد ،
فاستقبلها الجمع بالتحية والبشر ، وأجلسوها في
الصدر ، وجلسوا هم كيفما اتفق ، وبدأ الأكل من

ولكل شيء آخر .
نهض الخمسة ، عن كراسيهم ، وودعوا أحمد
وزوجته ، وانصرفوا بمثل الضجة المرححة التي دخلوا
بها ، وأغلق الباب ، فوقف الرجل وامرأته ينظران
إلى المائدة التي تركها القوم مثقلة بما يكفي المدير
المقتصد بضعة أيام .

وشرع أحمد يرد الكرسي إلى مواضعها على
حين كانت زوجته ترفع الطعام وإذا به يرى ظرفاً
على كرسي فتناوله بيد مرتعشة وفتحه فقرأ فيه :
« غزال إخوانك ، وكروا عليك هذه الكرة
المباغثة لأنك أخفيت عنهم أمرك ، وحرمتهم أن
يؤدوا لك بعض الواجب . ولا خير فيمن لا يعرف
صديقه إلا في حال يسره واستغناؤه ؛ وليس ذنبك
أنك تبطلت أياماً أو أسابيع فإن كل امرئ عرضة
لذلك ، والدنيا مثل الخيارة . . . »

غداً تستطيع أن تقابل مدير مصنع الزجاج . . .
ليكل اليك العمل الذي استطعنا أن نجده لك على عجل ،
وهذه دفعة على الحساب ، تردها متى وكيف شئت .
وسيعود الماء والنور غداً . . .

رئيس الرابطة : جميل
فسالت الدموع على خدي أحمد ودفع بالكتاب
إلى زوجته ، في صمت ، وهم بالخروج فوقعت عينه على
ربطة صغيرة في زاوية ، فوقف يتأملها هنيهة ثم مد يده
إليها وفكها فإذا فيها كل ما كان مرهوناً عند المرابي !
في هذه اللحظة فقط أدرك أنه لم يسرق
(سجار) ولم يفقد أوزاق الرهن . . .
ابراهيم عبد القادر المازني

ولم تستطع المرأة أن تبقى لتواجه القادم ، كائناً
من كان ، ولو كان أباهاً أو أخاه ، فقد كانت تكتم
الأمر حتى عن أهلها ، فهربت إلى غرفة النوم ،
وتركت أحمد يفتح الباب ويتصرف كما يلهمه الله .

وفتح أحمد الباب محاذراً وأطل بوجهه ليرى
من القادم وإذا به يبصر جيلاً وأربعة من جماعته
— وهم جميعاً يعرفون أحمد — فارتد عن الباب
مضطرباً ، وقد دار بنفسه أن هؤلاء آخر من كان
يطبق أن يعرفوا حاله فإنهم من أهل الثراء ، ثم إنهم
خمس فماذا يصنع ؟

وألمه الله أن يقول لجميل « جميل بك ؟ تفضل !
ولكن أرجو أن تلموا السكينة ! الست متعبة
وراقدة ؛ تفضلوا . . . نيتكم ، ولكن في سكون من
فضلكم . . . واعذروني إذا لم أقدم لكم قهوة أو
شيئاً ، فأني لا أعرف كيف أصنعها . . . ولا مؤاخذه ؛
تفضلوا . . . أهلاً وسهلاً »

وارتاح وخلصت أنفاسه بعد أن قال ذلك ،
وأحس أنه استطاع أن ينجو من الفضيحة ، وأنه
ستر الحال على خير وجه وأبعثه على الرضى
ولكن أصحابه لم يلزموا السكينة ، ولم يحرصوا
على راحة المريضة المزعومة ، فقد كانوا أعرف
بالحقيقة من أن يصدقوا ذلك ، فدخلوا يغنون ،
ووقف جميل في وسط « الصالة » يقول :

« أيها الأتباع المخلصون . . . ضعوا مامعكم ،
ورتبوا السفرة ! » والتفت إلى أحمد وقال :
« تفضل بدعوة السيدة الكريمة فقد جئنا متطفلين
لنتعشى على مأدبتها . . . ولن يطيب لنا طعام بغيرها »
وكان الأربعة قد شرعوا يعدون المائدة
ويخرجون الأطباق ويضعونها عليها ، ويفكون
الربطات التي يحملونها بعد أن أوقدوا شموعاً جاءوا
بها معهم ، فخرج أحمد والدمع يترقرق في عينيه وعاد

قصة الانهاية

للكاتب الروسي أنطون تشيخوف
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

وجدت الباب الداخلي
غير موصد ، ففتحته
ومررت إلى المدخل
فلم أرى بصيص من
الضوء ، فقد كان
الظلام حالكا . وفي
ذلك الظلام شممت
رائحة بخور يملأ الجو .

وبينا أتحمس طريق الخروج من المدخل صدمت
كوعى بشئ مصنوع من الحديد ، وتعثرت في
الظلام بمائدة لم أتبين نوعها فكادت تسقط على
الأرض . واهتديت آخر الأمر إلى الباب المغلق
بقماش من الصوف الخشن ، فاجتزته إلى ردهة
صغيرة

وما أكتب الساعة قصة خيالية ؛ وأبعد
ما أفكر فيه هو إثارة مخاوف القارئ ، ولكن
الصورة التي وقع عليها نظري وقد تخطيت عتبة
الباب ، صورة شبحية لا تستطيع غير يد الموت
رسمها . فلقد كان في مواجهتي مباشرة باب يؤدي
إلى غرفة انتظار صغيرة . وكان في الغرفة ثلاث
شمعات من النوع الرخيص موضوعة في صف
واحد ، تاتي ضوءاً ضئيلاً على الجدران المغطاة
بورق رصاصي باهت اللون . وفي وسط الغرفة
مائدتان وضع عليهما نعل . على جانب رأسه شمعتان
لا يكاد يكتفي ضوءهما لإظهار معالم وجه أصفر قائم
نصف مفتوح الفم مدبب الأنف . وقد لفت الجثة
بقماش من الموشلين في غير نظام ، من الرأس إلى
أطراف القدمين ، وقد برزت من بين هذا الكفن
يدان صفراوان جامدتان قابضتان على صليبين من

منذ سنوات عديدة ، وفي الساعة الثانية صباحا
اندفعت طاهيتي إلى مكثي — على غير انتظار —
باهتة اللون مضطربة ، وخبرتني أن السيدة ميمونية
العجوز ، مالكة البيت المجاور لبيتني جالسة في المطبخ.
وقالت الطاهية وهي تلهث :

« وهي ترجو ياسيدي أن تذهب إليها ، فقد
أصاب السوء نزيل دارها ... فقد أطلق على نفسه
الرصاص ، أو هو قد شنق نفسه »
فقلت :

« وماذا أستطيع أن أفعل .. فلتذهب إلى الطبيب
أو إلى البوليس ! »
قالت الطاهية :

« وكيف تستطيع هي أن تبحث عن طبيب !
إنها لا تقدر على التنفس إلا في عناء وجهه ، ولقد
تجمعت منكشة تحت الموقد .. فهي هالعة لا تملك
أعضائها .. فمن الإحسان أن تذهب إليها ياسيدي »
فارتديت معطفي وقبعتي وقصدت إلى بيت السيدة
ميمونية . وكان الباب الخارجي الذي أتجهت إليه
مفتوحاً ، فوقفت بجواره لحظة متردداً فيما أفعل ،
ثم تخطيت عتبه داخلاً إلى فناء غير باحث عن
جرس البواب .. وفي الظلام تحت السقيفة المهدمة

في عينيه الكبيرتين اللتين رفعهما نحوى صورة معجزة الوصف من الفرع والألم والتوسل ؛ وكان العرق المتحدر من جبينه ، والمعنى البادي على وجهه ، وارتجاف يديه اللتين اتكأ عليهما ، وتنفسه الثقيل ، وأسنانه المتقلصة ؛ كان ذلك كله ناطقاً بأنه يعاني من الألم ما لا تحمله القوة البشرية . ورأيت المسدس ماقى على مقربة منه وسط بركة من الدم

فلما انطفأ عود الثقاب سمعت صوتاً خافتاً يناديني : « لا تذهب ، وستجد شمعة فوق المائدة » فأشعلت الشمعة ووقفت وسط الغرفة لا أدري ما أنا فاعل بعد . ووقفت أنظر إلى الرجل الجالس على الأرض وقد خيل إلى أننى رأيته من قبل وقال الرجل هامساً : الألم فوق ما أحتمل ... وليس بي من القوة ما يمكننى من إطلاق الرصاص على نفسى مرة أخرى . وهذا عجز في الإرادة غير مفهوم ... »

فطرحت معطافى عن كتفى وانحنيت على الرجل الجريح أعنى بأمره ... فحملته كالطفل بين ساعدى وأرقدته على الصفة المغطاة بالجلد الأمريكى ، وخلعت عنه ملابسه فى عناية ورفق ، وقد ارتجف برداً عند ما عريته . ولكن الجرح الذى رأيته لم يكن ليتفق مع رجفته ولا مع الذى بدا على وجهه من معانى الألم . فقد كان جرحاً صغيراً ، وقد صرت الرصاصة بين الضلعين الخامس والسادس فى الجانب الأيسر فلم تزد على أن قطعت الجلد واللحم ، وقد وجدت الرصاصة نفسها مستقرة فى طيات بطانة سترته بالقرب من الجيب الخلقى . فوقفت التزيف بخير ما استطعت من الوسائل ، واصطنعت له ضمادة وقتية من قماش إحدى الوسائد ومنشفة ومنديلين

الشمع . وكانت أركان الغرفة الصغيرة المظلمة القابضة للنفس ، والأياقين القاعمة وراء النعش ، والنعش نفسه ، وفى الجملة كل شىء فى الغرفة ، غير بصيص الضوء الخفيف ، كان ساكناً سكوت الموت ، كأنها القبر

فقلت فى نفسى وقد أجمتني هذه الصورة غير المنتظرة من صور الموت :

« ما أعجب هذا ! ولماذا هذه العجلة ؟ إن نزيل هذه الدار لم يكد ينتهى — على ما علمت — من شنىق نفسه أو من إطلاق الرصاص عليها . . وهذا نعشه قد أعد بالفعل ! »

والتفت حولى فرأيت إلى الشمال باباً نصفه من الزجاج ، ورأيت إلى اليمين مشججاً مائلاً علق عليه معطف رث من الفراء وسمعت أنين إنسان يقول :

« الماء . . . »

وجاء الأنين من جهة الشمال من وراء الباب الزجاجى ، ففتحت ذلك الباب ودخلت إلى الغرفة الصغيرة ذات النافذة الوحيدة التى تسرب من خلالها ضوء خفيف منبعث من مصباح الطريق فقلت متسائلاً :

« أوجد أحد هنا ؟ » ودون انتظار للجواب أشعلت عوداً من الثقاب وهالك ما رأيته على ضوءه : رأيته رجلاً جالساً عند قدمى فوق الأرض الملطخة بالدماء . ولو أن خطوتى كانت أوسع لو طأته قدمائى ؛ وكانت ساقاه ممدودتين إلى الأمام وكفاه تضغطان الأرض ، باذلاً بهذه الحركة جهده لرفع وجهه الجميل وقد غطاه شحوب وسط لحيته حالكة السواد ؛ وقد قرأت

« ما أشد الريح ! وما أقسى صفيها ! »

فقلت :

« نعم إنها شديدة . . . والآن يخيل إلى أنني أعرفك » ألم يكن لك دور في المرسحية الخاصة التي مثلت بدار الجنرال لوهاشيف في السنة الماضية ؟ »

ففتح عينيه وسأل متعجلاً :

« وماذا في هذا ؟ »

وكأنما قد غشت عينيه سحابة قائمة

فقلت :

— « إني على التحقيق قد رأيتك هناك .

أليس اسمك فاسيليف ؟ »

— « إذا صح ذلك فماذا وراءه ؟ إنه لن يحسن

من حالي أن تعرفني »

— « لا ولكنه مجرد سؤال »

وأطبق فاسيليف عينيه ، وكأنما هو قد امتعض

فأدار وجهه إلى ظهر الصفة . وقال متمماً :

« لست أفهم معنى لهفتك . ولعلك تسألني بعد

ذلك عن السبب الذي دفعني إلى الانتحار ! »

وقبل أن تمضي دقيقة واحدة أدار وجهه إلى

مرة أخرى وفتح عينيه وقال في لهجة باكية :

« أرجو أن تغفر لي لهجتي . ولكنك ستقرني

على أنني مصيب ! فليس من الكرم أن تسأل محكوما

عليه كيف دخل السجن ، ولا أن تسأل متنجراً لماذا

أطلق الرصاص على نفسه . . . نعم ليس ذلك من

الكرم ولا من الرقة . . . أن يشفي الإنسان لهفته

البليدة على حساب أعصاب إنسان آخر ! »

فقلت للرجل مثلطفاً :

« ليس هناك ما يدعوك لأن تثير أعصابك . . .

فلم يخطر لي قط أن أسألك عن تصرفاتك »

وقد كنت له قدحاً من الماء ثم غطيته بمعطف الفرو المعلق على المشجب ، ولم ينبس أحداً بكلمة واحدة في أثناء هذه العملية . فقد مضيت في عملي بينما هو راقد لا يتحرك ينظر إلي بعينين مسبلتين كأنما هو يشعر بالحجل من فشله في الانتحار ومن التعب الذي سببه لي .

ولما انتهيت من تضميد جرحه قلت له :

« والآن أرجو أن تسكن في مكانك فلا تتحرك ،

حتى أذهب إلى الصيدلية فأحضر بعض الشيء »

فأمسك بكفي وفتح عينيه الواسعتين وقال :

« ليس ثمت ما يدعو إلى ذهابك »

وقرأت في عيني الرجل معاني الفزع ، ولقد

كان خائفاً من ذهابي ، ثم عاد يقول :

« نعم ليس هناك ما يدعو إلى ذهابك ، فابق

هنا خمس دقائق أخرى . . . أو عشرًا . . . إذا لم

يكن في ذلك ما يضايقك . أرجو يا سيدي أن تبقى

إلى جانبي »

وكان وهو يرجوني يرتجف وأسنانه تصطك .

فأجبت به إلى ما أراد وجلست على حافة الصفة . ومررت

عشر دقائق في سكون تام ، فقد جلست صامتاً أنظر

حولي إلى الغرفة التي جاء بي القدر إليها على غير

انتظار . فياله من منظر ينم عن الفقر المدقع ! فهذا

الرجل ذو الوجه النسائي الجميل واللحية الكثة المعنى

بها ، لم يكن حوله من المتاع ما يمكن أن يحسده عليه

أفقر العمال : صفة مغطاة بالجلد الأمريكي الممزق ،

وكرسي زخيف قدر ، ومائدة مغطاة بقطع من

الورق ، ولوحة قديمة معلقة على الجدار . . . هذا

هو كل ما رأيت . أما جو الغرفة فكان رطباً قابضاً

وقال الجريح وعينه مغمضتان :

الموت . أما الآن وقد أشعلت الشمعة وأنت جالس إلى جانبي فاني لا أنكر حتى في ساعة الموت ، فلتفسر لي هذا التغير إذا استطعت ! هل تحسنت أحوالي ؟ أم هل بعثت امرأتي من الموت فانتفضت ناهضة من نعشها الذي ترقد فيه على بضع خطوات من هذا المكان ؟ أم ترى هو تأثير الضوء في نفسي وحضور شخص غريب إلى جانبي ؟ »
فأجبت لمجرد أن أقول شيئاً :

« لا شك في أن للضوء تأثيراً ؛ وتأثيره في التركيب العضوي للانسان ... »
فقاطعتني بقوله :

« إتنا نسلم بتأثير الضوء ... ولكنك تعلم أن هناك أناساً ينتحرون على ضوء الشموع . ! وإنه ليكون من الشائن حقاً لأبطال رواياتك أن يستطيع شيء تافه كالشمعة تغيير مجرى مآسيهم مثل هذا التغير المفاجئ ... وربما أمكن تفسير كل هذا السخف ، ولكن لسنا نحن الذين نستطيع تفسيره ؛ ومن العبث أن يسأل الانسان أسئلة ما ، أو أن يقدم معلومات ما فيما لا يفهمه ... »

قلت :

« عفواً ... ولكنني أستطيع ، مما يبدو على وجهك ، أن أحكم بأنك في هذه الساعة ... تصطنع ما تقول »

فاجفل فاسيليف وقال :

« نعم هذا جائز جداً ! فإني بطبيعتي « أبله مغرور » ! فيحسن أن تفسر لي ذلك إن كنت واثقاً بقوتك في قراءة الوجوه ! فمن نصف ساعة أطلقت (٢)

« لقد أوشكت أن تسألني ... وهذا ما يعمل به الناس دائماً ، ولو أنه ليس هناك من فائدة في السؤال . على انني لو أخبرتك لما صدقت أو لما فهمت ... ويجب أن أعترف انني أنا نفسي لا أفهم من الأمر شيئاً ... هناك عبارات تستعمل في إدارة البوليس وفي الصحف مثل قولهم : « الفشل في الحب » و « الفقر المدقع » ولكن الأسباب غير معروفة ... غير معروفة لي أنا وغير معروفة لك أو لإدارات الصحف حيث يتبجحون بأن يكتبوا « يوميات منتحر » والله وحده هو الذي يعرف حالة نفس الانسان الذي يقتل نفسه ، ولكن الناس لا يعرفون شيئاً من ذلك »

فقلت :

« كل هذا حسن ، ولكنك في حالك هذه يجب أن تلزم السكون فلا تتكلم »

ولكن لم يكن من الميسور أن أمنع جرمي من الكلام ، فقد أسند رأسه إلى كفه ، ومضى في الحديث بلهجة أستاذ عظيم فقال :

« لن يستطيع الانسان أبداً أن يفهم العوامل النفسية التي تحمل المنتحر على ارتكاب جريمته ! وكيف يستطيع الانسان أن يتكلم عن الأسباب ؟ فقد يدفعني اليوم سبب من الأسباب إلى اختطاف مسدس وإطلاقه على نفسي ، بينما هذا السبب نفسه لا يحملني غداً على التضحية ببيضة فاسدة ، فالأمر كله متعلق في الغالب بالحالة الخاصة التي يكون عليها الانسان في اللحظة المعينة ... ولأضرب المثل بنفسي ؛ فمن نصف ساعة مضت كنت أرغب رغبة ملحة في

« أليس ذلك مما يدعو إلى الانسراح ؟ يا الله
مما يرى الانسان ومما يسمع ! ولو كان من
الميسور أن نطبق هذا الهرج على قواعد الموسيقى
لأمكن كما يقول هملت :

« أن نلعن الجاهل وأن نغمر حواس البصر
والسمع بأسباب المتع »

وما كان أجدرني عندئذ بأن أفهم هذا النوع
من الموسيقى ! وكم كنت أستطيع أن أشعر بما
فيه من جمال ! ولكن قل لي في أي ساعة نحن ؟
قلت :

« نحن الآن في الساعة الثانية والدقيقة
الخامسة والخمسين »
قال :

« إذن لا يزال الصباح بعيداً ، وفي الصباح
تشيع الجنازة . وقد وضع لها برنامج لطيف ! وسيتبع
الانسان النعش وسط الوخل والمطر . ولا يرى في
طريقه غير السماء الملبدة بالغيوم وغير المناظر الكريهة
وفتيان الدير والحانات النائية والوعول النافرة . . .
وتفرق سراويل الانسان في الطين إلى الركب . . .
والشوارع التي لا نهاية لها . . . ويمر الوقت في بطة
كأنه الأبدية . . . والرجال الغلاظ القلوب . . .
وفي وسط الأحجار نجد حجراً . . . »

وصمت لحظة ثم قال فجأة :

« هل مضي عليك وقت طويل منذ رأيت
الجنرال لوها تشيف لآخر مرة ؟ »

« لم أره منذ الصيف »

« إنه مغرم بالتنقل ، ولكنه عجوز ضئيل الجسم

الرصاص على نفسي . . . وفي هذه الساعة تراني
أصطنع ما أقول . . . فسر لي هذا إن استطعت . . . »
نطق فاسيليف بهذه الكلمات الأخيرة في صوت
خافت متداع ، فقد أنهكه التعب ، ثم رقد صامتاً .
ومرت فترة سكون . فتدققت النظر في وجهه ، وقد
علته صفرة الموت ، وبدأ لي كأنما شعلة الحياة قد
انطفأت في نفسه ، وأن مظاهر الألم الذي أحس به
الرجل « الأبله المغرور » كانت هي وجدها التي
أظهرته في صورة من لا يزال حياً . . . وكان من
المؤلم أن ينظر الانسان إلى هذا الوجه . . . ولكن
ما هو شأن فاسيليف نفسه الذي مازال يحتفظ من
القوة ما يمكنه من الجدل ، ومن الاصطناع إن لم
أكن مخطئاً ؟

ورفع الفتى نفسه فجأة على مرفقه وقال :

« أنت هنا . . . أما زلت إلى جانبي ؟ بالله ! أصغ
إلى هذا ! »

فأصغيت وكان المطر ينهمر على النافذة المظلمة
ولا ينقطع لحظة واحدة ، وكانت الريح تهب عنيفة
مولولة ، ولقد سمعت السيدة ميمونية تقرأ في الغرفة
المجاورة هذه الكلمات في صوت خافت متعب :

« وسأكون أشد بياضاً من الثلج وستسمع
أذناي نغمات السرور والفرح »

ولم تكن نبرات السيدة ميمونية لترتفع أو
تنخفض فهي تقرأ هذه الكلمات الجافة على وتيرة
واحدة مملة

وأدار فاسيليف عينيه الجازعتين نحوي وقال
هامساً :

ظريف . أو مازلت تكتب القصص ؟ »

« نعم أكتب قليلا »

فقال الرجل :

« آه ! أنذكر كيف كنت أمرح كالأخرق

الأبله ، كالحمار الجامح في تلك القطع التمثيلية عند

ما كنت أتودد إلي زينا ؟ لقد كان ذلك سخفا مني

ولكنه كان جيلا ، وكان فكها . . . وإن مجرد

ذكره لتبعث أنفاساً من الريح . . . والآن ! ما أقسى

تغير المنظر ! هاك موضوعا تكتب فيه ! ولكن

لا تحاول أن تكتب « يوميات منتحر » فهذا فضلا

عن خشونته تقليد لشيء سابق . فلنستخرج من

هذا الموضوع شيئاً اجتماعياً فكها »

فقلت :

« أراك مرة أخرى . . . تصطنع ما تقول ،

فليس في موقفك هذا شيء فكها »

فاستوى فاسيليف جالساً وقد ترقق الدمع

في عينيه ، وبدأ على وجهه الباهت معنى الحزن العميق

وارتجف فكها وهو يقول :

« ليس فيه شيء مضحك ؟ تقول ليس فيه

شيء مضحك ؟ »

ثم توقف لحظة عن الكلام وعاد يقول :

« إنك تضحك من غش الكتبة الغشاشين

والزوجات الخائنات ، ولكنك لن تجد كاتباً غشاشاً

ولا زوجة خادعة قد غشا إنساناً بمثل ماغشني القدر !

لقد خدعت بما لم يخدع بمثله قط أحد المودعين

أموالهم المصارف أو أحد الأزواج المغفلين ! فلتأمل

إلى أي حد قد خدعني الحظ ! فلقد شهدت بعيني

رأسك أننى في العام الماضى لم أكن أعرف ما أفعل

بنفسى من فرط السعادة . . . والآن هاذا أمام

عينيك . . . »

وغاص رأس فاسيليف في الوسادة وضحك

ثم مضى يقول :

« ليس من الممكن أن يتصور الانسان ما هو

أشد من هذا التغير حماقة وسخفا . . . الفصل الأول

يحتوي على : الربيع والحب وشهر العسل ، شهر

العسل حقاً . . . والفصل الثانى : البحث عن عمل

ومكتب الرهون والشحوب والصيدلية . . . والغوص

غداً في الأوحال في الطريق إلى المقبرة »

ثم ضحك مرة أخرى . فشعرت بضيق شديد

وصممت على الخروج من ذلك المكان . فقلت :

« أرجوك ثانية أن ترقد هادئاً وسأذهب إلى

الصيدلية »

فلم يجبنى ، فارتديت معطني وخرجت من

الغرفة ، وعند اجتيازي الممر نظرت إلى النعش

والسيدة ميمونية تقرأ عليه . وحددت النظر عتياً

فلم أتمكن من أن أعرف في وجه زينا الأصفر

القاتم ذلك الوجه الفتان المملوء حياة ، الذى رأيته في

اجتماع دار الجنرال لوهاتشيف

فقلت في نفسى :

« طريق الانتقال . . . »

وعلى هذا غادرت البيت غير ناس أن آخذ

المسدس منى ، وذهبت إلى الصيدلية . ولكن

كان يجب ألا أذهب ، فقد وجدت ، بعد عودتي

فاسيليف راقداً فوق الضفة في حال إغماء ، وقد

ويرى السيدات كيف تنفي الفتيات الريفيات أغاني الحب ، والسيدات يضحكن مما يريهن ، وهو أيضاً يضحك ممتعاً نفسه بما يحيط به من مظاهر السرور وإني لأدعوه للحضور إلى غرفة مكثي ، فيبدو عليه أثر الامتناع لحرمانه ذلك الاجتماع الهنيء ، ويقبل على فيقف أمامي وقفة الرجل الذي ليس لديه من الوقت ما يضيعه في حضرتي . وإني لأعطيه هذه القصة وأسأله أن يقرأها . وإذا كان دائماً يتفضل بالخضوع لسلطاني فانه يتهد تنهد القاري الكسول ويجلس على كرسي كبير ثم يبدأ القراءة . فلا يلبث أن يقول وهو يتسم :

« تباً لذلك كله .. يالها من أهوال ! »

ولكنه كلما أمعن في القراءة ازداد وجهه تجمهاً ، وأخيراً تحت تأثير الذكريات الموحجة يصفر لونه اصفراراً مروعاً ، ويهم واقفاً ويستمر في القراءة وهو واقف ، حتى إذا انتهى من القراءة خطر في الغرفة من ركن إلى ركن .

وإني لأسأله :

« كيف تنتهي هذه القصة ؟ »

فيقول متسائلاً بدوره :

« كيف تنتهي ؟ ... »

ثم ينظر إلى الغرفة ، وإلى ، وإلى نفسه ... فيرى رداءه الجديد المصنوع على أحدث طراز ، ويسمع ضحكات السيدات في الغرفة المجاورة .. يرتجى على أحد الكراسي ويبدأ يضحك كما ضحك في تلك الليلة ثم يقول : « ألم أكن على حق عندما قلت لك إن الأمر كله عبث ؟ يا لله ! لقد كان على أن أحمل أثقالاً تقصم ظهر الفيل ، والشيطان يعلم مبلغ ما قاسيت من ألم .. وليس في الوجود من إنسان كان يستطيع أن يحتمل

انزعجت الضمادات بعنف عن الجرح فانفتح وسال منه الدم من جديد ، وقد أشرق الصباح قبل أن أتمكن من إفاقة الجريح ورد الصواب إليه ، وكان يهذي في أحلامه ، مرتجفاً ينظر في أرجاء الغرفة بعينين لا تبصران ، حتى أقبل النهار وسمعنا صوت القسيس يتلو الصلاة مسرعاً على رأس الميتة

ولما ملئت غرفة فاسيلييف بالعجائز وفتيات الدير ونقل النعش من مكانه وحمل إلى الفناء الخارجي نصحت للفتي بأن يلزم البيت ، ولكنه لم يستمع إلى نصحي على الرغم من ظلمة الجو وانهمار المطر ومما يعاني هو من ألم . وسار وراء النعش عارى الرأس صامتاً طوال الطريق إلى المقبرة ، ولم يكن يستطيع نقل قدم عن قدم إلا بجهد شديد ، وكان مابين فترة وأخرى يضغط جنبه الجريح بكف عصبية متقلصة ؛ وكان المعنى المادى على وجهه يدل على فقدان الشعور . ولم يحدث ، غير مرة واحدة عندما أيقظته من سباته بسؤال تافه ، أن حول نظره عن الأرض والسور الداكن ، فرأيت في عينيه لحظة بريق الغضب الحزين وقرأ على لوحة الارشاد كلمات :

« مل إلى اليمين » مكتوبة خطأ من ناحية الهجاء

فقال :

« يا لهم من جهلة أميين ، فليأخذهم الشيطان ! »

ولقد صحبتته من المقبرة إلى البيت

مضى عام واحد على هذه الليلة ، ولم يكذ فاسيلييف يبلى النعلين اللتين غاص بهما في الوحل وراء نعش امرأته

وفي هذه اللحظة التي أختتم فيها هذه القصة يجلس فاسيلييف في غرفة استقبال يعزف على البيانو

عند ما كان ينظر إلى النافذة المظلمة . وإني لأراه وهو يلبس دوره العادي في تمثيل المحدث الذي اللبى ، مستعداً لأن يعرض أمامي نظرياته البليدة كـ نظرية « تحويل المادة » وأذكر في الوقت نفسه جلسته في وسط بقع الدماء رافعاً إلى عينيه الدابلتين المتوسلتين .

وإني لأسأل نفسي في صوت عال :

« كيف تنتهي هذه القصة ؟ »

فيصفر فاسيليف ويسوى رباط رقبته ويسير متجهاً إلى غرفة الاستقبال فأنظر إليه محنقاً . ولسبب ما آسف على ما شهدت من آلامه الماضية ، آسف على كل ما شعرت به أنا نفسي نحو ذلك الرجل في تلك الليلة الفظيعة الهائلة وأنه ليخيل إلى كأنني قد فقدت شيئاً ... عبد الحميد حمدي

تاريخ الأدب العربي

لـأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمانه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

من الآلام فوق ما احتملت فيما أظن ، فأين هي آثار ذلك كله ؟ إن الأمر ليدعو إلى الدهشة . لقد كدت أظن أن الأثر الذي تركه الآلام القاسية في نفس الإنسان لا يمكن أن يمحي وتطمس معالمه وأنه لا بد باق أبداً . ومع ذلك أرى هذا الأثر يبلى بأسهل مما يبلى النعلان الرخيصتان ، ولم يبق منه شيء ولو تافهاً ضئيلاً ، حتى ليخيل إلى أنني لم أتألم قط في ذلك الحين ، بل لكأنني كنت أرقص رقصة المازوركا . إن كل ما في الوجود زائل ، وهذا الزوال نفسه عبث باطل ! وإنه ليدان واسع للروائي الاجتماعي ! فلتضع لقصتك ، يا صديقي ، خاتمة فكهة !

وهنا وصل إلى سمى صوت السيدات القلقات يتادين على بطل قصتي :

« بيتور نيكولا يفتش ، ألا تأتي في الحال ؟ »

فيجيب الرجل « المغرور الأبله » وهو يسوي رباط رقبته :

« في هذه الدقيقة »

ثم يتم حديثه معي فيقول :

« إن كل شيء عبث يدعو إلى الأسف يا صديقي .

نعم عبث يدعو إلى الأسف ، ولكن ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل ؟ إن كل شيء زائل ، وإني لأشكر — على كل حال — لأمتنا الطبيعة عملها في تحويل المادة . ولو أننا احتفظنا بذكرى موجهة لما ينتابنا من آلام الأسنان ومن جميع الأهوال التي لا بد أن يقاسيها كل واحد منا ، ولو أن كل هذه الأمور كانت باقية أبدية لقضينا نحن الفنانين المساكين أسوأ الأوقات في هذه الحياة الزائلة »

وإني لأنظر إلى وجهه الباسم فاذا كرم ما كانت تفيض به عيناه منذ عام من معاني اليأس والفرع

أيمكن أن تكون هي الجانية على نفسها ، وربما على زوجها أيضاً ... ؟

وما من شك في أن الزوج مهدد بخطر عظيم ، إن لم يكن أدركه بالفعل فهو على وشك أن يدركه ، وربما وقع في متناول الأذى أطفال أرباء يحبون ... فما العمل ؟ وكيف يتأتى له أن ينقذ هذه النفوس مما يوشك أن يحيق بها من غير أن يهتك ستر هذه المرأة الآثمة الهلعة المتألة ... ؟

وأحاط به هم التبليل والحيرة حتى ضاق صدره فحدث نفسه : لماذا أزج بنفسى في شئون الناس وآلامهم ..؟ إني طبيب وما ينبغي لى أن أجاوز حدود مهنتى .. وبين يدي امرأة ملوثة فلا شرع في معالجتها والأمـر من بعد ذلك لله ...

واطمأنت نفسه إلى هذا الرأى وهم بمباشرة عمله ، ولكن سرعان ما عاودته أفكاره وقسوته نفسه على مراجعة التفكير في أمر هذه الأسرة المهددة فرأى أن يتخذ طريقاً وسطاً فقال : —

« سيدتى ... ينبغي أن تعلمى أن زوجك في خطر عظيم ... وأن إخفاءك الأمر حيناً لن يمنع الحقيقة من الظهور »

فاختلجت عيناها كالزئبق المترجرج وقالت : —
« كم يقتضى العلاج من الزمن ... ؟ »
« أسبوعين على أقل تقدير ومع أكبر عناية »
« أوأه ... إنه الدمار »

« فأصابة زوجك محتومة ... »
« من اليسور أن أدعى توقعك المزاج هذه الفترة وأن أباعد ما بينى وبينه حتى أبرأ »
« فإن كان السيف قد سبق العذل ... ؟ »
« أوأه ياسيدى ... لا يمكن أن أنتحر مختارة

ثم إن زوجى رجل مستقيم يصعب على صكه بالحقيقة المروعة ... فدع الأمور تجري على مشيئة الله ... فعمل الله حفظه من الأذى ؛ وعسى أن يجعل من بكاء عسر يسرا »

وساد سكون عميق مؤلم ... وكان المرأة تذكرت شيئاً فجأة فنظرت إلى الطبيب جزعة وسألته :
« سيدى ... هل يبقى هذا سرّاً مكتوماً ... ؟ »
« طبعاً ... طبعاً ... اطمئنى إلى كل الاطمئنان ، فصدر الطبيب مقبرة للأسرار لا تنبش أبداً »

فتهدت من قلب مقروح وقالت : —
« إذا فلنبداً من الساعة ... وسأوالى الحضور إلى هنا كل صباح إلا يوم الجمعة ... ولأنتظر ما قدر لى »
ولما انتهى من عمله وهمت بالخروج استمهلها لحظة وجلس إلى مكتبه وسألها : —
« ما اسم السيدة ... ؟ »

فبدأ على وجهها الرعب وسألت : —
« ولم هذا ... ؟ » فقال يطمئنها : —
« لا تخافى ولا تحزنى ... إنها تقاليد متبعة ... أنظرى إلى هذا الدفتر تجد فيه من دحجاً بأسماء المرضى وعناوينهم ... لا تخشى شيئاً واذكرى أنى طبيب لا أكثر ولا أقل ... »

فقالته وهى تنهد : —
« حرم محمد عباس أفندى مهندس بوزارة الأشغال »

وفى صباح اليوم الثانى جاءت السيدة وقد قالت للطبيب إن ما يبدو على وجه زوجها من الهدوء والصحة ينعش الأمل المحتضر فى صدرها
فلما أن كان المساء دخل على الطبيب زائر جديد

على حياتهما الزوجية...؟ وأين ياترى المرأة الآن...؟
وكيف قرعتها الفضيحة وكيف تتجرع عواقبها...؟
ليته يعرف كل شيء...

أما الآن فما عليه إلا أن يؤدي واجبه . وخطا
بالفعل نحو الحجرة الداخلية ولكنه سمع المهندس
يقول له بلهجة حزينة : —

« إني أخشى يادكتور أن تعقب هذا المرض
مأساة أليمة »

فسأله وهو ما يزال شارد اللب : —
« وله ؟ »

« لأننى زوج... ورب أسرة »
فقطب الطبيب جبينه وبدت عليه آيات الدهشة
وفهم الرجل دهشته على غير حقيقتها فقال : —
« هكذا ترى أنه ليس العذاب فقط هم الذين
يأثمون ... »

« أتعنى أن زوجك مهددة ... ؟ »
« طبيعى يادكتور ... إن موقفى غاية فى
الخرج ... والذى يضاعف لى الآلام أنها سيدة طيبة
لا تستحق أن تجزى هذا الجزاء السيء ... فما
العمل ... ؟ »

ياغبيا ! . لقد وضع ورج الخفاء كلا الزوجين
آثم ، وكل منهما ينحى باللائمة على نفسه . وكاد
يستسلم لتيار أفكاره لولا أن سمع الرجل يلح عليه
فى السؤال ويكرر قائلا : —

« ما العمل ياسيدى الطبيب ... »
فقال له : —

« بالحكمة تستطيع أن تصرف الأمور المعقدة
إلى خير العواقب ، فحاول أن تصحبها إلى من غير
أن تثير شكوكها »

فى الثلاثين ، ملينح القسمات ، طويل القامة ، تسم
وجهه آيات الذكاء والجسارة فحيا الطبيب قائلا :
« مساء الخير »

« مساء الخير »
فضحك ضحكة جهد نفسه أن تكون مرحة
طبيعية ولكنها لم تستطع أن تخفى القلق المساور
لنفسه وقال : —

« أصبت يادكتور »
« به ... ؟ »

« بالذى يصاب به من يقصدونك »
« وآسفاه ! »

« أتأسف حقاً يادكتور ... أريضك أن
يزدجر الناس عن الهوى وأن تخسر جمهور المتردين
عليك ... ؟ »

« لا أظنك قد جئت إلى هنا لتتفلسف ...
اتبعني إلى هذه الحجرة ... ولكن انتظر لحظة ،
أرجو أن تملى على الاسم الكريم »

محمد عباس ... أنا جارك يادكتور ... وإن
شئت أن تعرف صناعنى فأنا مهندس بوزارة الأشغال
يا للمفاجأة ! كادت تغلت من بين شفثيه آهة

دهشة وانزعاج ، وهم أن يرفع رأسه عن الدفتر
بحالة عصبية ثم عما يضطرب فى صدره ، ولكنه
ذكر تخرج الموقف واشتماله على ما يهدد بالويل ، فصر
بأسنانه وأحنى رأسه حتى كاد يلمس الصفحة
المبسوطة أمامه ليخفى معالم وجهه عن القاعد تجاهه
إذن هذا هو الزوج المنكوب ، وقد أصيب بما

كانت تشفق زوجه عليه وعليها منه ... ترى كيف
كان وقع البلاء على نفسيهما ... ؟ كيف اكتشف
المرض وكيف تحسس مصدره ... ؟ وماذا جرّ ذلك

« يا يؤس هذه الدنيا ... »

وحدث الطبيب نفسه بعد أن غاب المهندس
عن ناظرية : ان الله يريد الخير بهذه المرأة . . .
وكان الأمور تسير وفق مشيئتها ، فسيأتي بها إلى
وأكشف عليها وأعلنه باصابتها فيوقن في نفسه أنها
ضحيتها دون سواء ، ويبرآن علي يدى ويعود الرجل
بزوجه رافعاً يديه حمداً لله وطلباً لغفرانه وهو يجهل
أن زوجه فرطت في حقه أضعاف ما فرط في
حقها . . . فيا لرحمة الله . . .

« كما تشاء . . . اعلم ياسيدي الطيب أني في
الفترة القصيرة التي تغيبها عنك أحدث في حياتي
حدثاً هائلاً ، فقد فصل الطلاق بيني وبين
زوجي وحرمني نور أطفالي حيناً سأخاله دهرأ
مدداً . . .

وكان موعد مجيء المرأة ولم تحضر فترجع لدى
الطبيب مجيئها مع زوجها عند المساء ، ولكن
المهندس أتى وحده وكان يادي التغير منكفي الوجه ،
مصفر اللون ، منطفيء البصر كأنه تقدم
في الكبر أعواماً فتوقع الطبيب مفاجأة وبلاء
وسأله : —

« ما بك . . ؟ »
 فهز رأسه بحزن وقال : —
 « ماذا تحدثس . . ؟ »

« لعلك راودتها على المحبىء فأبت وعصت ... »
 « كان يهون ... »
 « آه إذا قد انفضح أمرك ولم تتقن تمثيل
 دورك ... ونلت جزاءك على يديها ... »
 فسها الرجل لحظة ثم قال بصوت تقطعه
 حشرة اليأس : —

خبثتي ... أنا الجانية على نفسي وعليك ... أنا
أعرف أنك تعلم ذلك ولكنني أستحلفك بالله ألا
تمسني ... طلقني ولكن لا تمسني ... ثم ارتمت
بين قدمي مغنى عليها

مامعنى هذا ... لقد تسابقت الطنون إلى قلبي ،
وانصبت الشكوك في عقلي ، واكتظ بها رأسي
فانصهر من الحرارة والالتهاب ، وخت أن شعر رأسي
يقف ويتصلب كشعر القنفذ ..

إن المرأة لتبهظ الرجل وتثقل كاهله وهي تؤمن
بأنها لم تجاوز بعض حقوقها ، أما إذا اعترفت بأنها
جانية وسألت الرحمة ووقعت مغشياً عليها فلن يكون
ذلك إلا لأمر واحد .

يا عجيباً ... فقد ذهبت جانياً آتماً فاذا بي مجنى
عليه . رحمت أ كفر عن ذنبي فاذا بي ضحية تعسة !
ما ذا يمكن أن يفعل رجل في مكاني ؟ ..

نعم لقد قارفت من الذنب ما قارفت ، وسقطت
في الهاوية التي ابتلعها ، فهل من المستطاع أن أسدل
ستاراً كثيفاً على تاريخ الانتم كله ؟ وأن أحمّل عقاب
الله الصارم في صبر ، وأروض نفسي على العفو
والصفاء ... ؟

إنه حل روائي قد يستحسنه غيري ويعطف
عليه نفر غير قليل من الناس . أما أنا فقد انسقت مع
طبيعتي وأصخت إلى صوت الغضب في قلبي ، فهويت
بالطلاق على رابطة الزوجية : فخر بيتي وانزعجت
الحضانة مني أطفالاً أعززة كانوا نور حياتي المشرق ؛
فسبحان الله أعدل الحاكمين ... »

نجيب محفوظ

بللم ما ... ؟) فحملت في وجهي بعينين هالعتين
وقالت باضطراب : (كلا ... كلا ... والحمد لله)
فمالكت نفسي وقلت كاذباً (ألاحظ عليك
هذه الأيام بعض الاصفرار والتغير وقد رأيت
أن أقترح عليك زيارة طبيب ... فما رأيك ؟)
فردت بجدة وبهجة من يتحمس لدفع خطر مروع :
(كلا ... كلا ... أنت واهم ولا لزوم لذلك ألبتة ..
إنني أكره الأطباء ويهيج وساوسي الاستماع
لنصائحهم)

فطال طلابي وطال رفضها ، فالححت عليها فأصرت ،
فرجوت وتوسلت فعندت وازدادت تشبثاً ؛ وعبثاً
حاولت أن أنهيها عن رأيها حتى دهشت لاصرارها
وضقت صدرأ بها وبنفسي فاهتاجني المرض
والغضب وصحت بها بجنون جعلني استهتر بكل
شيء : (يجب أن تصنى إلى ... تعالى معي إلى الطبيب
لأنني مصاب وأريد أن أعرف ...) ولم أتم كلامي
لأنها انتفضت قائمة متصلة كالأفعى التوتية للاقتراس
وجحظت عينها ولم تتمالك نفسها فسرت في جسدها
رعشة شديدة فأدهشني ذلك وسألت نفسي :
مالها ... ؟ ، وهممت أن أعاود الكلام في ملاطفة
مصطنعة ولكنها قطعت على الطريق بهزة رأس
عصية ما زالت تكررهما بعنف جنوني حتى
تلبست صورتها هيئة غريبة تنذر بالويل ، فازدادت
بي الحيرة وسألتها : (ما الذي يربك ؟ لم تخشين
الطبيب ؟) فصاحت بصوت ملتبس لا تكاد تميز نبراته :
(الرحمة ... الرحمة ...) ولكن عاودني الغضب بحالة
لم تأذن للرحمة أن تأوي إلى مستقرها في قلبي ،
فخطوت نحوها أهدر غاضباً ساخطاً فصرخت :
(محمد ... الرحمة ... الرحمة ... لقد كشف الله

جَبَانٌ

للقصصى الفرنسى دى موباسان
بقلم السيد محمد العزاوى

وفى إحدى الأمسي
اصطحب صديقين إلى
مسرح واصطحب
معهما زوجيهما. وبعد
أن انتهى التمثيل
دعاهم إلى مشرب
«تورتونى» ليتناولوا
بعض مرطبات.

ولم يلبثوا فى المشرب
إلا قليلاً حتى أخذ أحد الجلساء يحدق فى
وجه إحدى ضيفتيه بوقاحةٍ شره. وبدأ على وجه
العادة قلق واضطراب فغضت من بصرها، ونادت
زوجها :

— إن هذا الرجل ليحدق فى وجهى . وإنى
أجهله ، فهل تعرفه ؟
فصعد الزوج الغافل فيه نظرةً وأجابه . ثم قال :
« كلا . فأنا لم أره يوماً . »

فقالت الزوجة باسمه فجرة :

— ليس هذا بجميل ، فهو يكاد يلهمنى ويفسد
على ما آكل

فهز الزوج كتفيه ثم قال :

— إن كان علينا أن نهتم بمن نلقى من الأراذل
فسوف لانسر ولا نهذا ، لا تراعى ولا تلقى له بالاً ...
ولكن سنيول لم يستطع على هذا صبراً ، فما
يهون عليه أن يضايقهم دخيل غريب وما اعتاد
أن ترى إهانة فى وجهه عمداً وإضراراً ، إن الغريب
يضايقه هو لا هي لأنه المضيف ، إذن فالإهانة تلحقه
دون سواء ، فوثب إلى الرجل قائلاً :

— أيها السيد ! إنك تحدق فيهما بعين لا تدرك

كان المجتمع يكنّيه « بسنيول الجميل » . أما
اسمه فكان الفيكونت جوتران جوزيف دى سنيول
وقد يسر له غناه ويتمه أن يعيش عيشة ضاحكة
راضية ... كان له أسلوب وشخصية . وله فى اللسان
طلاقة توهم الناس بأنه على حظ من التوفيق عظيم .
كانت له عزة وأنفة ، ووداعة يوحى بها طرفه العف ؛
وجرأة ينم بها شاربه الصغير . وداعته تكلف بها
النساء ، وتعشق حسنه الغيد الحسان .

كانت « الأبهاء » تجدد فى طلبه ، والراقصات
الغيد يقفون أثره ، وتنشدنه أنى يجلس أو يرقص ،
فكان بذلك يثير على شفاه الرجال بسمة طالما ترفرف
عليها حين يمر بهم فتى جميل وسيم ، وبأفئدتهم
تهماً بعلائق عدة ، لا تليق إلا بأعزب مثله على
مثل حظه من غنى وجمال . كان يحيا باسمًا حرّاً
يضحي فى نعيم وغبطة ، ويمسى فى بلهنية وخلو بال ؛
وكان فوق ذلك مبارزاً جباراً طوق الآفاق سمعه ؛
يحارب بكل سلاح ، وبخاصة المسدس ، فهو به
أشد على الغريم وأعتى . وكثيراً ما قال « إن كان
لأريد من النزال فاني أخو الرصاص ، لأننى به على
خصمى قوى مكين »

فلذوق معنّى ، وإني لا أطيق عليك صبراً ، فلطف
من شراحتك ، واغضض من بصرك !

فما لبث الأجنبي أن قال :

— ألا فاهب إلى الشيطان !

فزجر الفيكونت :

— حذار أيها السيد ! وإلا فأنت دافعي إلى أن

أتعدى حدود الأدب

ولم يجب السيد إلا بكلمة هازلة ماجنة ، ردد
المشرب صداها ، وجعلت كل فرد يشب وثوبا ،
فاستدار من ولاهما ظهره ، وأشرأت رؤوس النازلين
واستوقفت ثلاثة خدم ، ثم جعلت سيدتين تثنان عن
متكأيهما كأنما لوليان واثبان

وأعقب ذلك سكون عميق ، شقه صوت حاد ،
إذ صفع الفيكونت الرجل يبلغه دعوة المبارزة ...
وتدخل الناس في الأمر ، وتبادل الطرفان بطاقتين
وما عاد الفيكونت إلى بيته حتى جد في ذرع
الأرض جيئة وذهابا . لم يكن يفكر في أمر على حدة
لأنه كان مضطربا ... ولكن ثمة فكرة كانت تحوم
على ذهنه وهي « المبارزة ! المبارزة » ولم تثر الفكرة
شيئاً في نفسه ، فقد ألفها وأحبها . حقاً إنه عمل
ما حق أن يعمل ؛ وقد ظهر بما يجب أن يظهر به
فيكونت عظيم . سوف يتحدث الناس عنه ،
ويؤيدون سلوكه وفعله ، ثم يلقونه فرحين مهئين ...
وصاح محدثاً نفسه ككل من ضاق صدره ، وشغل
ذهنه بأمره :

— أي وحش كان الرجل !

ثم جلس وطفق يقدر ويفكر ... إذن لا بد له
من اختيار وكيلين مع الصبح ، فمن يختار ؟ ومن
ينتقى ؟ لقد فكر في أصدقائه الذين ينعمون بين الناس
بسمّ كريمة . فاصطفى من بينهم « بوردين » القائد
والمرکيز دي لاتوار نوار . لقد اتقى قائداً وشريفاً .
إن هذا لعظيم ! ولسوف تقع أسماؤهما في الصحف موقعاً
ما أجمله وأحسنه ... وأحس بأنه ظآن ، فشرب
من الماء شرب الهيم ؛ ثم تابع الدرع والتفكير ...
وأنس من نفسه بطشاً وقوة . فلو أنه تعاظم واشتط
كأن يدي رغبته في إبلاغ الأمر نهايته ، ويطلب
شروطاً صارمة قاسية ؛ أو يصر على نزال عنيف ،
إذن لتخاذل غريمه ولرد البطاقة ثم اعتذر

واختطف البطاقة — بعد أن جذبها من جيبه
ورماها على النضد — فقرأها مثلما قرأها في المشرب
أول مرة ، وكما قرأها في العربة حين العودة مرة
أخرى ؛ ومثلما قرأها على ضوء كل مصباح منير :
« جورج لاميل ، ٥١ شارع مونسي »

وعاد يمتحن الحروف ؛ لقد تراءت له غريبة
غامضة في ثناياها معنى مبهم أجوف ! جورج لاميل !
من هو ؟ وما هي حرفته ؟ وما كان يعني من التحديق
في الغادة ؟ وأعاد سنيول تعجبه « أي وحش ! »
إنه الآن يقف جامداً كالصنم لا تسمع له نأمة ،
ولا يختلج له عضل ، وعيناه مثبتتان على البطاقة ...
إنه يفكر ... وتمكن من قياده غضب جموح ، وقلق
عظيم .. أي جنون قد أتاه وأى فعل قدمه ؟ وتمكن
منه كره للبطاقة وصاحبها ، فأمسك بمذبة ماضية وقد

بها البطاقة في صميم الذي تحمل ، كأنما هو يطعن غريماً
إذن فلا بد لي أخيراً من نزال ؟ ! أأختار
الرصاص أم السيف ؟

إذن فقد اعتبر نفسه الطرف المهان . إنه يخاطر
إذا ما اختار السيف . ولكنه موقن بانسحاب
غريمه إن كان الرصاص . إن مبارزة بالسيوف قلما
كانت شافية حاسمة . إذ في مقدور المتنازلين أن
يتحاشيا الطعنات القاتلة بشيء من حذر وسرعة ،
ولكن الرصاص كان على الغريمين بلاء . فهو رهان
بالحياة والأمانى جميعاً . فغالب أو مغلوب ، وإن
كنت الثاني فبئست الوكسة وسوء المآب ، أو الأول
فتم نصر ونفخار

— لا كن حازماً جباراً ، كي يخاف ويخشى .
ولكنه ارتجف إذ سمع صوتاً من حوله .
فالتفت عن يمين ويسار . لقد استشعر خوفاً وهلعاً .
فاجترع كوباً من ماء ؛ وطفق يخلع رداءه متأهباً
للنوم . ووثب إلى السرير ، فأطفأ المصباح ، فأغمض
أجفانه ، وراح في فكر عميق

— إن لدى طول الغد أرتب فيه شأني فلا تم
الآن حتى أصبح قوياً نشيطاً

وآنس الدفء بين طوايا الفراش الوثير .
ولكنه ما استطاع أن يهجع قليلاً أو كثيراً ، إذ
كان يتثنى ويتقلب ، فينام على ظهره فترة ، وينقلب
إلى عطفه الأيمن ؛ فلا يلبث إلا رد الطرف حتى
يفزع إلى الأيسر . ولج به العطش فقام يشرب .
وإذ ذاك طرقت فكرة متعبة :

— أيمكن أن أكون خائفاً ؟

لم يقفز قلبه هلعاً من أي صوت ينبعث ؟ حتى
من صوت الساعة إذا حان دقها ... كانت حالة سيئة
بائسة ... وبدأ يحاور نفسه في ذلك الأمر : أصحیح
أن بي خوفاً وفزعاً ؟ كلا ! إنه ليس بخائف ولا مخلوع
القلب . فما عهده بقلبه إلا شجاعاً لا يخاف ولا يوجل
ولكن ماله يحس بقلق مغير ؟ أيمكن أن يخاف المرء
رغمًا عنه وقهراً ؟

وتمكن هذا الشك من نفسه ، وانصب هذا
الريب في قلبه . ماذا يحدث لو غلبته على أمره قوة
قاهرة أشد منه صلاية ومراساً ؟ نعم ماذا يحدث ؟
لا مناص له من النزال ولا محيص ؛ ذلك بأنه هو
الذي رغب النزال وأكده . لنفرض أن يده ترددت
فاهتزت . أو لنفرض أنه راح في نوبة إغماء . أي
بؤس إذن وأي شقاء ! أي ذكر يطيح وأي مجد
يزول !

ولجت به إحدى الفكر أن يرى وجهه في المرآة
فلماها ، ووقف لدى المرآة ثم أضاء المصباح ، فلنكر
خياله ؛ إذ يرى شخصاً غريباً لا عهد له به ، أشعث
الشعر مرتعد الشفاه . أصفر الوجه كثير الغضون
وطرقته وهو أمام المرآة — فجاءة — فكرة
عصفت به عصف الريح العاتية :

— ربما كنت قتيلاً في مثل هذا الوقت من بعد غد !

واختلج قلبه لذلك حيناً وجفلاً ...

— ماذا ؟ ربما كنت في مثل الساعة من بعد غد
قتيلاً ! ! ذلك الخيال ! خيالي الذي أرى ... مائلاً
بين يدي ... بعد حين لا يكون ! ! أقف هنا —

أمام المرأة — موقفاً بحياتي ووجودي وبعد أربع وعشرين ساعة أكون منطرحاً على الفراش قتيلاً؟ جثة باردة لا حياة في ولا حراك؟! وتبقى عيناى مسبلتين أبداً لا تنفرجان لترى الدنيا وبهجتها!؟

والثفت إلى السرير، وتصور نفسه وهو على الفراش مسجى، يضمه السرير وتحضنه الأغطية. ثم عاود النظر في المرأة. فألقى خدي به يغوران كما غارت حدود الموتى، ويديه معروقتين لا تلبثان على حال وشعر حينذاك بخوف من السرير شديد.

ود لو لم ير السرير من قبل أو يذق به طعم الكرى. ثم دخل حجرة التدخين كيلا يبصره وأشعل لنفسه سيجاراً دون وعى منه، وجد في ذرع البساط مراراً. لقد كان بارد الأعطاف مختل القوى، فسار نحو الجرس ليوقف خادمه ولكنه امتنع في نصف المسافة قائلاً:

— سيدرك خوفاً ذلك الخادم

ولم يقرع الجرس، بل أضرم لنفسه النار بيده وكانت يداه ترتجف إذ هي تلبس الأشياء جميعاً، كم عصفت برأسه العواصف! وتلونت أفكاره الوجلى بلون الحزن والسواد، بل رانت على فؤاده غشية كأنها غشية المغمور... وكان يسائل نفسه بلا انقطاع:

— والآن ماذا أفعل؟ والآن ماذا أفعل؟

وارتعدت لذاك فرائصه، وارتبهكت مفاصله فانتفض وعدا نحو النافذة فأزاح عنها الستائر والحجب. لقد تنفس الفجر، وأشرق يوم جميل صائف... كانت السماء الدامية تعكس على الأفق والمنازل لونها الذهبي فتكسب الجو جمالاً ورقة وأرسلت ذكاء فوجاً من نورها يحضن الكون، ويهبه فيضاً من

يقظة وحياة، وأرسل إلى الفيكونت التمس قبساً من أمل... أهو مجنون حتى يبيح للخوف أن ينصب في قلبه ويفسد عليه نفسه وهو بعد لا يدري هل قابل وكيلاه وكيلى جورج لاميلى فكتب عليهما القتال، أم يجد الله له من كل ذلك مخرجاً؟

وأخيراً قام، فارتدى ثيابه، فترك الدار بعزم جديد وكثيراً ما ردد في نفسه أثناء سيره:

— علي أن أكون حازماً... حازماً جهد الحزم! لأثبتن إني على البلاء قوى مكين...

وجاءه وكيلاه، فلما سلما جلسا يبحثان الشروط فقال القائد:

— أتود أن يكون النزال صارماً؟

— صارماً جباراً

— وما زلت تصر على الرصاص؟

— نعم!

— أتدعنا نرتب لك باقى الأمر؟

فأجابه الفيكونت في صوت جاف خفيض:

— عشرون خطوة... إطلاق الرصاص لدى

الإشارة... رفع الدراع بدلاً من خفضه... تبادل

الطلقات حتى يجرح أحداً جرحاً بليغاً...

— شروط جيدة... وإنك لمن خير الرماة؛

وإنك لملى حظ عظيم.

ولما افترقوا عاد سنيول إلى بيته مرة

أخرى: وكانت حاله تزداد سوءاً كل حين. فقد

كان يستشعر رعدة تتمشى في ساقيه وزنديه وفي

صدره. ولم يكن يستريح إلى جلوس أو رقاد. وكان

يدير لسانه في شذقيه من حين لآخر ثم يمر به سريعاً

ولما جنّه السكون مرة أخرى ظن أنه
مجنون ... وأخيراً جلس إلى مكتبه يخط بعض
الرسائل ، وادّكر فهم يخط وصية فلم يزد على قوله :
« ألا إن تلك رغبتى ... » حتى قفز عن المكتب
مؤمناً بأنه لا يقوى على ربط فكرتين معاً ، ولا
يستطيع تقرير شيء مهما صغر ، أو الإجابة على
سؤال مهما قل

إذن فلامناص له من النزال . لقد أضى اجتنابه
فوت يده ... إنه يريد النزال مصراً عليه ، ولكنه
يعلم بأنه على رغم جهود ذهنه وعزم إرادته لن يستطيع أن
يحتفظ بقواه الكاملة ؛ أو حتى بقواه التي تحمله إلى
حومة النزال ... وحاول أن يتصور المبارزة وكيف
يدخلها فيؤديها فيخرج منها . أخرج جريحاً طريحاً
أم يخرج سليماً نحروراً ؟ ... وكانت أسنانه تصطك
من حين لآخر ... وأراد القراءة فأمسك بقانون
شاتو فيلار المدني ولكنه عاد يسائل نفسه :

— أغشى غريمى حلبات النزال كثيراً؟ وهل
هو معروف؟ ومن أى الطبقات هو؟ من لى بكل هذا؟
وادكر إذ ذاك كتاب البارون دى فوكس عن
مشاهير الرماة . أتى به وتصفحه ورقة ورقة ولم يكن
به اسم ذلك الجورج لاميل . على أنه لو لم يكن من
خير الرماة لما قبل الشروط القاسية ، ووافق على
السلاح الخطر . وكان يقرب المكتب فأخرج من
درجه مسدسه الكبير ، ورفع يده كمن يسدده إلى
هدف بعيد ، ولكنه كان يرتجف من فرعه لأخص
قدمه . لو استمر على تلك الحال لخسر الدنيا والآخرة
فلا هو منصور ولا هو خالداً ! وقال فى نفسه : « إن
هذا مستحيل ! لا أستطيع النزال » وأمسك
بالمسدس يفحصه ويخبزه ... حديق ملياً فى فوهته
العميقة تلك التى تقذف الموت الأحمر لمن يريد ومن

على شفثيه ليزيل ما علاها من زبد الخوف والوجل
وقد حاول أن يفطر فلم يستسغ طعاماً . وسنح
له أن يشرب ليجدد قواه الخائرة ، فاجترع ستة
من الأكواب الصغيرة بعضها يكسع بعضاً فأنس
الدفع فى جسمه وصفت روحه

— هذا حسن ! لقد عثرت على الطريق !
ولكنه أفرغ الزجاجه فيما يقرب من الساعة ،
وحاله لما تهدأ ولم يقربها قرار ؛ وأحس برغبة جامحة
تلج عليه أن يتمزغ فى الأرض وبعضها ثم ييكى !!
وطوى الليل النهار

ودق وكيلاه الجرس ، وكانت دقة الجرس
هذه كفيلة بأن تثبته على السرير هلوغاً جزوعاً
لا يستطيع حراً كلاً قولاً ، فلم يقدر على السلام
ولا التحية ، بل لم يجرؤ ، خشية أن يعرفوا من رجفة
الصوت حاله ، وقال القائد :

— لقد تم كل شيء حسبما تريد وترتضي فقد
كان غريمك يقول بأنه الطرف المهان
ولكن سرعان ما ألق عن هذا ورضى الشروط
القاسية ! ووكيلاه رجلان من رجال الجيش
— شكراً لكما

واعتذر المركز قائلاً : « أسمح لنا بالخروج
لنرتب الأمور الباقية ، فلا يزال أمامنا أن نأتى بطبيب ،
فأنت تعلم أن الرصاص ليس من الأمور الهينة ، وأن
نبحث عن حومة النزال متوخين فيها القرب من
البيوت العامرة ، ليتسنى لنا نقل الجريح لودعت الحال »
ونجح الفيكونت فى أن يقول مرة أخرى :
« شكراً لكما »

وعاد القائد يسأله :
— أنت على ما تحب من الهدوء ؟
— نعم ! أشكرك !
وانسحب الرجلان على الأثر

فقد فاز فوزاً عظيماً . وإلا فقد ضاع ضياعاً مبيناً .
ذلك بأن الهزؤ يلاحقه ، والنوادي تلفظه ، والمحافل
ترفضه ، والغواني تبغضه ... كان يحس بكل ذلك ،
ولكنه لم يكن يملك لنفسه من غريمها شيئاً . ومع
ذلك فقد كان نبيلاً شجاعاً لأنه يريد النزال ويطلبه .
لقد كان نبيلاً شجاعاً لأنه ...

لم تكن تلك الفكرة التي استولت على ذهنه
لتكمل ... ففغرفاه ، وصوب بفوهة السلاح إلى فيه ،
ثم ضغط على الزناد فخر قتيلاً يتشحط في الدماء القانية
وأهرع خادمه إليه حين سمع الدوى فألفاه لدى
الباب قتيلاً ، وألقى الدم قد سال منه على ورقة فوق
النضد . لقد كانت بيضاء كتب بأعلاها :
« ألا إن تلك رغبتى ... »

سيد محمد العزاوي

لا يريد ... وأردحت حينذاك برأسه الأفكار ...
فكر في عاره إذا غلب على أمره فهو جريح أوقтил ...
فكر في لفظ النوادي وهمس الصحاب وغمز العيون .
وفي سخرية الصالونات ... وفي بساط الهزء ايماءة
الرؤوس ... وطفق يصور ما سوف يجسر على قوله
الجبناء ... وما سوف تكتبه الصحف ... وما سوف
تقوله الغيد الحسان ...

وظل محققاً في فوهة السلاح مدة . ثم دفع
«سلم الأمان» إلى الأمام استعداداً للعمل ، ولم يكن
يرى ضرورة لحشوه ؛ فقد كان موقناً بأن ما به من
الرصاص يكفي
وأحس بفرح مضطرب يغمره ويغمر فؤاده
الرديد ...

حقاً إنه لو أفلح في فرض الرهبة على قلب الغريم

عليكم المصري يرفرف على

النيل و كوثر

فهما رمزا بلاديكم

سافروا عليهما تجددوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة

شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩

فاوست

ملكات الروى تشير كرف
بقلم الأستاذ كامل محمود جيب

يلتهمه في شراقة ونهم؛
ثم يدلف إلى حجرة
المطالعة. فيستلقى على
أريكته هناك ويذهب في
سبات عميق يغط غطيلاً
يزعج الأطفال ويبعث
في نفوسهم الرعب؛
وكانت المربية تتخذ
من هذا الصوت النكر

أداة تخيف بها الأطفال وتضطرهم أن يركنوا إلى
الهدوء والسكون إن هم صاحوا أو تشاجروا،
فتقول لهم: «أقتسمعون صوت اللب النائم في
الحجرة سأغريه بكم إن لم تمسكوا...» ويهب الرجل
في الثامنة فيصيح بصوته الأجش: «لماذا لم
توقظوني؟» فتجيب الزوجة في خضوع: «لقد فعلنا
مرات ومرات فما زدت على أن قلت: نعم، نعم!»
ثم هو يجلس إلى نضد يقرأ صحيفته وزوجته كزينا
بأقلوقنا تصب الشاي، وأما ماريلا يترقنا في الناحية
الأخرى من النضد تداعب طفلاً، وقد هدا السكان
إلا من بعض أوامر يقذف بها الرجل في وجه زوجته
المسكينة... ثم ينطلق إلى الندي يلعب الورق فلا يعود
إلا في الثانية بعد نصف الليل، وقد نام الجميع سوى
حماته ماريلا تنتظره لدى الباب فتحييه تحية جافة تشيع
في جنباتها أنات الألم والحزن...

ما كانت الزوجة تنتظر زوجها، وما كانت
تألم لغطيته، ولا تأسى على غيبته، أما الحماة فكانت
لا تستطيع أن تكتم بعض ما يؤلمها من شذوذ الرجل
وقسوته فتندفع إلى الزوجة تُسرِّ إليها بحديث تنفّس به
عن نفسها: «حقاً، إنه زوج ظريف؛ إن كل
(٤)

استيقظ كل من في الدار وإيفان منها لوقتش في
فراشه لا يجد القوة على النهوض، فيتكى على وسادة
ينفث دخان سجائره وفي نفسه القلق والاضطراب
لأنه لا يشعر بالرضا ولا يحس في نفسه بالقناعة؛
فهو قد برم بحياة تدفعه دائماً إلى أن يسرع في كل
ما يعمل صباحاً: في ارتداء ملابسه وترتيب شعره
وتناول طعام الإفطار؛ ليطير إلى عمله في المصرف...
لقد سمع إيفان - وهو في مكانه - زوجته
تأمر ابنه: «إذهب فأيقظ أباك!» واندفع الطفل
إلى أبيه: «أبي، ألا زلت نائماً؟» فأجاب الأب
في غلظة وجفاء: «لا، لا!»

وعلى المائدة جلس إيفان وقد غمره الكسل
والفتور، وأثقلته أفكار سوداء تضرب في خياله
فما استطاع أن يقول شيئاً ولا أن ينظر إلى أحد؛
فراحت المرأة ترمقه في أسى وحسرة وهي تقول
لنفسها: «لعله خسر كل ما معه في الندي فهو
لا يجد مالا!»

لقد دأب إيفان على أن ينطلق إلى عمله في
العاشرة من كل صباح ويعود في الرابعة مساءً، وقد
أنهكه العمل وأضناه الجوع، فيجلس إلى غدائه

ما تستمتعين به منه هو قبضه المعلق على المشجب !
فتصرخ الزوجة في وجهها في غضب وغيظ :
« لا يا أماء ، هذا هو دأب كل زوج ... ! » ثم
تدلف إلى حجرة الاستقبال وهي تترنم :
من وراء الأفق أرض جميلة ...

اعتاد إيفان وزوجته وأما أن يستقبلوا الزائرين
مرتين كل شهر ؛ وهم جماعة قضوا أعمارهم في مناصب
الحكومة ، في هدوء الدواوين ، ونمود الوظيفة ؛ لم
تصلهم الحياة ولا حنكتهم التجارب ففهم الغباء
وفهم الركود ... فكانوا يجلسون إلى إيفان وزوجته
يتحدثون عن حياتهم المنزلية ، وعن أطفالهم ، ثم
عن الجو ؛ ومازيا تعد الشاي والمربي والكعك ...
ثم يتدافعون — وقد شربوا الشاي — إلى المائدة
الخضراء يلعبون الورق ويدخنون ريثما تهيم الزوجة
وأما طعام العشاء ، والنمود يستولي عليهم رويداً
رويداً ... ثم ينطلقون جميعاً إلى الطعام والشراب في
صخب ولجب ، وقد استخفهم الطرب ، ودب فيهم
النشاط والمرح ، فيجلس إليهم إيفان يقص قصة
زواجه من كزينا وقد عبثت برأسه الخمر « لقد
أحب كل منا صاحبه حباً يكاد ينشق له القلب وأنا
ما أزال — حتى الساعة — أذكر لقاءنا في حديقته
الجميلة في ضوء القمر ، فجلس ساعات في كن هناك ،
وقد نامت عين الرقيب والواشي . لقد كان قلبي يدق
دقات عنيفة متوالية ... » وكزينا على خطوة منه
يتصاعد دم الحجل إلى وجنتها وتشير إليه بطرف
العين أن أمسك ، وهو يفضي لا يعنيه ما يبدو على

وجهها من سمات الألم والحياء ...
ثم ... ثم ينتهي العشاء ومن بعده الشاي
وينسل الزائرون لا يخلفون من ورائهم إلا سحب
الدخان منعقدة في سماء الحجرة وإلا صحاف الطعام
وفناجين الشاي وزجاجات الخمر فارغة متناثرة هنا
وهناك ، وإلا بقايا الدخان ملقاة في نواحي المكان ؛
ثم يسود الدار سكون عميق وكزينا على كرسى في
ركن تحس في مفاصلها ألم الاجهاد والتعب ؛ وأما
تجول في أرجاء الحجرات تفتح النوافذ وتلتقط بقايا
السجائر من أصص الزرع ، غضبي مغيظة : « أما كان
يقنعهم أن أثمر (الطقاطيق) على المناضد فينصرفون
عنها إلى الأصص ؟ » ثم تندفع تنظم ما تشعث ؛
وإيفان يضطرب بين الحجرات وقد أمضه ما رأى
وهو يقول في غضب : « لقد نامت الدواب على نهر
الفولجا ، أما نحن ... » ثم يستاقى على فراشه ينتظر
زوجته في قلق ... ويناديه في قسوة ، فما يسمع
سوى عويل طفل يرتفع في الناحية الأخرى وزوجته
تهدهده ، وحين ينفذ صبره يجذب الغطاء وينطوي
إلى نفسه وقد أدار وجهه إلى الحائط ...
وكانوا هم يخرجون إلى دار أحد أصدقائهم مرة
أو مرتين في الشهر ليشهدوا مثل هذه الضوضاء
ومثل هذا الاضطراب ...

ومرت الأيام جرداء ممحلة ، فبدت الحياة في
عيني كزينا جافة قاسية لا لذة فيها ولا متعة ؛ مظلمة
لا نور فيها ولا سلوة ؛ وسلط عليها الملل والضيق
فانطوت على شعور غريب فيه الضجر والقلق . ماذا

ولا يعنى بأمرها ؛ ثم زوجة تنفر من زوجها وتضيق به ذرعاً ، وهى لا تستطيع أن تجهر ببعض ما يتسمر فى قلبها فتكتمه على مضض . أما الحب ؟ أما السعادة فى الحب والزواج فخيالات لفتها الأيام لتنشر مكانها ما تكابد فى دار زوجها من هم ونكد ... واصطرعت فى نفسها خواطر مؤلمة كادت تعصف بعقلها ، غير أن شبحاً بدأ فى الظلام يقترب منها رويداً رويداً يجذبها من أحيلتها ... إنه هو إيفان ميا لوقتش فى قميصه الأبيض جاء يلقي بنفسه على كرسي إلى جانبها ، وراح يتنأب ويقول : « لقد أكلت طعاماً شهياً ونمت نوماً هادئاً ، ولكن فيم تفكرين ؟ » قالت : « لا شيء ... لقد كنت أفكر ... إن هذه الحياة جافة يا إيفان ! » قال : « أفيكون لك ثلاثة أطفال ثم تزعمين أن حياتك جافة ؟ » قالت : « إنها مملة لأنها على نمط واحد ! » فقال الرجل بغيظ وهو يلوح بيده فى الفضاء كأنما ينحى عنه شيئاً يريد أن يلصق به : « أفتعيشين عمرك مضطربة كئيبة ؟ » ثم انطوى وخلفها إلى أحزانها تبسم فى حسرة ثم تنزوها نزوات الألم فتجهش إلى البكاء ...

وصاح إيفان - بعد حين - « ما هذا ... ؟ » ثم نادى زوجته يطلب ماء ، غير أن الحماة اندفعت إليه وفى قلبها شهوة الانتقام وهى تصيح : « ما هذا ؟ ما ذا صنعت ؟ ما ذا صنعت ؟ » قال : « لا شيء ، إننى لا أستطيع أن أفهم ابنتك ولا ما تريده ! » قالت وهى تضطرب : « ما ذا ؟ ما ذا صنعت ، ما ذا قلت ؟ » قال : « لا شيء ، إنها

تستطيع أن تفعل وهى فى سجن من دارها وسجن من أولادها ؟ أفستطيع أن تجد مهرباً مما هى فيه ؟ وترقرق العبرات فى عينيها ...

واستشعرت الأسى والألم فى نفسها حين بدا لها أن سجنها يكاد يضمها بين جدرانها فيقتضض عظامها ويفرى جلدها . إنها ترى الناس يغدون ويروحون فى نشاط ومرح ، فيهم الأناقة والدكاء والخفة ؛ أما هى ... أما هى فقد استولى عليها الفتور والخمول ، وبدأ عليها التشعث والغباء من طول ما اعتزلت الناس

وجلست الزوجة إلى الشباك وخیالها يحلق فى متاهات لا يجد الهداية ... وارتدت إليها ذكريات الطفولة الجميلة ، وأيامها الباسمة ، وحياتها المشرقة ؛ حين كانت ترى العالم كله يضطرب فى قلبها وتضطرب معه آمال كبار تتراءى لها من وراء الأفق فيها السعادة ... سعادة الحب فتبسم فى رضا واطمئنان ، وهى تنتظر المستقبل الجميل .

ولكن ... ولكن ها هى الحقيقة مرة لداعة ، إن العالم كله الذى عاش فى قلبها سنين لم يبق منه سوى شارع ضيق قدر قصير ، فى أحد طرفيه دكان البدال وهم له مدينون ، وفى الطرف الآخر الدار حيث تطوى هى أيامها لا تجد إلا الأطفال وصراخ الأطفال ، وعويل الأطفال ، وإلا عملها فى الدار ، وإلا جماعة من العجائز يلعبون الورق بين الحين والحين فى ضجة وضوضاء وإلا الزوج العنيد يشاكس زوجته ويذلها فى غلاظة وفظاظة ، لا يراعى حقها

تحدثه في لطف وهي تشير إلى المائدة : « ها هو طعامك » فما أجاب الرجل ، وما ألحت المرأة ... وأخذ إيفان يطوف مايطوف في حجرات الدار كأنما يريد أن يشعر كل من في الدار أنه السيد الأمر ؛ وبعد لأي دلف إلى حجرة المطالعة ليستلقي على أريكته هناك ، وأرادت ماريا أن ينزل عن رأيه فلا ينام في حجرة المطالعة فلم تفلح ...

وكان الكلب (نورما) يطمئن إلى إيفان ويهفو نحوه ، لأنه كان يحبوه بعطفه وحنانه ؛ والآن — حين رأى سيده يدخل حجرة المطالعة وحين سمع ما كان بينه وبين ماريا — انطلق إليه في هدوء يداعبه كأنه يريد أن ينزع عنه بعض ما أحزنه ؛ وراح هو يداعب كلبه في مرح ونشاط ، ونادت ماريا من خارج الحجرة : « نورما ، نورما ! » ولكن الكلب لم يأبه ؛ وتردد الصوت : « نورما ، نورما ! » ففزع إيفان عن مكانه وأغلق الباب في شدة وعنف فأسكت الحماة عن النداء ، وذهبت في انكسار إلى فراشها وهي تحدث نفسها : « أفينام مع الكلب ؟ هذه هي نالثة الأثافي ! »

لقد كانت حياة ضنكا ، فيها الاضطراب والقلق ، وفيها القسوة والشدة ، تشتد قسوتها في العشرين من الشهر حين يتقاضي إيفان مرتبه الشهري ويجلس بحسب ديونه وهي تربو على مرتبه ، وهو يرى مصيئته في امرأتين قيّد هو بهما وهما تسعيان للحرية ولا تصلحان لتدبير شئون الدار ؛ ثم يقلب صفحات دفاتره وهو يقول : « لاضير ، إنهما يريدان

انفجرت ضاحكة على حين بفتة ثم راحت تبكي ! » قالت : « لا ، أنا لا أصدق ، هذا عبث ، لا بد أن تكون جرحتها ! » قال الرجل في حدة : « لقد قلت إن شيئا لم يكن ... ! » ثم انطلق ... انطلق إلى الندى يلعب الورق ...

وزاغ بصر المرأة فراحت تذرع الأرض وهي تضطرب وفي نفسها الغيظ والغضب ، ثم جلست إلى ابنتها تحدثها : « لقد تخاصمتما ، فلماذا ؟ ماذا فرط منه ؟ » قالت الزوجة : « لا ، لا شيء ! » قالت الأم : « لعله امتهنك وأغضبك ! » قالت الزوجة : « لا » قالت الأم وقد هدأت من ثورتها فبدا الحنان في رنات صوتها : « يا عزيزتي لا تكتمى عنى شيئا ، أنا أعرف أنه أناني ، فلا تثيري غضبه » قالت الزوجة ومن عينها تتدفق العبرات : « حقاً ، حقاً ! ثم إنه غبي ! » وثارت نائرة الأم فقالت في شدة : « إن امرأة تحدث عن زوجها هذا الحديث فما بعده سوى الشر المستطير ! » وراحت تدفع عن الزوج في لباقة وذلاقة : « إن زوجاً يذ إيفان لم يخلق بعد ، أفلا تعتبرين بسواك ؟ إن زوجة كاييتا لينا المسكينة تحمل أثقالها وأثقال زوجها في صبر وصمت ، ثم هي لا تسب زوجها ولا تحقره . إن بعض ما أنت فيه هو السعادة يا ابنتي ... ! » غير أنها لم تظفر بكلمة واحدة فانطوت على همها تنتظر الزوج ...

وعاد إيفان يديق الباب في عنف ، فقالت ماريا لنفسها وهي تفتح الباب : « لعله سكران ! » ثم قالت

منذ سنوات تسع ثم يتركها في سجنها ليذهب هو إلى الندي

وظهرت رواية (فاوست) على مسرح المدينة . فانطلق إيفان إلى المسرح يحجز له ولزوجته كرتين ، وارتد يقول وهو ياتي بالتذكريتين على المنضدة وعلى وجهه سمات الغضب : « سندهب الليلة إلى الملهى ، لنرى (فاوست) ! وصرخت الزوجة في جوار وقد تدفق دم الشباب في وجنتيها : « فاوست ، فاوست ! » وانطلقت كزينا ترتدى ملابسها وتصفف شعرها وإيفان ينظر إليها وينتقد كل ما تعمل . إنه يريد لها جملة جذابة يفخر بها وبجمالها ، وكانت هي أيضاً تريد أن تبدو أمام الناس خلاصة آسرة ثم ... ثم انطلقا جنباً إلى جنب صامتين لا يشعران بالمرح ولا السرور ، وذراعاً في ذراع ويود كل منهما لو سحب ذراعه من ذراع صاحبه ...

ودلفا معاً إلى بهو المسرح والموسيقى تعزف الألحان الأولى وإيفان يمشى الخيلاء وإلى جانبه كزينا مطأطئة ذاهلة كأنها تساق إلى القصة ... وأطفئت الأنوار ، ورفعت الأستار ، وبدأ فاوست في ملابس رمادية وقبعة كبيرة ولحية بيضاء طويلة ، يغنى :

عبثاً ، عبثاً ما أحاول أن أغير عليه بطول السهر والكد

وكزينا في مكانها جامدة لا تحركها الأغاني وتشجها الموسيقى ، ثم بدا ميفستوفليس أحمر قانياً يتلهب ، يعلن أنه يستطيع أن يأتي بكل شيء حتى

الحرية « فتجيب الزوجة : « وماذا بين الحرية وبين هذا ؟ » فيقول هو : « إن الشيطان يعرف لماذا يعلمونكن الجغرافيا والجبر والحساب وحساب المثلثات والهندسة ! ماذا يفيد كل هذا وأنتم لا تستطعن أن تنظمن حياة رجل ؟ لعلكن تتعلمن هذه العلوم لتطالبن بالحرية في إصرار وإلحاح ! » فتقول ماريا : « إننا ولا ريب نستطيع أن نوازن بين دخلك وحاجتنا إن أنت اطمأنت إلى الدار فلم تذهب إلى الندي » فيقول هو : « وأنى إذن أجد المال ؟ أفأزيفه ؟ » وهكذا يتنازعون بينهم أمرهم ، ويؤنب أحدهم الآخر ثم يستشعرون جميعاً الحزى والعار في حديثهم ، ثم .. ثم تمر الأيام والخمود يستولى على نفس الزوجة ويدب فيها الفتور والكسل فينمحي من عينها بريق الغبطة والسرور ، وتبدو وهي في حركاتها واهنة ضعيفة كأنها في تشعبها وهزالها عجوز شتاء تدب إلى القبر وهي ما تزال في أيام الصبا على المرء أن يسعى جهده إلى الراحة والاستجمام بعد العمل المضني ، ليبدأ عملاً جديداً في قوة وفتوة . وكان إيفان يرى الاستجمام في كووس من الخمر تذهله عن متاعبه حيناً ثم هو يقول : « يجب أن يطرح الإنسان عن نفسه بعض ما يثقلها ليجد النشاط والقوة » أما كزينا فكانت لا ترى الراحة إلا في الملهى وقد حرمتها زماناً ، فهي دائماً تطلب إلى زوجها أن يصحبها إليه فينطوى عنها وهو يذكرها بزيارتها للأوبرا في سانت بطرسبرج حين كانا عروسين

اطمأنت هي إلى ما ترى فنفضت عنها ما يعضها وما يحزنها ، ونسيت الغضب والتهكم والديون و... وما ران على حياتها من ألم وضيق ، فبدت روحها صافية طروباً ؛ واندمل جرح في قلبها نكاته الحياة المرة التي تعيشها

وفي الفصل الثالث طارت خواطر كزينيا بعيداً عما حولها إلى ضوء القمر ، إلى الحديقة الغناء ، إلى أيام الحب والسعادة ... السعادة التي راحت تنمو في خيالها رويداً رويداً حتى غمرتها إلا غلالة صفيقة من حزن ؛ وهي ترى مرعريت الجميلة الجذابة في غداثها الذهبية اللامعة تجثو عند قدمي حبيبها الشاب فاوست تستعطفه في سذاجة وصفاء ؟ ثم سارت إلى جانبه تحت ضوء القمر الجميل وفي نفسها الخوف والأمل وهي تغني أغاني الطرب تناجي بها الكواكب اللامعة ، وتنشر أمامها أسرار سعادتها ، والليل هادي والحديقة ناعسة ، ورنات صوتها العذب الساحر تشق طريقها إلى السماء كأنها تسبيحات عابد يتعبد في غسق الليل لقد لمست فتاة المسرح كل قلب فأنارت الشجون وهزّت أفئدة الذين خانتهم السعادة فألقت بهم في قرارة البؤس ، فوجم الجميع وبدأ المكان هادئاً... واضطربت كزينيا حين رأت مرعريت تمثل دوراً مثلته هي حين تغفل في قلبها حب إيقان

ورن في جنبات البهو صوت ميفستوفليس يضحك في تهكم « ها ، ها ، ها ! » وفي صوته القسوة والخشونة ، وراع كزينيا أن يجذبها هذا الصوت الأجرس من أحلامها فبدت مغيظة مخنقة

الشباب والمال . وتراءى إلى كزينيا اليوم العشرين من الشهر وما فيه من عراق وشجار ، ودوي في مسمعيها صوت إيقان : « الحرية ، الحرية ! » وحين ارتدت إلى ما يمثل أمامها كان فاوست قد خلع لحيته وملابسه ليبدو شاباً أنيقاً جذاباً يتسم ويعنى :

أيها الشباب ، هات مرحك اللانهائي... ثم هو يقفز في نشوة وطرب ، والزوجة جالسة تأسى على شبابها المفقود ، ثم زفرت زفرة عميقة وهي ترمق زوجها وقد مال رأسه في صلف ، وعلى وجهه الخلق الناعم وشاربه المفتول سمات الجدد والحزم

وانتهى الفصل الأول نخرجاً معاً إلى المقصف وإيقان يزججه أن يرى شعر زوجته لم يرتب كما يريد هو ، وأن يخيل إليه أن وجهها ليس طرياً ناعماً كوجوه النساء حوله ، وأن عينيها قد انطقت ما كان ينبعث منهما من أشعة آسرة ؛ ثم هي فاترة خاملة والنسوة من حوله يمرحن في خفة وطرب

ورجعا في صمت وكل يعيش في عالمه هو ، لا يعنيه ما يضطرب في نفس صاحبه ؛ وكانت الأنوار الكهربائية تنعكس على ثياب السيدات فتزيد البهو رونقاً وجلالاً ، والمكان يعج بأصوات الناس ، وكزينيا ترى فيما حولها أسباب حزنها وألمها ، فلم ترفع بصرها لترى في البهو أشياء حرمتها زماناً ، ولكنها انطوت على آلام في نفسها مبرحة وإلى جانبها زوجها لا يسرى عنها بعض ما يضطرب في خيالها . وحين ابتداء الفصل الثاني

الحياة تنعكس كما لو كانت في مرآة» ثم انحنى يهيمس في أذن زوجته في رقة ولطف : « أفند كرين ... هناك في الحديقة ! »

وشاع الخجل في وجه الزوجة حين ذكرت كزينيا وإيفان حبيبين يتلاقيان على ميعاد في حديقة الدار ثم همست في أذن زوجها : « كأنه حلم ! » وجاء صديق يحبيهما : « كيف حالكما ؟ » فأجابه الزوج : « إننا لا نجد ما يحزننا ، فالحمد لله ! وأنت ؟ » قال الصديق : « لا بأس ، شكراً لك ، إنى أرى كزينيا تبدو أنيقة جميلة » فملأها الغرور والكبرياء ثم قالت : « عجيب أن أسمع منك هذا وأنا أرى أنني أفقد جمالي رويداً رويداً » وردد إيفان بصره في زوجته وهو يحدث نفسه : « حقاً إنها جميلة جذابة » . ثم قال في كبرياء و صلف : « إن فوق مكتبي رسماً لها حين كنا خطيبين أفرأيت ؟ لقد كانت أجمل من مرغريت ! »

وفي الفصل الأخير اضطربت في رأس إيفان خواطر : لقد تراءى له أن زوجته ستلقى ما لقيت مرغريت فتدفقت الشفقة والرحمة في قلبه ... لقد كان هو فاوست في وقت ما وكانت هي مرغريت . أما الآن ، أما الآن ...

الدار وهي تبدو في عينيه سجنًا مظلمًا ؛ والأرض الحجرية ؛ والقش المتراكم فوق السقف ؛ والمرأة المسكينة التي تلمس القسوة والفظاظة في زوجها فتخضع وتستكين وهي لا تستطيع أن ترد عن نفسها بعض ما يظننها ؛ ثم الماضي الجميل وقد

وإلى جانبها زوجها إيفان يقول في هدوء : « لا بأس ، لا بأس ! » وألقت السيدة على زوجها نظرة خافتة ثم أرسلت أنه عميقة حين تراءى لها أن الرجل الجالس إلى جانبها كان هو فاوست حين كانت هي مرغريت ... ثم جاءت الغلظة الأخيرة ... الزواج ... لقد تزوجت منه لتشيد صرح سعادتها فهدمت حياتها وهنأته وودوى هتاف الاستحسان حين أسدلت الأستار ثم رفعت مرة أخرى فاذا فاوست ومرغريت وميفستوفليس يداً في يد يتسّمون للجمع الحاشد ؛ ثم هم يبددون من رأس كزينيا أخيلة كانت قد سيطرت عليها حين خيل إليها أن ما ترى حقيقة لا مصرية فيها

ونادت كزينيا زوجها : « تعال ، يا فانيا ! » ثم انطلقا إلى المقصف يشربان الشاي ويأكلان البرتقال ، وقال إيفان وهو يقدم إلى زوجته برتقالة : « أنا ظمان ! » وأحس هو أن قلبه قد نفّض عنه ما علق به من بغض وكرهية فقال : « أهذه البرتقالة حامضة ؟ » قالت الزوجة في رقة : « لا ، إنها جميلة حلوة ! » وأكلت الزوجة البرتقالة وهي ترقب الرجال حولها وتحدث نفسها : « ليس فيهم من يشبه زوجي ، كلهم يذهبون إلى الندى ، ولكن زوجي خيرهم » ثم قالت لزوجها : « كيف وجدت مرغريت ، يا فانيا ؟ » قال : « لا بأس ، ولكن أأفوستر تفوقها » قالت : « أفسمت أأما ؟ » قال : « أفلا تذكرين ؟ لقد سمعتها سويًا في سانت بطرسبرج » قالت : « لقد كان ذلك منذ أمد بعيد » قال : « طبعًا ، لقد رأيته مرارًا ، وأستطيع أن أراها مرات كثيرة ، إن

فقال : « إنك تشبهين مرغريت في سجنها »
وغضت كزينيا من بصرها وقد ابتسم قلبها لأن
صدي صوت أيام الشباب الجميلة رن في أرجائه ؛ ثم
راح يودعها وهو يقبلها : « نعمت بنوم هادئ
يا مرغريت » فقالت هي في حياء : « حرسك
العناية الإلهية يا فاوست ! »

وانطلق إيثان إلى حجرة نومه يخلع ملابسه
في بطاء وتلكأ وهو يغني :

لكم السعادة يا من تعيشون في رضى وقناعة ... !

طاهر محمود صبيب

أترعت أيامه باللذات والسعادة ؛ كل أولئك ارتد
في خيال إيثان فجأة فأن أنه كادت تنقطع لها
نياط قلبه ، ثم نظر إلى زوجته فرآها واجمة
حزينة والعبرات تترقرق في محاجرها فألمه ما رأى
واستقر في نفسه أنه هو الجاني . وعادت إليه أول
ذكريات حبه حين جلس إلى التي أحب يترنم وقد
نشر الظلام مسوحه على الحديقة في وسط هذا العالم
الصاخب ...

ومن حولها البلبل تسجع والسماء صافية
وغادرا الملهى وهما يحسان أن حملاً ثقيلاً قد
انحط عن قلبهما فعادا حبيين كما كانا منذ سنوات
وسنوات ... وطارا إلى الدار وإيثان يطوق زوجته
بذراعه كأنه يخشى أن يفقدها ، وهى تنحى وجهها
في فراء معطفها وعيناها تلمعان من بين الفراء
الكثيف والقبعة البيضاء الكبيرة ... واندفع
يجول في أنحاء الدار مزحاً مسروراً وهو يغني :
دعيني أحدى في هذا الوجه الذى أمانى ...
فقالت ماريا : « كل ثم حدى كيف شئت ! »
وجلس الثلاثة يتناولون الشاى ويتحدثون في
هدوء واطمئنان وإيثان يستشعر في نفسه السرور
واللذة ، ويحدق في زوجته وقد أبدلت ثياباً بشباب
فبدت في صورة ملائكية رائعة جذابة ... ثم
انطلقت إلى أولادها تنظر إليهم - وهم نيام - في
حنان وشفقة وقد خيل إليها أن هؤلاء هم الملائكة
الصغار الذين حملوا روح مرغريت إلى جنة الخلد .
ودلف إليها إيثان فبداه أنه يقف بإزاء فتاته الأولى
حين كان قلبه يتمنى أن تكون له ... له وحده ،

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاغور

ترجمة عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمة عبد اللطيف النشار

ثمان هذه الكتب الخمسة عشرة قروش

بما في ذلك أجرة البريد

وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :

١٨ شارع الاعدادية بمحرم بك بالاسكندرية

عَلَى النَّبِيِّ نَدْوَى الدَّوَاوِ

مترجمة عن الإنجليزية
بقلم الأديب أميل فنج

ذكريات ... ذكريات بعيدة تداعب خيالي
الآن كما تداعب يد طبيب ماهر جرحاً قارب الشفاء
فتؤله ألاماً محتملاً مقبولا ...

هأنذا أرى نفسي يافعاً يسعى في طرأة سنه
لكسب عيشه فيصبح عاملاً في مصنع كبير يحوى
أغلب شبان المدينة ... وكان لترددى على مدرسة
ليلية لأتعلّم مسك الدفاتر الفضل في رضا المستر فوستر
صاحب المصنع علىّ، وبذلك فتح أمامى باب الرقى حتى
بلغت درجة رئيس قسم من أقسامه الكبيرة. لقد
كان صاحب المصنع رجلاً عصامياً عطوفاً فشملى
بعطفه، وكلاّنى بعنايته، فكنت به معجباً وله مخلصاً،
وكان لى نفوراً ولى أباً حنوناً ...

لن أنسى هذا الرجل ماحيت ، لأنه استطاع
بلطفه وحنانه وحبه العجيب لعمله أن يطبع في
نقوس موظفيه وخاصة في نفسي ذكرى لا تمحى ...
فكان الرجل النبيل العطوف في حياته ، والشخص
المقدس الخالد في مماته ...

كنت سعيداً مقتبلاً بهذا المنصب الكبير
الذي أسند إليّ وبفضله صرت من رجال
المدينة البارزين ؛ وكان من أسباب سروري وجود

بيتر فيملاًها مرحاً وحياءً فما أسعدني بالحياة بين هذين القلبين الحبيين ...

ولم يكد بيتر العزيز يبلغ من العمر سنتين حتى تزوج دافيد فتاة جميلة مريحة وهي ابنة أحد أثرياء جنوب إنجلترا . وكانت تبعث في الجو حولها لوناً جميلاً من الصراحة والألفة . فتصادقت هي وماري ؛ وكانت أحب الساعات إلى هذه السيدة الكريمة تلك الساعة التي تداعب فيها طفلنا الحبيب ، لأنها كانت لا تمنى شيئاً في الحياة إلا أن يرزقها الله طفلاً جميلاً . . . وهكذا نالت أمنيته وولدت طفلة جميلة ظريفة سمها - أديث - وكانت قرّة عين والديها ومعقد آمالهما ...

ومرت السنون متتابعة وأقبلت علينا الحياة بوجهها الضاحك الصبوح ، واستطعنا في هذه المدة أن ندخر مبلغاً لا بأس به ليكون لنا عوناً على تعليم ولدنا بيتر . . . وكنت في ذلك الوقت راغباً في أن أصير أباً لأطفال كثيرين ولكن الله شاء أن يجعل بيتر زهرتنا الوحيدة فقصرنا جهودنا على أن نوفر له السعادة والسيادة ... وشب بيتر صبيّاً جميلاً رأيته من خلال عينيهِ الصافيتين معاني الرجولة النبيلة والأخلاق الدمشية . وكذلك نشأت أديث ابنة دافيد فوستر حلوة جميلة كأُمّها واعتادت الفتاة أن تذهب إلى مدرسة للبنات بجانب مدرسة بيتر - فكانت تمر في طريقها بمنزلنا فتحينا تحية رقيقة ثم تمضي . وما مضت مدة طويلة حتى أضرت إديث على أن يصحبها بيتر في عربتها كل صباح ويرجع برقشها كل مساء ... وهكذا كان ... وكنت أنا وماري نراقب صداقة الطفلين بسرور وثؤمل ما يؤمله كل أب وأم عند ما يريان تلك

الصداقة المتينة تنشأ بين طفلين ذكر وأنثى . وقد كان من الطبيعي أن نري بيتر في الرابعة عشرة من عمره السعيد لا يفارق أديث إلا في وقت المذاكرة والنوم . أي نخر كان يعلاني عند ما أرى الصداقة تزداد متانة بين الطفلين ! إنها أمنيته ... إنها سعادتي ... إنها حلمي اللذيذ ... ولكن الدهشة كادت تصرعني في عصر يوم من أيام الصيف الهادئة عند ما فاجأني دافيد بزيارة في مكنتي وقال بعد عبارات المجاملة المألوفة :

- ألا تعلم يا هيرن أن ولدك يركب العربّة مع ابنتي أديث في ذهابها وإيابها من المدرسة كل يوم ... ؟

فابتسمت وأجبت بهدوء :

- أجل ... لقد عرفت ذلك منذ بضع سنين - لا أرى أن هذا من اللائق المستحسن ... خير لك أن تمنع ولدك من الركوب مع ابنتي وبدون انتظار لجواب ... خرج مسرعاً من غرفتي وبقيت أنا ذاهلاً بضع دقائق أفكر في لاشيء ، لقد دعت الفتاة بيتر لمرافقتها من تلقاء نفسها فما سر هذا الامتناع ؟ ... لا بد أن يكون دافيد فوستر مخطئاً ظالماً ... لقد صار كل من الطفلين للآخر ضرورة من ضرورات الحياة ...

وعند ما أخبرت ماري بما جرى أجابتنى في هدوء ورزاة :

- هذه هي غريزة الأبوة ... لا شيء سوى أن أبا أراد أن يحمي ابنته الوحيدة فأجبتها ثائراً :

- كلا كلا !

ولكنها ابتسمت ابتسامة رزينة وقالت :

الرقباء ... وقد أخبرت زوجتي بهذا الحادث
ولكننا كسائر الآباء ينشدون الخير لأولادهم، فابتسمت
مارى وأيقنت فى هذه اللحظة أن حرمان أدب من
مرافقة بيتر كما تحب شجعها على مرافقته سرّاً بين
الغابات وفى الخلوات ... وعلى كل فقد تركنا الأمور
تسير كما يشاء الله ...

وفى الليلة التالية فوجئت بزيارة دافيد لمنزلى .
وما كادت مارى ترى العلامات الغامضة التى ارتسمت
على وجهه وبريق الحنق يشع من عينيه القاسيتين
حتى توقعت شراً .

وواجهنى دافيد بوجهه المتجهم قائلاً :
— ألا تمل يا هيرن أن ابنك رآه الناس يخرج
مع ابنتى فى كثير من المناسبات إلى الغابات ويخلو
بها ... قد تكون يا عزيزى علاقتهما مجرد صداقة
بين فتى وفتاة، ولكن الصداقة فى مثل سنهما لا تحمد
عواقبها .

عند ذلك أجبته باقتضاب :

وبعد ؟ !

— يجب أن يتعد بيتر عن أدب لآنى أخاف
عليها كلمات الحب التى تعد فى مثل هذه السن
المبكرة جريئة .

لم أجد شيئاً أقوله فى هذه اللحظة ، ومع ذلك
تمتت قائلاً :

— سأمنع بيتر من الاختلاط بابنتك يا مستر
فoster ؛ وعلى كل حال سيرحل ابني عما قريب
للاتحاق بكلية الطب . وفى خلال السنوات الست
المقبلة لا يتمكن بيتر من رؤية ابنتك ...
فأجابنى الرجل ودية الفرح تهز كيانه :

— بلى يا عزيزى إنه السلوك الوحيد الذى ينبغى
لأب مثل دافيد أن يسلكه

— ولكن كيف تستطيعين منع بيتر ؟ ... كيف
تخبرينه عند ما يحب ... ؟

ولما جاء بيتر فى الساعة الثامنة مساءً بعد أن
انتهى من واجباته قالت له أمه :

— هناك شىء مهم أريد أن أفضى به اليك
يا عزيزى بيتر

— ماذا يا أماء ؟

— مسألة ركوبك العربى مع إديث يا بيتر ...
إننى أراها يا عزيزى أمانة منك لأنك تركب كل يوم
معه فى حين أن هناك أطفالاً فى سنهما يودون
الركوب معها كذلك

— سوف لا أركب معها ثانية يا أماء ، لأننى
أرغب فى التأخر فى المدرسة بعد انصرافها لأمارس
بعض الألعاب الرياضية وهى لا تمهلىنى حتى ألعب ، بل
تظل تصرخ فى الخارج حتى أترك ألعابى وأذهب معها .
سوف لا أرافقها مرة ثانية ...

— ما أطيب قلبك يا بيتر ...

وكذلك أمر دافيد ابنته أن تمتنع من دعوة
بيتر للركوب ... وقد امتثلت أمره بعد عصيان
وتمرد شديدين .

وفى سن السابعة عشرة ترك ولدى المدرسة
وعزم على دراسة الطب ... وما كان أشوقنى إلى أن
أرى ابني العزيز طبيباً شهيراً فأكون بذلك قد
حققت أعز أمانى فى الحياة .

ولم يكن غريباً أن أرى بيتر الشاب المراهق
وأدب الفتاة الناهد يسيران جنباً إلى جنب فى
إحدى الغابات للنزهة والنجوى بعيداً عن أعين

— هذا حسن ... هذا جميل يا صديقي ... إنني أشكر لك فضلك ...

ثم انصرف الأب بعد أن اطمأن على مستقبل ابنته كجندى غادر ميدان القتال منتصراً مزهواً ...
أى انتصار أيها الرجل القاسى ... ؟ ! أتفخر أنك حرمت ابنتك الحب وقيدتها بقيد ، وضننت على ابني أن يتذوق السعادة ؟ أنت مخطئ ... بل مجرم ...
وفي هذه الليلة الثقيلة الحزينة أفضيت إلى بيتى بما جرى بينى وبين المستر فوستر ورجوته أن يكف عن لقاء ابنته .

ظل بيتى صامتاً يفكر ... ثم نظر إلى الأرض نظرة شاردة وقال كأنه يخاطب نفسه :

— لقد أحببت أديث يا أبى أكثر من أى فتاة فى العالم ... فهى ... فتاة عجيبة ، لقد رغبت فى أن أكون طبيباً شهيراً فى يوم ما ، وقد عازمت على انتظارى حتى أسجل اسمى بين الأطباء بحروف من جد ومجد ...

ومرت فترة صمت قصيرة قطعها مارى قائلة :

— حقاً إنها فتاة عجيبة ، فهى من النوع الذى يولد الحرارة والاقدام فى نفوس الشباب ...

— هو كذلك يا أماء ... كنا أصدقاء ، وكنا عازمين على أن نظل أصدقاء حتى ...

ثم أطرق المسكين حزيناً ولكن أمه قالت مسرعة :

— حتى تصير طبيباً شهيراً فأوماً بيتى موافقاً ثم طوق أمه بذراعيه وقال لها متسائلاً :

— لقد فهمت يا أماء ... ! لقد فهمت ... ؟
— أجل يا ولدى العزيز ... لقد فهمت ...

إن العالم جميل ساحر فى عينيك وعيني أديث ...
كلاهما فى شبابكما الغض الجميل يرسم صوراً فائنة للمستقبل الزاهر ... أجل يا بيتى ، قد تكون الأحلام رائعة يا ولدى ولكنها تكون أروع وأدهش لو تشبعت بالحقيقة إننى أرجو يا ولدى العزيز أن تستمر ذكرياتك عن أديث عزيزة محبوبة كما كانت لأنها ستحفظك نقياً ... صادقاً ... شريفاً فى معمة الحياة وزوابع الشباب ... احتفظ بذكرياتك ... واجعلها تعويدتك المقدسة فى إبان نضالك فى الكلية ... وبعد ذلك عندما تبلغ أمنيته وتصبح أديث امرأة ناضجة ستعرفان قيمة هذه الذكريات ... وتعرفان أنها السلاح الماضى الذى حاربته به أحداث الدهر ونوائب الزمان ... ولدى ...

ثم ضمته إلى أحضانها وراحت تقبله بحنان وعطف ... وأخيراً قال :

— سوف لا أراها يا أماء ... سأحرم نفسى لقاءها ...

وعندما تركنا لينام شعرت بالفخر يلمس قلبي فى عذوبة وليونة لأن بيتى أصبح رجلاً نبيلاً ... فما أسعدني بك يا ولدى ! ليباركك الله وليبارك رجولتك

وبعد شهر قضاء المستر دافيد فى الأجازة خارج المصنع ، وفى يوم رجوعه إلى المدينة من مصيفه استدعانى إلى مكتبه الخاص ، وبعد التحية العادية خاطبني قائلاً :

— . إننى أريد أن أدلى اليك بشيء يا هيرن . وقبل ذلك هل لى أن أسألك عما إذا كنت سعيداً فى وظيفتك فى هذا المصنع ...

— فأجبتته مندهشاً :

لماذا ... ؟ ... أجل يا سيدي فالصنع منبع

رزقي الوحيد فهو كل شيء لي في العالم ... ولن أنسى سعادتي التي وجدتتها بين جدرانها .

الطب ...

— هذا حسن ... والآن لنعالج مثاعبنا . رجلا

أمام رجل ... لقد أصرت ابنتي على حب ولدك ، وقد رفضت أن تتعهد بالامتناع عن لقائه

— أوظفه بمصنعك ... ؟ ... ولا يدخل

كلية الطب ؟ ... إنني متأكد يا مستر دافيد أنك

— ولكن ألا ترى أيها الصديق أنها حماسة الشباب المتهور ؟ ...

لا تعنى ما تقول ...

— إنني أعني ماقلت ... وسيرث ابنك منصبك .

— لا ... لا أظن ذلك ، فإديث فتاة رزينة عاقلة وخاصة في مثل هذا الأمر ، وقد كانت في خلال

سأكون صريحاً معك . يجب أن أعني بمستقبل ابنتي

الوحيدة ... فإذا التحق ابنك بمصنعي لم تعد ابنتي

نزهتنا الطويلة تبسم وتتكلم معي بصعوبة شديدة ، وكلما خادتها أجابتنى بأنه ليس من حق أن أنكر عليها حقها في حب الرجل الذي اختارته

تعتبر ولدك زوجها الكف ...

— تريدني أن أخفي بمستقبل ولدي من أجل

— إن ابني لم يكشفها مطلقاً بحبه

حب صبياني يتلاشى كما تتلاشى سحب الصيف ...

ست سنين يا سيدي كافية لأن تنزع أعماق الحب

— أجل يا صديقي ... فهي تعتبر العلاقة للآن مجرد صداقة عزيزة ، ولكنها عزمت على أن تزوجه بمجرد حصوله على أجازة الطب . سأكلمك بصراحة

من قلب المرأة إذا جفاها حبيبها

— إن كلمة أضحي قاسية يا صديقي ... لأنك

يا هيرن ... ابنك شاب ذكي طموح وهي تحب هذا النوع من الرجال ... ولكن مركزك أقل من مركزى في المدينة ... فحال أن يتزوجا

قد صرت من رجالات المدينة المتقدمين بفضل

منصبك هذا ، فلماذا لا يخلفك ابنك ؟

— ولكن آمالها آمال أطفال يا مستر دافيد ستزول بمجرد أن تكبر أديث وتفهم العالم على حقيقته

فأجبتته ببرود :

— إذا كان حقاً ما تقول ، وسيتمتع ابني بهذه

— أنت مخطئ يا سيدي ... لقد عزمت على إرسال أديث إلى مدرسة داخلية لتكون بعيدة عن ولدك ... ومع ذلك أرجو أن تعمل أنت شيئاً من جانبك

المكانة السامية فلماذا لا توافق على زواجهما ؟ ...

فأجابني ببطء شديد :

فأجبتته دون أن أتوقع ما سيحدث :

— لأن مركزى في المدينة يخالف مركزك

فنظرت إليه باشفاق عليه راثياً له وقلت :

— بكل سرور يا سيدي ...

— وهل يعبأ الحب بالفوارق الاجتماعية ؟ ...

وهل تظن يا سيدي أنك قادر على أن تسلمهما الحب

متى شبا وكبرا . ؟ !

فأجابني بصوت قاس صلب ...

فأجبتته دون أن أتوقع ما سيحدث :

— بكل سرور يا سيدي ...

— ولماذا تنتظر للغد... ؟ لك أن تعثرني
مستقيلاً من الآن... سيذهب ولدى إلى الكلية..
ولأول مرة في حياة هذا الرجل القاسى الجبار
رأيته يحيد عن جادة الصواب ويخرج عن حد اللياقة
إذ قال لى بانفعال :

— إنك رجل غر مغفل لأنك لا تدري من
أين يأتيك خبزك...

عند ذلك لم أستطع أن أحتمل... فرميتة بنظرة
قاسية متكبرة ، ثم مضيت خارجاً من غرفته
ساعياً كالآلة الضياء إلى مكنتي حيث شعرت بالتعب
والضعف يستوليان على أعصابي وبرغبة ملحة في
البكاء... واستولت على الأفكار السود فقلت
في نفسي

الرجل الذى طوقنى بعطفه وإحسانه شاباً
ورعاني بحنانه ورضاه رجلاً يطردنى ولده الآن ! كأن
ذلك التاريخ الجميل وتلك الذكريات العذبة لم تستطع
أن تحمله على أن يحترم شيخوختي ويذكر صادق
خدماتي لأبيه...

ولم يكن من السهل على رجل مثلي مضى أمام
مكتبه أجل أيام شبابه ورجولته أن يترك ذلك
المكتب العزيز إلى الأبد... وقد كانت الساعة
السادسة مساءً عند ما خرجت حزيناً تاركاً ورأى
بحال الشباب ومرتع الرجولة... وسعيت ببطء
قاتل نحو منزلى لأخبر زوجتى المسكينة بهذا الخبر
الفظيع...

وقضينا مدة طويلة في ترتيب المستقبل الصالح
لبيت العزيز... وكانت النقود التى ادخرناها طيلة

سأريق دمي في سبيل الحيلولة دون هذا
الزواج

عند ذلك تصاعد الدم حاراً إلى رأسى وامتلاً
قلبي بالغليظ ولكنى استطعت أن أملك نفسى وأحتفظ
بصوتى رائقاً هادئاً كما كان وقت :

— مستر دافيد... إننى أحب الرفعة لولدى
كما تحب السعادة لابنتك... إن مستقبله هورسالى
في الحياة فلا بد أن أؤديها بأمانة وإخلاص...
لقد أراد أن يصير طبيباً فرأيت سعادتى وسعادته في
اختياره المهنة التى أرادها... فالطب هو مهنته التى
خلق لها ولن ينجح إلا بممارستها ، فجعله في وظيفتى
وهو يريد خدمة المجتمع جريئة هائلة... محال
ياسيندى أن أقترفها...

عند ذلك نفث دافيد دخان سيجارته بشراهة
ثم قال...

— إذن أنت ترفض أن تدخل ابنتك مصنى..
أليس كذلك؟... لعلك خلتنى مغفلاً متهوراً
عند ما طلبت منك هذا الطلب

— متهور...؟ أجل ، فطلب مثل هذا يستند
إلى حب صدياني تافه هو عين التهور والقسوة...
— حسن... ولكنى مازلت متمسكاً بمطلبي
وتستطيع أن تشاور زوجتك وتخبرنى عما استقر
عليه رأيك...

— لا حاجة لى بمشاورة زوجتى... فإنها
سترفض طلبك كما رفضت

— على كل حال... دعنى أعرف قرارك في
الغد ، وإذا كان بالرفض فأرجو أن ألقى معه استقالتك
فأجبت بهدوء قاتل :

هذه المدة كافية بأن نبلغ بولندا المسكينة التي تصبو إليها نفسه ...

وفي الصباح سألتني بيتر ... لماذا لم أذهب إلى المصنع كالعادة ؟ فأجبتته بأن خلافًا بسيطًا حدث بيني وبين المستر دافيد استقلت على أثره من وظيفتي .

لم يصدقني ولدى فكرر السؤال على ماري فأجابته نفس اللاحابة بدون اكتراث ... ثم ابتسمت فابتسم بيتر وقال :

— إذا كنتم أنتم أصحاب الشأن لا تهتمان فلماذا أهتم أنا ؟ ... إنني أستطيع أن أرى إديث الآن ... إذا أردت ...

— لا يا بيتر ... لن تراها ... إن الرجل لا يخيس بوعده ...

— كما تريد يا أبي ... لن أراها ... ثم خرج بعد أن شملنا بنظرة حنون ملأت قلوبنا راحة وسكينة وجعلتنا نثق بالمستقبل الذي كان منذ لحظة مظلمًا كرهنا

وبعد خروجه استطاعت ماري أن تقنعني أن نحل بيتر من وعد لا مبرر له الآن فقد امتنع عن رؤية إديث لأنك كنت موظفًا عند والدها، ولكنك الآن حر طليق ، فمن الحرام أن يتقيد شاب في مثل سنه بقيد ثقل على قلبه الشاب ... ثم اتفقنا على إخباره بذلك القرار عند رجوعه

ولكن ... ولكن ما كاد بيتر يلج باب المنزل في عصر هذا اليوم ... ولم يكد بطلعنا بوجهه المنقبض الحزين وعينيه الباكيتين الشاكيتين حتى أدركنا أن هناك أمراً محزنًا قد وقع لولندا الحبيب .

نهضت الأم الحنون مهرولة إلى غرفة ولدها ، ولما رجعت بعد نصف ساعة رأيت جفنيها مخضلتين بالدموع

— لقد لقي بيتر إديث في الطريق ولما لم يكلمها كما وعدنا ... أسمعتة كلامًا جارحًا وقلت له إن حبه لم يعد يساوي شيئًا لديها ... فأجبتها باستغراب :

— لقد تحدثنا عن الحب ؟ ... !

— أجل .. لقد بكى المسكين في أحضاني .. وإنها لأول مرة أراه فيها يبكي منذ سنين ... لقد بكى لأن الفتاة احتقرته وآلمته ... ولذلك أخبرته أنه في حل من وعده ... وله أن يقابلها في الغد ويشرح لها كل شيء ... ولكنه رفض ...

لم أجد شيئًا أقوله في هذا الوقت ، ولكن ماري استطردت تقول بصوتها الحزين :

— لا بد أن يكون دافيد فوستر مستريحًا الآن ... لقد حقق الشقي غرضه على أنقاض ذينك القلبين الشاين ... وسيذهب بيتر إلى كلية الطب واللوعة تراققه لأن الفتاة التي أحبها احتقرته ... وكنت أتمنى من صميم قلبي أن ترافق بيتر في سفره ذكرياته العزيزة وخبه الطاهر الشريف ليقابل حياة الاغتراب بقلب محصن ونفس جزلة ...

ثم قالت أخيرًا بصوت منكسر :

— قد يظن المسكين أننا حرمانه متعة الحب فيرمينا بالقسوة

فأجبتها بلهفة وحزن :

— ألا يمكن يا ماري أن تخبري أديث بالحقيقة

ما احتملت ... اليوم الذى ذهبت فيه إلى المحطة
لأستقبل بيتر العزيز يحمل لقبه الساحر «دكتور»
وقد استقر رأينا على أن يلتحق بيتر بمستشفى
في الجنوب ليكمل تمرينه ، في عصر يوم
أقبل الدكتور كرولي طبيب العائلة وقال إنه يود أن
يلحق بيتر بمستشفى مدينتنا الذى بناه والد دافيد
منذ زمن بعيد ... وفيه ثلاثة أطباء حطمهم السن
العالية ولا يقوون على مشاق السفر ليلا لإسعاف
المرضى ... حينئذ قالت ماري وبريق الإعجاب والزهو
يشع من عينيها :

— إننى أريدك بجانبني يا بيتر العزيز ...

فأجابها بصوت منخفض حنون :

— سأبقى بجانبك يا أماء .. سأعمل بالمستشفى .

وفي خلال سنة اشتهر الدكتور بيتر شهرة
مستفيضة .. وأصبح طبيب جميع العائلات المحترمة
في المدينة وخاصة في الحالات الخطيرة المستعصية .
ومما هو جدير بالذكر أن بيتر لم يحدث أديث
في خلال السنتين اللتين قضاهما في المستشفى كما
أنه لم يذكر اسمها أمامه إلا مرتين ... وفي كل
مرة كانت تغشى عينيه سحابة من الحزن الدفين .
وأظنه كان عالماً أنها سافرت منذ أن حل بالمدينة
في رحلة طويلة لتكون بعيدة عنه ... وكان أبواها
هما اللذين دبرا ذلك ...

لا أدري أية دهشة استولت علينا أنا وماري
في عصر ذلك اليوم الجميل من أيام الربيع الهادئة
حينما دخل علينا المنزل دافيد فوستر وهو يتسم
ابتسامته البغضية القاتلة ... ويقول من غير مقدمة :

حتى تتصافى القلوب وترجع المياه إلى مجاريها
— لقد فات الوقت ... وأريد الآن أن تفكر
في مستقبله لا في حبه ..

وفي الغد رأيت بيتر شاحب الوجه ... ذابل
العينين ... حزين النفس من جراء ما قاساه البارحة
فظل طيلة اليوم مفكراً صامتاً ...

ومرت السنين متتابعة متشابهة ... نال بيتر
في خلالها أجازة الطب ... وأنا لم أرجع إلى مصنعي
القديم ، ودافيد فوستر لم يسأل عني وكأنه لم يعرفني
لقد قاسيت كثيراً في بادئ الأمر حتى التحقت
بمصنع للأثاث ... وكان مرتبي ضئيلاً إذا قورن
بذلك المرتب الذى كنت أتقاضاه من مصنعي القديم ..
ولكنى استطعت أن أعيش به مستريحاً قانعاً حراً
بعيداً عن سطوة ذلك الرجل الكريه ... فتعلم ابني
كما أراد وحقق آماله وآمالنا ...

وبينما كان بيتر يسعى في تلك السنين نحو المجد
والنجاح ... كانت رفيقة صباه أديث تسعى نحو الزهو
واللهو ... فاندججت في حياة صاحبة ماجنة ...

كانت لا تذهب إلى الكنيسة ... لأنه من
العسير أن توفق فتاة لعوب بين رغبات الجسد
الجائعة ... ونداءات النفس الصالحة ... لقد هجرها
بيتر ومضى يسعى لمستقبله ومجده يقوده صوت الضمير
اليقظان فراحت تثار لحبها وتنقم لنفسها من ظلم
القسوة القاهرة ... فكرهت والدها وأصبحت
لا تكلمه إلا قليلاً

وبعد مضي ست سنوات أقبل اليوم الذي
فحيت من أجله ما ضحيت . واحتملت في سبيله

— لم تكن زيارتي منتظرة بلا شك . . .

— فأجبت به برود وبطء :

— أجل . . . لم أكن أظن أني سأكلمك ثانية

فأطرق الرجل إظراقة حزينة ثم قال :

— لقد أيقنت أني أخطأت . . . وجئت إليك

الآن أقرر خطيئتي وأسألك المعونة من أجل ابنتي

إديث . . .

— معونتي ؟ . . . ! بأي طريقة يمكن أن

أساعد ابنتك ؟

— لم أصلح أن أكون أباً . . . لقد أحببت

أن تصير إديث زهرة يانعة في المجتمع لتتزوج رجلاً

شهيراً ذا مكانة . وكان هذا هو أملى وحلمي . . .

ولكنها نبذتني وكرهتني منذ أن حرمتها لقاء ولدك .

لقد أبت أن تتزوج . . . وفضلت أن تسير في الطريق

التي رسمها لها خيالها المكدود المتعب . . . صارت

الفتاة تسمع لتلك الأصوات المغرية الفاتنة في همس

عاشق حبيب ، فأنخدعت المسكينة بمحاول الحديث وروعة

الهمهمات الخافتة . . . وتراءت لها أضواء المدينة

متلاثلة صارخة منادية . . . فلبت الشقية النداء . . .

لم أستطع ، وهو يقول هذه الكلمات في حماسة

ومراودة كأنها قطعة رثاء يلقيها ، إلا أن أظل صامتاً

ناظراً إليه في بلادة . . . لم أفهم ما قال . . . ولم أفقه

ما ذا عني . . . غير أني أدركت أنني أمام رجل

محطم ذليل . . . كسرت قلبه فكرة خاطئة . . .

ذهبت ضحيتها فتاة بريئة طاهرة . . . فراح يتلوى من

الآلم والندم . . . ثم يستطع المسكين أن يخفي شيئاً

فراح يرسل نفثاته المسمومة في جو الحجرة الحزين

فكانت كلماته كالنصال الحادة تننثر في الفضاء فتحوله

إلى جحيم . . . ثم استمر يقول :

— لقد ذهبت زوجتي لتزور إديث لأنها أبت

أن ترجع إلى المنزل . . . وهناك وجدت الأم طفلها

المسكينة تحجل أن ترجع إلى المدينة لأنها . . .

قاربت أن تصير . . . أ . . . أما . . .

فتمتت في حشجة قاتلة :

— أما ! . . . أما ! . . . ؟ !

فأجابني بإعانة حزينة

— من أجل هذا أتيتك . . . لقد عادت زوجتي

بإديث اليوم إلى منزلنا وهناك قصت الشقية قصتها

المخزية على أمها . . . حياة صاخبة . . . ووعود كاذبة

وعلاقات آثمة

— ولكن ماذا أستطيع أن أساعدك به

يا سيدي . . .

لقد تردد وبدأ له أن يتراجع لأنني رأيت في

عينيه بقية من كبرياء . . . ومع ذلك خضع وقال :

— تستطيع يا سيدي أن تحمل ولدك على استعمال

فته في إنقاذ ابنتي من العار

— تعني عملية إجهاض ؟ . . .

لم أستطع في هذه اللحظة أن أتمالك نفسي .

ترأيت لي حياة الفقير التي عشتها بفضل ظلم

هذا الرجل الدليل الواقف أمامي الآن . . . لقد علمتني

حياة الحرمان . . . وأسأني في أعز شيء لدي . . .

وعلى ذلك أجبت به بخشونة :

— لن أسأل ولدي ذلك . . . لماذا أتيت الآن

ذليلاً تطلب معونة الرجل الذي طعنته في الصميم ؟ . . .

لقد فصلتني من وظيفتي التي أفنيت فيها شبابي

وكهولتي . . . وأردتني على أن أحرم ولدي متعة العلم

— إنني أقدر هذه الذكريات يا دافيد فوستر ...
وإني لمستعد أن أساعدك في كل عمل شريف
ولكنك تطلب مني أن أمالك على عمل دنيء
فقال بعد أن رماني بنظرة ذليلة كسيرة :
— سأذهب إلى ابنك نفسه وأقدم إليه أجراً
يكفيه أكثر حياته ...

— تستطيع أن تجده ياسيدي في المستشفى
وجاء دق جرس التلفون فتناولت السماعة وإذا
بصوت بيتر يصل إلى من خلال الأسلاك الدقيقة
متهرجاً ... مضطرباً :

— هالو ... بابا ... إنني أعتذر عن العشاء
في هذا المساء لأنني ذاهب إلى منزل دافيد فوستر
فإن ابنته إديث على وشك أن تموت

وسمعت ولدي يضع السماعة ولكنني لم أجد
القوة لأضعها ... وكان دافيد فوستر يمشي في العرفة
بخطوات بطيئة تعباً منكساً رأسه في حزن عميق
فناديته ...

— دافيد ... دافيد فوستر ... انتظر ...
انتظر دقيقة ...

التفت المسكين بسرعة ونظر إلى نظرة متسائلة ...
متوسلة ... فشعرت في هذه اللحظة أن الرجل
قد تحطمت كبرياؤه وتقطع قلبه وتقدم عشرين سنة ...
فيدا شيخاً حزيناً ذليلاً ... وأمام هذا المنظر
وهذه الشيخوخة العسة ... تنبت عيناى
بالدموع ثم قلت :

— لقد قال لي ولدي الآن أن زوجتك استدعته
بالتلفون فأجابني باكياً :

— استدعى إلى منزلي ... آه ... ألم تمت

وسعادة الحياة ... ثم تريدني الآن على أن أقتذ اسم
ابنتك وسمعة أسرتك ...؟ كلا ... فلن يدنس ولدي
مهنته الشريفة ...

عند ذلك قام كنمر مفترس محبوس في قفص
ضيق مريع ، ثم واجهني واقتربت عيناى من عيني
وراح يحملني فيهما بشراة غريبة ثم قال :

= هل تعني ماذا يعني رفضك هذا ...؟ إذا
أعدتلك إلى وظيفتك تحمل ولدك على أداء ما طلبته
منك ؟ ...

— كلا ... وإن ما يدهشني الآن أنك أتيت
إلى أنا ... لماذا لم تذهب إلى طبيب آخر ...

— لقد ظننت أنني أجد المساعدة منك أنت
— إنك لا تقدر خطورة سؤالك هذا ...

إنك تريد أن تجعل ولدي يدنس شرف مهنته ...
إن الأطباء لم يخلقوا ليحطموا الحياة بل لينقذوها
عند ذلك دنا الرجل مني حتى التصق بي ونظر
إلى نظرة ذليلة ثم قال :

— أنسيت ما صنعه أبي لك ..؟ ربما أكون
قد عاملتك بقسوة وهأنذا أعترف بأنني كنت مخطئاً
وقاسياً ، ولكن أبي قد استخدمك صيماً وصادقك
رجلاً فاستطعت بفضل معونته ومحبه أن تشتري
منزلك الذي تسكنه ... وتعلم ابنك المهنة التي أرادها
هل نسيت هذا ؟ ... هل أستطيع ياسيدي أن أقدم
إليك بطلي باسم تلك الذكريات العزيرة التي ربطتك
بوالدي برباط مقدس جليل ... ما ذا كان لك أبي ؟
وماذا فعلت من أجله ... ؟

ونظرت إليه بصمت حزين ... ثم قلت بصوت
منخفض تشوبه ارتعاشة خفيفة :

دافيد فوستر بصوت مبجوح كصوت فصل خاد
يجري على شيء صلب قاس:

— إديث ... إديث

فأجابته المرأة الشجاعة بصوت أرادت أن تجعله
قويًا حاسمًا فكانت منها كذبة هائلة لأنها لم تستطع
المقاومة فقالت:

— لقد ... ماتت ابنتك منذ ساعة كما قال

بيتر ... لقد انتحرت

عندئذ نظر إليها زوجها ببلادة وبلاهة كمن
لا يدرك حقيقة موقفه وقال:

— ماتت؟ كيف..؟ أريد أن أراها... أريد

أن أرى ابنتي الصغيرة العزيرة، أريد...

فأجابته زوجته بحنان:

— نستطيع أن نراها بعد برهة قصيرة يا دافيد.

إن بيتر معها في الغرفة... لقد ماتت وصورته لاصقة
بصدرها...

— أجل... بيتر هيرن... لقد ذهبت إديث

بحبه إلى السماء...

ما هذا... ما هذا الشقاء الذي حاق بهذين
الرأسين الأشيبين؟ لقد شعرت بالدموع تهمر على
خدي فرأيت من خلالها دافيد فوستر يقف ذاهلاً
كرجل ضعيف تحت تأثير منوم مغناطيسي... حينئذ
قالت الأم الحزينة:

— يجب أن ندع بيتر يتناول حبيبته الصغيرة

الميتة بين ذراعيه برهة قصيرة...

فانفجر دافيد من الحزن والحنق وأراد أن يقول
شيئاً ولكن زوجته أسكتته بنظرة صارمة حازمة
ثم قالت:

إديث؟... أخبرني... لقد قالت إنها ستنتحر...
أخبرني بربك... أخبرني...

فأجبت ببطء:

— لا أعرف سوى أن بيتر في طريقه إلى

منزلكم...

عند ذلك تطرح المسكين على مقعد بجانبه ثم
راح يتمتم في همس حزين:

— ابنتي الصغيرة... ابنتي الصغيرة...

لقد عزمتم على أن تفارقنا للأبد... للأبد...

— دعني أوصلك إلى منزلك... ربما تكون في

حالة خير مما تظن... إن كان هناك أمل في شفائها

فيبيتر سينقذها حتماً...

فأجابني كرجل نائم تحت تأثير حلم هائل:

— سينقذها بيتر...

وقد ساعدته على النزول وأركبته العربة...

وفي أثناء الطريق راح يتمتم في حشرجة مخيفة...

« سينقذها بيتر »

وعند ما بلغنا المنزل... شعرنا بجو من

الكآبة يكاد يخنقنا... شعور مبهم لا ندري كنهه

ولكنه تحقق حين رأينا الخدم واقفين بوجوم

وحزن... بعضهم ذاهل وبعضهم يبكي

لا أدري كيف قادت الرجل المحطم إلى داخل

منزله...؟ ولكنني أققت حينما رأيت زوجته جالسة

كحيوان عاجز كسير حرم أطفاله قسراً...

ولكنها حين رأتنا وقفت بكبرياء عجبية...

وجندى في ميدان الحرب لا يجد بداً من إبداء

شجاعته وإلا هلك، وقفت تواجهنا بوجهها الأصفر

الهزيل وعينيها الباكيتين... عند ذلك همس

شابة تحتاج إلى مال أو ملابس ... روح معذبة
مظلومة تنشد الراحة والهناء ... كذلك كان زوج
هذه السيدة قد اعتزل العالم وأصبح زاهداً فيه ...
يتردد بين عمله ومنزله ... وقد عرف أخيراً أنه
هو المحسن العظيم الذي بنى جناحاً آخر للمستشفى
وأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً ، ولا ينجيب راجياً ...
يساعد اليتيم ، وينصف المظلوم ، ويعاون الأرملة
على العيش ، ويساعد الفقراء على الزواج
يرجو بذلك أن يكفر عن ذنب اقترفه .. إذ سلب
ابنته الحب والحياة ... وسلب ابني الراحة والسعادة
يريد أن يكفر ... أجل يكفر ... ليبلغ سلام
النفس وما هو بباله
رباه ! في أي حال نحن أسعد ... ؟
أفي الحب ؟ ... أم في الاحسان ؟ ... أم
في الموت ؟ ...

أميل فرج

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمان ١٢ قرشاً

— إن الله معهما الآن يا دافيد ... وسيعلم بيتر
أن ابنتي قد أحبته ... وأن روحها نقية طاهرة ..
لأنها أحبته ...

وجلس دافيد فوستر بجانب الأم الحزينة وأسند
رأسه فوق صدرها كطفل تعب متهدم ينشد الراحة
بين أحضان أمه الحنون ، ثم دفن وجهه في صدرها
وراح يهتز كريشة في مهب الرياح ... ثم بكى ...

وفي هذه اللحظة خرج بيتر من الحجرة أصفر
الوجه ، ساهم العينين ، غائب الحواس ، كأنه
إنسان صناعي يسير بقوة أجنبية عنه ... ودون أن
يدري تقدم نحو السيدة فوستر ففتحت المسكينة له
ذراعيها فاستقر بينهما ... وهو يهمس بصوت أبح :
— أشكر لك يا سيدتي عطفك على هذه الليلة ..

فأجابته المسكينة :

— ليباركك الله يا ولدي العزيز ...

كنت أود أن أحبك كوالدي ... كنت أود ..
فلم أقو على احتمال هذا المنظر ولا على سماع هذا
الكلام ، فخرجت وكأني أخرج من قبر مظلم ، ثم
لحق بي بيتر وقال وهو يتسم ابتسامة باكية متجلدة :
— سأذهب للمستشفى الآن ... وسألحق بك

إلى المنزل ... إلى اللقاء يا والدي ...

ودار الفلك دوراته المنتظمة المتعاقبة وما زال
ولدي في المستشفى لا يبرحه

وقد خيط في رأسه الشيب ولم يتجاوز الخامسة
والثلاثين من عمره .. وقلما تجده مشغولاً بغير مهنته ..

ويستطيع كل زائر أن يرى سيدة جميلة وقورة
تزور المستشفى كل يوم ترجو من الدكتور بيتر أن
يقول لها إذا كان في الناس من يحتاج لشيء ... أم

انها امي

للاستاذ محمود خيرت

سرير بلد كان الباجا
بوصه ٣ طراز لويس
الرابع عشر كان مخصصا
لنوم البارون دى ...
وعند ذلك يتبارى
الراغبون فيه فتسمع
تجاوزهم في المزايدة خمسة

جنيهات ... ونصف ... سبعة ... ونصف ... عشرة
وعندئذ يصيح العامل في أسف :
عشرة جنيهات بس ! مين قال حداثر ... راح
نييع ... راح ينكسب ... ألاؤنه : ألاؤريه .
مبروك عليك يفندى

أما أنا فكنت في شاغل عن هذه الحركة بمداغبة
البيغاء ، أحدها قتسكت ، وأستنطقها فلا تجيب .
وقد خطر لي أن أغريها بقطعة من السكر من مقهى
قريب بينى وبين صاحبه صلة ، ولكنها مع ذلك لزمت
صمتها بالرغم من إلحاحى ؛ وكأن صبرها فرغ قرفعت
في وجهى عينيها المستديرتين الصغيرتين ثم فتحت
منقارها الأصفر صائحة في غضب : لا .. لا ... وعند
ذلك أقبل الدلال وتقلها إلى مائدة في وسط المكان
فأخذ الحاضرون يتدافعون حولها ثم طرحها في
المزاد ، حتى إذا وقف عند سبعة جنيهات صاحت
البيغاء من داخل القفص وهي تقول : (ثمانية)
فضحك الناس إلا واحداً من بينهم كان يسمع له
أنين وبكاء ، وكان رجلاً قصير القامة ذابل العينين
فأخذ يقول وقد اخضت لحيته البيضاء بالدموع :
إنها لتساوى أضعاف ذلك لأنها تعرف أربع لغات ،
وكانت أنيسى في غيبة زوجتى وأولادى بأتينا ، ولولا
هذه الحرب القائمة لما غرمت على اللحاق بهم ولا

كنت أجد صالة البيوع هاجعة ، يخيل إلى
وأنا أمر في مماشيتها الملتوية بسبب تكديس محتوياتها
أنها خالية من القائمين عليها . ومديرها منزور في
ركن مظلم وقد أرخاه الكسل وغلبه النعاس ،
وكذلك عماله ، لوقوف حركة البيع والشراء بسبب
دخول فصل الصيف

أما المكان فكان مكتظاً بمختلف العروضات ،
فهنا أثاث قديم ولكنه من طراز لويس الخامس
عشر أو السادس عشر ، وهناك في بعض الأركان
تماثيل من الجص والطين المحترق والبرنز استوقفتنى
من بينها تمثال من الرمر لغادة عارية تنأى جسمها
في الحسن ودقة النسب ، وعلى كتفها دراعة يمتد
طرفها فيغطي أحد نهديها وأعلى نخذيها وهي من
نفس الرمر ، ولكنك مع ذلك تكاد تلهج من خلالها
محاسن هذا الجسم الفتان الناعم . وفي مكان آخر
قفص أسلاكه من النحاس به بيغاء لا تنطق ولا
تتحرك كأنها من بعض التماثيل الخ . الخ

ولكن الصالة في ذلك اليوم كانت تموج بالناس
وبأيديهم بيان مطبوع يقفون منه على ما سيتناولوه
المزاد ، وكان المدير وعماله يتنقلون في أرجاء الصالة
وقد امتلأوا نشاطاً وحركة ، حتى إذا مادنا الموعد
ودق الجرس أخذ الدلال يصيح بصوت عال :

اضطهروا إلى التفريط في هذا الطير الذي يحبني وأعبده . ثم يعود إلى البكاء

أما في هذه المرة فقد كان المعروض صورتين زيتيتين لرأسى رجل وأمرأة طاعنين في السن ، وما كانت مساحة كل منهما تتجاوز عشرين سنتيمترا في عشرة

أخذ المنادى يصيح : الثمن الأساسى جنيهان لكل صورة . والمزاد عليهما معاً . ولكن الناس أعرضوا عنهما مع ما كانتا عليه من دقة الصنع وروعة الفن ، وأخيراً أعادها إلى حيث كانتا وأخذ في إشهار المزاد عن معروضات أخرى

لقد كانت هاتان الصورتان آيتين من آيات الفن الحديث ومع ذلك غفل الناس عن التفكير في اقتنائهما وما كان المزاد ليرسو فيهما بأكثر من بضعة جنيهات ولكنهم أحجموا ولهم العذر ، وما كانت النفوس في مصر قد استعدت وقتئذ لفهم مثل هذه الآثار وتقديرها والشفف بها ؛ ولو أننى كنت في ذلك اليوم أملك أكثر من جنيهين كانا كل ما معي لما ترددت لحظة في الظفر بهما لأننى بالرغم من اشتغالى بالحمامة كنت أيضاً مولعاً بالتصوير أتاقى فيه درساً على المرحوم ياولو فورشيلا أستاذ مدرسة الفنون الجميلة . بل إننى كنت أيضاً أكثر من الاطلاع على بعض مجالات هذا الفن وعلى بضعة من الكتب الموضوعية فيه ومنها أجرومية شارل بلان التى هى بالنسبة للفنون الجميلة أشبه بمقدمة ابن خلدون بالنسبة لتاريخ العمران ، ولذلك كانت نفسى مهيأة إلى حد ما لإدراك ماهاتين الصورتين من القيمة الفنية حتى أننى بعد أن أعادها المنادى إلى مكانهما لبثت أنظر إليهما في خشوع وأنا يغمرنى سيال

لطيف من السرور والنشوة

وكان يتنازعني عندئذ عاملان قويان امتزج فيهما سلطان الفن بسلطان العاطفة ، لأن الطريقة التى اتبعها المصور فيهما حديثة يطلقون عليها اسم Impressionisme أى رصد الأثر الوقتى الذى تشعر به النفس . والمصور على أساس هذه الطريقة يقذف بألوانه فوق لوحته قذفاً لى لا يتبدد الأثر الذى تكون النفس قد شعرت به في لحظات تأملها . ولذلك لا تجد نفسك أمام لوحة مستوية مصقولة بل أمام ما يشبه أطواداً وأغواراً من ألوان متحجرة لو أنك مررت عليها بأصابعك لتفرزت نفسك عند لمسها . ولكنك إذا نظرت إليها من بعيد هالك ما يتجلى فيها من جمال الطبيعة الحى فتسحرك سحراً وتفتنك فتوناً . على أن نفسى أخذت بعد ذلك تنحدر في اتجاه آخر وأنا أتساءل عن حقيقة هذين الشخصين : أكانا أخوين ؟ أم كانا زوجين ؟ لأن الذى صورهما شخص واحد (ج . موستا كيس) ولما بين الصورتين من الوحدة في الوضع والالتفات والقياس والإطار . كما أن الصالة اشترطت أن لا تباع إحداها دون الأخرى ؛ ثم إنى لمحت فوق جمال المرأة وسموها الباديين من خلال شيخوختها وفوق ما يشعنه وجه الرجل من دلائل القوة والنبل أنه يحمل معطفاً من معاطف الجندي لا يرتديه إلا ذو مقام فيها . وعندئذ يذهب خاطرى إلى أنهما كرىما المنبت ، وكانا في بسطة من العيش فلما كثر لها الحظ سلكا سبيل ذلك النفر الذى يفقره البؤس وتفنيه الشيخوخة بما تحمل معها من أجسام مترهلة ووجوه مفضنة مما يسعى إليه الفنانون في دراساتهم ، ولذلك دفعت بهما الحاجة إلى الوقوف أمامهم كنماذج

وينتصر لها ولذلك أخذت تعدّ نفسها هذه المرة لتصفع كبريائي وجهي الصفعة الأخيرة . ولكن كم كانت دهشتها حين رآته على غير رأيها ولأن مادفعته ليس بالكثير في جانب هذه اللوحة القيّمة . وعند ذلك خيّل إليها أنه إنما يمزح أو أنه مثلي مجنون ؛ ثم أرادت أن تتبين أمره فقالت له : إذن خذها بالثمن الذي دفعه زوجي فيها فقال : بل إنني أدفع فيها عشرين جنياً لو أنه يرضى . أما أنا فرفضت ، وأما هي فخرجت مغضبة

والواقع أنني ما كنت لأقبل فيها ثمناً ما مهما كان مع أنها ما كانت إلا قطعة بسيطة من القماش في إطار قديم لا تساوي معه بضعة قروش . ولكن القيمة في الفن الذي كساها ، واليد الموهوبة الماهرة التي أخرجته عليها . والفنان ، الذي وهو يصور نموذجيه ، مجرد عن كل شيء إلا عن التفكير فيهما فامتزجت نفسه بنفسيهما حتى لتلمس في هذه الخرقه البالية وفي أختها خفقات قلبه ، وحرارة أنفاسه ، وهيامه بفنه ، وتلاشيه فيه . فما هي إلا وحي أرسلته خواطره ، وأبدعته ألوانه الخاضعة وأصابعه الجبارة . وإذن فكيف أفرط فيها ولا أكون ضئيلاً كل الضن بها ؟ إن البخل ليكتنز الدينار للذهب ، ولكن الفنان أو المولع بالفن يحتفظ به للنقش البديع الذي على وجهيه . وقد يكون هذا النقش على قطعة من الحديد لا تساوي شيئاً ولكنه لا ينزل عنها ولو عوّض فيها سبيكة من الذهب الخالص

كنت سعيداً كل السعادة بهذه الصورة لا أخرج إلا إذا عرجت على غرفة مكنتي لأملأ عيني منها ولا أعود حتى أسرع نحوها لأطمئن عليها . أما زوجتي فما عادت تكلمني في شأنها ولكن أثر

وكثيراً ما كنت أصر على تلك الصالة فأجد الصورتين في مكانهما وأساوم صاحبهما فيهما أو في إحداها فيأبى ، وأخيراً قبل أن يأخذ في واحدة منهما ثلاثة جنيهات ، فاخترت المرأة وحملتها إلى منزلي وأنا أشعر بأنني أحمل كنزاً .

كنت في ذلك اليوم أشعر بالسعادة تهبط على من جميع النواحي وأحس وأنا أعلقها على أحد جدران مكنتي بحيث تقع عيني دائماً عليها أنني ظفرت بأسمى تحفة من تحف الفن . نعم إن زوجتي حين أبصرتها كادت تستلقي على ظهرها من الضحك ، وهي تدهش لأنني قد دفعت فيها ذلك الثمن مع أنها لا تساوي في نظرها قرشاً . ولكنني كنت في شغل عنها بما يفوح به ذلك الوجه الغبر وتلك البشرة المتجمدة من عيبز الجمال والإبداع مما زاد في ثورتها ، فجمعت حولي أولادها وهي تقول : أنظروا ماذا جاء به أبوكم اليوم ! ومن الغريب أنه كثير الإعجاب بها ويقول إنها من أجمل الصور التي رآها ! وعند ذلك ينفجرون بالضحك ويصيحون : إيه إيه ! دي جميلة ، دي زي ستنا العجوزة اللي ماتت . مش كده ياماما . وعند ذلك تتشمخ بأنفها كأنها قد تم لها الانتصار على وأنا في نفسي أضحك عليها وعلى هذا الجهل الذي غمرها حتى طاب لها الاستنجاد بهؤلاء الصغار

وباليتهما اكتفت بذلك فقد أخذت تروي قصتي هذه لكل من يجتمع بهن من السيدات سواء في دارنا أو في دورهن في أيام زيارتها لهن حتى علم من يعرفوننا بخبر تلك الصورة وحتى أقبل أحدهم ليزورني وليرى بعينه ذلك الأثر الذي أقام كل هذه الضجّة ، وكانت زوجتي حاضرة مجلسنا وهي تحدث نفسها بأن هذا الزائر سوف ينصفها

الدار حتى ناولني خادبي كتاباً قال إن رجلاً تركه
وسيعود

سيدى المحترم

لم يسبق لي أن حظيت بمعرفتك . ولكن سرّاً
ألياً هو الذى جعلنى أقصدك وأطمع فى عونك
وأنت محام تنصر الحق ويفيض قلبك بالرحمة . فى
سنة ١٨٩٨ كنت أتهياً لامتحان السنة النهائية
للفنون الجميلة بمدرسة أتيننا . وكان من بين اللوحات
التي يجب أن أقدم بها صورتان لشخصين مما يعبر
عنه بالمحاولة (Etude) فرأيت أن تكونا صورتي
أبى وأبى الشيخين . ولما نجحت حجزوا تلك اللوحات
إلا صورتيهما فقد احتفظت بهما لمعزتهما على . ولما
قامت الحرب العالمية الأخيرة وقف عملى وضاعت
يذى فاضطرت إلى بيعهما وأنا أبكى . ولكنى
وقد تهياً لى سبيل العمل رأيت من الواجب أن
أستعيد هذين الأثرين اللذين أفرغت فيهما مواهبي
وحبي . وقد عثرت على إحداها أمس فقط باحدى
صالات البيع وعلمت أن الأخرى عندك . . . فهل
تحول بينها وبينى ؟ إنها أمي . . .

ج . موستا كيس

وما كدت أنتهى من تلاوة هذا الكتاب حتى
سرى عنى وخف عبء الهم الذى كان يضغط على
صدرى ؛ وكان الرجل قد أقبل فسبقته إلى غرفة
مكتبي وأخذت الصورة من مكانها وأنا أقول لها
فى نفسى : هاأنذا أبر بوعدى فأردك لا إلى زوجك
فحسب ، بل إلى حظيرة ولدك أيضاً . ثم ناولته إياها
فشكرنى بلسان مضطرب ثم طبع على خدى قبلة
شعرت أنها هى التى طبعها .

محمود هبيرة

(القاهرة)

الحزن كان بادياً على وجهها وعلى حركاتها . ولعلها
الغيرة التى أحدثت ذلك والنساء يغرن حتى من
صورة ، وحتى من صورة لامرأة عجوز

على أن هذه السعادة لم تدم طويلاً . فلقد كنت
ذات ليلة مستغرقاً فى النظر إليها فانتقل خاطرى فجأة
إلى صالة البيوع وإلى الصورة الأخرى التى بها .
وعند ذلك غمرنى حزن خفى وشملى ذهول مشوش
وخيل إلى أن الصورتين إن هما إلا روحان قربت بينهما
تلك الصالة فكأنا سعيدتين بهذا القرب ، أما وقد
فرقت بينهما فقد هدمت بعملى هذا تلك السعادة .
وعند ذلك رفعت بصرى إليها فهالنى ما صورته لى
وهى وكأن الحزن يرج الإطار رجاً ويهز الصورة
التي بين أعواده هزاً عنيفاً ، كما خيل لى أن شعرها
السنجاني تحول إلى بياض ناصع ، وأن السطور
الأربعة التى ارتسمت على جبينها أصبحت مضاعفة
وأن تينك العينين الدابلتين اللتين كان يشع منهما
النور واللفظ والسكون أصبحتا أكثر ذبولاً ،
وانبثق منهما شعاعان ضعيفان يحملان فى ذراتهما
كل معانى الظلمة والأسى والاضطراب . وعند ذلك
اتجه خاطرى إلى صورة ذلك الجندي الحبيس فى
ظلام تلك الصالة ، فكاد يغمى على لما صار إليه وقد
فعل فيه البعد ما فعل بأخته أو زوجه ، حتى أنني لما
أصبح الصباح عقدت العزم على اقتناء تلك الصورة
وأنا أقول لأختها فى نفسى : إن تحزنى فسيكون لى
جانبك بعد قليل ، ولكن صاحب الصالة أفهمنى أنها
بيعت من يوم ، وأنه لا يعرف أين يقيم ذلك الذى
اشترأها . فعدت ، وقد توزعت خواطرى وبططوت
خطواتى وثقل همى ، ولكنى ما كدت أجتاز عتبة

الحقق، عميق الوجيب،
ملء شغافه أمل التحلي
بذلك الفراء الجميل...
وكانت تدعوه في
أحلامها «ثعلبي الفضى»
وفي كل صباح من
أصبح العمل في الساعة
التاسعة والدقيقة الثالثة

الثعلب الفضى

للقصصية الألمانية فيكي باوم
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

تلقى ماييل على ثعلبها نظرة
التزور والوداع ثم تنطلق
في سبيلها إلى محل عملها
في شركة «بارسون -
مانتون» حتى تصل إليه
قبل وصول «السيدة
بلاكنى» مساعدة المدير...
وتهرول ماييل في طريقها
حتى تصل إليه أخيراً
واهية لهثى وقد أعياها
السير، وجهدها العجلة...
ولكنها تجد نفسها - على
الرغم من ذلك - وصلت
مستأنية متأخرة عن موعد
وصول السيدة بلاكنى



ربما كان في طوق
«ماييل» أن تحصل على
الثعلب الفضى لو تسلفت
النظر قليلاً إلى الأمام قبل
أن ينبت لها خرس العقل
الذى بذلت في سبيله كل
ما في يدها...

وكان الثعلب الفضى
معروضاً في واجهة أحد
محال الفراء في شارع
واردر، وكان من عادة
ماييل أن تتلبث أمامه
برهة من كل صباح،
تسرح البصر في أطرافه
وأعطافه، وقلبها عجلان

التي تسارقها النظر الشرر خلال ساعات العمل...
وماييل - إلى جانب ماتقدم - عادة في ربيعها
العشرين جميلة القسمات... ولكن هذا لا يكفي...
فهناك جوع زاخرة من الفتيات قد تحشدن في
الطرق وكلهن جيالات رائعات... فما الذى مازها
منهن؟.. نعم! لقد مازها منهن لوني عينيها وشعرها...
(٧)

ولدت فيكي باوم في فينا في ٢٤ إبريل سنة ١٨٨٨
وكانت في مبدأ حياتها تعزف على العود Harp في أحد
مسارح فينا... وكان للموسيقى ولصبتها الوثيقة بالمرح
أثر بين في حياتها القصصية حتى ليرى متفحص أثرها الأدبي
أن معظم أعمالها الأدبية التي سبقت قصتها «الفندق الكبير»
تصف الحياة المسرحية وصفاً دقيقاً رائعاً... وقد بلغت
أوج مجدها الأدبي بعد قصة «الفندق الكبير»... وهي تعد
الآن من أكبر كاتبات القصة في العصر الحديث «فتحي»

وفي ذات صباح من أصباح الخريف الضاحية
أقبلت السيدة بلا كني تزيّف في خطرتها ، وقد
تطوق عنقها بثعلب فضي جميل كان هدية المدير إليها
في عيد ميلادها الخمسين .

وكان هذا هو اليوم الذي قرّ فيه عزم ماييل
على شراء ثعلبها الفضي الذي عقدت أسبابها به هذه
الشهور الطويلة ... فبدأت تقتصد في مالها
وأخذت ماييل تقضي أمسيّاتها في المنزل
عازفة عما خلاه وقد ارتسمت في مقلتها صورة
السيدة بلا كني وقد التمع فراؤها الفضي على كتفها
وتوهجت عيناه الدقيقتان من بين طوايا الشعر الغزير
وما أكملت ماييل اثني عشر جنيها حتى دهاها
مادهاها من خرس العقل ... وأنت أعلم بما ينتاب
الانسان في مثل هذه الحال ... يتولاه الألم ، ثم
يرج به ، ثم لا يستطيع مضغاً ولا حركة ، ثم يفحصه
الطبيب ، ثم يستزيره يوماً ثانياً ثم يوماً ثالثاً ، ثم ينتهي
الأمر بنخلع الخرس . ثم يعطيه الطبيب بطاقة صغيرة
عليها الأجر .

إلى هنا لم يبق مع ماييل إلا سبعة جنيهات ،
نحلت إلى نفسها حزينة يائسة ... وأقبلت عليها
صديقتها ليليان . تسرى وترفه عنها ... وكانت
ليليان فتاة في مثل سن ماييل تعمل في أحد محال
التجميل ، وكانت على النقيض من ماييل فتاة فارعة
جميلة مرحة — من هؤلاء الفتيات الباسمات اللاتي
يجتذبن قلوب الرجال من النظرة الأولى — وكان
جمالها يقوم على التصنع والتطرية إلى حد ما ...
فوجه ناصع البياض ، وأظفار شديدة الحمرة ، وشعر
منسّق مصفّق ... الخ ...
ولعل من العجيب أن تجمع الصداقة بين هاتين

فإنك إذا ما تثبت إليها الطرف راقك منها التقاء شعرها
الجلجل وعينها الصافيتين عند لون واحد هو اللون
البنّي الضارب إلى الذهب
هذا عن ماييل ...

أما عن ثعلبها الفضي ... فقد كان لين الحاشية
كمخمل الديباج ، ناصع اللون كروائع الشيب ، وله
من الفضة وهجتها والتماعها ، وكان عندما رآته
ماييل للمرة الأولى — متوسطاً للواجهة وقد نقش
عليه ثمنه « أربعون جنيهاً » ثم عصفت به عواصف
السوق فانتبذت به أحد أركان الواجهة وقد نقش
عليه « ثلاثة وثلاثون » جنيهاً

وظل الثعلب مرقوماً بذلك الثمن ثلاثة شهور
دون أن يتقدم أحد لاشرائه ... ثم تخفّض فجأة
إلى « ثلاثين جنيهاً » ثم أقبلت طلائع الصيف
فهبط إلى عشرين ... وأصبحت فرصة ثمينة لمن
ينهبها .

ورآته ماييل فكأنما تنزل عليها القراء من
السماء ... إن عشرين جنيهاً مبلغ ليس بالهين
ولكنه أيضاً ليس ممتنعاً عليها كل الامتناع ...
ومضت تقاوم نفسها وقد استبدت بها جنون الحصول
عليه ، وخيل لها أن كل ما حوالها من النساء
حاليات العطف بالقراء وهي وحدها العاطلة

فها هنا قرينات أصحاب الشركة الثلاث تمايد
على أعطافهن الثعالب الفضية وتوشى حلل الخريف
المنضرة ... وها هنا زائرات الشركة تنوس على
أكتافهن ذيول الثعالب وتتننى في هيئة ورفق ...
وها هنا ثلاث عاملات من زميلاتهما يتخطرن في
تدلل وقد ترين بالقراء الجميل ... نعم ... إن ثعالبهن
صغيرة وقصيرة ولسكنها ثعالب فضية أيضاً ...

فتعلقت به وعادت إلى ماييل قائلة :
 — لو استطعنا أن نشترك معاً في شرائه ؟
 وسقطت هذه الكلمات العذبة الطلة على قلب
 ماييل سقوط الندى على الزهر فندت أطرافه ،
 وأثلجت شغافه ... فقالت مرعدة :
 — لو استطعنا أن نشترك معاً في شرائه !
 ولكن لمن يكون الثعلب ؟

— لنا على السواء
 وطربت ماييل لهذه الفكرة وصحبت ليليان
 فاشترتا الثعلب الفضي ... وأصبح ملكهما على
 السواء ... تطوَّق به ماييل اليوم ... وتأخذه ليليان
 غداً ... ثم ماييل بعد غد ... وهكذا ...
 والواقع أن ليليان كانت سخية من جانبها عازفة
 بعض الشئ عن الثعلب ... فكثيراً ما كانت تلمسه
 منها ماييل في غير وقتها فلا تمنع قائلة ...
 — خذيه يا عزيزتي ... فسأرتدي اليوم قرأني
 الأخضر .

ولبت هذا النظام معمولاً به بينهما في رقة من
 الجانبين ، وصفاء القلبين من اليوم السادس عشر
 من نوفمبر عند ما ابتاعتا الثعلب إلى ذلك الاثنين من
 إبريل عند ما ظهر الرجل في القصة
 ففي صباح يوم من إبريل ربحي النسيم ، أقبلت
 سيارة رمادية أنيقة إلى « صالون السيدة هيلينز »
 للتجميل وهبط منها شاب يم شطر المدير وسألها
 عن السيدة هاريس ... وأرسلت المدير ليليان
 للسؤال عنها داخل الصالون ، وبعد بزهة أقبلت
 ليليان تقول : إن العاملة تقوم لها بعملية تويج الشعر

الفتاتين على ما فيهما من تباين الأهواء والمنازع ...
 ولكن لا عجب في ذلك فقد جمعهما منزل واحد
 وألفهما سن واحدة ، وضمهما أجر متقارب ...
 فكانت ماييل تشغل جانباً من قلب ليليان ، وكانت
 ليليان تشغل جانباً من قلب ماييل ... قالت ليليان :
 — يجب عليك أن تحصل على المال من طريق
 غير الاقتصاد .

— فهل تسمحين يا عزيزتي أن تصني لي الطريق
 إلى ذلك ؟
 — إنني مقدمة على شراء ورقة نصيب ... فهلا
 تقاسمناها .
 وكانت ليليان طموحة مغامرة في أمثال هذه
 النواحي وكثيراً ما كان يواتيها الجد فترج ...
 فأجبت ماييل :
 — إذا كان الأمر كذلك فسأبتاع بدوري
 ورقة أخرى .

ولإجمال الحديث أقول إنهما ابتاعتا ورقتين
 ربحت إحداهما اثني عشر جنيهًا .

وقد يبدو لأول وهلة أن ماييل غمرها الفرح
 بالربح ولكنها كانت على النقيض من ذلك حزينة
 يائسة لأن نصيبها لا يقوم بابتلاع الثعلب الفضي ...
 فقالت ليليان :

خفضي عليك يا عزيزتي ... إنني أخشى عليك
 أن تمسك مواس الجنون من جراء ذلك الثعلب
 اللعين .

— إنني أود أن تراه أولاً يا ليليان
 وانصاعت « ليليان » للرجاء وذهبت — في
 طريقها إلى محل عملها — فألقت عليه نظرة خاطفة

وإنها ربما تستغرق نصف ساعة ... فقال الشاب
في خفوت :

— سأعود ثانية

وقبل أن تضم ليليان شفيتها بعد تلك البسمة
التي شيعته بها اختفى الشاب وسيارته ... وعاد
الشاب بعد ثلث ساعة وجلس ينتظر مع ليليان التي
علمت منه أن السيدة هاريس ليست زوجته وليست
أخته وإنما هي والدته وأنه يسكن معها في «توبريدج»
وأنه يشتغل مهندساً في المدينة .

وكان جيمس شاباً ريق الشباب لدن المعاطف
فارع القامة لطيف المدخل ، لا يستطيع أحد أن
يفرق بينه وبين بسمته اللطيفة الوداعة ...
وانتهت السيدة هاريس من عملية التمويح ،
وخرجت تعبق أردانها بالأنسام العاطرة ، وشعرها
الرمادي مموج ، مصفف ، معطر ، وصحبت ولدها
إلى السيارة فانطلقت بهما إلى «لوتبريدج» ...
ولم ينس جيمس هذه المرة أن يشيع ليليان بابتسامة
عذبة جميلة ...

وعادت السيارة الرمادية إلى الصالون مرة أخرى
خلال ذلك الأسبوع ثم مرة ثانية ثم ثالثة ... ثم
كانت صداقة بين جيمس وليليان ... ودعاها جيمس
بعد ذلك للعشاء معه ... وطربت ليليان لهذه الدعوى
وقبل أن تتخلج شفاتها بانقبول ذكرت ماييل فقالت :
— بكل سرور ... إذا أمكنني أن أصطحب
صديقة لي

وقبل جيمس ذلك فرحاً ... ثم قال في ابتسام :
ولكن متى يكون ذلك ...

السبت ؟

ولكنه كان يقضى السبت والأحد دائماً في
«توبريدج» مع والدته ... فقال :

— وماذا عن «الاثنين» ؟

— الاثنين ؟ ... حسن ... إلى اللقاء

وكان ذلك يوم الخميس ... وكان يوم ماييل
للتحلي بالثعلب وستأخذه منها ليليان صباح الجمعة ،
ثم ماييل السبت ، ثم ليليان الأحد ، ثم ... آه إنه
لمايل يوم الاثنين

وفي صباح الأحد دخلت ليليان على ماييل في
مطرفها الياباني الموشى :

— أنت في حاجة اليوم إلى الفراء يا عزيزتي ؟

— كلا ... فلن أغير الغرفة اليوم

وفي المساء قبيل موعد النوم بقليل أقبلت
ليليان تقول لمايل في بسمة جميلة :

— آه ... لقد نسيت أننا مدعوتان للعشاء غداً

— مدعوتان ؟ ... ولكن من دعانا ؟

— جيمس

— ومن جيمس هذا ؟

— سترينه ... شاب لطيف

— ولكن كيف يدعوني جيمس هذا وأنا ...

فقاطعتها باسمه :

— رأيت من الأفضل أن نذهب معاً

— أيجبك هذا الشاب ؟ ...

— يلوح لي ذلك

— وأنت ؟ أمجبنه ؟

— ربما ... قالتها في ضحكة عالية مرنة

— ولكن حدثيني يا عزيزتي ... من هو ذلك

وصمتت ماييل وأخذت طريقها إلى الحمام
فأوصدت خلفها الباب ثم نظرت في المرآة ،
وقد تكفأ لونها ، واستندمت عيناها من
التأثر ...

وأقبل جيمس أخيراً وكانت ماييل تلوح في
ثوبها البسيط جميلة رائعة ، وقد ندت الذموع وجنتيها
ووردت طرف أنفها ... أما ليليان فكانت ترتدي
ثوباً أحمر مزيناً بالريش ، وعلى كتفها الأيسر ينوس
الثعلب الفضي ، وعلى الأيمن طاقة صغيرة من الزهور
وعلى جيدها سمط منضد من اللؤلؤ ... وركبوا
جميعاً السيارة ، فبعق جوها بأعطار ليليان ...
وانطلقت في طريقها إلى المطعم حيث كان جيمس
ينتظر قدوم صديق له فاختار منضدة قريبة من المدخل
حتى يلحظ قدومه ...

ورأت ليليان ألا تمر بجمع حفيل كهذا دون
أن تلفت لحاظ من حولها ... وبهزة خفية من كتفها
سقط الثعلب الفضي على الأرض فتثنى جيمس والتقطه
ثم انتهض واقفاً وأعادته إلى كتفها وهو حائق مغيط ،
فقد كان لا يحب أن يلفت إليه الأنظار ... وجلست
ليليان تتحدث وتحدث وتسهب وتستفيض ومايل
معقودة اللسان صامته ... وأخذ جيمس اللال من
الحديث ، فطفق يسارق ماييل النظر ... ونظر جيمس
فاذا يداها على المنضدة ... فجعل يقارن بين هذه
الكف المطلية الأظفار التي يفوح من أنفها
العطر ... وبين هذه الكف الرخصة ، الرقيقة
الأنامل ، الوردية الأظفار دون طلاء ...

ونجاة ... ودون أن يدرك جيمس حقيقة
ما يفعل رفع تلك الكف الجميلة إلى فمه وطبع عليها

الشاب ؟ ... أهو جميل ؟ ... وماذا يعمل ؟ ...
وأي نقابله ؟ ... وأي ثوب ارتدى ؟
وأغرقها ماييل في فيض من هذه الأسئلة ...
فأجابها ليليان :

— سترين ... إنه سيمر علينا غداً في سيارته
عمي مساء يا عزيزتي

وخرجت ليليان تتخطر في مشيتها بعد أن حملت
الثعلب الفضي ... ولم تظن ماييل أول الأمر إلى
ذلك ، ولكنها ذكرت أخيراً أن يوم الاثنين من
نصيبها ... وفي مساء الاثنين بين السادسة والسادسة
والنصف هبت العاصفة ، وابتدأ الشجار ... إذ نهت
مايل ليليان إلى أن الثعلب من نصيبها ذلك اليوم ...
ولكن ليليان أصرت على أنه من نصيبها هي
الأخرى وقالت :

— إنني لم أتطوق به البارحة

— هذا لا يعني ... ولكنه كان يومك. فقالت
ليليان محتدمة :

— لقد دفعت نصف ثمنه ... أو لم أفعل ؟ ..
ولم أستعمله إلا زهاء ربع المدة ، لقد كنت سخية فيه
معك أكثر مما ينبغي

ونزلت هذه الكلمات على ماييل كالسم الوحى ،
حقاً لقد كان معها الثعلب أكثر المدة ... فقالت في
استخزاء :

— ولكن كيف أصحبك ؟ وليس لدى إلا ثوبي
الأزرق القديم .. ؟ أما أنت فلديك الكثير ويمكنك
أن ترتدي ثوبك الأخضر الجديد

ولكن ليليان لم تعرها التفاتاً ... وطفقت
تترنن أمام المرأة

دعاه جيمس لزيارته في « تونبريدج » لترى والدته فأجابت بالموافقة .

والظاهر أن السيارة الرمادية الجميلة جالت عدة جولات قبل وصولها إلى المنزل ... لأن ماييل وجدت ليليان قد وصلت قبلها وأوصدت عليها باب غرفتها ...

من يعلم ؟ ... ربما لو أزينت ماييل تلك الليلة وتطوقت بالشعبل الفضي لتبدل الموقف وصار غير ماهو عليه الآن ... ونظرت ماييل .. فاذا الشعبل الفضي ملق على سريرها ينظر إليها بعينه الوهاجتين في دهاء ومكر ... كما لو كان حياً .

فتمنى

« اسكندرية »

في أصول الأدب

لأستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثنه ١٢ قرشا

قبلة هادئة ... ثم أعادها إلى ماييل كما لو كان يعيد شيئاً ثميناً يخشى عليه التلف

وأقبل صديق جيمس أخيراً وهو شاب في مقتبل العمر ، وعندما قدم جيمس إليه صديقتيه تبدت له ثلاثة أمور جديدة ، أولها أن اسم ماييل ينتهي بكلمة « سوتون » . وثانيها أنه يذكر ذلك الاسم منذ أيام دراسته في « اكسفورد » وهو اسم صديق له يدعى « ريتشارد سوتون » . وثالثها أن صديقه ريتشارد سوتون أخو صديقه ماييل سوتون ...

وجلس جيمس يفكر في تلك الفتاة الصغيرة الجميلة التي تجالده الحياة وتستدفع الفقر يديها ليتربى أخوها الأكبر في « اكسفورد » ... إنه لعمل جليل حقاً ... وإن مثل تلك الفتاة لجديرة بالاكبار والاحلال ...

وعزفت الموسيقى وبدأ الرقص ، فرقص جيمس مع ماييل أولاً ثم مع ليليان ، ثم مع ماييل ثانياً ... ثم جلسوا جميعاً ، وجعلت ليليان ترسل النكات الفارغة الواحدة تلو الأخرى ... وجلست ماييل تجاه جيمس بوجهها الباسم الحالم ، وعيناها وشعرها تفيض ذهباً ...

ورتب جيمس الأمور على أن يصحب صديقه ليليان إلى المنزل ، وأن يصطحب هو ماييل في سيارته على أن تتولى القيادة ذراعه اليمنى ، لأن الذراع اليسرى لا يمكنها أن تغادر تلك المعاطف اللدنة وقبل أن تهبط ماييل من السيارة أمام المنزل

عندها ؟ ولعل لديك الآن أسباباً أجهلها تدفع بك إلى الاستعلام عنه ، أما أنا فكل ما يوسى أن أقول عن هذا الرجل هو أنه كريم المحترق ومن أهل الصلاح والبر ، وقد كان مثلك يا سيدى يزور مدام بيارسون بلا كلفة وهو صاحب أملاك واسعة ومضياف في بيته ، وكان مثلك يعزف أجمل القطع الموسيقية عندها وما أعلم أنه قصر في شيء من واجباته في سبيل الإحسان ، فقد كان أثناء وجوده في هذه البلاد يرافق مدام بيارسون في رحلاتها كما ترافقها أنت يا سيدى ، ولأسرة هذا السيد سمعة طيبة في باريس ؛ وكنت كل مرة أزور فيها مدام بيارسون أصادفه عندها ، والمعروف عنه أنه حسن السيرة والأخلاق وما أعنى بالصدقة التي ذكرتها إلا الصداقة الشريفة اللاتقة بأمثال هذا الرجل . وأظن أنه لا يأتى إلى هذه الأرجاء إلا للصيد وقد كان صديقاً لزوج الأرملة ، ويقال إن دالانس ذو ثروة كبيرة وأنه جد كريم ، أما أنا فأكاد لا أعرفه إلا بما سمعت عنه .

بمثل هذه العبارات المشوشة كان هذا الجلال الثقيل يجهز على . ونظرت إليه وهو يتكلم وقد استولى الخجل على فما قدرت أن أوجه إليه أى سؤال كما عجزت عن وضع حد لثروته فذهب في أقواله ، وقد أوردت مثالا منها ، إلى أبعد حد من النعمة والاعتياب دافعاً بنصه المتعرج إلى قلبي حتى إذا اخترقه إلى أقصاه تولى عني ، فما تمكنت من إمساكه ، فذهب وكأنه لم يقل لي شيئاً .

وبقيت وحدى على طريق المتنزه أرقب الظلام ينسدل على تلك الأرجاء وأنا أتردد بين عاطفتي الغضب والأسى إذ لم يكن يوسى أن أعتقد في ضلال هذه الثقة العمياء التي استسلمت لها في حبي لبريحية فذقت منها مثل هذه اللذة الصافية ، وكنت أرى في

من أعماق النفوس



اعترفان في العصور

لا يفريدى سوسيه
بتم الاستاذ فليكس فارس

الجزء الرابع

الفصل الأول

وما تمكنت أن أعرف يوماً حقيقة خلق مركاتسون وفطرته من المراوغة أو السذاجة ، غير أنني ما ارتبت قط في أنه يضم لي البغضاء ويعمل على نكايتي ما وسعه . أما مدام بيارسون فكانت تنيل هذا الرجل قسطاً مما تبذل من مودة لعمه الكاهن وهو جدير بالاحترام . وتملك مركاتسون شيء من الغرور لالتفات مدام بيارسون إليه فأصبح غيوراً ، وبعض الناس لا يملكون أنفسهم من الاقتتان لكلمة عطف أو لابتسامة تبذل لهم من شفة تفر عن نور الجمال

ما طرحت أول سؤال على مركاتسون حتى بذت عليه من دلائل الدهشة ما بدا على خادمي لازيف وما كنت أنا أقل اندهاشاً منهما مما أفعل ، ولكن من من الناس يدرك ما في أغوار نفسه ؟ ...

وعرفت من أول جواب أورده مركاتسون أنه نفذ إلى قصدى وقرر ألا يرضيني إذ قال :

— أنت تعرف مدام بيارسون منذ زمن طويل وتزورها بلا كلفة فكيف لم تصادف الميسو دالانس

ولا ريب قد علقت في شرك غاوية وأنا مغمض العينين أحسب أن في قلبها حباً وهياماً . فما على أن أفعل الآن وليس أمامي سوى هذا الكاهن الذي يتذرع بالابهام تجاهي وإذا أنا لجأت إلى عمه فلا بد أن يكون أشد تكهما منه ؟

من سينقذني من هذه الورطة ؟ من سيمزق ستار الريب فتنجلي الحقيقة لعيني ؟

بهذا كانت تخاطبني غيرتي ، فتنسيني كل ما ذرفت من دموع وما تحملت من أوصاب ، فأصبحت وما صر يومان بعد على استسلام بريجيت لي أضطرب لتوصلي إلى التمتع بها وما كنت في هذا إلا كسائر المتشككين ، أضرب صفحاً عن العواطف والأفكار لأصارع الوقائع نفسها مقدماً على تشریح من أهوى كأنها جثة لا روح فيها

وكانت تجول هذه الأفكار في دماغي ورجلاي تقوداني إلى مسكن بريجيت ، ولما اجتزت الحاجز الحديدي لاح لي نور من نافذة المطبخ وخطر لي أن أستجوب الخادمة فاتجهت نحوها وأنا أتلهس بعض القطع الفضية في جيب ، غير أنني ما وصلت إلى العتبة حتي وقفت واجماً . وكانت هذه الخادمة امرأة مسنة ناحلة حفر العمر في وجهها أثلاماً وأصبح ظهرها مقوساً لفرط ما انحني ، ونظرت إليها فإذا هي تعمل في غسل الأواني على مصب قدر وفي يدها شمعة ترتجف أشعتها وحوّلها أوعية الطبخ والصحن وبقايا طعام يحدجه كلب دخل ورأي متجسساً خجولاً . وكانت تفوح من الجدران الرطبة رائحة تعفن تملأ المكان ، وما لمحت الخادمة وجودي حتى ابتسمت ابتسامة معنوية لأنها كانت رأيتني منسللاً من غرفة معلمتها عند الفجر ، فارتعشت

اندفاعي نحو هذه المحبوبة اندفاعاً شلت مقاومتي أمامه دليلاً كافياً على أنها أهل لتعاقب بها ، لذلك كان يصعب على التصديق بأن هذه الأشهر الأربعة الطاخة بالسعادة لم تكن إلا أحلاماً

وتساءلت فجأة في سريري عما إذا كانت هذه المرأة مخلصه عند ما ظهرت في مظهر التمتع في حين أنها استسلمت بعد ذلك بسرعة وقد كفت كلمة واحدة لتبديد مقاومتها . ولاح لي أن من شغلني لم تكن إلا واحدة من بنات الدلال المغريات أو أن الدلال وسيلة كل امرأة تريد أن تتبع غريزة الدفاع أسوة بكل أنثى

أما باحت بريجيت بغرامها من تلقاء نفسها في حين اعتقدت أنها أفلتت إلى الأبد من يدي ؟
أما رضيت في أول يوم عرفتها فيه أن تستند إلى ذراعي قبل أن تعرف من أنا بشيء من الخفة كان على أن أتنبه له لتنبينه ربيتي

إذا كان هذا المدعو دالانس قد توصل إلى امتلاكها فالأرجح أنه لم يزل يتمتع بها حتى الآن ، فان من هذه العلاقات مالا بداية لها ولا انتهاء في المجتمع ، فإذا ما التقى عاشقان قديمان استسلما لما تعوداه ، وإذا افترقا نسي أحدهما الآخر

إذا كان هذا الرجل يأتي إلى هذه الأرجاء في كل موسم صيف فانها ستجتمع به عند قدومه وقد لا تقطع علاقتها بي

من هي عمة هذه المرأة ياترى ؟ وما معنى هذه الحياة السرية المستترة وراء أعمال البر والاحسان ؟ ألا تكون هذه المرأة وعمتها من مشعوذات المجتمع تتوسلان إلى اكتساب المقام السامي بهذا البيت الصغير والتظاهر بالوداعة والحكمة ؟ إنني

ومشت أمانى إلى الغرفة وجلست على مقعد لا تصل إليه أشعة القمر، وكنت أنا أشعر بشدة ما ألقيت من كلمات وقد امتلأ فؤادى مرارة من معانيها القاسية.

وذعر الطفل فبدأ ينادى بريجيت وينظر إليها من بعيد بعين ملؤها الحزن، وما لبث حتى سكنت عن مناغاته واستغرق في النوم على مقعده، وهكذا حكمنا الصمت نحن الثلاثة ومرت غمامة على القمر حجبت أنواره.

وبعد هنيهة دخلت خادمة تحمل مصباحاً لتأخذ الطفل من مرقدته، فوقفت وبريجيت في آن واحد ورأيتهما تربط على قلبها براحتيها وتهوي إلى الأرض أمام السرير فهرعت إليها مذعوراً وكانت لم تزل محتفظة بوعيا فرجتي ألا أدعو أحداً وقالت إنها تصاب أحياناً بالخفقان منذ صباها دون أن يكون من هذه النوبات التي لم تجد لها علاجاً أقل خطراً على حياتها؛ وجثوت بقربها، ففتحت لي ذراعيها فألقيت رأسي على كتفها، وعندئذ قالت لي: إنني أشفق عليك يا صديقي. فهمست في أذنها: يا لشقاوتي ويا الجنونى! ولكنني لا أستطيع كتمان أمر تضمره سريرتي. من هو يا ترى السيودالانس الذى يقطن الجبل ويأتى لزيارتك أحياناً؟ ولاحت دلائل الاستغراب على وجهها عند سماعها هذا الاسم فقالت: دالانس هو صديق لزوجي

وحدثني كأنها تريد الاستفهام عن سبب سؤالى وقد امتنع لونها فعضضت شفتي بأسناني وقلت في نفسي: إذا كانت ترمي إلى مخادعتي فقد أسأت التصرف بإعلان ما أضمرت

ونهمضت بريجيت متثاقلة تمشي في الغرفة

(٨)

والاشمئزاز يملأ نفسي مما أتيت أطلب في هذا المكان من أمر يشبه حقارته. فوليت الأدبار هارباً من هذه المرأة ومن غيرتي كأن الروائح الكريهة المنتشرة هنالك خارجة من قلبي

وكانت بريجيت أمام النافذة تسقى أزهارها وبقرتها طفل إحدى جاراتها جالساً بين المساند اللينة وقد أمسك بكما وهو يسرد لها حديثاً طويلاً لا يفهم وفه محشو بالحلوى، فتقدمت وقبلت الطفل على خديه كأنني أستعيد لنفسي بعض الطهارة منهما

فاستقبلتني بريجيت بشيء من الحذر لأنها رأت شخصها منطبعاً في عيني وقد غشيتها الشكوك وكنت من جهتي أحاذر أن ألتقي بنظراتها لأنني كلما أمنت في جمالها ومظاهرها اخلاصها أذهب إلى القول بأن هذه المرأة شيطان رجيم إذا هي لم تكن ملكاً كريماً. وكنت أستعيد في ذهني كلمات مركانسون لأقابل بينها وبين ملامح عشيقتي وإشراق وجهها الرائع فأقول في نفسي «إنها لبديعة الحسن ولكنها جد خطيرة إذا هي أتقنت المخاتلة ولسوف تجد خصماً عنيداً يقاثلها بمثل سلاحها»

وبعد أن صمت طويلاً قلت لها: قبل أن أجيء إليك تلقيت كتاباً من صديق يسألني نصيحة في أمره وهو شاب ساذج يقول إنه اكتشف أن المرأة التي تستسلم له تستسلم أيضاً لعاشق آخر — وبماذا أحبيته؟

— ألقيت عليه سؤالين وهما: أهى جميلة؟ وهل أنت تحبها؟ فإن كنت عاشقاً لها فتركها، وإن كانت جميلة ولست ولوعاً بها فاحتفظ بها وتمتع بجمالها، ولك أن تسرحها حين تشاء إذ ما الفرق بينها وبين سواها؟ وما سمعت بريجيت كلماتي حتى ابتعدت عن الطفل

مستروحة بمروحتها وقد تهدجت أنفاسها ، وشعرت
بأنني رميتها بنسهمي فحكمتها الصمت وتلاقت نظراتنا
وفيها برود وفيها شيء من العداة . وتوجهت إلى
مكتبتي وفتحت الدرج وأخرجت منه لفافة أوراق
مربوطة بشريط من حرير فألقته إلي دون أن
تفوه بكلمة .

وبقيت ذاهلاً عنها وعن رزمة الأوراق التي
ألقته إلي إذ كنت مستغرقاً كمن طرح حجراً في
هاوية وصمد ينصت إلى دويه

ولاحث لأول مرة أمامي أمارة الكبرياء
الجريحة على وجه بريجت وقد تحت عنه سطور
الاضطراب والاشفاق فشعرت أنني منها تجاه شخص
غريب . وقالت اقرأ هذا

فتقدمت نحوها ماداً يدي فكررت قولها :
اقرأ هذا — بلهجة باردة .

وشعرت وأنا أقبض على الأوراق أن شكوكي
قد زالت فاعتقدت ببراءة بريجت ورأيتني ظالماً يخرق
الندم قلبه .

وقالت : أنت تذكرني بأن علي أن أسرد تاريخ
حياتي ، اصغ إلي لأقص عليك . وبعد ذلك تفتح
أدراج مكتبي لتقرأ كل ما فيها من رسائل كتبها
أنا وكتبها سواي .

وجلست مشيرة إلي بالجلوس ورأيتها تتجدد
لتبدأ بحديثها وقد علت وجهها صفرة الموت وتشنج
عنقها فتهدج صوتها .

فصحت بها : بريجت ... بريجت . أستحلفك
ألا تتكلمي ويشهد الله أنني ما خلقت على ما ترين
وما كنت من قبل لا متشككاً ولا متحدياً . لقد
ضللتني الناس وأفسدوا قلبي ، لقد مهت بي غيره

مفجعة ألقني بي إلى الهاوية ، فأنا منذ سنة لا أرى
من الحياة إلا شروها . ويعلم الله أنني ما كنت ، حتى
صدمني هذا الاختبار ، لأعتقد بإمكان استسلامي
إلى الغيرة وهي أقطع ما يمثلها الإنسان من أدوار
الحياة . ليشهد الله أنني أهواك وليس لسواك أن
يشفيني من علل أيام الماضيات وما عرفت فيها من
النساء إلا من خدعتني وكن قاصرات عن إدراك
الحب . لقد عشت فيما مضى كعاشق وفي قلبي من
التذكريات ما لا قبل لي بمحوها . فما الذنب ذنبي إذا
كانت أضعف التهم وأبعدتها عن التصديق تفرع
من هذا القلب أوتاراً لم تزل تهتز بآلامها وهي مهيأة
لقبول أية ضربة لتستنطق الأوجاع .

لقد ذكر هذا المساء أمامي اسم رجل لا أعرفه
ولا علم لي بوجوده وقيل لي إن شائعات لا ظائل
تحتها دارت حولك وحوله وأنا الآن لا أسألك شيئاً
عن هذا الأمر الذي آلمني لأنني ارتكبت فيه ذنباً
لا يغتفر وأتيت معترفاً به أمامك ، وبدلاً من قبول
ما تعرضينه علي سألقى بهذه الأوراق إلى النار

بحقك لا تحاولي تبرير نفسك لثلاث أسئلة أمام
نفسى . لا تنزلي بي العقاب ومالي من ذنب غير فجيعتي
وآلامي .

وهل لي أن أرتاب فيك وأنت علي هذا البهاء
وعلى هذا الاخلاص ؟ فان لفتة واحدة منك تحمل
من الإفصاح ما لا يمكن أن أستجلى بنفسى لتثبيت
هيامي . آه لو تعلمين بما ابتلي من الفجائع والأكاذيب
هذا الفتى المائل أمامك الآن ؛ لو تعلمين كيف عامله
الناس وكيف هزأوا به وبخير صفاته ، وكم اجتهدوا
لتعليمه كل ما يقود إلى الشكوك والغيرة واليأس ؛
وأسفاه أيتها الحبيبة ؛ إنك لا تعرفين من هو هذا

الفصل الثاني

إن للعاشقين شيئاً من الركود والأسن يطفو
عليه صرح كله مرارة وألم ، وما حالهم هذه إلا نتيجة
حياة تتحكم فيها شاردات الأهواء لا حاجة الأجساد
فما جسد الفاسق إلا مطية تفكيره الجموح وما تقيه
الازادة وقوة الشباب مغبة التفريط إلا إلى حين ،
لأن للطبيعة انتقامها الدساس الخفي وإذا انتبهت القوة
يوماً لاستعادة ما هدر منها فإنها تجد الإرادة المشلولة
ترصدها لتدفع بها من جديد إلى التفريط

إن الفاسق الذي أفلت زمام التمتع من يده
لا يجد غير ابتسامة الازدراء يقابل بها كل ما كان
يشير شهواته فهو يقتحم ملاذه بشورة الأعصاب
لا برصانة القوة . وما يستولى الفاسق على ما يجب
إلا عنوة واغتصاباً ، وقد أصبحت حياته ملتهبة محمومة
فيلجأ إلى المسكر وإحياء الليالي في الموخير ليرتفع
بأعضائه المهوكة إلى مستوى الملذات

إن مثل هذا الرجل يحس في أيام ضجره وتراخيه
بالمجال السحيق بين قوته وشهوته بأكثر مما يشعر به
أي رجل آخر ، وإذا ما أراد مقاومة ما حوله من
مغريات فإنه يلجأ إلى الكبرياء مستمداً منها الاعتقاد
الوهمي بأنه يزدري هذه المغريات ولا يأبه لها

وهكذا لا يني الفاسق متقللاً على ولائم حياته وقد
قبض الغرور على عنقه ليجره جرّاً بين سعار شهوته
وكربتة حتى يدفعه إلى هاوية الفناء . وبالرغم من أنني
كنت أفلت من زمرة الفاسقين فإن جسدي تذكر
بجأة أنه كان محشوراً بينهم ، وما كنت لأشعر بمثل
هذا الانبعاث من قبل ، حين اجتاحتني الحزن الشديد
لوفاة والدي ثم جاء الحب المبرح يشغلني فارتد الملل

الذي تعشيقه . لا توجهي إلى اللوم والتفريع بل
تجلدي وأشفق على إذ لا بد لي من أن أنسى وجود
كل كائن على الأرض إلا أياك فإن أممي مآزق من
الآلام يجب على اجتيازها وما كنت أتوقع أن أراها
معرضة على سبيل تتحدى قواي للمجادلة والنضال .
إنني ما عرفت ما في ماضي إلا منذ ضممتك بين
ذراعي إذ شعرت وأنا أضع قبلاقي على شفتيك بما
على شفتي من أوضار . المعونة يا بريجيت ؟ إنني أُلجأ
إليك فساعديني بحق ربك على الحياة فإن ربك قد
خلقني خيراً مما ترينني الآن .

وفتحت بريجيت معصمها وضممتني إليها طالبة
مني اطلاعها على الوقائع التي أدت بي إلى هذا
الموقف ، فما سردت لها إلا ما قاله لاريف ، لأنني جيت
عن الاقرار لها بأنني استنطقت مركاتسون . وعادت
فأكرهتنني على سماع إيضاها فقالت : إن دالانس
أحبها ولكنها رأت ما هو عليه من خفة وتقلب
فأعلنت له أنها لا تقصد الزواج ورجته ألا يعود إلى
ذكر عواطفه فخضع لأرادتها ، ومنذ ذلك الحين
أصبحت زيارته نادرة حتى انقطع عنها .

قالت هذا وسحبت من الرزمة كتاباً عرضته
على وهو يحمل تاريخاً حديثاً فما ملكت وجهي
من الاحمرار إذ رأيت فيه إثبات ما أعلنته من
الحوادث

وأكدت لي أنها تعفو عني غير أنها فرضت
على كعقاب أن أوافيها بلا إبطاء بكل ما يدعو إلى
تبين شكوكي فيما بعد وتبادلنا العهد بقبلة ، وعند
ما بارحتها عند انبثاق الفجر كنا نسينا أن في الوجود
رجلاً يدعى دالانس .

عنى وأنا فى عزلى وما يهم المنفرد إن دار به الفرح
أو ساورة الأحزان

إن « الزنك » لا يدفع بالشرر الكامن فيه إلا
إذا احتك « بالنحاس » النقي وقد جاءت قبلات
بريجيت كهذا النحاس تقدح ما كمن فى أعماق قوادرى
فكنت وأنا أواجهها استجلى حقيقتى فأعرف نفسى
وقد كنت أصبح أحياناً وأنا شاعر بحالة جد
غريبة فى تفكيرى فأحسبى قضيت ليلى فى ولية
ترك بي طعامها وشرابها ما أنهلك قواى فتتعبنى
أضعف المؤثرات الخارجية وكل الأشياء التى أعرفها
واعتدت النظر إليها تورثنى الملل والنفور ، فإذا
تكلمت سخرت بأقوال الناس وبخواطري نفسها
فكنت أستاذ على مقعد ، مستسلماً للكسل ، معارضاً
فى تنفيذ ما قررناه من تنزه ، مستعيداً ما كنت قلته
فى ماضى لحبىتى من كلمات التودد والاخلاص ، مفسداً
بذلك تذكارات أيام الهناء

وكانت بريجيت تنظر إلى حزينه وتقول : بالله
دع هذا يا أوكتاف ، إذا كنت تضم شخصيتين
مختلفتين أما بوسعك أن تدع الشخصية الطيبة وشأنها
عندما تبين فىك الشخصية الشريرة

وما كانت معارضة بريجيت لضلالى إلا لتزيدنى
استغراقاً فى مرمى المزعج ، وما أغرب طبيعة الانسان
المتألم فهو يرمى أبداً إلى إيلا من يهوى . وهل من
داء أفضح من داء العجز عن التحكم فى الذات
وما أشد ما تحتل المرأة إذ ترى الرجل الذى
ضمت إلى صدرها ينقلب هائلاً بلا مبرر بأقدس
ما فى ليالى الهناء من أسرار . وكانت بريجيت تتجلد
فلا تهرب منى بل تبقى إلى جنبى منحنية على قطعة
تطرزها وأنا ذاهب بمهازلى القاسية أنال من الحب

وأنزل به أوجع الالهات وهى تنظر بصبر إلى فى
ولما يزل مرطبا بقبلاتها يتدفق تحقيراً وجنوناً
وكنت فى الأيام التى تجتاحنى فيها مثل هذه
النوب أندفع إلى ذكر ما قضيت فى أيام الفحشاء فى
باريس فأصورها كأنها خير حياة ، فأقول لبريجيت :
ما أنت إلا قاتلة متعبدة ، وهل لك أن تعرفى ما هي
هذه الحياة فليس فى الناس خير ممن لا تنالهم المهموم
إذ يمارسون الحب دون أن يعتقدوا به
فكأننى كنت أعلن لها بصراحة أننى لا أعتقد
بالحب أنا أيضاً

وتقول لى بريجيت عندئذ : إذا كان الأمر على
ما تقول فما عليك إلا أن تعلمنى ما أرضيك به ؛ ولعل
لست أقل جمالاً من معشوقتك اللواتى تأسف
لفراقهن . وإذا رأيت أننى محرومة من المعرفة التى
كن يدينها لتسليتك على طريقة خاصة فأنا مستعدة
لاقتباسها . لتكن معاملتك لى كأنك لا تحبى ودعنى
أحبك دون أن أعلن لك حبي . فما أنا أقل عبادة فى
هيكل الحب منى فى هيكل الصلاة . قل لى ما يجب
أن أفعل لتؤمن بما أقول

وأراها بعد ذلك تقف إلى مرآتها لترتدى فى
رائعة النهار ملابس السهرات والمراقص متظاهرة
بالتدلل — وما هي من بنات الدلال — محاولة
تقليدى فتضحك وتطفر فى الغرفة قائلة : أترانى
على ذوقك الآن ؟ وأية خلية من خيللاتك أشبه ؟
أما لى من الجمال ما يكفى لاقتناعك بإمكان الاعتقاد
بالحب ؟ . أما تلوح على دلائل من لا يبالون بالحياة ؟
وإذا لى أرى الأزهار المكحلة صفائر شعرها المعقوص
ترتجف وهى مولية ظهرها لاخفاء تصنعها فأنطرح
على قدميها قائلاً :

— كفاك تقليداً إنك لتذهبين بعيداً في محاكاة من لم يتورع في عن ذكرهن أمامك . انزعى هذه الأزهار ، واخلي هذا الثوب ، ولنغسل هذا المرح بدمعة صادقة ، دعيني أنسى ... إننى الولد الأبق فقد كفانى ما أتمثل من ماضى حياتى

غير أن هذا الندم نفسه كان جافياً إذ بين لها ما لأشباح الماضى من رسوم متغلغلة في سريرتى . وما كان ما أبديه من اشتزاز إلا ليعلم لها الدنس المروّع في الصور التى كانت تحاول تقليدها لإرضائى وكنت أجيء إلى بيت بريجيت وقلبي طافح سروراً وأنا أقسم أن أنسى بين ذراعيها آلام أيامى الماضيات ، فأجثو أمامها مبدياً كل دلائل الاحترام وأزحف خاشعاً إلى سريرها كأنى أدنو من هيكل الصلاة ماداً إليها ذراعى والدموع تنهمر في عيني ، غير أننى كنت أراها عند ذلك تتفوه بكلمة أو تخلع ثوبها بحركة لها طابع خاص فينتصب أمامى فجأة خيال غانية تفوهت بمثل هذه الكلمة أو أتت بمثل هذه الحركة وهي تتجه إلى سريرى

يا لك من روح مخلصه ؛ ويا للعذاب الذى تحملته عند ما كنت أفتح ذراعى لضمك إلى صدرى فتسقطان — كأن لاحياة فيهما — على كتفيك الناعميتين ، وعند ما كانت تنطبق شفثاك على شفثى فأحس بأن نظرات الهيام في عيني وهى شعاع من نور الله تتراجع عن هدفها كأنها سهام هبت الريح عليها فلوتهها في انطلاقها

أواه يا بريجيت ! لكم انهمرت لآلى فى أحداقك عند ما كنت تسقين براحتيك ذلك الحب الحزين الشغوف من معين أرفع بر وأصدق إحسان وتوالت الأيام ما كدر منها وما صفا وأنا فيها

ذلك المتقلب المنتقل من الجفاء والاستهتار إلى العطف والولاء ، ومن الكبرياء والقسوة إلى الندم والخضوع وكان وجهه ديجنه الذى تجلى أمامى أولاً كأنه يندرنى بما سأفعل لا يبارح توهمى فأناجيه فى أيام شكوكى وبرود هيامى ، ولكم قلت فى نفسى بعد توجيه التقرير إلى بريجيت مستهزئاً جافياً : لو أن ديجنه مكاني لذهب إلى أبعد من هذا

وكنت إذا ما تهيأت للذهاب إلى بيت بريجيت أنظر إلى وجهى فى المرآة وأنا أضع قبعتى على رأسى فأقول : — أى شرفى هذا ؟ أنا لى خليلة استسلمت إلى فاسق فعليها أن ترتضى به

وكنت أصل إليها والابتسامة على شفثى فأستلقي على مقعد متراخياً عن قصد لأنظر إليها تتقدم محوى بعينيها الواسعتين وقد ملأها الاضطراب فاقبض على راحتيها الصغيرتين لأذهب تأنها فى أحلامى أيمكن لأى بيان أن يأتى باسم لشيء لا اسم له ؟ فهل أصف نفسى بطيبة القلب أم بسوء النية . أحزماً كان ما أفعله أم جنوناً ؟ ما يفيد التبصر ؟ فما على إلا السير على السبيل المخطوط

وكان لنا جارة تدعى مدام دانيال ، عليها مسحة من الجمال وفيها شيء من الدلال وهى فقيرة تحاول الظهور بمظهر الغنى ، وكانت تأتى لزيارتنا وتلعب الميسر مضاربة معنا بمبالغ كبيرة فإذا خسرت صعب الأمر عليها فلجأت إلى الانشاد بصوت ليس فيه شيء من الجمال . وقد كانت هذه المرأة التى اضطرتها المقادير لتمضية حياتها فى هذه الغابة الضائعة بين الجبال ظامئة إلى المسرات والملاذ ، فما كانت تتكلم إلا عن باريس حيث تذهب لتمضية ثلاثة أيام كل سنة وكانت تدعى أنها تتبع الأزياء الحديثة فتساعد بها بريجيت بأرائها

إذا هي تخلصت من فكرة الأزياء التي كانت تثير حماقتها، فأقدمت على عمل سداه الاخلاص ولحمته الحماقة إذ انتهزت فرصة اختلاؤها بـريجيت في نزهة لتقول وهي تعانقها، إنها لاحظت ميلاً مني للتعجب إليها وإنني أستمعها بعض كلمات لا مجال للارتياح في مقصدي منها وأضافت إلى ذلك قولها إنها عارفة بأنني عاشق لامرأة أخرى وأنها تفضل الموت على إتيانها أمراً يهدم سعادة صديقة لها.

وقد رأت بريجيت أن تشكر مدام دانيال على صراحتها فذهبت هذه مرتاحة الضمير غير أنها لم تنقطع عن إرسال لخطاتها إلى ليزيد في نكائتي وبعد أن بارحتنا مدام دانيال عند المساء أخبرتني بريجيت بلهجة قاسية عما جرى في المنزه بينها وبين هذه المرأة. وطلبت إلى أن أوفر عليها تحمل مثل هذه الاهانة فيما بعد قائلة: إنني لا أعلق كبير أهمية على مثل هذه المهازل ولا أصدقها غير أنني أرى من الفضول إذا كنت تحبني أن تدع امرأة أخرى تشعر بأن محبتك لا تحتفظ بمستواها كل يوم. فأجبتها ضاحكا: أيمكن أن يكون لهذا الأمر شأن عندك؟ أفما ترين أنني لا أقصد سوى الهزل لتمضية الوقت؟ فقالت: أواه يا صديقي إن من البلية أن يرى الانسان ضرورة لتمضية وقته.

وبعد أيام عرضت على بريجيت أن نذهب إلى قاعة الحكومة لمشاهدة مدام دانيال في رقصها فقبلت على مضض وبينما كانت ترتدي أثوابها قرب الموقد بدأت أوجه إليها اللوم لأنها تخلت عن مرحها القديم فقلت لها، وأنا لا أجهل حالها: مالك يا بريجيت لقد أصبح القطوب مستحكما في ملامحك فاذا دام الحال على هذا المنوال فلا بد من أن يسود الحزن

وهي تبسم شفقة عليها. وكان زوج هذه المرأة موظفاً في دائرة تسجيل الأملاك فيذهب بها أيام الأعياد إلى مراكز الناحية لترقص بكل ما في قلبها من شوق مع ضباط الفصيلة في قاعة الحكومة. وكانت تعود من هذه المراقص وقد وهنت قواها وازداد بريق عينيها فتهرع إلينا لتخبرنا بما صادفت من نجاح وبما أثارت من أشجان. أما ما تبقى لها من الوقت فكانت تقضيه بمطالعة الروايات غير ملتفتة إلى شيء من مشاغل نيتها.

وكنت كلما التقيت بهذه المرأة أسخر بها لغرابية حياتها، ولكم قاطعتها في حديثها عن المراقص لأسألها عن زوجها ووالده وهي تكره الأول لأنه زوجها والثاني لأنه من زمرة الفلاحين كما تقول. وهكذا لم يخل أي اجتماع لنا بها دون أن ينشأ بيننا خلاف شديد.

وخطر لي في أيامي السوداء أن أتجنب إلى هذه المرأة نكايه بريجيت فأقول لهذه: أفما ترين أن مدام دانيال تفهم معنى الحياة فهي ناعمة البال مرحة وأراها خير معشوقة يتمناها الرجال.

وهكذا كنت أبدأ بالثناء على هذه المرأة فأصف ثروتها بسهولة البيان ودعواها العريضة بميل بديهي إلى التمتع بالحياة وأرى أن لا ذنب عليها إذا كانت فقيرة ما دامت تعترف بهذا الفقر إلى أن أقول أخيراً إنها لا تسمع مواعظ الناس ولا تبذل المواعظ لهم. ثم أطلب من بريجيت أن تتخذ هذه المرأة مثالا تحتذى به مدعياً أن هذا النوع من النساء يوافق ذوقى.

ولاحظت مدام دانيال أن في نظرات بريجيت بعض الأسى، وكانت هذه المرأة طيبة القلب مخلصه

معاملتي ولا يسعها إلا الاعتقاد بزوال حيي ؛ ثم أعلنت لي بصراحة أنها أصبحت لا تطيق هذه الحياة وقد عزمتم على الالتجاء لأية وسيلة تنقذها من أطوارى الشاذة ومعاملتي الباردة . ورأيت الدموع تنسكب من عينيها بغزارة فكدت أجثو أمامها لأطلب عفوها ، غير أنها استمرت على إرسال تقريرها متفوهة بكلمات ذهبت إلى كبريائي فخرحتها وثار ثأري فأجبتها بكلمات من طراز كلماتها حتى اتخذت مناقشتنا شكل جدال لاهوادة فيه . فقلت لها : إن من المستغرب ألا يكون عندها من الثقة ما يجزلي إثبات أبسط الأمور . فلا بد إذاً أن يكون هنالك سبب آخر غير السبب الذي تمسك به لأنها تعلم أنني لا أبالي بمدام دانيال فليس تقريرها لي إلا الاستبداد بعينه ؛ ومع ذلك فإذا كانت متعبة من هذه الحياة فني وسعها أن تضع حداً لها بالفراق .

فقلت : « ليكن ما تقول لأنك تنكرت لغيتي منذ بذلت لك نفسي ، فقد لعبت دورك بمهارة لا قناعي بحبك لي ؛ وما قد أتعبك هذا الدور فلا تجد من الأعمال إلا ماتسىء به إلي . لقد ارتببت في إخلاصي لكلمة واحدة مرت على أذنك ولاحق لي بتحصيل نفسي ما توجهه من إهانة إليها . لقد تبدلت فما أنت الرجل الذي أحببت »

— إنني لا أجهل نوع آلامك وأراها ستتجدد لكل خطوة في حياتي وسوف لا يطول الأمر حتى أحرم حق التكلم مع أي مخلوق سواك فأنت تتظاهرين باحتمال سوء المعاملة لتجيزي لنفسك توجيه التقرير إلي وما تشكين استبدادي إلا طلباً لاستعبادي . أما وقد أصبحت أشوش عليك

ساعات انفرادنا . لقد عرفتك من قبل أكثر مرحاً وحرية وصراحة . وليس مما يوجب افتخاري أن أكون أنا علة هذا الانقلاب الطاريء على أخلاقك ، ومع ذلك فأنني أتوسم فيك خلال أهل الزهد فكأنك خلقت لسكنى الدير

وكان ذلك اليوم يوم أحد فاستقلنا عربة وسرنا ، حتى إذا وصلنا إلى المتنزه رأيت بريجيت رهطاً من صديقاتها بنات الحقول سائرات إلى مرقص أشجار الزيزفون ، ونضارة الشباب تدفق من وجوههن فاستوقفت عربتها وحيث الفتيات ، وإذا استأنفنا السير أطلت من نافذة العربة مشيعة بأنظارها رهط الصبايا ، كأنها تتشوق إلى المرقص القديم ، وإذا توارين عنا رأيتها ترفع منديلها إلى عينيها وصلنا إلى مرقص الحكومة فرأينا مدام دانيال تطفر فرحاً وجوراً ، فبدأت بالرقص معها وكررت ذلك بصورة تسترعى الانتباه ، وكأت لها عبارات الإعجاب فكانت تجيب على محاملتي بمثلها . وكانت بريجيت تتبعها بأنظارها أنى سرنا . ويصعب علي أن أصف ما شعرت به في ذلك الحين ، إذ تمازج سروري بألمى لما تجلى لي على سماء بريجيت من غيرة فكأن هذه الغيرة كانت تحفزني إلى التمادى في إضرارها

وتوقعت بعد عودتنا أن تلجأ بريجيت إلى لوي ولكنها بقيت ممعنة في جمودها وصمتها في اليوم التالي وما بعده ، فكانت تستقبلني بقبلتها المعتادة ثم تجلس وكل منا مستغرق في نفسه فلا تبادل الكلام إلا قليلاً . وفي اليوم الثالث عيل صبر بريجيت فاندفعت مهاجني بعبثها المرقاثة : إنها لا تجد ما تبرر به

— نحن طفلان يا أوكثاف ، يا صديق ، وما كان
لعرأ كنا من سبب ولا معنى ، ولولم تأت إلى لذهبت
اليك في هذا الليل . اغفر لي فالذنب ذنبي أنا . إن
مدام دانيال ستأتي غداً لتناول الغداء فلك أن تفتح
سبيلا لندى عما تسميه استبداداً في معاملتي . إن
سعادتي متوقفة على حبك لي فلننس ما مضى
ولنحتفظ بسعادتنا

(يتبع) فيليكس فارس

لجنة التأليف والترجمة والنشر

سيرة السيد عمر مكرم

لؤلؤها الأستاذ محمد فريد أبو حديد

سيرة جلية من سير الزعامة الشعبية وصفحة
رائعة من صحف الجهاد القومي خلال القرن
الثامن عشر حتى فاتحة عهد محمد علي عند
ما اجتمعت كلمة الشعب على اختيار ملكه المحبوب
جد الأسرة الملكية الكريمة

والكتاب مزين بالصور التاريخية .

ثمانية عشرة قروش عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكرداسي رقم ٩

ومن المكاتب الشهيرة

حياتك فاستعدي السكينة لها . إنك لن تريني
بعد الآن

وافترقنا على غضب ؛ وصر النهار دون أن أراها
وفي اليوم التالي شعرت عند انتصاف الليل بحزن
لم أجد لاحتماله سبيلا فذرفت الدموع سخينة
وأخذت ألوم نفسي وألعنأ قائلاً : إن من الجنون
المطبق أن أعذب أشرف النساء وأطيبهن قلباً . ثم
نهضت راكضاً إلى بيتها لانطرح عند قدميها

دخلت الحديقة وإذا رأيت النور من نافذة
غرفتها ساورتني الشكوك فيها فقلت : إنها
لا تنتظرني في مثل هذه الساعة ومن يدرى ما تفعل ؟
لقد تركتها أمس غارقة بدموعها ولعلني أراها الآن
مشغولة بالغناء غير مبالية بي وغير شاعرة بوجودي ،
بل لعلها ترتدي أثوابها وتجمل وجهها كتلك
المرأة ... لأدخلن إذن متجسساً فأطلع على الحقيقة
وتقدمت علي حذر وكان باب غرفتها مفتوحاً
فتمكنت من مشاهدتها دون أن تراني

وكانت جالسة إلى خوان تكتب في مجلد
المذكرات التي كانت مبعث ارتياحي بها . وكان في
يدها اليسرى علبة صغيرة من الخشب الأبيض
تنظر إليها من آن إلى آن بارتعاش عصبي ظاهر
ولا أدري أية روح مروعة كانت تسود هذه الغرفة
في جوها الهاديء ، وكانت رفوف المكتب مفتوحة
وقد صفت عليها رزم الأوراق كأنها ربت في برهة
وجيزة .

ودققت الباب فنهضت وأقفلت أدراج المكتب
وأنت إلى والابتسام يغلو فيها قائلة :

طبع بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة عجم رقم ٧



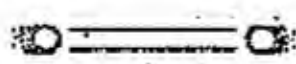
الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

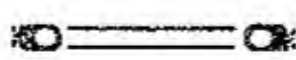
مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية
الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنهما مصرياً ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية تلفيقية والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد السابع عشر ٢٥ رجب سنة ١٣٥٦ — أول أكتوبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | الموضوع | المؤلف |
|------|--------------------|---|
| ١٠٣٤ | لو عرف الشباب | أقصوصة مصرية |
| ١٠٤١ | الدم | للكتاب الفرنسي إميل زولا |
| ١٠٤٦ | سباق الحصاد | للكتاب الانجليزى ليام أوفلاهركى |
| ١٠٥٢ | روز | أقصوصة مصرية |
| ١٠٥٧ | سالوما | للكتاب الانجليزى أوسكار وايلد |
| ١٠٧٩ | البائعة الصغيرة | للكتاب الدانمركى هانز أندرسون |
| ١٠٨١ | اعتراقات فنى العصر | لألفريد دى موسيه |
| ١٠٨٨ | الأوذيسة | لهوميروس |
| | | بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى |
| | | بقلم الأستاذ محمود خيرت |
| | | بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي |
| | | بقلم الأديب يوسف فهمى |
| | | بقلم الدكتور حسن صادق |
| | | بقلم الأديب شكرى محمد عياد |
| | | بقلم الأستاذ فليكس فارس |
| | | بقلم الأستاذ درينى خشبه |

وقال لها عصر يوم
وهي تقدم له القهوة
وتدني منه « طاولة »
صغيرة عليها « منفضة »
للسجائر : « يا حليلة ..
اسمعي يا بنتي ... أنا
منتظر رقية .. »
فقال مستفسرة :

لو عرفنا لشبنا

لداستان ابراهيم عبدالقادر المازني

« رقية ؟ .. »
قال : « رقية ... نعم ... بنت المرحومة الست
خديجة .. ستقيم عندنا إلى .. »
ثم كما نأراى أن التحديد عسير فترك هذا وقال :
« أظن من السهل عليك إعداد الغرفة الجنوبية
لها ... هه ؟ »
قالت : « سهل طبعاً ... لكن بنت صغيرة ... ؟
يمكن تتعبك »
فقال محاولاً أن يزيل دواعي القلق الذي يساورها :
« بنت صغيرة ؟ ... هذه بنت عشر ... ! شابة ! »
فلم ترد حليلة على أن قالت : « طيب »
وجاءت الفتاة بعد قليل مع رسول من قوم أمها
يحمل لها أشياءها القليلة ، وكان وجهها أصفر متهمها
وعظام وجهها بارزة ، ونظرتها ساهمة ، فقبلت يد
الشيخ فتناول وجهها بين كفيه المبروتين وقبل
جبينها وأجلسها إلى جانبه ، وشرع يتحدثها ويلطفها
حتى أنست به وهشت له ، ثم تركها لحليلة تعني بها
ومضت الأيام ووجدت رقية في الشيخ سليم
عوضاً عما فقدت . وزالت الغضاضة التي كانت تجدها
في أول الأمر وصارت حين تقول له : « يا عمي »
تشعر أنه عمها حقاً وصدقاً ، وتفتح لها قلبه الكبير

كان أبوها تاجراً حسن الحال ، وأقبلت عليه
الدنيا فأقبل على تجارته يوسعها ولكن بلا تدبر ، وعلى
المال ينفقه بلا حساب ؛ وأغرى بالقمار فأفضى به
الأمر إلى الخراب الوحي ، فتجلبد وراح ينشد العمل
في متجر ، ولكن سيرته في أيام النعمة خوفت منه
التجار وزهدتهم في استخدامه ، فلم يبق له إلا
الاحتياال على صفقات قليلة يوفقه الله إلى عقدها
ويخرج منها « بعمولة » ضئيلة لا تغني . وكان في
أثناء ذلك يبيع حلي زوجته ، ثم أثاث بيته ؛ فلما
أتى على هذا وذاك ولم يبق إلا الموت جوعاً شرب
خمراً رخيصة في ساعة يأس وألقى بنفسه في النيل
وترك امرأته وبنته — وكانت في الثامنة من عمرها —
تعيشان أوتومتان . فأما الأم فقضت نحبها بعده
بشهور ، وأما الفتاة فسمع بخطيها رجل طيب كان
يعرف قومها فأقنعهم بأن يدعوه يتبنّاها ويأنس بها
ويستعين بها على ضعف الشيخوخة ، وكان هو أيضاً
تاجراً ، فلما ارتفعت به السن قنع بما أفاد وصفي تجارته ؛
وكانت زوجته قد ماتت من غير أن تعقب نسلاً ، فآخذ
فقيرة من قريباته لتدير أمر بيته ، وكانت امرأة صالحة
فرعته وجعلت له من نفسها خادماً وأمّاً واختاً
ووصية أيضاً

قالت : « آه »

قال : « إن شاء الله »

وخطر للشيخ وهو راقد على سريريه في تلك الليلة أن رقية مسكينة ، وأنها مستوحشة في هذا البيت الكبير الذي ليس فيه إلا هو وخليمة والخادم الكهل الذي يقضى الحاجات ، وأن رغبته في التعلم من مظاهر إحساسها بالوحشة ، وأن الواجب ... ولكننا نسبق الحوادث

وجاءت المعلمة وبدأت الدروس فشغلت بها رقية عن كثير مما ينقص على خليمة ، ولكن الشيخ لم يقنع بهذا ولم ير فيه الكفاية وإن كان لم يفته أن خليمة أصبحت أقل شكوى وتذمراً من رقية . وكانت عادة الشيخ أن يخرج إلى صلاة الفجر في مسجد سيدنا الحسين ثم يشرب الشاي في إحدى القهوةات الكثيرة المشهورة بصنعه هناك ، ولا يعود إلا في الضحى فيتناول شيئاً يسيراً من الطعام ويرتاح قليلاً ثم يعود فيخرج ويمر بأخوانه التجار في دكاكينهم ولا يرجع إلا وقت الغداء ؛ وإذا خرج في العصر فقلما كان يعود إلا بعد صلاة العشاء في (الحسين) وقال ليلة وهما جالسان إلى الطعام : « أظن يارقية

أنك تستوحشين هنا ... »

فقالت : « كيف تقول يا عمي ؟ »

قال : « الوحدة ... ليس لك أنيس من سنك ... »

والبيت واسع كبير كالربع ... وليس فيه إلا نحن والفقاريت »

وسره كلامه فضحك فقالت : « بسم الله الرحمن

الرحيم ... قل لي يا عمي ... هل في البيت فقاريت ؟ »

قال وهو يتنسم : « هل تخافين الفقاريت ؟ »

فأجابت بسؤال : « ألا تخاف أنت ؟ »

وأزّلها منه في حبه ، وذاق في شيخوخته العالية ما حُرّمه طول حياته من حلاوة الأبوة ونعمة البنوة البارة ، فقد صارت رقية هي التي تعني به وتعد له حاجاته وتسهر على راحته وتبقى إلى جانبه حتى يصرفها إلى مرقدتها بعد أن يدعو لها ويمسح شعرها ويقبلها

ولكن خليمة لم ترض عن رقية ، وكان رأيها فيها أنها فتاة عنيدة وأن أبويها أفسداها بالتدليل وأن الشيخ سليم يزيد فساداً بأسرافه في إظهار التعلق بها والحنو عليها ، وكان يسوؤها على الخصوص أن لسان رقية حاد ، وأنها لا تفعل إلا ما يطيّب لها ؛ وكانت خليمة صريحة فلم تكن تكتم رقية سوء رأيها فيها ، أو تتق أن تنذرها بمستقبل أسود « كالخبر » وكثيراً ما كانت تقول لها إن الشيخ يسيء إليها بهذا التدليل

وكان هذا الكلام وأشباهه يهيج رقية في أول الأمر ويطلق لسانها بما يخطر لها ساعة الغضب ، ولكن ترى نفسها كان خصباً فلم يخل كلام خليمة من أثر ، فقالت ذات ليلة لعمها وهي جالسة على ذراع كرسيه :

« عمي »

فرفع إليها وجهه المفضن وسألها : « نعم ؟ »

قالت وهي تداعب شعر لحيته : « إنك تفسدني

بالتدليل . لماذا لا ترييني كما ينبغي ؟ »

فدهش الرجل وقال : « من وضع في رأسك

الصغير هذا الكلام ؟ خليمة بالطبع »

قالت : « هي على حق ... شف ... لي هنا نحو

سنة ... وقد نسيت ما تعلمته في المدرسة »

قال : « آه ! صحيح ... الحق معك ... صحيح ... »

هل تريدن أن تتعلمي حقيقة ؟ »

قال : « الله هو الحافظ ... لقد خطر لي شيء ...
أريد أن أدفن في بلدي »

فصاحت به وقد خفق قلبها : « أعوذ بالله ! لماذا
تقول هذا الكلام ؟ »

قال : « يا بنتي الموت حق ... دعي هذا ... قريتنا
جميلة ... لي فيها أرض ودار لا بأس بها ، والحياة
هناك أشرح للصدر وآنس للقلب . ناس كثيرون ...
أهل ومعارف ... لا يمل الانسان ... والمناظر جميلة ...
الحاصل ... سنذهب إلى البلدة ونترك هذا البيت
الوحش ... ماداغى أن أبقى في مصر ؟ »

قالت : « أمرك يا عمي »

قال : « ألا يسرك ؟ يمكننا أن نعود إذا لم ترتاحي
هناك ... الأمر سهل »

وبعد أيام من هذا الحديث حملها معه إلى البلدة
وترك خليمة والخادم الكهل ليرسلا أثاث البيت
ويلحقا بهما

ولم يبالغ الشيخ فقد كانت القرية جميلة والدار
رحبية تقوم في وسط بستان ثمر وزهر ، ولكن
العناية بالزهر كانت ضئيلة فلم يكن هناك إلا بضعة
أعواد من الورد ؛ أما الأشجار فكانت كثيرة وكان
ثمرها وفيراً ، فطاب المقام لرقية ، ووجدت في
الحديقة الواسعة ملهى ومرتماً . وكان فتى من
أقرباء الشيخ في السابعة عشرة من عمره هو الذي
يتعهد الحديقة ، وكان مبيتة في الدار أيضاً ولكن في
إحدى الغرف التحتية . ولم تكن رقية ترتاح إلى
هذا الفتى ولكنه كان قريب الشيخ ، وكانت تدرك
أنه لا بد للحديقة من رجل يتعهداها ، فإذا كان عمها
قد آثر أن يكل هذا إلى قريب له فهو على حق ،
والأقربون أولى بالمعروف . وهي أجنبية — ولا

ينبغي لها أن تنسى هذا — فليس من حقها أن
تكره وتحب . وما شأنها هي على كل حال ؟ وإذا
كانت لا ترتاح إلى محمود هذا فإن في وسعها أن
تتجنبه ، وأنت تتقي لقاءه بلا عناء . غير أنها
— لسبب ما — كان يسخطها عليه ما ترى من
بلادته وجهوده وبطء حركته ، وأن وجهه لا ينطلق
قط . وقد سمعت أنه حفظ شيئاً من القرآن وأنه
قضى بمدرسة ابتدائية بضع سنوات فهو ليس جاهلاً
كأكثر الفلاحين .. فماله ؟ .. ما خطبه ؟

وكانت ربما لقيته في بعض جولاتها في الحديقة
فيضيق صدرها بجهاشته ، ولا تملك إلا أن تصيح
به : « يا شيخ اتلحج شوية ! » فينظر إليها ممتعضاً
ولا يزيد على أن يقول لها — حين يقول شيئاً —
« وانت مالك ؟ » ويستأنف ما كان فيه غير عابئ
بها أو مكترث لها فكأنها غير موجودة
وكان الشيخ يلاحظ حبها للحديقة فقال لها
 يوماً : « لعلك مسرورة »

فطوقته بذراعيها وقبلته ، فاستغرب الشيخ
إحساسه بذراعيها وتنبه إلى أن هزالها قد زال ،
وأن وجهها قد امتلأ ، وأن ذراعيها صارتا بضتين ،
وأنها — ولم يمض عليها عنده إلا عام وبعض عام —
قد طالت قامتها وعلا ثدياها على صدرها .. بالاختصار
أصبحت شابة ... لا يمكن أن يخطر لأحد أنها في
الثانية عشرة من عمرها فقط ...

وقال لها وهو ينحى ذراعيها عن عنقه برفق :
« كيف وجدت محموداً ؟ »

فعبست وسألته : « هل تحبه ؟ »

فقال كأنما أراد أن يلخص لها موقفه منه في
أوجز عبارة : « أمه بنت خالتي »

من يدري ؟ ... لعلهما حينئذ يتحولان إلى ...
ولكن من يدري ؟ . من يدري ؟ . على كل حال
هذا خير من قرب يثير بينهما حربا ...

غير أن الأقدار لم تمكنه من إمضاء عزمه ، فقد
أصابه برد ثقلت وطأته على جسمه التهدم فأحس
الرجل بدنو الأجل ؛ ودعا إليه رقية ، وأدناها منه
على سريرته ، وقال : « قلت لك يارقية إنى كنت
أحيانا أحلم بأشياء ... وأخشى أن أكون قد
أسأت من حيث قدرت أن أحسن . ولست أحب
أن ألقى الله بضمير مثقل بهذه التبعة . نعم كان
يسرنى أن أوفق بينك وبين محمود ... هو أيضا
ليس له غيرى ، ولكنى لا أحب أن تشعري أن
عليك أن تفعل شيئا لا لسبب إلا ظنك أن هذا
يرضىنى . إن حياتك أمامك فاصنعى بها ما تشائين .
كنت أحب أن يطول عمري حتى تكبرى فأتركك
مطمئنا ولكنه لا راد لقضاء الله ... وقد تركت
لك أكثر ما أملك واحتطت فلن ينزعك أحد .
وتركت له ما فيه الكفاية ، فأحرصى على مرضاة الله
ثم مرضاة وجدانك ، ولا تجعلى بالك إلى ما تظنين
أنه يرضينى ... هذا ما أردت أن أقوله لك ... »
فلم تستطع أن تقول شيئا فقد انهمرت دموعها
وخنقها البكاء

وبعد يومين ذهب الشيخ الكريم فى سبيل
من عبر ...

وظهر أنه وقف ماله فترك لها نصف الأرض
ولحمود النصف الآخر . أما الدار التى فى القرية
والبيت الكبير فى مصر فجعلهما فيهما شريكين بحيث
لا يستطيع أحدهما أن يحدث فيهما شيئا — كأنما
ما كان — إلا باتفاقهما على ذلك ؛ وآثرها على الفتى

فأدهشته بقولها : « هل كنت تحب بنت
خالتك ؟ »

فقال : « أ... أ... أحبها ؟ .. آه بالطبع ..
بنت خالتي ... طبعاً »

قالت : « لا أعنى هذا »
فزاد عجبه منها وأراد أن يغير الموضوع فسألها :
« ما رأيك فى محمود ؟ »

فقالت : « بإيجاز بليد ... »
فسألها بلهجة المشفق : « هل قلت له هذا ؟ »
فضحكت وقالت : « لا تخف ... هو أيضا
لا يكتمنى رأيه فى »

فهز الشيخ رأسه أسفا وأطرق قليلا ولكنها
ردته إليها بقولها :

« قل لى يا عمى ... لماذا تسألني عن محمود ؟ »
فنظر إلى عينيها الواسعتين العميقتين قبل أن
يجيب وكأنا رأى أن لاخير فى اللف والمغالطة مع
هذه الفتاة فقال : « لا شيء ... ولكنى رجل
كبير وأحيانا أحلم بأشياء ... كله بيد الله .. قومي
هاتى لى حصيرة الصلاة »

فجاءته بها فوقف ورفع يديه إلى أذنيه وكانت
هى عند الباب فقالت له وهى تهم بالخروج :
« اذكر يا عمى أنه هو أيضا لا يحبني »

فما استطاع الشيخ أن يتوجه بقلبه فى صلاة
إلى الله وحده إلا بجهد

وخطر للشيخ بعد مدة أن الأولى أن يبعد
محموداً عن الحديقة ، وأن يكل إليه عملاً آخر فى
الغيط ، فإن البعد رحمة فى بغض الأحيان ؛ وأخلق
بهما إذا قل لقاؤهما أن يفتر بينهما هذا العداء ؛ ثم

ومضت الأيام وكرت الأعوام والفتى في بلدته
والفتاة في البيت الكبير بمصر ومعها حليلة والخادم
الكهل ، والوصى الأمين يرعاها ويحذب عليها ولا
يغفل أمر محمود . وكان ذكر محمود لا يرد على لسان
الشيخ سعيد إلا في الندرة القليلة ، فسألته يوماً :
« ما أخبار البلد ؟ »

فقال : « أنا خائف على محمود »

فقطبت وقالت : « ماله ؟ »

قال : « شديد على الناس ... أصبح أعداؤه
كثيرين »

فاستزادته مستفسرة ، فقال لها : « إن الفلاحين
يهملون أحياناً فيشتد عليهم ويقسوا بهم ويعاملهم
بالعنف . وقد سرق أحدهم أخيراً كيسين من القطن
فضبطه وضربه حتى كاد يميته ... وأمثال هذا يحدث
كثيراً ... وهم يخافونه ولكنهم يكرهونه وأخشى
أن يتربصوا به »

فلم تقل شيئاً ، ولكنها بعد أسبوع سألت
الشيخ سعيد : « هل أستطيع أن أزور البلدة ؟ »
قال : « طبعاً ... ما المانع ؟ »

قالت : « ربما استاء محمود ... هو مرتاح من
وجودي كل هذا الزمن »

قال : « ولكنه لا يستطيع أن يعترض على
وجودك »

فقلت : « ليست المسألة مسألة اعتراض »

قال : « ماذا إذن ؟ »

فهزت كتفها وقالت : « لا أدري »

وسافرت بعد أيام ومعها حليلة التي انقلبت
تحبها كأنها بنتها . وكان محمود في الغيظ ، فلما علم
بمضورها خف إليها ورحب بها ، فاستغربت وقالت
له : « لقد صرت ظريفاً »

بيت صغير آخر تحته دكانان . وجعل النظارة لتاجر
من أصدقائه ، ولكل منهما على نصيبه بعده
وبعد الأربعين خفت الفتاة والفتى إلى مصر
إجابة لدعوة الشيخ سعيد ناظر الوقف . وقد قابل
كلاهما على حدة

وقالت الفتاة بعد أن سلمت وجلست : « لست

أفهم شرط عمي فيما يتعلق بالبنتين »

قال : « الأمر سهل ... إذا أردت مثلاً أن

تسدى شباكاً فلا يجوز لك هذا إلا بموافقة محمود .

وإذا أراد محمود أن يفتح باباً أو يبيض جداراً فلا

يكون له هذا إلا بإذنك وموافقتك »

فقلت : « ولكن لماذا ربطنا على هذا النحو ؟

إن الاتفاق بيننا مستحيل »

فابتسم الشيخ سعيد وقال : « لا حل لهذا

الإشكال الذي أورتكما إياه إلا الزواج »

فصاحت الفتاة مستنكرة : « أتزوج محمود ؟

أعوذ بالله ... مستحيل »

قال وهو لا يزال يتبسم : « حل آخر ... وطني

نفسك على التنازل له في المستقبل »

فقلت : « أتنازل له ؟ ولا في المنام »

قال : « إذن لا حيلة إلا الصبر »

ودخل عليه محمود بعدها فسأل بعد كلام :

« ما العمل في حل هذا الإشكال الفظيع ؟ »

فقال الرجل : « أحسن حل أن تتزوجها »

فقال الفتى : « يا ساتر يارب ! »

فقال مقترحاً : « تنازل لها إذن »

فصاح الفتى : « أتنازل لها ؟ لها هي ؟ هذا شيء

لا يكون »

قال : « صبراً إذن يا بني »

فضحك وقال : « لقد كبرنا يا رقية ...
كنا أطفالا »

فقال ضاحكة : « أحسبنا ما زلنا أطفالا »
فقال وهو مطرق : « حملنا الهم قبل الأوان
علمنا ... الحمد لله على السلامة ... يا أهلا وسهلا »
وتبادلا الأخبار عن البيت الذي في مصر والدار
التي في القرية فقال لها : إنه محتاج إلى مخازن وليس
هناك مكان يتخذه مخزناً إلا الجانب القبلي من الدار ،
يهدم ذلك الجانب كله ويبنى من جديد فيصلح به
البيت من فوق وتقوم المخازن المطلوبة ، فاعترضت على
هذا بشدة وقالت : إن هذا الجانب فيه الغرفة التي
كان ينام فيها عمها فيجب أن تبقى كما هي ، وقالت :
إن الذي يحتاج إلى عمارة هو بيت مصر ... واسع
جدا بلا ضرورة ولا ينتفع به أحد ، فيحسن أن
يشطر البيت شطرين ، واحداً يبقى لسكنائها والآخر
يؤجر . فاعترض الفتى وقال : إن هذا يفسد البيت .
فقالت : إن الأمر على كل حال للشيخ سعيد
وستقنعه بذلك ومتى اقتنع الشيخ سعيد فإن الأمر
يكون له . ولم يستطيعا الاتفاق ولا التفاهم وإن كان
الأمر كما قالت للشيخ سعيد فكل خلاف عبث .
وقام محمود مغضباً يائساً من إمكان الوفاق مع هذه
الفتاة العنيدة . وجاء الليل واجتمع محمود في الساحة
أمام الدار بالفلاحين يحدّثهم في شئون الأرض
ويحاسبهم ويتناقى منهم أخبار ما فعلوا في يومهم ، وكان
لا يزال متأثراً بخلافه مع رقية فخرج عن طوره مع
أحد الرجال وتفاقم الأمر ، فقام محمود وضرب الرجل
واجتمع الخلق عليهما وعلت الأصوات ، وكانت الليلة
مظلمة حالكة السواد ولا ضوء هناك إلا ضوء
مصباح غاز في ردهة في الدار ، فانطلقا المصباح فجأة

فهاج الناس وماجوا ، واشتد اللفظ ، وسمع صوت
يقول : « أوع يا أحمد ! حاسب » وارتفع صوت محمود
يصيح : « ترفع العصا علي يا كلب يا ابن ...
أنا أقتلك »

ولكن الرجال دخلوا بين المتعاركين وردوا
بعضهم عن بعض وحملوا محموداً إلى الدار وأغلقوا
وراء الباب ، فصعد إلى فوق ولم يكد يصير إلى
مكان فيه نور حتى وقف ينظر إلى يديه مستغرباً .
وكانت رقية واقفة أمامه فسأله : « مالك ؟
هل أصابك شيء ؟ »

قال : « لا ... ولكن هذه السكين ؟ كيف
صارت في يدي ؟ لم يكن معي شيء ؟ »
فابتسمت رقية وقالت : « ألم تضربه بها ؟ »
فسألها متعجباً : « أضربه ؟ أضرب من ؟ »
قالت : « الرجل الذي رفع عليك العصا »
فقال وهو لا يزال يتعجب : « أضربه بالسكين ؟ »
قالت : « لقد وضعتها في يدك لهذا الغرض »
فصاح وهو مذهول : « أنت وضعت السكين
في يدي ؟ »

قالت : « بالطبع ... من كنت تظنه فعل ذلك
غيري ؟ لقد نزلت وخفت أن يراني الرجال فأظفأت
المصباح ؛ ولما رأيت أن الأمر متفاقم خفت ، وكان
الشيخ سعيد قد أخبرني أن الفلاحين يكرهونك
لأنك شديد عليهم ، فخرت وجئت بالسكين
وتسللت في الظلام ووضعتها في يدك ... لم يرني أحد
في الظلام ... ظنوني على الأرجح رجلاً منهم »
فقعد محمود ولم يستطع أن يقول شيئاً ، وطال
صمته ، فهزته رقية وسأله : « مالك ؟ » فقال :
« مالي ؟ الحمد لله على كل حال ... لو كان هناك نور

قالت : « صحيح ... ولكن ... لا أريد الآن »
 قال : « لأنى اعترضت ؟ »
 قالت : « آه »
 قال : « أظن أن رأيك أصوب »
 فصاحت وهي فرحة : « صحيح ؟ »
 قال : « بالطبع ... كل ما يرضيك افعليه ...
 وهل لي غيرك ؟ »
 قالت : « ولا أنا »
 فقال : « المرحوم كان حكيما »
 فقالت : « عمى ... أوه جدا »
 قال : « كان غرضه ... »
 فلم تهمله وقالت مقاطعة : « كان مدهشاً ...
 عرف كيف يحتال علينا بعد وفاته »
 فسألها : « ما قولك فى تحقيق رغبته ؟ »
 فأطرقت حياء : فكرر عليها السؤال فقالت :
 « اسأل عمى الشيخ سعيد »

ولم تكن سن الزواج لها حد فى تلك الأيام
 ففرح الشيخ سعيد بتحقيق أمل صديقه
 إبراهيم عبد القادر المازنى

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

ورأوا السكين ؟ نهايته ... حصل خير »
 وقالت وهي مضطربة : « هل أخطأت ؟ قل لى
 الحق ... لقد كنت خائفة عليك »
 فنهض وهو يتنسم وقال : « حصل خير .
 حصل خير ... ربنا ستر »

ولما أرادت أن تعود إلى القاهرة رافقها إلى
 المحطة ، وهناك تركا حليلة مع الأشياء وراحا يتمشيان
 فى انتظار القطار وقال لها فى بعض حديثهما :
 « حكاية السكين هذه ... ماذا أغراك بها ؟ »
 قالت : « كنت خائفة عليك من الفلاحين ؟ »
 قال : « مدهش ! »
 قالت : « هل كنت تظن أنى سأتركهم
 يقتلونك وأنا أفرج ؟ »
 قال : « لم أكن أتصور أن تخافى على ...
 مدهش ! »

قالت : « ماهو المدهش ؟ »
 قال : « سأسافر معك ... أريد أن أقابل عمى
 الشيخ سعيد »

قالت : « من أجل المخازن ؟ »
 قال : « إيه ... حاجات كثيرة »
 قالت : « اسمع ... مسألة المخازن فى محلها ...
 افعل ما تريد »

قال : « ولكن الأمر بيد الشيخ سعيد »
 قالت : « نعم ولكنه لا يخالفنى »
 فأطرق ، وبعد برهة سأله بلهجة المتردد : « بيت
 مصر ... هل صحيح أن لك رغبة فى قسمته ؟ »
 قالت : « هذه فكرة ... بالطبع لا أستطيع
 الآن »
 قال : « لماذا ؟ الشيخ سعيد لا يخالف لك رغبة »

الدمع

للكاتب الفرنسي أميل زولا
يقدم الأستاذ محمود خيرت

الهول الذي ينتظرهم في
الغد.. فأخذوا يحتفلون
بتلك الساعات القليلة
التي جاد بها عليهم حسن
الحظ غافلين عن ظلام
الليل وظلام الموت
وأجنحتها التي تحلق
فوق هذا الميدان قهز
سكوت الفضاء

ولما انتهوا من

طعامهم تأقت نفس أحدهم إلى الغناء واسمه «جنوص»،
ولكن نبرات صوته كانت تمزق غشاء الهواء القائم
الحزين، وكانت أغنيته إذا خرجت من شفثيه امتزجت
بالصدي فكانت كتنهد عميق. وعند ذلك شق
حجاب الظلام صرخة مرعجة دوت في الفضاء
فاضطرب حتى أنه كلف رفيقه «إلبرج» ليذهب
ويرى فلعل إحدى تلك الجثث عادت إليها الحياة.
وهكذا ابتعد إلبرج على ضوء مشعل أخذه معه
ورفاقه يشيعونه بعيونهم لحظة على قدر ما يستمع به
امتداد الضوء فأبصروا به وقد انحنى من بعيد يسأل
الموتى ويفتش بينهم بطرف سيفه ثم اختفى

وبينما هم سكوت صاح جنوص بزميله الثاني
«كليريان» أن يذهب في أثره خوفاً عليه من الدئاب
وهكذا اختفى هذا أيضاً في الظلام

أما جنوص وفيلم فبعد أن طال بهما الانتظار
ارتديا معطفيهما واستسلما للنوم إلى جانب تلك النار
وقد شارفت على الانطفاء. وما كادا يغمضان
أجفانهما حتى سمعا تلك الصرخة من جديد وكأنها
تمر من فوق رأسيهما حتى أن فيلم انتصب فرعاً
(٢)

ها أنت ذي لا زلت بين أشعة الشمس وأرج
الأزهار. ألم تسأى هذا الربيع المستمر يا نينون؟
دعيني إذن أغمض جفنيك الناعستين على تلك القصة
الكثيرة الهول، فان النفس متى ملّت طول النشوة
قد تسكن إلى صوت الأهوال

— ١ —

في اليوم الذي انتصر فيه الجند أخذ أربعة
منهم مقاعدهم عند ركن من ميدان القتال وقد التف
من حولهم الظلام وهم يتناولون طعامهم بين جثث
الموتى

وكانت ألسنة اللهب التي يشوون طعامهم عليه
تنعكس أشعتها على وجوههم وترسل من خلفهم
ظلالاً ضخمة إلى مسافات بعيدة حتى أن سيوفهم
كانت تتألق من وقت لآخر تحت شرارات تلك النار،
وحتى أن الناظر كان يلحج في قلب الظلام جثث
القتلى وهي نائمة جاحظة العيون

أما رفاقنا فكانوا فرحين بضحكهم في جوف
الليل غير شاعرين بتلك العيون المحملقة فيهم. ولعل
لهم عذراً من هول ما رأوا في يومهم الدابر، ومن

فأخذ يتسع مجراه حتى استحال إلى جدول ثم إلى
 نهر ثم إلى سيل يسمع له وهو يجري صوت أصم
 وقد أخذ يقذف على جانبيه زبداً أحمر، وأخيراً
 استحال إلى نهر واسع يكتسح أمامه هذه الجثث
 ولكن كيف خرج كل هذا الدم الغزير من
 جروح أولئك الموتى حتى غمرهم؟ وعلى كل حال
 فقد اضطر جنوص إلى التراجع أمام تلك اللجة
 الصاخبة وقد غاب عن نظره الشاطئ البعيد، كأنما
 تلك المسافة المترامية الأطراف قد استحالت إلى
 بحيرة واسعة، حتى خطر له أن يفر لولا أنه وجد
 نفسه فجأة عند كوم من الصخور وأمواج الدم ترتطم
 بفخذه، وكأنما الأشلاء التي يجرفها التيار أمامه
 تلغنه كما أبصرت به في طريقها، وكأن كل جرح
 من جراحها فم يزدريه ويسخر من رعبه. أما البحر
 الزاخر فكان يعلو ويعلو حتى بلغ صدره، وعندئذ
 استجمع مافي نفسه من قوة وأخذ يتعلق بالفجوات
 التي بين الصخور حتى غاص إلى كتفيه والقمر
 الحزين الباهت ينظر كيف يتنازع هذا البحر أشعته
 كما انعكست فيه، وكأن ظلمته ودويه يخرجان من
 فوهة هوة سحيقة

— ٢ —

ولما بزغ الفجر عاد البرج فأيقظ جنوص وكان
 قد ضل السبيل في الأحراج فغلبه النوم أيضاً عند
 شجرة حيث رأى من غريب المشاهد ما كانت
 صورها لا تزال عالقة بذهنه

قال: رأيت كأن العالم لا يزال في طفولته والسماء
 بتسم والأرض بكر تنبت فيها السنبلة وتنمو، حتى
 أن شجرة البلوط العالية عندنا لا تعد بجانبها شيئاً.
 والأشجار الباسقة تملأ الفضاء بأوراقها العريضة التي
 لا يحصيها عد؛ والحياة تجري صافية في شرايين

وأتمجه إلى تلك الجهة التي اختفى عندها رفيقاه
 وهكذا لبث جنوص وحده وقد أخذ شبح
 الخوف يتمثل لعينيه كلما وقع بصره على تلك الهوة
 السوداء التي كانت تدوى بمحشرة الموتى. وعندئذ
 ألقى في النار بعض الحشائش اليابسة لعل اشتعالها
 يبدد شيئاً من ذلك الرعب الذي تملكه
 ولقد أخذت السنة اللهب ترتفع أخيراً حمراء
 كالدم فأضاءت الأرض على مسافة مستديرة واسعة
 كان يخيل إليه أن حشائشها أخذت ترقص من
 فوقها، وكأن أصابع خفية كانت تحرك جثث القتلى
 على أن القمر أخذ بعد ذلك يظهر قرصه عند
 الأفق فتبدد أشعته الضئيلة مخاوف تلك الأهوال
 التي كان الليل يخفيها في جوفه. وكانت الصحراء
 جرداء خالية إلا من بعض أشلاء منظرحة تحت
 أكفان من النور

أما جنوص الذي كان العرق يتصبب من جسمه
 فقد فكر في الصعود فوق رابية هناك وهو يسائل
 نفسه: لم أشباح أولئك الموتى لا تنتصب من مكانها
 وقد أخذت تحلق فيه. وهكذا أخذ جهودها أيضاً
 يرسل إلى قلبه عوامل الرعب فأغمض عينيه. وبينما
 هو في مكانه جامد شعر بحرارة تدب في قدمه
 اليسرى فأنحنى ليتبين أمرها ولكنه رأى سلسالا
 رقيقاً من الدم يعلو وينحدر بين الحصى، ولجريانه
 خريز ناعم لطيف

وكان هذا السلسال يخرج من الظلام ويتلوى
 تحت أشعة القمر ليعود ثانية إلى الظلام، فكان كالثعبان
 اللطخ يقع سود تتابع كالحلقات بخفة وبلا انتهاء.
 وعندئذ تراجع إلى خلفه وقد تمرت أجفانه فلم
 يستطع إطباقها من هول ما رأى. أما السلسال

تداعب كل سنبلة تقع عليها عينه ، وهو بين لحظة وأخرى يلتفت إلى زميله وعلى شفقيه ابتسامة صافية لم تكن غير ابتسامة أخ

أما زميله فكان صامتا يرسل إليه وجهه المكفهر نظرات حارة ملؤها الخقد ، وهو يتعثر كلما أسرع من خلفه كأنه يقتني أثر فريسة فرت منه

وعندئذ قطع فرعا من شجرة أخذ يسوى منه هراوة أخفها تحت ثوبه ، ثم اندفع وراء صديقه الذي وقف ينتظره وقد أخذ يقبله عند ما اقترب منه كما يقبل الانسان صديقا حميا طالت غيبته عنه

وهكذا عادا إلى سيرهما وقد آذنت الشمس بالغيب ، والفتى مسرع وهو يبصر من بعيد خطأ لطيفاً أصفر عند سفح الجبل لم يكن غير تحية النساء ترسلها الشمس للطبيعة . أما صاحبه فظنه يتهرب منه ، حتى إذا التفت إليه وعلى طرف لسانه كلمة حلوة أراد أن يستر غرضه بها كانت الهراوة على وجه ذلك الفتى المسكين فهشمته

ولقد صادفت أول نقطة من دمه بعض الحشائش فنفضتها عنها إلى الأرض مُرتاعة فامتصتها فذهبت وهي لا تقل ارتياحاً منها ؛ وقد خرج من بين أحشائها أنين مؤلم يحمل إلى السماء صوت سخطها ومقها حيث طفح الرمل ذلك الشراب القاتل على صورة زبد خالطه دم

وما كاد القليل يصرخ من ألم الضربة حتى تشتت الخلائق هولاً ، وأخذت تهيم على وجوهها في الأرض ، وأقويأوها في مفارق الطرق يصرعون الضعفاء منهم . وعندئذ أيقنت أن الكون قد بدأ فيه نذير الاضطراب والانهلال

وهكذا استعرضت عيناى مناظر هذا الاغتداء المطرد ، فكان الباشق يهوى على القبرة ، وهذه على

الكون ؛ والماء عذب غزير حتى إذا أخذت الاشجار كفايتها منه سال بين أحشاء الصخور وكانت الآفاق تمتد ساكنة متشعبة ، والطبيعة كالطفل يجثو عند الصباح ليحمد الله على نعمة النور وتمجده هي أيضاً بأريج الأزهار وتغريد الأطيوار كنت أراها زاهية خصبة تفيض بخيراتها من غير ما نصب ، والأشجار ذات الثمر تنمو وحدها ، وسنابل القمح تكسو جوانب الطريق كما يكسوها الآن الشوك . وكنت أستنشق الهواء فلا أشعر بأن عرق ابن آدم أخذ يتصبب فيمتزج بأنفاس السماء ، لأن الله كان يهيئ كل أسباب الحياة خلقيته

كان الانسان كالطير يعيش مما تخرجه له الطبيعة فيأكل من ثمارها ، ويرتوى من أنهارها ، وينام إذا دجى الليل تحت أشجارها حامداً الله ؛ وقد عافت عيناه مرأى الدم ، فظل طاهراً ، ورفعته طهارته فوق جميع المخلوقات

نعم كان الوئام سائداً بين الناس ، والسلام خافقة رايته في كل مكان ؛ حتى أن الطيور ما كانت لتحرك أجنحتها فزعاً من خوف ، ولا كان البنى يدفع أحداً إلى الالتجاء للغابات والأحراج ، كل له حصة من حرارة الشمس ، والجميع أسرة واحدة شريعتها المحبة ولقد خيّل إلى وأنا أمشي بين الناس أنني أصبحت أطهر وأقوى مما أنا عليه الآن ؛ وكان صدرى يستنشق طويلاً نسيم تلك السماء البليل بعد أن كان يستنشق نسيم جونا الفاسد ، فأشعر بنشوة الطفل وهو يصعد رويداً رويداً في الفضاء

وبينما هذه الأحلام تهزني انتقل خاطري إلى غابة فوق بصرى على رجلين يقطعان طريقاً ضيقاً تعانقت من فوقه غصون الأشجار ؛ وكان أصغرهما متقدماً على رفيقه ووجهه يفيض بالاطمئنان ، ونظراته

تنظران إلى روحها وهي تصعد حاملة معها مهجتها ،
وتلك تتجرع كأس الموت على صدر رفيقها مطوقة
عنقه بذراعيها تودعه الوداع الأبدى

وكذلك كنت أرى من بين الناس من سئموا
الحياة وملوها فودعوها لعل أرواحهم تذوق طعم
النعيم في عالم آخر

أينما كنت أذهب كان أثر أقدام الملوك (١)
مرسوماً محفوراً على ذلك البلاط القاني ... فمنهم
من كان يمشي على دم أخيه ، ومنهم من كان يسير على
دم شعبه ، فترك أقدامهم من خلفها أحرفاً ناطقة :
هنا مر ملك !

أما القساوسة فكانوا يخفون السيوف في مطاوي
أثوابهم الكهنوتية وأصواتهم تعلن الحروب باسم
الإنسانية وباسم الله

كان العالم كله ثملاً بخمرة البطش ، يضرب كل
منهم أخاه بسيف ذي حدين ، والأرض عطشى تكرع
من الدم ولا ترتوى

— ٤ —

وعند ذلك صاح جنوص لقد هلت تبشير
الصباح ، ولكن طرق آذانهم صوت بوق بعيد
لم يكن غير أمر للمتفرقين من الجند بالاجتماع تحت
علمهم ، فنهض الثلاثة حاملين أسلحتهم ثم ابتعدوا وهم
يرسلون إلى موقدهم نظرة وداع أخيرة . غير أنهم
لحوا رفيقهم الباقي مقبلاً وقدماء معفرتان بالتراب
فاستوقفهم يقص عليهم ما رآه :

قال : إننى أجهل من أين أتيت لأنى كنت أعدو
عدواً وكان الأشجار لجزعها تعدو مثلى حتى غلب
على سلطان النوم فنمت حيث رأيت نفسى فوق تل
منفرد وقد كادت قدمائى تحترقان من حرارة الشمس

(١) أى الظالمين منهم

الندابة ، والندابة على جروح القتلى ؛ فلم يترك الفرع
أحداً من الدودة إلى الأسد كأنما قد استحالت
الخليقة إلى عقرب أخذت تمض ذنبها بفمها فغابت
في ظلمة الفناء

وعلى أثر ذلك انتابت الطبيعة هزة طويلة كسرت
خط ذلك الأفق الصافى ، وشوهدت جمال الشفق بما
اعترضه من السحب الحمراء

وكذلك البحار أخذت تضطرب بين قصيف
الأمواج وهزيم الرياح من خلال الأشجار وقد
التوت سيقانها وأخذت تنفض عنها كل سنة حلة
أوراقها

— ٣ —

وما كاد إلبرج ينتهى من حديثه حتى ظهر
كليريان وهو يقول : لست أدري إذا كان ما سأقصه
عليكم حلاًماً أو حقيقة ، لأن ما رأيت فى نوى يكاد
يكون حقيقة ، ولأن الحقيقة من بعده تكاد
تكون حلاًماً

رأيت كأننى فى طريق يشق المسكونة على جانبيه
المدن والأهم تقطعه مثلى ، وهو مكسو ببلاط أسود
انعقد فوقه دم كانت قدمائى تنزلقان من فوقه

أما الناس فقد كان الآباء منهم يقتلون بناتهم
ليكون من دمائهن قربان لله ، فكانت تلك الرؤوس
الفتية الجميلة تحز تحت مداهم وقد هرب لونها على
أثر هذه القبلة التى كانت شفة الموت تضعها عند
أعناقهن

وفى مكان آخر كان العذارى يصنّ عفافهن
بالانتحار جاعلات من القبور الكفن لبكورتهن
وعلى مسافة من هذا المكان كنت أرى
العشيقات تفيض أرواحهن تحت قبلات المحبين ، هذه
تنوح ثم تسقط جثة هامدة عند الشاطي وعيناها

هأنذا أنوح على ثوبي الملطخ فأين أجد أخاك
أيها المسيح ليفتح لي طرف ثوبه فأحتمى فيه؟ ومن ذا
الذي يغسل بعد الآن ريشي الذي صبغه دمك؟
وكان المصلوب كان يستمع لتوايح تلك الحمامة
وربح الموت تحرك جفنيه، وسكراته تلوى شفقيه؛
غير أن نظراته اتجهت فجأة إليها كأنها توجه لها لطيف
العتاب. ثم صرخ صرخة مالت عندها رأسه إلى
صدره فذعرت الحمامة وفرت، وقد اغبر وجه السماء
واهتزت الأرض، ثم أخذت تبتعد حتى اختفت
في ثوب الظلام

أما أنا فأخذت أعدو وقد بزغ الفجر واستيقظت
الطبيعة باسمة من خلال ضباب الصباح، وقد اختفت
زوابع الليل فعاد للسماء صفاؤها، وعادت للأشجار
نضرتها؛ ولكن الطريق كانت لا تزال تكسو
جانبيها الأشواك، ولا تزال ساكنة في فجواتها
الزواحف التي كانت تقف في طريق سيرى بالأمس.
نعم إن دم المسيح جرى في شرايين الأرض القديمة
من غير أن تعود إليها نضرتها الأولى
على أن البوق كان لا يزال يسمع صوته من
بعيد فصاح جنوص في رفاقة قائلاً:

« ألم تشعروا يا أولادى بقسوة هذه المهنة؟
لقد أزعجتكم تلك الأشباح في نومكم كما أزعجتني
مثلكم ساعات طويلة. إن لي الآن ثلاثين سنة لم
أقضها في غير قتل بني جنسى حتى سئمت نفسي.
وإننى أعرف أن هنالك أراضى واسعة في حاجة إلى
سواعد ومحاريث، فهلا ترون أن تتذوق بعد ذلك
طعم الخبز الذي يخرج من كدنا؟ »

وعند ذلك صاحوا جميعاً: نعم
ثم أخذوا يهيئون حفرة يدفنون فيها سلاحهم
وبعد أن اغتسلوا في النهر اختفوا بين ثنايا الطريق

محمود صبريت

« المترجم »

وبينما أنا أثب من صخرة إلى أخرى لمحت رجلاً
صاعداً نحوى وعلى رأسه تاج من الشوك وعلى
كتفيه معطف ثقيل والعرق يتصبب من وجهه في
حمرة الدم. وكانت حرارة الشمس قد أثرت في قدمي
فأخذت في الصعود حيث أتنظره تحت كل شجرة
فوق رأس التل، حتى إذا اقترب منى وجدته يحمل
صليباً فقرحت إذ لم أجده ملكاً
ولكن جنوداً كانت تجدد في أثره وهم يهددونه
بمخاربههم، حتى إذا ما أدركوه صلبوه فوق تلك الشجرة
ودموعه تسيل وعلى شفقيه ابتسامة صفراء تم عن
مبلغ ما حل به من الحزن

هالنى هذا المشهد ولكننى رأيت الرجل عظيماً
في موته فتأكد لي أنه غير ملك. ولذلك أشفقت
عليه وأنا أصبح بهم: اطعنوه في قلبه حتى لا يطول
عذابه. وعندئذ وقفت حمامة على الصليب وأخذت
تنوح ونبرات صوتها تصل إلى سمى فتصورها لي
عذراء لم تملك نفسها من البكاء وكأنها تقول:
« ما لي أرى الدم قد صبغ اللبيب والفضاء
والأشجار؟ وما لساقى تفوصان من تحتي في الرمل
القانى؟ وما لجناحى حين لسا هذه الأغصان صبغتهما
الحمرة؟ »

لقد صادفت في طريقى رجلاً صالحاً فتبعته حتى
إذا اغتسلت في المنبع خرجت وثوبى طاهر تقى
ولذلك كنت أقول لريشى: قر عيناً فانك فوق كتفى
هذا الرجل لن يحملهما. ولن تدنسك آثام. أما
اليوم فقد أصبح نشيدى:

نوحى يا حمامة وابكى ثوبك الذى لطخه دم من
اتخذت حماك بين يديه. إنه جاء ليصون لك بياض
ثوبك ولكنه تحت حكم أولئك القساة بلل ريشك
بندى جروحه

سَبَاقُ الْحَصَادِ

لِلْكَاتِبِ لَا بُدَّ أَنْ يَلَامَ أَوْ فَلَاحِرَتِي
بِقَلَمِ الْأَسْنَانِ عَبْدُ الْحَمِيدِ جَدِي

وقاد الرجال من
طرف الحقل إلى الطرف
الآخر فأراهم كيف
قسمه إلى ثلاثة أقسام
متساوية، وكيف وضع
خطوطاً تبين معالم كل
قسم من هذه الأقسام
وصاح الرجل في

نشوة أشبه بنشوة تلميذ المدرسة :

« لا يمكن أن يكون هناك ما هو أعدل من
هذا ، وعندما أطلق النار من مسدسي سيبدأ الجميع
العمل في لحظة واحدة ، والزوج الذي يسبق في حصد
شقته يحصل منى على ورقة من ذات الخمسة الجنيهات
وهز الفلاحون رؤوسهم ونظروا إلى الشيخ
ما كدارا نظرة الجد على الرغم من أن كل واحد منهم
كان يعتقد في نفسه سفه ذلك الشيخ الذي ينفق
خمسة جنيهات على حصد حقل يمكن حصده بجنيهين
لا أكثر ؛ على أنهم لم يكونوا مع ذلك أقل من
ما كدارا نفسه اهتماما ولهفة ، فإن الثلاثة المتفوقين
بين الحاصدين في جزيرة انفيرارا كلها قد تقدموا
إلى هذه المسابقة ، وكانوا في هذه اللحظة واقفين
عند رأس الحقل كل في شقته مستعدين للعمل ، وكان
كل منهم مستصحباً زوجه لتحزم ما يقطع من
الشعير وتربطه ولتقدم له الطعام أيضاً

أما اختيار الشقة التي يعمل فيها كل منهم
فكان عن طريق الاقتراع إذ سحب ثلاثهم ورقة
ملفوفة من قبعة ما كدارا ، حتى إذا عرف كل
شقته وقف على رأسها منتظراً إشارة البدء في العمل ؛
وعلى أن الشمس لم تكن بعد قد بعثت بحرارتها إلى

لم يطلع الفجر إلا وقد تجمع الحاصدون في حقل
الشعير ، ذلك الحقل الكبير القائم الزوايا الذي يملكه
جيمس ما كدارا المهندس المتقاعد . ويتبدى الحقل
من منحدر أحد التلال ثم يهبط في ميل خفيف
حتى ينتهي إلى طريق الشاطئ المغطى بالرمال يحيط
به سور غير مرتفع من الحجر تدلت عليه رؤوس
عيدان الشعير الصفراء متكاثفة تغطيه فلا يكاد يظهر
لأحجاره من أثر ، يخبط بعضها بعضاً فتحدث حفيفاً
خفيفاً كلما هبت عليها نسائم الصباح .

وكان ما كدارا نفسه — وهو شيخ أبيض
الشعر — واقفاً خارج السور في سراويله الرمادية
يلوح بعصاه متحدثاً إلى نفر قليل من الناس اجتمعوا
حوله في هذه الساعة المبكرة من النهار مدفوعين
بمحب الاستطلاع ، وكانت أمارات الاهتمام بادية على
وجهه المشرب بالحمرة وهو يحدثهم في صوت مرتفع
يقول :

« لقد مسخته يوم أمس على أدق الوسائل ؛
وأقسم بشرى أن ليس هناك من فارق ولو بوصة واحدة
بين مساحات الأقسام الثلاثة . وانظروا لقد رسمت
خطوطاً على طول الحقل حتى لا يضل أحدهم طريقه
فلتقدموا لتروا بأعينكم »

إلى امرأته في لهجة جدية خافتة ، وكان رجلاً كبير
الهامة غليظ الأطراف والعنق ، أسود الشعر ضرب
الصلع في مقدم رأسه ، وكانت جبهته شديدة
البياض وخداه شديدي الاحمرار ؛ وكان كثير
التقطيب يحرك حاجبيه السوداوين ، وكانت امرأته
مارى قصيرة القامة نحيفة ، شاحبة الوجنتين ، تبرز
أسنانها العليا إلى الخارج قليلاً على شفتيها السفلى
ووقف على رأس الشقة اليمنى « بات كونسيدين »
وامرأته « كايث » ، وكانت « كايث » كبيرة الهامة
مفتولة العضل ، مرقشة الوجه ، نبت على شفتيها
العليا شاربان يسترعيان النظر ؛ شعرها غزير
يضرب لونه إلى الصفرة القاتمة وقد تركته مرسلًا
غير ممشط ، وكانت تتحدث إلى زوجها في صوت
عال فيه خشونة صوت الرجال ، تميزه نغمة تنبيء
عن طيب الخلق والوداعة . وكان زوجها على العكس
منها رجلاً قصير القامة ، ضئيل الجسم ، بدأت
التجاعيد ترسم على وجهه ولما يبلغ الأربعين بعد .
وكان وجهه في وقت ما مشرباً بالحمرة الداكنة ،
أما الآن فقد بدأ يعلوه الشحوب ، وقد فقد
أغلب ثناياه ، وكان في هذه اللحظة واقفاً في غير
أكثر ما يتسم لما كدارا ، وكانت ضالة جسمه
ونحوه يخفيان ما ركب في ذلك الجسم من قوة ،
ثم هن ما كدارا عضاه ، ورفع ساعده وأطلق النار
من مسدسه فبدأ سباق الحصاد ؛ وبحركة واحدة
ركع الرجال الثلاثة على ركبهم اليمنى كما يركع الجنود
ساعة المران على إطلاق النار ، وفي نفس هذه الحركة
أطبقت كفوفهم اليسرى على حزم من عيدان الشعير
وارتفعت مناجل الحصد في الهواء ، ثم سمعت أصوات
قطع تشبه الأصوات التي يحدثها أكل البقر الجائعة

الأرض ونسيم البحر كان لا يزال ندياً رطباً ، فان
الرجال الثلاثة قد خلعوا أرديتهم إلا الأقمصنة
المفتوحة الصدر ، وقد طووا أكمامهم ورفعوها إلى
ما فوق المرافق ، وكانت الأقمصنة مصنوعة من
الصوف الرمادي ، وقد تمنطقوا بأحزمة من الصوف
منسوجة باليد ؛ أما سراويلهم فكانت من قماش
أبيض تدخل نهاياتها تحت جوارب طويلة من
الصوف محلاة رؤوسها بمختلف الألوان ، وقد
انتعلوا نعالاً خفيفة من شأنها أن تقي أقدامهم
وتسهل عملهم ؛ وكان ثلاثهم عاري الرؤوس ، أما
نساؤهم فقد ارتدين سترات حمراء وربطن حول
رؤوسهن شيلاناً صغيرة

وكانت الشقة اليسرى من نصيب ميخائيل
جيل وزوجته سوزان . وكان ميخائيل رجلاً طويل
القامة صلب العمود قوى البنية ، أشقر شعر الرأس ،
أقنى الأنف ، يحرك في استمرار فكه الأسفل إلى
الأمام وإلى الوراء ؛ وكانت عيناه الزرقاوان
الصغيرتان محدقتين باستمرار إلى الأرض ، حتى
لا تكاد أهدابه البيضاء الطويلة تلمس عظمتي وجنتيه
كما لو كان نائماً ، وقد وقف جامداً يحمل في يده
اليمنى منجل الحصاد ممسكاً حزامه باليسرى ، وكان
يرفع أهدابه ما بين فترة وأخرى مصغياً يتوقع
انطلاق المسدس ؛ وكانت امرأته تكاد تدانيه طولاً
ولكنها كانت بدينة محمرة الوجه ، وكانت امرأة
صموتاً وقفت في هذه اللحظة تفكر في طفلها الذي
لم يتجاوز الشهر الثامن من عمره وقد تركته في
البيت في عناية أمها

وكانت الشقة الوسطى من نصيب جوني
بودكن ، وقد وقف متكئاً مفرشخاً يتحدث

عضلات وجهها في تقطب جدى أشبه بالرجل المهمك
في حل مسألة كبيرة الخطر

ويأتى بعد « بود كن » كونسيدين وامراته ،
وقد أبدى هذا الرجل الضئيل الجسم ، بعد أن انهمك
في العمل ، قوة مدهشة وخفة في الحركة تشبه خفة
الجديان . وعندما كان ساعده النحيفان الطويلان
يعملان في قطع الشعير كانت العضلات تبرز فوق
ظهره كسلسلة من اللوالب المضغوطة . وكان كلما
اعتمد على ركبته اليمنى ليتقدم إلى الأمام في خط
الحصاد ينفرج فمه عن صوت أشبه بالأنين المقطوع ؛
وكانت امرأته التي غمر العرق جبينها تتحرك في أعقابها
تحزم ما يقطع وتشجعه على العمل ضاحكة مازحة
بصوتها المرتفع كعادته الخارج من أعماق قلبها

وكان آخر الثلاثة ميخائيل جيل وامراته . وقد
بدأ ميخائيل عملية الحصاد في حركة متأنية مترنة
كآلة ميكانيكية تبدأ حركتها بقوة دفع خفيف .
وقد مضى في عمله في خطوات متساوية لا يغيرها
أبدأ ولا يرفع رأسه مطلقاً ليرى إلى أين وصل منافسائه ؛
وكانت يدها الطويلتان تتحركان في سكون فلا يسمع
لحركاتهما صوت غير صوت احتكاك أسنان المنجل
لسيقان الشعير . ولم ينظر وراءه قط ليرى إذا كان
قد حصد ما يكفي لجمعة واحدة ، حتى يبدأ في الجمعة
الثانية ، فقد كان مقدراً جميع حركاته من قبل تقديره
صحيحاً ، فهي حركات ثابتة متماثلة دقيقة غاية في الدقة
وحتى تنفسه كان شبيهاً بحركاته هادئاً لا يخرج إلا
من أنفه كتنفس النائم السليم من الأمراض . وكانت
امراته تسير وراءه في مثل هدوئه تحزم الحصادات في
تأن وكثير من العناية لا يبدو عليها أي أثر للانفعال
أو الاجهاد

وإذ تقدم النهار أقبل الناس من كل ناحية

الحشيش المبكر في الربيع . ثم إذا بثلاث حزم
صغيرة ملفوفة من الشعير تاتي على الأرض المنداة
بجوار السور ، وراء كل ساق مثنية من سوق الحاصدين
الثلاثة حزمة منها ؛ وكانت النسوة الثلاث ينتظرن
في لهفة عصبية الحصة الأولى ، فهذه الحصة قد
تكون بشيراً بالنصر أو نذيراً بالهزيمة ؛ وتكونت
حزمة واثنان وثلاث وأربع ... وكان جوني بود كن
يغط كالجواد الثائر مائياً بالحزم التي يقطعها في غير
توقف . ولم يلبث أن رفع منجله عالياً فتفل عليه
صائحاً في صوت عال صيحة الانتصار يقول : « الحصة
الأولى ! » فأطبقت امرأته بكلتا يديها ، وبدأت عملية
الحزم في سرعة ومهارة تدعوان إلى الدهشة والإعجاب ،
وكأنما كانت أصابعها الطويلة في أثناء هذه العملية
تلعب باير التطريز . ولم يتوقف الحاصدان الآخران
وزوجاهما لينظروا ما حدث ، فقد انتهى الحاصدون
الثلاثة من قطع حصدهم الأولى ، وانهمكت زوجاتهم
راكعات على ركبهن في عملية الحزم .

واستمر بود كن في الحركة العنيفة التي بدأ بها ،
فلم يمض إلا قليل من الوقت حتى كان قد تقدم
منافسيه بمسافة غير قصيرة ؛ وكانت ضرباته في قطع
سيقان الشعير غير منتظمة فكان يترك وراءه بقايا
هي أثر لعدم انتظام الضربات ، ولكن السرعة التي
كان يعمل بها والقوة التي بدت في حركاته أدهشتا
المراقبين أكبر الدهش ، فكانت يدها تعملان
بالمنجل عمل الجبارة ، وكان جسمه الكبير يتحرك
في قوة ، فكان في حركته أشبه بفيل يدب وسط
إحدى الغابات . ولكن المشاهدين كانوا يرون في
حركات أطرافه التي لا تهدأ توازناً لا يخلو من الجمال ؛
وكانت امرأته من وراءه تحزم في استمرار ما يحصد
في سرعة تدعو كذلك إلى الإعجاب ، وقد جمعت

فأحضرت وعاء مملوءاً بالشاي البارد وفطيرة كبيرة من الدقيق الأبيض فقطعها قطعاً كبيرة وغطت كل قطعة منها بطبقة كثيفة من الزبد، وقد أعدت إلى جانب ذلك أربع بيضات مسلوقة. ولم يكن لبودكن وامرأته أطفال، لهذا كان في مقدورها أن يعيشا في شيء من السعة، أو على الأقل كانا أرفه حالاً من أمثالهما من الفلاحين، فما وقع نظر بودكن على الطعام حتى ألقى بمنجله وأقبل يأكل في شره فازدرد في لحظة ثلاث بيضات بينما امرأته التي لم تكن لتقل عنه جوعاً أكلت الرابعة؛ ثم أقبل بودكن على الفطيرة المحملة بالزبد والشاي البارد يلتهم الجميع بمثل السرعة التي كان يحصد بها التبات. ولم يحتج الزوجان لأكثر من دقيقتين وثلاثة أرباع الدقيقة لالتهام كل هذه الكمية الكبيرة من الطعام والشراب. وكان الدكتور جالاغر الواقف على الشاطئ بين المراقبين يحسب الوقت مدفوعاً إلى ذلك بحب الاستطلاع، وما انتهى الزوجان من الأكل حتى عادا يحصدان بمثل العنف الذي كانا يعملان به من قبل.

وكان كونسيدن قد تساوى ببودكن في اللحظة التي استأنف فيها هذا عملية الحصد، وبدل أن يجلس كونسيدن وامرأته للطعام تناولاه على عادة مألوفة بين فلاحي انفيرارا في مثل هذه المواقع، فكانت كات تطعم زوجها في أثناء عمله بقطع من فطير الشوفان المدهون بالزبد، وكانت من فترة لأخرى تناوله وعاء الشاي فيشرب منه قليلاً، وبهذه الوسيلة كان عند انتهائه من الأكل لا يزال في مستوى بودكن، وقد أعجب المشاهدون بما رأوه من حماسه وتبأوا له بالفوز.

ولم يهتم أحد من المشاهدين بجيل وامرأته فلم

ليرقبوا حركات الحاصدين. وارتفعت الشمس في كبد السماء، واشتدت الحرارة، وانقطع الهواء، وجمدت سيقان الشعير فلم تعد تتحرك كما كانت تتحرك في أول النهار بعمل نسيم الصباح، بل وقفت منتصبية ثابتة أشبه برماح من الذهب تحمل أسنة من الفضة البيضاء. وكان قسم كبير من الشعير قد حصد تاركاً مكانه فراغاً يزداد اتساعاً ما بين لحظة وأخرى، وقد انتشرت فيه نقط خضراء هي نبات بعض البذور التي اختلطت ببذور الشعير عند زرعها؛ وكان المشاهدون يتحدث بعضهم إلى بعض في أصوات مرتفعة، ولكن ارتفاعها لم يكن ليغطي على صوت المناجل الحاصدة.

وقبل أن ينتصف النهار بقليل كان بودكن قد انتهى من حصد نصف شقته، وكان صاحب الحقل قد وضع قطعة من الحجر على الخط الفاصل بين النصفين، فما وصل بودكن إلى هذا الحجر حتى رفعه بيده عالياً وصاح:

« هذا هو الدليل على أنه لم يولد بعد في جزيرة انفيرارا رجل في مهارة جوني بودكن »

فأجاب المشاهدون الواقفون وراء السور على هذا التفاخر بصيحات التهليل. ولكن كات كونسيدن حملت حزمة من الشعير فهزتها في الهواء وقالت بصوتها الخشن وفي لهجتها الفكاهية المعهودة:

« إننا لا نزال في طليعة النهار يا بودكن الناعم اللحم. »

فارتفعت في الجوضكات السامعين لهذه الفكاهة. ولكن بودكن لم يجب، فلم يكن حاد الذكاء حاضر البديهة ليقابل هذه الدعاية بمثلها. أما جيل وامرأته فلم يلتفتا إلى ما حدث، ولم يرفعا أعينهما عن عملهما وكانت امرأة بودكن أول من أعد طعام الغداء

المشاهدين يتراهنون على من سيكون الفائز . ولم تكن اللفتة إلى هذه اللحظة قد بلغت حدها ، فقد كان الجميع واثقين من فوز بود كن الذي كان يتقدم منافسيه بمسافة طويلة . ولكن هذا التفوق لم يلبث أن تهدده الخطر ، فعلى الرغم من تقدمه على جيل إلى مدى بعيد كان التعب قد أخذ منه وقد بدت عليه آثاره واضحة ، وكان من أظهرها خطأ ضربات منجله ما بين فترة وأخرى ، إذ كان سنه يضرب الأرض فيخرقها ، وكان جسمه كله يتصبب عرقاً ، وشرع ينظر وراءه إلى جيل متضايقاً من صيحات المشاهدين وتهليلهم

وقبل الساعة الرابعة بقليل سقط كونسيدن فجأة مجهوداً فحمله إلى ما وراء السور ، وأحاط به فريق من المشاهدين . وسقاء مستر روبرتسون القسيس قليلاً من التبيذ أعاد إليه شعوره فحاول أن يعود إلى العمل ولكنه لم يستطع النهوض . فقالت امرأته غاضبة :

« ابقى حيث أنت فقد قضى عليك . وسأستأنف أنا العمل »

وشمرت المرأة ساعديها ثم حملت المنجل واندفعت إلى الحقل صائحة وشرعت تحصد في قوة وعنف . وصاح ما كدارا :

« مرحى ! مرحى ! »

ثم وجه كلامه للدكتور جالاغر ، وقد لمس كتفه :

« سأعطي المرأة جائزة خاصة يا جالاغر ، فهي بعد من النسل الأيرلندي .. وإنك لتفهم ما أعني .. إنها من النسل النشط ! »

ولكن اهتمام المشاهدين انصرف كله إلى المعركة بين بود كن وجيل . فقد ثار بود كن ثورة هائلة فبذل مجهوداً رائعاً ، واستطاع أن يتقدم تقدماً جديداً

يكن في حركاتهما ما يسترعى النظر أو يثير اللفتة ؛ على أن هذين الزوجين لم يقطعا عملهما لياً كلا ، وكانا يقتربان في انتظام من منافسيهما ؛ وعلى الرغم من أنهما كانا لا يزالان متأخرين قليلاً عن مستوى هؤلاء ، كان يبدو عليهما النشاط الهادئ ، فكانا في هذه الساعة من النهار مثلهما عند ابتداء السباق لا يبدو عليهما أى أثر للتعب أو الاجهاد ، بينما مظاهر التعب قد أخذت تبدو على بود كن الذي أثقله الطعام الدسم ، وفي حين بدأ على كونسيدن أنه قد أخذ ينفق من قواه الاحتياطية . وإذا وصل جيل إلى الحجر المميز لحظ النصف من شقته وضع منجله في هدوء وطلب من امرأته أن تحضر الطعام فأحضرتة من جانب السور وكان مكوناً من خبز الشوفان المدهون بالزبد الخفيف ، وزجاجة مملوءة باللبن الطازج وشيء من دقيق الشوفان في قاع الزجاج ، وأكل الزوجان طعامهما على مهل ثم استراحا فترة من الوقت . فلما رأى المشاهدون ذلك بدأوا يتكلمون عليهما ، ولكنهما لم يعبأ بهذا التهم ولم يلقيا إليه بالا . حتى إذا مرت عشرون دقيقة عادا يستأنفان عملهما ، فارتفعت في الجو عبارات السخرية وصاح شيخ عجوز :

« إنك لتلوث اسمي يا ميخائيل »

فصاح ميخائيل جيل :

« لا عليك يا أبى فان السباق لم ينته بعد »

ثم تفل على يده وأمسك بمنجله من جديد ثم بدت على المشاهدين آثار الدهشة البالغة فقد رأوا جيل وامرأته يستأنفان عملهما بنشاط جم وسرعة هائلة ؛ وكانت حركاتهما منتظمة آلية كما كانت من قبل ولكنهما الآن كانا يعملان بضعف السرعة التي عمل بها في أول النهار ، فانقلبت صيحات الاستهزاء إلى هتاف الإعجاب ، وأخذ السادة من

يشرب حتى بلدت حواسه ، وأثقل الناس رأسه ، وأصبحت حركاته حركات لا شعورية ، فكان يرى أمامه الجدار الذي ينتهي عنده السباق ويجهد في الوصول إليه ، وشرع يحدث نفسه ، ووصل بالفعل إلى الجدار في إحدى نهايتي خط الحصاد ، ولم يكن عليه إلا أن يحصد الشعير على طول الجدار وينتهي الأمر . وما هي إلا ثلاث حصدات ثم ... ثم يصبح أحر حاصد في أنفجارا ... ويحصل على الورقة ذات الخمسة جنهات ...

وما وصل في حديثه لنفسه إلى هذا الحد حتى اخترقت صياحه أذنيه صيحة التهليل والاعجاب تدوى في الجو :

« لقد فاز جيل »

فسقط بودكن على الأرض يئن أنين الموضع المقهور
عبد الحميد صدي

وكان جسمه الثقيل يتحرك يمنة ويسرة وإلى الوراء في خط الحصاد ، فكأنما كان ينتزع عيدان الشعير بفعل ساحر . وكان كلما انتهى من حصدة تناولتها امرأته فخرمتها . ولكن عند ما وقف بودكن في الساعة الخامسة ونظر إلى الوراء رأى جيل لا يزال يتقدم في اطراد منتظم مخيف . وأحس بودكن فجأة أن متاعب اليوم كله قد استولت عليه في هذه اللحظة أحس بأدى الأمر بعطش شديد ، فأرسل امرأته لتحضر له من جوار السور وعاء الشاي الاحتياطي ، فلما عادت به شرب في شره شديد . وكان كلما شرب ازداد شعوراً بالعطش . فصاح به أصدقاؤه من المشاهدين محذرين ، ولكنه جن بالعطش ، فلم يعد يمي شيئاً ، فاستمر يشرب ، وكان قد أصبح على بضعة خطوات من خط الفوز ، فنظر إليه ذاهلاً وهو يلوح بمنجله في الهواء ، ثم عاد

إحياء أثر أدبي نفيس

وفق الأساتذة خليل محمود عساكر ومحمد عبده غزرام ونظير الاسلام الهندي في الحصول على مخطوط قيم نادر بمكتبة الفاتح بالاستانة فاشتغلوا بتحقيقه وضبطه والتعليق عليه وعمل فهارس مستوفاة له ثم طبعوه على نفقة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) طبعة علمية متقنة في شكل أنيق مع مقدمة تحليلية ممتعة للأستاذ الجليل أحمد أمين . والكتاب في الدفاع عن شاعر من فحول الشعراء كثرت فيه الآراء واختلف النقاد في مذهبه وتقدير شعره . ومؤلفه أديب ممتاز ثقة فيما يرويه ذلك الكتاب هو : أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي وهو مطبوع على ورق جيد ويقع في ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه ١٨ قرشاً عدا أجرة البريد ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاغور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

ثمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :
١٨ شارع الإيعادية بمحرم بك بالإسكندرية

بالكنجى بجانب خيمة
أسرة مذكور العربية
الخالصة

ولم يكن الدهر
وقتش لآل مذكور
عبوساً ، فالسحب في
كل عام ممطرة ، والشعر
وفير ، والشاء والنياق
منتجة غزيرة ألبانها ،

والحياة رغدة مغدقة يزيد في هناها صفاء السماء في
الصيف وجفاف الجو في الشتاء
وكانت « منبئية » إحدى زوجات مذكور
الأربع على وشك الوضع حين شيدت أسرة بسكوالي
بجانب خيمتها أول منزل أقيم في تلك الجهة ؛ فلما
وضعت منبئية طفلها أوحى إليها امرأة بسكوالي أن
تدعوها « روز » فقبلت ، وكان الاسم أول طغيان
للمدنية الظالمة على قدسية ما بنته الطبيعة بيندها الظاهرة
وجاءت « روز » آية في الجمال تجمع كل مافي معنى
الوردة من حسن وبهاء ؛ فالوجه لطيف الملامح وسيم ،
والجسم متنسق الأعضاء غض ، والبشرة بيضاء نضيرة
وذابت الأيام بآثار الحرب المشؤومة إلا ما أوغلت
من مدنية في بقاع مريوط الشاسعة وتركت من تعاليم
الحضارة الفاسدة في نفوس سكانها

فالخيام الآن مضروبة في نقطة الكنجى حول
مساكن من الخرسانة المسلحة خططت أبداع تخطيط
تحفها الفرندات وتحيط بها الجدائق التي تروى بما
تنزحه أحدث المحركات الزيتية والهوائية من مياه الآبار
وكأن تلك الخيام وهي قائمة حول هذه
المساكن التي تموج بضوضاء السرعة الآلية ومرح
أهل الحضارة المتكاف المزوج بكثير من الرياء

روز

بقلم الأديب يوسف فهمي

كان اسمها روز . وعجيب أن تسمى روز ابنة البادية !
وأعجب من هذا أن أهلها كانوا يجهلون معنى
هذا الاسم وقت ميلادها . فهم أصدقاء الطبيعة
الساذجة يعرفون للزهور أسماءها وللأعشاب أنواعها ؛
ولم تكن إلى ذلك الوقت قد آذت حاسة سمعهم
تلك الكلمات الأعجمية التي يستعملها في عريتهم
غير الناطقين بالضاد . فكانوا يعرفون أن ملكة
الزهور هي الوردة ، وكانوا يجهلون تماماً أن كلمة
« روز » هي اسم هذه الزهرة العطرية عند الفرنجة
ولكن هي الحرب العالمية التي تغفل أثرها إلى
نفوس أهل الدعة والسكنية ، عشاق الجمال الخالص
من كل تصنع ، رفقاء الشمس في بكورها وأصيلها
وشفقها ، والقمر في هلاله وبدره

نعم هي الحرب الضروس التي قضت ظروفها
السيئة أن يطاء بنو التاميز أرض مريوط حاملين
إليها سموم مدنيتهم ومدنيات أتباعهم ، أولئك
النفر من مرتزقة الأمم الغربية الأخرى الذين كانوا
يلازمون الجيوش في تنقلاتهم ليغنموا من بيع
سلعهم أكبر الفائدة

وهكذا أراد القدر أن يعسكر البريطانيان بالعاصرية
وأن تتخذ أسرة بسكوالي الإيطالية المرتزقة مسكنها

فضلات الوليمة إلى منبئة فتتلقاها المسكينة فرحة وتحملها إلى أولادها وهي محمد الله أن من عليهم بقوت يومهم في سعة

وكثيراً ما كانت « روز » تحجم عن مشاركة إخوتها في تناول تلك الفضلات وكانت أمها تعرف سبب إحجامها - فسكوالى الشاب أكثر عطفاً عليها من أبيه على « منبئة » فهو لا يرضى أن يراها تأكل من فضلات طعامه ، وقد شاركته اللعب طفلاً وشاطرته المرح والابتهاج بمنظر الطبيعة مرافقاً ، وهي لا تألو جهداً في إرضائه وخدمته ، وقد صار شاباً ترهف من عواطفه الرعاية والزلفى فإذا ما جلس إلى المائدة ورأى في حديث المجتمعين حولها ما يشغلهم عنه ، اختلس اللحظة ونهض إلى حجرة الطبخ ليتحف رفيقة طفولته بنصيب من لذيذ الطعام فتأخذه شاكرة وتنتحي ناحية وراء المنزل لتلهمه بشغف بعيدة عن أعين الرقباء ولم يكن عطف بسكوالى الشاب قاصراً على إطعامها قدر استطاعته، بل كان يتعدى ذلك في بعض الأحيان فينقلب حنواً شديداً يتجلى في مظاهر التدليل التي كان يحيطها بها - فكم من مرة مسح على كتفها وهي في معزل تقوم بعملها المنزلي ، وقال لها في لطف جيم : « أنت جميلة يا روز ! وحرام أن يضيع هذا الجمال وسط الصحراء »

وكانت روز تصني إلى هذه الكلمات العذبة وهي مطأطئة الرأس فتحمر وجنتاها من خفر ، وتمتليء نفسها عجباً وزهواً - وكيف لا تفعم هذه النفس البريئة الصافية بالخيلاء وها هو ذا ربيب المدينة والجاه ، يردد على مسمعها عبارات الاطراء في لهجة تنم عن صدق وإيمان قويين . هو أدري بتقدير جمال النساء لأنه يرى من أنواعهن المختلفة في شتى الأزياء ما يجعله دقيق التقدير صادق الحكم . فهي إذن جميلة وجديرة بأن تكون من ربات تلك

والاستهتار تنكس هامتها ذلاً وخنوعاً بعد أن كانت في فضاء الله الحر عالية الرأس عزيزة الجانب ولقد شاء نحس الطالع أن تمن هذه الخيام في ذلها وأن يخضع ساكنوها لسلطان المدينة القاهر تحت ضغط الفاقة ، فالسحب نادرة المطر منذ خمس سنوات ، وما أشقى أهل البادية إذا شح القطر وحرمت حياضهم من ري الديم المحسنة

ولم ينبج مذكور على رغم سعة العيش التي كان يتمتع بها من مخالب البؤس . فلا شعير يكسدس حول خيامه ، ولا أعشاب تكسو التلال البعيدة فتشبع قطعانه . وتوالت عليه النكبات عامين متوالين فقتله الحزن وأودى تاركاً من وراءه نسوة لا عائل لهن ، وعدداً كبيراً من الدرية لا يجدون من القوت إلا الكفاف

وآل إلى منبئة وأولادها مما تبقى من مال زوجها شاة وناقاة وجل وما بخيمتها من متاع قليل ولم تشأ أسرة بسكوالى - وقد احتمت في جوار هذه الخيمة إذ كان العزيز يرفرف فوقها - أن تتخلى عن حمايتها في أيام محنتها فجعل ربها من منبئة حارسة لمصيفه وما حوله من أراض أورق شجرها وطاب ثمرها أثناء إقامته بالأسكتدرية ، وخادماً تقوم بنظافة المنزل وتعاون ربه في الطهي أثناء راحته بمربوط

وكانت روز تعاون أمها في كل هذه الأمور ، فإذا لجأت أسرة بسكوالى إلى مصيفها في يومى السبت والأحد من كل أسبوع كعادتها أخذت في تنظيف الحجر وإعداد الأسرة وغسل أدوات الطبخ وحمل الماء العذب من صهرج المحطة وإعداد المائدة في أوقات تناول الطعام

فإذا انتهى أفراد الأسرة وضيوفهم من تناول الطعام وأفرغوا من زجاجات الخمر المعتقة ما أفرغوا أمر بسكوالى وهو في نشوته ومرحه أن تعطي

وقوة ساعديه ما يعادل محاسن شبان الحضرة؟ أو لا ألقى منه عطفاً وحناناً يوازيان عطف بسكوالي وحنانه؟ أو ليس أبوه سيد عشيرة « أولاد علي » وعميدها المحترم؟ فماذا أبني من الدنيا أكثر من أن أكون له زوجة؟» وفي الواقع كل هذه الصفات وهذه المميزات تجتمع في حميده عبد الكريم؛ ففيه الجمال البدوي البهيج، وفي أسرته كرم المحتد والسيادة بين عشائر مريوط العربية.

فأبوه الحاج عبد الكريم تحتكم الأسر في الخصومة إلى سديد رأيه وعدله، ويلجأ الغريب إلى خيامه فيجد من كرم الضيافة ما يجعله يلهج بفضلته. — ورث عن آباءه جنتين يتعاون أبناؤه الثلاثة على ريهان من بئر رومانية فتؤتي كل منها محصولها وفيراً: تيناً وزيتوناً وعنباً. وكما حان وقت قطاف الثمار راح حميده وأخواه يبيعون جزءاً منها في قرى الكنجي والعامرية والهوارية، وتولى الحاج عبد الكريم بيع الباقي إلى تجار الفاكهة ممن تعودوا شراء غلاته. أما الغنم فيرسلها إلى مراعي البحيرة حتى إذا جاء عيد شم النسيم أو عيد الأضحى ساقها أحد أبناءه إلى الاسكندرية فيريح من ثمنها كثيراً.

وكانت أمنيته الملحة أن يرى قبل موته خيمة حميده — ابنه الأصغر — مضروبة الأطناب بجانب خيمتي أخويه يرفرف فوقها الهناء الزوجي بجناحيه. واستغل حميده هذه الرغبة في نفسه فتعجل الحوادث وجعل أخاه الأكبر يفاقم آباءه بما يكن قلبه لروز من الود الصادق، فوافق على هذا الاختيار، ولا سيما أن المرحوم مذكور كان من أخلص أصدقائه ومنذ ذلك الحين أخذ حميده يهيئ الظروف المناسبة لعقد الخطبة بقراءة الفاتحة في حفل من الشهود، فذهب إلى منبئية ورجاها الموافقة على الزواج من ابنتها فوافقت مغتبطة؛ وحدد لعقد الخطبة موعداً ضرب به فهرولت إلى صديقتها «ناجية»

للقصور التي كثيراً ما وصف لها بسكوالي الشاب داخلها وما تضم من أناث فاخر وزينة.

كان يصور لها تلك القصور تصويراً رائعاً خلافاً فإذا عجزت عن إدراك دقائق التعبير بالنسبة لأحد أجزائها اتخذ من حجر مصيفهم مثلاً مصغراً فيقول لها: «أرأيت قاعة الاستقبال وما بها من رياش؟ إنها لا تذكر بجانب قاعات الاستقبال في قصور الأغنياء وليس بين نساءهم من تضارعت حسنًا ونضارة! كل هذه التأثيرات من إطراء ووصف وإغراء كانت تتغلغل رويداً رويداً في نفسها المطمئنة فتجعلها فريسة الاضطراب، وتهيج في قرار عقلها الباطن عوامل الطموح إلى الجاه والرغبة في التمتع بمظاهر الحياة وحب الوصول إلى مكانة تتفق وما حبها الطبيعة من جمال؛ وتحت هذه التأثيرات أصبحت «روز» — وهي ابنة الصحراء القانعة من العيش بالكفاف، ومن المتاع بأقل من الضروري — ترى في قضاء مريوط سجنًا ضيقاً، وفي الخيمة التي أبصرت فيها الحياة مأوى حقيراً لا يليق بحسناء مثلها إلا أن هذا الغرور لم يكن قد استولى بعد على كل إرادتها الناشئة؛ فكانت كلما رجع بسكوالي الشاب إلى المدينة ثابت إلى حقيقة أمرها، وطردت الأوهام الباطلة من مخيلتها، فتعود إليها ابتسامتها الحلوة ومزحها الساذج، وتتاقى «حميده عبد الكريم» خطيبها المدله بيشاشة تزيل من نفسه الكآبة واليأس من حبها.

وفي بعض الأحيان كانت تذهب في النظر إلى الحياة نظرة فلسفية رصينة إلى أبعد من هذا الحد، فتأخذ في تأنيب نفسها على طموحها الأهوج ونفورها من حميده كلما أراد التقرب إليها، فتساءل في دهشة: «لم أحاول التخلص منه وهو شاب جميل الطلعة طيب القلب غني؟ أو ليس في سحر عينيه الواسعتين، وبشرته النحاسية اللطيفة، وقامته العالية

التي أخذت شناعتها تتجلى لها أثناء رحلتها بالسيارة ،
ولكن الأمر قد وقع ولم يعد ندمها ليغنيها قليلاً .
فقد تركت الصحراء وهي تعلم أن الرجوع إليها
مستحيل إذا الموت المؤكد دونه

ولم تأل العجز جهداً في تهدئة روعها ، فجعلت
تساعد بسكوالي في رطانتها المشوهة على تصوير
المستقبل أمامها باهراً . ولكن الصدمة كانت قوية
في نفسها فلم تع من عباراتهما إلا حديثاً مبهماً مملاً .
ولما كابده من إجهاد عقلي شاق ، وعناء جسمي
شديد ، رجتهما تركها وحيدة ؛ وما أن أغلقا عليها
باب الحجرة حتى ارتمت على سريرها وأجهشت في
البكاء ، ثم تغلب عليها النعاس فنامت ، وكان نومها
متقطعاً تتخلله الأحلام المزعجة

وفي الصباح الباكر حمل إليها بسكوالي ما ابتاعه
لها بالأمس من أحدث الملابس الإفريقية نمطاً .
فلبست منها ونظرت إلى نفسها في المرآة فعاودها غرورها
وطموحها وابتسمت ، وكانت ابتسامتها أولى علامات
الرضا بطورها الجديد في حياة المجون

نعم لقد بدأت « روز » منذ تلك الآونة تبني
نفسها إلى شيطان الهوى فجرها إلى وهدة البطارة
وهي صاغرة مستسلمة

فلم يمض زمن طويل حتى كانت لبسكوالي خيلة
تعاقره الخمر ، وتصاحبه إلى أماكن الفسق . وما
هي إلا أشهر بعد ذلك حتى نبذها خليلها فراحترقى
في أحضان كل فاجر

ودخل اليأس من الحياة قلبها فأدمنت على
تناول المخدرات ، وبذل الشقاء من نفسها فصارت
شرسة فظة ، ومحت الهموم وسموم الخمر أكثر
ملاحم الجبال من محياها ، فبدت آثار الدمامة عليها
واضحة ، ورضيت أن يدعوها طلابها بغير اسمها
فأصبحت تدعى « وزه العربية »
ولم يقف بها شقاؤها عند هذا الحد من التعاسة

وطلبت إليها أن ينوب زوجها آدم عن والد روز
في الاجتماع لئلا من الأفضلية بحق الجوار فقبلت
وقبل الزوج شاكراً

وفي عصر اليوم المحدد كانت خيمة منبئية
وما جاورها من الخيام في عيد ومرح ، فلبست النساء
زينتهن وبدت « روز » بينهن في أجمل ما لديها من
الملابس كالوردة الغضة وسط الروض الزاهر ، والتحف
الرجال بمشاملهم الحريرية والصوفية وحملوا بندقياتهم
وساروا في موكب يحفه الوقار نحو خيام « أولاد
علي » يتقدمهم آدم

وكان الحاج عبد الكريم وشيوخ أسرته
وأخصاؤه ينتظرونهم عند منتصف الطريق ، فلما
اقتربوا منهم أفرغوا بندقياتهم في الهواء لتحيتهم
فردوا عليهم التحية بمثلها ، واجتمع الفريقان وكان
سلام وكان كلام إلى أن دخلوا الخيمة

ولما استراحوا قليلاً وضعت أمامهم أطباق الثريد
فأصابوا منها ما اشتوها ، ثم دارت عليهم كؤوس
الشاي فشربوا حتى قلبها الجميع علامة على الاكتفاء .
وعندها تربع الحاج عبد الكريم بعد اتكائه ففعل
الكل مثله ورفع بالكفين فرفعوا ، وقرئت الفاتحة
وقع كل ذلك في غيبة بسكوالي الشاب ، فلما علم
به ثارت ثأرته وصمم على الالتجاء إلى كل سبل
الإغراء لمنع هذا الزواج . فاستعمل للوصول إلى
غايته كل ما أوتي من ذكاء ودهاء ، وأخيراً أفلح في
تنفيذ ما عزم عليه

فما هي إلا أيام قلائل بعد حفلة الخطبة حتى
كانت فكرة الفرار قد اختمرت في رأس روز ، وفي
ذات ليلة ابتعدت عن خيمتها ولم تعد إليها

اختطفها بسكوالي في سيارته وعهد بها إلى
عجوز أفريقية تؤجر حبراً مفروشة في حي وجيه
من أحياء الاسكندرية . فدخلت الحجرة التي أعدت
لها وهي ورجلة مرتمدة الفرائص نادمة على فعلها

الكآبة على نفسه؟ وربما قدر له أن يراها أثناء تجواله
وماذا يكون موقفها منه تأثير هذا الموقف
الرهيب على شعوره؟ إنه لحزين مبطل الوجدان يتمنى
لو تبعده الظروف عن لقائها في قرارة نفسه أن
يرaha ويمتتع النظر ولو برهة قصيرة بهيج محياها

وانقضت أيام ثلاثة وهو فريسة لهذه الخواطر
المتناقضة تتنازعه رغبتان ملحتان: الفرار من الوقوف
أمامها، والبحث عنها. إلى أن كان اليوم الأول من العيد

فبينما هو يجمع العدد القليل الباقي من الغنم في
ناحية من ميدان المحطة لمح امرأة تجلس على مقعد
قريب من مقاعد الحديقة وتأتي بحركات غير عادية
فتطوح برأسها وتلوح بذراعيها في الهواء، ثم تخلع
قبعها البالية عن رأسها وتعيدها بعنف وهي تكيل
الشتائم لأناس مجهولين في لهجة بدوية

وتبين حميدة في وضع النهار وجه هذه
المعتوهة البائسة في ثيابها الأفرنجية الممزقة فاذا به
أمام فانتته المفقودة، فعقدت الدهشة لسانه هنيهة
ثم صاح متوجعاً:

— روز! إلى هذا الحد أوصلك الشقاء؟

فرفعت روز عينيها الشاردتين وبقرست في
وجهه طويلاً ثم طفقت تقهقه قائلة:

— روز! روز! لا تدعوني بهذا الاسم البغيض
فأنا «وزة العربية»

ثم انقطع ضحكها فجأة ومدت يدها بحركة آلية
وقبضت على جرابه الجلدي المزركش بخيوط الفضة
وطلبت منه في تضرع قائلة! — اسعفني بنشقة!
— نشقة ماذا؟ — نشقة كوكاين...

فلم يقو حميدة على تحمل المصائب أكثر من ذلك
فجری كالمجنون نحو غنمه وهش عليها بغصاه في غضب
وترك الميدان هارباً يوسف فرهمي

عضو جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية

بل بلغ بها القمة فأوصلها إلى السجن مرات لتلاقي
بين جدرانها أفظع ما يمكن أن تتجمله المرأة من بؤس
ومضت الايام وذهب الهم بذكائها وطمست
السموم البيضاء حافظتها وتصورها، فأصبحت بلهاء
تقطع الشوارع في ذهول طول النهار، فاذا ما أسدل
الليل حجابها قادهما أحد السوق لتقاسمه طعامه الحقير
وليهرق في مقابل ذلك بمض ما أبت أيام الشؤم
في وجهها من ماء الحياء

واقرب عيد الأضحى فأمر الحاج عبد الكريم
ابنه حميدة أن يذهب إلى الاسكندرية ليبيع غنمه
مع أخيه الأكبر، فدخلها وهو متقبض الصدر
برغم شوقه القوي إلى رؤيتها، فهو وإن كان قد وجد
في زوجه المخلصة بعض العزاء عن حبه الضائع، وفي
صادق ودها بعض السلوة لقلبه المكوم، إلا أن
شبح «روز» لا يزال يعاوده فيعكر عليه صفو
عيشه الآونة بعد الأخرى — وهو وإن كان
يحتقر هذه المرأة الفاسدة الخلق التي لم ترع لحبه
الطاهر ذمة ولا لشرف أسرته حرمة،
لا يزال يهواها، ولا يزال قلبه يخفق عند ذكر
اسمها. فكم من ليلة مقمرة هام فيها على وجهه
يقطع المسافات الشاسعة مبتعداً عن مضارب الخيام
ليخلو لنفسه وليستعيد الذكريات الماضية والأحلام
الليذنة التي كانت تملأ نفسه بحلو الأمنى فيتمثل
حبية قلبه وكأنها ما برحت تسير إلى جانبه تبادل
الغرام وتردد على مسامعه في لهجة التوكيد عبارات
الفرح بمشاركتة الحياة، ثم يشوب إلى رشده فيلعنها
ويقفل راجعاً إلى خيمته كئيب النفس كاسف البال
وها هو ذا الآن يجوب المدينة التي تضم أرجاؤها
هذه المخلوقة التي يمتزج حبها في قلبه بعاطفتي البغض
والازدراء — فكيف إذن لا ينقبض صدره وتستولي

النوبي — آلهة بلادى يحبون الدم ويكفون به ،
ونحن تقدم إليهم قرايين من الفتيان والعذارى
مرتين في كل عام : مائة عذراء ، ونصف هذا العدد
من الشبان في كل مرة . ولكن يظهر أننا لا تقدم
إليهم من الدم ما يطفىء غلثهم لأنهم برغم ما نفعل
يشتدون في قسوتهم علينا إلى حد بعيد

الكابا دوسى — بلادى خالية من الآلهة في
الوقت الحاضر ، لأن الرومان قد طردوهم منها .
ومن الناس من يقول إنهم لجأوا إلى الجبال ، ولكنى
لا أعتقد ذلك . لقد قضيت ثلاث ليال في الجبال
أبحث عنهم بحثاً دقيقاً ولكنى لم أجدهم ، ثم ناديتهم
بأسمائهم فلم أسمع جواباً على ندائى . والرأى عندى
أنهم قضوا نحبهم جميعاً

الجندي الأول — اليهود يعبدون إلهاً لا تراه
العيون

الكابا دوسى — لا أستطيع أن أفهم ذلك
الجندي الأول — خلاصة القول أنهم لا يؤمنون
إلا بما لا يرى

الكابا دوسى — فى إيمانهم سخف كبير
صوت يوحنا — سيأتى من بعدى آخر أكثر
قدرة منى . إني لست جديراً حتى بأن أحل سيور
نعاله حين يأتى . ستخضر الأرض الجرداء وتردهر ،
وترى عيون العمى ضوء النهار ، وتسمع آذان الصم
مختلف الأصوات ... سيضع الوليد الجديد يده على
بيوت التنين ويقود السباع من أعناقها

الجندي الثانى — مره بالسكوت . إنه يقول
دائماً هراء

الجندي الأول — ولكنه رجل طيب القلب ،
نقى السريرة ، وذيع الخلق ؛ كل يوم أعطيه يأكل
وهو يقدم إلى الشكر دائماً

غلام هيرودية — إنك تطيل النظر إليها وتلثمها
بعينيك ! لا يجوز أن تحديق الناس بهذه الطريقة
المنكرة ... قد تقع بنا ملة !

السورى الشاب — إنها فاتنة فى هذا المساء
رائعة

الجندي الأول — الأمير مكتئب
الجندي الثانى — نعم يبدو عليه الاكتئاب
الجندي الأول — إنه ينظر إلى شىء
الجندي الثانى — إنه ينظر إلى شخص
الجندي الأول — إلى من ؟
الجندي الثانى — لا أدري

السورى الشاب — ما أشد اصفرار الأميرة !
لم أرها قط ممتعة اللون إلى هذا الحد ! كأنها
انعكاس وردة بيضاء إلى مرآة من الفضة !

غلام هيرودية — كف عن النظر إليها . إنك
تحديق فيها كثيراً !

الجندي الأول — ملأت هيرودية كأس الأمير
الكابا دوسى — أهي الملكة هيرودية تلك التى
تلبس قلنسوة سوداء مرصعة باللازلىء ، وقد نشرت
على شعرها مسحوقاً أزرق ؟

الجندي الأول — نعم ، إنها هيرودية زوج الأمير
الجندي الثانى — الأمير مولع بالتنيد ، ولديه
منه أنواع ثلاثة ! الأول من جزيرة ساموتراس ،
أرجوانى اللون كعباءة قيصر

الكابا دوسى — لم أر قط قيصر
الجندي الثانى — والثانى من مدينة قبرص ،
أصفر اللون كالذهب

الكابا دوسى — أحب الذهب كثيراً
الجندي الثانى — والثالث من صقلية أحمر
اللون كالدم

الجندي الثاني — كلا . لقد مكث في هذا
الصهرج شقيق الأمير الأكبر وزوج الملكة هيرودية
اثنى عشرة سنة سجيناً ولم يمت ، فاضطر الأمير في
النهاية إلى خنقه

الكابا دوسي — خنقه ؟ ! من ذا الذي جرؤ
على هذا العمل ؟

الجندي الثاني — (مشيراً إلى الجلاد وهو عبد ضخم)
هذا الرجل ، نعمان

الكابا دوسي — ألم يشعر بالخوف ؟
الجندي الثاني — كلا ، لأن الأمير أرسل
إليه الخاتم

الكابا دوسي — أي خاتم ؟
الجندي الثاني — خاتم الموت ، ومن أجل هذا
لم يشعر بخوف

الكابا دوسي — ومع ذلك فإن من الفظاعة
خنق ملك

الجندي الأول — لماذا ؟ ليس للملوك إلا عتق
واحدة كغيرهم من الناس

الكابا دوسي — يخيل إلي أن ذلك عمل يشع
رهيب

السوري الشاب — نهضت الأميرة وغادرت
المائدة وعلى وجهها سمة الضجر . آه ! إنها تسير إلى
هذه الناحية . نعم إنها مقبلة علينا . ما أشد اصفرارها !
لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد !

غلام هيرودية — لا تنظر إليها ، أرجو ألا
تحقق فيها

السوري الشاب — إنها كاليمامة التي ضلت ...
إنها كزهرة نرجس يتلاعب بها الهواء ... ما أشبهها
بزهرة من فضة !

الكابا دوسي — من عسى أن يكون ؟

الجندي الأول — إنه نبي

الكابا دوسي — ما اسمه ؟

الجندي الأول — يوحنا المعمدان

الكابا دوسي — من أين جاء ؟

الجندي الأول — من الصحراء ... غذاؤه

فيها الجراد والعسل البري . وكان يستر جسده بوبر
الابل ويحمل في وسطه نحرزماً من الجلد ؛ وكانت
هيئته رهيبة موحشة ، ولكن عدداً كبيراً من
الناس كان يتبعه ... كان له فضلاً عن ذلك أتباع
وتلاميذ

الكابا دوسي — عن أي شيء يتكلم ؟

الجندي الأول — لم نعرف قط . وفي بعض

الأحيان ينطق بكلام مزعج مخيف ، ولكن من
المستحيل إدراكه

الكابا دوسي — هل من الجائز رؤيته ؟

الجندي الأول — كلا . هذا أمر لا يبيحه الأمير

السوري الشاب — أخفت الأميرة وجهها

خلف مروحتها . يداها الصغيرتان البيضاءوان

تتحركان كيمايتين تطيران نحو عشمها ... إنهما

كفراشتين ناصعتي البياض .. ما أشبههما بفراشتين

بيضاوين !

غلام هيرودية — مالك ولهذا ؟ ! لماذا تنظر

إليها ؟ ينبغي أن تقلع عن النظر إليها ... قد تجمع

بنا ملعة !

الكابا دوسي — (مشيراً إلى الصهرج) أي سجن

عجيب !

الجندي الثاني — أنه صهرج عتيق

الكابا دوسي — صهرج عتيق ؟ ! إنه ردي

وبيل ، مافي ذلك شك

(تدخل سالوما)

سالوما — لن أبقى . لا أستطيع البقاء . لماذا ينظر إلى الأمير دائماً بعيني أرعن فاجر تحت هديين مضطربين ؟ غريب أن ينظر إليّ زوج أمي بهذه العين ! لا أدري ماذا تعني نظره هذه ... في الواقع نعم . أعرف معناها ومرماها .

السوري الشاب — أتركت الوليمة أيتها الأميرة؟
سالوما — الهواء هنا منعش ما أجمله ! آه ! هنا أتففس بعد ضيق ! في الردهة يهود من أورشليم يقتتلون جدالاً في شأن طقوسهم السخيفة ، وبرابرة يشربون بلا انقطاع ويلقون بالنبيذ على أرض الردهة ، ويونانيون من أهل أزمير قدموها عيونهم وزينوا خدودهم بالأصباغ وجعدوا شعورهم وجعلوها جدائل متفرقة ، ومصريون يستطيعون الصمت والزانة السامية ، على أصابعهم وشم وعلى أجسامهم عباءات سمراء ، ورومانيون تصحبهم خشونتهم وجود نسيمهم وكلماتهم الجافة الغليظة ! آه لشد ما أكره الرومان ! إنهم من حشالة الناس ويتخذون لأنفسهم هيئة العطاء !

السوري الشاب — أتردين الجلوس أيتها الأميرة ؟

غلام هيرودية — لماذا تخاطبها ؟ لماذا تمحقق فيها بعينيك ؟ أوه ! سيقع خطب لا محالة

سالوما — ما أجل أن يرى الإنسان القمر ! إنه يشبه الدرهم الأخاذ . كأنني به زهرة صغيرة من الفضة ... القمر بارد تقى الإزار ... أعتقد تمام الاعتقاد أنه كالفتاة العذراء ، له جمالها وطهرها . نعم إنه عذراء لم تدنس نفسها ولم تستسلم قط للرجال كالربات الأخريات

صوت يوحنا — لقد أتى السيد ! أتى « ابن الإنسان » فاختبأ القنطورس (أي الستور نصفه آدمي ونصفه الآخر حيواني) في الأنهار ، وغادرتها بنات الماء ورقدت تحت الشجر في الغابات
سالوما — من هذا الذي نطق صارخاً بهذه الكلمات ؟

الجندى الثاني — إنه النبي أيتها الأميرة
سالوما — آه ! النبي ... أهو الذي يخافه الأمير؟
الجندى الثاني — هذا أمر لا نعرفه ... إنه النبي يوحنا

السوري الشاب — أتردين أن أطلب لك هودجك أيتها الأميرة ؟ الجو جميل في الحديقة
سالوما — إنه يقول عن أمي أشياء فظيعة ، أليس كذلك ؟

الجندى الثاني — إننا لانفهم ما يقول يامولاتي
سالوما — إنه يرميها بأشنع الأقوال
عبد — الأمير يامولاتي يطلب منك راجياً أن تعودى إلى الوليمة

سالوما — لن أجيب هذا الرجاء
السوري الشاب — عفواً أيتها الأميرة ...
قد يقع خطب إذا أصررت على رفض العودة
سالوما — هل النبي شيخ كبير ؟

السوري الشاب — أيتها الأميرة ، يحسن أن تعودى ... أسألك الإذن في أن أصحبك إلى هناك
سالوما — النبي ... هل هو شيخ كبير ؟
الجندى الأول — كلا . إنه في زهرة العمر وميعة الصبا

الجندى الثاني — هذا أمر مجهول . يقول بعض الناس إنه إلياس النبي

عن ذلك فأننا لسنا نحن الذين ينبغي أن توجهي إليهم طلبك

سالوما — (تنظر إلى السورى الشاب) آه —
غلام هيرودية — أوه! أى شئ سيحدث؟
إني مستيقن بأن مصيبة ستحدث

سالوما — (تدنو من السورى الشاب) ستفعل ذلك من أجلى، أليس كذلك؟ ستفعله فى سبيلى .
أنسيت أنى أحسن معاملتك فى كل حين؟ إذن ستفعل ما أطلب إرضاء لى . أريد فقط أن أراه ، هذا النبى العجيب . لقد كثر الكلام عنه ، وسمعت الأمير يتحدث فى شأنه جملة مرات ، وأظن أنه يخافه ويخشاه ... أوقن بأن الأمير يخشاه . هل تخافه أنت أيضاً؟

السورى الشاب — كلا أيتها الأميرة . إني لا أخاف أحداً . ولكن الأمير يحرم تحريماً قاطعاً رفع غطاء هذا الصهريج .

سالوما — ستفعل ما أريد ، وغدا حين أجتاز بهودجى باب بائى الأصنام ، سأدع زهرة صغيرة تسقط من يدي على الأرض ، زهرة صغيرة خضراء يانعة ، هي لك

السورى الشاب — أيتها الأميرة ، لا أستطيع ، لا أستطيع

سالوما — (باسمة) ستفعل ذلك فى سبيلى . أنت مستيقن بأنك فاعل ذلك من أجلى ، وغدا حين أسير بهودجى على جسر مشترى الأصنام سأهدى إليك نظرة خلال الستائر الرقيقة . وقد أبتسم لك أيها الشاب . أنظر إلى ... آه ! أنت مستيقن بأنك فاعل ما أطلب . تعرف ذلك جيداً ، أليس كذلك؟ ... أما أنا فاني أعرف جيداً

سالوما — ومن هو إلياس؟

الجندي الثانى — نبى قديم من أنبياء هذه البلاد عبد — أى جواب أحمله إلى الأمير يامولانى؟ صوت يوحنا — ضربت عليك الدلة يا أرض فلسطين ، فلن تتمنى أبداً لأن عصا الذى ضربك قد كسرت وتحطمت . سيخرج من سلالة الثعبان صل ، وما يولد منه سيلتهم الطير

سالوما — ما أغرب هذا الصوت ! إن شوقاً ملحاً يدفعنى إلى مخاطبته

الجندي الأول — أخشى أن يكون هذا مستجيلاً أيتها الأميرة . الأمير لا يريد أن يكلمه أحد ، متى إنه حظر على الكاهن الأكبر التحدث إليه سالوما — أريد أن أكلمه

الجندي الأول — مستحيل أيتها الأميرة سالوما — أريد ذلك

السورى الشاب — يجمل بك أيتها الأميرة أن تعودى إلى الوليمة

سالوما — أخرج النبى الجندي الأول — لا تجرؤ

سالوما — (تدنو من الصهريج وتنظر إلى داخله) سجن ما أظلمه ! إنه لفظيع ، كما أعتقد ، أن يقيم الانسان فى ثقب جاكك الظلمة مثل هذا ... إنه كالقبر ... (إلى الجندي) ألم يصل إلى سمعكم ما قلت؟ أخرجوه ، أريد أن أراه

الجندي الثانى — أسألك ضارعا أيتها الأميرة ألا تطلي إلينا ذلك

سالوما — إنكم تبطلون فى إنفاذ أمرى الجندي الأول — أيتها الأميرة ، حياتنا ملك لك ، ولكننا لا نستطيع إنفاذ ما تطلين ... وفضلاً

السورى الشاب — (يشير إلى جندى ثالث)
أخرج النبي ... الأميرة سالوما تريد أن تراه
سالوما — آه !

غلام هيرودية — أوه ! ما أغرب شكل القمر !
كأنه يد مينة تحاول أن تغطي نفسها بكفن !
السورى الشاب — عليه سمة الغرابة . كأنى به
أميرة صغيرة ، لها عينان من عنبر ... إنه يتسم
خلال السحب الرقيقة كأمية صغيرة

(يخرج النبي من الصهريج . تنظر إليه سالوما وتراجع)
يوحنا — أين ذلك الذى امتلأت كأمة بكباير
الآثم حتى فهقت ؟ أين ذلك الذى سيموت ذات
يوم أمام الشعب فى ثوب فضى ؟ قولوا له أن يأتى
حتى يستطيع أن يسمع صوت الذى صرخ فى
الصحارى وفى قصور الملوك

سالوما — من يعنى بقوله ؟

السورى الشاب — لا يستطيع إنسان أن
يعرف أيتها الأميرة

يوحنا — أين تلك التى رأت على الجدران
صور كلدانيين ملونة فاستقادت لشهوة عينها ،
وأرسلت إلى بلادهم الرسل والسفراء ؟

سالوما — إنه فى شأن أُمى

السورى الشاب — كلا

سالوما — بلى ، انه عن أُمى يتكلم

يوحنا — أين تلك التى استسلمت لرؤساء الجند
الأشوريين الذين فى أوساطهم حمائل للسيوف بهيجة
وفوق رؤوسهم تيجان ذات ألوان متباينة ؟ أين تلك
التي استسلمت لشبان من المصريين أقوياء الأجسام
يلبسون ثياباً من كتان محلاة بالزمرد ويحملون
دروعاً من ذهب وخوداً من فضة ؟ قولوا لها أن

تنهض من فراش فجورها ، فراش وطء المحرمات
حتى تستطيع أن تسمع صوت الذى يهيب طريق
السيد ، وحتى تندم على خطاياها وتكفر عن جرائمها
إنها لن تكفر أبداً ، وستظل غارقة فى الآثم
والفواحش ، ولكن قولوا لها برغم ذلك أن تأتى
لأن السيد يحمل فى يده ميزانه .

سالوما — هذا فظيع ... فظيع .

السورى الشاب — أتوسل إليك أن تغادري
هذا المكان .

سالوما — العينان على الأخص مخوفتان ،
ما أظفعهما ! كأنهما ثقبان أسودان تركتهما
مشاعل على دياحة بيضاء إنهما كالكهوف السوداء
التي تسكنها الأفاعي ، كهوف مصر السوداء التي
تجد منها الأفاعي ملجأ وملذاً ، ما أشبههما بيحيرات
سوداء ، قد بعثت فيها الاضطراب أقمار عجيبة
مستبهمة ! أتظن أنه سيتكلم بعد ذلك ؟

السورى الشاب — غادري هذا المكان أيتها
الأميرة ، رجائي إليك أن تعدلي عن البقاء هنا
سالوما — ما أشد هزاله ! إنه كتمثال نحيل
من العاج ... كأنى به خيال من الفضة . أعتقد أنه
فى طهره كالقمر . ما أشبهه بشعاع من الفضة ؟ لابد
أن يكون جسده شديد البرودة كالعاج ... أريد
أن أراه من كثب .

السورى الشاب — أيتها الأميرة ! أيتها الأميرة
يوحنا — من هذه المرأة التى تنظر إلى ؟ لا أريد
أن توجه إلى بصرها ... لماذا تحديق فى بعينها
الذهبيتين بين جفونها الموجهة بلون الذهب ؟ إني
لا أعرف من هى ، ولا أريد أن أعرف ، قولوا لها
أن تذهب ، فليست هى التى أريد أن أكلها .

سالوما — إني سالوما بنت هيرودية ، أميرة يهودية .

يوحنا — إلى الورا يا بنت بابل ! لا تقتربي ممن اختاره السيد . لقد ملأت أمك أرض الكروم بالآثام ، وبلغت صرخة خطاياها آذان السماء

سالوما — تكلم يا يوحنا ، فان صوتك أثملى السورى الشاب — مولاتى ! مولاتى ! مولاتى سالوما — تكلم ... تكلم يا يوحنا وحدثنى عما ينبى أن أفعل .

يوحنا — لا تقتربي منى يا بنت سدوم ولكن ضعى على وجهك حجاباً وعلى رأسك تراباً ثم اذهبي إلى الصحراء وابحثي فيها عن « ابن الانسان » (أى المسيح عليه السلام)

سالوما — من عساه يكون ابن الانسان ؟ أهو جميل مثلك يا يوحنا ؟

يوحنا — إلى الورا ! إلى الورا ! إني أسمع فى القصر ملاك الموت يضرب بجناحيه الهواء السورى الشاب — أيتها الأميرة ، أتوسل إليك أن تعودى إلى الوليمة

يوحنا — يا ملاك الله ماذا تفعل هنا بسلاحك الرهيب ؟ عمن تبحث فى هذا القصر الملوث ؟ ... لم تحن بعد ساعة ذلك الذى سيموت فى ثياب فضية سالوما — يوحنا !

يوحنا — من المتكلم ؟

سالوما — يوحنا ! إني لمشفوفة بجسمك ! جسمك أبيض كزنبقة المرج لم يقربها بشر . إنه أبيض كالثلوج التى تستطيب الرقاد فوق الجبال ، كالثلوج التى تهبط على جبال يهودية ثم تسقط فى الأودية على مهل ناصعة ... الورود فى حديقة ملك

العرب ليست فى مثل بياض جسمك ... لا الورود فى حديقة ملك العرب ولا أقدام الفجر التى ترقص على أوراق الشجر ، ولا صدر القمر حين يرقد على سطح البحر ... لا شيء فى العالم يماثل جسمك فى بياضه ... دعنى ألسه

يوحنا — إلى الورا يا بنت بابل ! إن الشر لم يدخل العالم إلا بواسطة المرأة . لا تكلمينى . لا أريد أن أسمع إلى قولك ... إني لا أنصت إلا لأقوال السيد سالوما — جسمك بشع . إنه كجسم المريض

بالجذام . إنه كجدار من الجص صرت به الصلال والأفاعي ... كجدار من الجص اتخذت منه العقارب أبحاراً . إنه كقبر أبيض الجدران زاهر بأشياء عفنة كريهة ... جسمك بغيض ما أبشعه ! شعرك هو الذى يستهوينى يا يوحنا ... شعرك كعناقيد من عنب ، كعناقيد من عنب أسود فيها جمال وفيها سحر مستبد ... إنه كأشجار الأرز اللبنانية الكبيرة التى تبسط ظلها على السباع والصوص الذين يريدون الاختباء أثناء النهار ... الليالى الطويلة السوداء المحرومة من القمر ، ليست فى سواد شعرك ... السكون المقيم فى الغابات لا يماثل فى سواده شعرك ... ليس فى العالم شيء فى مثل سواد شعرك ... دعنى ألسه ...

يوحنا — إلى الورا يا بنت سالوم ! لا تلمسينى ! لا يجوز أن يدنس معبد السيد

سالوما — شعرك بشع . إنه مغطى بالوحل والتراب ، كأنه إكليل من الشوك وضع على جبينك كأنه ذنب حية سوداء يهتز حول عنقك . إني لأحب شعرك ... ثغرك هو الذى يستهوينى ويملك على حصى يا يوحنا . ثغرك كشریط قرمى على برج

صغيرة من العطر وأقراطاً من الفضة ، والآلآن أراه
أمامي قتيلًا ! آه ! ألم يتنبأ بوقوع مصيبة ؟ ! ولقد
توقعت حدوثها أيضًا ! عرفت أن القمر كان يبحث
عن ميت ، ولكني لم أدرك أنه كان يبحث عن
السوري الشاب . آه ! لماذا لم أخفه عن القمر ؟ لو
أخفيته في كهف لعجز القمر عن أن يراه !

الجندي الأول — أيتها الأميرة ، لقد قتل
رئيس الحرس الشاب نفسه منذ لحظة

سالوما — دعني أقبل ثغرك يا يوحنا
يوحنا — ألم تشعرى بالخوف يا بنت هيرودية ؟
ألم أقل إنى سمعت فى القصر ملاك الموت يضرب
بجناحيه الهواء ؟ ألم يأت الملك كما قلت ؟

سالوما — دعني أقبل ثغرك
يوحنا — يا بنت الزنا والفجور ، ليس فى
الوجود إلا رجل واحد يستطيع إتقاذك ، وهو
الذي حدثتك عنه . إذهبي وجدي فى البحث عنه .
إنه فى بحر الجليل على ظهر فلك يتحدث إلى
تلاميذه . إركمى على ساحل البحر وارفعي صوتك
منادية باسمه . وحين يلبي نداءك ، كما يفعل مع جميع
الذين ينادونه ، اسجدي عند قدميه واضرعى إليه
أن يغفر لك خطاياك

سالوما — دعني أقبل ثغرك
يوحنا — عليك اللعنة يا بنت أم تستحل
المحرمات ... عليك اللعنة !

سالوما — سأقبل ثغرك يا يوحنا
يوحنا — لا أريد أن أراك . لن أنظر إليك .
إنك ملعونة ، ملعونة يا سالوما !
(يعود إلى الصهريج)

سالوما — لأقبلن ثغرك يا يوحنا ... لأقبلنه

ومن العاج . إنه كحبة رمان شقت بسكين من العاج .
الجلنار الذى ينبت يانعا فى حدائق « تير » الغناء
أشد حمرة من الورود ولكنه لا يبلغ فى لونه ثغرك .
الصرخات الحمراء ، صرخات الطبول التى تعلن قدوم
الملوك وتبعث الرعب فى قلوب الأعداء ، أقل حمرة
من ثغرك . إنه أشد حمرة من أقدام الذين يهرسون
النبيذ فى المعاصر . إنه أكثر حمرة من أرجل الليمام
الذى يسكن المعابد وتغذيه القسوس . إنه أكثر حمرة
من أقدام الإنسان العائد من غابة موحشة بعد أن
قتل فيها أسداً ورأى غموراً فى لون الذهب . ثغرك
كفصن من المرجان يجده الصيادون فى غبش البحر
ويحفظونه هدية للملوك ! انه كقوس ملك الفرس ،
عليه نقوش قرمزية وله قرنان من المرجان فى
طرفيه ... لاشئ فى الدنيا يبلغ فى حمرة ثغرك ...
دعني أقبله

يوحنا — كلا يا بنت بابل ! يا بنت سدوم ! لن
يحصل ذلك أبداً !

سالوما — سأقبل ثغرك يا يوحنا ... سأقبله
السوري الشاب — أيتها الأميرة ، ياطاقة من
الزهر ، يا يمامة الليمام ، لا تنظري إلى هذا الرجل !
لا تقولى له مثل هذه الأشياء ! يؤلمنى سماعها جد
الألم ! أيتها الأميرة ، أيتها الأميرة ، لا تنطقي بمثل
هذه الأشياء

سالوما — سأقبل ثغرك يا يوحنا
السوري الشاب — آه !
(يقتل نفسه ويسقط على الأرض بين سالوما ويوحنا)

غلام هيرودية — قتل السوري الشاب نفسه !
قضى على نفسه رئيس الحرس الشاب ! سفع دمه
الرجل الذى كان لى صديقاً ! لقد أهديت إليه علبة

كامرأة لعبت برأسها الخمر؟ انه يشبه امرأة محتاجة
الجس مضطربة الأعصاب، أليس كذلك؟
هيرودية - كلا. القمر يشبه القمر، هذا
كل شيء... فلندخل... ليس لديك من عمل هنا
هيرودس - سابق. يا غلام، ضع بعضاً من
الطنافس هنا، وأشعل المشاعل ثم أحضر الموائد
العاجية والفضية. الهواء هنا عذب جميل،
وسأشرب نبيذاً مرة أخرى مع ضيوفى لأن سفراء
قيصر يستحقون كل حفاوة وإجلال
هيرودية - ليس من أجلهم تريد البقاء في
هذا المكان

هيرودس - نعم الهواء عذب جميل. تعالي
يا هيرودية، فإني ضيوفنا في انتظارنا... آه!
انزلت قدماي! انزلت على الدم! هذا نذير شر!
نذير شر مستطير! لماذا أجد هنا دماً؟ وهذه الجثة؟
لمن هي؟ أتظنون أني كملك مصر الذي لا يقيم ولية
من غير أن يعرض جثة على ضيوفه؟ تكلموا، من
عساه يكون صاحب هذه الجثة؟ لا أريد أن أراها
الجندى الأول - إنه رئيسنا يا مولاي الشاب
السوري الذي رفعته إلى هذه المكانة منذ ثلاثة
أيام فقط.

هيرودس - لم يصدر عني أي أمر بقتله.
الجندى الثاني - قتل نفسه يا مولاي
هيرودس - لماذا؟ قد جعلته رئيساً!
الجندى الثاني - لا ندرى يا مولاي. ولكنه
سفك دمه بيده.

هيرودس - هذا عمل يبدو غريباً. كنت
أظن أن حكماء الرومان فقط هم الذين يقتلون أنفسهم
بأيديهم، أليس كذلك يا تيجالان أن الحكماء في
روما يقتلون أنفسهم؟

(٥)

الجندى الأول - ينبغي نقل الجثة إلى مكان
آخر. الأمير لا يجب أن يرى الجثث... لا يجب
أن يرى إلا جثث الذين يقتلهم بيده
غلام هيرودية - كان لي أخاً وأعز على من
أخ. لقد أعطيته علبة صغيرة تشتمل على أنواع من
العطر، وخاتماً من عقيق كان يحمله دائماً في
أصبعه... كنا نستريح في الماء على شاطئ
النهر بين أشجار اللوز، وكان يحدثني كثيراً عن
بلاده في صوت منخفض كمعاده في كل حين. آه!
رنين صوته كان يشبه صوت الناي، وكان شديد
الكاف أيضاً باطالة النظر إلى صورته في صفحة
النهر، وكثيراً ما أخذت عليه هذا الكاف

الجندى الثاني - أنت محق. ينبغي إخفاء
الجثة حتى لا يراها الأمير

الجندى الأول - لن يأتي الأمير... لن
يخرج إلى الشرف... في نفسه من النبي خوف
شديد

(يدخل هيرودس وهيرودية وجميع أفراد البطانة)

هيرودس - أين سالوما؟ أين الأميرة؟ لماذا
لم تعد إلى الولية كما طلبت منها؟ آه! ها هي ذى!
هيرودية - ينبغي ألا تنظر إليها. إنك تحرق
فيها دائماً!

هيرودس - ما أغرب شكل القمر هذا
المساء! ألا ترين أنه غريب إلى حد بعيد؟ لكأنه
امرأة مضطربة الأعصاب تبحث عن عشاق في كل
مكان! إنه غار أيضاً لا يستره شيء. السحب تحاول
أن تلتقي عليه من نفسها رداء، ولكنه يرفض ويبأى
وهو يهتز خلال السحب كامرأة أخذتها نشوة الخمر...
أعتقد أنه يبحث عن عشاق... ألا ترين أنه يهتز

تيجالان - بعضهم يفعل ذلك ، وهم الرواقيون
إنهم قوم فيهم غلظة وخشونة ، إلى شذوذ وسخف
كبير ... إني لأجدهم ذوى سخف شديد .
هيرودس - وأنا أيضاً ، من السخف أن يقتل
الإنسان نفسه .

تيجالان - الناس في روما يسخرون منهم
ويضحكون ، وقد وضع الإمبراطور في شأنهم شعراً
لاذع التهم يرويه الناس في كل مكان .

هيرودس - آه ! وضع في شأنهم شعراً لاذع
التهم ؟ قيصر رجل عظيم يستدر غاية الإعجاب .
إنه قادر على كل شيء ... غريب أن يقتل السورى
الشاب نفسه . ما أشد أسفى ! نعم ، آسف لموته جد
الأسف ، لأنه كان جميلاً ... كان بديع التكوين
رائع القسمات . وكان له عينان ناعستان كسيران
وأذكر أنى رأيته يتنظر إلى سالوما بطرف ناعس كسير ،
حقاً إني أجد أنه أطال إليها النظر .

هيرودية - من الناس غيره من يطيلون إليها
النظر .

هيرودس - كان أبوه ملكاً فطردته من بلاده
وكانت أمه ملكة فجعلت منها يا هيرودية جارية ذليلة
وكذلك كان بيننا كضيف . ومن أجل هذا جعلته
رئيساً للحرس . آسف لموته جد الأسف ... ولكن
لماذا تركتم الجثة في هذا المكان ؟ ينبغى نقلها إلى
جهة أخرى . لا أريد أن أراها ... احملوها ...
(تحمل الجثة) الجو بارد هنا ، والرياح شديدة . ألا
ترين أن المكان كثير الرياح ؟

هيرودية - كلا ليس في المكان رياح .
هيرودس - بلى ، الحق ما أقول ... أسمع في
الجو صوتاً كصفق أجنحة ، كصفق أجنحة هائلة
ألا تسمعين ؟

هيرودية - لا أسمع شيئاً .
هيرودس - لم أعد أسمع ، ولكنى سمعته .
كان صوت الهواء من غير شك . لقد سكت ...
ولكن لا ... إني أسمع مرة أخرى ... ألا تسمعين ؟
إنه حقاً صوت أجنحة تضرب الهواء

هيرودية - أقول لك لا حقيقة لما تتوهم .
أنت مريض . فلندخل
هيرودس - لست مريضاً . ابنتك هي
المریضة ... عليها سمة المرض . لم أرها قط مصفرة
إلى هذا الحد

هيرودية - قلت لك لا تنظر إليها
هيرودس - صبروا النبيذ (يحضر الخدم النبيذ)
سالوما ، تعالى واشربى معى قليلاً من النبيذ . عندي
نبيذ عذب لذيد الطعم ، أرسله إلى قيصر نفسه .
اغمسى في الكأس شفتيك الصغيرتين القرمزيتين
ثم دعينى أفرغها في جوفى حتى التمثلة

سالوما - ليس بى ظماً أيها الأمير
هيرودس - أسمع كيف ترد على ابنتك ؟
هيرودية - أجد أنها على حق . لماذا تنظر
إليها دائماً ؟

هيرودس - أحضروا ألوان الفاكهة
(يحضر الخدم الفاكهة) تعالى كلي معى فاكهة ، من أحب
الأشياء إلى نفسى أن أرى في الفاكهة أثر أسنانك
الصغيرة . أقضى جزءاً صغيراً من هذه الفاكهة ،
وما يتبقى منها سألتهمه التهاماً

سالوما - لا أشعر بالجوع أيها الأمير
هيرودس - (إلى هيرودية) أنظري كيف ربيت
ابنتك !

هيرودية - ابنتى وأنا من سلالة ملكية . أما

أنت فإن جدك كان يرعى الإبل ! وكان فضلاً عن ذلك لصاً كما تعلم !

هيروودس — تكذابين !

هيروودية — تعرف جيداً أني قلت الحقيقة

هيروودس — سالوما ، تعالى واجلسي على مقربة

مني . سأعطيك عرش أمك

سالوما — لست متعبة أيها الأمير

هيروودية — إنك ترى جيداً رأيها فيك

هيروودس — أحضروا ... ماذا أريد ؟ لأدرى

آه ، آه ، أذكر ...

صوت يوحنا — حان الوقت ! يقول السيد

لقد وقع ما تنبأت به . ها هوذا اليوم الذي تكلمت عنه

هيروودية — أسكتوه . لا أريد أن أسمع صوته .

هذا الرجل يقذفني دائماً بالسباب

هيروودس — لم يقل شيئاً ضدك . إنه نبي عظيم

هيروودية — لا أؤمن بالأنبياء . هل يستطيع

إنسان أن يعلم الغيب ؟ هذا أمر لا يعلمه أحد . إنه

يكيل الشتائم لي في كل حين ، ولكني أعتقد أنك

تخافه ... أعرف جيداً أنه يبعث في نفسك الخوف

هيروودس — إني لا أخافه ولا أخاف أحداً

في الحياة

هيروودية — بلى إنك تخافه . وإذا كنت

لا تخافه فلماذا لا نسلمه لليهود الذي مضى عليهم ستة

أشهر وهم يلحون في طلبه منك ؟

يهودي — في الحق يامولاي ، يحسن أن

تسلمه إلينا

هيروودس — كف عن الكلام في هذا الموضوع

فقد أعطيتك جوابي قبل الآن ، وهو لا يتغير ،

لا أريد أن أسلمه إليكم . إنه رجل رأى الله

يهودي — هذا أمر مستحيل لا يثبت عليه

العقل من بعد إلياس النبي ، لم ير الله أحد . إنه آخر

إنسان رأى الله . في وقتنا هذا لا يظهر الله نفسه ،

إنه يستخفي ، ومن أجل ذلك تتوالى على البلاد

المصائب والملمات

يهودي آخر — في الواقع لا يدري أحد أراى

النبي إلياس الله حقاً أم لا ؟ . إنه على الأرجح رأى

ظل الله فقط

يهودي ثالث — الله لا يستخفي مطلقاً . إنه

يظهر نفسه دائماً في كل شيء . الله في الشر وفي

الخير على السواء

يهودي رابع — ينبغي ألا تقول ذلك . هذه

فكرة شديدة الخطر ، فكرة جاءت من مدارس

الإسكندرية حيث تعلم الفلسفة الإغريقية ...

والاغريق قوم ذوو رقة ، حتى إنهم يعرضون عن

الختان وينفرون منه

يهودي خامس — الإنسان عاجز عن أن يعرف

كيف يعمل الله ويدبر لأن أساليبه شديدة الغموض

قد يكون ما نسميه شراً هو الخير ، وما نسميه خيراً

هو الشر . لا يستطيع الإنسان أن يعرف شيئاً ؛

ومن الضروري الذي لا مفر منه أن نخضع لكل

شيء . الله قوى إلى أبعد حد ، وهو يحطم الضعفاء

والأقوياء في وقت واحد . إنه لا يهتم لأحد مطلقاً

اليهودي الأول — هذه حقيقة لا ريب فيها .

الله جبار . إنه يسحق الضعفاء والأقوياء كما يسحق

القمح بين شقي الرعي ، ولكن هذا الرجل لم ير الله ؛

لم يره أحد من بعد إلياس النبي

هيروودية — أطاب إليهم أن يكفوا عن الحديث ؛

إنهم يغمزون على الملل

هيرودس - ليس عن قيصر ؟
 الناصري - كلا أيها الأمير
 هيرودس - عمن تكلم إذن ؟
 الناصري - عن المسيح الذي ظهر
 يهودي - لم يظهر المسيح
 الناصري - جاء المسيح، وهو يأتي بالمعجزات
 في كل مكان

هيرودية - أوه ! أوه ! المعجزات ! إني لا
 أومن بالمعجزات . لقد رأيت منها أكثر مما ينبغي !
 (إلى غلامها) مروحتى يا غلام
 الناصري - هذا الرجل يأتي بالمعجزات
 الحقيقية ، فهو مثلاً قد أحال الماء إلى نبيذ في عرس
 أقيم بمدينة صغيرة من مدن الجليل . وقد حمل إلى
 هذا الخبر قوم رأوا بأعينهم ما حدث في ذلك العرس
 ثم رأى أيضاً مريضين بالجذام جالسين أمام باب
 « كفر ناحوم » فلمسهما بيده فزال عنهما المرض
 ناصري آخر - كلا ، الشخصان اللذان
 شفاهما في كفر ناحوم لم يكونا مريضين بالجذام ،
 ولكنهما كانا ضريرين

الناصري الأول - أخطأت الصواب . كانا
 مجذومين ، وقد رد البصر أيضاً على كثير من العمى ،
 ورؤى على جبل يتحدث إلى ملائكة
 صدوق - ليس للملائكة وجود
 فريسي - الملائكة كائنة ، ولكن لا أعتقد
 أن هذا الرجل يتحدث إليها
 الناصري الأول - رآه كثير من السابلة
 يتحدث إلى ملائكة

صدوق - ليس إلى ملائكة
 هيرودية - ما أشد ضيق هؤلاء الناس ! إنهم

هيرودس - ولكنني سمعت بعض الناس
 يقولون إن يوحنا نفسه هو نبيكم إلياس
 يهودي - هذا لا يمكن أن يكون . لقد مضى
 على إلياس النبي أكثر من ثلثمائة سنة
 هيرودس - بعض الناس يقولون إنه إلياس
 النبي ...

ناصري - (نسبة إلى الناصرة) أعتقد أنه
 إلياس النبي
 يهودي - كلا

صوت يوحنا - جاء اليوم ، يوم السيد ، وإني
 لأسمع فوق الجبال وقع قدمي من سيكون منقذ العالم
 هيرودس - ما معنى هذا ؟ منقذ العالم ؟
 تيجالان - هذا لقب يتخذه قيصر لنفسه
 هيرودس - ولكن قيصر لن يأتي إلى يهودية .
 تسلمت بالأمس رسائل من روما ، وليس فيها ما يدل
 على عزم قيصر . وأنت يا تيجالان لقد كنت في
 روما ومكثت بها الشتاء كله ، ألم تسمع شيئاً عن
 هذا الأمر ؟

تيجالان - حقاً لم أسمع شيئاً أيها الأمير . إني
 أفسر اللقب فقط ، إنه أحد ألقاب قيصر

هيرودس - إنه لا يستطيع الجنى . قيصر
 مصاب بداء النقرس ، ويقال إن له ساق فيل نتيجة
 المرض ، فكيف يقوى على السفر ؟ يضاف إلى هذا
 السبب أسباب أخرى مآنها أعباء الدولة وسياستها
 والمعروف أن من يغادر روما ويتغيب عنها يفقدها .
 لن يأتي قيصر ولكنه صاحب الأمر على كل حال ،
 سيأتي إذا شاء ، ولكن يغلب على ظني أنه لن يأتي
 الناصري - ليس عن قيصر تكلم النبي ، أيها
 الأمير

إني قادم من أورشليم ، ولم يسمع عنه حديث منذ شهرين .

هيرودس — الخلاصة أن هذا الجدال ليس بذى شأن . ولكن ينبغى العثور على هذا الرجل وإخباره من قبل أنى أحزم عليه إحياء الموتى . إحالة الماء إلى نبيذ وشفاء المجنومين والعمى ، هذه أمور يستطيع أن يقوم بها إذا شاء . وفى الحق أن شفاء المجنومين عمل كله خير ، ولكن لا أسمح له أن يحيى الموتى ... فظيع أن تعود الموتى إلى الحياة !

صوت يوحنا — المستهرة الملوثة ! آه ! البغى آه ! بنت بابل ذات العينين الذهبيتين والجفون الموهبة بلون الذهب ! هذا ما يقول السيد . أثيروا عليها عدداً كبيراً من الناس . فليرجعها الشعب بالأحجار هيرودية — أسكتوه !

صوت يوحنا — فليطعنوا رؤساء الجند بسيفهم وليسحقوها تحت النعال .

هيرودية — هذه بداءة لا تحتمل !
صوت يوحنا — كذلك سأحمو من الأرض الجرائم ، وستتعلم النساء جميعاً ألا تحاكي آثام هذه المرأة .

هيرودية — أسمع أنت إلى ما يقذفنى به ؟ وهل تتركه يسب زوجك ؟

هيرودس — ولكنه لم ينطق باسمك .
هيرودية — وما قيمة ذلك ؟ إنك تعرف جيداً أن سبابه موجه إلى ، وأنا زوجك أليس كذلك ؟
هيرودس — أنت زوجى يا هيرودية العزيزة ، وقد بدأت سلسلة حياتك بأن كنت زوج أختى هيرودية — أنت الذى أقتلعتنى من بين ذراعيه اقتلاعاً .

أغبياء كالبهائم ! لا فرق بينهم وبين الأنعام ! (إلى غلامها) أين مروحى ؟ (يعطيها الغلام المروحة) أنت ذاهل تحلم ، وهذا لا يجوز . الحالمون مرضى يا غلام (تضربه بالمروحة فى رفق)

الناصرى الآخر — وهناك أيضاً معجزة فتاة يروس

الناصرى الأول — نعم هذه حقيقة لا يمكن إنكارها

هيرودية — الجند يستبد بهؤلاء الناس ! لقد أطالوا النظر إلى القمر . قل لهم أن يكفوا عن الثثرة هيرودس — وما هى معجزة فتاة يروس ؟

الناصرى الأول — كانت ميتة فأحيها هيرودس — هل يحيى الموتى ؟

الناصرى الأول — نعم أيها الأمير ، إنه يحيى الموتى .

هيرودس — لا أريد أن يفعل ذلك . أحرم عليه هذا العمل . لا أيسح لأحد أن يحيى الموتى . ينبغى البحث عن هذا الرجل وإخباره أنى لا أسمح له أن يحيى الموتى . أين هو الآن ؟

الناصرى الآخر — إنه فى كل مكان أيها الأمير ولكن من العسير العثور عليه .

الناصرى الأول — يقال إنه الآن فى السامرة يهودى — من الجلي أنه ليس بالمسيح إذا كان فى السامرة ، لا يمكن أن يأتى المسيح للسامريين لأن عليهم اللعنة ، إنهم لا يهدون إلى المعبد القرايين الناصرى الآخر — غادر السامرة منذ أيام ، واعتقادی الشخصى أنه الآن فى ربض من أرباض أورشليم .

الناصرى الأول — كلا . إنه ليس حيث تقول

هيرودس - ربما يكون ثملاً بخمر الله
 هيرودية - ما نوع خمر الله هذا ؟ من أى
 كرم استخرجت ؟ فى أى معصرة توجد ؟
 هيرودس - (نظره عالى بسالوما لا يفارقها)
 تيجالان ، حينما كنت فى روما أخيراً ألم يتحدث
 إليك الامبراطور فى شأن ... ؟
 تيجالان - فى أى شأن أيها الأمير ؟
 هيرودس - فى أى شأن ؟ آه ! لقد وجهت
 إليك سؤالاً ... أليس كذلك ؟ نسيت ما كنت
 أريد معرفته

هيرودية - ما تزال تنظر إلى ابنتى . لا يجوز
 أن تنظر إليها . سبق أن قلت لك ذلك
 هيرودس - إنك لا تقولين شيئاً آخر
 هيرودية - وأكرر ما أقول
 هيرودس - وإصلاح العبد الذى كثر الحديث
 عنه ؟ هل فى النية إنقاذ شيء ؟ يقال إن برقع المحراب
 قد فقد ، أليس كذلك ؟
 هيرودية - أنت الذى أخذه . مالى أراك ذاهلاً
 مضطرباً فى سبيل الحديث ؟! ألا أريد البقاء هنا ...
 هلم ندخل

هيرودس - سالوما أرقصى أمام عيني إرضاء لى
 هيرودية - لا أريد أن ترقص ابنتى
 سالوما - لا أشعر بأقل ميل إلى الرقص أيها
 الأمير

هيرودس - سالوما يا بنت هيرودية ، أرقصى
 إرضاء لى

هيرودية - دعها ولا تكدر هدوءها
 هيرودس - آمرك أن ترقصى يا سالوما
 سالوما - لن أرقص أيها الأمير

هيرودس - فى الحق أنى كنت الأقوى ...
 ولكن دعينا من هذا الموضوع ، لا أريد أن أطرقة
 ومن أجله نطق النبي بكلمات هائلة ، وقد تحدث
 من أجله مصيبة . فلنتجنب الحديث فى هذا الشأن
 ياهيرودية النبيلة ، لقد نسينا ضيوفنا ، صبي لى النبيذ
 يا أغر الناس على . املئى الأقداح الكبيرة الفضية
 والزاجية بالنبيذ . سأشرب نخب قيصر وصحته .
 هنا فئة من الرومان ، وينبغى أن نشرب نخب صحة
 قيصر .

الجميع - قيصر ! قيصر !
 هيرودس - إنك لا تلاحظين مبلغ اصفرار ابنتك
 هيرودية - وماذا يهمك ؟
 هيرودس - لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد
 هيرودية - ينبغى ألا تنظر إليها
 صوت يوحنا - فى ذلك اليوم ، ستصبح
 الشمس سوداء ككيس من شعر فاحم ، والقمر
 أحمر كالدم ، وستسقط نجوم السماء على الأرض كما
 يسقط التين الأخضر من الشجرة ، ويملك الرعب
 قلوب الملوك

هيرودية - آه ! آه ! ما أشد شوقى إلى رؤية
 ذلك اليوم الذى يتحدث عنه ، حين يصبح القمر
 كالدم وتسقط النجوم على الأرض كالتين الأخضر !
 هذا النبي يتكلم كرجل ثمل ... ولكنى لا أستطيع
 احتمال صوته . إني أكره صوته وأمقته . مره
 بالسكوت

هيرودس - كلا . إني لم أفهم ما قال ، ولكن
 ربما يكون قوله كاشفاً عن الغيب

هيرودية - لا أؤمن بهذا الهراء الذى يسمونه
 كشافاً عن الغيب . إنه يتكلم كرجل لعبت بعقله الخمر

هيرودية — عاقر ! وتقول هذا ، أنت الذي لا يكف عن النظر إلى ابنتي ، أنت الذي أراد أن ترقص ابنتي ابتغاء سروره ولذته ؟ ! من السخف أن تقول هذا . لي عقب تراه أمام عينيك ، أما أنت فلم تعقب قط ، حتى ولا من أجدي جواربك ، أنت المصاب بالعمى ولست أنا

هيروودس — أسكتي . أقول إنك عاقر . لم تلدي لي ولداً ، ويقول النبي إن زواجنا ليس زواجا صحيحاً . يقول إنه زواج محرم ، زواج سينتج الوليات والمصائب ... أخشى أن يكون على حق فيما يقول . أعتقد أنه على حق . ولكن ليس هذا وقت الكلام في مثل هذه الأشياء . أريد أن أكون سعيداً في هذه اللحظة . وفي الواقع أني سعيد ، سعيد إلى أبعد حدود السعادة . لا شيء يعوزني

هيرودية — يسرني أن أراك صافي المزاج في هذا المساء . ليس من طبعك هذا المزاج الجميل . ولكن الليل قد أمعن في سبيله ، فهلم ندخل . أنسيت أننا سنخرج جميعاً إلى الصيد عند شروق الشمس ؟ ! ينبغي الاحتفاء بسفراء قيصر جهنم المستطاع ، أليس كذلك ؟

الجندى الثاني — بما أشداً ككتاب الأمير !

الجندى الأول — نعم إنه مكتتب .

هيروودس — سالوما ، سالوما ، أرقصي أمام عيني . أضرع إليك أن ترقصي . إني حزين هذا المساء . نعم حزين جداً هذا المساء . لما وطلت هذا المكان انزلت قدمي في الدم ، وهذا نذير شر . وسمعت ، وأنا واثق بأنني سمعت في الجو صفق أجنحة هائلة ، لا أدري ما معنى ما سمعت ... إني حزين هذا المساء ، ومن أجل ذلك أريد أن ترقصي أمام عيني

هيرودية — (ضاحكة) أرايت كيف تطيعك ؟ !
هيروودس — وماذا يهمني إن رقصت أو رفضت ؟ هذا أمر لا قيمة له عندي . إني سعيد في هذا المساء .. سعيد إلى حد كبير ... لم أكن قط سعيداً إلى مثل هذه الدرجة

الجندى الأول — يبدو الا ككتاب على الأمير ألا ترى أنه غير مبتهج ؟

الجندى الثاني — عليه أمارات الهم والا ككتاب
هيروودس — ولماذا لا أكون سعيداً ؟ قيصر ، وهو سيد العالم ، سيد كل شيء ، يحبني كثيراً . وقد أرسل إلي في الأيام الأخيرة هدايا عظيمة القيمة ووعدني فضلاً عن ذلك بأن يدعو إلى روما ملك كابادوس عدوي الألد . ربما يصلبه في روما . قيصر يستطيع أن يفعل كل ما يريد . إنه سيد العالم بلا جدال . من هذا ترون أن لي الحق في أن أكون سعيداً . لا شيء في العالم يستطيع أن يكدر سروري أو يفسد علي ابتهاجي

صوت يوحنا — سيكون جالساً على عرشه في ثياب أرجوانية وقرمزية ، وسيحمل في يده إناء من ذهب مملوءاً بضروب تجديفه . سيضربه ملاك السيد ، وسيكون للديدان طعاماً

هيرودية — أسمعت لما يقول عنك ؟ يقول إنك ستكون طعاماً للديدان

هيروودس — لم يتكلم عني . إنه لا ينطق بشيء ضدي ألبته . إنه يعني بقوله ملك كابادوس عدوي ، وهو الذي سيكون طعاماً للديدان ، ولست أنا أمير يهودية . لم يقل النبي شيئاً ضدي قط ، سوى أنني أخطأت بالزواج من امرأة أخي . ربما يكون على حق . والحقيقة التي لا تقبل الشك أنك عاقر

على النقيض من ذلك شديد الحرارة . أختنق من
شدة الحر . صبي على يدي ماء . أعطني ثلجاً آكله ،
حلي عباءتي . أسرع ، أسرع ، حلي عباءتي ...
كلا ، دعيتها كما هي . إنه تاجي الذي يؤلني ، تاج
الورد هذا . لكان هذه الورد قد خلقت من نار .
إنها أحرقت جيني (ينزع التاج من رأسه ويلقيه
على المائدة) آه ! الآن أتنفس . ما أشد حمرة هذه
الورد ! كأنها نقط من الدم على غطاء المائدة
الأبيض . ليس هذا شيئاً مذكوراً . ينبغي ألا يرى
الإنسان رموزاً في كل شيء يقع عليه بصره حتى
لاتكون الحياة مستحيلة الاحتمال . الأفضل أن
يقال إن تقط الدم جميلة كالورد . أفضل كثيراً أن
يقال ذلك . ولكن دعونا من هذا الموضوع ...
الآن ، إني سعيد إلى أقصى حد . لي الحق في أن
أكون سعيداً أليس كذلك ؟ سترقص ابنتك
إرضاء لي . سترقصين لي يا سالوما ، أفي ذلك شك ؟
لقد وعدت بأن ترقصي لي

هيرودية — لا أريد أن ترقص

سالوما — سأرقص لك أيها الأمير

هيرودس — أسمعني إلى قول ابنتك ؟

سترقص لي . أنت على صواب يا سالوما في إجابة
طلبي والرقص أمام عيني . وفي نهاية الرقص
لاتنسى أن تسأليني كل ماتصبو إليه نفسك . كل
ما ترغبن فيه ، سأعطيك إياه ، ولو كان نصف
ملك . لقد أقسمت ، أليس كذلك ؟

سالوما — أقسمت إلى أيها الأمير

هيرودس — ولم أخلف قط وعدي . لست من

هؤلاء الذين ينقضون كلمهم ويخلون بعهودهم . لا
أعرف كيف أكذب . إني عبد كلمتي ، وهي كلمة

أرقصي إرضاء لي . سالوما ، أضرع إليك . إذا
رقصت لي ، فإن في استطاعتك أن تسأليني كل
ما ترغب فيه نفسك ، وسأعطيك كل ما تطلبين ،
ولو كان نصف ملكي

سالوما — (تنهض) ستعطيني كل ما أطلب
أيها الأمير ؟

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي

هيرودس — كل شيء ، ولو طلبت نصف ملكي

سالوما — أقسم أيها الأمير ؟

هيرودس — أقسم يا سالوما

هيرودية — يا ابنتي لا ترقصي

سالوما — بأي شيء تقسم أيها الأمير ؟

هيرودس — بحياتي وتاجي وآلهتي ، سأعطيك

كل ما تطلبين ولو كان نصف ملكي ، إذا رقصت لي

أوه ! سالوما ! سالوما ! أسعديني بالرقص أمام عيني

سالوما — لقد أقسمت أيها الأمير

هيرودس — أقسمت يا سالوما

سالوما — كل ما أطلب ولو كان نصف ملكك ؟

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي

هيرودس — ولو كان نصف ملكي . ستكونين

ملكة رائعة الجمال خلافة المنظر إذا سرك أن تطلي

نصف ملكي . ألا ترين يا هيرودية أنها تكون رائعة

الجمال إذا غدت ملكة ؟ آه ! الجو بارد هنا ! الجو

شديد البرودة ، وأسمع ... لماذا أسمع في الجو صفق

أجنحة ؟ أوه ! يخيل إلي أن طائراً هائلاً أسود

اللون يحلق فوق الشرف ! لماذا لا أستطيع رؤية

هذا الطائر ؟ صفق جناحيه رهيب مخيف ، والهواء

الذي يأتي من جناحيه رهيب مرعب . إنه هواء

بارد ... ولكن لا ... ليس الجو بارداً ، بل هو

كان على حق للمرة الأولى في حياته . ملوك الأرض يستولون عليهم الرعب ... يحسن أن ندخل . أنت مريض ، وسيقال لأهل روما إنك مجنون ... هلم ندخل

صوت يوحنا — من هذا المنحدر من عيساف ابن إسحق القادم من بصرى (بلد بالشام كانت تحت حكم الرومان) في ثوبه الأرجواني ، المشرق الطلعة في جميل ثيابه ؟ من هذا الذي يعيش في قوة هائلة أخاذه ؟ لماذا ثيابك ذات ألوان قرمزية ؟

هيرودية — هلم ندخل . صوت هذا الرجل يهيج أعصابي ويبعث الضيق في صدري . لا أريد أن ترقص ابنتي وهو يصرخ على هذه الصورة ، لا أريد أن ترقص ابنتي وأنت تنظر إليها هكذا
هيروديس — لا تهضي يا زوجي ، يا مليكتي ، فلن يكون لإصرارك أية ثمرة . لن أبرح مكاني حتى ترقص ابنتك . أرقصي يا سالوما ، أسعديني بالرقص كما وعدت

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي

سالوما — إليك الرقص أيها الأمير

(ترقص سالوما رقصة البراقع السبعة)

هيروديس — آه ! رقص نفيم رائع ! إنك ترين أن ابنتك قد رقصت لي . اقتربي يا سالوما ! اقتربي حتى أستطيع أن أعطيك أجر ما فعلت . إني كريم مع الراقصات إلى حد كبير . وسأعطيكم من الأجر ما يرضيكم . سأعطيكم كل ما تطلبين . ماذا تريدن ؟ تكلمي

سالوما — (راحة) أريد أن يقدم إلي الآن

في طست من الفضة ...

هيروديس — (ضاحكا) في طست من الفضة ؟

(٦)

ملك . ملك كبادوس يكذب دائما ، ولكنه ليس ملكا حقا . إنه جبان ضعيف الخلق ، ودليلي على ما أقول أن لي عنده مالا لا يريد أن يرى منه ذمته ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل أمعن في الصفاقة وأهان سفرائي ونطق بأقوال جارحة مريرة . ولكن قيصر سيصلبه في روما حين يذهب إليها الجبان . إني واثق بأنه سيصلبه ... إيه ! سالوما ، أفي انتظار شيء أنت ؟

سالوما — أنتظر جوارى يحضرن إلي الطبيب والبراقع السبعة ، ويخلعن نعلي (الجوارى يحضرن الطبيب والبراقع السبعة ويخلعن نعلي سالوما)

هيروديس — آه ! سترقصين عارية القدمين ؟ هذا حسن ، جميل . ستكون قدمك كيامتين ناصعتي البياض . إنهما أشبه شيء بزهرتين صغيرتين ناصعتي البياض ترقصان على غصن شجرة ... آه ! لا ... سترقص على الدم ! على الأرض دم . لا أريد أن ترقص في الدم . إنها لو فعلت لكان ذلك نذير شر وشؤم

هيرودية — وماذا يهمك من رقصها على الدم ؟ لقد سرت أنت فيه ولوثت به نعليك

هيروديس — وماذا علي من ذلك ؟ آه ! أنظري إلى القمر ! لقد صار أحمر كالدم ، آه ! النبي تنبأ بذلك . قال إن القمر سيصير أحمر كالدم ، أليس كذلك ؟ لقد سمعتم إلى قوله جميعا . صار القمر أحمر كالدم ، ألا ترونه ؟

هيرودية — أراه جيدا ، والنجوم تسقط كالتيين الأخضر ، أليس كذلك ؟ والشمس ستغدو سوداء ككيس من شعر فاحم ، وملوك الأرض يستولون عليهم الرعب . هذا ظاهر واضح على الأقل . النبي

هيرودس — أسكتي إني لا أوجه إليك الحديث
هيرودية — ابنتي على حق في طلب رأس هذا
الرجل . إنه قذفي بالسباب ورماني بأبشع الأقوال
لا تنزلي عن طلبك يا ابنتي . لقد أقسم أمام
الحاضرين جميعاً

هيرودس — أسكتي . كفى عن مخاطبتي ...
أصني إلي ياسالوما ، ينبغي أن يتغلب العقل على الهوى
أليس كذلك ؟ أفرعي إلى العقل فذلك أجدي عليك .
إني لم أقس عليك قط ولم يبد مني إساءة تأخذنيها
علي . لقد أحبيتك في كل حين ... وربما ذهبت في
حبك إلى حد الغلو والاغراق ، ومن أجل هذا
أرجو أن تعدلي عما طلبت . إن ماتطلين بشع مخيف .
وفي الحق أني لا أعتقد أنك جادة في طلبك . رأس
إنسان مقطوع ، هذا شيء دميم ، أليس كذلك ؟
هذا شيء لا يجوز أن تزاه عذراء . أي سرور يبعثه
في نفسك هذا المنظر الفظيع ؟ إنه لا يبعث في
النفس غير التقزز والاكتئاب . كلا ، كلا ، إنك
لا تريد ذلك ... أصني إلي لحظة . عندي زمردة ،
زمردة كبيرة مستديرة أرسلها إلى أقرب المقربين
إلي قيصر . إذا نظرت خلال هذه الزمردة استطعت
أن تشاهدي أشياء تقع على مسافة هائلة . قيصر
نفسه يحمل زمردة تماثلها تماماً حين يذهب إلى
الفرق (أي السرك) ولكن زمردتي أكبر .
أعرف جيداً أنها أكبر . إنها أكبر زمردة في
العالم . إنك تريدنيها أليس كذلك ؟ أعطيك إياها
فاطلبها مني .

سالوما — أطلب رأس يوحنا

نعم في طست من الفضة دون شك . إنها فاتنة خلافة
أليس كذلك ؟ ما الذي تريد أن يقدم إليك في
طست من الفضة يا عزيزتي الجميلة سالوما ، يا أجل
فتيات يهودية ؟ تكلمي . مهما يكن الشيء الذي
تطلبين ، فاني أعطيك إياه . كنوزي بين يديك وهي
ملك لك . ماذا تطلبين يا سالوما ؟

سالوما — (تنتصب على قدميها) رأس يوحنا
هيرودية — آه ! قول صائب يا ابنتي
هيرودس — لا . لا .

هيرودية — أحسن ما يقال يا ابنتي
هيرودس — كلا ، كلا ياسالوما . إنك لا تطلبين
ذلك . لا تستمعي إلى قول أمك . إنها تقدم إليك
داعماً الرأي المروج والنصح السيء . لا تعيري قولها
التفاتاً .

سالوما — إني لا أتبع نصيح أي ، ولكني
أطلب رأس يوحنا في طست من الفضة تحقيقاً لمسرة
نفسي . لقد أقسمت يا هيرودس . لا تنس أنك
أقسمت

هيرودس — أعرف ذلك . أقسمت بآلهتي .
أعرف ذلك جيداً ، ولكني أضرع إليك يا سالوما
أن تطلبي مني شيئاً آخر غير الذي طلبت . اطلبي
مني نصف ملكي أمتحك إياه . ولكن لا تسأليني
ما طلبت

سالوما — أسألك رأس يوحنا
هيرودس — كلا ، كلا ، لا أريد
سالوما — لقد أقسمت أيها الأمير
هيرودية — نعم أقسمت أمام الحاضرين جميعاً
وبلغ القسم مسامعهم

هيرودس — أنت لاهية عني لا تسمعين لقولي
أوه ! دعيني أتكلم يا سالوما
سالوما — رأس يوحنا

هيرودس — كلا ، كلا ، إنك لا تريد ذلك .
تقصدين بطلبك هذا إلى إيلامي ليس غير ، لأنني
أطلت إليك النظر هذا المساء . إيه ! نعم نظرت إليك
المساء كله ... جمالك بعث في الاضطراب ... جمالك
غمز علي الاضطراب الشديد ، وقد حدثت فيك
أكثر مما ينبغي ، ولكنني لن أعود إلى مثل هذا
العمل . ينبغي ألا ينتظر الانسان إلى الأشياء ولا إلى
الأشخاص ... لا يجوز النظر إلا في المرايا لأنها
لا تظهر لنا إلا أقتعة ... أوه ! على بنيذ ! الظلم
يستبد بي ... سالوما ، سالوما ، فلنكن صديقين ...
تفهمي قولي ... ماذا كنت أريد أن أقول ؟ في أي
شأن كنا ؟ آه ! أذكر الآن ! ... سالوما ، كلا ،
اقتربي أكثر من ذلك . أخشى ألا يصل صوتي إلى
سمعك ... سالوما ، تعرفين طواويس البيضاء الجميلة
التي تخرج في الحديقة بين الآس البري وأشجار السرو
الكبيرة ، مناقيرها ذهبية والحب الذي تأكله ذهبي
أيضا ، وأرجلها في لون الأرجوان . إذا صرخت
هطلت الأمطار ، وإذا تبخرت وعقدت ذيلها على
شكل مروحة بزغ القمر ؛ وهي تسير اثنين اثنين
بين أشجار السرو والآس البري الأسود ، ولكل
طائر منها عبد يقوم بشأنه . وفي بعض الأحيان
تطير خلال الشجر ، وفي أحيان أخرى ترقد على
العشب وخول البحيرة . ليس في العالم طير لها مثل
سحرها ، ليس في العالم ملك يملك طيراً عجيباً مثل
هذه . أعتقد أن قيصر نفسه لا يملك طيراً رائعة

الجمال مثل هذه . سأعطيك خمسين طاووساً منها ،
فكيف ترين ؟ ستبعتك أينما سرت ، وستكونين بينها
كالقمر وسط سحابة كبيرة بيضاء ... سأعطيك
كل ما أملك منها . ليس عندي إلا مائة ، وليس في
العالم ملك يملك طواويس مثل التي عندي ، ولكنني
سأعطيك إياها جميعاً . وينبغي في مقابل هذا أن
تحليني من كلتي وتعدي عما طلبت
(يفرغ كأس النبيذ في جوفه)

سالوما — أعطني رأس يوحنا
هيرودية — أحسنت القول يا ابنتي ! أما أنت
فإنك شديد السخف بطواويسك

هيرودس — أسكتي ، إنك تصرخين دائماً .
تصرخين كحيوان مفترس . لا يجوز أن تصرخي
هكذا . صوتك يبعث في نفسي الملل . ربما يكون
هذا الرجل مرسلًا من قبل الله . أعتقد أنه مرسل
من قبل الله . إنه لرجل طاهر مقدس . لقد لمسه
الله بأصبعه ، ووضع في فمه كلمات خفيفة هائلة . الله
دائماً معه ، في القصر وفي الصحراء على السواء ...
هذا ممكن على الأقل . لا نستطيع أن نجزم ، ولكن
ليس بمستحيل أن يكون الله معه يحبه ويشد أزره .
ومن أجل ذلك قد تحدث مصيبة إذا مات هذا
الرجل ... ألم يقل إنه في اليوم الذي سيموت فيه
ستنقض مصيبة على أحد من الناس ؟ قد لا تصيب
غير شخصي . أذكرني أنني انزلت على الدم حين
دخلت الشرف ، ثم سمعت صفق أجنحة في الهواء .
حدثان يندران بالشر من غير شك ... هيه ! سالوما
إنك لا تريد أن تصيبي مصيبة ، أليس كذلك ؟
أوه ! استمي ؟

سالمو - أعطني رأس يوحنا

هيرودس - أترين أنك لاتصغين إلي؟
ولكن تملق الهدوء . أنظري إلي ، إني هادىء إلى
أقصى حد . أصنى إلي ، عندي حل خبأة هنا لم
يرها أحد ، وأمك نفسها لم يقع عليها بصرها قط ،
حلي عجيبة تدهش العقل وتبهر النظر . عندي عقد
من اللؤلؤ ذو أربعة صفوف ، من يرى هذه اللآلىء
يخيل إليه أنها أقمار قد سلكت في أشعة من فضة .
لكأنها خمسون قرأ في أسر خيط من ذهب ، وقد
حملته فيما مضى ملكة على صدرها العاجي . أما أنت
فانك حين تضعينه على صدرك ستكونين جميلة
رائعة كملكة . عندي نوعان من جواهر عجيب ،
أحدهما أسود اللون كالنبيذ ، والآخر أحمر اللون
كالنبيذ إذا مزج بالماء . عندي أحجار كريمة من
الزبرجد الأصفر كعيون النور ، ومن الزبرجد
الوردي كعيون الحمام ، ومن الزبرجد الأخضر
كعيون القطط ، عندي أحجار لبنية تضيء دائماً
بشعلة باردة لا أثر للحرارة فيها ، وأحجار لبنية
أخرى تحزن الأفكار وتخشى الظلمات . عندي
كثير من أحجار الجزع Onyx تشبه إنسان عين
امرأة ميتة . عندي أحجار زبد القمر Selenites
تتغير حين يتغير القمر وتصير صفراء مبهوتة حين
ترى الشمس . عندي صفيح^(١) كبير الحجم
كالبيض ، وأزرق اللون كالأزهار الزرقاء ، البحر
يموج في داخله والقمر لا يعكر البتة زرقة أمواجه .
عندي أنواع كثيرة من الزبرجد والياقوت
والحجر اليماني والأخيلدونيا ، وسأعطيك كل

(١) ياقوت أزرق

هذا لا أنقص منه شيئاً ، وسأضيف إليه أشياء
أخرى . أذكر الآن أن ملك الهند أرسل إلي منذ
أربعة أيام مراوح مصنوعة من ريش الببغاء ،
وأرسل إلي ملك نوميديا ثوباً مصنوعاً من ريش
النعام . عندي مرآة من البللور لا يجوز للنساء أن
تراها ، والفتيان أنفسهن لا يجوز أن يروها إلا بعد
أن يضربوا على ظهورهم بالعصى والقضبان . وعندي
في خزانة من الصدف ثلاثة أحجار من الفيروز
عجيبة فتانة ، إذا وضعها الإنسان على جبينه استطاع
أن يتصور أشياء لا وجود لها ، وإذا حملها في يده
استطاع أن يضرب العقم على النساء . إنها كنوز
نفيسة لا تقدر بثمن . وليس هذا كل شيء . عندي
في خزانة من الأبنوس قدحان من عنبر كتفاحتين
من ذهب ، إذا صب فيهما عدو سما ، صارا
كتفاحتين من فضة . وعندي في خزانة مرصعة
بالعنبر نعال مرصعة بالزجاج . عندي عباءات ثمينة
وأساور محلاة بالياقوت واليشم Gade من صنع
مدينة الفرات ... تكلمي ، ماذا تريدن ياسالمو ؟
أفصحى عما ترغبن فيه حتى أعطيك إياه . سأعطيك
كل ما تطلبين إلا شيئاً واحداً . سأعطيك كل
ما أملك إلا حياة واحدة . سأعطيك عباءة الكاهن
الأكبر . سأعطيك برقع المحراب
اليهود - أوه ! أوه !

سالمو - أعطني رأس يوحنا

هيرودس - (يغور في مقعده) ليكن لها ما تطلب
حقاً إنها بنت أمها !

(الجندي الأول يقترب . هيرودية تأخذ من يد الأمير
خاتم الموت فيتناوله منها الجندي ويحمله سريعاً إلى
الجلاد . الجلاد يبدو عليه الفزع)

فاكهة ناضجة . نعم سأقبل ثغرك يا يوحنا . قلت لك
إني سأقبله أليس كذلك ؟ إذن سأقبله الآن ...
ولكن لماذا لا تنظر إلي يا يوحنا ، عيناك الجبارتان
الخفيفتان اللتان كانتا مليئتين بالغضب والازدراء ،
أراها الآن مغلقتين ، ولماذا أراها مغمضتين ؟ افتح
عينيك ، ارفع جفنيك يا يوحنا . لماذا لا تنظر إلي ؟ هل
أبعث فيك الخوف فلا تريد أن تنظر إلي ؟ ...
ولسانك الذي كان كشمبان أحمر ينفث السم ...
إنه ساكن لا يتحرك هذه الحية الحمراء التي رمتني
بسمها . لا تقول الآن شيئاً ، هذا غريب ، أليس
كذلك ؟ كيف حدث أن الحية الحمراء لم تعد
تتحرك ... ؟ لم تشأ أن أدنو منك وأمسك
لقد رفضت ودي يا يوحنا وكنت لي الأقوال الشائنة
وعاملتني كمستهتر ، كبنى ، أنا سالوما بنت هيرودية
أميرة يهودية ، ها أناذى يا يوحنا ما أزال على قيد الحياة
أما أنت فانك ميت ورأسك في حوزتي وملك لي ،
وفي استطاعتي أن أفعل به ما أشاء ؛ في استطاعتي
أن ألقيه للكلاب ولطير الهواء ، فتهمشه الكلاب
وتلهمه طير الهواء . آه ! يا يوحنا ، يا يوحنا ، أنت الرجل
الوحيد الذي أحببته ... كنت جميلاً يا يوحنا ...
جسمك كان عموداً من العاج على قاعدة من الفضة
كان حديقة تموج بالليمام وأزهار السوسن القضة .
كان برجاً من الفضة مزديناً بقوائم من العاج .
ليس في العالم جسم في مثل بياض جسمك . ليس
في العالم شيء يماثل شعرك في سواده . ليس في العالم
كله شيء يضارع ثغرك في حمرة . كان صوتك مبعثرة
ينتشر منها عبير غريب ، وحين كنت أنظر إليك ،

من ذا الذي أخذ خاتمي ؟ كان في يدي اليمنى
خاتم . من ذا الذي شرب نبيذى ؟ كان في قدحى
نبيذ ... أوه ! ستحدث مصيبة من غير شك
(الجلاد ينزل إلى الصهريج) آه ! لماذا أعطيت كلتي
وقطعت على نفسي عهداً ؟ يجب على الملوك
ألا يعدوا أو يقطعوا على أنفسهم عهداً . فطبع إذا
أخلفوا ولم يوفوا ، وفطبع أيضاً إذا بروا بوعدهم ..
هيرودية - أجد أن ابنتي قد أحسنت صنعا
هيرودس - ستحدث مصيبة من غير شك
سالوما - (تنحنى على الصهريج وتنصت) لا أسمع
صوتاً . لماذا لا يصرخ هذا الرجل ؟ آه ! لو حاول
أحد أن يقتلني لصرخت وقاومت ... اضرب
اضرب يا نعمان . إني لا أسمع شيئاً في الصهريج
سكون رهيب ! سقط على الأرض شيء . سمعت
شيئاً يسقط ... إنه سيف الجلاد . استولى الخوف
على هذا العبد ، ينبغي إرسال جند (ترى غلام هيرودية
فتخاطبه) تعال هنا . قل للجند أن ينزلوا إلى الصهريج
ويحضروا لي ما طلبته ، ما وعدني به الأمير ، ما هو
ملكى (الغلام يتراجع مدعوراً ، فتخاطب سالوما الجند)
أيها الجند ، انزلوا إلى الصهريج وحيثوني برأس ذلك
الرجل (الجند يتراجعون) أيها الأمير ، أيها الأمير ،
مر جنودك أن يأتوني برأس يوحنا (يد كبيرة سوداء
يد الجلاد تخرج من الصهريج حاملة رأس يوحنا على رمح من
الفضة . تتناول سالوما الرأس . هيرودس يخفي وجهه بعباءته
هيرودية تبتسم وتهز مروحتها . الناضريان يركعان ويشرعان
في الصلاة) . آه لم تشأ أن تدعني أقبل ثغرك يا يوحنا
إذن سأقبله الآن . سأعضه بأسناني كما يعض الإنسان

سوداء تمر بوجه القمر وتحجبه تماماً . المسرح يغمره
ظلام دامس ويشرع الأمير في الصعود على السلم الكبير)
صوت سالوما — آه ! لقد قبلت ثغرك يا يوحنا
كان على شفتيك طعم حريف لاذع . أكان هذا
طعم الدم ؟ ربما كان طعم الحب . يقال إن للحب
طعماً لاذعاً ... ولكن ماذا يهم ؟ لقد قبلت ثغرك
يا يوحنا

(يسقط على سالوما شعاع من ضوء القمر وينيرها)
هيرودس — (يلتفت إلى الخلف ويرى سالوما)
اقتلوا هذه المرأة !
(الجند يتقضون على سالوما بنت هيرودية أميرة يهودية ،
ويحرقونها بسلاحهم)
(تمت)
عربها
حسن صادق

تاريخ الأدب العربي

لداستاز أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم
في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمنه عشرون قرشاً . ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

كنت أسمع موسيقى عجيبة ! آه ! لماذا لم تنظر إلى يايوحنا؟
خلف يديك وسبابك وشتائمك ، أخفيت وجهك .
لقد وضعت على عينك عصاة ذلك الذي يريد أن يرى
آلهة . إذن رأيت ربك يا يوحنا ، أما أنا ، فانك لم ترى
قط . لو رأيتني لأحببتني كما رأيتك يا يوحنا وأحببتك .
أوه ! لشد ما أحببتك وما أزال أحبك يا يوحنا .
لا أحب سواك ... إني متعطشة إلى جمالك ، متلهفة
على جسمك ، ولن يهدد رغبتى نبيذ أو فاكهة .
ماذا أفعل الآن يا يوحنا ؟ لا الأنهار ولا البحار
تستطيع أن تطفى غلة هواي . كنت أميرة فازدريتني ،
وكنت عذراء فقضيت على نصرتي ، وكنت على طهر
فلأنت عروقي بالنار ... آه ! آه ! لماذا لم تنظر إليّ
يا يوحنا ؟ لو نظرت إليّ لأحببتني . أعرف جيداً
أنك لو نظرت إليّ لأحببتني ، وأن لغز الحب أكبر
من لغز الموت . لا ينبغي النظر إلا إلى الحب

هيرودس — إنها وحش بشع . ابنتك وحش
مفترس . إن ما فعلته لجريمة كبرى من غير شك .
أعتقد أن ما فعلته جريمة ضد إله مجهول

هيرودية — أقرعمل ابنتي وأريد البقاء هنا الآن
هيرودس — (وهو ينهض) آه ! الزوجة الآثمة
التي تتكلم ! المرأة التي تقرر المحرمات ! هيا
لا أريد البقاء في هذا المكان ... ستحدث مصيبة
لا بحالة ... ماناس ، أساكار ، أوزياس ، أطفئوا
المشاعل حتى لا أرى الأشياء ولا تراني . أطفئوا
المشاعل . إحببوا القمر وانشروا على النجوم غطاء !
هلم نختبيء في قصرنا يا هيرودية فقد بدأت أشعر
بالخوف

(العبيد يطفئون المشاعل . النجوم تختفي . سحابة كبيرة

البائعة الصغيرة

للكاتب الدانمركي هانز أندرسون
بقلم شكرى محمد عباد

كانت تقضض
من البرد وترتعد من
الجوع ، وتسير
متحاملة على نفسها
تجر قدميها جراً...
كانت صورة من
التعاسة تلك الفتاة
المسكينة ! وقد تغطى

بالثلج شعرها الأصفر المسترسل الجميل ، وتدلّت منه
خصلات ناست على جيدها الأبيض الناصع . ولكن
تلك الفكرة لم تكن لتطيف بذهنها إذ ذاك ، فقد
كان النور يشع من النوافذ ، ورائحة الأوز المشوي
تفوح في الفضاء مؤذنة بميلاد عام جديد . فالتبذت
ركناً مزوياً فحقت على ركبتيها ، وتقبعت في
مكانها ، والبرد يسرى في أعضائها قارساً لئلا
ولكنها لم تكن لتجرؤ على الذهاب إلى منزلها ، وما
باعت من ثيابها شيئاً ، فعصا الأب تترقب ، وسقف
البيت مهدم خاوٍ تبعث به الريح ، ويصفر فيه الهواء
كان البرد يخدر يديها الصغيرتين ، فتفكر في
عود من الثقب تأخذه من الحزمة ، فتشعله في
الحائط ، فتدفى يديها على لحيه . وما تمالك أن
فعلت فأضاء العود بلهبٍ ساطعٍ كنور الشمعة ،
نفيل للفتاة أنها جالسة بإزاء موقد ذي ألوان ، له
قاعدة من نحاس وغطاء من نحاس لامع . ما أجل
النار تبعث الدفء في الأطراف ، والطائنة في
النفس ! ولكن اللب الضئيل لم يلبث إلا قليلاً حتى
خبأ . فتبخر في الهواء موقدها النحاسي اللامع ،

كان البرد يشتد ، والثلج يهمل ، والظلام
يحلوك ، والليل يسدف لينبلج عن صبح عام جديد .
وكانت تضرب في بهمة الليل وصيارة القرفطة حاسرة
الرأس عارية القدمين : كانت تتعل خفين عندما
غادرت منزلها ، ولكنهما كاتتا واسعتين فقد كاتتا
قبل لأمها . وبينما هي تعبر الطريق أمام عربتين
مسرعتين أضاعت خفيها . فأما الأولى فلم تجد لها أثراً ،
وأما الأخرى فقد خطفها طفل وجري . فراحت الطفلة
تجوب الطرقات وقد تعرت قدميها ، واحمرتا من
برد وازرقتا . وكانت تحمل في جيب ثوبها العتيق
حزماً من الثياب ، وفي يسراها حزماً ، وقد أدبر
النهار وما باعت منها شيئاً ، ولا حصلت ليومها
فلساً

يعد هانز كرستيان أندرسون عميد الأدب الدانمركي بغير
منازع . وقد ذهب سمعته فيما وراء وطنه . واشتهر بين
كتاب الغرب قصصياً له مذهب خاص في القصة . وكثير من
النقاد يحذف « الخرافة Faïay Stery » من القصة . إلا
ما كتب أندرسون ، وقليلون غيره ، في هذا الباب .
« والبائعة الصغيرة » على الرغم من قصرها قطعة رائعة من
الأدب ، ومثال دقيق من فن ذلك الأديب .

وطارت بها في عالمٍ من البهاء والسرور ، وحلقت
بها في السموات العلى ، وحملتها من الأرض إلى
حيث لا برد ولا جوع

غير أن الطفلة كانت تجلس في ركنها ، مستندة
إلى الحائط وقد احمرت وجنتاها ، وانفرجت
شفاتها عن ابتسامة سعيدة ، هناك كانت ترقد
أيسها القر ، وقد احترقت علبه من ثقابها ، فقال
الناس : « لقد أرادت أن تدق نفسها » وما علم الناس
أى جمال رأت ، ولا بأى احتفال حملت إلى السماء
ليلة العيد ...

شكري محمد عياد
كلية الآداب

في أصول الأدب

للدكتور أحمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث
تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها
تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل
المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم
والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى
بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم
قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثنه ١٢ قرشا

ولم يبق بيدها سوى رماد العود المحترق . فأشعلت
عوداً ثانياً ، فالتهب فوق نوره على الحائط ، فصيره
كقناعٍ شفّ استطاعت أن ترى الحجرة من
خلاله . رأت مائدة بسط عليها قماش أبيض صفت
عليه آنية العشاء ، وتوسطته أوزة مشوية يفوح
منها بخار له نكهة وطيب ، ويملاً جوفها تفاح وبرقوق
مجفف . ثم يا للعجب ! لقد قفزت الأوزة من الطبق
وتهدأت على أرض الحجرة ثم أقبلت على الطفلة وفي
صدرها شوكة وسكين ! ثم انطلق العود فلم تبصر
الفتاة إلا حائطاً رطباً سميكاً بارداً ، فأشعلت عوداً آخر
فاذا هي جالسة تحت شجرة جميلة من أشجار عيد
الميلاد تشتعل على أوراقها آلاف من الشموع ، فتغمر
بنورها صوراً ملونة جذابة كتلك التي كانت تراها في
المكتبات ، فمدت الفتاة يديها نحوها فانطلق العود ،
وارتفعت أنوار عيد العام ، فرأتها الفتاة نجوماً
في السماء ، سقط أحدها فرسم خطاً طويلاً من
النار ، ففكرت الفتاة الصغيرة : الآن أحد يموت .
فكذلك علمتها جدتها العجوز التي درجت إلى
القبر وما كان للطفلة غيرها يحبها ويرعاها . وأشعلت
الفتاة في الحائط عوداً جديداً ، فسطع الضوء مرة
أخرى ، فتمثلت لها جدتها تشع نوراً وحناناً .
فصاحت الطفلة : « جدتاه ! خذيني معك ! سوف
تذهبين إذا ما خبا نور الثقاب . ويزول طيفك
الحبيب مثلما ذوت النار الدافئة ، والأوزة الشهية ،
وشجرة عيد الميلاد » . وأقبلت على الثقاب تشعله
كيلا تذهب جدتها ، فتلهب بنور أسطع من
الشمس وضحاها . وتمثل لها جدتها أبهى مما كانت
وأجل ؛ ثم أقبلت الجدة على الطفلة فاحتضنتها ،

مِنْ أَعْمَاقِ النُّفُوسِ

اعترفان في العصر

الفرید دی موسیہ

بِقَلَمِ الْأُسْتَاذِ فُلَيْكِسْ فَنَارِسْ

الجزء الرابع

الفصل الثالث

وشعرنا عند صلاحنا بما لم نشعر بمثله في
 خصامنا؛ ولاح لي أن بريجيت تضر أمراً لم أدرك
 كنهه أولاً، ثم رأيت الاضطراب يستقر في نفسي
 ويعكر عليها صفوها، فكنت كلما مرت بي الأيام
 ينبجلي في ويتفوق على مقاومتي عنصران من الشقاء
 أورتنتني إياهما ضلالات ماضى: أحدهما غير
 نائرة تتدفق لوما وتحقيراً، وثانيهما نوع من المرح
 القاسي والخفة المصطنعة أذهب بها إلى اهانة كل
 عزيز على، فكنت وأنا أستسلم تارة إلى الغيرة وطوراً
 إلى المرح الساخر أعامل بريجيت كأنها خلية خائفة
 أو كأنها امرأة مستأجرة، فما لبثت حتى تولاهما من
 الأسى ما جلال حياتنا بالسواد. ومن الغرائب أنني
 كنت أتململ من سيادة الحزن علينا وأنا لا أجهل
 مصدره ولا أقوى على انكار جنائتي فيه

كنت في ريعان العمر ميالا إلى السرور فتقل
على أن أنفرد كل يوم بأمرأة أكبر مني سناً تتألم
ويتزايد تحولها وأمارات الجد على وجهها فأحس

وكنّا عند ما تمشي على مهل في الغاب على
ضوء القمر نشعر كلانا بالوحشة تتغلغل في أحشائنا
فتنظر بربحيّة إلىّ وفي عينيها كثير من الإشفاق ،
ونتجه إلى صخرة مرتفعة تطل على وادٍ مقفر حيث
نستعرض الساعات تمر بنا بطيئة فأحس بعيني
خليلتي وقد غشاها الأسى تغوران في عينيّ نافذتين
إلى قلبي ثمّ ردّهما عني لتسرحهما على صفحة السماء
ومسالك الوادي فتقول :

— إني أشفق عليك يا بني فأنت لا تحبني .

وكانت الصخرة تبعد مسافة مرحلتين عن القرية.
ففضطر إلى قطع أربعة مراحل ذهاباً وإياباً. وما كانت
بريحية تخاف السير في الليل فكنا نجعل مجيئنا عند
الساعة الحادية عشرة لنعود منها عند بزوغ الفجر.
وكانت في هذه الرحلات ترتدى سترة زرقاء وسروال
رجل قائلة إن أثوابها العادية لا تليق لمثل هذه
المغامرات بين الأشواك. وكانت تتقدمني على الطريق
الرملي بمخطوات ثابتة فأرى فيها ليونة الأنوثة
تشدها أقدام الطفولة، فما أتمالك نفسي من الوقوف
في كل فترة لأنظر إليها معجباً وهي مندفعة في سيرها
كأنها مقدمة على القيام بواجب صعب تفرضه عقيدة
مقدسة.

وكانت وهي مندفة إلى الأمام منشدة بأعلى
صوتها كالجندي المهاجم تقف بغتة لتعود أدراجها
إلى "مدغدة" وجهي بقبلاها.

وفي عودتنا كانت تتكىء على ساعدي فلا
تركض ولا تغني بل تناجيني بعبارات رقيقة تسرها
إلى بصوت خافت كأنها تحاذر أن يسمعها أحد ونحن
(٧)

نمضي منفردين في الأماكن المقفرة ، ولا أذكر أن كلمة واحدة من هذه الأحاديث شذت عن دوائر الحب والولاء .

وسلكنا في إحدى الليالي مسلكاً نحو الصخرة اقترضناه في الغاب غير المسلك المطروق ، فذهبت بريجيت أمامي تخط السبيل وعلى رأسها قبعة صغيرة من القطيفة تنفر من تحتها غداً شعرها الأشقر ، فحيل إلى أنها ليست امرأة بل غلاماً يافعاً يقتحم الصعاب . ولكم سبقتها في تسلق الصخور فعلقت بنتواًها مستنجدة بي وقد عجزت عن الارتقاء ، فكنت أرجع إليها لأخذها بين ذراعي قائلًا : أنت ياسيدي من أبناء الجبال ، لك القوة والرشاقة ، ولكني لا أرى بداً من حملك بالرغم من عصاك الثقيلة وحذائك المصفح .

وصلنا إلى محجنتنا وقد تهدجت أنفاسنا وكنت شاداً حقوى بنطاق تتدلى منه قربة ، وإذا طلبت بريجيت مني هذه القربة ، تبينت أنها سقطت مني مع زناد كنا نقدحه لإزالة معالم الطريق وقراءة لوحاتها حذراً من الضلال ، وكثيراً ما كنا نضل فأتسلق الأعمدة وأقبح الزناد مزاراً فأتتمكن من قراءة ما كتب في أعلاها

وقالت بريجيت : علينا أن نمضي الليل هنا فقد أضعنا الزناد وأنا متعبة من طول السير ؛ غير أن هذه الصخرة قاسية فلنلق عليها من الأوراق اليابسة ما يحولها إلى فراش وثير

كانت هذه الليلة من أروع الليالي سكوناً وجلاءً وقد زادها روعة ظهور القمر من ورائنا فعلقت بريجيت أنظارها عليه وهو يملص على مهل من سواد الأشجار المكحلة أعلى الراية ، وانطلقت توجه إليه

إنشادها ، ولكنها ما رأت الكوكب يتعالى حتى خفت صوتها وأصبحت نبرات حزينه هادئة فارتعت على كتفي وطوقتنى بذراعيها قائلة :

لا تظن أن حقيقة قلبك خافية عليّ فما أنا بلائمتك على ما تحملني من عذاب ، وما أنت بالمدنّب إذا خاتمتك قوالك فعجرت عن نسيان حياتك الماضية . لقد أحبتني بكل إخلاص ؛ ولن آسف ، ولو قتلتني حبك ، على استسلامي إليك . لقد ظننت أنك ستبعث حياً بين ذراعيّ قتسوا من أوردتك الهلاك من النساء

ولقد تلقيت بالابتسام ما اعترفت لي به من اختبارك الحياة وأنت تسرد ما صرّ عليك متباهياً كالأطفال في غرورهم لأنني اعتقدت أن إرادتي ستكفي لهدايتك ، وأن قبلة واحدة على شفيتك ستجذب إليهما ما توى من قلبك . لقد اعتقدت أنت أيضاً اعتقادى فضلنا كلانا

إن في قلبك جرحاً يتمرد على الشفاء فقد نالت المرأة التي خدعتك ما لم أنه أنا من حبك ، وها إن حيي المسكين لا يقوى على محو صورتها من تذكارك وإذا كان إخلاصك لك لا يجديك نفعا الآن فما ذلك إلا لأن هذه المرأة قد ذهبت في خيانتها إلى أقصى ما تبلغ قسوة الخائنات . ومن يدرى ما فعلت الأخريات من بنات الشقاء حتى نفثن السم في أزهار شبابك ؟ إلى أية درجة بلغت الملاذ التي ابتعتها منهن حتى تطلب مني الآن أن أتشبه بهن ؟ وانهن يراودن تذكارك وأنت بالقرب مني ، وذلك أشد ما أقاسيه منك يا بني . إنني أفضل أن أراك مستبداً في ثورة غضبك فتري بوجهي ما يمكن لك أن تتصوره بي من سيئات وهمية منتقماً لنفسك مما جنته عليك خليلتك الأولى

إلى والد خطيبي الذي كان يدعوني دائماً يا ابنتي ،
وكان قد اشتهر في البلد أمر زواجي قريباً بابنه فأصبح
هذا يتمتع بأوسع حرية في معاشرتي

وكان الشاب — ولا فائدة لك من معرفة
اسمه — عشيراً لصباى فانقلبت مودة الطفولة بيننا
إلى محبة . وكان ينتهز فرصة انفرادنا ليذكرني بما
سنالقي من سعادة بعد الزواج ويشكو تباريح الانتظار .
وكان يكبرني بسنة ؛ وله صديق من عشاء النسوة
يتقار إليه ، فقرر أن يخدع أباه وينكث بعهده بعد
إيقاعه في فخاخه ، وهكذا استغل جهلي وعبث
بطفولتي

ودعانا والده ذات صباح ليلغنا أمام أفراد أسرته
أن يوم زواجنا قد تعين . وما أسدل الليل ستاره
حتى لقيني في الحديقة واندفع يشرح هواه قائلاً :
إنه يعد نفسه زوجاً لي ما دام يوم العقد قد تعين ؛
وإنه في الواقع زوجي أمام الله منذ كان طفلاً ؛ واستعان
على بثقتي وجهلي فاستسلمت له قبل أن يعقد له علي ؛
غير أنه هجر بيت أبيه بعد هذا الحادث بثمانية أيام
هارباً مع امرأة كان صديقه قدمها له ، وأرسل إلينا
كتاباً يقول فيه إنه مسافر إلى ألمانيا ، واختفى عنا
منذ ذلك الحين

هذه هي قصتي وقد عرفها زوجي كما عرفتها
أنت الآن . لقد عزت نفسي على فعاهدتها في وحدتي
ألا أعرضها مرة أخرى للشقاء . لقد نكثت بهذا
العهد عند ما رأيتك فنسيت عهدي ولكنني ما نسيت
أوجاعي . إن كلينا مريض يا أوكتاف ؛ فليعالج أحدهما
الآخر بلين وتؤدة . أفلا ترى أنني أنا أيضاً أعرف
ما هي ذكريات الماضي ؟

ولكم تروغني هذه الذكريات وأنت قريب

على أن أراك ذاهباً في مرضك القبيح وعلى وجهك
إمارات المتهتك المستهزي منطبقة على سحتك
كأنها قناع يحول بين شفتيك وشفتي

لم تحملني مثل هذا يا أوكتاف ؟ ولم هذه الأيام
التي تتناول فيها الحب بأحقق بيان هازئاً حتى بأعذب
ما في استسلامنا من ملذات ؟ ما فعلت بأعصابك
الحساسة يا ترى هذه الحياة التي خضت عباها حتى
تركت على شفتيك هذه اللعنات تخفق بينهما حتى
الآن ؟ إنك تقذفها مرغماً لأن قلبك طيب كريم ،
ولأن حمرة الحجل تعلو جبينك فما تتفوه به ، فأنت
ولا شك متألم في حبك لي إذ تشاهد ما تحملني
من عذاب

إنني أعرفك الآن ، ولكنني يوم رأيتك لأول
مرة على مثل هذه الحال ملكني رعب يصعب على
وصفه لأنني حسبته مخادعاً يتظاهر بحب لا يشعر به
وحقق يا صديقي ، لقد فكرت في اقتحام العدم
في ذلك اليوم ، ومرت على ليلة هي أشد ليالي روعاً
ويأساً ...

أنت تجهل حياتي ولا تعلم أن اختباراتي في
الحياة لم تكن أقل حرارة من اختباراتك . ويلاه ! إن
الحياة مزيرة لا يستعذبها إلا من يجهلها

لست يا أوكتاف الرجل الأول الذي أحبت فإن
في قلبي حدثاً مشؤماً أريد أن تعرفه

كان أبي قرر وأنا طفلة بعد أن يزوجني من ابن
وحيد لأحد أصدقاءه القدماء . وكان هذا الصديق
صاحب أملاك مجاورة لأملاكنا ، وكانت الأسرتان
على اتصال دائم ؛ ومات أبي ، وكانت أمي قد ماتت
قبله بزمان طويل ، وهكذا بقيت تحت رحمة عمتي التي
تعرفها ، واضطرت عمتي إلى التغيب مدة فأسلمتني

ولعت السماء فوق رؤوسنا بكل كواكبها ، فقلت
لبريجيت : —

أفما تذكر هذه الآفاق النيرة بأول استسلام ؟
إنني أشكر الله لأننا لم نعد منذ ذلك الليل إلى
تلك الصخرة فبقيت هيكلاً طاهراً تمر وحدها
بمخيلتي مجللة بالبياض بين أشباح حياتي

الفصل الرابع

ومررت ذات ليلة بساحة القرية فلمحت رجلين
يتحادثان وسمعت أحدهما يقول بصوت بلغ أذني :
إنه يعاملها معاملة سيئة .

فقال الآخر : الذنب ذنبها ؛ فما كان أغناها عن
اختيار مثل هذا الرجل الذي لم يعاشر حياته سوى
بنات المواخير ؛ أما وقد جنت هذا الجنون فلتتحمل
تأنيبه .

وتقدمت في الظلام لأتين من هاتين الكلمتين
ولأتمكن من استماع تمة الحديث ؛ غير أنهما لحظا
اقترابي فابتعدا .

ذهبت إلى مسكن بريجيت فرأيتها جد مضطربة
لمرض جديد انتاب عمتها ، فما زاد حديثنا على بعض
كلمات ، وما تسنى لي أن أراها بعد ذلك ، بل عرفت
أنها استقدمت طبيباً من باريس . ومضى أسبوع
فاذا هي تدعوني إليها لتقول لي إنها فقدت بموت
عمتها آخر قريب لها ، وإنها أصبحت وحيدة في العالم ،
وستضطر إلى مغادرة القرية .

فقلت لها : وأنا أأست شيئاً معدوداً في نظرك ؟
فقالت : أنت عارف بحبي لك كما أنني أنا أعتقد
بحبك لي في كثير من الأحيان . ولكن أنى لي أن
أعتمد عليك وما أنا إلا خليلتك دون أن تكون أنت

مني ؛ غير أنني أشد شجاعة منك ، ولعلني أتفوق
عليك بالحزم لأن آلامي كانت أشد من آلامك .
لقد كانت حياتي ساكنة هادئة في هذه القرية قبل
قدومك ؛ وكنت وعدت نفسي بالأبدل من حالها ؛
وهذا ما يجعل هذه النفس شديدة الشكيمة علي .
ولكن ما يهمني كل هذا ، فأنا لك . أفما قلت لي في
أوقات الصفاء : إن العناية قد عهدت إلي بالسهر
عليك كما تسهر الأم على ابنها فما أنا خليلتك لك كل
يوم ، فأنا أكثر الأيام أمك لأنني أريد أن أكون
أمّاً لك . إنني لا أرى فيك العاشق عند مآثرهقني
بالتعذيب ، بل ولداً مريضاً يساوره الحذر أو يستخفه
الطرب فأبذل جهدي لمداواته وشفائه طامحة إلى
استعادة الرجل الذي أحب وأريد أن أحب إلى الأبد
ورفعت عينها إلى السماء قائلة :

ليعزني الله بهذه القوة وهو السميع المجيب
لدعاء الأمهات والعاشقات فأتتمكن من إتمام هذا
الواجب ولو هلك في سبيله ، حتى ولو أصبحت
معزة نفسي المتمردة وقلبي المنكسر وكل حياتي ...
وشرقت بدمعها فاختنقت الكلمات في صدرها

وإذا هي جاثية على الصخر وقد شبكت أنامل
يديها وهزها الهواء كما يهز عاشقات الشجر حولنا
يالها من مخلوقة تجلها العظمة في ضعفها وهي
تتوسل إلى الله من أجل حبيبها

ورفعتني إلى صدرى قائلاً لها : —

أي صديقتي الوحيدة ! يا خليلتي ويا أمي ويا أختي !
توسلي إلى الله من أجلي أيضاً ليهبني قوة أحبك بها
قدر استحقاقك . اطلبي لي الحياة ليغتسل قلبي
بدموعك فيصبح قرباناً لاذنس فيه نقسمه أمام الله
واستلقينا على الصخر وساد الصمت حولنا

خليل . وآسفاه ! لكان شكسبير قد عناقك عندما قال :
« اصطنع لنفسك رداء من النسيج المتعرج لأن قلبك شبيه باليشب يشع بألاف الألوان » أما أنا فهالك ثوبى وقد ثبت فيه لونه الأسود إلى زمن طويل — لك أن تبارحى هذا البلد فأنا وراءك أو أنتحر .

وانطرحت جائياً أمامها :

— أواه يا بريجيت ! لقد حسبت أنك أصبحت وحيدة في العالم عند ما ماتت عممتك . إن فكرتك هذه لأشد عقاب يمكنك أن تنزليه بي ، فما شعرت قط كما أشعر الآن بمسكنة حي لك . أنكرى هذه الفكرة على نفسك فأنها تقتلني وإن كنت أستحقها . أفلا أكون في حياتك شيئاً معدوداً إلا لإلحاق الضرر بك وتعذيبك ؟

— إننى أجهل من هم الناس الذين يترصدون لنا ، فقد شاعت عنا في القرية شائعات لها غرائبها فقال البعض : إننى أقضى على نفسى لتساهلي وجنوني . وقال آخرون : إنك رجل قاس يكمّن فيك الخطر على . فلا أدري كيف نفذ الناس إلى أقصى سرائرنا

فاكتشفوا جميع ما ظننته متجلياً لي وحدى من تقلبك في معاملتى وما نشأ عن هذا التقلب من تكرار الخلاف بيننا ، حتى إن عمتى نفسها فأتحتنى بالأمر وكانت مطلعة على حالنا منذ مدة طويلة ولم تقل شيئاً ومن يدري ؟ لعل هذه الأشاعات عجبت في القضاء عليها .

وقد لاحظت برود صديقاتى أو ابتعادهن عنى كلما صادفهن في المتنزه . بل إن الفلاحات أنفسهن اللواتى أحبيننى كثيراً يهزرن اكتافهن عندما يرين

مقعدى خالياً فى مرقص الأحد .

كيف يقع هذا ؟ إننى أجهل السبب ولعلك تجهله أنت أيضاً ، وعلى كل يجب أن أسافر فقد كحيل صبرى فى هذا الموقف بعد أن مر الموت على مسكنى وأصبحت وحيدة أمام هذه الغرفة المهجورة .
أواه يا صديقى ! لا تتخلّ عنى .

واستخرطت فى البكاء ؛ وتطلعت فإذا فى أرض الغرفة صندوق السفر وجميع ما يدل على الاستعداد له . فأتضح لى أن بريجيت كانت قد عزمّت على الرحيل وحدها على أثر موت عمتها دون أن أعلم بخانتها القوى . ورأيت على وجهها دلائل الخور وأدركت صراحة هذا الموقف الذى زججتها أنا فيه ، فما كفى ما تحتمل من العذاب حتى زاد عليه تحقير الناس لها ؛ وما كان الرجل الوحيد الذى يجب أن تستند إليه وتتعزى به إلا منشأ أشد اضطرابها وأقطع ما فى عذابها .

ومثلت سياًتى أمانى فحجّلت من نفسى إذ رأيت ما فعلت فى مدى ثلاثة أشهر بتلك الوعود والأمانى . كنت أحسب أن فى قلبى كنزاً فما استخرجت الأيام منه إلا مرارة النسلين وأشباح أحلام وشقاء المرأة التى أعبدتها .

لأول مرة فى حياتى شعرت أننى أجابه ذات الحقيقة وجهها لوجه . وما كانت بريجيت توجه إلى أقل ملامة بل كانت تريد أن تتوارى عن عياني فتخونها قواها وتقف متأهبة لمصارعة أحزانها . وخطر لي فجأة أن من واجبي أن أتوارى لأتقذها من مصائبها بإيقاظها منى .

نهضت متوجهاً إلى غرفة بريجيت فجلست على

لا ريب في أنك ستدفع بها إلى الغير لأن محبتك
محرقة قاتلة

لقد سلطت على هذه المرأة هائجات أعصارك
وهي الطالبة بتسكين نأثرها فإذا ما تبعها فأنت
لا شك قاتلها

كن على حذر يا هذا ، فإن ملاك عاشقتك يترصد
وقد ألقى ضربة الموت على هذا المسكن ليطرد منه
هذه الأهواء الجامحة في مهب العار . وها هوذا يلهم
بريجيت الفرار ؛ ولعل ما يسر به إليها هو آخر نجواه
احذر أيها القاتل ، أيها الجلاد فإنك تجاه
حياة وتجاه موت

بهذا كنت أخاطب نفسي عندما خانت مني
التفاته فرأيت على المقعد ثوباً مخططاً طوى وأعد
ليدرج في الصندوق ؛ وكان هذا الثوب قد شهد
يوماً من أسعد أيامنا فأمررت يدي عليه ولسته
قائلاً: أبوسمى أن أفارقك أيها الرداء الصغير ؟ أفتريد
أن تتخلى عني فتذهب وحدك ؟

لا ، إنني لا أقوى على ترك بريجيت ؛ فإذا فعلت
في مثل هذه الظروف كنت غادراً لثيها . لقد ماتت
عمتها ، وها هي ذي وحيدة تصدمها سعايات عدو مجهول ؛
ولعل هذا العدو مركانسون بعينه . فقد يكون
تحدث إلى الناس عن مقابلي له واستفهامي عن
دالانس مستنتجاً من غيرتي ما جعله أساساً لإشاعاته .
ما هذا الرجل إلا حية رقطاء تقطر سمها الزعاف على
زهرتي . فعلى أولاً أن أعاقبه ثم أتحويل إلى رد
ما سببته لبريجيت من إضرار

ما أشد حماقتي ! فأنني أفكر في التخلي عنها في
حين يجب على أن أكفر عن ذنوبي نحوها
فأعوضها سعادة وحباً عما ذرفت من دموع

صندوقها مسنداً رأسي يدي وأنا مضضع الحواس
أنظر إلى ما حولي من رزم لم تزل مفتوحة ومن
أثواب مبعثرة على الرياش ؛ وما كانت قطعة من القطع
غريبة عني وفي كل ما لمس حبيتي شيء من قلبي .
وذهبت أحاسب نفسي على ما سببت من شرور
فانتصب أمامي خيال بريجيت عندما رأيته لأول
مرة تحت أغصان الزيزفون وجديها الناصع البياض
يراكض وراءها . وناجيت نفسي قائلاً : — بأى
حق تجرأت على الدخول إلى هنا لتتسلط على هذه
المرأة ؟ من أجاز أن يتعذب الآخرون من أجلك ؟
إنك تقف أمام مرآتك وتسرح شعرك لتذهب
بمحمولك تتلصق السعادة قرب خلية يحيط بها الشقاء
فترتمي على المساند التي ركعت عليها موجهة إلى الله
توسلاتها من أجلك ومن أجلها فتأخذ راحتها
لتدغدغها ضاحكا ولما تزال في رجفة الصلاة

إنك لندو مهارة لاشغال جذوة الخيال في رأس
متألم فتندفع إلى الثروة محمواً بغرامك كأنك محام
يخرج محقق العينين من موقف دفاعه عن قضية
خاسرة ، فما أنت إلا الولد الآبق يتلاعب بالألم ويتسلى
بالعذاب فيحلولك أن ترتكب جريمة القتل في
مجلس أنس بوخزات الأبر

بأية كلمة ستقف أمام إلهك الحي عندما
تكمل عملك ؟

إلى أين مصير المرأة التي تهواك ؟
إلى أية هاوية تنزلق بهذه المرأة التي تستند إليك ؟
بأي وجه ستقف أمام الشمس عند ما تدرج
بيديك في اللحد عاشقتك الناحلة الشقية كما أدرجت
هي آخر سند لها في الحياة ؟

أما أنا سندها الوحيد في العالم بل صديقها
الأوحد وسلاحها الذي تنق به هجمات الدهر؟ فعلي
أن اتبعها أين ذهبت فأحميها بجسدي وأعزيها عن
حبها واستسلامها لي

ودخلت إلى الغرفة التي بقيت بريجيت فيها
وحدها وقلت لها أن تنتظرنى في ساعة ريثما أعود
فسألتني : إلى أين أنت ذاهب ؟ فقلت : انتظريني .
لا تذهبي بدوني واذكري كلمات راعول : « إلى أية
جهة ذهبت سيكون شعبك شعباً لي وسيكون إلهك
إلهي فأموت حيث تموتين وأدفن حيث تدفين »

وخرجت مسرعاً قاصداً مراكنسون فقيل لي
إنه خرج من بيته . وجلست أنتظر عودته أمام
مكتبه الأسود القدر ؛ وطال انتظاري فعاودني تذكاري
مبارزتي لأجل عشيقتي الأولى فقلت لنفسي : لقد
أصبت بطلقة عيار ناري فجننت وسخر الناس بي
فاذا أتيت أفعل هنا الآن ؟ ولن يقبل هذا الكاهن
النزول إلى ساحة المبارزة ؛ فاذا ما تحديته أجبني أن
توبه يمنعه من سماع أقوالى . وهكذا يفتح أمامه مجال
التوغل في أحاديثه وإشاعته على أثر هذه المقابلة

وعلى كل فآية أهمية لهذه الإشاعات وهي تدور
على معاملتي لها وعلى عذابها ؟ فهل تعنى هذه الأمور
أحداً سوانا ؟ إن خير وسيلة في مثل هذه الحالة
إنما هي عدم المبالاة . وهل بوسع أحد أن يمنع القليل
والقال في القرى ويرد هجمات العجائز عن امرأة
تتخذ لها عشيقاً ؟

يقولون إننى أعامل بريجيت معاملة سيئة فما علي
إلا إثبات عكس الأمر بالتي هي أحسن لا بالزجر
والمكابرة . إن تعرضي للمجادلة مع مراكنسون
وقصدي مغادرة القرية لمن مستدعيات السخرية
يجب أن أبقى حيث أنا لأننى إذا تواريت أفتح

مجالاً للمتقولين للادعاء بصحة إشاعتهم
إننى سابقى ولا أبالى

وعدت إلى بريجيت بعد مرور نصف ساعة
غيرت في أثنائها رأي ثلاث مرات فأقنعتها بالعودة
عما قررت بعد أن أخبرتها بما فعلته عندما غبت عنها ،
وما توصلت إلى إقناعها إلا بشق النفس ، وهكذا
اتفقنا على أن نحترق أقوال الناس فلا نغير شيئاً من
حياتنا . . . وأقسمت لها أن غرامى سيعزيها فتسلو
به جميع أحزانها ، فتظاهرت بعودة الأمل إليها
وأكدت لها أن هذه الحوادث قد جلت لي موقفي
منها وأبانت إساءتى ، ووعدتها بتطهير نفسى من
جميع ما رسب في قلبى من جرائم أياى الماضيات فلن
تتعذب بعد الآن من كبريائى وجوح عواطفى
وطوقتنى بذراعيها وهى تخضع خزيته صابرة
لخطرة من خطرات اهوائى كنت أحسبها أنا ومنصة
من العقل هدتني سواء السبيل

« يتبع » فليكني فارس

توفيق الحكيم

يوميات نائب في الأرياف

« هاكم صورتنا في المرآة
فلنصلح من شأننا قليلاً
إن أردنا لكياننا بقاء ! »

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ويطلب من المكتبات الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً

الساحرة سيرس التي مسخت بعض رجاله إلى خنازير وما كان من احتياله حتى ردتهم إلى صورهم ، ثم قص رحلته إلى هيدز — الدار الآخرة — وذكر من لقي هناك من أبطال الاغريق الذين قتلوا في طروادة وكيف كلم شبح أمه وأرواح العذارى اليونانيات ... ثم عاد إلى سيرس وأبحر من عندها مرة أخرى ليصل إلى بلاده ، وما لقي من الهول في طريقه بالصخرتين الموحشتين سكيللا — الهولة التي أكلت ستة من رجاله — وخاربديس التي تبلغ البحر وتلفظه — وما كان من رسوه بأرض الشمس واعتداء أصحابه على قطعانها — الأمر الذي أغضب رب الشمس وكان سبباً في غرق سفينة أوديسيوس وموت جميع أصحابه وكيف نجا من هذا الفرق إلى جزيرة كليسيو « وفي تلك الظروف كان أمراء إيثاكا قد طمعوا في زوجة أوديسيوس لجمالها الفتان فحاصروا بيتها لتختار من بينهم بعلاها ولبثوا هنالك أعواماً يرغبون من خير البطل ثم ذهب تليماك ابنه الحبيب ليسأل الملوك عن والده فلم أنه حبيس كليسيو المذكورة — وروع العشاق لما علموا بسفر تليماك فتربصوا له ليقتلوه في الطريق »



الأوديسيوس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصل في الفصول السابقة

أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وفرغ أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم في الردهة ذات الظلال مسبوهم مشدوهين من روعة ما حدث ، ومن غريب ما روى ، حتى تكلم الملك فقال : « أوديسيوس ، يا أيها العزيز ! صفنا بالك وطاب حالك ، واستدريت من ذرى هذه القبة السماء بركن ركين ، فلن ينالك أذى بعد اليوم ، ولن تقدر عليك الرياح الهوج في رحلتك الآمنة إلى بلادك ، وإن يكن مثلك لا يبالى الحدثن ، ولا يابه لصروف الزمان ، بعد إذ رضع لبانها ، وتقلب طويلاً في أحضانها ... وإنه والله ليس أحب إلينا من أن نقيم آخر الدهر عندنا فتتجسسى ماشئت من أكرم هذه الخمر ، وتشنف أذنك بما يتغنى مطربنا الحبيب الإلهي ؛ وإلا ، فذاك صندوقك العزيز وفيه أذخار

» عاد أبطال اليونان إلى بلادهم بعد انتهاء حروب طروادة إلا أوديسيوس ملك إيثاكا فقد ضلت به الفلك في البحر اللجي لأنه لم يعقر القرايين للآلهة قبل إبحاره فوقف له نبتيون رب البحار بالمرصاد وأعرق سفنه وسبح البطل حتى كان في جزيرة كليسيو عروس الماء التي هويته وأولمت به واحتجزته عندها سنين عدة حتى تحركت الشفقة في قلب مينرفا ربة الحكمة فسألت أباه كير الآلهة أن يأمر بإطلاق سراح أوديسيوس ففعل وأبحر البطل على رمث من عند كليسيو — ولحقه نبتيون عدوه الألد فأغرق رمثه ، ولكنه سبح هذه المرة أيضاً حتى كان في شاطئ شيرا مملكة الفياشين ، وهناك لقته ابنة الملك ألكينوس فأخذته إلى بيت أبيها الذي أكرم مثواه وأقام له حفلاً كبيراً أبدى فيه أوديسيوس من ضروب الشجاعة ما بهز الفياشين وقلب ألبابهم ، ولما عرفوا أنه أوديسيوس سألوه أن يقص عليهم ما عنده من قصص فأخذ يسرد قصته العجيبة الرائعة فذكر قيامه من طروادة وغزوه لإزماروس ورسوه في جزيرة اللوتوفاجي — أكلة اللوتس — ونزوله في أرض السكالب وكيف حبسهم السيكلوب في كهفه ثم نجاتهم منه بعد أن أكل منهم عدداً وفيراً ، ثم نزولهم بجزيرة

الهدايا وأعز اللهى ، من مطارف الدياج ، ومكنون الذهب الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا يامعاشر الفياشيين فليحضر كل منكم للنازح الكريم طرفة من أبر الطرف ، وتحفة من أجل التحف ، ولتكن ركيزة من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛ وليساهم الشعب فى هذا ، ذلك أدنى ألا تطيقوا منها (١) »

وصادفت مقالة الملك هوى فى قلوب السادة زعماء الفياشيين ؛ ثم نهضوا فتنفروا إلى منازلهم يلتمسون الراحة ، وينعمون بطيب المنام ؛ ونضرت أورورا ابنة الفجر خبين المشرق بأفواف الورد فهب الزعماء العظام من مراقدهم ، وبادروا إلى السفينة يهداياهم التى وصف الملك . وقد كان الكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيده فيضعها موضعها الأمين تحت مقاعد المجدفين حتى تكون بنجوة من ضرر يصيبها ، أو أذى يلحق بها ، حين يكون الملاحون مشغولين فيما هم بسبيله من عمل البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم عادوا مع الملك إلى قصره المنيف لولية الوداع الفاخرة وقد قرب إلى جوف الكبير التتعال رب الأرباب ورب السحاب الثقال ، بشور جسد عظيم ؛ وأعد من تخذه شواء شهى أقبل عليه القوم يأكلون ويروغون (٢) ، بينما يسكب فى آذانهم غناء ديمودوكوس مطربهم الحنق الحبيب . وكان أوديسيوس يرنو بطرفه المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو عجلت إلى خدرها ، وكان يضججه منها

(١) فى الأصل : يقول الملك إنه سيكلف الشعب بعض الضرائب لسداد الثمن ولا ندرى كيف يسبغ ملك أن يقول ذلك . (٢) يدسمون اللقمة

جربانها الوئيد ، فهو دائماً يرقب مغيبها بعيني ذلك الزارع الشقى الجوعان الذى أجهده طول النصب فى حرث حقله ، فعلق بصره بالشمس يتمنى لو هبطت فجأة فى المغرب ليلوى أعنة بهائمه إلى كوخه ، وليتبلغ هناك بليقيات ؛ وما كادت تتوارى بالحجاب حتى وجه الخطاب لزعماء الفياشيين فى شخص الملك ، فقال : « مولاي الملك الجليل الكينوس ! ياخبر شيرا وعماد الفياشيين ! حبذا لو أدت الصلاة الخمرية يا مولاي وتفضلت فأذنت لى فى وداعكم ، مادتم قد أعدتم لى الهدايا واللهى ، والأبطال الصناديد من رجالكم الملاحين ... وإنى لأضرع إلى الآلهة أن ترعانى فى رحلتى فى اليم ، وأن أصل إلى بلادى فألقى فيها آلى وعشيرتى سالين ، كما أسأل أرباب الأولب أن ترعاكم وأن تقر أعينكم جميعاً بذويكم ، وأن تقى عليكم من نعماتها ، وتحفظ بلادكم من عاديات الزمان وملومات الأحداث » وسر الجميع من مقالته فهتفوا له ، ورجوا الملك أن يأذن له فى السفر ، فالتفت الكينوس إلى مشيره وقال : « هلم يا بنيتون فأدهق الزق واحمل الخمر إلى جميع أضيافتنا ليريقوها خالصة لوجه سيدى الأولب ، كي نتأذن لأوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولبي المشير ، وأخذ كل كأسه ، ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصل الندمان إلى الملكة البجلة الوقور ، بل هب مسرعاً وقدم إليها كأسه الهائلة ، وقال : « وداعاً يا مولاي الملكة أحر الوداع ! وداعاً إلى آخر العمر ! وليكن عمراً موفوراً مخفراً جاً تقرين فيه بمولاي الملك والسادة النجب أبنائك المحبوبين وشعبك الأمين » وحياً وحيّاً ، ثم أهرع إلى الرفأ ومشير الملك يسمى بين يديه ، وثلاث من وصفات الملكة يتهادين

(٨)

الهدايا وأعز اللهى ، من مطارف الدياج ، ومكنون الذهب الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا يامعاشر الفياشيين فليحضر كل منكم للنازح الكريم طرفة من أبر الطرف ، وتحفة من أجل التحف ، ولتكن ركيزة من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛ وليساهم الشعب فى هذا ، ذلك أدنى ألا تطيقوا منها (١) »

وصادفت مقالة الملك هوى فى قلوب السادة زعماء الفياشيين ؛ ثم نهضوا فتنفروا إلى منازلهم يلتمسون الراحة ، وينعمون بطيب المنام ؛ ونضرت أورورا ابنة الفجر خبين المشرق بأفواف الورد فهب الزعماء العظام من مراقدهم ، وبادروا إلى السفينة يهداياهم التى وصف الملك . وقد كان الكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيده فيضعها موضعها الأمين تحت مقاعد المجدفين حتى تكون بنجوة من ضرر يصيبها ، أو أذى يلحق بها ، حين يكون الملاحون مشغولين فيما هم بسبيله من عمل البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم عادوا مع الملك إلى قصره المنيف لولية الوداع الفاخرة وقد قرب إلى جوف الكبير التتعال رب الأرباب ورب السحاب الثقال ، بشور جسد عظيم ؛ وأعد من تخذه شواء شهى أقبل عليه القوم يأكلون ويروغون (٢) ، بينما يسكب فى آذانهم غناء ديمودوكوس مطربهم الحنق الحبيب . وكان أوديسيوس يرنو بطرفه المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو عجلت إلى خدرها ، وكان يضججه منها

(١) فى الأصل : يقول الملك إنه سيكلف الشعب بعض الضرائب لسداد الثمن ولا ندرى كيف يسبغ ملك أن يقول ذلك . (٢) يدسمون اللقمة

في إثره ؛ أما أولاهن فكانت تحمل الثوب الديباجي
الموشى ؛ وأما الثانية فكانت تحمل الصندوق الثمين
ذا الأذخار ؛ وحملت الثالثة معونة حافلة من أشهى
الآكال وأطيب الشراب ... حتى إذا كن عند
السفينة ، سلمن ماحن للملاحين الشجعان واثنين
من حيث أقبلن ... واشتغل بعض البحارة بإعداد
فراش وثير في قمرة خلفية من أجل أوديسيوس ...
الذي آوى إلى منامته واستغرق ثمة في سبات لذيذ ،
بينما كان الملاحون دائبين في فك الحبال ورفع
المرساة من صخور الشاطئ ، حتى إذا انتهوا
توزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا فيها أيديهم ، فهمت
الفلك واحتواها الماء ، وأقلعت تشق الأمواج ،
وأتخذت سبيلها في البحر سرياً ... هذا بينما كان
النائم البريء قد امتسك لطائف من الكرى يشبه
طائف المنون

وعمر ك الله هل رأيت أربعاً من صافنات الجياد
تتبارى في حلبة ، ، وقد أذن المؤذن فاندفعت تهب
الرحب ، وأرسلت في الهواء أعرافها ؟ لقد كانت
السفينة تتواثب على أعراف الموج مثلها ، والعباب
الزاخر يصطخب من ورائها ، واللجة من بعد
اللجة تجيش وتضطرب تحتها ، كأنما تتحدى اليم
في طلائنة وثبات ، أو تسابق في الجو البواشق
البراة !! وكيف لا ، وقد حملت رجلاً لا كالرجال ،
وبطلاً بز الأبطال ، وحكماً ترباً (١) للآلهة في
المكرمات وعظيم الفعال ، وقرناً ليس كمثل قرن
في يوم كريمة أو نزال ؛ لم يغف من قبل هذه
الغفوة الناعمة التي باعدت بينه وبين ما تجثم من
آلام وأحزان وأشجان ...

(١) الترب بالكسر اللدة أو المشبه

وتلألأت في الأفق الشرقى نجمة الفجر
الصادق ، حينما كانت الفلك قبالة الأرض الموعودة ...
إيتاكا ... بعد إذ أتمت رحلتها الخاطفة في جنح
الليل ... وهناك في شاطئ المدينة ، أنشئ مرفأ
أمين باسم فورسيز رب الأعماق يُدخل إليه بين
حاجزى أمواج ممتدين على مدى الجون الجميل ، بين
ذراعى الميناء ، فما تستطيع ربح أن تعبت بما فيه من
سفين وقد بسقت أشجار الزيتون على الشاطئ
وامتدت امتداداً هائلاً إلى كهف حريز تأوى إليه
طائفة من عرائس البحار يقال لها النِّيَاد . وثمة ،
أي في هذا الكهف المقدس ، صفت أباريق من
حجر وجرار كثيرة ، يأتي النحل فيودع فيها
شده ؛ وقامت فيه أيضاً عمد من حجر يقال إن
عرائس الماء تنسج عليها أثوابها العجيبة . وفيها
أيضاً عيون من ماء زلال تسقى ساكنيه . ويؤدي
إلى الكهف طريقان عظيمان ، أحل أحدهما للناس
يضربون فيه ما يشاءون ؛ أما الآخر فلا تطؤه إلا
قدم إله كريم ، ويعرف بطريق الجنوب المقدس

ويمم البحارة بفلكهم شطر الميناء ، ثم أرسوا
فيه ، وجنحت السفينة بنصف حيزومها على زماله ...
وحملوا أوديسيوس الزعيم دون أن يوقظوه ، ووسدوه
على فراش (١) وطأوه على الشاطئ ، ثم حملوا كل
متاعه وأذخاره فجعلوها إلى جانبه خلف زيتونة ضخمة
تجربها عن أنظار المارة ، حتى لا يعث بها عيار إذ
هو غرق في نومه العميق ... وركبوا الفلك بمد
هذا وعادوا أدراجهم إلى شبرا ... وأحس نيتيون
الجبار رب البحار وعدو أوديسيوس الأكبر بما فعل
الفياشيون فثار ثأره وقال يعتب على زيوس : « أيها

(١) في نسخة أنهم حملوه بفراشه

يجيبه : « هلم يا أخى قاصنع ما بذاك ، وافعل فعلتك
التي رسمت ، وليكن ذلك حينما يقتربون من مدينتهم
حتى يرى أهل شيرا ما يحل بسفينتهم لتكون لهم
آية ! » . وانطلق مززل الأعماق في أثر الفياشين
حتى إذا كانوا قاب قوسين من الشاطئ أرسل يده
تحت فلكهم فضربها ضربة هائلة أرسلتها في الهواء
وهوت بها إلى اللج ، ثم تركت مكانها جبلاً عالياً
أشم ، ولوى عنانه إلى أرجاء ملكه الرحب

ووقف الفياشيون — ملوك البحار — على
شاطئ البحر مسبوهم دهشين يسأل بعضهم بعضاً :
من ذا الذي أرسى هذا الجبل الهائل مكان سفينتهم تلقاء
المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن العابرة في اليم ؟
والتفت الملك وكان واقفاً بينهم فقال : « يا للآلهة !
لقد ذكرت نبوءة قديمة قصها على والدى فيما غبر من
الزمان ... فلقد ذكر لي أن شعبنا المجيد مأذون له من
نپثيون أن نحمل الناس من كل فج ، من ضل سبيله
منهم إلى بلادهم مهما تناءت . وقد ذكر أيضاً أن
سفينة من سفننا بعد إذ ترد من رحلة لها إلى بلد رجل
غريب نازح ، ستغرق في اليم وييسق مكانها جبل
عظيم شاهق يحجب شيرا عن البحر ... وها قد
تحققت النبوءة ، فهلما تقرب الإله البحار نپثيون
بأثنى عشر مجلاً جسداً تكون أعظم عجولنا وأعلاها
قيمة ، عسى أن يرثي لنا فيكشف عنا هذه النعمة
ولا يحول بين البحر وبين مدينتنا بهذا الطود الكبير
الراسى . وتفرع زعماء الفياشين ، وبادروا إلى عجولهم
فجزروها باسم نپثيون ، وتككبوا حول مذبحه
فصلوا له ، وسبحوا بذكره ... أما أوديسيوس
فقد هب من نومه وهو لا يدري أين هو : ومع أنه
كان ينام أله النوم فوق شاطئ بلاده ، فإنه لم يعرفها

الإله الأعظم الأبدى ، أبداً ما أحسبني أنال نصيبى
من التقديس والتبجيل بين الآلهة منذ اليوم ، مادام
شعب فياشيا لم يأبهوا أن يحقرونى أو يبالوا بي ،
فقد كنت عولت على ابتلاء أوديسيوس بأروع
صنوف البلايا قبل أن تطأ قدمه أرض بلاده ، ولم
يكن في تصميمى أن أحول بينه وبين العودة إليها
لأنك كنت قد وعدت بتمهيد السبيل لهذه العودة ،
ولكنهم حملوه على فلكهم غاراً في أحلى المنام ، ثم
حملوه على الشاطئ الإيثاكي بما معه من العطايا
والأذخار ، وطرف النحاس ، وتحف النضار ،
ومطارف الديباج ، وما حمل من كنوز لم يكن يحمل
شيئاً منها حتى لو عاد بنصيبه من أسلاب طروادة !
واأسفاه ! واأسفاه ! » وقال يجيبه رب السحاب
الثقال : « ماذا تقول يا مززل الشيطان والخلجان ،
يا ذا الملكوت والجبروت ، يا أيها العظيم نپثيون !
لا عليك يا أخى ! لا عليك ، فإنه لن تحمرك الآلهة
ولن تستخف بك ! فإذا استخف بك ملاً ضعيف
من بنى الموتي — عبادنا البشر — فما يضيرك ؟ أليس
في يديك ألف فرصة للبطش بهم والانتقام منهم ؟
اربع عليك يا نپثيون ، وصل ملاذك ، فإنك لست
عبداً لأحد » قال نپثيون : « جوف يارب السحاب
إنه ليس أحب إلى من أن أبطش بهم كما أشرت ،
ولكنى لا أخشى إلا تحديك لى دائماً بغير حق ،
وإنى أرجو أن أعصف بسفينتهم في دأمانى اللجى
حتى لا يحملوا ضارباً في البر والبحر مثل أوديسيوس
مرة أخرى ، وإنى مقتف آثارهم الآن ، فضارب
فلكهم اللعين ، فساحره في الحال إلى طود عظيم
ينهض بروقيه أمام مدينتهم حتى ليحجبها عن كل
سارب في البحر فلا يراها أحد أبداً ! » فقال جوف

لطول ما شطت به النوى ولأن مينرفا الكريمة ،
سليقة جوف العظيم ، كانت قد ألفت حوله ظلالاً
تحجبه عن أعين المارة مخافة أن يعرفه أحد منهم قبل
أن تلقنه من حكمتها ما هو ضروري له في حالته
هذه ... كأنما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه
ولا من أصدقائه وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى
بالعشاق الفساق الذين استباحوا عرضه واستحلوا
بغير الحق زاده وخيره ، وعمرؤا كالشياطين داره ..
لذلك موّته مينرفا كل شيء في عيني أوديسيوس
فالطرق مستقيمة مستطيلة ، والموانئ رجة مترامية ،
والجبال ذاهبة في السماء ، والدوح باسق يطاول الجوزاء
وكل شيء ليس كأى شيء مما عهدته البطل في بلاده ..
ووقف يقلب عينيه في المشاهد المكددة به ، ثم تنهد من
أعماقه ، وبسط كفيه إلى السماء ، وضرب بهما في
برم على نغديه ، وأنشأ يقول : « ويلاه على وألف
ويل ! أى شعب من الشعوب يقيم بهذه الأرض
ترى ؟ أأجلاف ظلمة هم ، أم أطهار أخيار يحبون
للآلهة ؟ ليت شعري أين أخيه هذه الكنوز
والأحراز ؟ وى ! بل أياي أذهب أنا ؟ لعمري لقد
كنت أوتر ألا أنال شيئاً منها من هؤلاء الفياشين
على أن أكون قد حلت بأرض ذى نخوة وذى
نخوة من ملوك الأرض غير هذا الملك الكينوس ،
فكان يرسلنى آمنًا سالماً إلى بلادى . ماذا أصنع ياربى ؟
أترك هذه الثروة الطائلة هنا ؟ أدعها فريسة حلالاً
لغيرى من الناس ، وأهيم في هذه البطحاء على وجهى
والأسفاه ! أهكذا يغربى الفياشيون فيلقوننى في
شاطئ غير شاطئ بلادى ، وقد وعدوا أن يهبطوا
بى مرزقاً إيثاكا الأمين ؟ اللهم يا جوف العظيم ، يا من
إليه يجار أبناء السبيل والمهاجرون والساكين ؛

انتقم لى يا رب الأرباب من هؤلاء الخونة المبطلين ،
ولكن ... يجدر بى قبل كل شيء أن أحصى أذخارى
لأرى هل سلبنى منها هؤلاء اللصوص شيئاً ؟ » ثم
راح يحصر كنوزه ، فما وجد شيئاً منها ناقصاً أو
غير موجود ، وزاد ذلك فى أشجانه ، فأخذ يندب
حظه ، ويكي على ما لقي من زمانه ، وينشج نشيجاً
مؤلماً لهذه المهجرة الظالمة عن أوطانه وجعل يروح
ويغدو على سيف البحر المضطرب ، وحيداً معنى ،
ويرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آخر الأمر
مينرفا في صورة راع صغير غض الأهاب عجيب الثياب
جميل المحيا ، كأبناء الملوك ، ملتفماً حول عنقه ومن
فوق صدره بشفيف (١) صفيق طوى حولها طيتين
وفي قدميه نعلان متواضعتان ، وفي قبضته حربة ناعمة
لامعة ... وكانت مفاجأة سارة فوجى بها أوديسيوس
نخطا خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسأله :
« مرحباً أيها الغرائق الجميل ! لقد كنت أول إنسى
ألقاه هنا ، فبحق هذا عليك أنت تحمينى وتحمى
أذخارى هذه ، وألا تلحق بأينا أذى ! إني أتوسل
إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقنى
فما أسألك عنه : أية بلاد هذه ؟ وأى قوم يعيشون
فيها ؟ أهى جزيرة آهلة ، أم حدود من بلاد مترامية ؟
أخبرنى بأربابك أيها الفتى . »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين تجيبه :
« أيها الغريب اللاجئ . كم أنت ساذج ! كيف تسأل
عن هذه البلاد كأنك لست من أهلها ؟ إنها بلاد
ذات ذكر فى المشارق والمغارب ، ومنها وإليها
تصدر الركبان إلى كل فج ، ثم هى ليست يهماء
مجهولة ، بل هى جنة مأهولة ، زاخرة بالخيرات
(١) الثوب الرقيق

برحى فأرديته ، وكان معه زميل له شرير فذبخته ، واستعنت عليهما بدجى الليل ودُجُتته ؛ ثم هربت تحت أستار الظلام بأحرازي إلى الشاطئ ، حيث حملتني سفينة فياشية رجوت ملاحيتها أن يبحروا بي إلى شاطئ بيليا ، أو إلى مرفأ إيليس ... لكنهم والأسفاه اضطروا إلى الإرساء هنا لأن ريحا عاصفاً قسرتهم على ذلك ، فوصلنا هنا برغمنا في جنح الليل البهيم ، ولقينا عناء عظيماً في النزول بالمرفأ الآمين ؛ ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل تركوني وحدي ، وأبحروا على عجل ، بعد إذ نمت على الشاطئ من الإعياء ، وبعد إذ حملوا إلى هنا متاعى ... وهم الآن في طريقهم إلى سيدونيا ... وهانذا وحدي هنا ، لا أعرف أيان أذهب ، ولا أين أمضى !!

وسكت أوديسيوس .. ولكن الراعى الشاب الجميل أخذ يتحول في فتون وسحر إلى صورة خلافة أخرى ... لقد أصبح امرأة حسناء هيفاء ... وها هي ذى .. تلك المرأة الحسناء الهيفاء .. تبدو في صورة مينرفا - ربة الحكمة - التي اقتربت من البطل في تبسم وظرف ، وأخذت تعبت بلحيته الكثة الشعثاء في دلال وسخرية ، وراحت بدورها تجيبه : « مرحى أوديسيوس ... مرحى مرحى !! ما أحسب أن أحداً - حتى من الآلهة - يفوقك في مكرك وبراعة حيلتك يا ابن ليرتيس !! أما أن أن تقلع عن مراوغاتك التي حذقتها مذ كنت يافعاً وعن توشية الأحاديث الملفقة التي حذقتها واشتهرت بها في العالمين ؟! ولكن ... تعال ... ليدع كلانا ما يحاول أن يزوق به كلامه ، فكلانا بارع في ذلك صناع ... أنت بفصاحتك . ودقة فهمك وطريف

موفورة البركات ، ففيها أنضر سهول القمح ، وأبهج عرائش الكروم ، وأخصب المراعى الخضر الحافلة بقطعان النعم والشاء ؛ تسقى من ماء معين ، وأنهار وعيون ... هذه يارجل إيثاكا ... إيثاكا المباركة ، التي استطالت شهرتها ، واستطار ذكرها حتى ملأ الخافقين ، وجاوز طروادة ذات المجد ، التي لا تبعد شطآنها من آخايا »

وشاع البشر في نفس أوديسيوس لما سمع الراعى الجميل يؤكد في لهجة قاطعة أن هذه البلاد هي إيثاكا الموعودة ، وهز السرور أعطافه لما رأى من زهو الشاب وافتخاره بها ... بيد أنه مع ذلك راح يتجاهل ، ويبدى عدم معرفته لهذه البلاد ، ويحاول أن يخدع الفتى عن نفسه ، وما يخدع إلا نفسه هو ... قال : « أجل ... لقد سمعت عن إيثاكا في أقاصى البحار ... والناس يعرفونها حتى في كريت التي وصلت منها اليوم بعتادى هذا ، تاركاً فيها أبنائى وذوى رحى ، فاراً بنفسى من الفعلة الهائلة التي فعلت ... يا ويح لى !! لقد قتلت العداء المعروف أرسيللو بن أيدومين العظيم ، الذى لم يكن يباريه في سرعة عدوه أحد . لقد حدثته نفسه أن يسلبنى ماغنمت من كنوز طروادة وأسلابها وما حصلت عليها إلا بعد قتال شديد ولفظى حرب ، وركوب أهوال في ذاك اليم ... وذاك لأنى أبيت أن أقاتل تحت لوائه ، أولواء سيده ومولاه ، بل قدت فيلقاً من الجند فظفرت واتصرت ، فكبر عليه هذا ، وحفظها لى ، وأضمر في نفسه الغدر ، فلما عدنا أدراجنا إلى أرض الوطن ، حاول أن يسرقنى كنوزى ، فأقصده (١)

(١) أقصد : طعن

حيثك بين الناس ؛ وأنا بحكمتي وقوة تديرى بين
الآلهة ... وما أحسبك تجهل ميزفا ابنة جوف
الأكبر ، التى كانت رائدك ورفيقك فى كل ما حاق
بك من مكروه ... فلقد كنت أقذف الشجاعة فى
قلبك فى مواقف شدتك . كما كنت أثير الحمية فى
أفئدة الفياشين الذين وصلوا بك إلى هنا وهانذى
طويت إليك فدافد الرب لأخلو ساعة بك ، ولأن
لى حديث نصح معك ، بودى أن أمحضك إياه ...
وقبل هذا ينبني أن تخبيء كنوزك التى أسبغت
عليك بمشورتى ... ثم إني محدثك عما يتحيفك من
أرزاء ، وما يدبر لك من كوارث تحت سيقف بيتك ،
ونصيحتي أن تحتمل ما يصيبك أول الأمر بقلب
جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد ،
رجلا كان أو امرأة — بوصولك إلى إيثاكا وحيداً
شريداً لا حول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كلما
حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذى كلما امتدت
به يد إليك . » وقال أوديسيوس ، وقد أسقط فى
يديه : « لله درك ياربة ! ما أبرعك فى تغشية العيون
وتضليل الأبصار ، والتشكل فى أى صورة شئت !
بيد أنك برغم ذلك حليلة رحيمة كعهدى بك دائماً
ألا كم نصرت أبطال أخايا المذاويد ، وأظفرتهم
بأعدائهم فى ميدان طروادة ... ولكنى لن أنسى
مذ أقلع أسطولنا من ميناء تلك المدينة ، بعد سقوطها
فى أيدينا أنك لم تظهرى لنا قط ، ولم تبادرى مرة
إلى إنقاذى من إحدى الرزايا التى كانت تحيق بى
والتي كنت أحتملها بقلب حديد ، وصبر شديد ،
حتى رثت الآلهة لحالى فجعلت لي منها مخرجاً وأنقذتني
إلى برفياشيا ، حيث أثرت فى صدرى النخوة ،

وأوليتنى الشجاعة ، وكنت دائماً دليلي ورائدى ...
ولكن ... أصدقيني بأبيك يا ابنة جوف ، هل
وصلت حقاً إلى إيثاكا ؟ أم أنا فى صقع سحيق عنها
وإنما أنت تسخرين منى وتبعشين بى ؟ أصدقيني بأبيك
ياربة ، هل هذه بلادى العزيزة إيثاكا ؟ هل هي
حقاً ؟ » وقالت ذات العينين الزبرجديتين تجيبه :
« دائماً حذر يا أوديسيوس ، وإلى الأبد يملأ
الوسواس صدرك ، برغم ما أوتيت من حكمة وتبيان
ورجاحة فكر وسلامة جنان ! بيد أنك معذور
يا صاح ، إذ أى رجل لا يتشوف لرؤية زوجته وأبنائه
ولا يتحرق شوقاً للقيام ، بعد هذا النوي الطويل ،
والبعد الممض ، والأهوال الجسام الجملة ؟ غير أنه
أفضل لك ألا تعلم شيئاً ولا تسأل عن شيء حتى تلمس
بنفسك مقدار ما تكنه لك من الحب ، تلك الزوجة
الوفية المخلصة التى ذهب شبابها عليك حشرات ،
والتي ذرفت دموعها من أجلك آناء الليل وأطراف
النهار طوال تلك السنين الباكية الحزينة الموحشة ..
إني لم أتركك يا أوديسيوس كما تظن ، بل كنت أعلم
أنك راجع دون ماريب إلى بلادك ، وإن فقدت كل
رجالك ورفاق سفرك الطويل الشاق ... غير أنني
أشفقت أن أثير حقن نبتيون ، عمي وأخو أبى ،
الذى يحز الأسى فى قلبه من فعلتك التى فعلت
بعين ابنه السيكلوب ... ولكن هلم ... إني سأقطع
شكك باليقين ، وسأدلك على علام تؤكده لك أنك
فى إيثاكا ... فهذه هي ميناء فورسيز حكيم
البحار ، وها هي الزيتون الكبرى عند رأس المرفأ
وعلى مقربة منها ذلك الكهف المقدس الإلهى الذى
تأوى إليه عرائس البحر المعروفة باسم النياذ ، وقد

طالما كنت تجزر القرايين والأصاحي باسمهن عند وصيدته،
 وهاك جبل نيريتوس وأولئك غاباته الشجراء .. »
 ثم رفعت ربة الحكمة الغشاوة عن عينيه فعرف ذياره
 ولم ينكر شيئاً منها ، وهكذا شاءت العناية أن يشهد
 البطل المكدود بلاده الحبيبة مرة أخرى ، وهكذا
 خر أوديسيوس جاثياً يقبل ثرى الأرض المقدسة ،
 ثم رفع يديه يصلى لعرائس الماء كسابق دأبه :
 « يا عرائس البحر يا بنات جوف الأعظم ، لقد قنطت
 قبل هذا من أن أرا كن ، فهأنذا أعود إليكن بألف
 نذر وألف تحية وسلام ... لكن القرايين الغوالى
 إذا مدت أختكن — مينرقا الحكيمة — فى أباي
 وباركت رجولة ولدى ومعقد أحلامى »
 وقالت ابنة جوف تؤيده : « تشجع يا أوديسيوس
 لا طائل لهذه الوسائس التى تعذبك ! هلم ! البدار
 البدار ! لنخبي هذه الكنوز فى أغوار ذاك الكهف
 السحيق لتكون فى مأمن من عبث عابث ، ثم هلم
 أدبر الأمر معك » وانطلقت الربة فى ظلمات الكهف
 بتكشفه بينما حمل أوديسيوس أذخاره فوضعها حيث
 أشارت مينرقا ، ثم حملت يديها الجبارتين صخرأ
 عظيماً فأحكمت به غلق المدخل الرهيب . وجلسا عند
 أصل زيتونة باسقة ، وشرعا يرسمان الخطط ويحكمان
 التدبير لهلاك العشاق الفساق العاميد ، فقالت
 مينرقا : « أوديسيوس ، يا ابن ليرتيس المجيد ، هلم
 فاعمل فكرك الآن فى الوسيلة التى تبيد بها أعداءك
 الذين لا يستحون ، أولئك العشاق الذين استبدوا
 بأسرتك طوال أعوام ثلاثة ، واستباحوا حماك ،
 وتكالبوا حول زوجتك كل هذه السنين يغرونها

(١ - ٢) الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر واللثة

ما ألم بالنكب منه

المرقع الرث ، وهامى ذى تحدث الأورام حول عينيه
وتزوده بمزق قدرة قد علق بها التراب والسخام (١)
وها كها تضفي عليه بعد ذلك جلد ظبي قديم غليظ
وتدفع إليه بعكازة طويلة يتوكأ عليها ، وتمده بمزود (٢)
تدلت منه أوشية قبيحة ، وأحيط بسيور من جلد
عقيق ...

وافترقا ... فهو إلى حيث يلتقى راعيه ... وهى
إلى حيث تاتى تليماك فى مملكة ليسديمون .

« يتبع »
دربى ضربه

(١) الفحم أو ما يعرف بالعامية بالهاب (٢) خرج

لجنة التأليف والترجمة والنشر

سيرة السيد عمر مكرم

لمؤلفها الأستاذ محمد فريد أبو حديد

سيرة جلية من سير الزعامة الشعبية وصفحة
رائعة من صحف الجهاد القومى خلال القرن
الثامن عشر حتى فاتحة عهد محمد على عند
ما اجتمعت كلمة الشعب على اختيار ملكه المحبوب
جد الأسرة الملكية الكريمة

والكتاب مزين بالصور التاريخية

ثمنه عشرة قروش عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكرداسى رقم ٩

ومن المكاتب الشهيرة

بأصنى وده زوجك ... فاذهب إذن إلى جُبيل
كوراكس المطل على نبع أريثوزا ، تجدد قطعانك
ترعى العشب الحلو ثمة ، وتسقى من السلسيل المجاور ؛
وتجد راعيك الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، فحيه
واجلس إليه ، وأسأله عن كل ماترى أن تعرف من
أبناء بيتك وأهلك وعقارك ، وتلبث معه حتى أعود
إليك بابنك من أسبرطة ... ابنك تليماك الذى ذهب
يذرع الرحب سائلا عنك ، متحسسا أخبارك حيث
حل ضيفا كريما على الملك منالوس ، الذى أرسله
إلى ليسديمون ليرى هل ما يزال أبوه حيا يرزق ؟
قال أوديسيوس : « وأأسفاه عليك يا ولدى !! ولم
أتبها الربة المحيطة بكل شىء لم تخبريه أننى حى أرزق
وأننى لا بد عائد إليه ، فكنت كفيته بلاء الرحلة
فى تيه البحر ، بينا هؤلاء الكلاب يستنزفون ثروته
وماله ؟ » فقالت تيجيه : « لا تأس على ولدك هكذا
يا أوديسيوس ؛ لقد أرسلته أنا ثمة ينشد الشرق
وينشر ذكره بين الناس ... إنه لا يلقى عنتا هناك ،
بل هو ينعم بالرعاية فى قصر أتريدس ! واعلم أن
فريقا من عشاق بنلوب يتربصون به ، ويترصده
فى طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض
الوطن ... ولكن لا ... خاب فألهم ... إنهم لن
يمسوه بأذى حتى تكون الأرض قد رويت من
دمائهم ، وغيبوا جميعا فى بطونها ؛ أولئك السفلة
الذين يستحلون زادك وعنادك الآن » . ثم مسسته
بعضاها السحرية فبدت عليه بدوات الكبر ؛ فهذا
جلده قد تغضن ، وهاتان وفرتا ولته قد استطالت
حتى بلغ شعرها قدميه ، وهامى ذى تضفى عليه الدثار

طُبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة عجم رقم ٧



© Zanini

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثامن عشر ١١ شعبان سنة ١٣٥٦ - ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | الطلل | أقصوصة مصرية | بقلم الأستاذ محمود خيرت |
|------|---------------------------------|---------------------------------|--------------------------------|
| ١٠٩٨ | أم إمام | أقصوصة مصرية | بقلم الأستاذ نغرى أبو السعود |
| ١١٠٦ | السهم الرابع | للكاتب الروسى أنطون تشيكوف | بقلم السيد جورج سلسى |
| ١١١٦ | الحظ | أقصوصة مصرية | بقلم الأديب نجيب محفوظ |
| ١١٢٢ | الراكبون إلى البحر | للكاتب الارلندى جورج ملتون سنج | بقلم الأديب شكرى نجم عياد |
| ١١٢٨ | الملك الشاب | للكاتب الانكليزى أوسكار وايلد | بقلم الأديب بشير المرقى |
| ١١٣٤ | إن تهمل النار يصعب عليك إطفائها | للقصصى الروسى الكونت ليوتولتسوى | بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار |
| ١١٤٢ | اعترافات فتى العصر | لألفريد دى موسيه | بقلم الأستاذ فليكس فارس |
| ١١٤٨ | الأوذيسة | لهوميروس | بقلم الأستاذ دريى خشبة |
| ١١٥٣ | | | |

الطلل

لِلْأَسِيَّةِ تَاذِيْحِمُودِ خَيْرَت

ولو أنك رجعت
القهقري إلى النصف الثاني
من القرن الثامن عشر
لرأيت رجلاً مقوساً
حطمه الكبر وبيضت
لمته أحداث الزمن
معروف باسم « الشيخ
حسن » اعتاد كل ليلة
قبل الفجر أن يسلك

رويداً رويداً ذلك الطريق الصاعد وهو يرتكز في
خطواته على قدميه ارتكازاً كأنه يحاول بضغظهما
أن يرسم في تراب الطريق صورة من حمل السنين
التي أثقلت ظهره

من عساه أن يكون هذا الشيخ البائس ؟ وما
الذي يدفع به كل ليلة وهو من الضعف بحيث
لا يستطيع أن يحمله ساقاه إلى ذلك البرج وكأنه
في خشوعه مُقبلٌ على محراب ؟

طلل من بني الانسان كان لا تهدأ نفسه إلا إذا
سعى إلى زيارة الطلل الصامت وقد كان قسيمه في
أحلام الشباب كما كان قسيمه في نحوس الأيام !

في ذلك العهد كانت هذه المنطقة آهلة بالسكان
عامرة بالحركة يقوم فوق ربوتها قصر منيف على
الطراز البيزنطي العربي ، له من جهة ذلك الطريق
مدخل ذو باب فخم ضخمة من خشب السنديان
رُكزت فيه مسامير غليظة هي ومقبض سماعته من
النحاس الأحمر . وكان له في جهاته الأربع
(مشرقيات) رشيقة على مثال (مشرية) ذلك البرج ،
كلها من خشب القز التركي المخروط الضيق العيون
مما يساعد على استرواج الهواء الهادي واستقبال
النور اللطيف

وكانت جدرانها من الداخل مكسوة بالقاشاني

على الشاطئ الشرقي من النيل عند ساحل (أثر
النبي) لسان بارز في النهر يترك إلى يمينه مرفأً متوسطاً
على شكل نصف دائرة ، يبدأ عند ركنه الجنوبي
من جهة الشاطئ هذا اللسان الذي يأخذ في الصعود
حتى ينتهي إلى ربوة مرتفعة يقوم على مسافة من
حافتها بناء مهديم لم تبق الليالي منه غير زاوية تمتد
أحد ضلعها في اتجاه ذلك الطريق الصاعد ، والثاني
في اتجاه مجرى النهر . ويقوم عند ملتقى هذين الجدارين
جانب من برج عال متصدع فوق شرفة مستديرة
أشبه بمظلة من خشب قديم متفحم . وبأسفل هذه
الشرفة (مشرية) كوجه بارز يعلوه فتحتان أفقيتان
كالعينين كسا كر السنين زجاجها بطبقة من خضرة
مفبرة ، بحيث إذا نظرت بعد منتصف النهار إلى هذا
البرج وقد انعكست أشعة الشمس عليه وعلى زجاجه
خيل إليك وأنت في وسط النهر أنه شبح قائم في
أعلى تلك الربوة يحدق في الفضاء بعينين تنتثر من
مخواتيهما شرارات خضر . وأما إذا نظرت إليه في
ليلة يطرح القمر على فضاءها شبكة من نور وسمان
ضئيل تمثل لك كأنه راهب أشعث في جلبابه
الأسود انتصب فوق تلك الربوة وهو ينظر في سكون
الليل إلى أمواج النهر تتدافع من تحته ولها قصيف
متقطع كأنات الحزين يخرج من جوف الماء فتمزق
صمت ذلك السكون

من الصعيد ومن الوجه البحرى حيث ترسو عند هذا المرفأ وخدام السفن في حركة لا تنقطع يحرون من هنا ومن هناك لطفى الشراع وتفرغ المحمول وتقله إلى مخازنه ، وهم يجتازون ذلك الطريق الصاعد رويداً رويداً في جلبة من الغناء والتهليل

في مستهل القرن السادس عشر كان على « حلب » حاكم من المماليك اسمه خير بك لم يغفل السلطان سليم حين وفد إلى مصر عن المساعدة التي قدمها إليه وهو يحده سرّاً بالميرة والمال فعمله على القاهرة بعد أن تم الأمر في مصر على يد العثمانيين . فخير بك هذا هو أصل هذه الأسرة والجد الأول لمحمد بك نصر الدين خير ذلك التاجر الذي جئنا على ذكره

وكان لمحمد بك هذا أخ أكبر منه سنّاً قُتل غيلة في بعض الليالي فتعهد ولده حسن في هذه الدار بالرعاية والتربية مع ابنته نادر كُمل (أى الورد النادر) وكانت هذه الفتاة يتيمه من أمها ، ولم يكن لأبيها سواها ، فكانت محببة إليه عزيزة عليه لا يصبر على فراقها ، ويتحاشى أسباب الأساءة إليها أو الغلظة في معاملتها إلى حدّ أنه لم يفكر يوماً في التزوج بعد أمها حتى لا يحزنها أو يجرح شعورها . وهكذا نشأت هي وابن عمها الذي أصبح فيما بعد ساعد أبيها الأيمن في تجارته ، على الألفة والحب

وكان كلاهما على قسط وافر من الوسامة وجانب كبير من حسن التقدير وسلامة الذوق ؛ وقد تجانست ميولهما واتحدت غايتهما فكان من ذلك وحدة شفافة متألفة تجعل من زواجهما جنة وارفة الظلال ملؤها النعيم والسعادة

وكانت لا تنظر إلا بعينه ، ولا تنصت إلا بسمعه ، ولا يخفق قلبها إلا له وبه ، حتى أنه كان إذا رحل في

المختلف الألوان الجميل النقوش . وسقوفه تزينها زخارف عربية غائرة وبارزة بديعة التنسيق ، بعضها مدهون بالأوان يتحكم فيها اللازورد ، وبعضها ممّوه بالذهب الهادىء اللبمان . وكان يتدلى منها ثريات مثمّنة الأضلاع معلق في زواياها قناديل مخروطية من زجاج أخضر يتخلله عروق على هيئة أوراق الشجر جميلة الشكل . وبأركان الحجرات أوان من الفخار المحترق المكسو بطبقة من المينا أو من النحاس المنقوش المكفّت بالفضة أعدت للزهور أما البسط ومختلف الطنافس والرياش والتحف فلا حاجة إلى محاولة وصفها لأن كل وصف يتناولها لا يسمو مهما بلغ من دقة التعبير إلى الإلزام بحقيقة جمالها ودقتها ؛ ويكفى أنها كانت آية من آيات الصناعة ودليلاً ناطقاً بميسرة صاحب الدار وسلامة ذوقه ولا تنس إيوان القصر وهو بطبيعة الحال يشغل الطابق السفلى على ارتفاع متر من مسطح الأرض ، ويصعد الزائر إليه بثلاث درجات عريضة عند طرفي كل منها أصص من الزهر

ويرتكز سقف الإيوان في جانبي هذه الدرجات على أربعة عمد أسطوانية من الرخام تيجانها على هيئة نواقيس تربط أبدانها بهذه العمود تُسقط من النحاس ، وقد توسط أرض الإيوان المزيّنة بالفسيفساء نافورة رشيقة من الرمرمر يحيط بها أوان أثرية بها زهور جميلة . وعلى كل حال فقد أعد هذا الإيوان لزوار الدار يقطعون فيه سهراتهم مع صاحبها بين مجامر الطيب وأكواب الشراب وعلى أصوات المغنين وأنغام الدف والطنبور والنّاي

أما النهر حول هذا القصر فكان بين وقت وآخر يمجج بالسفن الشراعية الكبيرة المعدة لنقل الأخشاب والحبوب مما يتجر به صاحبه تجيء بها

اكتشف دليلاً جديداً على توثقه ، وليس لحسن خير منها ولا لها خير منه وهو ربيبه وابن أخيه والمشرف على إدارة شؤونه

وكانت هي أيضاً لا تجهل نواياه هذه نحوها ونحو هذا الذي كانت لا تشعر بالسعادة إلا إلى جنبه وفي ظل الزواج منه ، ولكنها مع ذلك كانت تفرّ من هذا الزواج فلا تلمّح لابن عمها به ولا تتعجّله فيه ، بل لقد كانت كلما حاول استدراجها إلى الكلام في أمره أفسدت عليه محاولته وأسّرت فغيرت مجرى حديثه عنه ، ولكن في أسلوب لين مستطاب لا يشعر عنده بأنها تقصد إلى ذلك

وفي الواقع أنه لَمِنَ الغريب أن يجد الجائع سبيله إلى الطعام ثم تعاف نفسه أن تمتد يده إليه ، وإذا سأله في ذلك انتقلت خواطره فجأة إلى عالم آخر ، وكذلك كانت نادركل إذا خاطبها حسن في شأن الزواج ظهر عليها الاضطراب وصبح وجنتها الخجل ثم انتقلت فوراً إلى هذا العالم وقد دبّ في نفسها شعور مبهم جعلها تعتقد أنها لن تبلغ أمنيّتها من هذا الزواج مع أن كل ظواهر الحياة في تلك الدار كانت لا تدل على أن هناك عقبة ما في سبيله .

وهكذا كانت إذا همّت بتكشاف حبيبها به وقف لسانها في فمها وأحست كأن يداً خفيّة جبارة تسترجعها وتحول بينها وبين النفوذ إلى غرضها أما هذا الشعور فقد خالط خواطرها على أثر ليلة رأت في حلمها أن أمها سقطت في النهر وكانت تتوسل إليها وتستصرخها فألقت بنفسها فيه ، ولكن التيار كان شديداً فغلبها وجرفها معها

ولقد نشأت نادركل نشأة صالحة تحفظ كثيراً من آيات الكتاب وتحرص على الصلوات فما ذهب ظنها إلى أن ما رآته كان من قبيل أضغاث الأحلام ، بل لقد استقرّ في ذهنها أن روح

شأن من شؤون التجارة انسدل على وجهها قناع قائم من الحزن ، وأحست فراغاً موحشاً تضطرب له خواطرها وأحلامها . فتلزم (مشرية) ذلك البرج وترسل نظراتها إلى قبة السماء الصافية لا لتتفقد نجومها ولكن لتظفر في خيالها بذلك الكوكب الأنيس الغائب عنها

وكانت رحلته تمتد أحياناً إلى أسبوعين ، وقد تنتهي في أقل من ذلك تبعاً لبعد النواحي التي تحمل السفن عروض التجارة منها فكانت تقدر على وجه تقريبي ذلك اليوم السعيد الذي يعود فيه . وعند ذلك تلزم نافذة البرج ترقب منها أشباح السفن النائية وما كانت لتخفي عليها لعلامات فيها تميزها عن غيرها ، حتى إذا ما هلت غمر السرور نفسها ورد إليها بشاشتها والسفن تهتز سارياتها كأنها نشوى ، ويخفق شرعها فوق الماء كأنها مناديل النازحين يلوحون بها من بعيد إشارة إلى العودة واقترب ساعة اللقاء . ولم لا والسفن والدور والأثاث وكل ما يتصل بالإنسان تنبث فيه ريمحنا ، وتسكنه ذرّات خفيّة من خواطرنا وأحلامنا وأنفاسنا وأرواحنا ، فتصبح كأنها مِنّا تحسّ بحسّنا وتشعر بشعورنا ؟

للدور أرواحٌ تحسّ لأهلها وتطوف من خلل الحواجز حوَّماً وضاعةً بهم الزمان فإن هم

نرحوا نفشأها الظلام وخيماً وهكذا تظل (نادركل) نشوى بهذا القرب حتى إذا دنت السفن من المرفأ ورفع حسن بصره إلى (المشرية) يحسها بغمزة من حاجبيه اندفعت إلى رأس السلم تستقبله وتطبع على فمه قبلة حارة يغيب صوابهما عندها

وما كان يخاف على أبيها ما توثق بينهما من علائق هذا الحب ، بل إنه كان يشعر بالغبطة كلما

عنه شيئاً من خصائصها حتى كأنه حيالها عند كتاب مفتوح . وقد أدركت نادرك كل قلقه . هذا فأرادت أن تضع حداً لعذابه ، وكانت الفرصة مواتية وقد أقبل عليها وهي لا تزال إلى جانب تلك النافذة .
ومما يحسن ذكره هنا أنه كان لأبيها في تجارته شريك اسمه « احمد أغا » وهو رجل في الستين من عمره قصير القامة يدين الجسم شاربه الغزير يكاد لطوله يصل إلى أذنيه ، وأنفه كبير معوج كمنقار النسر ؛ أما شفاته فغليظتان تنفرجان عن أسنان صفراء مخز فيها السوس ؛ وأما حاجباه فكثيفان يظلان عينين لا يدرى الناظر إذا كانتا غائرتين أو جاحظتين ، ولكنهما كانتا تبرزان كلما توثب إلى غرض من الأغراض ، وتغوران إذا فكر في تدبير أمر من الأمور .

ولقد قضى هذا الرجل حياته تاجراً ؛ وكان بخيلاً يحرص كل الحرص على الذهب لأنه في عينه الغلة التي لا تتأثر بأحداث الزمان . ولذلك كان في نبوة عن التفكير في الزواج أو الانصراف إلى غيره من أسباب اللهو . ولكنه وقد أثرى واجتمع لديه من سيد المعادن آلاف الدنانير فكر في الترفيه عن نفسه ، فكان لا يحلوه السهر إلا عند شريكه ، فوقع نظره مرة على نادرك وأدرك ما هي عليه من الملاحظة التي جرت في ذلك العهد مجرى المثل والناس يطلقون عليها اسم « جمال نادركل » أي جمال الورد النادر ولذلك افتتن بها وتوله فيها . وكثيراً ما كان يطلبها من أبيها والحاضرون من المحسوين عليه يساعدونه في ذلك وهو صامت ممسك عن الجواب فيكتفي احمد أغا بذلك وفي هذا الصمت دليل الرضى .
وما كان حسن يحضر مجلس عمه ، لأن الأدب التركي يتفر من ذلك ، ولأنه فتى غمر قلبه الصلاح

أما قلقة عليها منزعة لها ، وأنها لم تكن غير تلك القوة الخفية التي تجذبها وتستوقفها والأرواح مكشوفة عنها الحجب فهي ترى في هذا الزواج ما لا تراه عينها التي غشّت عليها كثافة المادة وملاء فراغها زخرف الحياة . وقد يكون لهذا الحلم أيضاً مجرد معنى التنبؤ بأن هذا الزواج لن يتم ؛ وعلى كل حال فقد كانت من تلك الليلة وهي تحت سلطان هذا الحلم لا تفارق نافذة البرج ترسل إلى النهر نظرات زائفة حزينة كأنها تفتش في لججه عن مكان تلك الأم التي كانت تستنجد بها

وكان يخيل إليها تارة أن سطح الماء أخذ يرتفع كأنه تحت تأثير مدّ قوى ، حتى إذا اقترب من وجهها وهو يلمع كالمرآة أبصرت فيه عيني أمها وقد أخذتا تتسمان وتقتربان ثم تختلطان ، فإذا ما استحالتا إلى عين واحدة كهوة واسعة سحيقة انحدرت روحها إليها وغاصت في ظلامها

وتارة كانت ترى الماء ينخفض رويداً رويداً ثم يجف فينكشف لها قاع الوادي وقد تبعثرت فيه جثث لفتيات قاتنات ما زلن حافظات لنضرتهم حاليات بعقودهن الملونة وأقراطهن الذهبية ، وعلى شفاهن ابتسامات ، وفي عيونهن استقرار وهدوء ؛ وعند ذلك يذهب خاطرها سريعاً إلى أنهن من عرائس النيل اللاتي كان القدماء يزفونهن كل عام إليه

وكانت هذه الخواطر لا تفارقها حتى في الليالي القمرية والبدر في كبد السماء يصب على سطح النهر المرتجف رذاذاً ناعماً من النور فيستحيل إلى قطع مبعثرة متألقة من ماس متحرك . على أن حسن لم يخف عليه أمرها ولا محاولاتها ، ولكنه كان في حيرة ، وهي بالرغم من ذلك تصفيه حبها ولا تكتم

أشهد الله عليها وهي أنني لن أكون في حياتي يوماً
ما لغيرك .

وعند ذلك طرق سمعها نشيد بعض الملاحين
فأطلت من النافذة بينما هو في مكانه ذاهل مفكر ،
ثم التفتت إليه كالظبية تقول : ما أسعد هؤلاء الناس
يقضون حياتهم بين الماء والسماء ويستنشقون من
عليل النسيم ما صفا من عواصف الأقدار !

ومرة أخرى صعد إليها ينبهاً باقتراب يوم
الاحتفال بوفاء النيل فهلت على وجهها بشاشة
خالطها حزن ، ولكنها سرعان ما حالت بينه وبين
الشعور به سائلة في استنكار :

— ولم هذا الاحتفال والنيل في هذا العام
شحيح ؟

— إنها عادة يا نادر

— ولكن قصد بها تكريم النيل إذا ما جاد
بفيضانه حتى قالوا كما قلت أنت الآن : « الاحتفال
بوفاء النيل » فهل حتى مع عدم وفائه يكون استمرار
هذه العادة مما لا بأس به ؟

وعند ذلك أرتج عليه ووقع في حيرة وقد
فوجئ بهذا الاعتراض الذي لارد عليه ولا حيلة
فيه ، ولكنها هونت عليه موقفه قائلة :

— وإذا كانت ظواهر الحال تدل على أنه
لا يبشر هذه السنة بفيضان فلم لا يهيئون له عروساً
كتلك التي كانوا يزفونها إليه من قديم ؟

وعند ذلك انفجر حسن في ضحكة طويلة منقطعة
وهو يقول : هي أن القوم على استعداد لإحياء
تلك العادة من جديد فمن هي التي ترضى الآن بأن
تكون تلك العروس ؟ فصاحت : أنا... أنا ، فما أبهى
هذا اليوم الذي أنال فيه هذا المجد ، ويقام لي فيه

لا يغشى مثل هذه المجالس . على أنه سمع ذات ليلة
أحد أغا يلح على عمه في قبول زواجه من نادر ،
فاضطرب خاطره واشتغل باله وكاد يمسك بطرف
الحيط من سر استخفافها بالزواج

— دائماً إلى جانب هذه النافذة يا نادر ؟

— ولم لا وأنا أطل منها على هذا النهر الصافي
والنسيم يداعب سطحه بأنامله الخفية الناعمة ، والشمس
تنسج له من خيوطها الذهبية هذه الحلة المتموجة
البديعة ، وهذه السفن بشرعها البيضاء تمخر فيه
كأنها أوز عائمات ؟

— ولم لا تطلين من نافذتي عيني هاتين فكنت
ترين ما أعددت لك بقلبي مما يسمو على كل هذه
المشاهد ؟ إنك تجدين فيه محراباً أعددت لعبادة هذا
الحسن فيه ، وتجدين جوانبه يغمرها نور غير هذا
النور لأنه معنى من معاني حبك ؛ ولكنك تجدين
أيضاً إلى جانب كل هذا ركنًا مظلمًا خصصته
لشقاؤى ومدامي ، وأنا لا أجد معنى للحياة إلا بك
وفي ظل رضاك

— وما الذي لسته في يدفع بك إلى هذا
الركن الذي لم يكن إلا من صنع خيالك . لقد آن
أن أفهم إذن أنك لا تزال تجهل ما أحفظه لك في
نفسى من الإعجاب والتقدير

— والحب ؟

— والحب يا حسن

— ولكن لسانك وحده هو الذي جرى
بهذه الكلمة

— بل قلبي الذي أرسل بها إليه ليخملها إليك

— إذن لم تتحولين ؟

— اسمع يا قبلة أملى وخذها مني كلمة صريحة

وقد بدأ بالفعل بمسكون عن الوفاء بها نقداً أو عيناً
فراى من الحكمة لهذه الاعتبارات كلها ألا يتردد
في قبول رجاء شريكه لأنه غنى ، ولأنه رجل الساعة
في تلك الأوقات العصيبة . وهكذا عقد له عليها
بصفته ولى أمرها ، ثم اختلى بها ليوقفها على مسلكه
وهو واثق — بعد بيان كل تلك العوامل السيئة —
من رجاحة عقلها وطاعتها

— أراك لا تحيين يا نادر

— وما الفائدة وقد وقع المحذور ؟

— وهل إذا وضعتُ نفسي في إحدى كفتي
الميزان وكان ابن عمك في الكفة الأخرى رجحته
على ؟ ...

— كلا . ولكن الذي كان يوضع في الكفة
المقابلة لكفته إنما هو ذلك الصهر الجديد لا أنت ؛
إنه هو الذي بعثني إليه يبعاً كأنني من بعض السلع
أو من سقط المتاع . أو نسيت يا أبي أنه هو الذي
قتل من قبل أخاك ؟

— إشاعة لم تلبث أن تبددت كال دخان

— وهل ثمة دخان بغير نار ؟ إنه هو وحده
الذي قضى على عمي ؛ وهذا أنت تحمكه من القضاء
على ولده ومن القضاء على أيضاً . وقد أقدمت على
ذلك وأنت هادئ قرير البال ، لأن ابنتك البريئة
المظلومة لم يعد لها حساب ولو ضئيلاً في إحدى
هاتين الكفتين

— نادر ...

— ويا ليتك حين فعلت بي ما هم سيدنا إبراهيم
أن يفعله بولده ، كنت مثله في حسن القصد وما أراد
إلا وجه ربه ؛ أما أنت فما أردت إلا وجه هذا المعبود
الذي انصرف إليه الناس من دون الله ... المال ...

مثل ذلك المهرجان ويشير إلى الناس عنده من جميع
النواحي وهم يتهايمسون : تلك هي العروس ، تلك هي
عروس النيل

وما كانت اللحظة متسعة ليفعل هول هذه
الخواطر فعله فيه لأنها كانت تنتفض كالقصبية وقد
تصبب جبينها عرقاً ثم سقطت فوق الوسادة التي
إلى جانبها مغشياً عليها

ولقد كان هذا الحادث وما سبقه من الأحداث
كافياً ليضع حسن يده على الحلقة المفقودة من موقف
ابنة عمه معه . إنها تحبه وتعبد له لا شك في ذلك ،
ولكن هناك إلى جانب هذا الحب حائلاً تحاشت
الإشارة إليه في أحاديثها ، وإلا فلم حين ضيق عليها
الحصار بصدد هذا الزواج ولم تر وسيلة هذه المرة
إلى الإفلات منه تخطته إلى ذكر غيره فقالت :
« لن أكون في حياتي يوماً ما لغيرك » لأنه لو لم يكن
هناك شخص ثالث يزاحم فيها لما أشارت في وعدتها
إليه ولقالت له في صراحة : « ثق يا ابن عمي أنك لي
وأني لك فلا مانع عندي من هذا الزواج » ولذلك
أيقن بأن مطمع ذلك الشريك وصل إلى علمها من
طريق آخر

ولقد كان أبوها هو نفسه الذي باح لها به لأنه
من زمن غير قصير لاحظ بوارد الخطر على الحالة
الاقتصادية في الوجهين البحري والقبلي وقد ازدادت
هذه الحالة سوءاً بسبب قلة الفيضان كما شاع أن
الجراد أخذ أيضاً يتحفز للهجوم على الصعيد وقد
لا يلبث أن ينتقل بعد ذلك إلى الوجه البحري مما ينذر
بقحط مروع يعم جميع البلاد
ولقد كانت كل أموال الشركة في أيدي الناس

المال الذي أصبح في عينيك كل شيء . بل ياليتك أنت الذي هممت بذبحي بيدك ، فكنت لك نعم الفداء وأنا راضية أضع قبلي على حد مديتك قبل أن تمتد إلى عنقي . إنك نسيت كل ذلك وتركتني إلى هذا الغليظ العاتي تدفن شبابي عند شيخوخته القاسية . والآن - بعد أن قضى الأمر - فليكن ما أردت ؛ ولكنني سأعرف كيف أختار القبر الذي أوسد في ترابه هذا الشباب

- أنت ؟

- نعم

- وكيف ؟

- هذا شأني

- ابنتي ...

- أنا الآن زوجة أحمد أغا ...

وعند ذلك اندفعت إلى غرفتها وأغلقت بابها من دونها . أما هو فحملوه إلى حجرة نومه بين حي وميت

وكانت الأخبار ترد من شتى البلدان منذرة بسوء الحال لوقوف حركة الأخذ والعطاء ، وعجز التجار عن الدفع ، والمتعهدين عن تسليم ما في ذمهم من أعلق التجارة ؛ فلم ير محمد بك إلا أن يقوم ابن أخيه في الحال يطوف بالتعاملين معه لإيقاظ ما يمكن تحصيله من الحقوق ، ولذلك كانت رحلته في هذه المرة طويلة شاقة

على أنه ما كاد يمضي على سفره يومان - وكان ذلك في وقت الضحى - حتى اشتعال هدوء المنطقة وما جاورها إلى حركة مدوية ، وقد ارتفعت الأصوات ، وانفجر الصراخ ، وهرع الناس ينقرون بكل ما يصادفهم من عصي وقضبان على ما يقع تحت أيديهم

من الطبول أو الأواني النحاسية أو غيرها ، وهم يصيحون : الجراد الجراد ، ثم يهللون ويكبرون ومن كان ينظر يومئذ إلى السماء - وهي تكاد تشتعل من الحر - كان يرى سحابة مقبلاً من بعيد ، وكان نحاسي اللون مندجاً بعضه في بعض وهو ينوح كالريح العاتية إذا صادمتها في انطلاقها غابة كثيفة وما كان هذا السحاب إلا ذلك الجراد متماسكاً بأجنحته الصلبة المنبسطة - وبالرغم من ذلك الصراخ والتهليل وقرع الأواني والطبول - فإنه كان يتقدم دائماً نحو هذه المنطقة ، وقد أرسل من تحته على السهل وعلى سطح النهر ظلاً متحركاً فسيحاً ...

ولما أن سامت تلك الكتلة الرؤوس أخذت أطرافها في الضمور شيئاً فشيئاً تاركة فيما بينها فراغاً متقطعاً حتى أصبحت كأنها موشاة بخيوط تتدلى منها على هيئة ذوائب . وعند ذلك أخذت تنفصل عنها وحدات كالرذاذ الذي تطره السحب ، وقد بدأ يتحدد شكلها وتظهر للعين حررتها ، ثم أعقب ذلك تهتك الكتلة كلها وانهارها كوابل خشن له صوت أجش مدوّ ؛ فكانت الحقول على مرمى الأنظار مغطاة بطبقة كثيفة من هذا الجراد . وعند ذلك بدأ الاقتتال وقد علا صياح مختلط مزعج ودوت فرقة وهرس ؛ وكأنما الناس يماولهم وفؤسهم يتصارعون مع تلك الأرض المتحركة المائجة

على أن الدور لم تسلم من هذا الضيف الثقيل أيضاً ، فقد كان ينساب إلى داخلها من أبوابها ونوافذها ومداخلها ، وقد أخذ يتعلق بحوامل الأستار ، أو يختبئ في قماشها وهو يقرضها ويهشمها بينما طوائف منه تثب بين أركان الغرف وتزحف فوق الجدران وقد امتد ظلالها إلى جانبها تاركاً فوقها صوراً مزعجة مخيفة

بساطاً وردى اللون تتخلله شرارات حمراء كأنها
فصوص الياقوت . وكانت الريح قد أخذت تشتد
مقبلة من الشمال ، وقد كاد يختفي قرص الشمس
خلف الأفق ، والأمواج يطنى بعضها فوق بعض /
وهي ترتطم بالشاطئ تحت نافذة البرج

في تلك الساعة الرهيبة شعرت نادر بوقع أقدام
ثقيلة تقترب مقبلة من جانب السلم ، فالتفت لترى
ذلك القادم فإذا به أحمد أغا ، والغضب يتطرق في
وجهه ، والشرر ينبثق من عينيه ؛ وكان على غير
عادته يحمل في حزامه الغليظ غداً وخنجراً برز
طرفه فوق سرواله العنابي فأيقنت أنها عند ساعتها
الأخيرة مع هذا الرجل الذي جعل أبوها منه لها
جلاداً لا زوجاً

ولم يمض على حوارهما أكثر من دقائق حتى
استل خنجره من غمده وانقض عليها كالنمر الجائع
في تلك اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت أو بين
الشقاء والراحة طاف بخاطرها ذلك الحلم القديم
وأما تناجيهما وتستصرخها ، فاندفعت من نافذة
البرج نحو النهر

وعند ذلك أسرع خلفها من نافذة قريبة منه
تطل على المرفأ ، وكان سباحاً ماهراً ، ولكنه
صادف في هبوطه مسباراً غليظاً في حافة زورق مثبت
في الشاطئ فنفذ في مخه ، فذهب غير مأسوف عليه
وكانت النار قد انصلت بأخشاب الحانوت وزاد
هبوبها اشتداد الرياح ، فالتوت نحو القصر بحيث
لم تمض ساعات حتى استحالت إلى شعلة هائلة كأنها
خارجة من فوهة بركان

وهكذا لم يبق من هذا القصر الذي كان زينة
القصور إلا هذا الطلل القائم يندبه حسن ويكيه
محمود ضيرت

(القاهرة)

(٢)

وعند ذلك أيقن محمد بك باستحالة النهوض من
هذه العثرة التي قضت على ثروته وآماله . وكان لا يزال
مريضاً على أثر تلك الحادثة التي تقدم ذكرها ؛ فكانت
هذه الصدمة الجديدة القاضية على حياته ، وقد اختنق
وجهه وعسر تنفسه ، ثم سقط في نوم ثقيل لم يبق
بعد منه ...

أما أحمد أغا فكان فارس الميدان يصول ويجول
في الدار بحكم الشركة وبحكم المصاهرة . وكانت
نادر كل - وهي في ثوب حدادها - تفكر في أمر
هذا الزوج العاتي معها وفي غيبة حسن عنها ، ولكنها
كانت لا يزال أمامها شهر حتى تنقضي مدة الأربعين
التي تنتهي بها أيام الحداد ؛ وقد يعود حسن في
خلال ذلك فتدبر معه أمراً للخلاص من هذا الرجل ،
ولكن حسناً لم يعد ؛ وأخذ أحمد أغا يلح عليها
ويستعجلها ، وهي تسوف وتنتحل المعاذير لهذا
التسويق

وفي عصر يوم من الأيام كان في حانوت الخشب
القائم على حافة المرفأ من الجهة المقابلة للدار ويده
مقبض النارجيلة ينفث دخانها منه في الهواء ، وهو
يفكر في أمر تلك الفتاة الحرون ، ويعجب كيف
- وهو القوى البطش القوى السلطان - تغلبه
على أمره ، وتضع بينه وبين ساعة العمر التي ينتظرها
سداً من تلك الأسباب والمعاذير ؟

وعند ذلك ثارت نائرة وصعد الدم إلى وجهه
فنبذ النارجيلة بعيداً ، ونهض مسرعاً نحو الدار غير
شاعر بأن حركته هذه قلبت النارجيلة ، وبعثرت
قطع فحمها الملهبة فوق أرض الحانوت

في تلك اللحظة كانت نادر كل عند النافذة
والشمس تؤذن بالمغيب ، وقد مدت على سطح الماء

أَمِيرُ إِمَامٍ

أَقْصُوصُ مِصْرِيَّةٍ لِلْأَسْتَاذِ فَخْرِي أَبُو السَّعُودِ

وهزتها فانفجرت الفتاة
غيطاً تقول : « نفثش
عليه فين دلوقت والمخاليق
نايمه ؟ انت انهيلتي
والا إيه ؟ »

فلما يئست منها
صبيحة صعدت إلى
السطح ، وكان ضوء
القمر يغمره ويغمر
ما عليه من أحمال الخطب

و (كيزان) الدرة وأقراص (الحيلة) ، ويمتد إلى آخر
البلدة . وكان يقوم في وسط البلدة مئذنتا الجامع القبلي
وجامع العمدة البحري وتراءى من بُعد أشجار
السرو والتخيل ، وانحدرت صبيحة عدداً من
الدرجات ومشت إلى الباب وفتحته قليلاً قليلاً .
فلما تأكدت من انقطاع الرجل خرجت تتلفت يمنة
ويسرة ، ثم دلفت إلى الطريق الواسع وكان يسير
محاذياً فضاء كبيراً تمتد فيه البيادر ، وما تزال النوارج
قائمة فيها كالأشباح القابعة وسط المحصول وتسالت
بجانب الحيطان متضائلة ململمة ثيابها لا يبدو منها إلا عين
أو عينان حتى صارت على مقربة من دكان قائم بجانب
جزيرة ضخمة ، تنبسط أمامه بركة واسعة تتلألأ
كالفضة في ضوء القمر الصافي ، ووقفت صبيحة على
مدى تستمع إلى حديث القوم المتجمعين أمام الدكان
لعلها تميز صوت ابنها ، فقد كان من عاداته أن يسهر
هناك ، ولكن لم يطل بها الوقوف حتى لمحها القوم ،
وانتصب أحدهم قائماً فسطع ضوء القمر على مقدمة
لبدته وفوهة بندقيته المدلاة خلف كتفه ، وصاح :
« مين اللي هناك ده ؟ » فارتدت صبيحة على أعقابها
مسرعة إلى الدار ، ولكن الخفير ارتأب في أمرها
ولا حقها أمراً بالوقوف مهدداً بإطلاق النار ، فلما

كان القمر يرمي شعاعه من طاقة في الدار على
جسم مضطجع بين الجلوس والرقود ، مشتمل
بجلايب سوداء ، ومضى هزيع من الليل وقامت
جلبة بين الأوز في حظيرته ، فانتبهت صبيحة من
غفلتها بين النوم واليقظة ، بين أحلام النوم المخيفة
وهواجس اليقظة المؤلمة ، ورفعت الثوب عن وجهها
فبدا جميلاً فاتناً أبيض ممتلئاً ، وإن كان الهم والقلق
مرتسمين في عينيها ، وقامت إلى جانب من الغرفة
مظلم قليلاً ، وكانت تستطيع أن ترى من بعد أن
الفراش الذي أعدته هناك كان ما يزال كما أعدته
لم يمسن ، ولكنها لم تقتنع حتى تحسسته بيدها
فوجدته خالياً

وتهدت واتجهت إلى جانب آخر من الحجرة ،
فعمرت بجسم متمد فاهوت إليه تهزه قائلة :
« مبروكة ، بت يا مبروكة ، اصحى يا بت أخوك لسه
ما جاش » ، فانتبهت الفتاة بعض الانتباه وقالت :
« طب وأنا مالي ؟ حا عمل له إيه ؟ » ومشت صبيحة
إلى رف غائر في الحائط فاستخرجت منه حبرتها
الريفية القديمة المهدد ، فالتفت بها وعادت تقلق
مبروكة التي كانت قد انقلبت إلى جانبها الآخر وراجعت
نومها ، قالت : « قومي يا بت نوسيني ، قومي نفثش عليه »

أدركها كشفت عن عينيها قليلاً ونظرت إليه
فارتد الرجل القهقري وقال: «سا الخير يا أم
إمام» فسأله هل رأى إماماً؟ فأجابها بالنفي،
فتركته وأسرعت عائدة، ووقف الرجل يتأملها
ملياً وهي تبتعد عنه، ثم عاد إلى رفاقه وهو يتحرق
أسى على أن لم يطل حديثه معها أكثر مما كان،
وجعل يصف لأصحابه سحر عينيها وفتنة منظرها
وتأثير كلماتها ويبدى ويعيد في ذلك، وقد أثار
وصفه لهفة القوم فاستزادوه، وراح كل منهم يصف
كيف رآها مرة وكيف سحره جمالها، ولا غرو
فقد كانت صبيحة مازال تحتفظ بجانب وافر من ملاحظتها

ولدت صبيحة في بيت عنز، فقد كان أبوها
عمدة القرية ثم خلفه أخوها بعد موته، فنشأت
مدللة ناعمة، وعرفت بالجمال البارع من صغرها،
وجبلت روحها على المرح والحبور، فكانت قرة
عين أهلها ومتعة نفس من رآها، وكان السرور
والضحك يتبعانها حيث ذهبت، تبتسم لكل من
رأت وتداعب كل من عزفت؛ على أنها ما كادت
تبلغ العاشرة حتى خيف عليها من الحاسدين والأشرار
فأسدل عليها الحجاب الذي هو ميزة بنات الأعيان
في الريف، ولكن الحجاب لم يتغلب على الحبور
المركب في طبعها، فكانت تغتنم كل فرصة في أطراف
الليل والنهار لمجالسة أترابها ومفاكهة قريباتها
وتكاثرت خاطبوها لما كان يملأ القرية كلها من
حديث جمالها ولطفها، ثم فاز بها مزارع غني كان
أبوها الفاني في حاجة إلى معونته ليتخلص من بعض
ديونه، وكان ذلك الزوج، على تقاه واستقامته، شكس
الطباع غبوس الوجه ضارم العادات، لقيت صبيحة
المرخة المطراب في معاشرته عناء، وكبحت ميولها
كبحاً، وبدأ الوجوم وشروذ الدهن يحلان محل
مرحها وسرعة بديتها؛ وكانت أحياناً تضيق بأفعاله

ذرعاً فتغضب وتلوذ ببيت أخيها العمدة الجديد على
الرغم منها، وهناك كانت تقع بين نارين، فانه لم
يكن بين زوجها وأخيها إلا الجفاء والنفور، وكان
كلاهما عنيداً مستكبراً، فلا هذا يأتي لاسترجاعها
ولا ذلك يخاطبه في شأنها، وكانت لشعورها بالخرج
في بيت أخيها ترهق نفسها بالامتناع عن الأكل
والاحتباس في بعض الحجرات، فينال ذلك من صحتها
ورزقت صبيحة من الشيخ إبراهيم ابنها مبروكة
ثم ابنها جباراً وإماماً، وإذا كانت الأم تؤثر ابناً على
ابن فقد كان إمام لا شك أحب أبنائها إليها، لأنه
كان الأصغر ولأنه على صغره كان يفوق أخاه بسطة
جسم ووفرة عقل وشجاعة قلب، وما زال تذكر
كيف كان في صغره يتحمل من الآلام ويؤدي من
المهمات ما ينكل عنه أخوه، فهو يوم طعما ضد
الجدري تحمل مبضع الحجام بمنتهى الثبات بينما ملأ
أخوه الدار صياحاً، وهو كان يتطوع بالخروج
ليلاً لشراء التبغ لأبيه حين يفترق أخوه من
مجاورة عتبة الباب، وهي لا تنسى كيف أرسلتهما
يوماً إلى السوق الأسبوعية وعهدت بالنقود إلى جابر
لكبره، فعادا وقد غبن جابر في الصفقة، ولما أزداد
أن يعطيها بقية النقود اتضح أنه قد فقد الكيس
في عودته، فأرسلت إماماً إلى السوق مرة أخرى
فأعاد إلى الجزار لجه المتن، وفي عودته عثر على
الكيس على قارعة الطريق، وكان من حسن الحظ
أن لم يره أحد من المارة في ذلك اليوم المزدهم
وازدادت صبيحة تعلقاً بصغيرها لما مات أخوه
وصار إمام وحيداً، وقد واظب أبوه على إرساله إلى
مكتب القرية حيث حفظ جانباً كبيراً من القرآن
الكريم، وكان خاله العمدة يستطيب الاستماع إلى
تلاوته، ولما علم بعزم أبيه على قطعه عن المكتب
واستلحاقه في عمل المزرعة، أسف وهم أن يشير على
زوج أخته بأن يكمل تعليم ابنه، ولكنه كان يعرف

والحرية والنسيم ؛ وكان وهو يتقلب في فراش الداخلية الناعم يتوق إلى الاضطجاع على قبة القرن ، وإلى الاستيقاظ صباحاً مع الطيور المغردة والأشعة المتوهجة ، فإذا دنا موعد إحدى العطلات راح يعد الأيام عدا وعاد إلى أهله مسرعاً ففتلقاه أمه بذراعيها مفتوحتين وتضمه ضمّاً طويلاً تشفي قلبها وتدفي صدرها بقربه وكان يقضى العطلة في بهجة مستمرة ، يقضى النهار في الحقول يساعد أباه ويقلد الفلاحين في كل ما يفعلون ، يسوق الماشية ويركب النورج ويعزق الأرض ، ويدير البدالة لرى الزرع ، ويضطجع معهم ساعة القيلولة تحت ظل الشجر ، ويؤاكلهم ويستمتع بأغانهم وينصت إلى حكاياتهم ، وهم أشد منه حبوراً بوجوده بينهم ، وأشوق إلى الاستماع إليه . كان يغبطهم على حياة الطبيعة والحرية التي يحبوها ، ويود لو يستبدل الفأس والمقطف بالقلم والكتاب ، وهم يغبطونه على حياة الراحة والدعة والنظافة والتنوير التي يحياها ويتمنون لو استبدلوها بحياة الكد المستمر حتى إذا ما قاربت العطلة نهايتها بدأ يعاوده الهم وينكسف باله ؛ وتبدأ أمه في الخبز والطهي والشراء والحزم والربط ، تُعدُّ له زاداً وفيراً من طيبات الريف ينتظره زملاؤه بفارغ الصبر ، وتودعه ويودعها وعبرتهما تجري ، وتظل أياماً بعد ذهابه حزينه القلب دامعة العين ، ويظل أياماً بعد عودته إلى المدرسة وابتداء الدراسة كثيباً آسفاً على دنيا السعادة والحبور التي خلفها وراءه ، مشتاقاً إلى العودة إليها ، مستنقلاً كل علم ، مستردلاً كل معلم ، نافرأ من صحبة زملائه الثائرة ، ميالاً إلى العزلة ، حتى يتضاءل صدى الريف في ذاكرته شيئاً فشيئاً ، وينغمر في الجو المدرسي من جديد

وإنه ليلعب في الفناء مع زملائه يوماً إذ دعاه ضابط المدرسة وسلمه برقية ، ففضها وقرأها فإذا هي تنمى إليه والده ، نخف سريعاً إلى قرينته فوجد

نفسية الرجل ، كان يعلم أنه يعتمد مخالفة اشارته كبرياء وخشية أن يقال إنه ينقاد لآرائه ويأتمر بأوامره لكونه العمدة

وكان للعمدة صديق متعلم من أهل المركز يزوره بين حين وآخر ، وكان يحب إماماً حب العمدة إياه ولا ينسى أن يتحفه بهدية كلما جاء ، وقد ذكر العمدة لصديقه همّاماً ما اعتزمه أو مانفذه فعلاً الشيخ إبراهيم ، من قطع إمام عن المكتب وتشغيله في الزراعة ، فنهض همّام افندى إلى أبي الولد في حقله ، وكان هذا الأخير يجله ويحبه لعطفه على ابنه ، وبعد أن لطف همّام الغلام ودفع إليه هديته المعتادة ، قال لأبيه مترفقاً في الخطاب : « ابنك ده خسارة في الغيط يا شيخ إبراهيم ، ابنك ده ح يبقى باشا انشاء الله ، تعال يا امام باشا ! » فوقع قوله من نفس الرجل موقعاً حسناً ، وبرقت أساريره طرباً وقال : « انت تشوف كده يا حضرة الافندى ؟ » قال : « امال ؟ باذن الله يمكن مصر تتحرر على يديه ! »

وكان الغلام يعلم أن همّاماً يمتدحه امتداحاً كبيراً فأطرق خجلاً وإن لم يدر معنى كلمة « تتحرر » هذه وحر في تفسيرها ، وظنها مشتقة من « الحر » ولم يدر أى علاقة له بمصر ، وإنما ظن أنهم يريدون إرساله إلى مصر القاهرة للتعلم ، وظل بعد ذلك كلما رأى همّاماً يتذكر كلمة « تتحرر » هذه ، ويهم أن يسأله عن معناها ، ولكنه ينثنى خجلاً ، واشترى له أبوه كل ما يلزم ، وتوالى همّام إدخاله المدرسة الابتدائية بالمركز ، وانتزع من حضن أمه انتزاعاً ، ولم تكن لترضى بمفارقتها لولا صرامة والده التي لا تقبل اعتراضاً ، ولولا لقب الباشوية المنتظر

وغاب إمام عن أمه شهوراً ، وكان لا يعود إلى القرية إلا في عطلات العيد ونصف السنة والصيف وكان رغم تفوقه المستمر على زملائه يحقت قيود التعليم ويحن إلى العودة إلى القرية ، إلى الحقول والترع

وعودته إلى القرية ، وكان في كل مرة يخترع لأمه عذراً مختلفاً ، من ادعاء العطلة أو التظاهر بالاحتراف فلا تغلظ عليه بل تسرها رؤيته على كل حال كان امام قد دخل في سن المراهقة الذي تتغير فيه طبائع الناشئ تغيراً كبيراً وتبدل نظره إلى الحياة ، وكان قد نما جسمه وامتدت قامته وصار شديد العناية بمظهره ، وكان في تلك المرحلة الخطيرة من حياته في حاجة إلى يد حازمة تلزمه جادة الصواب ، وكان خاله يعلم ذلك ولكن كل جهوده ذهبت هباءً أمام حنان الأم الجاهلة المفرط ، وانهت العام الدراسي بسقوط امام في امتحان الشهادة الابتدائية ، وعلم بسقوطه وهو في القرية فأعلن أنه لا يريد معاودة الدراسة ، وأصر على البقاء في القرية لإدارة أملاكه التي ورثها عن أبيه

وضرب بنصائح خاله وبفضبه عرض الحائط وتولى بنفسه تأجير الأرض وأشرف على بعضها بنفسه ، وبذل في ذلك كل جهده ، وأقبل على العمل بحبه المتأصل لأعمال الفلاحة ، وساعده تنوره الذي اكتسبه من الدراسة بحيث نجح في أعماله في السنة الأولى نجاحاً طاراه لب أمه فرحاً وطال عنقها تها ، وكان حديث أهل القرية : وفرح له العمدة ذاته وازدهى وزال ما كان بينه وبين ابن اخته من جفاء ، وصار امام معبود القرية ومكان الاحترام من شيوخها وموضع المحبة من شبانها ، ومطمح أبصار فتياتها ، وما لبث أن صار له من أولئك أصحاب ومن هؤلاء صاحبات

غير أن من صفات الشباب غير المحرب الترجيح بين الطرفين ، والتراوح بين التقيضين ، فأعقب النجاح الذي أصابه امام في عامه الأول دماراً شديداً في عامه الثاني ، فقد اندفع في طريق الاسراف والتبذير ، وبألف في شراء فاخر الثياب وأنيق الأثاث وزاد فأولم الولائم وذاق الخمر وأدمن السهر وغفل

معالم المآثم قد قامت حول داره ، ودخل إلى أمه فقامت إليه تضمه وسط غبراتها المتدفقة ، وكانت قد ابست ثياب الحداد السوداء وشدت على رأسها منديلاً أسود بدا فيه وجهها الأبيض شديد الفتنة ، وكانت هي التي أصرّت على استدعاء امام بينما كان خاله العمدة يرى ألا يزجج الغلام بهذا الخبر فجأة ولا يقطع عن دروسه في غير جدوى ، ولكن عاطفة أمه التي أثارها هذا المصائب المفاجئ لم يكن يبردها إلا أن تتعزى برؤية ابنها امام وضمه إلى صدرها ملياً استمر المآثم أياماً وتوافد إليه المعزون من أطراف البلدان المجاورة ، ثم انفضت معالم الحداد ومر أسبوع وتلاه آخر ، وإمام وأمّه يواظبان على زيارة قبر والده والتصدق على الفقراء عنده وتلاوة القرآن ، وتولى العمدة النظر في شأن الأملاك التي تركها المتوفى ، وترك امام إليه أمر إدارتها وتأجيرها لمن يشاء ، إذ لم يكن امام إلى ذلك الوقت إلا حدثاً لا يهتم إلا بمتعات الحياة الروحية ، ولا يلتفت إلى المادة ولا يحفل بالسال ، واستمر المآثم بالريف واستراحت أمه إلى وجوده بجانبها ، وكانت رؤيته بقوامه المعتدل وزيه الحضري تملأ نفسها غبطة وتعزيتها غن فقدان بعلمها ، وهي التي لم تلق من بعلمها في حياته ما تطمح إليه أنوثتها من عطف ورعاية حتى لمح العمدة ابن اخته يوماً يسير بعض الفتيان من سنه ، فعجب من استمرار إقامته في القرية ؛ وفي عصر ذلك اليوم زار اخته في دارها وألح عليها وعلى امام في ضرورة عودته إلى مدرسته ، وكان امام يهاب خاله ويستحي منه فلم يسعه إلا الإذعان على كرمه ؛ بيد أن العطلة الصيفية مالبثت أن حلت وعاد امام إلى القرية كعادته ، ولم يرجع إلى مدرسته في مستهل العام الدراسي إلا بعد إلحاف خاله الذي دفع له المصاريف وأعد له كل شيء ، ولكن تكرر بعد ذلك انقطاعه عن المدرسة

عن الميرى وشرة» ، قال : « مش انت ياولية اللي عايزه الوصاية على ابنك قبل ما يفرتك الفدانين ؟ » قالت : « يفرتكهم يفرتكهم فداه ، وصاية على مين يا خويا خلا الشر ؟ دابقي ماشاء الله طول وعرض . اللي ماحجرنا عليه وهو عيل ح نحجر عليه بعد ما بق أطول منك ؟ »

بهت الرجل لهذا التناقض السريع الذي لا يقدر على مثله إلا النساء ، ولا يكاد يتصوره الرجال ، وكان رغم إخلاصه لأخته وابنها وحرصه على مصالحهما ، يتوقع بعض النفع من وراء إدارة أملاكهما الواسعة وأحس الآن أن خوف أخته من انتفاعه بالأرض هو سبب تغييرها رأيها ، وغازله تنبها إلى نيته ، وهاجته ارتياها في ذمته ، فقام غاضباً وهو يقول : « أما انت يا صبيحة زدتها لحد ما خلقتي الواحد مش عاوز يبص ف وشك ! ليه ما قلتيش كده قبل ما اسمى واحنى ؟ أودى وشي فين دلوقت من الناس اللي اترجيتهم ؟ معلش ، النوبة الجاية ابقى تفي ف وشي إذا كنت أمحشر لك في حاجة والا أعتب باب دارك حتى »

وكان أخوها لا يزور بيتها في حياة زوجها لما كان بين الرجلين من تدابر ، فلما مات الشيخ ابراهيم أصبح العمدة يتردد على صبيحة من حين إلى آخر يؤانسها وينظر في حاجاتها ، أما بعد ذلك اليوم فإنه برّ بقسمه ولم يدخل بيتها بعد ذلك ، ولا يدخل في شؤونها التي سارت من سيئ إلى أسوأ ، فإن إماماً تمادى في غيه ، وأتى التبذير والشراب وزيارته للقاهرة على فدادين أبيه واحداً فوحداً ، فلم ينقض عامان حتى تلاشت تركة أبيه التي تركها باسمه ولم يكتب قيراطاً واحداً منها باسم زوجته ، والتفت الشاب إلى حلي أمه يسرقها تارة ويحتال عليها فيها طوراً ويغتصبها إياها حيناً ، حتى أملت الأسرة وصارت في شر حال ، وتقلصت عن الدار ظلال النعماء ،

من شؤونه ، وكانت أمه تنصحه نصحاً ضعيفاً يغرى بالتمادي ، وتمانعه ممانعة أثنوية تحرض على العناد والاسترسال ، وكان التعليم الذي ظفربه وحبره - ته قد رفع عقليته عن عقليتها درجات ، وزاد قوة إرادته على إرادتها أضعافاً ، وأصبح ينظر إليها من عل نظرة يمازجها الرئاء والازدراء

وما راعها إلا أن علمت ذات يوم أن ابنها قد باع فداناً وقبض ثمنه منذ أسابيع ، فهرعت إلى أخيها تستنجد به ، فأشبعها تعنيفاً على أن لم تستمع إليه من بادىء الأمر ، وأكد لها أن ابنها لن يفلح إلا أن يعود إلى دراسته ويثابر على ما أعد له وعرض عليها أن يتولى الوصاية عليه ويعيده بالرغم منه إلى المدرسة ، ويتولى عنهما إدارة أملاكهما حتى يشب الفتى فيسلمها إليه ، فارتاحت إلى ذلك الحل وشكرت أخاها ودعت له خير دعاء ، وقصد العمدة من غده إلى المركز واتخذ الاجراءات التمهيدية وقابل بعض أصحابه ليساعده على إنهاء العمل بالسرعة المنشودة ؛ بيد أن الخبر تسرب إلى إمام ، فتودد إلى أمه وقدم إليها ما بقى في يده من ثمن الفدان الذي باعه ، وأعلن توبته عن كل ما لا يرضيها وأكد لها أنه سيهجر أصحابه الذين لا زعمهم في أيامه الأخيرة ويعود إلى الاستقامة التي كانت سبب نجاحه الباهر في عامه الأول ، وخيل الفتى لأمه أن غرض خاله إنما هو الانتفاع بالتصرف في أملاك أبيه ، ثم وضع يده عليها نهائياً

وجاء العمدة بعد أيام يزور أخته ويشرح لها ما اتخذ من خطوات ، وطلب إليها أن تستعد في الغد لترافقه إلى المركز للشهادة وإتمام كل شيء ، فقالت : « أنا مش رايمه ولا جاية ، ح تقعد نجر جرنى فين ؟ » قال : « ما فيش جرجره ولا غيره ، دى كلمة والر د غطاها ، عشان شغل الميرى كده » قالت : « وأنا إيش زتقنى على شغل الميرى ؟ خليني بعيدة

وارتدت كالحة حقيرة المحتويات ، فارغة الحظيرة إلا من بعض دجاجات وأوزات

ولما أعت إماماً الحيل في الحصول على النقود اتجر بالمخدرات فربح منها أموالاً طائلة ، وكانت له في تجارتها مغامرات كثيرة ، واستهدف لأخطار لم يُنبجها منها إلا ذكاؤه حيناً ، وإغضائه خاله حيناً آخر ، ثم تهادى في الفتك فصار يسطو على الدور ويسرق الغافلين ؛ ثم أسرف فصار يؤجر نفسه لمن يريده ليقول من يطلب إليه قتله نظير عشرات الدنانير وكانت مواهبه الجسمية والعقلية المشهود له بها منذ الصغر خير معوان له على اجتراح آثامه ، وصارت له في القرية رهبة محوطة بالإجرام ، بعد أن كانت له هيبة محفوفة بالعطف والإعجاب ، ولم يعد أحد يجروء على الوقوف في طريقه ، مخافة لطاماته القوية نهاراً ، أو نار بندقيته في غلس الظلام

عادت أم إمام بعد محادثتها القصيرة مع الخفير الذي برز لها من دكان متولى إلى دارها ، ولكن الفزع كان مستولياً على نفسها ، والرحلة القصيرة ونسيم الليل المنعش قد نبها أعصابها ، فلم تحس حاجة إلى النوم ، وإنما وقفت برهة وراء الباب الموارب ترقب الطريق ، ثم تعبت فجلست في مكانها وعيناها شاخصتان إلى الخارج ، ونسيم الليل البارد يضرب حدقتها وأنفها فتغورق عيناها بالدموع ، وطال بها الجلوس ومال القمر إلى الأفق وخفت لونه ، ثم تعالى أذان الفجر من المئذنة البحرية يشق أجواز الفضاء فيزيد السكون خشوعاً ورهبة ، وانتهت أم إمام على صوت المؤذن الصارخ ، فإذا هي كانت قد غلبها النعاس في موضعها ، وقد حلت أكثر من مرة أن إماماً قد عاد وأنها عاتبه على طول تغيبه ، وكانت مرة تراه نادماً يمدّها بالإقلاع ، ومرة تراه صاخباً يسكتها ويتهددها وتتابع الأذان : « الله أكبر ! الله أكبر ! »

وجاوبه صدى ضعيف من المؤذن الآخر على الجامع القبلي : « حي على الصلاة ! حي على الفلاح ! » ونهضت أم إمام من جلستها ، وودت أن تستطيع الصلاة ، فتستغفر لابنها وتسال الله أن يهديه ، وكم توسلت إلى زوجها في حياته أن يعلمها الصلاة ، فكان يسخر منها ويقول : « ما بقاش إلا النسوان كان رح يصلوا ! » بكره يعملوك إمامة جامع والامأذونة ! » وإذا حرمت المسكينة هذه الوسيلة للاتصال بخالفها ، لم تجد أمامها إلا الرقى والتعاويد والبخور والندور ، وقد أنفقت على هذه الأساليب السحرية - قصد هداية ابنها - كل ما استطاعت أن تخفيه عنه من دراهم

وخفقت أقدام الناس في الطريق مسرعين إلى الجامع ، فلم تر أم إمام بدا من الارتداد عن الباب بعد أن قضت الليل في عناء ولم تظفر بطائل ، وإذا شاب طويل القامة حسن البزة يلبس (كوفية) بيضاء وحول كتفيه عباءة ثمينة وفي يده (بارودة) ذات (ماسورتين) يندفع إلى الباب ، وقبل أن تراه أم إمام على الضوء الضئيل الذي كان مزيجاً من شعاع القمر الغارب وشعاع الفجر المستهل ، دفع إمام الباب بيده القوية فخطها الباب في جهتها ، فلما تنبه إلى وجودها صرخ في وجهها : « خبر إيه ياوليه ! انت برضك ما مبرألي هنا زي أم قويق ؟ أنا غرضي أفرغ البارودة دي في بطنك في يوم من ذات الأيام ! » ودخل بخطى رحيبة قوية ، ودخلت وراءه مهرولة ويدها على رأسها وهي تقول : « الحمد لله يا خويا اللي جيت بالسلامة ! ألف حمد ! دانا كان على نافوخي كابوس وطار ، أجهز لك لقمة يا خويا تاكلها ؟ » قال : « جاكي سم ف بطنك ! غوري عن وشي بلاش دوشة أنا عاوز أستريح شوية ، وإياك انت والا الفجر بتوعك اللي بييجوا هنا يدوشوني أقوم أقطع اصداغكم ! » ومشى إلى فراشه الذي كان ينتظره طول الليل ، وعلق البارودة على الحائط ، وأخرج

من جيبه صرة مفعمة وضعها تحت وسادته ،
وتهدت أمه وهي تراقبه ، وخلع حذاءه وجلبابه ،
وجر اللحاف على جسمه واستغرق في النوم
وبدأت خيوط الصباح البيضاء تنتشر في كل
مكان ، وراحت العصافير تسقسق على عيدان القطن
الجافة فوق الدار ، ومشت أم إمام إلى ابنتها مبروكة
وأيقظتها في رفق ، وأمرتها أن تأخذ (المقطف) وتلحق
بزميلاتها ، فقد كانت صواحبها قد وعدنها بالمرور
بها صباحاً ليذهبن سوياً إلى السوق الأسبوعية ،
وخشيت أم إمام أن يزجج ابنها دقهن بالباب ولغظهن .
وغسلت مبروكة وجهها في عجلة وصمت وعبوس ،
وخرجت دون أن تحدث أخاها أو يحادثها ، وقلما
كانا يتقابلان أو يتحادثان ، بل كان بينهما جفاء
ووحشة ، وكانت مبروكة تتقي شره بمجانبتها

وظلت أم إمام تروح في الدار وبجي وتصد
وتهبط ، تنجز أعمال الدار ، وهي التي لم تعد معظم
حياتها أن تمد يدها إلى خسيس الأعمال التي تراولها
الآن ، حتى اعتدل ميزان النهار ، وجاءت بنت
جارتها تستعير منها المنخل ، وشرعت تقص لأم إمام
قصة طويلة فطلبت إليها هذه أن تخفض صوتها ،
وأخبرتها الفتاة أنها قد عادت من السوق حيث
سمعت الناس يتحدثون بمقتل شيخ البلدة المجاورة
على يد عصبة من الأشقياء سرقوا معظم ما وصلت
إليه أيديهم من أمواله ومتاعه ، فدق قلب أم إمام
كمادتها لدى سماعها خبر جريمة أية كانت ، مخافة أن
تكون لابنها يد فيها ، حتى لقد صارت إذا حدثها
محدث في أمر جريمة اقترفت تحس كأنه يتهم ابنها أو
يتهمها هي بارتكابها وتهم بالدفاع عن نفسها وعن ابنها
وبجلست إلى الموقد توقده بعيدان من الحطب
(قوالح) الذرة ، وتروح على اللب بذيل جلبابها وتنفخ
فيه بفمها ، وفكرها سارح في الأوهام والخاوف ،
وودت أن تنصح ابنها بالإقلاع عن غيه وابتغاء

الرزق من وجوهه الحلال ، والرضى بالقليل المبروك
عن الكثير المحفوف بالمهالك ، ولكنها كانت تخشى
سورة غضبه إذا تقدمت إليه بمثل ذلك المقال ،
فجلست تحدث نفسها أمام الموقد بما تود أن تحدثه به
وتقول : « ارجع بقى يا ابني يا حبيبي ! ليه بس
الشقاوة دى يا ابني الله يجازى اللي علموك الشقاوة !
حرام عليك دانا عيني مابقت بتدوق النوم ، طول
الليل وأنا قاعدة على العتبة زى الكلبة ! »

وحانت منها التفاتة فاذا إمام واقف وراءها
بقامته المديدة مطرق نحوها في بهم ، وكان قد
سمع طرفاً من حديثها مع الفتاة ونزل السلم قبل أن
تحس به أمه ، فلما رآته أجفلت وتفلت في صدرها
قال : « خبر إيه يا وليه ؟ انت بتخطر في ؟ »
قالت : « بسم الله الرحمن الرحيم ! طربتنى يا إمام
يا ابني ؟ أنا بجهاز لك لقمة أهوه ، احنا بقينا الظهر »
قال : « دق لي شوية ميه استحمى على ما أوصل
لحد دكان متولى وارجع ، وحضرى لى هدومى عشان
رايح مصر ، وهمت أن تتكلم وتطلب منه ألا يذهب ،
وهمت أن تتبعه ولكنه تركها بخطواته المديدة وخرج
ولم يكد يصل إلى دكان متولى ويطلب تعميره ،
حتى أنه خفي يطلبه لموافاة العمدة في الدوار ، وفي
الدوار وجد ضابطاً وبعض الجنود في انتظاره ورأى
بعض زملائه من الأشقياء مغاولي الأيدي ، ورأى
العمدة جالساً يرمقه بنظرة يتطأر منها الشرر ولكنه لم
يخف ولم يتلعثم ، وأنكر الاشتراك في جريمة البارحة
أو في غيرها ، رغم اعتراف الآخرين بعد أن جهوا
بالشهود ووصب عليهم الضابط سوط عذابه ، وأراد الضابط
أن يعامله معاملة الآخرين ، فتناول على قدميه يريد
أن يصفعه ، ولكن إماماً دفع يده في هدوء وقال :
« خليك في أدبك يا أفندي ولا تمدش إيدك عليه »
ودهش الضابط إذ رأى نفسه هذه المرة أمام
شخص متعلم يحترم نفسه ويأبى أن يضرب ضرب

الأسقياء أمامهم ، وظل العمدة في المركز طول النهار فلم يعد إلا في المساء ، ودخل داره وسار إلى السلم ليصعد إلى غرفته وما فوق همه هم ولا بعد غضبه غضب ، كان على حالة لا يدانيه فيها ولا يكلمه أحد من اتقاء شره ، ولكن أخواته المجتمعات في فناء الدار وفيهن أم إمام هبّين دفعة واحدة حين رأيته ، وقد قضين اليوم في مريض وانتظار وتجرّق إلى أخبار إمام ، وتقدّمن إليه وفي طليعتهن زوجه التي قالت وهي تمد يدها متذلة : « والنبي يا أفندي ! » وعند ذلك انفجر سخط الرجل فركلها بعيداً وصاح فيهن : « إخرسي يا مره إنتي وهيه بلاش دجل نسوان ! سودتوا وشنا قدام الخلق ، جا كوا أرف في تربيتكو ! ياريت بايدي وأنا كنت اطلعه المشنقة بنفسى ! »

وتناولت أدوار القضية وانتقلت من المركز إلى القاهرة ، وأم إمام في لوعة وتكّلد لا يهدأ ، تعد الأيام وترقب صدور الحكم كما يرقبه الواصل من البراءة ، وقد تضعض جسمها في الحول الذي مضى على ذهاب ابنها ، وذوى جملها ، وغاض ما بقي من بشرها ، وكان قد تقدم إليها الخاطبون بعد ممات زوجها فردّتهم جميعاً احتفاظاً بشرفها فإن معاودة الزواج لا تليق بالحرّاة في ذلك المجتمع ، لا سيما إذا كان لمن أبناء ؟ وأخيراً أتاهما نيا الحكم وهو السجن خمسة عشر عاماً ، فلطمت خديها وقالت : « يا ضنايا يا عقل امك يا ابني ! كده خالك يرميك الرميّه دى يا ابني ! » قالت ابنتها مبروكة : « وخاله ذنبه إيه ؟ خاله قال لك خليه في مدرسته كان زمانه اتعلم وبقى واحد أفندي يشرح القلب زى ابن الحاج سرحان ! » وكان الحاج سرحان هذا هو شيخ البلد ، وكان ابنه مطمع فؤاد مبروكة التي كبرت ولم تتزوج بعد أن تدهورت أسرتها هذا التدهور ، أما العمدة الذي أتهمته أخته بري ابنها فلعله كان لا يقل عنها كمداً

(٣)

البهايم ، وفيما هو يفكر تقدم إليه شيخ البلد وهمس في أذنه أن الشاب ابن أخت العمدة ، فبدأ الأسف على وجه الضابط ، ونظر إلى العمدة الذي كان مطرقاً صامتاً ، ولم ير الضابط حاجة إلى إطالة الموقف إزاء ثبوت الأدلة ، واستأذن العمدة في تفتيش دار إمام وعرض عليه العمدة أن رافقه ، ولكن الضابط أعفاه من هذا العمل المؤلم ، وكأنه كان يعلم يمين العمدة ألا يزور دار أخته أبداً أدفأت أم إمام الماء كما أمرها ، ولكنه لم يعد وطال غيابه وعاودها القلق ، فقد كانت حياة المسكينة سلسلة متتابعة من الهواجس والخوف ؛ وإنها كذلك إذ دخل إمام خفق قلبها ونظرت إليه نظرة البشر والأسف والاستعطاف المترجّة التي اعتادت أن تستقبله بها ، ولكن ما راعها إلا دخول الضابط وجندي وخفير في أثره ، وطلب منها ابنها أن تخلّي الطريق ، فتقهقرت أمامه مذعورة ، ثم صاحت وهي تنكمش في بعض الأركان ، وتحنّ وجعها بطرف وشاحها : « كده يا إمام مش قلت لك ارجع ! كده جه كلام الأم ف محله والا لأ ؟ تستاهل ! والله بركه ! لاجل تعرف وتحرّم ! »

وسرعان ما خرج الجميع ثانية وقد حمل الجندي بندقية إمام ورضاصه وصرة النقود التي كانت في ثيابه ، وما عثروا به من نقود صبيحة المسكينة ، ولم يلبث غضبها الذي ثار على ابنها أن تلاشى ، إذ رأيته يخرج أمامها وسط الجنود أعزل صامتاً ، فدقت على صدرها وقالت : « يا روحى يا ابني ! يا عقلى يا خويا ! واخديتك على فين يا ابني ؟ سايبني ورايح فين يا امام ؟ » وهمت أن تخرج جارية وراء القوم ، ولكن خفيراً كان قد تخلف بالباب بإشارة العمدة أو إشارة الضابط ليمنعها من الخروج ، وكان هو الخفير الذي قابلته في ضوء القمر ، فذابت نفسه حسرة لما رأى في وجهها الجميل من أمارات الجزع والوله وذهب المحققون وفيهم العمدة إلى المركز يسوقون

لذلك الحادث ، لا حزنا على إمام ولكن أسي على ما أصاب شرف أسرته وشرفه من مهانة ، وقد أصيب منذ ذلك اليوم بفالج كان يلزمه الفراش من حين إلى آخر ، وكان الحاج سرحان يقوم عنه بأعمال القرية الرسمية ، ويتمنى موته من يوم لآخر كي يخل محله نهائياً ، وتم له ماتني ، فمات العمدة كدأً وكان ابنه ما يزال قاصراً ، فانتقلت العمودية إلى أسرة سرحان وبذلك اجتمعت المصائب على أم امام المسكينة: فقدت ابنها وضاعت ثروتها ومات ذووها واحداً بعد واحد ، وذوى عودها وانحني ، وتقدم إلى مبروكة خاطب هو مرسى أحد أصدقاء إمام فقبلته على مضض مخافة ألا تجد سواء من بعده ، وأقامت أم امام وحدها في الدار ، وقد تحولت تلك الزهرة اليانعة التي زفت إلى الشيخ إبراهيم منذ نحو ثلاثين عاماً عجوزاً شمطاء يقذيك منظرها وتشمثر من ابتسامها إن هي ابتسمت كما تشمثر من عبوسها ، وما لبثت ابنها بعد سنوات من الحياة الزوجية المنغصة أن ماتت وفقدت أم امام آخر قريب ، ولم تعد هي نفسها إلا ميتة على ظهر الأرض ، لا حديث لها إلا حديث الحزن والهم والتحسر على ما فات ، ولا تنتقل من ماتم إلا إلى ماتم ، ولا يطيب لها إلا البكاء والاشتكاء وزيارة المقابر ، وهي التي كانت في مستقبل عمرها لا تعرف إلا الضحك ولا تألف إلا الطرب

على أن أمل أم امام في الحياة مازال قوياً كما مال أنضر الشابات وأسعد الفتيات ، يتمثل ذلك الأمل في إمام ، ويتجمع حديثها حول إمام ، ويتطرق كل موضوع تطرقه معها إلى إمام ، فإذا قال لها قائل إن ثمن الدرة ارتفع ، قالت إنه لم يرتفع هكذا منذ ذهب إمام ، وإذا سألتها سائل أها مأرب في الحج قالت إنها ستفعل متى عاد إمام . فبينما كان إمام بسوء مسلكه في السجن وتعديه على السجناء يطيل مدة مقامه فيه كانت أمه تقصر هذه المدة في وهما ، حتى لم يعد

بينها وبينه إلا خمسون يوماً ، وكانت دائبة تربي الدجاج والأوز وتناجر فيها في كل سوق أسبوعية ، وتجمع لها الحشائش من شطوط الترغ وأطراف الحقول ، وتقتر على نفسها وتدخر لإمام وعلمت من سجين عائد أن زيارة ابنها ممكنة ، فها هي إلا أن مشت إلى موسى زوج ابنتها المتوفاة تسأله أن يرافقها في تلك الزيارة ، فأبى وتعلل بكثرة العمل ، ثم رضى على شرط ألا ترافقه وأن يأتيها هو بأخباره ، فاحتفت بصنع أنواع المأكولات وحملها الرجل على حماره ومضى حتى جاوز القرية المجاورة وقد اشتد وهج الظهيرة وختل السكك من المارة ، وإذا هو يحس إنساناً يتبعه ، فالتفت فإذا أم امام سائرة وراءه ممسكة بذيل الحمار تجتهد في ملاحقته ، فقال الرجل : « بسم الله من الشيطان ! أنت طلعتي منين يا شيخه ؟ » وألح عليها في الرجوع فلم يفلح ، واضطر إلى قبول الأمر الواقع ، وانطلقا حتى بلغا السجن وسمح لأهل المساجين بالمرور أمام سياج حديدي يطل المسجونون من خلفه ، ولا يسمح باتصال الحديث بين الفريقين أكثر من دقائق معدودة ، ولم يكن إمام متعوداً أن يزوره أحد ولا كان ينتظر أحداً ولكنه كان واقفاً بين المساجين يتفرج على ما يجري بينهم وبين أقربائهم ، وإذا هو يلمح موسى فجأة فناداه مبتسماً محيياً ، ورأته أمه على ضعف بصرها طويلاً يفرع الرجال الآخرين عظيم الشارين يدل منظره على العتو والاعتداد بالنفس ، فلو جتده بيدها صائحة بقول ضاع بين لفظ الآخرين : « الحمد لله على سلامتك يا إمام ! إن شاء الله ترجع بالسلامة يا ابني ! » ولم يكذب إمام يلمحها ويميزها رغم شديد تغيرها في أعوام سجنه ، حتى انقبضت أساريره وأطبق فيه بعد ابتسام وصاح في موسى : « إنت جايب دي هنا ليه ؟ روح يا كخي ! » ودار وابتعد عنهما وغاب في داخل السجن قبل أن يستطيع موسى أن يفتح فيه

لذلك الحادث ، لا حزنا على إمام ولكن أسي على ما أصاب شرف أسرته وشرفه من مهانة ، وقد أصيب منذ ذلك اليوم بفالج كان يلزمه الفراش من حين إلى آخر ، وكان الحاج سرحان يقوم عنه بأعمال القرية الرسمية ، ويتمنى موته من يوم لآخر كي يخل محله نهائياً ، وتم له ماتني ، فمات العمدة كدأً وكان ابنه ما يزال قاصراً ، فانتقلت العمودية إلى أسرة سرحان وبذلك اجتمعت المصائب على أم امام المسكينة: فقدت ابنها وضاعت ثروتها ومات ذووها واحداً بعد واحد ، وذوى عودها وانحني ، وتقدم إلى مبروكة خاطب هو مرسى أحد أصدقاء إمام فقبلته على مضض مخافة ألا تجد سواء من بعده ، وأقامت أم امام وحدها في الدار ، وقد تحولت تلك الزهرة اليانعة التي زفت إلى الشيخ إبراهيم منذ نحو ثلاثين عاماً عجوزاً شمطاء يقذيك منظرها وتشمثر من ابتسامها إن هي ابتسمت كما تشمثر من عبوسها ، وما لبثت ابنها بعد سنوات من الحياة الزوجية المنغصة أن ماتت وفقدت أم امام آخر قريب ، ولم تعد هي نفسها إلا ميتة على ظهر الأرض ، لا حديث لها إلا حديث الحزن والهم والتحسر على ما فات ، ولا تنتقل من ماتم إلا إلى ماتم ، ولا يطيب لها إلا البكاء والاشتكاء وزيارة المقابر ، وهي التي كانت في مستقبل عمرها لا تعرف إلا الضحك ولا تألف إلا الطرب

على أن أمل أم امام في الحياة مازال قوياً كما مال أنضر الشابات وأسعد الفتيات ، يتمثل ذلك الأمل في إمام ، ويتجمع حديثها حول إمام ، ويتطرق كل موضوع تطرقه معها إلى إمام ، فإذا قال لها قائل إن ثمن الدرة ارتفع ، قالت إنه لم يرتفع هكذا منذ ذهب إمام ، وإذا سألتها سائل أها مأرب في الحج قالت إنها ستفعل متى عاد إمام . فبينما كان إمام بسوء مسلكه في السجن وتعديه على السجناء يطيل مدة مقامه فيه كانت أمه تقصر هذه المدة في وهما ، حتى لم يعد

بكلمة ، فالتفت إلى المرأة وقال : « عاجبك كده ؟ »
 أما هي فكانت تجفف دمة سرور وأسف معاً جرت
 على خدها المجد ، وقالت بصوت يقطعه البكاء :
 « على رأى الله قال : قلبى على ابني انظر ، وابنى قلبه
 عليه حجر ! » وتركها كولات تحت رحمة السجانين ،
 وعادت أم إمام منشرة الصدر قريرة العين ، تخبر
 كل من تراه أنها رأت إماماً وأنه عائد بعد خمسين يوماً
 وكان همام افندى قد نقل من وظيفته في المركز
 إلى بلد قاص منذ سنين طويلة ، ولم يشهد تلك
 التطورات المؤسسية التي اختلفت على إمام وأمه منذ
 غادره غلاماً نجيباً في المدرسة ، ولعله لو كان حاضراً
 لكان له تأثير محمود في سير الحوادث ، والآن جاء
 لزيارة صديقه العمدة ففوجئ بخبر موته منذ سنين ،
 ولم يقابله إلا ابنه الفتى ، وروّع بأخبار الحوادث سائلة
 الذكر ، على أنه اختار خير ما في حقيقته من زجافات
 الربى والشهد والعطور ، وعلب الجوى والصابون ،
 وطلب من ابن صديقه أن يصحبه إلى دار عمته
 ليهدى إليها كل ذلك برأبها وبذكرى الأيام السالفة
 وعارض الفتى في إهداء كل هاتيك التحف
 الثمينة إلى تلك العجوز ، وقال لهما افندى إنها لن
 تقدرها حق قدرها ، وهل يعرف الخمر طعم الجنزير ؟
 ولكن هماماً أصر ، وفي الطريق اقتنع الفتى
 من تلك الهدايا كل ما استطاع أن يدسه في جيبه
 ولم يدُر الحديث بين همام وبين العجوز إلا حول
 إمام طبعاً وحول عودته القرينة ، وأخبرته إخبار
 الواثق أنه لم يبق على عودة إمام إلا خمسون يوماً ،
 كانت تقول ذلك لمحادثتها وفي وهما أنها خمسة أيام
 أو خمس ساعات ، ولم تمس شيئاً من هدايا همام بل
 احتفظت بها جميعاً لإمام ، يأكل منها ويتطيب يوم
 عرسه ، وخبأتها مع ثروتها التي كان يتحدث بها
 أهل القرية من أبناء الجيل الجديد ، إذ كان كثيرون
 يعتقدون أن أم إمام تخبيء في دارها التهمة كنزاً ثميناً

وخرج همام من عندها مطرقاً مهموماً يرم
 طرف شاربه الأبيض ، وقد هاله ما آل إليه حال
 أخت صديقه التي كانت من قبل مضرب المثل في
 الجمال واليسار ، وأخيراً رفع رأسه وقال للفتى :
 لقد أذبل الجهل والهمل والفقر هذه المرأة قبل
 أوانها ، كما أضاع الجهل والاهمال مواهب ابنها هدرأ ،
 وإن من ظلم القدر أن يحظى أمثالنا من متوسطى
 الذكاء بنعمة التعليم ويتمتعوا بمزاياه ، على حين يخطئه
 أمثال ذلك الشاب الذي كنت أتوقع له مستقبلاً حافلاً
 لم يبق على عودة إمام إلا خمسون يوماً : ذلك
 ما كانت أم إمام تحدث نفسها به وهي سائرة على
 الطريق الزراعية ، تحمل على رأسها قفة قمح تريد أن
 تطحنه في (وابور الخواجة) ، وكانت قد ابتذلت
 حجابها منذ زمان وضارت تسير حافية ، وضعف
 سمعها وبصرها كثيراً ، وإنها لتحدث نفسها
 بالقطار التي ستخبرها لإمام من ذلك القمح ، إذ
 دهمتها إحدى السيارات التي بدأت تنتشر إذ ذاك
 في الأرياف ، فبطحتها أرضاً وبعثرت قمحها يميناً
 ويساراً ، وحمّلت المرأة إلى مستشفى البندر فاقدة النطق
 وبلغ الخبر القرية على لسان بعض المارين الذين
 شهدوا الحادث ، فأسرع موسى زوج ابنتها إلى
 المستشفى ، واستعادت المرأة وعيها برهة ، فقال
 موسى : « شد حيلك يا أم إمام ! » فتمتمت كأنها
 ترجع صدى قوله : « إمام ! » وكان ذلك آخر
 ما لفظته وأطبقت عينها إلى الأبد ، وختمت حياتها
 الحافلة بالعناء وكتمان الآلام ، وبجشم القلق
 والخوف والاضطراب ، ومدارة الأحداث وإنكار
 الذات ، وطول الكد والسمي والتعلق بالآمال ،
 وعاد موسى بجثتها إلى دارها العتيقة ، وتكفل
 بتشييعها إلى قبرها ، ولاحظ أهل القرية أنه استعاد
 يساره بعد فاقة وعسر ، واشترى قطعة أرض راح
 يزرعها بهمة واجتهاد فخرى أبو السعود

السهم الرابع

للكاتب الروسى أنطون تشيكوف
بمقام السيد جورج سلسيتى

الطالع فيرمح في التصيب،
ولم يكن ليعتبر هذا
النوع من الأمل إلا
ضرباً من الوهم الباطل،
وهو لو كان في ساعة
غير هذه الساعة لما
أغار قائمة السحب
اهتمامه قط . أما وقد

كان في فترة فراغ ، وكانت الصحيفة بين يديه ،
فلا بأس إن هو راجعها ؛ ومن يدري ؟ فقد
يسهو الدهر مرة في العمر عن الزرارة به ، وقد
يسم القدر بسمه واحدة في الحياة ، وقد يكون
هذه المرة من أولى الحظ ، فليز إذن ولتتبع عيناه
جدول الأرقام من أعلاه إلى أسفله واضعاً سبابته
تحت كل رقم حتى لا يفوته التدقيق
يا للسعد !

لقد برز الرقم ٩٤٩٩ في السطر الثاني من
الجدول ، ولقد خيل إليه أن أرقامه ترقص أمام
ناظريه ساخرة من ارتياحه وشكّه ، هازئة به
وبضعف يقينه وثقته ؛ فأخذته النشوة واستحوز
عليه السرور ؛ ولقد ترك الجريدة تسقط من يديه
على ركبتيه دون أن يتحقق صحة ماقرأ ، ودون أن
يدقق فيما إذا كان الرقم الذى ذكرته له زوجه مغلوطة
فيه ؛ فقد أحس بطراوة منعشة تلج لها صدره ،
وبنشوة مثيرة عذبة انتشى لها وطرب
وتتمت شفتاه بصوت خفيض :

— ماشا ! الرقم ٩٤٩٩ مدرج في الأرقام

الرابحة

لم يكن (إيثان ديمترش) ميسوراً في حياته
ولا معسوراً ، ولا كان ربّ ثراء يعيش منه في
نعيم ، ولا أخافقة يشكو العوز والفقر ؛ وإنما
كان يحيا حياة رضىة هائلة براتب سنوى قدره
ألف ومائتا روبل . ولم يكن طموحاً بعيد الأحلام
بل كان قانعاً بحظه من دنياه راضياً بقسمته منها
ولقد كان جالساً بعد العشاء على الأريكة يتصفح
جريدته ويطلع أنباءها عند ما قالت له زوجته وهي
ترفع السباط عن المائدة :

— لقد فاتنى أن أقرأ الجريدة اليوم ، فانظر
يا إيثان فلعل الأرقام الرابحة منشورة بها فأجابه :
— إنها منشورة ، ولكن ألم يذهب عن بالك
أن تدفع بدل الضمان يا ماشا قبل ميعاد السحب ؟
ثم انظرى ، ألم تفقديه ؟
— لا لم أفقده ، ولقد سددت قيمة الضمان
يوم الثلاثاء المنصرم

— مارقم السهم الذى تحملين ؟
— رقم السباق ٩٤٩٩ ورقم السهم ٢٦
— حسن ، سنرى ، ٩٤٩٩ و ٢٦

لم يكن إيثان يعتقد أن البرء قد يؤاتيه حسن

— دقيقة واحدة فقط ، أسمحين ؟ إن لدينا من الوقت متسعاً نبتلي فيه بالاخفاق ، وبجابه الحقيقة المرة إن كنا نغدوعين ، فلم لا ننعم بهذه اللذة الساححة ؟ وصمت لحظة ثم استطرد : وقد تكون أبدية ، فمن يدري ؟

إن الرقم في أعلى الجدول وفي السطر الثاني بقيمة الريح إذن خمسة وسبعون ألفاً من الروبلات وليس هذا بالمبلغ القليل ، أجل إنه ثروة !

وألقى على الجريدة نظرة فاحصة كأنما شاء أن يعلم إن كان الرقم ٢٦ موجوداً فيها أم غير موجود ، إلا أنه لم يلبث أن استرجعها دون أن يجلو حقيقة الأمر ، فلقد عر عليه أن يفقد هذه اللذة التي لم يشعر في حياته بمثله . وما هي إلا لحظة حتى تابع القول :

هيه يا ماشا ، اصني إليّ . أية سعادة تلك التي ستغمرنا بفيضها الساحر إن كنا قد ربحنا حقاً ؟ فضحكت وضحك معها ثم راحا معاً يتأملان طويلاً في صمت وهدوء . فاحتمل اقبال السعادة عليهما بوجهها المتألق الضاحي بلبلها وألقاها في قلق واضطراب ، فذهلا عن نفسيهما واستسلما للخيال الممتع حتى لم تعد الدنيا ليهما إلا صفحة بيضاء خط عليها بأحرف بارزة كبيرة العددان ٩٤٩٩ و ٧٥٠٠٠

ونفض إيفان من جلسته وجريدته في يده وراح يتخطر بقامته المشوقة وقد بدت على محياه دلائل التفكير العميق ولم يلبث أن وقف وقال :

وحدقت زوجه في محياه ، فأدركت من أمائر الدهشة والذهول البادية عليه أنه جاد في قوله ، فسرت الدهشة إليها أيضاً وعراها هي الأخرى الدهول ، فسألته وقد امتنع لونها وتركت السباط المطوى يسقط على المائدة :

— ال ٩٤٩٩ ؟

— نعم يا ماشا ، ال ٩٤٩٩ .

— ورقم السهم أيضاً يا إيفان ؟ !

وكأنما كان إيفان في غيبوبة فأفاق ، وتذكر أن ٩٤٩٩ لم يكن الا رقم السباق وأن عليه أن يرى رقم السهم كذلك ، فتمتم : — آه ! نعم علينا أن نرى رقم السهم أيضاً فلنراجع الجدول إذن ، ولكن... لحظة من فضلك يا ماشا ، حسبنا لدة الآن وجود رقم السباق في جدول الريح ، أفهمين ؟ ! قال ذلك وهو ينظر إلى قرينته ، وقد تجلت على ثغره بسمة عريضة بلهاء كأنه طفل غرير أراه أحد الناس شيئاً يبهر النظر

وبسمت امرأته كذلك ، فلقد كان الأمر لها كما كان له لذيذاً عذباً ، وإن كانت لم تتيقن بعد من معرفة رقم السهم المحدود

وهزتهما الأحلام وهددهتهما الأمان ، أحلام وأمان ممكنة التحقيق ، فيا للذة المسكرة !

وقال إيفان بعد صمت طويل :

— لقد ظهر رقم السباق فمن المحتمل إذن أن نكون قد ربحنا . إنه محض احتمال ، إلا أنه مستحب وكأنما عيل صبر زوجته اللجوج فقالت له : — حسن : لقد آن لك أن تنظر الآن ؟

صحا الجو واعتل النسيم ، وعلى مقربة منه ولداه
الصغيران يلعبان معاً على الرمال ويحفران فيها حفراً
صغيرة يملأنها بالماء ، أو يلهوان في أرجاء الحديقة
الفيحاء ويلتقطان منها بعض الحشرات من بين
الحشائش المخضلة الندية

على هذه الصور الفاتنة غفا إيقان على مهل غير
آبه لشيء ولا عابئ بأحد ، وقد شعر من صميم
فؤاده بلذة مابعد هالدة ، وأحس أنه يستطيع أن يفعل
ما يحلوه ويطيب ، فهو إذن لن يذهب إلى مكتبه
لاغداً ولا بعد غد ، ويرى ليصد عنه النعاس إذا أخذ
بمعاهد أجفانه أن يتعهد أخص الورود والرياحين ،
أو أن يتجول في قلب الغابة اللقاء يفتش في حناياها
عن الذي يحب ، أو أن يقف على ضفة النهر ينعم
بمراى البؤساء وهم يتصيدون الأسماك

هذا في الصباح ؛ أما في المساء ، عند ما تلم
الشمس ذوائبها النورانية من حواشي الأفق
فلا أشهى لديه من الاستحمام في النهر ، وإنه ليرى
نفسه وقد دلف إليه متابطاً منشفته فما يكاد يصل
حتى ينزع ثيابه عنه بتؤدة وبطء ثم يدغدغ صدره
العاري بكتا يديه ما يشاء له أن يفعل ، وبعدئذ يلقى
بنفسه في الماء حيث ترحب الأسماك الصغيرة وتهتز ،
وحيث تتموج الحشائش المائية وتمايل مع هبات
النسيم الرخي ، فيستحم ساعة أو بعض ساعة متنعماً
وحده دون الناس أجمعين ، ثم لا يرى بداً من أن
يستجم قليلاً وأن يتناول أثناء فترة استراحته شيئاً
من الزبدة مع الشاي والكعك ، وما إن ينتهي من

— أجل ياماشا ، أي سرور سيغمرنا إن
كنّا قد ربحنا حقاً ، وأية حياة جديدة تلك التي
سنحياها ، وأي انقلاب سيتناول شؤوننا كافة ؟
إن السهم لك وحدك لا ينازعك فيه منازع ولكن
حبذا لو كان لي ؟ إذا لكنت اشتريت قبل كل شيء
عقاراً بخمسة وعشرين ألفاً ، ولبذلت عشرة آلاف
لشراء أثاث جديد لمنزلنا ، ولوفاء ما على من دين
قليل ، وللسياحة في بلاد الله الواسعة ؛ وأما
الأربعون ألفاً الباقية فأضعها في المصرف

فأجابته امرأته وقد جلست ويدها على ركبتيها :
— أحسنت يازوجي العزيز ، فالعقار لا بد من
شرائه ، على أن يكون في أحياء (تولا) أو في
أرباض (الأورول) فنحن لانملك منزلاً تقضى فيه
فصل الصيف القاطظ ، والعقار عدا ذلك ستدر علينا
أرضه الخيرات

وتراكت في مخيلته اللوحات والصور ، وكل
واحدة أفن من الأخرى وأعلق بالقلب ، وتخيل
نفسه فيها جميعاً يأكل من الأطعمة أشهاها
وأهناها ؛ ويميش على هواه أرغد عيش وأترفه ،
معافى الجسم ، قوي البنية ، مبرتاح الضمير ، قدير
البال

وتخيل نفسه وقد أخذه الحر الشديد ، غير أنه
ماشكا ولا تبرم ، فالرطبات أمامه والبردات المنعشة
رهن إشارة ، وهو إذ تناول منها ماشاء يرى
أن يستلقي على ظهره على الرمل المنثور فوق ضفة
الجدول الرقاق أو في الحديقة الوارفة الفيتانة ، وقد

واستولى عليه النعاس غطى وجهه بجريدته واستسلم
إلى الكرى الهادى المطمئن بعد أن يكون قد جاء
من فك له أضرار صدريته وخلع نعليه

وهكذا مضى إيفان في تصوراته ، وانتقل به
خياله من الخريف الحزين إلى الشتاء المنتجب الباكي
فاذا به يرى السماء ممطرة أبداً لا ينقطع لها معين ،
ولا ينضب لها ميزاب ، والأشجار ممرأة من كساها
الحالية النضرة ترتعش أمام صفعات الرياح القرة الباردة ،
والدواجن في الزرعة قد لجأت إلى أوكانها من رذاذ
المطر المنهمر خائفة حزينسة ، والناس قد أووا إلى
منازلهم فلا مئزّه يؤم ولا حديقة تقصد ، ويرى نفسه
هو قد اضطرتّه الطبيعة الغضبي أن يبقى في المنزل
كسواه ، فيذرع الغرفة بخطواته المزنة ذهاباً وإياباً
طول النهار ، وأن يتطلع بين الفينة والأخرى بقلق
وضجر لا حد لها خلال النوافذ الزجاجية التي خددها
المطر إلى حين

وهنا وقف إيفان فجأة كأنما انقطع تيار خياله
الجامح وقال :

أندرين يا ماشا ؟ إني سأغترب

ثم صمت لحظة تخيل فيها نفسه يتنعم بلذة الهجرة
في أواخر الخريف وهو يتنقل كالطائر من بلد إلى
بلد زائراً فرنسا وإيطاليا فالهند ؛ وإنها لرحلة ممتعة
شائقة ما في ذلك ريب

— وأنا أيضاً سأغترب يا إيفان « قالت امرأته
بنبرة جازمة ثم استطردت :

أما حان أن تنظر رقم السهم ؟

— دقيقة واحدة إذا تفضلت ، أرجو أن تنتظري

هذا حتى يكون قد آن أوان التنزه في هدأة المساء
الرائق ، أو التسلل بلعب الورق مع الصاحب والجيران
كان إيفان يسبح من خياله الرحب في بحر
لحيّ عندما قالت له امرأته وقد كانت في غمرة
الأحلام مثله :

— أجل إننا لنحسن صنعاً بشراء عقار يا إيفان.
قالت هذا وصمتت وعيناها عالقتان بالهدف البعيد
فما يشك رائيتها ساعتئذ في أن الأحلام تسكرها
هي الأخرى

وكأنما لم يسمع إيفان ما قالت فما التفت إليها لأنه
كان لم يزل يتخيل

ولأنه ليرى نفسه في الخريف ، والخريف فصل
حبیب إلى قواده ، فهذه السماء مربدة الأفق مكفهرة
الأديم ، وهذه الأمسيات كالحة بأسرة ، والتنزه في
هذه الفترة من الزمن متعة . فما هو ذا يخرج إلى
الحديقة وقد عبث بأزهارها أيدي الرياح الهوج ؛
وما هي ذى أوراقها الصفراء مبعثرة ها هنا وها هنا
كأنها الضحايا أو أشلاء الشهداء في معترك الشرف
فما يتمشى قليلاً حتى تنفحه النسمات ؛ وما إن تسرى
البرودة في عروقه وتتمشى في مفاصله حتى يهرع
عائداً إلى منزله فيتناول كأساً من (الفودكا) يدفي
بها أحشاءه ويتلمّظ لقمة أو لقميتين من الخیار
المكبوس مع الشمرة أو الفطر الأحمر ثم يجرع
كأساً أخرى . . .

وهنا يعدو ولداه عائدين من البستان ومعهما قليل
من اللفت والجزر تنث منه رائحة الأرض الرطبة

ويستلقي بعدئذ على الأريكة ويطلع على مهل
جريدة مصورة ، حتى إذا خدرت أعصاب عينيه

السنين ، وتفوح منها - فوق هذه العيوب - رائحة المطبخ الذي قلما تفارقه ؛ في حين أنه هو ما يزال في إبان الصبا وشرح الشباب أليق ما يكون بالزواج ثانية من خير فتاة

وقال إيثان في نفسه : إن هذا لمن سفساف القول ولا طائل لي فيه ؛ وإن هذه حقيقة لا أجحدها ولا أنكرها ، ولكن لماذا تريد هذه الملعونة أن تغترب ؟ وماذا تفهم من السياحة والأسفار من تكون (نابل) و (كلين) لديها سواء ؟ !

إنى لأشعر منذ الآن أنه لن يكون لها من عمل إلا مضايقتي وإرهاقي ، وإنى سأكون تحت حكمها لا أعصى لها أمراً . وإنى عدا ذلك ، أدري الناس بها في كيفية الاحتفاظ بالدرهم والحرص عليها ؛ فهي ستضعها - شأن أكثر النساء - في صناديق من حديد وراء عشرات الأقفال المحكمة ، وستخبئها عني وتحصى على الفلوس الواحد ، في حين أنها ستكون سمحة الكف جوادة مع أهلها وذوى قرباها

وهنا تذكر إيفان أهل زوجته وأنسباءها ، وكيف أنهم سيفدون إلى دارها متى علموا بالربح يستجدونها في إلحاح المتسولين وهم يتسمون بعذوبة ورقة ؛ والله أعلم أى لؤم تخفى تلك البسمات ، وأى رياء ؟ ! ...

يا لهم من ذرية سافلة دنيئة ، ومن نسل لا خير فيه ، إذا أعطوا الحفو في طلب المزيد ، وإن رُدّوا نشطت ألسنتهم تغتاب وتقذح ما شاء لها الإغتياب والقذح ، وتمنوا لرادهم كل أذية وبلاء وتمثل له أهله ، فإذا به يراهم صفيق الوجوه في

وراح يتهادى في الغرفة مفكراً ، وقد سهم وجهه وقطب أساريره ، ويتساءل عما إذا كانت امرأته تعنى حقاً ما تقول وأنها ستغترب معه !

فغير له وأجدى عليه أن يسافر بمفرده من دونها ، أو برفقة غانيات رعنات إن لم يكن للرفقة من بد ، غانيات خفيفات لا هم عندهن ولا غم ولا يعشن إلا للساعة التي هن فيها ؛ أما السفر مع امرأة لا تفكر طول الطريق إلا في أولادها ولا تتكلم إلا عنهم متأوّهة تارة متدللة أخرى ، تحاسبه على كل بارة ، فهذا ما يكرهه ويحتويه

وتمثلت له زوجه في عربة القطار المكنتزة بالرزم والسلال والطرود تتأوه ولا يدري أحد لماذا ، وتشكو الصداع لداع ولغير داع ، وتتذمر من كثرة النفقات ، وتبرم من غلاء الحاجات ، وترغمه في المحطات أن يهرع لبيتاع لها «سندوتشا» وليأتيتها بالماء ، لأن حضرتها لا تريد أن تتناول غداءها في المطعم لبهظ الأسعار ، وهذا ما لا يرغب فيه . إذن خير لها وله أن تبقى في منزلها لا تبرحه وإن تطلق له حريره ، فالسياحة لم يخلق لها الشحيح الضنين ، وما عسى يستطيع البخيل أن يرى من متع يا ترى ؟ ؟

ثم إنها عدا ذلك كله ستلازم غرفتها في الفندق الذي سينزلان فيه

وستحتفظ به حياها لا يفارقها وهذا ما لا طاقة له به ولا قدرة له على احتماله

وألقى على امرأته نظرة فاحصة عجلى ، فإذا به يراها لأول مرة في حياته ، قبيحة المنظر ، دميمة الوجه ؛ قد دهمتها بواذر الكبر ، وظهر عليها أثر

فاحتدم غيظه واشتد حنقه ؛ وسرعان ما فتح الصحيفة وألقى على الصفحة الرابعة منها نظرة خاطفة وأعلن لها ، حبا في مناوأتها فقط ، بصوت الفلتر الفخور :

— « السباق ٩٤٩٩ والرقم ٤٦ لا ٢٦ » وصمت

على مضض

لقد شاء أن يثير حفيظتها ، وأن يحنقها فتم له ما أراد ، إلا أنه تأثر هو كذلك واستاء . فالأحلام الذهبية تلاشت واضمحلت ، وهوت قصور الأمانى إلى الحضيض هويا ، فتمثل المنزل لها حالكا قائما حقيرا ، وظهر لها أن العشاء الذى فرغا من تناوله منذ حين لم يكن لذيذا شهيئا ، ولقد شعرا معا بوطأتها على معدتيهما

وترأت لها هذه الأمسية طويلة ما تنتهى ، ومملة غاية الملل !

فيا للأجواء المربدة القائمة وإن لم يكن بها اربداد ولا قتام !

ومشى إيقان مهتاج الأعصاب تأثر النفس وتخطى الردهة بخطى المسرع العجلان وصوته الحانق يجلجل فى أرجائها ، فتجاوب منه الأصداة :

— ما هذا ؟ لا أدري ما أدعوه وربى ؛ فأينما أمش لا أرى إلا قصاصات الأوراق ، وأتعرى بالأشياء البعثة هنا وهناك ، وفي كل زاوية بل فى كل موضع لاتقع العين إلا على فتات الخبز وقشور البيض ، أمريلة هذا أم منزل ؟؟

يجب أن أنأى عن هذا الجو الموبوء وأن أهجر هذا المحيط الملعون ، سأذهب ، وليحملنى الشيطان ، فأشوق نفسى على أول شجرة أقع عليها فى سبيلى
ترجمة هورج ملستى
(٤)

حين أنه كان — لساعة خلت — يرى تلك الوجوه ذاتها تفيض بالوداعة ، وتتألق بالحياء والبشر فتمتم : « يا للحشرات ! »

لقد بدت له وجوه أحب الناس لديه وأدناهم إليه بغیضة مكروهة ، وغلى صدره بالحنق عليهم جميعا ، وتمنى على الله فى سره لو لم يوجدوا وتدنى سروره ، فلقد شابه السكر ، وعمرت جسمه رعشة اشتمزاز من أولئك الأهل المرائين المتسترين تحت ألف تقاب ، ومن تلك الزوجة المقترية حتى على نفسها التى لا تدرك للعالم لذة إلا بكنزه فى صناديق من حديد وراء ألف قفل

وتوارت البسمة التى كانت تعلو محياه منذ حين فكلحت منه الأسارير وأصبح لا ينظر إلى زوجته إلا شررا . وهى ، هى كذلك انتابها منه ما انتابه منها ، فبدا لها بغیضا ممقوتا وهو الذى كان بالأمس مطمح آمالها ومحط أمانها ، فراحت ترمقه بكثير من الحقد ؛ فان لها هي كما له أحلام مذهبة الخواشي ، ولها آراء تعجب بها هي على الأقل إن لم يعجب بها سواها ، ولها خطوط ومشروعات كلها رائعة جميلة ، ولم لا ؟ أليكون زوجها المأفون هذا خيرا منها ؟ لا وألف لا ! وإنها لتعلم العلم اليقين فيما ذا يفكر زوجها ، وماذا يتراءى له ، وإنها أدري الناس به وأخبرهم بطباعه . إنه سيكون أول من يمد رجليه على ظهرها وأول من يتبسط على حسابها هي ، ولقد كانت بنظراتها — التى تعنى أنه من الجميل أن يحلم المرء على كيس سواء — تنطق بماعى لسانها عن بيانه . ولقد فهم الزوج معنى تلك النظرات الشرراء وأدرك ما يجول بخاطرهما عنه ، وقرأ فى تلك الملامح المغضنة ما أبدته ضغائن القلب الحقود ،

الحرمان في الحسرة
وردها الحسرة إلى
الحرمان

ينحدر هذا
الشاب من أسرة ريفية
فقيرة عميدها مزارع
بسيط ، فكان منتهى
حظه من التعليم شهادة

أقصوصة قصيرة بقلم الأديب نجيب محفوظ

الكفاءة ، وقد حسب أبوه نفسه من المجاهدين
الصابرين أن بلغ به هذه المرتبة من التعلم ، فسمي
إلى توظيفه بوضعة جنهات ، وكان فرحه بذلك
عظيماً ، كما كان ألم الشاب بليغاً ؛ أما الأب فقد
فاخر أهل قريته بابنه « الميري » وغبط نفسه على
الجتية الذي أجراه الشاب عليه ، وأما الشاب فكان
مجتهداً طموحاً شديد الحساسية ، يطمع في المراكز
العالية ويتحرق على نعيم الدنيا الذي يرى آثاره المغرية
في السيارات المارقة والعمارات الشاهقة والليالي
الساهرة ، فسخط وحقد وحمل الدهر والناس ونظام
الكون ما يعاني من شدة وبؤس وحرمان وفقر .
وإن حق لأبيه أن يباهي به العالمين وهو قابع في
قريته فقد كان يتزويج خجلاً من قفاهته وهو يسير
في القاهرة الصاخبة كمنملة على وريقة شجرة باسقة
في غابة شجراء تأوى إليها الأسود والأفيال . يعمل
من الصباح إلى المساء يغادر المصلحة مضمحل القوى
خائر العزيمة ، مهين النفس ، قذر الجسم ، فيرتجى على
فراشه آسفاً قانطاً وهو يتمنى على الله ألا يطلع عليه
الصباح إلا وهو في قبر يريحه من العالم وتعبه وضآلة
أمله فيه

بدا على وجه محمد أفندي الحلو الهيؤ للتوثب
والمغامرة فدرس يده في جيبه وأخرج ريالاً ثم دخل
بأقدام ثابتة إلى مكتب جمعية المواساة وتردد لحظة
يقلب ناظريه في أوراق النصيب المكدسة ونفسه
حيرى وقلبه خافق لا يدري ما ينبغي أن يأخذ وما
ينبغي أن يدع ، وكأنه آثر أن يلتقي عن عاتق اختياره
التبعة فطلب من موظف المكتب — وهو ينقده
الريال — أن يختار له ورقة

واليانصيب مغامرة خفيفة تجذب الناس على اختلاف
طبقاتهم ، فيشارك فيه بعض الأغنياء للتلهية ومدافعة
الملل وإيقاظ العواطف التي ران عليها الشبع والسقم ،
ويساهم فيه آخرون منهم طلباً للزيد وإشباعاً لغريزة
التملك التي لا تعرف الشبع ؛ أما أغلبية مريديه فمن
الفقراء الحالمين الذين يرون في ورقته « باسبورت »
ينقلهم إلى عالم عماده المصارف وشعاره الترف
وآياته زينات الدنيا من النساء والمشاهد والأسفار
والآكل والشارب . ومن اطلع على وجه محمد أفندي
وهو يذفن ورقة اليانصيب في محفظته فرأى عينيه
الحالمتين وسمع تهديته الحارة وهو يدعو قائلاً : يارب !
— لا يشك في أنه من هذه الجماعة الأخيرة التي أوقعها

ولم تكن هذه أول مرة يشتري فيها ورقة اليانصيب ، فكم من مرة اشترى وكم من مرات خسر ، وكم ذهب ينير وجهه الأمل وآب تلتوى شفتاه من اليأس ، وكم نام تسعده أحلام الأمانى وصحا على حسرة وخيبة ، وكانت أهون الخسائر المادية مما يدفعه ثمناً للورقة غير هينة على مثله بل كبيرة فادحة ، ولكنه لم يثن له عزم ولم تقتر له همة ولم يول عنه أمل

وذهب كعادته إلى مسكنه أو بالأحرى إلى حجرته ووضع الورقة في ظرف ووضع الظرف تحت رزمة من الظروف والخطابات ، ثم قيد رقم الورقة في مذكرته وانتظر على اللذة الوحيدة التى تجدها نفسه لذة أحلام الأمانى . وبعد أيام فوجئ بمقدم أبيه وقد أوجس قلبه خيفة أن يكون مجيئه لحاجة ، وكان صفر اليدين إلا من الضروري ولكن الرجل بادره قائلاً وهو لا يتمالك عواطفه :

— أبشر ... لقد ابتسم لك الحظ على يدى ...
— كيف ... ؟

— قالها بغير توقع عظيم للفرح لأنه يعلم أن والده يحسب ما هو غارق فيه من بؤس نعياً وسؤدداً يغبط عليهما . واستمر الرجل قائلاً : —

— أتعرف أسرة الحمار ... ؟

— طبعاً أذكرهم فقد نشأت مع أحد أبنائهم عبد الحفيظ وطويت في صحبته عهد الصبا

— أحسنت فهو من أعنى ... لأنه تقدم فى الأسبوع الفائت إلى عمك طالباً يد ابنته ولعلك لاتعلم أن أسرة الحمار هوت إلى دمار الإفلاس والبوار — سمعت شيئاً من هذا ؟

— إن ما سمعت لهو دون الحقيقة بكثير ، فلم يبق لهم من متاع الدنيا سوى الاسم القديم ، وهم يطمعون فى أن يشتروا به أموال عمك الطائلة ؛ وكاد عمك يلين لهم لولا أن انبريت له غاضباً وقلت له : خذ حذرك من هؤلاء الطغاة الماكرين واذكر أيام كانوا ينظرون إلينا نظرة المؤمن إلى الكافر ، وهمست فى أذنه : إن الأقربين أولى بالمعروف ، وذكرته أن له ابن أخ موظفاً محترماً فعاود فكره ثم قبل ...
— ماذا قبل ... ؟

— فقهمه الأب حتى بانت نواجذه الصفر وقال :

— قبل أن يزوجك من ابنته ... ابنة عمك خضرا ، مطمئناً إلى أن يداً غريبة لن تسلبه أمواله .. وصمت الرجل برهة وهو ينظر إلى ابنته ثم عاد إلى الكلام فقال : —

— الحق أقول ... لقد طمعت فى خضرا منذ زمن بعيد وتمنيت على الله أن يجعلها من قسمتك ونصيبك ولكنى ترددت كثيراً أن أفتح أخى فى هذا الموضوع . نعم هو شقيقى وقد نشأنا معاً صغيرين يحتويننا الفقر والبؤس ، ولولا الهجرة التى ارتضاها لنفسه والأعمال التى خاضها لبقى فقيراً مثلى ، ولكنه الآن من كبار أغنياء قريتنا ، فازلت متردداً خائفاً ، أفكر فى الأمر وأراجع نفسى فيه وأهم وأنكمش وأفرج عن شفتى مجازفاً بالكلام ثم ألتصقهما من الخوف لائذا بالصمت ، حتى تقدم عبد الحفيظ ففك تقدمه عقدة لساني فتكلمت وظفرت ... والآن ما عليك إلا أن تسافر معى اليوم أو الغد .
— ولم هذه السرعة ... ؟

هذه هي زوجه المقبلة أو هي السم الذي وضعت
الأقدار في دسم المال وقدمته إليه
وتذكر أمراً فأسرع إلى ورقة اليانصيب وألقى
عليها نظرة فاحصة فوجد أن موعد السحب في شهر
أكتوبر وهو ما يزال في يوليو فما من سبيل إلى
التسويق إلى أن يتأكد من حظه ، فهي غنيمة من
الجنون رفضها ، وهي مصيبة من المستحيل دفعها
وسافر في صحبة أبيه وعقد على الفتاة بين الزغاريد
والأفراح ولبت لديهم يوماً ثم قفل راجعاً إلى القاهرة ،
وكانت تنعقد على وجهه كآبة مدلهمة ويتعذب قلبه
بالممض ، إذ وقر في نفسه أنه باع نفسه بيع العبيد
أو بذلها بذل البغايا ، وأن تلك الفتاة « النشاز » قيدته
في قدميها ككلب مهين ، فياله من فوز كالحسران
وأخذ أهون منه الاعطاء ! وكان أمامه عام كامل على
أقل تقدير تجهز فيه الفتاة على حساب والدها
وحده لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين أنه لو ترك الأمر
إلى قدرته ما فتح بيت الزوجية ولا في منحدرات
الشيخوخة ، فتعزى بهذا العام بعض العزاء وكانت
تكتب نفسه كلما انفرط من عقد أيامه واحد ،
ولكنه لم يربدا من المحافظة على المظاهر . فاتصلت
الرسائل بينه وبين عمه وكانت في طلاوتها الظاهرة
رسائل زوج محدود يترقب بفارغ الصبر يومه
الموعود

أما الذي كان سعيداً حقاً فهو والده ، وقد
أجزل له شقيقه الثرى العطاء لبيد في المظهر
اللائق ، فذاقت نفسه المحرومة النعيم على كبر
وانغمس في الرفاهية وامتلاً بالغبطة فسار في الأرض
مختلاً نخوراً يكاد يهتف بالناس أن انظروا وسبحوا
واحسدوا

— خير البر عاجله ... وإنى أريد أن أقطع
الطريق على أبناء الحمار ... ولا تنس أن نباخطبتك
لابنة عمك ذاع بين أهل القرية ، فيهمنى أن أعجل
بعقد الزواج أو يقولون إن عمها قطع خطبتها وولى عنها
— عقد الزواج ... !

— نعم هذا هين ... وأما الدخلة فعلى مهل ..
هيا ولا يثنك التقدير فإن عمك عليم بحالى وحالك
وسنكتب مهرأ صوريا فلا تخش شيئاً .

هل يستطيع أن يقول لا فيرفض أفدنة
وعمارات وأموالاً لا يحيط بها الحساب ؟

أما ابنة عمه فأعوذ بالله من شر ما خلق ... هي
كتلة من اللحم المنتفخ ، تضيق في تهذه قسبات
الوجه ومعالم الجسم ، فهي لا يعرف لها خصر من
ردف من صدر ، جميعها كتلة واحدة كأنما صبت
في برميل نبيذ ، وما يرى من عينيها فشقان ضيقان
كأنما يسلط عليهما شعاع شمس لا يغيب ، وما يبرز
من أنفها فانتفاخة قصيرة كأنها دمل في إبان الخطر ؛
وهي إلى ذلك ثقيلة الظل ، مظلمة الروح ، شديدة
الغباء ؛ وإنه ليذكر أنه داعبها مرة فخطبها قائلاً :
« يا أبله خضرا » على طريقة أهل المدن فغابت عنها
الدعابة واصفر وجهها وذهبت إلى أمها غاضبة تشكو
إليها تهكم ابن عمها وسوء أدبه إذ جعل يخاطبها
بما يخاطب به الأخت الكبرى وعبثاً حاول أن
يهدي خاطرها وأن يصرف عنها الموجدة

والأدهى من هذا كله أن أهلها لا يعترفون
بعب لها ، فهي لديهم لؤلؤة مبرأة من العيوب ، ولا
تفتأ أمها ترمقها في الجيئة والذهاب بعين الحب
والاعجاب ، وما تنفك تحرق حولها البخور دفعاً للسوء
وفقاً لعين الحسود

وسعاة، هذا يهنيء، وذاك يطلب «الحلاوة»، وذلك يشكو الحظ الذي خانه في رقم أو رقمين، حتى رئيس القلم خاطب محمداً بلهجة رقيقة لأول مرة، بل حدثت معجزة فابتسم له وسأله :-

— علام عرمت ...؟

— لا أدري ياسيدي

— أنصحك ألا تستقيل من وظيفتك ...

فالعامل أبهج مافي الحياة، وهو زخر تدخره للمهمات

— أشكرك ياسيدي

قالها ثم سار يترشح كالثلج وقد طلب منه الرئيس أن يكتب طلباً باجازه يوم أو يومين ووعده أن يوافق عليه فلم يسمع له؛ ونبهه زميل إلى أنه لم يترك ثمن الفول فلم يلتفت إليه وسار يترشح لأن السعادة التي وزعها الله على قلوب البشر هرعته إلى قلبه في تلك اللحظة كما تهرع حيوية الجسم إلى أحد أعضائه حين اشتداد نشاطه

ومر في طريقه بمكتب الواساة فسأه إن يجده مغلقاً، ولكن قيل له إنه يغلق بابه يوم الأحد، فضاقت بذلك وقصدت أولاً إلى حجرته بل إلى رزمة الظروف بل إلى الظرف الأخير منها وقرأ ورقة اليانصيب مثنى وثلاث حتى اطمأن قلبه فردها إلى المجموعة وجلس يستريح ويتأمل بعينين يضيئهما نور الظفر، أركان حجرته الكثيرة وأثاثها البالي الحزين وعروق سقفها البارزة كأوداج المخبث ثم تكلم بصوت عال قائلاً :-

الآن أهجررك إلى غير رجعة، فوداعاً أيتها الفيران والصراصير. أتمنى لك حظاً سعيداً وساكناً جديداً أجدي مما كنت وأتفع إلا أن ذكرى سوداء اغتصبت فجأة سعادته

ولم يلبث الرجل أن أخذ على ابنه الموثيق أن يفسح له وأمه مكاناً رحيماً في بيته المنتظر وأن يصون شيخوخته عن ذل الحاجة وكدح السعي فوعده خيراً وهو كظيم، ولم يكن يجد على والده لأنه لم يضطره إلى شيء ولم يرد له إلا الخير، ولكن كان إذا من عليه أو تنجزه ما وعد حتى عليه ثم حتى وفي صباح يوم الأحد من شهر أكتوبر كان محمد جالساً إلى مكتبه في المصلحة، وأمامه الملفات لا تكاد تظهر منه إلا قمة رأسه، وعلى كرسي إلى جانبه وضعت صينية عليها طبق الفول المدمس والرغيف والفوطه الحمراء، وكان إلى جانبه زميل يقرأ جريدة الصباح ويعلق على الحوادث والرجال بما يشاء هواه وتفكيره، ولم يلبث أن اشتمله صمت طاريء، ثم أسرع بفتح درجه وأخرج ورقة صغيرة أنعم النظر فيها ملياً، وتردد ناظره بينها وبين صفحة الجريدة المفتوحة أمامه ثم قام إلى محمد وصاح في وجهه بانفعال جنوني :

« ربحت ... »

وكأنما حملت هذه الكلمة البسيطة إلى نفس محمد كل ما تنفع به نفس صاحبه فانتفض قائماً كأنه حرر فجأة من قوة جاذبية الأرض وصاح « حقاً إنه اليوم يعلن اليانصيب ... كم تنسى الهموم ... »

— أرنى رقمك لأتأكد ...

— ها هو ذا ...

— هو بعينه ؟

وانتشر الخبر في المصلحة وتحدث به كل لسان، واتسعت له كل عينين، وانفجرت لوقعه كل شفيتين، وازدحمت الحجرة بجمع خفير من مراجعين وكتبة

— تعالى أيتها الحبيبة التي ستجعل لي من كل

حسنة عاشقة وحبيبة

ولكنه وجدته فارغاً... آه لقد تذكر أنه وضع
الظرف السعيد فوق الظروف لا تحتها ، فأخذ
الفوقاني وفتحها ولكنه وجدته أيضاً فارغاً...
فتصلب جسده وارتعشت يداه وخفق قلبه خفقة
الدعر والوجل ، ولعبت يداه في الظروف تفتشها
فرجع من كل بحنية مريرة ورعب عظيم ،
وقتش الدرج كله وقلبه رأساً على عقب ، ويبحث
في الثياب والجيوب جميعاً والفراش وأركان الحجرة
بل نظر إلى السقف متحيراً... ودار في الحجرة وهو
يهتف كالدرويش في حلقة الذكر: «الله... الله...»
هل فرت الورقة فراراً؟... هل لبست «طاقة
الاخفاء»؟...

ولكن خطر له خاطر سريع... ألا يجوز أن
يكون قد وضع خطابه إلى عمه وورقة الطلاق في
الظرف المشتمل على ورقة اليانصيب وأرسل الجميع
إلى عمه؟...

وأسفاه! هذا هو الفرض الوحيد الممكن
ولطم خديه ، وشد شعر رأسه وقرع رأسه
في عمد السرير ، حتى كاد يشرف على التهلكة ؛
وانتهى به الجنون إلى حالة يموت فيها التدبر ،
فارتدى ثيابه سريعاً وخف إلى المحطة ، وكان بينه
وبين قيام القطار انتظار نصف ساعة ، فهرع إلى
السيارة العمومية التي أسرعته به في طريقها إلى بنها
وكان جزعاً ذاهب الحلم ، فثقل عليه طول
الوقت ، واشتد به الانتظار ، وطفق يقوم ويقعد
وينظر في ساعته ويهوله ما تدل عليه من الزمن فيسأل
جاره وجار جاره

فتجهم وجهه ، وانقبض قلبه وصاح غاضباً : —

«أواه! خضراً زوجتي...!»

فلا مفر من الحقيقة المرة التي توشك أن تبتلعه
بنشوته كما يتلع القبر الحسناء في ريعان الشباب
وميعة الصبا ، فليته اطلع على الغيب من قبل...
ولكن هيات أن يدع حزناً في الوجود ينقص
عليه صفوه ، ولن يكون غنياً إذا لم ينهل من مورد
السعادة كل شهى وينقى صفحة وجوده من لوثات
الأم والشقاء ، وما هي إلا لحظة حتى ابتده عقله الحل
الموفق فهرع إلى المائدة وكتب إلى عمه الرسالة التالية:
«عمنا المحترم :

أرسل إليكم مع خطابي هذا وثيقة الطلاق من
ابنتكم كما هو مقدور ، وإنها لكبيرة ولكني فكرت
في أمرى طويلاً فلم أرعنها محيداً ، فهو تصميم نهائي
لا رجعة فيه وأرجو الله أن يلهمكم الصبر وأن ينزل
في قلبكم الرحمة فتغفروا لي «

وطالعه مرات ، وقد بدا له جافاً ، ولكنه لم
يحاول تخفيف لهجته بل ود لو آتته الشجاعة فجعله
أشد قسوة وأنفى للمجاملة ، وأخذ ظرفاً دسه فيه
وكتب عليه عنوان عمه وخرج لا يلوي على شيء
يفتش عن المأذون ، ولم يهدأ له قلب حتى سلمه إلى
صندوق البريد ونام ليلته سعيداً مرتاح البال...

وفتح عينيه عند استيقاظه فشاهد نور
الصباح ينسكب من كوة الحجرة كأنه صدر حسنة
تنفجر عنه غداثر شعر حالك السواد ، فقام كأنه يولد
من جديد في عالم جديد ، ودلف إلى رزمة الظروف
وأخذ آخرها وهو يقول :

ولا أبوك... أهذه هي الورقة التي جئت من أجلها؟
خذها إرباً إرباً... إذهب... أغرب عن وجهي»
وجرى الشاب نحوه يحاول منعه من تمزيق
المرّة الرابعة، فلطمه لطمّة أشد من الأولى،
فأمسك أبوه بيده وهو يبكي، وجذبه خارجاً وهو
يصيح به متألماً:

« ماذا فعلت يا محمد...؟ ماذا فعلت...؟ »
وكان اليأس قد بلغ به منتهاه فأفلت من يد أبيه
وجري شطر الطريق المؤدى إلى النيل، فارتعب
أبوه وجرى خلفه وهو يناديه، ولكن ضاع نداءه
في الهواء، لأن محمد لم يكن يسمع شيئاً، فلم يلتفت
إلى والده ولا إلى نداءه، وماله هو ونداء أبيه...؟
بل ماله ونداء الدنيا جميعاً وهو لم يعد من أهلها...
تجيب محفوظ

حتى أراد الله أن تنتهي الرحلة، فجري جرياً
إلى دار عمه
وكان وصوله عقب وصول خطابه بزمان قليل،
فوجد البيت هائجاً مأججاً، وصوت عمه يدوي
فيقتحم حجراته وأفنيته، ورأى والده المسكين ماثلاً
بين يدي الرجل الغاضب، منكس الدقن، كسير
الفؤاد، يتلقى سبابه ووعيده في خشوع وذلة ورهبة
وأحدث دخول الشاب دهشة شديدة غير
متوقعة، فساد صمت وخيم سكون، فنظر إليه أبوه
ومد إليه يديه كأنما يقول له: ماذا فعلت... ماذا
فعلت... أما عمه فقد حلق في وجهه يتعجب من
جسارته ومن الباعث الذي حدها إلى الظهور، ونسى
الشاب كل شيء فقال بصوت مبجوح: —
ورقة اليانصيب...

فظل الضمت غمياً ثقيلاً غليظاً، فعاد الشاب
إلى التوسل بصوته الباكي وقد لمح خطابه في شمال عمه:
— ارحمني... أعطني الورقة ولك ما تشاء...
فأفاق الرجل من وقع المفاجأة وتنبه إلى الشاب
الواقف أمامه الذي أزعج طمأنينته ولوث شرفه،
فتقدم منه خطوات ولطمه على وجهه لطمّة شديدة
تركت وراءها آثاراً حمراء وزرقاء؛ وبدأ على محمد
أنه لم يشعر بوقع اللطمّة وإن ترخ قليلاً من شدتها
فاستطرد ذاهلاً:

« الورقة... »

فانفجر عمه مغيظاً محنقاً قائلاً:

« أهكذا يثمر فيك الجميل يا خسيس؟... أهكذا
ترد الصنع يا لئيم... وافضيحتاه... واخزياه...
ستجعلني أضحوكة للشامتين والحاسدين؛ وهذا جزاء
من تأخذه رحمة بالأدنياء... أغرب عن وجهي
يا مجرم، ولا تترني صورتك بعد الآن... لا أنت

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاعور
ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

تمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك
أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه:
١٨ شارع الإيعادية بمحرم بك بالإسكندرية

السالكون إلى البحر

مَسْرُحِيَّة رَائِعَةٌ فِي فَصْلٍ وَاحِدٍ

للكاتب الأيرلندي جُورج ملتون سنچ
بقتل الأديب شكري محمد عياد

كاثلين — إنها
ترقد؛ كان الله في عونها.
ولعل عينها قد هجمتا
لو كان للنوم إليهما من
سبيل

(تدخل نورا في هدوء
وتبرز صرة من الثياب
من تحت وشاحها)
كاثلين (تدير مغزها
مسرعة) — ماذا بيدك؟

نورا — صرة أعطانها القسيس الشاب . إنها
قيص وجورب لرجل غريق في دونيجال (كاثلين
توقف عجلتها فجأة ، وتشخص متصتة) وعلينا أن نتعرفهما
إن كانا من ثياب ميخائيل ، فبعد قليل نذهب إلى
البحر تنفّس في أمواهه

كاثلين — وكيف تكون تلك ثياب ميخائيل
يا نورا ؟ أتني له أن يقطع شمالاً ذلك الطريق الطويل ؟
نورا — لقد ذكر القسيس أنه لح فيها مشابه
من ثياب ميخائيل ثم قال : فإن كانت كذلك فخيرها
أن الله قد قبضه إليه وأنه مات ميتة طاهرة ، وإلا
فلا تذكر إحداكما لها شيئاً فتموت أسي ولوعة
(تهب عصفة ريح فيفتح الباب الذي أقفلته نورا نصف إقفال)
كاثلين (تنظر إلى الخارج في قلق) — وهل
سألته هل يمنع بارتلي من أن يذهب اليوم بالجياد إلى
سوق جالواي ؟

نورا — لقد قال : إني لن أمنعه ، ولا تخشين
شيئاً . إنها لتقوم الليل حتى نصفه داعية ذاكرة
مبتهلة ، والله القدير لن يتركها معوزة بغير بنين
كاثلين — أثار البحر حول الصخور البيضاء يا نورا ؟
نورا — نصف ثورة ... الله يرحمنا ويرعانا ! في
الغرب زجاجة وإرعاد ؛ وعند ما تهب الريح تزداد الحال
سوءاً (تذهب بالصرّة إلى المنضدة) أفأبسطها الآن ؟

« جون ملتون سنچ » كاتب إيرلندي كبير . ولد على
مقربة من دبلن سنة ١٨٧١ ، وتخرج في كلية ترنتي عام
١٨٩٢ ، فطفق يحب ربوع فرنسا وألمانيا بقيارته ،
ويحاول الارتزاق عن طريق الصحافة الأدبية . ثم عاد إلى
إرلندا عام ١٨٩٨ وعاش بين فلاحها بضع سنين ،
فأزهرت عبقريته على ربي الوطن وبطاحه ، بعد أن كادت
تدوى بين جدران باريس . ثم اضمحلت قواه فأودى به
الطاعون عام ١٩٠٩ ، وقد بدأ نجمه يتلأأ ويخطف
الأبصار ، وعلى الرغم من ميته المبكرة وتراثه الأدبي القليل
فانه ما زال يعد عميد المسرح الأيرلندي ونجمه اللامع ،
وأعظم كاتب مسرحي انجليزي بعد شكسبير

ومسرحيات سنچ مستمدة كلها من حياة الفلاحين
الأيرلنديين وصائدي السمك في جزائر آران ، « والراكبون
إلى البحر » أعظم مسرحياته ، وقد يبالغ بعض النقاد فيرفعها
فوق أروع معجزات شكسبير ؛ ففيها وصف دقيق لسطوة
الطبيعة على كفاف الإنسان وتحليل رائع لنفسية أم سلبها البحر
أهلها وبنيتها . وجو المسرحية الصوفي الانساني يرفعها إلى أعلى
مراتب « الواقعية السامية » Transcendental Realism
كما يسميها الناقد الأمريكي « جرانت أوفرتون »

شخصيات القصة

موريا : امرأة عجوز . بارتلي : ولدها . كاثلين
ونورا : بنتاها ، وصغراهما نورا . رجال ونساء
(المنظر : مطبخ كوخ فيه شباك وجلود ومغزل ، وقد
استندت إلى الحائط ألواح جديزة من الخشب . كاثلين — وهي
فتاة في نحو العشرين — تفرغ من عجن كعكة وتضعها
في إناء على النار ، ثم تمسح يديها ، وتصرع في إدارة مغزها)
نورا (في صوت غضب) — أين هي ؟

كاثلين — قد تصحو فتبغتنا

نورا (تذهب إلى الباب الداخلي وتنصت) — إنها

تقلب على فراشها ، وفي دقيقة تأتي

كاثلين — ناوليني السلم أجبها في خزانة الوقود

فلا تعلم من أمرها شيئاً . حتى إذا كان المد خرجت

ترى إن كان الشرق قد أتى به طافياً على الأمواج

(تسندان السلم إلى زاوية المدخنة ، وتصعد كاثلين

بضع خطوات ثم تخفي الصرة في خزانة الوقود . تأتي

موريا من الغرفة الداخلية)

موريا (تنظر إلى كاثلين وتسألها متذمرة) — أفليس

عندك من الوقود ما يكفي ليوم وليلة ؟

كاثلين — تلك كعكة أنضجها على النار .

(تلتقي بحزمة وقود من الخزانة) وسيحتاج إليها بارتلي

إذا كان المد وذهب إلى كونمارا

(نور تلتقط الوقود وتحيط به الاناء)

موريا (تجلس على كرسي إلى النار) — لن يذهب

اليوم والريح تعصف من الجنوب من الغرب . لن

يذهب اليوم ولنسوف يمنعه القسيس بلا ريب

نورا — لن يمنعه القسيس يا أماء . ولقد سمعت

إيمون سيمون وستيفن فتي وكولم ستون يقولون

إنه سوف يذهب

موريا — وأين هو ؟

نورا — ذهب يرى لعل مركباً آخر يبحر في

هذا الأسبوع ، وما إخاله إلا آتياً بعد قليل . فقد ظهر

المد عند الرأس الأخضر وأقلت الفلك من الشرق

كاثلين — إني أسمع صوت عابر يتردد بين الصخور

العظفي

نورا (تنظر إلى الخارج) — إنه لقادم يغذا السير إلينا

بارتلي (يدخل ويسرح النظر في الحجرة ، ثم يتكلم

في نبرة حزينة هادئة) — أين الحبل الجديد يا كاثلين ؟

ذلك الذي اشتريناه من كونمارا ؟

كاثلين (هابطة) — ناوليه إياه يا نورا . إنه

معلق على مسمار بإزاء الخشب الأبيض

نورا (تناوله حبلاً) — أهو ذاك يابارتلي ؟

موريا — خير لك أن تدع الحبل معلقاً إلى

الأخشاب يابارتلي (بارتلي يأخذ الحبل) فلسوف

نحتاج إليه إن عثرنا على ميخائيل صباح الغد أو بعد

غد أو في أي يوم طوال هذا الأسبوع . ولنسوف

نواريه في تابوت عميق يزحمه الله

بارتلي — سوف أرسن به فرسي . ولا بد أن

أسرع الآن ، فلن يبحر بعد هذا المركب

مركب مدى أسبوعين أو أكثر . ولقد سمعتمهم يقولون

إن السوق نافقة وإن الجياد تباع فيها بيعاً حسناً

موريا — ولنسوف يحزننا قولهم إن عثرنا على

الجثة ولم نجد رجلاً يصنع الناووس ، بعد أن بذلت

ثمناً عالياً في شراء أخشاب لن نجد خيراً منها في

كونمارا . (تنظر إلى ألواح الخشب)

بارتلي — وكيف تطفو الجثة وقد راقبنا البحر

تسعة أيام فما رأينا شيئاً ، والريح تهب آتياً من الغرب

وآونة من الجنوب ؟

موريا — إن كنا لم نجده فإن الريح لتمير البحر ، وإن

بإزاء القمر نجماً عالياً ، وإنه لشرق لألاء . وما جدوي

مائة جواد أو ألف جواد وقد فقدت ابنأماله من بديل ؟

بارتلي (يرسن فرسه) — راقبي الغلال كل يوم

يا كاثلين لئلا تأكلها الخراف . وإذا عن لك من

يشترى البطة مقسطاً فيبيعه إياها . لنسوف تشق

علينا الحياة وليس فينا إلا رجل واحد

موريا — ولنسوف يضيق بنا العيش عند

ما يبتلعك البحر كما ابتلع الآخرين . وكيف أعيش

أنا وبنيتاي وأنا امرأة عجوز تنتظرني القبور ؟

(بارتلي يلقي الرسن ويخلع سترته العتيقة ويرتدي

أخرى جديدة من نفس القماش)

بارتلي (مخاطباً نورا) — هل أقبل الفلك إلى المرسى ؟

(•)

سوف تربته فيذهب سوء فألك ، وتقولين له : رعاك
الله يا بنى ! فيهدأ باله

موريا (تتناول الخبز) — أفأستطيع إدراكه ؟

كاثلين — إذا أسرع الآن

موريا (تنف مرتحة) — لم أعد أستطيع السير
إلا بمشقة

كاثلين (ترمقها بنظرات قلقة) — ناوليها العصا
يا نورا ، لئلا تنزلق قدمها فتشمها الصخور

نورا — أى عصا ؟

كاثلين — تلك التى أحضرها ميخائيل من كونمارا

موريا (تأخذ العصا التى تناولها إياها نورا) — فى

أرض الله العاصرة يموت الكبار ويخلفون لأبنائهم
ما يملكون ؛ وفى هذه الأرض الغاصرة يموت الأبناء
ويخلفون أشياءهم للعجائز الطاعنين

(تخرج فى بطاء . تتجه نورا شطر السلم)

كاثلين — على رسلك يا نورا . لقد أذهلها الحزن
فماذا تحسسين . ماذا تفعل ؟

نورا — هل وارتها الشجيرة ؟

كاثلين (تنظر إلى الخارج) — لقد ذهبت الآن .

أسرعى فليس يعلم إلا الله أيا ن تعود

نورا (تأخذ الصرة من الخزانة) — لقد وعد
القسيس الشاب أن يأتى غدا . وقد نذهب إليه ،

إن كانت تلك حقاً ثياب ميخائيل

كاثلين (تأخذ الصرة) — هل خبرك كيف وجدت ؟

نورا (هابطة) — لقد قال : كان رجلاً يحدقان

بخمر قبل أن تصيح الديكة ، فغثر بالجثة مجداف
أحدهما ، وهما ماران بصخور الشمال السوداء

كاثلين (تحاول حل الصرة) — ناولينى السكين

يا نورا ، لقد زادت ملوحة الماء فى شدة الخيط ،

واسودت عقدة فما تستطيعين حلها فى أسبوع

نورا (تناولها سكيناً) — لقد سمعت أن الصخور

السوداء على بعد قصى من دونيغال

نوزا (تنظر إلى الخارج) — لقد مر بالرأس
الأخضر ثم أرخى قلاعه

بارتلى (يتناول حافظته وطباقة) — سوف أذهب

إلى المرفأ فى نصف ساعة ، وبعد يومين أعود أو

بعد ثلاثة ، أو بعد أربعة إن عابثتنا الريح

موريا (تتجه إلى النار ثم تطرح الوساح على رأسها) —

أفليس من ظلم الرجل ألا يصيخ إلى مقال امرأة
عجوز تضن به على البحر ؟

كاثلين — فى البحر حياة لشاب يريد أن يعيش ؛

ومن يلقى السمع إلى كلام امرأة عجوز لا تفتأ تردده
فى كل حين ؟

بارتلى (يقبض على الرسن) — على أن أذهب

الآن سريعاً . سوف اعتلى صهوة الجواد الأحمر ويعدو

المهر الرمادى ورأى .. فى رعاية الله .. (يخرج)

موريا (صائحة وهو بالباب) — لقد خرج الآن .

لن نراه يرحمنا الله ... لقد خرج الآن ... وفى بهمة

الليل يسلبني البحر أولادى أجمعين ... !

كاثلين — لم لا تباركينه وإنه ليلتفت إليك وهو

بالباب ؟ أما كفنا حزناً حتى تشيعيه بكلام محزن مشئوم ؟

(موريا تتناول الماشة) وتجمع النار وهى شاردة لا تنتظر

فما حولها)

نورا (تلتفت إليها) — إنك تبعدين الوقود عن

الكعكة . !

كاثلين (صائحة) — فليغفر لنا الله يا نورا ! لقد

نسينا كعكته ! (تتقدم إلى النار)

نورا — ولسوف ينهكه الجوع إذ يبحر حتى

فحمة الليل بغير زاد ، وما طعم شيئاً منذ طلعت الشمس

كاثلين (ترفع الكعكة من على النار) — سوف

ينهكه الجوع بغير شك . لقد غفلنا عن ذلك ؛ وحقيق

أن يغفل أهل بيت امرأة عجوز لا ينقطع لها حديث

(موريا تتململ فى مقعدها . كاثلين تقطع شطراً من

الجيرة وتلقه فى مزرقة من قماش . ثم تخاطب موريا :)

فلتذهبي الآن إلى البئر فأعطيه هذه عند ما يجر بك .

يانورا ... إني لأسمع صوتاً خافتاً في الطريق
نورا (تنظر إلى الخارج) — إنها كذلك
يا كاثلين . إنها مقبلة إلى الباب
كاثلين — خبئي هذه الأشياء قبل أن تأتي .
ولعلها قد سكنت بعد إذ باركت بارتلي . ولا تخبريها
مما تعلمين شيئاً طوال غيبته على البحر .
نورا (تعاون كاثلين في حزم الثياب) — سوف
نضعها في هذا الركن (تحبثانها في ثقب في ركن المدخنة
تعود كاثلين إلى مغزها) — أفتظنني رائية مخبي ؟
كاثلين — اجعلي ظهرك إلى الباب يخطئك النور
(نورا تجلس في ركن المدخنة وظهرها إلى الباب .
تدخل موريا في بطاء شديد دون أن تنظر إلى بيتيها ، ثم تجلس
على كرسيها إلى الطرف الآخر من النار ، وما زالت اللقافة
في يدها . تتبادل الفتاتان النظرات ، ثم تشير نورا إلى الحيز)
كاثلين (بعد أن تدير مغزها برهة) — ألم تعطيه
اللقافة يا أماء ؟

موريا — (تولول ولولة ضعيفة دون أن تنظر فيما حولها)
كاثلين — هل رأيته راكباً ؟
موريا — (لا تزال تقول)
كاثلين — (في شيء من الضيق) — سأحكك
الله ! أفليس أجدي أن ترفعي صوتك وتخبرينا بما
رأيت ، ثم لتبكي ماشئت ؟ إني أسألك : رأيت بارتلي ؟
موريا (في صوت خافت) — اليوم برح بي الهم
وانصدع قلبي

كاثلين (في صبر نافذ) — رأيت بارتلي ؟
موريا — لقد رأيت أهول ما رأت عينان
كاثلين (تخلي عجلتها وتتنظر إلى الخارج)
سأحكك الله ! إني أراه راكباً جواده بإزاء الرأس
الأخضر ، والمهر الرمادي يعدو خلفه
موريا (تهب من جلستها ، فيسقط الوشاح عن رأسها
وينحسر عن شعرها الأشيب الأشعث ، وتكرر في صوت مرتعب)
— والمهر الرمادي يعدو خلفه !
كاثلين (مقبلة إلى النار) — ما بك ؟

كاثلين (تجذ الحيط) — إنها كذلك . ومنذ
برهة كان هنا الرجل الذي باعنا هذه السكين ؛ ولقد
قال إنها على مسيرة سبعة أيام من دونيغال
نورا — وفي كم من الزمن تبلغها حشة طافية ؟
كاثلين (تحمل الحزمة وتأخذ منها جورباً ومزقة من
قميص . الفتاتان تنظران إليهما في انقباض شديد ثم تهمس
كاثلين :) يرحمنا الله يانورا ! أفليس من العسير أن
نحكم إن كانت تلك حقاً ثياب ميخائيل ؟
نورا — سأتي بقميصه من على السمار فترى إن
كان هذا من عين القماش . (تنظرين الثياب المعلقة في ركن
الكوخ) ليس القميص هنا يا كاثلين . فأين هو إذن ؟
كاثلين — ما أظن إلا أن أخانا قد ارتداه في
الصباح ، فقد كان الملح يثقل قميصه (تشير إلى الركن)
لديك مزقة من قميص فهايتها . (تحضرها نورا فتفاران
بين الثوبين) إنه من عين القماش يانورا . ولكنه قد
يكون قميص رجل آخر ، فهذا الصنف كثير في
حوانيت جالواي

نورا (بعد أن تتناول الجورب وتعد عيونها) — إنه
ميخائيل يا كاثلين ! إنه ميخائيل يرحمه الله ! وماذا
تقول أمنا حين تسمع القصة وقد أبجر بارتلي ؟ !
كاثلين (تأخذ الجورب) — إنه جورب غفل بغير وسم
نورا — إنه ثاني جوارب ثلاثة صنعتها ، وفيه
ستون عينا أنقصتها عيوناً أربعا .

كاثلين (تعد العيون) — إنها كذلك يانورا !
آه يا أختاه ! ما أمر على القلب وما أوجع أن طوح
به الموج إلى الشمال القصي حيث لا يندبه أحد إلا
عجائز البحر الكئيبة السوداء !
نورا (تتزع ثم تحتضن الثياب) — ما أمر على
القلب وما أوجع أن طاح الموت يبحار قوى شديد
فلم يبق منه إلا مزقة من قميص وجوزبا غير موسوم !
كاثلين (بعد برهة) — خبريني إن كانت قادمة

موريا (تتكلم في بطاء شديد) — لقد رأيت أهول
مارأت عينان منذ أبصر (برايد دارا) الرجل الميت
والطفل بين ذراعيه

كاثلين ونورا — أواه !

(تتبعان قرب النار بازاء المرأة)

نورا — خبرينا ماذا رأيت !

موريا — ذهبت إلى البر، ثم وقفت أخافت بالصلاة ،
حتى أقبل بارتلي راكباً جواده الأحمر ، والمهر الرمادي
وراءه (ترفع يديها كأنها لتخفي عن عينيها شيئاً) الله يرحمنا يا نورا !

كاثلين — ماذا رأيت ؟

موريا — رأيت ميخائيل بعينه

كاثلين (في هدوء) — كلاً يا أماء ليس ميخائيل
من رأيت . فلقد وجدت جثته في الشمال القصي .
ولقد مات موة طاهرة يرحمه الله .

موريا (في شيء من التحدى) — لقد رأيت اليوم
يعدوهم طعاماً بجواده . وكان السابق بارتلي ، بجواده
الأحمر . فأردت أن أقول له : الله يراك ، فمصاني
لساني ، واختنقت الكلمات في حلقى ؛ وقال بارتلي :
في حراسة الله ، فلم أستطع أن أجيبه ؛ ثم صرخت
ونظرت إلى المهر الرمادي يعتليه ميخائيل وقد
ارتدى ثياباً قشبية وانتعل خفين جديدين

كاثلين (مولولة) — اليوم تحطمنا ! اليوم
تحطمنا ولا ريب !

نورا — ألم يقل القسيس الشاب إن الله لن
يتركها معوزة بغير بنين ؟

موريا (في صوت خفيض جلى) — إن مثل بارتلي
لا يعلم عن البحر إلا قليلاً ، وسوف نفقده الآن .
استقدما إيمون فجهزوا من هذه الأخشاب البيضاء
ناووساً حسناً . فلن أعيش من بعدهم طويلاً . لقد
كان لي بعل وكان لي حمٌّ وكان لي في هذا البيت
ستة أبناء — ستة رجال أقوياء كانت ولادتهم على
عسيرة ! — عثرت على بعضهم ولم أعثر على البعض ،

ولكنهم ذهبوا جميعاً ... فأودت الريح الكبرى
بولدى ستيفن وشون ، وطوحت بهما إلى الفم الذهبي
ثم ولجا هذا الباب فوق لوح من الخشب (تصمت برهة
وتجفل الفتاتان كأنهما سمعتا خفيفاً بالباب الموارب خلفهما .)

نورا (في هس) — هل سمعت يا كاثلين ؟ هل
سمعت صوتاً من الشمال الشرقي ؟

كاثلين (في هس) — إني أسمع لجباً وصياحاً
بازاء الساحل

موريا (مستتلية لا تسمع شيئاً) — وفي فجأة الليل
فقدنا شيموس وأباه وجده ، ثم أشرقت الشمس على
غير أثر خلفوه ... وانقلبت ياتش قارب فغرق ؛
وكننت جالسة هنا وبارتلي نائم على ركبتى — وكان
ما يزال طفلاً — فرأيت امرأتين فتلات نساء فأربعة
رجال يدخلون ويرسمون الصليب على صدورهم
ساهمين ؛ فرميت بيصرى إلى الخارج فرأيت رجالاً
مقبليين وراءهم يحملون شيئاً في شطر قلع أحمر يقطر ماء
فيرسم في الطريق أثراً ... وكان يوماً جافاً يا نورا ! ...
(تصمت مرة أخرى ويدها ممدودتان إلى الباب . يفتح ببطء
وتجوز بالوصيد عجائز يرسمن على صدورهن الصليب ثم يخطون
إلى مقدمة المسرح حانيات الظهور وعلى رؤوسهن خر حراء)
موريا . (نصف حاملة مخاطبة كاثلين) — أباتش ؟

أم ميخائيل ؟ أم أي شيء أرى ؟

كاثلين — لقد عثروا على ميخائيل في الشمال القصي
فكيف نلقاه هنا ؟

موريا — تلك قوة الشباب يا كاثلين ... ومن
أدراهم أن ميخائيل هو من عثروا عليه ؟ إن رجلاً
تتطاوح به الريح وتقاذفه الأمواج تسعة أيام لكالرسم
الطامس لا تتعرفه عينا إنسان ؛ حتى أمه لو رآته
لما علمت أى رجل في إهابه

كاثلين — بلى يا أماء إنه ميخائيل ! لقد بعثوا
إلينا من الشمال القصي رمزاً من ثيابه

اصنع أنت وإيمون ناووسا ولدنا خشب أبيض جميل ،
اشترته — كان الله في عونها ! — ظانة أن سنجد
ميخائيل . وسأعطيكما كعكة طازجة تأكلانها إبان عملكما
الرجل العجوز (ينظر إلى الأخشاب) — وهل
لديك مسامير !

كاثلين — كلا يا كولم ، فإننا لم نفكر في هذا الأمر ...
رجل آخر — عجيب ! ألا تفكر في المسامير ،
وقد رأت النواويس كلها كيف تصنع !

كاثلين — لقد أوقرتها السنون وناءت بما حملت
(موريا تقف في بطة مرة أخرى ، ثم تبسط ثياب
ميخائيل بجانب الجثة ، وترشها بما بقى من الماء المقدس)
نورا (في همس مخاطبة كاثلين) — لقد هدا روعها
الآن وسكنت . ويوم مات ميخائيل كانت تبدو
مولولة بين البيت والبئر ... لقد كان ميخائيل أحب
إليها ... من كان يظن هذا ؟

كاثلين (في بطة وجلاء) — إن امرأة عجوزاً
لتمل أى شيء تفعل ... لقد غبرت تسعة أيام تصرخ
وتلول وتملأ البيت حزناً

موريا (ترد الزجاج الفارغة أسفل المائدة ، ثم تضع
كلتا يديها على قدمي بارتلي) — لقد ذهبوا الآن جميعاً
وانتهى كل شيء . يرحم الله بارتلي وميخائيل وشيموس
وياتش وستيفن وشون (تطأطأ هامتها) ويرحمني الله
يا نورا ! ويرحم الله كل من لا يزال خيماً على ظهر
هذه الأرض !

(تصمت ويعلو عويل النساء ، ثم يخفت ويتضاءل)
موريا (مستتلة) — لقد مات ميخائيل في
الشمال القصي ميتة طاهرة ، وسيثوي بارتلي في ناووس
جميل من الأخشاب البيضاء ، ثم يوارى في تابوت عميق ؛
فقيم نأمل بعد ؟ لن يخلد على الأرض مخلوق فعلينا
أن نرضى (ترفع مرة أخرى ، ويسدل الستار رويداً)
رحمة شكرى محمد عباد
كلية الآداب

(تقدم إلى موريا قيص ميخائيل وجوريه ؛ موريا تقف
في بطة فتأخذها بين يديها . نورا تنظر إلى الخارج)
نورا — إنهم يحملون بين أيديهم شيئاً ، والماء
يقطر فيخلف على الصخور الكبيرة أثراً
كاثلين (في همس مخاطبة العجوز التي قدمت) — أبارتلي ؟
إحدى النسوة — إنه هو يرحمه الله

(امرأتان صغيرتان تجران المائدة . الرجال يدخلون
حاملين جثة بارتلي على لوح من الخشب ، وقد تقطت بشر
من قلع ثم يسجونها على المائدة)

كاثلين (مخاطبة النساء) — وكيف غرق ؟
إحدى النسوة — ألقاه المهر الرمادي إلى البحر
فغسلناه على أمواج الصخور البيضاء

(تتقدم موريا إلى المائدة ثم ترفع رأسها النساء يولولن
في صوت خافت ، ويتمايلن في بطة ؛ كاثلين ونورا يركمان
عند الطرف الآخر من المائدة . الرجال يركعون قرب الباب)
موريا (ترفع رأسها ثم تتكلم كأنها لا تبصر من
حولها) — لقد ذهبوا الآن جميعاً ، ولم يعد البحر
قادراً على أن ينال مني شيئاً . لم يبق ما يجعلني أقوم
الليل داعية حين تعصف الرياح في الجنوب ، أو حين
تتلاطم الأمواج في الشرق ، أو حين تتلاطم الأمواج
في الغرب ، أو حين تختلط أصداؤها في أذني . لن
أذهب إلى سامهان لآتي بالماء المقدس ، وحين تعول
النسوة لن أهتم لحال البحر . ناوليني الماء المقدس يا نورا
فما زالت منه بقية في القينة

نورا — (تناولها إياه)

موريا (تسقط ثياب ميخائيل عند قدمي بارتلي وترش
عليه الماء المقدس) — ما كان ذاك لأنني لم أدع لك الله
القدير يا بارتلي ، ولا لأنني لم أبتهل إلى ربك في خمة
الليل حتى ليهم عليك قولي ؛ ولكني الآن قد
أشرفت على الراحة إذ أنام في ليالي سامهان ؛ وإنها
الراحة لو وجدنا حفنة من دقيق بليل وسمكة مريجة
نأكلها (ترفع ثانية وترسم الصلب على صدرها وتهمس بالصلاة)
كاثلين (مخاطبة رجلاً عجوزاً) — حين تشرق الشمس

الناس في حقيقة ذلك
الشخص فبعضهم يقول
إنه شاب غريب يعزف
على القيثارة أوقع الأميرة
في شرك جماله ، وآخرون
يتحدثون عنه أنه فنان
رفيع النسب جاء من
« رميني » واختفى فجأة

الملك والشبح

للكاتب الانكليزي أوسكار وايلد
مترجمة بقلم الأديب بشر الشوبقي

من المدينة تاركا عمله في الكنيسة قبل أن ينتهي .
وقد سرق هذا الطفل من جنب والدته أثناء رقادها
قبل أن يبلغ سبعة أيام من عمره وعُهد بتربيته إلى
قروي يعيش هو وزوجته في طرف غابة تبعد عن المدينة
مسير يوم ؛ وماتت والدته الفتاة البيضاء ، فأشاع
بعضهم أنها ماتت من الحزن ، وقال أطباء البلاط ماتت
من الحمى ، وقال آخرون لا بل ماتت منتحرة بأن
تجرعت في ساعة من ساعات ضعفها كأساً من النبيذ
المعتق مزجت به كمية من السم الايطالي الزعاف ؛
ويذكرون أنه في الوقت الذي وقف فيه الرسول
الأمين بالطفل أمام كوخ المعاز وطرق بابه الغليظ ،
كانت جثة الأميرة تنزل في قبر قد شق في أرض
صحراوية خارج أسوار المدينة . ويقال إن جثة أخرى
كانت ملقاة في هذا القبر هي جثة شاب خلّاب
الجمال أجنبي الملامح قد شد وثاقه بحبل متين وأُخن
صدره بالجراح الحراء

بمثل هذه القصة كان يتهامس الناس ، ولكن
من الثابت أن الملك الشيخ قد أرسل في طلب
الغلام وهو على فراش الموت وأقره بحضور
مجلس الوزراء ولياً لعهد ؛ وقد يكون الدافع له
إلى هذه المبرّة رغبته في التكفير عن جريمته

هي آخر ليلة تسبق اليوم المعين لتتويج الملك
الشاب وكان يجلس وحيداً في غرفته الفخمة ، بعد
أن خرج من حضرته رجال بلاطه جميعهم مقبلين
الأرض بين يديه تبعاً لعادات ذلك الزمن ، عائدين
إلى قاعة القصر الكبرى ليتلقوا آخر درس في
المعايشة من أستاذ التشريفات . لقد كان بينهم من
لا يزال محتفظاً ببعض أخلاقه الفطرية ، ومما يؤسف
له حقاً أن مثل هذه الأخلاق تعد في البلاط من
أكبر الكبار

لم يأسف الغلام لرحيلهم — أقول الغلام لأنه
كان غلاماً حقيقة لم يتجاوز السادسة عشرة من
عمره — بل استلقى على الوسائد الناعمة متنفساً
الصعداء وقد كان وهو مضطجع على فراشه ينظر
بعينيه المستوحشتين وفيه مفتوح أشبه ما يكون بإله
الأحراج الأسمر أو بحيوانات الغابة الصغار إذا
ما وقعت في فخاخ الصيادين

والواقع أن الصيادين هم الدين عثروا عليه صدفة
وهو يجري عارى الساقين وراء قطيع المعاز الفقير
الذي رباه وكان عنده بمنزلة ولده

كان الطفل ابن وحيدة الملك الشيخ ، ولده
على أثر اقتران سري برجل من العامة ، وقد اختلف

الفضيلة أو مجرد الحرص منه على إبقاء الملك في سلالته وقد أظهر الغلام منذ أن اعترف به أنه قوى الشعور بالجمال؛ وقد كان لشعوره هذا أعظم الأثر في حياته، فهو لاء الذين ألحقوا بخدمته ليكونوا رهن إشارته كثيراً ما تحدثوا عن صرخة الاغتباط التي تكسرت على شفثيه وعن الفرح الأكبر الذي استولى عليه حين رأى الثوب الناعم والجواهر الثمينة تقدم إليه ليستعوض بها عن ثوبه الجلدي الخشن وفروته الغليظة

ولكنه فقد مع الأيام حرية الحياة في الغابة؛ وكان كثيراً ما يشكو من حفلات البلاط المضجرة التي كانت تستغرق كل يوم شطراً كبيراً من النهار؛ غير أنه وجد في القصر العجيب الذي أصبح الآن سيده، عالماً جديداً يصلح ميداناً لنشاطه، حتى إذا سئحت له فرصة للتخلص من مجلس الدولة أو من قاعة العرش، جرى هابطاً السلم الرخامي الكبير وأخذ يطوف الغرف غرفة غرفة ويتنقل في الممرات ممرّاً ممرّاً كالذي يبحث عنه يجد في الجمال مسكناً لآلامه أو مجدداً لقواه. وكان يرافقه أحياناً في رحلات الاكتشاف هذه على حد تعبيره وصفاء البلاط الظرفاء بأرديتهم الفضفاضة وأشرطتهم الزاهية الخفاقة؛ غير أنه كان يفضل الوحدة في غالب الأحيان، مدركاً بسليقته اليقظة أن أسرار الفن إنما تدرك في السر أحسن إدراك، وإن الجمال كالحكمة إنما يجب من العابد العزلة

وفي هذا الدور تناقل الناس عنه بعض القصص: ذكروا أن حاكم المدينة الضخم دخل عليه يوماً رلياق بين يديه خطاباً في مصالح سكان المدينة

فوجده راكعاً في خشوع حقيق أمام صورة كبيرة قد أحضرت من البندقية منذ لحظات؛ وأنه افتقد مرة فلم يعرف أحد مكانه، وأخيراً وبعد تفثيش واسع النطاق وجدوه في غرفة صغيرة تقع في أحد أبراج القصر الشمالية محرقاً في ذهول بتمثال «أدونيس»؛ وتذهب الفصة إلى أنه قد شوهد يضغط بشفثيه على جبين تمثال قديم كان قد اكتشف في قاع نهر أثناء اشتغال العمال ببناء جسر حجري، وإلى أنه أمضى ليلة بطولها وهو يتأمل في منظر انعكاس ضوء القمر على تمثال «انديميون» الفضي

كان يفتنه كل ماهو ثمين ونادر فيرسل التجار بعضهم إلى مصر ليفتشوا له عن هذا النوع الأخصر من اللازورد الذي لا يوجد إلا في قبور الملوك، والذي يقال إن فيه خواص السحر؛ ويرسل البعض الآخر إلى فارس من أجل الأبسطة الحيرية والخزف المدهون؛ ويرسل آخري إلى الهند لينتاعوا له شفوفاً ودماج وعاجاً ملوناً وميناً أزرق وأحجار وشم وطيا لس من الصوف الناعم

ولكن الذي شغل باله أكثر من كل شيء هو الثوب الذي سيرتديه في حفلة تتويجه وقد نسج بخيوط من ذهب، ثم التاج المرصع بالجواهر الوهاجة، والصولجان ذو الحلقات الماسية المنتظمة صفافاً. لا ريب أنه كان يفكر تلك الليلة في هذه القطع الجلابة وهو مضطجع على أريكته الفاخرة مراقباً حطب الصنوبر وهو يحترق في الموقد

ولقد خيل إليه في تلك اللحظة أنه عند مذبح الكنيسة في حلة الملك الجميلة. وابتسامة الطفل قد

والنساء النحيلات يجلسن إلى مناخذ الخياطة . وكان الهواء فاسداً ثقيلاً ، والمكان قد امتلأ برائحة خبيثة والجدران تنز بالرطوبة

تقدم الملك الشاب نحو أحد الحاكة ووقف إلى جانبه فنظر إليه الحائك غاضباً وقال :

— لماذا تراقبني ؟ أنت جاسوس أرسلك معلمنا لتتجسس علينا ؟

فسأله الملك الشاب : ومن هو معلمك ؟

أجاب الحائك بمرارة : إنه رجل مثلي ، وفي الحق لا يوجد بيننا من فارق إلا أنه يرتدى أجمل الثياب وأنا أرتدى أحقرها ، وأنى مريض من الجوع وهو مريض من التخممة

قال الملك الشاب : إن رحمة الله واسعة وما أنتم بعبيد

أجاب الحائك : في الحرب يستعبد القوي الضعيف ، وفي السلم يستعبد الغني الفقير . يجب أن نشتغل لتعيش . إننا نكدح لهم طول النهار وهم يكدسون الذهب في خزائهم ، وأطفالنا يذوون قبل الأوان . إننا نعصر العنب ويشرب غيرنا الخمر ؛ ونحصد القمح ويؤتنا فارغة منه ، إننا مصفدون وإن كانت العين لا ترى أصفادنا ؛ وإننا عبيد وإن كان الناس يدعوننا أحرارا

— وهل هذا هو حال الجميع ؟

أجاب الحائك : إنه حال الجميع ، حال الشبان وحال الشيوخ ؛ حال النساء وحال الرجال ؛ حال الأطفال الصغار وحال الطاعنين في السن ؛ لقد أنقض التجار ظهرنا ، ومن شقائنا أننا مضطرون أن نخضع لأوامرهم . يمر بنا القسيس راكباً جواده

ارتسمت على شفثيه فأضاءت عينيه السوداوين بنور بهيج . وها هوذا ينهض من مقعده ويتكىء على بناء المدخنة المقوس ويدبر عينيه في الغرفة الباهتة الضوء ، وكان يستطيع أن يرى في الخارج قباب الكنائس الضخمة تلوح كالفقايع فوق المنازل المظلمة ، والحراس المتعبين يسرون في الطريق المغشى بالسحاب إلى جانب النهر صاعدين هابطين ، والعندليب يغنى في حديقة بعيدة ، وعبير الياسمين يفوح من النافذة المفتوحة

لقد رفع خصل شعره الفاحم عن جبهته وتناول القيثارة وترك أصابعه تعبت بأوتاره فدمعت أجفانه المثقلة وسرى في جسمه فتور غريب

إنه لم يشعر بمثل هذا الشوق من قبل ، ولا بمثل هذا الفرح الشامل ، ولا بمثل غموض هذه الأشياء الجميلة وسحرها . وحينما دقت ساعة البرج مؤذنة بانتصاف الليل لمس جرساً فاذا بوصفائه القيد الأماليد يدخلون عليه وينزعون عنه ثيابه وينثرون الأزهار على وسادته ، وبعد قليل يغادرون الغرفة فيسلم جفنيه للرقاد

وقد رأى في رقاذه هذه الرؤيا :

وجد نفسه واقفاً في حجرة واطئة طويلة في وسط الدوي المتصاعد من حركة الأنوال الكثيرة ، وضوء الصباح الضعيف يطل على الغرفة من النوافذ المشبكة بقضبان الحديد فيجعله يرى أشباح النساء قد انحنوا فوق أنوالهم ، والأطفال قد جثموا بأجسادهم الهزيلة المريضة على المقاعد المتقاطعة وقد قرص الجوع وجوههم ، وأرجف البؤس أيديهم الصغيرة

هب نسيم عليل من الشاطئ فغطى ظهر المركب والشرع الكبير بغبرة حمراء زاهية . وعندما ألقوا المرساة وطروا الشرع اندفع الزوج إلى السفينة وأحضروا سلماً طويلاً مصنوعاً من حبال قد أثقلت بالحديد فرماها الربان في البحر بعد أن ثبت طرفها بدعامتين في المركب ، وحينئذ أمسك الزوج بأصغر العبيد سناً فزعوا عنه قيوده وحشوا أنفه وأذنيه بالشمع وشدوا حجراً كبيراً إلى صدره فذب على السلم تبعاً واختفى في البحر

وبعد قليل خرج من الماء والتصق بالسلم وهو يلهث ، يحمل لؤلؤة في اليد اليمنى فتناولها منه الزوج ودفعوا به إلى الورا

كان يغوص العبد في الماء ويخرج ، ثم يغوص ويخرج ، وفي كل مرة كان يحمل معه جوهرة رائعة فيتناولها منه ربان السفينة ، وبعد أن يزنها يضعها في محفظة من جلد أزرق

لقد حاول الملك الشاب أن يتكلم ، ولكن لسانه التصق بسقف حلقه وأبت شفتاه أن تتحركا . لفظ الزوج متنازعين على خيط خرز أبيض ، وحام مركبان حول المركب ، وأخيراً خرج الغائص لآخر مرة يحمل جوهرة أضوا من نجمة الصباح ولكن وجهه كان أزرق زرقة عجيبية وحين ارتقى على ظهر المركب أخذ الدم يتدفق من أذنيه وأنفه . لقد تخبط لحظة ثم سكن سكون الموت . فhez الزوج أكتافهم وقذفوا بالجسم إلى البحر ، وابتسم الربان من بعيد وحينما وصل إليهم تناول الجوهرة ونظر فيها ثم أدناها من جيبيته وانحنى

(٦)

لاعباً بمسبحته ولا أحد يهتم بنا ، زحف الفقر بعينه الجائعتين في أزقتنا التي لا ترى الشمس ، تتبعه الجريمة بوجهها البشع ، يوقظنا البؤس في الصباح ويجلس الذل معنا في المساء ، ولكن مالك ولهذا ؟ إنك لست واحداً منا ، إن وجهك يطفح بالبشر

وأشاح بوجهه عن الملك الشاب وأخذ يرمي الوشيعه وسط النول ، فرأى الملك أن الخيوط التي شدت إلى النول من ذهب ، فاستولى عليه جزع عظيم وقال للحائك :

— وأى ثوب هذا الذى تحبكه !

أجاب الحائك : إنه الثوب الذى سيرتديه الملك يوم تتويجه . ولكن أنت ما صلتك بهذا ؟

فصرخ الملك الشاب صرخة أيقظته من رقاذه فإذا به لا يزال في غرفته الخاصة ، وإذا به يرى خلال النافذة القمر الملون معلقاً في الفضاء

ولكن الرقاد غلبه مرة ثانية فرأى هذه الرؤيا : وجد نفسه ممدداً على ظهر مركب ضخم يسيره مائة عبد بمجاديفهم وقد جلس إلى جانبه على بساط ربان المركب وكان أسود كالأبنوس على رأسه عمامة من الحرير قرمزية اللون ، وتتدلى من شحمته أذنيه الغليظتين بحلقتان كبيرتان من الفضة ، ويحمل في يديه ميزاناً من العاج . وكان العبيد عمارة الأجسام إلا من خلود بالية ، قد شد وثاق كل واحد منهم إلى جاره تلفحهم حرارة الشمس وتتخن أجسادهم سياط الزوج . لقد بسطوا سواعدهم المنحنية ودفعوا المجاديف الثقيلة خلال الماء ؛ وأخيراً وصلوا إلى خليج صغير فوقفوا يسبرون غوره ، وفي تلك الأثناء

قال الطمع : بل لا أعطيك شيئاً ، وخبأ يده
في ثوبه الفضفاض

فابتسم الموت وتناول كأساً ثم غمرها في مجرى
الماء فخرجت من الكأس البرداء^(١) تسير بين الجمع
الحاشد يتبعها ضباب بارد ، وتركض إلى جانبها
حشرات الماء ، فوقعت ثلث الخلق أمواتاً

وحينما شاهد الطمع أن ثلث الناس قد ماتوا
أخذ يضرب صدره ويكي ، ضرب صدره العاري
وصاح بأعلى صوته : لقد ذبحت ثلث خدمي . أغرب
عن هذا المكان . إن الحرب مستعرة في جبال
التر ، وملوك كلا الطرفين المتقاتلين يدعونك . لقد
ذبح الأفغان الثور الأسود وهم في طريقهم إلى المعركة ؛
فما الذي يجب لك الإقامة في وادي هذا ، أغرب
من هنا ولا تعد مرة ثانية

أجاب الموت : لا أذهب مالم تعطيني حبة القمح
ولكن الطمع قبض يده ، وشد على أسنانه
وتمتم : لن أعطيك شيئاً

فابتسم الموت وتناول حجراً أسود ورماه في الغابة
فاذا بالحمى تخرج من شجرة برية ضخمة في ثوب
من الذهب ، وسارت بين الجمع الحاشد لا تلمس
أحداً إلا صرخته

فارتعد الطمع وحثا على رأسه التراب صائحاً :
إنك قاس ، إنك قاس ؛ يوجد مجاعة في مدن الهند
ذات الأسوار ، وقد جفت آبار سمرقند ، وهاجم
الجراد مصر من الصخراء ، والنيل لم يعد يفيض على

(١) اللاريا

قائلاً : إنها تليق بصولجان الملك ، وأشار إلى الزوج
أن يسحبوا الغائص . حينما سمع الملك الشاب ذلك
صرخ صرخة عظيمة أيقظته من رقاذه فأبصر من
خلال النافذة أصابع الفجر الشهباء الطويلة ممسكة
بالنجوم الزاوية

ولكن الرقاد غلبه مرة ثالثة فأبصر هذه الرؤيا :
لقد ألقى نفسه تأمهاً في غابة كثيفة تفج فيها الأفاعي
وتطير البيغاوات البيضاء من غصن إلى غصن ،
وتتمدد السلاحف الهائلة راقدة على الوحل الملهب ،
وكانت الأشجار مكتسية بالقردة والطواويس

وقد ظل يسير حتى وصل إلى نهاية الغابة ،
وهناك أبصر كتلا عظيمة من الرجال يكدحون
في مجرى نهر جاف ؛ لقد تجمعوا كالنمل عند هاتيك
الصخور ، يحفر بعضهم في الأرض ، ويفلق بعضهم
الصخور بالفؤوس الضخمة ، ويستأصل آخرون
الصبار من جذوره ؛ كانوا يجرون من هنا لهنالك
ينادى بعضهم بعضاً وليس فيهم الكسلان

وكان يراقبهم الموت والطمع من ظلمة كهف
قال الموت : إنني متعب ؛ أعطني ثلث الرجال
ودعني أذهب

ولكن الطمع هز رأسه وأجاب : إنهم خدمي
قال الموت : ماذا تحمل في يدك ؟
أجاب الطمع : ثلاث حبات من القمح ،
ولكن مالك ولهذا ؟

صاح الموت : أعطني حبة منها لأغرسها في
حديقتي ، حبة واحدة ثم أذهب بعيداً

فنظر الملك في الثوب والتاج والصولجان فأخذ يجمها
ولم يكن يخطر على باله أنها يمكن أن تكون بمثل
هذا البهاء ، ولكنه تذكر رؤاه فقال لحاشيته :
أبعدوها عني ! سوف لا أرتديها

فشده رجال البلاط وابتسم بعضهم حاسبا أنه
يمازحهم

ولكنه عاد يقول في رزاة : خذوا هذه
الأشياء واخفوها عني ، لا أرتديها وإن كان
اليوم يوم تنويجي ، لأن ثوبي هذا قد نسج بأيدي
الأم البيضاء على نول الأحزان . إن الدم في قلب
الياقوتة ، والموت في قلب اللؤلؤة ، ثم قص عليهم
الرؤيا التي شاهدها

فلما سمعها رجال البلاط أخذ ينظر بعضهم إلى
بعض ويتهامسون قائلين : في الحق إنه لمجنون !
فهل الحلم إلا الحلم ؟ وهل الرؤيا إلا الرؤيا ؟ إن هي
إلا أضغاث أحلام لا تستأهل الاهتمام ؛ وما علينا
أن نفعل في سبيل هؤلاء الذين يكدهون من أجلتنا ؟
هل يجب ألا يأكل الإنسان الخبز حتى يري
الزارع ؟ أو ألا يشرب الخمر حتى يكلم العاصر ؟

وقال كبير الأمناء مخاطب الملك : مولاي
صاحب الجلالة ، أتوسل إليك أن تبعد عنك هذه
الأفكار السود ، وترتدي هذا الثوب الجميل ، وتضع
على رأسك هذا التاج البهي ، إذ كيف يستطيع
الشعب أن يعرف أنك الملك إذا لم تظهر له في
حلة الملك ؟

فنظر إليه الملك الشاب وسأله : أحقا ما تقول ؟
أصحيح أنهم لا يعرفونني إذا لم أرتد حلة الملك ؟

شطئانه بالخيرات ؛ إذ ذهب من هنا إلى هؤلاء الذين
هم في حاجة إليك وأترك لي خدي

فأجاب الموت : لا أذهب ما لم تعطني حبة القمح
أجاب الطمع : لن أعطيك شيئا

فابتسم الموت ثانية وصفر من خلال أصابعه
فجاءت امرأة تطير في الهواء قد كتبت على جبينها :
« الطاعون » يحف بها سرب هزيل من العقبان ،
فقطت الوادي بأجنحتها ولم يبق أحد على قيد الحياة
وعندها اختفى الطمع في الغابة وهو يصرخ ،
ووثب الموت على جواده الأحمر وأطلق له العنان
فجری به يسابق الرياح

وبكى الملك الشاب وقال كمن يخاطب نفسه : ليت
شعري ! من كان هؤلاء الناس وعم كانوا يبحثون ؟
أجاب رجل كان يقف وراءه : عن ياقوت لتاج الملك
فدعر الملك الشاب والتفت حوله فأبصر رجلا
في ثياب الحجاج يحمل في يده امرأة فضية ؛ فشحب
لونه وقال : لتاج أي ملك ؟

فأجاب الحاج : إذا نظرت في هذه المرأة
فإنك تراه

فلما نظر في المرأة وأبصر فيها وجهه هو صرخ
صرخة عظيمة واستيقظ ، فإذا بنور الشمس اللامع
ينساب في الغرفة ، وطيور الحديقة تغنى وهي على
الأغصان

ودخل عليه كبير الأمناء وأعظم رجال الدولة
فقبلوا الأرض بين يديه ، وأحضر له وصفاءه الثوب
المصنوع من ذهب ووضعوا التاج والصولجان أمامه ،

فضاح كبير الأمناء : إنهم سوف لا يعرفونك
يا مولاي

فأجابه : كنت أحسب أنه يوجد بين الرجال
من يرتدي مثل ثياب الملك ، ولكن قد يكون الأمر
كما تقول ، غير أنني لن أرتدي هذا الثوب ، ولن
أتوج بهذا التاج ، وسأغادر هذا القصر كما جئت

ثم أمرهم أن يغادروه جميعهم إلا وصيفاً كان
أصغر منه بعام احتفظ به كرفيق وخادم . وبعد أن
اغتسل بماء قراح فتح صندوقاً كبيراً مزيناً بالرسوم
وأخرج منه الثوب الجلدي والفرو الغليظة التي كان
يلبسها وهو يرعى على جانب التل قطع الماعز ، فارتداها
وتناول في يده هراوة المغاز الضخمة ، ففتح الوصيف
الصغير عينيه الكبيرتين الزرقاوين استغراباً وقال له
وهو يتسم : إني أرى ثوبك يا مولاي وصولاً لجانك
ولكن أين هو تاجك ؟

فقصف الملك الشاب غصناً من شجرة العسلوج
البرية التي كانت تتسلق على الشرفة فتناه وجعل منه
دائرة ووضعها على رأسه وأجاب الوصيف : هذا
هو تاجي

وخرج في هذا الزى من حجرته إلى القاعة
الكبرى حيث كان في انتظاره النبلاء العظام ،
فضحك منه بعضهم وصاح به آخرون : مولانا
إن الشعب ينتظر ملكه وأنت ترى نفسك له شحاذاً
وقال جماعة منهم وقد استشاطهم الغضب : إنه
يجلب العار لدولتنا ، وإنه لا يليق أن يكون سيدنا .
ولكنه لم يجبهم بكلمة واحدة بل استمر في سيره
وهبط السلم الرخامي وخرج من الأبواب البرزية
وامتطى صهوة جواده وأبجه نحو الكندرائية

والوصيف الصغير يجري إلى جانبه

وابتسم الشعب وقال : إنه لملك مجنون هذا
الذي يسير ممتطياً جواده ! وأخذوا يسخرون منه .
فشد عنان جواده ووقف يخاطب الشعب بقوله :
ولكنني أنا الملك ، وقص عليهم أحلامه الثلاثة .
فتقدم إليه رجل من وسط الناس وقال يخاطبه في
مرارة : إن في طفيان الأغنياء حياتنا ، وأبهة
الملك تعلمنا الشيء الكثير ، وأخطاؤه تعطينا خبرنا ،
والغربان وحدها هي التي تمدنا بالعون . أتستطيع
أنت أن تقول للمشتري اشتر بكذا وللبائع بع بهذا
التمن ؟ أنا لا أظن ذلك ، إذن فارجع إلى قصرك
وارتد حلتك الجميلة المزينة باللاآلئ فما أحسبك
تستطيع أن تفعل شيئاً من أجلنا

فاغرو رقت عيننا الملك الشاب بالدموع ولكنه
لكز جواده فسار به بين همسات الشعب ، أما الوصيف
الصغير فقد داخله الخوف فتركه

وحينما وصل إلى باب « الكندرائية » الكبير
أشهر عليه الجنود بلطاتهم وقالوا : ماذا تفعل هنا ؟
لا يدخل من هذا الباب إلا الملك

فقال لهم : وقد علت وجهه أمارات الغضب :
أنا الملك ، ودفع بلطاتهم عنه ودخل

وحينما شاهد الأسقف المعجوز يدخل في ثياب
الراعي نهض عن أريكته مستغرباً وتقدم نحوه وقال
له : أين حلة الملك يا ولدي ؟ بأي تاج سأتوجك
وأى صولجان سأضع في يدك ؟ إن هذا اليوم هو يوم
فرح لك لا يوم مهانة

قال الملك الشاب : أيمكن أن يرتدي الفرح
ماحا كته يد الحزن . وقص عليه أحلامه الثلاثة . وحينما

سمعها الأسقف قطب حاجبيه وقال :

— أي ولدي ! إنني رجل عجوز في آخر أيامي ؛
وأنا أعلم أن آثاماً كثيرة ترتكب في هذا العالم
الواسع : ينزل قطاع الطرق العتاة من الجبال ويخطفون
الأطفال الصغار ، ويبيعونهم إلى تجار الرقيق ، ويحجم
الأسود يتربصون القوافل ليثبوا على الجمال ، ويقضم
الثعالب الكرمة المتمدة على التلال ، ويخرب قرصان
البحر السواحل ، ويحرقون مراكب الصيادين ،
ويتجول الشحاذون في المدينة يأكلون طعامهم مع
الكلاب . فهل تستطيع أنت أن تحول دون ذلك ؟
أنتستطيع أن تجلس الشحاذ في بلاطك ؟ هل ينفذ
الأسد أوامر ك ؟ وهل يطيعك الخنزير البري ؟ أليس
الذي خلق الأسي أحكم منك ؟ إني لا أوافقك على
هذا الذي صنعت . بل أطلب إليك أن تركب وتعود
إلى قصر ك وتبسط أسارى وجهك ، وترتدي
الكسوة التي تليق بالملك . إن متاعب هذا العالم أثقل
من أن يحتملها رجل واحد ، وأحزان العالم أعظم
من أن يطيقها قلب واحد

قال الملك الشاب : أنت تقول مثل ذلك ،
وتقوله في هذا البيت ؟

وانصرف عن الأسقف متسلقاً درج المذبح إلى
أن وقف أمام تمثال المسيح الذي كان يحمل في يديه
الكأسين الذهبيتين : كأس العشاء الرباني ، وفيه
الخمر الصفراء ، وكأس الزيت المقدس ، فركع أمام
التمثال والشموع الكبيرة تتألق إلى جانب المزار
المرصع باللآلئ ، والبخور المحترق يتصاعد إلى القبة
أكاليل صغيرة ، فأحني رأسه يصلي ، وانسل
القساوسة بقبعاتهم الخشنة من المذبح

وفجأة سمع صوت جلبة آتية من الشارع ثم
دخل النبلاء وقد تزينوا بشاراتهم الخفاقة وارتدوا
دروعهم الفولاذية اللامعة ، وأشهبوا سيوفهم
وكانوا يصيحون : أين صاحب الأحلام هذا ؟ أين
هذا الملك الذي تزيأ بزي الشحاذ ؟ هذا الغلام الذي
جلب لدولتنا العار ، سنذبحه ولا ريب لأنه لا يصلح
حاكماً علينا . أما الملك الشاب فقد أحنى رأسه وصلى ؛
ولما انتهى من صلاته نهض والتفت إلى من حوله يرمقهم
بنظرة حزينة . عندها سلك إليه نور الشمس من
خلال النافذة وغمره ، ونسجت أشعة الشمس حوله
ثوباً حريراً شفافاً هو أجمل من الثوب الذي نسج
له من ذهب ، ونور غصن الغسلوج الميت فاكتسى
فلاً أضوا من اللآلئ ، وفتحت العصا الجافة
فاكتست وروداً أكثر احمراراً من الياقوت

وقف هنالك في حلة الملك ، وقد استولى
على المكان مجد الله ، وخيل للجميع أن القديسين
يهمون للحركة وهم في حفرهم ذات النقوش

وقف في حلة الملك الجميلة فعزف الأرغن
أنغامه الشجية ، ودوت الطبول ، وأخذ الصبية
يفنون ؛ أما الشعب فقد ركع في خشوع ، وأتمد
النبلاء سيوفهم وأقسموا للملك الشاب بيمين الطاعة ،
وشحب لون الأسقف وارتجفت يداه وركع يصيح
أمام الملك : لقد توجك من هو أعظم مني

ونزل الملك الشاب عن المذبح المرتفع ، ثم سار
إلى قصره وسط الشعب المحتشد فغنت لوجهه
الأبصار وكان أشبه بوجه ملاك

بشير التريفي

« شرق الأردن »

وقد كانت الأسرتان
في عهد «جوري» والد
جبريل وعهد والد إيفان
على صلات حسنة؛ فاذا
احتاج النساء في أحد
المزليين إلى غربال أو مثل
ذلك، أو احتاج الرجال
إلى فأس أو ما أشبهه،

انقلا النار ربيع عليك أطفالها

للقصصى الروسى الكونت ليوتولشوى بقلم الأستاذ عبد اللطيف لنشار

بادر أحد المزليين إلى استعارة ما يريده من جاره .
وكذلك إذا رعت بقرة مما يملكه أحد الفريقين في
أرض الفريق الآخر كان كافياً أن يعالج الأمر
بالرجاء إليها أن تمنع الماشية من اجتياز حدود الأرض
التي أعددت لها . أما الضن بما يطلب ، وأما اغتيال
حاجات الجار فأمران لم يعرفا في العهد الأول بين
أهل المزليين المتجاورين . فلما مات كبير الأسرتين
نشأ الخلاف وكان مداره حول صفائر تافهة

كان لزوجة ابن إيفان دجاجة تبيض في الحديقة ؛
وفي أحد الأيام أزعج الأطفال هذه الدجاجة على
ما يظهر قطارت إلى الحديقة الأخرى وألقت
بيضتها هناك ؛ وذهبت زوج الابن كعادتها فلم يجد
البيضة ، وسألت حماتها وإخوة زوجها فقالوا إنهم
لم يأخذوا شيئاً . وزاد أصغر الأبناء واسمه « تارا »
على ذلك أن الدجاجة لا بد أن تكون قد ألقت
بيضتها في منزل الجيران لأنه سمع الصيحة من هذه الناحية
وأطلت فرأت الدجاجة في حديقة الجيران
تهبي مع ديك مبيتاً لها في تلك الحديقة ، فسألت
الجارة وكانت إذ ذاك واقفة بالحديقة : أليست هذه
دجاجةنا ؟ فقالت : نعم . وطلبت إليها منعها عن تخطي
السور بين المزليين

كان في إحدى القرى الروسية فلاح يدعى
« إيفان سترا تشيا كوف » وهو من أقوى الفلاحين
جسماً وأسعدهم حالاً . وكان له ثلاثة أبناء : أما أحدهم
فمتزوج ، وأما الثاني فقد عقدت خطبته تمهيداً
للزواج ، وأما الثالث فلم يشغله شاغل عن فأسه ومحراثه
وكانت زوجة إيفان عاقلة صالحة الإدارة . وزوجة
ابنه مسالمة صبورة على العمل . فعاشت هذه الأسرة في
وئام ولم يكن ليعلو فيها صوت غير صوت الأب
عند ما تعتوره نوبة الربو

وكان إيفان يملك في جملة ما يملكه ثلاث مزارع
ولكل منها فصيل . ويملك أيضاً خمسة عشر رأساً
من الماشية وبقرة ومجملها . وكانت المراتان تقضيان
ساعات النهار في صنع الأحذية للأسرة وفي خياطة
الثياب والمساعدة في أعمال الحقل . ويقضى الرجال
هذه الساعات في أعمالهم الزراعية . وإذا ما قل نتاج
الأرض في عام من الأعوام اعتاضوا عن النقص
ببيع شيء من المواشى ، وبذلك سارت شؤون
الأسرة على خير ما يرجى

لكنه لسوء الحظ كان يقيم بالمنزل المجاور رجل
اسمه « جبريل شروى » أو جبريل الأعرج وكانت
بينه وبين إيفان عداوة شديدة

قالت : « ألم تضع دجاجتنا بيضها في حديقتك ؟ »
فكان الجواب : « لا علم لنا بشيء من ذلك ، وعندنا
بحمد الله من البيض ما فيه الكفاية . وهل نحسبينا
نأخذ ما هو ملك الجار ؟ كلا يا جارتى كلا »
غضبت الصغيرة من هذا الجواب وقالت كلمة
كان الأولى ألا تقولها ، فردت عليها الجارة بكلمتين
من نفس النوع ، واشتدت الهجة وساءت ،
وخرجت زوجة إيفان فاشتركت في هذه المعركة
الكلامية ، ثم خرجت زوجة جبريل فأرت جارتها
حدة لسانها ؛ وتحول الحديث العنيف إلى ضجة ،
فصارت كل منهن تصيح بأعلى صوتها ؛ وانقلبت
الحاجة إلى كلمات من هذا النوع : « أنت كذا ...
وأنت كذا ... أنت لصة ... وأصابك الطاعون ...
أنت أتلقت غربالي يوم استعرتة ... ردى إلى الذى
عندك ... »

والتقت الجسوم بعد هذا السباب فتمزقت الثياب ،
ووصل جبريل في هذه اللحظة إلى الميدان ، فتولى
الدفاع عن زوجته ؛ وجاء إيفان وابناه وانضموا إلى
الجانب الآخر ؛ وكان إيفان قويا ولم يقصر في إظهار
قوته ؛ وجاء الفلاحون من المنازل المجاورة ليفرقوا
بين المتشاجرين ، ولكن لم يصلوا إلا بعد أن جرد
إيفان جاره من لحيته

وجمع جبريل شعره المتوف وذهب إلى محكمة
الإقليم وهو يصيح : « إننى لم أربّ لحيثى هذا العمر
لكى ينتفها إيفان »

ولم يفت زوجة جبريل أن تذكر جارتها بأن
إيفان سيسجن أو ينفى إلى سيرا من أجل جريمته هذه
كانت هذه بداية العلاقات السيئة بين الجيران ،
واستمرت الخصومات منذ ذلك اليوم ؛ وكان

قسيس القرية لا يكف عن وعظهما ودعوتهما إلى
الصلح ، لكن أحدا لم يصغ إلى دعوة من هذا القبيل
قال القسيس : « إنكما تبديان حماقة عظيمة إذ
تأذنان لهذه الخصومة بالاستمرار ، وكيفكما أن
تذكرا أن سببها بيضة . إن خسارة بيضة ليست
بالشيء الذى يؤسف له . ومع أنكما تلحقان في ذكر
العداوة فلا يزال أمامكما مجال للصلح والتفاهم فليذهب
كل منكما إلى الآخر طالبا صفحة ، نازلا عن حقه
إن كان يحسب أن له حقا ؛ وليس يبق الحق كما هو
إذا استبقاه المرء في نفسه ، ولكنه يزد وينمو على
مر الزمن

لم يصغ الفريقان إليه لاعتبارهما إياه غير عالم
بتفاصيل الخصومة ، ولأنه رجل اعتاد أن يتكلم
عن السلم سواء أكان له موضع أم لم يكن
وكان إيفان يقول لأصحابه : « إنه لم ينتف لحيته
جاره ، ولكن ذلك الجار تنف لحيته نفسه ، وهو الذى
مزق قميصى ... الخ »

وتبدلت القضايا بين الفريقين في المحاكم ، وفي
الوقت نفسه فقدت قطعة جديدة من عربة جبريل
وآتهم نساء جبريل أبناء إيفان بسرقتها ، فنشأت
في المحاكم قضية أخرى ؛ وبمرور الزمن كان كل من
الجارين يتهم الآخر بتهمة جديدة ، وتعلم نساؤهما هذه
الطريقة ، حتى سئمت القرية وملت من شجارها
وتقاضيهما

وكان أكبر أمل في نفسى إيفان وجبريل أن
يسجن خصمه أو يحكم عليه بالغرامة ، وزادت حياة
كل منهما مرارة . وكلنا قد لاحظ أن الكلاب
إذ تضرب على المشاجرة يزيد في مشاجرتها حدة ،
وكذلك المتخاصمون من الناس يزيدون لعدا في

الخصومة إذا عنفهما الناس عليها ، لأن أحدهم يعرف
أن سبب هذا التعنيف هو تحدى خصمه إياه ، كما
يعرف الكلب أن سبب الضربة التي نالته من يد
سيده هي العضة التي نالته من الكلب الآخر
وكذلك كلما حكم على أحدهما بالغرامة أو بالسجن
زادت عداوته وزاد عزمه على الانتقام

واستمرت الحال على ذلك ستة أعوام لم تتغير
في خلالها نصيحة القسيس وموعظته فكان لا يزال
يقول : « أترك هذه الخصومة فما تليق بين جار و جار
فإن عداوتكما تزيد ما زدتما تعهداً لها »

وظل الجاران لا يصغيان إليه

وفي بداية العام السابع حضرت زوجة ابن إيفان
عرساً حضره جبريل وشنعت عليه فيه بأنه سرق
جواداً ، وكان جبريل سكران في هذا العرس فضربها
ضربة عنيفة ألزمتها الفراش أسبوعاً لأنها كانت حبلى .
وسر إيفان من هذا الحادث سروراً عظيماً لأنه أتاح
له الفرصة في رفع قضية جديدة وهو يقول في نفسه
إنه في هذه المرة سيتخلص من جاره نهائياً بنفيه إلى
سيريا

لكن زوجة الابن شفيت ولم تجهض ، فحزن إيفان
على أن القضية لم تقيد جنائية ، وعزى نفسه بأن
محكمة الجنج قد تحكم على الجاني بعقوبة مخزية ، فرشا
كلاً من كاتب المحكمة وحاجبها بنصف جالون من
الاشربة ليقترحا على القاضي عقوبة الجلد في هذه
الخصومة

وصدر الحكم بالجلد على قارعة الطريق العام
فأصبح وجه جبريل عند سماعه شديد الشحوب ،
وكان تعليقه عليه بعد خروجه من قاعة الجلسة إنه
وإن تكن العقوبة شديدة فهو يأمل أن يذيق خصمه
عقوبة أشد منها

وسمع إيفان هذا الجواب فعاد إلى القاضي
واستشهد بالجنود ، واستدعى القاضي الخصمين
وقال : « لقد كانت جريمة مزرية منك يا جبريل
أن تضرب امرأة وهي حبلى . ومهما يكن في
نفسك من الغيظ على جيرانك فليس في الدنيا ما
يرر هذه الجريمة . ولكن إذا اعترفت بالخطأ
واعترت عنه واصطلحت مع خصمك فإني سألغي
هذه العقوبة

وهنا تدخل كاتب المحكمة فقال إن المادة ١١٧
من قانون العقوبات لا تجيز إلغاء العقوبة بعد صدور
الحكم ، وإن كان الصلح يمحو أثر الجريمة قبل النطق به
لكن القاضي لم يلتفت إلى ملاحظة الكاتب
وقال : « يكفي ! أسكت فإن هذه المادة تتعلق بنا
لا بك ونحن نراقب الله قبل مراقبة القانون ، وقد
أمر الله بالصلح بين الخصوم »

وحاول القاضي أن يقنع الطرفين بالصلح ولكنه
لم ينجح لأن جبريل أصر على عدم الصلح مع أنه هو
الذي ستنزل به العقوبة ، وكان جوابه : « أنا رجل
ليس بيني وبين الخمسين غير عام واحد ولى ابن متزوج
ولم أضرب قط منذ كنت طفلاً فعند ما يأتي هذا
السافل ليقاضيني ويستصدر ضدى حكماً بالجلد لا
أستطيع أن أطلب الصفح منه ولتنزل بي العقوبة
التي أرادها لى ولكنى سأجعله يندم عليها .

وهنا خافه صوته ولم يستطع أن يزيد بل التفت
وخرج من قاعة الجلسة راغباً إيقاع العقاب بنفسه
وكان بين مكان المحكمة وبين منزل إيفان عشرة
فراسخ . ولذلك لم يصل إيفان إلى منزله إلا في ساعة
متأخرة ؛ وفي أثناء غيبته أعاد النساء الماشية من
المرعى إلى الحظيرة .

يضرب فيضرب فيرد الضربة ضعفين ويتلقاها أربعة أضعاف ؟ كلا يا بني فهذه ليست التربية الصالحة . لقد كان يمتنع كل هذا لو أن الخاطيء طلب الصفح . لكن لماذا تسمعي وتسكتي ؟ ألا ترى وجهة الحق فيما أقول ؟ »

لم يجبه إيفان ، وعاد القسيس إلى السعال ثم استأنف حديثه فقال : « انظر إلى العلاقة بيننا وبين الأتراك ، وانظر هل تحسنت العلاقات بعد موقعة بلغنا ؟ وهل كسبنا أو كسب الأتراك شيئاً بسبب هذه الموقعة ؟ إنك وأبناءك أقوياء كالنصور ، وأنتم أغنياء ومع ذلك لا تلتذون لذة الغنى ، ولا غيرة القوة ؛ وقد كان عليكم أن تقضوا الوقت الذي تقضونه في المحاكم بالزرعة أو في الدار ، وأن تقضوا ساعات المشاجرة في سمر وفي حديث . أخبرني لماذا لم تحصدوا قمحكم إلى الآن مع أن كل جيرانكم قد حصدوا قمحهم ؟ » ظل إيفان ملازماً للصمت ، واستمر القسيس يقول : « أصنع إلى يا بني . اركب جوادك الآن وعد إلى المحكمة فاصفح عن خصمك ، واطلب إلغاء الحكم ، وادع خصمك إلى منزلك فأولم له ولية . إن غداً عيد العذراء فانهزه فرصة للتقرب إليها وإلى ابنها . تهد إيفان وقال في نفسه : « لاشك في أن القسيس مصيب ، ولا شك في أن امتناعي عن المصالحة يرجع إلى جهلي بالطريقة المؤدية إليها وكأن القسيس أدرك ما جال بخاطر إيفان في هذه اللحظة فقال : « لا تتأخرا يا إيفان فان النار إن أهملتها صعب عليك إطفائها »

وكان يريد أن يزيد فأقبل نساء أسرة إيفان فرحات مبتهجات بالحكم الذي علمن بصدوره ضد جارهن . وقد انتهزن هذه الفرصة فبدأن مشاجرة

وقبل وصوله إلى منزله جلس في ظل شجرة يستعرض حادث اليوم ويتخيل حالته هو نفسه لو أنه كان في مكان جبريل . وفي هذا الحين سمع سعال القسيس بجانبه ، وظل كلا الرجلين يسعل مدة ما ، وأخيراً قال القسيس : « هل أصدرت المحكمة حكمها ؟ »

فقال إيفان : « نعم وقد حكمت بعشرين جلدة على جبريل » فهز القسيس رأسه وقال : « آذيت نفسك يا إيفان أكثر مما آذيتك ، وأي فائدة تستفيدها أنت بعد أن يجلد ؟ »

قال إيفان : « أردعه فلا يعود إلى ارتكاب جرائمه » فقال القسيس : « أية جرائم هذه ؟ أأنت ترتكب مثلها وشرأ منها ؟ »

قال إيفان : « لكنني إنما أريد زجره وقد كاد يقتل زوجة ابني وتهدي بأن يحرق مزرعتي فلماذا أذعن له ؟ »

فتهد القسيس وقال : « إن البغض يا بني قد أعماك ؛ أنت ترى خطايا الغير ولكنك لا ترى خطاياك ؛ وأنت تقول إن جبريل قد آذاك فهل يمكن أن تقع خصومة بين اثنين ويكون مثارها جانباً واحداً ؟ أنت ترى أخطاءه ولكنك لا ترى أخطاء نفسك . ألم تنتف لحيته ؟ لقد كانت العلاقات حسنة بين أبيك وبينه ، وكانا يتبادلان المصالح ؛ ولقد حضرت بعض المواقع الحربية وأرى أنك وخصمك أشد عداوة من فريق الجنود في موقعة « بلغنا » وليس هذا أسلوباً للحياة . إنك أب ورئيس أسرة ، فأى درس هذا تلقنه أبناءك ؟ لقد رأيت اليوم ابنك « تارا » يهزأ بعمته « أرينا » ولم تصنع أمه سوى أنها ضحكت منه . فهل تريد تربيته على هذه القاعدة :

رجلاً أعرج ينظر إليه ويجري فراراً منه
صاح إيفان : « لن تستطيع الفرار مني »
وجرى فأمسك يذيل سترته ، ولكن تلك القطعة
من القماش انفصلت عن الثوب وفر الأعرج وصاح
إيفان بالخبراء أن يسعفوه

هرب جبريل وجد إيفان في اللحاق به فلما
أعياء وقف . وفي هذه اللحظة سمع صوت فرقة
شديد والتفت فرأى البناء كله أصبح ألهباً من النار ،
وامتدت الظلل والشعب إلى منزله فرفع يديه في يأس
إلى السماء وصاح بالجيران ، ولكن صوته خافه وهو
أشد ما يكون رغبة في موالاة النداء . وأراد الجري
نخاته قدماء وعجز عن الاستمرار على الوقوف فوق ،
وبعد قليل ازدحم المكان بالجيران ، ولكنهم لم يفعلوا
شيئاً . وانتقلت النار من الاصطبل إلى منزل إيفان ،
ثم انتقلت بسرعة إلى منزل جبريل ثم إلى سائر منازل
القرية . واستمر الحريق طول الليل ؛ وكان أهل
القرية يتعاونون على إطفائه في غير منزلي الجارين
المتخاصمين . وتولى إيفان وحده إطفاء النار في منزله
بعد أن خرج كل أهله منه وكانوا يحاولون منعه
ولكنه لم يكف حتى تطاير شعر لحيته المحترق وحتى
احترقت يده . وكان أبنائه ينادونه وهو لا يصفى

فأيقنوا أنه جن من الحزن
وأقبل الصباح وليس أنزل إيفان أثر . وجاء
القسيس يسأل إيفان : « ألم يصدق قولي يا بني ؟
من الذي أحرق القرية ؟ »
فقال إيفان : « لقد رأيته بعيني رأسي يحرق
الاصطبل »

قال القسيس : « إنني يا بني لن أعيش طويلاً
وأريد إصلاح بينكما قبل أن أموت فمن منكما
الذنب ؟ »

فخماق إيفان في وجه القسيس ولم يقل شيئاً

جديدة مع أسرة جبريل . وقلن إن زوجة ابن
جبريل تهدد بمخاطبة النائب العام وعرضها عليه
هذه القضايا بحذافيرها بل تهددت أيضاً بأن تكتب
رسالة إلى القيصر نفسه . وعند ما سمع إيفان هذه
الكلمات حمد قلبه وفتر عزمه السالف على الصلح

وفي الصباح سمع صوت جبريل وهو عائد إلى
المنزل . وكان جبريل يصيح : « سأذهب وإياه إلى
الشیطان . لا بد من قتله ! »

لكن جبريل لم يقل أكثر من ذلك فاغتاز
إيفان لا لأن هذه الكلمات قيلت عنه ولكن لأن
أكثر منها لم يقل . وكانت زوجة إيفان في هذا
الوقت تعد العشاء . ولكن « تارا » لم يكن
موجوداً بالمنزل . ودعت المرأة زوجها للعشاء ،
ولكنه ظل منتظراً عودة ابنه الأصغر وقد مرت
بخاطره كلمة كان جبريل قد قالها وهي أنه يريد أن
يحرق إيفان ويحرق أبنائه

وكانت الرياح إذ ذاك تهب عنيفة ، وكان الظلام
شديداً في الطرقات ، وتأخرت عودة ابنه فخرج
إيفان للبحث عنه

وفي المزرعة رأى شيئاً يتحرك ثم يختفي وراء
شجرة ولم يميز الشبح لشدة الظلام . وذهب إلى
حيث رآه فلم يجد شيئاً . وتحسس وأرهف أذنيه
ليسمع ولكنه لم يحس وجود شيء

وترك المزرعة إلى الاصطبل فرأى وميضاً يسطع
على حين فجأة ثم يختفي ، ورأى رجلاً من الجهة التي
صدر منها الضوء وأحس في قلبه خفقاناً كرفرة
العصفور بجناحيه . وأسرع ليمسك بذلك الشبح
فرأى وميضاً آخر من نفس الناحية . وما هي إلا
لحظات حتى علت الألاهيب ورأى إيفان حريقاً
مضطرباً على حين فجأة ، ورأى في مثل ضوء النهار

جرعة جبريل . ودهش جبريل من امتناع خصمه القديم
عن التبليغ ضده . وبدأ شعوره الجديد نحوه بالخوف
منه ، ثم ألف منه طباعاً غير التي اعتادها ، ثم امتنعت
الخصومة لامتناع الاستمرار على أسبابها . واقتدى
نساء الأسرتين برجليهما وحدث كل أسرة بناء
منزلهما وتجددت الباني المحترقة واستمر إيفان وجبريل
جارين وصارا صديقين

ولم يذس إيفان نصيحة القسيس بأن النار يجب البدء في إطفائها وهي شرار ، فكان كلما أساء إليه أحد لم يضع الوقت في محاولة ضبطه متلبساً بجريمته بل يبدأ بإطفاء الشرارة الموقدة

ولم يفت إيفان ، على تقدم السن ، أن يبدأ حياة جديدة ، وأن تكون سعيدة بالعفو والتسامح

عمر اللطيف النشار

قال القسيس : « ستعيش وستدرك ما فقدته من ثروة إن أخلصت لله بعد يومك وسامحت المسيء » ثم ابتسم وقال : « انظر يا إيفان ، لا تقل من الذي بدأ بإيقاد النار فإن الله جدير بأن يعفو عن الخاطئين بادئين أو معقنين »

وأجرت الحكومة التحقيق فلم يبلغ إيفان عن

خطوط شرکت مصر للطيران

ابتداء من ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ { من مصر إلى بغداد عن طريق فلسطين كل أربعاء وسبت
من بغداد إلى مصر عن طريق فلسطين كل خميس وأحد

من أسوان إلى الأقصر وأسوان كل اثنين وجمعة
 من أسوان إلى الأقصر وأسوان كل ثلاثاء وجمعة

ابتداء من ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧

أما الخطوط الأخرى الآتية فعلي حالها :

من القاهرة إلى الإسكندرية ثلاث رحلات يومياً ذهاباً وإياباً

من القاهرة إلى بورسعيد رحلتان يومياً ذهاباً وإياباً

من الإسكندرية إلى بورسعيد رحلتان يومياً ذهاباً وإياباً

(رأساً والأخرى عن طريق القاهرة)

من الإسكندرية أو بورسعيد أو القاهرة إلى أسبوط رحلة يومياً ذهاباً وإياباً

من الإسكندرية أو بورسعيد أو القاهرة إلى فلسطين وسوريا رحلة يومية ذهاباً وإياباً

— أليس هذا إلا كليل الذي تفتين أوراقه
إكليل لقبك القديم؟

فعلا وجهها الاصفرار وأجابت سلبا
فصحت بها : أقسم بحياتي إنه هو بعينه ، فأعطني
بقاياہ ...

وجعت الوريقات اليابسة فوضعتها على الهيكل
ووقفت أنظر خاشعاً إليها كأنها رفات . فقالت : هب
أنه إكليل لقبي ، أفأترى أنني أحسنت عملاً بنزعه
عن هذا الجدار حيث علق منذ زمان مديد ؟ أية قيمة
للعنذر البالي ؟ إن بريجيت سيدة الورد قد ماتت عن
هذا العالم فما هي خير من إكليلها المنفرط البالي

وخرجت فسمعت شهقة بكائها وصرير الباب
يقفل وراءها ، فإذا بي منفرد في المصلى أتهاوى
جائئاً معولاً

وعند ما لحقت بها رأيته جالسة إلى المائدة
تنتظرنى لتناول الطعام ، فأخذت مكاني وسكت كل
منا عما كان يجول في ضميره

الفصل السادس

وما كذب الواقع ظني بمركانسون إذ تأكدت
أنه لم يتوزع عن التحدث أمام سكان القصور المجاورة
وأمام أهل القرية عن مقابلي له واستفساري عن أمر
دالانس ، فاستثمر ما نمت عليه اضطرابي من شكوك
ولا يجهل أحد منا في البلدان الصغيرة من سهولة
انتشار النيمة فإنها تتطاير من فم إلى فم صائرة إلى
أغرب المبالغات ، وما أفلت وبريجيت من جور هذا
النظام ، فأصبحنا وكل منا شاعر بأنه أخرج موقف
الآخر ، لأن محاولتها مغادرة القرية كانت قد اصطدمت
بضعفها ، وشدة إلحاحي عليها أكرهتها على البقاء ،



استغفارنا في العصر

لألفريد دي موسيه
بتم الأبتاز فليكر وفارس

الجزء الرابع

الفصل الخامس

ودخلت يوماً إلى مسكن بريجيت فرأيت باب
الغرفة الصغيرة التي كانت تدعوها المصلى مفتوحاً ،
وما كان في هذه الغرفة إلا مصلى من الخشب وهيكل
يلوه صليب حوله عدد من الزاهر ؛ وكانت السجف
بيضاء كالجدران الناصعة كالثلج ، تلك كانت خلوة
بريجيت وقد أصبحت منذ اتصلت حياتها بحياتي
لا تنقطع إليها إلا نادراً

ونظرت إلى الداخل فإذا بريجيت جالسة على
الأرض بين ما نثرت من الأزهار ، وقد قبضت على
إكليل صغير ذوت أوراقه وهي تفرطها بين أناملها
وسألته عما تفعل ، فارتعشت ونهضت قائلة :
لا شيء ، هي لعبة أطفال ، فهذا إكليل ورد قديم
جف في هذا المصلى ، وقد أتيت لأستبدل هذه
الأزهار ...

وكانت تسكلم بصوت مرتجف وتكاد تهوى
على الأرض
وتذكرت ما سمعته عن تلقيب بريجيت بالوردية ،
فسألته :

يورث إعجابهم في حياتها الماضية تأويل تظهر الشر فيها، فأصبحوا يهزأون ببرها بالفقراء وتجوّلها في الجبال لمدّواتهم . وهكذا كانت تدور الأحاديث عن بريجيت كأنها إباحية تتعرض لأوخم العواقب

وكنت قد صارحت بريجيت بأنني أرى، الإغضاء عن كل هذه التخرصات إذ أردت التظاهر بعدم المبالاة بها في حين أنها كانت ترهقني وتبلبل أفكاري و كنت أذهب في بعض الأحيان متجولاً في الضواحي أنسقط من الإشاعات ما يمكنني الاستناد إليه للوم بريجيت ومناقشتها الحساب . وعبثاً كنت أرهف السمع لألتقط من الهمس في المجتمعات ما ينقع غلتي إذ كان الناس لا يبدأون بنهش إلا بعد أن أتوا ري ، فكنت أعود إلى بريجيت لأقول لها إنه لا أهمية لهذه التخرصات التي تصل إلينا ، فليذهب الناس مذاهبهم فينا فما أنا بالمقيم لاغتيالهم وإفكهم وزناً

وما كنت وأنا أتبع هذه الخطة إلا موالياً للناهشين من عرض خليلتي إذ كان علي وأنا موردها هذه الموارد الخطرة أن أهتم للأمر وأقيها مغنّيته

وما طال الزمن حتى عدت عن ذلك إلى المهاجمة فقلت لحبيبتى : — إن الناس يتقوّلون كثيراً بشأن تجولك في الليالي فهل أنت واثقة من أنهم يفترّون ؟ أفلم يقع لك أى حادث على طرق هذه الجبال وفي مغاورها ؟ أفما اتفق لك أن عدت في الغسق مستندة إلى ذراع مجهول كما استندت إلى ذراعي ؟ أأصحّح أنه لم يكن لك من مقصد غير الاحسان في اقتحامك ظلمات هذا الهيكل المجلل بالاخضرار ؟ لأول مرة هاجت فيها بريجيت بمثل هذا

غير أنني كنت أنا المسؤول أمامها لتعهدي ألا أشوش سكينتها بغيرتي أو بطيشي ؛ ولهذا كانت كل بادرة قاسية مني نكولاً ، وكل لفظة حزينّة منها ملامة مبررة ...

وأحست بريجيت في أول الأمر بلذّة في عزلتها وتمكّنها من الانفراد في أية ساعة دون محاذرة وتحوط ولعلها كانت تتظاهر بالاعتباط لتثبت لي أن غرامها أعزّ عليها من سمعتها وأنها نادمة على ما أبدته من الاهتمام بأقوال المرجفين . وهكذا سرنا في حياتنا لا نلوي على شيء من فضول الناس متمتعين بملء حريتنا في اتباع أهوائنا

و كنت أذهب إلى بيتها عند ساعة الإفطار وإذا خرجت فلا أخرج إلا بصحبتها ، فأقضي النهار معها حتى العشاء وعند ما يحين ميعاد انصرافي بعد السمر كنا نتعلل بأسباب عديدة للبقاء معاً وتتخذ احتياطات جد تافهة لإخفاء بقائي في غرفتها ليلاً . وعلى هذا النمط أقمنا دون انفصال مخادعين أنفسنا بأن لا أحد يلاحظنا

وقمت بوعدى برهة من الزمان فداريت عواطف بريجيت ولم تعكر جونا غمامة ، تلك أيام سعيدة هانئة وليس في مثل هذه السانحات من الدهر ما يستدعي وصفاً وبياناً

وذهبت الإشاعات في القرية وضواحيها تعلن أن بريجيت تساكّن علناً فاسقاً باريسياً يعاملها أسوأ معاملة فيمضيان أوقاتهم بالتقاطع والتواصل ؛ وتوقع الكل أسوأ العواقب لهذه الحياة

وانقلب ما كان يقال من الثناء لبريجيت من قبل لوماً وتقريعاً حتى ذهب الناس إلى تأويل ما كان

ودام الحال بيننا على هذا النوال ستة أشهر لم
أنقطع فيها عن اللوم والتقريع وقد تحملت بريجيت
أثناءها من الإهانات ما لا يفعله إلا فاسق يبني تقاضاه
أجراً عن تمتعه بها

وكنت كلما اقتحمت هذه المشاكسات ملهياً
أفكاري ومقطعاً قلبي بالاتهام والسخرية أراجع
عنها وقد بلغ الهيام بي أشده فأقف أمام خليلتي وقفة
الوثني أمام صنمه

كنت أوجه أشد الإهانات إليها ، ولا يمر
ربع ساعة حتى أجتو عند قدميها . فإذا ما انتهيت
من التقريع بدأت بالاستغفار ، وإذا خرجت من
التهم لجأت إلى ذرف الدموع ؛ وتتملني سعادتي
فأطير فرحاً ، وتثور أعصابي فأنقلب إلى العنف
لا أدري ما يجب أن أقول أو أفعل للتكفير عما
أخطأت به ، فأهرع إلى بريجيت لأضمها إلى صدري
طالباً منها أن تكرر مائة مرة قولها إنها تحبني
وتغضي عن إساءتي ، واعدأ بالتعويض عما بدر مني
مقسماً بأنني سألهب دماغي بقذيفة إذا أنا عدت إلى
إهانتها

وكانت الثورة في عواطفي تمتد الليل بطوله فلا
أنقطع عن الكلام والبكاء والانطراح على أقدامها
وارتشاف كأس الغرام ثملاً من ثمالها حتى إذا بزغ
الفجر أجدني متهدماً فاستسلم للكرى وأنهض بعد
الصباح وعلى شفقي بسمة الساخر الذي لا يؤمن بشيء
وكانت بريجيت في مثل هذه الليالي المشتعلة بنار
اللذات تتناسى شخصيتي الجائرة فلا تنظر مني إلا
إلى الرجل المائل بين ذراعيها ؛ وإذا ما خطر لي أن

الكلام ، أرسلت إلى نظرة هزت مشاعري ولن
أساها ما حيت . ولكنني قلت في نفسي إذا أنا
تعرضت للدفاع عن هذه المرأة فإنها ستفعل بي
ما فعلته خليلتي الأولى فتعرضني لهزء الناس وسخريتهم
فأجني الغرم عما غنمت وعما غنم الآخرون .

إن المسافة لجد قصيرة بين الشك والانكار ،
وما أقرب المتفلسفين إلى الملحددين . قلت لبريجيت
إنني ارتاب بسلوكها الماضي ، فرأيتني مدفوعاً إلى
الارتياب حقيقة ، وما طال الزمن حتى أسلمني هذا
الشك إلى اليقين فتصورت أن بريجيت تخونني في
حين أنني لم أكن أبارحها ساعة واحدة ، وعمدت
أخيراً إلى التغييب عنها من حين إلى حين مقنعاً نفسي
أنني أحاول تجربتها وما كنت أقصد بذلك إلا إطلاق
العنان لشكوكي ثم أعود بعد تغيبي لأقول لها إنني
برئت من غيرتي فأصبحت أهزأ بوساوسي القديمة ،
وما كان معنى ذلك سوى اضمحلال غيرتي لو هن
طراً على هيامي

وكنت من قبل أحتفظ لنفسى بما ألاحظه من
خالفها فأصبحت أجد لذة في إبداء ما يعن لخاطري
فأقول لها مثلاً : إن ثوبك هذا جد حسن ، وقد
كان لا يحدى صوحيباتي مثله شكلاً ولوناً . فإذا
جلسنا إلى المائدة أدعوها إلى الانشاد قائلاً : إن
خليلتي القديمة كانت ترسل صوتها بعد الطعام أفلا
يجدر بك التشبه بها ؟ وإذا أرادت العزف على البيانو
أبادرها بقولي : أرجوك أن تسميني ألحان الرقصة
التي كانت منتشرة في الشتاء المنصرم فإنها تذكرني
بأوقات المرح والسرور

ولكن هذه العاصفة تدخل الحزن إلى نفسي بالرغم
منى فعلينا أن نتحدثاها

وقمت إلى الثريا أضىء كل شموعها فغمرت
الغرفة الصغيرة بالألوان المتدفقة وكان في الموقد نار
مشبوبة تملأ المكان حرارة وتزيدها نوراً

وتساءلت عما يمكن لنا أن نفعل إلى أن يحين
وقت العشاء فتذكرت أيام المرافع في باريس
ومرت في مخيلتي عربات الساخر تتلاقى على جاداتها
الكبرى وخييج الجماهير يتعالى وهم يخرجون من
المسارح ، ومثلت أمامي مشاهد الرقص الخلاعي
والأثواب المخططة والكؤوس تتدفق خمرأ فانتفض
قلبي بكل ذكريات شبابي وبكل عنفوانها . فصحت
بريجيت :

— هيا بنا ننكروا وإن لم يكن أمامنا سوانا
وإن لم يكن لدينا ما يفي بالغرض من أثواب فانا
نتدبرها

وأخرجنا من الخزانة ثوبين وأردية وأحزمة
وأزاهر صناعية وبريجيت تدرع - كمادتها - المرح
الصبور ، وأرادت أن تعصب رأسي بيدها ثم أخذنا
من صندوق صغير قديم قد يكون من متروكات
عمتها أصباغاً وأدهاناً فدهنا بها وجهينا حتى
تنكر كل منا لعين الآخر . ومرت ساعات السمر
نحييها بالغناء وبالقيام بعدد ما تصورناه من حركات
الجنون حتى مضى نصف الليل وحان وقت تناول
الطعام

وكانت الخزان لم تزل مفتوحة بعد أن قلبنا
ما فيها . ولما جلست إلى المائدة حانت منى التفاتة إلى

أكرر طلب العفو منها تيجيني بقولها : أفما تعلم
أننى غافرة لك ؟ وكانت الخي التي تتأكلنى تلهب دمه
فلكم أعلنت لى ، ووجهها ممتقع شهوة وهياماً ، أنها
راضية بى على ما أنا عليه ، وأن فى ثأرات عواصفي
تتنفس حياتها فسادتها كامنة فيما أوديه ثمناً لتعذيبى
لها ، وأنها لن تشكو أية شكوى مادام فى قلبى شرارة
من نار الغرام . ثم تقول : لا ريب فى أننى سألاقى
الموت فى هذه الحياة ، ولكننى أرجو أن تلقاه أنت
أيضاً فيها ، ولهذا أشعر باللذة تغمرنى من كل
ما توجهه إلى من إهانة أو تذرفه من دموع ، فهى
السعادة التى حفرت قبرى فيها

ومرت الأيام يستفحل بمرورها دأى فأصبحت
ثأراً ، إذا ما حكمتنى نوبة المجنون صحتها حتى شديدة
تهزنى فجأة فلا تغادرنى إلى وقد تصبب العرق من جميع
أعضائى المرتعشة . وقد كان يكفينى أن يقع بى
حادث ليس فى الحسبان أو أشاهد ما يثير دهشتى
حتى تسودنى رجفة يرتاع لها كل من يرانى .
وكنمت بريجيت شكواها فتم عنها شحوبها وما
بدأت مرة بالأساءة إليها بعد هذا إلا خرجت من
أمامى دون أن تفوه ببنت شفة لاجئة إلى غرفتها
توصد بابها عليها

إننى أحمد الله لأننى مارفت يوماً يدي على
بريجيت حتى فى أشد هياجى وقد كنت أفضل الموت
على هذه الفعلة النكراء

واشتدت العاصفة ذات ليلة وأنا وبريجيت
نصنى إلى نقرات الأمطار على زجاج النوافذ المغلقة
والجمللة بالنسجف فقلت لها : إننى أشعر بانسباط

دعيني أتفادى جريمة القتل فأذهب في هذا الليل دون
ان أطالبك بعفو يردّه الله إذا أنت أقدمت على منحه.
لم يبق لي ما أرجوه إلا قبلتك الأخيرة

وأنحيت طابعاً قبلتي على جبينها، فهتفت بصوت
مختنق: لم يحن الوقت بعد. ولكنني أقيتها على
المقعد وانطلقت راكضاً إلى منزلي، وما مضت ثلاث
ساعات حتى كنت على أهبة الرحيل وقد وقفت العربة
أمام بابي

وكان المطر لا يزال يتساقط مدراراً فصعدت
إلى العربة متمسكاً، وما ارتيمت على المقعد حتى شعرت
بذراعين يطوقان عنقي وبهم يزفر بالأنين على شفتي
هي بريجيت أتت تكمن لي لترحل معي، فحاولت
عشاً إقناعها بالعدول عما نوت حتى أنني وعدتها أن
أعود إليها عند ما أكون نسيت ما أوقعت بها من
ضرر مؤكداً لها أنني إذا بقيت لن يكون غدنا إلا
كأمسنا، فكأنها - وهي تتمسك بي وأنا على
حالي - تصمم على جعلي مجرمًا قاتلاً. توسلت
وبذلت الوعود معززة بالأقسام، وذهبت حتى إلى
التهديد فما أجدى كل ذلك فتيلًا؛ إذ كانت ترد كل
محاولاتي بجواب واحد قائله:

- أنت زاحل فأنا معك. لنهجر هذه البلاد
تاركين ماضيها فيها. لقد امتنع علينا العيش هنا
فلنذهب إلى حيث نشاء. إن الأرض لن تصنع علينا
بزاوية نموت فيها... لنهنا في هذه الحياة فتجد في
سعادتك وأجد فيك سعادتي

ضممتها وضممتها حتى شعرت أن قلبي ينحطم
عليها وصحت بالسائق: هيا بنا، وسار الجوادان
يقطعان الأرض ونحن متعاقبان
« يتبع »
فيلكس فارس

أقربها مني فرأيت على أحد رفوفها السجل الذي
أتيت على ذكره وهو سمير بريجيت في أغلب أوقاتها
فقلت لها: أليس هذا مجموعة من خواطرك؟ فهل
لي أن ألقى نظرة عليه؟

وعند ما فتحت هذا السجل تحفزت بريجيت
لمنعني عن القراءة، ولكنني كنت رأيت بأوله هذه
الكلمات: (هذه هي وصيتي) فقلبت الصفحة فاذا
أمامي ما دوت به بخط متناسق ينم عن الهدوء من وصف
دقيق لما احتملته من تعذيب لها منذ استسلمت إلى،
وقد أعلنت إصرارها على احتمال كل معاملة سيئة
منى ما دمت أحبها، وعلى اقتحام الموت إذا تخلت
عنها. واستغرقت في تتبع ما كتبه يوماً فيوماً عن
تضحية حياتها وما فقدت وما كانت ترجو فاذا بها
تصف شعورها بالدهشة حتى بين ذراعي، وتذكر
الحوائل التي تزايد مع الأيام بيننا وما أعاملها به من
قسوة وجفاء لقاء حبها وإخلاصها

دونت كل هذا فما أبدت امتعاضاً أو زفرت
بشكوى بل حاولت جهداً تبرير معاملتي والمدافعة
عني، وأخيراً تناولت بوصيتها ما يتعلق بورثاتها
معلنة أنها ستتجرع السم لوضع حد لحياتها بمحض
اختيارها طالبة ألا تكون مذكراتها سبباً لانتحاذ أي
إجراء ضدي، وأنهت كل هذا بقولها:

صلوا من أجله !!!
ووجدت في الخزانة نفسها التي أخذت سجل
المذكرات منها علبة صغيرة تحوي مسحوقاً ناعماً
ضارباً إلى الزرقة شبيهاً بالملح

وسألت بريجيت عن هذا المسحوق وأنا أرفع
العلبة إلى في فصرت وارتجت على فقلت لها: سأخذ
هذه العلبة وأتوارى عنك فيقودك السلوان إلى الحياة

منه وما يزيغون وقد بقي منها بعد تلك الأعوام الطوال ستون وثلثمائة . وربص لدى الباب كلاب أربعة كسباع البرية ، تلحظ الحظيرة بأعين كالحمر ؛ وجلس الراعي يعمل لنفسه نعلا من جلد ثور مذبوغ بينما انطلق خدمه ومعاونوه الأربعة يعملون ويدأبون هنا وهناك . وكان رابعهم على وشك أن يترك الحظائر إلى المدينة ، حاملا لحم خنزير حنيد يذهب به برغمه إلى العشاق الفساق . ولحت الكلاب أوديسيوس فأهرعت إليه ، وظلت تعوى وتنبح ، وترغى وتربد ، وأوشكت أن تفتك به ، لولا أن هب يومايوس فكسر شرتها بما رماها به من الحجارة ، ولولا أن ترك أوديسيوس عكازه يسقط من يده لأن الكلاب لا يغيظها إلا أن يمسك لها أحد عكازاً .. قال الراعي : « أيها اللاجئ العجوز سلمت ! خطوة واحدة ، وكانت هذه الكلاب قد مزقتك إرباً ، وكانت لحقت بي سبة لا تبديد ! ألا كم ترسل على الآلهة من كروب ! وكم ترميني به من آلام ! أنا ، هذا العجوز الهالك ، الذي أمضى الحزن ، وشقني الأسى من أجل سيدي ومولاي ! هاأنذا أضمن قطعانه وأرعاه لينعم بها غيره ، بينما هو نازح غريب يجوب الآفاق ويشتهي كسرة يتبلغ بها ، إن كان ما يزال حياً يرزق ! أوه ! تعال أيها الصديق ، هلم اتبعني إلى داري أطعمك ما تيسر ، وأسقك كفايتك من الخمر ، وتخبرني بعدها من أنت ، ومن أين أقبلت وماذا وراءك ! » وانطلقا ، وقدم إليه الراعي الكريم حشيشته التي كان يجلس عليها ، والتي تخذها من جلد عنز حشاه بالقش ؛ فشكره أوديسيوس ودعا له بما يحب وبكل ما تصبو إليه نفسه . فقال الراعي

(٨)



الأولاد لبيس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مع الراعي ...

وسلك سبيله في طريق وعمر مخفوف بالأشجار الباسقة إلى مأوى صديقه الراعي الشيخ الأمين ، فوجده جالساً وحده في مدخل الحظيرة الشاسعة القائمة وسط المرج العشوشب النضير . ولقد سورها يومايوس ، إذ سيده غائب في أقصى الأرض ، بسور عظيم ضخيم من حجارة قوية نحتها من محجر قريب وجعل على السور فروعاً من قتاد وشوك وجذوعاً من سنديان ، حتى صارت أمتع من عقاب الجو ... كل ذلك دون أن يساعد أحد ... ثم قسمها لثني عشر زرباً^(١) جعل في كل منها خمسين خنزيرة كنازاً ... أما ذكوان الخنازير فقد تركها سائبة في الخارج ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما ياكلون

(١) الزرب : الزريبة للغنم

الجرار ، وخوت الدار ، وضؤل الزرع وجف
الضرع ! ! أبداً ما ملك أحد مثل ما ملك مولاي !
لقد كانت ثروته تعدل ما يملك عشرة أو عشرون
أميراً ؛ وما أزال أذكر مما ملكت يده اثني عشر
قطيعاً من الأنعام كانت ترعى العشب في مروج
الشاطيء^(١) المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام
وأرعال^(٢) الخنازير وأسراب الماعز ، عليها أجراء
وخدم ورعاة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزرعون
في حقوله الشاسعة ويحصدون ، ورجال يجلبون من
قطعانه كل كناز للذبح ... أما أنا ... فقد عهد إلى
بهذه الأرعال التي ترى ، أطعمها وأعني بها ، و ...
وا أسفاه ! وأرسل إلى العشاق كل يوم بخيارها »

وصمت الراعي بينما كان أوديسيوس يصفي ويلتهم
طعامه ويفكر ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير
لسحق هؤلاء العشاق المفاليك . حتى إذا انتهى ،
قدم إليه يومايوس كأسه دهاقا ، فتقبلها وشرب
ما فيها وقال : « ترى ما ذا كان اسم سيدك أيها
الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً ذا ذكر ، لما
وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه وبسطة ملكه .
لقد قلت إنه ذهب إلى طروادة مع أجامنون ، فهل
تفضل فتذكر لي اسمه عسى أن أقص عليك من
أنبائه ؟ لقد ذهبت أنا الآخر ثمة ، وسافرت في
بلادشتي ، ومحال ألا أعرف العطاء الذين جاهدوا
مع أجامنون . » فأجابه الراعي : « وا أسفاه أيها
الأخ العجوز ! أبداً لا تنطلي الأنباء الملققة عن

تأجيله : « أيها الصديق ، ليس أمقت إلى من أن
أزود لاجئاً إلى داري وإن يكن أرث منك حالا ،
لأن أبناء السبيل جميعاً هم ضيوف رب الأرباب
وأنا مع ذاك أعتذر إليك إذا لحظت أن زادي قليل
وأن حالي رقيقة فلقد مضى زمن العز والعيش الواسع
المخفرج وأصبحنا نعانى القل والفاقة والعيش النكد
تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصاغر . آه يا مولاي
يا زين الحياة ومؤدب الناس أين أنت ؟ أين أيامك
وخيرك الوفير ؟ ليتها دامت ، وليتك ظلت فعشنا في
كنفك ... ولت هيلين وكل من في بيت هيلين
فداؤك ... هيلين التي قتلت سادات هيلاس^(١)
الذين أبحروا مع أجامنون لينيلوه النصر في ميدان
طروادة ! » . ثم لطم دثاره وذهب إلى الزرب الأول
فجاء بخنزيرتين سميتين قتلتهما وذبحهما وسلخ
جلديهما ، وجعلهما إرباً إرباً ؛ ثم أشعل ناراً عظيمة
فسوى على جمرها السفافيد الثقلة باللحم ، وجاء
بالشواء فوضعه أمام أوديسيوس ، ثم ثر عليه من
الدقيق ، وأحضر زق الخمر ، وجلس قبالة وقال :
« هلم يا صيفي العزيز فكل وارو ... لا تؤاخذني
إذا رأيت الشواء لا سميناً ولا حنيذاً ، فكل سمين
وحنيذ يذبح أولاً فأولاً ويرسل إلى العشاق السفلة
الذين لا يرعون في الآلهة إلا ولا ذمة ، ولا يخافون
سماً ولا بشراً ... يا لله من هؤلاء الفجرة ... ألا
يلمون شعهم ويغيرون بخيلهم ورجلهم على بلد قاص
فيثوبوا بأسلاب الغزو وسخط الآلهة ؟ أم تراهم
أوحى إليهم بموت مولاي فهم ههنا قائمون ما يربحون
ولزاده آكلون ومن خمره شاربون ، حتى فرغت

(١) لعله شاطيء آسيا

(٢) جمع رغيل ويجمع على رعال وأراعيل وهو في الأصل
للخيل والبقر

(١) اليونان وتسمى أفايا أيضاً

مولاي على زوجه أو ولده ؛ فكم من جواب آفاق
 مثلك ، محتاج إلى لقمت أو سروال ، قد لقي الزوجة
 المسكينة فلفق لها قصصاً مكذوباً عن رجلها ثم دلت
 الأيام على كذبه وزخرفته ، والزوجة في كل ما تسمع
 تذرف الدموع وتصعد الآهات كأحسن ما تصنع
 زوجة وفية من أجل زوجها الذي قضى في بلد بعيد .
 وأكبر ظني أنك تطمع في كساء تخلعه عليك هذه
 الزوجة المفثودة الرءوم ، فأربع عليك ، فالرجل قد
 قضى ، وليس بعيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها
 قد اغتذت به ، أو أنه قد غرق فأكله السمك ،
 ولفظت عظامه على سيف البحر لتذروها الرياح ،
 تاركاً وراءه قلوباً تأسى عليه ، أحزنها عليه قلمي .
 تالله ما وددت أن أرى أبوي اللذين غادرتهما منذ
 أحقاب كما أتشوف اليوم إلى رؤية هذا الرجل ...
 آه يا أوديسيوس ! أين أنت ... إنك مهما شطت
 النوى وشحطت الدار فلن أبرح أذكرك وأصبح
 باسمك وأوقرك ، بما أحسنت إلى وعنيت بشأني ،
 يا من فراقك عندي آلم لي من فراق أعز إخوتي
 وأشقائي !»

وحدجه أوديسيوس وقال : « أيها الصديق
 لم تيأس من عودة مولاك هكذا ؟ ولم يخامرك
 الشك في أن رجوعه محتوم لا ريب فيه ؟ إذن فأنا
 أقسم لك قسماً لا أحنث فيه أنه عائد لا محالة ،
 ومعاذ الآلهة أن أقسم وأؤكد الأيمان لأنال
 القميص الذي ذكرت أو الدثار الذي أنا في شدة
 الحاجة إليه ، بل ليق القميص والدثار حتى يتحقق
 قسمي وتبر عيني فأتسلمها منك ، فإنني أمقت
 الكاذب الخائن في يمينه كما أمقت أبواب الجحيم ،

والله على ما أقول وكيل ... إظمنن إذن يا صاح ،
 وثق أن أوديسيوس لا بد عائد هذه السنة إلى إيثاكا
 بل ربما عاد هذا الشهر ، ولن يمضي شهر آخر حتى
 يكون قد ثار لغرضه من أعدائه وبطش بهم جميعاً ...
 أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة
 حماه ، وإهانة زوجه ، وعدم المبالاة بولده ! »
 وسخر الراعي وقال : « أهكذا تقسم وتؤكد القسم
 يا صاح ؟ أبداً لن تنال الرهان أبداً ، فقد أودى
 أوديسيوس ولن يعود بعد ... هلم هلم تحس
 كأسك الروية ودع هذا الحديث فإنه يحزنني ويشير
 شجوني ... خلّ قسمك ، وليقدم أوديسيوس في
 خيالك أو في الحقيقة ، فأنا وزوجه وأبوه وولده ...
 كلنا نشتهي ذلك ، ونتمناه على الآلهة ... يا ويح لك
 ياتليماك الحبيب ! لقد كنت أرقص طرباً كلما رأيتك
 تنبت كما نبت أبوك ، وتشب على الفضائل التي شب
 عليها ! أين أنت ؟ لقد ذهبت إلى ملك فيلوس
 تتجسس أخبار أليك ، وها هم العشاق يترصدونك
 ويربصون بك ليغتالوك في الطريق . ألا طاشت
 أحلامهم ، وحماك جوف الأعظم من مكرهم ،
 وحفظك لبيت أرسسياس يا أعز الناس ...
 ولكن تعال أيها الضيف الكريم ... قل لي بربك
 واصلدني في كل ما تقول : من أنت ، ومن أين
 أقبلت ، وفيم قدمت ؟ وما بلدك ؟ وأين يقيم أبواك ؟
 وأي سفينة حملتك إلى شاطئنا ؟ فلعمري إنك لن
 تدعي أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك !! »
 فقال أوديسيوس يجيبه : « سأقص عليك من
 أنبأى التي لا يأتها الباطل مالمو لبثت عندك عاماً بين
 هذه الخمر وذاك الطعام ، بينما يكذب الآخرون من

عواهنه ، فلقد قدت إلى طروادة تسعة جيوش
ظفرت بفيالقها قبل هذه الحرب الضروس الأخيرة
بينها وبين هيلاس ... ولقد حزت الثراء الجم
والغنى الوافر من جراء هذه الحروب ، فأصبحت
بين شعب كريت المفضل المبجل ... ثم كانت الحرب
الأخيرة التي قتل بسببها مئات من السادة الصناديد
من رجال الإغريق ، فاختاروني أنا وصاحبي إيدومين
قائدين للأساطيل ... ثم حاربنا حول طروادة تسع
سنين حافلات مُثقلات ، وفي العاشرة سقطت
المدينة في أيدينا ، وعدنا أدراجنا نطوي اليم لا ندرى
ماذا خبأت لنا المقادير ؛ ومن ثمة بدأ جوف يرسل
صبياً من الرزايا فوق رأسى ، حتى إذا وصلت إلى
كريت سالماً لم ألبث طويلاً هناك ، ولم أمتع
النفس بالأهل والوطن إلا شهراً واحداً ؛ ثم أقلعت
في نخبه من رفاقي بأسطولنا إلى مصر بعد أن
أولت لهم وقربت القرابين . وقد أرسلت العناية لنا
ريحاً جرت بسفنتنا رخاء ، كأنما أبحرنا مع تيار نهر
لا جبار ولا عنيد ، ولم يحدث لأى من جوارينا
سوء حتى بلغنا شطآن مصر في اليوم الخامس ،
وانتخدت سفننا سبيلها في النيل عجباً ... ثم حدث
مالم أود أن يحدث ، إذ سطا رجالى بعد خُلفٍ
في الرأى وشجار بينهم عنيف على حقول الفلاحين
فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا أطفالهم
ثم ذبحوا رجالهم ... بيد أنهم لم يسلموا مع ذاك من
شر المصريين ؛ إذ استيقظت المدينة على صراخ
الجرحى وأنين القتلى وتصويت النساء فأقبل أهلها
كالجراد ، بين فارس وراجل ، وكل يحمل السيف

أجلنا ويجهدون ، مفرغت من قصها عليك ...
فهي أنباء باكية وآلام متصلة ، شاعت السماء أن
أقاسيها ، وأن أجرع غصصها ... إذن أنا ابن
كاستور هيلاسيد أحد سراة كريت ، من سُرَّيته
المحبوبة التي كان يعزها كزوج . ولم يكن أبى يفرق
بينى وبين إخوتى من زوجه ، بل كان يولينا حبه
على السواء ، وكان الناس ييجلونه كأحد آلهتهم
لثرائه الواسع ، وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛
فلما مات اقتسم أبناؤه كل ماترك ، وكان نصيبى
منزلاً متواضعاً ، ومالاً كثيراً ، وزوجة غنية ذات
مال وجمال . ولم يحاول إخوتى أن يدعوني أو
يأكلوا ترائى ، لما كنت عليه من كريم الخصال
وحيد الفعال ، وجمال المنظر ووسامة المظهر — لا
كما ترانى الآن — وأأسفاً على مافات من نصارة
الشباب ! تالله لن تستطيع ، ولن يستطيع أحد ،
أن يحدس كم شقيت وكم بُليت ، وكم من الآلام
والضنك وأضرار الحياة تحملت ؟ فلقد كنت
لا أرهب الردى ، وكنت دائماً أخوض خبار
المعامع فى حى مارس ومينرفا فأشك قلوب الأعدى
وأبهر القادة والزعماء بجلال الأعمال ... ولم يكن
من دأبى أن أشغل نفسى بأكلاف البيوت ومشاغل
الحياة المعاشية الدنيا ، التي هى بالاحداث والغلمان
أولى ، بل كنت مشغولاً أبدأ بركوب البحار
وخوض غمار الوغى ، وملاعبة الأسنة ، وما إلى
ذلك مما جعلته السماء غراماً وفرحاً لى ، وضراماً
وفزعاً فى فؤاد سوى — والناس كما تعلم فيما
يعشقون مذاهب ... ولست أرسل القول على

الملاحون جميعاً ! ... وأكرمني الله العلي اللطيف
فبعث إلى بقلع السفينة الأكبر فتعلقت به ، ولبثت
الصَّبَا تقذف بي نحو الجنوب أياماً تسعة ، وفي
ظلام الليلة العاشرة ، دفعني على شيطان تسبروتيل
حيث أكرم مثواي ملكها العظيم البطل فيدون ،
وعني بشأني . وذلك أن ولده رآني طريقاً على
الشاطئ أكاد أموت من البرد والجوع ، فحملني
إلى قصر الملك حيث ردت إلى الحياة وأعطيت
دثاراً وصداراً ، وخصصت لي غرفة فسيحة ذات
أرائك ... وهناك سمعت عن مولاي النازح ، البطل
أوديسيوس ، ورأيت به بعيني رأسي وقد ذكر لي عن
فضل الملك وإكرامه مثواه ، ما برهنت عليه أعماله ؛
ثم أراني أوديسيوس كنوزه من الذهب والنحاس
وطرف الحديد التي جمعها في أسفاره ، والتي تكفي
للنفقة على أسرته عشرة أحقاب ... وكان الملك يحفظها
له في غرف كثيرة في قصره إعزازاً له وتكريماً ؛
وذكر لي أنه ذهب إلى ددونا النائمة بين أخضيان
الخور والسنديان ليستوحى كاهن چوڤ الأكبر إذا
كان خيراً له أن يذهب إلى بلاده متكرراً ، أو في
صورته الصريحة الحقيقة بعد هذا الغياب الطويل
عن أهله . وقد أكد لي الملك أن المركب الذي
سيحمل أوديسيوس إلى بلاده — إيثاكا — معد
في المرفأ — ولولا أنني أبجرت قبله لشهدته بعيني
يركب الفلك ، ذلك أن فلكا آخر للملاحين من جزيرة
دلشيوم كان راسياً في الميناء ، فأمرهم الملك أن
يحملوني معهم ويذهبوا بي بأقصى ما يمكنهم من
السرعة إلى الملك أستوس . ولكنهم — أو أسفاه

البتار أو الرمح السميري ، فأعملوا فينا ضرباً وتقتيلاً
واستنقذوا السبي كله ، وشفوا حرد صدورهم منا ..
أما أنا ... فباليتمني قتلت فيمن قتل واسترحت من
هذه الدنيا التي جرعتني ضعف هذه الآلام بعد !
لقد كنت أشهد رجالي يهرون إلى الأرض ، وأعلم
أن چوڤ قد أنزل هذا البلاء بهم جزاء لهم وفاقاً ؛
فلما رأيت أنني لا محالة شارب بالكأس التي شرب
بها رفاقي ، ألقيت سيفي ، وجريت أعزل من السلاح
إلى حيث الملك الكريم ، فركعت بين يديه ، وقبلت
الأرض إجلالاً له ، وبكيت ماشاء چوڤ أن أبكي ،
ثم سألته العفو والمغفرة ، فرق لي ، ورثي لحالي ،
وأمر بي فأخذت في جملة خدمه وخوله إلى المدينة .
وقد زام رجاله أن يقصدوني برماحهم لولا أن
صدمهم مخافة من الله الذي آمن اللائذين به المستذرين
بظله . ثم لبثت في أهل مصر سبع سنين هائناً
سعيداً محبوباً من الجميع . وحدث في السنة الثامنة
أن قدم إلى المدينة رجل فينقي جواب آفاق ، ما زال
بي حتى أقنعني بالفرار معه إلى بلاده ، وأغراني بأن
له ضياعاً وأملاكاً ومالاً ، ففعلت ، ولبثت معه حولاً
بأكمله ، ثم حدث أن كلمني بعد هذا الحول في رحلة
لا أعرف إلى أين ، كانت أكبر الظن للسطو
والقرصنة ، أو على الأقل ، لأباع في بلد قصي بيع
الرقيق ، فينتفع بتمني ... ورحلنا ... ولكن عاصفة
جبارة هبت علينا ، وتلاعبت بنا ؛ وعبست السماء ،
وكلح الدأماء^(١) ، وتمرد من تحتنا الماء ، ثم أرسل
چوڤ صواعقه على السفينة فقصمها ... وغرق

تألبوا على في عرض البحر ، وتآمروا بي ، ونزعوا
صداري ، ونضوادثاري ، ثم انتهزوا فرصة المد فأرسوا
في شاطئ إثاكا ، بعد أن ألبسوني تلك البزة القبيحة
الخلقة التي ترى . ولكي لا أقاوم أدنى مقاومة
ربطوا ذراعي وساقى وشدوا وثاقى في السارية فلم
أبد حراكا ... بيد أن الآلهة رأفت بي وحلت وثاقى
فقدفت بنفسى في الماء وسبحت إلى الشاطئ حيث
وجدتهم يعدون عشاءهم ويلتهمونه سراعا ... وقد
اختبأت في الأدغال الكثيفة فلم يرونى ... وهالهم
ألا يجدونى حيث نشدوا وثاقى ، فذهبوا يبحثون عني
حتى إذا لم يقفوا لى على أثر ، ألقوا عجلى ، ونجاني
الله منهم ، وساقنى إلى الرجل الصالح الطيب الذى
وصل حياتى وأكرم مشواى ... « فتبسم يومايوس
وقال : « تالله لقد أثرت في فؤادى مقاتلتك أيها الضيف
الكريم ، وأشجاني ما لقيت من أهوال ! ولكنك كما
يبدولى لم تكن جادا فيما رويت من أبناء أوديسيوس
فلم أيها الأخ وعليك من سيم النبل ومخايل الفضل
ما عليك ، تلفق مثل هذه الترهات المضحكات ؟ أما
والله إنه إن يكن قد نجا من الموت في ساحة طروادة
بما ألب عليه من سخط الآلهة أجمعين ، فأكبر
ظنى أنه قد غدا جزر السباع وكل نسر قشعم ...
وأأسفاه عليه ! ألا ليته قتل في سبيل بلاده في
حرب عوان يحمي في وغاها بيضة الوطن ! إذن لبكاه
جميع الإغريق ، ولا جتمعت هيلاس كلها تتنافس
في صنع لبنات قبره ، وتخلد ذكره ، ولأورث ولده
المجد والخلود ! هأنذا يا صاح ثاو في هذا المكان ،
لاصق بذلك البيت العتيق ، يفد على في كل آفة

غرباء مثلك ، يروون لي القصص ، ويلفقون
الأحاديث عن مولاي ، فبعضهم يبكيه ويتحسر
عليه ، وبعضهم يوشى الأكاذيب ليغنى بعض الرغد
وينال بعض العطاء ، حين أقدمه للملكة الحزينة
الكاسفة ، ينلوب ! ولعمري ما انطلت على يوما
أحاديثهم ، ولا خدعت مرة بما رَوَّعوا وزوقوا ! !
أفتحسبني أصدق ما زخرفت أنت الآخر عن أوبة
مولاي مثقلا بأحمال الذهب من كريت ، واهما أنى
بهذا أبالغ في إكرامك ، وأحرص على التلطف
بك ؟ لم تصنع هذا أيها الرفيق بعد أن ترفقت بك
الآلهة ، وهدتك إلى شاطئنا ؟ أما والله إنى إنما
أكرمتك حباً لجوف ورهبة من بطشه ، ولما جاش
في صدرى من الشفقة عليك والرتاء لك ، والتألم من
أجلك . » وقال أوديسيوس يجيبه : « لشد ما أوتيت
قلبا أفعمته الوسوس ، ونفسا ساورتها الشكوك
أيها الشيخ ! هبها أبناء ملفقة ، فما يعينى التى
أقسمتها لك إذن ؟ تعال ! هلم تقاسم أليّة
تكون آلهة الأولب عليها شهداء ، إنه إن آب
مولاك إلى بيتك هذا في أقرب ما تظن من
الزمان ، فيكون لى عليك صدار ودثار أصلح بهما
شأنى حين أعود أدراجى إلى دليسيوم ... فان لم
يؤب كما عاهدتك فتجتمع أنت ورجالك وعمالك
وتقدفوا بى من رأس قلة عالية سامقة يخشى
أحقر الآفاقين أن يتربع عليها » وأجابه راعى
الخنازير : جميل والله أيها الغريب اللاجئ ! تكون
ضيفى ، وتؤواكلنى وأؤاكلك على مائدتى ، وتطمئن
إلى ، وتأتمنى ، ثم أقذف بك من حالى ؟ جميل والله

ويسلب ، له الملك ، لا شريك له . ثم أدوا صلاتهم
الحرية فهراقوا المدامة للآلهة ، وكذلك صنع
أوديسيوس ؛ وهم ميسولوس — مولى يومايوس
وخادمه الذي اشتراه بماله — فوزع الخبز ، ولبث
يخدم ويستقي ، ويجيء ويروح ، حتى إذا فرغوا
نظف المائدة وأعاد كل شيء إلى مكانه ؛ وانصرف
القوم إلى مضاجعهم ليناموا ليلة ليلاء ممطرة
شديدة القر ، عظيمة البرد ؛ ونام أوديسيوس قريباً
من مضيفه ، ولم يكن عليه من الغطاء ما يقيه
هول القرس ^(١) فلفق هذا الحديث للراعي الشيخ
ولن نام معه من عماله : «لله مات صنع خمركم بالألباب
يا قوم ! لقد أوشكت أهدى وانتفض وأملاً شدى
بالضحك... ولولا هذا القر لقت فرقت ، ولكني
محدثكم حديثاً من أحاديث الشباب فيه هذيان وفيه
ثرثرة ، وفيه من حيا سلافكم ما فيه . ألا ما أحلى
أيام الشباب وما أروعها لو رجعت ! إن لها لصدى
في نفسى يتردد ، وإنى ما عشت لن أنسى تلك الليلة
القارسة الشاتية التي قضيتها في صدر الشباب وريمان
الصبي مع صديقى أوديسيوس ومنالايوس في كمين
تحت أسوار طروادة ، في مستنقع آسن ذى قصب ،
نرغب من عدونا فرصة تظفرنا به وتنصرنا
عليه ، مقنعين في الحديد والزررد ، صابرين لما
يصفعنا به بوريث ^(٢) من ربح عاتية وبرد ،
ويسفعنا به من قر وبرد ، حتى انعقد الصقيع على
دروعنا ، وكنت أنا أجمد ويجمد الدم في عروقي ؛
لأنى والأسفاه استهنت أول الأمر بما أنذرت به الحال

هذا ؟ وتضيع صلواتى ونسكى لدى جوف العلى !
صه ! هلم هلم ، العشاء يا صاح ! لقد آن وقت
العشاء ... البدار قبل أن يدهمنا عمالنا فيزحمون
المائدة ولا تجد لك مكاناً بينهم »

وهكذا تشقق الحديث بين الرجلين ؛ ثم وصلت
رجال الخنازير وأهرعت إلى حظائرهما حيث ارتفع
قباعهما ^(١) وعلت ضوضاؤها ... وهتف الراعى بأحد
غلمانة فأمره أن يحضر واحداً من أسمها لعشاء
الضيف ولعشاء الرعاة ... « ... أفما نستحق واحداً
منها مما تلتهم بطون غيرنا الذين ينعمون بثمار كدنا
ونصبنا ؟ »

وجيء بخنزير جسد ، وأججت النيران واتقد
الجمر ، وصلى يومايوس للآلهة ، ودعا لمولاه بالخير ،
وتمنى له العود أحمد العود ، ثم أهوى بشاطوره على
عنق الحيوان فخر يتلبط في دمه ؛ وسلخوه بعد
ذلك ، وهم به يومايوس فقطعه ، ووضع إرب اللحم
على صيغ الشحم ، وتثر من الدقيق على كل ذلك ،
ووضع الجميع في الجمر ، وكلما نضج شيء وضعه
الغلمان على المائدة ، حتى إذا فرغوا تولى الراعى
العجوز توزيع الأنصبة ، فجعل لابن مايا ^(٢) سبعة
أسهم ، ولعرائس الماء سهماً واحداً ؛ وجعل لكل
من عماله نصيبه بعد أن أتحف أوديسيوس بأجزل
الأنصبة جميعاً ، ثم كان يمدده بعد ذلك بإمدادات
جمعة ! ! مما ألهج لسانه له بالشكر وعليه بالثناء ...
ورد عليه الراعى في أدب وافر : « إن الله هو مانح
كل شيء يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ويعطى

(١) القرس البرد الشديد جداً

(٢) ربح الشمال الصبا

(١) القبايع بالضم صوت الخنازير

(٢) هرمز

شيئاً كثيراً من فراء الغنم وجلد الماعز فجعله ركاماً بالقرب من المدفأ ، ثم جعل عليها ظهارة^(١) من الصوف ، فصلحت بذلك أن تكون لأوديسيوس وسادة وثيرة ليس بها من بأس ، نام فيها فاستراح والتحف بفراء آخر ، وبات ليلته والابتهاج يغمر نفسه لما رأى من حرص راعيه على ذكراه ، وحنينه للقياء ، وعنايته بقطعانه ... أما الراعي العجوز الشيخ ، فكأنما أثرت فيه مقالة أوديسيوس فهب فالتقى عليه سلاحه ، وأضنى على كاهله دروعه ، بعد أن خلع معطفه ، وأترر بجلده عزه ؛ ثم اجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف ، وحمل حربته التي يذود بها الناس والسباع عن رعاله ، وانطلق في العراء ، حيث جلس على صخرة مشرفة على السهل ، وذلك ليحرس القطيع النائم ... غير عابئ بقرس الرياح ولا وحشة الليلة الليلاء ...

دربني ضئيب

« يتبع »

(١) ظهارة الفراش ونمطه مايفرش عليه كالملاءة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزينات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

من هذا المآل ، فخرجت في عدتي وسلاحي ، ولم ألبس معطى ولم ألتفع ريطتي^(١) ، يئسنا قد احترز رفاقي فتدثروا بكل ثقل ... وخفت أن أصبر لهذا البرد فتكون القاضية ، فهتفت بأخي أوديسيوس : « أدركني يا ابن ليرتس النبيل فقد أشفيت على الهلاك من ذلك الزمهرير ! أدركني بأربابك فاني قد استخففت بالفصل الذي نحن فيه فلم أحضر معي معطفاً ويكاد يقتلني البرد ويهرؤني الصقيع » . وأسكتني أوديسيوس خشية أن نسمعنا أحد فلا نفلت من الموت ، وقال لرفاقه : « أيها الاخوان ! رأيت رؤياً وبودي لو يذهب أحد إلى أجامنون فيطلب لنا مدداً فلقد بعدنا عن الأساطيل ، ولسنا هنا بخير لما ترون من قتلنا ! » ، وانبرى لها أتدريمون ، فخلع معطفه وأطلق ساقيه للريح ... وأشار أوديسيوس الخبيث إلى ، فلبست المعطف واستدفأت به ، وحدثت الآلهة « أفليس فيكم أيها الأجاويد رجل رشيد ، فينزل لي عن معطفه أتقى به هذا البرد الشديد وأنا في مثل سنى وأنتم في ميعة شبابكم ؟ ألا تفعلون ؟ لتكن لكم هذه اليد على تفضلاً أو تأديباً ! » وقال يومايوس يجيبه : « لا عليك يا ضيفنا العزيز ... إنك لن تشكو برداً ولا تقصيراً عندنا ... وليس لدى كل منا إلا دثاره وصداره ومعطفه ، وليس لدينا منها كثير نباهي به ؛ ولسوف يعود تلياك بن سيدنا ومولانا فيخلع عليك من الملابس ما يسرك ويهيجك ؛ ولكن رويداً فسأ كفيك عادية القر برغم هذا ... وبرغم ما غمزت في حديثك ولزت !! » . ثم نهض فجمع

(١) الریطة تشبه الكوفية

طُبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة عجم رقم ٧

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والتأليف

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد التاسع عشر ٢٧ شعبان سنة ١٣٥٦ - أول نوفمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | الطيار الذهبي في قصر يوسف | للكاتبة الإيطالية ماتيلدا سيراو ... | بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة .. | ١١٦٢ |
|------|---------------------------|-------------------------------------|-----------------------------------|------|
| ١١٧٤ | غادة البحر | مشهد من مسرحية الكاتب التروجي ابسن | بقلم الأستاذ خليل هندأوى .. | ... |
| ١١٧٧ | الغرفة الزرقاء | للكتاب الفرنسي بروسير مريميه . | بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ... | ... |
| ١١٨٢ | ذو الغمد | للكتاب الروسي أنطون تشيكوف . | بقلم الأديب جورج سلسكي .. | ... |
| ١١٩٣ | قنطرة يوفيفيانى | عن كتاب الأطفال الممتازين . | بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار .. | ... |
| ١١٩٦ | سحابة | أقصوصة موضوعة | بقلم الأستاذ أديب عباسى ... | ... |
| ١٢٠١ | كورنى فاسيليف | للفيلسوف الروسي تولستوى . | بقلم الأديب أحمد فتحى مرسى ... | ... |
| ١٢٠٩ | اعترافات فتى العصر . | لألفريد دى موسيه | بقلم الأستاذ فليكس فارس .. | ... |
| ١٢١٨ | الأوديسة | لهوميروس | بقلم الأستاذ درينى خشبة | ... |

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنباً مصرياً ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

الطيبان الذهبى في قصر يوسف

للكاتبة الإيطالية ماتيلدا سيراو
بفكر الأستاذ محمد لطفي جمعة

أسرار الفن والجمال التي
ازدهرت في عصر
يوسف فنقلت معانيها
الخفية والظاهرة ،
وأفرغت ثمار النعمة
والفنون الحديثة في
قوالها القديمة الثابتة .
وإن تحليل ذلك لهيّن

على من يعلم أن عقل مستر
« سترينج بيرد » العالم الأثرى
الشهير الذي شاد القصر ورفع دعائمه
وأنفق في ذلك معظم ما كان يملك ،
وقضى ثلاثة أرباع حياته في الدرس
والبحث والتنقيب والتحقيق حتى
وصل إلى الصورة الأخيرة التي
نسق عليها القصر ، فتضافر
هو وعقل شارلوت على إيجاد
تلك المعجزة الفنية التي بنيت من
حجر وصخر ومرمر وبلور
فكانت إلى وصف المصوغ أقرب ،
حتى ليخيل إلى الراى أنه يتمتع نظره
بجوهره يتيمة فذة يرى أضواءها

ماتيلدا سيراو Mathilde Seraw
من شهيرات القصصيات الايطاليات .
في أوائل هذا القرن عاشت ووضعت
كتبها في مدينة نابولي بأسلوب
مبتكر جذاب ، وقد نقلت بضع قصص
من تأليفها إلى اللغات الأوروبية ؛ وقد
زارت مصر قبيل الحرب ووضعت
قصة خلافة تربط بين الماضي والحاضر
وتجمع الشرق والغرب وجعلت بعض
مناظرها في ظلال الآثار المصرية
الحالدة وبطلها جيوفانى دى نافا طيار
إيطالى ومعثوقته لادى شارلوت
الانجليزية النبيلة . وقد شادت هذه
اللادى السكونية للقاء حبيبها قصراً
وصفته المؤلفة بالقصر اليوسنى إشارة
إلى ما فعلت امرأة العزيز ... وقد
وقعت في ذلك القصر حوادث جسام
صاغتها المؤلفة الفديرة أجل صياغة
وأفرغتها في أبدع القوال

وصف القصر كأنك تراه

بدأ الشيخ العربى يروى لى
قصة قصر يوسف في ظلال
العمد الشاهقة عند معبد رمسيوم :
« كان السائر على شاطئ
النيل بمقربة من « الدير البحرى
الذى شادته الملكة المسترجلة
حتشبسوت يرى بناء صغيراً
يكاد يكون لجماله كالأمير المتخفى ،
يدل مظهره البرى على البساطة
والتواضع ، وتنطوى حقيقته على
العظمة والفخامة فالقصر
الصغير الجميل لا يرى من ظاهره
ما يدل على ما انطوى عليه من

وهو فيها ، ويأخذ يبصره تلالؤها وهو محيط به ،
ويشع حوله فيرى كالحالم أنه يتقلب في فراش من
الخز والديباج في مقصورة من الماس المضيء بذاته
لداته ...

كان الزائر يمر بالدخل الكبير للقصر بين
عمودين من المرمر الناصع البياض مزبزين لا معين
جلب معدنهما النفيس من الصحراء الغربية ، وإلى

المفاخر والمحاسن وآيات الفن وضروب الجمال ودلائل
حسن التدقيق ومهارة الصانعين ولباقة لادى شارلوت
التي جعلت من هذا البناء الأثرى متحفاً للجمال الحى
ومصدراً لوحى الفنون التى تجلت في غرفه . وأول ما
يسترعى نظر الراى جلال الشخصية التى أشرفت
على إعداداته وتأنيثه وتنسيقه ؛ وإن الزائر ليحار
حيال القدرة الجبارة التى تمكنت من إدراك أدق

جنب كل منهما تمثال لأسد رابض منحوت من الجرانيت القاتم ، وقد جعلاً رمزاً للحراسة والحماية واليقظة ، كما جعل على رأس كل عمود تمثال لنسر يهيم بالتحليق وقد نشر جناحيه وخفض رأسه وهدق بعينه ؛ وكان هذان النسران أجمل رمز لفن جيوفاني ، المهندس الطيار . وإنها لمصادفة عجيبة فرحت بها لادى شارلوت فرحاً جماً ، فلو أنفقت وزنها ذهباً ما استطاعت تقدير الفكر الذى أوحى إلى المعمار وضعهما ، فكأنه رأى بعين الخيال ذلك الرجل السعيد الذى سوف ينزل بالقصر ويكون قلب مالكته ملكاً له

فاذا ما عبر الداخل عتبة ذلك البهو الفخم المحروس فى أسفله بالأسود وفى فته بالنسور أخذت عينه وراء كل أسد لبضعة أقدام من أذنانها التى أقمت عليها بتمثالين لعملاقين من الزوج كأنهما واقفان لحراسة ما وراء المدخل وإضاءة سبيل الزائر الذى توسط بستان القصر . وإنه لمن المهندسين المماريين من تشرف نفوسهم على المستقبل فيلمح أحدهم من بوارق الإلهام ما يقتضى تمام الفن أن يوحى إليه ليخرج العمل الكامل . فإن الفنان قد وضع فى يد كل منهما مصباحاً على شكل رأس امرأة قبض الزنجبى بأنامله على ضفائرها ، وتشع من رأسيهما حزمتان من النور الأزرق ، فاذا تحرى الناظر مصدر الضوء وجده خارجاً من أعين المرأتين فكان لذلك فى نفسه رهبة أى رهبة . فاذا فرغ عجبه لهذا المنظر أخذ بصره بحوض يضاوى الشكل من الرمر

الناصع البياض وعلى رأس كل طرف من أطرافه تمثال بديع لفتاة كاملة الخلق ممشوقة القدر ناعسة الطرف قبضت على ثدييها بيديها فتفجرت منهما المياه كما يتفجر لبن الموضع فى فم طفلها المحبوب ؛ والماء المتدفق على هذه الصورة العجيبة ينصب فى الحوض راسماً فى طريقه قوساً جميلاً لا يسمع له صوت لدى خريه ، ويزيده بهجة ورواء سقوط أشعة زرقاء هادئة مسلطة من مدخل البهو على تلك الينابيع الأربعة المتدفقة من أثناء الفتاتين . فاذا ما أشبع الناظر نفسه بالنظر إلى الحوض والنافورة والفتاتين صعد بضع درجات من سلم واسع الأرجاء مصنوع من الجرانيت الوردى زينت أطرافها بأنياب خزفية ملونة تتدلى منها أغصان الأسيرجوس ، كأنها شعور خضراء لرأس خفى . وكان الباب الداخلى مستطيلاً وعلى جانبيه مرآة من المعدن يتبين فيها الناظر صورته واضحة جلية ، وعلى حافة كل مرآة تمثال من خشب الجوز التركى لظبي فاتن راقد فى اطمئنان يرنو بعينه النجلاوين المصنوعتين من الصدف والعقيق الأسود إلى الناظر فى المرآة

ثم يستأذن الداخل على بهو فسيح قد صفت على جوانبه مقاعد من الفسيفساء على صور تمثل الصيد والقنص . أما أرض البهو فكانت من الفسيفساء ، تمثل بحيرة عظيمة تسبح فيها أسماك شتى الألوان والأشكال والحركات ، تتخللها أصداف وأحياء مائية أخرى كقنديل الماء والأخطبوط ؛ وفى وسط الصورة الرائعة الحسن

حوت عظيم فاغرفاه كأنما يريد أن يبتلع ما يدنو منه من صيد البحر ، وركبت في رأسه عينان من الياقوت الأحمر . أما زرقة الماء التي تمثلها الفسيفساء فكانت مصنوعة من شظايا رقيقة من «أزرق البحر» الفائق الجمال

وكانت جدران البهو مزودة بتصاوير تمثل صيد البر ، فن طراد بين كلاب سلوقية وغزلان مشردة وبزاة تحلق فوق رؤوس طباء لتعود إلى صاحبها بالغنيمة الباردة ، إلى مناظر صيد الطيور في برك المياه وسط الحشائش الخضراء ؛ فكان يخيل إلى الجالس في البهو أنه يتمتع بصيد البر والبحر ، حتى إذا مداعاه رب الدار إلى الدخول رأى أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله أبواباً تؤدي إلى مختلف الغرف ؛ فمن يمينه غرفة الجلوس التي جعلها المعمارى بيضاوية على شكل حوض البستان وهي تؤدي إلى باب من الحديد المصقول لغرفة الطعام التي جعلت مستديرة على شكل المائدة ، وبينهما حجرة مستطيلة لا تتسع لأكثر من خوان الشراب وحوله مقعدان ، وفي جدرانها ينابيع من الفضة إذا حركها الساق سكبت ألواناً من الجمر الممتعة التي أوصت بها لادى شارلوت في مصانع إيقوسه وشمپانيا وكروم توسكانيا وأفنيون ؛ وقد صنعت تلك الينابيع بحيث تتصل بخزائن صغيرة تملأ وتستنزف وتثلج من وراء الجدار . ولقاعة الشراب نافذتان تطل إحداهما على حديقة القصر ، والأخرى على منظر من ضفاف النيل ، بحيث يرى المظل الشمس والقمر لدى

الشروق والغروب . فإذا ما اتجه الداخل صوب الشمال بدأ بغرفة مثلثة الشكل جعلتها ربة القصر للقراءة والعبادة . ففي رأس المثلث معبد صغير تقف إليه كلما شعرت بالحاجة إلى الاتجاه إلى ربها . ولم يكن جيوفاني بأقل حاجة منها إلى أوقات يقضيها في ذلك الركن الركين ذا كراً سيدته العذراء ومولاه المسيح . وإن نعجب لشيء عجيبنا للاختلاف بين عقيدته الكاثوليكية وعقيدتها البروتسية وقد جمع الحب بين الروحين ، وسوى بين المذهبين ، وأزال الفروق كما أجرى في عروقهما دماء جديدة للحياة التي تتدفق في الشرايين ؛ والبهجة تدخل القلب فننعهه ، والآمال تهض بالنفس الحزينة فتقويها ، دأب الحب الناشيء في قلبين متعطشين إليه . وقد حوت هذه المكتبة طائفة من أنفس الكتب القديمة والحديثة ولا سيما مؤلفات توماس هاردى ودانوتريو . ومن فرائد المؤلفات التي احتوتها وعد الزواج لمازوني ؛ وكان جيوفاني يطيل قراءته لاعتقاده أنه يبني الأبطال ، فقد بنى روسيني روسي حتى إنه ليحتفل في كل عام بتاريخ صدوره

وأحضرت لادى شارلوت كتباً في فن الطيران لتدخل السرور على قلب حبيبها إذا فاجأته بها . وينتهي رأس « مثلث المكتبة والمعبد » إلى باب صغير يؤدي إلى مخدع الرقاد ، وقد جعل هذا المخدع على هيئة بناء سداسي كأنه إحدى خلايا النحل . ولا غرو في ذلك فإن العاشقين طالما تبادلوا فيها لذة الحب ، وهي أحلى من الشهد . ولا عجب فإن

الحق أن الدين صوروا زليخا صوراً بارزة وأخرى غير بارزة ، وصوراً ذات ألوان وأخرى ساذجة ، لم يستطيعوا أن يجدوا ما يتفوقون به على صنع الدين صوروا لادى شارلوت . ومما يدل طوراً على الذكاء وتارة على التهور السكسوني أن لادى شارلوت اتخذت من جيوفاني يوسف آخر ، فجعلت في تصاويره بجانب صورها في ملابس نفيسة من قميص إلى جلباب ، ومن قفطان إلى عباءة ، وكل ما اتخذته نبي العفة لباساً خلعتته شارلوت على حبيبها بريشة الرسام ...

وكانت تلك التصاویر تزين مخدع النوم ومجلس الشراب وخلوة الحمام . أما غرفة الطعام فكانت مقاعدها من خشب « الأبنوس » المنزل بالعاج وأسلاك الفضة ؛ وكانت جدرانها مزدانة بتصاویر يوسف وزليخا يتفكهان ويشمان رائحة الأزهار من باقات صفت لديهما على الخوان ، وصورة أخرى أضافها لادى شارلوت تمثل عقائل المدينة وهن يقطعن أيديهن !!

وكان السرير في غرفة النوم واطناً رجباً وثيراً يشعر الراقدة عليه بأنه قد أسلم جسمه إلى فراش يكاد لرقته ونعومته وطراوته وليوته يكون أحضان محبوب مشتاق ، وقد حشيت الوسائد والحشايا بأخضر الريش وأغلاه ، وغلفت الوسائد وما إليها بالحرير الأزرق ، وجعلت للسرير ستور من المخمل « الجزاري » (١)

(١) هولون الصدا الذي يعلو النحاس ، وسط بين الأخضر والأزرق

شارلوت تصلح ملكة ، ولا يصلح جيوفاني إلا لخدمتها ، وقد جاءها طائراً كما تحلق ذكور النحل في أفق السماء في أثر الملكة يوم الغزل المشهود . فما أغرب المصادفة التي أوحى إلى المهندس بناء تلك الغرفة على تلك الصورة !

وينتهي أحد أضلاع هذه الخلية الانسانية المعسولة بغرفة الزينة التي جعلت على شكل محارة رمزاً إلى أن التي تتحلى فيها « درة » تربت في أصداف غالية ؛ وينتهي أحد الأضلاع المقابلة بخلة الحمام ، وقد تفننت اللادى شارلوت في تنسيقها وتزيينها بأحواض من المرمر الملون ومواسير من المعدن الأبيض ومرآة من الفضة المصقولة ، وجعلت في أركان الحمام رفوفاً من العاج ذات تعليقات وحالات من المرجان حملتها بأدوات الزينة النادرة المثال ؛ وكانت مربعات القيشاني الفيروزية تعكس على الحوائط ألواناً بهجة

ولما كان مستر سترينج بيرد قد زين غرفة النوم بتصاویر شتى لامرأة العزيز في مختلف الأوضاع ، فتارة ناهضة من فراشها ، وطوراً راقدة وقد أسندت رأسها إلى معصمها ، فقد صورها في إحدى اللوحات في موقف المنتظر المتلهف ترقب موعد يوسف ، وفي أخرى صورة تجمعهما في فراش واحد جعلتها زليخا في غيبة يوسف لتفاجئه بها في اليوم الموعود ، وفي الساعة التي كان لها ما بعدها ! وقد شاعت لادى شارلوت أن تجعل لنفسها من زليخا قدوة فلم تترك وضعاً من أوضاعها إلا وقلدتها فيه بتصويرها . وفي

وكان سقف تلك الغرفة شفافاً بحيث يرى الراقداً فيها قبة السماء كما لو كان يرقب الأفلاك وهو لا يتكاف مجهوداً قل أو أكثر . فكان لبزوغ القمر وتلاؤه في كبد السماء روعة في نفس من يرى أشعته الفضية تنسكب انسكاب الغدير على الغرفة ومن فيها فتعمرها بسيال فضي يتعكس ضياؤه الأبهى على زرقة الرياش فيكون لذلك منظر من أبدع المناظر وأبهجها وأفتنها

أما غرفة الزينة التي أبدع الصانع زخرفها فقد جمعت بين الفن القديم والفن الحديث فوضعت في صدرها منضدة من المرمر المغرق صفت عليه أوعية من المرمر الرقيق تحوى أطيب العطور وأرواحها ، ومختلف الأدهان والمكاحل وأدوات تنسيق الأظافر وتطريتها ، وألوان ذهبية وياقوتية لتخضيب البنان ، وأدوات لتصفيف الشعر وترجيله وما تحتاج إليه النساء من أسباب التحلى والتزين ، كما حوت صواناً كبيراً للثياب صنع إطاره من خشب القرو ، وركبت ألواحاً وجوانبه من البلور المزدوج بحيث لا تحتاج صاحبه للتنقيب عن الثياب في ظلام الأخشاب . وقد جعلت في خزائن من خشب عطري علباوات من الفضة المبطنة بالقטיפه الزرقاء لصيانة جواهرها ومصوغاتها ومعظمها من الدراري اليتيمة والآلىء النادرة ؛ وكان للياقوت الأزرق والفيروز والزربرد أكبر نصيب من فصوص الأقراط والخواتم

وكان اللون الأزرق سائداً في كل مكان . وطالما سئلت لادى شارلوت في ذلك فأجابت : أليست السماء

أجمل شيء في الكون ، والبحر أبهى الألوان وكلاهما أزرق ؟ ثم بعد فان أولى الهدايا وأعزها عندي كانت ذات لون أزرق فتفاءلت بها وصار هذا اللون شعارنا ؛ وزادني به تعلقاً أن حبيبي يفضلته على ما أعده من الألوان . وفي عرفنا أن الدم الذي يجري في عروق ملوكنا أزرق اللون !

العاشقانه بين نارين

لم يكن تدمير القصر اليوسفي الذي استقبلت فيه لادى شارلوت محبوبها جيوفاني دى ناغا المهندس الايطالى الطيار وليد المصادفة ، بل حدث ذلك التدمير بالنار نتيجة تدمير سابق بعيد الغور

فان لادى شارلوت التي أنفقت في تنسيق القصر وتزيينه وتأثيثه وتجميله وتصوير جدرانها وتلوينها ما أنفقت من مال وصبر ، ولا سيما قاعة الرقاد التي جعلتها آية من آيات الابداع ومعجزة من معجزات الفن المصرى القديم ، وجمعت لها ما جمعت من أدوات الزينة وثمن الرياش ، وطرزت حواشيها بأنواع المخمل والسندس ، وفرشت أركانها بالقدراى المبثوثة ، وجملت أطرافها بالطنافس الغالية ، وحلت حوائطها بالتصاوير البارزة التي تمثل مناظر العشق وأوضاع الغرام إلى جانب مجالس الشراب ومواقف الغزل ، كانت تظن أنها أعدت لليالى حظوتها بمحبوبها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ وحسبت أن الدهر قد صفا لها وهادئها ، وأن الأيام عاهدتها على الهناء وكفت عن الغدر بها . ولكن لادى شارلوت فطنت إلى شيء وغابت عنها أشياء ونسيت

الذين جعل إحداها وشادة لرأسها والأخرى وقاية لصدرها ، دأب كل عاشق محتضن معشوقته فهو يريحها ويحرص عليها ، يريحها كما تريح الرضع الحنون طفلها ، ويحرصها من خطر موهوم ، فكأنه يخشى أن تغتلب منه في الظلام وهي به جدا لاصقة.. ولكنه لم يجرؤ على تخطي مدخل الغرفة الزرقاء لئلا يخالف بذلك رغبتها فسمع همسا ، فعاد أدراجه ووضع يده على مسدسه الذي كان لا يفرط في صحبته مطيعا في ذلك نصيحة والده رينا لدي دي دنافا : « عليك يا بُنى بثلاث تدرا بها الأخطار : الهندسة والألسن والسلاح ، فالأولى للرزق والثانية للاغتراب والثالثة تلتقي بها الرجال »

وقد ابتسم جيوفاني ابتسامة ألمية عند ما قبض على مسدسه ، وتذكر حكمة أبيه وقال في نفسه : « هأنذا أنفذ وصيتك يا أبتاه ! لقد حذرتني من ثلاث بثلاث : من الفقر بالعلم ، ومن الغربة بحفظ اللغات ، ومن لقاء الرجال بالسلاح . ولكنك لم تحذرنى من المرأة التى قد تكون سيئا في كل أولئك »

ولم يكذب ينتهي من هذا الخاطر العجيب الذى مر بذهنه بأسرع مما يمرق السهم وأمضى ، حتى سمع صوت رجل يتكلم مخاطبا لادى شارلوت ، فكادت دقات قلبه تقف فجأة لارعبا من الخطر ، ولكن إشفاقا على محبوبته التى خيل إليه أنها فى براثن الهلاك . فرفع جيوفاني ذلك الستار بأطراف أنامله ، فرأى رجلا فى صورة أعيان السكسون ،

أن من سره زمن ساءته أزمان ، وأن الدهر قل ما يهادن بغير استعداد لمواقع أخرى قد تكون أشد من الأولى وأقسى ، بعدها ليصلي المخدوعين بأمنه بنار محرقة من جحيمه . وإنها لفي ظلال الهناء ترشف كؤوس الحب مترعة ، فى الليلة الرابعة من ليالى غرامها الخالدة وقد أسدل الظلام ذوائبه على سريرها ، وهى تناجى جيوفاني ، تناوله أشهى القبل وتبادلته أرق الحديث وأطيبه ، ولسان حاله يقول :

تبت فؤادك فى الظلام خريده

تسقى الضجيع يبارد بسام

وإذا بها تسمع فى الغرفة الملاصقة وقع أقدام خافت ؛ وكانت مرهفة السمع شديدة اليقظة حتى فى سكرات الغرام فهضت وحاول جيوفاني النهوض ليتبعها ، إلى غرفة الزينة التى اختارت لها اللون الأزرق وهو اللون المحبوب منهما المفضل ليهما على سائر الألوان . وكانت اللادى تلبس للنوم قميصا من الحرير الأزرق وحول عنقها ذلك العقد الذى تلمع حباته المجموعة من الياقوت الأزرق ، ويتدلى على عنقها البلورى وكتفها الفضيتين شعرها الناعم القسطنى فاجتازت الغرفة بخطوات مسرعة وأزاحت بيدها الستار الذى يسدل فيفصل بين الغرفتين ، فيسمع جيوفاني من ورائه وسوسة الحلى وخير الماء الدافئ ويشم رائحة العطر . وبقي جيوفاني فى الفراش برهة فى حال غريبة من اللذة والخوف عليها ، وفى انتظار عودتها إلى ذراعيه

« إن وجود لادى شارلوت برنهارت حفيذة
دوق مالبرو وسليمة بيت الوردة البيضاء ، صاحبة العفة
وربة التقوى وتاج الصون في هذه البقعة المقدسة
لمن أجل الاشارات إلى هطول البركات ووفور
الخيرات ، ولكن التقاليد صريحة في وجوب
إقصاء الدين يلحقهم الدنس وتمسهم شوائب الرجس ،
لا فرق في هذا بين العبد والأمير ، فأستحلفك يا بنت
برنهارت باسم القوة السماوية التي تستمدن منها
وجودك الدائى لتقولن لى الصدق فيما أنا سائلك عنه :
أأنت طاهرة أم ملوثة بأدناس ... العاشقين ؟

قال هذا ووقف تجاه النبيلة يمجّد فيها بصره ،
كأنه يريد أن تصل نظراته إلى أعماق نفسها ،
فأحفظها القول وغازها وكسر بالها ، فتبدل
شحوبها بحمرة شديدة وغلى دمها في عروقها ،
وأسرع نبضها تبعاً لخفقان قلبها ، وطفق نهداها
الرومانيان (اللذان لم يخضعا لقانون التضخم والهبوط
بفضل حمالة من الحرير الأزرق مصنوعة حسب
آخر أزياء باريس) طفق هذان النهران يصعدان
ويهبطان استنكاراً لكلام تأبى أن تقبله من إنسان
كائناً من كان ، واستنكاراً لمعاملة لا تليق بكرامتها .
واستقر في خلدها أن بعض أعدائها دبر لها مكيدة
للوّضع من مكانها ، فصوروا لها رجلا على صورة
والدها (لورد ريثا نونسل أوف درومدرى أند
كولو سترم) ليوهموها بتقمص الأرواح واقتفائهم
أثرها لينغصوا عليها حياتها وحبها ، فوطنت النفس
على مفاجأة الشيخ بما لم يكن في حسابه من الشجاعة

يشبه شيوخ السيناتو في رومة القديمة ولوردات
الانجليز في لندن الحديثة ، وقد بدا في أشعة مشكاة
صغيرة تضيء ظلام الغرفة في ثياب تشبه ثياب
النسّاك ، وله وجه ورأس أشبه الأشياء برأس اللادى
ووجهها ، وقد تدلت على صدره لحية لم يستبن جيوفانى
لونها على حقيقته . وكان الرجل على خلاف المؤلف
في الانجليز ، أميل إلى السمن منه إلى النحافة ؛ وكان
يتكلم بصوت خافت ولكنه صوت الرجل الوديع
العالم الذى لم يتعود الصخب ، ولكنه صوت من إذا
قال فعل ، وإذا أراد نفذت إرادته ؛ وكان أثناء
كلامه يدلف إلى اللادى ثم يعود القهقري ، فإذا
دلف حرك رجله على هيئة قوس من دائرة يتوهمها
ويرسمها بساقيه إذا خطا . ثم يحدّق بالنبيلة الانجليزية
بعينين ضيقتين ولكنهما براقتان . وكانت اللادى
تنصت في رعب تحاول إخفاءه وراء ثوب شفاف
من الهدوء . فلم يجد جيوفانى سبيلاً لاستعمال
مهندس حيال هذا الشيخ الجليل الثابت الجنان ،
ولا سيما بعد أن سمع كلامه بالانجليزية باللغة الواضوح
دقية اللهجة ، فأصغى جيوفانى في حال بين اللذة والقلق
إلى كلماته متنقلاً بحدقته اللتين مدتهما الرهبة ،
من وجه محبوبته الشاحب إلى وجه الشيخ
المتلهب . كان وجه شارلوت شاحباً ولكنه كان
ثابت التقاطيع فلم يعرها ما يعرو الخائفين من رعشة
أو اهتزاز أو تقلص في العضلات . وكان الشيخ
يتكلم كما لو كان على وصيته الأخيرة قبل ذهابه إلى
ساحة القتال . قال الشيخ بصوت يلقى على رفته في
النفس الروح :

ورسوخ القدم والقول المقذع ثم أنشأت تتكلم
فقلت :

— ليس من عادة الشرفاء أن يخاطبوا من
لا تربطهم بهم علاقة ما — دع عنك أواصر المعرفة
الوثيقة — بمثل ما تكلمت به أيها السيد المحترم ، فضلاً
عن أن يدخلوا البيوت من غير أبوابها ، أو يغشوا
المراقد في مثل هذه الساعة من الليل ... أو الصباح !!
فإن لم تكن أنت ياسيدى قد سمعت صياح الديك
فقد سمعته أنا وملأت نفسى بعد أذنى بجميل
نعمه ... فخدق الشيخ فيها بعين الارهاب والتهديد ،
وتريد وجهه تربداً تغيرت به بهجته ، وتنكرت
بشاشته ، فأمسكت لادى شارلوت عن الكلام
بعد أن ظن جيوفانى أن الغلبة لها ، إلا أن هية
منظره لم ترعها ، فتجلدت له وأظهرت من ضروب
الاستخفاف بتهديده وإرعاده ما جعله يكبر عليه
أن يرى لادى شارلوت لا تقيم له وزناً ولا ترعى له
حرمة ؛ واحتدمت في نفسه نار الغيظ وانتفضت
بسيه عروق جبهته حتى بدا لونها اللازوردى من
خلال بشرته الصافية الأديم ؛ إلا أن الشيخ أو
الشيخ رأى أن يكظم هذا الغيظ ويأخذ بالأناة في
الأمر ، فأعاد السؤال الأول في صيغة لطيفة
الديباجة ظاهرة المعنى فقال :

« أعيد عليك سؤال الأرواح التي أنا بتنى عنها
في بقعتها هذه : هل جئت إلى هنا تبغين التطهر من
الهنس ، أم أنك طاهرة ؟
فأجابت بصوت جهير : سأجوبك على هذا

السؤال . قال : إذا جاوبت والدك المائل أمامك فإنما
تجاوبين الأرواح ولا أزيد ، وإنى لأمرك أن تبرحى
يا شارلوت — يياتريس . روز . بلانش . تيريز —
أن تبرحى هذه البقعة المقدسة التي لوتهها أقدار
الأحياء قبل أن تندلع النيران في أركانه ، وتنقض
جدرانها ، وتندك حوائطها ، وتتحطم تحفه ، وتقفر
مغانه ، وتهدم دعائمه ، وتحترق أشجاره وأعشابه ،
فيصير أخضره يا بساً ، وباسمه عابساً

لقد كان في مقدورنا أن نزل بك ما نزل دون
إنذار كما تمطر السماء بلا إبراق وإرعاد ، ولكن بقية
باقية من الشفقة ألهمتنا هذا التحذير فخشنا به ، وستعلمين
نبأه بعد حين ؛ فارتفعت لادى شارلوت لهذا الكلام
وقالت : هأنذا ماضية في سبيلى ؛ ثم دنت من
الباب فاذا بها تبصر جيوفانى واقفاً مبهوتاً مرتاعاً ،
لأن ما سمعه من قولها ليس من الهنات الهيئات ،
إذ كان يعلم أن لادى شارلوت تؤمن بخلود
الأرواح وبسطة نفوذها وقوة بطشها ، وتيقن بأن
لبعضها غلبة وقهراً تعنوها جباه الجبارة ؛ فخشى
جيوفانى أن تكون محبوبته قد خرقت بشات جأشها
وقوة حجتها سياج هذه القوة الغامضة ، فوضعت
من قدر الروح المثل أمامها في نظر من سمع هذا
الحوار بينها وبينه من خاصة الأرواح المتصلة بالعالم
الأرضى ، والتي لم ترتب في مشاركتها في استطلاع
هذا المنظر الليلي العجيب

هل كان جيوفانى حالماً ، أم كان يقظاً ؟ هل
كان هازئاً ساخراً ، أم مؤمناً جاداً ؟ ولكنه أيقن
(٢)

وبذلت جهوداً جبارة في رومه ، وفي لندن ، وفي
فيرنزة ، وفي برمنجهام ، حتى حولت تيار المودة
بينهما من الصداقة إلى المحبة ، ومن التلذذ بالحديث
العذب والمجلس الأنيق في المثوى الفاخر المنعم إلى
الحب العميق والعشق الساحر . ولم يهدى من روعه
علمه بأن لادى شارلوت تكبره بسنتين فهي في حدود
الأربعين وهو ما زال في السابعة بعد الثلاثين ، كما
أنها بحكم نشأتها وتعليمها ومحيطها ومستواها تفوقه
في الخبرة والتجارب ؛ ولعلها أذكى منه خاطراً
وأسرع إدراكاً وأحضر بديهة وأوسع اطلاعاً ، فكم
مملكة زارت ، وكم رجل خطير عرفت وعاشت ،
وكم كتاب قرأت ، وكم معضلة عرضت لها فحلت ،
دع عنك ما ركز في طبيعتها من المكر الحسن ...
والسوء !!

كان جيوفاني رجل حق وصدق ، سليم الفطرة
طيب القلب ، أبغض شيء لديه الكيد والخداع ؛ وكان
نابغاً في عمله يتقنه . ويرز فيه حتى يبد معاصريه
وقرنائه ، ولكنه كان يغلب لشارلوت إذا لاعبها
الشطرنج أو نازلها في ميدان التنيس أو سكواش
راكيتس ، كان يفوقها في المنطق وتفوقه في السفسطة
والدعابة ، وقد عاشرها على حذر إلى أن استبان
إخلاصها ووفاءها . والمرأة إذا أحييت أخلصت
ووفت ، وكلتا الخلتين رهينتان بحبها ؛ فإذا مات الحب
نضب معين الفضائل التي كان الحب يغذيها وينعشها ،
أما الرجل فلا ينسيه غروب شمس حبسه شيئاً
من مكارم أخلاقه التي كان يغمر بها محبوبته
لعهد الغرام . ولعل شعوره بانتهاء الحب وانحلال
الرابطه الوثيقة التي كانت بينه وبين « أنثي » من
جنسه ينبه فيه عواطف الشفقة والحنان والرحمة ،

أنه في صحو وفي يقظة لأنه رآها تومي له إيماءة أدرك
معناها ، وكان المهندس الايطالي (سنيور جيوفاني)
كما كانت تدعوه صديقه في أوقات دعابتها) يخلق
بفكره ساعتئذ في جو الخيال ، فأنهتته الإيماءة من
غفلته ، فأخذ يرشق اللادى شارلوت بنظرات تشف
عما في قواده من الهيام والخوف عليها . فأيقن الشيخ
أن بين الاثنين سرّاً لا يفسره إلا ارتباط قلبيهما
برباط الحب الوثيق ، فارتعد غيظاً وصوت باللادى
شارلوت أن ثقف وأن تصنى إليه ، ففعلت نظرة
إليه بعين المستفهم عن سبب استرجاعه إياها وهي
ماضية في طريقها إلى مخرج من حضرتها كما أمرها
وطالما سأل جيوفاني نفسه بعد ذلك هل كانت
تنوى العود إلى أحضانه في فراشها ، أم تنوى تغيير
قيص الليل بثياب النهار لتغادر ذلك القصر الذي
وصفه الشبح الانجليزى بأنه « بقعة مقدسة » ؟
وطالما علل نفسه بسؤالها بعد جوازها تلك العقبة
وتخطيطها هذه المحنة التي قصر أمدها وطال ألمها .
ولكن الفرصة لم تسنح له لياقي على محبوبته هذا
السؤال ، دأب العشاق الذين يشغلون بحبهم عن
أنفسهم وعن غير أنفسهم

قلت : ظل الشيخ حينما انفكأت اللادى
شارلوت إلى غرفتها يشيعها بنظره فيصر بها فقال :
« أنت تظاهرين الأرواح بالعداوة والتعدى ! »
والمبادر إلى الفهم أنه لم يزن لك هذه الغواية ويتركك
في هذه العماية إلا حليف لك هو الآن بمرأى منا
ونسمع ، ونظر صوب جيوفاني فارتعدت فرائصه
وخارت قواه ، لا جبناً ولا وهناً ولكن رهبة من
هية الشيخ الوقور . ولم ينفعه علمه بأن لادى
شارلوت هي التي أحبته واستغوبه واستدرجته

« لهذا أنذرك أيتها العقيلة (وهنا قال جيوفاني عجباً لهؤلاء الأنجليز ، حتى أشباحهم لا تنسى آداب الحديث في أخرج المواقف) الجامعة في الضلالة بأن الأرواح لا تتجاوز عن ذنبك إلا إذا رجعت إليهم بحسن التوبة » ثم صعد نظره في جيوفاني وأوماً إليه بسبابته قائلاً ، ولكنه قبل أن يتمكن من النطق بحرف واحد بادره جيوفاني بكلمة قاطعة :

« أيها الشيخ الجليل أو الشيخ المضيء أو الروح الخالد ، وسامحني إذا لم أعرف كنهك لأخاطبك باسمك وألقابك ، دع عنك بالله تأنيبي واهدنا أولاً إلى مقر الأنسة دولي برنهارت ، فهي التي بسببها جئنا إلى هذا المكان ، وزحنا إلى تلك البقعة التي تصفها بالقداسة ، فأنت تعلم أنها مفقودة وأن أمها جاءت تبحث عنها ؛ فإن كنت جدها وهي حفيدتك فأنت أولى الناس بالارشاد إلى مستقرها .

الفتاة المفقودة

وقد كان سؤال جيوفاني في صميم العاطفة ، وصدى للوعة الأم التي قصدت إلى ضفاف النيل لتبحث عن عشيقها ففقدت ابنتها . وكان جيوفاني يلتمس عذرا لطيوان في السماء الصافية بحجة البحث عن العذراء الغائبة

فعند ما جبه جيوفاني الشيخ الجليل أو شبح لورد كولوسترم ، والد لادي شارلوت بالسؤال عن (دولي) مستقرها ومثواها ولح له من طرف خفي أن الاستدلال على الفتاة المفقودة خير من الظهور للأم في سماء والد هملت ، وتقريبها قبيل الفجر على أمور لم تعرف كنهها ولم تقف على مدى خطاها فيها ؛ وظن جيوفاني أنه بهذا التوجيه الكيس قد صد تيار

ولو أن المرأة التي كان يحبها أمهته ولم تعرقل عواطفه بغيرتها وغيظها لرأت منه فوق ما عودها من الرأفة والشفقة ، ولكن المرأة ، ولا سيما إذا كانت ذكية الفؤاد ذات حساسية ، تجعل من القطيعة مسألة نفسانية ذات علاقة بالكرامة ، فلا تقبل من « قطيعها » من الأيدي ما كان يسدى إليها سابقاً ، وتفضل أن تجوع وتعري على أن تتلقى معروفه وجائله . على أنها في ذلك لا تتبع إلا خطة ثابتة في نفسها ، إذ يندر أن تلقى بالإحسان من كانت تحب ، بل تفر لدى لقائه وقد تنكر له ، ولا ينفع معها التذكير والتفكير ، ولا يهمها أن تعود بخاطرها إلى ما كان بينهما من أيام الهناء وليالي القرب الأدنى . ويخطئ من يلومها أو يحقد عليها ، فعذرها تعلقها بحريتها وبغضها الخضوع لسلطان رجل كان بالأمس سيدها بحكم الحب ، وخلعت اليوم نيره رغبة أو مرغمة ، فهي تنتظر أن تلقى سواء وتعلق به وتحبه فهي تعد قلبها للإيجار أو للبيع فتفعل ما يفعل المالك عند « خلو » داره من ساكن من غسل ومسح ورش وكنس وتبييض وتلوين وتعليق لوحة للإيجار ... ولا تقل المرأة « الخالية » عن المالك غيرة على استثمار « البيت الخالي » ، فإن طاف بالسكان الجديد محسناً ومعظماً ومبالغاً في قيمة الدار وزينة الغرف وجمال الوضع وتنسيق البهو وحسن الشرفات فهي الأخرى لا تنى في إظهار محاسنها الظاهرة والخفية بشتى الوسائل حتى تقنع الراغب أو المرغوب فيه بالسكنى

كل هذه الخواطر مرت بذهن جيوفاني في تلك اللحظة الرهيبة وهو يصني إلى صوت الشيخ وهو يكمل حديثه :

نفسه مما عزاه الشيخ إليه ، وخشيت أن تسبق منه كلمة تخشى عاقبتها أو تزل قدمه في عثرة يعسر عليه النهوض منها ، فتقدمت نحو الشيخ وابتدرته بقولها :

إنني وحدي الجانية على نفسي بما تعمده من الدخول في هذه المآزق ولا يد لهذا البريء الدليل من كل ذنب ، الطاهر النفس من كل عيب ، فيما اجتريته من الأخطاء

فقال الشيخ : أنتبرين لتبرئته وأنت تعلمين مقدار مشاركته في غلطك ؟

قالت : كلا بل إنه أكثر من نصحي أن أتجنب الخطأ فلم تبلغني عظمته ، وزجرني فلم يعمل الزجر في نفسي ، فأقلني من عثرتي وامح مابي من الدنس الذي أصابني

والذي يعرف أخلاق لادي شارلوت يعلم علم اليقين أنها لم تكن جادة في قولها ، وإنما كانت تمالي الشيخ لتتخذ محبوبها من قوارع كله وزواجر تأنيبه وتعنيفه ، ولتکسب وقتاً تتبادل فيه وحببها المشورة والفتوى لعلهما يقفان على حقيقة هذا الشبح : أهو جزء من مكيدة مدبرة أم ظاهرة روحية عميقة السر غامضة المعنى ؟

ولم تم اللادي شارلوت هذه الكلمة حتى تجهم وجه الشيخ وأربد وقال لها : مهما تبطني من المكر والحيلة نخط به فوراً ، وما أراك إلا منتحلة تلك المذلة حتى ينجو صاحبك من سخطي

قال هذا ثم توارى عن الأنظار . أما جيوفاني فكان لا يزال مشرد الفكر وقد لبث في مكانه كمن أخذته الصيحة حتى طرق سمعه رنين الطبل النحاسي المؤذن بصلاة الصباح كما هي تقاليد القصر التي رسمتها

الغضب في نفس الشيخ الغيور على طهر كريمته ... ولكن جيوفاني أخطأ في الحساب ، فلم يكن في نفس الشيخ منفذ للرضا أو تأدية واجب لحفيده قبل أن ينقذ روح أمها من الجحيم الخيالي الذي توهنها سائرة إليه بغير مرور بالأعراف ...

فان جيوفاني لم يلبث أن ألقى السؤال الخاص بدولي حتى أجابه الشيخ :

إن صح في عُرفك أن تمثل دور المشفق على حفيدتي ، فلم يصح بعد في شرعة الحق أن أنقلب عرافاً أو منجماً ، لأن دولي لم يخطفها أحد طمعاً في جمالها كما حسبت ، بل عقاباً وقتياً لأمها على انحرافها عن محجة الصواب وعدولها ولو إلى حين عن جادة الاستقامة ، والتستر ، خصوصاً التستر المفروض على كل سكسوني وسكسونية . أما أنت أيها المهندس الذي تمادي في البهتان وخضع لوساوس ابليس فعبثاً تطمح إلى استدرار غيوث الكارم الروحانية والفوز بالمغفرة العليا ، فقد أصررت على المغالاة في حب اللادي ونكثت عهد الزواج ، وحنثت في الايمان ؛ ومع أن آلهة قومك قد أجزلت لك المواهب وأغدقت عليك العطاء من ذكاء متوقد ، وخطر سريع ، وإقدام نادر المثال ، فسوف نعاقبك بالحرمان من عشقك ونفرك بينك وبين تلك التي تدعوها معبودتك ونوردك موارد الجحيم ... على الأقل ، تلك الجحيم التي اصطنعها جدكم الأعلى ... دانتي اليجييري ... وأما هذا القصر وهذه الرياش والمخادع الفاخرة فستعلم نبأها بعد حين

فالتفت لادي شارلوت إلى جيوفاني وكان واقفاً تجاهها فرأته ساكن الجأش مطمئن النفس . وقد أخذ يتقدم نحوها بقدم ثابتة ففهمت أنه يبنى تبرة

أبهائه وغرفته ما علم ، وإن لم يقف على تفصيل وصفه
فقد وقعت لنا صور زيتية وأخرى شمسية تمثل معاله
وأطلاله ، كما وقفنا على نبد وجيزة وأخرى مسهبة في
وصفه دونت ببعض صحف التاريخ الحديث وروايات
أسفار السائحين الذين سعوا إليه وساعدتهم الحظ بدخوله
والتنقل بين غرفه قبل أن تمتلكه لادى شارلوت
لتستقبل فيه حبيبها جيوفاني . فاستخلصنا من تلك
المصادر وصفاً صادقاً وإن يكن غير بالغ شأواً
حقيقته فما راء كمن قرأ أو سمع

« كان السائر على شاطئ النيل بمقربة من الدير
البحري الذي شادته الملكة المسترجلة جاتشبسوت
يرى بناءً صغيراً يكاد يكون كالأمير المتخفي »
محمد لطفي جمعة

لادى شارلوت منذ احتلته هي وصاحبها ... صلاة
الصباح ولكنها لم تكن صلاة الصبح بل كان إنذار
اللهب الذي اندلع في ناحيات القصر في لحظة واحدة ،
وصفير النار التي اشتعلت في الأثاث والرياش ، وتحقيق
الوعيد الذي جاء على لسان الشيخ الذي قال إن النار
المحرقة تظهر كل شيء حتى القلوب التي في الصدور !

وكان الشيخ العربي يقص قصته الخلابية ونفسى
سابحة في عالم الأحلام ، فكنت أغمض عيني لأتحيل
الحقيقة التي يرويها . فإذا ما فتحت عيني رأيت في
مجلسه وسمعته يقول :

« أما القصر الذي طالما قرأ القارى اسمه ،
وعلم من أنباء الحوادث التي جرت بها الأقدار في

الكستور المصرى هدية الموسم

حديث المجالس . والأوساط التجارية . ناعم الملمس . متين المحبر

ثابت الصبغة . متعدد النقوش . معتدل السعر

صنع شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى

أكبر وأحسن مجموعة يخرجها مصنع الشركة بالمحلة الكبرى خصيصاً

لشركة بيع المصنوعات المصرية وفروعها

غَادَةُ الْبَحْرِ

مَسْرُوحِيَّةٌ لِلْكَاتِبِ الْعَالِمِ الزَّوْجِيِّ أَبْسِن
بِقَتْلِهِ الْأُسْتَاذَ خَلِيلَ هِنْدَاوِي

أليدا — (متضرعة)
لا تطلب إلى الرحيل !
لا تعرفي هكذا !
(يسمع من بعد قرع
ناقوس السفينة)
الغريب — هذه
القرعة الأولى . الآن
يجب أن تقولي : نعم
أولا

مشهد منها

« أليدا هي امرأة الطبيب (فأنجيل) تبدو عليها مخايل
السعادة . كانت في فتوتها خطيبة ربان سفينة من
سفن النقل . ولكنه فجأة توارى ونسيته « أليدا »
وتزوجت « فأنجيل » ولكن الربان ظهر وأتى
(أليدا) يطلب إليها أن تبقى بوعدها . فراها اضطراب
وأدركت أن حياتها الحاضرة قائمة على الكذب .
فطلبت إلى « فأنجيل » أن يفصل عنها لكي يتسنى
لها أن تختار بعل حريتها أحدهما . وهذا المشهد يمثل
« الربان » قادماً ليتلقى الجواب النهائي »

أليدا — (باسطة ذراعيها) أأقرر مصير حياتي
كلها ؟
الغريب — نعم : تقريراً لا يُرد ؛ بعد نصف
ساعة يجيء متأخراً لا نفع وراءه
أليدا — (ناظرة إليه) ولماذا تمسك بي هذا
التمسك الثابت ؟
الغريب — ألا تشعرين مثلي بأن واحداً يخص
الآخر

أليدا — أبسبب الوعد ؟
الغريب — الوعود لا تقيد أحداً ، لا رجلاً
ولا امرأة ، فإذا تمسكت بك بقوة فذلك لأنني
لا أستطيع أن أعمل غير هذا .
أليدا — (باضطراب وارتياح) ولماذا لم تجيء
بأكرأ ؟

فأنجيل — أليدا ...
أليدا — (ذاهلة) آه ! إن الذي يغوي
ويذهل النفس ويدفع بها نحو المجهول ، هو هذا :
البحر

(يتخطى الغريب سياج الحديقة)
أليدا — (عادية وراء فأنجيل) ماذا تحمل ؟
ماذا تريد ؟

(يصل الرجل الغريب من الشمال ويقف على
الطريق خارج سياج الحديقة)
الغريب — (مسلماً) عمي مساء ، هأنذا قد
جئت يا أليدا !

أليدا — أجل ! دقت الساعة الآن
الغريب — وهل أنت متأهبة للرحيل ؟
فأنجيل — ولكنك ترى أنها لم تتأهب له
الغريب — إنني قلق ، لا بسبب رداء سفرها ،
ولا لأنها أعدت أمتعتها أو لم تعد ، فإن عندي كل
ما يجب في الأسفار . وقد أعددت لها حجرة خاصة ..
(لأليدا) إنني أسألك هل تأهبت للحاق بي بمحض
إرادتك !

الغريب — أليدا ... إنني أنظره ، إنني أسمع ،
هو كما حدثني عنه ...

بلى ! على الرغم من كل شيء سأكون أنا الذي
يقع اختيارك عليه

فانجيل — (ذاهباً نحوه) ليس لامرأتي أي
اختيار ... أنا هنا لست بالرجل الذي اختارته فحسب ،
وإنما أنا رجلها وراعيها . أجل ! أنا رجلها وراعيها !
فإذا لم تنصرف حالاً إلى غير رجعة لا تدرك أي
مأزق تسقط فيه

أليدا — فانجيل ! فانجيل ! ماذا تريد أن تفعل ؟
الغريب — نعم ! ماذا تفعل ؟

فانجيل — أقبض عليك كمجرم ... الآن
قبل أن تعود إلى البحر . إنني أعلم من قتل
(سجونليكان)

أليدا — أوه ! فانجيل . كيف تستطيع ؟

الغريب — ذلك ما كنت أنتظره ، (ساحباً مسدسه
من جيبه) وقد تجهزت لهذا الغرض

أليدا — (طارحة نفسها أمام فانجيل) لا لا ...
لا تقتله ، أقتلني أنا

الغريب — لا أنت ولا هو . كوني هادئة .

هذا لا ينفع أحداً غيري يعيش ويموت رجلاً حراً

أليدا — (بذهول) فانجيل ! دعني أكلّمك

أمامه ... إنك تريد وتقدر على حبسني في هذا المكان

لأنك تملك على القوة والوسيلة الشرعية ، ولكن

نفسى وأفكاري ... وكل أهوائى ، وكل رغائبي المتوقدة

لا تستطيع أن تقيدها ولا أن تحددها ، إنها كلها تفتش

عن ذلك السر وتتبعه ، عن ذلك المجهول الكبير

الذي خلقت من أجله ، والذي أغلقت أفقه وحجبته عني

فانجيل — (متألماً) إنني أراه جيداً يا أليدا ...
إنك تفرين مني شيئاً فشيئاً . إن رغبة اللانهاية والمثل
الأعلى الذي لا يتحقق سينتهيان بإلقاء نفسك في
أطواء الليل العميق

أليدا — نعم نعم ! أحس أن أجنحة سوداء
صامتة تخفق فوقى

فانجيل — لا ينبغي أن تصلى إلى هناك . ليس
لك إلا سلام واحد . لذلك فسخت زواجنا .
فاختارى طريقك بملء حريرتك

أليدا — (تنتظره لحظة بدهشة عميقة) أحقاً
ما تقول ؟ أصدقاً ما تذكر ؟ أنت تقرر هذا من قلبك ؟

فانجيل — أجل ! من كل قلبي البائس الممزق
أليدا — ألك قدرة عليه ؟ أ تستطيعه ؟

فانجيل — أجل ! أستطيعه ... أقدر عليه
بسبب حبي إليك

أليدا — (بصوت منخفض مرتعش) ألي مثل
هذا المكان في قلبك ؟

فانجيل — ألم نعش معاً مدة أعوام ؟

أليدا — (ضامة يدها) وأنا التي لم أفهم أبداً
هذا الرجل

فانجيل — كانت أفكارك من قبل مغيرة لأفكارك

الآن . وقد انطلقت من نفسك ومن نفسى . لأن

حياتك الحقيقية تستطيع أن تجد طريقها الحقيقي

وتسلكه . الآن تقدرين أن تختاري بكل حرية

أليدا — (آخذة رأسها بيديها وناظرة إلى فانجيل)

بكل حرية ! ... وبكل رغبتى وإرادتى ! ... ألى

تغير هذا ؟

(يفرغ ناقوس السفينة ثانية)

الغريب — أو تسمعين يا أليدا ! هذه القرعة

فأنجيل — بدأت الآن أفهمك ... أفكارك وعواطفك هي كالغاز ورموز . والذي يجذبك نحو البحر ، الذي يجذبك نحو هذا ... نحو هذا الشيء الغريب ، هو حاجتك إلى الحرية التي تتيقظ فيك وتنمو في نفسك

أليدا — لا أعلم ! ولكنك كنت طبيبي الماهر . جرؤت على أن تستعمل العلاج الحقيقي والوسيلة الناجمة التي أنقذتني

فأنجيل — نعم ... نحن الأطباء قد ننضحى في المهالك الكبيرة بالكل من أجل الكل . وهكذا تبقيين لي يا أليدا

أليدا — نعم يا حبيبي ! يا فأنجيل الأمين ! الآن أنا لك ، الآن أقدر على ذلك ، لأنني عدت إليك بكل حرية ، كأني كائن ضامن ما يعمل
فليل هنراوى

الحكم في مباراة الأقصوصة

اجتمعت لجنة التحكيم في مباراة الأقصوصة التي اقترحتها مجلة الرواية وجعلت للفائز فيها جائزة قدرها خمسة عشر جنيتها ، يوم الأحد الماضي مؤلفة من حضرات الأساتذة : محمد فريد أبو حديد ، توفيق الحكيم ، إبراهيم عبد القادر المازني ، محمود تيمور ، ثم صاحب هذه المجلة ، ونظرت فيما تجمع من الأقاصيص المتسابقة ، ثم قررت النظام الذي تتبعه في قراءتها وخصها . وستجتمع مرات أخرى متوالية حتى يصدر حكمها فنشره في الرواية والرسالة وبعض الصحف .

الأولى المندرة بالرحيل . تعالى ...
أليدا — (تلثفت إليه وتنتظره وتقول بصوت مهدج)
لن أتبعك بعد اليوم

الغريب — ألا تريد أن تتبعيني ؟
أليدا — (مقتربة من فأنجيل) إنني لن أتركك بعد حديثك هذا !

فأنجيل — أليدا ... أليدا ...
الغريب — هل انتهى كل شيء ؟
أليدا — نعم انتهى كل شيء إلى الأبد
الغريب — إنني أرى ... إن هنا شيئاً هو أشد وأقوى من إرادتي

أليدا — ليس لإرادتك سلطان علي . أنت عندي الآن رجل هالك عاد من البحر ، وسيعود إليه . أصبحت لا أخشاك أبداً . ولن تستطيع إغوائى بعد
الغريب — وداعاً أيتها السيدة ! (يتخطى السياج)
على أنك لن تكوني في حياتي إلا ذكرى : ذكرى شخص غريق . (يخرج من الشمال)

فأنجيل — (ناظراً إليه) أليدا ! أليدا ! إن نفسك كالبحر . لها من البحر مده وجزره . من أين دخل على نفسك هذا التغير ؟

أليدا — انك لا تفهم ان التغير قد صار ، بل يجب أن يصير بقوة منذ تركت لي حرية العمل
فأنجيل — وهذا المثل الأعلى ! وهذا المجهول الخفي الذي يجذبك نحوه ؟

أليدا — انه لا يجذبني ولا يروعي . انني أملك القدرة على التأمل فيه ، والحرية في تقليبه على وجوهه والاحاطة به . ولذلك استطعت أن أنكره وأججده

الخرفاء زرقاء

للكاتبة الفرنسية بروسير ميرييه
بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

يحجبك عنى ! « فقالت الفتاة : « لا ضير ، فلنتخذ مكاناً هادئاً فى القطار قبل أن يتدفق إليه الناس . » ثم جذبتة وهى تقول : « إن واحداً لا يستطيع أن يتعرفنا الآن . أنا الآن مع كلارا وزوجها فى

طريقنا إلى الريف — كما يظن الجميع — وسأعود عند ظهر الغد ؛ أفهمت ؟ إنه لن يتطرق إلينا الشك أبداً ، ثم ... ثم إذا سئلتنا عن أسمائنا فى الفندق ؟ » قال الفتى : « السيد دورو والسيدة زوجته » قالت : « لا ، لا ، لقد كان هذا اسم حذاء هناك ! » قال : « السيد ديموند والسيدة زوجته » قالت : « لا بأس ، لا بأس ! »

ودق الجرس ، بعد أن أصابا مكاناً خالياً كأنهما كان مهياً لهما بخاصة ، فصاحا معاً « إننا الآن فى خلوة ! » غير أن السرور الذى أفعم قلبيهما حين وجدا نفسيهما وحيدين لم يستقر إلا ريثما يفرغه رجل فى الخمسين من سنى عمره فى ملابس سوداء قائمة تبدو عليه سمات الحزن والجد وأثر النعمة وهو يذلف إليهما فى هدوء ويأق بنفسه فى زاوية بإزائهما . وانطلق القطار . وانتحى الشاب وصاحبته ناحية ثم راحا يتها مسان باللغة الإنجليزية فى حذر . فنظر إليهما الرجل برهة ثم قال فى لسان إنجليزى فصيح : « سيدى ، إن كان لديك من الحديث ما تشفق أن أسمعه فلا تقله بالإنجليزية لأننى إنجليزى النشأة والمزبى ؛ ولشد ما يؤلمنى أن أزجحك أو أقطع عليك حديثك ، ولكن بالرغم منى ما فعلت ، فى العربة (٣)

أخذ الفتى يذرع فناء المحطة مقبلاً مدبراً تبدو عليه سمات الاضطراب والقلق ، وهو يجهد أن يخفى معالم وجهه ، فهو قد أرخى طرف قبعته على جبهته ، ووضع نظارة زرقاء على عينيه ، ولف حول عنقه منديلاً كبيراً ، وفى يمينه منديل يرفعه إلى أنفه بين الحين والحين ، وقد حمل فى يسراه حقيبة صغيرة فيها بعض متاعه ... وهو ينطلق إلى باب المحطة بين الفينة والفينة يستطلع خبراً ، ثم ينقلب فى لهفة يحدق فى الساعة الكبرى ... لم يكن القطار ليروح إلا بعد ساعة ، ولكنه كان يخشى أمراً .

وابتدا السّفْر يفد زُمرأ زُمرأ والفتى يفرع لمراًهم ويحس كأن قلبه ينخلع ؛ ثم هو يشعر بالرعدة تسرى فى مفاصله ، والكلال يسيطر عليه ، فرقا وخوفاً وانتظر فطال به الانتظار ... ثم طلعت عليه فتاة فى لباس أسود وتقاب أسود كثيف يغطى معارفها ، وخطواتها تبدى عن بعض جمالها وشبابها وفى يمينها حقيبة من الجلد صغيرة . وتلاقيا ... ولبثا حيناً صامتين ، يداً فى يد ، وعليهما أثر الإعياء والبهر ؛ ثم اندفعت الفتاة تحدته : « ليو ! ما كنت لأستطيع أن أثبتك وأنت فى نظارتك هذه ! » قال ليو : « وأنا ، لقد كدت أنكرك وهذا النقاب

كأنه لغة الهوى الصامتة . وفي الحق لقد سعى الفتى جهده زماناً ليظفر بالتي أحب ، غير أن عوائق حمة حالت بينه وبين أن يكون زوجاً لها .
وبلغ القطار (ن ...) فقفز الرجل الانجليزي مسرعاً إلى الرصيف وخلف ليو يساعد فتاته . ووثب فتى انجليزي من العربة الثانية واشتد في إثر الرجل الانجليزي وهو يناديه : « أي عمى ، أي عمى ! » فأجابه الرجل في قسوة وغلظة : « دعني وحيداً ! » فصاح به الشاب : « لاتبذر في غراس اليأس ! » فالتفت إليه العم ثم ألقى بحقيته عند قدمي ليو وهو يقول : « أرجو أن تحفظ متاعى ! » ثم سحب الشاب إليه يجره إلى ناحيته ، وانطلق يحدّثه في رفق ثم ناوله بعض الأوراق المالية فاندفع الشاب لايولى على شيء ...

وتلاقى الجميع — بعد حين — في فندق القرية ، وجبا صاحب الفندق ليو وصاحبته بخير الغرفات عطفاً منه على الفتاة — عادة تعودها الفرنسيون فما يحيدون عنها ، تنبئ عن بعض ما فيهم من أدب وظرف — ودخلا معاً الغرفة الزرقاء ، وقد لصق بها هذا الاسم منذ سنوات وسنوات لأن كرسيين كبيرين على جانبي المدفأة قد كسيا بالمخمل الأزرق ... ودخلا الغرفة فألفيا فيها — سوى الكرسيين — سريراً من خشب الجوز ، وستائر من قماش ذي ألوان جميلة ، ووجدوا جدران الغرفة مغطاة بورق جميل زين برسوم مختلفة وصور أنيقة ، امتدت إليها أيدي الزلاء بالعبث حيناً وبالتشويه حيناً آخر ، فطمست كثيراً من رواثها وبهجتها . وحامت خادومات الفندق حول الفتاة ، يبذلن

الأخرى رجل يضيق بمرآه صدرى لأننى أستشعر فيه اليهودية ، ثم إنى قد وطنت نفسي على ألا أسافر مع رجل واحد في عربة واحدة ! » ثم توسد حقيته وهو يقول : « سأنام ، وإن لم أستطع فسأقرأ » وحاول الرجل عبثاً أن ينام ، فأخذ يفتش عن كتاب في حقيته ، وحين فتحها بدا ما فيها من تشعث واضطراب ؛ وأعجز الرجل أن يجد كتابه ونظارته دون أن يلقي ببعض ما في الحقيبة جانباً ؛ ثم تناول من بين متاعه حزمة ضخمة من الأوراق المالية الانجليزية وهزها أمام الشاب وهو يقول : « أفأستطيع أن أستبدل بهذه ورقاً فرنسياً في (ن ...) ؟ » قال الشاب : « قد تستطيع ، فهذه قرية في الطريق إلى انجلترا ! »

واضطرب الشاب لأنه هو سيهبط هذه القرية في صحبة فتاته ليختلسا من الدهر فترة نعيم يتذوقان فيها لذة الهوى المحض ، ويرشفان من رحيق الحياة قطرة صافية حلوة ، ثم لا تمتد يده إلى الثمرة المحرمة ؛ ثم هو أوجس في نفسه خيفة من هذا الرجل الغريب فما في (ن ...) سوى فندق واحد صغير . لقد اختلف ليو إلى هذه القرية مرات ومرات وأعجبه ما فيها من جمال وهدوء ، وجذبه إليها ما رأى من روعة وجلال ، فانطلق إليها هو وفتاته يستمتعان بجمال الطبيعة وسعادة الحب . والآن ... الآن حين صحبهما هذا الرفيق الثقيل اضطرب الشاب وفزع وسلبته خواطره بعض ما يستشعر في نفسه من لذة وطرب ...

ما يزال القطار في طريقه والرجل الانجليزي منكب على كتابه ، وقد شغله عن كل ما حوله ، والجيبان يتحدثان حديث القلب في صوت خافت

جهدهن في إرضائها والعناية بها ، وليو في المطبخ يطلب العشاء . وترامى إلى مسمعيه أن فرسان الفرقة الثالثة سيتناولون غداءهم في حجرة الطعام الكبرى فارتاع واشتد به الأسى إذ يعلم أنهم لن يخففوا من هرجهم وضجيجهم حتى نصف الليل ، وصاحب الفندق يهدى من روعه ويقسم أنهم على جانب من الأدب والحياء ...

وراع الفتى أن يجد حجرة بين حجرة الطعام الكبرى وحجرة الرجل الإنجليزي الذي أفرعه مرآه منذ حين ... ثم رأى الإنجليزي يتحصى الخمر ويحدق في سماء الحجرة في صمت وذهول . ستلمب الخمر برءوس الجند من ناحية ، وستعبت بلب الرجل من ناحية أخرى ، وهو بينهما لا يطمئن ولا يهدأ . واضطربت الأفكار في رأسه وتبلبل خاطره حين رأى في حجرة أبواباً ثلاثة : واحداً بينه وبين المطعم ، والثاني بينه وبين حجرة الرجل الإنجليزي ، والثالث إلى الممشى . ماذا يفعل وقد قذفت به يد القدر إلى حيث لا يستقر وهو يريد الخلوة والهدوء ؟ لقد أوثق رتاج باين وجلس إلى فتاته ...

واستشعر الفتى اللذة والسعادة وهو إلى جانب فتاته يناجيها ويثبها بعض ما يختلج في فؤاده في غير حذر ولا خوف . أفيستطيع الفتى أن يقول لنفسه : « أنا سعيد الآن ! » وإذا قالها ، أفيرى ما يضمرة له الغيب وقد نظر إليهما الشيطان اللعين بعينين فيهما السخرية والهزؤ ، وهما يتناولان طعامهما في دعة وطمأنينة ، ومن حولهما صخب الجند ولجهم ؟ ويل للإنسان من الشيطان ! فهو دائماً يمزج رحيق السعادة بصاب الأسى والألم ! وأراد الشاب أن يجد لفتاته الراحة والهدوء

فانطلق إلى صاحب الفندق يوحى إليه بأمر ، وانطلق هذا إلى الجند يتلطف في الحديث ويطلب إليهم أن ينزعوا عنهم بعض ضجيجهم لأن عروساً مريضة تسكن الحجرة المجاورة ؛ ودوت الأصوات في أرجاء المكان : « يجب أن تأتى لنشرب نخب صحتنا ! » لشد ما أزعج ليو أن يسمع أصواتهم المنكرة تعلو طالبة أمراً . وتراءى له أنهم سيندفعون في غير هواة ولا لين يستلبونه من فتاته وهو وحده لا يستطيع أن يكسر شرتهم ولا أن يغلبهم على أمرهم ... ولكن صوتاً أجش ارتفع من أقصى المكان يأمر الجميع بالصمت في صرامة وشدة ، فأطاعوا ، واطمأن ليو وصاحبته وزاحا يتحدثان حديث الهوى

وأخذ الجند يتصدعون — عند نصف الليل — وهم يصيحون لدى باب الغرفة الزرقاء : « عمى مساء أيتها العروس الجميلة ! » وخرج على أثرهم الرجل الإنجليزي ينادى : « زجاجة أخرى ، أيها النادل ! » ثم ألقى السكون سجوفه على الفندق ، فأطل ليو وصاحبته من النافذة يستمتعان بالليل الهادئ الجميل ويستروحان نسباته التدية ، وأبصارهما شاخصة إلى أشعة القمر المنبثة بين أشجار الحديقة تكسبها رونقاً وبهاء ... وخيل إلى ليو أنه يرى ابن أخ الرجل الإنجليزي يضرب في أنحاء الحديقة حين رأى رجلاً يسير الهوينى مطرق الرأس يدخن سيجارة في هدوء ثم ارتدا يريدان النوم ...

وجلسا يتحدثان والشمعة بازأتهما على المدفأة يضطرب ضوءها ويخبو رويداً رويداً ، ثم جذبتهما

السائل ؛ فدق قلبه دقات عنيفة ، وأراد أن يبرح مكانه ليرى ... ولكنه لا يستطيع أن يفزع فتاته وهي قد ألقت برأسها على كتفه

لقد هم ليو أن يندفع إلى حجرة الرجل الإنجليزي حين سمع الصوت لأول مرة ، ثم جن خشية أن يصبح فريسة لجنون القاتل ، ثم رفع يده يريد أن يضغط على الجرس ينبه صاحب الفندق إلى الخطر ، غير أنه سحبها في رفق حين تراءى له أنه سيزج بنفسه وبفتاته بين أيدي الشرطة والنيابة .. والمحكمة يسألونه : من أنت ومن تكون هذه الفتاة ؟ ويلحون في السؤال ... فتكون الفضيحة . وماذا يضيره إن هو أغضى ليقى على نفسه وعلى فتاته ؟ وتعلقت عينا الفتى بالشظية والسائل الأحمر ، وذهل عن نفسه حيناً ثم بدت أول ساعة من النهار مخيفة مروعة فيها الفضيحة والعار . ثم أضاء له بصيص من نور الأمل ، فقال لنفسه يحدثها : « لا بد أن نبرح عند الفجر قبل أن يكشف عن الأمر » واطمأن إلى الفكرة ثم أخذ يبحث عن ميعاد أول قطار يغادر (ن ...) في الصباح الباكر ، فأفزره أن يكون أول قطار هو قطار الساعة الثامنة صباحاً . أفيطمئن هو إلى أن واحداً لن يدخل حجرة الرجل الإنجليزي قبل الثامنة ؟

وأراد أن ينتعد قليلاً عن فتاته لينشر الأمر أمام عينيه في خلوة أو شبه خلوة ، فسحب ذراعه في رفق ولكن الفتاة استيقظت . وارتاعت أن وجدت صاحبها يرتجف وقد جمد الدم في عروقه ، وبردت أطرافه ، فقالت وهي تضمه إليها في شغف : « ماذا ، ماذا كان ؟ » قال في صوت خافت مضطرب

عن أخيلتهما أن سما كأن جسماً ثقيلاً ينهد في حجرة الرجل الإنجليزي ، وكأن النضد ينقلب ... ثم سما آهة عميقة وأنيباً ووعيداً . وسيطر الفزع على الحبيين ، ولكن الفتى راح يخفف عن فتاته بعض ما أخافها قائلاً : « لعل هذا الإنجليزي يحلم ! » غير أن الهلع كاد يعصف بما بقي فيه من شجاعة حين خيل إليه أن باب حجرة الرجل الإنجليزي يصر صرياً خافتاً ، وأن رجلاً ينسل في حذر خشية أن يشعر به أحد ، فهمس في أذن صاحبتة : « ما هذا الفندق ؟ » قالت الفتاة في هدوء : « آه ، إنه كالفرديوس » ثم ألقت برأسها على كتفه وهي تقول : « آه ، إن النعاس يغالبني فلا أستطيع دفعه ! » ثم راحت في سبات عميق ...

واستولى على ليو الأرق ، وفي خياله الرجل الإنجليزي ملقى على الأرض وأوداجه تشخب دماً ، وابن أخيه يقذف بالسكين إلى جانبه ثم يفر هارباً .. واستقرت الفكرة في خاطره فلا يستطيع دفعها .. وى كأن الشاب الإنجليزي تسلق الجدار إلى حيث عمه ليسفك دمه ويستلبه ماله ، ثم يتسلل في هدأة الليل وسكونه ! يا لشناعة الأثم ، ويا لجرأة الأثم ! وتناهبت الفتى الأفكار السود فأقضت مضجعه وسلبته طمأنينته وهو إلى جانب فتاته النائمة . لقد أراد أن يتذوق حلاوة الرضا ، وأن يرى نور السعادة التي افتقدوها دهرآ من عمره ؛ غير أن القدر شاء أن يقضى ليلته قلقاً ما يستقر ولا يهدأ ... وتعلق بصره بالباب الذي بينه وبين الرجل الإنجليزي فراحه أن يرى سائلاً أحمر يتسرب في بطاء من فرجة في أسفل الباب ، وأن يرى شظية يتعكس عليها ضوء الشمعة فتبدو لامعة وهاجة وسط هذا

روح الأنسى واليأس كأنها تشيعهما إلى النهاية ...
وألم الفتى على صاحبه أن تتناول قدحا من القهوة
واللبن فامتنت عليه لأن الخوف كان قد سلبها
كل ما تشهى النفس

وهبط ليو إلى الطابق الأسفل في نظارته الزرقاء
وإلى جانبه فتاته في نقابها الأسود؛ ثم انطلقا معاً إلى
صاحب الفندق ليندفعاً إليه أجر الغرفة ثم يسرعاً
إلى المحطة . وراح صاحب الفندق يحدث الشاب
حديث الجند وحديث الرجل الإنجليزي ، فأطنب
وأفاض ، وليو يتحامل على نفسه من أثر الإعياء
والجهد ، والفتاة من خلفه تكاد تسقط من شدة
التعب والآن ؛ ورأى صاحب الفندق ما يبدو على
وجه الفتى من شحوب فقال : استريحاً في الوقت
متسع . إن القطار لا يصل قبل الثامنة ، وكثيراً
ما يتأخر ! « جلسا وبودها لو طارا إلى المحطة فراراً
من المصيبة التي تنتظرهما في الطابق الأعلى

وفي هذه اللحظة دخلت الخادم وهي تنادي :
« هات ماء ساخناً لشاي الرجل الإنجليزي وقطعة
من الاسفنج أيضاً لأنه حطم زجاجة الخمر فلوثت
أرض الغرفة وملأها ربحاً خبيثة ! »

واهتزت الشابة طرباً ، وابتمت الشاب ، وتبادلا
نظرات فيها الدهشة والذهول ، وكما بين شفقتيها
ضحكات تكاد تنفجر قوية عاصفة ، ثم أمسك الفتى
بذراع صاحبه وانطلقا معاً إلى الغرفة الزرقاء وهو
يقول لصاحب الفندق : « لن نسافر قبل الثانية بعد
الظهر ، هي لنا غداء شهياً نتناوله في غرفتنا »

لمحمد محيى

« لاشئ » ، غير أنى سمعت هزة عنيفة في الحجرة
المجاورة ! « ثم سحب نفسه من بين ذراعيها في
رفق ليضع كرسيًا بإزاء الباب يخفى به السائل
والشظية عن عيني الفتاة ؛ ثم فتح الباب في رفق يرقب
الممشى وباب حجرة الرجل الإنجليزي في حذر ،
ثم طنّ في مسمعيه صوت خطوات ثقيلة متزنة تنبئ
عن جندي يرقى درج السلم ، فارتد يحدث فتاته
حديث خياله ...

ما يزال الخطر جاثماً على خطوات منهما ... !
واستخرطت الفتاة في البكاء تذرف الدمع أسى
وحسرة على ما خبأ لها القدر في ليلة أراد أن
يقضياها عند محراب الهوى ينعمان بهمس القلب
ووسوسة القبل في منأى عن الواشي والرقيب ،
وينشئان فيها نسمات السعادة وقد ضنت عليهما بها
الأيام حيناً من الدهر . إن بينهما وبين السجن
الساعات القليلة الباقية من الليل فهما في عيني القانون
مذنبان يتضرعان بحماة الجريمة ؛ وراح كل واحد
يودع صاحبه وداعاً حاراً وقلبه يتفطر لوعة ، وكبده
ينشق عن يأس وكمد ، وهما ينتظران النهاية ...
النهاية الأليمة

وانتفضا معاً من شدة الدعر حين سمعا خطوات
أول إنسان يجتاز الممشى . لقد ابتدأ الناس يهبون
من مراقدهم عند السادسة ... كيف يجلسان هنا ...
في هذه الحجرة طول هذه المدة ... ! إن القطار لا يصل
إلا عند الثامنة ! ها هم أولاء الخدم ترن ضحكاتهم
في ردهة الفندق ، والخادما يغنين ، والجند
يروحون ويحيئون يصفرون صفيراً أنغامه متضاربة .
إن هذه الأصوات تصك آذان الرقيقين فتنتف فيهما

من نشوز ؛ وإنها لم
تبرح القرية قط فهي
لم تر المدينة إذن ولا
أبصرت القطار ،
وإنها منذ عشر
سنوات حتى الآن لم
تخرج من منزلها إلا
ليلاً ، وأما نهارها

ذوالغمام

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف
بقلم الأديب السيد جورج سلسة

فتفضيه جالسة حيال الموقد ...

إلا أن بوركين لم يدهشه الحديث عن «مافرا»
هذه ولم يجد في أطوارها ما يستحق الاستغراب
فقال مقاطعاً صديقه :

— وماذا ترى في الأمر من غرابة ؟ ! إن حب
العزلة من طبيعة الكثيرين ، وإن بعض الناس
كالسراطين لا ترغب عن التنسك بديلاً ، أو كالحلازين
تستطيب أبدأ التخبؤ في أحجارها !

ولماذا التبتسط في الديول والحواشي وعندي من
جوهر الأمر ما يغني عنها جميعاً ؟

فلئن كانت « مافرا » قد شأقتك أطوارها فماذا
عساك تقول فيمن بزها في غرابة الأطوار بمراحل ،
وفاقها في شذوذها فوق ما تستطيع أن تتخيل ؟ !
فبالأمس القريب قضى زميلي بييايكوف نحبته
فواري التراب بموته فذاً من أفذاذ الخلق الناشئ
والطبع الغريب . ولقد كان رحمة الله عليه حياً إلى
أبعد حدود الحياء ، ولا إخال إلا أنك سمعت الناس
يتحدثون عنه ، فاسمه ملء الأفواه ، وذكره ملء
الأسماع ؛ وشهرته هذه لم تكن لعلو كعبه في العلوم
والآداب فحسب ، بل لقراءة أطواره ، وشذوذ

كان البيطري « إيثان » والأستاذ « بوركين »
عائدين من القنص عندما دهمهما الليل في ذلك السهل
الفسيح الأفيح فلم يريا بداً من أن يلتجئاً إلى هري
من أهراء القرية القديمة القائمة في أقصى البلاد
لقضاء ليلتهما فيه

وإيثان كان يقطن في ضاحية المدينة وقد ذهب
للصيد ترويحاً لنفسه وتنشيطاً لبنيته ، وأما الأستاذ
بوركين فقد كان يصطاف كل عام عند صديقه
البيكونت ب . ويتصرف في تلك الناحية على هواه
كما يتصرف في منزله بين أهله ومحبيه

ولم يجد النوم إلى عيونهما سنبلاً ، فجلس إيثان
وهو كهل ناحل الجسم حيال الباب المغمور بأراد
القمر وأضوائه يدخن غليونه على مهل ، واستلقى
بوركين في الداخل على أكوام المشيم يرى ولا يرى
وتجاذبا أطراف الحديث ، وحديث الوحدة
طويل ما ينتهي ، وقص كل منهما على رفيقه قصصاً
شتى فيها الشائق الممتع وفيها التافه الملل ؛ وتحدث
إيثان فيما تحدث عن امرأة تدعى « مافرا » وقال
عنها إنها حازمة نشيطة ، وإنها ليست بالحقاء ولا
الساذجة على ما في عاداتها من شذوذ وفي أخلاقها

عاداته . فقد كان لا يخرج من منزله إلا لابساً معطفه وحاملاً مظلته ومنتعلاً « كوتشوكه » الواقى سواء لديه أكان الطقس ممطراً أم صحواً ، وسيان عنده بسمت السماء وهش الأفق أم تجمها واربدٌ منهما الأديم

ولا تسل يا صديق عن تعلقه بالأغطية وشغفه بالاغماد فلقد كان لمظلته غلافها ، ولساعته واقية من الجلد الأشهب ، ولوساه الصغير الذى لا يفارقه غمد يحفظها فيه ، ولكل شئٍ عنده غطاؤه حتى كان يخيل لعارفيه أن لوجهه كذلك وشاحاً يقيه عليه أو ستاراً يحتجب وراءه

وقد كان يضع على عينيه نظارتين كشيقتين ويرتدى تحت معطفه صدره من الصوف ، ويضع فى أذنيه قطعاً ، ويأبى كلما ركب عربة إلا أن ينشر غطاؤها ويبسط

والخلاصة أنه كان يتجنب الناس ما أمكنه الأمر وينأى عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فرغبته فى الانزواء ملححة قاهرة ، وكان يود لو يستطيع أن يتخذ لنفسه غمداً يقيه من العوارض الطارئة والمؤثرات الخارجية

فالحقيقة كانت ترهقه ، والاحساس بالوجود يرمضه ، والكائنات تثير مخاوفه وتقض عليه مضجعه وتجعله فى قلق دائم وحزن مقيم

فلقد كان يكره الحاضر ويحتويه ، ويمتدح الماضى ويطريه ؛ وكان غير الموجود حبيباً إلى قلبه والموجود بغيضاً لديه ، ولم يكن ليجد فيه إلا ما يزيد هلعه ويكثر مخاوفه

واللغات القديمة التى كان يدرسها ويتصب على آدابها ويتضلع فى فنونها كانت له « ككوتشوكه »

ومظلته ومعطفه التى كان يلوذ بها جميعاً تهرباً من حقيقة الحياة

وما أكثر ما كان يردد هذه العبارة المأثورة بصوت رقيق عذب :

— « يا ليونانية من لغة جميلة رنانة الألفاظ ! » ثم كان يطبق عينيه ويرفع سبابته ويردف عبارته هذه بلفظة (انتروبوث) (١)

والأنكى من ذلك كله أنه كان يحاول وهو الذى أن يولد من توقد ذهنه ، كأنما كان يضمن على فكره أن يظل طليقاً ، ويأبى إلا أن يجعل له حجاباً صفيقاً ! وما أشد ما كانت الفرص المدرسية ممقوتة لديه ! فقد كان لا يراها إلا مدعاة لإثارة الشك والارتياب ، وما أكثر ما كان يشك صاحبنا ويرتاب ! وكان يحس إحساساً قوياً أن الفرص مغلفة بغموض لا يأنس إليه فكره وإبهام لا يرتاح إليه ضميره

وحتى الرخص كانت بغیضة لديه ، وعندما كان يُرخص لأحد ما فى المدينة بإنشاء مسرح للتمثيل أو يؤذن له بتأسيس دار للمطالعة أو فتح ردهة للهو كان يهز رأسه الصغير ويقول بصوت

خفيض : « إن هذا حسن ما فى ذلك ريب ؛ وإن فى هذا العمل لنتهى الكمال ولكن على ألا يقع ما نحاذره ونخشاه ! »

ثم إن نقض العهود والشك بالوعود والمخالفات على شتى أنواعها ، سواء أكانت متعلقة به أم بسواه كانت تبليه باضطراب الخاطر وانحلال القوى ولقد كان يسوءه أن يتأخر أحد زملائه

الأساتذة عن تأدية فرض من فروض الدين ، (١) لفظة يونانية معناها رجل

ولم يجرئه أن تسرى شائعة هزؤ عن أحد الطلبة ،
ويؤسفه أن يلتقي أحداً بإحدى الناظرات عائدةً
متأخرة مساء برفقة أحد الضباط . ولشد ما كان
يتأثر من هذه الشؤون وأمثالها إذا قُدِّر لها أن
تحدث ، ويتمم وشفته ترتجفان حقاً : « على ألا
يقع ما نحاذره ونخشاه ! »

أما في الاجتماعات التهديبية العامة فقد كان
كعادته يرهقنا جميعاً بتحفظه واحتراسه ، بريته
وحذره ، بتصورات أقل ما يقال فيها أنها تصورات
(رجل ذي غمد !) . وإن قيل له إن الطلبة كانوا
يسيئون التصرف ولا يحسنون السلوك ، أو أنهم
يضعجون في صفوفهم ويصخبون كان يردّد عبارته
المأثورة :

« آه ! على ألا يتصل الخبر بالادارة وعلى ألا
يحدث شيء ، وإنما لو طرد (بتروف) من الصف
الثاني أو (ايكوروف) من الصف الرابع لكان
أحسن »

وبعد فماذا تظن يا صديقي بمن كان لا يفتأ يتأوه
من غير سبب ويشكو من غير داع ؟ ومن تحسب
من الناس كانت عائلة علينا جميعاً ، ومن كان
وجهه الصغير الشاحب شؤماً على رائيه ؟ وكنا مع
ذلك كله ندعن جميعاً لإرادته ولا نعصى له رغبةً
ولا أمراً !!

وما قولك في أن الأساتذة كانوا يمنحون
بتروف وايكوروف أسوأ العلامات في دروسهما
مدارة لشعوره ، وأن هذين التلميذين قد طُرِدا
أخيراً من المدرسة من غير جريرة ولا ذنب نزولاً
عند رغبته وإكراماً لخاطره

ويا ليت هذا كل ما في الأمر يا صديقي ، إذن

لحقت البلوى وحنول المصاب ، ولكن هناك
لنكد الطالع وسوئه ما هو آلم للنفس وأنكى
فقد كان رحمه الله يأبى إلا أن يزورنا في
منازلنا على كرهه للزيارات وبغضه لها ، ويأبى إلا
أن يفتحنا بطلعته المشؤومة في دورنا كأنما لم يكن
يكفيه طول ما ينكبنا بها أثناء ساعات التدريس ،
لأنه كان يعتقد أن زيارة زملاء فرض لا مناص له
من إداته ، وواجب لا بد من القيام به لمن يشاء أن
يحفظ بالعلاقات الودية وصلات الاخوة به .
وكان يبقى جالساً صامتاً لا يتكلم ، إلا إذا أكره
على الكلام أو اضطر إليه اضطراراً ؛ ويظل يحدّق
في شيء ما لا يحيد عنه نظره كأنما جاء للتأمل
والصمت الطويل ، ويبقى كذلك ساعة أو ساعتين
ثم يذهب لشأنه ويمضي لطيبته !

قلت لك إننا كنا نحن زملاءه نجاريه في رأيه
وندارى إحساسه وشعوره كثيراً ؛ وكان رئيس
المدرسة نفسه يجاريه في رأيه كذلك ويداريه مثلنا
لقد كنا جميعاً من أولى التفكير الحر ، التفكير
العميق البعيد الغور ، مثقفين الثقيف العالي على
أيدى (ثورغنيف) و (تشدرين) وأضرابهما من
كبار الكتاب والفلاسفة ، إلا أن الذي كان يهز
المدرسة منا هزاً ، وقيمها دون سواء ويقعدها ،
هو هذا الذي لم يكن ليتخلى قط عن معطفه ومظلته
« وكوتشوك » الواقى . ماذا قلت ؟ المدرسة ؟ !
إن المدرسة ليست بالتي تذكر ، فقد كان هذا القزم
المهجين يسيطر حتى على المدينة بأسرها ، فكثيراً
ما استنكفت سيداتنا من تمثيل الروايات على مسرح
المدينة كعاداتهن كل سبت من أجله ، وحتى كاهن
الرعية كان يتجنب أن يفطر أثناء الصوم ، أو يلعب

وهزة الباب ، يخشى أن يدهم اللصوص منزله ، وأن يروّعوه بسلاحهم ، يخشى من خادمه الطاعن في السن (أفانامي) أن يزحف إليه ويدبجه . فإذا غفا واستسلمت مقلته للكرى جاشت بمخيلته الأحلام ترّوعه وتخيفه ، وكثيراً ما كان يفيق من سباته مضطرباً مذعوراً . وهكذا كان يقضى المسكين ليلته التي كان يراها على قصرها طويلة ما تنتهي إلا بشق النفس ؛ حتى إذا حانت الساعة السابعة مشى إلى المدرسة مسرع الخطى عجلان لا يلوى على شيء ، شاحب اللون ، مضطرب الفكر ، قلق الروح ، حزين النفس ، مكمد الأسارير ، لا تعلوسياه بسمة ولا بشرُ وكان يقول لي كلما رأى التلامذة يصبجون في صفوفهم ويصخبون : « إن هذا لمخيف ! » وكنت أعلم العلم اليقين أن هذه العبارة التي كانت في ظاهرها تعني ضجيج الطلبة وصخبهم لم تكن في جوهرها إلا شكاة نفسه المعذبة التي عبر بها عما كان يشعر به من ضنك وعنت .

ثم أتستطيع أن تتصور ، والحالة كما وصفت ، أن أستاذ اليونانية هذا الذي أحدثك عنه ، أن هذا (الرجل ذا النمد) كان على وشك الزواج وأهبطه ؟ فالتفت إيثان بحركة عصبية سريعة وقال :
— « أجدأ ما تقول أم مزاحاً يا هذا ؟ ! »
— نعم مهما يكن في الأمر من عجب ، فإن الحقيقة ما أقول ، وإن صاحبنا كان على أهبة الزواج حقاً وهالك جلية الأمر :

عين السيد « كفالنكو ميخائيل ساقش » أستاذاً جديداً للتاريخ والجغرافيا في مدرستنا ووصل إلينا حضرة مصحوباً بأخته « فارنكا » وكفالنكو (٤)

بالورق أمامه ؛ وهكذا ظل الناس جميعاً خلال العشر أو الخمس عشرة سنة التي قضاها بيننا يرهبونه ويخشونه في كل شيء .

وهنا سئل إيثان ليقطع على بوركين حديثه ، ثم أشعل غليونه يعود ثقاب وحادج القمر بنظرة طويلة ثم قال وهو يعط كلمته مطاً :

« عجبت والله من هذا الذي تحدثني عنه يا صاح ، رجال من ذوى النظر الثاقب والرأى الحصيف ، رجال تثقفوا بثقافة ثور غنيف وتشدرين وأمثالهما من قادة الفكر والرأى يخضعون هذا الخضوع المهين ، ويتحملون هذا الدلّ الشائن ، ويقبلون هذا كله دون أن يتبرموا ؟ ! »

تابع بوركين حديثه : كان « وينيليكوف » يقطن في البناية التي أقطنها أنا ، وكنا على سطح درج واحد ، منزلي أمام منزله وبابه تجاه بابي ، وكثيراً ما كنا نتلاقى ، فمن الطبيعي إذن ، وأنا جاره وزميله ، أن أكون أدري الناس بحياته الخاصة ، فعنده من الأقفاص والمزاج والأقفال وكل ماله صلة بالحماية والأمن والتقييد والحصر والتحضير والمنع ما لا يحصى ؛ فلقد كان كثير الخوف والحذر ، ترعبه في الليل أقل حركة ، وتفزعها خوف نائمة ، فلا ينام إلا وقد خبأ رأسه تحت لحافه غير عابئ بالدفء الذي يرهقه ، ولا يغاز أنفاسه الزوافر الذي يكاد يخنقه ، في حين تكون فيه الريح عاصفة مدوية ، ويكون صاحبنا الجزع الرعديد يرتجف تحت غطاءه ؛ فلقد كان هذا الذي يخشاه الناس في نهاره يخشى كل شيء في ليله ، يخشى أن يحدث ما يذهب بقلبه ويطيّر بلبه ، يخشى عصف الريح بالمدخنة ودوى الصوت

فألقت عليه نظرة عطف وابتسمت ، وراقته
بسمتها فراح ينظر إلى شعرها الناعم المسترسل ،
ووجهها الوسيم الصبوح ، وثغرها الباسم المفتوح ،
وخصرها الدقيق ، وقدها الرشيق نظرات كلها
إعجاب واقتتان

وكأنما علمت أى هوى صادفته فى نفسه فالت
إليه وحتت عليه وراحت تحدته بدل ونفخر عما تملكه
من عقار وعما تنتجه المزرعة التى تملكها فى
(جادياتش) - حيث تسكن والدتها - من خضار
وبقول وحبوب ، وعما يحفل به بستانها الثرى من
أشجار مثمرة وجنى شهى

واستعصى انتباهنا حديثهما لا سيما وليس فينا
جميعاً من كان يحسب أن بييليكوف يستطيع أن
يلفت نظر غادة بطلعته أو بحديثه
وأوحى لنا مرآها خاطرة فذة كانت امرأة
الرئيس أسبقنا إلى تبيانها فتمتت :

« جميل والله أن نعقد له عليها ، فهى فتاة تخطت
عتبة الثلاثين وهو قد تجاوز الأربعين وإخال أنها
تقبله عريساً » وصمتت . ولم يتصد أحد منا للبحث
فى هذا الموضوع الشائك مع قرينة الرئيس ؛
ولئن يكن قد خطر فى بالنا تزويجه فليس معنى ذلك
أن نبحت الأمر جدّاً ، وكلنا يعلم حق العلم رأى
صاحبنا فى النساء والزواج ؛ وكيف تريد أن نخوض
فى هذا البحث ولم يكن ليدور فى خلد أحد منا أن
رجلاً لا يرتدى إلا ثياب الشتاء فى إبان الصيف
ويتحصن لدى نومه خوفاً من طواريء وهمة ،
يستطيع أن يحب ويهوى

وكيف تريد أن نبحت فى أمر زواجه وليس
فيما جميعاً من يعتقد أن هذا القزم الجبان أهل للزواج ؟

هذا على حداثة سنه طويل النجاد أسمر البشرة أجش
الصوت ، إذا تكلم حسبت صوته خارجاً من « برمىل »
لا من حنجرة . أما أخته ثارنكا فكانت فى الثلاثين
من عمرها هيفاء ممشوقة القوام نجلاء العينين وطفاء
الأهداب وردية الخدين دقيقة الملاحظة فطنة إلى حد
بعيد ، مريحة كثيرة الصخب ، تغنى من غير ملل
أغاني شعبية ، وتقهقهة بين الفينة والفينة فهقهة
عالية مدوية

وكانت المعرفة الأولى التى توثقت فيها صلات
الود بين الأستاذ الجديد وأخته وبيننا فى حفلة ساهرة
راقصة أقامها الرئيس فى عيده

ومن عباب ذلك المحيط التزمت الرصين ، ووسط
الأساتذة الجفافة الملولين الذين كانوا كأنما اضطروا
للبقاء هناك اضطراباً ، انبثقت لنا أفروديت جديدة
ساحرة فلأت المكان الذى كان لولاها فارغاً ما فى
ذلك ريب ؛ فكانت تارة تضحك ويدها على خاصرتيها
ضحكات ساحرة فائنة ، وطوراً تغنى وهى ترقص بخفة
واتزان بصوت رقيق عذب أغاني عاطفية جميلة
مسكرة ، وكانت أبلغ أغانيها فى نفوسنا أثراً أغنية :
« الريح تعصف » وأشدّها تلاعباً بالمواطن تلك
القصيدة الباكية التى أنشدتها من قلب محروق ،
وسكبت فيها من العذوبة والسحر ما شاء لها الصوت
الجميل والفن الرفيع ، فأسكرتنا بها جميعاً بما فينا
« بييليكوف » وربما كانت هى المرة الأولى التى ظهر
فيها أماننا طلق الحيا باسم الثغر

وجلس حياها ، وقال لها وهو يتسم بصوت
حاول جهده أن يجعله ناعماً لطيفاً :

- « إن اللغة الروسية تذكرنا بعذوبتها
وجسرس ألفاظها باللغة اليونانية القديمة ! »

ولقد خيل إلينا للوهلة الأولى أن قرينة الرئيس هازلة فيما تقول فاذا بنا نراها جادة كل الجدة ؛ على أن هذا لم يحل قط دون اعتبارنا كل قول في هذا الصدد هراء في هراء وكل بحث فيه من باب التندر كأكثر الأحاديث التي تتداولها الألسن في مثل هذه الحفلات الساهرة ترجية للوقت ودفعاً للسأم .

وانقضت الحفلة وبود صاحبنا ألا تنقضي ، وانفرط عقد الحضور وبوده أن يبقى منتظماً حتى الصباح . فلقد أحس للمرة الأولى في حياته بنشوة علوية لم يسبق له أن شعر بمثلها قط ؛ وأستطيع أن أوكد لك يا صديقي أنه لم يم ليته تلك ، وأنه قضائها وهو بعيد في ذاكرته ما دار بين قارنكا وبينه من حديث ، ويتصور كيف كانت تبسم له وتدل عليه . ولم يخف علينا هذا الميل الذي بدأ يشعر به ولا فاتنا إدراك الرغبة التي تتأجج في حناياه للاجتماع بالفتاة ، فكان أن تلطفت امرأة المراقب ودعته هو وقارنكا لحضور رواية تمثل على مسرح المدينة فقبلا الدعوة بسرور ، وكانت هي في ثوبها الزاهر الأنيق ووجهها الطافح بشراً وإيناساً فاتنة أخاذة . وأما هو فقد جلس حياهما متجمعاً كأنما قد سحب من منزله بالكثيفة^(١) سحبا . ولم يمض رده من الزمن يسير حتى أتمت أنا حفلة زاهية زاهرة ودعوت إليها نزولاً على الحاح السيدات صاحبتنا وفتاته . وهكذا بدأت الأمور في سيرها الطبيعي . والذي كان يبدو لنا أن الفتاة لانعراض في الزواج من بييليكوف فيما لو عرضناه عليها ، لأنها تعلم العلم اليقين أن وقت الحيار

(١) الكثيفة ما تدعوها العامة كلابية

أبدأ في نفور ، وحياة كهذه كانت تقلقها وترمضها ، وكان كل ماتأمل أن يكون لها منزل خاص تنعم فيه مع زوج رضي الخلق ، ومن حق من كانت في عمرها أن تكون لها هذه الأحلام والأمانى لهذه الأسباب التي أبنتها كنا نعتقد أنها تقبل بييليكوف زوجاً وإن لم تر فيه ما تفضله به على سواه .

وكان يشوقه أن يراها وأن يجتمع بها من حين إلى حين إلا أنه كان في زيارته لها كما كان في زيارته لنا ، ما إن يأخذ مكانه حتى يعتريه الوجوم فيبقى صامتاً لا ينبس ببنت شفة .

وملت قارنكا هذه الحلة المستهجنة فيه فراحت تدأبها بالهش له والبش في وجهه ، وكثيراً ما كانت تغني له أغنية « الريح تعصف » أو سواها من الأغاني التي يستسيغها ويستعذبها . أو تجلس بالقرب منه تنظر إليه بعينها النجلاوين السوداوين نظرات صافية إن خلت من حب ما خلت من عطف ولكنه ما زال كما كان ؛ وما برح — على ما يضطرم في نفسه من ميول وأهواء ، وبالرغم من هذا التشجيع الذي يلاقيه والأنس الذي تغمره به — فابراً حياً ، ذلك لأنه كان يتهيب إبداء ما يكنه قلبه لها من

نحن في غنى عن زجها فيه ؟
ومضت الأيام تترى ، كان في خلالها يتردد على
منزل كفالنكو فيبقى أثناء زيارته - شأنه فيما مضى -
جامداً لا يتحرك . وقد كنا نحسب أن الحب كفيل
بتقويم ما فيه من أودٍ ، وأن الهوى سيطلق روحه
من إसार الأسى والكآبة ، فإذا بالامر على النقيض
مما كنا نأمل ، وأصبحنا لا نراه إلا ساهماً مطرقاً
حزيناً ، وإذا بجسمه أبداً في نحول كأنما كان يزداد
يوماً بعد يوم إمعاناً في التلاشي طي غمده الصفيق
وكان يأتي إلى في بعض الأحيان يحدثني عن
الحياة العائلية وعن فارنكا كفالنكو ؛ ولقد قال لي
مرة وهو يتسم في حياء بسمة حائرة مرتبكة : إنها
- أي فارنكا - تروقه وتعجبه وإنه يعلم أن كل
شخص سيتزوج يوماً ما ، ولكن أمر الزواج خطير ،
ولقد وافاه بسرعة غريبة دون أن يتخذ له أهبة
ودون أن يفكر فيه التفكير الشامل الوافي ، ثم
سألني قائلاً :

- ألا ترى مثلي أن عليّ أن أفكر لأجل
مستقبلي ؟ فأجبت : تفكر في ماذا يا عزيزي ؟ تزوج
وينقضي الأمر

قال : لا ، إن الزواج لأشد خطورة مما تظن .
وعلىّ أن أفكر في الواجبات المقبلة وفي التبعة التي
ستلق على عاتق كي لا أقع فيما أحاذره وأخشاه . وهذا
ما يقلقني ويعضني وينني عن جفني الكرى . فلقد
بت لا أنام إلا لماماً

إن لها كما لأخيها أسلوباً في إدراك الأمور
مضحكاً . ثم إنها حاضرة الفؤاد حادة الطبع ، وأخشى
أن تكون حياتي معها كحياتها مع أخيها شجاراً
دائماً ونزاعاً ما ينقضي

أحاسيس ويرى في مطارحة أحاديث الوجد نوعاً من
التهتك والغزل الأثيم ؛ غير أن أترابه ومعارفه
ذكوراً وإناثاً كانوا كلما اجتمعوا به يلقون في روعه
أنه مخطيء فيما يذهب إليه ، وأن الحب سنة الله في
خلائقه وما في الهوى الشروع إثم ولا حرج ،
وأن الزواج خير له وأجدي عليه ، وأنه وقد عدا
سني الشباب وتخطى زمن الصبا لم يبق له من الحياة
كلها إلا أن ترف إليه تلك التي يصبو إليها ويهفو ؛
وأنها هي - والحق يقال - حسناء تجمع إلى
الحسن والجمال خير الخلال وأطيب الخصال ، وأنها
مغرية شائقة مرحة تجلو عن القلب المعنى همه وأساه ،
وأنها إلى ذلك كله ابنة مستشار في الدولة ولها من
الأطيان والمقتنيات بائة لا بأس بها ...

كان لعباراتنا في نفسه ما نرجو من بغيا ،
ولكلماتنا في ذهنه ما نأمل من تأثير ، فقرر فعلاً
أن عليه أن يتأهل

وهكذا يا صديقي انقلب المزاج جداً - وكم من
جد جره اللعب - وأهدت إليه فارنكا رسمها الحبيب
فقبله شاكرًا ممتنًا وأطّره ، ووضعته على منضدته
يتأمل فيه كلما خلا إلى نفسه .

- كان عليكم إذن وقد أقنعتموه بالزواج ،
أن تقنعوه كذلك بضرورة تغيير ما هجن من عاداته
فينهج نهجاً عادلاً صائباً دون أن يستهدف لسخرية
الناس وهزئهم

- أعترف لك يا إيقان أن هذا الأمر عسير
حقاً . وما إخال أنه كان باستطاعتنا نحن أوفى قدرة
سوانا أن يجادله في هذا الشأن دون أن يلحق بنا
سخطه وغضبه . ولماذا نأق بأنفسنا في مأزق حرج

« ماله عندي حتى يأتي إلى منزلي ؟ قل له
بالله عليك إنني أكرهه ، وإنني لا أريد أن أبصر له
في بيتي وجهاً بعد اليوم »

ولهذا كنا نتحاشى القول أمامه إنه سيكون
صهره العتيد ! بل كنا نتحاشى ذكر اسمه أمامه .
ولما قالت له امرأة المراقب في ساعة من ساعات اللهو
البريء إنه قد حان له أن يزوج أخته من رجل جد
وقور يحترمه الناس ويجلونه ، امتعض وامتقع لونه
وتجهمت أساريره ودمدم (١) :

« إن هذا لا يعني . وما تعودت يا سيدي أن
أبحث فيما لا يتعلق بي ، ولا أحب أن أزج نفسي
في شؤون سواي ... »
والآن أصخ لما حدث :

لا أدري أي ماجن دغابة رسم صورة بييليكوف
(بكوتشوكه) وسرواله المرفوع ومظلاته المفتوحة
وفارنكا تتأبط ذراعه ، وكتب تحت الرسم :
« الأتروبوس » العاشق

وكان الرسام موقفاً في رسمه إلى حد بعيد .
ولا ريب في أنه قضى وقتاً طويلاً فيه حتى استطاع
أن يبعث إلى كل أستاذ بنسخة منه . وقد تلقى
بييليكوف نسخته كذلك ، ولا تسل عما كان له
في نفسه من أثر بليغ

وكان اليوم التالي الموعد المضروب لاصطحاب
التلامذة للتنزه ؛ فخرجنا أنا وبييليكوف من منزلنا
معاً ، وكانت أمائر الإعياء والقلق بادية على مجيء
الشاحب الهزيل بأجلي مظاهرها . فابتدري قبل أن
أحييه بهذه العبارة المقتضبة التي هي في حقيقتها

(١) دمدم فلان على فلان : كله مغضباً

وهكذا كان يزن الأمور ويمحصها ويحسب
للمستقبل العتيد ألف حساب . والغريب أنه كان يتنزه
— مع ذلك كله — هو والآنسة فارنكا كل مساء
تقريباً ، ظناً منه أن ذلك واجب يتحتم عليه القيام به
ولا مندوحة له عنه

ويجب ألا أنسى أن أقول لك إن كوفالنيكو
استسمح بييليكوف وكرهه للوهلة الأولى التي
وقعت فيها عليه عينه ، وكان يأنف حتى من ذكر
اسمه . وكثيراً ما كان يقول لنا عندما كان يذكر
اسمه في أحاديثنا عراضاً : « أنا لا أفهم كيف
تستطيعون أن تحتملوا هذا المأفون الواشى فيما بينكم
ولا كيف تقدرون أن تعيشوا هنا في هذا الجو
الخانق ؟ تدعون أنكم سادة وأنكم أساتذة وإن أنتم
إلا طلاب رتب وهواة مناصب ، تعيشون في خنوع
من مداراة هذا الدعي اللئيم . واسمحوا لي أن أقول
لكم إنه ما هذا بمعهد علمي وإنما هو مجمع متدينين
موبوء ! »

لا يازملائي الكرام ، لن أبقى معكم إلا ردهاً
من الزمن يسيراً وأعتزل بعده منصبى عندكم وأعود
إلى مزرعتي أثقف الأميين فيها وألهو — كلما سنحت
لي الفرصة — بالصيد ، وأعيش حراً طليقاً بعيداً
عن المداجاة والرياء والتزلف ؛ سأناي عنكم عما قريب
وأما أنتم فستبقون هنا مع يهوذا الخائن ، ألا ليت
يموت ! »

ولا أزال أذكر يا صديقي ساعة جاء إلى في ثورة
نفسانية هائلة كان بها أشبه بالأسد الطعين منه بالرجل
الزئير . وقال وهو يضحك تارة ضحكاً هادئاً مترناً ،
وطوراً ضحكاً موجعاً كثيلاً :

شكوى صارخة لما كان يعانيه من ألم نفسي مرهق :
— ألا ما أردنا الناس وأحبهم !

عبارة كان لها في نفس صداها البعيد فاستدرت
رأى له وشفقتي عليه

ورحنا نمشي الهوينى في صمت ...

— فلنسر في الطليعة !

نداء رنّ في مسامعنا رنين البوق ، فالتفتنا فاذا
بنا نرى ، أو تدري من ؟ ! كوفالنكو ممتطياً
دراجته ووراءه أخته على دراجتها أيضاً ، وقد
صاحت به ، وهي تلهث إعياء ، ليتابع تسياره ؛ وانذفع
كلاهما كالسهم المارق

وأدبرت طرفي إلى رفيق ، فاذا بي أراه قد سُمّر
في مكانه ، ووقف مشدوها فاغر الفم جاحظ العينين
كأنه التمثال المنحوت ، ولم يلبث أن قال في بأس :
هلا تلطفت فأضعفتني ؟ ! ما هذا الذي أرى ؟
أغشاة على ناظري يا ترى أم غشاوة على خاطري ؟ !
قلت : لا هذه ولا تلك ؛ هوّن عليك ، فما في الأمر
ما ينافي الأدب ، وليرحاً على هواها فما هذا بضائرها .
فقال وقد أدهشته رزائتي وهدوئي :

أأنت تقول هذا القول ؟ أيجدر بالأساتذة أم
يليق بالآنسات أن يمتطوا الدراجات في عرض
الشوارع ؟

ولم يشأ أن أناقشه في الأمر أو أناظره فيه ،
وآثر أن يعود من حيث أتى ، موزّع الفكر
مضطرب الجنان

وفي الغد كان لا يزال شديد التأثر ، وكان
يفرك يديه بعضهما ببعض وهو يرتجف كمن عرته
البرداء ، ولم يطل به الوقت حتى أحس أنه لم يعد
يستطيع البقاء ، فترك صفه — ولم يسبق له أن

ترك الصف منذ أن زاول مهنة التدريس حتى تلك
الساعة — ومضى إلى بيته

وعند الأصيل لبس ثيابه الشتوية مع أن
الطقس كان دافئاً كأيام الصيف ، وذهب يبطء
لزيرة كوفالنكو ، وكانت فارنكا قد خرجت من
المنزل وبقي أخوها وحده فيه

« أرجو منك أن تتفضل وتجلس » هكذا قال
كوفالنكو بيرودة ظاهرة وقد قطّب جبينه ،
وكان قد أفاق من رقاده منذ بضع دقائق ، إذ
كانت عادته أن ينام بعد الغداء ، وكان على أسوأ
ما يكون خلقاً ومزاجاً

واستهل بييليكوف حديثه بعد عشر دقائق
قضاها في الصمت والتأمل فقال :

« ماجئت إليك لألقى عن قلبي بعض اعباء
الهم الفادح الذي يرهقه ويضنيه فحسب ، بل
لأكشف لك عن رأي فيك الذي أرجو ألا تحمله
منى على غير محل النصيح والارشاد ، فأنت لاتزال
في مطلع الصبا واما أنا فكهل ، وأنت حديث
العهد بالأستاذية ، وأما أنا فأستاذ منذ خمس عشرة
سنة ، فخرى بي إذن أن أكون أبعد منك نظراً
وأوسع إدراكاً ؛ وقد كنت ولم أزل منذ أن بدأت
أشعر بمعنى الوجود حتى الساعة مثال اللياقة والأدب
في شؤوني كافة »

وظل كوفالنكو جالساً بوجهه الباسر الكالح
صامتاً لا يحير ، وانتظر بييليكوف قليلاً ثم استأنف
حديثه الهادي بصوت لا يسته نبرات الحزن :

« ولقد رأيتك أمس ممتطياً دراجة ، وركوب
الدراجات من شأن الأولاد ، وإن هذه ألوية لا يليق
بمذهب الشبيبة ومثقفها أن يلهو بها

— ولماذا يا سيدى ؟

— أو يحتاج هذا إلى إيضاح يامبخائيل وعهدى بك ذكى الفؤاد ؟ لئن ركب الأستاذ الدراجة فما يبق للأولاد إذن أن يفعلوا إلا أن يمشوا على رؤوسهم ؟ ثم ...

— ثم ماذا ؟

ثم إنى لم أصدق عينى عند ما رأيت أختك وراءك على دراجتها ، وليس أقبح من أن يرى المرء آنسة أو امرأة على ذلك الشكل المريب

— واختلاصة ؟ ماذا تبتغى ؟

— لا أبتغى إلا أن ألفت نظرك إلى تجنب ما يشين سمعتك . فأنت حدث والمستقبل أمامك ، وعليك أن تسلك سبيل الرشاد كما ينبغى للرجل الحكيم العاقل أن يفعل . فأنت تنزه كثيراً فى الشوارع ، وتحمل معك فى غدواتك وروحانك كتباً الله أعلم ما تكون ، وتلبس حلاًلاً هى أدنى إلى التأنق الأرعن منها إلى اللباس المحتشم ؛ وجاءت الدراجة نالقة الأثافي ... « فاحمر وجه كوفالينكو غضباً وصاح به :

— أما أن نمتطى الدراجة أنا وأختى فهذا لا يعنى أحداً سوانا ، وإنى لألقى بمن يتعرض لشؤوني أو لشؤون عائلتي فى جهنم ! والآن إليك عنى أيها المأفون . أغرب من أمامى فما تعودت ، وأنا الشريف ، أن أخاطب رجلاً مثلك . أغرب عن وجهي فأنا أمقت الواشين وأجتويهم

فقام بييليكوف مضطرباً ولبس معطفه والتأثر بهزه هزاً ، فقد كانت تلك هى المرة الأولى التى أهين فيها فى حياته ، وسمع كلاماً جارحاً ماساً بكرامته ، وقال وهو يفتح الباب ليخرج :

« لك أن تقول ما تشاء ، ولكن أرى من واجبي أن أذكرك قبل أن أبارح منزلك . فربما يكون قد سمع حوارنا أحد من الناس ، وخوفاً من أن ينقله إلى المراقب العام مشوهاً أرى أن أنقله إليه بنفسى دون تحريف »

فاحتدم كوفالينكو غضباً وصاح به :

« تنقل الأحاديث أيها الواشى اللعين ؟ » وتقدم منه فأمسك من الوراء بعنقه وقال : « إذهب وانقل هذا إلى المراقب أيضاً » ودفعه وهو يركله برجله على قفاه فراح يتدهور من أعلى الدرج حتى أسفله

وقام المسكين مرضوض الجسم يتلمس فى وجهه وذراعيه مواضع الألم

إلا أنه فى اللحظة التى كان يتدحرج فيها على العتبات كانت فارنكا وسيدتان أخريان قد وصلن فوقفن معاً يراقبانه ، وكان هذا وحده عليه شراً من كل أمر سواه ، وكان خيراً فى نظره أن يدق عنقه وتكسر ساقاه من أن يكون أضحوكة فى عين من يهوى . والآن ستدرى المدينة بأسرها بأمره وسيقتل الخبير بالمراقب العام ، وقد يرسمونه فى أوضاع ساخرة شتى — فبالنكد الطالع — وهم إن فعلوا فسيقتلهم إلى

الإدارة بالاستقالة من منصبه من غير بد

وعند ما نهض عرفته فارنكا ولم تمالك لما رأت سحتته المنقبضة المضحكة ومعطفه المتسخ الغضين^(١) أن أرسلتها ضحكة رن صداها فى البناء كله

وهذه القهقهة الساخرة قلبت أحلامه رأساً على عقب وطوحت بهنائه المزعوم ، فاسودت الدنيا فى عينيه واحلولت مرآئها ، فلم يعد يسمع ولم يعد يرى . وما بلغ منزله حتى هرع تواء إلى رسم فارنكا

ألا تتبع إلا ذوقه ولا نمشي إلا على هواه حتى
في يومه الأخير . وأحسب أنني في غنى عن إعلامك
يا إيفان أن فارنكا كانت الوحيدة التي مشت في
جنازته خاشعة مطرقة بكل ما في الخشوع والإطراق
من معنى ، وأنها ذرفت عندما واروا جثمانه الثرى
بضع قطرات من دمعها السخين . وأما نحن الآخرين
فقد عدنا من دفنه ولا أكتمك وعلى وجوهنا أمائر
الحزن ، لا أسي عليه ، بل لأننا كنا نأبى أن تظهر على
وجوهنا دلائل السرور ؛ وموت رجل كيبيليكوف
مسرة لقلوب من نكبوا بطلعته المشؤومة إبان حياته
لقد دفناه ، ولكن كم وكم بقي علينا أن ندفن
من أمثاله ؟ إن الأرض ملأى بنظرائه ، وإننا عند
ما نعيش في بؤس فإنما نعيش في (غمد) ، وعند
ما نحيا في محيط ضيق خانق ، أو عند ما نقضي حياتنا
من غير جدوى ولا نفع ، أو نسف في القول ولا
نسمع إلا كل لغو لا طائل فيه ، أو نزجي أوقات
الفراغ في لعب النرد أو الورق ، فإنما نعيش في (غمد)
أليس كذلك ؟

— بلى يا صديقي ، ولكن أن نسمع الكذب
ولا نسفه قائله ، وأن نرى الواشى ونجمله الاجلال
كله ، وأن نحتمل الدل الشائن ، ونرضى ونحن الأباة
بالهون ، وندارى من لا يستحق أن نصقعه ، من أجل
رتبة لا قيمة لها ومنصب لا أهمية له ، فما لا يشرفنا .
وللموت عندي خير من مثل هذه الحياة وأعذب
— هذا أمر آخر يا إيفان ، والآن فلنم ودخل
الأستاذ فاستلقى على الهشيم ، ولم يلبث بعد بضع
دقائق أن غفا ، وأما إيفان فقد خرج وجلس حيال
الباب يدخن غليونة

موريج ملستي

فانزعه من إطاره ومزقه تنفقا وألقى به في النار ، ثم
خلع عنه ثيابه وورقه في سريره محرور الجسم منهوك
القوى ولم يقم منه بعد ذلك

وبعد مضي ثلاثة أيام أتى إلى طاهيه « أفاناسي »
يستشيرني في استقدام الطبيب لأن سيده على ما يرى
مدنف عليل ، فلم أر بدا من عيادته ، وقد وجدته
نائما وراء كلته ، مغطى بلحافه حتى الرأس ؛ وطرحته
عليه بعض الأسئلة فلم يكن لي رد إلا بلا أو بنعم ؛
وكان « أفاناسي » الطاهي يروح ويحيي حيال السرير
مكتئب النفس محزون الفؤاد

وكانت حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وقبلما
اغتمضت عيناه في لياليه السود لطوارق أوهامه
ومروعات أحلامه ؛ وبعد شهر ذاق خلاله هذا
البائس المحزون من صنوف الألم وضروب العذاب
ما صهر جسده الواهي وأذاب جسمه النهوك ، وقع
المقدر ونفذ المحذور وأسلم صاحبنا الروح

أما هيأته وهو مسجى في نعشه فقد كانت تنم
عن العذوبة والطمانينة كأنما كانت تنبئ عن السرور
الذي شمله بوضعه أخيراً في « غمده » ونبيلوغه
الهدف الذي طالما حن له ، ولنيله المأرب الذي طالما
سمى إليه

وسرنا — الأساتذة والطلبة — جميعاً وراء
نعشه في موكب مهيب . وأبت السماء في ذلك اليوم
إلا مشاطرتنا ما كنا فيه من أسي على الفقيد الراحل
فأربد أديمها واكفهر ، ولم تلبث أن بكت بدمعها
المهاطل المدرار

وهكذا اضطررنا أن نرتدى معاطفنا ونحمل
مظلاتنا وننتعل « كوتشو كنا » الواقي كأنما آثرنا

مرقص التاريخ

فَنَشِيرُ بَرِيْقِيَا نِي

مترجمة عن كتاب "الاطفال الممازون"
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

في يوم من أيام سنة
١٦٣٨ دخل مدينة
فلورنسا ، وهي إذ ذاك
عاصمة دوقية توسكانيا ،
صبي في الثانية عشرة
من العمر يحمل على
ظهره صرة معلقة في
عصاً موضوعة على
كتفه وكان في جيب

هذا الصبي عدد قليل من الدراهم .

قال أبو هذا الصبي مخاطباً إياه قبل مجيئه إلى
فلورنسا : « لقد كبرت يا بني وأصبح في وسعك أن
تعول نفسك ، ولم يعد في وسعي أن أعولك . ولست
أزودك بأعلى من نصيحتي إليك بتقوى الله ؛ فإن اتبعت
هذه النصيحة لم تفقد في أي وقت من الأوقات من
يعد إليك يد المعونة »

قال الأب ذلك وبكى ونفح ابنه بدمعته
هي التي كانت معه حين دخل عاصمة الدوقية ،
وقد حرص الصبي على الاقتصاد فوضع حذاءه
في الصرة التي حملها على عصاه ومشى حافياً ،
ولما وصل إلى شاطئ الأرنو استحم في مائه
وجلس يرفأ ثيابه عند الشاطئ ثم غسلها وأستأنف
السير

ولم يكن فيفياني قد تعلم حرفة ما ، بل لم يكن
لديه أي استعداد لتعلم أية حرفة . ولقد كان يحسن
القراءة والكتابة ويعرف الحساب إلى حد ما ؛
وكان يعرف اللغة العبرية وهي التي كان الكتاب
(٥)

قد كتب الدهر من وقائمه
أجل مجموعة من السير
يذهب مألوفها وتافهها
في زبد للحياة منسدر
ويخلد النادر الغريب من الـ
واقع لا الزدري من الخبر
إن زال حب الغريب من وسط
فليس فيه مجال مبتكر
غربة في الجمال ندرته
أبقتة في نادر من الصور
كانت حياة وكان صاحبها
لم يبق غير الغريب في الصور
ماضٍ من العمر أنت صاحبه
ماذا تبي من حوادث العمر
أروعها مظهرها وأحفلها
بكل ما كان غير منتظر
والشر كالخير رائع الخبر
فالشر في الخير بين الأثر

والشر والخير في اجتماعهما
قصة نيرون إن تكن رويت
أحقق ما توصف النفوس به
خوف جزوع وزهد منتصر
فظلم نيرون غير محتقر
صبر قنوع وقنع مصطبر
(المترجم)

المقدس يقرأ بها في ذلك العهد في إيطاليا قبل ترجمته
إلى اللغة الإيطالية

وكان قسيس القرية قد ترجم ليفياني مرمروراً
واحداً من مزامير داود فاستحبه ذلك على أن يترجم
كل المزامير إلى لغته

كان هذا كل استعداداه ، وهو يبحث عن عمل
في فلورنسا ، فطاف بالخوانيت لينظر هل من حرفة
يستطيع احترافها فلم يجد ما يلائمه . ولكنه وجد
في أحد الخوانيت ما استثار دهشته - وجد فانوساً
سحرياً ، فدخل في الخانوت لالكي يطلب عملاً
ولكن ليطلب إلى صاحبه أن يرشده إلى كيفية صنع
هذا الفانوس

وكانت المصاييح السحرية نادرة في ذلك الحين .
وقد كان الرجل ظريفاً ، فلم يأب أن يفهمه سر هذا
المصباح . وقام بروح الطفل أنه يستطيع أن يعيش
بالطواف بين القرى والمدن ومعه الفانوس السحري
يعرضه بالأجر التافه على الأطفال

وعد مامعه من النقود وسأل صاحب الخانوت :
أليس يكفي هذا القدر من المال ثمناً للفانوس ؟ فأجابه :
« لا . ولن تستطيع شراء مثله بعشرة أضعاف هذا
الثنى . ولكن لماذا تريده ؟ »

فلما قص عليه الصبي قصته قال : إنني لن أبيعك
هذا الفانوس ، ولكني أؤجره لك لما يبدو لي من
أنك شريف . فهل تعدني بالشرف أن تمر عليّ في كل
أسبوع مرة وتخبرني بالحقيقة كم ربحت . ولك عليّ
ألا أطلبك بالأجر إلا بنسبة ربحك ؟ »

قبل الصبي وأخذ المصباح فصار يعرض على
الأطفال لأول مرة ما يشبه النوع المعروف في مصر
باسم « صندوق الدنيا » وإن كان أدق صنعا منه ،
فقال فيفياني مبلغاً وافراً من المال

وفي يوم مطير هرب الأطفال من المطر إلى
البيوت ؛ وكان فيفياني واقفاً ومعه فانوسه السحري ؛
وفي الناحية الأخرى من الطريق رجل مختبي تحت
شرفة لكثرة المطر ، فقال له فيفياني : « أيها السيد
إذا لم تأت لتشاهد فانوسى السحري فإني لن أستطيع
العشاء هذه الليلة »

وكان هذا الرجل هو جاليليو العظيم أكبر عالم
في جيله ، فأخذته الرأفة ووقف يشاهد صندوق
الدنيا إرضاء للصبي المسكين . ثم أخذ يسأله عن
قصته فرواها له : وقد اهتم جاليليو بقصته أيما اهتمام
فقادته إلى منزله وتبناه وعلمه فأصبح فيفياني من أكبر
العلماء في القرن السابع عشر

وزادت شهرة فيفياني بعد ترضوجه فأدر عليه
المال أمراء بيت مديسى ، ومنحه لويس الرابع عشر
معاشاً ضخماً ، وضمه المجمع العلمى الفرنسى إلى
عضويته . وكان من بين أصدقاء فيفياني فردريك
الثاني غراندوق توسكانيا ، وقد استعان به في علاقاته
الدولية عدة مرات ، كان يرسله فيها سفيراً إلى
ملوك أوروبا

ومات فيفياني في الثانية والثمانين ، بعد أن ألف
عدة كتب في الهندسة

« عن الانكليزية من كتاب الأطفال المتنازين »

عبد اللطيف التار

خذ اسبرو لترقيق حمى الدم والتهنؤن



جاءت حمى الدم التي يحس شربها كثيرا واصيب بها كثير من الانفلونزا والتهنؤن حمى عالية ووطاس ووجاع والدم والتراب في الزور وضعف شرب الدم في الظهر ونزول دم منه الانف وضاعفات اخرى. فلهذا حال هناك لوضع الوقت بل الصلوة بعمل سريع بالاسبرو. فلهذا الاسبرو وعند ظهور اول الاعراض وفي وقت مبكر حينئذ وقف سير المرض. وقد اثبتت ان الاسبرو اعظم مضاد للحمى اعرج العالم. والسبب العلمي لذلك هو ان الاسبرو مضاد طبيعي للفساد الداخلي بعد ظهوره الجسم. وهو قابل للجراثيم ومضاد للحمى ويخفف في بضع دقائق ويخفف الدم ويزيل من الضعف الناشئ عنه بسرعة وقوة اسبرو الذي منحه الله انسان لنا دواء حمى الدم التي يخاف منها. فلهذا اسبرو اسبرو بالطريقة المعتادة عند ما ترفع درجة الحرارة واستعمل للتراب الزور فترشيه محلوليه بالماء وتغفر بهما. والغالبا ان الغرزة بالاسبرو تمنع الحمى فلهذا استعمل الاسبرو في الغرزة كل صباح

للدم والتهنؤن او اي حمى الاسبرو غنيمة. فلهذا قرصيه ان ثلثة اقراص كل ساعة حتى تعود حالتك طبيعية فالاسبرو يخفض الحرارة في دقائق قليلة استعمله غرزة قرصيه في اربع ساعات ما دلت إزالة التراب الزور. فان دقائق الاسبرو الصغيرة بل صوة الزور فتعمل فعلة. العمل بسرعة وانقاذ نفسك.

ماذا يعمل

اسبرو يوقف الألم في ٥ دقائق

بائع اسبرو في جميع الصيدليات ومخازن الادوية والصغار القريبة
٢ قرص
١٠ اقراص
٢٧ قرصا
الوكلاء: ج. ب. شريدان وشركاه
القاهرة
الاسكندرية
٢٣ شارع المدايح
٩ شارع طوسون باشا

خذ اسبرو ولا تخف منه الانفلونزا



سحابة

للاستاذ أديب عباسي

تدني الناس منه وتقرّبهم
إليه ولكن في غير
ابتدال ولا خفة، وتبرز
في الدروس ولكن في
غير إجهاد ولا مشقة،
واكتمال في التكوين
الجسمي ولكن في

غير نعومة الأبوثة ولا طراوتها. ومن هنا فقد نفّض
جميع الشبان أيديهم (والأصح قلوبهم) من فريدة
لما رأوها تنجذب انجذاباً قوياً في ناحية صادق،
وتدنو منه ثم تصير معه في دائرة محكمة من الحب
الصحيح والمواهب النادرة والرجولة الكاملة؛ وما
كان يدور لأحد بخلد أن يتخطى هذا السور، بله
تخطيمه، ليصل إلى حيث استقر قلب الفتاة ويزحزحه
عن موضع ارتكازه.

واقضت سنو الدراسة وخرج صادق يمارس
مهنة الطب بعد أن نال شهادته بامتياز وتفوّق
عظيمين. وخرجت فريدة أيضاً في العام نفسه
لتمارس التعليم في إحدى مدارس الأنثى العالية؛
ولم يكن ذلك من حاجة مادية إلى التعليم وإنما
استعداداً لعهد الأمومة الذي من أول واجباته معرفة
الصغار معرفة اختبار لا معرفة كتب ومحاضرات
ومضى شطر من العام وصادق وفريدة يغتلمان
كل فرصة للقاء، يروّحان على عواطفهما، ويُعدّان
العدة للمستقبل البعيد الذي ينتظرهما، مستقبل الحياة
الزوجية السعيدة والبنين الصالحين؛ وانتهيا إلى
مرحلة الاستعداد الأخيرة فأعلننا المعارف والأصدقاء
خطبتهما التي تلاها الزواج بعد أسبوع، ولم يشذ

بقول شوبنهاور على طريقته في التشاؤم والتقطيب
على وجه الحياة: إن معظم الروائيين يقفون
برواياتهم عند عتبة الزواج لا يتعدونها، كأن ما بقي
من الحياة لا قيمة له ولا خطر في تقديرهم، أو
كأن ما يعلمون علم الخبرة واليقين من انتهاء أحلام
الحب والسعادة قبل الزواج إلى توافه العيش وخمول
الاعتیاد بعده يجعلهم يقفون عند ذلك الحد من رواية
الحب، حتى لا يشوهوا الصورة التي دأبوا على تصويرها
قوية ساحرة جهد طاقتهم.

وعلى صدق ما يقرر شوبنهاور هنا وعلى عظم الفارق
بين حياة الرؤى والأحلام قبل الزواج، وحياة الجد
والكلفة بعده، فأننا مثبتون في هذه الأقصوصة
صورة من حياة زوجين بعد عهد الزواج لا قبله.
وليس هذا لأن الزوجين اللذين نرسم لهما هذه
الصورة مثلاً دور الحب الأول تمثيلاً عاجزاً لا يستحق
جهد الرسم ولا عناء التصوير، إنما نهمله لأنه كان
طبيعياً لم يثر شيئاً من فضول الاستغراب في الناس،
كما لم يثر عواطف الحسد ولا مزاحمة الطامحين التي
تكون السبب الأول غالباً في تعقيد الصورة وإكسابها
تشويق الطرافة وإثارة المفاجأة. فصادق كان بين
طلاب الصفوف العليا في الجامعة مثال الشباب النبيل
والرجولة القوية والمواهب النادرة: أخلاق وطباع

الموت ووجوم الفناء، وحيناً أمام أقسى الآلام وأشد الأوجاع وآلم الزفرات . ألا يكفيه كل هذا البلاء حتى أحمله أعباء البيت وأثقاله لأنصرف إلى الزينة والزيارات وقتل الوقت في ثروة المجالس وبطالة الاجتماع ؟ ... وفوق هذا ما فتئت فريدة تهيب له كلما آب من عمله جواً روحياً من ذاتها ومما يحيط بها ، يبعث إلى نفسه الراح والروح ، وينفض عن شعوره وأعصابه ما علق بها من انقباض ، وخالطها من ارتماض . تلقاه متشوقة مشرقة ، وتقضي الوقت بين يديه موقدة الحس مشبوبة العاطفة ، وتودعه لطيفة واجفة ، كأنه ذاهب في سفر بعيد أو لخطر أكيد . وهكذا مرت الأيام تترى وحياة هذين الزوجين مثال أعلى ومثل مضروب لهناء الزوجية في السر والاعلان . وقد زاد في هناء الزوجين ووثق بينهما النجاح الباهر الذي نجحه صادق حتى تخطت شهرته المحيط الضيق الذي يعمل فيه ، وغدا مثابة الزمنى والمرضى في مختلف القرى والمدن المحيطة .

هذا وقد تعرف صادق بحكم عمله إلى أسر كثيرة ، وتوثقت عري الألفة والصداقة بينه وبين عدد كبير منها ، فكثرت دعوات هذه الأسر له ولزوجته في المناسبات العديدة التي تقتضيها الحياة العصرية . وكانت فريدة أول الأمر جدم مقبضة لهذا الطور الجديد من حياتها ؛ وأقول جديد لأنها نشأت في أسرة محافظة ، ثم تسلمتها المدرسة بجدها وأوامرها ونواهيها العديدة ، ثم انتهت إلى التعليم وهو يضع من القيود ويفرض من الواجبات على المعلمة مالا يبق لها معه مطمح ولا سبيل لهذه الحياة الاجتماعية الحافلة

إلا أنه ما عزم أن أخذت فريدة تضيق بهذه

صادق وفريدة عن التقليد الحديث هنا ، فقد قام الأهل والأصدقاء يودعونهم ما في إحدى أمسيات الربيع المبكر إلى السفينة التي أقلتتهما إلى أحد الأقطار المجاورة يقضيان شهر العسل كأنهما ما تقضي فترة من العمر

وعاد الزوجان عند نهاية الشهر ، هو لتابعة عمله ، وهي للقيام بواجبات الزواج والبيت . ولا حاجة إلى القول بأن صادقاً كان إلى هذا الوقت قد اكتسب ثقة العائلات العديدة وأصبح مثابة المرضى وموضع الأمل في الشفاء والسلامة . وقد ساعده على ذلك العلم الوثيق والإحاطة الشاملة والمتابعة الشديدة لكل جديد في عالم الطب ، لعلمه أن الطبيب الذي يغفل مسaire مستحدثات الطب يُضحي شيئاً عتيقاً في وقت قصير . هذا إلى الشخصية المحببة والأخلاق الموزونة والثقة بالنفس في غير اعتداد ، والفهم السريع والادراك الصحيح للأزمات النفسية التي تنتاب المرضى والمعتلين ، إلى إشراق قوى في الوجه والنفس يبعث في النفوس أملاً قوياً في الشفاء ورغبة أكيدة في الحياة

أما فريدة فقد غدا همها توفير الراحة الفكرية والحسية لصادق ، ليصفو ذهنه وينصرف إلى عمله الدقيق أخلى ما يكون بالاً ، وأهدأ ما يكون فكراً ، وأشد ما يكون انصرافاً عن توافه الضرورات المنزلية والحاجات البيتية المربكة . وكانت تقول : ألا يكفيه هذا العناء الموصول والجهد المضني والزيارات المفاجئة تستله من أحضاني أو من بين يدي ليلاً أو نهاراً ، وتعرضه للفتح الحر أو نفتح القر ، إلى ما يرهق التصور ويرمض الاحساس من العيش الدائم بين آلام الناس وأحزانهم ، حيناً في غمرة

مخالطة الناس ورضيت بالوحدة والانتقطاع عما سواها؟
كلا ! كلا ! والدليل أنني لا زلت أرتاح لزيارة
صويحباتي وجاراتي، وأنني ما فتئت أزوهن وأسزيرهن
وأجد الأنس والغبطة في ذلك . إذاً ما هو وكيف
أفسره ... ؟! يا الله ! أيمكن أن يكون ذلك
هو السبب؟! أ كاد أعرف ! أ كاد أ كشف الحقيقة
المرّة ... لقد شاهدتهن في الحفلة الراقصة منذ
أسبوعين يتسابقن للرقص معه ، ورأيتهن يُمكنه
بعيون لا يخفى فيها الإعجاب إن لم يكن ما هو فوق
الإعجاب ! ثم ألم تمتدح جميلة وسعاد ذوقه ولطفه في
أذني ؟ وتلك الشقراء معورة العينين شهوانية اللحاظ
كم أثنت على سمته وأناقته « التي لا ترتفع إلى حدود
التمائل الهندسي والسمت البوذي كما نرى في بعض
المخائيل من عبّاد الزى والأناقة »

ووقفت فريدة عند هذا الحد من التساؤل
والتظني خشية أن يجرفها تيار الشعور إلى نقطة
الخطر في مجارى الشعور حيث تتركز الخواطر
والهواجس وتحتشد في نقطة واحدة لا تحول عنها
ولا تريم . وعادت تقول : وما شأنه هو إذا كان سمته
أو ذوقه أو أناقته أو أى عنصر من عناصر شخصيته
مثار الإعجاب ومبعث التقدير أو خلافاً في نفوس
الأوانس والسيدات ؟ أليس هو لي وحدي دون
سواي ؟ أليس يعود في المساء من عمله المرهق فيزول
في لحظة كل ما ازدحم على جبينه من تقطيب الجد
واكفهرار العمل ، ويودعني في الصباح وبوده ألا
يودعني ؟ ألم يقل لي منذ حين إنه لا يشعر بأنه يحيا
على متن الحياة إلا في البيت ، وأنه خارج البيت كأنما
يحيا على هامش الحياة وحفاف الشعور ؟
هكذا حللت فريدة الموقف وعرفت أنها

الاجتماعات بعض الضيق ، وأخذ يرين عليها شيء
من الانتقاض والخرج كلما دعيت إلى اجتماع من
هذه الاجتماعات ، بل لقد تطور الانتقاض والخرج
إلى مقت وكراهية شديدين . على أن فريدة كانت
من قوة الإرادة ورهافة الحس والتحرّز بحيث لم
يند عن لسانها كلمة أو تبدر منها بادرة تشي بما أخذ
يستقر في نفسها من مرارة وكره لهذه الاجتماعات
حتى لا تؤذى شعور الزوج وهي الحريصة جداً
الحرص على أن تبقى جو البيت الروحي والحسي خنة
بقي إليها من عناء المهنة وأوصاب العمل

وكانت هذه الحال تفضي إلى أوخم العواقب
لو استمرت هذه العقدة النفيسة في نفس فريدة
وأنحدرت إلى معمل العقل الباطن ليحولها سماً زعافاً
يسمم الروح ويتلف الأعصاب ، ولو كانت فريدة
عادية الذكاء غير شديدة التفتن والفحص لكل
بادرة من بوادر النفس وكل هاجسة من هواجس
الشعور ، فلقد لاحظت هذا الطور الجديد من الشعور
تنتهي إليه من غير إرادة ولا عزم منها ، ولاحظت
كذلك أن نضارتها أخذت تبجف يبطء ولكنه
أكيد ، وأن الألق والبريق اللذين ينبعثان من عينيها
انبعاثاً غريباً أخذ مكانهما كدرة واضحة واغبرار ،
وأن تينك الوجنتين الورديتين أخذ لونهما ينصل
ويحول ، وأن الشفتين المرجانيتين حل محلها خيطان
أبيضان في حمرة خفيفة توشك أن تزول . وهالها
مارأت ، ووجت تفكر وتحلل ؛ ولو كان له جس
الشعور صوت مسموع لسمعته حينئذ تقول :

لم كل هذا؟! إنني أشعر بسرور خفي ولكنه
أكيد كلما مضى الأسبوع ولم تكن دعوات ولا
اجتماعات ولا زيارات . أيمكن أنني مللت حقيقة

إهمالاً تكاد تبين فيه القصد، وأن رآته يخلق ذقنه يوماً
ويتركها يوماً آخر بدل الخلاقة اليومية التي اعتادها .
وقد نهته يوماً إلى ذلك فأجاب : إن الخلاقة كل
صباح صيرت جلدة وجهي حساسة كل الحساسية،
فأنا أعمد إلى إطالة فترة الخلاقة لأريحها

وأخيراً زال كل شك من نفسها فيما انتهت إليه
من أمر صادق حينما رأت شعر رأسه يتدلى وراء
أذنيه بشكل ظاهر، فاعرورقت عيناها، ودلفت إليه
وجلست حذاءه، كف تمرُّ على سحنته، وأخرى
تمتث بشعر رأسه، وخاطبته بصوت فيه الألم
والسرور :

وأخيراً يا صادق، ألا تنوى أن تدعو الخلاق
ليسوى هذا الشعر الذي أخذ يتدلى وراء أذنيك
بشكل ظاهر؟ هل أدركك ذهول الفلاسفة أو
اعتقادهم أنه ليس ثمة فكر عميق بدون لحية كثة
وشعر متهدل طويل؟ هذه اللحية الشائكة تكاد
ترك خدوشاً في وجهي كلما أمررت سحنتي على
سحنتك

— أما لحيتي فقد فسرت لك لماذا أحلقها يوماً
وأتركها آخر . وأما شعر رأسي فأوتر أن أتخطي
الزمن الذي كنت أعينته للخلاقة لأنجو بعض
النجاة من أخطار الخلاقين وما يعرضون المرء له
من أسباب العدوى والإصابة . وقد فاتني أن أذكر
لك أنه جاءني في الأسبوع الفائت شاب يطفح على
وجهه مرض خبيث، وبعد البحث علمت أن خلاقه
أتخفه بهذا المرض بموساه أو يده القدرة . ألا قبَّح
الله الخلاقين! إنهم وسيلة أكيدة لنقل الأمراض !
— اسمع يا صادق ! غداً عيد ميلادك وسوف
يكون عندنا صنوف من الناس، ولن أطيق أن أراك

وساوس الغيرة في غير مبرر؛ أخذت تهش وتعيث
في صدرها « ولكن أليس هذا كالذي يستلق في
الفراش ويذهب يئن ويتوجع توجع المريض المدنف
لا شيء إلا لعلمه أن في الهواء الذي يستنشقه جراثيم
المرض وأسباب الإصابة ؟ ! »

ولكن المنطق شيء والعاطفة شيء آخر . فإن
فريدة — بالرغم من تحليلها هذه العاطفة الطارئة
تحليلاً صحيحاً، وبالرغم من زوال الشيء الكثير من
أسباب القلق وعدم الاطمئنان — ظلت تشعر بالراحة
وانفراج الشعور كلما مضى اليوم أو الأسبوع دون
أن يُدعوا إلى اجتماع أو يُضطرا إلى إقامة اجتماع في
منزلها . وتمتت لو تزول هذه الاجتماعات زوالاً
نسبياً أو مطلقاً فيزول معظم السبب فيما تخشى وتحاذر
ولا حظت فريدة كأن رغبته في هذا الشأن
أستجيت، فقد رأت صادقاً يعتذر لأصدقائه عن
كثير من هذه الاجتماعات بحجة العمل الكثير
والزيارات الطبية المفاجئة؛ وقل تبعاً لذلك دعوتهما
الأصدقاء والمعارف إلى منزلها . وقد حملته فريدة
أولاً محل الأمر العارض الذي لا يلبث أن يزول،
ولكنها لاحظت استمراراً من صادق على الأعراض
عن معظم هذه الدعوات، فأخذت تسائل نفسها :
أيمكن أن يكون قد فطن إلى ما في نفسي فاستجاب
له استجابة الزوج الوفي الكريم؟ وهل كثير على
صادق أن ينفذ إلى علة قاتي وشحوبي، وهو الذي
لا تخفى عليه خافية من أمري؟ الحق لولا أنني
لا أحتفظ في صدري بصورة غير صورته لأرعدت
كلما أطل في عيني أو تفرس في وجهي

وزادها يقيناً بأن صادقاً عرف خبيثة أمرها
فأخذ يجاريها على ما في نفسها أن رآته يهمل هندامه

— أوه ! أغتفر ماذا يا فريدة ؟ أغتفر لك أن
شحب لونك ، وزالت نضارتك ، وشح نومك
وأوشكت أن تذوى ذوى الزهرة فى مهب الريح
اللافتة لما خيل إليك أننى صائر إلى غيرك ؟ ثم
أية متعة من متى لا أتخلى عنها فى سبيل أن تعود
إليك نضارتك ويشوب إليك بشرك واستقرارك ،
كما لاحظتها تعود بعد زوال مذ قلت استجابتنا
للدعوات والاجتماعات

ومن ذلك الحين عادت الزيارات إلى الاتصال ،
وعادت ألبسة صادق إلى أناقها وانسجامها ، وعادت
فريدة لا يقلقها أن تسمع الثناء والاعجاب بصادق
يصبان فى أذنيها ؛ فلقد وثقت بأنه لها وحدها دون
سواها ، بل لقد أصبح الاعجاب بصادق فى أية ناحية
من نواحي شخصيته يسرها ويطربها . ذلك أنها
وثقت بأن صادقاً جزءاً منها ومكمل لها حقاً ؛ وإذن
فالثناء عليه والاعجاب به لها فيهما حصّة

أريب عباسى

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التم ١٢ قرشاً

بهذه الذقن أو هذا الرأس ، فأما أن تقوم تدعو
الحلاق الآن أو ...

— أو ماذا ؟

— أو أننى آتى بالمقص والمشط ، أنا

— بالله أسرعى يا فريدة ! إنه لتديير والله !
سوف توفر القروش التى تدفعها لذلك الثرثار .
وفوق ما توفرين من دراهمى سوف أكون آمناً على
نفسى بين يديك . وفرق بين أن يمر ذلك الحلاق
القذر يديه على وجهى وعنقى ، وبين أن تمرى هاتين
اليدين النظيفتين على رأسى ووجهى .. لماذا تلتكئين ؟
هل آتى بالمقص والمشط أنا ؟

لا تتجاهل يا صادق ! فأنت أدق حساً وأوعى
شعوراً من أن يجوز عليك طور من أطوارى . هيا
نسدل ستاراً على هذه المهزلة التى أوشكت بحماقتى
أن أصيرها مأساة

وطوقته فريدة بذراعيها وانهاالت تقبله وتقبله
حيثما وقع فمها من وجهه ورأسه ، والدموع تسفح
على وجنتيها ، والكلمات تقطعها أنفاسها التهذّجة
وصدرها الذى أخذ يعلو ويهبط بسرعة وشدة

ولم يستطع صادق عند هذه الثورة النفسية إلا
أن يستجيب لها ويرد لفريدة قبلة بقبلة ، وهوى خلال
ذلك يناديه ، مالك ؟ ! أجننت ؟ لاشك قد جنت !
لقد خنقتنى وكنمت أنفاسى ! خلى عنى ! أننى وحده
لا يكفى للتنفس !

وتجيبه : نعم جنت ؛ وأية امرأة لا تبجن إذ
يكون لها مثلك ؟ ! لقد جرت الامتحان يا صادق .
لقد جزته . اغتفر لى غيرتى الحقاء التى صدّتك عن
محافل الأنس ، وألبستك ما لا يتلاءم وذوقك وكادت
تبدلك فيلسوفاً بلحية مرخاة وشعر مرسل

كورنى فاسيليف

للفيلسوف الروسى تولستوى
بقتل الأديب أحمد فتحي مرسى

وشيجة القرابة وأصرة
المودة

وباع كورنى آخر
رأس من ماشيته وهو
حمل صغير ، بعد أن
اقتصد زهاء ثلاثة آلاف
روبل . ووصل إلى سمعه
أن ريفياً في الجيرة يبيع

أرضه بثمن زهيد ، فذهب
يتقصد أرضه ، ويتسقط خبره ،
إلى أن وقع عليه في بلدة قريبة ،
فعاد إلى بلدته يعد الصفقة ، ويمهد
السوم ، ويعود بالثمن

وعند ما بلغ كورنى المحطة ،
وكانت في جهة قضية عن البلدة ،
كان الصباح قد لآلت حواشيه ،
وكان الجو مغشى بالسحب الجون ،
والجليد يساقط على الأرض في
هينة ولطف ... وما غادر كورنى
القطار حتى التقى بالعم (كازما) ،
وهو رجل رقيق الحال ، حقوق
النفس ، يفتاب الناس ويختانهم ،
ويطوى في نفسه الحسد والحقد
على الموسرين ، وخاصة كورنى ،

يعد ليون تولستوى في مقدمة كتاب
روسيا الحديثة ... وتعد كتاباته
الأنجيل الأولى للثورة الأخيرة ..
ولد في سنة ١٨٢٨ وتثقف ثقافة
فرنسية ثم بدأ كتاباته بتصوير حال
الفلاحين البائسة وتقد نظام الحكم
فبرع في هذه الناحية ، ولذا يرى متابع
أثره الأدبي أن جل مؤلفاته في هذه
الناحية

وقد نزل تولستوى في أواخر أيامه
عن ممتلكاته للفلاحين مما أكسبه
عطف هذه الطبقة عليه ، وتعلقها به .
وقد ماز تولستوى عن غيره من
أكتاب روسيا الحديثة النهج الواقعي
الذي انتهجه لنفسه (Realism) بخالف
بذلك من سبقه أمثال پوشكين
و « جوجول » وكذلك ماز منهم
دقة تصويره لحال الفلاح وسيليس
القارى ذلك جلياً في هذه القصة
وقد اختفى تولستوى في أواخر أيامه
وتوفى سنة ١٩١٠

فتحي

لم يكن كورنى فاسيليف
قد نصل بعد من ربيع الرابع
والخمين عند ما عاد إلى الريف
للمرة الأخيرة ؛ ولم يكن الشيب
قد وسم خصلات الجثلة المسبلة
فحسب - بسمته الغراء ، بل جازها
إلى عذاريه فمستهما مواسمه ،
ولاحت بهما رواعيه ... وكان
أملس الوجه ، رشيق التركيب ،
رحيب ما بين التكنين ؛ تلوح
على وجهه رفاة المدينة وعيشة
الحضر

ومنذ عشرين حولاً خلت
تحرر كورنى من ربة الجندية
وتعلق التجارة ؛ ولكن ما تلبث
أن غشى نفسه اللال ، فأخذ يربى

الماشية ترعى كلاً الضفاف وعشب المروج

وكان يدعوه « كورناشكا »

وكان كورنى يقيم « بجاي » في منزل تالذ
الطراز ، مهتم الشرف ، ومن حوله أم عجوز في
مغزب حياتها ، وزوجة شابة في ريعان صباها ،
وطفل وطفلة لم يتخطيا المهد ، ويتم فتى تربطه به

وكان للعم كازما عربة قديمة يجرها زوج من
الخيل الهزال الضامرة ، يثنى مقادتها كل يوم إلى
المحطة ، عله يعود من الركب برجل أو اثنين ...
وبهذا كان يقيم أوده ... ابتدره كورنى قائلاً :

لها جان صغير على رجع البصر ، فأمر كورنى العم
كازما أن يقف عنده حتى يستريحاً قليلاً ويريحاً
الجياذ اللاعبة ... فجذب كازما عنان الخيل ، ومضت
العجلات تتأقل فى دوراتها حتى همدت حركتها .
فهبط العم كازما يمرس أطرافه فى رخاوة وكسل ،
ومضى يرتب المقاعد ، وينسق الرصائع ، وينظم
أعنة الخيل

وقال كورنى :

— هل لك فى كأس من الخمر أيها العم كازما ؟
— لك الشكر يا سيدى

وجلسا يعبان الجام تلو الجام حتى أفضت الخمر
إلى مكن أسرار كازما فمضى يفيض ويسترسل فى
الحديث قائلاً :

إننى آسف لك أيها السيد كورنى ... كثيراً
والله ما صددت الألسن عن التشدق بك والخوض
فيك قائلاً للناس : « وما مقدمه يبعيد ؛ وسترون كيف
يفار على شرفه »

وكان كورنى يسمع إليه وهو متكئ اللون ،
متفرع القلب ؛ وأخيراً قال فى خفوت :

— ألا تريد أن تسقى الجياد ؟ إن كنت لا
تود فدعنا نرجل

ومضت العربية تريف فى خطرتها ، وتصل ما انقطع
من الطريق ... وأخيراً بلغ كورنى البلدة عند ما
ضربت الشمس جبين الأفق الغربى ... فغادر
العربة ، وهو نأثر الخاطر مجلان الخطو ، وما وج الباب
حتى قابله ائستينى بنفسه فحياه تحية فارة ثم صعد
الدرج فى تراخ وهينة

وقابلته زوجته فى نهاية الدرج مريحة باسمة ،
وقادته إلى غرفته حيث لحقت به والدته وهى عجوز رقيقة

— ألا تنقلنى معك إلى البلدة أيها العم كازما ؟

— نظير رويل إذا قبلت

— أظن أن فى سبعين كوبك الكفاية

فثنى الرجل هامته موافقاً وهو يسارقه النظر
الشزر ، فصعد كورنى فتطرح على المقعد الخلفى
للعربة ، وهو لاغب وهنان ، ثم قال :

— حسن ... يمكنك أن تسير الآن

فانطلقت بهما العربة فى طريق رصف ظليل ،
وغشى عليهما الصمت برهة ؛ وأخيراً قال كورنى :

— وكيف حال البلدة أيها العم كازما ؟

— على خير حال يا سيدى ... اللهم إلا ...
فقاطعه قائلاً :

— اللهم إلا ماذا ؟ أمانت العجوز ؟

— كلا يا سيدى ... إنها فى عافية صحيحة ...
وكذلك زوجتك الحسنة ... ولم يحدث شئ سوى
أنها استخدمت عاملاً جديداً يدعى « ائستينى »

وأرسل العم كازما ضحكة مرنة نزلت على كورنى
كالسم الوحى . فعند ما بنى كورنى بمارفا ، كانت
الألسن تتقول بذلك الاسم السالف بجانب اسمها ..
واسترسل كازما يقول :

— هكذا تسير الحياة ... إن أحداً لا يمكنه
أن يحد من حرية المرأة

— هكذا يقولون ! ...

ثم قال كورنى حائداً بمجرى الحديث :

— إن جوادك الكميث قد لحقه الكبر ...
وكذلك الأشهب

— لا بدع فى ذلك يا سيدى ... فهما كبسيدا
على شفا القبر

وبعد أن طوت المركبة زهاء نصف الطريق لاج

— إقستيني ... لا أذكر ... منذ أسبوعين
أو ثلاثة أسابيع
— أتعيشين معه ؟
فانهضت واقفة ، وقد تفرّج وجهها ، وتكفأ
لونها :
— أعيش مع إقستيني !... ما هذه الأفكار أيها
الرجل ؟ من قال لك ذلك ؟ من روى لك الكذب ؟
— إنني أسألك : أهذا صحيح أم لا ؟
« قالها وقد اربد وجهه »
— دع عنك هذه الأراجيف .. أأخام لك الحذاء ؟
— إنني أعيد السؤال على سمعك .. أهذا ...
فقاطعته :
— أهذه هي التحية التي تحملها الى ... من
أخبرك بهذا الكذب ؟
— ما الذي كنت تقولين له عند ما لمحتكما وأنا
أدعو العم كازما ؟
— ما الذي قلته ... قلت له أن يغير غطاء الخوان
— خبريني الحق ... وإلا قتلتك
وأخذه الغضب فجذبها من شعرها بقوة آلتها
— إنك لا تبني سوى الشجار ... يا الهي
كيف أخلص من تلك الحياة ؟
— كيف تخلصين من هذه الحياة ... ؟ قالها
وقد احتدم غضبه المتوقد
— أجل . لماذا تنازني بالألقاب ... وترميني
برميّاتك الباطلة ؟ ماذا أفيد من حياة كهذه ... ؟
ولم يدعها تم كلامها بل انقض عليها يوسعها
صفعاً وركلًا ، وهو كلما أغرق في ضربها أغرق
في حنقه وتقمته عليها ، وهي بين ذراعيه
تنخبط كالبطائر في القفص ، تتلقى لكاته بيديها ،

البدن سوداء العينين ، فرحبت به باسمه جذلة ، ثم
جاست تناقله الحديث وتجاذبه القول ، وهو نائر
شارد لا يناقشها القول ولا يراجعها العبارة .. ونجاة
تذكر العم كازما في الخارج ، فابتدر الباب ، وما كاد
يجذب مصراعه حتى لح زوجته وأقستيني يتها مسان
فمر بهما دون أن يثنى إليهما الطرف وخرج فدعا
كازما ليتناول معه الشاي فلبى دعوته

وجلس على المائدة كورني صامتاً معقود اللسان
الهم إلا كلمة قصيرة يحكي بها ضيفه ، وبسمة عارضة
يختطفها من شفثيه

وانفضت المائدة وانصرف كازما ، وعاد كورني
حزيناً واهياً ، فاستلق على مقعد طويل ، ووسد رأسه
كفيه ، وهو نائر النفس ، موزع المخاطر ... وكانت
تطرق أذنيه الفينة بعد الفينة تفتح وتغلق ، وأخيراً
ظهرت زوجته بالباب قائلة :

— يلوح لي أنك تعب ... فلم لا تستريح ؟
ثم يممت شطر الفراش فأضجعت ابنتها ... وصعد
الدم في وجه كورني وقد ذكر قول كازما « وما
مقدم كورني يبعيد ؟ وسترون كيف يغار على شرفه »
وجاش الغضب في صدره ، وانشعبت به الأفكار ...
وأخيراً رفع وجهه إلى زوجته وكانت مستغرقة في
صلاتها صادفة عما حولها

ثم قامت بعد برهة فتثنت على طفلتها في رفق
ولين قائلة لزوجها :

— إن « أجاشا » نائمة ... لقد أسبل الكرى
جفنيها وهي بين ذراعي

—

ثم سألها بعد برهة :

أيعمل إقستيني هنا منذ طويل ؟

— ٢ —

سبعة عشر حولاً تقضت

وكان الوقت خريفاً وشمس الطفل الغاربة تلمع
مطارفها المنضرة المذهبة عن المروج ، وقطيع
السيد أندريف في طريق العودة وهو ينقر الطريق
بأظلاله نقرات منتظمة رتيبة تثير فوقه من
النقع ما يلبد الجو ويغشي على العيون .. وكان يمشي
القطيع في المقدمة شيخ واهن أشيب الشعر تنوس
خصلاته الغزار على عطفه ، وعلى متنه حقيبة
عتيقة ؛ وكان القطيع قد جازه إلى النصف فبدت
راعيته الحسنة تحت الخطى في جنباته منتقلة
من جانب لجانب إلى أن بلغت ذلك الشيخ فحيتة في
عجلة وسأله في عطف : لعلك غريب عن الناحية
يا سيدي ... وأظنك في حاجة إلي مكان تقضي فيه
الليل ... فلا تقصد غير دارنا ... الثالثة من أقصى
البلدة ، وهناك كنتي وهي عجوز مثلك وستلقاك
بكل ترحيب

— الثالثة من أقصى البلدة ؟ أظنها دار

« زينوفيف »

— ومن أين عرفت ؟

— لقد كنت هناك

وأسرعت الفتاة إلى مؤخرة القطيع تستحث

حملاً صغيراً ذا ثلاثة أرجل ليلحق برفقته

أما الرجل الشيخ فقد كان كورني فاسيليف ،
وأما الراعية الحسنة فكانت ابنته أجاشا التي كسر
ذراعها من سبعة عشر عاماً وكانت قد تزوجت في

قرية صغيرة تبعد عن « جاني » قرابة أربعة أميال

وتحول كورني من ذلك الرجل ذي الحول

والطول والثراء ، إلى ذلك الرجل ذي الاطمار البالية

رتستدفع ذراعيه بذراعيها ... وبين ذلك تيقظت
الطفلة على الجلبة وهرعت إلى أمها ، فجمحت به
نوازي غضبه فرفعها ورمها في أقصى الغرفة بكل
ما وسعت قواه ، فأخذت الطفلة تصيح لحظة
أو لحظتين ، ثم تخافت بكاؤها وخذت أنفاسها

وأقبلت والدته العجوز تستطلع جلية الأمر وقد
تهدل شعرها الرمادي الجثل ، وهرعت إلى الطفلة
دون أن تتعلم الخبر من كورني وحملتها بين ذراعيها ،
وكان كورني جامداً في مكانه يتنفس في ثقل ، وقد
جهده الصراع ، وهد من قواه ، وصاحت العجوز :
— أنظر ماذا أنزلت بالطفلة ... لقد كسرت

ذراعها

لكن لم يبد على كورني أنه فهم شيئاً ، واستدار
على عقبه وخرج من الحجرة حتى بلغ ساحة الدار ،
وكان الظلام غاشياً على الكون ، والجليد يساقط
فيذوب على وجهه المتقد ، وطفق يأكل ما علق
بالسياج من الجليد كأنه يطق به لاهب حناياه وضارم
قلبه ... وكانت الريح ترد إليه من جهة المنزل أصداء
بكاء الطفلة فيخيل إليه أنها صادرة من أفق ناء عنه
وأخيراً هب كورني من مجلسه ودخل غرفته
فأسرج ثم أخذ يرتدي ثيابه . فلما فرغ منها انتقل
إلى الغرفة الأخرى ، فأيقظ الغلام اليتيم ليسرج
له الفرس

وكان الفجر قد أفصح عند ما امتطى كورني
صهوة فرسه ومضى في الطريق الذي جاء منه أمس
في صحبة كازما

وبلغ كورني المحطة قبل تحرك القطار بضع
دقائق ، فارتقى لاغياً على مقعد العربدة ، ثم صفر
القطار وتحرك ، ثم غاب ... فغاب معه كورني

وأهزلته وتولته الأناة في سيره وسراه ، حتى بلغ في أسبوعين المكان الذي قابل فيه ابنته دون أن يتعرف عليها

— ٣ —

وفعل الشيخ كما قالت له الفتاة فمضى إلى المنزل وسأل أهله عما إذا كان هناك ما يحول دون قضاء سواد ليله في ضيافتهم فرحبوا به وأنزلوه على الرحب والسعة ... وقالت له ربة البيت العجوز :
— إنك وشيك أن تتجمد أيها الشيخ ...
فها هو ذاك الموقد أمامك

ورحب به زوج أجاشا الشاب وكان يسرج المصباح في ركن الغرفة ؛ وطفق الشيخ يخلع ثيابه المنادة ليجففها ، وبعد برهة أقبلت أجاشا فسألت عن الشيخ قائلة :

— أورد عليكم شيخ غريب ؟

— ها هو ذا

وكان كورني جالساً قبالة المدفأة يمس أطرافه المرضوضة وييسط أنمله فوق النار . ولما حل موعد الشاي دعوه فلبى ، وجلس على طرف المقعد ، وأخذوا يتساجلون الحديث عن الجو والزراعة والقمح الذي استأنوا في حصاده لجفاف الجو

وخرج كورني من صمته قائلاً : إنه مر في طريقه بكثير من المزارع المبكرة الحصاد ... والتفت فجأة إلى الفتاة قائلاً :

— ماذا أصاب ذراعك ... لماذا لا تحر كينها ؟

فتولت عنها ربة البيت الجواب قائلة :

— إنها كسرت ولم تزل وليدة في المهد

— ولكن لماذا ؟

— كان والدها رجلاً من أثرياء جاني يدعى

والأعصاب الواهية ، والجسم الهازل الوهتان ، وهو كلما أمعن في السقم أمعن في التثبث والتيقن أن زوجته هي التي جرت عليه ذلك العذاب الأليم المقيم ففي ذلك المساء الذي نشب فيه الخلاف بينه وبين زوجته وخرج هائماً على وجهه مرّاً في طريقه بذلك الرقيق صاحب الأرض المبيعة ، فعلم منه أنه تم بيعها لآخر ، فقصده إلى موسكو وهناك استباه الشراب وأصابه ، فتلبث يعاقر الخمر ليل نهار حتى علقتة وعلقها ... ثم ابتاع قطعاً من الغنم ولكنه هلك عن آخره ، وأتبعه بآخر ولكن جده تعثر به هذه المرة أيضاً ، فلم يبق في يده من الثلاثة الآلاف رويل إلا خمسة وعشرون

وتلمس كورني طريق العمل فاشتغل كاتباً في مزرعة ، ولكن الخمر استلبت عقله فلم تدعه في عمله طويلاً ... وانتقلت به الحال من سيء إلى أسوأ ... فاشتغل راعياً ولكن طالعه المأثر لزمه هنا أيضاً فنفق القطيع عن آخره لداء انتابه ... ولم يكن لكورني ذنب في ذلك ولكن صاحب القطيع جمح به الغضب فطرده من عمله هو والكاتب

وأخذ كورني يطوف بالبلاد بائعاً متجولاً حتى انتابته حمى مستعصية وهي لها جسمه ووهنت أطرافه ، وليس ثمة معين له أو مقيل في غربته ... فقر به العزم أن يصل السير إلى موطنه عسى أن يكون الموت قد أودى بزوجه فيعيش بجانب ولده ما تبقى من العمر . ومضى يقول لنفسه :

— عليها قضت نحبها الآن ... فإن لم تكن

فسأمنى لأخبرها ما ذا جرّت عليّ من البلا والهوان

واشتدت عليه الحمى في الطريق فأضوته

— ٤ —

وأفصح فجر اليوم التالي عن صباح مائع من
أصباح الخريف فتتقظ كورني وجمع متاعه وعم شطر
الباب فلحقت به ربة البيت قائلة في دهش :

— أما تنتظر الإفطار ؟

— يحفظك الله ... يجب أن أذهب الآن

— إذن لاتنس أن تمر علينا في طريق عودتك
فتمتم شاكرًا ثم مضى في سبيله إلى بلدته ،
وكانت عواصف الخريف قد تنهت من غفلتها ،
وهبت من رقتها ، فعصفت بأسماله ، وغشيت على
عينيه ؛ ولكنه كان يعلم الطريق جيداً ، فأخذ يتبعه
دوحة بعد دوحة ، ونهجاً تلو نهج ، وأخيراً بلغ
البلدة فإذا كل شيء فيها كما هو العهد به ، إلا
القليل من مبانيها الذي خر من عمده ، وتداعى
من أواسيه

وأدناه السير إلى داره ، فإذا بها على حالها لم
يعبث بها البلى ... وعلى حين اقترابه منها فتح الباب
فجأة ، وخرجت منها فرس صغيرة في قرابة الثالثة
من عمرها فادكر كورني فرسه التي شيعته إلى
المحطة في سفره ، فقال محدثاً نفسه :

— لا بد أن تكون تلك ابنتها ... ففيها من

أما شبه في صدرها الرhib وقوائمها الدقاق ...
وكان يتولى مقادة الخيل إلى شملها غلام أسود
العينين هازل الجسم

— إنه حفيدي ولا شك ففيه من ولدي عيناه

السوداوان

وأخذ كورني يصعد الدرج في هواة وتودة
حتى بلغ الدرجة التي جلس عليها ليلة أن برح
البلدة ، وإذا ذاك طرق أذنيه صوت امرأة تصيح :

كورني فاسيليف ، كان في عيش رغد مع زوجته
ولكنهما اشتجرا ذات يوم ... فجنيا على طفلهما
المسكينة ...

وارتجفت يد كورني بكوبة الشاي فأراق نصفها
قبل أن تصل يده إلى المنضدة ليضعها

— ولكن لماذا فعل ذلك ؟

— من يعلم ؟ كثيراً ما تدور الإشاعات الباطلة
حولنا نحن النساء ... يقال إن سبب الخلاف أنها
استخدمت عاملاً جديداً من بلدتنا هذه ، وقد
مات بعد ذلك بسنين قلائل ... وسأل كورني
في ذهول :

— مات ؟!

— منذ أمد طويل ... لقد كانت العائلة في
خفض من العيش عند ما كان عائلها حياً
— أمات هو أيضاً ؟

— نرجح ذلك ... فقد اختفى من زهاء خمسة
عشر عاماً . فقاطعتها أجاشا :

— أظن أن عهد اختفائه أبعد من ذلك ...
فقد أخبرتني والدتي أنه اختفى ولم أزل في الرضاع
فقال كورني :

— أنت نائمة عليه لأنه كسر ذراعك ؟

— وكيف أقيم عليه ... ؟ إنه أبي قبل كل
شيء ... أأصب لك قليلاً من الشاي ؟

ولكن كورني كان مستغرقاً في صمته تتابع
أنفاسه . فسألته :

— ماذا طراً عليك أيها الشيخ ؟

— لا شيء ... يحفظك الله

وقام الشيخ يتحامل على نفسه ، ويتساند إلى
الحائط حتى بلغ الموقد فجلس تجاهه صامتاً

— لحظة أيها الشيخ ... ثم ارتد إلى المنزل وتلبث كورنى فى مكانه مثنى العنق ، مسنداً إلى الحائط ، متهدل الجسم ، وقد خفت وجيبه وعادته الضعف ... وخرج إليه بعد برهة شاب تلوح فى محياه الدلة ... عرف فيه ذلك اليتيم الذى كان يكفله ... وتقدم إليه الشاب يضع لقيمت خافة ، فأخذها كورنى من يديه وهو يعالج حبس دموعه التى نددت وجهه

واستدار كورنى وأخذ ينزل من الدرج ماصعد ، وهو يتكفأ ويساقط فى خطاه ... ومضى فى سبيله حزيناً واهنا

وتلبثت مارفا تسارقه النظر من خلف سجاجيد النافذة حتى غاب فى منعطف الطريق ... وعطفها الذكريات إلى الماضى فذكرت كورنى الشاب الذى ودها وودته ... إنها ما كان لها أن تلقاه فى هذا الجفاء بعد غيبة طويلة ... وتشعبت بها الأفكار ونالت عليها فضت تنفضها عنها بالتلهى بالعمل — ٥ —

وبلغ كورنى دار ابنته بعد لآى وجهه فقالت له : — إنك لم تذهب بعيداً ياسيدي — لم أستطع .. فقد وهنت قواى .. سأرجع أدراجى .. أيمكننى أن أقضى الليل هنا ؟ — بكل سرور

وقضى كورنى ليلته فى صراع الحى ، ساهد الجفن ، نابى المضجع ، حتى وضح النهار وغدا كل إلى عمله ، ونظر فإذا أجاشا تعد الخبز على غير بعيد منه فنادها فى عطف فأجابت :

— لحظة واحدة ياسيدي ... أتريد شيئاً ؟ ولكنه لم يجب ، وأقبلت إليه ، وكان متطرحاً على ظهره ، فقال دون أن يرفع إليها الطرف

ومن هذا الشحاذ المتجربى على الصعود إلى الدار دون أن يسأل ؟ وعرف فى الصوت صوت امرأته ... ونظر فإذا على مرمى طرفه امرأة ضامرة عجوز ... وكان كورنى يتوقع أن يرى امرأته فيما كانت عليه من جمال وزهرة ، فإذا به حيال امرأة قد خدش وجهها ظفر الزمان .. وصاحت المرأة : — لاشئ عندنا ... يمكنك أن تأكل النافذة إذا شئت

— إننى لم أقدم لأسألك شيئاً — ما الذى تريده إذن ؟ وتوقفت فجأة عن الحديث وتبدى فى وجهها كأنها عرفته

— إن هناك كثيراً من السائلين أمثالك ... يحومون حول القرية كل صباح فاذهب ... اذهب ! وتداعت أطراف كورنى فتساند إلى الحائط وقد بهت لونه ووجف قلبه وقال فى خفوت :

— مارفا ... لم يبق لنا من الحياة إلا شطر قليل — أرجوك أن تذهب ... اذهب — أليس عندك مزيد من القول ؟ — كلا ... ليس عندي مزيد ... فاذهب لشأنك

وبخطى وئيدة تدافعت إلى الخلف وغلقت عليها الباب ، وفى هذه اللحظة ارتفع صوت رجل من الداخل يقول :

— لماذا تطردى الشيخ ؟ وبرز من الباب شاب قارع القامة ، مستقيم العود أسود العينين ... كان يلوح كأنه كورنى من أربعين حولاً خلت ... ولم يكن ذلك الشاب إلا ولده « فيدكا » الذى خلفه من سبعة عشر عاماً وليداً فى المهد ... قال الشاب :

فأطفأت الشمعة ، ونشرت على وجهه غطاء أبيض

وقضت « مارفا » الليل لا يغمض لها جفن ولا يقر بها مضجع . فلما انحسر الليل عن جبين النهار تأزرت وخرجت تبحث عن ذلك الغريب ، فلما بلغ منها السعي ، علمت أنه آوى إلى منزل « أندريف » فیممت شطره ومضت تقول لنفسها في الطريق فليصفح كل منا عن الآخر ، وليقض ما بقي من العمر في جوار ولده

ولما تدانف مارفا من المنزل رأت جمعا من الناس قد تحشد على الباب وهم يتخافتون بينهم أن كورنى فاسيليف ، ذلك الرجل الثرى الذى غادر القرية من سبعة عشر عاماً ، يسلم أنفاسه فقيراً في منزل ابنته وأقبلت مارفا على المنزل ، فأفسح القوم لها الطريق ولكنها لم تكد تتوسط الدار ، حتى وقع نظرها على جثمان كورنى ممدداً جامداً

إنها وردت مستأنية مبطئة لتسأله الصفح أترى صفح عنها ... وخفضت نظرها إلى وجهه تتلمس في قسامته جواب سؤالها ... ولكن وجهه كان أملس لا يماسك عليه إيجاب ولا سلب القاهرة . « قمتى »

— أجاشا ... لقد حانت منيتى ... فبحق السماء

أسألك الصفح عني

— صفح الله عنك يا سيدى ... ولكنك لم تفعل ما يستوجب الصفح فاستدمع الشيخ ثم قال — بل هناك ما يستوجب ذلك ... إذهبي إلى والدتك ... وقولى لها ... وقولى لها ... إن ذلك ... الغريب ... إن ذلك ... الغريب

وأخذ الشيخ ينشج ، فقالت ابنته :

— إذن لقد ذهبت إلى دارنا أمس

— أجل ... قولى لها ... واستجمع الشيخ

ما تشتت من قواه ، ثم قال :

— إن ذلك الغريب قد أتى يستودعك الله

وأخذ الشيخ يبحث في جيوبه بيده الراجفة فسألته :

— عم تبحث يا سيدى ؟

ولكنه كان مستعبراً واجماً فلم يجب ... وأخرج من جيبه بطاقة صفراء صغيرة قدمها إليها قائلاً :

— أعطيها هذه إذا سألت عن ذلك الغريب ...

إنها بطاقة الجندية ...

ثم غارت عينا الشيخ ، واصفار وجهه ، وهمس إليها قائلاً :

— أعطينى شمعة

فتناولت قطعة من الشمع وأوقدتها وأعطتها للشيخ وهي تكاد تسقط من التأثير ... ثم ذهبت لتحفظ البطاقة

... وعادت أجاشا فإذا الشيخ جامد في مكانه وقد جمدت عيناه ، وتصلب عوده ، ويست يده على الشمعة فناده ... ولكنه كان قد أسلم الروح ...

كتابان جديدان
الموجز في المباحثات

لها غير كتابه يعلمانك الفرنسية بنفسه

سأعان جميع المكاتب عن كل منهما مجلدات

بعد ، وكنا نطيل التردد متلهسين في الحيرة لذة
جديدة ونحن مكبان على الرسوم يصدم جنبي جنبها
ويطوق ذراعي خصرها ، فتسألني وأسألها عن مكان
عزلتنا ، وعما سنفعل في حياتنا الجديدة

بأى بيان أوضح ما كان يخالجنى من ندم على
ما فات عند ما كنت أرفع رأسي متأملاً في هذا
الوجه الشاحب الحامل آثار الآلام الماضية ، وقد
أنارته ابتسامة الأمل . وكنت أنصت إلى كلماتها العذبة
تصور ما ستكون عليه فأتمنى أن أريق دمي فداء لها
أى أحلام المنى ! لعلك أصدق سعادة تتمتع بها
في هذه الحياة .

ومضت سبعة أيام ونحن نفتش عن مأوى لنا
وتشجول في المدينة لا بتياع ما نحتاجه لتزيينه ؛ وفي
اليوم الثامن طرق بابنا شاب لا أعرفه يحمل رسائل
لبريجيت ، وبعد أن قابلها وانصرف رأيتها حزينة
واهية القوى ، وما عرفت عن هذه المقابلة سوى أن
الرسائل واردة من المدينة التي كنت تبعث بريجات
إليها لأمل لها غرامى حيث يقطن أقرباؤها

وأعددنا في زمن وجيز كل ما احتجنا إليه ،
فأصبحت مأخوذاً بفكرة الرحيل ، وقد تولاني منها
تمثل منع كل راحة عني ، فكنت أنهض من فراشي
مبكراً وأدخل إلى غرفة بريجيت ماشياً على رؤوس
أصابعي متحاشياً إيقاظها لأجثو أمام سريرها ، حتى
إذا أفاقت رأيتني شاخصاً إليها ، وقد بللت أجفاني
الدموع ؛ وما كنت أدري أية وسيلة أتخذ لأثبت
لها إخلاصى في ندامتى ؛ فتجاوزت حدود الأعمال
الجنونية التي لامستها في غرامى الأول ، وأصبحت
أستوحى غرامى الجامح كل عمل يتجه إلى الشطط
والإفراط ؛ فتحول عشقى إلى نوع من العبادة ،
(٧)

من أعماق النفوس



استغفارت في العصور

للأفندي موسى

بتم الاستاذ فليكن فارس

الجزء الخامس

الفصل الأول

قدمنا إلى باريس مصممين على الرحيل منها إلى
سفر بعيد . فأقمنا في منزل خاص لنعد ما نحتاج
إليه ، وكان تصميمنا على مغادرة فرنسا بدّل كل
شئ في نظرنا فعاد إلينا الفرح والأمل والثقة مرة
واحدة ، وتبدد الحزن من حولنا ، وقضت فكرة
الانتقال القريب على كل مشاكسة وجدال

واستغرقنا في أحلام سعادتنا وأصبحت لا أنقطع
عن ترديد أغلظ الأقسام بأننى لن أتحوّل عن حبي
ما عشت موجهاً كل عنايتى إلى إنساء خليلتى كل
ما حملتها من شقاء وأوصاب . وما اكتفت بريجيت
بأنى عفوها ، بل أظهرت أنها لا تتردد في تضحية
كل ما عزّز للحاق بي ؛ وهكذا رأيتني مدفوعاً
بدافع الإنصاف إلى مبادلتها إخلاصها بمثلها ، فتغلب
حبي لبريجيت وإعجابي بها على ما بقلبي من جامع
الزعات

وانحنت يوماً على (الخريطة) مفتشة عن مكان
تتوارى فيه ، وما كان وقع اختيارنا على مكان موافق

إخلاصى ، وأن صفاء نيتى قد نشأ من مجالستها وصبرها
فما وسعها إنكار العلول والعلة لا ريب فيها
وكانت الحوائج ومجموعات الصور والأفلام
والكتب والرزم تملأ الغرفة وقد نشرت عليها
الخريطة التى استولت على كل جوارحنا . وكنت
أذهب وأجىء فى هذه الغرفة لأقف أمام بريجيت
وأنظر على أقدامها فتصفى بالكسل وتقول إنها
لا تجد بداً من القيام لوحدها بالأعمال جميعها ما دمت
أنا لا أنفع لشيء

وبينما كانت ترتب الحقائق وتقفلهما كان الحديث
لا ينقطع بيننا عما ننويه لسفرنا ، فكنا نقول إن
سيليسيا على بعدها معتدلة الجوف فى فصل الشتاء .
إن جنوا جد رائعة بما وراءها من جبال وما فيها
من حدائق انبسط الاخضرار على أعراشها ولكنها
مكتظة بالناس ، يملأها الصخب ، ويقلقها الضجيج ؛
وإذا مرَّ فى أسواقها ثلاثة رجال فلا بد أن يكون
فيهم راهب وجندى . إن فلورنسا حزينه ولا تزال
معرضاً لحياة القرون الوسطى فكيف نحتمل مشاهدة
نوافذها المحترقة وجدرانها القذرة ؟

أما روما فما شأننا بها وما نحن من السائحين
الذين يتوقون إلى الغرائب أو يطلبون العلم ؟
أما يجدر بنا أن نذهب إلى ضفاف الين ؟
ولكننا لن نصل إليها إلا بعد انقضاء الموسم ،
ويصعب على الانسان أن يقيم فى الأماكن المهجورة
أما أسبانيا فحركاتها مستمرة وعلى مراتبها أن
يعيش فيها كما يكون فى ساحة حرب فيتوقع مصادفة
كل شيء ما عدا الراحة

لنذهب إذن إلى سويسرا مقصد العدد الغفير
وإن لم ترق لبعض الناس ، فهناك يتجلى أروع

فكنت كلما دنوت منها أنسى أننى مالكتها منذ ستة
أشهر ، ويخيل إلى أننى أراها لأول مرة فأكد لا
أجسر على لمس أدرانها وهى من حملتها من فظاظتى
مالا يحتمل . فإذا تكلمت ارتعشت كأننى أسمع
دوتها لأول مرة ، ويدفعنى الهوس إلى الارتقاء على
أقدامها منتحباً ، أو إلى الاستغراق فى الضحك دون
ما سبب . وكنت إذا ما تذكرت معاملتى الماضية
أشعر بأشمزاز وأود لو أن على وجه الأرض هيكلاً
للحب أذهب إليه فأعتمد فى مأه المقدس ، وأرتدى
مسوحه فلا أدخلها إلى الأبد

ومثلت لخيالى اللوحة التى رسم فيها تيتان مشهد
الحوارى توما يمس بأصبعه جرح المسيح فرأيتنى
أشبه هذا الحوارى إذا صح وجه الشبه بين حب
الانسان وإيمانه بربه ! إن فى ملامح توما وهو يسبر
الجرح ما يصعب تحديده من عاطفة تتراوح بين
الشك والايمان فتلوح لك كلمة التجديف الحائرة
كأنها تذوب على شففى الحوارى ، وقد ارتفعت
منهما كلمة الصلاة ، فلا تعلم أجاهد هو أم رسول ؟
ولا تدري إذا كان بلغ فى ندمه ما بلغه من كفره .
ولعل هذا الحوارى نفسه لم يدرك كما لم يدرك الرسام
ولم يدرك الناظر إلى الرسم هذا السر الغامض الذى
ترف عليه من الخلف ابتسامة كأنها النماح الندي
تحت شعاع الرحمة والحنان

وما كنت أقف أمام بريجيت إلا مثل وقفة
الحوارى توما ، وقد حكمنى الصمت وتولتى الدهشة
فأرتجف فرقاً خشية أن يكون ما تبدل من حالى
قد دفع بسريرتها إلى الارتباب بى ، ولكن ما مرت
عائنا خمسة عشر يوماً حتى نفدت بصيرة بريجيت إلى
ما يدور فى خلدى فأيقنت أنها استنبتت باخلاصها

ما خلق الله من الألوان : هنالك زرقة السماء وخضرة
السهول وبياض القمم العالية

وصاحت بريجيت : هيا بنا ! لنظر كغردين في
الأجواء ، وليقم في ذهننا أننا لم نلتق إلا منذ أمس
الدابر في أحد المراقص فأعجبت بك وأعجبت بي .
ولسوف تقصّ على بعد أن نبتعد أميالا أنك في
القرى الصغيرة عشقت امرأة تدعى مدام بيارسون
فلا أصدق شيئاً مما ستسرده عنها إذ لا أريد أن
تسرّ إلى بما وقع بينك وبين امرأة هجرتها لتبغني .
ولسوف أقول لك أنا أيضاً إنني منذ أمد غير بعيد
أحببت رجلاً ذا أخلاق سيئة حملت الشقاء من صحبته
فتسمعي كلمات الاشفاق وتلزمي السكوت ، وهكذا
نطوي إلى الأبد تلك الصفحة القديمة

وعند ما كانت بريجيت تتكلم بمثل هذا كنت
أشعر بجشع الحريص وارتباعه ، فأضمتها إلى صدري
بساعدين يرتجفان ، وأنا أهتف قائلاً إنني لا أعلم
ما يوجب ارتعاشي أفرحى أم خوفي ؟ سأحملك إلى
بعيد يا بريجيت ، لأنك كنزى الوحيد فتكونين لي
تحت هذه الآفاق الوسيعة . هيا إلى الأمام ولتمت
ورأى أيام شبابي وتذكاراتي فتضمحل معها آلامنا
وأوصابنا

أي خليلتي لقد حوّلت بصبرك الولد رجلاً
فاذا ما تخليت عني الآن يمتنع عليّ أن أحب بعد
من يدرى ؟ لعل امرأة غيرك كانت ستتولى
معالجتي لو لم تعثرني عليّ . أما الآن فأنت وحدك في
العالم المرأة التي يسدها إنقاذي وهلاكى لأنني أحمل
على قلبي موسم جميع ما حملتك إياه من عذاب . لقد
كنت عاقاً فعميت بصيرتي وقسوت عليك ، وإنني

أشكر الله لأنك لا تزالين تحبينني ، فاذا ما عدت
يوماً إلى القرية التي رأيتك تحت أشجارها فتطلي
ملياً إلى ذلك المسكن المقفر ، إنك لو اجدت فيه طيفاً
يتوه في أرجائه ، ذلك هو الرجل الذي دخل إليك
من باب هذا المسكن فبقى فيه ، لأن الرجل الذي
خرج معك منه إنما هو رجل آخر .

وكان جين بريجيت يشع بنور الحب ، وتلفتت
إلى السماء قائلة : أصبح أنى لك وأنا سنبتعد عن
هذا العالم الذي أهرمك في شرخ شبابك . إنك
ستعرف ما هو الحب فتنجلي أماً حقيقة نفسك ؛
وإذا وهنت محبتك لي يوماً أيا ن يستقر بي الترحال
فإنك لن تملص من تبكيت ضميرك لأنى أكون
قمت بالمهمة التي قدرت عليّ ؛ فاذا ما تخليت عني أجد
في السماء إلهاً أوجه إليه شكرى على ما أولاني
من نعمته .

إن هذه الكلمات لم تزل تصدو في جوانب
تذكاري فتملأني حزناً وروعة .

وأخيراً قررنا أن نساfer إلى « جنيف » فنختار
لنا مسكناً هادئاً على منحدر جبال « الألب » فبدأت
بريجيت تذكر البحيرة الجميلة فأحسبني أنشق النسمات
التي تعقد زرداً على سطحها حاملة عطور أزهار
الوادي ، فكنا نشاهد بعين الخيال « لوران »
و « فيفي » و « أويلن » ووراءها قم الجبل الوردى
الذي يفصلها عن سهول « لومباردى » الواسعة ،
فكأننا كنا نسمع في هذه الأماكن هتاف
السكينة وهمسات أرواح العزلة تدعونا إليها لاغراق
حياتنا فيها

وعند ما كان يحين المساء وأربت على أنامل

عليه . وأمضيت يوماً كاملاً في التوسل إليها ذاهباً
في ظنوني كل مذهب حتى عيل صبري ، فطفرت إلى
الشارع تأمها ولا وجهة أقصدها ، حتى إذا وصلت
إلى الأوبرا اعترضني شخص عارضاً على تذكرة دخول
فأخذتها منه ودخلت المسرح وأنا لا أعي

جلست مشرد الفكر لا يسترعي نظري شيء ،
فقد كانت بصيرتي المستغرقة في ذاتها تموء على بصرى
فتمحو كل مرأى حولي وقد انصبت على فكرة
واحدة كلما زدتها إمعاناً ازدادت غموضاً وإبهاماً

ما هو هذا الحائل الذي انتصب فجأة على سبيل
آمالنا فتعثرت به وتبددت ؟ إذا كان هنالك كارثة
من فقد ثروة أو موت صديق فما يدعو مثل هذا إلى
التكتم والاصرار على السكوت . إن بريجيت
لم تدخر وسعاً لتحقيق أمانيها فما يكون هذا السر
الذي يذرو سعادتنا هباء ولا يسمعون إعلانة ؟

أصبح أن بريجيت توصل سريرتها دوني ؟
ما الذي يدعوها إلى كتمان أمرها إذا كان لها من
حزنها أو تردداتها أو غضبها ما يوجب إرجاء رحيلها
أو العدول عنه ؟

وما كان قلبي وهو السادر في هواه ليخامر
ريب في إخلاص بريجيت فإذا لاح لي فكرة
تستدعي لومها ردها هذا القلب متمرداً بعد أن رأى
من ثباتها وولائها ما رأى . وهكذا وجدتني تأمها
في وهاد أظلمت آفاقها وخفيت عني مخارجها

ولاح لي على أحد المقاعد المقابلة شاب لم تغرب
سياؤه عن تذكري ، فحدقت فيه وشروذ فكري
يحول دون تحديدي لشخصه وقرن هيئته باسمه .

بريجيت بأنامل كنا نشعر كلانا بشيء من التسامي
يقصر البيان عنه ، وما هو إلا عاطفة كل قلب يستعد
للرحيل ، فتتنازعه روعة الابتعاد وآمال ما يتوقع
مشاهدته في سفره

إن في فكر الانسان أجنحة خافقة وأوتاراً
ناطقة تمثل الألوهية فيه ، فإذا ما استعد للرحيل ينتصب
فيه عالم جديد كأنه خلق فيه خلقاً

وما عثم حتى ظهرت على بريجيت دلائل
الشحوب فأصبحت صامته تحني دائماً رأسها ، وإذا
ما سألتها عما بها تجيب في صوت خافت أنها لا تشعر
بشيء . ونهتها يوماً إلى قرب ميعد السفر فهضت
متخاذلة لتتمم معدات الرحيل ؛ وأردت أن أشدد
عزمها بتأكيد لها أنها ستلقى السعادة وأنني
سأكرس لها حياتي فلجأت إلى ذرف الدموع ،
وقبلتها فعلا وجهها الشحوب وأعرضت بعينها عني
تاركة شفتيها لشفتي ، وقلت لها إن بوسعها العدول
عن الرحيل فقطبت حاجبيها

ودعوتها إلى إعلان ماتضر مكرراً لها أقسامي
بأنني سأضحي بحياتي لتأمين سعادتها فارتمت على عنقي
غير أنها لم تلبث حتى دفعتني عنها وهي لا تني

ودخلت يوماً إلى غرفتها حاملاً ورقة السفر
بالعربة التي تتجه إلى « بزانشون » وإذا اقتربت منها
واضعاً هذه الورقة على ركبتيها رفعت ساعديها
وصرخت ثم سقطت مغشى عليها على قدمي

الفصل الثاني

وحاولت عبثاً معرفة ما دعا بريجيت إلى هذا
الانقلاب الفجائي ، فكانت تصر على السكوت وهي

الانسان الأدبار أمام من يسير نحوه . وما كان في المشى أحد سوانا عند ما اتجهت إليه فلا ريب إذن في أنه تهرّب من مقابلتي

وما خطر لي قط أن هذا الشاب تعمّد إهانتى بما فعل لأنه كان يزورنا كل يوم فألقاه بالترحيب فضلاً عن أنه كان بسيطاً متواضعاً وليس في خلقه شيء مما يبرر الظن بسوء قصده فهو إذن أراد التخلص من محادثة رآها مرهقة له . وهكذا قادنى التفكير إلى اضطراب أشد إذ تحققت وجود علاقة لاريب فيها بين تهرّب هذا الشاب وإصرار بريجيت على السكوت

ليس في العالم عذاب أشد على الانسان من الارتياب . ولكم تعرضت للمصائب في حياتى لأننى ملت إلى الشكوك فاستبقت الحادثات

وعدت إلى المسكن فرأيت بريجيت مشغولة بقراءة هذه الرسائل المشؤومة ؛ فقلت لها إننى علت صبراً فلن أطيق بعد الآن بقاء في هذا المأزق الذى يبلبل أفكارى ، وأعلنت لها إصرارى على معرفة ما أدى بها إلى هذا التبدل قائلاً : إنها إذا استعمرت على الصمت أعتبر صمتها كرفض صريح للرحيل منى بل كأمر تصدره إلى بالافتراق عنها إلى الأبد

فما وسع بريجيت تجاه هذه المهاجمة إلا أن تسلمنى — ودلائل الامتناع بادية على محياها —

إحدى تلك الرسائل ، فإذا أقرباؤها يقولون فيها إن رحيلها سيصمها بالعار ، إذ لا يجهل أحد ما دعاها إليه ، وأنهم يجدون من واجهم تذكيرها بسوء مصيرها لأنها تعيش منى تكليلة . وأن عليها وإن

وبعد شخوص مديد عرفت فجأة أنه الشاب الذى حمل إلى بريجيت الرسائل من مدينة « ن » حيث يقيم أنسابوها ، فنهضت مسرعاً دون تروى قاصداً مخاطبته ولكننى رأيت أن لا بد لى من اجتياز عدد وفير من المقاعد للوصول إليه فاضطرت إلى الانتظار ريثما ينزل الستار . وخطر لي أن هذا الشاب دون سواء يمكنه أن يرسل نوراً على ظلمات شكوكى لأنه قابل مدام بيارسون مراراً عديدة منذ أيام ، وكنت أراها بعد كل مقابلة معه حزينة قلقة وكانت قابلته في صبيحة يوم اعتلاها . وما أطلعتنى بريجيت على الرسائل التى وردت إليها فقد يكون هذا الشاب إذن عارفاً بالسبب الذى دعا إلى تأخير رحيلنا وإذا كان لا يعرف هذا السبب فهو على الأقل يعلم ما تضمنت الرسائل . وكنت أرى في اطلاع هذا الشاب على أمورنا ما يجرتنى على استجوابه ، لذلك سرنى الالتقاء به ، وما أسدل ستار المسرح حتى سارعت إلى اللحاق به في المشى ؛ ولكنه اندفع دون أن أعلم إذا كان رآنى أم لا ، وتوارى في إحدى الشرفات فوقفت أنتظر خروجه ربع ساعة حتى إذا فتح الباب رأيته خارجاً فهرعت نحوه رافعاً يدي بالسلام ولكنه بعد أن مشى بضع خطوات متردداً أدار ظهره فجأة وانحدر على أحد السلام واختفى .

وما كانت حركتى لتخفى على هذا الشاب فقد أدرك ولا ريب أننى قصدت مخاطبته ، فهو إذن قد أراد اجتناب هذه المخاطبة ، وما كان له أن ينسى هيتنى ، وهب أنه لم يعرفنى فليس من المألوف أن يولى

طاقة لي على السفر وأنا على هذه الحال فلا أنتظر
إلا الشفاء ، أو على الأقل استعادة بعض القوى
لأذهب معك إلى جنيف كما تم اتفاقنا

وافترقنا بعد هذه الحادثة وفي قلبي من برودة
لهجتها من الحزن ما لم أكن لأشعر بمثله لو أنها
أعلنت أنها لن ترحل معي

وما كانت هذه المرة الأولى التي حاول بها الناس
بمثل هذه النصائح أن يفرقوا بيننا . غير أن بريجيت
ما كانت من قبل لتأبه لمثل هذه المحاولات ، لذلك
صعب على التصديق بأن هذه الرسائل وحدها قد
أثرت فيها هذا التأثير في حين أن ما انطوت عليه
من نصائح كانت قد بذلت لها من قبل أيام لم تكن
بلغنا السعادة التي توصلنا إليها أخيراً . ووقفت
أحاسب نفسي لأعلم إذا كنت أتيت في باريس أموراً
توجب إدانتى . ثم تساءلت عما إذا كان السبب في
هذا الانقلاب ما يطرأ على النساء من ضعف عند
ما يقررن اقتحام أمر فلا يجسرن على تنفيذه ، أم
إن هنالك ما يدعو الإباحيون آخر مقاومة للعقائد
الموروثة ، ولكن بريجيت كانت قد أمضت ثمانية
أيام لا تنى خلالها عن التكلم عن أحلامها وعن
حياتها المقبلة بكل صراحة وبكل إخلاص حتى أنها
أصرت على الرحيل بالرغم مني فلا بد إذن من وجود
سر في الأمر ، ولكن أين السبيل إلى النفوذ إليه إذا
كنت لا أتلقى جواباً على ما أوجهه إلى بريجيت من
سؤال إلا على شكل لا يتفق والحقيقة ؟ وما كان
بوسعي أن أكذبها طالبا منها إيراد جوابها
بشكل آخر

كانت حرة في تصرفها كأرملة أن تحافظ على سمعتها
وشرف الاسم الذي تحمله ، فإذا هي تبادت في غيها
فلا عتب لها عليهم وعلى جميع أصدقائها إذا هم قطعوا
كل علاقة بها . وقد اختتم هؤلاء الأقرباء رسالتهم
بإسداها النصيح للرجوع إلى بلادها

آلمتني لهجة هذه الرسالة فلاح لي لأول وهلة
أنها لا تتضمن إلا إهانات وتقريعات . فقلت لبريجيت
لأرب في أن الشاب الذي حمل إليك هذه الرسائل
قد كُلف أيضاً بترديد ماورد فيها على مسامعك
فهل تنكرين أنه يقوم بهذه المهمة ؟

ورجعت إلى الصواب كاسراً من حدة غضبي
أمام بؤادر الحزن التي ظهرت على وجه بريجيت
وهي تقول : لك أن تفعل ما تشاء إلى أن تقضى على
إن حظي من الحياة بين يديك وأنت سيد هذه
الحياة منذ زمان بعيد وبوسعك أن تعد ما يحلو لك
من انتقام تجاه هذه الجهود التي يبذلها أصدقائي
القدماء بدعوتهم لي إلى سواء السبيل وبمحاولتهم
إرجاعي إلى حظيرة المجتمع الذي كنت أحترمه من
قبل والشرف الذي تعريت منه . ليس لي ما أقوله
لك ، ولك إذا شئت أن تملّي على جوابي على هذه
الرسائل فأصنع بأمرك

فقلت لها : إنني لا أطلب سوى معرفة ما تقصدين
ومن سيصدق بالأمر إنما هو أنا لا أنت ؛ فقلولي لي
أتريد البقاء أم الرحيل لأعلم إذا كان يجب على أن
أرحل وحدي

فأجابت بريجيت : لماذا توجه إلى هذا السؤال ،
وهل قلت لك إنني غيرت رأيي ؟ إنني متألّة ولا

وثقت من أنني سأتمكن من مقابلته فلا يتسنى له
هذه المرة أن يهرب من ملاقاتي

وما كنت أعرف عنوان مسكنه ، فدخلت على
بريجيت أطلب هذا العنوان قائلاً : إن الواجب يقضى
على زيارة من زارنا مرات عديدة ، وما كنت أخبرتها
شيئاً عن مصادفتي له في المسرح ، فوجدتها مستلقاة
على سريرها وعلى أجنافها بلل الدموع ، ومدت يدها
إلى قائلة : ماذا تريد مني ؟

وكانت نبرات صوتها تتدفق مرارةً وحناناً
وخرجت من غرفتها بعد محادثة قصيرة مشبعة
بالولاء وقد سقط عن قلبي بعض ما يشغل عليه

وعرفت من بريجيت أن الشاب الذي أقصد
زيارته يدعى سميت ، وأنه ساكن على مقربة منا .
ولما قرعت بابه ملكني اضطراب شديد ومشيت إليه
كأنني أقتحم نوراً شديداً ؛ غير أنني ما وقفت أمامه
حتى جمد دمي في عروقي لأنه كان منظرها كبريجيت
على فراشه ووجهه شاحب كوجهها ، فمدت يدها
قائلاً ما قالت هي : ما ذا تريد مني ؟

إن في الحياة من غرائب التصادف ما يحير العقول
قعدت ولم أجب فكأنني استفتت من حلم ،
وأنا أكرر في سري السؤال الذي وجهه الشاب إليّ
لأنني ما كنت لأعرف ما أتيت أفعل لديه . وهب أن
هذا الشاب مطلع على أمور تهمني فهل هو مستعد
لإعلان ما يكتم . لقد حمل الرسائل إلى بريجيت فهو
لا شك يعرف مرسلها ، ولكن هل هو يعرف عن
مضمونها أكثر مما أطلعتني بريجيت عليه ؟ وصعب

إنها تعلن لي استعدادها للرحيل ، غير أن اللجة
التي تتخذها لهذا التصريح تدعوني إلى رفض ما تعلن
قبوله ، إذ ليس لي أن أرضى بمثل هذه التضحية وقد
أصبح قبولها في عيني عبارة عن خضوع لأمر واقع
أو استسلام لقضاء لا بد منه . وقد كنت أعتقد
من قبل أن بريجيت تطاوع هواها لتتبعني فإذا هي
في نظري مكرهة على القيام بما عاهدت عليه ووعدت
به ، وروغني أن أحمل بين ذراعي هذه المخلوقة
الشاحبة لأختطفها من أوطانها وأذهب بها إلى أمد
بعيد قد يطول مدي الحياة وما هي بين يدي إلا
فحمة مستكينة

لقد قالت لي إنها ستفعل كل ما يحلو لي ، وما
يحلو لي أن أكاف التجلد والصبر ما يزيد في آلام
القائمة الصابرة ، وأسهل على أن أذهب ضارباً في
بجاهل الأرض وحدي من أن أتحمل النظر أسبوعاً
واحداً إلى هذا الوجه يقنع بالشحوب سره الدفين
ويلى ! أبوسمي أن أذهب وحدي ناكصاً على
أعقابى بعد أن قطعت بخمسة عشر يوماً أجل مراحل
السعادة ؟ أنى لي هذا الإقدام وأنا لا أفكر إلا
في الوسيلة التي تمكنني من اختطاف بريجيت
والرحيل بها ؟

ومرّ بي الليل الطويل ولم يغمض لي جفن ،
حتى إذا لاح الفجر وجدتنى مصمماً على مقابلة
الشاب الذي رأيته في المسرح ، وما عرفت أكان
ما يدفعني إلى ذلك حاسة غضب ، أم حاسة فضول ؟
وما عرفت أيضاً ما أريد من هذا الشاب ، ولكنني

على أن أستنطق مضيق وأصبحت أحاذر أن يرتاب فيما يمر بخاطري

وبدأنا الحديث بالمجاملات المألوفة فشكرته لقيامه بالمهمة التي كلفه إياها أنسباء مدام بيارسون وقلت له إننا عند ما نبارح فرنسا سنعهد إليه أيضاً ببعض المهام . ثم حكمنا الصمت كأن كلا منا لا يدرى سبباً لوجوده تجاه الآخر

وأدرت لحاظي إلى ماحولي ككل حائر فرأيت في هذه الغرفة وهي في الدور الرابع ما يدل على نزاهة ساكنها واجتهاده ، إذ لم يكن فيها سوى عدد من الكتب والآلات الموسيقية ورسوم إطاراتها من الخشب الأبيض وأوراق منضدة على خوان ومقعد قديم وبعض الكراسي ، غير أن جميع هذه الأدوات كانت مرتبة نظيفة يرتاح إليها النظر . ورأيت على رف الموقد رسم امرأة مسنة وإذ تقدمت لأمعن فيها قال لي إنها أمه

وتذكرت حينذاك أن بريجيت كانت حدثتني مراراً عن سميت فعادت إلى تخيلتي حوادث عديدة عن حياته لأنها كانت تعرفه منذ طفولته وكانت تراه أحياناً في قرية أنسبائها ولكنها انقطعت عن زيارة هذه القرية إلا مرة واحدة منذ تعرفت إليها ، وهكذا عرفت صدفة ما عرفته عن حياة هذا الشاب الذي كان يشغل وظيفة صغيرة ليقوم بأودامه وأخته منقطعاً عن اللذات من أجلهما ، وبالزغم من براعته في الموسيقى لم يقتحم المجال طلباً للنجاح في هذا الفن بل اختار حياة السكون مفضلاً خمول الذكر متميماً بهذا إلى فئة قليل عديدها في الحياة ترى من واجبها

شكر المجتمع لعدم شعوره بها ولا غضاؤه عن مواهبها وكنت سمعت عنه أموراً تكفي لتحديد شخصيته ومنها أنه كان توله بفتاة عاشرها سنة فرضي أهلها بتزويجه منها وكاد العقد يتم لولا أن أمه قالت له « وأختك من سيزوجها ؟ » ففهم من هذه الكلمة أنه إذا تزوج وحول جنى عمله إلى عائلته فإن أخته تبقى بلا مهرٍ وتحرم من الزواج ، فلم يتردد في الغدول عن زواجه مضجياً غرامه هاجراً ببلده ووجهته باريس حيث وجد الوظيفة التي يشغلها الآن . عند ما سمعت هذه الأقصوصة في القرية تمنيت أن أتعرف إلى بطلها إذ رأيت في هذا الاخلاص من العظمة ما يربو على أجداد أعظم انتصار في معارك الحياة

وعند ما تفرست في رسم أمه خطرت لي هذه الحادثة فحوت أنظارى إليه وسألته عن سنه فأدهشني إعلانه لي أنه من سني ، في حين أن سيماه كانت تدل على أنه أصغر مني . وعند ما دقت الساعة الثامنة وقف وأراد أن يخطو إلى الأمام فرأيت يمايل مضطرباً ، وإذ سأله عما به قال لي إن ساعة ذهابي إلى المكتب قد حانت ؛ غير أنه لا يجد في نفسه القوة على السير إذ أنه يشعر بنار الحمى ويتألم ألماً شديداً ، فقلت له : لقد كنت في عافية بالأمس عند ما رأيتك في « الأوبرا » فقال : أعتذر إليك لأنني ما عرفتكم . إنني أذهب إلى الأوبرا مراراً ، وأرجو أن أصادفك هنالك

وكنت كلما أمعنت الفكر في حالة هذا الشاب وأدرت لحاظي في غرفته أزداد تردداً في تناول الموضوع الذي كنت أنيت لبحثه إذ لم يبق في

وسأله عن سبب استغرابه فوق وألقى ساعديه
على كتفي وعيناه جاحظتان وهو يرتعش ، فقبضت
على يديه مستفسراً عن أله ، فكفف دمه براحته
وانسحب يتعب نحو سريره

وحدثت فيه مندهشاً إذ رأيت الحمى تهزه هزاً
فترددت في تركه على هذه الحالة ، وإذا تقدمت إليه
ردني عنه بعنف ، وما عثم أن عاد إليه صوابه فقال لي :
أعتذر إليك . وما كانت حالتي لتسمح لي باستقبالك
فأرجو أن ترفق بي وتتركني وشأني ؛ ولن يفوتني
عند ما أستعيد قواي أن أذهب اليك لأسديك
شكري

فليكس فارس

(يتبع)

خاطري ما كان خامره من أن هذا الشاب أمكنه
أن يدخل على ذهن بريجيت ما يلحق الضرر بي ، بل
رأيت فيه من دلائل الصراحة والجد ما أوقفني
موقف الاحترام أمامه ، وما لبثت أن اتخذت أفكارى
مجرى آخر وأنا أفرس في وجه رفيقي وهو يتفرس
أيضاً في وجهي

لقد كان كل منا في الواحدة والعشرين من
سني حياته ، ولكن الفرق كان كبيراً بيني وبينه فهو
الشاب المتعود الحياة المنتظمة المتحرك ضمن دائرة
محدودة ، الذي لا يعرف من الدنيا إلا طريقه بين غرفته
المنفردة ومكتبه في إحدى الوزارات مرسلًا إلى
والده نتاج الجهود التي لا تعرف قيمتها إلا اليد
العاملة ، فلا يشكو من أله إلا لأن هذا الألم يحرمه
يوم عمل ، ولا ينصب فكره إلا إلى تأمين الراحة
لسواه منذ تحركت للعمل يده . أما أنا فما الذي
فعلته بهذا الزمن الثمين الذي مربى سراعاً ، هذا
الزمن الذي يمتص عرق المجاهدين في الحياة ؟ من
كان مثلي يعد رجلاً ؟ ومن عرف الحياة أنا أم هذا
الشاب ؟

إن ما أوردته هنا صفحة مما مر بيننا في لحظة
وأنا أحقق فيه وهو يحدق بي

وحدثني بعد ذلك عن سفرنا وعن البلاد التي
كنّا ننوي زيارتها ؛ ثم سألتني عن ميعاد هذا السفر
فقلت له : إن مدام بيارسون مريضة طريحة الفراش
منذ ثلاثة أيام فردّد قولي : « ثلاثة أيام » بحركة
استغراب لم يقو على ردها

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاغور

ترجمة عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمة عبد اللطيف النشار

ثمان هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك
أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :
١٨ شارع الإيعادية بمحرم بك بالإسكندرية

كريمًا على الملك منالايوس ، وحيث وجدته يتقلب
على فراش السهد والأرق ، لا يستطيع أن يغمض
عينيه من هول ما يفكر في أبيه ... بينا نام ابن الملك
نسطور ملء عينيه نومًا هادئًا عميقًا على سرير مقابل
لسرير الفتى المحزون

ووقفت الربة عند رأس تليماك وأنشأت تقول له :
« إلام تظل في مهاجر بك بأقصى الأرض هنا نائيًا
عن وطنك يا تليماخوس ؟ أو هكذا رضيت أن يأكل
العشاق الفساق ثرائك ويذهبوا بنعماء السماء
عليك ، ثم لا تلبث أن تثوب إليهم من تطوافك
بالآفاق بقبضة من هواء ، وخيبة من رجاء !
هلم هلم ! سل الملك أن يأذن لك في السفر من قورك
فقد ألح جدك وأخوالك على أمك أن تزوج من
الأمير يوريم ، لما اتفق عليه من مهر ضخم ،
وتقدمات وافرة ، أضماف ما وعد الآخرون ...
هذا فضلًا عما يوشك أن يُسلب من القنى العزيرة
عليك من بيتك التي تنقص من هنا لتزيد فيما هناك ،
فإنه ليس أحب من هذا إلى فؤاد المرأة ، وهي
سرعان ما تنسى أطفالها من زوج شبابه ورفيق
صباها من أجل زوجها الثاني الذي تود لو تهيه
كل شيء . فالبدار البدار إذن ، وعد أدراجك إلى
بلادك لتحفظ تراث أبيك ينفعك حين تكون لك
زوجة صالحة وذرائع أنجاب بركة السماء ورعاية
الآلهة ... ثم خذ حذرك يا تليماك ، فلقد اختبأ زعيم
العشاق في ثلة من رجاله بين ساموس وإيثاكا
يتربصون بك ويتصدونك ليقتالوك قبل أن
تصل إلى شاطئ الوطن ... وإن فآلمهم لخائب ،
ولن يفعلوه حتى يهال تراب الموت عليهم جميعًا ...
ألا فارحل يا بني في ظلام الليل ، واجنبُ



الأوديسي

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصل السابع

« انطلق أوديسيوس بعد أن غيرت مينرفا ملامحه ،
فجعله شيخًا هرمًا يدب على عكاز غليظ ، ويتن تحت
ملابس ثقيلة عتيقة ، فآتى بيت رابعه يومايوس الذي
لم يعرفه ، وإن يكن قد هس له وبش ، وأطعمه
وأكرم مشواه ... وأبدى الراعى من الأسف على
مولاه ما أتاح الفرصة لأوديسيوس الذي ادعى أن الرجل
الذي يذكره يومايوس ربما يصل إلى إيثاكا ذلك القمر
أو الشهر الذي يليه ، لأنه غادره وهو يوشك أن
يجر من عند ملك كريت ومعه كنوز فائقة من الذهب
والفضة والنحاس . وأنه يعرفه شخصيًا ، وقد اشترك
معه في حرب طروادة ... ولكن الراعى قهقه ملء
شذقيه ولم يصدق حرفًا مما ذكر أوديسيوس ، وعاد
أوديسيوس فأقسم أنه غير حاث وأن مولاه عائد فتتقم
من أعدائه ومقتلهم جميعاً ، ثم راهن الرجل ... ومع
ذاك فلم يزود الراعى إلا تكديباً ... وتشقق بينهما
الحديث ، وأقبل الليل ، فهب كل إلى مضجعه ... »

عودة تليماك

ثم رفت مينرفا رقتين أو نحوهما ، فكانت في
وادي ليسديمون الخصب حيث حل تليماك ضيفاً

سفينةك أن تسلك سبيل ساموس ، وابعدا ما استطعت
عن الجزائر القريبة منها ، وسيرعاك بعض الآلهة ،
ويسخر لك ريحاً رخاء تسارع بك إلى بلادك .
فإذا بلغت أول الشاطئ الإيثاكي فانزل إلى البر ،
ولتسلك الفلك سبيلها إلى المدينة من دونك ، ولتذهب
أنت إلى يومايوس راعي قطعانك الذي يحبك فأرسله
إلى أمك كي تقرر عينيها بأوبتك . » وما كادت تفرغ
حتى زفت ^(١) إلى الأولب . وهب تليماك وأيقظ رفيقه
من نومه قائلاً : « هلم يئزاستروس ! هلم فأسرج
الخيل ولنرحل من فورنا ! » وقال له ابن نسطور مجيبه :
« هلم إلى أين الآن يا صاحبي ؟ كيف نخطط في ظلام
هذا الليل الدامس ؟ ألا نصبر حتى تشرق ذكاء ،
وحتى يلقاك الملك فيخلع عليك ويحسن وداعك ،
لتظل ذكره الحسنة ماثلة إلى الأبد في روعك ؟ »
وانبلج الصبح ، فهض منالايوس الملك من
حضن هيلين الدافئ ، ويم شطر الغرفة التي نام
فيها تليماك ورفيقه . وما كاد تليماك يفتح في غبشة
الفجر صورة الملك حتى هب مسرعاً ، وأضفى
عليه طيلسانه الفاخر ، وأترز فوقه بمئزر آخر ، ثم
دلف نحو الباب فلقى الملك ثمة وقال له : « بورك
الملك وتعالى جده ! تالله لقد آن أن أعود إلى
إيثاكا فحبذا لو أذن الملك بذلك » فقال الملك :
« إنا لانستطيع أن نمجرك إذا كانت رغبتك أن
تشد زحلك يا تليماخوس ؛ وإنه ليس أشق علينا أن
يقيم ضيف لدينا برغمه ، أو أن نمجله على الرحيل
من عندنا ... بيد أنه يحسن أن تنتظر قليلاً حتى
نهيء لك أخيراً الهدايا وأعرز اللقي ، وحتى نعدها
لك في عربتك ؛ وسأمر قدامى فيعدون لنا

(١) الساج الطيلسان

(١) زف الطائر أسرع في طيرانه وربما بنفسه

لك السلامة والتوفيق» ثم قدم إليه الكأس العظيمة وكذلك فعل ابنه ؛ أما هيلين فقدمت إليه الساج ، وتبسمت عن فم ألد من أخوانه ، وقالت له : « وأنا أيضاً أدعو لك يا بني ، وأقدم إليك سدوساً ^(١) من أنفُس الديباج حبذا لو جعلته قسيّة تذخره لك أمك حتى تقدمه بدورك لعروسك ليلة زفافها إليك » وكان لكلماتها في نفسه نشوة ، فأخذ الطيلسان وناول ابن نسطور ، الذي عنى به ووضعه بمكانه من العربة . ثم يغموا المائدة الكبرى ، وصبت الماء على أيديهم جارية ذات حسن وأناقة وظرف ، وأخذوا بعد ذلك في فطورهم ، بينما وقف ابن الملك يدهق الكؤوس ويشرب الخمر ، حتى إذا فرغوا نهض تليماك ورفيقه فسما وودعا ، وركبا العربة الفخمة المثقلة بأثمن الهدايا ؛ وتناول الملك كأساً من الخمر وسار حتى دنا من الخيل ؛ وصبها صلاة للآلهة من أجل الزاحلين وقال : « لكما الصحة والصفاء أيها الشابان اليافعان . تحياتي إلى نسطور أخي الذي كان يرعاني كأحد أبنائه تحت أسوار طروادة » فأجابه تليماك : « لا غرو أيها الملك ، فستقص عليه آية كرمك وعظيم سخائك ... وحبذا لو وصلت إلي إثاكا فلقيت أبي أوديسيوس ثمة ! إذن لقصصت عليه هو الآخر ما غمرتنا به من حفاوة وكرم وعطف ! » وما كاد ينتهي من كلمته حتى بدا عن يمينه نسر عظيم يحمل في مخالبه إوزة كبيرة بيضاء ، وقد خلق في الهواء ، وجري حوله الخدم والحشم من أهل المدينة ، بيد أن النسرفاتهم جميعاً ... وقد زعج الملأ الواقف لتوديع تليماك ، وبدا الهلع في وجه پزاستراتوس ،

(١) هو الساج أيضاً

فسأل الملك فقال : « ليتفضل الملك فيحدثنا عن هذه العلامة إذا كانت من أجلنا أو من أجل مولانا » ولكن الملك لم يجر جواباً لفرط دهشه . فلما لحظت حيرته هيلين زوجته ، تكلمت فقالت : « أيها الملأ اسمعوا وعوا ، فإني أحدثكم كما علمتني الآلهة ... تالله إن هذه لآية ، فكما غلب ذاك النسر أولئك الناس ، وذهب بتلك الأوزة البيضاء ، فهي له ، فكذلك يعود أوديسيوس من تجواله وطويل ترحاله إلى إثاكا ، فييطش بأعدائه الذين استباحوا عرضه وعشقوا زوجته ، ويخلو له وجه بنلوب » وانتفض تليماك من شدة ما أثرت فيه كلمات الملكة فقال : « ألا حبذا لو تم هذا ! اللهم يا جوف المتعال حقق النبوءة أعبدك ، واكتب لأبي السلامة أخبت لك ، واكتب لي أن أعود إلى بلادى فألقاه ثمة تكن لك صلاة دأمة ، وذكر متصل يا إله السموات ! » ثم حيا الملك ، وألهب الجياد فانطلقت تهب الرحب ... ولم يزالا على سفر طوال يومهما ، حتى بلغا قصر ديوكليس مع مغيب الشمس ، فضيفهما وباتا ليلتهما عنده ؛ وما كادت أورورا تنضج جبين الشرق بالورد حتى هبا مسرعين ، وودعا مضيفهما الكريم ، وواصلتا رحلتهما ... وكان ابن نسطور قد أخذ بأعنة الخيل فجعلها تنساب حتى لكانها كانت تسابق الريح ... ولما بلغا أبواب بيلوس قال تليماك لصاحبه وهو يحدثه : « أنت عذيري يا أعز الأصدقاء إذا سألتك أن تصل بي إلى السفينة من غير أن تتوجه إلى بيتكم للقاء أبيك ، فقد يكبر علي أن أرفض نُزله ، وأستأني بذلك عنده ، في وقت أنا في أشد الحاجة إلى العودة إلى الوطن ... على أنني سأحفظ

لك في أعماق ذكرى خالدة لا تمحى ، زادت بها هذه الرحلة الحزينة جمالاً ، وعقد أواصرها ما بين أبويننا من الود ، وما بيننا من اتفاق السن ، وصفو المودة وجميل الأخاء » وتردد ابن نسطور أول الأمر ، بيد أنه لم يستطع إلا أن يلبي رجية تليماك ، فثنى أعنة الخيل إلى الشاطئ حيث كانت تنتظره الفلك ، فنقل فيها متاعه ، ثم ودعه صديقه وعقرت القرابين باسم مينرقا ، وصلى لها الجميع وسبحوا سبحاً طويلاً ... وإنهم كذلك ، إذا شاب طوال مفتول العضل يتقدم إلى تليماك ، فيخبره أنه قاتل آبق^(١) ، وأنه يلوذ به ، وأن اسمه تيوكليمين ، وأنه يرجوه في أن يسافر معه . فهش له وبش ، وأخذ سلاحه فالتقاء في السفينة ، وأذن له في الركوب ، وجلس الرجل مع تليماك عند مؤخر السفينة ، في حين كان الملاحون يهيئون القلاع ، وينشرون الشراع ، ثم أقلمت الفلك ، وأرسلت مينرقا بين يديها سَجَسَجاً تدفعها في رفق ، وتطوى تحتها الماء في حذب . وكانت الشمس تتوارى بالحجاب ، وكان الليل يلقى سدوله فوق الكون ... وما هي إلا عشية حتى مرت السفينة بفيريا ، ثم باء بليس ، وچوف في كل ذلك يحرسها ويرعاها

هذا ما كان من أمر تليماخوس الفتى ... أما ما كان من أمر أوديسيوس وراعيه ، فقد كانا يلتهمان في هذا الوقت طعامهما ، وما كاد يفرغان من ذلك حتى أحب أوديسيوس أن يرى لنفسه إذا كان الراعي قد ضاق به ذرعاً فينطلق من عنده ، أو هو كريم

(١) نضرب صفحاً عن قصة هذا الرجل مؤقلاً لبعدها عن الموضوع

ذو نخوة ونخيزة فيبقى عنده ، فهض يقول : « أيها الراعي يومايوس ... وأنتم أيها الأصدقاء الرعاة ... اسمعوا وعوا ... تالله إنى لأخشى أن أرهقكم بضياقتي أو أثقل عليكم بلبثي عندهم طويلاً ، فرجائي إذا انفلق الإصباح أن يقودني أحدكم إلى المدينة لأستجدي وأتكفف ، فلن أعدم فيهم من يتفضل على بيلغة أو كسرة أو جرعة ماء ... ولسوف أعم شطر قصر ينلoup ، وعسى أن أستطيع لقاءها لأبلغها أبناء أوديسيوس ، فإذا لم أستطع فلن أعدم عملاً في خدمة العشاق ، لأنى والله المحمودولى من أولياء هرمن رسول السماء ونصير الضعفاء ، ولن أضيق بتكسير الخشب ، أو إضرار الخطب ، أو حمل الكاس والطاس ، أو القيام على الشواء ... أو ما إلى هذا وذلك من عمل الفقراء البائسين » واهتز يومايوس إشفاقاً وقال : « أيها الرجل ماذا تقول ؟ أتجازف بنفسك فتلقى بها إلى الهلكة وسط هؤلاء الناس ؟ من أنت أيها الفقير حتى تحسبك تقدم الخمر لهم أو تخدمهم ، ولهم خدم شباب عريانين ، وندامى كالكوأكب نضرة وجمالاً ... وحشيم يلبسون أحسن الوشي وأخضر الحرير والديباج ... لتبقى معنا أيها الشيخ فلن نضيق بك ، وحين يعود سيدي تليماك فإنه يكسوك ويسبغ عليك ، ويبعثك مكرماً معزراً أنى شئت . وشاع البشر في أعطاف أوديسيوس فقال : « شكراً لك يا يومايوس ألف شكر ، وجزاك الله عنى أجزل الخير ، بما كفيتنى شر السؤال وذلل الاستجداء ، وليس شراً منهما على نفس أبية قاست الأهوال وما تزال تقاسنى ... بيد أن لى مسألة عندك بودي لو جلوتها

وسيدتي بنلوب إذا لم أر منها عطفًا عليّ ، لأنها في شغل بحالها وسط هؤلاء الأوغاد المعاميد ... وهي بالرغم من ذلك تولى خدمها المقربين منها نصائح غالية تنفعنا جميعاً ... ثم هي لاتنسى أن تنفخ الكثيرين منهم مايفرحون به من آلاء وأعطيات ، غير ماياً كلون وما يشربون . وكأنا أراد أوديسيوس أن يتهم عليه ويسخر به فسأله عن بلده ووالديه ، وعن القوم الذين أخذوه عنوة ، وفي أي سفينة جاءوا به ، وبكم باعوه لأهل أوديسيوس ، فقال الرجل : « أيها الصديق أعزني أذنيك ، وارشف خمرك ، أقص عليك قصتي ، فالليل طويل ، وفي جنحه يحلو السمر ، وليس أشهى من أن يروي ذو أشجان لدى أشجان ؛ وأنتم أيها الإخوان ، من كان منكم في حاجة إلى النوم ليصحو مبكراً فليذهب لينعم بالكري ... ثم أحسبك سمعت أو عرفت جزيرة سيريا التي عند أورتيجيا ... إنها جزيرة صغيرة ، لكنها غنية بأغنامها وماشيتها وقمحها وأعنايبها ، كما اشتهرت بهوائها اللليل ، ومناخها الجميل ، وصفوها وطيب رباها ... لذلك لا تعرف أبدان أصحابها الأوصاب ، بل يُعمرون حتى يأتيهم أبولو^(١) فيصميمهم بسهامه ، وتمجّل أرواحهم إلى هيدز ، ويقسم أرض الجزيرة أهل مدينتين عظيمتين ، كاتتا تخضعان لسيطرة أبي الزعيم العظيم شتريوس أورمنيد ... وحدث أن أُرست في شاطئنا سفينة فينيقية محملة بالطُرف والتُحف

لي : أما يزال والد أوديسيوس حياً يرزق ؟ وهل ماتزال أمه بخير ؟ أم أنهما اليوم من أهل الدار الآخرة ؟ لقد غادرها أوديسيوس يوشكان يطرقان باب هيدز ، فهل عندك من أخبارها شيء ؟ » . قال الراعي : « ومالي لا أصدقك أيها الشيخ ؟ إن ليرتيس — أبا مولاي — ما يزال على قيد الحياة ... لكنها حياة شاقة أنقضت ظهره ، وأنفدت صبره ، وهو مايفتأ يضرع للآلهة أن تخلصه منها بالموت ... إنه قد فقد أحسن آماله حين فقد حامى شيبته الزائد عن شيخوخته ، ولده أوديسيوس ! » وقد عجل له الشقاء موته ، وحياته من بعده ، فهو ما بني يكيه ، وما ينفك يساقط نفسه حشرات عليه ... أما أمه فقد قضت من أسي وحزن وطول بكاء ، قضاءً ماقضى مثله صديق ولا عدو ! إنني حزين عليها يا صاح ، بل أنا أفقدها كأعز من أي لأنها نشأتني صغيراً ، وزعتني كبيراً ، وكانت تحبني كمحبة ابنتها ستيמיثا التي تزوجت أحسن زيجة في ساموس من كفاء مهرها أحسن مهر وأعلاه ... أبداً لا أنسى أنهم ألبنوني أحسن اللباس ، وأعطوني نعلين جديدتين ، فرحاً بزواجها ، ثم أرسلوني إلى الحقل ، ولكنهم لم ينقصوا من محبتي ... لقد عاشت مولاتي بعد أوديسيوس معيشة شقية كلها آلام ، وكنت أواسيها وأعزيتها ، ولكنها ما انتفعت قط بعزاء ، ولا استروحت إلى سلاوة ، حتى ماتت ... وهانذا أبكيها كلما ذكرتها ، وقل أن أنساها ، على أي أحمد السماء على ما أولتني من خير ، وأسبغت عليّ من نعم ، هي حسبي وحسب الضيف الذي يغشاني ... على أي أعذر مولاتي

(١) تضيف بعض النسخ ديانا — وهذه أول مرة نرى فيها أبولو يقوم بوظيفة عزرائيل في الأدب اليوناني ، لأنها وظيفة هرمز (مركبوري) خاصة (المترجم)

ولبغ الأبطال ، من صناعة الفينيقيين ؛ وحدث أن كان في بيت أبي جارية قسيمة وسيمة ذات حسن وذات دلال ، كانت تقف على سيف البحر لبعض شئون المنزل ، فرآها بعض ملاحى المركب واستطاع أن يخذعها بكلام معسول ذى طنين وذى رنين ؛ ثم سألها من هي ، ومن أى البلاد أقبلت إلى هذه الجزيرة ... وكان الخبيث يمزج ألفاظه بنظرات الأبالسة ، وغمزات الشياطين ، وابتسامات الغزل ، فانقادت له ، ضعيفة كبنى جنسها إذا نصبت لمن شراك الهوى ، وجذبتهم أحابيل الغرام ، وقد أخبرته الغادة أنها من سيدون المشهورة بصناعة الصلب والنحاس ، وأن أباه أرياس الفلاح ، وأن بعض القرصان قد اختطفها حين كانت عائدة أدراجها من حقله ، وباعها لصاحب تلك الجزيرة بأجنس الأثمان ، وقد أغراها الملاح بالعودة معه إلى بلدها على فلكه ، وبالفرار من حياة الرق والعبودية للقاء الأهل والأحباب والأبوين الثريين اللذين ما يزالان حين يرزقان ... فاستحلفته المسكينة إذا كان جاداً فيما قال ، فحلف لها ، واستقسمته إذا كان أميناً غير ذى غرض أو لبانة ، فأقسم لها ؛ ثم تعاهدا على ذلك وقالت له : « والآن فلا يذكر أحد من أمرى معكم شيئاً لأى من أهل المدينة ، حتى لا يَفْشُو السر ويعلم به صاحبي ، فيكون فى ذلك وبالى ووبالكم وهلاكى وهلاككم .. بل امضوا فى بيع بضاعتكم وشراء ما يلزمكم ، ثم إذا عزمتم أن تغلوا فابعثوا أحداًكم إلى بقصر صاحب الجزيرة ، فانى مريض ابنه ، وهو الآن يحبو ، بل يدرج ، وإنى محضرة معى فانه سينفمكم ، بل يستطيعون بيعه فى أحد

للبلاد يبعض المال ، وسأحضر معه كل ما تستطيع يدي أن تحمل من آنية وأكواب من خالص الذهب وغالى الفضة ، مما يخف حمله ويعلو ثمنه » وعادت البائسة إلى قصر أبى ... ولبت الملاحون عامهم كله فى مرفئنا يبيعون ويشترون ، حتى إذا حال الحول أو كاد ، حضر واحد منهم إلى بيتنا يبيع بنية (١) من ذهب وكهرمان ، فالتف حوله وصيقات القصر ثم حضرت أمى فاشتريت بضاعة الرجل الخبيث ؛ الذى استطاع أن يوميء إيماءة المتفق عليها إلى مرضى فلما انصرف من فى القصر من أضياف ، وذهب الخدم إلى شغلهم قادتني مرضى التاعسة من يدي فمرت بى فى غرفة الزائرين ، حيث كانت أكواب الشراب مازال على المائدة فدست منها ثلاثة فى ثيابها ثم ذهبت بى - وأنا طفل لا أدرك - إلى المرفأ ، حيث ركبت معها فى سفينة الفينيقيين ، فأقلعوا ساعة الغروب ... ودفعتنا ربح عاصف طيلة ستة أيام وفى صبيحة اليوم السابع ، أرسلت ديانا سهامها مسمومة إلى صدر المرأة - مرضى الآفة - فماتت لساعتها - ووضعوا جثمانها فى سَاب (٢) ثم قذفوا بها فى اليم ، طعمة غير سائنة للأسماك ، ورحلت أنا ، لفرط حبي لها ، أبكيها وأعول من أجلها ... ثم دفعهم الريح والموج إلى شاطئ إيثاكا ، حيث ابتاعنى صاحبها العظيم ليرتيس ، وبقيت فيها إلى اليوم » وألم أودسيوس لما قص الراعى وتوجع وواساه بكلمات طيبات ... « فلقد وصلت فى رعاية

(١) بوزن سفينة ولا تشدد ، هى (الباقة أو الكولة)

(٢) السَاب والمسَاب وعاء كبير للزيت أو الخل وهو الزق

ولم نجد مرادفاً لكلمة (برميل) المعروفة فاستعملناه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والبرق

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٢٠ ١٢ رمضان سنة ١٣٥٦ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | |
|------|--|
| ١٢٢٦ | ليلة هائلة ... للكاتب الروسي أنطون تشيكوف . بقلم الأديب السيد جورج سلسكي . |
| ١٢٣٢ | ساكنو الكهوف ... للكاتب النموي فرديناند فون سار . بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ... |
| ١٢٤٢ | الشامة ... لألفريد دي موسيه ... بقلم السيد مظفر البقاعي ... |
| ١٢٦٤ | الماء الملح ... أقصوصة موضوعة بقلم الأستاذ أديب عباسي ... |
| ١٢٧١ | اعترافات فتى العصر ... لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ... |
| ١٢٨٠ | الأوديسة ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة ... |

الأمين — وقد أمسك في مخالبه حمامة بيضاء ، فظل يدوم ويرنق حتى إذا كان بين الفلك في البحر وتليماك في البر نثر خوافيها في الجو ، فزان بالقرب من تليماك — وهنا — تكلم تيوكلين فقال : « تالله إنها لآية من السماء يا سيدي ، إنك ابن أعظم من في هذه الأرض ، وإن بيتك أعرق بيوتاتها ، وستظفر كما ظفر أبائك » وشكره تليماك ، وتمنى لو صدقت نبوءته ، ثم أوصى به أعظم رجاله وأخلصهم له — كليتيوس — فاهتزت أريحية الرجل ، ووعد أن يكون له كسيده (تليماك) حتى يؤوب... وسلم تليماك — ومضى للقاء يومايوس ثم أقلمت السفينة بمن عليها إلى المدينة
« يتبع »
دربني فضيلة

چوف إلى سيد رحيم ورجل بر ، كفل لك الهناءة والحياة الهادئة ... أما أنا ، فما أزال موكلا بفضاء الأرض أذرعه ، ويبدأ ألبسه وآخر أقلعه ... ولما ينأى طويلا ، فقد قطع حديثهما جبل الليل ... هذا ما كان من أمرها ... أما ما كان من أمر تليماك ورجاله ، فقد وصل ملاحوه سالمين إلى الشاطئ الايثاكي ، وأرسوا ثمة ، وربطوا حبالهم في أوتاد المرفأ ، ثم اجتمعوا إلى فطورهم فأكلوا وشربوا ... فلما فرغوا أمرهم تليماك أن يذهبوا هم إلى المدينة ، « ... أما أنا ، فذاهب لبعض شأني في المراعى القريبة وسأعود قبيل الغروب ؛ وفي الغد ، سأسقيكم سلافة الأوبة التي تذهب عنكم وعشاء هذا السفر » ونهض

تيوكلين (الشاب الأبق) فاستأذن في الذهاب بالبشرى إلى والده تليماك ، ولكن تليماك قال : « كلا يا تيوكلين ، لا أريد أن تعلم أمي بقدومي اليوم ، فابق مع رجالي هؤلاء حتى لا تقع أبصار العشاق المناكيد عليك ؛ وإن شئت فاذهب إلى أحدهم ، يوريماخوس ، فهو أعظمهم قدراً وأنهم ذكراً ، وهو الذي يحاول جاهداً الزواج من والدتي ، والجلوس على عرش أبي ، فاربط حبالك بحباله ... أو اه يا أرباب السماء ! حنانيك يا چوف ! بعداً لهذا الزواج ، وبعداً لمن يحملون به ! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى بدا إلى يمينه بازي باشق — هو من غير ريب رسول أبوللو

فصل خضير

١٠٦٥
١٠٦٥



١٠٥٧
١٠٥٧

بريشة ذهب عيكار ١٤

مضمون ٣ سنوات

لستعمله الحكيم كوماتا لشرقية
مكتبة وطبعة خضير بشارع عبد العزيز بصر

طبع بمطبعة الرمان بشارع المهدي رقم ٧

الأيام ولا تعاقب الليالي
كان الظلام دامساً
والهواء بارداً قرأ
والضباب الكثيف
يغمر الأرض بجلته
السوداء القائمة عندما
كنت عائداً إلى غرفتي
بعد نصف الليل من
سهرة قضيتها وبعض

لَيْلَتُهُنَّ عَلِيٍّ

للصَّكَّاتِ الرُّوسِيَّ أَنْطُونِ تَشِيَّكُوفِ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ السَّيِّدِ جُورْجِ سِلْسِنِي

الأتراب في مناجاة الأرواح عند صديق لي حميم
تعمده الله برحمته صباح اليوم
وطريق إلى غرفتي في حي « يقظة المقابر »
موحشة تبعث الرهبة حتى في القلب الجسور ؛
وقد كان عليّ أن أجتاز منعطفات وممرات لا عدّ
لها تحت ستار الظلام الدجى

وكانت الأنوار في الشوارع مطفأة على غير
عادة فما كان يستطيع عابر السبيل مثلي أن يهتدى
إلا بالتعويض^(١) فكنت أسير وئيد الخطى واجف
القلب كمن يسير في مأتم . فالكآبة الخرساء كانت
تسود مني الحواس واليأس القاتل كان يملك مني
المشاعر . وأفكارى قائمة كأنما أمدّها الظلام
الحالك بسواده

فقد كان تأثير جلسة مناجاة الأرواح شديداً عليّ ،
وكان صوت (سينوزا) الذي وفقنا إلى استدعاء
روحه ومناجاة ما يزال يرنّ في مسمي ، وعبارته
الأخيرة التي أنذرنى فيها بدنو الأجل ونصحني
بالتوبة واستغفار الخالق عن مآثمي وخطاياي كانت
تدوي في أذنيّ دويّاً يحضّ مني الروح
أجل ياسادة كنت أتحسّس طريق في سيري

(١) طلب الشيء في الظلمة باليد من غير أن يبصر

— « تريدون مني أن أحدثكم عن أشدّ ليالي
هولاً ، كأنكم تعلمون أنني قضيت في سنى الصبا
والشباب ليالي مروّعة ، أو كأنكم تحسبون أن لي
مغامرات جنونية تأسر وقائعها القلوب ، وتستحوذ
على المشاعر ، في حين أنني - ولا أكتكم - لم أكن
في يوم من أيام حياتي فارساً ولا مغامراً ، وسجل
حياتي بإسادة خلوة من روائع البطولة ؛ وليس لديّ
من الأحاديث التي ترغبون فيها ما أنفخر به وأتيه ،
إلا أنني لا أرى بداً من أن أنزل عند رغبتكم الملحّة
وإن لم أكن في قصتي ذلك المقدم الذي تروّعكم
جراته ؛ وإن يكن فيها ما لا يزال يهز نفسي ويكبت
روحي »

وصمت « إيفان بتروفلش » لحظة تدفّقت
عليه فيها خيالات تلك الليلة الليلية التي عانى فيها
من ضروب الوجع والرعب ما يشيب لها رأس الوليد ؛
ثم قال ببلهجة منفلة :

« أعود بكم القهقري إلى ليلة عيد الميلاد من العام
١٨٨٣ ، إلى تلك الليلة التي ما برحت ماثلة أمام عينيّ
برغم تقادم العهد ومرور الزمن ، والتي لا أزال حتى
الساعة أذكر وقائعها كأنها جرت أمس ؛ فإن من
الوقائع ياسادة ما ينطبع في الدهن فلا يمحوه كـ

الوئيد وعلى صدرى كابوس من الهم جد مرهق .
وكان يخيّل إلى أن أرواح الموتى تملأ رحاب الطرق
وأن جموعها تلحق بي وتقفو أثرى . وكنت أحسب
لدى كل خطوة كنت أخطوها أننى سأجد شبحاً
من أشباح العالقة واقفاً لي بالمرصاد ليمسك بي من
خناقي بيده الحديدية

إن الموت محتوم ولا مفر منه ، ولكن النفس
البشرية يعزّ عليها أن تتلاشى حتى ولو كانت من
الموت على قاب قوسين ، فكيف بي حينذاك وأنا فتى
رطب المود غيسافى الشباب

فقد كنت أسير مرتعد الفرائص من الخوف
ولكنى كنت أشجع نفسى وأهيب بها لتخطى
السييل من غير وجل ؛ وكنت أشعر أنى أدفع
بخطاي دفعا ليكون لي من وطئها الثقيل على الأرض
صدى آنس به فى ذلك الظلام الحالك الرهيب

وأمرت السماء فكانت ضغثاً على إباله
وصعد إيفان زفرة محرقة ، ثم تناول الكأس
عن يمينه وجرع قليلاً من الماء ثم تابع :

« إن هذا الخوف الذى كان يسربلى من قبة
رأسى إلى أخص قدمى ، هذا الخوف الذى لا يحده
بيان ولا يلم به تعبير ، والذى ما إخالكم تفقهون له
معنى لأنكم - لحسن طالعكم - لم تذوقوه ولم
تشعروا به لم يكن ليفارقنى قط حتى ولا بعد أن
صعدت إلى غرفتى فى الطابق الرابع من منزل
« ترويوف » مستطار اللب مبتلل الثياب

فتحت الباب ودخلت وكان الظلام الدامس
سائداً مأواى الحفير

واشتدت العاصفة فانفتحت ميازيب السماء
كأفواه القرب ، وجنت الريح فراحت تجار
بصوتها المدوى الخفيف ، وتصفع مصاريع الشبايك

صفعاً لا رحمة فيه ولا عطف . وتعصف فى المدفأة
فيسمع لها أنين كحشرة المحتضر ، فقلت فى
نفسى والبسمة المصطنعة تتحير على ثغرى : إن كان
على أن أصدق (سبينوزا) فإننى وقد نجوت من
الموت على قارعة الطريق لن أجمو منه هنا ، وإننى
سألاقي وجه ربى فى هذه الليلة الثائرة الغضبية ،

وأسلم الروح بين عويل الرياح الهوجاء وبكاء السماء .
وتخطيت العتبة وأنا أرسم إشارة الصليب على وجهى ،
ثم أشعلت عدداً من الثقاب ورحت أجوس بنظرأتى
التأهة أمحاء الغرفة وإذا بي أرى منظرأ مرعباً غيفاً

لم أكن أتوقع أن أراه قط ، منظرأ ما إن لمحتته حتى
انهلع له قلبى من الرعب وقف^(١) له شعر رأسى ،
فصرخت بملء فى وألقيت بنفسى من باب غرفتى
كالخبول ورحت أقفز الدرج قفزاً من غير وعى .

ولا أدرى ياسادة كيف أنى لم أقع وكيف لم يكسر
رأسى ويدق عنقى ، وأرجو ألا تسألونى كيف رحت
أركض فى الشوارع تحت وابل المطر المهرز كضاً
وأنا الذى كنت أسير فيها قبل بضع دقائق متعنياً

أتلس سبيلى فيها كالعميان . ألا ليت الريح اجتاحت
بتيارها عود ثقابى ، أو ليتها أطفأته على الأقل ، إذن
لما كنت على ما أرجح لمحت شيئاً ولما انهلع قلبى
وذهب الرعب بصوابى . فقد برز لى فى نصف الغرفة

نعش كستنائى اللون مدّت حواليه قطعة من الديناج
المزركش بالأستبوق ، وتدلى على غطاءه صليب معلق
بشريطة وردية من الدمقس المحلى بالشذور

إن فى الوجود أشياء تكنى رائها لمحة خاطفة
حتى تنطبع فى ذهنه بكل دقائقها ، وهذا ما جرى
لى ياسادة من مرأى ذلك التابوت . فقد أملت
بنظرة واحدة عجلي بذلك المنظر وحواشيه ، فقد كان

(١) وقف الشعر وقف ذعرا

قبل أن يتقاضوا أجرهم من صاحبها المرزأ الفجوع
أو قبل أن ينفجهم على الأقل بحذاء^(١) ؟

وهكذا صرت في بحر لحي من الظنون والأوهام،
وأشك على الأمر حتى بت أعتقد أنه أحد اثنين
لثالث لهما : فهو إما جناية أو أعجوبة ، وإن يكن عصر
المعائب قد انطوى بعد أن توفي الله السيد المسيح
ما كنت لأومن بمناجاة الأرواح وأحسب أني
لن أومن بصحتها ماعشت وإن يكن فيها ما لم أوفق
إلى إدراكه حتى اليوم . ولكن مصادفة من طراز
التي وقعت لي تميل حتى بلب الحليم الرزين إلى
الناحية الروحية الرمزية ، هذا إن لم يجعله يعتنق
مذهبها ويعتقد به بالرغم منه .

ولكن مالنا ولهذا الآن ، فلنعد إلى ما كنا
فيه : فقد ظلت يأسادة أسابق الريح في الشوارع
المظلمة تحت وابل الأمطار وأنا أحسب لخوفي ورعي
أن الجثة التي تخيلت وجودها في نعش منزلي قد
نفضت عنها الأكفان فهي تلحق بي وتركض ورأى
حتى بلغت الساحة العامة واهي القوى مضضع الجسم
مضطرب الروح ، فوقفت لحظة ومعطفي المبلول تلعب
بأذياله الريح ، ووجهي الأصفر الشاحب يلطمه رذاذ
الطر ، والبرد القارس يهزني حتى العظام . ووقفت
لحظة أستجمع فيها قواي ، فقد كان علي أن أبيت
في مكان ما فأتقي هول العاصفة ، ولكن أين ؟ أفي
منزلي ؟ وأنا الذي أخذ الأين والكلال مأخذيهما
منه هرباً من ذلك المنزل المسكون ؟ أنكب نفسي
بالتابوت أو بالجثة التي قد تكون فيه مرة أخرى
وقد هدّت قواي لأبجوماتهما وأبتعد عن رؤيتهما ؟
أأخلو وحدي بنعش ؟ إن هذا ليذهب بالبقية
الباقية من عقلي . هذا إذا كان قد تبقى لي منه شيء

(١) حذيا كثرًا : الهدية أو الحلوان « البقشيش »

النعش لجسم معتدل القامة ، وثبت لدى من قبضتيه
البرزيتين ومن الديباج المجلل به والشريطة الحريرية
المرزكشة التي تتدلى عليه أنه صنع خاصة لفتاة من
أهل الفنى واليسار »

وقامت إحدى الحاضرات فرفعت ذؤابة القنديل
قليلاً ثم عادت إلى مكانها فاستطرد حديثه :

« ما كان لي أن أخشى لو أنني دخلت فرأيت
كلباً كلباً أو لصاً سارقاً ؛ ولا كان لي أن أتعجب
لو أنني دخلت فوجدت النار تلتهم الغرفة بما فيها ،
أو وجدت السقف قد تداعى والجدران قد انهارت
فهذا كله أمر طبيعي معقول لا غرابة فيه ؛ أما أن
أجد تابوتاً في منزلي ، تابوتاً ثميناً لفتاة ذات ثراء في
غرفة وضيعة لموظف صغير — فما لا يخطر في بالي
قط ، وهو مما يستدعي الدهشة حقاً ، بل مما يهول
المرء ويرعبه !

فن أين هبط هذا النعش ؟ ومن ذا الذي أتى
به إلى غرفتي الموصدة أثناء غيابي ومفتاحها لا يدري
أحد أين أضعه إلا خلّص صهي وأترابي ؟ ولكن
ليس من المنطق في شيء أن يضع قسيمو ودي
وولائي نعشاً في غرفتي ! أتكون الأرواح قد
جاءت به إليها ياترى فيكون (سبينوزا) إذ ذاك
غير مخطئ في قوله لي ساعة أنذرنى بدنو الأجل ؟
يا للفجيعة إذن ! ويا للهول ! أتكون ساعتى قد حانت
وأنا في مطلع الصبا ومستهل الشباب ؟ حنانيك
الهم وغفرانك !

تلك كانت الأفكار التي ساورت مخيلتي يأسادة .
ولقد كان لي أن أظن أن التابوت قد أتى به خطأ إلى
غرفتي أحد موظفي دوائر الجناز ، فقد يفلط أحدهم
في الطابق أو يخطئ الباب المقصود ، ولكن
من منا يجهل أن حاملي النعوش لا يفادرون الدار

بل إن هذا لم يمتني ما في ذلك ريب ، ولكن بقائي في الشارع تحت المطر الواكف يقرسني البرد بزمهريره فما لا أريده ولا طاقة لي على احتماله وتذكرت ، وأنا في غمرة اليأس ، أن لي في «حي الأموات»^(١) القريب صديقاً يدعى (أبو كيف) — وهو الذي انتحز منذ عهد قريب بطلق من مسدسه كما تعلمون — فرأيت أن ألتجأ إليه لأقضي ليلتي عنده

وتناول إيفان منديلته ومسح العرق البارد المرفض عن محياه ثم قال بعد أن زفر زفرة حرى : « لقد أبى سوء الطالع إلا أن ينكبني ياسادة بملازمته إياي في ليلتي تلك . فقد أمت منزل صديقي وكلّي أمل بلقائه فإذا بي أذهب فلا أجد أحداً . ولم أربداً وقد عولت ألا أبرحه إلى مكان آخر ، من أن أتمس المفتاح في الكوة التي اعتاد صديقي أن يحبثه فيها . وقد أحسست لما عثرت يدي عليه بلذة ثلج لها صدرى ، وتيقنت وأنا أفتح الباب أن الفرج قد وافاني بوجهه الباسم الطلق ، وأنى واجد من غير بدء في غرفة صديقي الراحة التي عدتها وحرمت منها هزيعين من الليل كاملين ، فدخلت دخول الواثق المطمئن وأنا أنضو عنى معطى المبتل

كان الظلام الحالك باسطاً أرديته ، وكانت الريح تدوى أبدأ بلحنها الموءس الفاجع ، وفي إحدى الزوايا جدجد يشق هدأة الدجى بغناء مستهجن يطلقه على وتيرة واحدة مملة ، وكانت النواقيس في كنيسة « الكرملين » تعلن للملأ بدقاتها الموزونة صلاة السحر ، وكان كل ما في الطبيعة الثائرة يبعث على الرهبة والجلال . وأنا برغم ما كنت بدأت أشعر به من الطمأنينة ، كنت أحس في أعماقي بحزن شديد

(١) أحد أحياء موسكو

يغلف روحي ويأس قوى يضغط على صدرى وارتطمت قدمي وأنا أتقدم في صحن الغرفة بشي حسبته للوهلة الأولى أريكة ، فالتفت عليه معطى وقبعتي . وبينما كنت أحاول أن أتخذ مجلسي عليه كان عود الثقاب الذي رحت أشعله قد أنار جوانب الغرفة ، وبالمحت (أريكتي) هذه على ضوءه الباهت حتى أرسلتها صيحة مدوية ملؤها الرعب اهتزت لها أرجاء الغرفة من غير ريب ، ورحت كالهائم الخبول المروع أقفز درجات المنزل قفزاً

فإن ما حسبته أريكة لم يكن إلا نعشاً . أجل ياسادة ، لقد أبصرته حقاً ولم تخطيء عيناى في مرآه فقد كان ضعف تابوت غرفتى حجماً ولونه قائماً يوئس رائيه ! فن أتى به إلى هناك ولماذا ؟ أكون في الأمر جنانية يا ترى ؟ وكيف جرى ذلك في غرفتين غرفة صديقي وغرفتى معاً ؟ ومن لي بمن يجلو حقيقة الأمر ، ويطلعنى على تفاصيل هذا السر الغامض المبهم ؟ ! أكون على عيني غشاوة ترى في كل ما أرى مأوى الموت الرهيب ؟ ! أكون جلسة مناجاة الأرواح قد أنهكت أعصابى وانتابنى من جرائها رداع^(١) أليم استحال معه كل شيء في نظرى توايت ؟ ! أم أننى قد جُنت ؟ !

وما مرّ ذكر الجنون في خاطرى حتى وضعت رأسى بين يدي ، ورحت أفكر بما تبقى لي من عقل وتعمت شفتاى من غير إرادتى :

« أأكون قد أصبحت مجنوناً ؟ ألا رحماك يا الله ! »

وكادت رأسى تنفجر ، وكانت رصكبتاى تصطكان من شدة الدعر والبرد معاً ، وجسدى

(١) الرداع : وجع الجسد أجمع

ووصل إلى صر تعد الفرائص ، شاحب اللون ،
مستطار اللب ، زائع النظر ؛ فأمسك بذراعيّ وسأل
بصوت أبح :

أهذا أنت يا إيفان ؟ أتكون أنت إيفان حقاً ؟
إنك لست شاحب السحنة فحسب ، ولكنك
— أعني يا إلهي — بطل من أبطال الأساطير
المروعة أو جن ، أو ميت نفص عنه الأكفان
وخرج من ضريحه !
فقلت له :

— وأنت يا أخي مالك مضطرباً قلقاً ؟ وما بال
وجهك قد تغيرت منه الأساري وتبدلت فيه الملامح ؟
إنك لتخيف رائيك حقاً يا (بوغوستوف)

— آه ! دعني بربك يا أخي أستنشق الهواء ،
وأستشعر الدعة والاطمئنان حيالك ، وإني جد
سعيد بمرآك هذا إن كنت حقاً أنت الذي أرى ،
وإن أنت لم تكن وهما لحواسي ومشاعري . لك الله
يا جلسة مناجاة الأرواح من لعينة !

وأطلق من صدره المجهود زفرة ملتهبة ثم قال :
« لقد قلبت تلك الجلسة أعصابي إلى حد ... آه !
أرجو ألا تعتبرني مجنوناً يا إيفان ... إلى حد ...
تأمل يا هذا ... إنني عند ما دخلت المنزل وجدت
في البهو ... نعشاً ... أجل نعشاً ! »

وكذبت بإسادة أ كذب أذنيّ فيما سمعنا لو لم
استعده حديثه ولو لم أرغب إليه أن يكرر قوله
ليثبت لي أن ما رآه تابوت حقيقي لا ريب فيه
وجلس على العتبة وأجلسني معه وأمسك رأسي
بكلتا يديه وقال :

« أجل يا إيفان ، لقد رأيت نعشاً ، نعشاً
حقيقياً » ثم صمت لحظة كأنه راح يستجمع خلاها
قواه أو شتت أفكاره ثم استطرد :

كله يرتجف ، والريح العاتية القرّة تخترق برودتها
عظامي ، والمطر يتدفق من ميازيب السماء كالينابيع ؛
وكنت من غير معطف ولا قبعة ، فمطفي وقبعتي
تركتهما على تابوت غرفة صديق ، ويستحيل عليّ
أن أعود لأتي بهما فالرعب قد شلّ أعضائي كلها
وشدّد الذعر ضغطه على صدري ، وأطبق على
أضلاعي ، وتصيب العرق البارد من وجهي !

ما ذا كان عليّ أن أعمل يا سادة ، لقد بتُّ
مجنوناً ، أو نصف مجنون على الأقل ، وفقد عقلي
الراجح توازنه ، وأصبحت مختل الشعور . وغدوت
عدا ذلك عرضة للبرداء

وكان ربي وربكم شاء ألا يتخلى عن عبده في
هذه المرة ، فألهمني في موقف الحرج هذا أن
ألجأ إلى صديق الحميم الطيب (بوغوستوف) الذي لم
يكن منزله عن « حي الأموات » يبعيد ، وكان يسكن
في الطابق العلوي من إحدى بنايات أحد مستشاري
الدولة ، وكان حضرة صديقي الطيب هذا قد حضر
معي جلسة مناجاة الأرواح اللعينة ، فهرعت إليه آملاً
أن ألقى عنده الراحة — ضالتي المنشودة — فإذا
بألمي يخيب ، وإذا بي عنده أنكب برزء جديد تحمّله
أعصابي المهوكة المضعضة ؛ فقد سمعت وأنا أصد
درج منزله جلبة وضوضاء ، ووطء قدمي مهوول
راكض ، ولطم أبواب ، وقعقة خفيفة ؛ ثم لم ألبث
أن سمعت صوتاً شبيهاً بزئير الأسد الطمين وصوتاً
صارخاً :

« إلى ، إلى ، النجدة ! الفوث ! » ثم رأيت
بعد ثانية واحدة شخصاً مجللاً بثيابه السوداء ينحدر
على الدرج خائفاً مرتاعاً ، فناديته وقد عرفت فيه
صنوى الحبيب :

— بوغوستوف ، ما بك ؟

عزيرى بوغوستوف
إنك تعلم ، على ما أظن ، أن أحوال عمي المالية
قد ساءت كثيراً في الآونة الأخيرة ، وأنه في هذه
الأزمة الخائفة غارق في ديونه وأن لا سبيل إلى
وفائها الآن

وبما أن السلطة ستجبر غداً على مقتنياته ،
(وهو كما لا يخفى عليك خير صانعي التواييت في البلد
وأحد قههم في مهنته) قررنا نحن أقاربه الأدينين في
الاجتماع العائلي الذي عقدناه أمس أن ننقذ شرف
عائلتنا وسمعتنا من النكبة الواقعة ، وارتأينا أن نخفي
أثمن التواييت وأجلها عند من نعتقد فيهم الاخلاص
والوفاء

وهأنذا ، بناءً على هذا الاعتقاد ، أبعث إليك
كما أبعث إلى كل أخ محب كريم تابوتاً للاحتفاظ به
أسبوعاً على أكثر تقدير معتمداً على ما فيك وفي
خُصَّص الصحب من كرم ونبيل

حجك : ایقان تشیلوستان
وتنفسنا الصعداء بعد قراءته ککل متعب
مکدود ألقى عن عاتقه عبثاً کان یبهظه ویرحق قواه
هذه هي یاسادة أشام ليلة عرقها فی حیاتی

وقد وجب على بعدها أن أعالج لدى الأطباء ثلاثة أشهر متوالية لتهديئة أعصابي وإعادتها إلى ما كانت عليه أما صديقنا صانع التواييت فقد نال بغيته وأُنقذ سمعته وهو الآن يدير بنفسه محلاً لتجهيز الموقى يبيع فيه رخاماً وتمائيل وغير ذلك مما له علاقة بالتجنيز ، إلا أن أشغاله لنكد الطالع ليست على ما يرام

ولهذا يا سادة أخشي عندما أعود كل مساء إلى
منزلي ، أن أجد فيه حيال سريري تمثالاً من الرخام
الناصع أو نعلماً مزيناً
بجوه مسلي

شمطاء . وهناك في
تفاريق الغابة بعض
فتيات فيهن الملاحاة
والظرف والجمال وفيهن
التبذل والفجور أيضاً ؛
يجذبهن العمل وتغريهن
الدريهمات ولكنهن
شر مستطير على من
يقع في حبالهن ، فما

له من عقاب سوى العزل . ولقد كنت أقسو عليهن
أحياناً فما أزيدهن إلا سخرية وتهكماً ؛ ثم هن
يحدقن فيّ وعلى شفاههن ابتسامات رقيقة خلابة ،
فأثنى عنهن خيفة التردى فيما هو أدهى وأمر ، وما
استطاعت واحدة أن تجذبني إليها والغواية تتجاذبني
وغير بعيد منا ، على شاطئ النهر إلى جانب
سوق المدينة ، يعيش جماعة من ذوى اليسار من
التجار والفلاحين ؛ وهناك مركز الشرطة ؛ وعلى
جانبى الطريق ، بين المعامل والمدينة ، دور بناها
الكونت لتسكنها الطبقة الوسطى من العمال ، وهم
ناس فيهم النظافة والنظام ، وفي الناحية الأخرى
من المدينة أكواخ قذرة ضمت سفلة القوم
وأوشابهم ، ومن بينهم رجل يدعى كراتوتشويل
وجدلدة في الخمر فاندفع يشربها فما يبدو إلا سكران
ممتلخ العقل . ثم استلبه الشراب — بعد حين — من
قوته فما عاد يصلح لعمل . بين يديه زوجة وثلاثة أطفال
تعضهم الفاقة فما يجدون البلاغ ولا يستطيعون العمل
فراحوا يستكفون الناس ، وانسلت الأيدي تسرق
ما تبلغ إليه ، ثم هم ينتظرون من ينزل بهم من الرّحل
في شغف وشوق لينالوا منهم شيئاً وليجمعوا ما بقي

سَأَكُونُ الْكَهْفُ

للكاتب النمساوى فردينا ندفون سار
بمقام الأستاذ كامل محمود حبيب

قال مستر برينيت مفتش أعمال الغابة وهو يعث
بلحيته البيضاء : « لقد كان ذلك منذ سنوات
وسنوات وهي في خيالي كأنها ذكرى الأمس
القريب »

— ١ —

في سنة ١٨٦٥ كنت مساعداً في أعمال غابة
الكونت (و...) في موراڤيا ، وكان رئيسنا رجلاً
طوى سنى شبابه ، وأصابه النقرس فهو يتكىء دائماً
على كتفى أو على عصاه ، وكنت فتى بين الفتاء ،
شديد القوة أتعشق عملي فلا أتركه إلا إلى دار
الراسة في القلعة ؛ ولم أكن شاباً بين الشباب
يستهويني ما يستهوهم ويجذبني ما يأسرهم ؛ فما
طلبت اللذة في الخمر ، ولا وجدت السعادة في قصف
ولهو . غير أن نفسي هفت نحو أمر ما تصبر عنه ..
تلك هي رقيقة الصبا وقسيمة الشباب ، وأنى لي أن
أجدها في هذا القفر الياب ؟ أفستطيع النفس
الظامئة الوثابة أن تكفكف رغبات تتأجج بين
طيات الجوانح فتدفعها إلى أمر ... ؟ وبدت دار
رئيسي — وكنت أسكن معه — مجرداء ممحلة
بعد إذ تزوج ابنتاه وخلفتا وراءهما أمما عجوزاً وخداماً

نهاره يصيد السمك ، وأنا أجد في عينيه الزرقاوين وشعره السبط المنسدل على جبينه ما يجذبني إليه فأقذف إليه بقطعة من نقود أو بقيا ذخينة فيتلقفها فرحاً مسروراً

وفي صباح يوم من أيام مايو أشرقت شمسها وهذا نسيمه ، انطلقت إلى القلعة أقضى وطراً ؛ وحين دنوت من القنطرة رأيت فتاة استلقت على ظهرها إلى جانب النهر على الرمال الدافئة ، لا يسترها سوى قميص قصير ما يكاد يبلغ ركبتيها ، به فروج تبدى عن شيء وتخفي شيئاً ؛ وقد انكشف منديها عن شعر ذهبي سبط جميل تداعبه نسيمات النهر الهينة . وحين سمعت وقع أقدامي تقترب منها رويدا نظرت إلى بعينين خضراوين جذابتين . من تكون هذه الفتاة الفتاة التي انطرحت على الأرض في أسماها ؟ لعلها ابنة كراتوتشويل !

وعند الظهر عدت إلى داري فألفيتها في مكانها لم ترم ، وأحسست كأن نظراتها تحترق شغاف قلبي فأنتفض وقد استشعر أمرا ؛ غير أنني طرت إلى داري خشية أن يقودني قلبي إلى الهاوية

وقصصت ما رأيت من أمر الفتاة وأخبرها على رئيسي فاهتاج وغضب ، ثم قال « إن هذا جهود وإغضاء من القانون . أفترك هؤلاء ولا عمل لهم يعيشون في الأرض فساداً ؟ لا بد أن أسوق الأبوين إلى العقاب وأن أدفع بالأبناء في غمار العمل » قالت زوجته « وأسفا ! أفيعيش الأطفال هملا ، وفيهم الجمال والدكاء ولا سيما البنت ؟ » وصاح الرجل مغنيظاً : « ماذا نفعل ؟ وهذا عمدة البلد لا يعني بأمر ابنته ، فهو يقذف به بين الأنعام ليقضى عمره بهيمة بين البهم ! لا ضير فهو غني ، أما هؤلاء فقراء يعوزهم المال (٢)

من آثارهم . وأذن لهم المفتش بالاحتطاب عطفاً منه وإشفاقاً ، فحسنت حالهم وبدأ عليهم أثر النعمة فبنوا كوخاً كبيراً وزرعوا أمامه بعض الخضر وتندّر عليهم بعض الظرفاء فأطلقوا على الكوخ اسم « قبيلا كراتوتشويل » . أما زميلي مساعد المفتش فكان يلقبهم بـ (ساكني الكهوف) فلصق بهم الاسم .. وكان أكبر الإخوة طفلاً عيلاً سقيماً أنهكه الفراغ وأضناه الكسل ، وبدت على الطفلين الصغيرين سمات الشر فأنطلقا يتسولان ويسرقان . وبذت الطفلة أخاها ، فهي تختفي في الدور حين يسدل الليل مسوحيه . ثم تنسل عند الصباح الباكر في خفة إلى دارها وبين ثيابا ملابساها من المتاع ما تستطيع حمله . وفي ذات مرة عثر عليها تحت سرير أحد الموظفين فساقها إلى الشرطة ؛ غير أن صغر سنها حال بينها وبين السجن فعوقبت بالضرب ، ولكن أتي للعصا أن تنزع شراً وتغرس خيراً ؟ لا ريب أن أباه وأماها كانا يدفعانها إلى مهاوى السوء ليستطيع الأب أن ينال بعض ما يتعمى من شراب . وشباً .. ووجدت الابنة — بعد حين — في أخيها معواناً .. ثم قبض عليهما معاً في مخزن . وحكم على الفتاة بالسجن سنة ، أما الطفل فكان صغير السن

تلك هي حياة آل كراتوتشويل خلال السنوات الأولى التي قضيتها هناك . ولشد ما آلمني أن تلوث هذه الشردمة الناحية التي أعيش فيها . وكان الصبي يستجدي بعض عطفني بين الفترة والفترة بأصابعه المبتورة . ولقد قيل إنه هو الذي عمد إلى المنجل فبتر به أصابعه فراراً من العمل الذي أرغم عليه ، ولكنه كان قوياً شديداً تبدو عليه علامات الذكاء والفراهة . وكان يختلف إلى النهر فيقضي شطراً من

وتعصرهم الفاقة ، ولا ريب أن الفساد ينخر في عظامهم في غير هواة ولا لين ... » وأخذ الرجل يتحدث عن الأمر في شدة وحماسة حتى تفرقنا كل إلى فراشه . ورأيت فيما يرى النائم كأن آل كراتوتشويل يرتكبون الجرائم الوحشية في غير تخرج ولا حياء

— ٢ —

وفي الصباح التالي حملت بندقيتي وناديت كلبي وانطلقنا معاً إلى الغابة . وكان اليوم من أيام الاحتطاب يتطلب اليقظة والدقة والعناية ؛ فإن أخلاط الناس يحشرون في الغابة يعبثون بها إن وجدوا منا غفلة أو أنسوا إهمالاً . ورئيس الجرس إلى جانبي يتنزه نشاطاً وجداً ، وتقاطر الفتيان والفتيات حولي يلتمسون الإذن ثم انطلقت أضرب في أنحاء الغابة ما أهدأ ولا أستقر . وعند الظهر ابتداء الجمع يتصدع فهممت أريد الذهاب إلى داري فرأيت زوجة كراتوتشويل تدب وتتجامل على نفسها كأنها تنحط من صعب ، وهي تحمل حملاً ثقيلاً من الخشب وأنفاسها تتتابع من البهر والتعب ، والعرق يرفض من جبينها فما ينصب ، ومن خلفها ابنتها تهادى في أناة وصلف لا تحمل سوى المنجل ، وراعني أن أرى الفتاة مختال في سيرها كأنها ابنة أمير ، ثم هي لا تخفف عن أمها المعجوز بعض ما أثقلها . وحينتي الأم بصوت فيه رنات الأسى والجهد ؛ أما الفتاة فانبطلت لا تعيرني التفاتة ، وحين جاوزتني نظرت إلى نظرة ذي علق وعلى ثغرها ابتسامة رقيقة خلافة كأنها أحست مني الميل نحوها ؛ فأهمني أن تضطرب الفكرة في خيالها وأنا أكنتمها في نفسي ...

ودلفت في اليوم الثاني إلى عملي على حدود الغابة في المزرعة ؛ فإذا الفتاة جالسة على صخرة ناثئة على

جانب الطريق كأنما تنتظر إنساناً وبين يديها بعض زهور يانعة تعبت بها . وحين صرت بإزائها نظرت إلى في حياء وخفر ، فاضطرب قلبي ؛ غير أنني اندفعت في طريق ... واستطعت أن أراها وأنا في المزرعة ، وأردت أن أنزع عن قلبي بعض ما نفثته في نظراتها الملحة ؛ فتنكبت في العودة طريق الأول ، وسرت غير بعيد ، فإذا الفتاة تشدد في سيرها تقطع على السبيل ، وتثر عند قدمي أزهارها ، ثم تختفي في أضعاف الغابة ؛ وعادت تكرر عملها مرة ومرة ، وحين اقتربت من باب داري سمعت ضحكها ترن علي بضع خطوات مني فيها السخرية والهزء

وتبعثني يوماً ويوماً فما شككت في أنها ترصدني . وعند عودتي في اليوم الثالث سألتني الرئيس : « برينيت . أفرأيت ابنة كراتوتشويل ؟ لقد حامت حول الدار كأنها تريد أمراً ... » واعتقل لساني فما استطعت أن أحدثه الحديث ، ثم قلت : « نعم رأيتها على مسافة بعيدة » قال : « وإذا رأيتها ثانية فليها وسقها إلى الشرطة ، وإن هي حاولت فراراً فارمها بالكلب يمزقها أو اقدفها برصاصة . قلت وأنا أرغم نفسي على الابتسام : « هذا أمر صعب » قال : « لا ، فما أريدها تتسكع حوالينا ؛ أو توعددها بأن نمنع أبويها الاحتطاب فقد يكسر هذا من شوكتها » وشق علي أن أكنم في نفسي أشياء ، وناداني صوت الضمير فعزمت على أن أقذف بهذه الفتاة الشريفة بعيداً عن الغابة

ولاقيتها — في اليوم التالي — فناديتها : « ها أنت ذه ! » ونظرت إلى في استحياء ، فقلت في غلظة : « أي شيء جاء بك إلى هنا ؟ » وخاب أملها حين أغلظت لها القول ، فأطرقت في ذلة وانكسار

الاعياء... ثم تذكرت أنني رأيت منذ شهرين ينمو
في هذه الناحية ، فمطفت أفتش... وراعى أن
أجد إناء به ماء فاضطرب قلبي وأنا أصدق فيه أريد
أن أستشف أمراً ، وفزعت حين سمعت صوت جسم
يسقط من بين الأغصان إلى جانبي ، فالتفت فإذا
هي ... هي الفتاة ، ابنة كراتوتشويل ؛ وراحت
ترمقني بنظرات نفاذة وهي تبسم ، اهتز لها قلبي
ثم ... ثم نكصت على عقبي وكلي من ورأى يلغ
في الإناء حتى روي ثم اندفع في أثرى

وبلغت الدار ونفسي تنازعني إلى الفتاة ، والرغبة
الجامحة تلح عليّ ، وسيطرت على فكرة ما أستطيع
دفعها فسلبتني الراحة والهدوء ، واضطربت الحياة
في ناظري فما أطمئن إلى فراش ولا أتلذذ بطعام
وساقني العمل إلى الغابة بعد أسبوع ، فرأيت
الفتاة في مكانها الذي اعتادت أن تنتظرني فيه ،
فسرت في مفاصلى — لدى رؤيتها — رعدة شديدة
وحدثتني نفسي أن أقول لها ... غير أنى استشعرت
العار والفضيحة فانطلقت لأوى على شيء ، وكلي
يصبص عندها بذنبه كأنهما صديقان ، ورأيتها
تداعبه فتشغله عني ، فناديت فلم يأبه ، فقلت في شدة
« دعيه ! » فقالت في هدوء « أنا لا أستطيع أن
أطرد صاحبي ، وهو لا يكم في نفسه ما يكم سيده »
قلت : « ماذا ؟ ماذا ؟ » قالت في رقة وهي تدلف
إلى « أوه ، لقد لبثت طويلاً هنا أنتظرك » قلت :
« أنا ؟ لماذا ؟ » ووقفت الكلمات على شفيتها وفي
نظراتها الرقة والظرف فنفت في نفسي الحنان
والعطف ، وفي قلبي السحر والهوى ، فتخاذلت ...
واستطعت بعد لآي أن أحدثها في غلظة « إنك
لا تستحين ، ابتعدى عني ! » فنظرت إلي في خوف

وهي تقول : « أى شيء ... ؟ أخرام على ؟ » قلت
« نعم » قالت : « ولماذا ؟ إن الغابة مفتوحة لكل
طارق ! » قلت : « لا ، وإذا كان حقاً ما تقولين
فأنت آخر من يستطيع أن يجول في أبحاثها » قالت :
« ومن ذا يقف في طريقى ؟ » قلت : « أنا » قالت :
« أنت ؟ » ثم حدتني بنظرة فيها الصلف والجحود
وفيها الرقة أيضاً ، فاضطربت وتخاذلت ثم ناديت
شجاعتى فلبتني سريعاً فقلت : « أنا لا يعني أن
تكونى هنا أو هناك ، ولكن الرئيس أمرنى ... »
قالت : « وكيف تنفذ أمر رئيسك ؟ لعلك تريد أن
تغرى بى كلبك . انظر ! » ثم ألقت إليه بقطعة
خبز فالتقطها وأخذ يحوم حولها . فقالت وهي تبسم
في رقة وظرف : « ليس فيه ما فى سيده من تجبر وعناد .
لقد أخذ ما أعطى ! » وابتدأ الحديث يلحس في
ناحية حساسة فقلت : « أنا لا أريد أن أندفع معك
في الحديث ، ولا أريد أن أقسو عليك ، ولكن
اضطرابك في جوانب الغابة دون عمل سيضطرنا إلى
أن نمنع أبويك الاحتطاب » ثم ناديت كلي وهي
من خلفي ترسل ضحكاتها ترن في الفضاء

وتصرمت أيام لا أراها ، وهفا قلبي نحوها ،
فألنى أن تخضع هي لأمرى فتحتجب عني
ودارت الأيام ، وهبت رياح الصيف الساخنة
تنضج القمح ، وانطلقت إلى القلعة — ذات صباح —
لأنجز عملاً ... ثم عدت عند الظهر في الهاجرة ،
والشمس تلهب ، والدنيا صامتة ، والريح ساكنة ،
وأنا أسير الهوينى ... وتلظى الحر فطبختني وكلي
الهواجر ، وغلبنا القيظ والظما فما أجد رية والدار
على بعد ساعة منا ، والقنوات بازائنا ما فيها قطرة ،
وما فى لسانى بلة ، وقد أعيانى الجهد وأضنانى

قالت في انكسار: «نعم» ثم حيتها وانصرفت
والعبرات ما تزال تتدفق من محجريها... واطمان
قلبي لأنني استطعت أن أغسل عنها بعض خطاياها..

— ٣ —

وفي مساء هذا اليوم انطلقت إلى المفتش أحدثه
حديث الفتاة وأسأله عملاً لها. وعجب هو لحديثي -
باديء ذي بدء، فخببرته بوعدها، فقال: «حقاً،
لن أقف في سبيلها فأجني عليها جناية أخرى.
سأجد لها عملاً برغم أنني لا أثق بها. إن الإرادة
يابني وإن كانت من حديد لا تغلب الطبع وهو قد
انحدر من الأبوين واختلط بالدم. لقد كان أبواها
يطلبان العمل في الحين بعد الحين ثم لا يلبثان أن
يلقيا بالفأس والمكبل جانباً ويندفعان إلى حياة
التبطل والكسل؛ وأنت تعلم أن أخاها قطاً
أصابه بالمنجل هرباً من العمل حين أرغم عليه،
وأنا أخشي أن تنهج هي نهجه، ولكنني سأحبوها
بعمل...»

وأشرفت - بعد يومين - من عل على الحقول
والعمال يعزقون أستطلع خبر الفتاة، والسماء صافية
والنسيم عليل، والناس منتشرون هنا وهناك بين
نبات اللفت، وإلى جانبهم حقول القمح تضطرب
تحت النسبات اللينة كأنها أمواج من ذهب. وجهدت
أن أرى الفتاة فعجزت واليأس يجد طريقه إلى نفسي
رويداً رويداً، ثم أشرقت على شفقي ابتسامة الرضا
والطأنينة حين رأيتهما مجدة في عملها وإن لم أر أثراً
لما لي عليها سوى منديل قشيب أحمر تداعبه هبات
النسيم... ثم انقلبت إلى داري فرحاً

وعند المساء أحسست بالمرض يتدفق في جسمي

وفزع ثم تقهقرت حين رأيته أهن في يدي بندقتي.
تقهقرت وعلى وجهها أثر الخبث والدهاء ثم قالت
في استعطاف: «لا، لا تفعل، لا تطلق بندقتك
فتحدث ضوضاء وضجة. أنا ذاهبة ولكن أعطني
بعض المال فأنا جائعة، وملابسي ممزقة، ثم إنني
لا أملك حذاء» قلت: «حذاء؟ وماذا يفيدك
الحذاء أيتها الخائنة؟» وأسقطت عليها كلمتي الأخيرة
صاعقة تهد من كيانهما وتعصف بقوتها، فقالت وهي
تتحامل على نفسها: «لا تنطق بها ثانية، فأنا لم
أسرق منك شيئاً» وندمت على أن زلّ لساني
فنطق بما لا أبتغيه، فاندفعت أرفه عنها بعض
ما أصابها فقلت في هدوء، «لقد أثرت غضبي،
وإذا كنت جائعة عارية فلماذا لا تصيدين بعملك
مالاً؟» ثم أخذت أجيب العمل إلى نفسها بكلمات
فيها الرقة والحنان فقالت: «إن إنساناً لا يطمئن إلى،
وأنت تعلم لماذا...» قلت: «نعم، وسأحدث
إلى المفتش في أمرك» قالت في شغف: «نعم،
خذني أنت، إنني أريد أن أعمل تحت رعايتك»
واقتربت منها وفي يدي حافظة تقودي «إنك فتاة
جميلة جذابة فلماذا لا تكونين رفيقة أمينة؟
ما اسمك؟» قالت: «ماروشكا» قلت: «حسن
ياما روشكا، والآن أريد أن تضربي لاختوتك
مثلاً أعلى في الجد والنشاط والاستقامة، فتعولين
أبويك وقد أقعدهما الكبر. ألم تفكرى في
المستقبل يا ماروشكا» وأثرت كلماتي فانفجرت
بأكية، فقلت وأنا أعبت بشعرها: «لا تحزني يا صديقتي
واذهبي بعد يومين فاطلي عملاً، وخذي هذا المال
فهو كل ما ادخرت فسدي به بعض خلتك» ثم
وضعت المال في يدها وأنا أقول: «أنذهبين؟»

فيحجبني عن عملي أياماً ... وانتهى عرق اللفت ...
ثم تماثلت للشفاء ...

واستحصد القمح ، غير أن الكونت (و...)
وجاره وصديقه الأرشيديوك كانا قد قدما للصيد
فشغلت بهما حيناً ، ثم استطعت أن أنطلق إلى الحقل
عند شروق شمس يوم من أيام يولية . لقد كان الحر
شديداً والعرق يتصبب من كل فتاة وفتى وهم في عملهم
مندفعون ومن ورائهم زميلي يبعث فيهم النشاط
والقوة . ووقع بصره على فناداني : « عم ضباحا يارب نيت
أجئت لترى فتاتك ؟ لن تجدها فهي قد عافت العمل
بعد يومين » ثم ابتسم في سخرية وتهكم وهو يقول
« وإذا شاقك أن تراها فهي هناك » وأشار إلى
راية . حقاً إنها هناك عند الساقية إلى جانب شجرة
الصفصاف وهي ما تزال في ملابسها الرثة وهيئتها
الزرية ، ثم ابتسم صاحبي مرة أخرى وهو يقول : « لا جرم
أنه يلذ للإنسان أن يرمقها من بعد ! كيف تقضى
الفتاة ساعات يومها ؟ ماذا يفزعها عن الطريق المستقيم
طريق النجاح ؟ إنها جميلة فتاة وعجيب ألا تجذب
إليها فتى من طبقتها . إنني لا أوقن بطهارة ذيلها
وعفتها علي رغم أنني لم أر لها صديقاً . أفستحق
الحب ؟ لو كنت غنياً ، إذن لو فرت لها أسباب الهناءة
والسعادة ؛ ولكن ماذا يفيد وقد صرخ الشيطان
في عروقها ؟ » وجاءت الآلة تجمع ما حصده
الناجل فانطلق هو إليها ، وخلفني وكلماته توقظ في
نفسي هوى نشرت عليه أستار النسيان ، فدق قلبي
في عنف واضطربت الأخيلة في رأسي ثم ... ثم
كتمتها في نفسي ...

وراحت هي تنسكب طريقاً فما أراها إلا في

الحين بعد الحين عند القنطرة ؛ وإن رأيتني تميل عني
تحديق في ماء الغدير . ثم هي قد حال أمرها فأبدلت
ثياباً بثياب ، وبدت نظيفة أنيقة ترف جمالاً وبهاء ،
فيها متعة العين والقلب في وقت معاً ... وقالت لي
نفسى : أنى لها هذا ؟ لست أدري

وتصرمت أساييع ، وجاءت أسرة الكونت ،
وتدفقت - على آثارهم - جماعات من الضيوف ..
وانطلقت أنا إلى رئيس الحرس أهني أمراً ...
فألقيت زوجه لدى الباب رضع طفلها . فأشارت إلى
الطريق الذي سلكه فذهبت أتقصصه ، ووقفت على
شرف أستطلع خبر الحارس ، فأفزعني أن أرى فتى
وفتاة يستلقيان على الأرض يتعانقان في شغف
وشوق ؛ واضطربا أن رأياي أحرق فيهما ، فطلبا مهرباً
وقد أرخت الفتاة منديلها على وجهها ، وعرفت فيهما
ماروشكا وابن العمدة ، وهو صبي وسيم الطلعة ، في
المقد الثاني من عمره وفيه التخنث والغباء فاضطرب
قلبي وزلزلت زلزالاً ...

وعدت أدراجي ، غير أني سمعت الشاب يتناديني :
« سيدى ، سيدى ! » فأجبت في غلظة وجفاء :
« ماذا تريد ؟ » . قال في تلثم : « سيدى ، أرجو
أن تكتم هذا الأمر في نفسك ، وإن لا تكن صفقة
شديدة لأبى ولأُمى معاً » ، وسبقني لساني إلى سؤال
استشعرت منه الحزى : « ولكن هل تتلاقيان هنا
كثيراً ؟ » قال : « كل يوم تقريباً » قلت : « وفي
هذا المكان ؟ » قال : « حيناً هنا وحيناً في مكان
آخر » قلت : « أو مارآ كما غيري ؟ » قال : « رأنا
بعض سكان مقاطعة الأرشيديوك وهم لا يعرفوننا »
قلت : « والحارس ؟ » قال : « لقد أغلقت فيه ! »

رحيق الغرام ، فجن جنونه فما يستطيع عنها صبراً .
والآن فأبوه يرقبه عن كذب فما يدعه يغيب عن
ناظره . ومن الغريب أن الريبة لم تضطرب في خياله
والناس يرون الفتاة تتألق في ثيابها الغالية وتهادى
في غرور و صلف ، وما لها من عائل . فأبوها هناك
سكران ما يفيق . على أن هذا الأمر يחדش كرامتنا
يا برينيت ، فما يتلاقيان في الغابة إلا تحت سمع الحارس
وبصره ؛ وما من شك في أن الشاب أخرسه ببعض
ماله فواراهما في كن ، ثم حمق فراح يذيع الخبر
طمعاً في مال آخر ... »

ثم ... ثم انطلق كل منا إلى فراشه ، وما لبثت
أن سمعت نباح الكلاب يشتد ، ثم دق الجرس في
عنف ، فتطاللت أستطلع الخبر فرأيت بناءين ،
فاستخبرتهما الأمر فخراني أن نارا في المدينة إلى
جوار الغابة

واندفع الرئيس من فراشه لدى سماع الخبر وقد
نسى مرضه وهو يقول : « نار في الغابة ! » ثم انطلق
إلى ملابسه يرتديها وهو يردد : « نار في الغابة ! كيف ؟
كيف ؟ » قلت « أظن أنها ليست هناك ، لعلها في
كوخ الحارس » قال : « هذا صحيح ، لقد أشعلتها
ابنة كراتوتشويل لتثار من الرجل » ثم قال :
« أسرعوا إلى هناك . سألق بكم » وألححت عليه *
أن يظل في مكانه رحمة مني له ، وخوفاً أن يثور
به المرض فلا نستطيع السير إلا في ببطء ... ثم
انطلقت مع الرجلين وفي أيدينا المصابيح ، ووجدنا
الناس قد تدفقوا إلى النار فأخذوها فلم تأكل سوى
قليل من قش حول دار الحارس
وسألت الزوجين الخبر ، فقالت الزوجة في غير

وحققت كلماته رأياً اضطرب في خيالي وخيال رئيسي
حيناً من الدهر . لقد كان الحارس ذكياً جسوراً
ونشطاً ، ولم تكن فيه الأمانة لأنه كان سكيراً
تدفعه الخمرة إلى الخيانة والسرقة ، ولكن الكونت
كان يحبوه ببعض عطفه لأنه قضى دهرأ من عمره
وهو خادمه الأمين ... وحز الأمر في نفسي ...
وصمت حيناً فقال الشاب : « سأقدم إليك جائزة
سنية ! » فصرخت في وجهه في غيظ وغضب :
« تنح ، لن أفشى سرك إن أنت هجرت هذه
الناحية ! » ثم طلبت الحارس فوجدته قد عاد إلى
داره ؛ ونازعني نفسي إلى أن أحدثه حديث الفتى
والفتاة . فمنعني الحجل والحياء ...

— ٤ —

أقعد المرض رئيسي عن أن ينطلق إلى العمل
أو إلى المدينة أو إلى السوق إلا في الفينة بعد الفينة ،
فهو يجلس دائماً في الندى يشرب الجمعة ويأب
الورق ، وهو حين ينتشى يبدو فرحاً طروباً

وجاء — ذات ليلة — وعليه أثر المرح فقال
وهو يجلس إلى جانبي : « أفعلت ؟ لقد دوت إشاعة
في كل مكان أن قد وقع ابن العمدة في حبائل ابنة
كراتوتشويل » قالت زوجته : « لا تقل هذا ! »
وهزئت أنا كتنفي كإنني لأعرف شيئاً من أمرهما .

واستمر الرجل يقول : وعجيب أن يغضب الأب
ويزجر ويتوعد بعد أن أفلت الأمر من يديه ، فالفتى
يريد أن يتزوج من فتاته وهو يتهدد من يقف في
سبيله . قالت الزوجة : « عجيباً ، يا للغباء ! » واندفع
الرجل في حديثه « لقد أغووه ، وفتحت له الفتاة
ذراعيها فذاق لذة الهوى ، وجذبتة إليها يرشف من

ترو ولا أناة : « لعل إنساناً أشعل النار ، فسارقو الصيد قد سلط عليهم الغيظ والحقد لما أصابهم به زوجي ، وقد يكون ... » ثم أمسكت عن الحديث على حين فجأة ، فهي قد التفتت إلى زوجها بفتنة فرأت كأن شرراً يتطاير من محجريه ، وانطلق هو في رزاة وتؤدة يقول : « أنا لا أتهم أحداً ، إن الليلة قرة ونحن أوقدنا النار يصطلي بها الأطفال فلحقت بالقش وهو قديم بال لا قيمة له »

وبدأ لي من خلال كلماتهما أن ماروشكا بريئة ؛ غير أن الرئيس أصر على أنها هي الجانية ومن ورائه غوغاء الناس يدفعونه ؛ وطار الخبر أن ماروشكا أشعلت النار فقبض عليها تسام الخسف

ودفعت الفتاة التهمة عن نفسها في لباقة وحماة فوهت حجة الرئيس ، فسحب المدعى العمومي الدعوة : غير أن الجمهور راح يقذفها بتهم أخرى منها السرقة والتشرد والسفاهة ... أراد المستشارون أن يهدئوا من ثورة الناس فساقوها إلى الإصلاحية

ووجد الفتى لفقدها فالتاث وذهل عن نفسه ، وانطلق إلى آل كراتوتشويل يقضى نهاره بينهم ، ثم انحط في حماة الرذيلة لا يرعوى ولا يشوب . وأراد أبوه أن يدفعه إلى الجندية ليسلو ، ثم أمسك ضناً بوحيدة أن تطحنه الحرب

— ٥ —

ووضعت الحرب أوزارها في سنة ١٨٦٦ فتجلت — والحرب مأيممة ميستمة — عن حزن أفعم القلوب وعصف بالأفئدة ، وعن عيون مارتقاً عبراتها تبتكي الضحايا ؛ ولقد قذف ابن العمدة بنفسه في أوارها عله يجد فيها دواء دائه ، فالتهمته وخلف

من ورائه أبوين يشقيان بفقدانه وقصفت الخمر عود كراتوتشويل فتيتم أبنائه ، وتأيمت أمهم ، وحال أمر أكبر أبناء كراتوتشويل فراح يرعى قطعان الأوز في أمانة ونشاط ، فوثق به الناس واطمأنوا إليه ، فأقاموه على قطعانهم راعياً وانصرفت سنة وما في الناس من يذكر ماروشكا ، ومسحت الأيام ذكراها من قلبي فانطلقت إلى ابنة مقاولي أجاذيها الهوى ثم خطبتها فتزوجتها ولشد ما أدهشني أن أرى ماروشكا في ليسة ظلماء من ليالي نوفمبر بإزاء القنطرة ؛ وأردت أن أجذب نظرها إلى فلوت غنى رأسها ؛ وأحزنتني أن أرى السجن يستلبها من جالها وروتقها

وفي ذات صباح وقع بيننا وبين العمال خلاف فما استقر الأمر إلا وقد أضناني التعب وأكدني الجهد ، والرئيس في فراشه يشكو مرضاً وزوجه إلى جانبه تعني بأمره وانطلقت عند المساء إلى حجرتي أطلب الخلوة لأحصي الحساب ووقفت حوادث اليوم دون عملي ففي خاطري تبلبل وفي عقلي اضطراب ، فألقيت بالقلم جانباً وأخذت أضرب في أرجاء الحجرة وكلبي إلى جانبي ما يستقر ولا يهدأ . واستطعت — بعد لأي — أن أنكب على عملي ؛ واستلقي السكب على الأرض وقد غلبه النوم . ومضت ساعتان ... ثم رفعت رأسي أسمع صوت العاصفة الهوجاء يدوى في أنحاء النابة ؛ وأزعجني أن أسمع صوت أجراس ترن متتابعة فتختلط بهزيم الريح فتبعث في النفس الفزع والرعب ، فاندفعت إلى النافذة لعل أرى شيئاً ، ورق قلبي أن رأيت ألسنة النار تندلع

الدار وحدها تكفيني ! » قلت في تهكم : « إنها دار العمدة وهو رجل غني لا يضيره أن يشيد غيرها وإذا آله ذلك — كما تظنين — أفنتقمين منه وقد فقد وحيداً لأجلك ؟ » قالت في استهتار : « وماذا يعنيني وأنا لم أحبه أبداً ؟ لقد صحبت لأسلبه ماله ولأنك أنت أعرضت عني » ثم هبت العاصفة زفرافاً فانبعثت النار نائرة تتحدم، فضحكت وصاحت فرحة : « هاها ، أفلا ترى ، لقد تسمرت النار وامتد اللهب إلى البيت المجاور » ثم أخذت الزجاجة تتعصب الخمر ، وهي تقول : « ستشوى جلودهم ... أولئك الذين دفعوا بي إلى العذاب ، ماذا أفادهم وماذا أصابني ؟ أنا لن أعمل لأنني أكره العمل ... وإذا أرغمني إنسان عليه فسأنتقم منه في غير هوادة ولا لين » ثم راحت ترقص وتدور حولي في سمر وجنون ، فأمسكت بها وأنا أقول « أفلا تستطيعين العمل ؟ ستعملين مرغمة » ثم أشرت إلى النار وقلت « إن هذا معناه العمل الشاق سنوات عشرين » فقالت « العمل الشاق ! العمل الشاق ! أين هو الرجل الذي يستطيع أن يقذف بي إلى العمل الشاق ؟ » قلت « سيعلم الناس الخبر ، وإذا وجدت إلى الهرب سبيلاً فسيكثر عليك الشرطة » قالت « أفظنه ؟ ولكن لماذا لا تقبض أنت علي أو تقتلني برصاصة من بندقتك هذه ؟ » ثم ألقت بنفسها على الأرض وهي تصيح : « اقتلني ، اقتلني ! » ثم هبت واقفة واندفعت إلي قائلة : « لا ، لا تفعل ! بل قبلني ، قبلني ، أفظن أنه غاب عني ما قاسيت في سبيلي ، نعم ، نعم لقد جئنت بي ، غير أنك خفت أمراً لولاه لضممتني إليك . افعل الآن .. الآن عند النهاية » ثم تعلق

مرتفعة صوب السماء . إنها في المدينة . ووثبت من مكاني وعلى أثرى كلي (ستوب) أعدو نحو النار . لشد ما غاظني أن أرى اللهب يؤج في دار العمدة ! وذهلت عن نفسي حيناً وأنا في وسط الطريق . أفأشتد صوب النار أم أرتد أنشر الأمر أمام رئيسي ؟ ثم سمعت حركة عنيفة فوق رأسي ، بين أغصان الشجر ، والنار تضيء الغابة فتكشف عن كل ما بها ؛ وتنورت الأمر ، فإذا هي ... هي ماروشكا ، فصحت بها « هل أنت هنا ؟ » قالت : « نعم » قلت : « وماذا تفعلين هنا ؟ » قالت : « أرى ، إنني أنتظر منذ ساعتين لأرى اللهب وهو يتسمر » قلت : « أفعلت ... ؟ » قالت : « دون ريب لقد انتهى كل شيء ! » ونزت بي نزوات الغضب فقلت « أيتها الساقطة ! » ثم أمسكت ببندقتي أريد أن أحطم رأسها برصاصة ، ففزعت واضطربت ، ثم قالت : « أففعل ؟ ولكن لن أخشاك . أقتلني ، أقتلني أنت فهو خير لي » ثم قفزت فإذا هي بإزائي ، ونظرت فإذا زجاجة خمر يبدو بعضها من جيبتها فعرفت أنها ثملة ، ثم قالت في هدوء : « لماذا لا تقتلني والنار ليست في الغاية ؟ » قلت في رقة : « أنا أعرف ذلك ولكنني أرثي لهؤلاء الناس » قالت « لا بأس ، لا بأس . لقد أردت أن أجازيهم بما فعلوا ، فلقد كنت في المرة الفائتة بريئة لم أقترف ذنباً قد دفعوني إلى السجن ظمناً وعدواناً ، وها أنا ذى أذيقهم وبال أمرهم » قلت وأنا أنظر إلى النار : « أيتها العابثة ، لقد أحبط الله عملك فالريح قد هدأت وأمنواهم الخطر » وحدقت قبداً لها صدق قولي فتارت بها ثورة الغضب والحقد فقالت وهي مغنيظة محنقة « هذه

واضطراب — حال بينهم وبين أن يسمعوا صوتي
وفيه نبحة من أثر الأين ورائحة الخمر معاً . وفزع
الفتاة أن رأيتي أستعدي عليها الناس فتراخت
أعصابها فدفعها عني في قوة ثم أطلقت رصاصتين
في الهواء ، فطارت هي في أضعاف الغابة

واضطربت لما كان فناديتها: « متهرين ولكنهم
سيعثرون عليك ! » وتفرق رجال المطافي في ثنايا
الغابة يحاولون غيباً

وفي الربيع التالي انفرج الثلج عن جثة فتاة
مشوهة عرف الناس فيها ماروشكا ؛ غير أنني لم
أرها لأنني كنت قد ذهبت أعمل في مقاطعة صهر
الكونت في جنوب سيرا على حدود كرواتيا
طال محمود مبيب

بي وقاربت بين شفتي وشفتيها ، وقد اتبعثت من
بينهما رائحة الخمر الكريهة ، وأنا أحول بينها وبين
ما تريد . وانقض كلبي عليها يمزق ملابسها وهي عنه
لاهية ، ثم اندفعت تقول : « تعال ، تعال إلى الغابة
إلى الظلام ، إلى الخلوة .. » وجذبتني إليها في شدة
وعنف وقد عبثت بقوتي رائحة الخمر النبعثة من بين
شفتيها قوية نفاذة فما استطعت أن أدفعها عن نفسي
وجاء الخلاص في صوت عجلات آلة المطافي
تسرع إلى حيث النار . لقد سلكوا هذا الطريق
لأنه قصير ولكنه كان وعراً ، فراح رجال المطافي
يستحثون الخيل في أصوات خشنة . واطمأن قلبي
فناديت : « يا للرجال ، يا للرجال ! لقد أمسكت
بالجاني فأعينوني بقوة ! » وحال ما هم فيه من لب

لمناسبة فصل الشتاء

معرض عام

بشركة بيع المصنوعات المصرية

وفروعها بالقاهرة وعواصم المديريات

مجموعة كاملة من المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية

ذات الأذواق السليمة والأسعار المغرية

زوروا الشركة وفروعها قبل البت في اختيار

ملابس فصل الشتاء

الشامسة

لألفريد دي موسيه
بقلم السيد مظفر البقاعي

الضعف سوى قوة
واحدة وهي كونه عديم
الرحمة

ففي إحدى العشيات
وقد جلس أمام النار ومد
رجليه فوق حافة الموقد
تملكته السويداء كمادة
فرغت الركيزة فجأة
كتفها ضاحكة، وكانت

تجيل النظر في رزمة من الرسائل، فسألها الملك عن
جلية الخبر فأجابته:

« ذلك أنني أجدهنا كتاباً لا يدل على رشد
ولا بصيرة، بل فيه ما يؤلم ويهيج العطف والشفقة
فقال الملك: وماذا في ذيله؟

— ليس فيه اسم قط، فهو رسالة غرام
— وماذا في أعلاه؟

— هنا النكتة. إنه موجه إلى الأنسة دانيول
ابنة أخي صديقتي السيدة داستراد؛ ومن الجلي أنه قد
حشر بين هذه الأوراق لأراه

فقال الملك ثانية: وماذا به؟

— ولكنني قلت لكم إن فيه غراماً. وهو
يتكلم عن فوفر ونوفليت فهل تعرف جلالتيكم هذين
البلدين؟ وهل من نبيل فيهما؟

كان الملك يباهي بمعرفته فرنسا عن ظهر قلب،
ويعني بذلك أشرافها. على أن مراسيم بلاطه وقد اطلع
عليها ودرسها لم تكن مألوفاً لديه، وكذلك أشعة
مملكته، فعلمه بها المأم؛ أما البقية فلا يعتد بها بل
يسدل عليها شيئاً من التكبرياء، ولذلك فإنه بعد أن
سبح في لجة الأحلام برهة قطب حاجبيه كمن طريقه
تذكر شيء، ثم أوماً إلى الركيزة أن تقرأ والتي

— ١ —

عند ما أزعجت لويس الخامس عشر المشاجرات
التي وقعت في عام ١٧٥٦ بين الوزراء وبين البرلمان من
جرائم ضريبة الدانتين أزمع أن يحضر الجلسة بنفسه
ليرغم النواب على الخضوع له، فاستقال هؤلاء عندئذ
وقبلت استقالة ستة عشر منهم ثم نفوا. وقد
قالت السيدة دي بمبادور لأحد الرؤساء: «أستطيعون
وأنتم حفنة من الرجال أن تقاوموا سلطة ملك فرنسا؟
ألسم على ضلال؟ انزع معطف الرأس يا سيدي
ترى مثل ما أرى.»

لم يحمل المنفيون وخدمهم وزر أعمالهم بل شاركهم
فيه أهلهم وصحبهم. وكانت مراقبة الرسائل تسلي
الملك فكان يوعز إلى حظيته أن تتلوه كل ما يستثير
الفضول في البريد عل ذلك يسرى عنه سأمه من
لداته. ولا مزية أنه بعلة القيام شخصياً بأعمال
شرطته السرية كان يتلوه بالآلاف الدسائس التي
كانت تمر بهذه الصورة أمام عينيه. وكان مصير كل
شخص ذي وشيجة قريبة كانت أو بعيدة بزعماء
الأحزاب إلى الهلاك غالباً. فقد كان معلوماً أن
لويس الخامس عشر مع كل ما فيه من أنواع

ولكن الملك رفضني على صورة لا تزال ذكراها
لدى مريرة . إذ يجب ألا أعاقب من أجل رأي أبي
(الذي أود أن يكون خطأ) ، وإن إخلاصي
للمليك أصدق وأعمق من حتى لك . ولو استطعت أن
أجرد سيني في سبيله لتجلى صدقي وإخلاصي . إن
رفض طلبي أصارني بائساً ، لأن ابتلائي بحرمان
كهذا يتعارض مع المعروف من كرم الملك »

فقال الملك : حقاً إن هذا يهمني
« لو تعلمين كم نحن في اكتئاب ! آه !
يا صديقتي ، واهاً لرسالة نوفليت وكشك قوثير
وهذه الغياض التي أتنزه فيها وحيداً طول النهار ،
فقد حظرت العمل على البستاني البغيض إذ أتى
أمس بمجرفته وكاد يمس الرمل ... حيث لا تزال
آثار أنامل قدميك الصغيرتين وكعبيك الكبيرين
الأبيضين ظاهرة في المشي ، وبصمات خطاك وهي
أخف من النسيم لم تمح ؛ وقد تمثلت لي قدمك
تسيران أمامي لدن كنت أتبع طيفك الجميل فكان
هذا الشبح الفاتح يلعب آناً فآناً كما لو كان ممتطياً
جواداً شارداً »

« فهناك وقد كنت أناجيك أثناء سيرنا الوئيد
على طول الحديقة أتيح لي أن أعرفك فأقدرك :
أدب رائع في نفس ملاك ، وكفاءة الملوكات في
لطف الآلهة ، وأفكار تليق بلاينز في حديث ساذج ،
نحلة أفلاطون على شفاء ديانا . كل ذلك كان يجعلني
دفتناً تحت قبة الهيام والعبادة . وكانت الأزهار
الحبيبة خلال ذلك تضوع من حولنا ، فكنت وأنا
منصغ إليك أنتشق عبيرها حيث نمحا ذكراك ؛
وها هي ذى الآن تحني الرأس وتريني الموت ... »
فقال الملك : إن هذا أسلوب ردي على غرار

بنفسه في الأريكة وهو يقول باسماء : « إيه ! فالفتاة جميلة »
فشرعت السيدة دي بيمادور تتلو بلهجتها التهكمية
اللطيفة رسالة طويلة مفعمة بعبارات الهيام ، يقول
الكاتب : « تأمل قليلاً كيف أن الأقدار تجفوني ،
فقد كان يبدو لي أن كل شيء معد لتنفيذ رغائبي .
وأنت نفيسك يا صديقتي الحنون ألم تجعليني أوصل
السعادة ؟ ويجب مع ذلك أن أتمحاشاها من أجل
خطيئة لم أرتكبها ؛ أو ليس من فيض القسوة أن
أسقط في الهاوية بعد أن سمح لي أن أرنو إلى السماء ؟
ومن ذا الذي يجعل نصب عيني تعيس محكوم
عليه بالموت كل ما يحبه في الحياة ويجعله يتحسر
أسفاً عليها ابتغاء أن يتمتع بلذة بربرية ؟ ومع
هذا فكذلك حظي ؛ ليس لي ملجأ ولا أمل
سوى القبر لأنني منذ غدت بائساً وجب عليّ ألا
أفكر مطلقاً في الزواج بك . وعند ما كان الحظ
والغنى ييسمان لي كان الحصول عليك جملة التي
وأقصى الآمال ؛ أما اليوم وقد أمسيت فقيراً فإني
أرتعش إذا ما ظلمت أجترى أن أحلم بذلك . ومذ
أضحيت غير قادر على أن أجعلك سعيدة صرت أمتنع
أن تحبيني برغم أنني أموت فيك غراماً ... »

فابتسمت المركيزة لهذه الكلمات الأخيرة ،
وقال الملك : دونك ياسيدي رجلاً شريفاً . ولكن
ماذا يمنعه أن يتزوج من صاحبه ؟

— اسمحوا لي يا مولاي أن أتم :
« إن هذا الظلم الذي ينهكني فاجأني به أفضل
الملوك . وإنك تعلمين أن أبي كان يطلب لي وظيفة
ضابط صاحب العلم في الحرس لأن هذه الوظيفة
ذات أثر في حياتي ، فهي تخولني حق تقديم نفسي
إليك . وكان الدوق دويرون قد وعدني بها ،

فمضت الركيزة في التلاوة بصوت أكثر خفوتاً:
« حقاً إننا الجيران الأدنون والأقرباء الأبعدون
للراهب شوقلان ... »

فقال لويس الخامس عشر متثائباً :
— هاهي ذي جليلة الأمر . هو أيضاً من أقارب
جماعة المدققين المحاسبين ، إن برلاني يستغل رحمتي .
حقيقة إنه كثير العيال
— ولكنه قريب أبعد !

— حسن . إن هذه الدنيا لا تغني فتيلاً في
نظر هذا الراهب شوقلان فإنه من الأخلاقيين
المتشددين ؛ غير أنه مع ذلك إبليس رجيم ، ولذلك
أقيل وعزل . ألقى هذه الرسالة في النار ولا تعودني
إلى الخوض في هذا الموضوع !

— ٢ —

لم تكن الكلمات الأخيرة التي نطق الملك بها
حكماً بالموت ولكنها حرمان من الحياة . ما ذا
يستطيع أن يفعل في عام ١٧٥٦ فتي بلا ثروة لا يريد
الملك أن يصني لشكاته ؟ إن سعى الإنسان للحصول
على عمل أو محاولته أن يجعل من نفسه فيلسوفاً أو
شاعراً قد يجدي دون أن يكون له مساعد ، وعندئذ
يتبين تفاهة مهنته وحقارتها

وما كان هذا الحرمان مما يرغب فيه الفارس
فوقر الذي كتب بمداد من دموعه هذه الرسالة التي هزأ
بها الملك ، فقد كان حينئذ وحيداً مع أبيه في قصر
نوفليت القديم وقد أخذ يذرع الغرفة في اكتتاب
وغضب ثم قال :

— أود الذهاب إلى قرساي

— وما الذي تفعل هناك ؟

— لا أدري ؛ ولكن ما ذا أصنع هنا ؟

جان جاك ، فقيم تقرأينه لي ؟
— لأن جلالكم أمرتني بذلك حباً في عيون
الآنسة أنيبول الجميلة

— حقاً إنها ذات عينين جميلتين
« وعند ما أعود من هذه الزهات أجد والدي
وحيداً في القاعة الكبرى مستنداً على مرفقه قرب
شمعدان بين تلك الأواني الذهبية الكامدة التي
تغطي روافدنا النخرة ، فينظر إلى قادمياً وفي النفس
ألم ، لأن حزني يزيد في جواه ... يا أتيناي ! في منتهى
هذه القاعة قرب النافذة ما يزال القيثارة الذي لعبت
بها أنا ملك اللطيفة التي مستها شفتاي مرة واحدة
ففتحت إذ ذاك فاك لتنشدني أعذب الألحان ...
وما كانت أنشودتك سوى ابتسامة

« ما أسعد أغاني لولي ورامو ودوني وكثيرات
غيرها مما لا أدري ! نعم نعم أنت تحبينها ، فمعانيتها
في مخيلتك وألفاظها مرت على شفتيك

« إنني أنا أيضاً أجلس إلى هذه القيثارة وأحاول
أن أعزف عليها أحد هذه الأنغام التي تسرك فتبدو
لي كلها باردة مملولة فأدعها وأصني إليها تموت بينما
يضيع صداها تحت تلك القبة المحزونة ؛ ويلقي أبي
على نظرة فيراني منبهاً كثيراً فلا يسمعه أن يصنع
شيئاً لأجلي لأن أمراً من أمور الديوان أو الطريق
أغلق أبوابنا . وماذا عساه أن يصنع في سبيلي وأنا
الذي — على رغم ما فيه من شباب مضطرم ، وعزم
متقد — لا يطلب إلا أن يتبوأ مكاناً في الدنيا ؟ »

فقال الملك :

— ألا يقال إن هذا الغلام كمن ذهب إلى
الصيد فقتلت طريدته وقد كاد أن يقتصها ، فلمن
تكون ... ؟

لنفسها في أول الأمر ريعاً قدره مائة وثمانون ألف ليرة ، وما كان ذلك إلا سخافة لا تعد شيئاً الآن إذ لا استطاع تصور المبالغ الهائلة التي يغدقها العاهل عليها ، فلا تنقضي من السنة ثلاثة شهور حتى تلتقط سريعاً خمسمائة أو ستمائة ألف ليرة . أمس بحجة الملح واليوم بحجة زيادات خازن الاصطبلات . وقد اشترت عدا مالها من مساكن في كل الدور الملكية : (لاسل) و (كريسي) و (أولني) و (رامبورون) و (ماريني) و (سان ريمي) و (بلقو) وكثيراً من الأراضي والقصور في باريز وفونتينبلو وفرساي وكومبين . كل هذا فضلاً عن الثروة السرية المكنوزة في كل بلدان أوروبا ومصارفها خوفاً من هجر الملك المتوقع أو موته . ومنذ الذي يدفع هذا كله ؟

— أجهل ذلك يا سيدي ، ولكنه غيري .
— بل هو أنت ، وكذلك جميع الناس ، وفرنسا بأسرها ، وهذا الشعب الذي ينضح دماً ويتصبب عرقاً ويصرخ في الطريق شاتماً الأوباد . إن البرلمان لا يرغب في هذا ولا يريد ضرائب جديدة ، فعند ما نشبت الحرب قدمنا آخر فلس من مالنا ولم نفكر في المساومة ، وقد استطاع الملك الظافر أن يلمس بعينه حجة شعبه له بشكل أوضح عند ما أشقى على الموت ، فقد انقطعت الاحتجاجات وسكنت الأحزاب وزالت الأحقاد وجثت فرنسا كلها تصلي من أجله . ونحن إذا كنا ندفع نفقات جنوده وأطبائه بلا حساب فلننا نريد الاتفاق على حظاياه وعلينا واجبات أخرى غير إعاشة السيدة دي بيمادور

— لست أدافع عنها يا سيدي ، فأنا لا أستطيع أن أخطئها أو أصوب رأيها إذ لم أرها قط

— إنك في صحتي وما إخالها تسليك ؛ ولست على أي وجه أحبسك عن الذهاب ، ولكن أتتسى أن أمك قد ماتت ؟

— كلا يا سيدي ، وإنني وعدتها أن أهب لك حياتي . غير أنني أريد السفر الآن ، وسأعود إذ ليس في طوقي البقاء في هذا المكان — وعم نشأ هذا ؟

— عن هيام مفرط فاني متبول القلب بحب الأنسة انيول

— هذا عبث أنت أدري به ، فأتزوج بلا مهر غير مولير . وهل تنسى نكبتني ؟

— أواه يا سيدي من نكبتك ! أيجوز لي ، دون أن أتجرد من أعماق احترامي ، أن أسألك عمن سببها ؟ لسنا من أعضاء البرلمان ، ونحن ندفع الضرائب ولا نقررها ، فإذا كان هؤلاء يقترحون على الملك فذلك شأنهم لا شأننا . ولم يجرنا حضرة الراهب شوفلان إلى الخراب معه ؟

— إن الراهب المذكور يعمل كرجل شريف ، فهو يرفض أن يوافق على عشر ، لأنه نأثر على إسراف البلاط الذي لم يحدث مثله منذ زمن السيدة دو شاتورو . وقد كانت تلك على جمالها لا تكلفنا شيئاً تقريباً حتى ولا ما كانت تهب بسخائها المفرط . وعلى أنها كانت حظية وملكة كانت تقنع بالألقاها الملك في سجن مظلم تعفن فيه إذا ما حرمها عطفه ؛ أما هذه (الدابلة) ، هذه (النورمندية) هذه (الجشعة) !

— ماذا يعني ؟

— أقول ما ذا يعني ؟ إن الأمر لأعظم مما تتصور . ألا تدري أن ثروة حظية هذا الملك الذي يغتصب مالنا لا تحصى ؟ فقد خصصت

— من غير شك . ولعله لا يسوؤك أن تراها
لترى رأيك فيها ، أليس كذلك ؟ إن العقل في سنك
يحكم بواسطة العينين . حاول رؤيتها إذن إن راق
لك ذلك ، غير أن هذه السعادة ستخطئك
— ولم ياسيدي ؟

— لأن هذا جنون ، ولأن هذه المركبة
أكثر اختفاء في مقاصيرها الصغيرة في برامبورون
من سلطان الأتراك في قصره . لأن الأبواب تغلق
كلها في وجهك . فإذا تريد أن تفعل عندئذ ؟
أ محاولة المستحيل ؟ أم البحث عن الثروة كشريد ؟
— لا ، ولكن كما شق . أنا لا أريد التوسل
ياسيدي ، وإنما أريد الاحتجاج على ظلامه . فلقد كان لي
أمل راسخ بل شبه وعد من السيد دويرون وكنت
على وشك الحصول على ما أبني . ليس غرامى هذا
نزوة أو طيشاً لأنك ما أنكرته على ، فاحتمل إذن
محاولتي الدفاع عن قضيتي . إنى أجهل ما إذا كان
يتاح لي الاتصال بالملك أم بالسيدة دى بمبادور ، ولكنى
أريد السفر

— إنك لا تعرف البلاط ، وتريد الثول فيه !
— لا بأس ! فقد يكون قبولى هناك لهذا
أكثر سهولة ، لأنى مجهول

— أنت مجهول أيها الفارس ! أتظن ذلك ؟
اسم كاسمك ! إننا عريقون في النبيل ياسيدي فلا
يمكن أن تكون مجهولاً

— حسن إذن فالملك يصنى إلي
— ولكنه لا يريد أن يفهم منك . إنك تحلم
بقرساي وتظن أن سيحتويك قصرها عند ما يقف
الخوذى بك هناك ... لنفرض أنك تمكنت أن
تصل إلى الأيوان بل إلى الرواق ومن ثم إلى الكوة

فإنك ترى عندئذ أن ليس بينك وبين جلالته سوى
مصراعى باب تستشف من وراءه هاوية فتتلفت
باحثاً عن « مهرب » أو ملجأ فلا توفق إلى شئ .
هل تتصور كيف ينتقم الملك لنفسه منا نحن أقرباء
السيد شوفلان ؟ إنه يأمر بتعذيب داميان الذى طعنه
بموسى وينفى رجال البرلمان ! أما نحن فيكتفى بكلمة
أو بالصمت وهو الآنكى . أتدري ما هو صمت
الملك حينما يحدثك عند ضروره بنظرة خرساء ؟
إنها درجة من درجات العذاب تأتي بعد الاعدام
والباستيل ، وهى في الظاهر أقل منهما قسوة ولكنها
أشد أثراً من مرأى الجلاد . حقاً إن المحكوم عليه
بها يظل حراً ، ولكن عليه ألا يفكر في الاقتراب
من امرأة أو من أحد رجال الحاشية أو من قصر
أو دير أو ثكنة ، فكل شئ موصد دونه محظور
عليه ، وهو إذن يتنزه على غير هدى في سجن غير منظور
— سأتحرك فيه حتى أخرج منه

— لن تفعل أكثر من غيرك . فابن السيد
دومنيير لم يكن مجرمًا أكثر منك ، وكانت له
مثلك وعود وآمال مشروعة ، وأبوه أخلص أتباع
جلالته وأشرف رجل في المملكة . أقصاه الملك
فذهب بشعره الأشقر لا ليرجو بل ليحاول إقناع
الحظية . أتعلم بم أجابته ؟ هاك نص أقوالها وقد بعث
إلى بها السيد دومنيير في رسالته : « إن الملك هو
السيد . إنه لا يريد إظهار استيائه منك شخصياً ،
بل يكتفى بأن يظهره لك بحرمان ابنك من الوظيفة .
ومعاقبتك على غير هذا الشكل بادرة لا يريد لها فيجب
احترام إرادته . انى أرثى لك مع هذا وأتدخل في
همومك ، فقد كنت أمّا وأعلم وقع هذا الأمر في
نفسك » هاك كلام هذه المخلوقة التى تريد أن تترامى
على قدميها !

ولكنه لم يتدان لسماع قصته بل قال : « حقاً لقد جئت في الوقت المناسب ، ففي البلاط الليلة حفلة تمثيل أو نوع من عيد لا أدري ما هو . ولست راغباً في حضوره لأنني ناقم على الركيزة من أجل الحصول على شيء ما . فهناك كتاب توصية من حضرة الدوق دومون طلبته منه لشخص لا أدري من هو . اذهب إلى البلاط وإن لم تكن قدمت إليه من قبل إذ لا حرج عليك وبغيتك المشاهدة . إحرص على أن تكون في طريق الملك في المخرج الصغير فنظرة واحدة تجعلك سعيداً »

فشكر الفارس الراهب وعاد إلى الفندق وكان متعباً إثر ليلة سهاد ونهار ركوب ، فوقف أمام امرأة فيه يرتدي ثيابه بمساعدة خادمة زينته على قدر طاقتها ففطت ثوبه الموشى بالذهب بمسحوق الرز . زينة مضطربة تليق بالعشاق كثيراً . استسلم هكذا للمقادير وسار فقد كان عمره عشرين عاماً

وصل إلى القصر والليل يرخي سدوله ، فتقدم من الباب الحديدي بوجل وسأل الحارس عن الطريق فأشار له إلى درج كبير ، وهناك علم من الحاجب السويسري أن الحفلة على وشك الابتداء ، وأن الملك أي الجميع في القاعة . وأضاف السويسري قائلاً : « وإذا أراد سيدي المركز اجتياز البلاط فسيكون بعد برهة من شهود الحفلة ؛ وإن كان يرغب أن يمر بالمقاصير ... »

لم يكن الفارس يعرف القصر فدفعه حب الاطلاع أولاً أن يجيب بأنه سيمر بالمقاصير ، وإذا بخادم تبعه ليدله فأردف قائلاً بأنفة : إنه ليس في حاجة لمن يرافقه ، وتقدم عندئذ وحيداً في اضطراب كان قصر فرساي يتلأأ أنواراً من أقبية حتى

— يقال إنهما فانتان ياسيدي

— ربما ! إنها ليست جميلة والمعروف أن الملك لا يحبها ولكنه يخضع لها ويلين أمامها . فيجب أن يكون لها شيء آخر غير رأسها الخشبي لكي تحتفظ بنفوذها الغريب

— يزعمون أنها ذات فكر ثاقب !

— ولكنها بدون قلب

— بدون قلب ! ؟ وهي التي تعرف كيف تنشيد أشعار فولتير وتغني موسيقى روسو والتي تعزف أنغام الزيروكوليت ! هذا مستحيل ولا أصدقه قط — أما إنك تريد فاذهب إليها وانظر ! إني أنصح ولا آمر ، وستخسر نفقات السفر ؛ ويظهر أخيراً أنك مدله بحب هذه الأنسة انيول ؟

— أحبها أكثر من حياتي

— اذهب ياسيدي

— ٣ —

يقال إن الأسفار تخفف من أوار الحب بما تهبه من هو وتسلية . ويقال أيضاً إنها تذكى ناره . ولم يقم الفارس بهذا التمييز العلمي لطراءة صباه . وقد امتطى في منتصف الطريق حصاناً من خيل البريد إذ أنهكته العربية فوصل نحو الساعة الخامسة مساءً إلى فندق الشمس ، وكانت الشمس في زمن لويس الخامس عشر شعار الزى

كان في فرساي راهب شيخ يعرفه الفارس ويحبه إذ سبق أن كان قسيساً قرب نوفليت . وكان لهذا القسيس الساذج الفقير ابن أخ راهب في البلاط قد ينفع فتاناً فيم شطره . وكان هذا رجلاً مهيباً غمره رداؤه الواسع فاستقبل الوافد بترحاب عظيم ،

ذروته ، وكان يريق الثريات والمصاييح ولمعان الأثاث المذهب والرخام يخطف الأبصار ما عدا مقاصير الملكة فقد كانت أبوابها مفتوحة ، كان الفارس كلما سار ازداد تعجبه وانبهاره بشكل يتعذر تخيله . ولم يكن الجلال وحده ، بل ولا سنا الأضواء نفسه يجعل المنظر رائماً ، وإنما هي الوحشة التي تسود هذا المكان الشبيه بالصحراء المسحورة

حقاً إن وجود الإنسان وحيداً في ميدان متسع سواء كان معبدًا أو مقبرة أو قصرًا فيه شيء من الخفاء أو الغرابة ، يخيل إليه أن البنیان أناخ بكل كلكه عليه ، وأن الجدران ترمقه والأصداء تصنئ إليه ، ورنين خطاه يعكر صفو السكون الذي يشعر بالوحشة منه رغماً عنه ، فلا يجسر أن يسير إلا في خشوع . وهكذا حدث للفارس بادي الأمر ، ولكن حب الاطلاع تغلب عليه حالاً واستدرجه ، فقد كانت السنة شماعة قاعدة المرايا تعكس أنوارها ، وليس من يجهل وفرة ما كان على الجدران من نقوش ترمز إلى الغرام والعشاق والآلهة فكانت جميعاً ترفرف على السقوف وتبدو كأنها تدمج القصر كله بأكليل عظيم

هنا قاعات ذات أسجاف مخملية موشاة بالذهب وأرائك نخمة ما تزال تحتفظ بجلال الملك العظيم ، وهناك مقاعد متجعدة وكراسي صغيرة مبعثرة حول منضدة قمار . عدد لا نهاية له من القاعات المتعاقبة كلها خالية تأخذ روعتها الأبصار ، ولو أنها تبدو عديمة الفائدة . ترى بين آونة وأخرى أبواباً سرية تؤدي إلى ردهات يبه النظر من كثرتها . ألف سلم تتقاطع مع ألف ممر كأنك في أجمة متشعبة الدروب . أعمدة صنعت للجبابرة . مخادع متشابكة

— أقيم في هذه المغاني التي لا مثيل لها مخلوقات فانية ؟ وهل تجلس غواني من لحم ودم على هذه الأرائك التي ما يزال من استدارتها اللينة فوق تلك المتكآت هذا الأثر الخفيف المغم بالتراخي ؟ من يدري ؟ ربما تبينا من وراء هذه الأستار الصفيقة أميرة ما تزال نائمة منذ مائة عام في أعماق مخدع واسع باهر ، أو فتاة من الجن بثوب من سلال أو إلهة الرخام تفتح رافدة ذهبية في عمود من المرمر وتخرج منها

أذهبت هذه الأوهام صواب الفارس فألقى بنفسه على أريكة هناك كي يحلم . ولو لم يتذكر أنه عاشق لظل مشرد اللب أمداً طويلاً . ما الذي تفعله آنسة الأنيول حبيبته الخبيسة في قصرها العتيق

فصاح فجأة : أيتهاي ! ماذا أصنع هنا غير إضاعة الوقت ؟ هل عدت الرشدة ؟ أين أنا إذن ؟ إلهي ماذا جرى لي ؟ ثم نهض واستمر يحوس خلال هذه

هنا قاعات ذات أسجاف مخملية موشاة بالذهب وأرائك نخمة ما تزال تحتفظ بجلال الملك العظيم ، وهناك مقاعد متجعدة وكراسي صغيرة مبعثرة حول منضدة قمار . عدد لا نهاية له من القاعات المتعاقبة كلها خالية تأخذ روعتها الأبصار ، ولو أنها تبدو عديمة الفائدة . ترى بين آونة وأخرى أبواباً سرية تؤدي إلى ردهات يبه النظر من كثرتها . ألف سلم تتقاطع مع ألف ممر كأنك في أجمة متشعبة الدروب . أعمدة صنعت للجبابرة . مخادع متشابكة

الامكان ، وحدث نفسه بقوله : إن هذا القصر جميل جداً وشاسع جداً ، ولكنه محدود له نهاية ؛ وليكن أطول من قصرنا بثلاث مرات فيجب أن أرى أقصاه

لكن ليس من السهل أن يسير الانسان في اتجاه واحد نحو الأمام في قصر قرساتى مدة طويلة وآلهة البناء لم ترض هذه المقارنة القروية بين الدار الملكية والقصر الحقيقى إذ بدأت تشرد العاشق المسكين وتضله بشكل مروع لكي تعاقبه ولا ريب ، فقد أخذت تتلذذ بأن تديره وتلقته على أقدامه ذاتها فترجعه بلا فتور إلى الموضع عينه كفلاح تائه في غابة . وهكذا ظل جيبس البناء المرمى الذهبى

في لوحة « أزمان روما القديمة » التى صورها بيرانيلى الايطالى مجموعة رسوم يسميها المصور « أحلامه » هي تذكارات مشاهداته الخاصة أثناء هذيان حى اتنايته ، تمثل هذه الرسوم قاعات غوطية شاسعة فرشت أرضها بكل أنواع الآلات والأدوات والمجالات والحبال والبكرات والروافع والمجانيق وغيرها دلالة على قوة عظمى تقوم بعملها وعلى مقاومة هائلة . وتشاهد على شفير الجدران سلماً يرتقيها بيرانيلى نفسه بصعوبة . وإذا ما اتبعت بنظرك درجاتها العلوية تشرف فجأة على هوة سحيقة . ومهما يكن من أمر بيرانيلى المسكين فانك توقن أنه أبحر عمله على الأقل إذ لا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة دون أن يقع ؛ لكن أرجع البصر ترى سلماً أخرى منصوبة فى الهواء فوقها بيرانيلى أيضاً على شفاهاوية أخرى . أنظر إلى الأعلى أيضاً تجد سلماً هوائية تنصب أيضاً وبيرانيلى يتم صعوده وهكذا (٤)

المدينة الجديدة فضل فيها وكان ذلك أمراً بديها . وظهر له خادمان أو ثلاثة فى أقصى الرواق يتهايمسون فتقدم منهم وسألهم عن طريقه إلى مكان الحفلة فأجيب بنفس اللجة : « إذا كان سيدى الركيز يرغب أن يحتمل مشقة النزول من هذا السلم ويسير فى الرواق الأيمن فسيجتاز ثلاث درجات ينعطف عند ارتقاها إلى اليسار ، وعند ما يجتاز قاعة ديانا وقاعة أبولون وقاعة الشعراء وقاعة الربيع يهبط ست درجات أخرى ثم يترك على يمينه قاعة الحرس ليصل إلى سلم الوزراء ، وهناك يصادف ولا شك حجاباً يدلونه على الطريق

— شكراً . إننى إن لم أهتم بعد هذه المعلومات

فذلك ذنبى

وعاد إلى المسير بشجاعة ، ولكنه كان يقف رغماً عنه ينظر من طرف إلى طرف ، ثم يتذكر غرامه فيتابع تسياره ؛ وأخيراً بعد ربع ساعة خالها دهرألقى خداماً جدداً كما أنبىء من قبل ، قالوا له : « السيد الركيز قد ضل ، إذ كان عليه أن يسير من الجناح الآخر للقصر ، ومع هذا فالوصول إليه سهل ، وليس على السيد إلا أن ينزل من هذا الدرج ثم يجتاز قاعة النقوش وقاعة الصيف وقاعة ... فقال : « أشكركم »

وناجى الفارس نفسه قائلاً : « إنى مغفل حقاً إذ أسأل ناساً كالبلهاء فأتقص شرفى فى جهد ضائع ؛ ولو أن هؤلاء على فرض المستحيل لا يسخرون منى . وماذا تفيدنى هذه الأسماء التى يسردونها أمامي بل وكل هذه الألقاب الظنانية لقاعات لا أعرف منها واحدة ؟ »

وعول أن يذهب قدماً فى الجهة اليمنى قدر

حسان مخضبات في أناقة بالأحمر والأبيض،
يمسكن لا من أذرعهن ولا من أيديهن بل من
أطراف البنان سادة كهول وفتيان؛ وكن جد
حريصات على أن يتهاككن في مشيتهن كيلا تتسخ
ثيابهن؛ وكان كل من في هذا الحفل الباهر يتكلم
همساً بشيء من الجذل المزوج بالرهبة والحرمة

لم يحزر الفارس أن الصدفة قادت به إلى الخدع
الصغير بالضبط. فقال: ما هذا إذن؟ فأجاب
الحاجب: سيمر الملك. هناك ضرب من البسالة
التي لا يقف دونها شيء وهذا النوع بسيط جداً
لأنه شجاعة غير المهذين من الناس، وفتانا الرقيق
لم يكن يتصف بهذه المزية على رغم كونه بأسلاً حقاً،
فما إن سمع كلتي «سيمر الملك» حتى تولاه الجلود
وتملكه شيء من الدهر. كان في لويس الخامس
عشر تراخي الملوك وقلة اكتراثهم وإن كان يظل في
الصيد ممتطياً صهوة الجواد اثني عشر ميلاً دون أقل
حذر. ولم يكن يطرى نفسه عبثاً بأنه أول شريف
في فرنسا، ولا تقول له حظياته دون سبب إنه
أكمل الأشراف وأجملهم. وكانت رؤيته تاركا
مقعده ومتنازلاً للمسير بشخصه الكريم أمراً غريباً.
وعندما اجتاز الخدع وذراعه موضوعة أو بالأحرى
ممتدة على كتف السيودرجسون بينما كان كعبه
الأحمر ينزلق على الأرض (وكان قد ابتدع هذا
الذي من الكسل) انقطعت الضوضاء وطأ طأت
الحاشية رؤوسها ولم تجسر أن تجني فوراً. أما الحور
العين فجتون بهدوء وأناة على أربطة سوقهن ذوات
اللون الناري في أقصى أرديتهن الفضفاضة وحين
بخلاعة تحية تدعوها جداتنا احتراماً، وقد استبدل
بها عصرنا المصافحة الانكليزية الجافة

على التوالي إلى أن تختفي السلم الأبدية هي ويرانيزي
معاً في الغيوم أعني في جافة الصورة

إن هذه الصورة التي أوحتها الحى تمثل بكثير
من الدقة الضجر من جهد بلا جدوى ونوع الدوار
الذي يسببه نفاد البصر كحال فارسنا الذي استولى
عليه الغضب وهو يجوب قاعة بعد قاعة وإيواناً بعد
إيوان ثم قال:

«حقاً إن هذا أمر قاس. انى بعد إذ كنت
مفتوناً مأخوذاً معتبطاً لوجودى وحيداً في هذا
القصر اللعين (إذ ليس هو قصرًا للجن) لم أعد
أستطيع منه خروجاً! قبح الله الفطرسية التي أوحى
إلى فكرة الدخول إلى هنا كما فعل الأمير (فتفرينه)
بجذائه الذهبي الثقيل بدلاً من أن أطلب إلى أول
خادم قادم أن يقودنى بكل طيبة خاطر إلى قاعة الحفلة!
لما استشعر الفارس من نفسه هذا الندم المتأخر
كان مثل بيرنيزاي في منتصف سلم على درجة قاعة
بين ثلاثة أبواب خيل إليه أنه يسمع من أوسطها
لفظاً شديداً العذوبة خفيف الجرس مفرط اللذة إذا
صح التعبير، بحيث لم يستطع أن يمتنع عن الصياح
دهشاً وبينما كان يتقدم ويصيح بسمعه في اضطراب
من ذلك انفتح هذا الباب على مصراعيه وعبق في
وجهه نسيم عطري أرجه ألف شذى، وطغت عليه
موجة من النور كسفت قاعة المرايا، فنكص على
غقبه من هذه المفاجأة وسأله الحاجب الذي فتح
الباب: «هل يريد سيدى المركز الدخول؟»
فأجاب:

— أريد الذهاب إلى حفلة التمثيل

— إنها انتهت في هذه اللحظة

وعندئذ أخذت تخرج من قاعة الاحتفال غيد

وفوق أذنها وردة وقد أعطت يدها برشاقة ولباقة
لسيد كانت تكلمه همساً من وراء مروحتها
وشاءت الصدفة أن تفلت هذه المروحة خلال
حديثها وضحكها وحركاتها فتسقط تحت مقعد كان
أمام الفارس تماماً فبادر لالتقاطها حالا ، ومن أجل
ذلك جثا على إحدى ركبتيه فبدت له الشابة فتاة
جداً حتى أنه قدم إليها المروحة دون أن ينهض ،
فوقفت هنيهة وابتسمت ، ثم مضت بعد أن شكرته
بإيماء خفيف برأسها ؛ وشعر الفارس عقب النظرة
التي رمته بها بخفقان في قواده دون أن يعلم لماذا
— وكان محقاً — فإن هذه الصبية كانت (المتلونة
الصغيرة) كما لا يزال يدعوها الناقون . أما الآخرون
فكانوا يقولون عند الكلام عنها : « المريكة » كما
يقال « الملكة »

— ٤ —

« هذه هي التي ستحميني والتي ستنجيني !
حقاً إن الراهب مصيب إذ قال لي إن نظرة تقرر
مصيري ! نعم إن هاتين العينين الناعستين الجميلتين ،
وهذا الثغر العذب الساخر ، وتلك القدم الفريقة في
الحذاء الحريري ... هي سحر جنيتي الحنون ! »
بهذا كان الفارس يناجي نفسه ولكن بصوت
عال : وذلك لدن عودته من الفندق . فمن أين أتاه
هذا الأمل الفجائي ؟ هل كان الصبا يتكلم فيه ، أم
إن عيون المريكة كانت قد تكلمت ؟ على أن العقدة
ما تزال على حالها ، لأنه إذا لم يعد الآن يفكر في المشول
بين يدي العاهل فمن ذا الذي يقدمه إلى المريكة ؟
وقضى شطراً عظيماً من الليل يكتب للآنسة آنيبول
رسالة تضارع الرسالة التي قرأتها السيدة بمبادور
من قبل . وإيراد نص هذه الرسالة لا فائدة منه إذ

أما الملك فلم يكن يبالي شيئاً أو ينظر إلا لما
يجلو له . ولعل الكاتب (ألفيري) الذي يقص في
مذكراته كيف مثوله في فرساي ، كان هناك حيث
يقول :

« كنت أعلم أن الملك لا يكلم غير البارزين من
الأجانب ، ومع هذا لم أستطع أن أعتدى على هيئة
لويس الخامس عشر العبوسة المقطبة إذ يجيل النظر
فيمن يقدم إليه من رأسه إلى أخمص قدميه ، ولا
يبدو عليه أي اكتراث له . وقد لاح لي آنذاك
أنه كذلك الجبار الذي قيل له « دونك نملة أقدمها
إليك » فنظر إليها وابتسم أو لعله قال : « ما أصغر
هذا الحيوان ! »

جلس الملك خلال هذه الأزهار وتلك الغيد
الحسان وكل ذلك البلاط واجماً لا يعبأ بأحد ،
فأدرك الفارس دون تأمل طويل أن أمله في الملك
خائب وأن قصة غرامه لن تنال شيئاً من اهتمامه .
وفكر يقول :

« إنني لتعس ! ولقد كان أبي محقاً إذ قال لي
إنني سأرى بيني وبين الملك هوة وأنا على قيد
خطوتين منه . من ذا الذي يحميني بل من يقدمني
إليه إذا ما اقتحمت خلوته ؟ هو ذا السيد المطلق
الذي يستطيع بكلمة أن يغير طالعي ويؤمن سعادتي
ويحقق أمانى . إنه هنا أمامي ، وإذا مددت ذراعي
لمست زينته ، ولكنني أشعر أنني أشد بعداً عنه
منى عند ما كنت في أقصى قرىتي ! من لي بأن
أكله أو أحازيه ؟ ومن ينجدني إذ ذاك ؟ »

بينما كان الفارس هكذا مغماً رأى غانية مُعَصراً
تدخل وسات الرقة والدعة تشع منها . كانت ترتدي
ثوباً أبيض غاية في البساطة دون ماس أو وشى

فلا يدع للمصدق مكاناً . لكن أبرد الشبان أعصاباً
إذا كانوا شباناً حقيقة (إذ ليس كل الناس كذلك
وإن كانوا في سن الشباب) تمكنوا أن يستبينوا
هذا الشعور الغريب ، الضعيف الجرى ، والخطر
الأخاذ ، الذي يستدرجنا نحو الحظ . يشعر الإنسان
بأنه أعمى ويتمنى ذلك . لا يدري أين المسير ولكنه
يمشي ؛ والسحر هو في هذا الاستخفاف وهذا الجهل
نفسه ، فهو لذة الفنان إذ يحلم ، والعاشق إذ يقضى
الليل تحت نوافذ صاحبه ؛ وهو فطرة الجندي بل
وكفاءة المقامر

سلك الفارس سبيل تريانون من دون وعي تقريباً .
وعلى أنه لم يكن حسن الهندام كما يقال فما كانت
تنقصه الأناقة ولا العظمة التي تجعل الخادم حين
يلتقي بك لا يجروء على أن يسألك : إلى أين تذهب ؟
وبفضل بعض المعلومات التي استقاها من فندقه لم
يسر عليه الوصول إلى باب القصر الخارجي ، إن
كان يصح تسمية هذا البيت المرمى الصغير الذي
رأى كثيراً من الملاذ والمتاعب قصرآ . وكان
الباب مغلقاً لسوء الحظ ، وفي المشى الداخلي
سويسرى ضخم متزمل برداء فضفاض يتمشى
ويده خلف ظهره فعل من لا ينتظر أحداً

فتساءل الفارس : « لعل الملك هنا ! أو لعل
الركيزة غير موجودة . وعند ما تكون الأبواب
مغلقة والخادم يتزهون فمن البديهي أن يكون
الأسناد موجودين أو خارجين »

ما العمل ؟ فقد اتباه الاضطراب والخينة فجأة
بعد ما كان منذ هنيهة يشعر بالشجاعة ورباطة
الجأش ؛ وكانت تخيفه فكرة كون « الملك هنا »
أكثر مما أزعجته أمس الكلمات الثلاث : « سيمر
الملك قريباً » لأنها كانت آتت مفاجأة ؛ أما الآن

ليس سوى العشق — إذا استثنينا البلهاء — من
يستشعرون الجدة إذا كرروا الشيء ذاته

ولما انبلج الصباح خرج الفارس يتمشى في
الدروب وهو يحلم ، ولم يخطر بباله أن يستعين بحماية
الراهب . وليس من السهل تبيان السبب الذي وقف
به دون ذلك إذ هو خليط من خوف وجراءة ، ومزيج
من خجل خاطئ وخيال . وفي الحقيقة بم كان يجيبه
الراهب إذا قص عليه قصة العشي ؟ كان يقول :

— لقد أتيت لك التقاط مروحتها ، فهل
عرفت كيف تستفيد من ذلك ؟ ماذا قلت للمركيزة ؟

— لا شيء

— كان عليك أن تخاطبها

— كنت مضطرباً فأضعت الرشد

— هذا خطأ . يجب معرفة اقتناص الفرصة

ويمكن تلاقى ما فات . أريد أن أقدمك إلى السيد
فلان فانه من أصدقائي ، أو إلى السيدة فلانة فانه
أحسن وأفضل ؛ وسنحرص على أن نوصلك إلى هذه
المركيزة التي أخافتك ... الخ ... الخ

على أن الفارس لم يكن يبالي شيئاً من هذا
وكان يخيل إليه — إذا صح التعبير — أنه إذا سرد
الحادثة أذهب رونقها وأفسد بهاءها . وكان يقول في
نفسه إن الصدفة فعلت من أجله ما لم يسمع بمثله
ولا يمكن تصديقه فيجب أن يظل هذا سرّاً بينه
وبين السعادة . وكان يرى أن إفشاء هذا السر لأول
من يصادفه يجرده من قيمته ويظهره غير جدير به ،
فكان يناجي النفس قائلاً : أمس ذهبت إلى قصر
فرساي منفرداً ، فسأذهب اليوم إلى قصر تريانون
وحيداً . (وكان قصر تريانون مقام الحظية يومئذ)
قد يبدو هذا الطراز من التفكير — بل ويجب
أن يبدو — خيلاً وعتاهية لمن ينعم النظر في العواقب

فهو يعرف نظرتة الصفراء وعظمتة القاسية

« رباه ! بأى وجه أقابل هذا الملك الرفيع بعد إذ أحاول الدخول إلى هذه الحديقة كطائش سادر فالتقى به وجهاً لوجه وهو يتناول قهوته على حافة الساقية ؟ »

وتمثل في الحال للعاشق المسكين شبح الباستيل البغيض بدلا من خيال المريكة الفاتن الذي ارتسم في مخيلته إذ صرت باسمه ، ولقد استبان مشارف وأقبية وخزناً أسود وماء التعذيب ، لأنه كان يعرف حكاية (لاتود) المتشرد الفرنسى الذى ظل سجيناً خمساً وثلاثين سنة لاستيلاء السيدة بمبادن منه . فأخذ التأمل يحل شيئاً فشيئاً محل الأمانى التى طارت

وحدث نفسه ثانية قائلاً : غير أنى لم أجتزم ذنباً قط لا أنا ولا الملك أيضاً . وأنا إنما أعترض على ظلامه دون أن أتقص أحداً ؛ وأمس استقبلت فى فرساي بكل لطف ، وكان الخدم جد مهذبين فعلا لم الخوف إذن ؟ أمن ارتكاب حماقة ؟ سأعمل على ما يرتق الفتى »

اقترب من الباب ولمسه بأصبعه ، ولم يكن مغلقاً تماماً فانفتح فدخل بثبات ، فانفتل السويسري فى سأم وقال : « ماذا تطلب ؟ إلى أين تذهب ؟ »

— أذهب إلى السيدة دى بمبادور

— هل أنت على موعد ؟

— نعم

— أين رسالتك ؟ »

ليس لديه كلمة من مركز كما كان بالأمس ، وليس معه فى هذه الكرة كلمة من الدوق دومون ! وأطرق الفارس واجماً فلاحظ أن جوربه الأبيض وأبازيمه

اللامعة قد غطاها الغبار ، وكان قد ارتكب خطأ بالجيء مشياً فى بلد لا يعيش الناس فيه ؛ فأطرق السويسري أيضاً ، ثم صعد فيه النظر لا من فرق رأسه إلى قدمه ، بل من قدمه إلى فرقه ، فبداه الثوب نظيفاً ولكن القبة كانت مائلة قليلاً ولا غبار عليها . فقال :

« ليس معك رسالة . فماذا تريد ؟ »

— أريد أن أتحدث إلى السيدة دى بمبادور

— أضحك ! وهل حسبت أن ذلك يجري على

هذا الشكل ؟

— لا أعلم شيئاً عن هذا ، هل الملك هنا ؟

— ربما . أخرج ودعنى فى راحة

اصفر الفارس لهذه القحة رغمًا عنه إذ ما كان

يريد أن يستولى عليه الغضب فأجاب : « كنت

أقول أحياناً للوصيف أن يخرج ، لكن لم يقل لى

ذلك وصيف قط »

فصاح السويسري فى حق : وصيف ! أنا

وصيف ؟

— وصيف ، بواب ، خادم وضيع ، إنى لأهتم

بذلك وقلما أعنى به

نخطا السويسري نحو الفارس خطوة وقبضته

متشنجتان ووجهه ملتهب ، فتحفز الفارس متهدداً

واستل بعض حسامه وقال : « خذ حذرك فإننى

شريف نبيل ويكلفنى أن أجندل فظاً مثلك ستاً

وثلاثين ليرة

— إن كنت نبيلاً فأنا من أتباع الملك ، أقوم

بواجبي . ولا تظن ...

سمع غندئذ صوت بوق من بعيد كأنه آت من

غابة (ساتورى) ثم تلاشى فى الصدى ، فترك الفارس

تحسبني ثائراً ولا تفهم أن في جيبي ربيعة لجلالته !
وأني من أبناء الريف . لكنك أحق »

فكان جواب السويسري أن ذهب إلى زاوية
أخذ منها رمحه وظل واقفاً كذلك والسلاح في يده
وصاح بعنف « متى ترحل ؟ » ويظهر أن الشجار
الذي تنوسى وجدد مرة بعد أخرى غداً جداً في
هذه المرة . وصارت يدا السويسري الضخمتان
تضطربان بشكل غريب . ولا أدري ما الذي كاد
أن يحدث حينما التفت الفارس فجأة وقال « آه ! من
هذا القادم ؟ » وكان خادماً ممتطياً جواداً كريماً
يعدو به ملء فروجه ، وكان الطريق قد توحد من
المطر والباب غير مفتوح تماماً فتردد القادم ، فتقدم
السويسري من الباب ففتحه ، فوكر الراكب
الحصان بمهمازه وكان قد وقف هنيئة فاندفع فعمرت
به قائمته فكبا بفارسه على الأرض البليلة

ليس من السهل أبداً إنهاض جواد كبا حيث
لا سوط يساعد على ذلك ، بل ذلك خطر . وكانت
محاولة الجواد فاشلة خصوصاً وإن قدم الراكب
ما تزال تحت السرج . إلا أن فارسنا بادر لمعونة
الخادم دون أن يلقي لهذه المحاذير بالا ، وما عثم أن
أنهض الحصان وخلص ممتطيه من الوَحْل الذي أخذ
يقزل يبطء فنقله حالاً لمنزل السويسري فجلس بدوره
في المقعد الكبير وقال للفارس : « لا مريّة في أنك
نبيل ياسيدي ، وقد أسديت إليّ خدمة ، فهلا أسديت
إليّ يداً ؟ أجل فتذهب بهذه الرسالة إلى السيدة
المركية بدلاً مني لأنها مرسلة من الملك ومستعجلة
جداً كما ترى ، فقد كادت تدق عنق وعنق جوادى
من أجل السرعة ، وصرت الآن وأنا أعرج أخلق
بحمل نفسى مني بحمل هذا الرقيم

سيفه يسقط في غمده وقال وقد نسي الشجار الذي
ابتداً :

— ويحك ! إن الملك يخرج إلى الصيد ، فلم لم
تقل لي ذلك فوراً ؟

— ليس هذا من شأنى ولا من شأنك أيضاً
— أصغ إلىّ يا صديقي العزيز : ليس الملك
هنا ، وليس لدى رسالة ، ولم أحصل على موعد . هاك
ما تصلح به شأنك ودعنى أدخل

وأخرج من جيبه بضعة تقود ذهبية ، فصوب
إليه السويسري نظرة ثانية باحتقار شديد ، وقال
بترفع :

— ما هذا ؟ بهذه الوسيلة يحاول الناس
الدخول إلى دار ملكية ؟ إحدراً أن أحبسك في
هذا المكان بدلاً من أن أخرجك منه
فاستعاد الفارس عندئذ غضبه وأمسك حسامه
ثانية وقال :

— أنت أيها الخليع ؟
فردد الرجل الضخم قائلاً : « نعم أنا »
لكن أثناء هذا الحوار الذي يأسف المؤرخ
لتعريض بظله له اغبرت السماء وتلبدت بالغيوم وثار
عاصفة لمع فيها برق خاطف تلاه رعد قاصف وانهمر
وابل من الغيث فرأى الفارس والذهب ما يزال في
يده قطرة ماء كبيرة كالدينار على حدائنه المغبر فقال :
« ويلك ! هلا صرنا إلى ملجأ . إذ ليس من اللازم
التعرض للبلل »

واتجه برشاقة نحو غار مالك (خازن النار) حيث
دار البواب إذا احتيج إليه ، وهناك بلا أكثر
ألقى بنفسه على مقعد البواب الكبير وقال :
« رباه ! إلى كم تضايقتني ! وكم أنا تعس ! إنك

أنشأها في كل ناحية كما يظهر ، فالوصيد الفلاني
حيث كان يتجول جده بجلال أصبح يومئذ منقسماً
بصورة غريبة إلى أجنحة وأقسام غير متناهية وفيها
من كل الألوان ، وكان الملك ينتقل كفراشة بين
هذه الغياض الحريية والمخملية

وقد سأل يوماً الكونتس سيران الجميلة : —
ألا يشوقك أثاث مقاصيري ؟

فقلت : — لا ! إنى أريده أزرق . ولما كان
الأزرق هو لون الملك فقد أطربه هذا الجواب . وفي
الخلوة الثانية وجدت السيدة سيران أثاث المقصورة
أزرق كما رغبت

ولم تكن القاعة حيث كان الفارس آنئذ وحيداً
زرقاء ولا بيضاء ولا وردية ولكنها كانت كلها مرابا .
ومن المعلوم مقدار ما تجنيه السيدة الجميلة ذات القوام
الفاتن من تمكنها من إبداء محاسنها مكررة على ألف
وضع فهي تصرع وتستولى على من تود أن تفتنه
لأنه أتى نظر رآها فلا يجد إلى انتقامها سبيلاً فيضطر
أن يقرأ أو يعترف بخضوعه

كان الفارس ينظر أيضاً إلى الحديقة حيث
تتجلى خلال الجنائن والمياشي السندسية الأوابد
والأواني المرصية التي يبدو فيها ذوق الرعاة ؛ وكانت
الركيزة تعمل على جعله زياً وطرزاً وقد ارتفع
بعدئذ لدرجة سامية من الكمال والاتقان زمن
السيدة بارى والملكة ماري انتوانيت . وكانت تظهر
البدائع الخلوية حيث تنزوي الأخيلة التي تذهب
اللب . وكانت الحرابي الموهبة وتماثيل الآلهة الوقورة
والهياكل العلمية والأنصاب ذات الرؤوس الكبيرة
الجامدة من الهول في صوامع زبرجدية ترى ظهور
بستان انكليزي خلال أشجار السرو الداهلة وتكاد

وأخرج الغلام من جيبه غلافاً كبيراً مذهباً
ومزيناً بنقوش عربية وعليه الخاتم الملكي
فأجاب الفارس : « حياً وكرامة يا سيدي »
ومضى بعد أن أخذ الغلاف ، يعدو على رؤوس
أقدامه بخفة ورشاقة

— ٥ —

لما وصل الفارس إلى القصر وجد سويسرياً
أيضاً أمام الايوان فقال وقد أبدى الرسالة : « أمر
الملك » فما كان الفتى يخشى الحراب في كرتة هذه
فدخل جذلاً ماراً بين نصف دستجة من الخول
والاتباع

ورأى الأمر الملكي والخاتم حاجب كبير
واقف وسط الدهليز فأنحنى بوقار كمنخلة حنتها
الريح ، ثم لمس باحدى أصابعه الهزيلة وهو يتنسم
زاوية أحد الجدران الخشبية فانفتح حالا باب سري
مغطى بسجادة ، فأشار الحاجب للفارس بلطف
فدخل منه وانسدلت السجادة خلفه ، وعندئذ
أدخله وصيف صموت إلى قاعة ومنها إلى ردهة
فيها أبواب ثلاث أو أربع غرف صغيرة ثم أخيراً
إلى قاعة ثانية ورجاه أن ينتظر قليلاً . فتساءل الفارس :
« أنا في قصر فرساي أيضاً ؟ وهل نشرق في لعبة
(الطميعة) ؟ »

لم يكن قصر تريانون يومئذ كحاله الآن أو كما
كان قبلئذ ، وقد قيل إن السيدة منتنون جعلت
فرساي معبدًا ، وإن السيدة بمبادور جعلته وكرغرام .
وقيل أيضاً عن تريانون : إن هذا القصر الخزفي
الصغير كان عش غرام السيدة مونتسبان . ومهما
يكن من أمر هذه الوكنات فان لويس الخامس عشر

الجدول الصغيرة والمغابر الصغيرة تحمل محل الجنة
فتستبدل بها دار ألبان : ما أعجب سخرية الطبيعة
التي يقلدها الانكليز وينسخونها دون فهم ! لعبة
طفل حقيقية أضحت الآن ملهاة سيد كسول
لا يدري كيف يبدد سأمه من فرساي وهو في
فرساي نفسها

أما الفارس فكان جد مفتون وجد مأخوذ
من وجوده هناك فلم تخطر على باله فكرة الانتقاد
لأنه كان بالعكس مستعداً لإكبار كل شيء ، وكان
فعلاً معجباً بكل شيء . وبينما هو بقلب الوكنة بين
يديه فعل القروي بقبعته إذا وصيفة حسناء تفتح له
الباب وتقول بمذوبة :

« تعال يا سيدي » فتبعها ، وبعد ما اجتاز من
جديد عدة أروقة سرية أدخلته غرفة كبرى لم يكن
مصرعاهما مغلقين تماماً ، وهناك وقفت وأخذت تصني
فجعل الفارس يقول في نفسه : « لعبة الطيمية
دائماً » ومع ذلك فقد انفتح أيضاً بعد مضي زمن
قصير باب وكررت وصيفة أخرى كانت تبدو أكثر
جمالاً من الأولى بنفس اللهجة نفس الكلمات :
« تعال يا سيدي »

ولئن كان في فرساي مضطرباً فقد كان الآن
كذلك مضطرباً مهتاجاً ولكن بصورة تختلف
كثيراً عن الأولى . لقد أدرك أنه يلمس أعتاب
الهيكل الذي تحمل فيه الألوهية ، فتقدم خافق القلب
مستضيئاً بنور لطيف أسدل عليه غطاء فتبدد بعض
الظلام ، وتأرجح الجو بعطر لذيذ عبق لا يكاد يدرك ،
فأزاحت الوصيفة بوجل زاوية سجف حريري فاذا
به يرى في أقصى مخدع كبير بسيط الأثاث رائعه ،
السيدة ذات المروحة - يعني المريكة القديرة . وكانت

وحيدة ، جالسة أمام منضدة وقد التفت بقرقل
وأسندت رأسها بيدها ، وبدت جد منهمكة . فلما
رأت الفارس يدخل قامت فوراً وقالت : « هل
أنت قادم من عند الملك ؟ » وكان في إمكان الفارس
أن يجيب . ولكنه لم ير أحسن من أن يجثو باحترام
ويقدم إلى المريكة الرسالة التي يحملها فأخذتها أو
بالأحرى تناولتها بحدة بالغة ، وكانت يداها وهي
تفض الرسالة تضطربان من فوق الغلاف

كانت هذه الرسالة التي سطرها الملك بيده
طويلة جداً فالتهمتها أولاً بنظرة إذا صح القول . ثم
قرأتها بحرص ودقة عميقة ، مقطبة حاجبيها مطبقة
شفتيها ، فما كانت وهي كذلك جميلة ولا تشابه قط
المظهر السحري الذي بدت فيه لدى المخدع الصغير .
فلما أتت على آخر الرقيم أخذت تفكر ، وبدأ وجهها
الذي اصفر يتخضب شيئاً فشيئاً بلون وردي خفيف
(وما كان لديها آنئذ خضاب أحمر) واستعادت مع
الدمائة والأنس بارقة من جمال حقيقي لاح على وجهها
الصباح حتى ليظن أن خديها وردتان . فتنفست
الصعداء وألقت الرسالة على المنضدة ثم التفت نحو
الفارس وقالت له بابتسامة خلابة :

« لقد كلفتك مشقة الانتظار لأنني لم أكن مستيقظة ،
وما أزال ، ولذا أمرت أن يؤتى بك من المقاصير فإني
سجينة هنا كما لو كنت في بيتي . وبعد فإني أريد أن
أجيب الملك بكلمة فهل يسوؤك أن تكون رسولي ؟
ترث الفارس إذ رأي أن من واجبه الإفصاح
حتى إذا استجمع قليلاً من شجاعته قال في حزن :
- مع الأسف يا سيدي ! إن هذه المنة التي
تطوقين بها جيدي لا أستطيع لها نيلاً
- وكيف ذلك ؟

— لم أحصل على شرف أن أكون من أتباع

جلالته

— وكيف جئت إلى هنا إذن ؟

— مصادفة واتفاقاً . فقد اتفق أن رأيت في الطريق خادماً ملقاً على الأرض فرجاني ... (ويظهر أن المركيزة كانت آتت جذلة وأن السرور يأتيها طائماً) فأعادت مقهقهة :

— كيف ؟ ملقاً على الأرض ؟

— نعم ياسيدي فقد كبا به حصانه لدى الباب ، واتفق وجودي هناك لحسن الحظ فساعدته على النهوض وكانت ثيابه قد توحلت كثيراً فرجاني أن أحمل رسالته

— وأية مصادفة أوجدتك هناك ؟

— ذلك لأن لدى رفيعة أريد تقديمها إلى جلالته

— ولكن لا يقطن الملك هنا

— نعم ولكنك تقطنين أنت

— بخ بخ ! كأنك كنت آتياً تحملني رسالة

— سيدتي أرجو أن تصدقيني ...

— لا تخش ، فما أنت أول من فعل ذلك ...

ولكن أسألك بالنسبة : فيم تقصدين أنا ؟ مع أنني لست إلا امرأة ... كسائر النساء

وعندما فاهت المركيزة بهذه الكلمات في سخر ، زمقت الكتاب الذي فرغت من تلاوته بظفر ، فلجأ الفارس :

— إني أسمع دائماً القول المأثور : الرجال

يمارسون السلطة والنساء ...

— يملينها ، أليس كذلك ؟ حسن ياسيدي ، إن

في فرنسا ملكة

— أعرف ذلك ياسيدي ولهذا تجدينني هنا اليوم !

وكانت المركيزة معتادة أمثال هذه الأحاديث

كثيراً وإن لم تكن تفأخ بها إلا بصوت خافت ، ولكن يظهر أن الحديث الحالى سرها جداً فقالت : واعتماداً على أي ظن ، وثقة بأي يقين وثقت بإمكان الوصول إلى هنا ؟ إذ يخيل إلي أنك لم تكن تحسب حساب جواد يعثر في الطريق !

— سيدتي . كنت أعتقد ... كنت آمل ...

— ماذا كنت تأمل ؟

— كنت آمل أن تستطيع ... الصدفة ...

— دائماً الصدفة ! إنها من أصدقائك على

ما يظهر ، ولكني أنذرك إن لم يكن لك من صديقة سواها فشفاعتك محزنة

ربما أوشكت السعادة المهانة أن تنتقم لنفسها من هذه القحة لولا أن رأى الفارس الذي خبلته هذه الأسئلة الأخيرة على حافة المنضدة المروحة التي التقطها أمس ، فأمسكها وقدمها إلى المركيزة وقد ركع ركوع البارحة وقال لها : « هاك ياسيديتي صديقتي الوحيدة هنا »

فحارت المركيزة برهة وأخذت تنظر إلى المروحة تارة وإلى الفارس أخرى وقد بدا عليها الدهول ثم قالت :

— آه ! إنك محق فقد عرفتك . إنك أنت

ياسيدي ! أنت نفسك الذي رأيته أمس بعد التمثيل مع السيد ريشيليو فأسقطت هذه المروحة حيث وجدت كما تكرر القول ...

— نعم ياسيدي

— فأعدتها إلي بكل لباقة كفارس من صميم

الفرسان ، فلم أشكرك ، ولكني مازلت واثقة بأن

من يعرف كيف يرفع مروحة يمثل هذه الرشاقة

(٠)

البالغة يعرف كيف يرفع عند اللزوم القفاز أيضاً ؛
ونحن النساء نحب هذا

— ليس ما قلت سوى الحقيقة لأنى كدت
أبارز السويسرى آنفاً لذى مجيئى

— ويحك ! مع السويسرى ! وفيم ؟

— لم يشأ أن يدعنى أدخل

— لو أضرب لحسرتنا . ولكن من أنت ياسيدى ؟
وماذا تطلب ؟

— سيدتى إنى أدعى الفارس قوثر ، وعدنى
السيد بيرون أن يجعلنى ضابطاً صاحب العلم
— حقاً لقد تذكرت أنك آت من نوفليت
وأنت عشيق الأنسة أنيبول

— سيدتى من الذى استطاع أن يقول لك ؟
— آه ! أنذك بأننى ممن يرهب جانبهم وأنا
أحزر عند ما تخوننى الداكرة أنك قريب الراهب
شوفلان وقد رفضت من أجل هذا . أليس كذلك ؟
أين رفيعتك ؟

— هاهي ذى ، ولكنى حقيقة لا أقدر أن أفهم
— وفيم الفهم ؟ انهض وضع ورقتك على هذه
المنضدة فإنى سأجيب الملك فتحمل إليه طلبك
ورقىمى معاً

— ولكنى أظن أن قد قلت لك ياسيدتى ...
— ستذهب . فقد دخلت إلى هنا من عند
الملك ؛ أليس كذلك ؟ حسن ! وستدخل إلى هناك
من عند المركيزة بمبادور وضيعة شرف الملكة

فإنحنى الفارس دون أن ينبس بينت شفة وقد
أخذته الدهشة ، فقد كان الناس كلهم يعرفون
منذ زمن طويل ما حاکت الخلية من أحاييل وما
دبرت من خيل ومكائد ، وكم قاومت فى سبيل

الحصول على هذا القب الذى لم تجن من ورائه إلا
العار والفضيحة لولى العهد ، وقد انقضت سنوات
عشر والرغبة فيه تلتهم فؤادها حتى نالته أخيراً ،
ولم تكن تعرف أن السيد قوثر سوى قصة غرامه
ولكنها كانت مسرورة به سرورها من خبر مفرح
كان الفارس واقفاً فى جمود خلف المركيزة
يراقبها وهى تكتب باندفاع ولهفة ثم تفكر وتنقطع
عن الكتابة فتلمس ييدها أنفها الصغير الدقيق
كالعبر ثم يفرغ صبرها كأن أمراً يضايقها ثم تمضى
أخيراً وترمج ، ومن الواجب أن تقر بأن ما تكتبه
ليس سوى المسودة

كانت قبالة الفارس فى الطرف الآخر من
المنصة امرأة جميلة من صنع البندقية تلمع ، وعلى أن
الرسول الجبان لم يكن يجرؤ أن يرفع نظريه ، فقد
كان من الصعب ألا يرى فى هذه المرأة وجه وصيفة
الملكة الجديدة ، ذلك الوجه العبوس الساحر فأخذ
يناجى نفسه قائلاً :

— ما أجملها ! ومن تعاستى أنى عشيق سواها .
ولكن (أتيناي) أجل ، ومع هذا فإن التفكير فى
ذلك يعد منى خيانة مريمة !

فقال المركيزة (وكان الفارس يجهر بالنجوى
دون أن يشمر)

— عمّ تتكلم ؟ ماذا تقول ؟
— أنا ياسيدتى ؟ إنى أنتظر
فقال المركيزة وقد أخذت ورقة أخرى
— هأنذى قد أنجزت

ولكن نصيفها سقط عن كتفها عند ما قامت
بحركة صغيرة كيما تلتفت
إنه الزى شئ غريب ، فقد كانت جداتنا

— إنك تعرف المقصود جيداً
— لا ، قطعاً
— عجباً ! ولكنه الواقع
— أبداً
— كل البلاط يعرف ذلك
— ولكنني لست من البلاط
— إنك غر ! فقد قلت إنه قد عرف ذلك
— هذا ممكن يا سيدي ولكني أجهله
— على أنك لا تجهل أن خادماً وقع لدى باب
قصر تريانون أمس الأول . أو لم تكن هناك مصادفة ؟
— بلى يا سيدي
— أما ساعدته على النهوض ؟
— لقد فعلت يا سيدي
— أو ما دخلت القصر ؟
— دون شك يا سيدي
— هل أعطوك ورقة ؟
— نعم يا سيدي
— وقد حملتها إلى الملك ؟
— بالتأكيد
— لم يكن الملك في قصر تريانون بل كان في
الصيد وكانت المركيزة وحدها ... أليس كذلك ؟
— بلى يا سيدي
— وكانت قد استيقظت منذ هنيهة وما تزال
شبه عريانة لولا نصيف كبير .
— إن أولئك الذين لا يستطيعون من
الكلام يقولون ما يدور في خلدكم .
— حسن جداً . ولكن يظهر أنكما تبادلتما
نظرة لم تسووها
— ماذا تقصدين بهذا يا سيدي ؟

ودق الباب بجفاء دقتين أو ثلاثاً فقال : « من
هذا ؟ » وإذا بالرجل الهزيل مرثد سواداً وجورين
حريين يشفان عن ربلي الساقين الضامرتين قد
دخل وحياء في احترام وقال : « ستقام الليلة حفلة
رقص مقنع في البلاط ، وقد أرسلتني سيدتي المركيزة
أقول لك إنك مدعو
— حسبك يا سيدي وإني أشكرك شكراً
جزيلاً !
وما إن انسحب الرجل الهزيل حتى أسرع
الفارس إلى الجرس فقرعه فأنت نفس الخادم التي
ألبيته حسب معرفتها من ثلاثة أيام ، وأخذت تساعده
ثانية على ارتداء نفس الكسوة الموشاة بالذهب
وحرصت جهداً على أن تجعله أنيقاً
مشى الفتى بعدئذ نحو القصر حيث كان مدعواً
في هذه المرة وقد اصطنع الهدوء ولكنه كان أكثر
سخطاً وأقل جرأة منه عندما خطا في هذا العالم
الذي كان مجهولاً لديه خطوته الأولى . أذهلته روائح
فرساي في هذه المرة بمقدار ما أذهلته في المرة الأولى .
ولم يكن القصر ليلتشد خالياً فكان الفارس يسير في
الردهة الكبرى ناظراً إلى جميع الجهات حرصاً على
استكناه سبب وجوده هناك فلم يلح له اقتراب أحد
منه . وما انصرفت ساعة حتى سئم وعول على
الانصراف لولا أن استوقفته لذن مروره سيدتان
على وجهيهما قناعان متشابهان كثيراً . وكانتا
جالستين على مقعد . سددت إحداها إليه أصبعها
كأنها ممسكة غدارة فهضت الأخرى وجاءت إليه
فأخذت بذراعه في تراخ وقالت له : « يظهر يا سيدي
أنك على ما يرام مع مركيزتنا »
— أستمحك يا سيدي عفواً ، عن تكلمين ؟

— أنك أعجبت بها

— لا أدري شيئاً من هذا ، وإنما سيصيرني إلى القنوط أن أرى المروءة النادرة واللفظ الذي لم أكن أتوقع والذي كان بالغ الأثر في أعماق نفسي يغدوان سبب دسائس شائنة

— لقد احتاجك الغضب سريعاً أيها الفارس . ويلوح لي أنك ستدعو إلى البراز كل من في البلاط فلا ينتهي بك الأمر إلا بعد أن تردى كثيرين — ولكن إذا كان هذا الخادم قد سقط وإذا كنت قد حملت رسالته ... فاعذريني إن سألتك علام سئلت ؟

فشدت السيدة المقنعة على ذراعه وقالت له :

— أصح إلى يا سيدي

— بمقدار ما يسرك ياسيدي

— إليك ما فكر فيه الآن : إن الملك لا يجب الركيزة قط وليس من يعتقد أنه أحبها من قبل . أما هي فلم تكتف بارتكابها جريمة إغلاق البرلمان وإلقائه هو وضريبة الدائنين ظهرياً ، بل هي تجرؤ اليوم على أن تحارب سلطة أعظم كثيراً وهي سلطة اليسوعيين ، وعلى أنها ستفشل فإنها ذات أسلحة تدافع بها عن نفسها قبل أن تهلك

— حسن ياسيدي ، وماذا أستطيع أن أفعل ؟

— سأقول لك : إن السيد (شوازل) مستاء

من السيد (برني) وكلاهما ليسا واثقين من التجربة التي يريدان القيام بها . وبكلمة منك يتمكن شوازل أن يحل محل برني

— وبأي صورة ياسيدي ، أرجوك ؟

— بأن تروي نبأ زيارتك بالأمس

— وأية علاقة تربط زيارتي باليسوعيين

والبرلمان ؟

— خط لي كلمة فتهلك الركيزة ولا شك أن لك الفائدة العظيمة والشكران الجزيل ...

— أطلب عفوك ثانية ياسيدي ، ولكمنا تطلبين ذناء

— وهل في السياسة مروءة ؟

— لا أعرف ذلك . لقد أسقطت السيدة عبادور مروءتها أمامي فالتقطتها وأعدتها إليها فشكرتني وسمحت لي بكرم أخلاقها أن أشكرها بدوري

— دعنا من المحاملات فإن الوقت ينقضي . إنني أدعي الكونتس دستراد وأنت تحب الأنسة أنيول ابنة أخي ... لا تقل لا ، فلا فائدة من الإنكار . إنك تطلب وظيفة صاحب العلم في الحرس .. ستناولها غداً ، وإذا كانت اتيناني تعجبك فستغدو حالاً صهرى

— آه ياسيدي ! ما هذا الاحسان الفياض ؟

— ولكن عليك أن تتكلم

— لا ياسيدي

— قل لي إنك مدنف في حب هذه الفتاة مدله

— بكل جوارحي . ولكن يجب أن يظل

شرفي إذ أبثها غرامي

— إنك عنيد جداً أيها الفارس ! أهذا

جوابك الأخير ؟

— إنه الأخير كما كان هو الأول

— أرفض الدخول في الحرس ؟ وترفض يد

ابنة أخي ؟

— نعم ياسيدي إن كانا بهذا الثمن

— ماذا تقولين يا سيدتي ؟
 — هالك شهادتك وصك زواجك
 وألقت إليه مروحتها فاذا بها تلك التي التقطها
 مرتين من قبل ، وكانت الأصداف المذهبة تتلألأ
 وبينها نقش الصور التي عرفها فلم يبق عنده مجال
 للشك في أنها مروحة السيدة بمبادور فقال :
 — يا للسماء ! أهذا ممكن أيتها المركيزة ؟ فقالت
 وقد نحسرت اللثام الأسود الشفاف :
 — كل الامكان

— لا أدري يا سيدتي كيف أجيب ...
 — لا حاجة لذلك . إنك رجل مذهب أديب ؛
 وسنلتقي لأنك عندنا ، فقد جعلك الملك صاحب العلم
 الأبيض . تذكر أن أكبر بلاغة يتمسك بها الراجي
 هي أن يستطيع السكوت عند اللزوم . وأردفت
 ضاحكة وقد هربت : « ساعنا إذا حصلنا على
 معلومات قبل أن نعطينك ابنة أختنا »
 (دمشق) مظفر البغا

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

فخدجته بنظرة ملؤها الفضول والاستكناه ،
 ثم ابتعدت ببطء إذ لم تر على وجهه أثراً للتردد
 واختفت بين الجماهير . وجلس فارسنا الذي لم يفهم
 من هذه الحادثة الغريبة شيئاً في زاوية من زوايا
 الردهة وجعل يناجي نفسه قائلاً : « ماذا تريد أن
 تفعل هذه المرأة ؟ لا شك أنها مختلفة الشعور ، إنها
 تريد إحداث انقلاب من أجل وشاية حمقاء وتعرض
 على أن أدنس شرفي من أجل الحصول على يد ابنة
 أخيها ! ولكن (أيتناي) لا ترضاني ، بل إنني أرفضها
 إن كان الحصول عليها يحتاج إلى دسيسة كهذه !
 ماذا ؟ أأعمل على خراب هذه المركيزة الطيبة
 وقضيحتها وعارها ؟ أبداً ! لا ، أبداً ! »

ظل الفارس على إصراره ومقاومته حتى أوشك
 أن ينهض فيتكلم جهراً لولا أن لست كتفه في خفة
 أعملة وردية اللون فرفع عينيه فرآى أمامه القناعين
 المتشابهين اللذين أوقفاه من قبل ، وقالت له صاحبة
 أحدهما وقد غيرت نبراتهما :

« ألا تريد إذن أن تساعدنا قليلاً ؟ » فلم يتخددع
 الفارس على رغم تشابه الثوين التام وبرغم الجهود
 المبذولة لازالة الفرق بينهما ، إذ لم تكن النظرات
 ولا النبرات ذاتهما في السيدة الأولى . وكررت
 الكلمة قائلة :

أجيب أيها الفارس ؟

— لا يا سيدتي

— أكتب ؟

— ولا هذا أيضاً

— مازلت على مكابرتك وإصرارك إذن . مساء

الخير أيها الملازم !

اسبرو في ليلة واحدة



**اسبرو
 لا
 يضرب
 القلب
 ولا
 المعدة**

ان نغيب الاموال الجارية في هذه الايام قد اوجع كثيرا من الاعصاب بالبرد
 ككل عام فان شرب الالتهابات والبرق والرياح قد اوجع كثيرا من الاعصاب
 والاسبرو لا يثقلها. ولقد اثبتت الرقعة الفاس ان اسبرو
 يقضي على الالتهابات بالانفلونزا في ليلة واحدة. فاما اذا لم تجرب
 واذ كنت ترى ما يشبه على الالتهابات اسمها اسبرو. فاذ في الفاسه وحياتك للوقت
 وقعب الجسم ومحي وحياتك وكنت تستطيع ان تجتنب ذلك باستعمال اسبرو
 اسبرو في عنده اصابتك بالانفلونزا فامك لوتك لتقود في استعماله
 اذا اردت ان تقضي نفسك الالتهابات بالانفلونزا وحياتك ان تفعل. واذ اخذت
 اسبرو في شراب الليمون الساخن فحياتك على الالتهابات في ليلة واحدة
 فاحذر الكمال واستعمل ذلك باعداد اسبرو في ارجائك في
 الشتاء دون ان تصاب بالانفلونزا كذلك تقضي نفسك من الالتهابات

**بالبرد والرو
 ماتزم واوجاع**

الشتاء والام لان اسبرو خير علاج لاسبرو

ماذا يعمل

للبرد والالتهابات والالتهابات او اي صفي الاسبرو
 غنيمة. خذ قرصيه الى ثلاثة اقسام كل ساعتين حتى تعود
 حالتك طبيعية فالاسبرو يخفض الحرارة في دقائق قليلة
 استعماله غير غثرة قرصيه في ارفع ملامحه فانه لا يزيل الالتهابات
 الزور. فان دقات الاسبرو الصغيرة بالزور
 فتفعل فعلا. اسعمل بسرعة وانقذ نفسك.

اسبرو يباع في جميع الاسواق والصيدليات والدار
 ٢ قرصان ٥ مليا ١٠ اقسام ٢٧ قرصا ٥ قرصا

التوكالا
 ج. ب. شريهان وشركاه
 ٢٣ شارع المربع مصر
 تليفون ٥٤٢٢٣
 ٩ شارع المربع بالوكندرية
 تليفون ٢٦٣٤٠



في الشراب الزور

حتى غدا من طول
الانحناء لا ينصب قامة
ولا يقيم ظهراً؟ فإذا
ترك؟! إنني أجيل
عيني هنا وهناك فلا
أرى إلا هذا الثور
المزبل وذلك البهيم
لا يمتضى يوم أو يومان

المِثَاءُ الْمِلْحُ

لِلأستاذ أدیب عباسی

حتى ينفق مما أرهقه النير وبهظه الثور قرينه في
الميل عليه والاسراع في السير دونه . ولست أدري
ماذا يكون حالنا هذا العام إذا تأخر المطر أسبوعاً
آخر أو أسبوعين؟ إن لدينا ما يكاد يوصلنا إلى بدء
الحصاد، ولكن ماذا نصير إليه بعد أوان الحصاد
إذا ظل وجه السماء أمداً آخر على جفافه الشديد
وجوده المئس فصوص البت وهلك الزرع الذي
نما مع البدرى^(١) ودلت تباشيره على الخير
الوفير، ولكن شول الغيم^(٢) بعده وانقطع القطر
فصدى البت وجف وأوشك أن يزول؟

هكذا شرع يوسف الجمال يناجي نفسه لما
نظر حوله ورأى الفقر والخصاصة اللذين خلف
له والده . وفكر ملياً ماذا هو صانع ، أيستمر يفلح
الأرض ويزرعها وتستمر آماله تتراوح بين أقصى
اليأس والرجاء تبعاً لانحباس المطر أو إغداقه .
وهل في ذلك ما يحقق الآمال المسولة والأمانى
العذاب؟ « ثم لم لا أكون كموسى و خليل
التاجر توفيقاً ويسر حال؟ ولكن أواه أين

ورث يوسف الجمال عن أبيه بضعة عشر فداناً
من الأرض ، ونظر حوله فلم ير غير هذه الأفدة
وزوجة وصبياً في الخامسة من عمره وطفلة مازال
تجبو ، وحيوانين هزيلين يستخدمهما في فلاحته .
وفكر ملياً ماذا يصنع وكيف يسير بقية الطريق؟
أيستمر يستغل الأرض ويستدرّها وهي هنا
— على سيف الصحراء — كثيرة المثل عسيرة
الحلاب شديدة الختل ، إذا جادها الغيث — وهو
شحيح — فما الزرع ، لم يسلم من ربح الشمال
تجففه وتذويه ، أو الریح الشرقية تلفحه وتذريه ، أو
الدودة تمشش في خيوطه وتأتى عليه ، أو الجراد يحط
على الحقل أخضر ممرعاً ويتركه أحمر كالحا لاجياة
ولا نماء فيه؟ أيمضى يفلح الأرض ويزرعها ، وتلك
هي احتمالات الثراء السريع الذي ينشده وتغمض
على صوره عيناه وتطيف بها أحلامه في اليقظة وفي
النمام؟ « كلا ! كلا ! فالأرض التي لا تعطى إلا
الكفاف حين تعطى لا يفتأ المرء لاصقاً بها مشدوداً
إليها ما عاش . وأين من ارتفع وجهه عن الأرض
من ركنوا إلى الأرض؟ هذا والذي رحمه
الله ، ألم يقطع أربعين عاماً محنياً فوقها مكبوباً عليها

(١) البدرى : المطر قبيل الشتاء

(٢) يقال شولت الناقة إذا انقطع لبنها

الشعور في صدر الزوج فأطرق يفكر... ولكن لم تلبث صور الثراء السريع والعيش الموطأ أن رقصت في خياله دورة أو دورتين حتى انحسر عن صدره شعور الحنين واللحفة الذي أثارت زوجه بحديثها، فرفع رأسه وخاطبها بجفاء

لقد عزمت على الخلاص من عناء الفلاحة وأتعابها، فلا تلجى في الجدل ولا تهادى في النصيح والاشفاق. إننى سوف أكون تاجراً كهؤلاء التجار الذين يقضون أوقاتهم في لعب « الطاولة » أو « المنقلة » أو القمار أو في الجلوس والحديث، ثم في التهويم والنوم وما إليها من أسباب المتع وبواعث اللذة ولم يجادل الزوجة. فهي تعرف من عناده وإصراره ما لا يجدى معه جدل ولا حوار

قبض يوسف الثمن بضع عشرات من الجنيهات وأستأجر دكاناً وحشد فيه من السلع كل ما قدر له الرواج السريع وظن فيه الربح الوفير. وجلس على كرسي في ركن من الدكان ينتظر تهافت الشارين عليه وإرباكهم إياه بكثرة الطلب والمجادلة في جودة السلع وأثمانها. ولكن ارتفع النهار وأقبل الظهر دون أن يؤم دكانه شار؛ وبُعِيدَ الظهر جاءته صبية صغيرة بيضتين تطلب قفلاً. فقبض قبضة وصرها في ورقة، ولكن الصغيرة استقلت الكمية وطلبت المزيد، ولما لم يزد لها استردت البيضتين... وعزى يوسف نفسه بأن الناس لا بدّ مقبلون عليه متى علموا مكانه من السوق وعلموا جودة البضائع عنده ورخصها، ولا حاجة إلى القول بأن النهار الأول مضى دون أن يبيع بما يزيد عن بضعة قروش. وجاء النهار التالي ولم يكن خيراً من سابقه، وكذلك اليوم الثالث والرابع إلى آخر الأسبوع. وعندها أخذ الشك

(٦)

رأس المال، وكيف أبدأ التجارة كما بدأها؟ ولكن هل من اللازم أن يكون الرء تاجراً وزارعاً معاً؟ ولم لا أبيع هذه الفدادين بمحصولها هذا العام فأخلص إلى الأبد من كدّ الفلاحة وعسرها، وأخلص من ريب المحل هذا العام وكل عام؟ وعرض يوسف الجمال رغبته هذه على أهل البلدة، فتقدم حلاً من اتباع الأفدنة بغلتها، إذ ليس يجفو الفلاح الأمين الأرض مهما جفته وقست عليه، ولا ينقطع له منها رجاؤها مهما تقطعت أسباب الرجاؤها. وهو يعلم بعد أنها مهما جفته لا يتخذها، ومهما ضغطت عليه لا تسحقه، وإنما تخرجه جليداً على الشدة أياً على اليأس

ومن الإنصاف أن نذكر أن زوجة يوسف لم تكن راضية عن هذا التبديل والتحول من استقرار الزراعة إلى مغامرة التجارة. وفي أصبوحة اليوم الذي جرت فيه صفقة البيع جاءته بعينين مغرورتين وأهداب مخضلة وخاطبته: ماذا أنت صانع يا يوسف؟ أتبيع الأرض التي حفظها لك أبوك أربعين عاماً كما حفظها له أبوه وحفظها كل أب لابنه وجد لحفيده حتى وصلت إليك غير منقوصة ولا متحيفة؟ ألا تحس بأننا نفقد شيئاً غير التراب والحجارة إذ نفقد الأرض؟ بربك ألا تشتاق الحين بعد الحين أن ترى قطع هذه الأرض التي تغل والتي لا تغل، وتجوس خلالها وفي صدرك مثل الذي تحسه لولديك أو منزلك حينما تغيب عنهم أمداً طويلاً؟ تصوركم دغدغ أبوك وأجدادك صور هذه الأرض بمحاريثهم، وكم توسدوا تراها وحلموا الأحلام فوقها! وكم قاتتهم وبنت أجسامهم القوية بما تدر وتنتج! تصور هذا يا يوسف وانظر أى شيء نفقد مع البيع! وكان حديث الزوجة قد نفذ شيئاً إلى مكان

يدبُّ إلى نفسه والوساوس تساوره ؛ وأفضى إلى زوجته بما أخذ يتدسس إليه من ريب وشكوك فخاطبته بقولها : عليك أن تصبر هنا يا يوسف صبرك على الأرض أو أكثر ؛ وأزيدك أن احتمال الخسارة المفاجئة هنا أشد وأنكى . فأنت في الفلاحة إذ تفقد بعض ما تفقده يعوّض عليك عنه غالباً في السنوات الآتية ، والأرض بعد باقية لك ، ولكن الخسارة في التجارة معناها الدمار والخراب . وكم من تاجر أصبح في نعيم وبلهنية وأمسى في شقاء الفقر وضيق الفاقة ؛ فواجبك إذن الصبر وطول الأناة . وعلى كلٍّ أحب أن أنزل غداً لأرى كيف تباع

وفي صباح اليوم التالي نزلت الزوجة وجلست بين الجدار وبين رفوف السلع القائمة بحيث ترى ولا تُرى . وجاء أول شار فقام زوجها وعلى وجهه جهومة الارتياح وكدرة الهم وأحضر حاجة الرجل ، فقبلها هذا بين يديه فلم تعجبه وطلب خيراً منها ، فأجابه يوسف : إن هذه السلعة خير ما عندي ، ولن ترى أحسن منها في جميع السوق . وأقسم لك بشرفي أنني أدفعها لك بلا ثمن إذا وجدت أفضل منها ؛ ثم إنني أكتفي منك ثمناً لها برأس المال . إلا أن الشاري هز رأسه وخرج لم يشتر شيئاً . ولم تطق الزوجة صبراً فخرجت إليه وقالت : الآن علمت لماذا يتجنب الناس دكانك ؟ لتعلم أن أكثر الناس يكرهون العبوس والا كفهرار في وجه التاجر ، فلكل الناس همومهم ؛ ويجب ألا تضيف إلى همومهم همك . ثم إن لجأجتك وإلحاحك على أن حاجتك هي أحسن الحاجات يبتان الشك والريب في نفس الشاري . فالناس تعلم بالخبرة أن التاجر لا يطيب في امتداح السلعة إلا إذا كان يشك هو في جودتها ، وإلا لترك هذه السلعة تعلن عن نفسها بنفسها . ثم إن توکیدك الأقسام بأنك تقدم السلعة للشاري بلا

ثمن إذا وجد خيراً منها دلّه على أنك لا تقيم وزناً كبيراً لفضيلة الصدق . أما قولك أنك تبيعه السلعة بلا ربح فدلالة الكذب فيه واضحة ، إذ لماذا أنت هنا إذا كنت تبيع السلعة برأس المال متجاوزاً عن الربح ؟ وهب أنك أخجلت الرجل فابتاع السلعة فهو ليس بعائد إلى دكانك مرة أخرى ، فالشاري يجب أن يكون حراً في كل شيء ، حراً في الاختيار ، حراً في تعيين الثمن ، حراً في ألا تظن فيه الكرازة وحب الماكسة ؛ وإذا استشر شيئاً من ذلك في دكان من الدكاكين فليس بعائد إليه . هذه أمور لعلك تجهلها لقلة خبرتك بشؤون السوق وتركك مشتري حاجات البيت لي . وكم ألححت عليك أن تقوم أنت بشراء ما محتاجه فكنت تعتذر بأن تنفيك في شؤون الفلاحة سحابة النهار لا يسمح لك بارتياح السوق ومعرفتها جيداً . وإذن إليك ما أفدته بالخبرة من هذه الشؤون ، وما هو خليك أن يجتذب الشارين ويحسن الحال : عليك أن تبسط وجهك وألا تكثر من التوكيد والأقسام ، وأن تكون صبوراً ، وألا تشعر الشاري شيئاً من الضيق والخرج أو الاحتقار ، فليس أقتل للتجارة وأدعى لبوارها من هذه . اعرض حاجتك عرضاً مقبولاً وأرح نفسك وأرح الشاري من الأيمان ، فهي لن تريده يقيناً بما تقول . امتدح السلعة ودل على صفاتها ولكن باعتدال . وإياك ومثل هذه الأقوال : « إن سلمي خير ما في السوق ، وإنني أعطيكها بلا ثمن » وغيرها مما لا يفيدك شيئاً إلا اعتقاد الشاري أنك تكذب وأن السلعة قد تكون من الرداءة بحيث تحتاج إلى كل هذه الأقسام والتوكيد . ثم إياك أن تبدى شيئاً من الدهشة أو الامتعاض مهما عرض الشاري ثمناً للسلعة . أفهمه بلطف أن الثمن الذي يعرضه هو دون ما يستطيع بيعها به ؛ وإذا خرج لم

يدبُّ إلى نفسه والوساوس تساوره ؛ وأفضى إلى زوجته بما أخذ يتدسس إليه من ريب وشكوك فخاطبته بقولها : عليك أن تصبر هنا يا يوسف صبرك على الأرض أو أكثر ؛ وأزيدك أن احتمال الخسارة المفاجئة هنا أشد وأنكى . فأنت في الفلاحة إذ تفقد بعض ما تفقده يعوّض عليك عنه غالباً في السنوات الآتية ، والأرض بعد باقية لك ، ولكن الخسارة في التجارة معناها الدمار والخراب . وكم من تاجر أصبح في نعيم وبلهنية وأمسى في شقاء الفقر وضيق الفاقة ؛ فواجبك إذن الصبر وطول الأناة . وعلى كلٍّ أحب أن أنزل غداً لأرى كيف تباع

وفي صباح اليوم التالي نزلت الزوجة وجلست بين الجدار وبين رفوف السلع القائمة بحيث ترى ولا تُرى . وجاء أول شار فقام زوجها وعلى وجهه جهومة الارتياح وكدرة الهم وأحضر حاجة الرجل ، فقبلها هذا بين يديه فلم تعجبه وطلب خيراً منها ، فأجابه يوسف : إن هذه السلعة خير ما عندي ، ولن ترى أحسن منها في جميع السوق . وأقسم لك بشرفي أنني أدفعها لك بلا ثمن إذا وجدت أفضل منها ؛ ثم إنني أكتفي منك ثمناً لها برأس المال . إلا أن الشاري هز رأسه وخرج لم يشتر شيئاً . ولم تطق الزوجة صبراً فخرجت إليه وقالت : الآن علمت لماذا يتجنب الناس دكانك ؟ لتعلم أن أكثر الناس يكرهون العبوس والا كفهرار في وجه التاجر ، فلكل الناس همومهم ؛ ويجب ألا تضيف إلى همومهم همك . ثم إن لجأجتك وإلحاحك على أن حاجتك هي أحسن الحاجات يبتان الشك والريب في نفس الشاري . فالناس تعلم بالخبرة أن التاجر لا يطيب في امتداح السلعة إلا إذا كان يشك هو في جودتها ، وإلا لترك هذه السلعة تعلن عن نفسها بنفسها . ثم إن توکیدك الأقسام بأنك تقدم السلعة للشاري بلا

وعلى كل فأننا محصن نفسي من الآن وعازم ألا يزيد
المبلغ الذي أقامر به على بضعة قروش
وفي الليل أم يوسف مجلس المقامرين في أحد
الدور المتطرفة ، وتلطف به المقامرون القدماء فقام
وقد أضيف إلى عشرة القروش التي جاء بها عشرات؛
وانكبأ إلى بيته وإهابه لا يكاد يسهه من فرط
السرور ؛ وأيقن بأن نجمه أخذ في الصعود وأنه
لا بد مدرك الثراء السريع وتحقيق أحلامه بجمعتها
وسألته زوجته فيم كان تأخره ، فتلطف لها
بالاعتذار ودفع إليها حفنة من قطع النقود المختلفة ،
وسألته في هذا المبلغ الكبير من أين جاء ، فأجاب
بأن توفيقه في البيع ذلك النهار كان توفيقاً نادراً
وعاد يوسف طبعاً إلى مجلس القمار في الليلة
التالية ، وعاد إلى الكسب والخسارة كما كان يحلو
للمقامرين الماهرين حتى لا يئسوه من القمار قبل أن
تتمكن عادة منه ، وعندها ما أسهل أن يجرده من
كل ما لديه

وهكذا صرت الليالي وصاحبنا لا ينفك يقامر
ويقامر . وفي خلال ثلاثة أشهر افتقد ما لديه من
الدراهم التي كان ينوي أن يتناع بها بضاعة جديدة
في أول الموسم ، فأصبحت يده صفراً . وهنا شعر
كأن قلبه يهبط من موضعه ، وكأن ماء بارداً يصب
على جسمه . فلم يكن يقدر أن القمار يفعل به كل هذا
الفعل ؛ ولم يكن يجرؤ أن يجري حساباً على ما لديه
حتى يظل على اطمئنان الجهل بحاله ، وما أودى به
القمار من ماله . وكانت هذه الصدمة تعيد إليه رشده
لو لم تكن العادة قد استحكت منه إلى الحد الذي
يكاد يستحيل الفكك منها عنده . ومن هنا صار
همه بعدها أن يبيع في النهار ما يستطيع بيعه
ويذهب في المساء يقامر به غله يسترد بعض
ما فقد . ولكن هيهات ! فقد أعتمته الخسارة وأضحى

يشتري شيئاً فلا تشيعه بدمدمة الامتعاض وعبوس
الفشل . ثم الربح ، اكتف منه بالقليل تبع كثيراً
وتربح . وبالجملة عليك أن تجعل علاقتك بالشارى علاقة
مقبولة غير منفرة

وكان يوسف استفاد من نصائح زوجه الذكية
وخبرتها الصحيحة ، فتحسنت عنده نسبة المبيع
اليومي ، فبش وتطلق وجهه بعد أن كان يغالب
نفسه مغالبة على اصطناع البشاشة والحبور .
وسارت الحال سيرها الطبيعي عاماً وبعض العام ،
وحسب يوسف أرباحه عند نهاية العام فوجدها
لا بأس بها ، وإن كانت دون ما كان يؤمل من
الغنى المفاجئ وهو شهوته المتحكمة وهواه الكمين
الذي طلق الفلاحة من أجله ... وعلى كل فقد
عزم على أن يمضي في هذا السبيل قدماً ، فليس
بعيداً أن يصبح في خلال بضعة أعوام كأغني تاجر
في البلدة . ثم ألم تيسر له هذه التجارة حياة الدعة
والراحة كما كان يتشهى ويأمل ؟

غير أن جموح الخيال ونزق الشهوة جعلاه على
غير استقرار من أمره ، فعاوده هوى الغنى السريع
على مستوى جديد أعلى من مستواه الأول . وإذن
فتجارته هذه بمحالتها المحدودة لا تئيله وظراً ولا تبلغه
غاية . فإذا يصنع إذا ؟ قام في نفسه هذا السؤال
وأبى أن يتراجع ؛ وعندها أحس كأن شيئاً من
داخله يوسوس له ويهتف به : ما ضرك يا يوسف
لو جربت حظك — كما يجرب الناس حظوظهم —
في القمار ؟ وأراد يوسف أن يطرد من صدره كل
ما يبعث على التردد فيما يوسوس له به ، فقال : لن أقامر
بمبالغ كبيرة ، يكفي ربح يوم واحد . هاهم أولاء أناس
أعرفهم لا يفتأون يقامرون ومع ذلك لم يفتقروا
ولم تخرب بيوتهم ، كما يقال عادة عن عواقب القمار .

لك البيت لتبيعه حينما تحتاج إلى ثمنه .. ألا يسرك هذا ؟ !

— أرجوك يا صريم ، أرجوك ! لا تفضحيني ! أقسم لك بشرفي وروح والدي أن يكون هذا آخر عهدى بالقمار ! كفى ما جره علينا من دمار

وقام إليها يترضاها ويقبل جبينها حيناً ووجنات الطفلين حيناً آخر . وما زال بها حتى فتر عزمها على الذهاب ، فعادت إلى البيت وذهب هو إلى عمله

وعادت الأمور إلى مجاريها واسترد يوسف شيئاً من نشاطه بعد أن انقطع عن القمار ، وكاد يلم شعثه ويرأب بعض الصدوع في تجارته التي أوشكت على البوار ، وظل حاله في انتعاش إلى أن هبط البلدة رجل غريب يحمل كتاباً في كيس من قماش ، ولم يطل المقام بهذا الرجل الغريب حتى شاع في البلدة أن لديه في كتابه مفاتيح الكنوز التي خلفها الأوائل والتي لا تزال مطمورة في الخرائب والقبور القديمة المبتوثة حول البلدة . وبحكم العلة المستحكمة والهوى المزمع كان صاحبنا يوسف أول المصدقين لما أذاع الرجل عن نفسه من القدرة على كشف الكنوز . وفي ذات مساء دار حديث بين يوسف وهذا الرجل كانت نهايته كالآتي :

— أتؤكد لي أنك قادر بكتابك وسحرك على الاهتداء إلى مواضع الكنوز وكشفها يا أبا ميسور ؟

— ثق بهذا وثوقك بأن في وجهك عينين وفي يديك عشر أصابع

— ماذا لو شرعنا في البحث إذن ؟

— ولكن البحث يحتاج إلى أشياء يا صاح : يحتاج إلى البخور وغيره مما نستعين به على طرد الأرواح التي أقامها الأولون على هذه الكنوز لتضل

من اليسير على المقامر الماهرين أن يخدعوه ويجرؤوا عليه الغش في اللعب . وكانت زوجته تسأله عما صارت إليه تجارته ، ولم ترى البضائع تذهب ولا يوثي لها بعوض ؟ فكان يجيبها أجوبة فيها امتعاض وصرف عن التبادي في السؤال . وأخيراً عولت على معرفة الحقيقة من طريق آخر . ولم يطل بها البحث حتى عرفت كل شيء

وعاد يوسف كمادته متأخراً إحدى الليالي فوجد زوجته ما زالت جالسة عند رأس ابنها ورأسها منكس إلى حجرها ، فهمس متكلفاً السرور والغبطة ، إلا أنها رفعت رأسها ولم تجبه بشيء ، وإنما كان على وجهها المتجهم وفي عينيها المحمرتين وآثار الدمع على خديها ما صرفه إلى فراشه دون أن ينبس ببنت شفة . فلقد شعر بأنها عرفت حقيقة حاله وما آل إليه أمره ، وخير له إذن أن يتجنب العاصفة وهي في إبان عصفها

وفي الصباح قامت زوجته إلى ابنها وأخذتهما يديهما وسارت تبني الخروج . فناداهما : إلى أين وما ذا تعنين ؟ فأجابت بحفاء : هذا لا يعنيك . إنني ماضية أقيم مع أهلي بضعة أسابيع

— ولكن كيف لا يعنيني غيابك ، ومن يقوم بشؤون البيت ؟ وهل تظنين أنني أقدر أن أخبز وأطبخ وأقوم بمهام التجارة ؟

فخدجته بنظرة لم يستطع أن يتلقاها بعينه ، فكسر نظره وإن لم يشح عنها بوجهه ليوهما أنه مازال ناظراً إليها ولم ترعبه بنظرتها ، وتقدمت خطوة نحوه وسألته بلهجة لم يسمع منها مثلها قط :

أقول مهام التجارة ؟ ! سمعتك تقولها ! وهل بقيت لك تجارة لتقوم بمهامها ؟ ! لقد طلبت الراحة إذ طلقت الفلاحة ، وسوف تراح راحة تامة حينما يأتي القمار على البقية الباقية ... هذا وأحب أن أترك

الباحثين أو تغولهم أو تخفى الكنز كلما أوشك أن ينكشف

— هذا على يا أبا ميسور ، وليس عليك منه شيء .
هكذا اتفقا . وفي الصباح تقد يوسف صاحبه نصف جنيه يشتري به بخوراً وغيره مما سيحتاج إليه في طرد الأرصاد وترضى الجن

وشرعا في البحث متسترين خشية الافتضاح والوقوع تحت طائلة العقاب

اختار صاحبنا أبو ميسور مغارة من المغاور النائية عن البلدة لأن كتابه — كما زعم — دله على وجود كنز من الكنوز فيها . وشرع ينظر في سقفها وجوانبها ملياً ويقرأ في كتابه ، ثم أخذ يقيس أبعادها ويرسم خطوطاً متقاطعة فيها إلى أن انتهى إلى نقطة معينة رسم حولها دائرة ، ثم أوقد النار وألقى عليها البخور ، ثم نثر عليه مادة أخرى لم يدر صاحبنا يوسف ما هي . ولما سأله عنها أجابه : هي خليط من مواد عديدة يؤتى بها خاصة من الهند والصين ؛ ومن هنا كانت كثيرة التكاليف عزيزة إلا على من يبدل في إعدادها المال الوفير

وأشار أبو ميسور إلى الدائرة التي رسمها في قاع المغارة وقال ليوسف : أحفر هنا . وأخذ يوسف المول وشرع يحفر بقوة وحماسة شديدتين . وفي خلال ثلاث ساعات فتح حفرة تكاد تغيب الرجل وهو منتصب . وانتبه يوسف إلى عمق الحفرة التي حفر وإلى يديه اللتين مجحلتا^(١) من شدة العمل ، فاستولى عليه الريب وشعور الخيبة فأحس بالتعب الشديد والكلال المفرط . ولما عاود الحفر عاوده ببطء وضعف ظاهرين . ولاحظ أبو ميسور ذلك وأدرك علته ، فقال كأنه يحدث نفسه : يخيل إلى أن هذا البخور

(١) مجلت اليد تقطت من العمل

الذى ابتغناه بنصف جنيه ليس من الصنف الجيد الذى يجعل دخانه طرد الأرصاد واطهار الكنوز . وعلى كل فقد يكون سبقنا إلى الكنز باحث فاستحور عليه دوننا ؛ فخير لنا إذن أن ننقل إلى مغارة أخرى ولم يفت صاحبنا يوسف ما ناجى أبو ميسور به نفسه ، لأن التعب والريب صيراه شديد الإصغاء والسماع ، ولأن هذا — أبا ميسور — أراد ألا يصل ضوته من الخفوت إلى درجة الخفاء

— صدقت يا أبا ميسور ! قد يكون سبقنا إلى الكنز باحث غيرنا فتاله دوننا
— قد يكون هذا وقد يكون أن البخور ليس من الجودة والنقاء بحيث يحدّر الأرصاد فتتخلّى عن الكنز الدفين

— غداً نجدد البخور إن شاء الله
— ولكن نصف الجنيه الذى دفعته إلى استنفدناه في مشتري هذا البخور الردىء
— غداً يكون لديك غيره . لا يهملك أمر الدراهم . كلما احتجت إلى مبلغ فأنا أدفعه إليك وهكذا سار الحال على هذا المنوال بضعة أسابيع ويوسف دائب على الحفر في ظلام الليل ودفع المبلغ بعد المبلغ إلى صاحبه ليشتري البخور وخلافه من المواد التى كان يُغرب في تسميتها دون أن يكون لها وجود ألبتة ، لكي يشده يوسف بعلمه ووقوفه على أخفى الأسرار التى تتعلق بالبحث عن الكنوز ، وحتى لا يوتئسه من أمل النجاح قبل أن يكون استصغى البقية الباقية في دكانه

وكان يوسف وصاحبه يحفران كل مغارة وينبشان كل قبر في البحث عن الكنوز . وكانت تقع لهما في أثناء البحث وقائع ومفاجآت عديدة ، كأن يفضى البحث والحفر إلى مغارة مطمورة فينتعش الأمل الداهب ، وأن ينتهيا إلى نفرة

— إلى البلدة ! إلى البلدة وإلى البخور من أجود الأصناف ! لا تسر على الأرض بل طر طيراً في الهواء . هيا ، هيا ! وإلا طار الكنز وطرت أنا معه !!!

وشمر يوسف أذياله وانطلق يعدو في ناحية البلدة بسرعة المجنون

ولا حاجة إلى القول بأن يوسف عاد بعد ساعة يحمل البخور فلم يجد أبا ميسور . ونظر في قاع الحفرة فرأى مكان الإبريق حفرة خالية ، فصاح صيحة خرجت معها البقية الباقية من عقله ؛ وشرع يلطم وجهه ويلطم صدره وهو في خلال ذلك يصيح أخذتهما الأرصاد ! ! أخذتهما الأرصاد ! !

واثنى يعدو راجعاً إلى البلدة ولازمة جنونه : أخذتهما الأرصاد ! أخذتهما الأرصاد ! وسار في سوق البلدة يلطم وجهه ويكرر الصراخ : أخذتهما الأرصاد ! أخذتهما الأرصاد . وحف به الصبية من كل جانب وأمسك كل بحجرين وشرع يقرعهما ببعضهما ببعض ويصيح : أخذتهما الأرصاد ! أخذتهما الأرصاد ! وظلوا وراءه يقرعون الحجارة ويردون على لازمته بمثلها إلى أن أبلغوه منزله على هذه الحال من العته والجنون

أما مريم زوجته التعبة فلم تقتلها الصدمة وإن كادت تصرعها ، فلقد خفف وقعها بعض الشيء أنها كانت تقدر لزوجها شيئاً قريباً من هذا منذر أنه ينصرف هذا الانصراف الجنوني إلى البحث عن الكنوز ، وفشلت فشلاً تاماً في صرفه عن هذا الاتجاه الجديد الذي وضعه في جو من الخفاء والاعتقاد يسهلان ضعفة الحس واختبال الفكر لقد كانت مريم بطفلين وزوج يعولهم ، أما الآن فقد أضحت بثلاثة أطفال عليها أن ترى هي كيف تعولهم ... !! أديب عباسي

في صخر رأس أو جرة مهشمة فيضرب أبو ميسور كفاً على كف ويشرع يندب سوء الحظ الذي جعلهما يجيئان متأخرين في البحث حتى يكون الكنز المنجوع نصيب غيرهما ممن سبقوهما إلى التنقيب ، أو كأن يطير خفاش أو بومة فيطير له قلب يوسف الذي غدا يعتقد اعتقاداً جنونياً بالأرصاد وصار يرى في كل ما يدب أو يطير في هذه المغاور رسداً بصورته الحقيقية أو المتخفية ، كما لم يفتأ يوحى إليه أبو ميسور

وتشاء المصادفة أن يحفرا بعد يأس في مغارة مرآبها أولاً ، ولكن أبا ميسور أهملها لأنه لم ير فيها دليلاً على وجود كنز من الكنوز فيها ، فيكشف الحفر فجأة عن إبريق من البرز بغطاء محكم . ويرفع يوسف الغطاء بحركة عصبية لا وعى فيها . ولما بدا له ما كان بداخله صاح صيحة مرعبة هرع لها أبو ميسور من ركن المغارة حيث كان يحرق البخور ويعزم ؛ ونظر إلى أسفل ، وعندها صاح : مكانك ! إياك أن تمسه ! الرصد ! الرصد بدأ يتحرك ! آه لقد أخذ يضايقني البخور ! محتاج إلى البخور وإلا غاب الكنز وهلكنا ! السرعة ! السرعة إلى البلدة وإلى البخور ! الباقي يوشك أن ينفد ! الأرصاد بدأت تضيق على ، الأرصاد !

وخرج يوسف من الحفرة مغفور الفم مضطجع الأعصاب زائغ العينين راعش اليدين ، ونظر إلى أبي ميسور وهو عند باب الحفرة يحرق البخور ويقرأ ويعزم نظرة فيها توسل الرجاء ، وبريق الأمل ، وفيها بلاهة الدهشة ورعدة الخوف . لقد تحقق أمل العمر أو كاد ، وخومت السعادة فوق رأسه . ولكن الرصد ! الرصد يوشك أن يطيرها !

— ألا تزال واقفاً ؟ ألا تتحرك يا خشبة ؟ !

— نشدتك الله يا أبا ميسور ماذا أصنع ؟ !

بكلمة باردة تتجمد منها كلمات قلبي على شفقي
 وكان سميت يأتي إلى مسكننا كل يوم فلا أشعر
 بنفور منه لما كان يبدو عليه من حسن النية
 والسذاجة، ولا اشتراكه في بحث مسألة رحيلنا بكل
 إخلاص، في حين أن زيارته المتكررة كانت سبباً
 لما حل من اضطراب على بيتنا؛ وبالرغم من أن زيارتي
 له كانت قد أبطت في شكوكا مستغربة. وكنت
 حدثته عن الرسائل التي حملها إلى بريجيت فما لاحظت
 عليه دلائل الاستنكار، بل رأيته يبدى من الحزن
 بقدر ما أشعر به، فاعلن لي أنه كان يجهل ما في هذه
 الرسائل وأنه لا يقر لهجتها؛ ولو أنه عرف بما فيها لما
 كان حملها. وما كان لي أن أذهب إلى الاعتقاد بوجود
 سر ما بين سميت وبريجيت في حين أنها كانت تعامله
 معاملة لا تتجاوز حدود المجاملة، ولهذا كنت أقابله
 بسرور بالرغم من وقوف كل منا تجاه الآخر موقف
 المحاذر المتكلف. وكان قد رضى بأن نعهد إليه بمقابلة
 انسباء بريجيت بعد سفرنا والعمل على تفادي مقاطعتهم
 لها، وكانت لسميت حرمة في البلدة، لذلك توقعت أن
 يكون لتوسطه خير نتيجة، واعترفت له بهذا الجليل.
 وكان كل شيء في خلق هذا الشاب يدل على نبلة إذ
 لم يكن يدخر وسعاً لإعادة السرور إلينا عند اجتماعنا
 به فتناً كد أن ما يطمح إليه هو أن تسود السعادة
 بين بريجيت وبينى، وما سمعناه مرة يورد ذكر علاقتي
 بها إلا وهو يبدى عقيدة الرجل الذي يرى في الحب
 أقدس رابطة تضم شخصين أمام الله. وهكذا كان
 سميت في تقديري صديقاً مخلصاً أوليه ملء ثقتي.
 غير أن الأحزان التي كان يغالبها فتبدو عليه بالرغم
 منه كانت تثير بي أفكاراً غريبة فأستعيد ذكرى
 الدموع التي رأيت هذا الشاب يذرفها وأتمثل وقوعه

من أعماق النفوس



اعترافاً في العصور

لأفريدى موسى

بتم الأستاذ فليكر فارس

الجزء الخامس

الفصل الثالث

وتحسنت صحة بريجيت وكانت أعلنت لي أنها
 مستعدة للرحيل في حال شفائها فلم أطاوعها بل رأيت
 أن تنتظر خمسة عشر يوماً أيضاً ريثما تستعيد قواها
 لتحمل مشاق السفر

وبقيت ممنوعة بصمتها الحزين فلم أستطع اقتيادها
 إلى مصارحتي بما تضرع، وقالت إن سبب انقباضها
 هو الرسالة التي وردت إليها، ملحّة على ألا أطلب
 منها إيضاحاً في هذا الصدد فاضطرت إلى
 محاربتها، فثقل علينا الانفراد حتى لم يعد يستقر بنا
 مقام كل مساء إلا في المسارح والملاهي فنكتفي
 بالعودة جنباً إلى جنب، فإذا أشجاناً نغم أو شاقنا
 بيان شددنا يداً بيد، أو تبادلنا نظرات التفاهم والولاء؛
 غير أننا كنا نحفظ بالصمت أمان توجهنّا

وكنت أتحفز عشرين مرة في النهار لأرغمي عند
 أقدامها متوسلاً إليها أن تعيد لي سعادتي أو تقضى
 علي فيردني ما يبدو علي وجهها من شجوب عند ما
 تحس بما أنوي، إذ كانت تقف وتولي أو ترسل إليّ

مريضاً في الزمن نفسه الذي مرضت بريجيت فيه فأحس من كل هذا بوجود تفاهم حزين يسود بينها وبينه ، فلا أملك نفسي من التألم والاضطراب

لقد كانت أقل ريسة تدفع بي من قبل شهر إلى الاندفاع مع غيرتي اندفاعاً جنونياً ، فأصبحت لا أجد أمراً يدفعني إلى الارتباب بريجيت فأقول مالي وللسر الذي تخفيه إذا كان هنالك سر مادامت مصممة على الرحيل معي ؟ وهب أن بينها وبين سميت أمراً تخفيه عني فهل في ذلك ما يستوجب اللوم وليس بينهما سوى مودة واشتراك في أحزان ؟ لقد عرفته طفلاً وهي تراه الآن بعد مرور السنين في زمن تستعد فيه لبارحة فرنسا ليتقدم إليها كآلة في يد القدر ليلفها ما يكدرها في موقفها الحرج ، فلا غرابة إذن أن يسود عليهما مثل هذا الحزن من تذكر الماضي . وهل من موجب للوم إذا هو واجهها بنظرات الأسف الحزين إذ يراها مقدمة على سفر طويل معرضة لحياة مضطربة ، وقد أصبحت مضطربة يكاد ينكرها أهلها وأصحابها ؟

وعند ما كانت تمر هذه الخواطر يالي كنت أرى أن عليّ أنا أن أقف بين بريجيت وبين سميت لأدخل إلى نفسيهما الاطمئنان مؤكداً لها أن يدي ستكون خير عضد لها إذا شاءت أن تستند إليها ومؤكداً له أنني ممتن لما يديه منحونا من عطف ، ولما سيؤديه من خدمة . كنت أراني مدفوعاً إلى هذا دون أن أجسر على القيام به إذ كنت أشعر بصقيع في دمي فأبقى دون حراك على مقعدي

وعند ما كان سميت ينصرف إلى مسكنه في المساء كنا نبقى صامتين أنا وبريجيت أو يدور حديثنا عليه وما كنت أدري حقيقة الدافع الغريب الذي كان

يحدوني إلى الاستفهام من بريجيت عن تفاصيل حياته ، وما كان لديها سوى ماذكرته فيما تقدم ، لأن حياة هذا الشاب كانت عبارة عن فقر واستقامة وخمول ذكراً ، وما تستدعي مثل هذه الحياة أكثر من كلمات وجيزة لسردها ؛ غير أنني كنت أستعيد إيراد حوادثه وأنا لا أدري سبباً لاهتمامي بها

وحالت تفكيري فأدركت أن في قرارة نفسي ألماً خفياً كنت أنكره على ذاتي . ولو أن هذا الشاب جاء إلينا في أيام سعادتنا فحمل إلى بريجيت رسالة ثم تجنب الالتقاء بي في المسرح ثم ذرف دموعاً لا أدري سببها فهل كنت أقف عند مثل هذه الحوادث وأنا ممتع بسعادتي ؟ ولكن الأمر قد وقع في زمن كنت أصطدم فيه بأحزان بريجيت وأشعر أن معاملتي الماضية لها قد ولدت فيها هذه الأحزان ؛ ولو أنني عاملتها طوال الستة أشهر الماضية المعاملة الحسنة لما كنت أجد من سبب لتكدير صفو حياتنا . وقد كان سميت ، بالرغم من كونه رجلاً عادياً ، متصفاً بالأخلاق الرضية ، ولا تخفى صفاته الطيبة عن الناظر إليه فلا يجد بداً من الوثوق به ، ولذلك كنت مضطراً إلى أن أقول في نفسي : لو أن سميت كان هو عاشق بريجيت لما كانت تردد في الرحيل معه راضية مسرورة كنت أرجأت سفرنا بملء اختياري فأصبحت الآن نادماً على ذلك . وما كانت بريجيت تغفل عن تذكيري بالسفر فتقول لي : ما الذي يمنعنا عن الرحيل بعد أن شفيت من دائي ؟

وفي الواقع ما كنت أدري سبباً لتأخري . ولكنم وقفت مستنداً إلى الموقد ، أنظر تارة إلى سميت وطوراً إلى خليلتي فأرى كلا منهما شاحب الوجه صامتاً فأخار في تعليل هذه الحالة ؛ غير أنني كنت

حياته وخفايا نفسه وأنا أتقرس في ملامح بريجيت لأقرأ تأثير هذه المشاهد عليها

و كنت أشيع سميت إلى الباب عند انصرافه ثم أقف مستغرقاً في التفكير إلى أن ينقطع صوت وقع أقدامه فأعود إلى الغرفة لأنظر إلى بريجيت وهي تنهيا لخلع ثيابها فأقف متمتماً بجسمها الرائع وبما فيه من جمال امتلكت كنوزه فأراها تسرح شعرها الطويل وتعقد فوقه عصاية ثم تترك رداءها ينزلق عن جسمها إلى الأرض لتطفر نحو سريرها كأنها إلهة الجمال تندفع إلى البحر للاستحمام في مياهه . و كنت أنا من جهتي أنطرح على سريرى دون أن يخطر لي ببال إمكان استسلامها إلى سميت ، فما كنت أقصد التربص لها للوقوف على خلية الأمر بل كنت أتعانى وأقول في نفسى إنها لجد جميلة ، وما سميت المسكين إلا شاب طيب القلب ؛ ولكل منهما أحزانه كما أن لي أحزاني . وهكذا كنت أشعر بانقباض قلبي وأحس في الوقت نفسه أن حملاً ثقيلاً سقط عنه وفتحنا صناديق السفر فأتضح لنا أننا نسينا بعض الحوائج فمهدنا إلى سميت بمشتراتها ، وما كان هذا الشاب ليتردد في القيام بكل ما نكلفه به . وعدت يوماً إلى البيت فرأيتة جاثياً على الأرض منهمكا في إقفال صندوق كبير ، وكانت بريجيت أمام البيانو الذى كنا استأجرناه لمدة إقامتنا في باريس وهي تعزف عليه أنغاماً عزيزة على فوقفت في ممشي الغرفة وكان الباب مفتوحاً أتتصت إلى هذه النغمات وهي تنفذ إلى أقصى مشاعرى ، وما سمعتها من قبل تثيرها بمثل هذا الشجى وهذا الخشوع . وكان سميت يتلذذ بالإصغاء إليها وهو على ركبته يشد خابل الصندوق . ثم وقف وقد أكمل عمله وبقيت بريجيت

(٧)

أشعر بأن ليس هنالك سرّان بل سرٌّ واحد مشترك ، فما تستقر الرينة منى كما كانت تستقر من قبل في غيرة مريضه بل في أعماق غريزتي كأنها أمر واقع لا يقاوم . وفي غرائز الانسان أمور جد مستغربة ، ومن أغربها أننى كنت أجد شيئاً من اللذة حين أترك بريجيت وسميت يتحدان قرب الموقد لأذهب تأمهاً على الأرصفة وأستند إلى الأعمدة الممادة للنهر مسرحاً أبصارى على مركزض المياه كما يقف من لا عمل له متلهياً بالنظر إلى المارة في الشوارع

وعند ما كان يدور الحديث بينهما عن الأيام التي قضياها في بلدتهما محتوجه إليه بريجيت الخطاب بلهجة الأم مذكرة إياه الأيام التي قضياها سوية كنت أحسبني متألماً ، ولكننى كنت في الوقت نفسه أشعر بشئ من السرور فأستنطقهما عن تلك الأيام وأحدث سميت عن أمه ، وعن أعماله ، وعن أمانيه في المستقبل فأفتح له مجالاً لإظهار حقيقة شخصيته على خير ما تظهر به فأنزع من تواضعه صورة فضائله ؛ و كنت أقول له إنك شديد التعلق بأختك (فاى) ، متى تنوى تزويجها ؟ فكان يقول والاحمرار يعلو وجهه إن إنشاء الأسرة يكلف كثيراً ، ولعله يتمكن من تحقيق هذه الأمنية بعد سنتين أو أقل من هذه المدة إذا سمحت حالته الصحية بالقيام ببعض أشغال إضافية تنيله مكافأة فوق راتبه ؛ ثم يقول إن في البلدة عائلة لها كفافها من العيش اتفقت مع أسرته لتزويج أخته من ابنها البكر ، وإنه تجلّى لأخته عن حصته في إرث أبيه ، وسوف لا يعدل عن ذلك وإن أصرت أمه على الرفض ؛ ثم يضيف إلى ذلك قوله : إن للشباب ساعدين يؤمنان بحياته ، أما الفتاة فحياتها متوقفة على زواجها . وكان سميت يعرض أمامنا مشاهد

ملقبة أناملها على معزف البيانو وقد شخصت
أبصارها إلى الآفاق . ورأيت للمرة الثانية الدموع
تنحدر من عيني الشاب فكادت عيناي تذرفان مثلها ،
فتقدمت نحوه دون أن أدري ما أفعل ومددت
يدي لأصافحه ، فارتعشت بريجيت وظهرت دلائل
الدهش على وجهها وقالت لي : أكنت هنا أنت ؟
فقلت : إنني كنت هنا . أنشدني يا عزيزتي وأسميني
صوتك أيضاً . فعاودت الإنشاد دون أن تحييني
بكلمة ، ورأت مايفعل إنشادها بي وبسميث فخففت
نبرات صوتها تدريجياً حتى حسبت نغمات الشعراء
همساً يتردد في الآفاق من بعيد . ونهضت فألقت قبلة
على وجنتي ، وكان سميث لم يزل قابضاً على يدي
فشعرت أنه يشد عليها بحركة مرتعشة وقد علت
وجهه صفرة الموت

وحملت إلى البيت مرة أخرى مجموعة مناظر عن
بلاد سويسرا فجلسنا نحن الثلاثة نقلب صفحاتها
فاستوقف انتباه بريجيت أحد المناظر في مقاطعة
« القود » على مقربة من طريق « بريك » حيث
يمتد واد ظليل تحف به أشجار التفاح وترتني المواشي
في مروجها ، ووراء هذا المنظر كانت تلوح قرية لا
يتجاوز عدد مساكنها العشرة ، وهي مبنية بشكل
مدرج على منحدر التلال ؛ وكان يظهر في مقدمة
هذا المنظر رسم فتاة تلبس قبعة من القش وهي جالسة
إلى جذع شجرة وأمامها خادم المزرعة يدها بعصاه
الممددة على الطريق التي قطعها من جهة الجبل حيث
كانت تظهر مناظر جبال الألب تكملها ثلاثة تيجان
من الثلج مرصعة بأشعة الشمس الغاربة . وكان هذا
المنظر على غاية من الجمال يلوح الوادي المخضل فيه
كأنه بحيرة من الأعشاب الندية . فسألت بريجيت

عما إذا كانت تود أن نذهب إلى هذه القرية . وما
انتظرت جوابها فأخذت قلما ووجهته نحو الرسم ؛
وإذ سألتني بريجيت عما أريد أن أفعل ، قلت لها إنني
سأحاول بتعديل بعض الخطوط على وجه الفتاة المائلة
في الرسم أن أجعله شبيهاً بوجهك ؛ ولعلني أوفق أيضاً
لوضع بعض الشبه من وجهي على وجه الجبلي الجسور
وأعجبتهما هذه الفكرة فرأيتما تأخذ محفاة
فتمرها على الوجهين فبدأت أنا برسم بريجيت مكان
وجه الفتاة ، وحاولت هي أن ترسم وجهي مكان وجه
الفتى ، ووقفنا كلانا إلى ما قصدنا فإذا بي وبها على
مدخل القرية في سويسرا . وبعد أن ضحكنا أمام هذا
المشهد بقيت المجموعة مفتوحة ، وإذا بالخدام يدعوني
لأمر ما فخرجت . ولما عدت إلى الغرفة رأيت سميث
مستنداً إلى الخوان وهو مستغرق في التأمل حتى أنه لم
ينتبه لدخولي . وجلست قرب الموقد حتى إذا رفعت
صوتي وخاطبت بريجيت اتبه سميث لوجودي فرفع
رأسه وتفرس فينا لحظة ثم استأذنا بالإصراف
فجأة . وبينما هو يتجه من الممشى إلى الباب رأيت يصفع
جبينه براحته فنهضت عن مقعدي وهرعت إلى غرفتي
وقد انطبعت في عيني هذه الحركة التي تم عن الألم
وأنا أسأل نفسي ماذا عسى أن يكون هذا ؟ وضمت
راحتي بحركة الاسترخام دون أن أدري إلى من أتوجه
بها ، ألي ملك سعادتي أم إلى شيطان يؤسى ؟

الفصل الرابع

وكان قلبي يهيب بي إلى الرحيل فأرجىء السفر
من يوم إلى يوم إذ كنت أشعر في كل مساء بلذة
مريرة تسمرنني في مكاني . وكنت في كل مرة أتوقع
فيها زيارة سميث يملكني اضطراب لا يهدأ حتى

إنني أذكر حادثة وقعت لي على الجسر الملكي
رأيت فيها رجلاً يهلك غرقاً

كنا رهطاً من الأصحاب نشترن على السباحة
فذهبنا تحت الجسر يتبعنا مركب فيه سباحان من
متخصصي الانقاذ، وتبعنا رهط آخر حتى بلغ عددنا
الثلاثين، وأصاب أحد رفاقنا احتقان أورته الدوار
فاذا به يصرخ مستنجداً وقد رفع يديه يلوح بهما على
سطح الماء، وما عثم أن اختفى أثرهما، فألقينا بأنفسنا
في اليم ثم عدنا بلا جدوى، وما أخرج الغريق إلا
بعد مرور ساعة إذ وجدت جثته عالقة تحت كومة
من الأخشاب

لن أنسى ما حيت ما شعرت به وأنا أغامر بنفسي
تحت أطباق المياه، فإنني كنت أرسل أبصارى في
اللجج القاعة تدور بي بصخبها المختنق، وأذهب غائصاً
على قدر ما يطيق صدرى كبت أنفاسي، ثم أطفو على
سطح الماء لأتبادل بعض كلمات مع رفاق الناطسين
مثلي، ثم أعود إلى الأعماق لأصطيد الإنسان الغريق
وملء قلبي الأمل والارتياح. وما كنت أتمثل يدي
الغريق تقبضان على برعشة الموت حتى أشعر بلذة
يمارجهما هلع لا أستطيع التغلب عليه. وطفوت
راجعاً إلى ظهر المركب وقد أنهكني التعب

إن من نتائج الفحشاء إذا هي ألفت في الإنسان
على شيء من إنسانيته أن تدفع به إلى هوس الاستطلاع.
وقد تكلمت عما انتابني من هذا الهوس في زيارتي
الأولى للديجنة، وسأذهب الآن في وصف الفضول إلى
أبعد ما وصلت إليه

تقضى الحقيقة على كل إنسان أياً كان أن تنور
يده عند ما يحين ساعته إلى ملمس العظام من أي
جرح يتكشف عنها، وما تعرف حقيقة الحياة إلا

أسمع قرع جرس الباب منذراً بوصوله. فإني
يا ترى هذه العاطفة المضمرة فينا يستهويها الألم
ويشد بها الشقاء؟

وكنت كل يوم أرتعش لكلمة أسمعها أو لبارق
لحظ أباغته ثم تردني هذه الكلمة نفسها وهذه البارقة
عينها في اليوم الثاني إلى الحيرة والارتياح بريتي.
وما أدري لماذا كنت أرى بريجت وسميث غارقين
في بحر من الأحزان كما لا أعلم لماذا كنت أشخص
متأملاً فيهما وأنا لا أبدي ولا أعيد في حين أنني
ما كنت أملك ثورة نفسي في مثل هذا الموقف.
لقد كنت أحس بشيء من الخيال وفي من الغيرة
العنيفة في الحب ما يشبه غيرة الشرق في لهب غرامه
وكنت أمضي أيامي في الانتظار دون أن أعرف
ما أنتظر. حتى إذا أمسيت قعدت على سريري قائلاً:
لا أفكرن في هذا الأمر؛ فأسند رأسي بيدي ولا
ألبث حتى أصبح: لا إن هذا مستحيل. ثم أعود
إلى مثل هذا العمل في الليلة التالية

وكانت بريجت تبدي لي من التجيب أمام سميث
ما لا تبدي مثله ونحن منفردان، حتى إنها ذات
ليلة كانت ذاهبة معي في مجادلة قاسية، فما سمعت صوت
سميث في البهو حتى هرعت إليّ وقعدت على ركبتى؛
أما هو فكان يبدو في كل آن كأنه مستغرق في أسى
لا ينقطع عن مجالده، فكانت حركاته معتدلة ولا يتكلم
إلا متمهلاً؛ غير أنه لم يكن يبالك أحياناً من الإتيان
ببعض حركات تشد بعنفها عن حالته العادية

أفكان تمللي في موقف ونفاد صبري نوعاً من
الفضول؟ ولو جاءني أحد وقال لي: مالك ولهذا
الأمور؟ إنك حقاً لفضولي. فهل كان يمكنني أن
أفسر عاطفتي بغير التحرش والفضول؟

أناملهم فيطرحون أرديتهم عنهم ويجلسون إلى مائدة ليكرروا - وهم يقهقهون ضحكا - آخر عبارة نطقوا بها أمام جملة من فضليات النساء

أفما كان بوسع هؤلاء الأغرار أن يرفعوا يذل بعض دريهمات الرداء المنسدل كالنقاب على مواضع العفة فما يكون تقديرهم للحياة وهم منها في موقف المثلين وراء ستائر المسرح الداخلية؟ ومن كهؤلاء الناس يذهب إلى قرارة الأشياء وقد تعود سبرها محتقراً جاحداً؟ أفما سمعهم ولا بيان لهم إلا التعابير الجافية المتهتكة القدرة فهم لا يرون الإفصاح عن الحقيقة إلا بها، وما سائر التعابير في عرفهم إلا سخافات وتمويه، فإذا هم قصوا عليك واقعة اكتفوا بالبيان عن احساسهم منها فلا يخرج من شفاههم إلا سفيه الكلام؛ فعبثاً تفتش على الروح فيما يقولون وما يتلفظون إلا بالحرف الميت. فإذا أراد أحدهم أن يقول: لقد أحببتى هذه المرأة، قال: لقد تمتعت بوصول هذه المرأة. فهو لا يقول: أحب، بل يقول: أشتى. وبدلاً من قوله إن شاء الله يقول: إن شئت أنا

ويعلم الله ما يدور في خلد هؤلاء الناس وبماذا يناجون أنفسهم

ومن كانت هذه حاله فلا بدع إذا هو استغرق في الكسل أو اندفع بحماسة الفضول إلى هتك الأستار، لأنه بينما يتمرن على تمثيل الأمور على أسوأ حالاتها لا يروق له أن يرى في العالم من يحسن به ظناً، فيعمد إلى سد أذنيه في تكاسله. وهكذا يدع الأب ابنه حراً في ارتياد الأماكن التي تحاول له قائلًا: للشبيبة أن تحيا حياتها؛ غير أن الابن لا يمالك نفسه

بهذا الاختيار. وبعض الناس يتراجعون خوفاً أمام العظم المرمي والبعض الآخر ينالهم الارتياح فيرتعشون كالأشباح لا يتقدمون ولا يتأخرون. وهنا لك أناس يعدمهم هذا المشهد فيموتون ولعلمهم أفضل الأحياء. وعمر الحدث على أكثر الناس فيتابعون سيرهم ملفعين بالنسيان، والأجيال تتابع على هذا السبيل نحو الفناء

وقد قضى على بعض الأشقياء في مثل هذا الموقف ألا ينكسوا على أعقابهم ولا يترددوا فلا هم ينسون ولا هم يموتون، فإذا ما قدر عليهم أن يصطدموا بكارثة، وما الكوارث إلا كاشفة الحقائق للبصائر، فإنهم يقتحمونها ويتدون أذرعهم نحوها فهم كالغائص تحت أطباق اليم يستفهم نوع من التوكل بالغريق وقد كبح وجهه في قبضة الموت فيتلهمسون موضعه حتى إذا قبضوا عليه ضموه إلى صدرهم وتحروا عن منبض حياته

هؤلاء هم الثملون بخمرة الفضول الطامحون إلى معرفة ما وراء كل مظهر، يقضون عمرهم في الارتياح ومحاوله بلوغ اليقين فيقفون جهودهم على استكشاف ما في الحياة كأن الله قد بثهم عليها عيوناً وأرصاداً فيرسلون أفكارهم مشحودة كالسهام وتقطع أحشاءهم نهشة الفهد الكاسر

ليس كالفساق من يستولى عليهم مثل هذا الهوس لأنهم يقفون أمام نهر الحياة فلا يكتفون بالنظر إلى الماء يجري صافياً في مركضه بل يندفعون أبداً إلى سبر أعماقه ومراسيه. فهم إذا ما خرجوا من مرقص هرعوا إلى المواخير ولما تزلأ كفهم ندية من مصافحة يد عذراء قد تكون ارتعشت بين

تسير إلى المجرز وهي تقضم الأعشاب مطمئنة على طريق مذابحها، أفليس من يحسن الظن ويحبها مطمئناً خير ممن يصدم الحياة بما يدعوها نباهة وحزماً وهو يغذى تفكيره بمبادئ « لاروشفو كولد » ؟ وهل من واقعة يمكنني أن أورها مثلاً أشد

إثباتاً لما أوردت من الحادثة التي أقصها
لقد كانت خليلتي مستعدة للرحيل ، ولا تنتظر إلا كلمة أقولها لتصدع بها وما كان حزنها خافياً عني فلماذا بقيت ؟ وما ذا كان سيقع لو أننا شدنا الرحال ؟
لقد كان عليّ أن أقترح مخاوفي حتى إذا مرت ثلاثة أيام على رحيلنا نسينا كل ما وراءنا، وهل كان لها أن تفكر في سواي وهي منفردة بي ؟
لماذا وقفت مهتماً بسر لا يتهدد سعادتي ؟ إن بريجيت كانت مستسلمة لي فهل كان عليّ أن أذهب إلى ما وراء استسلامها ؟
كان لي أن ألقى قبلة على شفاهها فأضع بها حداً لكل شقاء ، ولكنني تخيرت مسلكاً آخر . وهذا ما فعلت :

كان سميت قد تناول العشاء معنا ذات ليلة فتركتها مع بريجيت وانسحبت حالاً ؛ وعند ما أقفلت الباب سمعتها تنادي الخادمة طالبة إحضار الشاي
وعند ما دخلت الغرفة في اليوم التالي مررت صدفة أمام المائدة فرأيت عليها إبريق الشاي وقربه فنجان واحد ؛ وما كان أحد دخل قبلي لأفترض أن الخادمة أخذت أحد الفنجانيين ، فأرسلت أنظاري في جوانب الغرفة فلم أجد للفنجان الآخر أثراً
فسألت بريجيت عما إذا كان سميت تأخر عندها ، فقالت إنه بقي حتى نصف الليل . فسألتها عما إذا

عند عودته من التفرس في وجه أخته ، وقد انتصبت في مخيلته الوقائع الحيوانية التي تصدمه في كل آن فيتساءل عما إذا كانت أخته ليست من طينة المرأة التي كان في غرفتها ... ويدور القلق بالفتى فيرعى أحشائه الارتياح

إن سوء الظن الدافع إلى الاستكشاف إنما هو داء وييل ينشأ من ملامسة الأرجاس يدفع بالمبتلين به إلى التجول كالأشباح بين المقابر عاملين على هتك ما تستر لحودها . وما هذه النزعة إلا عذاب أليم يعاقب الله به من ارتعوا على مزالق الضلال ، فهم يتشوقون أبداً إلى التيقن من تداعي كل من حولهم إلى الانهيار . ولعل هذه النزعة تملأهم ارتياحاً ولكنهم مسوقون كرهاً إلى التحري والتجسس ومنازعة الوقائع أسرارها فيحنون الرأس على الزوايا كالعمار يوجهها لتركيز ما يقيمه في خياله . فإذا ما عثروا على دليل يثبت الشر علت شفاههم بسمة الرضى ؛ وإذا ساورهم الشك في وجوده مالوا إلى افتراضه والإيمان به ؛ وإذا صدمهم الخير تطلّعوا إلى ما وراءه إن آية هؤلاء القوم قولهم من يدري ؟ تلك كلمة ابليس ألقاها في وجه السماء وقد أغلقت دونه بابها .
ولكم أشقت هذه الكلمة من بني البشر على مر الأجيال ، ولكم جرت من الويلات وأدت إلى مجازر ، ولكم ذهبت كالمنجل يقطع أغمار السنابل الخضراء قبل نضوج حبوبها . إن ألوف الأسر قد دفنت تحت أنقاض مساكنها منذ دوت هذه الكلمة بين جدرانها

من يدري . من يدري . يا لها من كلمة دنيئة !
وخير للناس من أن يتفوهوا بها أن يقتدوا بالأغنام

كانت نامت دون أن تدعو أحداً من الخدم فقالت:
لم أدع أحداً لأن الكل كانوا نياماً

فذهبت أنظاري في جوانب الغرفة مرة أخرى
تقتش على الفنجان . في أية مهزلة يرى على المسرح
غيوراً تذهب به حماقته إلى التفتيش عن فنجان ؟
وما كان قصد بريجيت وسميث من شربهما في فنجان
واحد يا تري ؟ ...

وما كانت هذه الفكرة على شيء من الوجاهة
في غرايتها ، ومع ذلك بقيت أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً
والفنجان في يدي حتى هزنتي ضحكة عصبية قهقهت
بها طارحاً الفنجان إلى الأرض فانحطم وتطايرت
كسره بداداً ، ومشيت أزيد هذه القطع تكسيراً
بضربات قدي

ونظرت بريجيت إلى وهي صامته ، واستمرت
على معاملتي ببرودة تكاد تكون احتقاراً في اليومين
التاليين ، وهي تزداد ملاطفة لسميث حتى أنها بدأت
تدعوه باسمه « هنري » ولا تكف عن الابتسام له

وقالت ذات مساء بعد العشاء إنها تريد الخروج
لاستنشق الهواء وعرضت عليّ أن نذهب مشياً إلى
الأوبرا ، فرفضت مراقبتها وقلت : إذهبي مع سميث
وخلياني . فاستندت إلى ذراعه وتمشياً وبقيت
وحدى كل السهرة أحاول أن أدون ما يعنّي لخاطري
فيتمرد البيان عليّ ، وألجأ إلى استعراض شكوكي
والتلذذ بها فأمعن فيها كالعاشق لا ينفرد بنفسه حتى
يخرج من جيبه رسم محبوبته محمداً فيه مستغرقاً في
أحلام غرامه

وعلقت أبصاري على المقعدين حيث جلس سميث
وبريجيت كأني أستنطقهما سرّاً يكتمانهُ مستعيداً

لخيلتي كل ما طرق أذني وما لاح لعيني ، وكنت
أتجه من حين إلى آخر إلى الغرفة التي رتبنا فيها
حقائب السفر منذ شهر فأفتحها وأفحص ما وضعت
فيها يداها الناحلتان من حوائج وكتب وأنا أتنصت
إلى فرقة بمحلات العربات في الشارع فيخفق لها
فؤادي .

وبسطت على الخوان خريطة أوروبا الشاهدة على
ما بنينا من أمان واستسلمت أمامها لأجفح تشاؤم .
ومن الغريب أنني لم أكن أشعر في آلامي بما ينم
عن غضب أو غيرة ، فقد كانت ربيتي تقف مترددة
لا تقتحم تعيين أمر تبني عليه شكاً جلياً . فيا للعقل
البشري من قوة تخلف من المظاهر ما يعذب القلب
ويشقيه ! وما أشبه الدماغ بسجون ديوان التفتيش
في القرون الوسطى وقد علقت على جدرانها من
الآلات ما يحيرك فلا تدري أي الأعيب أطفال أم
مكاش تعذيب

وهل لأحد أن يبين لي ما الفرق بين قولي
لخيلتي : إن جميع النساء خائنات وبين قولي لها :
أنت خائنة ؟

ومرت في رأسي خواطر أشبه بأدق القياسات
البنية على السفسطة ، فكنت أسمع إلى ما يدور من
جدل بين عقلي وضميري فأسمع الأول يقول :

— إذا فقدت بريجيت فماذا يكون ؟

فيقول الضمير : إنها سترحل معك

— وإذا كانت تخادعني ؟

— وهل لها أن تخدعك وهي من طلبت في

وصيتها أن يضلّي الناس من أجلك

— لعلّ سميث يحبها ؟

— ذلك لضلالك في المسالك المظلمة وليس لمن
يسير في الظلمة أن ينكر النور ، فلماذا تحشر نفسك
في زمرة البغاة ؟

— لأنني أحاذر الدخول في زمرة الخدوعين
— لماذا تحيي لياليك بالسهر ؟ إن الأطفال ينامون
عند ما ينسدل ستار الظلام ، ولماذا أنت منفرد الآن ؟
— ذلك لأنني أفكر وتساورني المخاوف والشكوك
— ومتى تؤدي فريضة الصلاة ؟

— عند ما يعود إيمانى إلى . لماذا خدعنى الناس ؟
— ولماذا تخدع الناس أنت الآن أيها الجبان ؟
أفليس أولى بك أن تموت إذا كنت لا تحمل آلامك ؟
هكذا كان يتجادل في صوتان هائلان يتناقضان
فأسمع صوتاً ثالثاً ينتحب بينهما فائلاً

— يا للطهارة المفقودة ويا لأيام الماضيات !
« يتبع » فليكس فارس

تاريخ الأدب العربي

لـ د. ستار أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمانه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

— مالك ولهذا أيها المجنون وأنت الواثق من
أن محبوبها هو أنت لا سواك

— إذا كانت تحبني فما هو سبب حزنها ؟
— ذلك سرّها فاحترم هذا السر
— أتكون سعيدة ياترى إذا أنا اختطفتها ؟
— إن سعادتها متوقفة على حبك لها
— لماذا تضطرب عند ما ينظر سميت إليها
فتحول عن عينيه عينيها ؟

— ذلك لأنها امرأة ولأنه في شرح شبابه
— لماذا يعلو وجهه الاصفرار عند ما تنظر هي
إليه ؟

— لأنه رجل ولأنها رائعة الجمال
— لماذا انطرح على صدرى عند ما كنت في
زيارته ولماذا ضرب في أحد الأيام جبينه براحته ؟
— لا تسئل عما يجب أن تجهل

— ولماذا وجب على أن أجهل هذه الأمور ؟
— لأنك حقير ضعيف ولأن الله وحده علام
الغيوب

— ولكن لماذا أحس بهذه الآلام ولا أفكر
بهذه الأمور دون أن يسود الاضطراب أعماق
روحي ؟

— تذكر أباك واصنع الخير
— ولكن ما الذى يصدنى عن هذا التذكار
وعن هذا البر ولماذا يجتذبني الشر إليه ؟

— انطرح جاثياً على ركبتك واعترف لأنك
إذا كنت أسأت الظن فقد ارتكبت سوءاً
— وما هو ذنبى إذا كنت أثبت الأثم ولماذا
تجلى الخير عني ؟

أوديسيوس يلتقي تليماك

لقد كانت هداة الفجر الساكنة الجميلة حينما هب يومايوس وضيغه من نومهما ليلبسا ثيابهما ويعدا فطورهما ، ويرسل الراعي عماله وراء قطعانه الناعمة في السهل الصامت الوديع ... وحينما أقبل تليماخوس أهرعت إليه الكلاب تلحس ثيابه وتلعق قدميه ، وتهتز من نشوة وطرب لأنها رآته بعد طول الغياب ... وقد لحظ أوديسيوس ذلك فقال يتحدث إلى الراعي : « يومايوس ! هذا أحد معارفك أو الأوداء إليك مقبل ... لشدة ما تعلقه الكلاب التي أوشكت من قبل أن تعقرني ! إنها لا تنبح ولا تكشر ، بل تقى في إثره ذليلة ! » . وما كاد يفرغ من حديثه حتى كان ولده واقفاً أمامه في رجة الدار . وما كاد يومايوس يلمحه ، حتى هب من مقامه مسبوها مرتبكا ، وحتى انقذت الأكؤس التي كان يمزج فيها الخمر من يديه ... بيد أنه ذهب إليه يقبله ويقبله ، ويبالغ في تقبيله ، كأب مشوق لقي ولده فجأة بعد بضع سنين من مرارة البعد وألم الفراق ! ثم قال يكلمه : « أواه تليماخوس ؟ أهو أنت يا نور عيني ؟ أنت نفسك ؟ أو قد عدت ؟ تالله ما كان يخطر بخلدي أنك عائد من سفرك بعد الذي دبّروا لك ! هلم يا حبيبي ! تعال يا بني ! فلقد غادت إلى روعي من سفر سحيق برؤيتك ... تعال تليماخوس فما أندر ما تزورنا هنا طول اشتغالك بالمعاميد المناكيد !! » وقال تليماك يجيبه : « أجل أيها الصديق ؛ غير أنني أتيت لأسألك عن أمي !! أما تزال مغلصة لك كرى أوديسيوس قائمة على عهد ، أم أنها هجرت مهاده لتقع في شرك



الأولاد ذليلاً

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصول السابقة

« لم يعد أوديسيوس بعد إذ وضعت حرب طروادة أوزارها لأنه ضل طريقه في البحر ولأن إله البحار نبتيون كان ألد أعدائه وكان لهذا واقفاً له بالمرصاد - وقد أبحر ولده تليماك ليسأل عنه الملوك الذين صحبوه إلى طروادة - وكانت أمه آية في الجمال اليوناني الفذ فلما تأخر وصول زوجها طمع في زواجها جميع أمراء إيثاكا وأمراء الجزر القريبة منها فحضرُوا إلى بيتها وحاصروها فيه ليضطروها إلى الزواج من واحد منهم ولكنها استنهلتهم حتى تفرغ من نسيج كانت تعمل فيه بالليل وتنقضه بالنهار ؛ وأبحر بعض عشاقها ليقنطروا تليماك في طريقه إلى الوطن . وقد لقي أوديسيوس أهوالاً جمة هي أحسن ما في الأوديسة وقد مرت بالفارسي في الفصول السابقة . ثم أوصله فلك الملك الفياشين - أمراء البحر - سالماً إلى إيثاكا - وقد غابت مينرفا ملاحه وأظهرته في شكل شجاذ عجوز وأمسته أن يذهب لبيت عند راعيه يومايوس وليظل لديه يومين أو نحوهما حتى تذهب هي فتعود بانه تليماك سالماً إلى الوطن - وفي الفصل التالي يلتقي الولد أباه ويتعارفان ... »

لا أستطيع أن أدفع عنها إصر هؤلاء الأنجاس
 المناكيد ، الذين طال لبثهم حولها ، وتوخمهم بسببها
 حتى لأخشى أن تضيق بهم فتختار مرغمة ،
 أفضلهم بعلا لها ، أو أكثرهم عطاء ، وأوسعهم
 ثراء ... بيد أنني أوثر أن أمنحه ديناراً وصداراً ،
 ونعلين ، وسيفاً جرازاً ، ثم أرسله إلى أى أقاليم
 العالم شاء ، فى حمايتي ... وإن أحب ، فليبق هنا
 فى ضيافتك أنت ، وسأرسل إليه ما هو حسبه
 من طعام وشراب خشية أن يرهقك ، أو أن تضيق
 به ... أما أن يصحبني إلى القصر الذى تعلم من أمره
 ما تعلم ، فذاك ما لا أَرْضاه له ... فقد يغمزه أحد
 بكلمة فيجرحه ، وأجرح أنا بسببه ، وأنت لا تخفى
 عليك أننى صغير لا أستطيع مهما أوتيت من
 الشجاعة أن أرد عادية هؤلاء الأوغاد ، وتولى
 أوديسيوس الإجابة فقال : « أوه أيها الحبيب الطيب
 القلب ! لشد ما يتمزق نياط قلبي لما سمعت من أمر
 هؤلاء العشاق الأشقياء الذين يستبيحون منزل
 فتى كريم مثلك ! ولكن قل لى ، إذا أدت أن
 أتكلم فى هذا الشأن : هل عن رضى منك لصقوا
 بمنزلك فما يرمون ؟ أم برغمك أيها العزيز ؟ أليس
 لك أخوة يسندونك ويشدون أزرك فتطردهم من
 بيتك ؟ أو اه لو عاد لي شبابى الآن أو اه ! وآه لو عاد
 الآن أوديسيوس ! تالله لو أننى فى حالك هذه
 لآثرت أن أمتشق سيفي فى وجوههم فاما أن أظهر
 بيتي منهم ، وإما أن أخرج قتيلا بينهم فلا تقع
 عيني على ما يصنعون ، ولا أرى إلى عيهم وعيهم
 بكل ما فى منزل أبى من خير ومسير السنين
 الطوال ! » فقال تليماك : « ليس سرأ أيها اللاجئ
 الكريم ما بيني وبين قومي ، وليس منهم من
 (٨)

من شرك العناكب المكددة بها ؟ » وأجابه
 الراعى فوصف له ما تلقاه الأم المحزونة من الضنى
 والحزن ، وما تذرف من الدموع فى جنح الليل
 لما يرميها به الحيدتان ... ثم دخل تليماك بعد أن
 أخذ الراعى حربته ، فنهض أوديسيوس ليخلى لولده
 مقعده ، فأبى تليماك .. « لأن المكان فسيح ، ولأن
 يومايوس يستطيع أن يعد لنا مقعداً آخر ... فوالله
 لتجلسن أيها اللاجئ الكريم ! » . وهما الراعى
 لسيدته مقعداً من الحشائش الغضة والخلفاء الرطبة
 جعل عليها فروة كبيرة مما عنده ؛ وجلس تليماك ..
 وأحضر يومايوس فطوره فى أطباق من أطباق أمس
 وشيئاً من الخبز والخمر ؛ ونشر الصحاف على الخوان
 أمام مولاه ، وأخذ الثلاثة يلثمونها أكلة مريئة
 هائلة ... حتى إذا فرغوا ، توجه تليماك بالحديث
 إلى راعيه فقال : « ممن ضيفك يا أبتاه ؟ ومتى وصل
 إلى إيثاكا وكيف ؟ وأى الملاحين حملوه إلى
 شاطئنا ؟ » . قال الراعى : « والله يا بنى ما أستطيع
 أن أخفى عنك ما قال ؛ فهو يدعي أنه من نسل
 الأماثل الأجداد من أمراء كريت ، وأنه طوف فى
 الآفاق ، وسافر فى البلاد ورأى من المدن ما لا عين
 رأت ... وهو يقول إن فلاناً تسبوتيا قد حمّله إلى
 شاطئنا قبل أن تحمله رجلاه إلى كوخى هذا ...
 ولكن .. لم هذا ؟ ولم أتولى أنا الإجابة ؟ إنه أمامك
 وأنا أدع أمره لك ، فاصنع به ما تشاء ... إنه لا يذ
 بك ، قاصد بابك ، وأحسب أن له حاجة عندك ! »
 وبدأ الألم فى محيا الشاب فأجاب : « تالله لقد آلمني
 حديثك أيها الأب يومايوس ! أنت تجعله لا نذآ بي
 قاصداً أبابى ، وأنت تعرف من حالى ما تعرف ، وتعلم
 أننى مُرذأٌ بهذه الطعمة ، مشغول بوالدتي التى

يفضل لي عداوة أو يطوى جوانحه لي على حقد ...
 أما الأخوة والأشقاء فليس في أسرتنا من رزق
 هذه النعمة ، بل هذا دأب عائلتنا منذ القدم ؛
 ذلك أرسسياس لم ينجب غير لرتيس ، ولم ينجب
 لرتيس غير أودسيوس ، وهذا لم ينجب غيري ...
 أنا ... هذا المرزأ المحزون الموجه القلب .. من أجل
 ذلك طمع هؤلاء الطامعون فينا وتكالبوا على بيتنا
 من كل فج ، فأقبلوا من ساموس ودلشيوم
 وزا كنتوس وأطراف إيثاكا ، ومن الجزر الكثيرة
 المنتشرة في هذا البحر ... كل يرغب أن تكون أمي
 له من دون العالمين زوجة برغمها ، فهم مقيمون
 لا يرمعون ، آكلين ناعمين ، يستنفدون غلة ما ترك
 أودسيوس ، آتين على كل ما في بيته وخزائنه ،
 ويوشكون أن يأتوا على أنا الآخر ! » ثم أمر
 يومايوس أن يذهب إلى القصر فيخبر أمه بعودته
 سالماً من بيلوس ؛ فذكره يومايوس بحده الضعيف
 الشيخ الذي امتنع عن الأكل والشراب منذ أن
 رحل تليماك يسائل عن أبيه ... وذلك مما أضواء
 من الهم ، واستأذنه في أن يمر عليه فيخبره بعودة
 مولاه حتى يطمئن هو الآخر . ولكن تليماك أمره
 بأن يذهب من فوره إلى القصر فيخبر الملكة ،
 وترسل هي إحدى وصيفاتها إلى جده فتخبره ...
 وانطلق يومايوس ... وكانت مينرفا تنتظر ذهابه
 لتبدو لأودسيوس في صورة حسناء ذات وقار
 وحسن سم ، وقد أخذت الكلاب بروعة مراها
 فتكسبت في أحد أركان الحظيرة ، وراحت تقوق
 وتهر (١) مما شدها من منظر مينرفا ، وقد لفت

(١) الوقوة صوت الكلاب إذا غافت والهرير صوتها
 إذا أنكرت شيئاً (العمالي)

إنها ربة ولها القدرة على كل شيء ، ففي وسعها أن تظهر من تشاء في صور شتى ، وليس هذا على أثينا بعزير » وأحس تليماك ما كان يشيع في كلمات أبيه من حرارة وإخلاص لا يصدران إلا عن قلب أب ، فانطلق يبادل والده عناقاً بعناق ، ودمعاً بدمع ، وقبلات بقبلات ! ثم سأله كيف عاد إلى الوطن بعد كل تلك السنين الطوال ، فقص عليه قصته ثم قال له : « ولكن حدثني أنت عن أمر أولئك العشاق الأوغاد ما عددهم ، وهل نستطيع كلانا أن نقف لهم فنظفر بهم ؟ » فأجاب تليماك : « أبته ! لقد سمعت الثناء على شجاعتك وسعة حيلتك وجليل حكمتك في كل خُبار وكل تقع ... ثناءً يلهج به فم الدنيا جميعاً ! بيد أنه ينبغى ألا نجازف بهذه المجازفة التي لا نعرف ماذا وراءها ... إذ ماذا يصنع اثنان بعشرين ومائة من خيرة صنديد إيثاكا وما حولها ؟ الرأي أن نفكر في أنصار يشدون أزرنا ويكونون عوناً لنا » فقال أوديسيوس وهو يتسم : « وما قولك يا بني في اثنين الله - جوف العلي - نالهما ، ومينرفا نصيرتهما على القوم الظالمين ؟ إذا كان هذان معنا ، أفنحتاج إلى عون آخر ؟ » فقال تليماك : « بلى ... تعالى جوف وجلت مينرفا ... إن لهما لأيدياً فوق أيدي الناس ، لأنهما يحكما من فوق عرشهما المرمد فوق السحاب ، في الأرض والسماء على السواء . » وقال أبوه يزيد طمأنينة : « وسيكونان معنا في الحلبة حين يجد جدها ... فإذا كان الصباح فاذهب إلى القصر واختلط بالعشاق ؛ وسيقودني راعينا الأمين إلى هنالك ، متنكراً في صورة الشحاذ الفقير الذي رأيت ، فإذا فرطوا علي فلا تأس ، حتى ولو

كان فرطهم بالضرب والسباب ... ويسرنى أن تحتل وتصطبر ، فإذا زادوا قاصرف عني أذاهم بكلمة طيبة حتى يحكم الله بيني وبينهم بأن يحين حينهم ... واحذر أن تخبر أحداً بعودتي حتى ولا أبي ... بل على الأخص أمك بنلوب أو هذا الراعي يومايوس ... إذ ينبغي أن نستعين على أمرنا بالكتمان حتى نعرف أصدقاءنا ونخبر أعداءنا ! » وطمأنه تليماك وأكد له كل شيء ... ثم وصل يومايوس إلى بنلوب فأخبرها بعودة تليماك ، وذاع النبأ بين العشاق فذعروا ، لفشل مؤامرتهم ضده ، وانتشروا خارج القصر ، واعتزموا أن يبعثوا نفرأ منهم بهذا النبأ إلى الطغمة التي ذهبت تترصد بالفتى لتقتله إذ هو عائد من ييلوس ... ثم اجتمعوا يمحرون السيئات ويدبرون قتل تليماك حين تتيح فرصة أخرى . وكان ميدون قريباً منهم فاسترق سمعهم وطار به إلى بنلوب التي هالها ما مكروا وما دبوا ، فذهبت في جميع وصيفاتها إلى رجة القصر ، حيث اجتمع أعداؤها إلى شياطينهم ، فصاحت برعيمهم أنطونيوس من وراء حجابها قائلة : « أنطونيوس تبت يداك يا ألام الناس ! أنت يا من يدعونك التقى الصالح وأنت أسفل مما يظنون طوية وأخبت سريرة ! كيف حدثتك نفسك بهذا التدبير السيء فترسم لأشرارك قتل ولدي الذي لم يعد لي في الحياة رجاء غيره ؟ ألا أنه ضعيف بنفسه ؟ ألا فاعلم أنه قوي بالله الذي ينتقم لعباده من الظالمين ! أيها اللئيم ، أتمثل هذا تجزي جميل أوديسيوس الذي حال مرة بين أيبك وبين أعدائه معرضاً بنفسه للهلكة ولولاه لظفروا به ، ولولا أن قتل منهم من قتل وصرع من صرع لعجلت روحه إلى نيران هيدز وبشس القرار ؟ أفلم

ثم قال لراعيه : « أيها الأب الصديق ، إني متوجه إلى المدينة لألقى أمي ، فأكبر الظن أنها لن يرقأ لها دمع ولن تخفت لها آهة حتى تراني ... أما هذا اللاجيء ... فرأي أن ينطلق إلى المدينة فليسأل الناس وليطرق الأبواب ، ولن يعدم إذا تكفهم أن ينال رزقه ويحصل على لقمت يتبلغ بها ... إن لدى من المتاعب والمشاق ما يشغلني عن كل جواب آفاق ... إمض به إلى المدينة إذن ؛ فإذا آله هذا ، فهو حر ... إني رجل لا أعبأ أن أقول الحق ! »

فهب أوديسيوس ليقول : « سيدي ! إني لم أبغ أن أتلث هنا ، فليس لشحاذ فقير مثلي أن يلتمس رزقه في الحقول والنيطان ! بل إني منطلق إلى المدينة ولست مقعداً أو ضعفاً فلا أقوى على عمل يؤجرني عليه أحد أمرائها ... تفضل أنت فاذهب لطيتك ، وسأضئ أنا مع خادمك حين تمتع الشمس قليلاً ، فانا كما ترى رجل شيخ ، وأخشى أن يقتلني برد الصباح وصقيعه ، وليس ما يحفظني منهما إلا ما ترى من مرق مضى أصلها وبقي رقعها ! » ... وانطلق تليماك فبلغ القصر ، ولقى أول من لقي مرضعه يوريكليا ، حيث كانت وأترابها ينشرون فراء على كراسي وحالات مبعثرة في الردهة ... فلما رآته عجلت إليه ورجبت به وسلمت عليه ، وانطلقت الدموع من عينيها فانهقد لسانها وانحبس منطقتها ، ثم اجتمعت الجواري يقبلن تليماك ويحدقن به حتى لفتن نظر الأم المعذبة المحزونة المطلة من إحدى شرفات القصر ، فأهرعت من عل وأخذت في حضنها المحب الرحيم أعز الأبناء ، وأمطرت جبينه وخديه بالدموع والقبل ثم جعلت تقول له : « أو قد عدت إلى الوطن يا نور عيني ! تليماك ! تالله لقد وقر في

يكفك ما تأكل بغير حق من زاده ، وتعبث غير عابى بعتاده ، فترسم لأشراك غيلة ابنه ؟ » وانبرى يوريماخوس يهدئ من ثورتها ويطمئنها أن أحداً من العالمين لا يستطيع أن ينال تليماك بأذى مادام هو حياً يدب على قدمين ... وكان يتكلم برغم ما كان ينطوي عليه قلبه ... لأنه كان من أكبر المتآمرين على حياة ابنها العزيز الحبيب ... وبعد أن توارت أورورا عاد الراعي إلى حظائره يدب على عكازه ؛ وكانت مینزقا قد لست أوديسيوس بعصاها السحرية فعاد إلى صورة الفقير الشحاذ وعادت إليه مرقه وأسماله ، فوجد سيده وضيغه الفقير يعدان عشاءهما . ولما لمح تليماك قال له : « ما وراءك يا يومايوس الصالح ؟ أعلمت عن الطغمة التي استأنت في ساموس تتربص بي شيئاً ؟ » فأجابه الراعي : « تالله لا علم لي بشيء يا مولاي ، فانا لم أنتظر طويلاً في المدينة لآسقط الأبناء ، لأنك أمرتني أن أرتد على عجل ؛ بيد أنني لمحت مركبا يطوي البحر إذ أنا عائد ، ويدخل المرفأ ، وفيه من العدة والمعد ما يهر النظر ويخطف البصر ، وأحسب أنهم هم الأمراء الذين تعنى ، غير أنني لا أجزم بهذا »

ونظر تليماك إلى والده مبتسماً ، محاذراً أن ينتبه

الراعي إلى شيء

أوديسيوس في قصره

ونضرت أورورا جبين الشرق بالورد ، وخضبتة بالشفق ، فهب تليماخوس من نومه الهاني الهادي الموشى بالأحلام ، فلبس وانتعل ، واختلط جرازه

قلبي أنني لن أراك بعد إذا أبحرت إلى ييلوس
برغمي ، وعلى غير علم مني ، لتتسقط أنباء أبيك...
ولكن ... خبرني يا بني ماذا عساك سمعت . »
فقال الفتى : « أماء ! لم تعودين بذاكرتي إلى عبوس
الحياة وقد أفلت من الموت ؟ أولى لك ثم أولى أن
تضيق عليك من أنفراؤوابك ، ثم تصلي للآلهة
أن تهبي لنا يوم انتقام عادل لا يبق ولا يذر !
يبد أنه ينبغي أن أذهب الآن لألقى ضيفاً
كريمًا عزيزاً جداً على - عزيزاً جداً على يا أماء ! -
حضر معي في سفينتي أمس ، وقد أرسلته مع من
يضيّفه عني حتى أعود فأضيّفه أنا نفسي »
وذهبت بنتلوط فصارت طويلاً للآلهة ، وانطلق تليماك
فاقي تيوكليمنوس وعاد معه إلى القصر ، وجلسا
يتحدثان بينما أحضر أحد الخدم مائدة حافلة بألوان
الطعام وأطيب صنوف الشراب ، فوضعها أمامها ...
وأقبلت بنتلوط فجلست لدى الباب تنسج ثوبها الذي
لا ينتهي ! فلما فرغا من طعامهما أقبلت فقالت مخاطبة
تليماخوس : « يبدو لي أنك لن تقص على الآن
ما سمعت من أنباء أبيك يا تليماخوس ، وأوتر إذن
أن أصعد فأضجع في فراشي الذي أبلله دائماً
بدموعي منذ فارق أودسيوس ... فإذا انصرف
الأوغاد المعاميد وفرغت من شغلك بههم فاحضر
إلى لتقص علي من أنباءه . » ولكن تليماك قال :
« أماء ! لم لا أقص عليك ما سمعت وما سافرت إلا
لأطمئنك وأطمئن نفسي ؟ لقد سافرت إلى ييلوس
وحظيت بلقاء نسطور الذي هس لي وبش وفرح
بي كأنما أنا ابنه الذي افتقده طويلاً وعاد فجأة إليه ؟
غير أنه لم يذكر لي عن أبي قليلاً أو كثيراً لعدم
علمه بشيء من أنباءه ، ولذلك بعثني مع واحد من

أبنائه إلى ملك أسبرطة لأسأله عن أبي ... وقد
لقيني منالوس فأحسن لقائي وأكرم مثواي ،
ورأيت زوجه هيلين الحسنان الفتان التي شبت
بسببها حروب طروادة ، والتي لقي من أجلها أبطال
الأغريق أنكى ألوان العذاب ... ولا سألتني الملك
فيم قدمت ، نبأته بأنباء العشاق المعاميد ، ووصفت
له مايجرون على بيت أبي من الخراب ، فأرغى وأزبد
ولعنهم أشد اللعن ، وتوسل إلى الآلهة أن ترد إليهم
أودسيوس فيبطش بهم ، ويعيد إليهم صوابهم ، ثم
قص على ما سمعه من أحد أرباب الماء - پروتيوس -
الذي أخبره أن أبي ما زال حياً يرزق في إحدى
الجزر النائية ، وأن عروساً من عرائس الماء تحجزه
عندها في تلك الجزيرة برغمه ، لأنها تحبه وتهواه ،
وأنه لا يجد سفينة يهرب عليها إلى الوطن ... هذا
يا أماء كل ما علمته عن أبي من الملك منالوس ، وقد
أذن لي في العودة ، فأبت في رعاية السماء وحفظ
الآلهة . وكانت بنتلوط تصني وثورة من الحزن
تحتاج نفسها ، ولظي من الوجد يفتك بقلبها . فلما
فرغ تليماك ، التفت تيوكليمنوس المتنبي إلى السيدة
الرؤوم فقال : « يا زوج أودسيوس أعيريني سمعك !
إصني إلى فسأتنبأ لك ! إن ابنك هذا لم يسمع عن
أبيه أي نبأ يقين ... أما أنا ، فقد بدت لي أمارات
وشهدت في السماء علامات ... ومحال أن تكذب
علامات السماء ... أقسم لك بجوف العلي رب
الأرباب ، وأقسم بهذا البيت بيت أودسيوس ، أن
زوجك هنا ، وفي إيثاكا ... وهو يعلم كل صغيرة
وكبيرة من أنباء العشاق وخباياهم ، وإنه ليدير
لهم عقاباً هائلاً لن يفلت أحداً منهم !! » وسكت
المتنبي ... وأقبل العشاق من لعبهم فخلعوا عباةهم ،

ثم نشطوا إلى الشاء والخنازير فجزروا طعامهم ...
 هذا ما كان من أمر تليماك وأمه ، وما كان من
 أمر العشاق . أما ما كان من أمر أوديسيوس فقد
 مضى في الطريق إلى المدينة بخطى متعثرة والراعى
 بين يديه ، وعلى كاهله حقييته ، وفي يده عكازه ،
 وكما لقيهما أحد صغرى خده ، وشمخ بأنفه ، تقززا
 من منظر هذا الشحاذ الفقير القذر ... ثم أتيا إلى
 نبع يتفجر في الطريق فيستقى الناس منه ، وقد
 بسقت من حوله أشجار الحور والسنديان ، وترقرق
 الماء فوق الحصباء كاللجين يتدحرج من حيد
 أكمة هناك ، أقام الصالحون فوقها مذبحا لعرائس
 الغاب حيث يتقدم الناس بندورهم ويعفرون
 إصحياتهم ... وقد لقا هناك راعى ماغز الملك
 — ملايتيوس — يسوق قطيعا من أسمن ما يري
 لأجل ولأم العشاق ... ولقد كان ملايتيوس هذا
 من أذئابهم ومتملقهم . وكان يصنع كل ما يحببه
 إليهم ويضمن له عطفهم ، فلما رأى الفقيرين وأحدهما
 زميل له ، انطلق يهذى ويصخب ، ويسب ويسخر ،
 ويغمز الرجلين غمزا شديدا موجعا ، حتى غلى الدم
 في رأس أوديسيوس : « إنشعلا أيهذهان المسخان !
 طاعون يجتاحك يا راعى الخنازير القذر ! حقا إن
 الطيور على أشكالها تقع ! كلب يقود آخر ... إلى
 أين ؟ إلى حيث يلتقط فئات موائدنا ! عجبا ؟ ألا
 تطلقه معي إلى المزارع ينظف الزرائب ويحمل العاف
 ويمحس الغلة ويشرب ما شاء من اللبن الحارز (١)
 والخفيض ، ويكسو عظامه المعروقة باهاب من اللحم ؟
 ولكن هيهات ! فقد بلدت طباعه فلا يصلح لعمل
 شريف ! » وهكذا ظل الراعى الشرير بقى من هذا

البذاء ، وركل أوديسيوس آخر الأمر ركلة قوية
 في ساقه ، فلولا ما حرص الملك عليه من كتمان
 أمره لحطمه بسببها ، ولمسح به ظاهر الأرض ! ولقد
 هاج هايج يومايوس فدعا آلهته لئنتم لرفيقه الضعيف
 وطفق يقول : « يا عرائس هذا النبع المقدس اسمي
 بحق ما عقر لك أوديسيوس وباسم ما ضحى أن ترديه
 إلى بلاده لينتقم من أمثال هذا الوغد الزنيم الذى
 لا يحسن إلا أن يخلق أعداء مولاه ، وإلا أن يغشى
 رحابهم ، بينا قطعانه ساعة في المرج لا راعى لها ولا
 حفيظ ! » فصاح الراعى الوقح : « هاه ! أجيى
 يا عرائس . دعاء كلبك الأمين ! أواه لو أستطيع أن
 أحملك في فلك أحد هؤلاء السادة فأبيعك بيع
 الرقيق في بلد سحيق ! أوديسيوس ما ذا أيها البهيم !
 لقد أودى أوديسيوس ولن يعود إلى الحياة قط .
 وبودى لو لحق به ابنه تليماك ! ! » ... قالها ...
 وانطلق حتى بلغ القصر وغشى مجلس العشاق بطرفهم
 بما حدث له مع راعى الخنازير ... أما أوديسيوس
 وأمينه فقد سارا رويدا حتى أتيا بوابة القصر فتلبثا
 عندها ... وتناول أوديسيوس يد الراعى وقال :
 « يومايوس ! لا ريب أن هذه سراى الملك ! أنظر !
 ها هي ذى الحجرات يتلو بعضها بعضا ، وهاك الرحبة
 الكبرى ذات العماد وذات الأبواب ... وإني
 أحس أن هناك أضيافا اجتمعوا لوليمة ، وهذا
 قثار اللحم يملأ خياشيمي ، وإرنان القيثارة يجلجل في
 أذنى ... » فقال يومايوس يجيبه : « أنت ذكى
 شديد البكاء ! إنه هو المكان بعينه ، والآن ، هل
 تذهب أنت وحدك فتستعرض الأمراء وتعود ، أم
 تنتظر حتى أذهب أنا فأخطف نظرة إليهم ؟ على
 أنك يجب ألا تتلبث هنا طويلا ، فقد يراك بعضهم

(١) شديد الجوضة والخفيض الذى استخرجت زبدته

الذي قضى وتركه من ورائه لا إهمال الوصيفات وقلة
أكثرهن ... أما عبيد هذا القصر فهم كالوصيفات
حذوك النمل بالنمل ، فهم لا ينشطون لعمل كما
ينشطون وسيدهم بينهم ، ثم هم قد فقدوا بالعبودية
وذلة الرق نصف آدميتهم ورجولتهم !! « ثم مضى
أوديسيوس نحو صديقه وخذن صباه ، فبكى وذرف
دموعه ، وكذلك فعل الكلب ... حتى مات ...
ولكن بعد أن رأى سيده تارة أخرى !!

ولم تلبث أن راعيه فأومأ إليه ، وأخذ جانباً ،
ثم أمد به بنصيب جزيل من طعام الوليمة ... وبعد
لحظات أقبل أوديسيوس في صورة الشحاذ الفقير ،
وجلس على الأرض ، فأرسل إليه ولده شيئاً من
اللحم والخبز مع يومايوس ، وأسر إليه أن يرسله
بين الأمراء يتكفف ، وبالأحرى ليتعرف ، فلما
فرغ من طعامه نهض فسار بينهم يسأل هذا ويحذر
فيه ، وينصرف إلى ذاك ويحذره ، ويمد يده من
من أجل لقمة كما يصنع الشحاذون ، وقد رثي له
كثيرون فأمدوه بلفات ومضغ من اللحم ، إلا
أنطونيوس ، فقد استهزأ به وبمن أحسن من
الأمراء إليه ، وعيرهم بأنهم يتصدقون بما ليس لهم
ثم هاج وماج ، ورفع كرسيّاً أو شك أن يحطم به
رأس أوديسيوس ، وأمره أن ينصرف فلا يعكر
عليهم صفوهم أكثر مما فعل !! ولكن الكرسي
صدع كتف الملك ، وأعنى رأسه ، ووقف أوديسيوس
كالصخرة لا يتحرك ولا ينبس بينت شفة ...
ولكن ألف ألف فكرة سوداء كانت تكظ فؤاده
وترحم تفكيره ... ثم مضى فجلس حيث كان من
قبل ، وهتف بالعشاق في صوت جهورى فقال :
« سادتي الأمراء اسمعوا ! قال الله لو أنها ضربة في
حرب بين كفتين لما حمت لها موحدة في نفسي ...

فيؤذيكم ويطردك من هنا شر طردة » وقال
أوديسيوس : « بل انطلق أنت وإني منتظر لك هنا ،
فاذا لكبنى أحد أو لكزنى أو ركبنى ، فليشد
ما احتمل هذا وذاك ، وهل هو إلا بعض ما احتملت
في حروبي الطويلة ؟ » وبينهما يتحدثان ، إذا
كلب كبير رابض يقف فجأة فيصبص بذنبه وينصب
أذنيه ، ويحدق بصره في أوديسيوس ، ويظل
مسحوراً ذاهلاً !! آه ! إنه الكلب العزيز أرجوس
الذي رباه الملك قبل أن يرحل إلى طروادة ...
لقد أهمل أمره ، فهو رابض هكذا في حماة من
الروث والقذر والقمل أمام بوابة القصر ، كالشاعر
المجوز الذي يجترذكرياته !! لقد عرف صوت مولاه
برغم السنين الطوال ، فبكى ، وهز ، وأرسل الدموع
حراراً تسقى صدغيه ! وقد تأججت في قلبه الحيوانى
ثورة من الحزن الطارىء المفاجئ فلم يقو أن يزحف
ليمسح بلسانه قدي مولاه ... وقد لحظ أوديسيوس
ما أصاب كلبه العزيز فبكى هو الآخر تأثراً ، وسجل
هذه الآية من الوفاء للحيوان على الانسان ! وأشاح
بوجهه عن الراعى حتى لا يدرك ما بعينيه من دموع.
فلما مسحها بكفه قال يحدث يومايوس : « أليس
عجيباً ومؤملاً ممّا يا صديق أن يتركوا هذا الكلب
الذى تبدو عليه سماء النبل فوق هذه الكومة من
الروث ؟ قد يكون أقمده الضعف عن متابعة الصيد
وقد يكون بقاؤهم عليه من أجل منظره وحسن
سمته !! » فأجابه الراعى : « أوه ، بلى أيها الرفيق !
أما والله لو شهدته في إثر مولاه أوديسيوس لعجبت
لعظم قوته وشدة جبروته ! أبداً لم يخلق الله وقتئذ
كلباً أتبع لصيد ، أو أقوى حاسة شم منه ؛ وأبداً لم
يكن عندنا كلب ليس يدرك عدوه كلب كآرجوس
هذا الرابض يساقط نفسه أنفساً !! إنه يبكى مولاه

« انطلق إذن فأحضره ، ودعه يحدثني بما روى
وجهاً لوجه ، وسأهبه صداراً ودثاراً إذا توسمت
في قوله الحق ، وآنتست في روايته الصدق »
وادعى أودسيوس أنه يخشى أن يجوز وسط
الأمراء مرة أخرى ، وفضل أن يلقي الملكة
فيتحدث إليها إذا جنّ الليل بجانب المدفأ ...
ووافقت الملكة ، وصوبت رأي الرجل ؛ وكان
الوقت أصيلاً فقصده الراعي إلى تليماك واستأذنه في
الانصراف إلى حظائره ، فأذن له ، ولكن بعد أن
أمره بالتزود لعشائه ، ففعل يومايوس ، ثم مضى
ليسهر على خنازيره

دربني هشة

« يتبع »

ظهرت عربياً

مسرحيات

توفيق الحكيم

في مجلدين

٦٠٠ صفحة

ثمان الجزئين معاً ١٨ قرشاً مصرياً

عدا أجرة البريد

تطلب من ناشرها

مكتبة النهضة المصرية

١٥ شارع المداين بالقاهرة

ولكن أنطونيوس رأى من سلطان الجوع
والضعف على ما جرّاه وأثار مخزته ... وأنا مع
ذاك أترك جزاءه لله ، وأضرع إليه جل ثناؤه أن
يقبضه قبل أن ترف إليه عرسه !! » وكأنما خجل
العشاق مما فعل أنطونيوس فجعلوا يلومونه ويتلاؤمون
فيما بينهم . قال قائلهم : « من يدري ؟ ألا يحتمل أن
يكون أحد آلهة السماء جاء ليلونا ... والويل لك
يا أنطونيوس إذا صدق حدسنا ... ألا تعلم أنهم
طالما يتزلون فيغشون مدننا في صور الشحاذين ليروا
بأعينهم ما نأفك وما نمن ؟ » ولم يبال بهم ولم يابه
لما قالوا ... وكان تليماكوس يتميز من الغيظ ،
ويُسِر في نفسه أوجع الألم لما نال أباه من الضرب ،
بيد أنه غلب غضبه ، وجلسه في أعماقه ، كما حبس
في عينيه وابلًا من الدموع ... وكانت بنلوب تطلع
من شرفها وترى ما حل بالرجل من إيذاء ، فهتفت
بيومايوس أن يدعوها إليها كما تسألته عن
أودسيوس ، لما يبدو عليه من أثر السفر وجوب
الآفاق . قال الراعي : « أجل يامولاتي ، إنه رجل
من كريت ، وقد خاض ألف مكروه قبل أن تحمله
الصدفة إلى بلادنا ؛ ثم هو يحدث ساحر الحديث
طلي الرواية ، حتى ليخلب سمع من يصني إليه بأشد
مما يستطيع منشد مطرب أن يفعل ! وكلما طال
حديثه لذت طلاوته ، وكثرت حلاوته ، فلا تمل
أذنان ، ولا يضيق به مصغٍ إليه ... وأعجب ما ذكره
مرة لي أنه رأى أودسيوس وعرفه في أبيروس ...
بل يزيد فيؤكد أن مولاي عائد أدراجنا إلينا ، حاملاً
معه كنوزاً من الذهب ، وأذخاراً لم تر العين مثلاً
ولم تخطر على قلب بشر !! » فتهدت بنلوب وقالت :

« طبع بمطبعة الرمان بشارع المهدي رقم ٧ »

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية لطيفة
والتي تخرج

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

العدد ٢١ ٢٨ رمضان سنة ١٣٥٦ - أول ديسمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | الغرام الأول | أقصصة مصرية | بقلم أحمد حسن الزيات |
|------|-------------------|----------------------------------|-------------------------------|
| ١٢٩٠ | ... | ... | ... |
| ١٢٩٥ | الزوجة الحساء | للكاتب النمى هيرمان بار | بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب |
| ١٢٩٩ | في ليلة الميلاد | للقصصى الفرنسى جى دى موباسان | بقلم السيد محمد العزاوى |
| ١٣٠٩ | يقظة الضمير | لبوريس فيليوف | بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة |
| ١٣١٥ | خيال الحب | للكاتب الفرنسى أنذرية بيرابو | بقلم الأديب محمود السيد شعبان |
| ١٣٢٢ | قصة كان | للقصصى الروسى أنطون تشيكوف | بقلم الأديب السيد جورج سلسى |
| ١٣٢٩ | الأغلال | للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور | بقلم الأديب شكرى محمد عياد |
| ١٣٣٢ | بقية حية | للكاتب الروسى تورجنيف | بقلم الأستاذ خليل هندائى |
| ١٣٣٦ | اعترافات فى العصر | لألفريد دى موسيه | بقلم الأستاذ فليكس فارس |
| ١٣٤٥ | الأوديسة | لهوميروس | بقلم الأستاذ درينى خشبة |

وجعلها الكامد
طرحتها السوداء ،
فلم أثبت معرفتها .
وعهدي بالقرية بعيد
فلم أعد أميز المرأة
بلبستها ومشيتها
وبهيبتها كما كنت
أفعل .

من ذکریات الریف

الغلام الأول

بقلم احمد حسن الزيات

ارتد بصرى إلى "خائباً لا يملك تفسير ما في نظرة
الصديق من عجب ، وما في ابتسامته من خبث .
فسأله : ماذا ؟

قال : أما عرفتها ؟

فقلت : من هي ؟

قال : فلا تنة !

فقلت : فلافة ١١٩

قال : نعم فلانة ! ولا أدري كيف أحببت هذه المرأة وأنت رجل منذ نشأت شاعر القلب ، وهي على ما أرى من ضمور الجسم وجفاء الحلقة ..! ماذا فتبتك منها وإنك لتراها ... ؟ ...

فقلت له : بالله ربك لا ترد ، الا أريد أن تصفها
ولا أحب أن أراها . دع لي صورة الفتاة التي
عرفتها وأحببتها . إنها لا تزال في طويات القلب
طاهرة كالطفولة ، ناضرة كالصَّبِي ، ساحرة كالشبيبة .
أما هذه التي ترى فليس بيني وبينها عهد ولا سبب .
قم بنا عن هذا المكان وسأريك من هذه الصورة
الجميلة خطوطاً تبعثك على أن تتخيل أكثر مما
تسمع ، وتتمتع أكثر مما تفهم

ذهبت منذ قريب إلى القرية في شأن من شؤون
الأسرة . وللقرية في رمضان سحر يغلب على القوى
الحاسة فتفرق في فيض من الشعور الرضى الرخى
المبهم ، فلا تدري أهو حلاوة الذكرى الخاطرة ، أم
نشوة الطبيعة الشاعرة ، أم لذة الأُنس الخالص ،
أم جمال الإيمان المشترك . وأحب شيء إلى نفسي هناك
أن أخرج أنا وصديقي العمدة إلى ملاعب الطفولة
ومسارح الصَّبى ، فاستنشى عبير الذكريات الجميلة ،
وأستوحى آثار الداهيين الأعزة . مشينا على العادة
ننقل الخطو الرفيق على أسطوار مشرقة من أديم
الثرى الحبيب ؛ فهنا نتذكر مجلساً من مجالس الآباء ،
وهناك تتمثل ملعباً من ملاعب الإخوة ، وثمت
تخطر موقفاً من مواقف الأحبة ، حتى انتهينا إلى
مكان ظليل جميل في ظاهِر القرية ، فجلسنا فيه نقول
كان وكان ، ونتمتع بملء العين والصدر والنفس من
صفاء الجو ورخاء النسيم وإشعاع البيئة . وفي فترة من
فترات الضمت العميق الحالم أرسل صديقي نظره إلى
مورد الماشية من التربة ثم رده علىّ وفي عينه الساجية
جميع معاني التعجب ، وعلى شفته الباسمة كل أدوات
الاستفهام . فنظرت حيث نظر فإذا امرأة في
أخريات الشباب تورد بقرتها الماء ، وقد أسدلت على

ومشيهن الوئيد في أخاديد الأرض منحنيات على
الفروع الموقرة بالثمر الغالي يقطفنه في لباقة ويضعنه
في خفة وهن يتفكهن بالنكات ويتروحن بالأغاني
ويتساررن بالمنى ، ثم عودتهن في طفول الشمس
يمرحن كالغزلان ويصدحن كالعصافير فيخلعن على
كآبة النهار المختصر وضاعة الصباح الوليد ؛ كل
أولئك كان يرهف شعورى بالجمال فأسمو على حدائقي
وجهاً إلى أفق الالهام والشعر .

وكان من بين هؤلاء الفتيات النواهد أربع
لهن عليهن السلطان الغالب والارادة المطاعة ، لامتيازهن
بالحسن الرائع أو الصوت العذب أو الدلال العابت .
ولهذه المزايا نفسها نشأت بيني وبينهن ألفة ، فكن
يتخلفن عن السرب ينضجن وجوههن ويصلحن
هندامهن حتى تنهض الجمال رائحة بأحمال القطن ،
فنعود جميعاً صامتات إلا كلمة حية أو ضحكة ندية تقع
في الأذن أو في القلب حيناً على حين

وكانت فلانة هذه إحدى هؤلاء الصواحب
الأربع ، وكانت يومئذ في عمر البدر تمتاز منهن بحلاوة
الصوت ولطافة الروح وقوة الجاذبية . وكان منبع
الجاذبية فيها عيني حوراوين تشعان الفتنة من خلال
أهدابهما الوطف ، وفماً رقيق الشفتين نضيد الثنايا
جميل الاقترار ، وصوتاً لطيف الغنة حلو النبرات
فضى الرنين ، ونفساً رزينة الطبع رقيقة الشعور
هادئة الشعاع ؛ فلا تملك وأنت مأخوذ بسحر هذه
الصفات أن تفكر فيما فقدته من براعة التكوين
وصفاء البشرة وغضارة البدن . وكانت هي من دونهن
شديدة الخفر طويلة السكوت خافضة الصوت ؛
تغمغم إذا تكلمت ، وتطرق إذا تبسمت ، وتنظر
إذا نظرت خلسة أو عن معرض . فأغراني

الدنيا ؛ والناس غير الناس ، فالدور يفيض منها الخير ،
والمجالس يشيع فيها الوقار ، والأخلاق تغلب عليها
السذاجة ، والأمور بين أهل القرية تجري على نظام
سماوى من التسامح والتعاون والألفة والعفة
والاحترام والاحتشام والبر . وكان سلطان الأب على
الأسرة أشبه بسلطانه عليها في الجاهلية الأولى ، فهو
يجمع رأيها في القول ، ومرجع أمرها في العمل ؛ لا يثنى
له يد في شأن ، ولا يرد عليه قول في حكم . لذلك
نشأت على الهيبة فلا تقرب من مجلس ، وعلى الحياء فلا
نشارك في حديث ، وعلى الطاعة فلا نعارض في أمر ،
وعلى الحشمة فلا نتبذل في عاطفة . فتستطيع أنت
من وصف تلك الحال أن تدرك طبيعة الحب الذي
يولد بين هذه البيئة وبين هذه النشأة .

كنت أقضى عطلة الدراسة كل صيف في
القرية ؛ فلا أكاد أنطلق من قيود الحياة في القاهرة
حتى أعود إلى أحضان الطبيعة الرؤوم ، أتوخي أفياء
الشجر كالطير ، وأحوم بين الحقول كالفراش ، وأروى
مشاعري الظامئة من الجمال الحلال في السماء والماء
والهواء وصور الناس ووجوه الأرض . فاذا أነع
القطن وحان جنبه حلالى أن أخرج وراء الجانيات
الجماليات بعملة أن أراقب عملهن وأسجل أسماءهن ؛
ولكن الباعث الصحيح على مكابدة القيظ واحتمال
العناء كان شغفى بالجانب الشعري من هذه
المشغلة . فقد كان خروج الفتيات من أزقة القرية
أسراباً إلى الطريق الضاحك المطلول عليهن صباحة
الصباح وإشراق العافية ، ووقوفهن صفاً على رؤوس
الخطوط في أعلى الحقل يحين بأصواتهن الرخيمة
الشادية شجيرات القطن وقد انمقدت على أوراقها
أكاليل الحباب وسال على أطرافها رُضاب الندى ،

هذا النفور الغزالي بها ، فكنت أسلط عليها رفيقاتها
فيداعبنها باليد ، أو يعابثنها باللسان ، فتتظر أو تضحك
أو تصيح ؛ فأحس في دعج عينيها ، وبريق ثناياها ،
وحلاوة جرسها ، شيئاً خفياً قوياً لا أجهله لأنه
ملء الشعور ، ولا أعلمه لأنه فوق المعرفة

كنت أقعد تحت الظلة عند مفارش القطن
المجموع فتأتى الفتيات فرادى وثُنًى فيضمن ما يثقل
حجورهن من القطن ، ثم يثررن طويلاً وينصرفن
طافرات أو هازجات ، إلا فلانة هذه ، فقد كانت تأتى
وحدها فتحل نطاقها على طرف المفرش ، ثم تفرط
حجرها وهي خاشعة الطرف باسمه ، فأحاول استنطاقها
فترناع وتنقلب إلى خطها مضرجة الوجه لا تنبس ولا
تلتفت . وفي ذات مرة طلبت منها جرة الماء فجاءت
بها على استحياء وهي تحاول أن تغض من وجهها
وتكسر من طرفها فلا تستطيع . ووقفت أمامي
عيناً لعين ، وروحاً لروح ؛ وجهت أنا كذلك أن
أقول لها كلمة فذهل خاطر وتعطل اللسان ؛ وظل
كلانا ينظر إلى الآخر ولا يراه ، ويتلمس الطريق
إليه ولا يجده ؛ ولكن سبباً من أسباب القدر كان
قد وصل القلب بالقلب ، فامتزجت النفس بالنفس ،
وفهم الشعور عن الشعور ؛ وأدركنا معاً أن بيننا
سراً ليس بيننا وبين الناس ، جعلها في نظري
غير من أرى من الصبايا ، وجعلني في نظرها غير من
تعرف من الصبية . ومنذ ذلك اليوم أصبحت تحوم
حولى خومان الروح حول جسدها الهامد ؛ تعلم أنه
لها ، ولكنها لا تملك أن تبعث الحياة فيه

ومضت أيام الجنى السعيدة ، وقرت الكواعب
الحسان في البيوت ، وأقمرت الغيطان فلا تعج

بالشباب ، وصمتت الطرقات فلا تهزج بالأغاريد .
وأصبح لقاء الأوانس الأربع ، أو الأنسة المرادة من
هذا الجمع إن أردت الصدق ، عسيراً على مثلى ممن
لا تساعدهم تربيتهم المدنية على أن يغشوا دور الأهلين
في كل وقت ، ويلابسوا طبقات الفلاحين من غير
سبب . ولكنني أصبحت على غير ما أمسيت !
ففراغ بالى قد امتلأ ، وأفق خيالى قد امتد ، وسر
حالى قد استعلن ؛ وظللت اليوم كله لا أجد في قلبي غير
هواها الملح يعصف به عصف الريح بالشجرة المتهدلة ،
ولا أبصر في عيني إلا جفنيها الكحيلين يُسبلان
في سكون على ألحاظها الفاترة ، ولا أسمع في أذنى غير
أغنيتهما مع صاحباتها في آخر يوم من أيام الجنى ساعة
أقبلت على الحقل في ضحوة النهار كعادتي ، ومطلعها :
يا بدر لما جيت كانت ضلام نورت
تلمست العلل والحيل لأراها في بيتها أو ألقاها
في غيظها ، فأخطأتى التوفيق لهذا الحياء الغالب على
طبعي ؛ فكنت أمر يبابها ، أو أسير في طريقها ،
فأجدها أحياناً على عتبة الدار داخلة أو خارجة ، أو
ألمحها حيناً على حمارها القصير الأبيض راكبة على حمل
من البرسيم ، فتتخالس النظر ، وتتسارق الابتسام ،
ثم يذهب كل منا لوجهه

لم أكن أعرف على وجه اليقين شعورها بهذا
الفراق بعد أيام الجمع ، ولكنني علمت من بعد
أنها كانت تبغى الوسيلة إلى اللقاء الحر حتى اهتدت
إلى هذه الحيلة :

كان في بيتنا صيدلية صغيرة من العقاقير
الضرورية الواقية ؛ وكان أهم ما في هذه الصيدلية لتر
دائم من قطرة الزنك يجعله لمن يشاء من أهل القرية .
فكنت ترى « المنظرة » فيما بين المغرب والعشاء أشبه

لا . لا . عيني سليمة ، ما فيش لزوم
حينئذ لم يبق بيني وبين نور إلا شيء له
دلائل وليس له لغة . هي تعلم أني أحبها ، وأنا أعلم
أنها تحبني ، ولكننا لا نجد لهذا العلم الضروري
اسماً يدل عليه ، ولا كلاماً يعبر عنه . لأننا معشر
القرويين — كما تعلم — نعرف الحب بمعناه ونذكره
بلفظه . فنحن نفرق منه كما نفرق من ألفاظ
الفضيحة والنقيصة والعهر ، ولا نفهم من كلمة الحب
إلا انفتاح العين والقلب لواحد من الناس في غيبة
الأسرة . ذلك إلى أن الحياء الطبيعي يعقد اللسان عن
شكاية بُرَحائه وحكاية همه ، فكيف بالتصريح به ؟
كانت هذه الساعة التي جلسنا إلى ظاهرة من
أغرب ظواهر النفس : صبيان في حمى الشباب
ومرح الفتوة يتحرق كلاهما شوقاً إلى صاحبه ،
فتدنيهما القرصة المرقوبة ، وتجمعهما الطبيعة المؤلفة ،
على غفلة الأعين وهمود الأذان ، فلا تنبسط يد ، ولا
ينزلق لسان ، ولا تجمع شهوة ، ولا يكون بينهما إلا
حديث عام لا يلبث أن ينقطع لأنه زور على القلب
وكذب على الخاطر ؛ ثم يفترقان وفي صدر كل منهما
سعير من الوجد يذيب الحشا ويرمض الجوامح إلى
دأبت نور على هذا اللقاء بهذه العلة أسبوعاً من
الزهر كان شبعاً ورباً لهذه العاطفة المكبوتة فنمت
نمو الجبار في صدر واهن ضيق . ثم خشيت فضول
الرقباء من طول الاستشفاء فأمرت عيني أن تبرا
وانسدل بيني وبينها الستار فلم أعد أراها

تذرعت إلى صداقة أخيها بوحدة السن والهوى
حتى تمكنت بيننا الألفة . وأنتجت هذا الصداقة
نتيجتها المقصودة فكنت أقضي أمارسي في بيته، بين

بالميادة الناجحة . وكان الذي يتولى هذا العمل
الخيرى أنا أو أحد إخوتي . فبينما أنا ذات ليلة جالس
وحدى على مصطبة الدار إذا بي أراها مقبلة تهادى
في الظلام ، وقد غصبت عينيها اليمنى بمنديل أسود !
فنهضت إليها عجلان في حال تم على دهشة المفاجأة
وربكة الموقف وقلت لها :

— أهلاً وسهلاً ! سلامة عيناك يا نور !

— فقالت نور ويدها ترتجف في يدي، وصوتها

يتهدج في أذني

— الله يسلمك ! عاوزة أحط أطرّة

— فدخلت بها النظرة وأجلستها بجانبى على

الكنبة ، ورفعت هي العصاية عن عينيها فإذا جفناها

محتقان قليلاً . فسألها عن سبب هذا الاحتقان

فقالت إنها حكمتها عامدة بالتوتيا الخضراء فالتها .

فقلت لها وقد فطنت إلى ما رمت إليه :

— ولماذا ؟

— كده !

— كده ليه ؟

— أهو كده !

فضحكت وضحكت . ثم أملت رأسها الصغير

على ركبتي ، ووضعت كفي على وجنتيها ، وأنا ملي

على خديها ، وطفقت أنظر من هذا القرب إلى هذا

الجمال الذي شغفني وشغلني . فهذه هي العين التي

ترسل السحر حيث ترسل النظر ؛ وهذا هو الثغر

الذي يفتر عن المقاتن كما يفتر عن الدرر ؛ وهذا كله هو

الحيا الذي يشرق في قلبي الناشئ إشراق الأمل ،

ويتحدث في نفسي الغضة حديث الصباية . وأردت

أن أحجز تيار الهوى عن الوضع الذي نحن فيه فلأت

القطارة وهممت أن أفتح عينيها ، ولكنها نهضت

مذعورة وهي تستضحك وتقول :

العاشق الصغير ، فقالت لى بلهجة الأم العطوف :
سافر يا بنى مطمئناً فهي لك !

وذهبتُ إلى نور فى الحقل القريب أودعها وداع
الراحل فى الغد ، فوجدتها بين البقرة وعجولها
الصغار توزع بينهن العلف ، كما وجد قرتر شرلوت
بين أطفالها الستة توزع عليهم الخبز ! جلست على
حزمة من البرسيم ، وجلست هى إزائى على أديم
الأرض . ومررت برهة من الصمت الحزين قبل أن
أقول لها إننى عاهدت أمها على أمر ستعلم نبأ منها
إذا سألتها ، وإننى سأسافر فى الغد إلى القاهرة ،
وسأعود فى الصيف إلى القرية ، فيجتمع الشمل
ويرجع الأنس ويتحقق الرجاء . فتبين الأسى فى
وجه نور ، وحاولت أن تتكلم فأعيأها الكلام ؛
فأطرقت برأسها ، وتحاملت على نفسها ، ولكن وجهها
احتقن احتقان الحتنق فأنفجرت بالبكاء حتى لمسمع
نשיجها من بعيد . فكانت هذه هى المرة الأولى
التي قالت فيها نور بلسان الطبيعة القوى الصريح :
إنى أحبك !

وسمى الدهر بينى وبينها ، فوسَّع مسافة الخلف
بين طريقى وطريقها ؛ وقطعتنى القاهرة عن القرية
فأصبحت لا أزورها إلا لماماً ؛ واستحدثت فى نياط
القلب أسباب جديدة ؛ وتزوجت نور من ذلك
الشقي الذى تعرف ، فألج على براءتها بالشر ، وأنحى
على سعادتها بالفقر ، حتى أصارها إلى ما ترى !
وكم يا صديقى فى أجادب الدنيا وصحارى الحياة
من أزاهير لوحتها السموم وصوحتها الهواجر ، ولو
أنها غرست فى أطايب الأرض لكانت زينة العيش
وبهجة النفس وممتعة النظر !
الزيات

أمه وزوجه وأخته : نجلس جميعاً على فرن القاعة الدافئ
نلعب الورق ونشقق الحديث ، ولكن ما حولنا وما بيننا
من الأشخاص والأشياء كان إطاراً وكانت هى الصورة .
قالين لا تقع إلا عليها ، والقلب لا يتجه إلا إليها ، حتى
فطنت لحالنا الأم ، واضطربت بحديثنا الألسنة ، وعزا
الخليون هذه العاطفة إلى طيش الحداثة ، واستبعدوا
أن ينتهى هذا العتب إلى شئ من الجد لاختلاف التربة
وتباين الطبقة ؛ ولكن هوى نور غطى على قواى المدركة
فتركنى أضطرب فى دائرة ضربها على فلا أحاول
الخروج من حصارها الكثيف ، ولا أقصد إلا الغاية
الحتمية للحب العفيف . ذلك أن الحب انجذاب
وامتلاك واستئثار ومتمعة . وهو يسلك إلى هذه
الأنوار ما أمكن من المسالك ؛ فإذا تعددت أمامه
النافذ انسرب من هنا وانسكب من هناك ،
حتى ينتشر ويتبدد ؛ وذلك هو الحب فى المدينة .
أما إذا انحصر فى حدود من الخلق المتين والتنشئة
القوية هدر هدير الأسير المغلوب ، واضطرب
اضطراب الحنق المكروب ، ثم لا يجد له متنفساً
إلا الفرجة الوحيدة المشروعة ؛ وهذا هو الحب فى
القرية . لذلك قطعت العزم على أن أفضى بذات
صدرى إلى أمها قبل رحيلى إلى القاهرة . فلما كلمتها
ورجوتها فى ضراعة وتوسل أن تذود الخطأب عن
نور ريثما أعود ، فحسها هذا الرجاء فشخص بصرها ،
وانقعر فوها ، وظلت على هذه الحال برهة لا تطرف
ولا تجيب . وأخيراً قالت فى لهجة الحائر المشدود :
وهل يرضى أبوك ؟

فقلت لها : وماذا عليك ؟ إنى أعرف من
يستطيع إقناعه . ولكن أم نور نفسها لم تقنع ،
وكرهت مع ذلك أن تكسع باليأس أمل هذا

الزوجة الحسنة

للكاتب المنسوي هيرمان بار
بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

نعم إنني أحبها ولكن
أعلم ما يثقل زوج
المرأة الحسنة إذا
غاب عنك هذا
فلا تتحدث عن شيء
بعده . إن الزواج من
حسنة يتطلب صبراً
كصبر أيوب » ثم
راح يصفر صفيراً

مرعجاً وفي وجهه العبوس والتجهم ؛ وخيل إلى
أنني سموت إلى الغاية التي يريد قلقت : « أفرأيت
يا بول ، إن خطاياك تنحدر إليك من صلب ! هذا
هو الجزاء ! إن الغيرة تكاد تعصف بك » ونظر
إلي في دهشة وهو يقول : « يا للغباء ! أي غيرة ؟ فيم
تفكر ؟ » وأسفت على أن رميته بتهمة هو منها براء ،
قلقت : « أفلا تستشعر الغيرة ؟ » قال « لا . لا .
إن الزوجة الحسنة هي خير ما يتمنى المرء إن لم
يستعبدها جمالها » قلت : « لقد قصر عقلي عن أن
أستشف ما تريد » قال : « سأضرب لك الأمثال
لأكشف لك عن بعض ما عني عليك »

وبدأ لي أنه ينفس عن كبريته حين ينشر على
عيني أمره ، وأنا صديق قديم حبيب إلى نفسه ،
فتعلق بصري به وهو يتناول سيكارة أخرى فيشعلها
وهو يقول :

إن النشوة التي سيطرت علي - يوم زواجنا -
كادت تستلبني عقلي . لقد انطلقت إلى ميونيخ
برفقة زوجتي ، وخيالي يصور لي أننا نستطيع أن
نحول في أنحاء المدينة في لذة وسعادة ؛ نرور معاً
بعض أصدقائي ثم نظير إلى مروج بافاريا ننعم

... ولاقيت صديقي بول دورن بعد غياب
طويل فاندفعت إليه في شوق قائلاً : « كيف حالك
يا عزيزي ؟ لقد احتجبت عنا طويلاً ، أقترجوت
حقاً ؟ لم يكن ليضطرب في خيال واحد من رفاقك
أنك تزوج فتزل عن بعض مافيك من عبث ومرح
ولكن المرأة ... المرأة يا بول ! »

وابتسم بول في رقة وأخذ بذراعي يجبرني إليه
أفكان لبول أن يتزوج وقد عرف فيه صحابته
المجون والعبث ؟ إن هذا خيال ما يستطيع الإنسان
أن يشق فيه !

وتناول سيكارة في هدوء ووقار ، وحدجته
بطرف عيني فآلمني أن أرى فيه الرزاة والسكون !
لا ضير ، فهو زوج ! ثم ... ثم قلت : « لقد أبدلت
طبعاً بطبع يا بول بعد أن تزوجت ... تزوجت من
فتاة جميلة » فترك ذراعي في غضب وهو يقول : « دع
عنك المزاح وإلا كان هذا فراق بيني وبينك ! »
وأزعجني حديثه فاندفعت أسأل : « ماذا ، ماذا
يا صديقي ؟ »

قال : « حقاً ، إنها حسنة فائنة ... ولعمري
إن البلاء في الزوجة الحسنة ، فأنا أدفع الثمن غالياً ،

إلى النادلة تسألها ثم دلفت إلى في آناة وتؤدة ، وحين صارت يازاء الطلبة تركت مظلتها تسقط من يدها فاندفعت النادلة إليها والطلبة في شغل

وسألها عن بعض ما يحب من أصناف الطعام لتتناول طعام الإفطار فلم تعرض إلى التفاتة وراحت تقول : « أنا لا أريد أن أجلس إلى هذا الشباك فهناك في الشارع وعلى جدار الملهى أشياء تبعث في النفس الضيق والملل ... خير لنا أن نتنحى عن هذا المكان . ثم انطلقت تختار نضداً إلى جوار الطلبة ؛ وحين سحبت إليها كرسيها هزت الآخر فانتثر ما عليه من صحف فتناولتها والطلبة في لهوهم ما ينظرون .

واستقربنا المقام فسألها مرة أخرى عما تتطلب من طعام ، والشوق يدفعني إلى المعرض ؛ غير أنها قالت في تؤدة وهي تضع نظارتها على عينيها : « خبرني ، أفلا يجد هؤلاء الطلبة عملاً سوى شرب الجمعة ولعب الورق ؟ » وأمسكت بصحيفة أصرف بها عن نفسي السوء وأكفكف بين سطورها نزوة تضطرب في قلبي ، ولكنها لم ترض أن تنزل عن رأيها في سهولة ، فاندفعت تتحدث إلى : « يالتعس آباء هؤلاء الطلبة ! إنهم يبدلون آخر فلس في جيوبهم في سبيل أبنائهم وهم يبددون المال في المقاهي ، أين المعلم وعصا المعلم ؟ » وانطويت عنها أردد بصرى في سطور الصحيفة في إغضاء وإهمال ؛ ولكنها قالت : « أنظر إلى كؤوسهم ... إلى رؤوسهم ! يا عجبا ! إنهم كحالي الحطة ! »

وتأجج الغضب في رأسي وأنا أهدىء من ثورتي خشية أن ينثلم شرفي في هذا الندى ، ثم قلت في هدوء : « لا ، بل أستطيع أن أرى أن ميونيخ تبعث في نفسك الضيق والضجر ، وأنا لا أجد بداً من أن تنطلق إلى شليس بعد ساعتين ، فهو مكان

بالخولة ، ونقطف الثمرة الحلوة . ووجدت السعادة في ميونيخ ، وعلى حين فجأة بدأ القلق يضطرب في ناظريها ، فجلست إليها أستطلع الخبر ، فقالت : « لاشيء ! إنني أرى الجمال هنا ، ولكن ... ولكنني أرى في الناس غلظة وجفاء ! » وحدثني نفسي : « يا لله ! لا ريب أن في سكان ميونيخ البطء والهدوء ، أما الغلظة والجفاء ... ! » واندفعت هي في حديثها : « حقاً ، إن فيهم غلظة وجفاء ! إن المرء ليضرب في الطرقات والشوارع الساعات فلا يرى إنساناً واحداً يرفع بصره فيجده في الآخر . هذه هي الغلظة التي رأيتموها فيهم »

أفرايت يا صديقي ؟ لقد زلت زوجتي ، فهي تريد الشوارع تموج بالناس بين معجب بها وعاشق لها ، وهي لا تجد بغيثها في ميونيخ . لعلك تنفجر ضاحكا من هذه السخافة ، ولكنك ستجد فيما أقص عليك متعة وسلوة

وفي الصباح التالي انطلقت أجلس في ندي مكسمليان أنتظر زوجتي لأصحبها إلى المعرض . لقد تركتها في الفندق ترتدي ملابسها وتزين . ولبثت طويلاً أنتظرها . ودقت الساعة عشراً وأنا جالس إلى نضد أردد بصرى بين المارة وأحديق في دار الأوبرا وهي قبالي ؛ وابتدأ الناس يتصدعون عن المكان والنادل متكئون إلى الجدار في كسل وفتور . وخلا المكان إلا من شردمة من الطلبة يتحسون الجمعة ويلعبون ؛ وهذا المكان إلا من بعض كلمات تنفجر عنها شفاء الطلبة بين الحين والحين ؛ وبذر الانتظار في نفسي غراس القلق والضيق ... ثم جاءت عند الظهر ... جاءت ترف رفيفاً جميلاً ، حسناء جذابة ، فاتنة خلابة ، تسير الهويتي في خيلاء وضمر ، وعلى ثغرها ابتسامة عذبة ... ومالت

إلى بلد آخر إن لم تجدى اللذة هنا ، واضطرب قلبي ، وانتفض فؤادي ، واستولى على الأسى والحزن ، فأنا لا أطمئن إلى حياة قلقة لا أستطيع فيها أن أستقر في مكان جميل جذاب أجده فيه السكون والراحة ، ولكن ماذا أفعل وأجأنا متهماً ولا تطمئن . لا ريب فهي تريد أن تنطلق إلى فينا حيث تطوقها الأنظار في كل مكان ، لأنها إن افتقدت من يعجب بها حارت حيرة من اعتاد التدخين ثم هو لا يجد إلى الدخان سبيلاً . تلك حقيقة مزعومة ، فخير للإنسان ألا يتزوج من حسناء !

وفي الصباح التالي بكرت إلى البحيرة ، إلى الوادي ، إلى الغابة أمتع نظري وأشبعها جميعاً بنظرات الوداع ، نظرات فيها الألم والحسرة ، والخواطر المتناقضة تصطرع في خيالي . أما هي ... هي أجأنا فما تزال في مخدعها تنعم بالنوم الهادي . إنني أتمشق هذه الناحية من الأرض ، ولكن ...

ولم في خاطري رأي ، انفرجت له شفتائ غن ابتسامة فيها الرضا والاطمئنان ، فانطلقت أعدو في لهفة إلى صديق دريتشر ، وهو ممثل بارع ، وهو رئيس فرقة التمثيل الأهلية في بافاريا يستمتع بشهرة عالية ؛ وهو أيضاً شاب فيه المرح والطرب والفكاهة والرأي النافذ والقريحة الوقادة ... وهو صديق فيه الاخلاص والوفاء

وحين ضمنا المجلس اندفعت أقول : « دريتشر ، إنني أطلب إليك شيئاً وأرجو ألا تجادلني فيه . إنك تعرف كل إنسان في هذه الناحية ، أفستطيع أن تمدني بشاب أنيق وسيم ليمثل دور عاشق ؟ » قال في دهشة « ليمثل ماذا ؟ » قلت « ليمثل دور عاشق . إنني أريده يجلس ويحدق ... يحدق في زوجتي ساعة من نهار . إن زوجتي قد اعتادت

هاديء جميل ، وهناك دريتشر صديق قريب إلى نفسي » ثم رجعنا إلى الفندق نتأهب ...

وأبرقت إلى صديق ... وبلغنا شليس في الساعة الرابعة ، فالفيت صديق لدى المحطة ينتظر . وانطلقنا جميعاً إلى فندق جميل على شاطئ البحيرة وحللنا غرفة واسعة أنيقة جميلة ، تراءى أمامها البحيرة وما حولها من مباهج . وأضنى التعب زوجتي - أجأنا - فانطرحت في فراشها في سبات عميق ؛ أما أنا فقد انطلقت على دراجتي أطوف بالبحيرة والقرية وأستجلى رواء الريف الجميل ، ثم عدت عند الثامنة فإذا هي في الحديقة ، وفي يدها كتاب ما تستقر عينها بين سطوره ، وعلى خطوات منها بعض الريفين ، وقس يجلس إلى الحارس . وأخذتني روعة المكان فأحببت أن أقضي بعض وقتي هناك ؛ واندفعت إليها وهي جالسة في ثوبها الأبيض الحريري الجميل ، يتأرجح العطر منها عبقاً طيباً ؛ غير أنه لم يلتفت إليها أحد ، ووقفت بازائها أقول : « ما رأيك يا عزيزتي ؟ » فخدجتنى بنظرة قاسية وقالت : « أهذه هي شليس ؟ أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من يومين فهذا مكان لا يلذني » قلت : « إنه هاديء ... والبحيرة ... »

فقاطعتني « والبحيرة صغيرة عابسة » قلت : « والوادي الجميل ... » فقاطعتني ثانية : « والوادي الجميل غير صحي » قلت : « والجبال ... » فقاطعتني مرة أخرى : « والجبال ، أنا لا أحبها ! » ثم نظرت إلي في ازدراء وهي تقول : « والطعام رديء الطهي والجمعة البافارية تملأ الجسم شحماً ، وأنا لا أريد أن أبدو خدلة كالفلحات . إنني أبتغي حياة هادئة . لقد كان من الخير لي أن أسجن في دير ولا أتزوج من رجل لا يحبني » قلت : « لا بأس ، سنرحل

أجأتا وحدها في الحديقة ... وجاء العامل في ثوب أنيق ... جاء ينفذ أمر سيده في براعة وإتقان ... ورجعت أحدثها : « لقد ذهبت إلى المحطة ... فراقني أن نسافر على قطار الساعة العاشرة صباحاً » قالت في لهفة : « ماذا ؟ ماذا تعني ؟ أفلا تستطيع أن تستقر في مكان ؟ إنني أميل إلى هذا المكان ، إلى البحيرة ... » فقاطعتها قائلاً : « ولكنها صغيرة ! » قالت : « هذا هو موضع الجمال فيها » قلت : « والجبال من حولها » قالت « لاخير ، فأنشد الهواء العليل في أعاليها . سنبقي هنا حيناً من الدهر فما يرضيني أن نضطرب في أنحاء العالم ... »

ومكثنا هناك ثلاثة أسابيع دفعت فيها الثمن غالباً . ولا ريب أن أجأتا لن ترضى بهذا المكان

لامس محمود منيب

بديلاً ...

هذا النوع من الغزل فهي تفرع عن كل مكان تفتقد فيه بغيته . وسأدفع له ثلاث مراكات في اليوم ثمناً لجلوسه في الحديقة يردد بصره بين الفينة والفينة في زوجتي ، وأدفع له ثمن شرابه « قال : « لاخير ، لاخير ... » ثم نشرت الخبر أمامه ، فقال : « نعم سأفعل غير أني لأستطيع أن أستغنى عن واحد من زملائي ، ولكن ... آه ، نعم ، إن في الفرقة عاملاً شاباً فيه الأناقة والظرف و ... دع عنك هذا ، سأحدثه الحديث كله الآن ؛ وفي المساء نبتدي العمل ... » قلت « أشكرك يا صديقي ، ولكن أفتطمئن إلى العامل ؟ » قال « وماذا يعينك أنت ؟ إن المرأة لاتعني بنظرات من يتعشقها بقدر ماتعني بنظراتها هي ؛ وسترى ... »

وعند المساء انطلقت إلى مكتب البريد وخلفت

استديو مصر يقدم نجيب الريحاني في

سـلامه في خير

بالاشتراك مع

راقية ابراهيم . روحيه خالد . فردوس حسن . حسين رياض . منسى فهمى
فؤاد شفيق . استفان روستي . حسن فائق . محمد كمال المصرى . إدمون تويما

وفي نفس البروجرام

كازينو بديعه اسكتش موسيقى غنائى مصرى

جريدة مصر الناطقة : مصر المسحورة

يعرض الآن

بسينا رويال بمصر و سينما عدن بالمنصورة

وسينما الكوزموجراف بالاسكندرية

فِي لَيْلَةِ الْمِيلَادِ

للقصصيّ الفرنسي جي دي موياسان
بكتما السيد محمد العزاوي

لقد كان يوماً فريداً كل
عام . وبخاصة في ذلك
العام الذي مضى عليه
عشرون من إخوته ...
حينما كنت في الثلاثين ...
فأنا الآن في الخمسين !
« كنت حينذاك

مفتشاً بهذه الشركة التي

أديرها الآن ، « شركة ماريتم للتأمينات » . ولما
أزمع العام الرحيل عقدت العزم أن أمضي عيد
رأس السنة الجديدة في باريس اللاهية . ولم يخالجنى
شك في أني سوف أقضي في باريس يوماً سعيداً
حافلاً ، ليلة مريحة لاهية ... ولكنني تلقيت من
من مدير الشركة خطاباً يأمرني فيه أن أبحر
— توأ — إلى جزيرة ري « Ré » إذ اندفع فلك
شراعي ذو ثلاث سوارٍ إلى الشاطئ فاحترق الرمل
وعجز عن الخروج . وكان الفلك تابعاً لشركة « سنت

نازير البحرية » إحدى عميلاتنا القديمت
« إذن ضاع الأمل في ذلك اليوم السعيد
الحافل ، وفي تلك الليلة المريحة الطروب ... وكانت
الساعة الثامنة حين تسلمت الخطاب . فوصلت
في العاشرة بناء الشركة لأتلقى التعليمات اللازمة .
وفي نفس المساء حملني القطار السريع ، فوصلت
« لاروشل » في صبيحة الحادي والثلاثين من
شهر ديسمبر

« وكان لدى ساعتان من الزمن أقضيهما قبل أن
أركب فلك « ري » السفين « جان — جيتون »
فطفقت أطوف بالمدينة . وقد عجبت من أمرها إذ لم

لقد كان أمس اليوم الحادي والثلاثين من
شهر ديسمبر

و كنت على وشك أن أتغدى مع صديق القديم
« جورج جاران » ، حينما ألقى إليه موله خطاباً
غطت غلافه الطوابع والأختام الأجنبية . فقال لي
جورج :

— أسمع ؟

— من دون شك !

فطفق يقرأ ثمانى ورقات طوال ، خطت عليها
يد انجليزية أسطراً في كل اتجاه .. فهي تستقيم في
اتجاه واحد حيناً ، وتتقاطع في اتجاهاتها أحياناً .
وكان يقرؤها بصوت بطى خفيض ، منتبهاً لما يتلو
أعظم اقتباه ... في تلك اللذة التي يحسها عادة من
شيئاً يمس قلبه الرقيق

وبعد أن فرغ من تلاوته وضعه على رف
المصطلى ثم قال :

« هيه ! هذا من أذيال تاريخ قديم ، مافضت
غلافه لأحد من قبل ... تاريخ عاطفي أسدل عليه
الزمن سجفه وحجبه . لا يذكركني به إلا بعض
النسائم تهب على من هذا الكتاب وأمثاله ... آه !

« يوسف » — فلسكا كبيراً ذا ثلاث سوار من سفن « سنت نازير البحرية » — قد اضطرته ليلة عاصفة أن يحترث الرمل من جزيرة « رى » ...
« وقد كتب مدير الشركة : لقد قذفت العاصفة « مارى — يوسف » في ليلة هوجاء ، فنشب في رمل الشاطئ حتى بات من العسير تسييره من جديد . ولم يكن هناك من الوقت ما يكفي لأن نحمل ما كان على ظهره ، إذن فيجب عليكم تقدير حال السفين المنكوب ، وتقدير ما كانت عليه حاله قبل الكارثة ، ثم الحكم بعد ذلك بأن كل ما بذلناه من جهود كاف لأن يعيده سيرته الأولى . وقد ذهبت وكيلاً من شركتنا كي أقدر حال السفين ، فربما حكمت لهم ، وربما شهدت عليهم أمام القضاء إذا دعت الحال » وبعد أن يتسلم المدير تقريرى يجب عليه أن يعد عدته للدفاع .

« وكان قائد الزورق « جان — جيتون » يعرف كل شيء عن الكارثة إذ دعى وسفينه وألقيت على عاتقه عملية الانقاذ . وقد قص على القصة فى بساطة وسهولة قال : إن « مارى — يوسف » قد قذفته هبة من ريح جرسر عاتية فى ليلة مدلهمة فتحول عن طريقه فضل سواء السبيل ، واتخذ سبيله فى اليم سرى ، وبات لا يدري زبانه فى أى شقة من اليم هو ، ولا فى أى وقت من الليل الطويل ؛ وظل يخط فى بحر من الزبد الغاضب والموج المتدافع والريح العاتية .. موجة تبليه وأخرى تخلعه ، وريح تسفحه وأخرى تدفعه ، حتى ارتطم بذلك الساحل الهولة . وأنت تعلم أنه كثير الرمل لأن اليم يأتية برمل « الصحارى » أثناء المد . وبينما أنا أتحدث كنت أتلقت حولى ، وأدير البصر

أر مدينة أعجب من « لاروشل » . فهى واسعة الشوارع ملتوية المسالك كأنها التيه « اللابرنى » » وبعد أن طوّفت ما طوّفت فى شوارعها الفريدة حملنى زورق بخارى أسحم إلى جزيرة « رى » وتحرك وهو يصفر صغيراً مدوياً يبدو عليه الغضب والاحتدام . ومرق من بين المنارتين اللتين بحرسان الثغر ، ثم عبر الجون الهادىء فخرج من ذلك السد الذى ابتناه « ريشيليو » حفظاً للبناء وأمناً للسفن . حينئذ رأيت الماء كيف يتكسر على صخوره ، وشاهدت الصخور فى البحر تطوق المدينة البارزة فى اليم فكانها عقد درى زان نحرها الجليل ... ومن ثم اتخذ الزورق طريقه فى اليم إلى اليمين .

« لقد كان يوماً ذا برد وزمهرير ، فسماءه ملبدة بضباب كثيف وسحبته ثقالة ؛ وكان البحر هادئاً تحت ذلك السقف الواطىء المنحوس ، فكان الزورق يخترق فى أديم أزرق صاف ... فى مياه هادئة لا تحركها هبة نسيم ، فكانها متعبة منهوكة من كثرة ما لاقت من الأبن والعنت ، بل كأنها ميتة لا حياة فيها : أماتها البرد القارس ، وجثم على صدرها ذاك الضباب الكثيف ، وانزلق « جين — جيتون » على صدرها الصقيل بأمن ودعة . واستطاع أن يسزى فى تلك اللجة السدفاء الهامدة ، تاركاً وراءه أمواجاً صغيرة لا تلبث أن تهى فتموت .

« وطفقت أتحدث مع القائد مدة ... كان هذا القائد مندجاً فلا تدري فى أى موضع ركبت أطرافه منطوياً على نفسه فهو مستدير — إجمالاً — كهيئة زورقه البخارى . وكنت أريد أن أعرف بعض خفايا الكارثة التى سوف أقررها : وهى أن « مارى

ذلك في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين
أو في الثالثة على الأكثر . وأنا أعدك أن لن تجد على
« ماري — يوسفك » هذا قطرة من ماء أو أثرًا
لوحل ... وسوف تسر وتدهش إذ تعلم أن تلك
العملية لن تستهلك من الزمن إلا ساعة وخمسا وأربعين
دقيقة أو ساعتين على الأكثر . والواقع أنه لا يمكننا
أن نقضى في تلك العملية أكثر مما قلت ، لأنه سرعان
ما يعقب الجزر مدا في ذلك الشاطئ اللعين ... لك
أن تبدأ عودتك إلينا في تمام الرابعة والدقيقة الخمسين
— أندرك ما أقول؟ — وأن تركب « جان — جيتون »
في الساعة والنصف ، وأنا زعيم بأن أحملك في نفس
المساء إلى ميناء « لاروشل »

« فشكرت القائد ، ثم اتخذت في مقدمة الزورق
مقعداً أقرب منه مدينة « سان مارتان » فقد كنا
نعدو نحوها في سرعة فائقة

وكانت « سان مارتان » ميناء تشبه جميع
الموانئ الصغيرة . إلا أنها تمتاز منهم بأنها حاضرة
تلك الجزائر التي بعثرتها يد الطبيعة — حول القارة —
في قاموس المحيط . كانت قرية كبيرة من قرى
الصيادين ، قدمها في الشاطئ ، والقدم الأخرى
في وشل اليم العظيم ... تقتات الخضر والطيور ،
والأصداف والسمك ، ومعظم العيش على هذا الأخير ،
لأن الجزيرة خفيفة الأرض قليلة الزرع ، تبدو كأنها
غير أهلة وإن كنت لم أطوف بها أو أوغل بداخلها
« وبعد أن اغتذيت عبرت رأساً ناتئاً مندفعاً
في صدر البحر ، وكان هذا ينمط من ورائه فجأة .
فكنت أصوب النظر — فوق الرمل — إلى مكان
بعيد ، شديد البعد ... حيث تبدو نقطة سوداء
بأقصى الأفق هناك بعيداً ... بعيداً ... وحشت.

في كل مكان : فقد كان هناك بين أديم المحيط وسطح
الضباب مجال تجول العين فيه وتبصر . وأخيراً
شارفنا أرضاً فقلت :

— أهذه جزيرة رى ؟

— أجل يا سيدي !

وأشار القائد بيده — فجأة — إلى شيء غير
واضح يقوم بقاموس المحيط — تقتحمه العين ولا
تكاد تدركه — وقال :

— هيه ! هذا سفينك

— ماري — يوسف ؟

— نعم بالطبع !

ولكني ذهلت ... ! هذه النقطة السوداء
« ماري — يوسف ؟ » تلك التي لا تكاد تبصرها
العين حين بصرت بها حسبها قمة صفوان غارق في
اليم ! وبدت لي النقطة تبعد عن الشاطئ ثلاثة
كيلو مترات سوياً ، فقلت :

— ولكن أيها القائد لا بد ألا يقل غورالماء عن
مائة وخمسين متراً في تلك النقطة التي أشرت لي عليها
فطفق يضحك ، ثم قال :

— مائة وخمسون متراً يا صاحبي ! إنني أقسم أن
ليس هناك متران ! فكيف غورك الذي فرضت
يا صديقي ؟

— حقاً إنها مشكلة !

ولكنه استمر يقول :

— نحن الآن على المد ، فالساعة لما تبلغ التاسعة
والدقيقة الأربعين ... لك أن تذهب أنى شئت ...
فامش والشاطئ ضاءاً يديك إلى جيوبك ، واملأ
بطنك الرقيق مما يقدم اليك « فنبثق ولي المهد »
من آكال شهية وأشربات فاخرة ، ثم عد إلى بعد

« وبدأ إلى الحوت ، وقد تطرح على ذلك البساط الأصفر كبير الحجم عظيم النسب ، وقد ثقفته بعد ساعة من المشي السريع ... »

« لقد استراح على أحد أعطافه مهدماً محطماً . يبدى للناظر عظامه المعروقة وأضلاعه اليابسة . مثلما يفعل الحيوان العليل ... حقاً لقد كانت ألواح سحباء من أثر القطران . ولكن من يتبادر إلى ذهنه أنها من أثر القطران ، وليست عظاماً نخرة فتتها السوس وسودها البلى ؟ إن المدقق يستطيع أن يميز هذا من ذاك . وما ذلك بفضل فراسة أو ذكاء ، بل بفضل دُسرٍ حديدية ، ومسامير ناتئة في الخشب ! سوف يرى المدقق وغيره أن الرمل قد فرغ من غزوه من زمان بعيد . وأنه قد غراه من كل ثلثة فتتها الحطم فيه . حقاً ! لقد تغلغل الرمل فيه حتى بات من العسير أن ينظفه المرء أو ينتشل الفلك منه . بل لقد حسبت أنه نما في الرمل كما ينمو الزرع في الأرض ، فليس إلى اقتلاعه من سبيل . لقد غرسه الزارع من مقدمته فهي تبدو مدفونة في ذلك الرمل الأصفر ، بينما ترتفع مؤخرته إلى السماء فارعة ضارعة كأنها صيحة غوثٍ يائسة ! وكانت كلمتان رجحهما اليأس وأضواها الحزن ، تبدوان على عطفه الأعلى : « ماري - يوسف »

علوت جثة الفلك من عطفه الذي استراح عليه ، وبعد حين كنت على سطحه الأعلى ، ثم دخلته لأطوف بحجراته وأبهاؤه ما سمح لي الرمل بذلك . وكان النور الشاحب يوصوص إلى من تلك المنافذ التي أنشأها فيه مبدع الفلك ، أو من تلك الفتوق التي أحدثها الصخر فيه . وكان

الخطى فوق ذلك السهل الأصفر ، فكانت قدماى تنوصان فيه كما تنوص يد الجزار في لحم عجل سمين ! لقد كان البحر في جزره بعيداً عن الشاطئ الطويل ؛ وكثيراً ما أنعمت النظر كي أبصر ذلك الخط الذي يفصل الرمل عن المياه الصافية فلم أفلح إلا في رؤية خط باهت مفرغ لا تفاصيل فيه ولا ملامح ... والآن ... ينبطح المحيط الأطلسي أمامي تماماً ... الشاطئ يحجزه ... فلست أدري أهو يحتضنه محبة أم يتأهب لأن يصد غارته إذا ما عاد بمده الصاحب ... كنت أسير في مفازة وحدي ، يلطمني نسيم البحر في هيئة ودعية ... ويلفني الماء الأجاج برائحته الفظة الخمة ... ولكني بين ذلك لا أعدم هبة من نسيم البر القوي ... من روائح العاقول وذلك النبات الذي ينمو على الشطآن ، ولا أعدم هبة من نسائم الموج الهادي حين الجزر ...

« كنت أسير وحدي ، وكانت تشائني أرواح أولئك الذين أماتهم البحر غيلة واقتساراً . نعم ! وكانت تجوم حولي ، وتحاذني بأصواتها الخافتة ، يحملها النسيم على أجنحته الخفية .. ولكني ما كنت أعجى بما تقول شيئاً ، فقد كنت من آن لآخر أسرع الخطو وأوسع الخطى ... وأدقاني المجهود إذ زاد عني برد الجو الشديد ، وبدأ الضال « ماري - يوسف » يتراءى لي بطة غالها اليم ، ولفظها الموج على الشاطئ ؛ ولكنه كان يكبر كلما تقدمت رويداً ؛ حتى هالني عظم حجمه ، واعتقدت بأنه حوت هائل قد أجهد صيادوه أنفسهم في صيده وإخراجه من البحر ، ولكن جهودهم تكاد تذهب سدى ، فالحوت ينطرح على عطفه الأيسر ، ويوشك أن ينزلق إلى اليم مرة أخرى ... »

يبقى بأشعته الحزينة على تلك الحجرات والأبهاء التي صيرها الرمل كهوفاً وغيروا... لم يكن هناك شيء سوى الرمل... والرمل فقط....!

وبدأت أسطر على قرطاس ما أشاهد من حال هذا البضال المنكود. وكنت أبنى أن أفرغ من تقريرى، ولكن جوف الفلك مظلم لا يدخله النور إلا من كوة صغيرة تكفى لأن أبصر منها جل الشاطئ الأصفر... كان حينذاك الوقت أصيلاً، تداعب الشمس فيه بنورها الذهبي رمال الشاطئ الصفراء فتكسبه نوعاً من حياة وبهجة، لا تلبث هذه أن تفيض وأن تنقبض هذه الأخرى. ذلك لأن الشاطئ كان وحيداً فلم يكن به أحد غيرى... وغير... «مارى - يوسف»؛ وإني لا أذكر أن منظرًا من مناظر الغروب قد أثر في مثلاً أثر هذا،

فقد ملك ما ملك من زمام حسى وذهى، واستولى على ما استولى حتى لم أعد أصطبر عنه برهة ريثما أخط بضع كلمات في تقريرى الطويل. إن الطبيعة تتجلى في الأماكن المنعزلة فتسحر وتأسر... ولكنى تلهيت عنها فجلست على دن مقلوب مهشم. وأسرعت أخط ما يعنى لى من الفكر كي أفرغ من تقريرى سريعاً. وبينما أكتب كنت أسمع همهمة جافة خافتة... إنها هزيم الموج البعيد... إنها عواء الرياح العتيد... إنها آهات الفلك الضارعة... بل هي أناته الموجهة... كلا! إنها أصوات غامضة تحدثها مئات بل آلاف من حيوان اليم العظيم!

وسمعت بقربى أصواتاً آدمية فجأتني فبهت وتحيّرت في أمرى، فوثبت جزوعاً كأنما أنا أمام شيطان رجيم! لقد حدثت - في برهة - أن غريقين سوف يقومان من قاع المركب، يأتیان

فيذكران كيف ماتا، ثم يقصان على من أنباء الفلك ما لم أخط به خبراً. ولا أكتمك أنى ذعرت لتلك الفكرة، قفزت إلى سطح السفينة من إحدى الكوى. وهناك عند مقدمة الزورق شاهدت سيداً وقوراً، قد حفت من حوله ثلاث فتيات حسان... أو بالحرى سيداً انجليزياً تحف به فتياته الثلاث، ولا يخالجنى ريب أنهم فزعوا جميعاً إذ يرونى بنفثة أخرج إليهم هلعاً جزوعاً، فقد كانوا يحسبون الفلك خالياً وحيداً... وفرت صغرى البنات، ولما ذهب عنها الروع عادت. أما الفتاتان الباقيتان فقد أمسكتا بأيهما خشية أن يسقط على الأرض. أما هو فقد فرّ فاه دهشة وذعراً. وكان هذا كل ما أبداه من علامى الدهشة والحيرة. وبعد ثوان قال:

— آه ياسيدى؟ أنت صاحب هذا السفين؟

— نعم ياسيدى!

— أسمح لنا بزيارته؟

— إذا تكرمتم ياسيدى!

ونطق بعد ذلك بجملة غريبة الألفاظ لم أدرك من ألفاظها إلا كلمة «كريم» فقد كانت تتردد في كلامه كثيراً

وطفق يبحث عن مكان سهل الصعود، فدللته وأعطيته يدى ليستعصم بها من الزلل. وبعد أن ارتقى السطح أعنت الفتيات الثلاث على الصعود معنا إلى سطح السفينة الأعلى. لقد كن جميلات ساحرات، وكبراهن خاصة... ملاك في الثامنة عشرة من عمرها... يانعة كالزهرة، فارعة كالبنانة، عاطرة كالزجسة... دقيقة... رقيقة... لينة المعاطف مرهفة القوام... حقاً! إن هؤلاء

الانجليزيات الحسان يشبهن زهرات بديعة تعهدا المحيط بلطفه ، وجباها بمطفه ، وشملها بعنايته ؛ فنشأها على جماله ونسقه ... ولو صح ذلك لكانت كبراهن إحدى الزهرات اللاتي نشان بشاطى أصفر لا تزال تحفظ له العهد ، وتخلص له الود ، فأتخذت من رمله شعرها الغزير البديع !

وكانت تتحدث بلهجة أسلم من لهجة أبيها ، فكانت ترجأنا بيني وبينه . وكان على أن أقص عليهم الكارثة وخوافيها ؛ فبدأت أنسج الحوادث ، وأنتم التفاصيل ؛ وكنت أقرر الحوادث في مهارة وحذق ، وأؤكد في التقرير ما وسعني التأكيد ؛ فكانما كنت حاضراً حينذاك ، فأنا أحد الذين كرههم البحر بغدره ... ! وما دخلوا جوف السفين الذي ينيره بصيص من نور ينفذ إليه من الكوى والفتوق حتى علت صيحات الفرح والإعجاب ... وجذب الوالد وبناته دفاتر للرسم لا شك أنهم كانوا يحملونها في ثيابهم الواسعة . ثم أخذ كل يخط رسماً « كريكاتورياً » لذلك الشكل الناشئ العجيب ... حقاً ! لقد كان شكلاً لا يقدر على وضعه إلا يد اليم الماهرة ، ولا يقدر على رسمه إلا يد فنان موهوب ... وساد الجو سكون حبيب . ولك أن تتخيلهم وقد جلس أربعتهم كل قريب من الآخر ... أبوهن في طرف وهن في الطرف الآخر ... قد جلسوا جميعاً على روط خفيض ثم وضعوا دفاترهم على أنفادهم وانحنوا عليها يرسمون منظر الفلك الحزين . وبدأ كل يخط خطوطاً لا بد أنها تحدد منظر المكان مرسوماً من الداخل المغم وبنينا كبراهن ترسم كانت لا تكف عن الثيرة والحديث معي ، أما أنا فقد كنت أجلس جوارها أقارن بين ما ترسم وهيكل « ماري - يوسف » المنكود ...

وعلمت أنهم يقضون الشتاء في « بياريتز » وأنهم قد وصلوا جزيرة « ري » أخيراً كي يشهدوا منظر « ماري - يوسف » وهو غارق في اليم محترقاً شاطئه ورملة . ولم أجد بوجوههم ذاك التجهم الذي يشف عن غطرسة طالما غرستها انجلترا في نفوس أبناءها الكرام . لقد كانوا نبلاء بسطاء : هؤلاء الناس ! لا أثر لكبر ولا غطرسة ! كانوا من هؤلاء السواح الدائنين الذين تقذف بهم انجلترا إلى العالم يخبرونه ويعلمون أسرارهم . فالأب سمهري القوام ، بادى الهزال ، عظيم الوجه أحمره ، يحده من الجانبين عذاران ناصعا الشيب . وكذلك بناته فارعات القوام باديات الهزال كذلك - إلا الكبرى - رقيقات لطيفات ... وكبراهن خاصة !

لقد كان لكبراهن أسلوب في الخطاب وفي الحديث ... في الفهم وعدم الفهم ... في تصويب حذقتها نحوى إن أرادت سؤالاً ... حذقتها الصافيتين كما المحيط ! في الإمساك عن الرسم كي تقدم ما رسمت ، وتعديل ما خطت من خطوط ... في الإقبال على العمل بنشاط وجور ... وفي إجاباتها « بنعم » أو « لا » ... أسلوب جماني أذهل وأدهش ... أذهل عن وقتي ونفسي معاً ... جعلني أعلق السماع لها ساعات لا عد لها ... وأعزم بترقب ما تسقطه شفتاها اللعساوان من رائع اللفظ وعذب الحديث !

وعلى حين غرة قالت لي هانسة :

- إني أسمع صوتاً تحت هذا السفين

كأنني أسمع الصوت أنا الآخر ! فقفزت إلى

سطح الزورق الأعلى لآلئ هؤلاء الناس !

مقدمون عليه من خطر عظيم . فوددت لو صرخت :
« النجدة ! » ولكن لمن أوجه الصيحة ؟
« واحتضنت الفتاتان الصغيرتان أباهما .. وكان
هذا يحرق في البحر الساخر بعين غاضبة محنقة
« أسدف الليل قبل أن يسترد البحر مياه المد
فكان ليلاً رطباً ثقيلاً بارداً ...
وأخيراً قلت :

— لا شيء لدينا سوى أن نمكث الليل بهذا
السفين .

— نعم بالطبع !
« ألبثنا كذلك ربع ساعة ؟ نصف ساعة ؟
لست أدري كم من الوقت لبثنا ، ولكن الذي أدريه
أنا كنا جميعاً متكاتفين ، نمخدق في المياه الهادرة من
حولنا ... تأتي مجحة من بعيد ، فتتجدر على
المنعرج ساخرة ، وتمس الزورق فنحس بأنها تغلى .
كلا ! لم تكن تغلى ، بل كانت تميمس وتدف
— ساخرة — إلى الشاطئ المغلوب !

« واستشعرت إحدى البنات البرد يقوسها ،
ففكرنا حينئذ في الرجوع إلى جوف الزورق من
جديد لتتقي هبات النسيم البارد ، وانحنيت على السلم
فألقيت الماء يلاً قاع السفين ، فاقترحت عليهم أن
نمكث في مؤخرته المرتفعة ربما نجد لنا مخرجاً من
مازقنا هذا ، أو نكون في مكان يعصمنا من الماء
إلى حين

« لفنا الظلام بمسوحه السوداء الطاخية ...
وتقارب كل منا من صاحبه كي يشيع الدفء فينا ...
ولكن ... كان يحيطنا الماء والظلمة ! أحس بجسده
يرتعد بجانيبي فيرتطم بكثني ، لقد كانت صفري البنات
ترتعد من خوف وزمهرير ، وأسنانها تصطك من
(٢)

وأصنحت السمع فسمعت إذ ذاك همهمة ، سمعتها
منذ أمد قصير . كنا نسمع همهمة جافة مستمرة في
خفيف غير حالي النبرات ... تستمر في صوت أجش
خفيض ... ما هذا ؟ رفعت رأسي وفزعت إلى
النكوة فصرخت صرخة مدوية : لقد استردنا اليم
فحاطنا بمائه وموجه !

وقفزنا جميعاً إلى ظهر المركب ، ولكن أزمة
الفرصة قد أفلتت جميعاً من بين أيدينا . فقد عرفنا
الأمراً أخيراً ولات ساعة معرفة ! حاضرتنا المياه
من كل جانب ، كل فوج يتبع الآخر ، والوج
يكسع بعضه بعضاً ... كلا ! لم تكن تعدو ! بل
كانت تحبو مدللة وادعة ترمقنا بسناها الذهبي ، ثم
تودعنا وهي تترنم بخيرها الساخر في الطريق إلى
البر القريب ! ماذا حدث ؟ لا شيء أكثر من بضعة
أمتار من الماء قد سبقتنا إلى الساحل ... ولكن
لم يكن المرء بمستطيع أن يميز حد الماء الزاحف على
رمل الساحل القريب

« وقد تأهب الانجليز للمغامرة بأنفسهم وسط
الماء المترحل إلى البر ، ولكنني منعتهم لأنه بات
أماننا مستنقع عميق يأتيه الماء متجدرأ من منعرج
مرتفع ، فإذا ما قفزنا فيه جرفنا الماء وأغرقنا
دوامات المنحدر

« وانصب الغم في قلوبنا صباً ، إذ كانت لحظة
عصيبة لها ما بعدها من اللحظات السود ... ولم
نكن ندرى ماذا نفعل ... على أن صفراهن ضحك
قائلة :

— بلثنا نحن النكوبين المفرقين !
« وأردت أن أضحك ولكن الهلع ألجني
وأخرسني ... إذ تمثل أمامي ما نحن فيه وما نحن

— آه حقاً إنه يؤذيني
وأردت أن أهبطها معطفى ولكنها أبت . غير
أنى خلعتة وألقيته على كتفها بالرغم منها
وبدا الهواء يحرك الموج — فى هنيهة ورفق —
فيسمع له خرير خفيض ، ولكنه تعاضم واشتد
فانقلب زئيراً صاخباً .. واندفعت المياه إلى فلكنا
لاهثة غضبي ... ووثبت إذ ذاك فجأة ، فقد لطمنى
الهواء البارد فى وجهى ، وبدأت العاصفة !
« وأحس السيد بما أحسست به ، فما زاد على
قوله :

— إن هذا لمضر بنا ... إنه ...
« هو مضر بنا جميعاً دون ريب ... إنه الموت
الأكيد الأسود ! ... فقد بدأ الموج — حتى
الضعيف منه — يهاجم السفين . ذلك الرمث المفكك
يربطنا ظهره بالحياة . فإذا ما صفعته على جنبه موجة
هوجاء تفككت أوصاله ، وانفصمت عراء الواهية ..
« كانت ظلمة الليل تزيد وتعظم كلما هبت علينا
ريح سحماء عاتية . وكنت إن أنعمت النظر فى الماء
— فى تلك الخلجة المتكاثفة — رأيت خبالاً من
الزبد يشد بعضها بعضاً ، ثم تتلصق فى أعطاف
« مارى — يوسف » المنكود ، فتتحركه ، وحينئذ
تهبط قلوبنا فى البطون ، وتبلغ أرواحنا الحلقوم
خوفاً وفزعاً .

وبدأت كبرى الفتيات تضطرب وترتعد ،
فالتصقت بى تلتصق لى دفئاً ... وتمسكت من
زمامى رغبة جامحة أن أحضنها بين يدى ، وأغيبها
فى صدرى !

هناك البحر ... البحر من خلفنا وأمامنا ،
والبحر عن يميننا ويسارنا ... وهناك على الهر تقوم

حين لآخر بصوت جاف خفيض ... لا تتحدث
إلا غراراً بعد أن سجدنا على أنفأنا — كما يفعل
العابد الخابت — نمدق فى المياه الداكنة بحزن
وجزع . ومع ذلك فقد بدأت أستشعر لذة غريبة
تغمر قلبى الواجب برغم الليل الحالك والبلاء العظيم !
لذة قوية أجدها فى البرد القارس والليل الحالك
والكرب المميت ... فى تلك الساعات المضطربة
السدفاء التى أمضيتها — والتى سوف أمضيها فوق
ذلك الرمث الهائم فى جوف الليل البهيم — قريباً ..
قريباً من ... تلك الفتاة الساحرة !

وتساءلت طويلاً فيما بينى وبين نفسى : لم غلبنى
على أمرى هذا الشعور بالفرح والسعادة ... له ؟
« له ؟ هل أدري ؟ .. ألاها بقربى ؟ .. من .. ؟
هي ؟ .. ومن تكون « هي » ؟ فتاة انجليزية مجهولة ؟
إني لا أحبها ... بل لا أكاد أعرفها ... ثم ... ثم
بعد ذلك أستشعر حناناً هائلاً يعصف بقلبي ال ...
مغلوب ! وددت لو استطعت إنقاذها ... بل وددت
أن أضحي بنفسي فى سبيلها ! .. هذا الشيء الأجنبي !
الليل يثقل بيزده وحلخته ... أمواج من ماء
وأخرى من أسداف الظلام ... ليل سادر وصمت
مقيم ...

« وعلى حين غرة سمعت نشيجاً ... وأأسفا !
كانت صغرى البنات تبكى . وحاول أبوها أن يسليها
ويداعبها فاشتركت معه أختها . فتكلم الجميع بلغتهم
التي لا أعرف منها لفظاً ... لكننى حدثت أنهم
يهددونهم ويداعبونهم ، ولكنها تأبى فتنتوى على
نفسها فى خوف وفزع

« وسألت جارتى :
— ألا تحسبن برداً يا آنسة ؟

بما شاءت وما حلا لها من أهاليج الفرح والتطريب
علنا ننسى ما نعانى من بلاء وعنت . وأرتضت جارتى
ما اقترحت . عليها ، فهادى صوتها فى الليل حنوناً
قويماً . ينفث السحر ، ويبعث الشعر حياً . تهادى ...
فترقرق ... ثم سال حزناً وأسى . لقد كانت تغنى
لحناً حزيناً دون ريب ... إذ كانت تسنانى بنبراته
ومقاطعه ، فيخرج من بين شفيتها حزناً موجماً ...
ثم ... ثم يصدر عن السفين ... يهيم فى الظلام ...
ليتكسر على رؤوس الصخر وشعافه ... ثم يغيب
فى ضحكات الموت الساخرة ! ولست أدرى هل
كنت يقظان حينما حسبت أنى أسمع صوت كروان
جريح ينوح ويكي بيننا يرجحن فوق الموج فى
حزن ولغب ! ... ؟

وسخر منا البحر فعاد بمده ، ثم طفق يرتطم
بسفيننا « ماري - يوسف » ولكن ... لم أكن
أنا لأفكر فى شيء من هذا ... لا أفكر إلا فى هذا
الصوت الحنون !

وما لبثنا إلا قليلاً حتى انقلبت بنا السفينة بقة
فقد اعتدلت كأنها تستعد لنزال ، فانسدحنا - برغمنا -
على سطح الزورق الأعلى . وانطرحت على كبراهن
فأمسكت بها فى جنون ونشوة ، فضممتها إلى دون
وعى ولا تفكير ... لقد كنت أحسب أنى أنشق
آخر أنفاسى ، فوددت أن يكون جنبها آخر عهدي
بهذه الدنيا ؛ فشرعت أقبل ذلك الشعر الجلل الجميل
الآن ! لم يعد السفين يتحرك ... ولم نعد نحن نحتلج
وصاح الأب فرعاً « كيتى ! » فأجابته من بين
ذراعى : « نعم ! » ثم تطلعت من بين أحضانى ...
يا لها من لحظات ! كم وددت حينذاك أن ينحطم
« ماري - يوسف » فيباعدنا البحر سويًا

المنائر ... ومنها تتراقص الأنوار البيضاء والحمراء
والزرقاء كل له ميزته ودلالته ... تتراقص أمامنا
وخلفنا . وتدور نافذتا كل منار من آن لأن ...
فكأنها . عيون باحثة ... عيون مزدة تسائل عنا
الليل البهيم ! وقد حسبت أن إحداها عثرت علينا
فهي تتلصقاً فى سيرها ، فكأنما هي تتعرف علينا
خفية وتتوسم الوجوه ! ولكنها ضايقتنى هذه
النارة وأغضبتنى ! فقد تراءى لى - بعد لحظة -
أنها تلهب كمين العاذل الثقيل ! فهي تبطل فى
السير كظيمة غضبي ! ثم لاتغمض أجفانها عنا إلا
على قذى وشجن ؟

وكان السيد الأنجليزى يشعل عوداً من الثقاب
ليرى الساعة من حين إلى حين . وعلى حين بقة قال
لى - من فوق رؤوس فتياته - فى لهجة بائسة :
- سيدى ! أتمنى لك عاماً سعيداً ؟

لقد كنا فى منتصف الليل فتمنيت له ماتمى ،
ومددت له يدي فشدها عليها بحرارة ، ثم قال لبناته جملة
طويلة لم ألقه منها شيئاً ، فبدأت الفتيات يتغنين
- وهو معهم - وارتفع الصوت حاراً قوياً ،
ينشد : « الله يحفظ الملكة » فهادى النشيد فى الليل
البهيم وحوتم فى الظلام الأ بكم ضارعاً ملتاعاً ...
وأحسست أولاً برغبة قوية فى الضحك ،
ولكنى أمسكت بفضل شعور ناشز عجيب ...

لقد كان شيئاً فخماً منكوداً ، لازمه سوء
الطالع فألمبه وأرهفه : ذلك الغناء ... غناء الموتي
المغرقين ... غناء من ضرب عليهم الموت فلا صرخ
لهم ولا هم ينقذون ... ذلك الغناء كان شيئاً يشبه
الدعاء والابتهال !

وبعد أن فرغ الغناء طلبت إلى جارتى أن تغنى

وقال السيد :

— إنها خطرة باغثة ، ولم تحدث بنا ضرر ؛ فما يزال بسطح الزورق أطفالى الثلاث
يا لله ! لقد كان يحسب — حين لم يبصر فتاته
الكبرى أنه قد ثكلها

وثاب إلى الرشاد رويداً رويداً . وهناك عن
كثب شاهدت نوراً يترجح على الماء الغاضب ...
وصحت فردت الصيحة . لقد كان زورق الفندقى ، أتى
ليبحث عنا بعد أن أدرك ما قدمنا من تهور
ونجونا ، وكم أسفت لذلك ! حملنا الرجال عن
الرمث إلى زورقهم المتين ، فلا أمل فى الكرب
ثانية ... ! وأخيراً عدنا إلى مدينة « سان مارتان »
وفرك الانجليز أيديهم :

— العشاء ، العشاء !

« وقد طعمنا ... ولكنى لم أكن سعيداً ...
لأنى حزنت على « ماري — يوسف »

وكان لابد أن نفترق فى الغد . وبرحوا الجزيرة
إلى « بياريتز » بعد كثير من الوعود والقبل . ولم
أكن أستطيع اللحاق بهم ، فهناك قيود العمل اللعين
كم كنت مجنوناً حينذاك ! كان على أن أطلب
يد الفتاة ، فأنى واثق أنى لو مكثت معها ثمانية أيام
لكنت فى التاسع زوجها !

كم يكون المرء — أحياناً — ضعيفاً غامضاً !
ومضى عامان لا أسمع فيهما من أخبارها شيئاً .
وفى رأس الثالث تسلمت من نيويورك خطاباً . فقد
تزوجت هناك ، وقد قلت لى ذلك . ومنذ ذلك
الوقت ونحن نراسل فى اليوم الأول من يناير كل
عام ، وهى تحدثنى عن معيشتها ... أطفالها ... عن
أخواتها ، أما عن زوجها فلا ... لماذا ؟ آه !

لماذا ... ؟ وأنا الآخر لا أحدثها عن شيء إلا عن
« ماري — يوسف »

غرامى الأول والآخر ... المرأة التى أحببتها
وأحبها ... كلا ! بل التى سوف أحبها ... آه !
لقد كرثنا الدهر كما كرث اليم « ماري — يوسف »
وحطمتنا الحب كما حطمه البحر ... وضل كل منا
فى الحياة طريقه ، كما ضل « ماري — يوسف » فى
الظلام طريقه ... إن الحوادث تحملك بعيداً ...
بعيداً ... ثم بعد ذلك ... بعد ذلك ... كل شيء يمر
وينقضى ... فهى الآن عجوز دون شك ... لا أكاد
أعرفها إذا ما لقيتها ... فتاة الماضى ... فتاة
« ماري — يوسف » الشريد ... أى مخلوق ...
مقدس ! لقد حدثتني أنه قد ابيض شعرها شيئاً ..
وهذا شعري يشتعل فيه المشيب ... يا إلهى ! إن
هذا يفزعنى ... آه ! تلك الغدائر ... الغدائر
الصفراء .. كلا ! إن وجهها قد غاض وتغضن ...
إيه أيتها الداكرة ! أى ذكرى أليمة تبعثين ...
سيد محمد العزاري

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرأتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

يَقْظَرُ الضَّمِيمِ

لبوريس فيليوف
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

عن نفسه في كل مساء بالهو
في الأندية والملاعب والحانات
ويحتم ليلته بالخاصرة
والعاقرة - وأحياناً بالمقامرة
على المائدة الخضراء فيرج
ما يرج ليعوض نفقات
سهرته ، أو يخسر مالا يؤثر
في ثروته . ولم يكن متزوجاً
لأنه ما زال في عنفوان

الشباب ، ولم يلق في الأماكن
التي كان يغشاها تلك التي تغلب
على عوامل العزوبة في نفسه ، بل
كان يكتفي باللواتي يقضين لباتته
في لقاء صاحب ، تسبقه نشوة
الخمر وتعقبه لذة الذكرى . وكان
يذكر تلك الأيام والليالي جيداً
حتى التافه من حوادثها : واستمر
على تلك الحال بين العمل والهو
حتى التقى بالفتاة « جوتي » وكانت
امرأة مدرس صغير في مدرسة
ابتدائية ، وكان الزوج فقيراً
يكفيه مرتبه كمعظم أبناء صناعته

الذين تستغلهم الحكومة ليخرجوا رجال المستقبل ،
وهم يموتون جوعاً ، ويلاقون الويلات من شظف
العيش . ولكن جوتي .. ما أحلى هذا الاسم في فمه فقد
كان يتلمظ إذ ينطق به كأنه يحسو خيراً أو يستوعب
قطعة من الحلوى المحشوة بالجوز واللوز عند ما روي لي
قصتها وقصته بنفسه قبل موته بأيام قليلة قال : لم
تكن محبوبتي جوتي جميلة وصغيرة نحسب ، بل كانت

(اشتهر هذا الكاتب الذي نشأ في
مدينة كييف ، عاصمة مقاطعة پادوولي
بدرس أعماق النفس البشرية ، والاحاطة
بالعوامل النفسية التي تنتج عن تغير
أحوال الفرد بفعل القضاء والقدر
وهو يعتقد أن الانسان أداة عاجزة
و « عجينة لينة » في يد الفلك المدار
فهو ليس ملك نفسه ، وليست إرادته
بناقة ولا بشاعة إذا تحكمت إرادة
عليه . وقد وضع قصصاً طريفة تؤيد
نظره ، ونشر بعضها في مجلات
پرافدا ، و « ذرفي دانيا » وفي
مجموعة صغيرة دلت على علو كعبه في
فن القصة ، ولكن المنيه عاجلته في
منتصف العقد الثالث في عام ١٩٢٢
وهذه القصة من خير ما كتب)

كان صديق بوريا مقاولاً
وفناناً وقد درس صنعة الغارة
على أييه ، فقد كان معماراً شهيراً
شاد بعض قصور النبلاء وشارك
في رفع قوائم كنيسة سانت
أندريه في ساراتوف على نهر
القولجا . وكان له مال وفير ورث
بعضه عن أييه وحاز بعضه بجده
وكيده . فنشأ في العز والترف ،
وعاش عيشة راضية سعيدة .
وقضى شبابه في بطرسبرج عاصمة
القيصرية ، وكانت أجمل المدن
في نظره ، فكان شديد الإعجاب

بها ، يصفها بأنها ثمرة خير قران بين المدن والمرمر
والماء ، ولم يوفق البنائون في أنحاء العالم وفي كل
العصور إلى ما وفقوا إليه في تشييد قصورها ومد
جسورها وتزيين طرقها ولا سيما برسيكتيف نيفسكي .
فكان بوريا يعيش سعيداً بين عمله وبين إعجابه بمسقط
رأسه ومدينة أحلامه ، غير مكترث بما كان يقع
في قصورها وسجونها وحصونها من المظالم ؛ يرفه

كان حاضراً لما غير حضوره موقفنا ! نعم كنت أحبها على الرغم منه ومنها ومن العالم أجمع . لم يكن قدها ولا جمال وجهها وعينيها ولا رخصة أناملها ويديها ولا إبداع سماوتها هي التي فتنتني وحدها ، بل صوتها أيضاً ... صوتها ... كان هذا الصوت مزيجاً من الموسيقى وتغريد البلابل وهزات النسيم وسحر النغم الغامض وحنان الأم ، فاجتذبتني قبل أن أفيق من غشيتي لدى رؤيتها . لقد تمثلت لي فيها الأنوثة الكاملة وأردت في لحظة جنونية أن أرزق منها بفلام . لقد صرخت الطبيعة في أذني ، وتحرك كل ساكن في كيانى ، وفي لحظة أخرى عدت إلى نفسي فاحتقرت نفسي لانغماسي في الشهوات البخسة ، ورأيت ضرورة التغيير قبل أن أنبس بكلمة ، لأصبح رجلاً جديداً جديراً بحبها ، ولا بد من أن أطلق ماضى حياتي الملوثة بالدنايا قبل أن أفوز بيدها . هل تتخيل أن هذه المعجزة تتم في دقيقة واحدة على يد امرأة صغيرة ؟ ولكن المعجزة تمت ، فإن جوتي بادلتنى حيي ؛ ولم يكن الفقر وحده سبب مطاوعتها إياي وتبليتها نداء قلبي — لأنها كانت مستورة — ولم يكن نداء الجنس بالدافع الوحيد لها — لأن زوجها كان شاباً — وقد قالت لي إنها لا تشعر بالخيانة الزوجية ، لأنها أحبت بإخلاص ، وإن الذنوب لا يشعر بها إلا المرغم على اقترافها . أما الحب الطاهر ولو كان مشوباً بالتسليم فلا يشعرها بالخطيئة ، فقلت لها : يا جوتي الصغيرة ، يا جوتي الحبيبة ، يا حلم الملائكة ورمز هيلانة الهاربة في سبيل باريس الفارس الجميل ، كيف تقولين ذلك ؟ إنه ذنب ضد عقيدتنا ... فنظرت إلى نظرة قصيرة ثم أغضت ... هل هو عتاب أم تكذيب ، أم تغليب إرادة الحب على إيمان القلب ؟ لست أدري ! اللهم اغفر ذنب حبها إياي فقد أحبتني

ذات قدرة نادرة على تنظيم الحياة وتدير الدار ، حتى تمكنت من مطاردة الفقر ومحاربته بالفطنة . فكانت تعد الغداء والعشاء ، ولكن جسمها كان دائماً نظيفاً معطراً . وتبدو أناملها التي تمارس الطهي مرتين في النهار رخصة دقيقة لم يعلق بها أثر من آثار النار أو الدسم ؛ وكان شعرها أسود لامعاً ، أما عيناها فنبعان من منابع الجمال . كيف أصفهما وهما بلون القطيفة الخضراء وحولهما إطار بلون الشهد الذهبي ؟ أما ثيابها فقد كانت فتنة الفنان كأن مصوراً يفكر ثم يتذكر ، ثم يخرج فكرته ؛ فهي ثياب رخيصة ولكنها متقنة بل إلى ما فوق الاتقان . وهي التي علمتني أن الثوب ليس بضمن قماشه ولا بلون رسومه ولكن بدقة صنعه وتطريزه . كانت على فقرها محسودة من ربات الحجال من طبقة الأغنياء ، فتنجحت تلك الفاتنة في أن تعيش بالخيال وجعلت من حياتها وحبها حلماً رائعاً . فلما رأيتها أثناء زيارة فنية في بيتها الصغير في شارع پوشكين في الخط الرابع في الدور الأعلى من العمارة رقم ١١٧ ، نسيت نفسي ونسيت وجه الدفريك (البواب) الدميم الذي لم أر أقبح منه في حياتي . لقد نسيت نفسي حقاً وتساءلت أفي الأرض أنا أم في السماء ؟ وأحسست أنني تغيرت في طرفة عين ، وصرت رجلاً آخر ، لا أحب سواها ولا أفكر إلا فيها ، ووهمت أنها لم تخلق إلا لتسعدني ونسيت أنها متزوجة ، وأن لها رجلاً آخر يعاشرها ويسعى على رزقها ورزقه . وغاب عني شبحه وفكرته وصار في ذهني الملهب كأنه شخص خيالي لا وجود له في الحقيقة !! هل هذا هو ما يسمونه الحب للوهلة الأولى ، أو دقة الصاعقة ؟ لا أدري . والعجب في أمرنا أنها هي الأخرى أحبتني منذ تبادلنا النظرة الأولى ؛ وكان زوجها غائباً بالطبع ، وفي ظني أنه لو

وأنقذتني . عجيباً ! هل يمحو ذنب واحد ذنوباً جمة ؟
 هذا هو الذي حدث . فإني بعد حبها أصبحت بريئاً
 كالطفل . لقد أحبتني لأنني كنت مريحاً وكنت
 غنياً فكانت من التمتع بما كانت محرومة منه من
 ملذات الحياة . صحبتها إلى المسارح الراقية وأسعته
 شليابين غنى ، وكارين دمنسكي تمثّل ، وأريتها ايزيدورا
 دنكان ترقص ، وسقيتها كؤوس البيرمنت والفودكا
 الغالية والبندكتين اللذيذ بعد العشاء في مطعم
 بورترزيف ، ولم تكن تحلم بأن قدمها تطأ أرضه ؛
 ورأت انعكاس أضواء المدينة على نهر النيقا ، وتلاؤ
 أنوار قصر الشتاء على الجليد . وخلوت بها في بيوت
 جميلة ، فكانت تقول لي : « إن قلبي يتحدثني يا بوريا
 العزيز بأن هنائي بك قصير الأجل ، ولكن لا عليك
 فقد حييت واستمتعت » ولا أستطيع أن أذكر
 لك كل ما رأيته وسمعته منها فلم أحفظ بصورة من
 صورها التي صنعتها بنفسي في الحداث وفي ظن
 الأشجار وعلى موائد الطعام . ولم أستبق رسالة من
 رسائلها ، فقد سلمتها إليها يدأ بيد ، كالعرف السائد
 في زمننا ، فإن العاشق لا يحفظ رسائل معشوقته
 المتزوجة ...
 ولكن كل ذلك انتهى فجأة وأنا المذنب الملوّم
 حقاً فقد بدأت بالقطيعة ولا أدري ما السبب ، سوى
 رذيلة اللال من الشيء الواحد ، وبطر الرجل حيال
 المرأة الخاضعة ، وغريزة الزهد فيما يمتلك . فإن النفس
 تنزع من ظلام الجحود أسباباً للفرقة . لقد تألمت
 لفراقها وشعرت بظمن الحناجر عند ما قالت لي لذي
 لقائنا الأخير : « ألم أتنبأ بأن سعادتنا قصيرة الأجل ؟
 إنك مثل كل الرجال ، وإن لم أكن عرفت سواك ،
 فأنت تنبذني بعد أن فرغت من غايتك . وأصبحت
 لا تقيم لي وزناً ، ونسيت كل عهدك . لقد سالت

السييل التي يسلكها أمثالك ، فأنا لا ألومك ،
 ولكنني أحبتك وصدقك ولا أندم على حبك ،
 ولا أستطيع أن أستعطفك أو أحرك شفقتك فليس
 في وسعك أن تحبني بعد أن زهدت في ؛ وليس في
 وسع أعظم الرجال أن يقدم الكرامة على العاطفة
 فإن ملالك عند وصلك إذا انتهى الحب يكون أقتل
 لي من عذابي بعد هجرك . لو كنت امرأة أخرى ..
 لو كنت عذبتك وأذقتك لوعة الدلال والبند ،
 وبعثك صفاء قلبي غالياً ، لبقيت طول حياتك على
 حي ؛ ولكن طبيعتي لا تتغير ، وقد جدت لك
 بنفسى منذ أحبتك فكانت عاقبتى مرارة البعد . لقد
 أفسدت حياتي يا بوريا ، فلن أصلح لأكون زوجة ،
 بل لن أصلح للفساد بعدك ؛ فأما راهبة وإما منتحرة ،
 فأيهما يحلو لك ؟ أفتني في هجري كما أفتيتني في حي .
 قل بالله عليك ولا تضن علي بتصحك » فكانت
 كلماتها كوخز السنان في قلبي ، وكانت الدموع لا
 تكفي لتمحو ألمي ، كما كان الرجوع إلى سابق عهدنا
 مستحيلاً . بعد أن انمحي العقد الذي كان يربطنا ،
 وانتزعت كلماته الممزقة فوق رمال القطيعة الجديدة
 كالصحراء ، فرجعت إلى صديقي كركنكو بيليتا نوق
 - قاتله الله ! - فقد كان فاسقاً مستهتراً ، وكنت هجرت
 منذ عرفت خبيثتي المخلصة جوتي . وقلت له أسمع :
 إنها تذكرني بالندم ، زاعمة أنني لن أجد سواها فيمن
 يماثلها من النساء . فقال لي : كلهن يقلن هذا القول
 لاستبقاء الرجل المحبوب ؛ أما إذا فرغت قلوبهن من
 حبه ، فلن يعمرنه أقل لفته ، ولا يشغفن عليه ولو تمرغ
 في تراب أقدامهن ولو تمزقت أحشائوه أمام أعينهن .
 الأولى لك يا صديقي أن تعف عن الطعام ونفسك
 تشهيه . أنظر هنا يا بوريا . أنظر هنا ، الأولى لك أن
 تبدأ بالانصراف قبل أن تفاجئك هي بالحجر -

فأحدث الخبيث بيليانوف في ذهني صورة قبيحة
قائله الله ! ليتني ما أسكرته فقد صار بعد الثودكا
أسلط لساننا وأقبح لفظاً وأجراً على الكلام القارس .
يا لك من عدول لئيم يا بيليانوف .. لم يكن اللئيم خالياً
من الأغراض . فقد كنت هجرته فيمن هجرت
من الأصدقاء بعد حبى إياها ، وقد كفتني الاجتماع
به وبرفقائه في الحانات والملاهي والمغاني الصاخبة
فقنعت بها دون كل الناس . فكان يروق له أن
يستردني لأعود سيرتي الأولى . أليس هذا عجيباً ؟
لقد كان يغار منها وهو لا يعلم ذلك ، أو يعلمه ويخفيه
عني ليظهر أمامي بمظهر الناصح المخاض
فقلت له قبل أن يصيبه الصداق :

— ولماذا لا تنصح لي أن أتزوج ؟ فقال : آه .

الزواج ! هذا شيء آخر . دعنا نخاض أولاً من
الخليلة ، حتى نبحت عن الخلية

قائله الله وجميع القديسين ! لقد كان جوابه
حاضراً وبديهة سريعة فأقنعني قبل أن يصيبه صداق
الثودكا المحتم . وصحت عزيمتي على هجرها فحلت بين
نفسي وبينها وأنا على أشد الألم ، فتغلبت في النهاية
بعد أن ذقت الأمرين . فقد كانت صورتها لا تفارقني
في الليل والنهار ، وكنت أحلم بلقائها ووصلها وأسمع
أنيها كأنها ضجيعتي ، وأندوق حلاوة لسها وهي
بعيدة عني حتى لقد هممت المرة بعد المرة أن أثوب
إليها ، وأعود راكماً بين يديها

وتخيلت فرحها إذ ذاك فكنت أجن من الوجد
ولسكنني قاومت وقاومت حتى فزت بالنسيان ، ولست
أدرى بالدقة كيف عشت بعد هجرها ؛ وتلهمت
بالانكباب على عملي ، وقطعت علاقتي ببيليانوف
وأشباهه وطلقت حياة الرقص والخمر ونفست عن
كاهلي حياة الفجور كما ينفذ الشخص ثيابه في يوم مطير
وتفرغت للبناء وجمع المال فربحت فوق ثروتي
أرباحاً طائلة ، وصرت المقاول المعروف بالمهارة في

إن الحب حرب بين الجنسين يا أخى ، ومن المهارة
في الحرب أن تنسحب من الميدان قبل أن يتال منك
خصمك أو يجهز عليك ، والإجهاز هنا أن ينتهي
حبها إياك وأنت متعلق بها فالويل لك ثم الويل لك .
واعلم أننا جميعاً نفعل مثلك : نغازل النساء المتزوجات
ثم نودعهن وداعاً لا لقاء بعده . فافعل كل ما يفعله
أبناء جيلك ولا تحسب أنك تذهب في حقها .. وإذا
كنت تعلم أنها فقيرة ، وأنها متشبثة بك لفنالك ووفرة
مالك فلا بأس من أن تعرضها بنفحة أو بسطة
كف تستعين بها على نسيانك وتجديد حياتها في
ظل زوجها الأنوك !

وعندما سمعت منه هذه الكلمة قلت له : احرص
أيها النذل ؛ فإنها ليست من هذه الطبقة وليست
على هذا الطراز . إن هذه الطفلة الوادعة تنقلب دُباً
لتنشب أظفارها في وجهي إذا قدمت لها المال ...
ثم أنت تغتاب رجلاً جنيتُ أنا عليه ! فغضب
بيليانوف . وقال لي : أنا نذل .. ؟ أنت حمار ، لن تستريح
حتى تهق . فأعجبتني النكتة وضحكت وصالحته . هذا
العدول الخبيث بيليانوف . اصطلاحنا وسقيته قنينة
من الثودكا الرخيصة الثمن لأنني كنت أكره أن
أراه يشرب النوع الذي كانت جوتي تشربه متى
فأردت تسميمه لأجل الذكرى . وبعد أن تلذذ
بيليانوف بالخمر ، وقبل أن يصاب بالصداق المحتم قال لي :
أنا أعلم يا بوريا أنك رجل شريف ، تذكره
السرقة وتأبى المثل في السداد وتبغض خيانة الأمانة
وترفض أن تهضم حقوق الغير ، وهذه عادات كسبتها
بممارسة أعمالك ، ولكن أن تستمر على حب امرأة
أحبها غيرك ، هذا الذي لا تطيقه بطبعك . إنها
كالنواة التي يلفظها من أكل الفاكهة ، أترضى أن
تعيش على النوى ؟ إنها متزوجة كما تقول ، فلها
رجل آخر لا تقدر على رده ...

وقضت على البقية الباقية من مالى . وغادرتى التوفيق
وابتعد عنى أصحابى وعادانى أشدهم لؤماً ، ماعدا
بيليانوف ، لأنه لم يكن يعطينى شيئاً ولا يضيره أن
ياخذ من غيرى . وألقى بى المجتمع الذى كنت يوماً
من سادته ، ولكن الحالة الجديدة لم تجعل سيداً
ولا عبداً . وكان يعزىنى أن القيصر وولى عهده
والقيصرة وبناتها لم يكونوا أسعد منى حظاً ، ولكن
هذا القول كان وهماً ؛ ولكنى كنت أتوهم ما هو أعظم
منه وهو أننى سأعود يوماً ما إلى الثراء بعد الحاجة ،
واليسر بعد العسر ، إذا نفضت عن كتنى غبار
اليأس القاتل ، وصورة الثروة التى أستردها لما تفارقتى ،
وكانت تحارب أمام عيني شبح الفقر الذى يهددنى ،
فكنت أحسب أن لى قريباً مجهولاً سوف يهلك فى
أمريكا وتوافىنى ثروته على عجل ، أو أن يكون لى
كنز دفين فى أحد البيوت التى بنيتها . وتملكت
هذه الفكرة نفسى فعاد إلى بضيض من الرجاء
وظفرت بصفقة رابحة عدتها فاتحة الخير وبداية
الفرج بعد الضيق . وكان الجنود المائدون من
الميدان يملأون الحانات ، ولا سيما فى حى بطرس
وبولس بجوار الحصن الشهير ، فغشيت ليلة إحدى
هذه الحانات التى كانت مكتظة بالشاريين من عسكري
الدولة التى بدأت تتلون بلون الثورة ، وكانت خجة
الجنود وهم يتجرعون القودكا تملو وتتضخم وتهز
أركان المكان . كما انعدت فى سقفه الأسود سحب
من دخان طباقهم ، وأخذوا ينظرون إلى شرراً
لأننى لم أكن أختال فى ثياب كشيابهم ، فطلبت من
الساقى قنينة من القودكا لأحرف أنظارهم عنى فتغير
نظرهم إلى من الحقد إلى السخرية ، كأن الخمر كان
وقفاً عليهم .. ولكنهم فى الحق كانوا يتساءلون فيما
بينهم عن علة قعودى ، لماذا لا أخوض غمار الحرب
التي خاضوها ، وأبقى فى العاصمة منعماً بالحرية

عمرى والاناقة فى شخصى والاستقامة فى خلقى
وبلغت ذروة الانتصار المادى وتكدست أموالى فى
المصارف ووثقت بى الشركات ورجال الأعمال
وتمكننت من التصرف فى ملايين الروبلات واتصلت
شهرتى بفنلندا فنبتت للقيصر قصراً على شاطئ
البحر وأعددت له مرسى ليخته الذى كان يعتمد
عليه فى فراره . أتعرف تسارسكوى سيلو ؟ نعم !
أنا الذى أشرفت على بنائه وسافرت إلى الغرب .
وزرت إيطاليا وفرنسا ودرست كل طراز للبناء
القديم والحديث . وأخيراً حننت إلى البيت
والثوى والركن الركين والرجولة المطمئنة الآمنة
بالمال واليسر والرخاء المضمون . فتزوجت من فتاة
جميلة ورزقت أطفالاً وبينهن بنت أسميتها جوتى
(لأجل الذكرى التى كانت تتجدد) . ثم جاءت
الحرب العظمى واضطربت الأحوال وارتبكت
الشؤون ونفخ فجأة فى صور الثورة . وصار كل
شئ إلى الفناء المقدور ، إلى العدم . وحل الفشل
محل النجاح وماتت الزوجة وتشتت شمل الأطفال ،
فلا أدري أين هم . وقابلنى بيليانوف وكان لا يزال
يسكر ويلهو ويعتمد على الغير فى نفقاته ، فلما رآنى
وسمع قصتى قال : لا تبتئس فان جان جاك روسو
كان له خمسة أطفال ألقى بهم جميعاً فى ملجأ اللقطاء !
لست أعلم منه ولا أعقل ولا أغنى . لقد كان
فيلسوفاً كبيراً وألف أحسن الكتب ، وأنت ،
ما أنت إلا مقاول ومعمار . وإن العالم كله أضنى إلى
تعاليمه وهو لا يعلم إن كان أولاده أحياء أم ذهبوا
إلى العالم الآخر ، إن كان هناك عالم آخر ؛ المسألة
ترجع إلى اعتقاد روسو . فسرى عنى وأنا أعلم
خبثه وقبلت كلامه على علاته بحكم اضطرارى
لقبولة . وعدت إلى شرب الخمر ولعب القمار من
جديد ثم مارست أعمالاً فأحرقت الأخضر واليابس

الماضي الحالك .. من مخزن التصاوير القابع في ذهني
كأنه صراف بخيل ... لا يقدم الأشكال والرسوم
إلا بحساب أي حساب

لقد تجاهلتنى وابتعدت عني وثارت على
الترحيب بأضيافها حتى لم يحرم أحد من الخطوة منها
ببسملة أو نظرة عطف مصطنع أو كلمة عذبة أو وعد
بلقاء قريب .. وكانت « خطة السير » قد ساقها
مصادفة أو بقصد غامض نحو المنضدة التي طرحت
عليها أعباء همي ووهمي ومددت ليديها بساط خسارتي
وندمي ، فلما دنت مني حدثت في ، ودهشت ، ثم
تراجعت وقالت لي وهي تضحك ضحكة الألم والسخرية
والندم والحجل ، ضحكة لم تكن تعرفها جوتي الأولى ،
وأقنيتها هذه الثانية وقالت لي :

— أنت هنا ؟ في الحانة ؟ لقد التقينا . إن
العالم صغير ، ولا بد للأحياء أن يجتمعوا مهما
فرقت الأيام بينهم . أنظر إلى ماضيتي يحق لك أن
تفتخر . أنا مخلوقتك ، بل قل مخلوقة حبك ، إن
شئت . فأحيت رأسي الماء وحسرة فقالت لي :

— إرفع رأسك يا بوريا ولا تخجل . إن الصانع
لا يخجل من صنعته ، وأنا صنعة يديك . لم يكن
يتقصني إلا أن أراك ، وها أنا ذى قد رأيتك . ثم مدت
لي يدها — تلك اليد التي طالما قبلتها وبللتها بدموعي
وبقيتنا هكذا برهة لا أدري هل طالت أم قصرت
لأن نفسي كانت فريسة الانفعال والعواطف ورأسي
كأحد مصانع الأسلحة والدخائر ؛ ثم شعرت أنها
تسترد كفها من يدي ، كما لو كانت حلية تخشى
عليها من سارق يقلبها بين كفيه ليسلبها ، وحولت
عينها عن عيني وقالت : الوداع يا ... بوريا

في صباح تلك الليلة عثروا في نهر النيفا على جثتين
الأولى لرجل في الأربعين من عمره والثانية لامرأة
في مقتبل الشباب . بوريا وجوتي !

محمد لطفي جمعة

والسلامة ؟ ولو علموا الحرب التي أعانها لأشفقوا
على فاتها كانت أحمى نارا وأحرق أواراً من حرب
القنابل ، فإن الموت كان خيراً مما أنا فيه . وطالما
حسدت بطل تولستوي « الميت الحي » ولكن أنى
لي بنعمة الموت المنقذ ؟ وبيننا أنا مستغرق في وحدتي
والألم يحز في نفسي ، والندم على دخولي هذا المكان
يكاد يمزق أحشائي ، وإذا بامرأة ظهرت تحتال
وتتبختر وتبضى وتتلأأ كالكوكب الدري في
ظلام تلك الحفرة المدهم ؛ كانت تلبس ثوباً من الحرير
الأحمر يماثل ثياب ضباط الفرسان وفي يدها عصا
صغيرة من العاج . فلما دخلت ساد السكون واتجهت
الأنظار إليها ثم أخذت تنظر وتنتقي ما طاب لها من
الشبان والكهول وتوزع الضحك والكلمات
العذبة والنظرات الفاتنة ذات اليمين وذات اليسار .
وجأة انطلقت الألسن بعبارات الإعجاب وتبدل
المبوس بالابتسام والضحك ، وأخذوا يستعطفونها
ويقدمون لها الأقداح ؛ وقد ينهض أحد هؤلاء
الجنود الظمآنين إلى الحب فيلمس يدها ثم يقبض عليها
ويضع على أناملها قبلة حارة . وكانت المرأة تقابل ذلك
كله ببشر وسرور ومرح ، وترحب بالفاظ الحب
بنظرة دلال ، وتبادل بعض الضباط نكات لاذعة
ولكنها في حدود الأدب ، فاقبلت الحانة الجهنمية
روضة من رياض النعيم . وعلى غير انتظار رأيتني .
والتقت عينانا ، فأعرضت عني أولاً .. ونجهم وجهها
وتغيرت حالتها . وفي شبه حلم خيف عرفتها هي ..
جوتي .. لقد أخبروني أنها ماتت في جزيرة القريم
منذ ثلاثة أعوام بمرض الصدر ... كذبوا وهاهي
ذى على قيد الحياة ، جميلة رائعة ، ولكنها تبدلت .
صدقوا ... إن جوتي التي عرفتها وأحببتها وقاطعتها
ونسيتها قد ماتت ، أما هذه فامرأة أخرى وأسفاه ...
إنني لم أستطع أن أنتزع صورتها الأولى من ظلام

خيال الحب

للكاتبة الفرنسية أندريه بيرابو
بقتله محمود السيد شعبان

ومع ذلك فقد جرى
غناها مثلاً على السنة
الناس في إقليمها وما
جاوره . وكانوا كثيراً
ما يقولون إن أموالها
ستؤول كلها في نهاية
أمرها إلى خزنة الحكومة ،
ولكني قد علمت الآن أن
أمريكيًا قد اشترى قصرها

الفسيح ؛ وذكري هذا مثلاً محلياً له علاقة بهذا
الموضوع كنت قد سمعت امرأة تقول يوماً لابنتها ..
ورأيت في يوم من الأيام - بينما كنت أطل
من إحدى نوافذ الفندق امرأة نصفاً تجمع أزهاراً
في الحديقة ، وكان الشيب قد وخط شعرها
وظهرت على جبينها تجاعيد تم عن الكبر . وما إن
رأيتها على ما هي عليه حتى اعتقدت تماماً أنها تؤدي
وحدها أكبر نصيب من العمل في الفندق
ودخلت حجرتي خادمة فسألتها : « هل هذه
التي أراها هي الآنسة (دي بارديلاك) ؟ » فقالت :
« إنها هي » ...

وأخيراً رأيتها في إدارتها الصغيرة - وكانت
تعد مفارش من الكتان - فحيتها وذكرت
اسم (بارديلاك) فأدارت وجهها إليّ في حدة
وسألني عما إذا كنت أعرف شيئاً عن هذا
الاسم ... ؛ فحدثتها عن المنزل ، والنهر الذي ليس
يبعد عنه ، ثم عن (الجارون) وهو قريب منه ،
وذكرت لها بعد ذلك أسماء كثير ممن تعرفهم ،
وتحدثت عن السيدة الهرمة التي رأيتها في العربة
الصغيرة ثم سألتها : « هل كانت تلك السيدة

رغبت في أن أقضي أياماً على بحيرة (ليمان) ،
ولما كنت حريصاً على ألا أنفق أكثر مما في طوق
فقد رأيت أن تكون إقامتي في فندق (بلاير) .
وعند ما سألت هناك عن الشروط أعطيت كتيباً
عليه اسم صاحبة الفندق الآنسة (أوجيني دي
بارديلاك)

وقد أيقظ هذا الاسم الأرستقراطي كثيراً
من الذكريات في نفسي فتذكرت بيت عائلة
(بارديلاك) الفخم الذي كان في النهاية القصوى
من فرنسا بالقرب من مدينة أعرفها جيداً .
وأصدقك القول أنني كنت أعشق ذلك البيت
القديم الشريف الذي كانت تكتنفه حديقة فسيحة
فيها بحيرات عدة . وكنت أرى في بعض الأحيان
مالكته وهي عجوز فانية عند ما كانوا يتنقلون بها في
أنحاء الحديقة وهي جالسة في غربتها الصغيرة

وكان سكان المدينة كثيراً ما يسخرون منها ، فهم
يقولون إنها تملك قصرًا جميلاً ولكنها لا تستطيع
أن تتمتع به ، وخيولاً كثيرة لا تستخدمها في شيء ،
ومطابخ عوج في جنباتها الطاهون بالرغم من أنها
لا تعيش إلا على اللبن

وكانت عمتي تثير الإعجاب بما تعمله في يوم ميلادها ؛ إذ كانت تنفق المال في ذلك اليوم بغير حساب ؛ وكان أقاربها يأتون إليها من الأماكن الدانية والقاصية كل يرجو صلاحها ؛ ومن أجل هذه الصّلات كان الرجل الذي لا يستطيع الحضور بنفسه يرسل زوجته لتذكر عمتي بنصيه . وقد ذهب والدي معي في ذلك اليوم بالرغم من أننا كنا نسكن على بعد ثلاثين ميلاً من دار « بارديلاك » وإلى لعل يقين الآن من أن أبي وأمي كانا يتوقعان بذهابهما معي إلى عمتي خيراً كثيراً بعد ما أيقنا أن وجودنا عندها ما كان يبعث إلا السرور والإعجاب في قلبها ؛ وما كان ينال بعض ذلك أحد أقاربها الكثيرين الطامعين ، ولذلك كان أبوي من أسبق الناس إلى اكتساب صلاحها

وإني لأذكر جيداً أن عمتي قالت لأمي ونحن نتأهب للعودة : « إن فضائل الإنسان هي التي توصي خيراً به ؛ وقد أجمعت رأيي على أن أترك لك كل ما أملك ... »

ولم يكن هذا كل ما حدث ، فقد جمعت عمتي أقاربها الآخرين قبل ذهابنا ثم ذكرت لهم وهي تفرع الأرض بعضاً في يدها كل ما تعتقده فيهم ، فقالت لهم إنهم منافقون يتملقونها لينالوا أموالها ، ثم طردتهم بعد ذلك من منزلها . وبذلك ظهر الأمر أكثر وضوحاً لأبوي ، وما كان في حقيقته كذلك أو ما كان على الأقل سهلاً ميسوراً كما وقع في ظنهما ...

وفي الخامس من أبريل من العام التالي ذهبنا إلى عمتي جميعاً في أبعد زينة وأجل ثياب . وكانت تعاملني عند ما كنا عندها معاملة فيها القفاظة

عمتك ؟ » فمزت رأسها بالإيجاب .
فقلت : « ألم تذهبي إلى منزل (بارديلاك) في الأيام الأخيرة ؟ »

فأجبت — وهي تلقي مفرشاً على الكوم الذي أمامها : « إنني لم أذهب إلى هناك منذ إحدى عشرة سنة »

فقلت : « ليس من الممكن على كل حال أن يكون قد نسيك الناس هناك . وإن كنت لا أعلم أتعرفين ذلك أم تجهلينه ؛ ولكنك ولا ريب قد صرت مثلاً بين الناس هناك ... ؛ فقد سمعت امرأة تصيح في وجه ابنتها قائلة لها : إنك قد فقدت عقلك وصرت غبية كنتك الآنسة « دي بارديلاك » التي فضلت الحب على ثروة كبيرة !! »

فتهدت الآنسة (دي بارديلاك) وقالت بعد قليل من التفكير : « إنهم ولا ريب يقولون ذلك !! » ثم ضحكت فجأة ، وما كان ضحكها مما تراح الأذن إلى سماعه ؛ فقد خُيل إلي أنه يخرج من قلب صيغ من صوان صلد ؛ واستمرت تعد مفارشها الكتانية ، ثم التفتت إلي بعد دقيقة وتكلمت كما لو كانت تم حديثاً :

— « سبعة عشر عاماً .. سبعة عشر عاماً طوالاً ! لقد عشت مع عمتي سبعة عشر عاماً بطولها وما كنت إلا خادمة أو ما يشبه ذلك عند ما جئت إلى هذا الفندق أول مرة ؛ ولكن ليس هذا ما يهمنا . لقد كنت خادمة عند عمتي ، بل كنت أقوم بما يعمله الخدم جميعاً على اختلاف أعمالهم ؛ وكنت صبية صغيرة عند ما ذهبت إلى منزلها أول مرة وما نسيت ذلك اليوم أبداً ، فقد كان الخامس من شهر أبريل وهو يوم ميلاد عمتي ! »

والشراسة ، كما كانت تمزح مع أبي مزاحاً مرأ مؤلاً
لأنه خسر شيئاً من المال في صفقة عند مسجل عقود
ومع ذلك فقد عرضت علينا عند ما كنا
تأهب للعودة إلى دارنا أن نمكث عندها ليلة
أخرى ، وكأنما كانت هذه الدعوة امتيازاً مازتنا به
من بقية أقاربها

« ثم قالت : إن في منزلنا هذا خمسين حجرة
للنوم ، وإني أدعوكم للانتظار عندي إلى الغد » ...
وكانما أغرقت أبي وأمي في بحر من كرمها
بهذه الدعوة فقد أوهمهما هذا أن ثروتها قد صارت
أكثر قرباً منهما وأنها سينالانها دون ريب . وبينما
كنت في حجرتي الكبيرة التي اخترتها لنفسى من
البيت الفسيح سمعت أبي وأمي في الحجرة المجاورة
يهيئ كل منهما الآخر ضاحكا مستبشراً ... غير
أن ما حدث في اليوم التالي لم يكن مما يبعث على
الطمأنينة ، فقد تجاهلت عمى وجودنا ، وكانت تسخر
من أبي سخريتها المؤلة بين الحين والحين

ولما أعد طعام الغداء لم تعرض عمى علينا
أن ننتظر ، فلم يجد أبي بدءاً من أن نعود إلى دارنا
بعد أن أهانت عمى وحقرته . وكان أبي في هذه الساعة
مكتئباً منقبض النفس . ولما عرضنا عليها عزمنا على
العودة لم تمنع في ذلك وقالت لنا : « معكم الحق ،
فلکم أن تذهبوا ولكنى سأبقى هذه الصبية معى
لأنى في حاجة إلى رفيق ؛ وقد خطر لى هذا أمس
عند ما شاهدت بنفسى نمو جسمها وحسن خلقها »
وأذهل الأمر أبى وأمى وحيرهما قليلاً خوفاً
من أن يفقدا الثروة الموعودة إن رفضا ما عرضته
عليهما عمى . ثم ضماني إليهما بحرارة ما أحسست
بمثلها من قبل عند ما ودعاني في ذلك الصباح

وما أظن صادقة أن أبوى كانا يعتقدان أنهما
قد أساءا إلى بتركي مع عمى ، فقد كانا يظنان أنى
سأظل عندها بضعة أسابيع لا غير وأنى سأذهب
إليهما متى أشاء وأعود متى أحب ، وما علما أن عمى
إنما كانت تريدنى عندها خادمة خاصة أتبعها
ولا أتركها ، وأخدمها على الرغم منى بعد أن يئست
من أن تجد لها خادمة تقبل أن تكون كذلك وترضى
بمثل هذه الشروط ...

وكنت بالطبع أسكن عند عمى ، وكانت
تكسونى وتطعمنى ، وكان أجرى عن عمى مأسأته
عنها من ثروة كبيرة عند ماتموت . وما كنت أظن
أنها إنما أخذتنى صغيرة لتدلى وتخضعنى لسلطانها .
وعند ما أدرك أبواى حقيقة الأمر وعلمما بما هو
واقع لم يحتجا على هذه المعاملة ولم يغضبا حياء للثروة
الموعودة والغنى المنتظر ...

وبدأت حياتى على أن أكون رفيقة لعمى
وورثة لها . وما بلغت الخامسة عشرة من عمى
حتى كنت قد أدركت تماماً أن أقل نسيان أو أدنى
إهمال أو أصغر كلمة فاجئة فيها شىء من عدم اللياقة
ستفقدنى مال عمى وثروتها . ويمكنك من هذا أن
تفهم كيف كنت أرقب مستقبلى وكيف كنت
أخشى أن أخطى فأرتكب غلطة ... وعلى هذه
الحال عشت سبعة عشر عاماً !!

لم يكن هذا أشد الأمور مرارة على نفسى
فقد كانت عمى لا تسمح لى بأن أستريح يوماً فى
حياتى أو أخلص ساعة إلى نفسى إذ كنت لا أفرغ
من العمل أبداً . لقد كنت قبل أن أعيش مع عمى
صبية نامية الجسم ضاحكة الوجه . وقد تغير هذا
كله سريعاً وتبدل فلم يبق منه شىء ، إذ جعلتنى

تطرد الواحد منهم أو الجماعة فيتركونها ، أما أنا فقد بقيت وحدي عندها لا تطردني ولا تبعدني عنها
« وجاء يوم ميلادها فاستقبلت أقاربها ، وكان بعض أبناء أخوالي فتياناً مرحين فتبادلنا بسماً معسولة ، ولكنني كنت أشعر طول الوقت أنهم كانوا كاذبين فيما يظهرون لي فقد كانوا ينظرون إليّ من طرف خفي كما ينظرون إلى عبدة لهم و... و... ولكن ما كنت أستطيع أن أقول شيئاً . إن الواجب يحتم على الوريثة المنتظرة ألا تفقد عقلها... وألا تفقد قلبها... !

وكانت نضرتي قد ذبلت قبل أن أبلغ الثامنة عشرة من عمري ، فجف عودي ، فما أنا بالفتاة وما أنا بالمرأة ؛ وكنت أعجب كيف تستطيع مثلي أن تعيش ، وما كنت في الحقيقة إلا شبحاً كالح اللون ينتظر نعل امرأة ميتة ، ومع ذلك فما كنت تملكني إلا فكرة واحدة وهي أنني يجب ألا أغضب عمتي (إيرين) ...

« وكان قد لمسني الغرور من قبل عند ما رأيت أنني قد صرت فتاة جميلة ساحرة . ولكن هذا كله قد أصبح جزءاً من الماضي الذي فات والغابر الذي مات . فهأنذا أرتدى الملابس السود ولا أعتني بشعري فأصلحه أو أرتبه في أي شكل من الأشكال . وهأنذا قد أصبحت نحيلة الجسم صفراء اللون حتى صرت في الثامنة عشرة من عمري صورة رمزية لعانس لم تزوج... »

فسألته : « ألم ترى والدك في ذلك الحين ؟ »
فأجبت : « كنت أراها مرتين تقريباً في العام ساعتين فقط . وما كنت تسمح لي عمتي إلا

العبودية التي أعانيها منافقة كاذبة ، ووضعت في طبعي المكر والخبث ، ومحت من شفتي كل ضحك وابتسام . لقد كتبت مرة أو مرتين إلى أبويّ أتشكى وأتظلم ، ولكن أبي أرسل إليّ رداً جميلاً ساحراً وقال لي يشجعني إنني سأجني من وراء هذا ثروة كبيرة... !
« كانت عمتي غنية جداً ، ولكنها كانت مقعدة كسيحة ، وقد جعلها هذا الداء امرأة غريبة الخلقة والخلق ، تكره كل إنسان ، وتمت كل شيء . وكانت تحتم على خدمها بل على كل من يتصل بها طاعة لها لا تتغير . والأعجب من ذلك أنها كانت تثور ، وتكاد تتميز غيظاً إن رأت أحداً يضحك أو تظهر على وجهه مخايل السعادة والبشر . وكانت لا تسمح لي بالذهاب إلى الحديقة بمفردي ، بل كانت لا تسمح لي بأن أتركها أو أبتعد عنها لحظة واحدة ؛ وما كانت لي إلا فرصة واحدة أتمتع فيها بالجرى وحدي في البيت وذلك عندما كانت عمتي ترسلني لأبحث لها عن منديلها أو عن قبعتها المصنوعة من القش...

« لم يكن لها أصدقاء ، فإن أتاها زائر قلنا إنها غير موجودة ، وعاشت بذلك في عزلة . وما كانت تذهب حتى إلى القدامس في المدينة ، ولو ذهبت لانهزمتها فرصة أرى فيها الناس . وكان كاهن الكنيسة يأتي إلى منزلنا ليتلو علينا نحن الاثنين قدّاسه في إحدى الحجرات ، ثم يتلوه بعد ذلك على الخدم في الفناء الخلفي للدار . وكان الطبيب يأتي عادة في موعده ، ولكن عمتي أساءت إليه مرة إذ وصفته بالغباء على مسمع منه . أما جماعات الخدم فما كانوا يمكثون طويلاً عندها إذ كانت تغيرهم بين الحين والحين ، وكانت

« واقرب مني في يوم من أيام ميلادها اثنان من أقاربها وقال لي واحد منهما دون أن ينظر إلي : « إن عممتك تعجز عن أن تعمل أي شيء إن لم تكوني ملازمة لها » . وقد خيل إلي أنه لابد أن يكون كل واحد منهما قد فقد بنتاً له في الخامسة عشرة من عمرها ، تشبهني لأنها صارت ميتة ، ولا تشبهني لأنها كانت سميدة !! »

« ودارت الأيام دورتها فصارت عمتي أشد قسوة من قبل . فما أكاد أمسك كتاباً حتى تطلب مني شيئاً ، وما كنت في حقيقة الأمر غير كلب يرتدى ثياباً أنيقة . فما كان عليها إلا أن تنادي صاحبة : « يا أوجيني ! » حتى أسرع إليها . وكثيراً ما كنت أخجل عند ما كانت تناديني في لهجة معيبة فإن نادتنى غاضبة اندفعت أبكي ... سبعة عشر عاماً !! »

« وذات مساء ... هذا شيء مضحك ! ... ذات مساء — بعد سبعة عشر عاماً !! » ، وسكنت بضع دقائق ؛ ثم قالت : « كان ذلك في السابع عشر من أغسطس فانا أعرف هذا اليوم كما أعرف يوم ميلاد عمتي ... كان هذا اليوم عيداً محلياً من أعياد المدينة ، وكانت عمتي (إيرين) تكرر هذا اليوم لأن الناس يجتمعون فيه ويمتعون أنفسهم بما يشتهون من لهو وصرح . وكان النساء ساكناتاً جيلاً ولذلك تناولنا عشاءنا على سطح البيت كما هي عادتنا في ليالي الصيف الجميلة الصافية

« وأثار الدفء الدم في عروقي ؛ فجلست — بعد أن فرغت من عشائي — على السور الحجري ،

بزيارة عاجلة لهما ، أما هما فكان يخشيان الحضور إلى بيت عمتي (إيرين) خوفاً من أن يخطئاً فيقولوا أو يفعلوا ما يفضيها

« ومرض والذي مرضاً لم يرج له شفاء منه . وقبل أن يموت قال وهو يبسم لي ابتسامة كلها ألم : « ليس في يدي شيء أستطيع أن أتركه لك يا طفلي المسكينة ؛ ولكنك سوف تنالين عما قليل كل ما تريدين ! » . ولم تعش أي طويلاً بعد وفاة والدي وقالت لي قبل موتها : « كم كنت أتمنى أن أعيش حتى أراك تملكين ثروة عممتك (إيرين) كلها !! » « آه من هؤلاء النسوة العجائز الثريات !! .. إن الواحد منا ليكاد يعتقد أنه لا يمكن أن يؤذيهم شيء أو يضرهم أو يغير منهم . ولكنهم مع ذلك يفزعون عند ما يصيبهم أذى ، وقد كنت أنا فزعة هلعاً مثلهم لأنني كنت أخشى أن تصدر مني هفوة بسيطة أفقد بسببها كل ما أضعت صباي من أجل الحصول عليه ... »

« وظل أقارب عمتي يأتون إليها في يوم ميلادها الخامس من إبريل من كل عام . وكانوا يأتون من أقاصي فرنسا ، وكنت في بعض الأحيان أتهد وأزفر بالرغم مني عند ما يرحلون عنا ، وكانت تملأ خاطري أحياناً رغبة خفية في أن أبتعد عن عمتي قليلاً فأقول لنفسى : « آه لو كان في مقدوري ألا أظل بجوارها إلا في الليل ! » وطافت برأسي هذه الفكرة : « كم أتمنى أن ينام معنا في هذا البيت إنسان آخر !! » . ولكنها كانت آمالاً تخطر في نفسي ما استطعت يوماً أن أعبر عنها بكلمات أقولها !!

يا عمتي ! « دون أن أنظر حولي فما كان في استطاعتي أن أحول بصرى عن الحبيين ، وإن كنت كأني أراها من خلال سحابة ... وأسر الرجل إلى الفتاة بشيء في أذنها فضحكت مسرورة في خذل ! فتذكرت مرة أخرى أني ما عرفت الحب طوال عمري ، وأنى لست في الحقيقة غير عانس قد ذوى عودها ولم تزوج ... !

« وبقيت ناظرة إلى الحبيين . وفجأة بدأت البطلة التي ربطها الرجل إلى عاتق الدراجة تصيح وتبجح فصاح بها الرجل : « أخزأك الله ! » ثم رماها بقبعته . ولكنها لم ترحم وصاحت مرة أخرى ثم سكنت بعد ذلك

« واقترب الفتى من الفتاة فحدقت فيهما ؛ ولكنني كنت كأنما أراها من خلال ضباب ١١ »
« الحب ... ! إيه أيها الحب ... لقد رأيتهما من المكان الذي جلست عليه فوق السور الحجري وعيناها نصف مغلقتين ، فقلت لنفسي : إنني سأظل هكذا لا ينظر إلى أحد ولن يحبني أحد . وكان الرجل قد طوق بيده خصر الفتاة ... وخيل إلى أنه إنما يطوق خصرى أنا بيده ... ؛ ثم ... ثم صاحت عمتي : « يا أوجين ! ألم يصبح الجو بارداً ؟ » ولكنني لم أجب فما كان في استطاعتي أن أجيب !
« وبعد ذلك ... بعد ذلك أmaal الرجل وجه الفتاة إليه كأنما يريد أن يقبلها ، فحاولت الفتاة أن تمنعه ؛ ولكنني أدركت أن ذلك لم يكن غير تصنع منها كما كنت أنا لا بد فاعلة تماماً لو ... لو أراد الرجل الذي أحبه أن يقبلني ١١

وكان ما يزال دافئاً من تأثير حرارة الشمس وشغلت نفسي في حياة بعض الملابس

« واختلطت أصوات المساء التي عهدناها في المدينة بضوضاء مهرجان العيد وجلبته ، وكانت عمتي جالسة على مقربة مني تقصُّ عليَّ قصة طويلة كنت أعرفها بل أحفظها عن ظهر قلب ...

« وكنت أنظر إلى الطريق الذي كان قريباً من المنزل ، وقد غرست على جانبيه أشجار الحور التي كانت تضطرب وتهتز وإن لم تكن هناك رياح ، فرأيت في الطريق فتى وفتاة ، وكانت الفتاة تحمل قبعتها في يدها ، وكان الفتى يجرد دراجة ، وقد وضع على عاتقها بطة فاز بها في بعض الألعاب المقامة في ساحة المهرجان ، وجلست الفتاة على الحشائش الخضراء التي على جانب الطريق لتخرج من حذاءها حصاة قد دخلت فيه ، وأسند الرجل دراجته إلى شجرة . ثم جلس بعد ذلك بجانب الفتاة

« وراقبتهما ونظري مصوب إليهما ما يتحرك عنهما ، بينما كانت عمتي مستمرة في سرد قصتها التي لا تنتهي ؛ وكان من الواضح الجلي أن كل واحد منهما يحب الآخر حباً جماً ، فقد أسندت الفتاة رأسها إلى صدر الفتى . وعند ذلك لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في أنى قد بلغت من العمر اثنتين وثلاثين سنة ، وأنى مع ذلك لم أعرف الحب ولم أتذوق طعمه وأنى ... وأنى ...

« وفجأة صاحت عمتي : « هل أنت مصغية يا (أوجيني) لما أقول ١٢ » . فأجبتها : « نعم

يا سيدي أني قد صرت مثلاً في هذه الناحية من فرنسا؛ وما أستطيع أن أمنع نفسي من الابتسام عند ما أفكر في هذا الأمر. فهم يقولون في أمثالهم هنا: «إنها أعقل من تلك الفتاة «دي بارديلاك» التي فضلت الحب على أن ترث ثروة واسعة! «وإني... إني ما أظن هذا إلا شيئاً طريفاً، ولكن لا تنس أن الناس هنا كثيراً ما يبالغون...»

«الحب... الحب...! أي نوع من أنواع الحب هذا الذي كان في قلبي يا سيدي؟ إنه خيال الحب... ولكنه خيال ناقص النمو مجرد من كل شيء»

ثم ضحكت ضحكاً خيلاً إلى أنه يخرج من قلب قد قد من صوان صلد، بينما كانت تنظر فيما حولها وهي تعد للمرة الثانية المفارش الكثانية

محمد السيد شعبان

تاريخ الأدب العربي

لأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمانية عشر قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

«وصاحت عمتي: «يا أوجين! لا يحثي عن وشاحي»

«آه! القُبلة...! القُبلة التي لم أعرفها ولم أتذوقها بعد! وأغلقتُ غيبي حتى لا أرى أكثر مما رأيت وحتى أحلم بالقبل والحب — القبل والحب الذي ما عرفته طوال حياتي والذي لا يمكن أن أناله الآن...»

«وصرخت عمتي بحدة: «يا أوجيني!... أوجيني»، ولم أستطع أن أجيها. وفجأة كرهت هذه المرأة العجوز التي خدعتني وأبعدتني عن كل ما يمكن أن أناله من سعادة الحياة...»

«وبعد ذلك... بعد ذلك نادتنى مرة أخرى؛ ولكن أنا — أنا قد صرت فجأة لأول مرة في سبعة عشر عاماً — نائرة حائقة لا أستطيع الصبر... فقلت لعمتي بالرغم مني في سآمة وضجر: «أوه! أخزأك الله!.. ثلاث كلمات في لحظة طارئة من لحظات اليأس والسأم! ولكنها كانت أكثر مما كان يكفي لأن أخسر بسببه ميراثي الذي استبعدت من أجله وخدمت للحصول عليه، وبهذا أضعت كل ما عملته في سبعة عشر عاماً يظولها...»

«وسمعت عمتي تقول متعجبة: «أوه!.. وعند ما أدت وجهي ورأيت وجهها القاسي أدركت... أدركت بين ظلام الشك... أنها لن تعطيني بل لن تترك لي فلساً واحداً من مالها.»

وسكنت الآنسة «دي بارديلاك» وانحنيت على رف بجوارها ثم حدثت في الكومة التي أمامها من المفارش الكثانية. ومرت لحظة طويلة قبل أن تفتح شفيتها ثم قالت أخيراً: «إنني أعرف

قِصَّةُ كَارِكٍ

لِلْقَصَصِيِّ الرُّوسِيِّ أَنْطُونِ تَشِيكُوفٍ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ لَسِيدِ جُورْجِ سَلَسْتِي

اليوم البغيض الحاضر؛
ذكريات الأمل البعيد
أيام كان من صباه
الأنيق في نعيم تغمرة
شتى الهنات، وأيام
كانت السعادة تظله
بقيتها الوريث الفينان؛
أما اليوم فقد انقلبت
به الحال، وبات نضو

بؤس وأخافقة؛ أناخ عليه
الشقاء بكل كل موه يصهر
العافية ويذيب القوى،
وهجرته زوجته التي كان
يحسبها فيما مضى أخت
الملائكة الأطهار وشقيقة
الخور لما كانت تحبوه من
عطف ومنتحة من حب،
فاذا بها لدى أول كارثة
ألت به من كوارث
الدهر أول من تنكر
له واجتواه، وفرت مع
عشيق لها متخفية عنه
أحوج ما يكون إلى عطفها
وجها وحنانها؛ فنقم منذ

ذاك الحين على الحياة وأضاع ثقته بالناس جميعاً،
وخلا إلى كانه يئس شكا قلبه المذبذب المفلوود، ويندب
على نعمات أوتاره أحلامه الذهبية التي صوّحها خريف
العمر، وطوّحت بها أيدي الحدّثان؛ ويحيا في منزل
وضيع منعزل عيشة الزاهدين المتقشفين لا يختلط



الكاتب الروسي الكبير أنطون تشيكوف

النهار ساكن مسجور
ونسبات الأصيل منعشة
محبة، والشمس المتكئة
على أريكة الأفق النارية
تبعت بأشعتها المتألقة
قارة وسنى، والموسيقار
الكهل «سميتشكوف»
يدلف على محاذاة الشاطئ
اللازوردى ويؤيد الخطى،
وعلى ظهره المجهود من وقر
السنين كانه الضخم في
كنته (١) الحالية؛ كان
قد يكون عبءاً على سواء
إن راح يحمله، أما هو
فلا يشكو من حمله ولا

يتبرّم لا لأنه مورد رزقه الأوحّد فحسب، بل لأنه
حبيب إليه بعد أن نأى عنه خلصاؤه ومحبوه، وسيمره
في الليالي السود عند ما يبرّح به الهم وتجتاحه الذكريات
الألمية المرة ذكريات العهد السرى الغابر، وذكريات

(١) الكنة بالكسر: البيت ووقاء كل شيء وسحره

جالسة القرفصاء ويدها قصبه ذات شص تصطاد
بها صغار الأسماك، فعرفته لدى رؤيتها قشعريرة سرت
في أعضائه كلها سريان الكهرباء في أسلاكها؛ فقد
كان يحسب نفسه بمنأى عن عيون الناس ومنجاة
منهم فإذا به يرى فتاة، إلا أنه ما لبث أن حمد الله
لأن حدث فيها وأدرك أنها غافية

واستولى عليه شعور لذيذ مبهم لم يدرك كنهه
ولا معناه؛ وأحس بنشوة علوية قرت لها نفسه،
واهتزت لها جوارحه

يا للمعنى الحريب !

لقد بدأ يحس حرارة الحرمان، على طول العهد
بعدم الإحساس بها؛ ويشعر بفراغ روحي كبير وهو
الذي كان يخيل إليه أنه لن يفتن بعد بأنثى؛ فقد
أثارت هذه الغادة الغافية ما لم تثره في نفسه غافية
ولا مستيقظة !

وحدثته نفسه أن يوقظها إلا أنه عدل عن
فكرته هذه خشية أن تروعها رؤيته، ورؤيته على
كل حال ليست بالتي ترضى !!

وتهد من فؤاد ملتاع وتغم :

— « لقد أوشك ميعاد ذهابي إلى قصر الأمير
أن يحين فوداعاً أيتها المجهولة الرائعة الحسن » وراح
يسبح بهدوء، حتى إذا دنا من الضفة وألقى عليها
نظرة الجامعة الأخيرة خطر له أن يترك لها ذكرى
من مجهول، ذكرى ممن رآها ولم تره ومن قد لا تراه،
وسرعان ما نفذ فكرته، وجمع من زهر الحقل ونبات
الماء طاقة كبيرة علقها بالشص فراحت تطوف على
سطح الماء يحملها التيار الجميل؛ وصعد مرة أخرى
على الضفة ليلبس ثيابه ويذهب إلى شأنه

بالناس إلا مضطراً، ولا يعاشرهم إلا مكرهاً عند
ما يدعوهم أحد النبلاء للعزف في حفلة تقام أو في
مأدبة تودب، وهو لو يستطيع اعتزلهم جميعاً وعاش في
صومعة كالنساك المتعبدین، بعيداً عن التلذذ والرياء
والخيانة والغدر

ولأنه الآن مدعو إلى قصر الأمير « بوبولوف »

مع جوقة موسيقية في السهرة الراقصة التي سيقمها
رب القصر احتفالاً بعقد خطبة الأميرة ابنته .
وها هو ذا قد خرج من منزله ميمماً قصر الأمير مختاراً
ضفة النهر العشوشية سبيلاً؛ إلا أن روعة الأصيل
أخذته وصرفته عن نفسه، وسحر الماء الهاديء
المنساب بدعة وسكون فتنه، وخريره الموزون
المؤبد التردد ملك عليه مشاعره، وأحس وهو
الكلف بالطبيعة، الهائم بجبالها الساحر الأخاذ برغبة
ملحة تدعوه للاستمتاع بالماء الفاتن، وقد سكبت
عليه ذكاء أشعتها المسجدية . وحدثته نفسه
بالاستحمام، فإن لديه من الوقت متسعاً يستطيع
خلاله أن ينعم ما شاء وأن يتملى من متعة السباحة
ما طاب له التملی؛ وقرر تلبية نداء نفسه، فما هي إلا
هنيهة حتى كان قد نضا عنه ثيابه وتركها على الضفة
فوق مكانه الضخم وألقى بنفسه في الماء الرقاق وراح
يتغلغل بين تضاعيف الثبح السرى، ويسبح هائلاً
مسروراً كأنما ألقى عن صدره ما جثم عليه من هم .
وها هو ذا يغمره فيض الإحساس بالجمال الشعري
المونق فينتسم بسمة الطفل الغرير .

— يا الله !

هتاف خفيض انفرجت عنه شفتاه بدهشة
واستغراب لا خذل لها . فقد أبصر على الضفة فتاة

ولكنه وقف على الضفة مأخوذ اللب مسلوب
الفكر ، وسمر في مكانه والهأ مشدوها ثم دمد
سمتشكوف ووقف ذاهلاً بين الحيرة والحنق فإن
ثيابه سرقت كلها ولم يترك له السارق إلا القبعة
والكان !

لم يكن فقدان ثيابه خسارة في نظره على ما هو
عليه من ضيق ذات اليد ، ولكن الأمر الهام لديه
هو وجوده في قصر الأمير في الموعد المضروب
وجلس على كثة كانه يفكر في وسيلة تخرجه
من هذا المأزق الحرج الذي زجه فيه بعض الأشرار
الملاعين !

وغمره بأس شديد وحزن ممض ، ومسه صداع
أحس معه بتلاشي القوى وفقدان الحلم ؛ وظل
على هذه الحال ردحاً من الوقت حتى أمدّه الله
برحمته وألهمه أن يتخذ الجسر القريب ملجأً يخبئ
تحته وراء العوسج والعليق ، حتى إذا ما أدركه الليل
انسل تحت جناحه الدجوجي إلى أقرب بيت يراه
واستنجد بساكنيه ليتداركوه بما يستتر به حتى
يبلغ منزله

وبناء على هذا الخاطر وضع سميثشكوف قبعته
الطويلة على رأسه وحمل كانه على ظهره ومشى نحو
الجسر المقصود ، وهو يجيل أنظاره هنا وهناك خوفاً
من أن تقع عليه عين

والآن يا قارئ دعنا نترك صاحبنا مستسلماً إلى
همه لحظات قلائل ولنعد إلى غادة الشاطيء لندري
ما حل بها :

لما أفاقت من غفوتها كانت الشمس قد جنحت

للمغيب ولم يبق لها لتتوارى وراء الشفق البعيد إلا
مرحلة تقطعها بخطى المكدود الواني ، فرأت أن
الوقت قد حان لتعود إلى المنزل ، ونظرت في الماء
فلم تر عوامتها طافية على سطحه فسحبت القصبه
فاذا بالخيوط تمتد ، غير أن العوامه لم تبين والشص لم
يظهر له أثر ، فطاقة الزهر لما أثرت من الماء ثقلت
فانحدرت بالشص إلى القاع

وخيل إليها أن الشص عالق بشيء ما فعليها
إذن أن تنطس في الماء لتخلصه

ورفعت عينها الجميلتين إلى الأفق البعيد فرأت
الشمس تلم ذوائبها من رحاب الآفاق ، فعز عليها
كثيراً أن يدركها المساء قبل أن تحصل على صنارتها
فما كان منها إلا أن نضت عنها ثيابه في مثل خطف
البرق ، وغطست في الماء حتى كتفها العاجيتين
وراحت تسمى لحل صنارتها من طاقة الزهر وتسريح
الخيوط المتعقد

ووقفت إلى مبتغاها بعد لأي فخرجت من النهر
سعيدة تتألق ملامحها بالسرور ، وتفيض عيناها
بالبشر الوادع ، ولكن سرعان ما اضمحلت بسماها
وانماثت ، وتبدل بشرها بالجهامة والتقطيب

فلقد أبى سوء الطالع إلا أن ينكبها بما نكب
به الموسيقى الكهل من قبلها فسرفت ثيابه ولم
يترك لها السارق ما تأثر به . فراحت تعول وتنتحب
وتندب حظها المنكود

وأدركت أن البكاء لا يجديها قليلاً ، وأن من
الواجب عليها أن تفكر في أمرها لا أن ترتقب رحمة
الأقدار وقالت في نفسها :

« ليس لي إلا أن ألتجئ إلى هذا الجسر القريب

وضاءة حسنها ، فأفرخ روعه واطمان بآله ، ثم قال لها بلهجة كلها ضراعة وتوسل :

— « آه يا آنسة ، لقد رزئت بما رزئت به أنا من قبلك ، وألم بك ما ألم بي من خطب ، وإخال أن الدين سرقوا ثيابي هم أنفسهم الذين تطاولوا إلى سرقة ثيابك حتى أصبحنا في البلوى سواء . ورفع نظره إليها فرآها مطرقة حياء منه وخجلاً فاستطرد قائلاً : « أرى يا آنسة أن وجودي أمامك على هذا الشكل المريب قد حرمك متعة تسريح النظر ، وأن الأسباب ذاتها التي تحول دون ذهابك من هنا تحول بين الذهاب وبينى ، فهل تريد أن أضحك في كسنة الكمان فتنجى من رؤيتي وتحتجى عن ناظري ؟ »

ومد يده قبل أن ينتظر جوابها وأخرج الآلة الموسيقية من مكنها وتقدم منها ، وقد فتح فوهة الكنة بكلا يديه ، فانزلت فيها وهي متجمعة على نفسها ، ثم راح يربط الفوهة والبسمة العريضة على ثغره ، لأن الله — على حسبانه — قد جباه هذا العقل الراجح الذي أتقذه من ورطة ما كان لينجو منها لولاه ! ثم قال سميتشكوف : « الآن يا آنستي لتقر عيناك ولتطمئن نفسك ، فسأحملك عند ما يجن الليل إلى أهلك ثم أعود إلى هنا فأخذ كاني ! »

وعند ما مد الظلام رواقه على الكائنات كان الموسيقى الكهل يدلف نحو قصر الأمير وعلى ظهره حمله المحبوب ، ولم ينس أن عليه أن يتجه أولاً إلى أقرب بيت ليستعير من ساكنيه ثياباً يرتديها ثم يمشى لطيفته

وهكذا راح يسير في الاتجاه الذي رغب فيه متئداً الخطى يستعيد في ذاكرته ذكريات النساء

حتى إذا اشتد الظلام هزعت إلى بيت « أغافيا » القريب وأرسلتها لتأتي بثياب من المنزل »

وهكذا انسلت سريعة الخطى بين العشب الطويل حتى بلغت الجسر ، ولم تكد تخطو تحته خطوتين حتى لحت رجلاً عارياً منتصباً أمامها كاللارد بصدره الأزب وذوائب شعره المدلاة على منكبيه تحت قبعته الطويلة السوداء ، فقف شعرها فرقاً منه وجزعاً وصرخت صرخة واحدة وارتمت على الأرض مغنى عليها

ولم يكن « سميتشكوف » بأقل منها خوفاً وقد حسبها لأول وهلة جنية قذف بها القدر لتضليه وإغوائه

ثم قال لنفسه : أجل ! ولم لا تكون جنية هذه الساحرة التي هبطت على عارية ؟ وإن لم تكن كذلك فما معنى ظهور فتاة لها هذا الجمال الفاتن والحسن الرائع على هذه الصورة المخجلة أمام الناس ؟ وكيف جاءت إلى هذا المكان دون سواء إن لم تكن موفدة لإغوائى ؟

وبينا كانت هذه الأفكار وأمثالها تضطرع في رأسه كانت الغادة الجميلة قد ثابت إلى رشدها وأفادت من غيبوبتها فقالت له وهي ترتعد فرقاً :

— « لا تقتلنى ! ارحمنى برّبك وأشفق على صباى . أضرع إليك ألا تمسنى بسوء ؟ أنا الأميرة جيولوف ياسيدى ؛ سيفدق أهلى عليك المال بلا حساب إن رأفت بي ؛ إن أولاد السوء قد اغتتموا فرصة غوصى في النهر واختلسوا ثيابي جميعاً »

فأخى سميتشكوف هامته وراح يحدّق في الأرض ، وأدرك أن هذه التي حسبها جنية لم تكن إلا فتاة الغافية التي وقف في النهر يتملى من

دون حراك تنتابها شتى الآلام النفسانية اللاعبة ؛
ولقد سمعت نداء الموسيقىار ووقع قدميه الثقيلتين حين
هرول راكضاً ، فلعلت في سرها الساعة التي أتت فيها
لصيد السمك ، والوقت الذي أذعنت فيه لرأى ذلك
الخبول ، ورضيت أن تودع في هذا الوقاء الذي كادت
تختنق فيه ؛ فكانت تحصى الدقائق آملة أن تصل
إلى القصر بين كل لحظة وأخرى فإذا بحاملها الأحمق
يأق بها على قارعة الطريق دون أن يفكر فيها

ولقد حدثتها نفسها بتمزيق الوقاء بأسنانها
والخروج منه إلى الهواء الطلق تملأ منه رثتها ،
وتتافع بعد ذاك بقطع الوقاء وتسرع إلى قصرها ،
وكادت تهم بذلك فعلاً لولا أنها سمعت لغطاً قبعبت
في مكانها واستكانت

وكان القادمون رفاق سميتشكوف وهم في طريقهم
إلى قصر الأمير . فلما أبصروا الكنة في سبيلهم
وقفوا حيا لها حائرين دهشين

قال أحدهم : « كان يارفاق » ولكنه آلة
زميلنا سميتشكوف ، فماذا جرى له ياترى حتى تركها
هنا ... ؟

— ربما كان المسكين نشوان لعبت بلبه سورة
الجر فرى بها على قارعة الطريق من غير أن يعي !
— فلنجملها معنا إذن ولنسد إليه جيلاً . قال
الثالث هذا وتقدم من الكنة فحملها على ظهره
وتابعوا سراًهم ؛ وإن هى إلا بضع خطوات مشوها
حتى بدأ حاملها يتبرم بها ويشكو من ثقلها :

— « يا للشيطان اللعين ! »

— « ماذا ألم بك ؟ »

— « إنها ثقيلة فوق ما تتخيلون ، فوالله ،
لو كنت إياه لأبيت أن أعرف على هذه الآلة الضخمة

فيعبس تارة ويتسم أخرى ، فما يشك رائيه —
لو قبض لأحد أن يراه حينذاك — في أنه مخبول !
وقد يكون الخبال مسه فعلاً فإن ما وقع له
لفوق ما يستطيع أن يحتمل عقله المضطرب الضعيف .
وأقول عقله الضعيف وأنا واثق مما أقول ، فإن زوجته
التي لازمته زمناً طويلاً وبكت فيه أخلاقه وخبرت
طباعه لم تهجره عن عبت ، ولم تتخل عنه طمعاً في
المال الوافر والشباب الريان كما يدعى

ولقد كان مغتبطاً بحمله مسروراً ؛ وإنها لنعمى
أن يحمل كهل مهجور أميرة عذراء فاتنة المحاسن !!
وكانت الأحلام تهدده على ما كان فيه من حال
زرية وعري معيب ، ويأمل أن يرفعه آل بوبولوف
من حضيض الضعة والمهانة إلى أوج العز والنعيم
لهذه اليد البيضاء التي يسديها إلى وحيدتهم وأحب
الناس إليهم ، وقد تمت شفتاه وهو يكاد يروح
تحت عبئه الحبيب :

« سبحانك اللهم ! ما ضربت بيدسارك إلا تلقيت
بيمينك ! »

ولاح له عن بعد شبجان خيلاً إليه في البدء
وهين من أوهام النظر الخاطي والفكر الشريد ؛
إلا أنه لم يلبث أن تثبت من حقيقتيهما لدن أنعم فيهما
النظر ، ورأى أن كلا منهما متأبط رزمة ما شك
في أنها الثياب المسروقة ، فوضع للتو حمله عن
منكبه برفق وصرخ بجلء فيه :

— « مكانكما ! »

وركض وراءهما بكل ما تسعفه قواه ، ولكنهما
أطلقا سيقانهما للريح لما رأيا من يلحق بهما ، فراحا
وهيات أن يدركا

أما الأميرة البائسة فقد ظلت في كنة المكان

فإن حملها وحده لا يعادله أجر ولا بدل «
— «إنه السعي وراء الرزق يا صاح ، يرغم المرء
على احتمال المسكاره »

— «إني لأوثر الاتجار على اكتساب القوت
عن سبيل هذا (الكمان) الثقيل القادح »

وما زال هذا يتذمر وذاك يرفه عنه بالحديث ،
وذلك يهون الأمر عليه حتى بلغوا القصر ، فوضعوا
(الكمان) على منبر الموسيقى في محله المعهود ، ودخلوا
قاعة الطعام ، فإذا بالثريات تتلألأ مصابيحها وتتألق
أنوارها ، وإذا بالمائدة قد صفت عليها كؤوس
الشراب ، وآنية الطعام ، وطاقت الزهر ، وإذا في
صحن الصالة خاطب الأميرة ، وهو مستشار في المحكمة
العليا وأحد أركان غرفة المواصلات في الدولة ،
يزجي وقته بالتحدث إلى الكونت «شكاليكوف»
عن الفن الموسيقى الجميل ويقول :

— « لقد عرفت بنفسى في مدينة نابولي
يا حضرة الكونت عازفاً على الكمان الكبير كان
ييده سامعيه بأنغام هي السحر ، وكان يأتي بالمعجزات
حقاً في توقيعه الجميل وعزفه الفريد

وقد كان بكماله الكبير الضخم يكرر الحنين
معا بسرعة مدهشة تأخذ بمجامع القلوب ، ولقد
عزف عليه حتى الـ « فالس ستروس » وحمل سامعيه
إلى الملأ الأعلى ، وأسكرهم جميعاً وترنحت منهم
الأعطاف كالشاربين الثملين

قال الكونت : « حسبك وإني لأستميتك
عذراً إن أنا هزئت بقولك ، فإنه ليفوق حد
التصديق ! »

— «أبأ لا أغالى في القول ، وليس من شأنى

الهزل في موضع الجيد يا حضرة الكونت ؛ وإني
لأؤكد لك أن ذلك الموسيقىار المغنى قد لعب أمامى
على كمانه نخبه من أناشيد «ليست» طربت لها كثيراً
حتى أننى رغبت إليه لفرط إعجابي بها أن يلقننى
أنشودة منها ففعل ، وأنا الآن أجيد عزفها بعض
الإجادة »

— هيه ! نخبه من أناشيد « ليست » . إنك
تمزح في قولك الآن وتهزل من غير ريب

— لا وربك . ثم قال المستشار بلهجة ملؤها
الحزم والجدة : تعال معى أبرهن لك على صدق
ما أقول . هلم بنا إلى منبر الموسيقى لترى بعينيك
وتسمع بأذنيك . إني لأعجب كثيراً لهذه المسكاره
تبدو منك يا حضرة الكونت . ومشياً معاً إلى المنبر
حتى إذا بلغاه راحا يفكان رباط وقاء الكمان ...
و ... آه ! ... يا للكمال الحى ! !

ليطلق القارئ الكريم تخياله العنان هنا ،
فاني أترك له أمر الحكم على مآل الحوار الموسيقى
بين النبيلين ، وأدع له أمر البت فيه بعد هذه المفاجأة
اللذيذة العذبة ! ولنعد إلى سميتشكوف :

فقد ظل المسكين يعدو وراء السارقين حتى
وهنت قواه وكلت رجلاه . ولما أيقن أنه لن يستطيع
إدراكهما عاد يلهث من الإعياء إلى حيث ترك
وديعته الغالية .

ولشد ما التاع إذ لم يجد لها أثراً ولشد ما اغتم
واكتأب إذ راح يفكر في طالعه المنكود وجده
العائر ؛ أتفرّ زوجته مع عشيقها على مرأى منه

وأنا مجرم أثيم ؟؟
أجل إنني لمجرم قاتل . فالأميرة قد اختنقت ،
ما في ذلك ريب في ذلك الوقاء الصفيق اللعين . لقد
قتلتها بيدي فالويل لي !

وصمت لحظة تمثلت له فيها جثة الأميرة الملائكية
الحسن ملقاة حيال الطريق تنوشها عقبان الجو ،
وتتخاطف لهما كواسر الوحش ، فشق ذلك عليه
واريد محياه ، وانتفخت أوداجه ثم ضرب برأسه
الجدار مرتين أو ثلاثا ، وقهقه بملء فيه قهقهة
صدعت بأصدائها هدأة الليل الساجي !

وكأنما أفاق بعد برهة من سORTE فرمق السماء
بنظرات شرراء وقال يحدث نفسه : « سأراها ،
سأبحث عنها في كل زاوية وفي كل شارع حتى
أجدها »

وخرج من تحت الجسر وراح يبحث عنها في
كل مكان ولكن من دون طائل ، حتى إذا أوشك
الفجر أن ينبلج عاد إلى مكانه بين العليق والعوسج
مرتهك المفاصل مضمض العزم وارتمى على الأرض
وهو يقول :

— « سأغادر مكاني هذا بعد المساء المقبل
وسأبحث عنها الليل بطوله ، وإن لم أعثر عليها أعدت
الكرة في المساء الذي يليه إلى أن أوفق إلى
مبتغاي »

وحتى الآن يتحدث الفلاحون المقيمون في
تلك الأنحاء عن رجل عار يجلل الشعر جسمه كله
مقيم تحت الجسر الصغير ، وكثيراً ما يسمعه عابرو
السيبل معولاً يتحسّر على عزيز مفقود !

مهرج مسنن

ومسمع ، ولا يثار لنفسه المكومة ، ولا لكرامته
المثومة ؟ أتسرق ثيابه ويرى سارقها ، ولا يستطيع
أن يقبض عليهم لتقتص العدالة منهم ؟ أنكون
الأميرة الفاتنة في كنة كانه ، ويحملها على ظهره
التعب المكدود ، ويمشي بها على الجادة عارى
الجسم ويتركها تفلت من يديه دون أن ينال رضاها
ويكتسب ودّها ، ويفقد ما أمّل نيله على يديها من
مال هو في أشد الحاجة إليه في أيامه السود ؟ !

ومشى يحدّق في جوانب الطريق بعينين زائغتين ،
وتقدم إلى الأمام مسافة طويلة وهو يعلم حق العلم
أن قدميه لم تطأها منذ أمد بعيد . وعاد القهقري
حتى تجاوز كل مدى خيّل إليه أنها قد تكون
فيه ، ثم رجع إلى الجسر منهوك القوى يفتش هنا
وهناك عن ضالته ... ولكن من غير جدوى

وانتصف الليل !

ووقف تحت الجسر وقد أسند رأسه إلى جداره
وغرق من أفكاره القائمة في لجة بعيدة الغور !
وخدرت أعصابه حتى لم يعد يشعر بالوجود
ولا يحس بالحياة . وجد بصره كمن طرأ عليه بغتة
طارى روعه ، ولم يلبث أن نزع قبعته الطويلة
السوداء عن رأسه بحركة عصبية ، وأمسك شعره
بكلتا يديه وجعل يشده كمن أصيب في عقله بمس ؛ ثم
بدأ يلكض (١) صدغيه بكل ما أوتي من قوى
وانفجر بعد ذلك كالطفل الرضيع يبكي بكاء مرّاً
ويقول بصوت خنقه النشيج :

« بالي من مخبول ! أتخسر على ثيابي التي
فقدتها أم على المال الذي كنت آمل أن أحصل عليه

(١) يضربه بمجنج الكف

الأغلاك

للمشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندي
يقتله الأديب شكري محمد عياد

لتسخرني مني بفضولك
العجيب ؟

فقلت شياما :

« أسخر منك ؟ »

الحبيب إلى أن أنزع

حلي فأضع مكانها

أغلاك ! »

ثم التفتت لرئيس الجند وقالت :

« إليك كل ما ملكت يميني وأطلقه حرا »

فأنحنى الرجل وقال :

« ليس الأمر في وسمي ؛ لا بد من ضحية نطقى »

بها غضب الملك »

فتوسلت إليه شياما قائلة :

« إنني لا أطلب للسجين غير مهلة يومين »

فابتسم رئيس الجند ووافق

وفي نهاية الليلة الثانية من اعتقال فاجارسن

قرأ السجين صلواته ، وجلس اللحظة الأخيرة يكتب

وإذا بالبواب يفتح وبالمرأة تدخل حاملة في يدها

مصباحاً . ثم أشارت فخل الحارس وثاق السجين ،

فقال الشاب :

« لقد جئت إلى بهذا المصباح — أيتها المرأة

الرحيمة — كما يطلع الفجر بنجمة الصبح بعد ليلة

حمى وهذيان »

وصاحت شياما :

« رحيمة خفا ! » وانفجرت ضاحكة حتى

نسالت من عينيها الدموع ، وصرخت قائلة :

« ليس بين أحجار هذا السجن ما هو أصلب

من قلب هذه المرأة وأقصى . » وأمسكت يده

(٦)

« سرقة من خزانة الملك ! »

ذهبت هذه الصبيحة تطوى المدينة طيا ؛ لا بد

أن يقبض على السارق حتى لا يصيب قائد الحرس أذى

وكان فاجارسن قد هبط إلى الثغر غريباً عن

أهله ليبيع جيناداً في المدينة ؛ فسقط عليه عصبة

من اللصوص سلبت كل ما كسب ، وألجأته إلى

أطلال معبد مهدم خارج أسوار البلدة . فآلقوا عليه

التهمة ، واقتادوه مغاللاً إلى السجن مجتازين به

شوارع المدينة

وكانت « شياما » المتجبرة ذات الجمال الفتان

جالسة في شرفها تطل في تراخ على الجمع المار .

فإذا هي ترتعد فجأة وتصيح بوصيفتها : « وأأسفا !

من ذلك الشاب ذو الوجه النبيل والجمال النوراني ؟

ذلك الذي يرسف في الأغلاك كأنه لص ؟ سلي

رئيس الجند باسمي يأت به إلى »

وجاء رئيس الحراس بالسجين وقال لشياما :

« ليس في الوقت متسع لإجابتك — ياسيديتي —

إلى ما ترغبين ؛ فعلى أن أهرع إلى الملك إطاعة

لأمره »

ورفع « فاجارسن » — سريعاً — رأسه ، وصاح :

« من أغراك يا امرأة بأن تأتي بي من الطريق

السجين فاقناده خارج الأبواب

أشرقت الشمس على ضفاف الفارونا ، وكان
زورق على المرسى ، قالت شياما :

« تعال معي في هذا الزورق أيها الشاب النازح ،
وحسبك أن تعلم أنني قطعت كل أغلاك ، وأني
معك في هذا القارب »

وانزلق القارب في هينة ولين ، وغردت الطيور
في مراح وحبور ، وقال قاجارسن :

« خبريني يا غرامي ! بأي ثروة اشتريت
حريتي ؟ » فقالت شياما :

« هيه ! ... ليس الآن ... »

تكبدت الشمس السماء ، وعادت نساء القرية
إلى دورهن وثيابهن تنز بعد الاستحمام ، وجراهن
ممتلئة بالماء ، وانفضت السوق فالتمع في الشمس طريق
القرية الخالي ...

وهبت نفحات الظهر الدافئة فأزاحت النصف
عن وجه شياما . فهمس قاجارسن في أذنها :

« لقد أخرجتني من غل يزول إلى غل يدوم
مدى الحياة . ذريني أعرف كيف فعلت ! »

فأسبت المرأة النصف على وجهها وقالت :

« ليس الآن يا حبيبي ... »

وأغطش الليل ، وراح النسيم الواني ، والتمع
الهلل المليل على حواشي الماء ذى السواد
الحديدى

وجاست شياما في الظلام ، وأراحت يدها على

كتف الشيا ، ونام شعرها بين ذراعيه وهمست
في خفوت :

« لقد أتيت من أجلك أيها الحبيب أمراً إذا ؛
يبد أن إخبارك به أشد وأقى . لا كشفه لك في
كلمات قصار : لقد حمل عنك أغلاك يوتيجا ،
وهو فتى شفه الحب وأضناه الهوى ؛ وادعى الجريمة
وأهدى إلى حياته ... في سبيل حبك اقترفت أعظم
ما اجترمت يا أعز حبيب ! »

كانت تتكلم والهلل الشاحب يضوى يزول ،
والطيور تأوى إلى أوكارها فتسلم الغابة لسكون عميق
وانسل ذراع الشاب في هدوء من حول خصر
المرأة وتصلد الصمت من حولها واستحجر في
الأذان ...

وجثت المرأة فجأة عند أقدامه ، وتعلقت
بركبيه صائحة :

« غفرانك أيها الحبيب غفرانك ! دع العقاب
لله هو يجزني على ما قدمت يداي ! »

وانزع قاجارسن ساقه بعيداً ، وصاح في
صوت أبح : « تشرين حياتي بثمان الخطيئة ! لعنة
الله على كل نفس من أنفاس حياتي ! »

وهب واقفاً ، وقفز إلى الشط من القارب ،
وانمات في ظلام الغابة ، وظل يسير ويسير حتى انقطع
به الطريق ، واستوقفته الأدغال المتكاثفة والأشجار
الملتفة

وجلس على الأرض متعباً ... ولكن من هذا
الذى تبعه في صمت طوال الطريق العظيم ، والذي
يقف الآن كالشبح وراءه ؟

وصاح قاجارسن : « هلا تركتني ! »

قُدِّرَ على أن أعيش »
وجاءت شياما ... ووقفت بازاء الشاب فنظر
في وجهها ، وتقدم خطوة ليضمها بين ذراعيه . ثم
قذفها بكلتا يديه وصاح
« لماذا ؟ آه ! لماذا عدت ؟ »

وأغمض عينيه ، وأشاح بوجهه ، وقال
« اذهبي ... اذهبي ... دعيني »
ووقفت المرأة لحظة ، ثم ركعت عند قدميه
وانحنت كثيراً . وهبت فيممت نحو الشط وغابت
في ظلام الغاب كالمبعث من نوم . وجلس
فاجارسن في القارب صامتاً وحده ، وقلبه يدي
ترجمة شكري محمد عباد
كلية الآداب

وهوت عليه المرأة في لحظة ، وأغرقتة بدلمها ،
وغطته بشعرها المهدل ، وأثوابها الجرارة ، وأنفاسها
الترددة ، وصاحت في صوت خنقته العبرات المحتبسة :
« لا . لا . لا . لقد اجترمت لأجلك فاقطنى إذا
شئت ؛ دعنى أموت بيديك ! »

وارتمش ظلام الغابة الراسخ لحظة ، وسرى
الرعب في جذور الأشجار المتغلغلة في جوف الأرض
وارتفعت تحت جناح الليل آهة مكتومة ، وأنفاس
مضطربة ، وسقط على الأوراق الداوية جسد

توهجت شمس الصباح على مسلة المعبد البعيد ،
وبرز فاجارسن من الغاب ، وظل النهار بطوله يهيم
بجوار النهر صالياً بحرارة الشمس لا يفتر لحظة

وفي الليل ارتد إلى القارب على
غير هدى ، فوجد على الفراش سواراً ،
فقبض عليه وضمه إلى قلبه حتى أدماه ،
وانبطح على الوساح الأزرق المتكوم
في الزاوية فأخفى وجهه بين طياته ؛
وأراد أن يجتر من نعومة حريه ،
وشذا عبيره ذكرى جسده حى حبيب ...
وترنح الليل في صمت ثقيل راجف ،
واختفى القمر وراء الأشجار ، ووقف
فاجارسن ماداً ذراعيه إلى الغاب منادياً :
« تعالى إلى يا غرامى ! تعالى إلى ! »
وانبعث من الظلام فجأة شبح
وقف على شفير الماء . « تعالى إلى
يا غرامى ! تعالى إلى ! »

« لقد جئت يا حبيبي ، ولم تستطع
يداك العزيزتان إزهاق روحي ، فقد

تسلم خضير

١٠٠٧



١٠٠٧
صندوق بولسنة

برليشة ذهب عيسار ١٤
مضمون ٣ سنوات

لستعمله الكوكوماني لشرقية
مكتبة وطبعة خضير بشاع عبد العزيز بصر

— أنا هي بذاتها
وما كان لي إلا
القول والنظر كالمجذوب
في هذا الوجه الأربد .
وفي هاتين العيتين
اللامعتين الشاخصتين
في بدون حياة
أهذه المومياء هي
(لو كريا) أجل وأبهى

للكاتب الروسي تورجنيف بقلم الأستاذ خليل هنداوي

« كان تورجنيف خلال صيد يفتش عن ملجأ من
المطر في مزرعة لأمه . فهبط كوخاً مهجوراً ووجد
خصاً في زاوية من زواياه سرير خشبي يرقد عليه شكل
إنساني صغير »

دنوت ولكن الدهشة سمرتني في مكاني . إن
إزائي كائناً حياً ، ولكن ما هو هذا الكائن ؟

وجه غاض منه ماء الحياة ، وغشيه لون برزخي
كأنما يرى فيه الناظر صورة قديسة قديمة ، وأنف
دق مارنه حتى أشبه حد المدية ، وشفتان دقيقتان
نحيفتان لا تكادان تحسان ، وعينان لامعتان ، وأسنان
بيضاء ، وبعض غداثر شقراء ناست تحت النقاب ،
وفي أطواء الفضاء تتحرك يبطء أصابع يدين ، ووجه
لا يسمه القبح ، وإنما هو جميل ، ولكنه غريب
مؤثر ، ولكني لمحت أشد ما أثر في نفسي ما لمحت على
الخدّين المتصلبين صورة ابتسامة تبجهد ذاتها باطلا لتظهر
— ألا تعرفني يا سيدي ؟

تردد ذلك الصوت الذي راح يردده هذا الكائن
كنفخة ، تحركت به شفتان بعناء

— إنني (لو كريا) هل تذكرني ؟ هذه أنا التي
كنت أرسل الأغاني وأثير الضحكات عند أمك !
— أنت « لو كريا » أنت ؟ هذا مستحيل

إمائنا ، من كانت بضة الأهاب وردية اللون ترقص
وتضحك وتمرح وتغني ؟ لو كريا ... الرقيقة التي فتنت
رفاقها ، ومن كنت أبسم لها خفية حينما كنت في
السادسة عشرة

— آه يا لو كريا ماذا أصابك ؟

— إنها حادثة مروعة ، ولكن لا تخش
يا سيدي ، ولا تمرّك السآمة من حالي . اجلس مني
قريباً على هذه الخاوية لأنك لا تستطيع الإصغاء إليّ
بعيداً . أي صوت لي الآن ؟ إنني جد مسرورة
برؤيتك ...

(وهنا تقص عليه لو كريا قصتها ، وأنها في ساعة
عرسها سقطت عن السلم وعراها هذا الشلل الذي عطل
حركتها . وقد جربوا باطلا أن يجدوا لها الدواء . وأخيراً
قادوها إلى هذه المزرعة عند أقارب لها)

— وهل تظلين مضطجعة هكذا دائماً ؟

— نعم ! وقد غبر على سبعة أعوام ، في الصيف
أمكث في هذا الخص الصغير ، وفي الشتاء يحملونني
إلى مدخل هناك

— ومن عسى يعني بك ويقوم بحاجاتك ؟

— إنني وجدت هنا رجالاً كرماء لا يتركونني
ولكن في الغالب لا أحتاج إلى شيء . كدت أستغني

كيف تعملين حتى تبترح الأفكار نفسك؟ وعلى الأقل
ألا تنامين كل الوقت؟

— لا ياسيدي ! لا أستطيع أن أنام . حيث أريد
وبدون أن أحس الآلام الكبيرة أجد في أعماق
نفسى آلاماً صماء تتمشى في عظامى ، وهذا ما يحرمنى
النوم . لا... أظل على حالة واحدة هادئة دون تفكير .
أحس أننى أحياء . إننى أتنفس ، وهذه كل حياتى .
إننى أنظر وأسمع ... تدوى أسراب النحل وتسقط
حمامة على السقف وتمشي ، ودجاجة تقاسم فراخها
فتاتاً أو عصفورة أو فراشة تحوم . هذا يدخل
السرور في نفسى ، ومن عامين طرق السنونو هذا
المكان وبني — هنا — عشاء . ما أجمل هذا !

وفى بعض خطراتى أردد صلوات ، ولكنى
لا أعرف منها كثيراً ، ولكن لماذا أضرع الإله
الصالح منى ؟ وماذا أطلب إليه ؟ إنه يعلم حاجتى
أكثر منى . إنه أرسل إلى صليبه وهذه علامة
محبتة لى . أعرف صلاة (يا أبانا) وصلاة (السلام
عليك يا صريم) ثم أرانى أحلم فى شيء ... وهكذا
الزمن يمضى

(وهنا يعرض عليها (تورجنيف) أن يقتادها إلى مستشفى
فى المدينة ولكنها ترجوه ألا يفعل)

— إننى أعرف ياسيدي أن فيما تعمله خيراً لى ،
ولكن هل فى الإمكان مساعدة الآخرين ؟ هل يمكن
قراءة ما فى النفوس ؟ إنما يجب على الانسان أن يجد
مساعدة فى نفسه . إنك لا تؤمن به . فى بعض
خطراتى وأنا مضطجعة وحدى أحس أن لاأخذ على
الأرض غيزى ، وأن لاأحد لى سواى ، وأشعر بأن
بركة تنزل على ... تساورنى أفكار تبعث على الدهشة

عن الطعام والشراب ، وترانى أكثر الأوقات
مطروحة جانب هذا الينبوع البارد ، وأستطيع أن
أبلغ مقرى وحدى ، إذ لا تزال إحدى يدي سليمة .
وهناك فتاة صغيرة يتيمة ترافقنى كثيراً فليجزها
الله عني ! كانت هنا قبل لحظة ، ألم تلاقها فى طريقك ؟
إنها عادة شقراء تحمل إلى أزهاراً طالماً أحبها . كان
عندنا من الروضة أزهار ولكنها ذوت . أما أزهار
الحقول فهى جميلة أيضاً وشذاها أضوع ! ماذا تريد
خيراً من ذلك ؟

— ولكن الحياة ؟ ألا تجدونها كثيفة ثقيلة
عليك يا لوكريا البائسة ؟

— ما العمل ؟ لا أقدر أن أكذب . كانت
أيام مصابى الأولى أياماً ثقيلة قاسية ، ثم ما لبثت أن
تعودت ، وللانسان من دهره ما تعود ، وصبرت
وذكرت أن آخرين — هنالك — قد يكونون
أحق بالشكوى منى ...
— وكيف ذلك ؟

— هم من لا مأوى لهم مثلاً ، والعميان والصم !
أما أنا — فشكراً لله — أبصر وأرى ، وأسمع
ما خفت من الأصوات . ليشق خلدي منفذاً فى
الأرض فأنى أسمع ، وأتروح كل العطور حتى
الضئيل منها . لتزه زهرة فى الحقل أو زيفونة فى
البستان دون أن أخبر بذلك ، فإذا ذهبت عليها الريح
أكون أول كائن يحس ما تنطوى عليه هذه الريح !
لا لا ... ولماذا ألعن حظى ؟ فهناك آخرون حظهم
أقسى ، وكذلك الأشخاص المعافون تدفع بهم
ميوهم كثيراً إلى عمل الشر . أما أنا فالخطيئة تركتني
— وهل أنت وحيدة ، وحيدة دائماً يا لوكريا ؟

— وأية أفكار تساورك يا لوكريا ؟

— يستحيل الافضاء بها ياسيدى ! لأنها مما لا يمكن التعبير عنه . ثم أنساها . ثم ... يعرض لي ذلك كسحابة تمر فوقى . وعندها أحس نداوة تغمرنى . ما هذا ! لا أعلم منه شيئاً . ولكنى أقول : لو كان واحد معي لا يجد له مكاناً . لا أحس شيئاً ولا شيء إلا رزيتى

وهنا تنهدت لوكريا تنهداً شديداً ولكن صدرها لم يسعفها على التنهد أكثر من بقية أعضائها — سيدى ! إننى هجت . فيك حسن الشفقة كثيراً ، فلا تأسف على كثيراً . أصغ إلى ما سأقوله لك ... إنك تعلم ، أو تذكر أننى كنت طالبة للمرح كثيراً في عهدى الأول . وتعلم كم كنت أغنى ! — وأنت تغنين أيضاً !

— نعم : أردد أغنى القديمة ، أنواعاً كثيرة من الأغانى ، أعرف منها كثيراً ولم أنساها . ولكن ألحان الرقص أصبحت لا أرددها لأن حالتى لا تساعدنى

— إنك تغنينها لنفسك بدون شك ؟

— لنفسى ... وأرددها عالياً ، قد لا أقدر أن أغنى عالياً جداً ، ولكن سامعها يفهمها . إننى حدثتك الآن عن عادة صغيرة تعودنى . لقد علمتها وأصبحت تعرف منها أربعا ، وعمما قليل ترى تنفست (لوكريا) والفكرة التى بدأت ترددها هذه العادة الغانية عجزاً قد أيقظت فى نفسى هولاً لا قبل لى به . ولكنى قبل أن أنبس بكلمة تصاعدت رنة تتعالى بصعوبة لكنها صافية مستقيمة ملأت أذنى ، ثم رنة أخرى تلتها ثم أخرى ... ولوكريا لا تزال تردد ...

« فى هذه المروج ، هذه المروج ، فى هذه المروج الجميلة الخضراء » كانت تشدو دون أن تبدل ملامح وجهها وعيناها لا تتحولان . ولكنها كانت ترسل صوتها يرن مؤثراً ، هذا الصوت الضعيف الذى كان يجهد نفسه متصاعداً كأنه خيط دخان ، متدفقاً من كل نفسها . أصبحت لا أحس ذلك الرعب ، بل حل محله شفقة عنيفة تضغط على قلبى

أنت فجأة وقالت :

— لا أقدر ... إن قوتى تخوننى ، إن فرحى كثير برؤيتك . وهنا أغمضت عينيها ، ولست يبدى أصابعها الباردة فنظرت إلى نظرة خفية ، ثم رأيت حاجبيها الكثيفين المنتهين بخطوط ذهبية تخطوط الهياكل القديمة قد أغلقت

كنت بالقرب من الباب عند ما ذكرتنى ...

— هل تذكر ياسيدى (وقد بدت ملامح غريبة على عينيها وشفقتها) هل تذكر جديلتى الصغيرة ؟ كانت تهوى حتى ركبتى . غبر على ذلك عهد طويل وأصبحت لا أجزم . كانت غداً جميلة وأنى لى أن أعمل المشط فيها فى هذه الحالة ؟ فاضطرت إلى قصها ... عفواً ياسيدى ... لا أستطيع !

مرت أسابيع معدودة علمت خلالها أن لوكريا غادرت هذا الكون . وهناك يقصون — أنها فى يوم موتها — كانت تسمع بدون انقطاع نواقيس تقرر . وكانت لوكريا تزعم أن هذا اللحن الذى تسمعه لا يقبل من الكنيسة ولكنه من العالم الأعلى وكأنها لا تجرؤ على أن تقول : من السماء

فانيل الهنداوى

هذا هو الأسبرين

ساعتك!

انه أقوى دواء ظهير الى الآن للقضاء على الألم



25

نحمد في عالم سريع التغيير، لا شيء فيه ساكناً. حوادث جديدة وأراء جديدة في كل وقت ودون انقطاع. وفي العالم الطبي حركة نشطة كبيرة. فالقوة الدوائية البرهودة في قرص أسبرين أصبحت معروفة بصفة عامة. فهي تطفئ الألم وتزيل شكايات الحمى والتهب الناسي من حرارة الجو. وتجلب النوم اللذيذ للمصابين بالآلام، ولذلك أقبل الناس أفواجا على مخازن الأدوية لشراء. ولهذا شكايات كثيرة سيبدأ واحد. فأسبرين يتطلب على هذا السبب وتزيل الشكايات في الحال. ولهذا هو السبب فيما لو سيرة من القوة الدوائية على مغالبة الألم. لقد انقضت أيام استعمال الأدوية الخطرة. فان بنجاح أسبرين جاء كالبرق. فجميع الناس يستعملون الآن لهذا القرص العجيب لأنه أسرع وأضخم دواء للشكايات الناتجة من حرارة الجو "وأسبرين مستعمل منذ عهدك الأول" ولكن عليك أن تتأكد من أنك تحصل على أسبرين فقط توجد أقراص تشبه أسبرين في ظاهرها ولكن اعلم أن محتويات الأقراص الداخلية هي التي تأتي بالشفاء.

ASPRO
REG. TRADE MARK

أسبرين مصنوع في إنجلترا

يبيع في جميع الأجهزة خانات ومخازن الأدوية

| | | | |
|--------|-----|-------|----|
| مايمات | ٥ | قرصان | ٢ |
| قرصاً | ٢ ¼ | أقراص | ١٠ |
| فردوس | ٥ | قرصاً | ٢٧ |

من حقك أن تحصل على ما تطلبه - فلا

تأخذ غيره . الوكلاء . ب. شريهان وشركاه

أخرى ، فأخفتني ساعة أتجسس وأنصت إلى حديثهما .
ولكم خطر لي أن أوجد خلافاً بيني وبين سميت
فأدعوه إلى المبارزة ، فكنت أدير له ظهرى وهو يوجه
الخطاب إلى فأراه يتبعنى مندهشاً ويمد يده إلى
ليصافحنى . ولكم قصدت أن أنهض من فراشى
ليلاً لأفتح أدراج مكتب بريجيت وأفحص أوراقها ،
ولكننى قاومت هذه الفكرة حتى اضطرت مرة
إلى مغادرة البيت كيلاً أستضعف لها . وخطر لي
 يوماً أن أدخل عليهما وأنا شاهر خنجرأ لا كرههما
على الاقرار لى بسبب الحزن المستولى عليهما . وفى يوم
آخر انقلب غضبى عليهما إلى عداة لنفسى . إننى
أدوّن هذه الأحوال بمداد الأسى والحجل . ولو أن
أحد الناس انتصب أمامى ليسألنى عما يدفع بى إليها
لكنت ولا ريب أصاب بالي فلا أجد كلمة أبرر بها
ما أفعل

لقد كنت موجهاً كل قواى إلى التجسس
والارتياح فأخلق الاضطراب والشقاء لنفسى
فأقضى أيامى فى إرهاف أذنى بالتسمع ، وليالى فى ذرف
الدموع ، مررداً قولى إننى سأموت غمًا والماء ، مشدداً
إيمانى بأن هنالك ما يستلزم هذا الفناء . وهكذا
كنت أحس أن الضعف يجتث الأمل من قلبى .
ويخيل إلى أننى أتجسس فى حين لم أكن أسمع فى
الظلام سوى خفقان قلبى فلا انقطع عن تديد هذه
العبارات الفارغة التى يتلها الناس بها فى كل
مناسبة فأقول : إن الحياة حلم وكل شئ باطل
زائل . وأتوصل أخيراً إلى سوء الظن بالله وأنا سائر
على سبيل هوسى وآلامى
هذه هى الحياة التى كنت أستقطر منها لذتى
وبمثل هذه المشاغل كنت أنقطع متخلياً عن الحب

من أعماق النفوس



استغفارتى فى العصور

لأفريدى موسى

بقلم الأستاذ فليكر فنارس

الجزء الخامس

الفصل الخامس

إنها لقوة مروعة هذه القوى الكامنة فى الفكر
الانسانى ! فهى السلاح الذى ندافع به والمعقل الذى
نلجأ إليه ؛ إنها لأفضل ما وهب الله للانسان ، فهى
تابعة لنا تأمر بأمرنا ؛ تقذف بها إلى الآفاق ولكنها
إذا ما تخبطت حدود ذهننا ذهبت طليقة لا تملك لها
زماماً

و كنت وأنا أرجىء الرحيل من يوم إلى يوم
تبارحتنى قواى ويهجرنى الوسن فتسرب منى حياتى
دون أن أشعر ؛ فإذا أنا جلست إلى المائدة كرهت
طعامى ، وإذا أسدل الليل ستاره وانطرحت على فراشى
ترأى لى حتى فى أحلامى وجهان شاحبان هما وجهان
سميت وبريجيت كأنهما يرقبانى كما أرقبهما من
صباحى حتى مساءى

و كنت كلما ذهب كل مساء إلى الملامى أرفض
مراقبتهما ثم أتبعهما إلى المسرح الذى يقصدها
فأقعد مختلفاً بين النظارة لأراقبهما . وإذا ما جلسنا
تحدث فى غرفة ادعيت أن لى ما يشغلنى فى غرفة

الآفاق متوقفاً أن تقذف إلى بقنبلة تضع حداً
لأوهامى . غير أن هذه الحال لم تكن تنجلي أمامى
إلا كلمات بروق خاطفة في دياجير أيامى

ما أشبه الفكر عند ما يدور على نفسه بدرويش
يطلب الاستغراق في نشوة دورانه فلا يلبث حتى
ينهكه جهده فيقف مرثعاً وما اكتشف في محاولته
شيئاً ، إذ لا يقوده الانصباب على أغواره إلا إلى
المهاوى حيث ينقطع الهواء كما ينقطع في الآبار
السحيقة وعلى الدرى المحتكة بالسحاب ، فقد وضع
الله حداً لكل مجال تحتم على الإنسان ألا يخترقه .
وعند هذا الحد النيع يتطرق الصقيع إلى القلب
وتسوده غفلة يندفع فيها إلى اجتياز نطاقه طلباً
للحياة حاسباً أنه ينشق الهواء وليس ما حوله إلا أثر
أوهام تحتشد فيه جهوده المضنية أشباحاً تدور به
لتقضى عليه

ووهنت قواى في موقفي حتى غدوت لا أطيق
الحياة في وساوسى وشكوكى فضممت على القيام بفعل
أوصل به إلى معرفة الحقيقة

استأجرت عربية وأمرت أن تكون مقعدة
للسفر عند الساعة العاشرة ليلاً وأوصيت الخدم ألا
يدعوا مدام ييارسون تشعر بالأمر

وجاء سميت وقت العشاء فجلسنا إلى المائدة وأنا
أتكلف المرح وأقول لبريجيت : إننى لا أعارض في
العدول عن السفر إذا كانت ترغب عنه ، لأننى
أستحسن باريس ولا أجد بين المدن مدينة تفضلها
في ملامحها ومسراتها . وأعربت أخيراً عن ميلى إلى
البقاء ما دام ليس هنالك ما يضطرننا إلى الرحيل

وكنتم أتوقع أن تعلن بريجيت إصرارها على
السفر إلى جنيف ، فما كذب ظنى إذ أبدت رغبتها
(٧)

حارماً نفسى نقي الهواء وصفاء السماء وسعادة الحرية
أجل إن الحرية الخالدة كانت تستهوينى بالرغم
مما وصلت إليه لأنها ما انقطعت عن مراودة تفكيرى ،
فكننت أشعر وأنا مستغرق في غرائب أطوارى
وجنوني بقوة تنبث في نفسى فتطلقها من أجواء
سجنها ؛ تلك فترات كنت أتمتع بسكونها عند ما
تنفخنى نسائم من الهواء الليل ، أو عند ما أدع جانباً
المؤلفات المشحونة بالنقد العنيف وبثورات الإلحاد
التي تحتاج المجتمع لتمييزها بالعلل ، فأطالع سواها
كمذكرات كونستان مثلاً . ولأوردن بضعة أسطر
قرأتها من هذه المذكرات فأعادتني إلى حقيقة حياتى :

« أصيب بالسودورف الجراح الساكسونى التابع
للبرنس كريستيان بشظايا قذيفة كسرت ساقه في
معركة واغرام ، وكان منطرحاً على التراب وهو على
آخر رمق ، فإذا به يرى «أميديه دكربورغ» مرافق
أحد القواد يسقط مصاباً بقنبلة صدمت صدره فتغدق
الدم من فيه . ويتيقن أن هذا المصاب سيموت مفلوجاً
إذا لم يبادر أحد لإسعافه ، فزحف مستجمعاً بقية
قواه حتى وصل إلى المرافق السريع وعالجه بفصد
أقصد حياته . وحمل الجراح بعد المعركة إلى فينا حيث
قطعت رجله فلم يعيش إلا أربعة أيام »

قرأت هذه السطور فسقط الكتاب من يدي
وطفقت أبكى بدموع أعادت إلى السكينة يوماً كاملاً
إذ تحولت عن كل هم وانقطعت إلى ذكر سالسدورف
فما خطر لى أن أصوب ريتى إلى أحد

وما كانت تفيدني مثل هذه اللحظات سوى
التفكير في زمن ساد الصلاح فيه عواطفى وحياتى
فأبسط ذراعى نحو السماء أستعطفها في شقائى ، وأسائل
نفسى عن هدفها في هذه الحياة مديراً لحاظى في

مازحاً فقلت لها : إن ما بدالى من إصرارها أثناء
العشاء دفعنى إلى التعجيل ، وما خرجت بعد الطعام
إلا لأطلب العربة . ودخل خادم المنزل يشعرنا بأن
الحوائح قد ربت وربطت وأن السائق فى انتظارنا
وقالت : أصبح أنك تريد الرحيل فى هذا
الليل ؟

قلت : ولم لا ما دمنا متفقين على مغادرة هذه
المدينة ؟

— وهل نسافر الآن فى هذه الساعة ؟

— أجل سنسافر . ألسنا على أهبة منذ شهر ؟
وما دمنا قررنا الأمر فالتعجيل خير من التسويف .
أفأ رأيت كيف تم كل شىء بسهولة ؟ ومن رأى
أن يقضى الإنسان فى شؤونه على هذه الطريقة
فلا يدع لغده ما يستطيع أن يفعله فى يومه . إذا كان
يحلو لك السفر هذا المساء ، فلماذا لا أنتهز الفرصة
للتخلص من التسويف وقد ثقلت هذه الحياة على ؟
إذا كنت عازمة على الرحيل فلنرحل

وساد بيننا السكوت ، فتقدمت بريجيت إلى
النافذة فإذا بالعربة أمامها تؤيد ما عزمته عليه .
وما كان لها أن ترى فى هذا إلا تنفيذاً سريعاً لما
شاءت هى ، فأصبحت تجاه أمر واقع لا تملك العدول
عنه . وبعد أن تحققت أن كل شىء قد أعدت سرحت
نظرها فى جوانب المسكن وأخذت قبعتها ودنارها
قائلة : هيا بنا . ولكنها وقفت مترددة وأخذت بيدها
مصباحاً وذهبت تدور فى غرفتي وفى غرفتها فاتحة
أدراجهما ثم سألتنى عن مفتاح مكتبها قائلة : إنه
كان معها منذ ساعة وقد فقد . وعادت تقول :
هيا بنا إننى مستعدة ، وهى لا تملك نفسها من الارتعاش
وجاءت فجلست حيث كنت جالساً وأنا أصدق

فى ذلك ولكن بلهجة لا تتم عن عزم أكيد .
فانهزت الفرصة للنزول عند إرادتها وغيبت أجرى
الحديث قاطعاً خط الرجعة على ما اعتبرته أمراً مقضياً .
ثم عدت أقول : وهل هناك ما يمنع مرافقة سميت لنا
فى رحلتنا فإن بإمكانه أن يحصل على إجازة ، وفضلاً
عن ذلك فإن مهارته فى فنّه وإن أنكرها هو تضمن
له العيش حراً فى أى بلد نزل فيه . إن عربتنا
تتسع له ؛ وليس من الخير لشاب فى سنه أن يمضى
أيامه سجيناً . ووجهت الخطاب إلى بريجيت أطلب
منها أن تبذل نفوذها لإقناع سميت بأن يضحي من
أجلنا ستة أسابيع من وقته على أن يعود بعد هذه
السياحة إلى مكتبه

وكانت تعلم أن هذه الدعوة لم تكن إلا نوعاً
من المزاح ولكنها لم تردد فى ضم صوتها إلى صوتي .
غير أن سميت تعلل بإمكان فقد وظيفته إذا هو تغيب
عنها واعتذر إلينا متأسفاً

واستحضرت زجاجة من خير الشراب
واستمررنا فى الحديث حتى انتشينا . وخرجت بعد
العشاء لأننا كدنا من أن أوامر قد نفذت ، ثم عدت
مسروراً إذ رأيت كل شىء على ما يرام . وأبدت
رغبتي فى عدم الذهاب إلى الملاهى وطلبت أن يعزف
سميت لنا على قيثارته لئلا ينفى السهرة سوية . فأخذ يوقع
الألغام وذهبت بريجيت تطلق صوتها بالإنشاد ،
وجلست أنا أضرب على البيانو ، وقمنا بعد ذلك نحتسى
« البونش » ونلعب بالورق وأنا معلق أنظارى
على ساعة ، حتى إذا وصلت إلى العاشرة سادني
ارتعاش تغلبت عليه ، وقرعت العجلات أمام
الباب فقبضت على يد بريجيت وسألتهما عما إذا كانت
مستعدة للرحيل . فنظرت إلى مستغربة وقد حسبتنى

تنظر إشارتي - وقد بدا التأثير يجلاء على ملاحظها - شعرت بانقباض في حشاشتي ؛ وكانت وجدت مفتاح مكتبها إذ رأيت أدراجها مكشوفة فارتيمت على المقعد قرب الموقد ، وقلت لها وأنا لا أجسر على التحديق في عينيها :

- إصني إلي يا بريجيت . لقد أسأت إليك كثيراً وقد حق على أن أحمل آلامي فلا أشكو إلى أحد . لقد طرأ على حالك من التبدل ما يضعفني فاضطرت إلى دغوتك لجلاء أمرك ، ولكنني أعدل اليوم عن الاستسفار وأصرح لك بأنني راض بالبقاء هنا إذا كان يصعب عليك الرحيل

فقلت : هيا بنا فلنرحل

- لك ما تشائين ، ولكنني أقضى الصراحة منك ، فأنا مهياً لاقتبال أي سهم يسدد إلي دون أن أسأل عن مصدره فلا أتعامل ولا أشكو ، وإذا كان قضى علي بأن أفقدك فما أطلب منك إلا حجب الأمل عني كيلا أتعثر بأذياله فأموت

فحدقت في قائلة : حدثني عن حبك ولا تذكر أوجاعك

فقلت : أحبك أكثر من الحياة ، وما أوجاعي إلا أوهام تجاه هذا الغرام . تعالى لنذهب إلى آخر الدنيا فأحيا بك أو أموت من أجلك

وتقدمت نحوها فاذا بالاصفرار يعلو وجهها وإذا بها تتراجع إلى الوراء مرغمة وهي تكره شفيتها المتقلصتين على الابتسام ، وذهبت إلى مكتبها قائلة : أنلني هنية من الزمن إذ علي أن أحرق بعض أوراق وأبرزت رسائل أقاربها أممي ثم مزقتها وألقت بها إلى النار ، وعادت فأخرجت أوراقاً أخرى طالعها ووضعها على الخوان ، وما كانت هذه الأوراق إلا

في سميث الواقف أمامي وقد ملك نفسه ، فما نم عن اضطرابه شيء سوى قطرتين من العرق تدحرجتا على فوديه . وكانت بين أنامله قطعة عاج من قطع اللعب انحطمت وتساقطت كسرها على الأرض . ومد كاتنا يديه إلينا ليصالحنا قائلاً : سفر سعيد يا صاحبي

وعدنا إلى الصمت وأنا أتوقع أن يضيف إلى توديمه كلمة واحدة ، وقد قلت في نفسي إذا كان هنالك سر في أية مناسبة غير هذه سأوفق إلى اقتناصه ؟ إن في مثل هذه الساعة تنعكس الأسرار على الشفاه ، وهانذا أترصد خيالها

وقالت : في أي بلد سنقيم يا عزيزي أكتاف ؟ وأنت يا هنري ستكتب إلينا ؛ ولن تنسى أهلي فتسعى جهدك لديهم من أجلي

فقال بصوت طفي التأثير على هدوء نبراته : أعدك بالألا أدخر جهداً في هذا السبيل ، ولكن الرسائل التي تلقيتها لا تدع لي أملاً كبيراً ، فإذا ما حبطت مساعي فلا تهمني بالقصور . وعلى كل لا تتوقعي ورود أخبار تسرك في القريب العاجل . ثق بي فإني مخلص لك

وبعد أن وجه سميث إلينا بعض كلمات من قبيل المجاملة تحول نحو الباب فسبقته إليه وخرجت لأدع له مجالاً لخلوة أخيرة . ودفعت الباب ؛ ورأى كأنني أبتعد ، ثم عدت فأصقت أذني بفتحة المزلاج وحدث سميث فيها قائلاً : متى أراك ؟

فقلت : لن تراني بعد . الوداع يا هنري ومدت إليه يدها فرفعها إلى شفيتها وخرج ، ولولم أندفع بسرعة إلى الوراء لكان اضطدم بي وعند ما خلوت ببريجيت وهي حاملة دثارها

واستطردت قائلاً : لماذا نخادع أنفسنا ؟ لو لم أكن تراميت إلى الهاوى في نظرك لما كان وسعك أن تتظاهرى بغير حقيقتك أمامي . أفترين هذا السفر تنفيذاً لحكم مبرم قضيت به عاتياً وأتيت به جلاداً يقودك إلى الإعدام ؟ أى شيء يروءك من غضبي لتلجئى إلى مثل هذه الحيل ؟ وما هو هذا الخوف الذى يقودك إلى مثل هذه الأكاذيب ؟

— أنت مخطيء يا أكتاف . قف عند هذا الحد ولا تزد

— لماذا هذا الحذر ؟ إذا كنت قد فقدت صفة الأمين على شرك فعاملينى معاملة الصديق على الأقل . وإذا امتنع على أن أعرف مصدر دموعك فهل أحرم النظر إلى انسكابها من عينيك ؟ أتراجعت ثقتك عني إلى حيث لا تعتقد باحترامي لأوجاعك ؟ وما هي الجناية التي أعاقب عليها بحرمانى معرفة هذه الأوجاع ؟ أفليس لدائك من دواء ؟

— لا ! وخير لك ولي أن تشدد التكرير على . إنك لتدفع بنا كلينا إلى الشقاء ، أفلا يكفيك أن ترحل عن هذه البلاد ؟

— وهل بوسعي أن أرحل وكل حركة منك تدل على نفورك من هذا السفر ؟ فأنت تقتحمينه مكرهة وبوادى الندم تسبق أقدامك عليه ، فما تخفين عني يا ترى ؟ وما يفيد التلاعب بالألفاظ إذا كانت الفكرة أوضح من النهار ؟ وهل يجمل بى إذا لم انحط إلى أدنى دركات الإنسانية أن أقبل عن رضى ما تجودين به مكرهة آسفة ؟ على أننى أقف حائراً فى رفضه وأنت تحطمين قواي بصمتك

— لا . إننى لا أتبعك مكرهة . أنت على خطأ

قوائم حسابات لبعض موردي حوائجها ، وبينها ما لم تكن دفعت ثمنه بعد ، وطفقت تتكلم وهي تدقق فى هذه الحسابات راجية عفوى عنها لاحتفاظها بالصمت طوال المدة الأخيرة ، مبدية نحوى أشد العطف ، مستسلمة لإرادتى ، فرأيت فيها مجسم الحب أو مجسم مظاهره ، وذهب مرحها المصطنع يحز فى قلبي إذ رأيت فيه ألماً يجحد نفسه فيتكلف سروراً أفع من النواح واستسلاماً قرارته أمر عتاب . وقد كان خيراً لى لو أنها ظهرت جامدة ولم تلجأ إلى هذا الهياج المكذوب للتغلب على نفسها وظهرت بريجت لعيني كأنها ممثلة تقلد ما كانت عليه قبل خمسة عشر يوماً ، فاذا بكل حركة منها كانت تسكرني غراماً من قبل تصدم قلبي فينقبض لها ارتياحاً وصحت بها فجأة : أى سر تضررين يا بريجت ؟ إذا كنت تحبيننى حقيقة فالى م ترمين بهذا الدور الذى تحكمين تمثيله أمامى :

— أنا أمثل ! وما الذى يدعوك إلى هذا الظن ؟
— أفما يجدر بك أن تعلمنى أن روحك تلامس الموت ، وإنك تتحملين عذاب الشهداء ؟ لأننى أفتح لك ذراعى فألقى رأسك إلى صدري وأطلق سراح دموعك عليه ، فلملنى أذهب بك إذا فعلت ، أما أن أختطفك ، وأنت على ما أرى فذلك مما لا أقدم عليه فصرخت : هيا بنا فلنذهب

فقلت : لا ! قسما بحياتى إننى لن أفعل ما دام بينى وبينك هاوية سر أو سواد نقاب . إن أشد مصاب لأهون وقماً على من هذا المرح الذى تتصنعين فوجت إذ رأتنى نافذاً إلى أقصى سريرتها بالرغم مما تبذل لحجبها عني

في اعتقادك هذا ، فأنا أحبك يا أكتاف فكف
عن تعذيبي

وتساقطت هذه الكلمات من فمها بكل عذوبة
الحنان ، فأريت نفسي منطرحاً على قدميها وقد
غلبتني نظراتها ونبرات صوتها فهتفت : أتحبيني
يا بريجيت ! أحق ما تقولين يا خليلتي ؟

— أجل إنني أحبك . أجل إنني ملكك فافعل
بي ما تشاء . إنني سأتبعك . هيا بنا يا أكتاف فإن
العربة بانتظارنا . وشدت بأناملها على يدي وهي تلتقي
على جبينني أحر قبلايتها مكررة قولها : لا بد من أن
أتبعك . إنني أريد أن أسير معك إلى آخر يوم من
حياتي ...

رددت كلمة « لا بد » في نفسي ووقفت ناظراً
إلى بريجيت قلب آخر صفحة من أوراقها فسألها
عما إذا كانت أتمت عملها ، فأجابت إيجاباً

عند ما أوصيت بالعربة لم أكن مقررّاً الرحيل
بل رميت إلى القيام بتجربة فإذا أنا تجاه أمر واقع
وتقدمت فاتحاً الباب وأنا أرفع صوتي قائلاً :
« لا بد » وما تعني هذه الكلمة ، بل أي شيء وقع
هنا وأنا لا أدري به ؟ أوضحي لي الأمر وإلا بقيت
حيث أنا ؟ أف يكون حبك لي فرضاً عليك وعاطفة
لا بد منها ؟

فارتمت على المقعد وهي تفرك يديها المأ وتصرخ :
ويحك ! إنك ستجهل الحب طول حياتك

— لعلك تقولين الحق ، ولكنني أستشهد الله
على أنني أعرف العذاب . لقد قلت إنه لا بد لك
من حي فلا بد لك أيضاً من إبداء الجواب ، وما
أنا مبارك موقفي حتى ولو اضطررتني إصراري إلى

فقدك ، حتى ولو سقطت هذه الجدران على قبل أن
أطلع على هذا السر الذي يقض مضجعي منذ شهر .
إنني تاركك إذا لم تتكلمي . لقد أكون مجنوناً ؛ لقد
أكون مقدماً على هدم حياتي بيدي ؛ ولقد يكون
من الخير لي أن أجاهل ما أطلب إيضاحه ، فلا أثير
بيننا أموراً قد تقتل سعادتنا وتمزق شملنا ونحول دون
هذا السفر الذي حصرت أمانتي فيه ؛ لقد يكون
كل هذا ولكنني لا أرتجع عن عزمي . تكلمي
أو أتحل عن كل شيء

— لا ... لا ... لن أتكلم

— بل سوف تتكلمين . أفتحسين أنني أخدع
بأكاذيبك ؟ أئخيل إليك أنني جاهل أمرك وأنت
تبدلين بين صبح ومساء متقلبة كتقلب الظلمة
والنور ؟ وتلجأين إلى تبرير موقفك بإبرازك رسائل
لا تستحق أن ألقى عليها نظرة واحدة . وهكذا تقنعين
بأنني أكتفي بأول تعليل يخطر لك تقديمه ، أوجهك
وجه تمثال من الجير لتضمحل وراءه أشباح عواطفك
فما هو اعتقادك في ياترى ؟ إنني لا أئخدع بنفسني
على قدر ما يلوح لك فحذار أن ينم لي سلوكك عما
تبذلين لستره كل هذه الجهود

— وماذا تعتقد أن يكون هذا السر الذي أخفيه ؟

— ألي يوجه هذا السؤال ؟ وما تقصدين من
هذا التحدي الصريح إذا لم يكن ما ترمين إليه
إحراجي لإثارة كرامتي الجريحة حتى إذا انفجر غيظي
تخلصت مني

إنك تتوقعين مني تصريحاً لتقابليه بنجيب الأنوثة .
تريدين أن أهتمك لتردي علي بقولك : إن امرأة مثلك
لا تتنازل للدفاع عن نفسها . إن أشد النساء لؤماً

تعرف كيف تتشج ببرود العظمة وتذود عن نفسها
بسلاح التحقير ، فالصمت أقوى ما تتمتع به المرأة . وما
تعلمت هذه الحقيقة من أمس . إنك تراودين الالهانة
بالسكوت ولكن إذا كان بوسعك أن تحاربى قلبى
لأن قلبك خافق فيه ، فأنت أضعف من أن تهاجى
تفكيرى ، فإن رأسى أقسى من الفولاذ وفيه من
المعرفة مالا تعلمين

— يالك من ولد مسكين ! أفلا تريد أن ترحل ؟

— لا . إننى لن أسافر إلا بصحبة خليلتى وما
أنت بخيلتى الآن . لقد جاهدت طويلاً وتعذبت
كثيراً وأنا أقرض شفاف فؤادى . لقد طال ايللى
وآن للصبح أن ينجلي . فهل أنت مودة جوابك
أم لا تزالين مصرّة على السكوت ؟

— لن أجاب

— ليكن ما تريدن فأنا مصرّة على الانتظار
وذهبت لأنطرح على مقعد فى آخر الغرفة
مصمماً على عدم الحركة حتى أعرف ما أريد معرفته .
أما هي فأخذت تتمشى أمامي رافعة رأسها وقد انطبعت
آثار التفكير على جبينها المتجهم

وبت أتبعها بأنظاري ، وكما استغرقت فى صمتها
أوغلت فى غضبي . وكنت أحاول إخفاء ثورتي
فتوجهت إلى النافذة وصرخت بالخدم أن يؤدوا
للسائق أجره معلناً عدولى عن السفر هذا المساء

فقالت بريجيت : مسكين أنت !

وأقفلت النافذة وعدت إلى مقعدى متظاهراً
بأننى لم أسمع شيئاً وفى أحشائى نار تنقد تجاه هذا
الصمت الجليدى وهذه القوة السلبية . ولو أننى كنت
فى موقف عاشق تيقن خيانة محبوبته له لما كنت

شعرت بضنك أشد على روحى من هذا الضنك
وما قررت البقاء فى باريس إلا وأنا مصمم
على استنطاق بريجيت مهما كلفنى الأمر ، فأخذت
أستعرض الوسائل توصلاً لبغيتى فلا أجد ، وأتمنى
لو خطرت لي وسيلة ناجعة أبذل فى اتخاذها كل
ما أملك

ما العمل ؟ ماذا أقول ؟ وهى واقفة أمامى هادئة
تحدجنى بنظرات ملؤها الأسى

وسمعت قرقة حوافر الخيل وقد حلت من
مرابط العربية ، وما لبث حتى ساد الصمت على الشارع .
وقد كان يوسى أن أقف وأصرخ لأسترجعها غير
أننى جمدت مكانى كأن القضاء قد حتم بابتعادها
دون معاد

تقدمت إلى الباب ودفعت من لاجه وأنا أسمع
فى أذنى همساً يقول لى : لقد أصبحت وحدك تجاه
المخلوقة التى فى يدها حياتك أو موتك

وعدت إلى التفكير فى حيلة تهتك الأستار
أمامى فإذا بى أتذكر قصة من قلم ديدرو عن امرأة
تأكلها الغيرة على عشيقها فلجأت إلى حيلة غريبة
توصلاً لجلاء ريبتها به إذ صرحت له برؤال حبها له
وبأنها عازمة على هجره ؛ وكان هذا العاشق يدعى
الركيز أرسيس ، على ما أذكر ، فوقع فى الحيلة
واعترف لخليلته بأنه هو أيضاً لم يعد يشعر بالحب لها
وكنت قرأت هذه القصة وأنا فى زمن المراهقة
فأعجبت بحيلة بطلتها ، وعندما عذت لخطبرى وأنا
فى هذا المأزق ابتسمت وقلت فى نفسى : لعل بريجيت
تقع فى الشرك نفسه إذا أنا مددته لها فتفضى إلى
بسرّها

وتصاعد الدم إلى رأسي فقبضت على يدها قائلاً :

— اجلسي واسمعي

فقلت : ولماذا أستمع وما أنت الذي يتكلم ؟

ونجست من محاولتي المراوغة فعدت عنها وقلت :

— اصني إليّ واقتربي مني . إنني أتوسل إليك

أن تجلسي إليّ جنبي ، إذا كنت لا تزالين مصرة

على الصمت فاستمعي لي على الأقل

— أنا مصغية فتكلم

— لو جاءني أحد وقال لي أنت جيان وأنا من

لم يتجاوز الثانية والعشرين ، وقد أقتحم المبارزة فلا

ريب في أنني أغضب لامتهان كرامة أعرفها في نفسي

فأسير إلى الميدان مجازفاً بحياتي لأشيك سيفي بسيف

نكرة من الناس . وما أقدم على هذا إلا لأثبت أنني

لست جياناً ؛ وإذا أنا لم أفعل ألصق المجتمع بي ذل

الرعايد ، إذ لا يورد الجواب على مثل هذه الالهة

إلا كلمة السيف

— لا ريب فيما تقول ، ولكن إلى أين تتجه

بهذه المقدمة ؟

— إن النساء لا ينزلن إلى ميدان المبارزة ؛ غير

أن لكل إنسان سواء أكان ذكر أم أنثى ساعة

يناقش فيها الحساب مهما انتظمت حياته ، ولا يفلت

من هذا المأزق إلا رجل يرضى بالعار وامرأة تقنع

بالقطيعة والنسيان . لقد حق على كل مخلوق أن

يثبت حيويته فإذا ما هوجم رجل دافع بسيفه ، أما

المرأة فما يجديها امتشاق الحسام لصيانة نفسها بل

عليها أن توجد لنفسها ما يوافق موقفها من سلاح ،

فإذا هاجمها رجل لا تأبه له وردته بالترفع والاحتقار .

أما إذا كان المهاجم محبوباً سلاحه الشك والارتياب

فلا قبل لها باحتقاره ، وقد وضعت روحها في صدره

وهكذا انتقلت من حالة الهياج والغضب إلى

المراوغة والمخاتلة ، وخيل لي أن اقتياد امرأة إلى

الاقرار ليس من صعاب الأمور ، وقلت في نفسي :

ما دامت هذه المرأة خليلتي فلن أعجز عن استنطاقها

إلا إذا كنت من صعاليك الرجال

وتراخيت مستلقياً على مقعدي وتكلفت عدم

المبالاة والمرح فقلت : أما ترين أن زمن التصريح

قد حان ؟

وإذ رأيته تنظر إليّ بعيني الاستغراب ذهبت

في حديثي قائلاً : لا بد من التوصل يوماً إلى

المصارحة بالحقائق ؛ وسألجأ إلى اقتحام هذه الصراحة

فأكون قدوة تحرك من كل حذر ؛ وليس خير من

التفاهم والاتفاق بين الأصدقاء

وما توقفت عن ذرع الغرفة ذهاباً وإياباً ، كأنها

لم تسمع كلماتي وقد رأت ولا ريب على أسارير

وجهي ما يكذب بياني . فتابعته قائلاً :

— لا تجهلين أننا منذ ستة أشهر نعيش جنباً إلى

جنب ، وما كان أبعد حياتنا عن السرور أو ما يشبهه

أنت في مستقبل العمر وأنا كذلك ؛ فهل لو شعرت

بنفور من هذه المصاحبة تجددين في نفسك ما يدفعك

إلى مصارحتي بنفورك ؛ وما أكتحك أنني لو مللت

هذه الصحبة فلن أبردد في الاعتراف بها ، إذ لا يوجد

سبب يحول دون هذه الصراحة ، لأنه إذا كان الحب

ليس جريمة فلا يمكن أن نرى جرماً في تناقص هذا

الحب أو في زواله . وهل يستنكر أن يحتاج من

في سننا إلى التغيير ؟

ووقفت واجمة وهي تردد قولي « من في سننا »

إليّ توجه هذا الكلام ؟ بأي دور تريد أن تقوم

في تمثيلك هذا ؟



الأولاد الذين

لهيروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

أوديسيوس يتشاجر مع شحاذ

وبينما كان أوديسيوس جالساً يزدرد طعامه ، إذا شحاذ ضخيم الجسم شأنه المنظر يدخل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويعرفون فيه الفقير إيروس ، المشهور بنهمه الذي لا يوصف ، وبإقباله الشديد على أردأ ألوان الشراب ... وكانت له عليهم دالة ، وليس في الجزيرة كلها من يجهله ... فلما لمح أوديسيوس جالساً يتبلغ بلقمانه ، نظر إليه نظرات المغيظ الحسني وقال له : « انحرف عن الباب أيها العجوز القدر وإلا جررتك من عقبيك ... ولو أنني أرفع عن مقارعة أمثالك !! » وحدجه أوديسيوس وقال : « أيها الصديق إنني ما آذيتك ، وإن في المكان متسعاً لكليتنا ... أرجو ألا تثير في أكثر مما فعلت وإلا فلا يغرتك هري وتقدم سني ، فتالله لأرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامة اسقوني ! إجنح للسلم هو خير لك ! وأصيح إلى نصحي ، وإلا

فلن تدخل قصر الملك أوديسيوس بعد اليوم ... ! » وغيط الشحاذ إيروس وقال : « اسمعوا ما ذا يهرف هذا الشره المخرف ! ألا ما أشبهه بزوجة حمقاء تثرثر أمام كانون ! تالله ليخيل إلي أن أنقض عليه فأنقض ثنياه ! هلم أيها الرجل ! استعد للقاء ، وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال : « أيها الأصدقاء اشهدوا ! إن إيروس يتحدى هذا الفقير ، والفقير بدوره يتحداه ... هلم نجعل حولها حلقة لنرى إلى هذا العراك المضحك ! » وسكت أنطونيوس ، وتككبب الأمراء حول الرجلين ضاحكين عابثين ، ثم التفت إليهما أنطونيوس وقال : « إسما إذن ؛ ههنا كمكات ليس أجود منها ... وإنها خالصة لمن يتفوق منكما على قرنه ... ولن فاز أجر عندنا عظيم ... إنه سيجلس معنا في جميع ولائنا منذ غد ، ولن ندع أحداً من الشحاذين يضايقنا بعد هذا اليوم » وتخابث أوديسيوس وقال : « ياسادة ! من الظلم أن يتبارى رجل عجوز ضعيف مثلي مع هذا الهولة ... ولكن الجوع يدفعني إلى البطش به مع ذاك ... بيد أن لي رجاء ألا يساعده أحد علي ، فيلكنني مثلاً أو يلكنني حيناً أكون مشغولاً به » فقاسموه ألا يفعلوا . وتقدم تليماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسعك أن تناضل هذا الزميل فلن نخشى من هؤلاء رهقاً ... إني أنا مضيفك ، وكليس أحب إلي أنطونيوس ويورماخوس من أن يشهدا هذا اللقاء الفذ بينكما ! » ثم إن أوديسيوس شمر عن ساعديه ونخذه ، وكشف قليلاً عن صدره ، حامداً ليظهر الأمراء على عضلة المكتنز وقوته الخارقة ... وقد صدق حدسه ، فقد بهت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « واعجباً !

من تجاربي ... ألا ما أضعف الانسان ! إنه إذا ما مسه ضرر دعا الله فلذا كشف عنه الضر فهو مقتصد ناءً بجانبه كأن لم يمسه ضرر ... فأنامثلا لقد كنت في عنفوان شبابي أعيث في الأرض مغتراً بقوتي وفتوتي ، حتى أسقط الكبر في يدي ففتت إلى أمر السماء ، ولكن بعد أن كتب عليّ الشقاء وهكذا أولئك الأمراء الذين غرتهم الأمانى وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غارين آمنين لا يظنون أن له صاحباً قد يفجأهم بعودته فيستأصل شأفتهم ويذهب بريحهم ... وإني والله أيها السيد لأرى أنه عائد ليس من هذا بلد ، وأنه عائد قريباً ؛ فتقبل أنت نصيحتي ولا تقم معهم ، بل انطلق إلى بيتك وأهلك ولا تستأن حتى يدهمك معهم فيحطمنكم أجمعين ..» وشرب أوديسيوس ، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذي بدت عليه أمارات الهم مما قال الرجل ولكن ... والأسفاه ! لقد كتب عليه الشقاء ، فلم يصنع لنصيحة أوديسيوس

وبدا لبلوب أن تذهب في بعض وصيفاتها فتختر بين العشاق ليروها ، ولترى ما ذا يكون ... وقبل أن تفعل ألقت عليها مبرقاً ناعساً وأمانةً ، وبدت لها في الرؤيا كأنما تعطى لها لحي عجيبة ؛ ثم إن الربة أضفت عليها رواء كرواء الآلهة ، ونصيرتها بنصرة الشباب والجمال ، قرباً جسماً واستطال ، وزاتته لمة عاجية وسناء ... فلما هبت من نومها ، مرست عينيها متعجبة ، وشدهتها تلك الففوة الطارئة التي جلبت لها السعادة في دنيا من الموموم .. وتمنت لو أراحها الموت من حياة اتصلت أشجانها وباعدت بينها وبين ألفها بمفاوز من الآلام والأحزان ... وانطلقت في سرب من وصيفاتها

أي عضل وأي ساعدين ونخذين يخفي هذا الرجل تحت أسنانه ومزقه البالية ؟ مسكين إيروس ! ماذا يبقى منه بعد هذا اللقاء ؟! « أما إيروس فقد انتفض واقشعر بدنه مما عراه من الدعر ، ولكن الخدم لم يتركوا له أن يفر من اللقاء الذي دعا هو إليه ، بل شمروا له عن ساعديه ونخذه كما فعل غريمه ، ثم جروه إلى الحلقة برغمه ... وود أوديسيوس أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول لكمة ؛ غير أنه آثر ألا يفعل خشية أن يكتشف العشاق من هو ... فلما امتدت الأيدي تصنع الدفاع ، وأقبل وأدبر ، وكر وفر ، ثم أهوى على أذن الرجل بضربة سحقته عظامه ، وطرحته على الأرض ... ولبت المسكين لا يبدى خراكا من هول ما حل به ؛ بيد أن أوديسيوس جره من عقبه إلى ساحة القصر ، ثم عرج به نحو جدار كبير حيث سنده إليه ، وجعل في يده عكازه وقال : « إلبث هنا ولا تغش منازل الملوك بعد ، وذد بعصاك الخنازير السائبة ، فذلك خير من أن تصيب بها الغرباء أمثالي ... فان عدت إلى مثل حماقتك فلن يصيبك إلا شر مما رأيت ! » وتركه واتثنى إلى حيث كان ، فوجد العشاق يضحكون حتى كاد يقتلهم الضحك ... وهتفوا له ثم قالوا : « حقق الله آمالك ، وأمالك أمانيك أيها الغريب اللاجئ ، بما خلصتنا من هذا الشحاذ النهم الملحاح ! » ، وسمع أوديسيوس دعاءهم ، وابتهل إلى الآلهة أن تستجيب !! ثم وضع بين يديه انطونيوس كمة كبيرة ، وزوده أمفيتوموس بخبز وخمر صبها له في كأس كبيرة من ذهب ، ودعاه بخير . وأنس فيه أوديسيوس طيبة ودماثة خلق فقال له : « هيه ... هلم أيها العزيز أحضك نصيحتي وأحدثك

ومما أخذتهم به من حزم ... أما أنطونيوس فقد أجابها بقوله: «أما هدايانا يا ابنة إيكاريوس فلا أحب إلينا من تقديمها إليك ... على أننا لن نريم عن هذا القصر حتى تختارى لنفسك بعلاً يكون كفتاً لك» وأيد العشاق ما قال قائلهم ، فهضوا ليحضرُوا هداياهم ، وسرعان ما عادوا يحملونها ... وتقدموا بها إلى بنلوب ؛ فهذا ثوب ثمين من قاتم موشى بالذهب تزينه اثنا عشر زراراً ذهبياً ... وهذا عقد حليت خرزاته بقطع من الكهرمان الحر ؛ وتلك أساور من ذهب وشنوف كثيرة وأقراط (١) . وعادت بنلوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا والهي . وأخذ العشاق كدأبهم في القصف واللغو والعبث والغناء ... حتى أقبل الليل ، فقدم النداءى بمجامر من نحاس بها وقود يشتعل ، وطفقن يلقين فيها من الند والرند والعود ذى العرف ، وطفق البخور يعبق في أرجاء البهو الكبير ... وهنا ... نهض أوديسيوس وتوجه إلى البنات يقول : «أيها العذارى أولى بكن ثم أولى بكن أن تذهبن إلى سيدتكن فتسلينها وتواسيها ، وسأقوم بالنيابة عنكن على هذه النار حتى ينصرف العشاق ... ولن يؤودنى أن أقوم عليها حتى مطلع الفجر ؛ ولن أضيق بجمعهم مهما عبثوا بي ، فأنا رجل ذو تجارب . فتضاحكن به ، وقالت ميلانتو التى هي أجملهن وأقلهن احتشاماً ، تعبت به : «ماذا أصابك الليلة أيهذا النازح الغريب ؟ انطلق إلى حداد المدينة فقم فى دكانه ، فهو خير لك من أن تسهر ههنا وتثرثر ... هل غاب صوابك يا شيخ لأنك ظفرت بالشحاذ إيروس ؟ اربع عليك ، فقد تبثليك السماء بمن يطش (١) الشنوف والأقراط (الحلقان) لأذن المرأة

فأشرفت على العشاق وقد ضربت بخمارها الشف على وجهها المتألق الناصع ، فذهل الملاء ، وزاغت أبصارهم ، وأحسوا أن شيئاً يخلع قلوبهم ، فما منهم إلا تمنى أن يكون صاحب هذا الجمال الرائع والحسن الباهر ، والفتنة المتقدة ... ونهض يوريماخوس فقال مخاطبها : «يا ابنة إيكاريوس بوركت ! تالله لو رآك كل من فى هيلاس لاجتمعت حولك قلوب غيرنا من العاشقين ، ولأقبلوا من كل فج فازدحموا حولك هنا ... فى ذلك القصر العتيد !» فقالت بنلوب : «يوريماخوس ! تالله لقد ذهب الآلهة بمجالى الذى تصف يوم رحل عنى زوجى أوديسيوس فيمن رحل إلى طروادة ... وما أنس لا أنس ما قال لي وهو قابض على يميني يودعني : «زوجتي ! إن أكثر من ترين من هذا الجيش لن يعودوا إلى ديارهم ... فى طروادة محاربون صناديد ، وملاعبو أسنة لا يشق لهم غبار ، وذادة ورماة ! وإنى لأدرى ماذا يكون من أمرى هنالك ، ولذا ، أكل إليك كل ما أدع ورأى ، وإنى موصيك أول ما أوصيك بأبى وأمى ، فاعنى بهما كأحسن ما كنت تعنين وولدهما معك ، فإذا شب ولدى وترعرع ، فلك أن تتركى هذا القصر إن شئت ، وتزوجى ممن تختارين من الأكفاء الأنداد» هذا وإنى أرى أن هذا اليوم العصيب قد حان ! ولكن وأأسفاه ! إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا وتشربوا وتعيشوا وتعبثوا بكل ما ترك صاحب القصر ... وكنت أظنكم تقيمون فى منازلكم وترسلون إلى هداياكم لتكبروا عندي ولا تهزل مكاناتكم لدى .. ألاساء ما ترون» وتبسم أوديسيوس من قولها ، ووثق من إخلاصها ، وعجب من شدة ما سحرت ألباب العشاق

درع دلاص سابغة وخوذة من نحاس ، ورمحان في
يدي لترى كيف لا يحول الجوع بيني وبين أقراني ،
وكيف أضرج بدمائهم الأرض ، وأتركهم في البرية
جزر السباع وكل نسر قشعم ... أيها اللكع
الوقح ... والله لو أن أوديسيوس رب هذا البيت
قد فجاك الآن لضاعت عليك الأرض بما رحبت ...
أنت أيها المفرور المتعاضل الذي غره أن يكون شجاعاً
بين نو كي لا حول لهم ! »

وجن جنون يوريماخوس ، وأخذ متكاً ثقيلاً
وقذفه شطر أوديسيوس ، ولكن البطل انفتل بعيداً
وسقط المتكاً على الساقى المسكين ، فخر إلى الأرض
يئن ويتوجع ... وغيظ العشاق أيما غيظ ، وعلا
لفظهم ، وودوا لو يسحقون أوديسيوس لولا أن
تقدم تليماخوس وحال بينه وبينهم وهو يقول :
« يا سادة ! إني كصاحب هذا القصر ، لا أستطيع
أن أطرد الرجل منه بعد إذ آويته وضيافته ... والرأى
أن تقطعوا سمركم هذا ، وتذهبوا من فوركم إلى
منازلكم حتى يتصرم الليل ... » وأيده الأمير
أمفينوس ، ووقفوا جميعاً فاحتسوا الكأس الأخيرة
ثم انقلبوا إلى منازلهم ... وفي نفس يوريماخوس
من الهم ما تنوء بحمله الجبال ...

المرضع العجوز تعرف أوديسيوس

وهكذا خلا الجو لأوديسيوس وولده ، فقال ،
يحدث تليماك : « أي بني ينبغي أن نخفي أسلحة
القوم في مكان حرير ، فإذا سألك عنها فقل لهم إنك
تمفظها لهم حتى لا تتأثر بالذخان والغبار وتقلبات الجو .
وامتثل تليماك ، ودعا المرضع العجوز يوريكليا فقال
لها : « أماه ليقر الوصيفات في مضاجعهن حتى

بك كما بطشت به ، ويطردك من هنا ! ؟ » ...
ورشقها أوديسيوس بعينه وقال : « أسكتي
ياهنة ^(١) والله لأحدثن بما حدثت الأمير تليماخوس
فليقطعن لسانك ، وليرقن جسدك ! » . وذعر
العذارى وولين هاربات ، وقام أوديسيوس على النار
وجعل يلحظ العشاق وفي قلبه ضرام ، وما فتئ
يفكر في ألف خطة للانتقام منهم والبطش بهم ...
ولم تشأ مينرقا أن تنهى هذا الشقاء الذي ضربته
على أوديسيوس ، بل تركته يستهزئ به العشاق ،
ويسخر به يوريماخوس ، فيضحك العشاق إذ يقول :
« ما أظن إلا أن الآلهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل
ليكون حامل مشاعلنا وحامي قبسنا ... أنظروا إلى
رأسه النحاسي ، أليس يصلح أن يكون مشعلاً
يضيء لنا ؟ » ثم التفت إلى أوديسيوس وهو يقول :
« إذا استأجرتك لتسوّج مزرعة لي بعيدة من هنا
وتقرس بها أشجاراً ، على أن أطعمك وأكسوك
وأنقذك مالا ، فإنك ترضى ؟ ولكن لا ... إني
لأظنك تنسرق منها طواعية لغزائرك وحبث جيلتك
فتنتلق إلى المدينة لتستجدي وتتكفف ... »

وتخابث أوديسيوس وقال يجيبه : « يوريماخوس !
تالله إنه ليس أحب إلي من أن أباريك في فلاحتي في
يوم من أيام الربيع ، حين يطول النهار ، من مشرق
الشمس إلى مغربها ، على ألا يذوق أحدنا طعاماً
ولا يسيغ شراباً ... أو أن يعهد إلى كل منا بأربعة
أقدنة في أرض جبوب ، وثورين حنيزين ذوى
خوار ، في ذلك اليوم ، لترى أينما يصمد لحره
ويفلح أرضه ... بل إني لأتمنى ، إذ نحن في هذه
الأرض ، أن يدهمنا عدو بخيله ورجله ، وتكون لي

(١) الهنة الداهية

أنقل أسلحة أبي إلى مكان حريز فقد تراكم عليها
الوسخ وأتلفها الدخان » وقالت يوريكليا معجبة :
« أجل يا بني ، إنه ينبغي أن تعنى بكل ما يتعلق بأبيك
وبكل ما ملكت يداك ... ولكن قل لي ... من
يحمل لك المصباح حتى تنقلها إلى حرزها ؟ ألا
أدعوهن فيحملنه لك ؟ » وشكرها تليماك ، وذكر
لها أن الرجل الغريب سيحملة ، وأهرعت يوريكليا
إلى داخل القصر ، وهب أودسيوس وولده يحملان
الخوذ والدروع والرماح ، وبدت مينرفا الكريمة
تحمل بين أيديهما مصباحاً ذهبياً كان يشع سناء
عجيباً ، ونوراً لم تقع عيناً تليماك على مثله . فقال لأبيه
وقد أخذه العجب « أبته ! ما هذا النور المنعكس
على الجدران والعمد والقوائم والعوارض حتى ليكاد
يجعلها تلهب ! قط ما رأيت مثل هذا قط ... لا بد
يا أبي أن إلهاً معنا هنا ! » وقال أبوه : « أخزن
عليك لسانك يا بني ، واملاً قلبك بما ترى ، فانه من
نور السماء ، وهذا دأبُ الآلهة ... والآن ، لتصعد
أنت فلتتم ملء عينيك كي تستريح ... أما أنا ، فباق
هنا ، لأنه لا بد لي أن أكلم أمك وخدمها »

وانطلق تليماك إلى مخدعه ، وأقبلت بنلوب
وأقبل في إثرها سرب من خدمها فأعددن لها عرشاً
ممرداً من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت قدميها
العاجيتين إلى متكاً جميل ، فبدت كاحدى الآلهة .
وجلس أودسيوس على كرسي صغير بُنيت عليه
فروة غليظة ، ثم كلمته الملكة فقالت : « والآن
أيها الغريب الكريم قص على من أنباءك وخبرني
من أنت ، ومن أي البلاد قدمت » فقال أودسيوس :
« أيتها الملكة تعالى جدك واصلح حالك ... إن لك
في العالمين لذكرآ يعبق كالعطر ، واسمك كريماً ليس

للك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل وتجزيه بالحمية ...
إنني يا مولاتي رجل كره الزمان ، وعسفت به يد
الحدثان ، فاذا سألتني ما اسمي وما بلادي ، فالك
تثيرن من أعماق ذكريات عنيفة تدي فؤادي ،
وتفجر الدموع في مآقي ، فأعفيني أيتها الملكة من
ذكر ذلك ، فانه ليحزنني أن أجلس بين يديك باكياً
متصدعاً مهموماً ... » وبدا الألم على وجه بنلوب
وقالت : « أواه أيها الغريب ما أقسى ما ذلت حياتي
وذوت زهرتي منذ رحل زوجي المحبوب إلى طروادة ،
تاركاً لي الهم ، ومخلفاً لي الحسرة ! ألا ما أقسى
ما يحن قلبي إليه ، ولشد ما يخفق من أجله ! لقد
أسلمني بعباده الليل أليل من الآلام ، فما أدري
منذ فارق كيف أهش لضيغ مسكين مثلك ، ولا
كيف أبش لأحد ما من العالمين ... وهؤلاء الأمراء
اللؤماء الذين تككبوا حولي يريدون ليرغموني
على اختيار أحدهم بعلاً لي من دون أودسيوس
لا أدري كيف أذودهم ، ولا أعرف السبيل لدفع
أذاهم ... لقد مكث بهم طويلاً ، ولكنهم
مكروا بي السيئات ، فلا أدري كيف أنقذ نفسي
منهم ؛ وهذان أبواي يريداني على هذا الزواج
البغيض إليّ ، وهذا ابني قد شب ، وهو يضيق
بمشاق ذرعا ، وإن في صدره خرجاً منهم لأنهم
يهلكون ثروته ، ويعيشون في قصره ، ويخوضون
في عرض أبيه ... ولكن ... حدثني بأربابك
من تكون ، ومن قومك ، وأي بلاء من الدهر
شردك عن وطنك ... تكلم أيها العزيز ولا
تمحزن » . وأرسل أودسيوس آهة عميقة
ثم تكلم فزخرف حديثاً طويلاً مُوشى ، ولفق
قصة حزينة متقنة ، وذكر للملكة أنه رجل مُمرزاً

أوديسيوس بوقره ويسجله أكثر مما كان يبجل سائر أصحابه »

وصت أوديسيوس ، وبكت بنلوب فاستخرطت في البكاء ، ثم قالت : « لشد ما كنت أرتى لك أيها الغريب النازح الجواب ؛ أما الآن فإني أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبك ؛ تالله لقد صنعت له هذا الثوب يدي ، وأنا التي وشيته بالذهب ؛ وأأسفاه عليك أوديسيوس ؛ إنك لن تعود إلى يا حبيبي ؛ بشداً ليوم نزلت فيه عن وطنك إلى هذا البلد العين المشؤم إليوم ؛ » وهش أوديسيوس وقال : « خفي عنك يامولاتي ، ولا تتلفي قلبك بطول هذا البكاء . ثم لم تياسين من أوبته وقد سمعت عنه أخباراً سارة حين كنت في أيروس ؟ لقد مات عنه كل أصحابه ، ولقد غرقت سفينته في أعماق اليم لغضب صبته الآلهة عليه ؛ بيد أنه نجى مع ذلك . وهو الآن سليم معاف يوشك أن يصل إلى إيثاكا بخير . وأنا لا أرسل ما أقول حديثاً ملففاً ، بل أحلف عليه وأقسم بأغلظ الأيمان أنه سيعمل إليكم في عالمكم هذا ... بل ربما كان بينكم قيل أن يتم القمر دورة هذا الشهر ! ! » فتأوهت بنلوب وقالت : « ويك أيها الضيف ! تالله إن قلبي ليكذب ما تسمع أذنائي ، وإنه لا يصدق أن صاحبي عائد يوماً إلى إيثاكا ... ولكن هلم ... إني سأمر وصيفاتي فيغسلن قدميك ويعطينك ثياباً وكسوة ويهيئن لك فراشاً وثيراً هنا . فإذا كان الغد فستجلس مع تليماك على مائدة الأمراء ولن يجسر أحد منهم أن يكلمك كلمة أو أن يمد يده إليك بأذى » وشكر لها أوديسيوس وقال : « مولاتي لقد اعتدت أن ألتحف السماء إذا نمت ، وأن أقترش

من جزيرة كريت كانت له نعمة وكانت له سعة من العيش ، وذكر أبويه وأهله والحياة الواسعة المخفرجة التي كانوا يحييها ، وذكر أنه عرف أوديسيوس أول ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على الشاطئ الأقربطي ، فهرول إليه وتلطف به وأخذه إلى داره حيث أكرم مثواه واحتفى أبواه به ... ولم يكد أوديسيوس يفرغ من حديثه حتى ترقرت الدموع في عيني بنلوب وانطلقت تبكي على زوجها الذي لم تدرك أنه جالس إليها يحدثها ويوشى لها أطراف الكلام . وتأثر هو من بكائها فكادت عيناه تفيضان بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ، فحبس العبرات التي أوشكت تنهمل بأجفان من حديد ... ثم أرادت الملكة أن تمتحنه إن كان صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ماذا كان يلبس يوم لقيته ؟ أو تستطيع أن تصفه لي ، وتصف رفاقه الذين صحبوه في هذه الرحلة المشؤمة ؟ » وتخابث أوديسيوس فقال : « مولاتي ! ليس من اليسير على شيخ كبير مثلي أن يذكر أحداث ما قبل عشرين عاماً ... بيد أنني سأحاول أن أرسم لك الظلال الضئيلة التي ما تزال تنطبع من صورته في رأسي ... أذكر يا مولاتي أنه كان يلتفع بثوب أرجواني موشى بالذهب ، وقد رسم فيه بالذهب أيضاً كلب صيد معزوق يحمل في برطيله ^(١) ظبياً مرقطاً . وأذكر أنني رأيت قميصه ولسته ، فلا أذكر أنني لست في حياتي أنعم ولا أرق ولا أتمن ... وكان يسمي بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ذو كتفين مستديرتين وبشرة سنجابية وشعر مفلفل ... وكان

(١) عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه فم الكلب أو شفته ولم يذكره صاحب القاموس

والغبراء ، ولن تسمى وسيفاتك ، فقد يذعرن من خشونة قدمي ... ولكن إذا كان فيهن واحدة مغلصة شربت من كؤوس الزمان مثل ما شربت من محن وآلام ، فلا بأس أن تغسل لي قدمي ، على أن تكون عجوزاً خبزوناً ؟ » . وسرت بنلوب وقالت نحييه : « أبداً ما علمت أحزم منك ولا أوفر ذكاء وعقلاً أيها الضيف الكريم . لك ما سألت ، فإن عندنا خادماً أميناً طاعناً في السن كانت موكلة بمولاي أوديسيوس إذ هو طفل تغسله وتسهر عليه ، وهي التي ستغسل لك قدميك ... يوريكليا ... يوريكليا .. أقبل .. اسهرى على هذا الرجل العجوز الذي له مثل سنك وبجاريك ... إن له سحنة كسحنة أوديسيوس وسياء كسيائه .. اغسل قدميه وقدمي له كسوة تليق بضيف حل بيتنا » وكأنها هاجت ذكرى أوديسيوس شجون المرأة فترقرق الدمع في عينيها اللهزتين وقالت : « آه يا ولدي يا أوديسيوس لشد ما ابتزع قوادي إليك ويخفق لك كراكي ! تالله لم أردد جلا أخبت للآلهة كما أخبت وضحي لها كما ضحى ... ومع ذلك فقد ناموا جميعاً عنه فلم يتأذنوا برجوعه إلى وطنه ! ومن يدري ؟ قد يكون غريباً كهذا الغريب ، جواب آفاق في بلاد نائية ، ومن يدري ؟ قد تكون نسوة تعبت به كما عبت نسوة هذا القصر بهذا الرجل ... هلم أيها الضيف الكريم ، لا أحب إلى من أن أغسل قدميك كما أمرت مولائي ... أوه ! يا للعجب ؟ ! لماذا يتجذب إليك قلبي هكذا ؟ يا للآلهة ! أبداً كما رأيت من أضيائهم هذا البيت العتيق أشبه بأوديسيوس منك مسرورة وصوتاً وخطراناً ... »

(١) - الطس بالفتح والظست والطسة (الطشت) الذي يغسل فيه (قاموس)
(٢) أثر الجرح القديم



النازح الذي سيعود من سفره فجأة فيطش بالطغمة العاتية التي استباحث قصره ، وولغت كالكلاب في عرضه ... ألا يا ابنة إيكاريوس اسعدي ! « واستيقظت من نومي مسبوحة وطررت إلى إوزي لأطمئن عليه فوجدته سالماً ... فهل تستطيع أن تعبر تلك الرؤيا أيها العزيز ؟ »

فقال أودسيوس : « أيها السيدة الفاضلة ... لقد فسر لك الرؤيا زوجك بلسانه ... وهي لا تعني غير ما قال ... إنه قادم وشيكا لا ريب ... وإنه حامل إلى العشاق منايهم »

وأتاقت بنلوب ثم قالت : « أبداً ... إن هي إلا أضغاث أحلام ! إذا كان غد فإني ذاهبة إليهم فذا كرة لهم شرطاً إن استطاعوه نالني أقوام فذهبت من فوري إلى بيته وتاركة كل هذا القصر الذي دخلته زوجة لخير زوج ، ليكون حلماً جيلاً يزخره لي الماضي ... وذلك أنني شارطة عليهم أن يحملوا قوس أودسيوس فيصيدوا بها غرضاً يخترق السهم إليه اثني عشر (دنجلا) ^(١) فان أصابه أحدهم فأتانا له . وهش أودسيوس وأيد فكرتها « لأن واحداً منهم لن يستطيع أن يوتر قوس أودسيوس قبل أن يحضر أودسيوس فيحطمهم جميعاً !! » وأشارت بنلوب إلى خدمها فأعددن لأودسيوس متكا وفراشاً وثيراً ... وذهبت بنلوب لتدرف في مخدعها دموعاً من بلور

دربني ضيعة

« يتبع »

(١) لم نجد في العربية - أو لم نعرف - مرادفاً لمحور القرص أو العجلة ، فأجزنا هذه اللفظة لشيوعها بين الصناع .

نكبتى وشاحذة سكتني كبيراً ، وبعد أن وصلت إليكم بعد يأس وقنوط من عودتي ؟ أصمتي ! غلى لسانك بسلاسل وأصفاد فلا أزيد أن يعلم أحد أنني هنا ... وإلا ... فتالله لن أرحمك - ولو أنك مرضى - يوم يجد الجدا ! »

وارتعدت يوريكيا ، وقالت تبجيه : « أي بني ! لم تكلمني هكذا ؟ أتشك في ثباتي وحفاظي ! إطمئن يا بني ، فسأكون أصمت من الحجر الصلد ، وأستر لسرك من الحديد ! » فخدجها أودسيوس وقال : « أصمتي إذن ، ولا تفسدي تديرونا ، ولنتوكل جميعاً على الله ! » وذهبت فأحضرت ماء آخر ؛ وأخذت في غسل رجليه العظيمتين ، فلما فرغت ضمختهما بأخر الطيوب ، ووقفت تقلب عينيها في مولاها بينما كان هو يربط لفائف على ندوب ساقيه ... وأخذ أودسيوس كرسيه وجلس قريباً من الموقد تلقاء بنلوب التي شرعت تحذره وتقول : « أيها الضيف ، ما أرى بأساً أن أسألك إذا كنت أبقى هنا مع ولدي أو أختار أحداً من أولئك الأمراء فيكون لي بعلًا .. على أن رؤيا رأيتهما ما تزال تضطرب في خلدي ولا أعرف كيف أعبرها . ذلك أنني كنت أقتني عشرين إويزة بيضاء ، وكنت أحبها وأرعاها بنفسى ، فرأيت فيما يرى النائم تسراً قشعاً انقض عليها من الجو فافترسها جميعاً بينما كانت تأكل طعامها من المelf الذي أعدته لها ... ولما رأى النسر شدة حزني والتياحى على إوزي ، وقف على ثنوء قريب ثم أنشأ يكلمني ويقول : لا تحزني يا ابنة إيكاريوس على الإوز فإنه يمثل عشاقك الفساق ... أما أنا فأمثل زوجك

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للفن القصص والرواية

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٢ شوال سنة ١٣٥٦ - ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٧

العدد ٢٢

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | القصص | القصص | القصص |
|------|-----------------------|--|--------------------------------|
| ١٣٥٤ | سيدنا الشيخ حسين | أقصصة ريفية | بقلم أحمد حسن الزيات |
| ١٣٥٩ | الحب والتجسس | قصة بوليسية للكاتب الأمريكي جيس جولد كوزينز | بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة |
| ١٣٧١ | الأم البيضاء | للكاتب الروسي تيودور سولوجب | بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي |
| ١٣٧٩ | طبيب الاقليم | للقصص الروسي إيفان تورجنيف | بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار |
| ١٣٨٥ | قد دفنا الماضي البغيض | أقصصة بوهيمية | بقلم الأستاذ أديب عباسي |
| ١٣٩٦ | الوطنية | مترجمة عن مجلة القصص الواقعي الانجليزي | بقلم الأديب محمود السيد شعبان |
| ١٤٠٠ | اعترافات فتى العصر | لألفريد دي موسيه | بقلم الأستاذ فليكس فارس |
| ١٤١٠ | الأوديسة | لهوميروس | بقلم الأستاذ دريني خشبة |

من كرايا الريف

سَيِّدُنَا الشَّيْخُ حُسَيْنٌ

بقلم أحمد حسن الزيات

حتى ليضرب وجهه .
يلبس العمامة الضخمة
على رأسه الصغير الأصلع
فتنطبق على فؤديه ،
وتستقر على أذنيه ،
وتلقى على محياه الأسمر
إشراقاً حائلاً من التقى
والهيبة ؛ ويرتدى

(الزعبوط) الخشن الفضفاض على جسمه الرهل
الرجراج ، فإذا مشى رفع ذيله على عاتقه الأيسر
فيكشف لعينيك عن جانب من سراويله البيضاء
يضرب عليها من خطوة إلى خطوة رأس تكتها
السوداء الغليظة . وهو يمشی مطرق الرأس متكنف
الخطو كأنما يهبط في حدور من الأرض .
واضطراب لجه مع وثاقة تركيبه دليل على أن هذا
الرهل عارض من عوارض الجلوس والراحة ؛ ولا
يحتاج هذا الدليل من عرفه في ريق شبابه ، فقد قضى
عمره الأول ضارباً في الأرض بقدميه وذراعيه ،
حتى سخرته الحكومة فيمن سخرت لحفر قناة
الاسماعيلية وترعة الحمودية . فلما عاد من الهجرة
والسخرة شرع يحفظ القرآن على أيه ليخلفه على
خدمة (الزاوية) وهي مسجد القرية الصغير . وكان
حفظه القرآن على الكبر غمزة يصينه منها منافسوه
من (الفقهاء) ، فيقولون في خبث الحاسد إن كلام
الله لا يرسم على لوحة الدهن إلا في الصغر ؛ ويجهد
هو أن يفوت عليهم ما يقصدونه من هذا الغمز فلا
يقتر عن استظهاره واستدكاره حتى حملة على ظهر
قلبه ، وأداه عن طرف لسانه

كان سيدنا الشيخ حسين رجلاً مربع القامة
إلى الطول ، ممتلئ الجسم إلى السمن ، آدم اللون
في اصفرار ، مستدير الوجه في غلظ ، قصير العنق
في اكتناز ، عريض الجبهة في بروز ، ضيق العين
في كلال ، مرسل الشارب ، مسبل اللحية ، قد شاع
فيهما مشيب السنة الحسين

وهذه هي الصفات الخلقية التي تثب إلى ناظريك
أول ما تراه ؛ فإذا رجعت فيه البصر رأيت في
وسط جبينه سمة ظاهرة في شكل الزبيبة من أثر
السجود ، وفي أعلى ذقنه ندبة غائرة كطعنة السهم
من أثر مشاجرة . وليس بين طول السجود وحب
المشاجرة تناقض في خلق الشيخ ، فقد كان رقيق
القلب مرهف الشعور ، يهتاج لأدنى باعث ، ويسكى
لأقل حادث ، ويتأثر لأي خبر ؛ فهو شديد الرضى
إلى حد الاستكانة ، سريع الغضب إلى درجة البطش ؛
ورضاه وغضبه لا يخرجان عن حميته لدينه أو عصبيته
لرأيه . قالصوفي الذي ينسب إلى الأولياء ما للأنبياء
من الخوارق يحرك قلبه ويثير إعجابه حتى ليقبل
رجله ؛ و (الشاعر) الذي يغائب (أبو سعدة الزماني)
على (أبو زيد الهلالي) يهيج نفسه ويضرم غيظه

لخياطة المقاطف . فأما ذؤو الخطوط الجميلة فهو لا على
عليهم ما طُلب منه من التمام والأحجية : فذا يكتب
(السبع آيات المنجيات) ، وهذا يكتب (السبعة
عهود) ، وذلك ينقل من (الديري) جدول التأليف
بين الزوجين ، وذلك يكتب على خوصة نخلة شرقية
للسعال ، أو على بيضة دجاجة سبتية للحمى .
وينصرف أولئك جميعاً ويبقى أربعم في القراءة
فينقلب أستاذاً (لسيدنا) يحفظه قصيدة البردة
للأبوصيري شطرة شطرة ، أو على حد تعبيره هو :
(شجعة شجعة) . وهنا تظهر قسوة الإرادة الفتية على
الذاكرة الشيخة ، فسيدنا يريد أن يحفظ البردة كلها
لأنها تُنشد أمام الجنائز كأنها كتاب الموتى ، وهو
حريص على أن يتزعم فريق المنشدين في الجنائز ،
يذكر الناسين أوائل الآيات ، ويرسم للبادئين
طرائق النغم ، حتى يعتاض بهذه الزعامة عن زعامة
القراء ، فإن فيهم من يفوقه في حفظ القرآن
وتجويده . ولكن ما العمل وأنا لا أفهم ما أقرأ ،
وهو لا يعلم ما يحفظ ؟ لا حيلة إلا أن ينقشها في صفحة
حافظته على الصورة التي ألفناها من رسم الكلمات .
ولا أذكر كيف قرأ مطلع هذه القصيدة :

أَمِنْ تَذَكَّرَ جُبْرَانُ بَدَى سَلَمٌ

خرجت دمعاً جرى من مقلة بدم
وإنما أذكر أنه كان على غير هذا الضبط الذي تقرأه
أنت الآن ، وربما كان أقرب إلى الضبط الذي تقرأه
عليه أحد أنصاف الأمين من إخواننا المسيحيين
إذ قال :

أَمِنْ تَذَكَّرَ جُبْرَانُ بَدَى سَلَمٌ

وما كان أصعب عليه رحمه الله من نطقه (أكففاً

هنا) في قول الأبوصيري :

وتوفى أبوه فأصبح خادم (الزاوية) ، وقارئ
البيوت ، ومعلم الكتاب ، ولا حد الموتى ؛ فكان نهاره
كله سعيًا متصلًا وحركة دائبة : ينفلت من صلاة
الفجر فيدور دورته الرتيبة على الدور يقرأ في كل
منها ما تيسر من كتاب الله ، ثم يُسأل وهو ماش
يتدهدى بين الأزقة عن تاريخ اليوم في التقاويم
العربية والأجنبية والقبطية فيجيب ، ويُستفتى عن
اليوم المشؤوم واليمنون فيفتى ، ويُطلب منه أن يحسب
النجم لهذا أو ذاك فيحسب ؛ ثم تناديه إحدى عجائز
البيوت ليبني لها الفرن فيلبي ، ويدعوه أحد الفلاحين
ليكيل له الغلة في البيدر فيذهب ، ثم يختم دورته
اليومية عند الضحى العالى ، ويعود إلى الكتاب
فيعلق عمامته وزعبوطه على الوتد ، ثم يقعد على شقة
من الحصير ، عن يمينه (الجريدة) ، وعن يساره القلة ،
وأمامه حزمة من الخوص البلول ، وفي يديه صغيرة
يدخل فيها الخوصة بعد الخوصة وأصابعه الكرماء (١)
تولى بها من كل جانب ؛ ثم يستمع إلى أحد الصبيان
وهو متربع على الأرض قدامه ، يرتجف من
الخوف ويتلو عليه ما حفظ من لوحه . فإذا فرغ
سيدنا من استماع قراءة الحافظ ، وعرك أذن الناسي ،
وضرب رجل المقصر ، ذهب إلى الزاوية فلا ميضائها
ومغطسها بالدلو ، ونظف حُصْرَها ومماشيها
بالكنسة ؛ ثم يصلى بالناس الظهر ، ويعود فيتغدى ،
ثم يعطى الصبيان حصّة العصر ، ويصرف بعضهم
إلى أهليهم ، ويرسل البعض الآخر يجمع الخطب من
التلول ، أو يجلب السريس من الحقول ، أو يبل له
حزم الخوص في المستنقع ؛ ثم يستبق فريقاً لتشقيق
السعف لجدل الصغيرة ، وقتل الحبال من المسد

(١) الكرماء : هي القصيرة الغليظة .

فما لميتك إن قلت اكفها همًا

وما لقلبك إن قلت استفق بهم
فانه كان يلفظها على أنها كلمة واحدة ؛ وهي بهذا
الاعتبار تلتوى على لسانه وتندُّ عن ذاكرته

كانت لي الخطوة عند (سيدنا) من دون أولاد
الكتاب ، لأنني كنت أسمع له البردة ، وأكتب له
الحجاب العالي ، وأرسم الخاتم الدقيق على رُكَب
التلاميذ عصر الخميس حتى لا يستحموا في النهر
يوم الجمعة . وكانت لي الدالة على (امرأة سيدنا) ،
لأنني كنت سريعاً إلى قضاء حاجها من بيت الأسرة .
فكنت أعني من الأعمال الشاقة : كهرس سنابل القمح
بالمصاحن ، ودق كَرَب النخل بالمطارق^(١) ، وجر
حزم الجريد من البستان ؛ وأجاب إلى كل ما أسأل ؛
فلا أزال أذكر أن العريف قرر ذات حين أن يأتي
(الأولاد) بأغديتهم في الصباح حتى لا يخرجوا من
الكتاب في الظهر . وأغدية التلاميذ تختلف طبعاً
باختلاف البيوت في الغنى والفقر ؛ فكان العريف
الماكر يركم الطعام بعضه فوق بعض فيجعل طيبه
أسفل ورديته أعلى ؛ ثم يجمع الصبيان حول هذا
الركام ويأمرهم أن يبدأوا الأكل من فوق ،
فيأكلوا كارهين ، حتى إذا أوشكت أناملهم
الصغيرة أن تهبط إلى الطبقات الخسفية أعلن انتهاء
القداء ، وحمل آخر النهار كل ذلك إلى أهله ؛
فكان أكثر (الأولاد) يقاسون الجوع ولا
يستطيع أحد منهم أن يجار بالشكوى ، إلا أنا ،
فلم أكد أعرض (لسيدتنا) بفوضى هذا النظام
حتى حملت (سيدنا) على غل يد العريف وإلغاء حكمه
(١) الكرب : رؤوس الجريد الغلاظ التي تقطع معها (قحف)

على أن هذه الخطوة وتلك الدالة لم تستطيعا أن
تحببا إليّ الكتاب ، ولا أن تخفقا عن نفسي شدة
كربه . فقد كنت كسائر الأطفال أكره الكتاب
كراحتي للموت ، وأخاف من الفقيه مخافتى من الهولة .
وكان أسعد أيامنا نحن أولاد الكتاب يوم يموت
في القرية ميتاً فإذا سمعنا في الصباح الباكر صراخ
النمي على بعض السطوح طفرنا من السرور وسكرنا
من الطرب ، لأن هذا الميت سينقذنا طول النهار من
طلعة الفقيه . فقد كان الشيخ حسين هو الذي يبنى
قبره ، وهو الذي يغسله ويكفنه ، ثم يلحده ويلقنه ،
وفيما بين ذلك يشارك الجزار في ذبيحته ، ويرأس
المشدين في جنازته . فإذا لم يكن في القرية ميت
يشغله تجهيزه ، ولا في بعض الدور فرن يؤخره
بناؤه ، فرغ لنا بنظرته القاسية وجريدته الجاسية
وصيحته المنكرة . فهو في جلسته وهيئته اللتين
وصفتهما من قبل ، ونحن قعود على أرض النظرة ،
بعضنا يتقل من المصحف ، وبعضنا يحفظ في اللوح ،
وأحدنا ينود^(١) أمامه ، يسمع الدرس القديم ، أو
يصحح الدرس الجديد . فإذا عثر ولج به العثار
أنحى على نخذه بالجريدة البرومة ، ثم يأمرنا أن
نجهز بالقراءة حتى يضيع في صياحنا بكاء المضروب .
ويتطير غضب سيدنا إلى نواحي النظرة فتتخلع قلوبنا
من الرعب ، ويتداخل بعضنا في بعض كما تتداخل
الخراف في الحظيرة إذا ما سمعت هيمة الدب^(٢)

على أن سيدنا كان في غير ساعة الدرس طيب
القلب رقيق الكبد لا ينفك في صلواته يدعو الله أن

(١) ناد القاري : إذا هز رأسه وكتفيه على نحو ما يفعل
قراء القرآن

(٢) الهيمة : صوت العدو المهاجم

يجعل أولاده من حملة القرآن وطلبة العلم

كان أظهر ما في حياة الشيخ حسين غرامه بالزاوية، فهو لا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لها، ولا يسأل إلا عنها. هي ميراثه عن أبيه، ويرجو أن تكون ميراثه لبنيه. أمنيته لنفسه أن يدفن في الزاوية، ودعوته لابنه أن يكون خطيب الزاوية، ورجاؤه في الله أن يعطف عليها وزارة الأوقاف، أو يرقق لها قلوب الناس، فيرفعوا ما خرمن سقفها، وقيموا ما تقوض من بناها؛ ولكن وزارة الأوقاف مشغولة عن الزاوية، وأهل القرية مكتفون بالمسجد الكبير، فمن الذي يدنيه من مثاله ويسعفه بآماله؟ لا أحد إلا إيمانه بالله وثقته بنفسه. ألم يكن في صدر أيامه بناء؟ إذن لا يعوزه إلا الآجر والحجارة، وهذا مطلب مع المزيعة المؤمنة ممكن التحقيق سهل الملتبس. فكان كلما دخل داراً يقرأ فيها (الراتب) نفذها بنظره الحسير، فإذا رأى آجرة مهجورة أو طوبة مكسورة حملها في كفه الواسع إلى الزاوية. وكان يمشي في الطريق ونظره إلى الأرض، فإذا رأى حجراً أو بعض حجر لقطه وحمله إلى الزاوية. وكان يرجو بهذه الطريقة أن يتجمع له مع الزمن والاستمرار أكوام من الآجر، لولا أن الحوادث العوايث حالت بينه وبين ما يرجو. كانت الكلاب الراقدة فوق التلول، أو الرابضة على العتبات، أو الراصدة في الأزقة والحارات، كلما رآته ينحن على (الطوبة) يلتقطها، ظنت أنه يريد أن يرميها بها، فبعضها يهجم عليه، وبعضها يولى عنه؛ ويدعو نباح هذا الكلب وهرير ذاك سائر الكلاب، فيضطر (سيدنا) إلى أن يقدفها بما معه من الحجارة، فتحمى

المعركة، ويتفاقم الأمر، ولا ينحسم إلا بتدخل أهل الحي. وعرفته الكلاب، فكان إذا مشى هرتة ولو لم يكن في يده حجر؛ فهو في طريقه إلى الدور أو إلى الزاوية أو إلى الكتاب، تراه متبوعاً بسرب منها تنبحه وتهم به، حتى أكرهته آخر الأمر أن يدع جمع الطوب وأن يحمل الهراوة

وسمع الناعمين في الزاوية بين عمدها التصدعة، وفوق حصرها البالية، يتحدثون ذات يوم بأن المنشاوي باشا يتفق الأموال في وجوه المعروف، ويحبس الأطيان على أعمال البر، فهو يقيم المستشفيات والملاجئ، وينشي المدارس والمساجد، ويفيض من ثرائه الغمر على البيوت الجديدة فتهتز وتورق. ففكر سيدنا ملياً وهو يضع قنديل الزيت في مشكاته المحطمة، ثم رجع إلى بيته ساهاً حالماً كأنما يشغل باله شأن خطير

ورآه المبكرون من رجال القرية ونساءها يأخذ طريق السوق بعد صلاة الفجر، نعلاه تحت إبطه، وزاده فوق ظهره، وعصا غليظة في يده

— إلى أين ياسيدنا الشيخ حسين في هذا الوقت؟

— إلى المنصورة في شأن من شؤون الزاوية

— ألم تجد حماراً؟

— بلى، ولكنني فضلت أن أحمل نفسي مخافة

أن يضيع الحمار

ولكن مضى اليوم واليومان والأيام وسيدنا

لا يظهر في مكان من أمكنة القرية، فإلى أين ذهب؟

كان بطوى المراحل ما شياً حافياً إلى (القرشية)

بلد المحسن الكبير المنشاوي باشا؛ وكان بين قرية

الشيخ وبلد الباشا مائة كيل من الأمطار

فلم يكد يراه حتى هروا إليه قبل أن تقع عليه
عيون الخدم وهو ينغم بالدعوات ويتوسل بالنظرات
ويتهل باليدين . فارتاع الباشا الشيخ ، وصاح
بالخدم أن يطردوا هذا الجزىء ، فانقضوا عليه واعتقلوه
ثم أخرجوه وهو يصيح :

الزاوية يا باشا ! الزاوية ! ربنا يطول عمرك !

وفي ذات أمسية قراء من أماسى القرية الجميلة ، بينما
كان الصبيان يلعبون فى الجرن ، والشبان يسمرون
على المصاطب ، والشيخ يتعبدون فى الزاوية ، إذا
بالناظرين إلى سكة السوق يرون الشيخ حسين
عائداً وخفاه تحت إبطه وليس على ظهره زاد .

— أين كانت هذه الغيبة الطويلة ياسيدنا ؟

... ؟

— مالك تهالك على نفسك ؟ هل أدخلوك فى
المستشفى الأميرى ؟

— أمر الله ! قدر الله ! قل لن يصيبنا إلا
ما كتب الله لنا

وأصبح الصباح فأقبل الزائرون يسلمون على
سيدنا فوجدوه طريح الفراش ، عينه رمداً ، وجسده
مردوع ، وقوته منسركة . فحاولوا أن يعلموا منه
سبب هذا الغياب ومصدر هذا السقم فلم يسمعوا
إلا قوله : أمر الله ! قدر الله !

وتبلغت العلة بالرجل الصالح فلم يمض على أوبته
شهر حتى خلا مكانه من الزاوية العزيزة والقرية الحبيبة
وسكت الكتاب فلم يضح ، وهدأت الكلاب
فلم تنبح ، وقرت الحجارة فلم تنزعج ، وعوض الله
سيدنا البار من بيته فى الأرض ، جنته فى السماء

الزيات

ها هو ذا يهدج^(١) فى الطرق الشوكاء والمسالك
الحصبة والمزلق الوحلة دأى القدم مرتهك المفاصل
طاوى الحشا ، يبيت ليله فى القرية التى تقابله فى
المساء ، لا ينزل على العمدة ولا على الشيخ ، وإنما
ينزل على خادم المسجد أو فقيه الكتاب أو مأذون
القرية ممن يتوسم الخير فيه ويرجو المؤاساة عنده
وبعد عشرة أيام كاملة من السير المجهد واللغوب
المضنى ، ورد مناهل الباشا فى القرشية فوجدها تموج
بذوى العاهات والحاجات من طلاب الرزق ، بين صحنى
يقدم وصل (الاشتراك) ، وشاعر يطلب جائزة
القصيدة ، ورئيس مدرسة يبتغى نصيباً من الإعانة ،
ومديرة ملجأ ترتجى حصة فى الوقف ، وطوائف
مختلفات من المحتالين والعيارين والشعوذين وأرباب
الطرق ، كل يستندي كف المحسن الكبير الذى
يوزع ثروته تفصيلاً قبل أن يخرج الموت عنها جملة
دخل المسافر المجهود فى غمار الناس وهو أشعث
أغبر ، فاقتمته العيون ، وتدافته الأيدي ، وظن
الحجاب والخدام أنه طالب طعام ، ولم يدروا أنه
ركب المخاطر وتجشم الأهوال ليطلب من الباشا بناء
الزاوية ، فدفعوه إلى رواق فسيح كعنابر الجند
تكذبت فيه العجزة والمساكين على حال من البؤس
لا توصف . واحتج سيدنا على هذا النمط الغريب
من الإكرام ، وقال ثم قال ، فلم ترتفع إليه عين ، ولم
تستمع إليه أذن . وقضى على هذه الحال الأليمة بضعة
أيام لم يفتر فيها لسانه عن الاحتجاج واللجاج فى
مقابلة الباشا ، والناس من حوله يضحكون منه
ويعبثون به ، حتى تسلل فى غفلة الأعين ذات صباح إلى
دوار الباشا فوجده جالساً فى ردهة (السلامك)

(١) هدى الرجل : منى مشية الشيخ

العمارة ، بل هو
عقد زين جيد
المدينة ، أيام حداثته
وجناته مراتع آرام ،
ومورد عذب كثير
الرحام ، وليالي
حجراته مطالع أنوار
وأكام أزهار
وأوکار أطيّار

ومستودع أسرار . فزلنا بيت
من تلك البيوت اختصني به
صديق الدكتور شارل أحد
أطباء المدينة والشركة ، وقد أضاف
إلى علم الطب ثروة جديدة
باكتشافه علاجاً حديثاً لداء
ديزير ريفوليه^(١) الألم الذي
أعجز شفاؤه نطس الأطباء .
ولكنه كان بين مخالب شيبوليث
ذات الخطر . كان شارل واحداً
من النوابغ الذين هم على جانب
من البساطة والبله . فلما استقرت
بنا النوى وألقينا بمصا الترحال ،
وقبل أن آخذ بنصيب من الهناء
بقرب « أثيل » التي أضنانى

بعدها ، ذكرت أنني تعودت أن أنزل بفندق
« ريتز » فأجد به راحتي وخلوتي وسلوأي . ولما
كنت خلقت ألوفاً لو رددت إلى الصبا ومنحت

(١) ديزير ريفوليه بالفرنسية Desir Refoulé أي
الرغبة المكبوتة

الحب والتجسس

قصة بوليسية للكاتب الأميركي جيمس جولد كوزينز
نقله الأستاذ محمد لطيف جمعة

قصة قصيرة من وضع جيمس جولد
كوزينز J. G. Cozzens الذي ولد
في شيكاغو وتعلم في قارة أوروبا
وعاش في فرنسا وألمانيا وتزوج من
برئيس بومبارتن ووضع القصص
الطويل والقصير ومنها سان بدرو
وآدم الأخير والرجال والاختوة .
وهو في هذه القصة القصيرة التي
تنقل إلى العربية للمرة الأولى يرسم
لك التجسس الحربي كأنك تراه
ويحلل نفسية المرأة شيبوليث التي
أوردت نفوساً كثيرة موارد الهلاك
بفتنتها . وبطل القصة لدفيسج يلهو
بحب الفتاة أثيل تارة وينصب الشباك
ليوقع بالمرأة شيبوليث طوراً ويقتفيها
متبعاً حركاتها ومسجلاً أخبارها ،
وما يزال بها حتى يعثر بها في مدينة
أنتيب بعد أن نجت من حبل المشقة
على يديه . وقد نالت هذه القصة جائزة
(اندرسون) ونقلت إلى بضع لغات

لما بلغت وصديقتي أثيل
تغر « أنتيب^(١) » استقبلنا ماء
السيم تحت أقدام البلد ، يلهو
به المد والجزر ، فأخذنا بالجانب
الشمالي ، وسرنا على جسر بين
شقين من البحر غير بعيد ، إلى
أن رأينا قصوراً وجنّات راعنا
حسنها وزينتها ، وهي التي شادتها
شركة « كازينو^(٢) » القمار
لموظفيها وحفظة خزائنها ،
وصيارفة أموالها ، ورؤساء
حصّادها^(٣) . وهي تمتد على
طريق الراكب أو الراجل كأنها
سحى كامل ، من بلد عامر ، ذي
نصيب متوافر من مفاخر فن

(١) بالفرنسية Antibe ميناء على شاطئ الذهب في جنوب
فرنسا على قرب من (كان) وموتكارلو شهيرة بملعب قمار
وكانت من مراکز الجواسيس الدوليين أثناء الحرب العظمى
(٢) كازينو كلمة لاتينية إيطالية معناها مقر أو دار للجماعة
وتطلق على ملاعب القمار الملحقة بالفنادق الكبرى
(٣) حصّاد ترجمة لكلمة Crouhier وهو مساعد رئيس
المائة الحضراء لجمع نقود اللاعبين ويقسمها بين البنك وبينهم

بسواده ، ولا ألواح البلور التي دوى صوت تحطيمها
في الجو كأنه قصف الرعد أو طلقات المدافع ، ولكن
ذلك الانجليزى البكاء — وقد شهد الهيب يتصاعد
من ناحيات القصر — خيّل إليه أنه ليست
الأشياء المادية هي التي تحترق وحدها ، ولكن
ذكريات شتى تأكلها النار فيما تأكل فينبعث لها
لهيب مختلفة ألوانه متباينة نفحاته ، فهنا ذكرى
لدة وهناك ذكرى ألم — أوتنى لك ذكرى فندقك العتيق قبل أن
تقى لى ؟

— ليكون وفائى لك أمتع وأعمق وأطول
وأعرض وأجدى وأنفع !
— إننى أتركك على مضض ، وأنتظر على نار ،
وأصبر لك على عتاب مبكّيت ، فما وراء هذه الزيارة
المعجلة وتلك اللفة المتافعة بثوب من الحنان سوى
ذكرى لا ذعة من تلك الذكريات التي تتوارى ولا
تزول ، وتكمن ولا تغنى ، وتغوص في الماء ثم تطفو
ولا تفرق

فتحملت عتاب أثيل ولم يكن مبعثه سوى الغيرة
وإنها لأهون على من اطلاعها على السر الرهيب .
وحاولت أن أصرفها عن طول النقاش فقلت لها :
أندكرين ذلك القصر العتيق في وسط الطريق
بين أورايج وتولوز ، ذلك المغنى القديم الذي قيل
إن أحد أمراء فرنسا شاده لمعشوقته من « النور »
قالت : نعم أذكره

قلت : إنه الآن مغمور بالشمس ، مخفوف
بصخور الجبال ، غارق إلى نصفه في الغاية يعصف
به هواء النهار وريح الليل على مر الأسحار والأصائل .
فلو أن ذلك الأمير الشاعر ما زال عائشاً بعد أن
هدم الدهر صرح سعادته ، وامتدت يده العابثة

قوته وجماله وإرادته ، لفارقت شبيباً كياً عليه ...
وقد فاتني الاستشهاد بهذا المعنى أثناء حوارى وأثيل
عند ما قبضت على بضعة شعيرات من رأسى مبتلسة
بجريمة البياض ، في وسط السواد وقبل الألوان ،
ولكنني أعرضت عن هذا الاستشهاد الآن لأنه
وإن كان عامراً بروح الوفاء ، إلا أنه معيد لذكرى
الشيب ومهدد بفارقة الشباب وأنا محتاج إليه في
عشرتها . فزأيت أن أكتب الأمثال وأبوح برغبتى
في قضاء حق الزيارة لذلك المنزل الذي أنست به
وعشت في ظلاله أحياناً

فلما طرحت الأمر بين يدي أثيل الفاتنة
وشرحت لها القصد من تلك الزيارة التي كانت
منطوية على رغبتى في مراقبة الجاسوسة شيوليث^(١)
قالت لى : أتنى لمكان لمجرد الذكرى ؟

قلت لها : نعم إذا كان الوفاء قد غاض ، فلا
ترجو عند أكثر الناس وفاء للود ولا وفاء للحق
ولا وفاء للعدل ولا وفاء للذم ، فإنى لا أريد أن
أخون عهد هذا المكان الذي تحسبن أنه لا يحس
ولا يشعر

— وماذا ترجو من الوفاء لجناد تقول إنه لا يحس
ولا يشعر ؟

— إنه إن لم يجز على الوفاء إحساناً بإحسان
فهو لن يجزى عليه شراً . ولم أفاتحها بالطبع في حقيقة
مطلبي خوفاً من إذاعة السر الذي كنت مرتبطاً به
فقلت لى : إنك تشبه ذلك الانجليزى الذي
وقف يبكي على حريق قصر بالمور وهو لا يملك فيه
شبراً ولا فتراً

— إننى أفهم ذاك الانجليزى وأعطف عليه
فإنه لا يبكي الجدران التي تركها الحريق متشحة

(١) اسم الجاسوسة الدولية التي يتنوى القبض عليها

والشراب ونسيت الطعام، والعيشة ولم تذكري الحب؟
 قالت: النوم لأن فيه الأحلام، والشراب لأنه
 يغني المفكر عن الطعام، والعيش لأنه هو الحياة.
 — والحياة أن تتيقظ على صوت الأمواج وتستقبل
 أشعة الشمس وأن تقنع بعشرة الحبيب في خلوة
 صحبحة بعيدة عن فضول الأوغاد من العاذلين والحساد
 والنامين اللسنة الذين خلقوا ليكذبوا ويفتروا
 ويفرقوا بين الأحباب

كان ذلك الكوخ الأنثي (١) جميلاً حقاً لأنه
 يمثل العزلة الشاء والوحدة المتكبرة المتعالية يقصد
 إليه من يريده، ولا يصل إليه إلا من يتعب في
 سبيله. فكرة سامية عبر عنها صاحبها بالالتجاء إلى
 شاطئ البحر في سفح الجبل، فهذه الأمواج الصادرة
 والواردة تترنم بأنغام هادئة كأنها تهمس أسرارها
 في أذن الرمال الذهبية التي لا يعلم عمرها إلا الذي
 خلقها وأبقاها، وهذه الألوان النفسجية تعكسها
 أشعة الشمس وتداعبها وترقصها وتحتضنها وتقفز
 عليها فتولد منها ذرات من النور الملون تخطف
 النظرات من الأبصار كأنها لمحات الفكر في لحظة منه
 لمحات التجلي الروحي. وهنا يشعر الإنسان بأنه جزء
 لا يتجزأ من هذه الكينونة الكاملة... الله! فينسى
 الماضي والحاضر والمستقبل؛ وفي طرفة عين — بل في
 طريقة روح — إذا صح هذا التعبير — يتلاشى
 الزمان والمكان

النور... نبع الفن الفياض ولباس السعداء،
 النور الذي يفرحنا ويسرنا لأنه يطابق المعرفة الكاملة
 القائمة على التأمل، والتأمل حياة الحكماء.
 لقد أدركت الأديان قديماً سر النور ولا سيما في
 الشرق فجعلت من النور «النعم السرمدي»

(١) نسبة إلى انثي وأصل اسمها انثيوا أي وراء الغابة

إلى قصره، أترينه يضمن عليه بزيارة كالتى جدنا
 عليه بها ضحى هذا النهار؟

فأطرقت أثيل، وقالت: كلا! وهذا الذي
 يخيفني فأى ذكرى لك في فندق ريتز تريد أن تحبها
 وتحبها؟

— ولا شك أنك تذكرين تلك العصافير التي
 كانت ترعى بين الدمن، كأن صغيرها الرقيق نغمات
 آتية من مكان بعيد، ولعلها ذكريات أعجز الدهر
 أن يحوها

— ولكن أذكرك أيضاً كيف انفرجت
 الحشائش فجأة عن حيوان يشب بين الطلول فإذا هو
 ثعلب مفزع، فأنت لا تسمع دائماً صوت البلابل،
 وقد ترى أحياناً وحوشاً كاسرة، حتى في عالم
 الذكريات، فلا بد لي أن أصحبك في تلك الزيارة.
 فقلت لها: حبا وكرامة، هيا بنا

وقبل أن نخطو في طريقنا وردت باسمي المستعار
 برقية من الكولونيل روكيه يأمرني فيها بالانتقال
 فوراً من بيت الطبيب شارل إلى فندق مجهول على
 شاطئ البحر، لا كون على استعداد للانتقال
 بطريق الماء في باخرة صغيرة، وأن أوجل تعقب
 شيدوليث إلى غد. فلما علمت أثيل بتأجيل زيارة ريتز،
 كادت تطير من الفرح. وقصدنا إلى النزل الصغير
 الذي شاده شيخ فرنسي في وحدة قعساء وأطلق
 عليه اسماً مصغراً للتعزير والتدليل «كابانون» (١)
 فأذكر أثيل بالكوخ الهندى الذى وصفه
 برناردان سان بيير وأعجبت الفتاة بهدوئه كما أعجبت
 بقصة پول وفيرجينى وقالت لي:

— هذا يحلو لي أن أنام وأشرب وأعيش
 — ولم ذكرت النوم ولم تذكري الصحو،

(١) Cabanon تصغير كوخ. ويصح أن يسمى كوخيلاً

خفيفاً حمله ، لاعباً لاهياً ، مستمتعاً بلذات الشباب
وما الحياة إلا الشباب !

وكان مشهد إيثيل في ثوبها الأزرق المنقول بلونه
وتطريزه عن ثوب « نورماشير » حذوك الغرزة
بالغرزة والخيط بالخيط ، وقبعها الصغيرة التي تنحسر
عن جبينها الوضاء ، وشعرها القسطنطي الذي يبعث
به الهواء ، وعينها العسليتين الناعستين — كان
مشهد جمالها وشبابها ومرحها ورنات صوتها —
يبعث في نفوس المجائز تذكارات ساعات من العمر
زاهية ، ولذات في الحياة ماضية ، وقد تكون
الذكرى سلواناً وإن كانت لفات لا يعود . فقد كان
كل ما حولنا من الكون ينمو ويسم للحياة
وبعد أن أخذنا قسطنا من الراحة على تلك
المقاعد الوثيرة تجاه البحر والجبل ، انتقلنا إلى إحدى
الغرف التي أعدت للنازلين بأعلى الكوخ الصغير
وهي مطلة على الألب ماريتيم^(١) وشاطئ الذهب ،
ومشرفة على المدينة الصغيرة التي تبدو عن بعد
كباقة أزهار متعددة الألوان . فكان أول ما عنيت
به « إيثيل » تصفيف الكتب والمجلات التي حملناها
في متاعنا ، وكان ههما الثاني العناية بكلبنا العزيز
فيثفل الذي تعلق بها ، وانتقل جزء من حبه إياي
إلى سيدته ، فهو يتبعها أين ذهبت ، وينظر إليها
بعينين ملؤها الاخلاص والوفاء حتى ليكاد ينطق
بعبادتها .

فلما بدلنا ثيابنا نزلنا للغداء ، وكان من سمك
الدراك وحساء الخضر وفاكهة ونقل ونبذ جراف
الذي خزنه صاحب الكوخ في كهف عتيق في أحد
بيوت أنتيب القديمة ليكسب لذة القدم ، وصفاء
اللون ولذعة « باكوس » ذات النشوة المدهشة
ولما أن فرغنا من غدائنا « التنسكي »^(٢)

(١) سلسلة جبال (٢) نسبة إلى التنسك

وخلقت « هرمن » الفارق في النور الصافي ؛
وإهمان الفارق في الظلام الأبدى
وكنت صامتة فأخذت إيثيل بيدي وسألني
عن تفكيري فقلت لها وأنا أنظر في عينيها :
— أفكر في الجمال وهو الشعاع الأول من هذا
النور السماوي ، وهو الرسالة السامية الموجهة إلى
هذا العالم الأرضي من الذي قال للنور كن فكان ،
والذي خلق الإنسان وجعله أجمل الكائنات وجعل
المرأة أجمل من الرجل وجعلك أجمل النساء !
فضحكت إيثيل وقالت :

— هل هذا الذي يشغل بالك ؟

قلت : نعم ، لأنني حين أرى عجائب نظام الوجود
إنما أجد صورة أجملها في عقلي ، وإنني إذ أحمل هذه
الصورة أستطيع أن أندمج في الطبيعة وأسمعها
هامسة فأفسر همسها وأصيح بها : « هذا الذي حاولت
أن أقول » إن الطبيعة نفسها تستطيع أن تفهم
نفسها والعقل لا يفهم إلا العقل ، وحين يتم الفهم
لا يبقى من كل ما يشغل العقل أو يستهويه سوى
شيئين : الحب والجمال ، الحب أولاً لأنه هو الأعم
الأشمل ، والجمال ثانياً لأنه أحد مظاهر القوة التي
تربط العابد بالمعبود إلى الأبد ... إلى الأزل ...
وفيه تنطوي أسى معاني الخلود والبقاء

— ٢ —

البحر والنور ، وموسيقى الأمواج ، وهبات
النسيم ، والمقاعد الوثيرة ، والحرية المطلقة ، والوحدة
المهذبة ، تلك أدوات الحياة في « الكابانون » وتلك
هي التي تحبها إيثيل ، ولكننا لم نكن الضيفين
النادرين اللذين صادتهما محاسن ذلك الكوخ فقد
كان هناك نساء ورجال بلغت بهم السن ذروتها
فهم يؤثرون أن يقضوا أياماً بين المياه الصافية والجمال
العالية يتلهون عن أثقال الشيخوخة بمشهد الشباب

وجلسنا نشرب القهوة بلغتي البرقية التي كنت أنتظرها، وفيها الأمر بمراقبة شيبوليث فأردت أن أذكر إيثيل زيارتنا لفندق ريتز

وكانت أنتيب في تلك الفترة كمدينة ييارتز، مستقر التجسس الدولي يصلها في كل قطار أفراد وجماعات من كل جنس ولون، يجتمعون ويتفرقون ويتبادلون الأسرار ويدونون ما يصلون إليه من الأخبار بأنواع من اللغات الرمزية، وكلهم خبير بفنه، دقيق في عمله، حريص على الكتمان، ولا سيما النساء منهم اللواتي كن منجم الفتنة وعش الدعارة، ووكر البلاء، ومنايع الدماء، ومنايت الردي، ولا سيما أولئك النسوة اللاتي اتخذن أنتيب وبلدة « ييارتز »^(١) وكان ونيس^(٢) مرسى لدعائم الشرحتي وصفها « بومبايجه » رئيس الخفية الفرنسية بأنها مدن عشش بها الشيطان وضرب فيها قبابه ! ومن أشهرهن تلك المرأة التي اعتقلت في وكرها كالأفي المطيبة، وسلط عليها سيف المجلس العسكري رأسه الكولونيل فودرويان . فكادت تصافح الموت وتمتنق قبرا مجهولا في ضواحي موتكارلو لولا أن رجلا صحيح النية، خالص الضمير، ظن بجائتها تورثها التوبة فتغسل بدموعها دماء إساءتها فتعني على ما كان من جرمها، وتقلع عن مزج خبزها بدماء ضحاياها، فتدخل في الأمر وتوسط وتشفع وتوسل حتى خلص عنقها من الحبل الذي فتلته بسوء فعلها ونسجته من خيوط شرها، فما لبثت أن فازت بجلدها حتى رجعت عن توبتها، ونكصت على عقبيها، ولم تذكر تذللها وانهيأ

(١) مشى جميل على شاطئ المحيط الإطلنطي من أعمال اسبانيا
(٢) مثل ييارتز ولكنهما فرنسيتان على البحر الأبيض

ضميرها، وتهدم نفسها، مذ كانت ألقاها معدودة وحفرتها معدة، وهلاكها محققا . أنتدكرين تلك المرأة التي أظهرت الصحف صورتها وسجلت أسماءها وألقابها ووصفت ماضيها وأوردت أخبار أهلها وذويها؟ ولا يزال بعض الناس ولا سيما الذين تعاونوا على إنقاذها من براثن الكولونيل فودرويان^(١) محتفظين بقصاصات من تلك الصحف ومثل من صورتها ناطقة وهي لا تختلف كثيرا عن حاضرها . كانت تلك الخواطر تجول بنفسى عندما تأهنا للزيارة ولم تتخذ إيثيل زينة نادرة ولم تتحل بشئ من حليها الغالية، وقد قنعت بلبس فستان بلون البن المطحون، وجعلت حول عنقها عقدا من اللآلئ الصغيرة له واسطة من حجر العقيق عليه نقش حمامة، وتقبعت بقلنسوة من لون الثوب مقصوصة على شكل جناح الطير

فكانت لها تلك الروعة الغريبة التي تعبر عن الجمال وشدة الجاذبية

وأسمى منظرها مشبعا بالأحلام والسحر فبعث في نفسى نشوة غريبة وفيضا قويا، وأخذت أسأل نفسي :

— ألهذه المكانة من نفوس الآخرين ؟ فإن كان كذلك فويل لي، فإن كل الرجال يعشقونها، وويل لها لأنها سوف تمشي فريسة الاستهواء والغواية، وهي مصدر تلك اللذة المجهولة التي ينبثق سحرها من نظراتها ومن صوتها على هذه الحياة التي تعجز أداة التصوير عن أداء بعض حقيقتها . انتقلنا إلى فندق ريتز، فوصلنا بعد أن عدنا أدراجنا على جسر البحر وتوجهنا إلى يسار خط الحديد، وكان

(١) نشر الكولونيل برفوم ديلافرتييه مذكراته عن أسرار الحرب العظمى وأقاض في سرد هذه الحادثة (مطبعة كوندورسيه باريس)

تصطك ، وقد رجعت إلى الوراء كأنها حيال أفعى قاتلة من أفاعى الهند الصاعقة الساحقة التي لا ترحم بشراً ولا تخشى وحشاً كاسراً

فنظرت ورأى فإذا بها ... المرأة ... شيبوليث اليهودية الحسنة الملعونة التي كان لى معها تلك الفاجعة الأليمة منذ عام .. وكانت اختفت عن الأنظار وانقطع ذكرها على الألسن والأسماع ، وظنت فئة من الذين يحسنون الظن بالأقدار والآيام أنها قضت فيمن قضى في كارثة الباخرة « دياديم » التي غرقت ، أو أنها بنحمت نفسها ندماً وجزعاً من الصورة التي تركت عليها ضميرها بعد اتصالها بكل رجل من الرجال الأربعة أو السبعة الذين كنت آخرهم . أو أن شهماً من هؤلاء الفتيان الذين يفضلون الكرامة على الهوى ويجعلون الفضيلة أولاً والشهوة في المحل الثاني قد طعنها بخنجر أو أفرغ في جلدتها الشيطاني درهما من الرصاص السسم

ولكن لا ! لا هذا ولا ذاك ولا تلك . وهامى ذي شيبوليث اللعينة مائلة أمامى ، شاخصة إلى يبصرها ، محدقة في وجهى بعينها الساجرتين ، ثم تقلب أجفانها فى إيثيل ، وهى محرق الأرم وتكاد تنشب فيها أظفارها لتفترسها لغير ذنب سوى أنها رأتها فى صحبتى وأنا تلك الضحية الوحيدة التى أفلتت من يدها ونجت من حباتها بمعجزة إلهية . ولعلها شعرت بغريزتها الشيطانية أن أوان الانتقام والعقاب قد حان ، وأنها إن خلصت من جبل المشقة بالأمس فلن تنجو اليوم أو غداً . وقبل أن يفيق الدكتور شارل من دهشته بلقائى ، أو يختم صيغة الترحيب المتفق عليها بين أفراد تلك الطبقة بادرت إلى تنفيذ عقد سرى متفق عليه بينى وبين الجاسوسة شيبوليث ، فخيتها كأنى لا أعرفها ، وقبلت يدها على ما يقضى به

الفندق حافلاً بالأضياف الذين انتشروا فى ردهاته وشرفاته وحول شجيرات حديقته الصغيرة التى كنت أشبهها بحديقة ليليوت^(١) . فكان نصيب إيثيل من نظرات الرجال والنساء ما كان بين حاسدة إياها وحاسدى ، ولكننا كمادتنا لم نبال ولم نمر أحداً التفاتاً ، لأن معظم البلاء فى اعتداء الناس عليك ناتج من تشجيعهم بالنظر إليهم والاكتراث بهم . وقد يما قالوا : « من وطأته الأبصار وطأته الأقدام ! » فكان لهذا التسامى عن الناس أثره الطيب فى حمايتنا من الناس

وقد أخذنا مكاناً قصياً وأخذنا نرقب المارة وتنبع بأنظارنا قاطرات البخار فى رواحها وغدوها وأستعيد بمفردى ذكرياتى ، وإيثيل صامتة فى حيرة من أمرى : أرى أنا من حب النساء كما أدعى أم محب قديم جئت أخج إلى كعبة غرامى الذى تحطمت أصنامة رغم أنفى ؟ ولكننى كنت بمنجاة من سوء ظنها ولو قليلاً لأنها قبلت الاقتراح فى اصطحابها لزيارة هذا الفندق الكبير

— ٣ —

ولم نؤشك أن يستقر بنا المقام ونحتسى الحسوة الثالثة أو الرابعة من الشاي حتى دخل الدكتور شارل صاحب الفضل الأول والآخر (إلى يومنا هذا) فى اكتشاف العلاج لداء ديزير ريفوليه الأليم ومعه امرأة لم أتبينها فى أول الأمر . ولكننى عند ما تحققت شخصيتها أدركت سر الأمر بانتقالى من دار ذلك الطبيب . ونظرت إلى إيثيل فاذا لونها ممتقع ووجهها باهت ، وقد تقلصت عضلات الابتسام ، واصفر الأنف وارتعشت الأطراف وكادت الأسنان

(١) يشير المؤلف إلى شعب الأقزام الذين لقيهم جوليفر فى أول أسفاره

ذلك العرف السخيف المحبوب إلينا من روسيا
القيصرية والمحبوب لدينا بعد أن استمر أنا طراوة
الأكف الناعمة والأنامل اللينة

وفي الحق أنني عند ما قال الدكتور شارل «مدام
راشيل لو كسمبرج» حدثتني نفسي بأن أقطع يدها
بأنياي قبل أن تنهشها بأنيابها . وقد أطلت القبلة
وأحسست برد يدها وأحسست هي أن شفتي تنفر جان
فسارعت بسحب يدها باسممة بقمها وهي تنثر الشرر
من عينيها

وقد كان بالي منشغلاً باسمها الجديد المستعار
وبالصدمة التي سوف تصيب الطبيب عند ما يقف على
حقيقتها ؛ ولم ينهني من ذهولي إلا قولها لي : « طالما
اشتقت إلى رؤيتك بعد لقائنا الأول على مقربة من
هنا في مدينة كان ، وإقامتنا القصيرة في مونتكارلو .. »
وكان الدكتور شارل لاهياً عنا في تلك اللحظة
كعادته عند ما يستغرق في أفكاره التي تدور في
ذهنه حول العلاج الجديد الذي اكتشفه لمرض
« الدير ريفوليه » فلم يسمع إلى ما قالته مدام
شيوليث ولكن الأنسة إثيل نظرت إلى نظرة
إدراك وعتاب

ففهمت أن رؤيتها استثارت في قلب شيوليث
دفين حقدتها وهي امرأة تغلي في قلبها صراجل العداوة
والحسد والبغضاء على الرغم من جمالها وذكائها وفطنتها .
ولعلها ورثت من أهلها من الحفائظ ما يحلل حقدتها
على الدنيا بأسرها ؛ فلما هاجها فجأة ورأيت ما يعقب
ذلك من سوء الأثر في نفس الأنسة ، حاولت باللفظ
واللين أن أستل سخيمة قلبها وأطفي نار غضبها
لأنني عرفتها بذئنة اللسان سبابة قوية في الغميرة ،
فأردت أن أتق قوارصها ونواقدها ، فلم أجد مخرجاً
بغير مجاملتها وملاطفتها وإن كنت لا أصبر للأنسة

على موجدة ، فقلت للمرأة :
— أي نعم ! ياسيدتي ، أذكر لقاءنا الأول
على شاطئ كان ، وإقامتنا في مونتكارلو ، فقد كان
لقاءً موفقاً وإن لم تكن على موعد ، وإقامتنا السعيدة
وإن كانت قصيرة الأجل قد انتهت بطول الأجل
لبعض الناس !

فقلت : مازلت أترصد ورود كتاب وأترقب
بلوغ خبر منك ، ولكنك أغفلت ذلك ولم تحفل
بما كان بيننا من مودة

فنظرت إلى الأنسة إثيل وهي مصيخة
للحديث مصغية إليه واعية لكل ما فيه فاذا نفسها
قد نهضت وفارت

وكان الدكتور شارل أخذ يحكي إثيل ويرحب
بها وهي عنه لاهية لا تعيره أذناً

فقلت : لئن تلبثت ياسيدتي في الاتصال بك
بالبريد الجوي أو السريع أو المتباطئ فليس معناه
أنني نسيته أو تهاننت في شأنك . وما كان
أجوجني في تلك اللحظة العسيرة إلى مداراتها
ومساعاتها

فلم تفهم غايي من تلمظي بها وعلمت أنني
لا أفعل ذلك إلا حرصاً على كرامة الفتاة التي معي
وطهرها وعفها وأدبها

فقلت : من الناس من يكفر نعمة الاخلاص
وينمط إحسان الوفاء ، ومن هؤلاء من لا طاقة لهم
بالقيام بحرمة الصنيعة

فقلت في نفسي : « لا طاقة لنا اليوم بمجالوت
وجنوده » وما هذه المرأة إلا روح متمردة متقمصة
من أرواح هؤلاء الجنود . وقلت لها : صدقت !
وبدأت أنظر إلى الدكتور شارل الذي كان يشرح
لإثيل أعراض الداء الذي وفق إلى علاجه وأنا

واستعددت له وإن كان حياء البنت وخفها يموقني
ويلجمني ويعقد لساني

فقلت : أتذكرين يا سيدتي الجواسيس ، ولا
سيما الذين حكم عليهم بالاعدام في مونتكارلو في العام
الماضي ، من هلك منهم ومن نجا ولو إلى حين ؟

— ٤ —

فاصفرت شيبوليث ، وارتعدت ، وجد الدم في
عروقها ، ولهثت ، وضاق نفسها ، واختنقت
واكفهر وجهها ونجهمت ، واتسعت حدقة عينها
اليسرى ثم ضاقت كالسنور الذي يثور قبل أن يهاجم
جرذا ، أو كالأفعى التي توشك أن تنفث سماً لتلسع
مهاجماً ... ثم ملكت ناحية غضبها ، وربطت حزمة
أعضائها بسلك من فولاذ إرادتها وكظمت غيظها
وقالت :

— تدهشني قوة ذا كرتك كأنها بر عميق
لا ينضب مأوه !

— أو يجب مظلم يخفي في جوفه أشلاء أشرار ،
وجاحم فجار ، وهياكل قتلى الغرور والنخمة

فالتفت شيبوليث نحو الطبيب الذي مازال ساهياً
لاهياً كالأصم وسط المعركة الحامية تستنجد به
لينقذها من المأزق الذي ألقى بنفسها فيه ، وقالت :
هذا الشاي قد برد ، والزبدة تجللت والربى تحول
لونها والخبز المقدد تقلصت خرومه حتى عاد كالأسفنج
القديم !

فألقى الطبيب نظرة زاهدة على المائدة ، وقال :
— أنت تعلمين أن الشاي ينه أعصابي ،

والزبدة المثلوجة المزوجة بمحمض البوريك (١)
تسممني ، والربى تزيد مقدار الجليكوز في كبدي ،
والخبز المموه بالدمس يؤذي ظهالي

(١) قد أثبت التحليل الكيماوي أن هذا الحمض يضاف
إلى الزبدة ليحفظها من الفساد

أنهز فرصة للفرار من هذا الميدان ، فإن المرأة توهمت
أنني صرت في ملكتها وأنها تسترقني وتمتدني
لأنني أريد ألا تستطرد في حديثها بمسمع من
الآنسة . وإذا أنا أفكر في وسيلة الهرب من تلك
المرأة أراها تخرج بي وتدقق النظر في وجهي كأنها
قرأت في صفحته أنني أحمل في هذه المرة نذير
هلاكها وأتربص بها الدوائر

فقلت : أوه ! أوه ! يا موسيو لودفيج لقد
وخطك الشيب ، وقلب لك الزمان الذي كنت
لا تبالي به بحجته ، فعاضك من نضارة عودك ذبولاً
ومن سواد فوديك قتيلاً
فقلت لها وأنا أحرق الأرم :

— نعم ما من رجل إلا تقض الدهر مرته
وألان عريكته . تلك سنة الطبيعة ، وقد ودعت
شبيبتي التي طارت وداع محب هاديء لم يطر الفراق
لبه ، ولم تعصف بعقله رياح البغضاء والهجر
والقطيعة ، فلم أشعر قط بالاخفاق والخيبة

— الأمر ظاهر فانك لا تترك فرصة حتى
تنهزها ومثلك إذا واظب على الرقص على هذا التوقيع
لا يهرم ولا يحدوب حتى إذا لقع الشيب ووخزه
الكبر وأكل عليه الدهر وشرب

وكان الغيظ قد بلغ من الآنسة ومنى مبلغه
ولكنني أنفت أن أسلم لهذه المرأة بالهزيمة قبل
القبض عليها فضحكت وقهقهت لعل أفيق ذلك
الطبيب الفارق في دائه ودوائه ، ولكن هذه الاستغاثة
ذهبت أدراج الرياح . وكنت أظن أنه أعز جواراً
وأمنع ذماراً مما رأيت ، ولكن المسكين كان كالسكران
بخمرة كشفه عن أسباب الداء وأبواب الدواء

فصحت عزيمة على أن أخنقها بوترها وأرميها
بمحجرها وأرد كيدها في نحرها ومحفرت لذلك

— ولم إذن طلبت الشاي المستوفي؟ (تبه كوميبيه)

— لأجل ضيوفى ولأجلك

— أتظن أننا نستهدف لأخطار تلك العلل التي أجدت سردها وأحسنتم تشخيصها؟ إنك كرب الدار الذي يقدر في طعامه ليمسك المدعو عن الأخذ منه! فقالت الأنسة آيدا:

— ولا سيما وقد غابت الشمس وجنحت

شيبوليث — وما لنا وغياب الشمس وحساب الساعات ونحن وأنتم في نزهة! فقال الطبيب:

— هل الدهر إلا ليلة ونهارها تقضيها في العمل واللعب؟ وهل الحياة كلها سوى طلوع الشمس ثم غيابها. فأجابت الأنسة إثيل:

— لقد أتينا في شباب النهار، ولم نأخذ قسطنا من الراحة وقد مال ميزان

شيبوليث — أية راحة تعدل لقاء الأصدقاء ومسامرة الأصحاب

الآنسة — ولكن هذه القطر الرائحة الغادية غير منقطعة تؤذي سمى، وتهز أعصابي، ولا أظنها إلا فاعلة بك وبالسيد ما أحسه وأستشعر به

— أما أنا فتعودتها، وصار يحلولى أن أرقبها وأعدها وأنظر إلى سيول الناس منهمة، تدخل وتخرج، وتصعد وتهبط، وتجتمع وتفرق، وتندفع وترايط كلما فتحت بوابة المنزل وأقفلت، كأنهم وكأنها قناطر الماء أو نبض الحياة، وحركة السكون. وكنت لأول عهدي بالاقامة في هذا الفندق أحلم في نومي بالقطار وصغيره وهزته ورجته ومهرج المحطة ومرجها، وأفزع أحيانا من رقادي على صوت قادم أو استعداد راحل، ولكنني صرت الآن أطمئن لتلك الضوضاء اطمئنان الطفل إلى أغاني

المرضعات. أليس الأمر ما أقول يا موسيو لافيج؟ أو أنك تحسبها طفولة ثانية وأننى أقضم الحلوى بالأسنان الخضر، ولا أعلم بعد علم شيئا كما وقع لصديقك هاجنباك قبل أن يلحق بأسلافه. وكان هاجنباك أحد جواسيس الألمان الذين أعدمهم الفرنسيون، فضحكت ضحكة الانتصار وضحكة التلذذ بمحدثها المبثوثة في جوانبه النكتة المفاجئة والمفارقة الطريفة، وأدركت أنها تريد مهادنتي (أما المصالحة فلا!) بإدخال السرور على نفس الأنسة التي لم يكن بينهما ثأر ولا ضغينة مبيتة، فلم أشأ أن أنفخ في نار عدائها التي أوشكت أن تصير رمادا ولو إلى حين وتركت عنانها على غاربها وأرهفت أذني لا كون رقيقا على قولها، وتظاهرت بالانشغال عنها بمحدث صاحبها الطبيب الذي لم يكن شيء يستهويه ويملك عليه مشاعره غير الأدوية النادرة والعلل العجيبة والأدواء الغريبة. وفي تلك اللحظة جاء أحد الخدم برسالة إلى شيبوليث يحملها في طبق من الفضة. فما لبثت أن فضتها حتى عبست، ثم ابتسمت تصنعاً لتدارى علة عبوسها، ونهضت معتذرة. خفت أن يكون شريك يقظ من أفراد عصابها الدولية قد أذرها وحذرها وأنها مولية الفرار قبل أن تتمكن من أداء واجبي الذي ينحصر في تضيق الخناق عليها. وانتهزت إثيل هذه الفرصة ودنت مني وقالت:

— هل عرفتها من زمن طويل؟

قلت: من هي؟

قالت: تلك التي لا أحب أن أسميها والتي تنتظرها بفارغ الصبر. فقلت بيني وبين نفسي: لقد قلت حقاً ولكن لست أفسره! ثم خاطبتها:

— آه تقصدين لا ريب إلى شيبوليث

— لم أستطع قط أن أنطق باسمها

فضحكت وقلت :

— ما أصدق وصفك ! سواء أ كان ليثي
بروهمان فاوست أو مفستوفانه كما وصفته وأذكر
من كلماته في زوجته قوله : « إن الحكمة تتدفق
من شفثيها كاسمها ، حقاً إن دم إسرائيل الزكي
ليجري في عروقها »

— قلت لي إن اسمها « سنبله »

— ومعناه بالعبرية غدير أو نهر ، فكان الرجل
غارقاً بين السنبله والغدير ، وكان على الرغم من حبه
إياها وإعجابه بها وبدمها الزكي يعلم أنها عريقة في حرفة
الزوجة بصيرة بأنواع الأكاذيب التي تخرج من
الورطات وتنقذ المرأة الكذوب من أخرج المآزق
— فضحكت عابداً وقالت :

— لعل عشيرها الحاضر الدكتور شارل يستنبط
دواء يتجرعه الرجل فينقاد لزوجته انقياداً أعمى ثم
يقنع الانسانية المتظلمة للاتقاد على يديه بأن الحضارة
لن تبلغ شأوها الأعلى حتى يصبح للزوجات الأمر
الطاع . وفي تلك اللحظة عادت شيبوليث فابتسمت
لأثيل وقالت لها :

— ما أجلك وأذكاك ! لقد أحسنت الطبيعة
إلى الدنيا بك وبمخيلاتك ، ألا إن الروعة والجمال والفرح
لن حبتهم الطبيعة بالادراك ، ففهموا سرعة الدهر
وقوة سيره وكر الغداة ومر العشي ؛ أما الندم
والحسرة فللذين لم يدركوا ، فتباطؤوا

الأولون علموا أن تحصيل اللذة الراهنة غاية الحياة
وصرماها وهدفها ونهايتها ، والآخرون هم الذين
توانوا وتمسكوا بالفضائل فانتظروا حتى أفلت الزمان
وانفلتت الأيام من بين أيديهم ساخرة من تهاونهم ،
فلما انتبهوا كانت الفرصة الذهبية قد غادرتهم صرعى
المهموم والندم

— إنه لفظ عبري ورد في التوراة معناه سنبله
وقد اتخذته المحاربون من بني إسرائيل كلمة سر
أو جواز مرور ضد خصومهم في بعض وقائعهم
— وكيف وصلت هذه التسمية إليها ؟
— هذا ما لا علم لي به

— كيف عرفتها ولم تقف على سر اسمها ؟
— لم تصل المودة بيننا إلى هذا الحد
— وكيف تغار مني عليك إذا لم تكن مودتكما
معتقة كهذا النبيذ على الأقل ؟ قلت : عرفتها جاسوسة
وعرفتها زوجاً ليهودي اسمه ليثي برهمان كانت تعنفه
في الصباح والمساء تريد أن تسيره في الصغيرة والكبيرة
كما تشاء وتهوى

— هذا لا يدهشني فقد زودتها الطبيعة بلسان
أحد من السيف ، وإرادة قوية كالفلولاذ ، وذكاء
نافذ كالسهم المسدد ، وقلب يغلي بالغليظ والحقداً
منه مراجل البخار

— إنك تصفينها كما لو أنك عرفتها منذ أعوام
— وهل كانت محبوبة لدى زوجها ؟
— نعم كان يحبها ويتفانى في رضاها ، فإذا
هاجت عليه وأنشبت أظفارها به وسلقته بلسانها يتمم
قائلاً : « لا بد لكل نقمة من آفة ، ولا بد دون
الشهد من لسعات النحل »

— لا أظن زوجها رجلاً كالرجال
— كان كهلاً قصير القامة مستدير الوجه قد
طنى الشيب على رأسه الضخم ولحيته الكثة وحاجبيه
البارزين المتهافتين على عينيْن فيهما حدة وبريق كأنهما
سراجان وهاجان أين منهما نور الكهرباء ، وفي جبهته
الواسعة العالية أسطر مستطيلة عميقة متوازية كأنها
نقشت بيد راسم لا يخطئ في مد الخطوط المستقيمة
— كأنك نصف فاوست الحكيم قبل أن يبيع
قلبه إلى الشيطان

هاديء ، ولكن له ضميراً وكرامة ؛ فلما هاجته وادعيت أنه نائم ككلب أهل الكهف اتبته ليثبت لك وجوده الأدبي ؛ وليس للكلاب وسيلة للتعبير عن أفكارها غير هذه . وفي الأمثال القديمة : لا توقظوا الكلاب النائمة

شيبوليث - وقالوا : على نفسه جنى غليوم تل ، لأنه استهدف للأخطار باختياره

- ولكن كلبنا اسمه فيثفل ، وخير لنا وله أن نعود إلى حوارنا الهادي . كنت تقولين إن الضمير يتعطل إذا اتجهت نفوسنا إلى الخير المحض ، ولكن الخير في نظرك أمر اعتباري ونسبي فلا يمكن أن نصفه بالمحض . وخلاصة القول في هذا البحث اللذيذ الذي أثرت ربحه على غمرة منا ومن كلبنا أن الإنسان لا يميل إلى الخير دائماً ولا إلى الشر دائماً ، وأن الضمير يحتاج إلى حكم العقل أولاً ليستيقظ ، لأن الحكم على ما يتفق والفضيلة أو يخالفها يحتاج إلى ميزان العقل ، والعقل يخطئ ويصيب بالنسبة للزمان والمكان والأفراد والجماعات ، كما أن العقل خاضع لقانون الوراثة وقيود التقاليد وأغلال العرف والقوانين الوضعية ، فإذا خضع الضمير للعقل أمسى عرضة لتضارب أحكامه فتجههم وجه شيبوليث ثم استدركت خلقها فبدشت ودعتنا للعشاء فرجوت إيثيل أن تخاطب إدارة فندقنا في الاعتذار ، ولم يكن مقصدي إلا أن أبعدنا عن حلبة المعركة فانفلتت في المدخل وقالت شيبوليث :

« قيود » التقاليد و « أغلال » العرف ! ما دخل القيود والأغلال ... ؟ أتكون في هذه المرة ؟ ولم تكذ تنتهي حتى أحاط بها رهط من رجال الخفية الحربية يقودهم كولونيل « لاروك » نفسه ، (٣)

فدهشت إيثيل من روح الإباحة في حديث شيبوليث وقالت : في اعتقادي الذي يحلو لي أن أتمسك به أن الواجب يقضى علينا أن نكتم أنفاس اللذة الشريرة على قدر الطاقة وأن نشجع اللذة الخيرة .

شيبوليث - إذا فعلنا هذا محونا الضمير وأسقطناه من حساب عقولنا ، ولا شك في أنه يموت من تلقاء نفسه بتعطيل وظيفته لأننا مادمنا لا نستهي إلا الخير ولا نقصى إلا الشر فإن الضمير يستغرق في نومه كما استغرق هذا الكلب الجميل تحت قدميك آمناً مطمئناً ، لأن الحاجة إلى يقظته ومراسته معدومة ، والضمير كلب الحراسة الذي ينهض كلما وجد داعياً ليقظته

وفي تلك اللحظة حدث أمر غير منتظر ، فإن شيبوليث لم تكذ تفرغ من ذكر الكلب الحارس ويقظته حتى نهض فيثفل ونبح في وجهها نبحة حادة شرسة وأخذ يهتز بالغليظ وهو يوشك أن يهاجمها . ففزعت المرأة وجزعت وأخذتها رعدة الخوف وتناولت قدحاً من الماء ورفعت يدها لتقذف به وجه الكلب الأمين ، ورأيت الغضب يرتسم على وجه الأنسة ع كما ارتسم الرعب على وجه المرأة . فقبضت على معصمها وقلت لها : حذار أن تفعل لئلا يطيش حلم الكلب فلا تقدر على حمايتك منه . وخلصت القدح من أناملها التي استماتت عليه فقالت : - لم يخطر ببالى أنك تصحب كلباً مستوحشاً غير مكم لتحشه على مهاجمة أصدقائك . فإن التسلح بالكلاب الشرسة الغليظة علامة على الخوف الذي يخالج قلوب أربابها قلت : أنت مخطئة يا عزيزتي فإن كلبى وديع

وعادت إيثيل والكلب في أثرها . فأشرت إليها
بالأ تتقدم خطوة ، خشية أن تبصر بجثة الطبيب
الذي كان يتحدث إليها منذ برهة وصار الآن يتخبط
في دمه ، فسألتني وهي لهفي :

أسمعت طلقة المقذوف ؟ وأجبتها متجاهلاً : أي
مقذوف ؟ لعلها فرقة إطار المطاط في عجلة لسيارة
جامحة ... وهرولت إليها قائلاً :

« لم يبق لنا إلا أن نقضي أيام الراحة بعد التعب
في فندقنا اللذيذ نداعب كلبنا الأمين فيثفل ، فهيا بنا ! »
فقلت : أين شيوليث والطبيب ؟

قلت : لقد انطلقا في غيبثك إلى حيث تلقى هي
جزاء شرها ، وباقى هو جزاء خيره ...

محمد لطفي جمعة

وسرعان ما أخرجت من حقيبة زيتها الثمينة
مسدساً أنيقاً من الصدف المنزل بالفضة وصوبته إلى
صدرى وأطلقت ، فأنحيت ومرت القذيفة فوق
هامتي واستقرت في ظهر الطبيب الذي كان لاهياً
في تشخيص المرض الذي اكتشف دواءه . ولكن
الشرطين قبضوا عليها وكلوها بالأغلال والقيود
فقلت : لست جاسوسة . أنا بريئة . هذه وشاية
دنيئة وبلاغ كاذب . فقال لها الكولونيل وهو
يدس يده في ثيابها : ان لم تكوني جاسوسة فأنت
قاتلة . وهاهو ذا قتيك الدكتور شارل يشهد عليك
دمه بأنك لا تؤذين إلا الذين يحسنون إليك .
وساقها الجند إلى سجن أتيب حيث سبقها زمرة
من شركائهم في انتظار المحاكمة أمام المجلس الحربي الأعلى

أتموا بالحج إسلامكم ، وبالعبرة إيمانكم

وبزيارة النبي الكريم إخلاصكم

فقد توفرت لكم جميع وسائل الراحة

على الباختين

زمزم و كوثر

اطلبوا الاستعلامات الكافة من

شركة مصر للملاحة البحرية

الأمير البَيضاء

للكاتب الروسي تيودور سولوجب
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

« أشكر لك
كرمك ياسيدي ،
ولكنني دائماً أقضي
هذه الليلة في بيتي »
ف نظرت الفتاة
إليه وابتسمت
وقالت : « مع
من ؟ »

فأجاب سا كساولوف وفي صوته أثر دهشة
خفيفة : « وحيداً »
ف قالت السيدة جوروديشيف وقد ابتسمت
ابتسامة مرّة :

« يالك من عدو للبشر ! »

لقد كان سا كساولوف راضياً بحياة الحرية التي
يحياها ، ولقد كان في بعض المناسبات يسأل نفسه
متعجباً كيف أوشك مرة أن يتزوج ! فلقد
أصبح الآن ألوفاً لبيته الصغير الموث على طراز
جدي ، مستأنساً بخادمه الخاص الشيخ الرزين
« فيدوت » وبامراته « كريستين » التي لا تقل
عنه شيخوخة والتي كانت تطهى له غذاءه . وكان
مقتنعاً جد الاقتناع بأنه لم يتزوج لأنه أراد أن
يعيش وفيّاً لحبه الأول . وفي الحق أن قلبه قد برد
من أثر ما تعود من عدم الاكتراث الناشئ من
حياته المنعزلة التي لا ترمي إلى غاية معينة

كان سا كساولوف ذا ثروة مستقلة ، فقد مات
أبواه من زمن بعيد ولم يكن له من أقارب على
الاطلاق ، فكان يعيش عيشة مأمونة رخية هادئة ،
وقد اتصل ببعض المنتديات المشتغلة اشتغالا جدياً

اقرب عيد القيامة ، وقد أصبح « إيسر
كونستانتينوفتش سا كساولوف » قلق النفس
متعباً ، منذ اللحظة التي سئل فيها — وهو في بيت
جوروديشيف : « أين تقضي ليلة العيد ؟ »

ولأمر ما أبطأ سا كساولوف في الإجابة على
هذا السؤال

ف قالت ربة الدار ، وهي سيدة ممشوقة القوام ،
ضعيفة البصر ، ثرثرة : « تعال فاقض ليلة العيد
عندنا »

واضطرب سا كساولوف ، فهل كان اضطرابه
من حركة الفتاة التي ما سمعت كلمات أمها حتى
رمقته بنظرة خاطفة ، ثم لم تلبث أن حولت عنه
نظرها مسرعة ، وهي مستمرة في التحدث إلى
الشاب مساعد الأستاذ ؟

وكان سا كساولوف فتى « مناسباً » في نظر
أمهات الفتيات الناهدات ، وكانت هذه الحقيقة
من أسباب حيرته وضيقه ، فقد كان ينظر إلى
نفسه كأعزب عجوز وإن لم يكن قد جاوز السابعة
والثلاثين من سني حياته . ولقد أجاب على دعوة
السيدة بقوله :

سا كساولوف يرى في عينيها أمارات الحب الصبي ،
إذ كان يبدو فيها بريق لطيف كلما رآته ، وكانت
وجنتاها تصطبغان بالحمرة الخفيفة

ولكن في ليلة لن تنسى ذكرياتها أبداً ، أصغت
الفتاة إليه وكان ذلك في طليعة أشهر الربيع ، ولم يكن
قد مضى وقت طويل على ذوبان الجليد فوق النهر
وعلى اكتساء الأشجار أثوابها الخضراء الناعمة ،
وقد جلست تمارا وسا كساولوف في إحدى الحجرات
أمام نافذة تشرف على نهر النيفا ، ودون أن يتعب
الفتى نفسه في البحث عما يقول ، وعن وسيلة قوله
نطق بوضع كلمات عذبة ولكنها أزعجتها ، فهت لونها
وابتسمت ابتسامة شاردة ، ووقفت ، وكانت يدها
الرقيقة ترتجف وقد أسندتها إلى مسند الكرسي المنقوش
وقالت الفتاة في صوت ناعم رقيق : « غداً »
ثم انصرفت

وجلس سا كساولوف برهة طويلة ، وقد ملكت
اللفة نفسه ، يرقب الباب الذي اختفت وراءه تمارا
واستولى على رأسه دوار لا يهدأ ، واسترعى نظره
غصن من زهر اليليق الأبيض ؛ فتناوله وترك البيت
من غير أن يقرى أهله السلام

وفي الليل لم يغمض له جفن ولا عرف الكري
الطريق إلى عينيهِ . فوقف في النافذة ينظر إلى الطريق
المظلم الذي أخذ ظلامه يتفشع رويداً كلما اقترب
الصباح ، وقف يتسهم وهو يعبت بذلك الغصن من
اليليق الأبيض ، فلما أشرق الصباح رأى أن أرض
الغرفة قد غطيت كلها بأوراق ذلك الزهر الجميل .
وقد بدا له ذلك الأمر ساذجاً مضحكاً ، ثم استحم
فشعر كأنما قد استجمع حواسه المشردة ، وترك
البيت قاصداً بيت تمارا

بالآداب والفنون العصرية . وكان يهتم اهتماماً
ايقوريا بكل شئ حسن في الحياة ، بينما الحياة
نفسها كانت في نظره فارغة خالية من المعنى . ولولا
حلم وحيد بهيج يرى كان يترأى له بعض
الأحيان ، لأصابه الجود التام الذي أصاب كثيرين
غيره من الناس

— ٢ —

لقد كان جبه الأول الوحيد ، الذي انتهى
قبل أن يزهر ، يبعث أحياناً إلى مخيلته في الليل
أحلاماً حلوة حزينة ، وكان قد التقى من قبل خمس
سنوات بالفتاة الصغيرة التي خلقت في نفسه ذلك
الأثر الدائم . وكانت فتاة باهتة اللون ، رقيقة ،
هيفاء الخصر ، زرقاء العينين ، شقراء الشعر ،
وكانت تترأى في نظره كمخلوقة سماوية ، مصنوعة
من هواء ودخان ، ألقى بها القدر اتفاقاً إلى ضواض
المدينة فترة قصيرة من الزمن . وكانت بطيئة الحركة
وكان في صوتها الواضح الحنون نغومة تشبه خرير
ماء النهر المنحدر في لطف على الصخور

وكان سا كساولوف يراها دائماً في لباس أبيض
— ولا ندرى إن كانت هي المصادفة التي قضت بذلك
أم كان من عاداتها لبس البياض — فأنطبع أثر
البياض في نفسه لا يفارق تفكيره فيها ، حتى اسمها
« تمارا » كان يبدو له دائماً أبيض كالثلج على قمم
الجبال

وشرع سا كساولوف يزور والدي تمارا وفي
أكثر من فرصة اعترم أن يحدثها بتلك الكلمات
التي تربط إنساناً بحظ إنسان سواه . ولكنها كانت
دائماً تروغ منه ، وقد فاضت عيناها بأظهر معاني
الخوف والألم ، فأى شئ كانت تخاف ؟ وكانت

وفي الطريق شتت الضوضاء والزحام آراءه فامترج تفكيره في أسرة جوروديشيف بما يصل إلى أذنيه من صخب الجمهور ونكاته . على أنه هل يستطيع أن ينكث بوفائه لكى تمارا إكراماً لأى مخلوق سواها ؟ لقد خيل إليه أن العالم كله شيء تافه حقير عادى ، حتى أنه تلهف إلى تمارا — وإلى تمارا وحدها — لتأتى فتحية تحية عيد القيامة ثم عاد يحدث نفسه مفكراً :

« ولكنها ستجدنى مرة أخرى بهذه النظرة التوسلية ، ترى ماذا تريد تمارا الطاهرة الرقيقة ؟ ترى تقبل شفتها الناعمتان شفتى الظامتين ؟

— ٣ —

وهام ساكسولوف في الطرقات على غير هدى ، يفكر فى تمارا تفكيراً موجعاً ، يحدق فى وجوه المارة ، فيتأفف مما يرى من خشونة بادية على وجوه الرجال ووجوه النساء على السواء . وتبين أن ليس بين جميع هذه الوجوه وجه واحد يستطيع أن يتبادل وإياه تحية عيد القيامة ممزوجة بفرحة الحب ؛ وسيشهد اليوم الأول من أيام العيد كثيراً من القبلات تتبادلها الشفاه الخشنة وتتحرك لها اللحي المعقدة وتشوبها رائحة الخمر .

فإذا كان لا معدى له من أن يقبل إنساناً ما فليقبل طفلاً . وقد بدأ ساكسولوف تسره رؤية وجوه الأطفال

ومضى الرجل يضرب فى الأرض وقتاً طويلاً ثم بدأ التعب ينال منه فقصده إلى فناء كنيسة فيما وراء الشارع الصاخب بضجة الناس . وارتفعت إلى وجه ساكسولوف عينا طفل جالس على أحد المقاعد وقد تجلى الخوف فى نظره ، ثم قبع جامداً لا يتحرك شاخصاً يبصره إلى الأمام لا يحوله يمنة ولا يسرة .

وهناك خبروه أنها مريضة ، فقد أصابتها رجفة من برد فى ناحية ما ، ولم يرسا كسولوف الفتاة قط بعد ذلك اليوم . فقد ماتت بعد أسبوعين ، ولم يحضر جنازتها ، ومرة موتها لم يحدث فى نفسه هزة ولا صدمة ! ولم يكن فى مقدوره أن يميز ما شعر به نحوها أكان حباً أم كان مجرد افتتان قصير المدى طائر

وكان فى بعض الأمسيات يتخيلها أمامه ، ثم لا يلبث خيالها أن يتلاشى ، ولم يكن محتفظاً بصورة من صورها . ومرت سنوات عديدة . وفى أيام الربيع الماضى ذكر ساكسولوف تمارا ، ذكره بها غصن من اليلق الأبيض فى شرفة أحد المطاعم وقد وضع — كثيراً — فى غير موضعه ، بين صنوف الطعام الدسم ، ومن ذلك اليوم عاد يستعذب التفكير فى تمارا فى ساعات المساء ، وكان إذا غفا بعض الأحيان رآها قد أقبلت فجلست أمامه ونظرت إليه نظرة ثابتة تفيض وداعة وتدللاً وكأنما تريد أن تطلب منه شيئاً . وكان مما يضغط صدره ويؤله أحياناً أن يحاول إدراك ما تبغيه تمارا بهذه النظرة التوسلية وفى هذه الليلة عند ما غادر بيت جوروديشيف فكر على عجل وقال فى نفسه : « ستأتى فتحيني تحية العيد »

وكان الخوف والوحدة قابضين لنفسه فسأله نفسه مفكراً :

« لماذا لا أتزوج ؟ يجب ألا أكون وحيداً فى ليالى الأعياد الإلهية »

ومرت فى مخيلته صورة فاليريا ميسايوفنا — فتاة آل جوروديشيف — ولم تكن الفتاة جميلة ولكنها كانت دائماً متأنقة فى لباسها ، وخيل إلى ساكسولوف أنها تميل إليه وأنها لن ترفض يده إذا هو تقدم لها خاطباً

« مع من تعيش ؟ أليس لك أب ؟ »
فأجاب الطفل وهو ينظر إلى الجمع المحيط به
بمعينين تفيضان بالدموع :

« لا ، ليس لي أب »

فقال العامل في خشوع وهو يهز رأسه :
« ليس لك من أب أمها العزيز ! فهل لك من أم ؟ »
فأجاب الطفل :

« نعم لي أم »

« ما اسمها ؟ »

فأجاب الطفل :

« اسمها أمي »

ثم فكر قليلاً وقال :

« الأم السوداء »

فقال العامل العابس :

« السوداء ؟ هل هذا هو اسمها ؟ »

فقال الطفل شارحاً :

« لقد كان لي أولاً أم بيضاء ، والآن لي أم
سوداء »

فقال رجل الشرطة آخر الأمر وقد استقر
على رأى :

« حسن يا ولدى ، إننا لن نعرف منك كثيراً
ولا قليلاً ، فالأحسن أن آخذك إلى مركز البوليس
وهناك يستطيعون عن طريق التليفون أن يعرفوا
أين تسكن »

وقصد رجل الشرطة إلى أحد الأبواب ودق
الجرس ، وفي هذه اللحظة رآه أحد البوابين فأقبل
عليه حاملاً الكنسة في يده ، فطلب منه الشرطى
أن يأخذ الطفل إلى مركز البوليس ، ولكن الطفل
تأمل قليلاً ثم صاح باكياً :

وكانت عيناه الزرقاوان لطيفتين تشعان يريق حزن
الطفولة ، فهما أشبه الأعين بأعين تمارا . وكان الطفل
ضئيل الجسم حتى أن قدميه لم تكونا لتتدليا على
الأرض فدنا إلى الأمام في خط مستقيم . فجلس
ساكساولوف إلى جانبه ونظر إليه في حنان ولهفة ،
فقد كان في منظر ذلك الطفل الوحيد ما يثير في نفسه
ذكريات جمة العذوبة ؛ على أنه كان طفلاً عادى المنظر
في ثياب ممزقة مهلهلة ، على رأسه الأشقر الصغير
قبعة من الفرو الأبيض ، وفي قدميه نعلان قدران
باليان .

جلس الطفل على المقعد جامداً فترة طويلة ثم
وقف واندفع يبكي بكاء موحجاً ، وجرى في الفناء
حتى تجاوز الباب وصار إلى الطريق العام ، وهناك
وقف مرة أخرى . وكان بادياً أنه لا يعرف في أى
طريق يتجه . فبكى بكاء خافتاً كأنما يسر شجاء إلى
نفسه لا يريد أن يطلع عليه أحداً من الناس .
فكانت قطرات الدمع تنحدر كبيرة على خديه .
فازدحم الناس حوله ، وأقبل عليه رجل من رجال
الشرطة ، وسأل الطفل أين يسكن فأجاب في لغة
الطفولة القاصرة :

« في دار جليكهوف »

فسأله رجل الشرطة :

« في أى شارع ؟ »

ولكن الطفل لم يعرف اسم الشارع وكرر قوله
« في دار جليكهوف »

وكان رجل الشرطة شاباً مرحاً ففكر لحظة
ثم أيقن أن ليس هناك مكان بهذا الاسم في الجوار
القريب .

ودنا عامل عابس الوجه من الطفل وسأله :

« لقد مشيت مع أمي ، ومشينا ومشينا . ثم طلبت مني أن أجلس وأنتظر ، ومضت بعد ذلك مبتعدة عني . فأصابني الخوف والجزع »

« ومن هي أمك ؟ »

« أمي ؟ إنها سوداء غضوب »

« وماذا تصنع أمك ؟ »

ففكر الطفل لحظة ثم قال :

« إنها تشرب القهوة »

« وماذا تفعل غير ذلك ؟ »

فتوقف ليشع لحظة عن الكلام ثم قال :

« تتشاجر مع المستأجرين »

« وأين أمك البيضاء ؟ »

« لقد حملوها بعيداً . وضموها في نعش ثم

حملوها بعيداً . وأبي أيضاً قد حملوه بعيداً »

وأشار الطفل بيده إلى الفضاء البعيد ثم انفجرت

عيناه بالدموع

فسأله سا كساولوف نفسه مفكراً :

« ترى ماذا أستطيع أن أعمل لهذا المسكين ؟ »

ثم إذا الطفل ينطلق جارياً . وبعد أن اجتاز

عدة شوارع عرضية أبطأ خطاه مرة أخرى ،

وكذلك التقى به سا كساولوف مرة ثانية . وكان

المعنى الذي لحظه على وجه الطفل خليطاً من

الفرح والخوف ، وقد قال لسا كساولوف وهو يشير

إلى بيت كبير قبيح المنظر ذي خمس طبقات :

« هذه هي دار خليكهوف »

وفي هذه اللحظة ظهرت على عتبة باب دار

جليكهوف امرأة سوداء الشعر ، سوداء العينين ،

ترتدي لباساً أسود ، وعلى رأسها منديل أسود فيه نقط

بيضاء ، فلما رآها الطفل تراجع خائفاً وقال هامساً :

« دعني أذهب فسأعرف الطريق وحدي ! »

ترى هل انزعج الطفل من مكنسة البواب ، أم

تراه حقاً قد تذكر الطريق ؟ على أي الحالين جرى

الطفل مسرعاً حتى كاد يغيب عن نظر سا كساولوف ؛

غير أن الطفل لم يلبث أن أبطأ خطاه ، وقد اتجه مع

الطريق صعداً يجري من أحد جانبيه إلى الجانب

الآخر محاولاً عبثاً أن يهتدي إلى البيت الذي يسكن

فيه . وتبعه سا كساولوف في سكون وصمت ، ولم

يكن يعرف كيف يتحدث إلى الأطفال

وأحس الطفل آخر الأمر بالتعب ، فوقف إلى

جانب عمود من أعمدة المصاييح واتكأ عليه وترقرقت

الدموع في عينيه

فبدأ سا كساولوف يتحدث فقال :

« حسن يا بني ، ألا تستطيع أن تتعرف البيت ؟ »

فنظر إليه الطفل بعينه الحزنتين اللطيفتين ،

وعلى حين فجأة أدرك سا كساولوف السبب الذي

أغراه بأن يلح في تتبع خطوات الغلام

ففي نظرة التأمل الصغير وسمائه شيء يشبه ما في

نظرة تمارا وسمائها أكل الشبه

فسأله سا كساولوف في لطف ورقة :

« ما اسمك يا عزيزي ؟ »

فأجاب الطفل :

« اسمي ليشع »

« أتعيش مع أمك يا ليشع ؟ »

« نعم مع أمي ، ولكنها أم سوداء ولقد كانت

لي أم بيضاء »

فظن سا كساولوف أن الطفل لا شك يقصد

بالأم السوداء إحدى الراهبات

« وكيف ضللت الطريق ؟ »

« أمي ! »

فنظرت إليه المرأة — وهي امرأة أبيه — نظرة الدهشة وصاحت :

« كيف جئت إلى هنا أيها الشقي ، ألم أطلب منك أن تبقى على المقعد ؟ »

وكادت المرأة تنهال ضرباً على الطفل المسكين لولا أن رأت سيداً محترماً المنظر يرقبها عن كثب ، خفضت صوتها وقالت :

« ألا يمكن أن تنتظر نصف ساعة دون أن تهرب ؟ لقد تعبت في البحث عنك أيها اللعين ! » ثم قبضت بيدها الغليظة على يد الطفل الصغيرة وجذبت به بعنف إلى داخل الدار

فتعرف ساكسولوف الشارع والدار ثم انصرف

— ٤ —

كان ساكسولوف يحب الإصغاء إلى نصائح خادمه فيدوت الرزينة الحكيمة ، فلما عاد إلى بيته أخبره بقصة الطفل ليشع ، فقال فيدوت :

« لقد تركته المرأة عمداً حيث وجدته أنت . فيالها من امرأة خبيثة تذهب بالطفل إلى هذا المكان النائي عن الدار »

فسأله ساكسولوف :

« وما الذي يحملها على أن تفعل ذلك ؟ »

« لا أستطيع أن أعرف ، ولكن لاشك في أن هذه البلهاء قد قدرت أن الطفل سيهيم في الشوارع حتى يلتقطه بعض الناس . وماذا تتوقع من امرأة الأب ؟ وأية فائدة تجنيها من بقاء الطفل عندها ؟ »

فقال ساكسولوف :

« ولكن كان في مقدور البوليس أن يعثر عليها »

« وذلك جائز ، ولكن قد تكون معترمة مغادرة البلدة كلها ، وإذن كيف يستطيعون أن يقتفوا آثارها ؟ »

فابتسم ساكسولوف وقال يحدث نفسه :

« هذا حق ، وكان يجب أن يكون فيدوت قاضي تحقيق »

وجلس ساكسولوف على مقربة من المصباح وفي يده كتاب ، فلم يلبث أن أغفى ، فرأى في الحلم تماراً — رقيقة بيضاء — أقبلت عليه وجلست إلى جانبه ، وكان وجهها يشبه وجه ليشع شبيهاً مدهشاً وقد نظرت إليه نظرة ثابتة ملحة كأنما تنتظر منه شيئاً . وكان مما يؤلم ساكسولوف أن يرى عينيها البراقتين المتوسلتين على هذه الصورة ولا يستطيع أن يدرك ما تريد . فهب فجأة من مكانه وأسرع إلى الكرسي الذي خيل إليه أن تماراً جالسة عليه ، حتى إذا وقف أمامه قال متوسلاً في صوت مرتفع :

« خبريني ماذا تريدين ؟ »

ولكن خيالها تلاشى من أمامه

فقال ساكسولوف في نفسه وقد استولى عليه الحزن :

« لم يكن ذلك إلا حلمًا »

— ٥ —

وفي اليوم التالي بينما كان ساكسولوف خارجاً من معرض المجمع العلمي التقى في الطريق بآل جوروديشيف فأخبر الفتاة بقصة الطفل ليشع فقالت فاليريا ميشايلوفنا في صوت رقيق :

« يا له من طفل مسكين ! إن امرأة أبيه تريد أن تتخلص منه »

فقال ساكسولوف وقد أزعجه أن تتفق الفتاة

وفيدوت في استنتاج هذه النتيجة الفاجعة من ذلك الحادث البسيط :

« ليس هناك ما يؤكّد هذا الاستنتاج »
« الأمر واضح كل الوضوح فالطفل لا أب له فهو يعيش مع امرأة أبيه ، وهي تجد في بقاءه عندها عبئاً ثقيلاً عليها ، فإذا لم تستطع أن تتخلص منه بوسيلة غير جافة فلا شك في أنها ستطرده في قسوة لتخلص منه نهائياً »

فابتسم ساكساولوف وقال :

« إنك تنظرين إلى هذا الأمر نظرة جد عابسة »
فسأله فاليريا ميشايلوفنا :

« لم لا تتبنى هذا الطفل ؟ »

فسألها ساكساولوف في دهشة :

« أنا ؟ »

فقالت في شيء من الالحاح :

« إنك تعيش وحيداً ، وليس لك من أقرباء ، فلتعمل عملاً طيباً في عيد القيامة ، وعندئذ تجد معك من تبادله تحية العيد على كل حال »

« ولكن ماذا أستطيع أن أعمل بطفل ؟ »

« جئت بمربية . والذي يبدو لي أن القدر قد

قد ساق هذا الطفل في طريقك لتبنائه »

ونظر ساكساولوف إلى وجه الفتاة الحنون

وقد علت عليه حمرة طفيفة - نظرة ملؤها الدهشة ، وقد

تجلى في عينيه من معاني العطف ما لم يقصد إليه

ولما تراءت له تمارا هذه الليلة في منامه بدا له أنه

قد فهم ما تريد . وقد سمع في سكون الغرفة هذه

الكلمات واضحة ناطقة :

« إعمل بما طلبته منك فاليريا »

وهب ساكساولوف من نومه فرحاً ومرتبداً

على عينيه الناعستين ، فوقع نظره على غصن من الليلق الأبيض فوق المائدة . فسأله نفسه : من أين جاء ذلك الغصن ؟ هل تركته تمارا شاهداً على رغبتها وخطر له فجأة أنه بزواجه من فتاة آل جوروديشيف وتبنيه الطفل ليشع يكون قد حقق رغبة تمارا . فتنفس تنفس الارتياح وسط الشذى العطري المنبعث من غصن الليلق الأبيض

ثم ذكر أنه هو الذي أحضر ذلك الغصن بنفسه في ذلك اليوم ، ولكنه لم يلبث أن قال في نفسه : « إن ذلك لا يغير من جوهر الأمر شيئاً فليس تفكيري في مشترائه وإحضاره إلى البيت ونسياني بعد ذلك أنني اشتريته إلا حقيقة واقعة تشير إلى رغبة تمارا »

- ٦ -

وفي الصباح قصد ساكساولوف إلى حيث يجد ليشع ، فقابلته الطفل على الباب وأراه مسكنه وكانت امرأة أبيه جالسة تشرب القهوة وتتنازع مع المستأجر الأحمر الأنف ، وإليك ما استطاع ساكساولوف أن يعرفه من أمر ليشع :

ماتت أمه وهو في الثالثة من عمره ، فتزوج أبوه من هذه المرأة السمراء ولكنه مات في السنة نفسها ، والمرأة السمراء أيرينا أيفانوفنا طفل من صلبها في السنة الأولى من عمره ، وكانت على وشك الزواج من زوج جديد ، وستقام حفلة الزواج بعد أيام قليلة ، وستذهب هي وزوجها على أثر ذلك إلى الريف ، وكان ليشع غريباً بالنسبة إليها وهو بذلك عقبه في طريقها :

فقال ساكساولوف :

« أعطني »

طبيب الأقليم

للقصصى الروسى ايثان تورجنيف
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

قد أخذ يفضى إلى
الآخر بسره كاملاً
كانه أمام قسيس
الاعتراف
ولست أعرف كيف
اكتسبت ثقة هذا
الصديق الحديد الذى
أخذ بغير مقدمة

يطلقنى على أسرارهِ . وسأعيد إلى القارىء واحدة
من سيرهِ محاولاً صياغتها فى أقرب الأساليب إلى
أسلوبهِ . قال وقد بدأ يسرد القصة بصوت خافت
مضطرب (وهذه هى النتيجة العادية لتعاطى سموط
بيريزوف غير مخلوط بمادة أخرى تخفف من حدته)
— قال : « ربما كنت لاتعرف القاضى
(باقال لو كوتش) ألا تعرفه ؟ على حد سواء !
لقد كنت أزوره بمنزله وكان يلعب معى بالورق وهو
مولع بهذا النوع من اللعب وعلى حين فجأة « وقد
نطق الطبيب لفظ فجأة بصوت عال وتغيرت لهجته
بعد ذلك إذ يقول :

« وعلى حين فجأة جاء التابع وقال ان رجلاً
يسأل عنى . قلت : ما الذى يريد ؟ فأجبنى تابهى : لقد
جاء بخطاب إليك ويظهر أنه من مريض . قلت :
ناولنى الخطاب . فناولنيه ، وقلت : لقد صدقت
فراستك فالخطاب من أرملة عجوز تقول ان ابنتها
تحتضر وتتعجلنى إلى الذهاب . وكانت العربية التى
أرسلتها فى انتظارى ... ولكن المسافة بيننا وبينها
تربو على العشرين ميلاً ، وكنا فى منتصف الليل
والطريق من أسوأ الطرق . ولما كانت هذه الأرملة

فى بعض أيام الخريف أصبت ببرد شديد أثناء
عودتى من جزء بعيد من الاقليم الذى أقيم به .
وكان من حسن حظى أن الحمى لم تتمكن منى إلا
بعد وصولى إلى فندق بالمدينة فأرسلت من يستدعى
الطبيب

وبعد نصف ساعة جاء الطبيب وهو نحيل
الجسم أسود الشعر متوسط الطول فوصف لى
الدواء المألوف ودفعت إليه ورقة مالية ذات خمسة
روبلات فدسها فى جيبيه وهم بالقيام ، وحسبته
سينصرف ولكن لا أعرف ماذا حدث فجعله
يستأنف الجلوس ويعود إلى التحدث ، فاعتبطت
بذلك لأنى عانيت فى الليلة السالفة آلام الأرق
وكنت بحاجة إلى مثل هذا الحديث

وجى بالشأى وأخذ الطبيب يتكلم فى حرية ،
وهو رجل ذكى يعرب عن نفسه فى شجاعة ، وفى
حديثهِ من الفكاكة الشئ الكثير

وفى العالم أشياء غريبة ، فقد تعاشر أحد الناس
مدة طويلة دون أن تطلعه مرة واحدة فى أحاديثك
معه على دخيلة نفسك ، بينا تجد رجلاً آخر لم يكده
يتصل بينك وبينه سبب التعارف ولكن كلاً منكماً

الأطباء . ودنوت من الفراش فوضعت على رأس الفتاة « لبخة » من الخردل ونظرت إلى وجهها ، فأى وجه رأيت ؟ إننى لم أر من قبل مثل هذا الجمال وليس فى العالم قسمات كهذه القسمات ، ولا نظرات كنظرات هاتين العينين . وتحسنت حالتها بحمد الله فتصبب العرق من جبينها وعاد إليها وعيها فالتفت حولها وابتسمت ثم غطت وجهها بيديها فمالت أختها تسألانها عن صحتها ، فأجابت إنها بخير . ثم أدركها الناس

قلت : هذه علامة حسنة ، ولكن يجب أن تترك المريضة وحدها . وخرجنا جميعاً من الغرفة نمشي على أطراف الأنازل ، إلا خادماً تركناها مع المريضة وكانت الغرفة الأخرى هى غرفة المائدة . وكان فيها على المنضدة وعاء الشاي وزجاجة « الروم » فقدموا إلى الشاي . وطلبوا أن أبيت بالمنزل هذه الليلة فوافقت . وهبى لم أفعل فإلى أين كنت أذهب فى مثل هذه الساعة ؟

وظلت العجوز تكرر سؤالى عن حالة المريضة وأكرر جوابى بأنها ستعيش . وأخيراً قلت لها إنها هى أيضاً بحاجة إلى الراحة . وطلبت إليها أن تذهب لتنام ، وكنا إذ ذاك فى الساعة الثانية صباحاً فقالت : ولكن هل توقظني إذا حدث شئ ؟

قلت : نعم

فذهبت العجوز وبناتها بعد أن هيات لي فراشاً فى غرفة المائدة ، ولكننى لم أستطع النوم لأنى كنت فى نهاية التعب ، وكنت لا أستطيع منع نفسى عن التفكير فى المريضة ، وأخيراً عجزت عن مقاومة ميلى فقممت لى أراها

قمت إلى غرفتها ففتحت الباب برفق ، وما كان أشد خفوق قلبي . . . ونظرت فرأيت الخادم نائمة

فقيرة فالطبيب لا ينتظر على هذه المشقة أجراً يزيد على الروبلين . وقد لا يبلغ الأجر هذا القدر . ولكن الواجب فى نظر الطبيب أهم من كل شئ . وخرجت فوجدت العربية بالباب . ووجدت السائق جالساً فى مكانه وقبعته على رأسه لم يرفعها لاستقبالى ، ولم يظهر لى أى مظهر للاحترام ، فقلت فى نفسى : هذا حسن جداً ، فانه يدل على أن القوم أغنياء . . . أراك تبتسم ! ولكن فقيراً مثلى يجب أن يضع كل ملاحظاته فى موضع الاعتبار ، فإذا كان السائق جالساً كأنه أمير ، وإذا كان لا يحبك عند ركوب العربية بلبس قبعته كان لك أن تطمئن على أن الأجر لن يقل عن ستة روبلات

ركبت العربية ومضى العقاقير التى توقعت أنها لازمة . ولا أطيل عليك فى وصف الطريق وأحواله ومستنقعاته ، ولكننى أقول إننى وصلت فى النهاية فوجدت المنزل حقيراً . وكان النور ظاهراً من وراء النافذة دلالة على أنهم كانوا فى انتظارى . وتلفتنى امرأة عجوز تبدو عليها كل علامات الاحترام وقالت : أنقذها فانها محتضر

قلت : لا تخافى . أين هى المريضة ؟

فقلت : اتبعنى . ورأيت فى ركن من الغرفة فتاة فى العشرين فاقدة الوعي وحرارتها فى درجة الاحتراق وهى تتنفس فى مشقة وبجانها أختها تكيان

وقيل لى إنها بالأمس كانت فى صحة جيدة ، وكانت قوية الشهية للطعام ، وفى الصباح شكت من وجع فى رأسها ، وفى المساء صارت فجأة إلى الحالة التى تراها

قلت : لا داعي للخوف

وأنت فقد تعلم أن مثل هذا القول من واجب

خطر جدى ، والثانى - ولا بد لي من الاعتراف به -
أننى شعرت بالليل إليها ، لا بل إلى الأسرة كلها .
ومع أنها أسرة فقيرة فهي مثقفة مهذبة . وقد كان
والدالفتيات أديباً مؤلفاً ، ومات فقيراً بالطبع ولكنه
ترك بناته مثقفات متعلمات ولعل هذا السبب (أو لعل
سبباً آخر) هو باعث ميلى إلى الأسرة . ولكنى
أؤكد أنهم عاملونى كما لو كنت فرداً من أسرهم
وفي الوقت نفسه كانت حالة الطرق تزداد سوءاً
على سوء ، فما كنت أستطيع العودة لو أردت .
وكذلك كانت حالة الفتاة لا تزداد إلا سوءاً ؛
ومضت على هذه الحالة أيام
ثم سكت الطبيب لحظة وبدأت عليه علام
التفكير واستأنف القول فقال : ولست أعرف كيف
أخبرك ...

وهنا تناول مقداراً آخر من السعوط وشرب
جرعة من الشاي وقال : سأخبرك بغير مقدمة ...
ولكن ماذا أقول ... ؟ إن المريضة أحبتنى ...
لا أعنى أنها هى التى أحبتنى ... كيف أقول ؟
واختضب وجه الطبيب احمراراً وقال : لا أريد
أن أقول إنها أحبتنى ، فعلى الرجل ألا يتغالى فى
تقدير نفسه . وهى متعلمة واسعة الاطلاع ، وأنا
لا أكاد أذكر ماتعلمته من اللغة اللاتينية ، وليس لى
ما أستطيع أن أباهى به ؛ ولكن الله له الحمد لم
يخلقنى أبله فلست أرى فى الواحد أنه اثنان ولا فى
الأسود أنه أبيض . ولهذا استطعت أن أتبين أن
الكسندرا أندريفنا - وهذا هو اسم المريضة -
لا تحببى ، بل هى تشعر بصداقة وود - أعنى بميل
واحترام - وإن كانت هى نفسها تخطئ فى تقدير
شعورها الحقيقى نحوى
وكان الطبيب يلقى الجمل الأخيرة فى سرعة شديدة

مفتوحة الفم وهى تغط ... تلك التهمة الملعونة !
أما الفتاة فكانت متجهة الوجه إلى مبسوطه
الذراعين ... تلك المسكينة !

دنوت منها ففتحت عينيها فجأة ورأتنى فانزعجت
وقالت : من أنت ؟ من أنت ؟

قلت : لا تخافى ياسيدتى فأنا الطبيب . فحدقت فى
وجهى وقالت : أأنت طبيب ؟

قلت : نعم وقد استدعنى أمك من المدينة ...
لا بأس عليك ، إنك الآن أحسن مما كنت عليه منذ
ساعتين ؛ وبعد يوم أو يومين تستطيعين القيام والمشي
فقلت : لا أريد أن أموت ! لا أريد أن أموت .
أنقذنى !

وانتابتها حالة الحمى فجسست نبضها وقلت :
هدئى من روعك . فنظرت إلىى ثم تناولت يدي
وقالت : سأخبرك لماذا لا أريد أن أموت ... نحن
وحدنا هنا . لا نخبر أحداً ... لا نخبر أى أحد
وأنصت ، فزدت دنواً منها ، وهمست فى أذنى وشعرها
يلس خدى . وأنا أعترف بأن دواراً كان يعتربنى
إذ ذاك ، وكانت تتكلم وأنا لا أفهم لأنها محبومة .
وكأنها كانت تنطق بغير اللغة الروسية . ثم انتهت
من همسها وأشارت إلىى بأصبعها إشارة تحذير
وقالت : « إياك أن تخبر أى أحد »

فطمأنتها وأسقيتها الدواء ثم أيقظت الخادمة
وخرجت

وهنا تناول الطبيب شيئاً من السعوط وتبلد من
تأثيره وقال : وفى اليوم التالى لم تتحسن صحة المريضة
خلافًا لما كنت أتوقع . وفكرت ثم فكرت ،
فقررت أن أبقي بهذا المنزل ولو أن سائر مرضاى
فى انتظارى

وذلك لسببين : أحدهما أن هذه المريضة كانت فى

ولم أترك قط غرفة المريضة إلا للضرورة ،
و كنت في ملازمتي إياها أقص عليها القصص المسلية ،
أو ألاعبها لعبة الورق وأسهر بجانب سريرها في الليل ؛
و كانت أمها تشكرني والدموع تتحدر من عينيها
فأقول في نفسي : إنني لا أستحق شكرها لأنني أعاني
هذه المشقة بدافع الحب . وقد بلغ من ميل الفتاة
إليّ أنها في كثير من الأحيان لا تسمح بوجود أحد
غيري في الغرفة . و كانت تكثر في حديثها معي من
إلقاء الأسئلة عليّ فتسألني مثلاً : أين تعلمت وأين
أعيش ؟ وتسألني عن أحوال أسرتي ، وعن اعتدت
أن أقابلهم . و كنت أشعر بأنه ينبغي لها ألا تكثر من
الكلام . ولكنني من جهة أخرى لم أكن قادراً
على حمل نفسي على منعها

و كنت أحياناً أضع رأسي بين يدي وأفكر في
الحاقة التي ارتكبتها ، فتأتي الفتاة وتمسك بيدي
و تمنحني نظرة طويلة . و كنت أحس حرارة يديها
الدالة على الحمى وألمح في عينيها علائم الملل من مرضها
الشديد ؛ و كانت تصفني بأنني رجل طيب وتقول إنني
أفضل من كل جيرانها . وتأسف لأنها لم تعرفني من
زمن قديم ، فكنيت أشكرها وأقول : إنك لا تعرفين
مقدار ما اكتسبته وإنك سوف تشفين

ولا بد من إخبارك بأن هذه الأسرة كانت
قليلة الاتصال بالجيران لأن جيرانها لم يكونوا في
مستواها من حيث الغني ، ولأن غيرة هذه الأسرة
كانت تمنعها عن الاتصال بالأغنياء

ولقد كنت أشعر حين تمد يدها لتأخذ من
يدي الدواء وحين تستعين بي على النهوض ، وحين
تنظر إليّ نظراتها الطويلة — كنت أشعر عند
ذلك بأن قلبي يكاد أن يتمزق ؛ و كانت حالتها تزداد
سوءاً في اطراد مستمر . و كنت أرى أنها ميتة
لا محالة

وارتباك ظاهر . ثم شرب بقية الشاي وقال بصوت
أقرب إلى الهدوء من الصوت الذي كان يتكلم به ،
قال : و كانت حالة المريضة تزداد سوءاً على سوء .
و أنت أيها الصديق قد لا تستطيع أن تفهم الأدوار
التي يمر بها الأطباء خصوصاً عند ما يتصور الطبيب
أنه فقد سيطرته على المرضى . ففي هذه الحالة يفقد
ثقته بنفسه ويحزن ويتصور أنه نسي كل شيء عرفه
ويخال أن المريض فقد ثقته به ، وأن الناس يرتابون
فيه ويتهامسون عليه . والناس متى رأوا مرضاً
اعتقدوا أنه لا بد له من دواء ، وانتظروا من الطبيب
أن يأتي بدوائه فإن لم يستطعهم عدوا ذلك دليلاً على
جهله ؛ ويعرف الطبيب عنهم هذه الحقيقة فيتشبث
بدواء ، ثم يعدل عنه إلى غيره ، ثم يتناول كتاباً
من كتب الطب فيختار دواء ثالثاً ، وقد تكون
المصادفة وحدها هي مبني هذا الاختيار ؛ وإلى هذا
الحد يكون المريض قد وصل إلى درجة الاحتضار ،
ويخطر ببال الطبيب أن طبيباً آخر قد يتخذ مريضه
فينصح بالاستشارة الطبية . ولو اطلعت على نفس
الطبيب عند ذلك لعرفت أنه إنما يود أن يشرك معه
أطباء آخرين حتى لا ينفرد بتحمل المسؤولية عند
الوفاة . على أنه في الواقع ليس ثمة ما يدعو إلى الارتباك
فإن الموت يكون مقضياً به على المريض ، وليس الوزر
وزر الطبيب فقد أدى ما يجب عليه بعمله وفق القواعد
التي تعلمها . ولكن الصعوبة الحقيقية التي يعانيها
الطبيب هي شعوره بالعجز عن تأدية خدمة لمريضه ،
وهذه هي الحالة التي عاينتها مع ألكسندرا أندريفنا ،
فإن الأسرة نسيت أنها في خطر . وأنا كذلك أخذت
أؤكد أن الخطر قد زال ، ولكن قلبي كان يشعر
بعبء ثقيل . ومما زاد في تعبي أن حالة الطرق ساءت
جداً فكان السائق كلما ذهب بالعربة لشراء الدواء لم
يعد إلا بعد بضعة أيام

أسارى وجهها ، فازعجت وقلت : لا تخافى لا تخافى
 قالت : إننى لا أخاف الموت . ثم جلست فجأة
 وأسندت رأسها إلى ذراعها وقالت : أشكر لك
 أن صدقتنى وأرحتنى . وإنك عطوف حنون ، إننى
 أحبك . ثم نظرت إلى كمنظرة المأخوذ فاضطربت .
 واستمرت تقول : هل أنت سامع ؟ إننى أحبك .
 قلت : ولكن يا ألكسندرا كيف استحق ؟
 فقالت مقاطعة : كلا كلا إنك لم تفهمنى . ثم أمسكت
 بذراعى ووضعت رأسى بين كفيها وقبلتنى
 وصدقنى لقد كدت أبكى عند ذلك وجشوت
 تحت قدميها . ودفنت وجهي فى الوسادة ، فلم تتكلم .
 وكانت تعبت بيدها فى شعري وأنا أصغى ثم بكت
 فهدأتها وأخذت أو كدلتها ... ولكنى كنت فى
 الواقع لا أعنى ما أقول

ثم قلت إنهم سيستيقظون يا ألكسندرا . يكفى
 يكفى . فقالت لا أبالى . وإذا استيقظوا فليأتوا ، فإنى
 لأهتم ... إننى أموت وماذا تخاف أنت ولماذا تخاف ؟
 ارفع رأسك أم لعلك لا تحبى وأنا المخطئة ... إن
 كان كذلك فإنى أعتذر إليك

قلت : يا ألكسندرا ، ماهذا الذى تقولين ؟ إننى
 أحبك يا ألكسندرا . فنظرت إلى عيني وفتحت
 ذراعيها وقالت : إذن فضمنى بين ذراعيك
 وأخبرك بالحق أننى لم أعرف كيف لم أجن فى
 هذه الليلة ؟ إن المريضة كادت تقتل نفسها وقد
 بدت لشدة ما اعتراها من التغير كأنها ليست هى ..
 وأدركت أنه لولا معرفتها بأنها موشكة على الموت
 لما فكرت فى أمرى . قل ما تريد ولكن من
 أصعب الصعوبات أن يشعر الانسان بأنه مقبل على
 الموت وهو لم يتجاوز العشرين دون أن يعالج الحب ،
 ذلك هو الأمر الذى دفعها إلى اليأس . فأمسكت بي

وصدقنى إذا قلت إننى وددت لو سبقتها إلى القبر .
 وكانت أمها وأختها ينظرون إلى ويراقتنى وقد
 بدأت ثقهن بى تزعزع . وخار عزمي فلم أستقر
 على رأى

وفى إحدى الليالى كانت الخادم نائمة فى الغرفة
 وكانت تغط غطيها المعتاد . ونظرت إلى الفتاة فلم
 أجد جمالها قد قل على الرغم من شدة ذبولها وهزالها ؛
 وكانت وطأة الحمى شديدة عليها فى تلك الليلة فظلت
 تتقلب على الفراش إلى منتصف الليل ثم ظهرت كأنها
 نائمة . وكان المصباح موقداً فى ركن من الغرفة تحت
 الأيقونة المقدسة ، فجلست هناك مطرق الرأس ،
 وأدركنى النعاس لحظة ثم استيقظت فجأة عند ما
 شعرت بيد تلمسنى . ونظرت فرأيت ألكسندرا
 أندريفتنا ، وقد تقلصت شفاتها والتهب خداهما مثل
 التهاب النار وقالت : هل أموت يا دكتور ؟

قلت : لا سمح الله

فقلت : لا تقل لى إننى سأعيش ، لا تقل
 كذلك ... أصغ بالله ولا تكتم عني حقيقة حالى
 ثم أسرعت أنفاسها وقالت : إذا كنت أعرف
 أن موتى قريب فإنى سأقص عليك قصتى كلها
 قلت : بالله يا ألكسندرا ... فقالت مقاطعة :
 أصغ إلى إننى لم أكن نائمة . ولكنى كنت أنظر
 إليك مدة طويلة . لقد وثقت بك فأنت طيب
 شريف . وأرجوك بكل مقدس فى الحياة أن تخبرنى
 بالحقيقة هل أنا فى خطر ؟

قلت : ماذا أقول لك يا ألكسندرا ؟

فقلت : أستحلفك ألا تكتم عني

قلت : لا أكتملك فأنت فى خطر أكيد ،
 ولكن الله رحيم . فقالت : إننى سأموت . وبدأ
 عليها كأنها مسرورة من لقاء الموت . وأشرقت

ولما رأت المريضة أمها قالت : « لقد أحسنت إذ جئت فقد تبادلنا الوعد وكلانا يحب الآخر »
قالت الأم : « ما الذى تقول الفتاة ، وماذا تقول أنت يا دكتور ؟ »

فقلت : « إنها تهذى فهى فى نوبة الحمى »
قالت الفتاة : « ما هذا ؟ إنك كنت تقول لى غير ذلك منذ لحظة وقد قبلت خاتمى ، لماذا تتظاهرين ؟
إن أمى طيبة وسوف تصفح . إنها تدرك أنى أموت لا داعى إلى الكذب ... مد إلى يدك ! »

فوثبت من مكاني وفررت من الغرفة ، وقد أدركت العجز بالطبع حقيقة ما كان ...

ولا أريد أن أتعبك بالاطالة فى هذا الحديث وأنت تدرك أن هذه الذكرى تؤلمنى ، وقد ماتت مريضتى فى اليوم التالى فبرحمها الله

ثم تهدي وقال : « وقبل موتها طلبت إلى أهلها أن يخرجوا ويتركونى وإياها وحدنا فى الغرفة ، وقالت : سامحنى ... لأنى أنا الملوثة .. إن مرضى .. ولكن صدقنى إننى لم أحب أحداً أكثر مما أحببتك . احتفظ بخاتمى)

ووقف الطبيب ليذهب ثم قال : إنه يكره الذهاب إلى منزله عند ما تكون زوجته مستيقظة لأنها تكثر من تعنيفه ، ولأنه يكره بكاء الأطفال

وقال : « بعد ذلك تزوجت من بنت تاجر ، وأخذت بائنة قدرها سبعة آلاف جنيه واسم زوجتى أ كولينى وهو اسم يتناسب مع اسم تريفون ولكن زوجتى مفقودة الصبر وهى بحمد الله تنام أكثر أوقاتها

ولما سكت الطبيب دعوته إلى أن يلاعبنى لعبة الورق فربح منى روبلين وعاد إلى المنزل وهو مسرور بما ربح
عبد اللطيف النشار

ولم ترد أن تتركنى ، وهى تقول : « كن رؤوفاً بى . أشفق على . ما الذى تفكر فيه ؟ أنت تعرف أنى سأموت . إننى لو كنت سابقى على قيد الحياة فانى أخجل . نعم ولكن لماذا أخجل الآن ؟ »

قلت : ولكن من الذى قال إنك ستموتين ؟
فقلت : دع هذا القول فانك تخدعنى . إنك لا تعرف كيف تكذب فان وجهك ...

فقلت : إنك ستميشين يا ألكسندرا ، إننى سأشفيك ، إننى سأطلب من أمك أن تباركنا وستزوج ونكون سعيدين

قالت : كلا إننى سأموت ، ولكننى متمسكة بوعدك وإنك وعدتني ... إنك قلت لي ...

ولقد كان خطأ منى أن تسرعت فى القول . سألتنى عن اسمى الأول ، وكانت قبل ذلك تدعونى كما يدعونى سائر الأسرة بلقب الدكتور ، ولا بد هنا من الاعتراف بأن اسمى (تريفون) ليس من الأسماء السارة فقلت : اسمى تريفون إينانتش . فهزت رأسها وقالت كلمات باللغة الفرنسية ، وقد كانت هذه الكلمات بالطبع دالة على الاشتزاز من هذا الاسم ثم ضحكت وقضيت سائر الليلة معها وكنت أحس بأنى أسير بخطوات سريعة نحو الجنون

ولما دخلت غرفتها للمرة الثانية كنا فى الصباح بعد تناول الشاى وكدت لا أعرفها فان المولى عند الدفن أشبه بها من الأحياء ، وإننى أقسم لك أنى لم أفهم كيف جرت الأمور على هذا المنوال ثلاثة أيام على التوالى ولا أعرف ما الذى كانت تقوله لى بالليل ، وتصور أننى فى الليلة التالية كنت أصلى وأدعو الله أن يأخذها إليه

وعلى حين فجأة جاءت الأم وكنت قد أخبرتها فى الليلة السالفة بأن الأمل قليل وأن الأفضل استدعاء القسيس

فلذقت المأذى البغيض

للاستاذ أديب عباسي

اللازمة والحرص
المحتوم أن يرهف
الناس الأسماع ويحدوا
الأبصار ويضاعفوا
الانتباه كلما لاح لهم
النوري أو النورية من
بعيد أو من قريب ،

ويعلم أن ربة الدار لا تحسب في الحريصات اللأني
لا يتغفلن بسهولة إذا لم تجر كل مساء تفتيشاً دقيقاً
على محتويات البيت كلما هبط البلدة نفر من الثور
أدرك عبد الكريم إذن أسباب انقباض السكان
واستراحتهم ، ولم يجد أول الأمر حيلة يدفع بها
أسباب الريب سوى أن يعتكف هو وذووه في
البيت ما أمكنهم الاعتكاف . وقد رأى عبد الكريم
يوماً أن ينكر الأصل الذي يمتون إليه فلم يفلح .
فلقد كان في سيئاتهم جميعاً ومعارفهم ونبرات
أصواتهم وحركاتهم وسكناتهم ما لا يجدي معه إنكار
ولا تنكر ؛ هذا عدا ما بوغت الصغار مرة
أو مرتين يتراطنون بلسانهم الخالص برغم ما حذرهم
أبواهم ونهياهم عنه أشد التحذير والنهي

وطال انتظار العائلة أن تخف الريبة والتحوط
فيستطيعوا أن يتصلوا بالسكان ويواصلوهم ، ولا سيما
أنهم جاءوا يطلبون رزقهم عن طريق العمل الشريف
لا من طريق التطفل والتسول والسرقة كما هو دأب
أبناء جنسهم . فصمموا أخيراً على تحدي ارتياب
الناس وخرجوا من مسكنهم وبرزوا للناس
وواجهوهم مواجهة في الأزقة والشوارع وفي سوق
البلدة والساحات العامة دون استخفاء ولا وجل ،
ولقد كان لذلك أثره المحتوم ، فخفيت إلى حد بعيد
(٥)

هبط البلدة عبد الكريم البرجي هو وزوجته
الشابة وبنوه الصغار : حسين ومحمود ووصفي ،
وأخذوا لهم مسكناً غرفة مفردة في حي من أحياء
البلدة المتوسطة ، وعزموا أن يعيشوا عيشة هادئة
مستقرة يستريحون معها من الضرب في الآفاق إلى
آخر العمر . ولكن عكر عليهم هذه الآمال وشرذ
تلك الأحلام ما لاحظته عبد الكريم وزوجته صفية
من انقباض السكان عنهم انقباضاً ملحوظاً منذ حلوا
بينهم ، ثم ما جاء بعده من استراية وحيلة تبدوان في
وضوح وصراحة على جميع الأجوار . ولقد حاول
الصغار في اليومين الأولين أن يختلطوا بصبية الحي ،
ولكنهم كانوا في كل محاولة يجدون أنفسهم وحيدين
حيث وقفوا ، وينظرون فاذا الصبية عادوا وعقدوا
لهم بعيداً حلقة أخرى يستأنفون فيها ألعابهم . ولقد
فهم الاخوان الثلاثة مما رأوا من سلوك صغار الحي
ومما فسره لهم أبواهم أن وجودهم بينهم غير مرغوب
فيه ، وأن عليهم أن يكفوا عن لحاقهم ، ويكتفوا
باللعب بعضهم مع بعض ، فأذعنوا لذلك كارهين
ولم يجد عبد الكريم البرجي صعوبة في تبين
أسباب هذا الانقباض والاستراية في سكان الحي .
فقد اعتاد أن يرى مثل ذلك حينما حل العمور
نفر من أبناء جنسه ، بل هو يعلم أنه أضحى من الحيلة

في الآفاق ، ولكن حرمة إياه حياة الاستقرار التي اصطنعها أخيراً

وأراد عبد الكريم أخيراً أن يكتسب تقدير الناس واحترامهم بعد أن أزال من نفوسهم كل أثر للريية وسوء الظن ، فأدخل بنيه الثلاثة مدرسة البلدة يتلقون مبادئ القراءة والكتابة والحساب والتركية كغيرهم من أبناء البلدة

ويبدأ أبناء عبد الكريم نشاطاً وطلاً في الدرس ، فيكونون في طليعة لداثهم طيلة السنوات التي قضاوها في مدرسة البلدة . ويزور المدرسة في آخر العام مفتش معارف الولاية وهو رجل تركي ، ويحتلب اتقباهه أبناء عبد الكريم بسيماهم وقسماتهم الخاصة ، فيسألهم في بعض ما تعلموه ويجيبونه أجوبة تسره ، فيسأل عنهم . وحينما يخبرونه من أبوم وكيف أثر حياة الاستقرار على حياة التطويق والانتقال تستولي عليه الدهشة والاعجاب ويعث وراء أبيهم ، ويحضر هذا ويسأله المفتش لماذا أثر حياة الاستقرار دون أبناء جنسه ولماذا هو يعث أبناءه إلى المدرسة ؟ فيجيب جواباً موقفاً إذ يقول : « نحن يا سعادة البك نرغب أن نكون خداماً نافعين للدولة إذ نختار حياة الإقامة والاستقرار ، ونعلم الأبناء ليصبحوا قادرين على خدمة الدولة الخدمية الصالحة المقروضة على كل عماني أمين » ويسر المفتش سروراً كبيراً بهذا الجواب ويقول : « عفارم عفارم عبد الكريم ! إننا سوف نرسل بنيك على نفقة الدولة إلى المدرسة التجهيزية ليكونوا خداماً صالحين للدولة كما ترغب »

ولم يستطع عبد الكريم أن يجيب على هذا

نظرات الارتباب وخف التهامس بين الناس كلما مروا قريباً منهم ، وثاب إلى ربات الدور بعض اطمئنانهن فاستطاعت صفية أن تلقى عليهن التحية وتقف دقيقة أو دقيقتين تحادثهن دون أن ينفرن وينفرط عقدهن أو يتحسنن حلين خشية أن تطير من حيث لا يحتسبن أن تطير .

وزاد اطمئنان السكان حينما رأوا عبد الكريم يعمد إلى غربال كبير ويملاؤه بالفواكه والخضر والسحارة المشوية (١) والخص السلوق وخلافها مما قد يتسع له هذا الغربال ، ويحملة على رأسه ويدور على المساكن من الصباح إلى المساء يبيع ما يستطيع بيعه ثم يعود إلى منزله لا يبرحه إلا في صباح اليوم التالي . فلقد أقنعهم هذا بأن عبد الكريم عازم غزماً أكيداً أن يعيش من كديده لا مما يستطيع أن يناله بالسرقة والتسول

هذا وقد برزت عناصر الطيبة والأريحية في البلدة حينما رأوا عبد الكريم يخرج على تقاليد الجنس ويصطنع هذا الأسلوب من الحياة المستقرة ، ويعيش مما يحصله بكديمينه وعرق جبينه ، وغدت ربات البيوت لا يشتري من السوق شيئاً يستطعن شراءه منه ، بل غدون يوصينه بأشياء وحاجات معينة يأتيهن بها من السوق وينال عليها ربحاً يسيراً

وتحسن أحوال العائلة وصار عبد الكريم يستطيع أن يتخذله دكاناً يستقر فيه ويعرض للناس سلمه ، ولكنه آثر أن يظل بائناً متجولاً ، وكأنه بذلك يلبي بطريقة محوالة مصفرة ما غرسته الأجيال في دمه ودافته في أعصابه من حب التجوال والضرب

(١) السخارة فصيح « المعلق » العامية

عمله . فقد كان في سميت حسين المستكين وإحدى
الماهات اللازمة له ورسوب أخويه رسوباً شنيعاً
ما جعلهم يشفقون عليه ويعاملونه معاملة لينّة ، ولا سيما
أنه كان أقلّ اخوانه انصرافاً عن الدرس إلى اللهو
والاستهتار

وأرسلت النتائج المدرسية للاخوان الثلاثة إلى
مفتش المعارف فقرر فصل محمود ووصفي وإبقاء
حسين . وبلغت عبد الكريم نتائج بنيه تلك وما
قرر المفتش حيالها ، فأقامه ذلك وأقعده ، ولم يقر
له قرار حتى ذهب بيني مقابلة المفتش لعله يستعطفه
ويصرفه عما دبر لابنيه الفاشلين ، ولكن المفتش
أبى أن يقابله ، فلقد أحقّه أن يرى ثقته واختياره
يقعان على هم فاشلة ، واستعداد مزيف ؛ ولكن الأب
لم ييأس ولم يفت في عضده أن منع الدخول على
المفتش في مكتبه ، فترصد له في الشارع المؤدى إلى
بيته ، وحالما لم يخرج من المكتب بيني المنزل أقبل
راكضاً من بعيد ، وأكب على يديه ورجليه وما
زال يبكي وينتحب ويستغفر لبنيه إلى أن رق له
ووعده بأن يعيد بنيه جميعاً إلى المدرسة ليحبرهم
سنة أخرى ، فمضى عبد الكريم ودموع الحزن
والشكر تبلل وجهه ، ودعا للمفتش أحر الدعاء
وعاد وعلى وجهه كل سمات النصر الدليل والنجاح
الضارع

وقبل أن يعود أبناء عبد الكريم إلى المدرسة
في العام الجديد استدعاهم المفتش إلى مكتبه وأنسبهم
تأنيلاً شديداً صريخاً على تقصيرهم وسيرتهم المريبة ،
وأخذ عليهم المواقف في أن يقلعوا عن حياة اللهو
والاستهتار وينكبوا على عملهم المدرسي وينصرفوا

الانعام الكبير إلا بالانهيار على يدي المفتش يقبلهما
بشدة ودموع الفرح والغبطة تفيض بها أجفانه
وتسح منهمة على يدي المفتش المنعم

أدخل أبناء عبد الكريم البرجي المدرسة
التجهيزية كما وعد المفتش أباهم ، ولم يفتر لهم همّ أو
يخبو سمي أول ما دخلوا المعهد ، فكانوا أمثلة جيدة
في صدق العمل وحسن الاجتهاد ، ولكن الانتقال
من بيئة القرية المحدودة إلى محيط المدينة الصاخب
بدون تدرج في هذا الانتقال أو تمهيد له يكون له
غالباً مثل نتيجة الانتقال من المحيط المظلم إلى المحيط
الشديد الاضاءة ، فتغشى الأبصار وتزوغ الأنظار
أمدأ يطول أو يقصر حسب استعداد الأشخاص
لسرعة التكيف والتحول السليم من حال إلى حال .
ومن هنا لم يلبث أبناء عبد الكريم إلا شطراً
يسيراً من العام حتى أدركوا الفارق الكبير بين
حياة القرية ومتعها الضئيلة التافهة ، وبين
ما تتكشف عنه حياة المدينة كل يوم من متع آسرة
ولذات مغرية . ولم يكن من حياة البلدة ونماذج اللهو
فيها — إن صح أن ينسب إليها اللهو — ما يستطيع
أن يتهدهاء أبناء عبد الكريم فيكون لهم جسراً
ينتقلون عليه آمنين من عدوة إلى أخرى من عدوات
الحياة . لم يكن لهم شيء من الخبرة السابقة والقدرة
على تمييز سليم اللهو من الموبق ، فكان لذلك أثره
المحتوم في نتائج عملهم عند نهاية العام ، فرسب
محمود ووصفي رسوباً شنيعاً ، ونجح حسين نجاحاً
لعله كان أعود إلى شعور الاشفاق في صدور المدرسين
منه إلى جهد صادق من حسين وتقدير عادل لنتائج

إليه عن كل ما عداه... وخرجوا من لدنه وفي
سماتهم وخطواتهم كل دلائل الدلة والضراعة
والانفراج بعد حساب عسير ورهبة

عاد الإخوة الثلاثة إلى المدرسة التجهيزية ،
وكان نصائح المفتش أو تهديده ثم ما يكون عادة
من رد الفعل القوي لكل فعل قوي ، قد أثابت
إليهم بعض غريبتهم والمازب من رشدهم ، فأقبلوا
على دروسهم إقبالاً إن لم يحقق لهم التبريز فقد جنبهم
الفشل . وظل ذلك دأبهم إلى أن خرجوا من
المدرسة بعد بضعة أعوام يحملون شهادتها ويحملون
في الوقت عينه شيئاً غير يسير من صلف المعرفة
الناقصة وغرور العلم الفج . هذا إلى ذكريات
لوقائع ومغامرات عديدة ماقتوا يوماً يباهون بها
ويقولون : « لقد كنا كالحيثان في البحار تفتح
أفواهها لتستقبل جميع أنواع السمك بلا تفريق
بينها ثم لا تجد معها مع ذلك صعوبة في هضمها
جميعاً وتمثيلها ! »

وقد استقبل أهل البلدة أبناء البرجي استقبالا
حسناً وطفقوا يهنتون أبويهم أحر التهنة ويتمنون
لهم أحسن المستقبل وأفضل العمل . وكان
الإخوان الثلاثة فعموا من إقبال أهل البلدة على
تهنئتهم والاستبشار بمستقبلهم أنهم جاءوا يقرون
لهم بالفضل المطلق ويبايعونهم على إمارة العلم والمعرفة
فأدار ذلك رؤوسهم وضاعف غرورهم وصلفهم إلى
حد لا يطاق . وقد احتملهم أهل البلدة أول الأمر
إذ ظنوا أنها نشوة النجاح لا تلبث أن تزول
ويحل محلها الاتزان والتقدير الصحيح للأمر ،
ولكنهم لاحظوا أن أبناء البرجي يعضون في

طريق الغرور والدعوى إلى حد الاستهتار بهم
والاحتقار الشديد لهم ، فثارت ثأرتهم وأقبلوا
يسلقونهم بالسنة حداد ويردون على استهتارهم
واحتقارهم إياهم باستهتار واحتقار أشد . ولكن
الغريب أن ذلك لم يوقفهم عند حد من الغرور
والاستهتار ، فكأنهم آمنوا على أنفسهم من ناحية
علمهم ومعرفتهم ، فقد لا يهتمهم أن يهاجموا من أي
نواحي الهجوم . وقد أغاظ هذا الموقف غير المبالي أهل
البلدة وأحفظهم ، فأداروا رؤوسهم هنا وهناك يلتمسون
ناحية ضعيفة في هؤلاء الغرورين ، فينفذون إلى
مكامن الغرور فيهم ، فيقتلونهم فيهم أو يقتلونهم به .
وكما ينزل الوحي فجأة تنبهوا فجأة إلى أن الإخوة
من ذلك الجنس الذي يضرب المثل به في الحقارة
وهوان الشأن والحظوة . ولم ترحمهم البلدة الموتورة
في كرامتها ، فانتشرت لفظة « النور » ومشتقاتها
في طول البلدة وعرضها وغدت على كل لسان ؛
وصرت حينما ذهبت لا تسمع إلا : النوري ! النور !
استنور القوم ! ما أنورهم ! قبج النور من أجل
النور ! وما إلى هذه الألفاظ والتعابير مما هدى
القوم إليه الحقد والضغينة . وفعلت هذه الموجة
الصاخبة فعلها فردتهم إلى نفوسهم ، ثم اكتسحتهم
اكتساحاً ، فعادوا ينقبعون انقباعاً شديداً في
مسكنهم كمثل ما ألجئوا إليه أول ما هبطوا البلدة .
وشعروا بجمرة أليمة إذ رأوا كل ذلك البناء الذي
بنوا بنهار عند كلمة واحدة (النور) ، وشعروا
كذلك بحقد وكرهية بالغة — لأهل البلدة —
بل لذلك الوالد الذي « أبي أن يكون إلا نورياً !! »
وكم أخذوا يتمنون (بمجدع أنوفهم) لو أنزلوا من
صلب غير صلبه !

وجاءهم الفرج - بعد إذ غدت حياتهم لا تطاق حقاً - حينما جاءتهم طلبات من الحكومة للعمل في بعض دوائرها . فأقبلوا بلا وئاء يستعدون للرحيل . وفي ليلة من ليالي كانون الكالحة أمسوا ولم يصبخوا

استأجر عبد الكريم وبنوه بيتاً أنيقاً كبيراً في المدينة التي اختير الأبناء للعمل فيها ؛ وتنفسوا الصعداء بعد تلك المطاردة العنيفة التي طوردوها في البلدة ، وشعروا بلذة الانطلاق بعد الانقباض ، وذاقوا حلاوة الاطمئنان بعد صرارة القلق . ولكنهم عادوا بعد حين يستشعرون شيئاً من الاضطراب الخفي والقلق المكتوم ؛ واستغربوا أول الأمر أن يعود إليهم القلق والاضطراب بعد نجاة وأمن ، ولكن لم يصعب عليهم أخيراً أن يتبينوا أسباب ذلك فقد شعروا أنهم ما يزالون تحت خطر المطاردة ، إذ ماذا يمنع أن يستطيل حقد أهل البلدة ويستمر فيرسلوا من يدل أهل المدينة الكبيرة على أصلهم الوضيع ونشأتهم الحقيرة ، فيكون الشيء الذي لا يطاق والتعاسة التي لا تحمد . ومضى شهر ثم شهر ثم آخر وهم كالذي بين فكي القضاء لا يدرى متى يطبقان عليه . ولكن بعد أن مضى هذا الزمن ولم يرد من البلدة نبأ يدل على أصلهم أو يحضر رسول سوء يكشف للملأ أمرهم ، عاد يتسرب إليهم الاطمئنان من جديد ، وأيقنوا أنهم سيثبون الظن بأهل القرية أكثر من اللازم

ومضى حال العائلة رخيئاً خليئاً أمداً طويلاً . وقد استطاع الإخوة أن يدخروا من رواتبهم والرشي التي كانوا ينالونها على عادة موظفي ذلك الزمان شيئاً

وفيراً من المال... وينظر الأب إلى هذا المال الكثير فيتنبه إلى أن بنيه يسرفون في معيشتهم ، وأن عليه أن يحد من غرب أهوائهم وينهه من شهواتهم . وتهاجمه هذه الفكرة هجوماً هيناً أول الأمر ، ثم يعود هجوماً عنيفاً أشد العنف . ويتقدم أخيراً إلى بنيه وينبههم بمرارة وحدة إلى إسرافهم البليغ وتبذيرهم الشديد . ويستغرب الأبناء هذا المظهر الطاري من أبيهم ويقولون : « مالك تركتنا نعيش كما نشاء والمال قليل بين أيدينا ، ونجى الآن - وقد أسبغ الله علينا نعمه - تريد الحد من أسباب سعادتنا وتعكير صفونا ؟ إنه لشيء عجيب حقاً ! » ولكن الأب لا يصنى إلى حججهم ويصر على محاسبتهم محاسبة دقيقة على ما يسرفون ويبدرون . وأخذ يذكرهم أن له الحق المطلق في تنظيم شؤون الصرف كما يرى ويقول : « أي شيء كنتم تكونون الآن لو آثرت الانتفاع بأتعابكم المبكرة وشغلتمكم في البلدة ولم أرسلكم إلى مدرستها ؟ ثم أي شيء كنتم تصيرون إليه لو لم أترام على قدمي المفتش بعد فشلكم الشنيع فيرق لي ويعيدكم إلى المدرسة . بعد أن قرر طردكم ؟ أذكروا هذا وانظروا أي ثم تقترفون ؛ وأي فضل تنكرون أيها الأبناء العاقون إذ ترغبون أن تتركوا رؤوسكم وتغتبطوا أهواءكم الجامحة كما تشاءون ! »

وقد كان يذعن البنون وينزلون عند هوى الأب لو جاءهم بهذا العزم مبكراً قبل أن تتمكن منهم عادات الاسراف وتتأصل فيهم ، ومن هنا يفهمونه بصراحة أنهم لن ينزلوا عما اعتادوا أن يعيشوا من العيش الرغد ليجاروا هواء الغريب في التقير والتضييق عليهم . وهكذا يصر الأب من

أن تفرض عليه هذه الرغبة فيقتل نفسه باختياره؟»
ويجيب محمود: «لا تعجل يا وصفي! كل ما أعنيه هو
أن يكون ظاهر الأمر انتحاراً وحسب. وعلى كل
أركانى أفكر فى الأمر ملياً، وأعد للأمر خطة
محكمة أعرضها عليكما غداً» ويقوم كل إلى فراشه
منطوياً على شر ما تنطوى عليه نفس من نفوس البشر

أبدى الإخوة فى الأسابيع التالية تساهلاً
شديداً مع الأب، فدفعوا إليه بجميع ما لديهم من
تقود وطلبوا إليه أن يجرى الاقتصاد والتدبير فى
جميع نواحي عيشهم. ويدهشه أول الأمر هذا
الاتقلاب ينقلبه البنون من موقف العناد إلى موقف
الملاينة، ويفسره بأنه - لا شك - النتيجة المحتومة
لما هددهم به من هتك سرهم والدلالة على أصلهم.
ويشعر بنشوة الفوز فيمعن فى التدبير والتقتير،
وكما لاحظ أن بنيه يهتمون بكلام يقول: «يا الله!
ماذا يصير إليه حالنا لو علم الناس حقيقة أمرنا والمخفى
من شأننا؟ إنه لشيء مرعب حقاً. ولكن الحمد
لله إن أحداً إلى الآن لا يعرف من أمرنا شيئاً!»
وفى يوم يتقدم حسين إلى أبيه ويقول: «إننا
فى حاجة إلى جبل للفسيل فاشتريه لنا يا أبت وحاول أن
يكون من الجنس الجيد الرخيص»

ويسر الأب إذ يرى بنيه أصبحوا يفهمونه
ويجارونه على خطته فى الاقتصاد، فيعد حسيناً بأن
يبتاع لهم أحسن الجبال وأرخصها ولو اقتضى الأمر
أن يدور على جميع أسواق المدينة لا يترك منها
واحداً.

ابتاع عبد الكريم البرجى الجبل بعد أن طاف
على معظم أسواق المدينة ينشد الرخص والجودة معاً.

جهته ويصر البنون، فيدب الخصام ويستطيل
الجدل والشادة. وفى ثورة من ثوراته يصبح الأب:
«صرتُم ناساً يأنور لا تستطيعون أن تعيشوا إلا
كالحكام والولاة، والله لأرينكم!» ويجفل البنون
عند كلمة «نور» وتتسع حدقات عيونهم وتشخص
أبصارهم كمن تبين فجأة خطراً داهماً وشرّاً مستطيراً.

ويلحظ الأب ذلك ويتنبه إلى هذا السلاح الحاسم
تقوده إليه فجأة ثورة من ثورات الغضب، فيعود
يقول: «نعم، نور وألف نور؛ والله لأفضحنكم
وأعيدنكم مهزأة فى أفواه الناس أجمعين! إفعلوا
ما تشاءون وتقدرتون، وسأفعل ما أستطيع يأنور!»
(وهنا يرفع صوته بكلمة «نور» عالياً) ويخشى
البنون أن تزداد ثورته فيقوم ينادى على الناس فى
السابلة: تعالوا انظروا النور، تعالوا أخبركم عن
أصلنا الوضيع الحقير، فيخرجون صامتين من لدنه
وسياء الكره الشديد والدهشة البالغة فى عيونهم
وعلى وجوههم

وينادى محمود بعد صمت طويل وتفكير عنيف:
«ماذا تريان؟ إن كل ما بنينا يوشك أن ينهار على
رؤوسنا. لماذا لا نفعل شيئاً؟ هل نبقى كالحوت
غرسى فى جنبه حربة تصحبه حيثما توجه إلى أن
تقضى عليه؟ لماذا لا نزيل هذه الحربة السمومة من
جنوبنا ونحطمها ونرميها قصيًّا؟» ويجيبه وصفي:
«علينا أن نتخلص منه وإلى الشيطان مثل ذبائك
الأب اللعين!» ويقول حسين: «ولكن كيف
نستطيع الخلاص منه؟ وماذا نصنع لننجو من
عواقب ما تشيران إليه؟» ويجيب محمود: «الأمر
هين، علينا أن ندعه ينتحراً» ويضحك وصفي ضحكة
صفراء ويقول متهاكاً: «ولكن كيف نستطيع

السوداء والحزن المبهم ، فكنت أسأله ماذا به ولم أراه واجماً ، فكان يجيب : لا شيء ، لا شيء ، وتنسبط أساريره ويحول وجوهه كأنه يحاذر أن يطلع أحد على دخيلة أمره . وكنت أسأل والدتي - بحكم نفوذ المرأة إلى أسرار الرجل - هل ترى شيئاً لهذه السوداء والوجوه يملكه أحياناً ، فتجيب بأنها لا تعلم من أمر ذلك شيئاً »

ويجىء الطبيب ، فيرى أن تنزل الجثة ليفحصها ويرى هل في الحادث جناية مدبرة أم هو انتحار وحسب . ولكن المدعى العام يطلب إليه أن يترث قليلاً ، ويطلب إخراج الاخوة ، فيخرجون . وعندها ينصب الكرسي الذي كان مطروحاً تحت رجل عبد الكريم ، فيلاحظ أن الكرسي لا يصل إلى قدميه بل يظل بينه وبينهما خلاء بمقدار شبر . وعندها يلتفت إلى الطبيب وقائد الدرك ويقول : « حتماً هذا الكرسي وضع هنا للتممية ولم يستعمله الرجل في انتحاره قط ، إن يكن مات منتحراً . وعلى كل دعونا ننزل الجثة الآن فقد يكشف لنا الفحص الطبي أفي المسألة جناية أم هي انتحار وحسب » وتنزل الجثة ويلاحظ المدعى العام أن على الجبل آثار احتكاك حوالى المحل الذي ربط منه بحديد النافذة ، فيضيف هذه الملاحظة إلى ملاحظته على الكرسي . ويشرح الطبيب في فحص الجثة ، فيقرر بعد الفحص الدقيق أن ليس ثمة أثر لاستعمال العنف ، وأن فقرات العنق محمولة مما يدل على أن الجسم ضغط إلى أدنى بعد إذ كان معتمداً على شيء . إلا أن المدعى العام ينبهه إلى أن حول العنق دائرتين من أثر ضغط الجبل عليه ، ويسأله كيف يعمله ، ولكن الطبيب لا يهتدي إلى تعليل

وفي صباح اليوم التالي لشراء الجبل سمع الجيران صياحاً وولولة فأهرعوا ينظرون ماذا أصاب عائلة البرجي في ذلك الصباح ويدخلون فيرون صفية والاخوان الثلاثة يبكون ويعولون أشد البكاء والعويل ، ويسألون : ماذا دهام وأي خطب أصابهم ؟ وتشير الزوجة بأصابعها إلى غرفة نوم زوجها ، فيطل الجيران وإذا عبد الكريم معلق من رقبتة في حديد النافذة وعيناه جاحظتان ولسانه مدلى على صدره مقدار شبر . ويروعه المنظر ، فيجفلون ويقبلون على صفية وأبنائها يسألونهم : كيف كان ذلك ومن صنعه ؟ وتجيب صفية : « لا أدري ، لا أدري . كل ما أعرفه أن عبد الكريم ابتاع البارحة جبلاً قال لي إننا نحتاجه وجئت غرفته هذا الصباح لأوقظه فوجدته معلقاً كما ترون » أما الاخوان فكانوا يمثلون دور الذين عقد الحزن ألسنتهم فلم يجيبوا عن استفسار الناس بشيء

ولم يمض وقت طويل حتى أبلغ قائد الدرك نبأ الحادث ، فحضر إلى بيت عبد الكريم بصحبته المدعى العام . وشرع المدعى العام - بعد أن عين الجثة - يجرى تحقيقاً دقيقاً ، فتوجه إلى الزوجة أولاً وسألها عدة أسئلة ، فتبين من أجوبتها ولهجة حديثها ومظاهر الحزن الأكيد في وجهها أنها لا تعرف من المأساة سوى فصلها الأخير . فتركها وباشر التحقيق مع البنين ، فكانت أجوبتهم جد متقاربة ، وتشير إشارة واضحة إلى أنهم لا يهتمون أحداً وإلى ترجيحهم أن أباهم مات منتحراً . ولما سألهم المدعى العام ماذا يظنون الدافع لانتحار أبيهم ، كادوا يتلعثمون لولا أن محموداً قال : « يُخيل إلى أن والدي كان في المدة الأخيرة يملكه شيء من

جديداً على موت البرجي بما سأقف عليه من ماضى
الرجل وبنيه

بعد شهرين كاملين من هذه الحوادث بكر الناس
في صباح أحد الأيام بالنهوض والذهاب إلى قاعة
المحكمة ليتسنى لهم أن يحجزوا فيها مقاعد لهم
ويشهدوا محاكمة أبناء البرجي بتهمة قتلهم أباهم كما
سيثبت ذلك المدعى العام في هذه الجلسة الختامية
وحوالي الساعة العاشرة جاء جنديان مسلحان
يسوقان أبناء البرجي ويدخلانهم قفص الاتهام ؛ وبعد
أن تمت الاجراءات اللازمة وقف المدعى العام وألقى
بصوت هادىء رصين مرافعته التالية :

حضرات القضاة المحترمين ! لا أريد أن أطيل
الشرح ولا أكثر التحليل وإنما أكتفى بعرض
موجز للحقائق التي بنيت عليها نظريتي في الاتهام ،
وهي أن وفاة البرجي لم تكن نتيجة للانتحار كما دلت
على ذلك ظواهر الأمر ، وإنما كانت الوفاة بأيدي
جناة آثمين هم هؤلاء البنون الماثلون أمامكم ، إن جاز
في عرف المبادئ النبيلة والغايات الشريفة أن ندعوهم
أبناء ، ولو كان الصخر ينبت بنات وبنين لقلت إن
هؤلاء الذين لا أستطيع أن أدعوهم بنين إلا تجاوزاً
نشأوا من الصخر الجلمد والحجر الأصم

إن أول ما نهني إلى أن الحادث لم يكن
انتحاراً الكرسي الذى وجدناه مطروحاً تحت رجل
القتيل . فقد بدا لي أن أقفه تحت رجله لأرى
أطول رجلا الجملة أم يبقى بينه وبينها فراغ ، كما
تبادر إلي ؛ وقد صدق حدسي لما نصبت الكرسي
وظل بين أعلاه وقدى القتل مقدار شبر من الفضاء

مقبول . ويضيف المدعى العام إلى ملاحظتيه الأوليين
هذه الملاحظة الثالثة عن أثر الحبل حول العنق

ويطلب المدعى العام الإخوة ، فيحضرون ،
ويعتذر إليهم عن ربكهم بالأسئلة في وقت هم
أجوج ما يكونون فيه إلى بواث التعزية . ويسمح
لهم بدفن أبيهم إذ لم ير وجهاً لموته غير الانتحار
يدفن الاخوة أباهم ويعودون من المقبرة ..
وفيما هم سائرون والناس وراءهم وأمامهم اغتم محمود
عطفاً في أحد الشوارع والتفت إلى أخيه وصفي ،
وقال بصوت خفيض : « لقد دفنا الماضى البغيض ! »
ولم تفت العبارة أذنين كانتا تسيران خلصة وراءهم
لتلتظا مثل هذه العبارة أو غيرها

وزداد المدعى العام يقيناً — بمد أن سمع
ما سمع — بما أخذ يكوّنه لنفسه من نظرية حول
موت البرجي فيقول : إن هذه العبارة التي همس بها
أحد الاخوان تدل دلالة واضحة على أن الإخوة لم
يمازج نفوسهم قط شيء من الحزن لموت أبيهم ، بل
هي تشير إلى مبلغ ارتياحهم وسرورهم لموت أبيهم .
وليس بالقليل أبدأ أن ينسيهم شعور الانفراج بموت
هذا الأب واجب الحيلة اللازمة فيناجى بعضهم
بعضاً بمثل ما سمعت . أما مظهر الحزن الذى يتكلفه
الاخوان الآن تساعدهم عليه طبيعتهم الصفراوية
وملاحظهم البهمة المكتومة ، فهو دور يمثلونه ويتقنون
تمثيله ، ولكن الذى يحيرنى بعض الحيرة هذا
« الماضى البغيض » الذى يشيرون إليه ، ولعلّ إذا
أرسلت من أعتمد إليه إلى البلدة التى جاءونا منها
يتحرى عن جلية أمرهم ، أستطيع أن ألقى نوراً

وهنا أدركت أن من المستحيل أن يكون الرجل علق نفسه بحديد النافذة ثم ركل الكرسي ، بعد أن صعد عليه ، ليسقط جسمه ويشد الحبل على عنقه ويذهب أنفاسه . وإنما المقبول أن يكون الرجل خنق بالحبل على الأرض ثم علق بعدها وطرح الكرسي بين رجليه لايهام المحققين والإلقاء في روعهم أن الموت كان انتحاراً وحسب ، ولكن فات الجنة أن يتقنوا أسباب التعمية هنا ، فتم الكرسي عليهم

ثم أزلنا الجثة وتقدم الطبيب ليفحصها ، وقرر الطبيب أن فقرات العنق محولة مما يدل على سقوط الجثة إلى أسفل ، كما قرر أنه لا تكاد تبدو آثار من استعمال العنف على الجثة ، مما جعله يميل إلى نظرية الموت انتحاراً لا قتلاً

بيد أن تقرير الطبيب وترجيحه الوفاة انتحاراً لا قتلاً لم يفت في عضدي بل كان مساعداً لي على تصوير الجرم تصويراً خيالياً ، ثم وجدت بعدئذ من الحقائق ما يبرر لي هذا التصوير : تصورت أن البنين — لسبب من الأسباب — أرادوا قتل أبيهم فجاءوا بالحبل ودخلوا عليه ليلاً فالفوه نائماً وعندها وضعوا أنشودة في الحبل وأدخلوا رأس أبيهم فيها وأمسك واحد من الإخوة بطرف من الحبل وآخر بالطرف الآخر ثم تجاذبا الحبل بينهما بقوة وسرعة ففاضت روح المسكين دون أن يبدي مقاومة ، يساعد على ذلك استغراقه في النوم وشيخوخته . وبعد أن أتم الجناة ما جنوا رفعوا الجثة وعلقوها بحديد النافذة ليوهموها الناس أن أباهم مات منتحراً هذه الصورة التي صورتها لنفسى عن كيفية وقوع الجرم حاولت أن أدعمها بالحقائق ، وأول ما جاءني من الحقائق دليلاً على صدق الصورة

الدائرتان من أثر الحبل حول عنق القتيل . فالدائرة السفلى هي بلا ريب أثر الحبل إذ شد على عنق الرجل وهو نائم والدائرة العليا هي أثر الحبل بعد أن علق في حديد النافذة ، وقد نبهني إلى دلالة الدائرتين من أثر الحبل حول عنق الرجل الاحتكاك الذي رأيته في الحبل قريباً من مكان تعليقه بحديد النافذة ، إذ خيل إلى أن هذا الاحتكاك ناجم من إدخال طرفي الحبل في فجوة من فجوات حديد النافذة وسحبهما من الجهة الخلفية إلى أسفل لرفع الجثة على نحو ما ترفع الأجسام بالبكرات . فقد قلت لأريب أن الرجل مات مخنوقاً قبل أن يعلق ، والأرجح بل الأكيد أن يختلف وضع الحبل حول عنق الجثة وهي ملقاة أفقياً ثم وهي معلقة عمودياً ، وعليه طلبت أن يخرج الحبل من عنق الرجل ونظرت فإذا أتران : الأول مخفي تحت زيق القميص ، والثاني مكان الحبل إذ شد على عنق الرجل بعد التعليق

وأحببت أن أعلم من جاء بالحبل الذي علق به الرجل ، فسألت الإخوان فأجاب كلهم بأن أباهم ابتاعه كأثمهم بذلك يتسارعون إلى إبعاد التهمة عنهم ولكن لم أقتنع بكلامهم ورحت أسأل التجار في السوق هل ابتاع البرجي حبلاً قبل أن يحدث له الوفاة فكان جميعهم يجيب بأن البرجي جاء حقاً يطلب حبلاً . وقد أخبروني جميعاً كذلك بأنه كان في حالة نفسية جيدة وأنه جادلهم طويلاً وما كسهم في الثمن كثيراً فاستغربت ما ذكروه من مظهر حرص الرجل وقلت : هل يعقل أن يكون المرء حريصاً مثل هذا الحرص وهو قادم على الانتحار وتطبيق الحياة بخيرها وشرها ؟ ثم ألا يجوز أن الأب حمل اختياراً على شراء الحبل — حملة على ذلك أحد

بنيه حتى يُعلم في السوق أن الرجل أعد وسائل الاتجار بيده ؟ دارت في نفسى هذه الخواطر ، ففكرت في سؤال الإخوة من جديد لعل أستدرجهم إلى معرفة من أوحى بمشترى الجبل . ولكننى عدلت عن هذا الرأي لأننى رأيت الإخوة — بعد أن رأوا الشبهة تتجه نحوهم — يمعنون في الحذر والحيلة بحيث لم يعد في الامكان استدراجهم . ولكننى لم أياس ، فقد تلطفت بخادم المنزل ، فأخبرتني بأن حسيناً هو الذى طلب إلى والده مشترى الجبل ، وقالت انها علمت ذلك من عبد الكريم نفسه فقد استغربت لماذا اشترى الجبل ولديهم جبال كثيرة ، فأجابها بأن ابنه حسين هو الذى طلب إليه شراء الجبل لحاجة البيت إليه . وزادت الخادم أن نقاشاً حاداً كان يقع بين عبد الكريم وبنيه ، ولكن ذلك النقاش هدأ فجأة كما بدأ فجأة ، وساد البيت بعده مظهر قوى من الاقتصاد والتقتير . وهنا سألت الفتاة : هل تذكر شيئاً مما كان يدور بين الأب والبنين عند ما كان ينجم الجدل والمشادة ، فأجابت بأنها كانت تخشى أن تدنو من الأبواب والنوافذ حينما كانوا يتناقشون ، ولا سيما أن بعض الإخوان كان يخرج الحين بعد الحين يستوثق أن أحداً لا يسرق السمع أو يصنى لما يتجادلون ؛ ولكنها رغم ذلك استطاعت أن تسمع الأب مرة أو مرتين يردد بصوت عال كلمة «نور» فكان الأبناء يستكثرون جد الاستكانة ويفكرون عند سماعها . وأخيراً سألت الخادم : هل لاحظت على عبد الكريم قبل أن يقدم على الاتجار شيئاً من الحزن والسوداء ؟ فأجابت بأنها لا تعرف ماذا أعنى بالسوداء ففسرتها

لها ، وعندها قالت : إنها لم تلاحظ شيئاً من ذلك ، بل كأنما لاحظت أن الرجل زاد قوة وانشراحاً ، ولا سيما بعد أن انقطعت المشادة بينه وبين بنيه بعد أن أصغيت ما أصغيت إلى ثثرة الخادم دون أن تدرك خطورة ما أفضت به إلي قلت : هذه أدلة جديدة تزيدنى يقيناً بأن البرجى راح ضحية العقوق ولؤم البنوة . فالجبل لم يشتره المسكين لينتحر إذناً ، وإنما أوحى بنوه إليه بشرائه زيادة في الاحتياط ، فيقول الناس والمحققون ان الرجل ابتاع أسباب الموت والفناء بيده . كذلك أدركت ان ما قاله لي محمود في بدء التحقيق من استيلاء السوداء والشذوذ على أيه قبيل الحادث واعتقاده ان لذلك علاقة بانتحاره لم يكن إلا أ كذوبة ارتجلها في غير تفكير ليتخلص من حراجة الموقف حينما أعجلته بالسؤال هو وأخويه عن أسباب انتحار أبيهم . أما ما كان يتردد على لسان الأب وقت المشادة من لفظ «النور» فلم أحمله أول الأمر محلاً خاصاً ، وقلت : هي عادة الشرقيين من الاسفاف في الخصومة وتوزيع النعوت والألقاب في غير قصد ولا اعتدال . ولكننى عدت ونظرت إلى هذا اللفظ يتردد في الخصومة بين الأب والأبناء نظراً جديداً لما جاءني من انتدبته للبحث عن ماضى القوم في البلدة التي جاءوا منها بأن القوم يمتنون مباشرة إلى النور ، وانهم قوطعوا من جراء ذلك مقاطعة شديدة أول ما حلوا البلدة ، ثم طوردوا مطاردة عنيفة — لأمر طارئة — بلفظ «النور» حتى اضطروا أن يرحلوا بليل بعد هذا عدت إلى ترتيب الحقائق ترتيباً

الأخوين الآخرين !

ويختم المدعى العام مرافعته بطلب الحكم الصارم على الإخوة الثلاثة إذ يقول : إننى أطلب من المحكمة الموقرة ، بعد أن عرضت عليها عرضاً واضحاً وعناصراً الجريمة وجميع ملابساتها - أن تحكم على هؤلاء الإخوة الثلاثة كقتلة سفاحين انحدروا إلى أقصى دركات الوحشية وألأم صفات الاجرام والاثم ؛ إذ من تمتد يده إلى شعلة الحياة في صدر الأبوة تعبت بها وتطفئها إلا من أعطى نفس خنزير أو أدنى من نفس خنزير !!

ويوجه رئيس المحكمة الكلام إلى الإخوة ويقول : أنصحكم - بعد أن وضحت معالم الجريمة - بالاعتراف فذلك أولى لكم وأجلب لاستعمال الرأفة بكم ويقف الرئيس عند عبارته الأخيرة ينتظر جواباً فلا يتكلم أحد . فيعيد الكلام ويسأل : ماذا تقولون ؟ أتصرون على الإنكار ؟ وعندها يرفع حسين صوته ويقول متبجحاً في رنة تكسرها الدلة ويقطعها الحزن : نعم ، نعم ، نحن القتلة ، نحن المجرمون !! ولا يستطيع محمود ووصفي بعد إقرار أخيهما أن يصرا على الإنكار فيعترفان

واختل القضاة يتداولون بينهم أمر الحكم ، وشخصت الأبصار نحو الإخوة الثلاثة وفيها من المعاني والعواطف المتباينة ما أتى على البقية الباقية من ثباتهم وتماسكهم ، فيلتفت حسين إلى أخويه ويقول بصوت باك ورنه متحطمة :

- أنظروا ! قريباً سنتخلص من جميع ذلك الماضى البغيض !!

أربب عباسى

جديداً بعض الجدة ، فقلت : لا ريب أن الأب كان يهدد بنيه بكشف ماضيهم وانتسابهم إلى ذلك الجنس الوضيع (النور) ، إذا لم يرعوا وينزلوا على مشيئته فيما شجر عليه الخلاف ودبت الخصومة ، فاضطروا أخيراً ، اجتناباً للفضيحة واختياراً لأهون الشرين ، أن يذعنوا بعد أن يبتوا له شراً كبيراً . وقد ذكرت لى الفتاة الخادم أن الخصومة هدأت وتبعها فوراً تقدير واقتصاد شديدان ، وهذا بلا ريب ما كان يريده الأب ونجم عنه الشجار الذى انتهى حيناً أذعن البنون . وسارت شؤون الدار على هوى الأب لا على هوى البنين . وقد يبدو مظهر الاقتصاد والتقدير المفاجئ في الأب شيئاً غريباً ، ولكننى أقرر هنا أنها حالة نفسية مشهودة شهوداً عاماً ، فكان رؤية المال يربو ويزداد - ولا سيما عند من يثرون بعد متربة - تزيد الناس حرصاً عليه ورغبة فيه ... أقول : اختار الأبناء أن يذعنوا من جهة ، ولكنهم - من جهة ثانية يبتوا للأب شراً مستطيراً ، فكانت حكاية الانتحار وأخيراً حقيقة الجناية ...

وعند هذا الحد من مرافعة المدعى العام تسمع حركة سقوط في قفص الاتهام ، فيلتفت المشاهدون ويلتفت القضاة فيرون حسيناً ملقى على الأرض وقد أخذته غشية ، ويبادرون إلى إسعافه ، وحالما يفيق يستأنف المدعى العام مرافعته ويقول : قد رأيتم يا حضرات القضاة المحترمين كيف انهيار أحد التهمين بعد أن لم تقو أعصابه على التماسك في وجه الحقائق الصارخة بأنهم القتلة المجرمون . ثم انظروا كيف غدت غبرة الموت وقرة الفناء تعلوان وجهي

الوطنية

مُترجمة عن مجلة القصص الواقعي الانجليزي
بكتلما الأديب محمود السيد شعبان

فقد أعلن لي (هانز) في
يوم من الأيام - وقلبه
يفيض حزناً ، ونفسه
تمتلئ أسفاً ، وجسمه
ينتفض فرقا - أن ألمانيا
قد أعلنت الحرب على
أعدائها ، وأنه سيسافر
إلى ميدان القتال لأن

اسمه قد درج بين أسماء المحاربين هناك ... ثم رجاني
أن أعود إلى (باريس) - وفي الوقت فسحة -
خوفاً من أن تجد ظروف تحول بيني وبين ذلك .
وقد كان (هانز) - بالرغم من كل ذلك - على
يقين من أن الحرب لن تستمر أكثر من ثلاثة
شهور على أكثر تقدير ، وأنه سيعود إلى بعد ذلك ..
وأحسست بعد أن أققت من صدمة هذا النبأ
الفاجع ، وهول هذا الخبر المؤلم - أن حبي لزوجي
(هانز) أقوى وأعنف بكثير من حبي لوطني (فرنسا) !
وشعرت أن كل ما هو حبيب إليه أحب إلى نفسي
من كل ما سواه ، وأن كل ما هو عزيز عليه أعز
على قلبي من كل ما عداه . ومن أجل ذلك أهبت
بنفسي أن أكون ما حيت فداء لهانز وللقيصر
ولألمانيا متحملة في سبيل ذلك ما قد ينتابني من
الآلم أو يمسنى من سوء ...

وودعت (هانز) وأرسلته إلى المعركة ، وقلبي
يفيض إعجاباً ، ونفسي تليه فخاراً . وقد كنت أنا
أيضاً أعتقد أن الحرب ستضع أوزارها عما قليل ،
وأن (هانز) سيعود إلى سلباً قوياً آمناً . وانقضت
شهور عدة فما نجد لهيب الحرب وإنما ازدادت الممالك

تزوجت من (هانز) - وهو أحد الجنود
الألمانيين - لعام واحد قبل الحرب العالمية الضروس
التي أهلكت كل حي ودمرت كل شيء ، بالرغم
من أني فرنسية الأصل والجنس ... وكانت أول
عهدي به أن لاقيته في معرض من معارض الفنون
في (باريس) - وكان قد ذهب إليه زائراً - فلما
سمعته يتكلم الفرنسية بطلاقة تحدثت إليه ، فلكني
حديثه العذب الفكاهة ، وأسرنى غزله المرح الرقيق ،
فكان ما كان ، وانتهى بنا الأمر إلى الزواج بعد قليل
وتركت وطني راضية لأعيش مع زوجي (هانز)
في قرية صغيرة من قرى ألمانيا . وعشت بين أحضان
عائلته في سعادة ورفاهية ، ورغد وبلهنية . وصار
أصدقاؤه مع مضي الزمن أصدقائي ، وخلصاؤه
خلصائي ، وأقاربه أقاربي ! وما مضى على وجودي
بينهم غير قليل حتى تعلمت كيف أتكلم الألمانية ،
وحتى كدت أنسى أنني كنت فرنسية الجنس واللغة
في يوم من الأيام . ونقلني (هانز) بما حباه الله من
قوة وسحر إلى دنياه فذقت لذة الهناء ، وحلاوة
الصفاء ، ومتعة الحب !
ولكن هذا النعيم لم يدم طويلاً وأسفاه !

المشاركة فيها عدداً وعدداً . وكان (هانز) يرسل لي بين الحين والحين بعض الرسائل — وهو في ميدان القتال — فكنت أجد فيها قليلاً من المتاع واللذة ، وشيثاً من الراحة والطمانينة ، ووميضاً من السلوان والأمل ، ولكني ما كنت أريد إلا أن أرى وجهه ، وأسعد به في جوارى مرة أخرى !

أواه يا قلبي !

إنني ما رأيت (هانز) بعد ذلك اليوم أبداً ، وما كنت أحسب أنني قد ودعته الوداع الأخير ! فقد تراءى إلي أن طائرة فرنسية دمرت البكين الذي كان يختبئ فيه — بعد مضي عشرة شهور من بدء الحرب — ففضي نحيبه محترقاً . وكاد الحزن يفقدني عقلي ويورثني الخجل ...

ومن ذلك اليوم تولدت في نفسي الكراهية والبغضاء لفرنسا ، وتمنيت لو استطعت أن أثار لزوجي أو أُنقم له من أولئك الذين قتلوه ! وأحببت لو أن فرنسا خرجت منهزمة منكسرة من الحرب بل مُدمّرة مُهدمة مُخرّبة !! ولكن السنين — واحسرتاه — قد خيبت ظني ، إذ وقعت الهزيمة على ألمانيا ؛ فلأت الأحلام المفرزة فؤادي ، وأفعمت الأوهام القاتلة خيالي ؛ فصدقت كل ما يقال عن قسوة الألمانين ، وكل ما يذاع من أنباء اعتدائهم على الأطفال الآمنين والنساء الضعيفات . فدعوت الله من قلب خالص أن ينصر القيصر ويكتب له الفوز المبين !!

... وفي يوم من أيام سبتمبر من عام ١٩١٨ أجلى الفرنسيون الألمان عن قريتنا ، ولكن الألمانين تمكنوا — قبل غروب شمس ذلك اليوم — من

استرداد قريتهم المسلوية ومحاصرتها وتطويقها ... واستيقظتُ على حين غرة على صوت مزعج ودوي هائل وضجيج وجلبة في حجرة الاستقبال التي في الطابق الأسفل من منزلي ، فارتدت منامتي على عجل . وأضأت المصباح الكهربائي الذي ينير الدرج ثم هبطت الدركات بسرعة يدفع بعضي بعضاً

فإذا رأيت هناك ؟

... لقد رأيت جندياً فرنسياً يرتدى ملابسه العسكرية متكئاً بجانبه على المنضدة ، والدم يتفجر غزيراً من جرح في رأسه ، وكانت سترته ملطخة بالوحل ، وعلى وجهه أثر مما يعاني من الألم ويقاسي من الجهد ...

وما كاد الرجل يراني — وأنا أقرب منه — حتى ألقى إلي نظرة فيها كل معاني الاسترحام كأنما يستجدي بها المعونة ، ويرجو بها الفوث . ثم مَدَّ إلي إحدى يديه كأنما يعلن إلي أن لا حول له ولا قوة . فقلت له بلهجتي الفرنسية الوطنية : « هل يؤلمك هذا الجرح كثيراً ؟ »

ففتح الجندي عينيه على مهل ثم قال : « هل سيدتي ... فرنسية ؟ »

وما أدري لماذا أحسست ساعته بشورة في دمي وهزة في جسمي ، وخفقان في قلبي !

وقلت للجندي : « نعم ، إنني فرنسية ، ولكني مقيمة هنا . . . إني ... أنا ... ! »

وأمسك الجندي بذراعي ثم قال : « إن الواجب يحتم عليك أن تساعدني . لقد حسبني زملائي ميتاً فتركوني ، والآن يجب علي أن أرجع إلى صفوفنا . يجب علي ... »

وما كاد يتم كلامه حتى سمعت دقاً عنيفاً على الباب ، وصوتاً عالياً ينادى : « أيتها السيدة ! ... أيتها السيدة »

كانت في منزلنا حجرة صغيرة اعتاد (هانز) أن يقضى فيها شئونه الخاصة ؛ فلما مات أغلقت بابها الصغير ثم غطيته بستر يحجبه عن الأبصار ، وأبقيت الحجرة على ما كانت عليه ، فلم أتناول أى شئ فيها بتغيير أو تبديل كأنها مكان مقدس لا يُمس ، أو كأنها الموئل الذى تستريح فيه روح زوجى وتطمئن إليه ...

وما أدري ما الذى دفعنى إلى أن أنتهك هذا الحرم المقدس فى ذلك الموقف العصيب !

لقد قُدت الجندى الفرنسى إلى الحجرة فرفعت الستر عن بابها ، ثم فتحته ، وبعد أن أدخلته فيها أغلقت بابها ثم أعدت الستر إلى موضعه ...

واشتد الدق على الباب الخارجى عنفاً ، وما كدت أفتحه حتى دخل منه جندى ألمانى ضخيم الجسم كبير الجرم أحمر الوجه ، فدفعنى جانباً وأزاحنى عن طريقه ، ثم أخذ يجول فى أنحاء البيت كيفما شاء باحثاً عن الجندى الفرنسى . ففتش المطبخ ثم الحمام فلما لم يجد عريمه اندفع يرقى الدَّرَج إلى أعلى وتَلَبَّثْتُ فى موضعى حتى عاد إلى ، وحرصت على أن أكنم شعورى ، وأكبح عواطفى ، وأدفع عن نفسى رجفة كادت تهزنى . وحاولت أن أبعد عيني عن الستر حتى لا ألفت نظر الألمانى إليه

وما كاد الجندى يقف أمامى وجهاً لوجه حتى أدركت أنه مخمور لا يمس .

وقال لى بصوته الغليظ الخشن : « إننى ... إننى أظن أنى قد رأيت كلباً فرنسياً يجرى فى فناء دارك

وما أرتاب فى أنه قد تسلق الحائط ودخل منزلك من النافذة ... إلى ... إلى ... ! »

فأجبت بهدوء : « لقد بحثت بنفسك فلم تجد أحداً هنا »

وكان من العسير عليه أن يدرك ما يقول أو يفكر فيه فقال : « أنا ... أنا ... لقد أخطأت .. أنا ... أنا ... »

وانتشرت على شفتيه ابتسامة شيطانية ما رأيت أخبث منها ثم قال : « هل تعيشين هنا .. وحيدة ؟ » فأجبت : « نعم . إننى أعيش هنا وحيدة منذ أن قتل زوجى »

فاقترب منى شيطاناً فاجراً ، وعريداً داعراً ، ومخموراً خبيثاً وهو يتمتم : « وعلى ذلك فأنت تعيشين هنا وحيدة ؟ »

ولكن بالرغم من كل ذلك لم أتحرك من موضعى ولم أترشح عنه ، بل قلت له : « ألا تظن أنه من المستحسن أن تخرج الآن لتبحث عن الكلب الفرنسى فلعلك عثر عليه ؟ »

ولكنه أجابنى — بعد أن طوق خصرى بذراعه وضمنى إليه بمنف — : « لا .. لا .. لقد ذهب ... و ... وأنا لا أريد أن أبرح هذا المكان ... بل أريد أن أمكث هنا بأية طريقة ! » وأحسست بعد ذلك بشفتيه تنطبقان على عنقى . ثم قال : « ستكونين — ولا ريب — متساهلة لينة الجانب مى ... أليس كذلك ؟ »

وحاولت أن أدفعه بعيداً عنى ثم قلت له : « أرجوك ... »

ولكنه ضمنى إليه بقوة ، ثم تتابعت أنفاسه سراعاً وهو يقول : « لا تقاوى ... فلن تجدك

« نعم ... نعم ... إنك سيجينى ! »
 وخرج الرجلان من دارى وسار معا ؛ وعلى
 ثغر الفرنسى ابتسامة لاتفارقه ، وعلى وجه الألمانى
 خيرة وذ هول !

وما رأيت الجندي الفرنسى بعد ذلك اليوم
 أبداً . فبالت شعري هل مات فى الحرب أم هو
 ما يزال حياً إلى اليوم ؟ ولو أننى رجعت إلى
 (باريس) بعد الحرب لما تباطأت فى البحث عنه
 حتى ألقاه فأشكره على ما أسدى إلى من عارفة
 وما قدم إلى من جميل

ولكنى وأأسفاه لم أعد إلى فرنسا ، لأن
 حياتى فيها تزوير على نفسى ؛ ولم أبق فى ألمانيا ،
 لأننى فحمت فيها بموت زوجى الذى كنت أعيش
 من أجله على أرضها ؛ بل أتيت إلى إنجلترا لأبدأ
 حياة جديدة ، وما نسيت هذه الذكريات المؤلمة فى
 يوم من الأيام بالرغم من مرور هذه السنين الطوال
 محمود السيد شعبان

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالاسماء اللاتينية

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون

قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المقاومة شيئاً . لا بد مما أريد ... وتستطيعين أن
 تنسى كل شئ عند ما أتركك إن كنت لا تريد
 أن ... لا تقاومى ... !! »

وهمت أن أصرخ مستغيثة ولكنى تذكرت
 أن صراخى سيجلب دون ريب عدداً كبيراً من
 الجند ، وأن هؤلاء سيفتشون وسيبحثون من
 جديد عن الجندي الفرنسى . فقلت للجندي الألمانى :
 « أرجوك ... أرجوك أن تدع هذا لوقت
 آخر ... !! »

فقهقه الرجل ثم قال : « لوقت آخر ؟ وقت
 آخر ؟ ربما يكون ذلك عند ما أموت !! »

وما تلبث حتى حملنى على ذراعيه وأخذ يصعد
 بى الدَّرَجَ إلى أعلى . ولكنه لم يكذب يخطو خطوة
 واحدة حتى سمعنا صوتاً يقول على حين غرّة :
 « إننى آسف ياسيدتى على ما سببت لك من تعب ... »

وما سمع الألمانى هذا الصوت حتى أنزلنى من
 فوق يديه وأوقفنى على قدمى ، ثم أدار وجهه فيما
 حوله وإذا ... وإذا بالجندي الفرنسى واقفاً أمامه
 وجهاً لوجه ، منتصب القامة ، مرفوع الهامة ،
 بالرغم مما يقاسى من جراحه ، وما يعانى من آلامه !
 وإذا به يبسم لنا بالرغم من أنه يكاد يُغمى عليه من
 الألم ، ويُغشى عليه من الجهد والإعياء

— « إننى سجينك الذى تبحث عنه ،
 وأسيرك الذى ترجوه !! إننى حاجتك وطلبتك ...
 وما دام الأمر كذلك فهيا بنا إذن نذهب من
 هنا ونترك هذه السيدة الكريمة فى سلام
 وطمأنينة !! » هكذا قال الجندي الفرنسى للجندي
 الألمانى الذى أذهلته المفاجأة فوقف مرتبكاً لا يدري
 ماذا يفعل . وأخيراً قال هامساً فى نفس متقطع :

في الشك مقتل الحب ، وما تغتفر المرأة إهانة
لا يسمعها أن تجيب عليها
أما والله لقد ثقل هذا الحال على فإلى أى زمن
سيدوم ؟

فقلت وقد تجمدت نبراتها بروداً على شفيتها :
— لك أن تضع له حداً فإنه ليرهقنى بقدر
ما يرهقك

— سأضع له حداً فى هذه اللحظة فأنا هاجرك
إلى الأبد ، وللزمان أن يفعل فعله ليبرك
الزمان ! الزمان ! هذه كلمة الوداع ، أيتها
العاشقة الباردة ؟

تذكرى وداعك هذا عند ما يمر الزمان فتفتشين
عبثاً عن السعادة والحب والجمال . أين خيبتك لفقدى
أيتها العاشقة ؟

إن كل ما يمر فى ذهنك الآن هو أن الحب
الغيور سيدرك يوماً ما ارتكبت من ظلم عند ما ينطح
البرهان بصره فيعلم أى قلب أدمى ، وعندئذ تسح
دموعه خجلاً من نفسه فيفقد لذة العيش ويهجره
وسنّه وتصبح حياته مأتماً ينوح به على أيام كان له
أن يقضيها فرحاً سعيداً ، ولكن لا يخطر لك أن
معشوقة هذا التمس قد تقف مذعورة فى ذلك الحين
من نتائج انتقام الزمان لها فتصرخ قائلة :

— ليتنى فعلت ما كان يجب فعله قبل قوات
الأوان

صدقينى ! إن كبرياء هذه العاشقة لن يأتيا بأية
تعزية إذا كانت أحبت حقيقة

وكنت أود أن أتكلم هادئاً فأقلت زمامى من
يدى ، وبدأت بدورى أذرع العرفة طويلاً وعرضاً .
فتشتبك نظرات بريجت بنظراتي اشتباك السيف

من أعماق النفوس



اعترافاً فى العصر

للغريدى سوسيه

بقلم الأستاذ فليكر فارس

الجزء الخامس

الفصل الخامس

وترامت نحوى فهبت أصبح : — إنه لمجنون
من يحاول ولو مرة واحدة فى حياته أن يفوز
بالحقيقة من فم امرأة . إنه ليعود بغنيمة الاحتقار
وقد استحقها

إن من يتوصل إلى كشف حقيقة المرأة إنما
هو المتنصت إلى هذيانها فى نومها ، أو المستنطق
خادمتها بقوة الرشوة . وما يعرف حقيقة المرأة إلا
من استحال امرأة ليهتك بدنائها الأشباح الملقعة
بالظلام ؛ أما الرجل الذي يطلب هذه الحقيقة بكل
صراحة وإخلاص ، الرجل الذي يمد يداً تأنف
الدنيا مستجدياً هذه الحسنه الرائعة فإنه لن يظفر بها
طوال حياته . إن المرأة تحترس من أمثال هذا
الرجل فلا تجيب على سؤاله إلا بهز كتفها ؛ وإذا
ما خانه الجلد انتصبت فى وجهه كمذراء الهيكل غاضبة
لعفائها وصيانتها . وهل تدافع المرأة إذا شعرت
بالريبة تدور حولها بسوى آية النساء العظمى : إن

- إلى متى تستمر على هذا الضلال ؟ فقد أعجزتني بشكوكك وهي لا تشب حتى تنطفي ولا تنطفئ حتى تشب . أنت تطلب إلى أن أبرر نفسي ، ومن أية جناية يجب علي أن أبررها ؟ أمن هجر بلادي أم من غرامي أم من موتي أم من قطع رجائي ؟ إذا أنا تكلفت السرور حسبت سروري إهانة لك . لقد ضحيت كل شيء لأرحل معك ، وما أنت سائر معي مرحلة دون أن تلتفت إلى الوراء . فأنالا أتلقى غير الإهانة ولا أشهد غير الغضب أيان كنت ومهما فعلت

أى بنى الحبيب ! ليتك تعلم بأي صقيع قاتل أحس وأية أوجاع تقطع أحشائي عند ما أراك تقابل أصدق كلمة تصعد من قلبي إلى لساني بالريبة فلا تصغى إليها إلا هازئاً ساخراً . إنك لتحرم نفسك السعادة التي لا سعادة سواها على الأرض وهي الاستسلام في الحب . إنك لتقتل بما تفعل كل عاطفة رقيقة سامية في قلب من يحبك ، ولن يطول بك الأمر حتى يمتنع عليك أن تؤمن إلا بكل خشن كثيف ، فلا يبقى لك من الحب إلا ما تراه بعينك وما تلمسه بيدك .

أنت لم تزل فتياً يا أوكثاف ، وأمامك مراحل طويلة في الحياة فستتخذ لك خليلات غيرة لقد قلت حقاً ، ليست الكبرياء شيئاً معدوداً وما أتوقع منها تعزية وسلواناً ، ومع ذلك فإنني أطلب إلى الله أن يقدر عليك ذرف دمعة واحدة تتحدر يوماً كفارة عما أذرفه الآن من دموع ووقفت وهي تقول أيضاً :

- أوجب علي أن أعلن ، وعليك أن تعلم ، أنني منذ ستة أشهر لم أنطرح على وسادى ليلة دون أن أكرر قولي لنفسى : إنك لن تشفى من دائك ولا

بالسيف ، وكنت أراها أمامى كأنها باب منيع سُجنت وراءه فأقتش عن وسيلة أبذل في سبيل امتلاكها حياتي لأحطم أقفال فيها وأغتصب سبرها وقالت : ماذا تقصد وما الذى تريد أن أقوله لك ؟ - أريد أن تبوحى لى بما تضررين . أفليس من المساواة أن تكرهينى على تكرار هذا القول ؟ - وأنت .. وأنت .. أين قساوتى من قساوتك ؟ تقول إن من يطمح إلى معرفة الحقيقة مجنون ، أفلا يحق لى أن أرد على هذا بقولى إنها لمجنونة المرأة التي يخيل لها أن ما ستعلنه من حقيقة سيصدق إن السر الذى تريد معرفته هو أننى أحبك . ذلك هو سرى . فيالى من عاشقة أضاعت رشدها . إنك تفتش عما يكمن وراء شحوبى ، وشحوبى أنت ألقيت به على ثم عدت تهمة وتستنطقه . يالى من مجنونة ! لقد أردت الانكماش على آلامى لأقف عليك صبرى واحتمالى . أردت ستر دموعى عنك فإذا أنت تتجسس عليها وتحسبها دلائل جرم خفى . يالى من مجنونة ! لقد أردت قطع البحار وهجر وطنى لأتبعك وأموت بعيدة عن كل من أحبنى منطرحاً على قلب يرتاب فى إخلاصى . يالى من مجنونة ! لقد كنت أحسب أن للحقيقة من النظرات والنبرات ما ينم عنها ويدعو إلى احترامها

أواه إن عبراتي تخنق أنفاسى عندما أفكر فى حالى . لماذا اقتدتنى إلى هذا السبيل أخضع عليه حياتي إذا كنت ستقف بى هذا الموقف الحائر لا أهتدى فيه إلى نفسى ؟

وانحبت على والدمع يتساقط من أجفانها وهي تصرخ : يالى من مجنونة !

- وعادت إلى حديثها :

مالنا لا نعلم ما نفعل وإلى أين تتجه ؟
 تعال نستقر على رأى فقد عشنا دائماً سوية فقل
 لى ما الذى يدعوك إلى هجرى ؟ إننى لا أطيق أن
 أكون ملتصقة بك وبعبدة عنك فى وقت واحد
 قلت إن من حق الرجل أن يتمكن من الوثوق
 من خليلته وأنت مصيب ، ولكن إذا كان فى الحب
 خير للرجل فعليه أن يؤمن به ، وإذا أصابه منه
 ضرر فمن واجبه أن يعتبره داء يعمل على شفاء نفسه منه
 أفأ ترى أن ما نفعله الآن إنما هو مجازفة فى
 ميسر ؟ وما نجازف إلا بقلبنا وحياتنا ، إن ذلك
 لأمر فظيع

من أنا لتصب على شكوكك ؟
 وتوقفت أمام المرأة ، وهى تكرر قولها :
 من أنا ؟ أنظر إلى ما أصبح وجهى عليه
 وأردت توجه الخطاب إلى خيالها :
 — أإليك يوجه الارتياح أيتها المرأة العسة ؟
 أحولك تدور الشكوك أيها الوجه الشاحب ؟ أيتها
 الوجنتان اللتا بلتان ترويهما محرقات الدموع ، أكمل
 مراحل عذابك يا هذه ، وليأت الفم الذى جفف
 رواء جمالك بقبلاته لينطبق الآن على عينيك فيغمضهما
 انزل إلى الحفرة الرطبة الباردة أيها الجسد الناحل
 وقد تراخت قوائمك عن حملك ، لعلمهم يصدقونك
 وأنت ممدد فى اللحد إذا كانت الشكوك تؤمن بالموت
 ويحك أيها الشبح الحزين إلى أى شاطئ من
 شواطئ العذاب تتراعى معولاً باكياً ؛ أية نار تشب
 بين عظامك فتقف واضعاً خططاً لرحيل وأسفار
 وإحدى رجليك ناشبة فى ثلثة القبر
 مت أيها الشبح وليشهد الله أنك ما أردت
 إلا أن تجود بحبك . أية قوة من الوجد آثاروا فى

حيلة لى فيك . أيجب أن تعلم أننى مانهضت يوماً فى
 صباحى دون أن أصمم على محاولة شفائك . وأنتك
 ما قلت لى كلمة دون أن أشعر منها أن لا بد من
 هجرك ؛ وأنتك ما ضممتنى مرة إلا وأعلن لى قلبى
 أنه يفضل الموت على الانسلاخ عنك ، وأننى فى
 كل يوم بل فى كل دقيقة حاولت وأنا كالأكرة
 بين أمل وخوف أن أتغلب بحبى على أوجاعى أو أتغلب
 على حبى بهذه الأوجاع ؛ وأننى ما فتحت لك قلبى
 مرة دون أن تنفذ منه بنظراتك الساخرة إلى أعماق
 أحشائى ، فإذا أنا أوصدته دونك شعرت أنه ينطوى
 على كنز رسده القضاء عليك ولن يناله سواك ؟ أعلى
 أن أحدثك عن ضعفى وعن هذه الأسرار التى تتجلى
 نافهة لعين من لا يجد لها حرمة فى نفسه ؟ أقول
 لك إنك فى كل مرة ذهبت من بين يدي غاضباً
 كنت أوصد بابى لأنفرد برسائلك الأولى أطالعها
 بدموعى ، وإن بين ما أعرفه قطعة تعرفها أنت
 مازلت أستقطر من نغماتها الصبر فى غيابك حتى تعود ؟
 يا لشقائى ! إننى أعلم الآن ما ستكلفنى هذه
 الدموع التى ذرفتها فى الخفاء وهذا الجنون الذى يتدفق
 ضعفاً وحناناً . إننى لا أبكى لأن كل ما تحملت من
 عذاب لم يجد شيئاً

وأردت مقاطعتها فصاحت : دعنى ، دعنى أقول
 لك ما لا بد من إعلانه : لماذا ترتاب بى وأنا لك
 بكلى منذ ستة أشهر وعليك وقفت فكرى وروحي
 وجسدى ؟ فما تكون يا ترى هذه الخيانة التى تجسر
 على اتهامى بها ؟

إذا كنت قررت السفر إلى سويسرا فما أنا ذى
 مستعدة للرحيل معك ، وإذا كنت تظن أن لك
 مناحجاً على فاستكتبنى الرسالة التى تريد وسلمها
 للزريد بيدك

فؤادك وإلى أى حلم قذفوا بخيالك ليجرعوك أخيراً
هذا الزعاف القائل :

أية جناية ارتكبت حتى تهب هذه الحمى المحرقة
فيك؟ وأية ثورة تجتاح روح هذا العريد الذى
يدفعك برجله إلى الحفرة ومن شفثيه تتدفق كلمات
الغرام؟

إذا أنت بقيت فى الحياة أيتها المرأة فإلى أين
مصيرك؟ ألم يحسن حينك؟ أما كفالك الدهر
عذاباً؟

أى برهان يُطلب منك لتصديقك إذا كنت
أنت البرهان الحى تُكذِّبين فى شهادتك على
نفسك . أبقي عذاب لم تقتحميه؟ فأية تضحية تعدين
لإطفاء أوار هذا الحب الذى لا يرتوى؟

إنك ستصبحين أضحوكة تفتش عبثاً عن طريق
مهجور تفزع إليه كيلا يشير الناس بأصابعهم
مقهقهين ...

ستفقدين الحياء فتشعرين حتى عن مظهر هذه
الفضيلة المتحطمة ولطالما عزت عليك من قبل .
وسيكون الرجل الذى تلتحفين بالمار من أجله أول
من يمد يده للاقتصاص منك ، فيزجرك لأنك
وقفت الحياة عليه وتحديت المجتمع فى سبيله ، وعندما
يتهاشم أصدقاؤك حولك يتفرس فى ملاحظهم
ليرى ما إذا كانت الشفقة قد تجاوزت حدودها
فى نظراتهم . انه ليتهمك بالحياة إذا امتدت يد
لتصافح يدك عند ما تعثرين فى صحراء حياتك على
أحد يمكنه أن يمر بك فيشفق عليك

يا لله ! أتذكرين اليوم الذى وضع الناس فيه
على رأسك إكليلاً من الورد البيضاء؟ هذا هو
الجبين نفسه الذى ترين بياض تلك الورد؟ فباليت
هذه اليد التى علقت الإكليل على جدار المعبد قد

تناثرت رماداً قبل سقوط وريقاته الداوية
أى وادى الجميل ! أى عمى المحنية تحت وقر
السنين الراقدة الآن بسلام فى لحدها ! أى أشجار
الزيفون أشجارى ! أى جدي الأبيض الصغير ! أى
ابن مزرعتى ، لقد أحببتمونى جميعاً فهلا ذكركم
الزمان الذى رأيتمونى فيه سعيدة فخورة محترمة؟
أية قوة ألفت بهذا الغريب ليضلنى سواء
السبيل؟ من أجاز له أن يمر على طريق قريتي؟
ويل لك أيتها المرأة ، لماذا تلفت وراءك لأول مرة
اقتنى أثرى؟ لماذا رجبت به كأخ؟ لماذا فتحت له
بابك ومددت له يدك؟

أى أوكتاف ! لماذا أحببتنى إذا كان هذا هو
مصيرك ومصيرى؟

وتداعى إلى الحضيض فهرعت إليها أسندها
بذراعى وحملتها إلى مقعد ارتمت عليه ملقية رأسها
على كتفى وقد حطمها مابذلت من جهد وهى تتدفق
ببيانها الرائع المرير

وتوارت عن عيانى الخليفة الهامة فاذا بي
لا أرى مكانها غير طفلة تن من آلامها ...
وأطبقت جفنيها فطوقها بذراعى وقد سكنت
بينهما لائتى

ولما تاب إليها رشدها شكت الضعف ورجتني
بصوت ضعيف حنون أن أتركها لتذهب إلى
مرقدتها وتهادت فى مشيتها فرفعتها على ذراعى
وألقيتها على مهل فوق الفراش وما بقى على وجهها
شئ ينم عن الألم بل رأيته تتجرد من آلامها
وتنساها كمن يرتاح من جهد جسدى أضناه . ذلك
لأن طبيعتها الضعيفة الرقيقة أرهاقها العراك
فاستسلمت بعد أن ذهبت بها إلى أبعد ما يمكن
قواها وبقيت رابطة أناملها على يدي وأنا مكب

الموت لجأت إليه طبيعتها لتجاوز الألم حدوده فيها
إلا برهاناً على صدق يأسي من عودتها إلى ، فإن
سكوتها فجأة بعد هذا التدفق في بيانها وهذه العذوبة
التي تجلت على ملاحظها عند ثواب رشدها ورجوعها
إلى الحياة حزينة مروعة ، وحتى هذه القبلية التي
رنت كصدي لقلبي ، كل هذا كان يؤذن بأن الدهر
قد سكن بيننا وأن حبل وصلنا قد انبت إلى الأبد
بين يدي

وكنت أفرس فيها وهي ممددة في وسن العباء
المرهق فأتيقن بأنني إذا عدت إلى ما سبب هذه
الغيبوبة بعد أن تفيق منها سأدفع بها إلى الرقعة التي
لا انتباهة بعدها ، وسمعت الساعة تدق في سكون
الليل فشعرت بأن الساعة المنقضية تتوارى طاوية
معه حياتي

وما أردت أن أستنجد بأحد فأوقدت الصباح
الصغير وشخصت إلى إشعاعه الضئيل يذهب بدءاً
في الظلمة كذهاب خطرات أفكارى النائية الحائرة
وما كنت فكرت حتى اليوم في إمكان فقد
بريجيت بالرغم من أنني سمعت مائة مرة على هجرها ، ويعلم
كل من ابتلى بالعشق قيمة مثل هذا العزم في ساعات
اليأس أو في دقائق الغضب ، وما ينقطع الحب عن
الوله بمعشوقته مادام واثقاً من حبها له . وهكذا كنت
أنا ، ولكنني لأول مرة شعرت بأن قضاء لا يرد
ينتصب مفرقاً بينها وبينى ، فانهدت قواي وأحنيت
الرأس قرب سريرها وقد أدركت مدى شقوتي ،
ولكن شعورى المتخدر لم يكن يقيس مدى آلامها
فإن روحى كانت تتراجع مرتاعة أمام ما يقتحمه
تفكيرى

وقلت في نفسي : هذا ما أردته أنا لك فقد انقطع
كل رجاء في بقائك مع من تحب . أنا لا أريد قتل

على وجهها أقبه وإذا بشفاها ولما نزل ثملة بغرامها
تتلاقى فيلتصق فمها بفمى دون أن نشعر وما عثم
حتى استغرقت في الوسن بعد هذه المصادمة العنيفة
وهي تتوسد صدرى مفترة الثغر كأننا في الليلة
الأولى من ليالينا

الفصل السادس

وكانت بريجيت نائمة وأنا جالس أمام سريرها
صامتاً جامداً كفلاح اجتاحت العاصفة حقله فخطمت
سنابله

وذهبت أسبر أعماق نفسى متلمساً ما جنت ،
وما كدت أستعرض بعض أعمالي حتى رأيتني تجاه
مات لا سبيل لتلافي نتائجها

إن من الآلام ما تستنفد طاقة الحس فتشعرك
بشدتها أنها بلغت جدها ، ويمثل هذه الآلام كنت
أتوغل في خجلي وتبكيك ضميرى فأرى أن لا بد
لي من توديع بريجيت بعد هذا العراك العنيف ، وبعد
أن كرعت حتى الثمالة كأس غرامها الحزين ، وقد
توجب على أن أطلق سراحها من هذه الأوصاب إذا
كنت لا أتعهد قتلها

وما كانت هذه المرة الأولى التي تلجأ فيها
بريجيت إلى تأنيبي ، ولكم وجهت إلى جرح الكلام
في ثورة غضبها ، ولكن ما قالت في عرا كنا الأخير
لم يكن صادراً عن كبرياء جريئة بل كان بياناً عن
حقائق تمخض بها القلب طويلاً فما انبثقت منه حتى
مزقته تمزيقاً ، وقد رأيت كل ما يحوط بنا من أحوال
وما أبديته من رفض الرحيل معها يمنع تسرب أى
أمل إلى

فتيقنت أن بريجيت لن تقوى على إنالتي عفوها
حتى ولو غالبت نفسها واستغفرتها إليه ، وما كان
هذا الوسن العميق الذى سادها كأنه نوع من

هذه المرأة فلا مناص لي إذن من هجرها ، وذلك ما صممت عليه وسأحققه غداً

وذهبت في تفكيري على هذا النمط دون أن أحاكم نفسي على ما جئت ودون أن ألتفت إلى ما ورأى وإلى ما أمامي ، فنسيت سميت وما وقع من حوادث . وما كنت لأتميز السبب الذي قادني إلى هذا الموقف وانحصر كل همي في التفكير لأعلم بأية عربية سأغادر المدينة في الصباح

ومر على زمن طويل وأنا على هذا السكون الغريب ، فكنت كرجل أصيب بطعنة خنجر فلا يحس أولاً بغير صقيع النصل حتى إذا سار بضع خطوات في طريقه يقف مندهشاً وقد زاغت عيناه فيتساءل عما ألم به ، وينفتح جرحه دافقاً على مهل أوائل قطرات دمه ، فلا يلبث أن يرى الأرض تخضب بالأحمر القاني وملاك الموت يقبض عليه فيهرزه الروح فجأة ويسقط مصعوقاً على الحضيض وكنت كمثل هذا الجريح ساكناً والداهية الدهماء تحدجني بأنظارها وتتقدم إلى

وبدأت أردد بصوت خافت الخطاب الذي وجهته بريجيت إلى وأنا أدور في الغرفة معداً ما كانت الوصيفة تعده لها فكنت أنفوس في وجهها ثم أذهب لألصق جبيني على زجاج النافذة ناظراً إلى وجه السماء المتجهم بالغيوم

وانحصر تفكيري في كلمة واحدة « الرحيل غداً » وما طال بي الأمر حتى امتنع على أن أفهم معنى هذه الكلمة ، وانتفضت فجأة وأنا أهتف قائلاً : يا لله ! أي خيلتي التعسة إنني أفقدك لأنني ما عرفت أن أحبك

وارتعشت أعضائي كأن شخصاً مجهولاً يصيح بهذه الكلمات في أذني فذهبت في كل جارحة مني

ذهاب الريح على قيثارة تهز أوتارها المشدودة لتقطعها وأحسبت بالأم سنتين تخرق فؤادي في لحظة وعلى أثرها تقبض عليه أوصاب الحاضر وليدة ذلك الماضي المشئوم ، وما أجد في البيان ما أصف به مثل هذه الأوجاع ، ولعل وصفها بكل جلاء لا يحتاج إلا لكلمة واحدة ، ولكن هذه الكلمة لا يفهمها إلا من ابتلاه الحب بأدوائه

وكانت بريجيت مستغرقة في نومها وأنا مطبق أنامل على يدها فإذا هي تتلفظ باسمي في بحرائها نهضت أتمشى في الغرفة والدموع تنهمر من عيني فددت ذراعي كأنني أحاول القبض على الزمان الماضي وقد أفلت مني وأني له أن يعود ؟ وصرخت : أممكن هذا ؟ أحق أنني أفقدك وقد امتنع على أن أحب سواك ؟ أحق أنك مولية إلى الأبد ؟ أنت حياتي ، خيلتي أتهربين مني فلن أراك بعد ؟

وانتهجت إلى بريجيت أخاطبها كأنها تسمعي فأقول لها : لا .. إنني لن أرضى بهذا القضاء ، أي معنى لهذه الكبرياء ؟ أفليس من وسيلة أبذلها للتكفير عن إهانتني لك ؟ ساعديني على وجود هذه الوسيلة ، أفما غفرت لي ألف مرة من قبل ؟ إنك تحبيني وسوف تخونك قواك إذا أنت أقدمت على جناية هجري ، لأنك لا تعلمين ولا أعلم أنا ما سنفعل وما سيحل بنا إذا اقترقنا

واستولى على الجنون المطبق المخوف فبدأت أذهب وأجىء رافعاً صوتي بما أقول دون هدى مفتشاً هنا وهناك عن آلة جارحة قاتلة حتى ارتيمت جائياً أمام السرير أضرب بحافته جبيني ، وتحركت بريجيت فتوقفت مذعوراً

وقلت في نفسي : إذا هي أفاقت من نومها الآن فما أنت فاعل أيها المجنون ؟ دعها في نومها إلى

الصباح فما لك إلا هذه الليلة لتراها

وعدت إلى مقعدى وقد كتم الخوف أنفاسى
وخيل لي أن دى قد تجمد في عروقى مع انجماد
دموعى فلبثت دون حراك يهزنى البرد هزاً فأقول
لنفسى لأحتفظ بسكونى : أنظر إليها ! تفرس بها
فلن يتسنى لك أن تراها بعد الآن .

وملكت أعصابى أخيراً فتناثرت دموع الأسى
بطيئة على جدى . وتولت سورة الغضب فإذا مكانها
سكينة الاشفاق فأسمعنى وهى صرخة إغوال وأنين
تشق الفضاء ، فأحنيت على السرير أهدق في برجيبت
كأن ملاكي الصالح يهيب بي لأول مرة إلى استطباع
ملاعنها العريزة على صفحات فؤادى

ها هى ذى أمانى فى لشدة شحوبها وقد أخاطت
بأهدابها الطويلة هالة زرقاء ولما يزل رشاش الدمع
عالقاً بأطرافها وهذه قامتها المشوقة منطرحة على
الفراش وقد تقوَّست كأنها حتى في رقادها تنوء
تحت وقر ثقيل ، وهذا خدها الأسيل تمدد صفرة
دكناء وقد لاقته على الوسادة ككفها الصغيرة
ومعصمها النحيل ، وهذا جبينها وقد ارتسمت عليه
آثار إكليل الأشواق تاج المتألمين الصابرين

وإذا بي وأنا مستغرق في تأملى أرى أمانى ذلك
الكوخ حيث التقيت بها منذ ستة أشهر صبية مرحة
تتمتع بالحرية ولا تبالي بشئ

ويلى ! ما الذي فعلته بذاك الصبا وتلك الخلال ؟
وعادت الأغنية القديمة المنسية تتردد على مسمنى :

كنت في روض دلالي زهرة فيها ضرام
أحرق العشق جمالى هكذا يقضى الغرام
بهذا كانت تتغنى خليلتى الأولى ، وما كنت
من قبل لأدرك معنى هذا الشعر الساذج كما أدركه
الآن ، فبدأت أترنم به كمن يحفظ ألفاظاً تنجلي له

معانيها فجأة . إنها أمانى الآن هذه الزهرة المضطربة
تساقط رماداً وقد أحرقتها غرامها

وأجهشت بالبكاء قائلاً لنفسى : أنظر إليها يا هذا
وفكر فى شكوى من لهم أجسام الخليلات وليس لهم
غرامهن . إن خليلتك موهبة بك وقد استسلمت
لك وها أنت ذا تفقدها لأنك ما عرفت كيف تهواها
وتجاوزت أوجاعى حدود احتمالى فهضت لأرجع
إلى ذرع الغرفة بخطواتى قائلاً :

— أجل ، أنظر إليها يا هذا وتذكر من يقضى
عليهم الملل فيذهبون في الأرض مسرحين أوجاعاً
لا يشاظرهم إلاها أحد . أما أنت فقد كان لك من
يقاسمك آلامك فما انقردت بشئ مما احتملت .

تذكر من يسرون في الحياة ولا أم لهم ولا قريب
ولا صديق حتى ولا كلب لهم يؤنسهم ، تذكر من
يفتشون ولا يجدون ومن يكون فيسخر بهم الناس
ومن يحبون فيُكروهون ومن يموتون فلا يذكرون أحد
أما أنت فأمامك على هذا السرير مخلوقة قد

تكون الطبيعة أعدتها لاستكمالك ، فهيأت روحها
في دوائر الفكر الخفية اختاراً لروحك ، وجسدها
في أعماق أسرار المادة أخاً لجسدك ؛ وقد مضت
عليك ستة أشهر لم ينطق فمك بكلمة ولم يحقق قلبك
بنبضة دون أن تجاوبك كلمة من ثغرها ونبضة من
فؤادها . غير أن هذه المرأة التى أنزلها الله عليك

كأنزاله الندى على الأزهار لم تستقر حتى انزلت
عن تويج قلبك الهاوى . لقد جاءتك هذه المخلوقة
فأتحه لك ذراعها لتهبك حياتها أمام وجه السماء
فإذا هى تتبدد كأنها طيف لن يبقى بعد زواله حتى
خيال خياله !

لقد التصقت شفاهاً وطوقت ذراعاك عنقها
وضمتك ملائكة الحب الخالد فأصبحتما كائناً واحداً

أمامي فكذباً عيني فيما أرى ومددت يدي مثلاً
جسدها لا تحقق أنني لست في حلم وأن هذا الجسد
ليس خيالاً

ولمحت وجهي في المرأة فإذا به يحدق في مستغرباً
كأنه يستنكر هذا الإنسان الذي تتجلى ملائحته
في ملائحته

من هو هذا الغاني الذي يحدق في في ويتخذ
يدي آلة للتعذيب؟

أهذا الرجل هو من كانت تدعوه أمي باسم
أوكتاف؟ أهذا هو من كان يتراءى لي بين مروج
الغاب عند ما كنت أنحني وأنا في الخامسة عشرة
من ربيع حياتي فوق جداوله وهي تنساب كاللجين
صافية كصفاء فؤادي؟

وأطبقت جفوني عائداً إلى أيام طفولتي فإذا
التذكار يخترق قلبي بألف شعاع كأن الشمس تمزق
خيوطها حالكات الغيوم

وصحت: لا. إن من ارتكب هذا الإثم ليس
أنا وليس كل ما يتراءى لي في هذه الغرفة سوى
أضغاث أحلام

وعدت أستعرض تفتّح قلبي للحياة فيلوح لي
على صفحات تذكري متسول هرم كان يجلس أمام
باب المزرعة وكنت أحمل إليه بعد الغداء فضلات
مائدتنا، فأراه كأنه الآن أمامي مقوس الظهر ماداً
يديه الناحلتين ليباركني وهو يتسم

وشعرت بغثة بهبوب نسبات الفجر على صدغي
وبتساقط قطرات كأنها أنداء الصباح على روحي

فتحت عيني فإذا الحقيقة تنطح بصرى وقد
أنارها اشعاع المصباح الضئيل

وعدت أخاطب نفسي قائلاً:
أعتقد أنك بريء من الإثم يا هذا؟ أتحسب

برابطة الدم وجامع الشهوة، ولكنكما حتى في
ساعات هذا العناق الموحد كنتما منفصلين يبتعد
أحدهما عن الآخر ابتعاد منفيين بينهما ما بين مشرق
الشمس ومغربها.

أنظر إليها يا هذا ولكن احترس من إبداء أية
حركة، لم يبق لك إلا هذه الليلة لتراها فاحرق
إعوالك كيلا تنهبها من رقادها

وساورتني أفكار مظلمة بدأت تحتل دماغي على
مهل فشعرت بقوة خيفة تدفعني إلى سبر الأعماق
في نفسي

أفيكون قضاء العناية في أن أرتكب الشر في
حين أن ضميري يشعرني حتى في غمرات جنوني
أنني صالح ومحب للخير؟

أأرتكب الشر كأن ورائي قوة لاتني تدفعني
إلى الأغوار في حين أشعر بقوة أخرى تحذرنني
من الانزلاق على مهاويها؟

لماذا أرتكب الشر وفي صوت يهتف مستنكراً
مآتي؟ حتى ولو تلطخت يداي بدماء الجريمة أسمع
صرخة من أعماق فؤادي تعلن لي أنني لست مجرمًا
وأن الفاعل ليس ذاتي بل هو شخص آخر كامن
في ولم ينبثق مني، هو الروح الشرير المنفذ لما
قضى علي

لقد مرت بي ستة أشهر وأنا أذهب على سبيل
الأذية فما اجتزت يوماً دون أن أعمل على الإضرار
كافراً بنفسى ونصب عيني نتائج فعلتي

فهل الرجل الذي أحب بريجت ليحقرها
ويقسو عليها فهجرها تارة ليعود إليها تارة أخرى
مثلاً روحها ارتباعاً دائراً حولها بالشكوك ليطرحها
أخيراً على فراش الضنى، كان رجلاً آخر سوى؟
وضربت بكفي على موضع قلبي ناظراً إليها ممددة

وتذهب مورداً الأحاديث عن أيام صباك فتقنع
نفسك بأن على الله أن يغفر لك وانك مكره غير
مختار في شقائك ، ثم تتحول إلى الأرق في لياليك
فتناجيه بمثل ماتناجي به نفسك كيلا يسلبك
راحتك حتى الصباح

ولكن من يدري ! إنك لاتزال في مستقبل
العمر ولسوف تستسلم لقلبك فتغلك كبرياؤك .
ها أنت ذا الآن أمام أول طلل من آثار الدمار التي
ستبقها حيث تمر . وإذا ما ماتت بريجت غداً
فإنك ترسل دموعك على نعشها لتذهب بعد ذلك
سائحاً في الأرض ، ولعلك تتوجه إلى إيطاليا فتلتف
بردائك كأنك ليزي أصيب بداء الملل واليأس من
الحياة إلى أن تصبح يوماً في أحد الفنادق وأنت
تحتسى كأساً بعد كأس فتقول لقد سكت صوت
ضميري وحان زمن السلوان فلا رجوع إلى الحياة
إنك تأخرت كثيراً حتى ذرفت الدمع يا هذا
فكن على حذر ! سيأتيك يوم تنقطع عن البكاء فيه
من يدري ! لقد يدور بك من الناس من
يهزأون بالأوجاع التي تتوهم الشعور بها ؟ وتمر بك
امرأة قيل لها إنك تبكي خلية خطفها الموت فترسل
إليك بسمة الإشفاق فتستنبت فجيعة ما يغذى
غمرورك

أما يكون بوسعك في ليلة من الليالي عندما يصبح
ما ترتعش له الآن ومالا تجسر على التحديق فيه
صفحة مطوية في ماضي الزمان أن تتراخي على مقعدك
أمام مائدة أنس وطرب لتقص على رفاقك فحشاءك
والابتسام على شفقتك ما رآته عيناك وهما دامتان
هكذا يكرع الناس كؤوس العار وذلك هو
سبيل الحياة . لقد كنت حالماً بالأمس فغدوت
ضعيفاً وهذا الضعف سيقودك إلى الشر غداً .
(تمة الكتاب في العدد القادم) فليكس فارس

نفسك بريئاً لأنك تبكي ؟ أيها المتلمذ للحياة منذ
أمس وقد أفسدته الحياة ، إن ما تراه في تقديرك
شهادة من ضميرك لك قد لا يكون إلا ندماً وتبكيئاً
وأى قاتل لا يملكه ضميره ؟

أفأنت واثق من أن صراخ الألم المتعالى من
صميم فضيلتك ليس آخر حشرة تدفع بها في
احتقارها ؟

أيها الشقي ، لا تحسبن هذا الصخب المتعالى من
أعماق فؤادك أنيناً وإعوالاً ، فقد لا يكون ما تسمعه
إلا صرخة الطيور الجوارح تنبئها العواصف بتحطم
سفينة بين ثورات الأمواج

من أخبرك بما كانت عليه طفولة من يموتون
مخضبين بالدماء ؟ أما كان لهؤلاء أيضاً أيام بر وصلاح ؟
إنهم يمرون مثلك أيديهم على جباههم ليتذكروها
لقد ارتكبت الشر وما تندم على ما فعلت أما
أحرقت الندامة قلب نيرون بعد أن قتل أمه ؟

من قال لك يا ترى إن الدموع تغسل الآثام ؟
وهب أن الدموع تطهر وأن قسماً من روحك لن
يستسلم للشر أبداً ، فما حيلتك بالقسم الآخر الذي
استغرق فيه ؟ إنك ستلتصم بيسراك الجراح التي
فتحتها يمينك وستنسج من فضيلتك كفناً تدرج فيه
جرائمك . إنك لتفعل ما فعله بريوس عندما أرسل
طعنته النجلاء وعاد ينقش على نصله ما تشدق به
أفلاطون

وإذا ما فتح أحدك ذراعيه فانك لترسل إلى
أعماق قلبه مثل هذا النصل وقد نُقشت آيات النوم
عليه ، وهكذا ستقود إلى المدافن بقايا عواطفك وتنثر
فوقها أزهار إشفائك المقيم هاتفاً بمن يشهدون
ما تفعل : « ما حيلتي ؟ لقد علمني الناس القتل فلا
يمزب عنكم أنني أذرف الدمع لما قضى عليّ لأن
الله قد خلقني أفضل مني الآن »

حق العالم باسبر الحديد والنيك



الدواء المحمدي والحقائق يكون أيضاً محمدياً، ولكن الدواء الذي يستعمل في الأحوال
مستعجلة وله فائدة عظيمة وفيه شفاء للناس ينال شهرة عالمية واسعة وينتشر في اصقاع الأرض، وأراض
عظيمة كان على صحة هذه الحقيقة، فقد ذاعت شهرته في أنحاء العالم لأنه اعظم دواء منزه للملح
واصبح يباع بمقادير هائلة بفضل اقبال الذين استعملوه وتأكدوا من نفعه فقد صوره لغيرهم - ولقد كان لهالمحبت
عنه دواء واحد يحمل محل أدوية كثيرة، دواء يوقف الألم بسرعة مفعوله ويحلب النوم اللذيذ للمريض بالآلام ويزيل التعب
الناسي منه حاله الطفق ويخفي الألم الحوض عند النساء والألم الصداع والنبير الجيا وغيرهما من الأمراض في دقائق
والسبب في ان له هذا الاستعمال لقرع ففوض الحرارة بعد لضمه في الجسم وينبذ الامور الجولية ويظهر باطن الجسم ويضاد عنه ذلك فانه لا
لا يضر القلب ولا المعدة والدليل انه يوردي كل هذه المنافع بحيث لكل انسان الحق في شرائه، فعليك ان تشتم ان الصنف ذلك الجيوش
العظيم من الذين استفادوا من هذا الدواء العجيب.

لا تستعمل الأدوية الخطيرة بل خذ اسبر

اقرأ هذه الشهادات المقتنعة ففبها الكفاية

اسبر يباع في كل مكان اسبر
الوكلاء مع. ب. شريان وشركاه
٢٣١ شارع الرابع بمصر
٩ شارع طوسون بالسكة
٢٧ قرصاً ٥ قرصين
١٠ اقراص ٢٧ قرصين
٢٧ قرصاً ٥ قرصين

بي بطش شديد؟؟» فتقول مينرفا: «الذي يحفظك منهم غداً يحفظك من غيرهم بعد غد، ولو جمعوا لك جحفاً أضماً... فلا عليك أيها العزيز.. خل عتك الوسوس إذنت... ونم ملء جفنيك... وأترك للسما قيادك فهي حسبك...» قالت هذا وزفت في الأثير اللانهاي إلى أولب، تاركة وراءها القصر العتيد بمن فيه من نؤام وغير نؤام... مسكينة بنلوب! لقد كانت هي الأخرى شاردة اللب، موزعة القلب، مارتقاً لها عبرة، ولا تغفى لها عين، ولا يقر لها قرار... لقد لبثت ليها كله تشوّف إلى أودسيوس وتبكي عليه، وتستذكر أيامه، وترثي لهذا الفتى اليافع تلياًك؛ ثم تدعو الموت كي يخذ أنفاسها، ويفر عليها أحزانها... ولكن المنايا نوافر لا تستجيب لدعاء أحد... وهب أودسيوس عند مطلع الفجر فانطلق إلى المذبح الكبير حيث جثا متضرعاً لهفان، يسبح باسم زيوس العلي ويصلي له، ويهتف به أن يجعل له علامة يطمئن قلبه بها أن كبير الآلهة ما يزال يحميه ويكلّؤه، كما كلاًه في شدائده في كلا البر والبحر... وكان أودسيوس يزكي صلاته بأطهر الدموع وأحرها، وكان سيد الأولب يصنى لدعائه من علياء السماء، فما إن فرغ الملك المحزون حتى أرسل زيوس في الأرجاء زلزلة عظيمة مدوية رجعت أصداءها جنبات القصر الساكن، وأحياد الجبال الشاخنة... وكانت خادم بائسة تسهر طوال ليها عاملة في طاحونها ناصبة، فلما وقرت في سمعها الزلزلة ذعرت وروعت، وأزاحت طرف الستر لتتظر إلى السماء فلم تجد فيها سحابة واحدة، بل وجدت مشرقة بتباشير الصباح مضيئة بنور ربها... فجعلت تجأ إلى الله وتقول:



الأولوب

لهيرودس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

نذير من السماء...

طفق أودسيوس يتقلب في فراشه على أحر من الجمر، وطفق رأسه يغلي كالقدر، بل يفور كالتنور بطائفة نائرة صاحبة من الأفكار والوسوس، وهو لا يدري ماذا يصنع بهذه العصبية أولى القوة من أولئك المشاق المفاليك، وهو وحده، ومهما يكن شجاعاً صنديداً فقد يتكأر الباب على الأسد فيقتله.. وهبطت من السماء مينرفا اللطيفة في صورة حسناء هيفاء ممشوقة القد، بارعة القسمات، فجعلت تواسيه وتطمئنه، وتبشره بأن الأولوب كله من وراءه فلا يخاف ولا يأسى...

— «هذا حسن أن يكون الأولوب، وتكونين ياربة الحكمة من ورأى حتى أنتصر على أولئك الجبارين... فكيف لا أخشى أن يهب من وراءهم قبائلهم وذرايرهم واللائدون بهم يثأرون لهم فيحل

« زلزال وليس في الأفق سحب !! أما والله إنه نذير،
أما والله إنها لغضبة السماء على هؤلاء المناكيد ...
القساة ... الذين يقسرونني على هذا العناء وذاك
النصب طوال الليل كأنني من حديد ... يا جوف
العلي ... إن يكن ما سمعت حقاً فاني أسألك بحق
أسمائك أن يكون هذا الدقيق آخر ما ياكلون من
زاد هذه الدنيا !! »

وتبسم أودسيوس من قولها ، وتوسم فيه وفي
تلبية السماء خيراً له ، وشاع في أعطافه شعور قدسي
بما دنت ساعة الانتقام ... وكانت الوصيفات الأخريات
يوقدن نار الدفأ في الردهة الكبرى ، بينما برز
تليماخوس من مخدعه مخترطاً سيفه ، ورمحه ينجر
من خلفه ، حتى إذا بلغ وصيد الباب الكبير
هتف بالمرضع العجوز يوريكليا يقول : « كيف حال
الغريب النازح يا أماء ؟ بودي لو أنكن عنيتم به كما
ينبغي ، لأن والدتي على ماجبت عليه من خير
ولطف ، لانهش لأمثاله من النازحين الغرباء »
وقالت يوريكليا تجيبه : « يا بني لا تتريب على والدتك
في هذه السبيل ، فقد احتسى ضيفك من الخمر ملء
بطنه ، حتى لقد أبي أن يذوق طعاماً بعد ، وقد
أبي إلا أن ينام على فراش خشن في الردهة
الكبرى ، ولا أدري لم تشب بهذا » . وانطلق
تليماك إلى المدينة يتبعه كلباه . ثم أقبل الراعي
يومانوس يسوق بين يديه ثلاثة خنازير كِناز من
أسمن قطعانه ، وما إن رأى أودسيوس - الشحاذ
الفقر في حسبه - حتى قصد إليه ، ولبت
يسائله عما لقي من العشاق - فذكر له أودسيوس
ما كان من وقاحاتهم ... وبينهما كما كذلك ، إذ أقبل
الراعي السفيف ، سليط اللسان ، ميلانتيوس وهو

يحدو قطعانه وماعززه ، وطفق كدأبه يسب
أودسيوس ويرسل عليه وعلى يومانوس مازح به
فه من شتائم ، تحرشاً بالرجل الشحاذ الفقير ،
ولكن أودسيوس لم يحرك ساكناً ... وأقبل
راع آخر يقود بقرة صفراء لاذلول ولا فارض ،
يدعى فيلوتيوس ، فوقف عند زميله يومانوس
يسأله عن صاحبه الفقير الشيخ ، وكأنما راعته
ملاحه وحسن سمته : « إن له لسياء كسياء الملوك
برغم أسماه ومزقه ! » ثم صافح أودسيوس وقال
له : « مرحباً أيها الأب ! خفف الله عنك عناءك
ووضع عنك وزر ماتشكو ... يا للسماء ! إن مرآك
يفجر الدموع في عيني لأنك تذكرني بمولاي
أودسيوس الذي وكل إلى رعي قطعانه وأنا بعد
صغير حدث ، فكبرت كما كبرت ، وتضاعف
عددها ... ولكني وأسفاه لا أفرح بسمها
ووفرة عددها ، بل إن الحزن ليرزح على نفسي
لأنها تُسمّن فتكون غذاء لا مباركاً ولا هنيئاً
لأولئك الأمراء الظالمين ... ولولا رجائي في
السماء ... وأمل الكبير في عودة مولاي أودسيوس
للذت من بعيد بسيد آخر أخدمه ، لأن الصبر
على خبائث هؤلاء العُتاة الطُغاة لم يعد في طوق
أحد ... وأسفاه عليك يا مولاي أين أنت اليوم ؟
ألا ليتك تعود فتبطش البطشة الكبرى بهؤلاء
الجبارين ! » ... واغبط أودسيوس بما سمع من
كلام الراعي فقال له : « الله ما أشجعك أيها
الصديق ! ولكني أبشرك وأطمئنك ، وأقسم لك
أن مولاك عائد ماني هذا شك ، وهو عائد عما
قريب ، وستشهد عيناك هاتان مصارع البُغاة
الطُغاة ! » ... وبينما هما يتحدثان إذا بالعشاق

تحركت قطع اللحم فوق الخوان فهي تقطر دماً أحمر كأنه ينبثق من غلاصم قتلى ! ثم امتلأت عيونهم بدموع غزار حرار ... ثم طفقت صدورهم تعلو وتهبط وتنشق عن نهديات تصعد من سويداوات القلوب ... ثم هذا ثيوكليمنوس - الكاهن الآبق - يشهد المعجزة ويرى النذير ، فينهض فيهم قائلاً : « تعساً لكم أيها الأنجاس لقد سىء بكم ! ما ذا تجبأ لكم المقادير يا ترى ؟ ما هذه الظلمات كأنها قطع الليل تغطش رؤوسكم وتزلزل أقدامكم ؟ وما هذه الدموع تتصبب من عيونكم قتشوى خدودكم ؟ أنظروا إن استطعتم ! ما هذه الدأماء التي تخرج جدران القصر ؟ ما هذه الأشباح التي تكظ البهو الخالد ؟ إنها تنهاوى إلى عالم الفناء فويل لكم ! أوه ! وتلك آية أخرى ! لقد كسفت الشمس فجأة وتوارت بالحجاب ! الضباب الضباب ! ما أروع الضباب ينتشر فيملاً ما بين الأرض والسماء ! » وبالرغم مما أندر الكاهن فقد أغرق القوم في الضحك ، ولم يزدادوا إلا خبالاً ... وقال قائلهم ، وإنه ليوريماخوس : « ما أحسب إلا أن به جنة ! خذوه فقلوه ثم في السوق صلوه ، عسى أن يجد ثمت ضياءً يمشى فيه ، إنه لا يجد ضياء هنا ! »

وتلبث الكاهن فقال : « أربع عليك يا يوريماخوس فان لي عينين وأذنين وإني لأرى وأسمع ... وإني نذير لكم من بلاء يحل بكم فلا يبق ولا يذر ... أيها الأفاكون الفسدون ! » وانطلق الكاهن من القصر ... ولز أحد العشاق تليماك فقال : « ألا ما أتعسك في كل من ضيقت من ضيف يا فتى ! أما كان بحسبك هذا الفقير الشحاذ القذر الذي تطعمه ما عليه من سبيل حتى تجلب هذا المتفهيق

يقبلون أفواجا فيملأون البهو ، ويجلسون إلى وليمتهم ، فيشير تليماك إلى أبيه فيجلسه معهم ، ويمد له مائدة ومقعداً ، ويحضر له من الشواء والخبز والشراب ما هو حسبه ويقول له بمسمع من الجميع : « اجلس أيها السيد ولا تخش رهقاً ... إني أمقت أن أسمع شغباً اليوم ، فالبيت بيت أودسيوس وإني لصاحبه ! » وغيظ انطونيوس فقال : « دعوه فقد حق له أن يقول ما يشاء ، فتالله لولا أن حال جوف بيننا وبينه لأسكتنا إلى الأبد أنفاسه ! » وقال سفيه آخر : « طب نفساً يا تليماخوس وقر عيناً ، فهالك منحة مني لضيفك ، مضغة مشتهاة ! » ثم تناول عظمة من السلة القريبة فقذف بها أودسيوس الذي انحرف عنها فلم تصبه ، وعند ذلك قال تليماك مغاضباً : « تالله لو أصابته لأقصدتك برمحى هذا فنقد في صدرك ، وخرج يلمع من ظهرك ، ولا تقلب العرس الذي تحلم به فكان مناحة تؤز بيتك ... إني لم أعد صديقاً بعد فلا ترهبوني ! سترون كيف أستطيع أن أضع لكل ذلك حداً بعد إذ طفح الكيل ! » وهنا هب لثيم آخر فخبذ في سخرية مقالة تليماك ... « لأن من حقه أن يحمى ضيفه ... ولكن اسمع يا تليماخوس ... لم لا تمضى إلى أمك وقد يئست من عودة أييك فتطلب إليها أن تمحضر فتختار البعل الذي يروقها من بيننا ؟ » فتعمل تليماك الكلام وقال : « هي حرة مطلقة الحرية . إني لا أقف في طريقها ولا أقسرهما على شئ ! » وما كاد يفرغ حتى انفجر المناكير يضحكون ويضحجون

ثم حدثت المعجزة !
لقد تضرجت وجوه القوم بحمرة الدم ... ولقد

ونحن (الدناجل) ، ثم حملت هي السهام وسارت
 أمامهن ، وعلى وجهها نقابها السادر الحزين ؛ حتى
 إذا كانت عند الأمراء هتفت بهم فصمتوا ، ثم قالت
 لهم وفي صوتها نبرة الحزن ، وموسيقى الآلام :
 « ها هي ذي قوس أودسيوس وتلك هي سهامه أيها
 السادة الأمراء ، فمن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها
 سهمها يخترق الدناجل الاثني عشر فاني له ، وهو
 صاحبي ... وعسى أن تبطل السماء حجركم اليوم ..
 فقد طالما ذهبتم بخير هذا القصر وأرغمتم من زاده
 بحجة أنكم عشاقى كما استبحتم أن تسموا أنفسكم ،
 فاليكم القوس فانظروا ماذا تصنعون » وأشارت إلى
 الراعى يومايوس قتلسم القوس العظيمة ، وحملها معه
 زميله راعى الضأن فيلوتيسوس ... ثم إن الراعين
 لم يطيقا ذكريات سيدهما التي هاجتها فيهما القوس
 فذرفا دموعهما ثم استخرطا في البكاء ... وانتهرها
 أنطونيوس فقال : « تبا لكما أيها الفلاحان القدران
 فيم هذا البكاء ! التبتعثا الشجو في فؤاد سيدتكما ؟
 إنطلقا أيها المسخان فابكيا بعيداً فتالله ما أحسب
 بكاء كما إلا يزيد في صلابة القوس ، وتالله ما أحسب
 أحداً منا يبالغ منها مأرباً ... وى ! من منا له بأس
 أودسيوس ؟ لقد كنت طفلاً ، بل كنت وليداً ،
 حيناً رأيت رجلاً ذا صولة وفتوة يهديها إلى البطل ..
 أجل ... رأيت هذا بعيني هاتين ... » وكان في
 كل ما قال ساخراً ... فقد هياً له الغرور أنه بقليل
 من العناء سيثني القوس ويرسل السهم ويحظى
 ببنلوب !

ونهض تليماك فقال إنه سيساهم في الرماية فإذا
 استطاع فإنه سيقب أمه لديه ولا يتركها تغادر منزل
 أبيه قط ... ثم حفر حفراً على خط مستقيم فجعل

الذى يدعى النبوة ويرجم بالغيب ؟ »
 وصمت تليماك فلم ينبس ، وظل ينظر إلى أبيه ،
 ويرقب ساعة الجد

وما رميت إذ رميت ...

وكانت بنلوب جالسة في الحريم تسمع إلى ضجيج
 القوم وعجيجهم ، فبدأ لها أن تضع حداً لهذا العبث
 العقيم الذى استمر كل هذه السنين الطوال فأمرت
 بعض وصيفاتها فتبعنها إلى الخبأ الذى حفظت به
 أذخار الملك وعتاده ، والسلاح الذى طالما فرقت له
 قلوب وارتمدت فرائص وزاغت من هول أبصار ..
 لله ما كان أشجاءها ذكريات حافلة بأروع
 ضروب المجد ! ها هي ذي الرماح التى طالما لاعب بها
 أودسيوس الأستنة ، والسيوف التى طالما انتزع بها
 الأرواح ، والدروع السابغات التى كانت تدرأ عنه
 وتحميه ، وتحفظه وتفتديه ... ثم ها هي ذي القوس
 العظيمة معلقة فوق الحائط تلمع وترقص من حولها
 المنايا .. القوس ذات الدكر التى أهداها إلى أودسيوس
 أحد المعجيين به ... ها هي ذي بعد هذه السنين الطوال
 لم يحملها أحد غير أودسيوس ، لأن أحداً غير
 أودسيوس لا يستطيع أن يثني قوس أودسيوس ،
 وفيها الوتر المرْد ، الذى لا يلين ولا يبين ولا يرد ،
 إلا إذا كله أودسيوس ! وتناولت بنلوب كنانة
 السهام التى طالما قذفت النون في قلوب الأعدى ،
 وجلست تنثرها في حجرها ، وتنتقى منها وتبكي
 أحر البكاء ... لأن كل سهم منها كان يهيج في
 قلبها ذكريات زوجها البطل
 وأشارت إلى وصيفاتها فحملن القوس العظيمة

ثم نهض راعي الخنازير ، يومايوس ، ونهض في إثره صديقه الراعي الآخر ، فحشاً الخطي خارج البهو لما شاهدا من بأس القوم ... وقد تبعهما أودسيوس ... فلما كانوا بعيداً قال لهما : « أيها الحبيبان ، إذا أرسلت العناية أودسيوس في هذه اللحظة ليطش بهؤلاء المناكيد ، أفتحاربونهم معه ، أم تحاربونه معهم ؟ » ... فرمقه فيلوتئوس وقال : « يا للسماء ! تالله لو صحت أحلامك لرأيت كيف أفتديه منهم بنفسى ومهجتى ! وتالله لرأيت كيف يهتز سلاحى فيحصد رؤوسهم ويبيعثر أشلاءهم ! » وقال يومايوس مثل هذه المقالة ... ولما وثق من اخلاصهما كشف لهما عن حقيقته فقال : « إذن فاعلموا أننى أنا أودسيوس ، وهذه هي الندوب التى أحدثها الخنزير فى ساقى ، وقد أبت الى وطنى فجأة فلقيتكم أول من لقيت ، وأكرمت مشواى يا يومايوس وأنت لا تعرفنى ، ولم أشأ أن أبدو للقوم حتى أعرف عدوى من صديقى » ولم يكد يفرغ من قوله حتى انحنى الرجلان يشهدان الندوب ، فلما استيقناها ، ذهلا عن نفسيهما ، وجثوا عند قدمى مولاها ، وطفقا يقبلانها ويغسلانها بدموعهما ، ثم نهضا فألقيا سلاحهما عليه ؛ بيد أنه أمرهما أن يصمتا حتى لا يفضح أمرهم أحد ... وقال لهما : « لا بد أن نعود أدراجنا إلى البهو ، وسأطلق أنا قبلكما ، وسأطلب منك يا يومايوس أن تعطينى القوس لأقوم بنصيبي فى التجربة ، وسيرفض القوم أن أفعل ، ولكنك يجب ألا تبالى وتناولنى القوس ، ثم تسرع بعد هذا الى الحريم فتخبر النساء فيه ألا يدغرن إذا سمعن ضجة أو عويلاً فى البهو ، أو شهدن حرباً وقتالاً ... أما أنت يا فيلوتئوس فتسرع إلى باب

فى كل منها دُنبلاً وثبت حولها بالحجارة والتراب .. ثم إنه تناول القوس العظيمة وألقمها السهم ، وجمع قواه وطفق يشد ؛ وفشل مثنى وثلاث ، وكانت القوس تشمخ عليه فلا تكاد تنثنى ، حتى إذا حاول الرابعة وأوشك أن يظفر ، أوماً إليه والده ففهم ما يريد وقال : « أوه ! إنه لا يقدر على هذه القوس إلا من هو أقوى منى وأكمل جسماناً وأتم بنية ... فليقدم لهما من شاء منكم حتى نرى ! »

وقال أنطوتئوس : إنهم جميعاً مشتركون فى التجربة حسب مقاعدهم ، حتى الكاهن ... فهض هذا ويم شطر الوصيد وحمل القوس الرهية ، وحاول مائة مرة أن ينثنها فلم يستطع ، فألقاها وقال : « أيها الرفاق ... ما أحسب هذه القوس إلا مؤيسة للجميع ... لقد أوهنتى وذهبت بمُنتى ... ألا فلتحملوا بامرأة أخرى غير بنلوب ، فوالله ثم والله إنها للرجل الذى كتبها المقادير له ... الذى يحضر إليها بما ليس فى وسعكم من كنوز ومن أذخار »

وغضب أنطونئوس وتجهم للكاهن ثم قال : « ألا ساء ما تقول أيها الرفيق ! أحسبت أننا نياأس من هذه القوس لأنك لم تقدر عليها ؟ ومتى كنت رجل جلال وجهاد ؟ ومتى ثنيت قوساً أو أرسلت سهماً ! أربع عليك ففينا الكثيرون الذين يستطيعونها بالقليل الأقل من الجهد » ثم أمر راعي الضأن ميلانتئوس أن يحفر حفرة ويوقد فيها ناراً يجعل بها وعاء من شحم ليعالجوا به القوس عسى أن تلين قبل أن يدُلوا دلوهم ... فلما كان هذا أخذ الأبطال كل بدوره يعالج أن ينثنى القوس ، ولكنها استعصت عليهم جميعاً ، ولم يبق إلا أنطونئوس وبوريماخوس ، وهما أكثر هذا الجمع قوة وأوفرهم فتوة

مباراتهم ... ومن يدري؟ لعلهم ذعروا أن ينجح هذا الفقير فيما فشلوا هم فيه ... قال أنطونيوس : « أخزن عليك لسانك أيها السليط الوقح ! ألا يكفيك أن يسمح لك بوجودك بين هؤلاء السادة الأخيار من أقيال البلاد حتى تطلب أن تباريهم ! » وكانت بنلوب تطالع فلم تحتمل أن يؤذى ضيف ولدها هكذا ، فقالت : « أنطونيوس ! أتى لك أن تؤذى تليماك في ضيفه ؟ بل ينبغي أن يحاول الرجل كما حاولتم ، فأما أنك تخشى أن يظفر فيما فشلت فيه .. فلا خير .. إنه لا جرم ليس يحلم مثلكم بأن أكون زوجة له ، فليفرخ روعك إذن ، ولتطمئنوا جميعاً » وقال يوريماخوس : « يا ابنة إيكاريوس ما دار بخلدنا قط أن تكوني زوجة له إذا ظفر ، ولكننا خشينا أن يفضحننا في الناس فيقول : « عجبا لسادات إيثاكا وما حولها ؟ يطعمون أن يتزوج أحدهم امرأة البطل العظيم أوديسيوس ثم لا يستطيعون رمي سهم عن قوسه ، ويأتى رجل شجاع فقير فيثني القوس ويرى السهم وهم مع ذلك لا يستحيون ! » هذا ما خفنا أن يكون يا ابنة إيكاريوس وهذا ما خشينا أن يذهب بشرفنا ! » فقالت بنلوب : « لتطمئن يوريماخوس فليس في مثل هذا يضيع شرفكم ... ولكن الرجل ذو جسم طوال ومظهر جبار ، وقد ذكر آباءه فعلم أنه كريم المنصر طيب الأرومة عريق المحتد ، فلم لا يعطى القوس لئلا يرى ما يكون ؟ وإنه إن ظفر فسأخلع عليه وأدفع له سلاحاً وأرسله أتى شاء ! » ثم نهض تليماك فقال : « أماء ! إن القوس قوسي وإني لصاحبها ، أعطيها لمن أشاء وأصونها ممن أشاء ، ولن ينازعني حتى أحد من العالمين ، ولو شئت لأعطيها الرجل فتكون حقاً خالصاً له ما سمحت لأحد أن يمنعي ... تفضلي أنت فغلق عليك أبواب

البهو فتوصده وتحكم إغلاقه حتى لا يفلت منهم أحد أبداً » . ثم مضى فجلس مكانه لدى الباب ، وتبعه الراعيان ... وفي هذا الوقت كان يوريماخوس يحاول محاولته ، وكان من وقت إلى آخر يذهب بالقوس العظيمة فيعرضها للنار عسى أن يسهل عليه ثنيها ، لكن القوس أبت مع ذلك أن تلين ، فلما بلغ من يوريماخوس الجهد ألقي بها يائساً وقال : « تباً لها من قوس عنيدة ، والعار الأبدي لنا جميعاً يا رفاق ! ما لنا ولهذا ؟ إن في إيثاكا حسباناً ، وإن فيهن أزواجاً ثرياً أبكاراً لمن يشاء ... أوه ! يا للخزي ! أواه لو لم تقل الأجيال المقبلة إننا كنا دون أوديسيوس قوة وأقل منه فتوة حين عجزنا أن نثني قوسه ! يا للخزي ... يا للخزي ! »

ورؤّع أنطونيوس ! وذهل عن أمره ، ولم يشأ أن يخزي نفسه بأن يحاول كما حاول غيره ... فوقف فقال : « ما أحسب القوس عنيدة ولا مستعصية كما تزعمون ... ولكن اليوم يوم عيد أبوللو رب القوس العظيم ، فأني لنا أن نحمل قوساً اليوم ! دعوها ، واركوا الأهداف مكانها ، فلن يجسر أحد أن يدخل بهو أوديسيوس فيمضى بها ، وفي بكرة الغد يحضر ميلانتيوس من قطعانه عثرات سمانا فنضحى بها لأبوللو ، ثم نتم محاولتنا »

ولكن أوديسيوس هب من مجلسه فقال : « يا سادة ! ما دمت لن نحاولوا الرماية اليوم فأرجو أن تدفعوا إلي هذه القوس لأجرب أنا أيضاً ، ولأرى هل ما تزال بقية من مسنة الشباب مخبوءة في أعصابي ! أم أنها ذهبت بها جميعاً متاعب الحياة وكثرة التجوال في أطراف الدنيا ... » وجن جنون القوم لما قال أوديسيوس هذا ، وعجبوا كيف يجسر شجاع فقير مثله أن يطلب أن يشارك السادات في

في أجزائها ، مخافة أن يكون السوس قد نخرها
إذ هو ناء عن بلاده ... وزاغت أبصار القوم ،
وجعلوا يُبرقون في الشحاذ الفقير ويقولون :
« الهَلُوفُ ^(١) الزنيم ! إن له كعيناً فاحصة كأن
لها عهداً بالرمية ؛ وإنه ليبحت القوس كأنه يقتنى
أمثالها ! » ... ثم قبض أودسيوس على القوس ،
وشد طرفها في سهولة وفي يسر ، كما يشد الموسيقى
وتراً من أوتار قيثاره ، ونظر إلى الأهداف المتراسة
أمامه ، وأرسل سهماً اخترقها جميعاً ، وسُمع له
صوت كسقسقة العصافير ...

يا عجباً ! ! لقد أراش أودسيوس السهم ،
وأرسل زيوس العلي زلزلة ورعداً مدوياً وثب له
فؤاد البطل ، وطار منه ألوان القوم ، وانقذف
الرعب في قلوبهم ...

ثم أخذ أودسيوس سهماً آخر فثبتته ، ثم
أراشه فاخترق الأهداف مرة أخرى ...

قال أودسيوس : « تليماخوس أيها العزيز !
إن ضيفك لم يخيب رجاءك ولا أضاع عشمك ^(٢) ،
ولقد أصبت الأهداف كلها على حداثة عهد بالرمية ...
والآن هلم ... إن النهار يوشك أن يولج ، وإنه لينبني
أن نعد وليمة المساء للسادة الأمراء ، ولن يعدموا
بعدها ما ذابوا عليه من رقص وعزف ، وقصف
وغناء ... ! »

وهم تليماك فألقى حمائل سيفه على كاهله ، وتناول
رمحه العظيم . وسرى ! !

دريني ضربة

« يتبع »

(١) الهلوف بتشديد اللام وزان فردوس الثقيل الجافي
البطين ونحسب أن منه نحت المصريون كلمة هلقوت وقد
استعملناها لظرفها ومناسبتها كثيراً للمقام
(٢) في القاموس العجم الطمع

الحريم وانظري في أعمال البيت وصرفي شئون الخدم
وخذي في غزلك ونسجك ، وسننظر نحن في أمر
القوس وسأرى أنا لمن تكون النوبة ، فاني هنا سيد
لا مسود ! » ... وشدهت بنلوب قليلاً ، إلا أنها
عرفت أن ابنها قال حقاً ، فانسجبت ، وغلقت عليها
أبوابها ، وانطرحت في فراشها حيث وافقها ميزفا
فسكنت في عينها غفوة هادئة لذيذة ، فاستسلمت
لسبات عميق

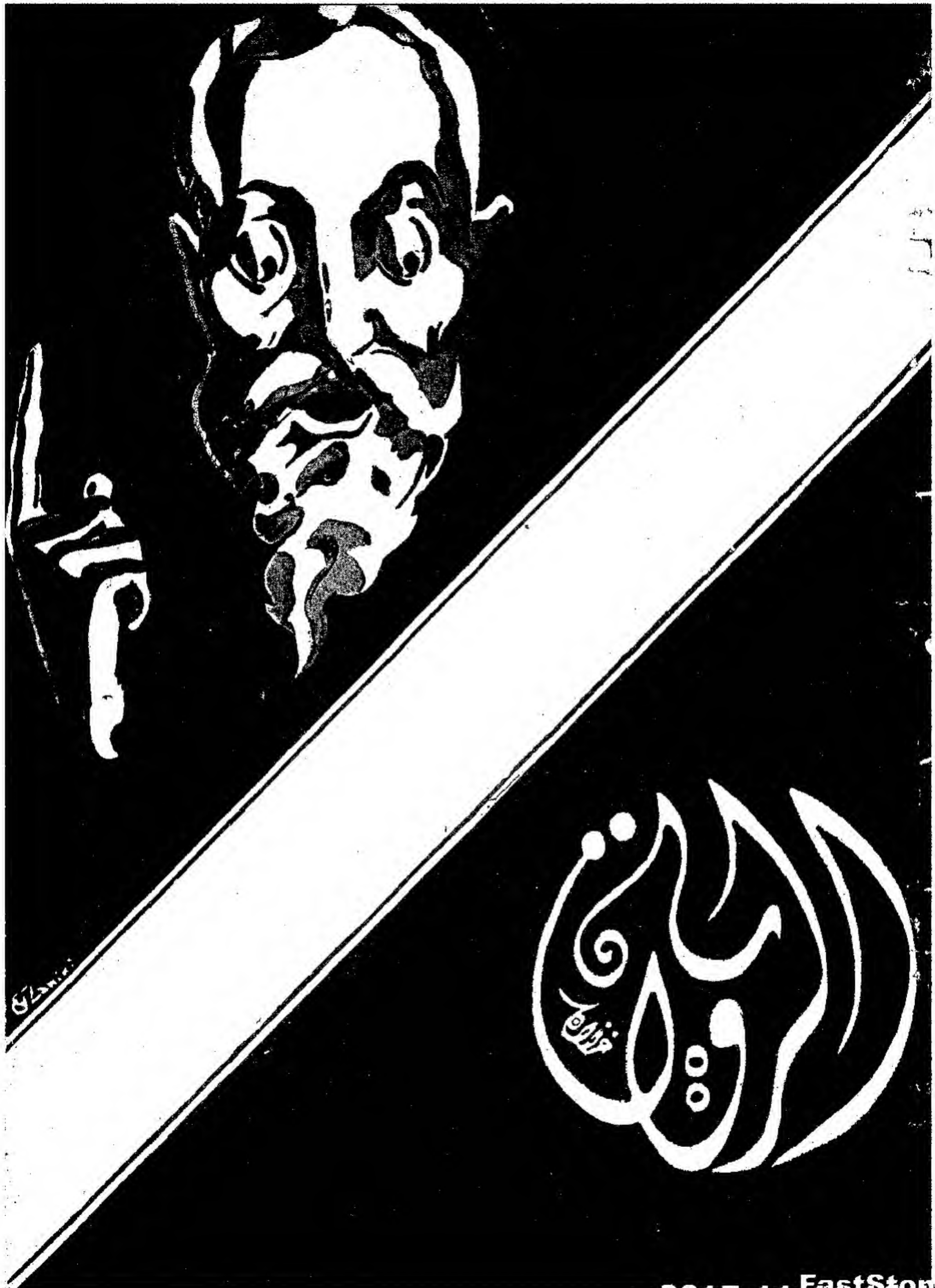
وتقدم يونايوس فحمل القوس وأوشك أن
يذهب بها إلى أودسيوس ، لكن الأمراء زاروا
مغاضبين ، فخشي الراعي ، وألقى القوس ثانية ، فصاح
به تليماك : « هات القوس هنا أيها الرعديد ، لشد
ما أود أن أخلص منك ومن هؤلاء السادات الذين
ترهبهم ... ! » وسخر الأمراء وضجوا ضاحكين ...

ولكن الراعي تقدم إلى القوس فاحتملها ، وذهب
بها قدماً إلى مولاه ... وانطلق بعد هذا إلى الداخل
فنادى الموضع يوريكليا وقال لها : « إن مولاي يأمرك
أن تغلطي جميع الأبواب ، ويقول لك إنه إذا سمع
أحد من النساء ضجة في البهو أو قتلاً فليجلسن حيث
هن ولا ينزعجن ، وليأخذن في عملهن ، أسمعين ؟ »
وغلقت الموضع الأبواب وبلغت رسالة مولاه ...

ثم هم فيلوتيوس فغلقت باب البهو وأحكم إقفاله ،
وربطه بسلك ^(١) طويل كان لسفينة وألقى لدى
الباب ؛ وعاد فجلس مكانه وعيناه لا ترمضان عن
مولاه ...

وتناول أودسيوس القوس فجعل يفحصها ويبحث

(١) في القاموس السلب لحاء شجر باليمن تعمل منه الحبال
ونحسب أن منه إطلاق السلب على الحبال الغليظة في مصر فلم
نر بأساً من استعماله بهذا المعنى



مكتبة

محذرة كبرية من الله في العلم والفكر

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامت العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحي في النشء أساليب البلاغة العربية

مجموعه أعدادها دیوان العرب المشترك ، وکتاب الشرق

الجديد، وسجل الأدب الحديث، ودائرة معارف عامة

—♦—

الاشتراك الداخلى ستون قرشاً ، والخارجى ما يساوى جنبها مصرى ، والبلاد العربية بنقص ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢٩ شوال سنة ١٣٥٦ - أول يناير سنة ١٩٣٨

العدد ٢٣

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | | |
|------|-------------------|---|
| ١٤١٨ | جولي رومان | للقصصى الفرنسى جى دى موباسان |
| ١٤٢٤ | عايدة | أقصوصة مصرية |
| ١٤٣١ | عشية أو ضحاها | للقصصى الروسى ليونيد أندرييف |
| ١٤٤٠ | الجزء | أقصوصة ريفية |
| ١٤٤٥ | مهر الشاعر | أقصوصة مصرية |
| ١٤٥٢ | غرام | للكاتب الروسى أنطون تشيكوف |
| ١٤٦٤ | اعترافات فى العصر | لألفريد دى موسيه |
| ١٤٧٤ | الأوذيسة | لهوميروس |
| | | بقلم أحمد حسن الزيات |
| | | بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى |
| | | بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة |
| | | بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب |
| | | بقلم الأستاذ محمود بك خيرت |
| | | بقلم الأديب السيد جورج سلسنى |
| | | بقلم الأستاذ فليكس فارس |
| | | بقلم الأستاذ درينى خشبة |

الجنة الحالية بالورد
والبرتقال، غطرسهم
السافلة، ودعاوهم
الباطلة، ورغباتهم
الخسيسة، ويصوروا
الذهن البشري على
جبلته الأولى من
الحقارة والجهالة

جُزْءُ رُفَاقِ

لِلْقَصَصِ الْفَرَسِيِّ جِي دِي مُوَيَا سَان
بِقَلَمِ أَحْمَدَ حَسَنَ الزِّيَاتِ

والكبرياء والطمع. وعلى حين بغتة رأيت في آخر
فرضة من الفُرُضِ الرائعة التي يصادفها السائر في
كل منعطف هناك، أربع دور أو خمسا يقمن في وجه
البحر، وتحت أقدام الجبل، وأمام غابة موحشة من
الصنوبر تمتد وراءهن إلى بعيد في وادين كبيرين
لا طريق فيهما ولا منفذ

وكان أحد هذه الجواسق أثيقاً معجباً،
فقيد بصرى بحسنه، واستوقف خطاي على بابه.
وهو مسكن صغير أبيض الجدران أسمر النوافذ
قد كسته الورد المتسلقة من أساسه إلى سقفه.
أما حديقته فبساط من الزهر تجمع فيه كل لون
وكل شكل، فكان خليطاً عجيباً من الأناقة الفريدة
والظرف النادر. فإذا سرحت بصرك في أفنيته
وجنباته رأيت الخضرة النضيرة تغطي كل شبر من
أرضه، وألغاف النور تجمل كل درجة من سلمه،
وعناقيد الورد الأزرق أو الأصفر تتدلى على واجهته،
وأكاليل الزهر الأحمر تتألق على أعمدة مشرقه،
وأبصرت من خلفه ممشي من أشجار البرتقال
المزهرة يمتد حتى يقف عند حضيض الجبل

منذ عامين كنت أسير في الربيع على ساحل
البحر الأبيض. وألد الأشياء أن تفكر وأنت سائر
في الطريق على عجل. وهل أجمل من أن تسير في
الضياء وفي الهواء على حدود الجبل أو على سيف
البحر وأنت تحلم؟ وبأكثرة ما ينثال على نفسك الهائجة
في هاتين الساعتين اللتين تمشيهما أحلام الحب وأوهام
المخاطر! تهب عليك الأماني المبهمة البهيجة فتشرفها
مع النسيم العليل الفاتر، فتحدث في قلبك شهوة
السعادة كما يحدث الشئ في نفسك شهوة الطعام؛
وتطير حوالبك الخواطر السواحر عجالاً مغرّبات
كأنها أطياف الربيع!

كنت أسير في ذلك الطريق اللاحب الداهب
من سان رافايل إلى إيطاليا، أو بالحرى ذلك
الزخرف الأنيق المتغير الممتد الذي تراه فتحسبه
مُخاطق ليمثل جميع ما قال الشعراء من قصائد الغزل
وأناشيد الغرام. وكنت أفكر في أن الناس إنما
يأتون هذه البلاد من (كان) حيث يسترفهون،
إلى (موناكو) حيث يقامرون، ليظهروا الزهو
والصلف، أو ليتعاطوا اللهو والسرف، فيعرضوا
تحت هذه السماء الخافتة بالسحر والجمال، وفوق هذه

مرة متعاقبة . سافرت هي وهو على مركبة البريد كما كانوا يسافرون يومئذ ، فمبرا البحر ليحييا حياة الهوى والصبابة في الجزيرة العتيقة تحت ظلال البرتقال التي تكتنف (بالرم) ، وتسمى صدفة الذهب

لقد كان الناس يتحدثون عن صعودها إلى بركان (أطنة) ويذكرون كيف انحيا على فوهته الوسيعة وهما ملتصقان خدًا لخد يريدان أن يلقيا بنفسيهما في هاوية جهنم

لقد مات مات صاحب الشعر المضطرب الذي أدار بعمقه رأس جيل ، وفتح بدقته وأسراره ظلالا جديدا للشعراء الجدد

ومات الآخر كذلك مات ذلك المهجور الذي ابتكر من أجلها جملا من الموسيقى بقيت في كل ذاكرة ، وترا كيب من النصر واليأس حزت في كل قلب

وبقيت هي بعدها في هذا البيت المنتقب بالزهور المحتجب في خيلة من الفتنة !

غمزت الجرس غير متردد ولا متلكي ، ففتح الباب غلام في نحو الثامنة عشرة من عمره ، على وجهه ويديه دلائل الحق والبلاهة . فناولته بطاقتي بعد أن كتبت عليها تحية رقيقة للممثلة المعجوز ، ورغبة شديدة في أن ألقاها ؛ فلعلها تعرف اسمي فتسمح لي بالدخول

ذهب الخادم ورجع ، فطلب إلى أن أتبعه ، فتبعته إلى بهو نظيف ظريف ضخم الأثاث على طراز لويس فيليب . وكانت فيه جارية في سنتها السادسة عشرة ممشوقة القوام عليها مسحة من

دنوت من الباب فقرأت عليه هذا الاسم مكتوبا بحروف صغيرة من الذهب : (فيلا أنطان) فقلت لنفسي : ليت شعري أي شاعر أو أية حورية يسكن هنا ؟ أي مَحْسَلٍ ملهم كشف هذا المكان وشاد فيه هذا المنزل الذي تطير حواليه الأحلام ويتنزل عليه الإلهام ويطيف به الجمال كأنما نبت في طاقة من الريحان والزهر ؟

وكان على مقربة من هناك عامل من عمال الطرق يقطع الصخر ، فسألته : من صاحب هذه الجنة ؟ فقال : السيدة جولي رومان

جولي رومان ! لطالما سمعت وأنا في فجر أيام هذا الاسم يتردد على الأفواه ؛ ذلك اسم الممثلة الكبيرة منافسة الممثلة الشهيرة راشيل ؛ تلك هي الفنانة الفتاة التي لم تنل امرأة ما نالت من تصفيق المعجبين وتنافس الغرمين وتدليل الأحبة ؛ ما أكثر ما وقع في سبيلها من حوادث البارزة والانتحار ؛ وما أشهر ما استفاض حول اسمها من المغامرات والأحاديث !

ما عمر هذه الساحرة المغوية اليوم ؟ ستون ؟ سبعون ؟ خمس وسبعون ؟

جولي رومان ! هنا ، في هذا البيت ! هنا ، تسكن المرأة التي تيمت أندر العبقریات الشعرية ، وأنبغ القرائح الموسيقية في هذا البلد ! لا أزال أذكر تلك الرجفة التي أصابت فرنسا بأسرها وأنا يافع حين فرت هذه الممثلة إلى صقلية مع هذا ، بعد أن قطعت أسبابها مع ذاك

لقد سافرت مع حبیبها الشاعر ذات مساء بعد أن مثلت إحدى المآسي الجديدة ، وهتف لها الجمهور نصف ساعة متصلة ، ودعاها إلى الظهور إحدى عشرة

فتقص على قرائها ذكرياتها ومغامراتها ونوادرها
وما أثرها ، ثم يحووني النسيان ويطويني البلى
ثم سكنت برهة وعادت تقول :

وليس ذلك اليوم يبعيد . بعد بضعة شهور
أو بضعة أيام لا يبقى من هذه المرأة الحية إلا هيكل
صغير من العظام . ثم رفعت بصرها إلى صورتها التي
تبسم لها : لهذه العجوز ، لصورتها المضحكة ، ثم
نظرت إلى صورتي الرجائين الشاعر المحترق
والموسيقار الملهم فكأنما يقول أحدهما للآخر :
« ماذا يدعني منا هذا الطلل الدارس ؟ »

فأخذ بكظمي حزن لا يوصف ولا يغالب :
حزن على العمر الذي انقضى ولا يزال يضطرب في
الذكريات اضطراب الغريق في الماء العميق .

وكنيت أنظر وأنا في مكاني المركبات الفاخرة
تخطف على الطريق الداهب من نيس إلى موناكو ،
وفيها الفتيات الرشقات عليهن مظاهر الغنى
ودلائل السعادة ، والرجال المستبشرون عليهم آثار
الرخاء والغبطة . فنظرت إلى ما أنظر إليه ، وفهمت
ما أفكر فيه ، فقالت معنمة وهي تبسم ابتسامة
المستسلم : لا يستطيع المرء أن يكون بعد ما كان !
فقلت لها : لشد ما كانت الحياة في عينك جميلة !
فتهدت ثم قالت : نعم كانت جميلة رخية ! ومن أجل
ذلك آسف عليها أشد الأسف .

ورأيتها على استعداد لتتحدث عن نفسها فأخذت
أستفهمها في رفق وحذر كما يجس الإنسان القرح
المض . فتكلمت عن فوزها وغبطتها ونشوتها
وأصدقائها وعن كل ما يتصل بحياتها الناجحة
الحيدة . فسألتها :

الحسن ، فرفعت مكنستها احتراماً لي ، ثم انصرفت
وبقيت وحدي

كان على حوائط البهو ثلاث صور : صورة
للممثلة في أحد أدوارها ، وصورة للشاعر في ردينجوتة ،
وصورة للموسيقار أمام بيانته . وكانت هي في زى
ذلك العهد شقراء فاتنة تبسم بشفتها الرقيقة وبعينها
الزرقاء ؛ وقد تألق المصور في صورتها وافتن
فجاءت بديعة متقنة . وكان كل ما في البهو يشعر
بالقدم ويتحدث عن الآلاف الداهبين والأيام
الخوالي

فتح أحد الأبواب ودخلت امرأة شمطاء نحيلة
الظل ضاوية ، قد لقع رأسها الشيب وابيض حاجباها
وأهدابها فبدت كأنها الفارة البيضاء . فمدت يدها
إلى وقالت في صوت لا يزال على طراوته وحلاوته
ورنينه :

— شكر آ لك يا سيدى ! فإن من كرم الخلال
أن يفكر رجال اليوم في نساء الأمس ! تفضل
بالجلوس

ذكرت لها أن جمال بيتها استهوانى وأغوانى
فسألت عن صاحبه ؛ فلما عرفت أنه هي لم أستطع أن
أقاوم رغبتي في طلب الإذن عليها . فقالت : إن ذلك
ليثلج صدري ويهيج نفسي ياسيدى . وهذه أول مرة
يقع فيها مثل ذلك . حينما ألفت إلى بطاقتك وعليها
كلمتك الرقيقة عرنتني هزة شديدة كأنما انبثت بقدم
صديق قديم غاب عن عيني منذ عشرين سنة .

أنا امرأة ميتة ، ميتة حقاً ، لا يتذكرني أحد ،
ولا يفكر في إنسان ، حتى يأتي الموت الحق ؛
ويومئذ تتحدث الصحف عن جولي رومان ثلاثة أيام

وهل أنت مدينة بهذا السرور المرح وتلك
السعادة الخالصة للمرح ؟

فأجابت في شدة وحدة : أوه ! كلا

فابتسمت أنا وعادت هي تقول وقد نظرت إلى
الصورتين نظرة حزينة :

إني مدينة بكل ذلك لهما .

فلم أتمالك أن سألتها : لأيهما ؟

فقلت : لهما معاً ، حتى لأخلطهما بعض الخلط
في ذاكرتي الشيخة . ولقد أحس في نفسي وخز
الضمير لأحدهما ، اليوم ! فقلت لها : لست مدينة
لها بشئ ياسيدي ، إنما أنت مدينة بسعادتك
للحب . فهو وحده الذي يجب أن تعترف له بالجميل
والشكر . وما كان هذا أو ذاك إلا ترجاناً له .

فقلت : ذلك جائز . ولكن أي ترجان كانا ؟
فقلت لها : وهل أنت موقنة بأنك كنت
لا تجددين في دهاء الناس من يحبك خير الحب وكل
الحب ، فيقدم إليك قلبه وفكره ووقته وحياته ،
بينما هذان لم يقدموا إليك إلا خصمين مخوفين هما
الموسيقى والشعر ؟

فصاحت تقول بذلك الصوت الرخيم الحنون
الذي يحرك أوتار القلب :

لا ياسيدي ، لا . ربما كان غيرها يحبني أكثر
منهما ، ولكنه ما كان يستطيع أن يحبني مثلهما .
آه ! لقد غنياني أناشيد الغرام على لحن لا يتسنى
لغيرها أن يوقعه ! لشد ما أطرباني وأسكراني ! هل
كان في مقدور إنسان ما أن يجد ما وجداهما
من السحر في الألحان والأوزان ؟ وهل يكني
المرء أن يحب إذا كان لا يقدر أن يضع في حبه
أنعام السموات والأرض ؟ لقد عرف هذان

الرجلان كيف يسنيان عقل المرأة بالنغم والكلم .
أجل ربما كان في هوانا من الوهم أكثر مما فيه من
الحقيقة ؛ ولكن هذا الوهم يحملك فوق أطباق
السحاب على حين تدعك الحقيقة ملقى على أديم
الثرى . فإذا كان غيرها قد أحبنى أكثر مما
أحبانى ، فإنهما وحدهما علماني كيف أفهم الحب
وأحسه وأعبدته

قالت ذلك ثم تقاطرت دموعها اليائسة في
سكون وصمت ، فتعاضيت عن ذلك وجعلت أنظر
إلى بعيد حتى ثابت إلى نفسها بعد لحظات
واستأنفت تقول :

كل مخلوق ياسيدي يشيخ قلبه متى شاخ جسمه ؛
ولكنني لا أخضع لهذه القاعدة ، فإن جسمي
المسكين قد بلغ التاسعة والستين ، بينما قلبي البائس
لا يزال فتياً لم يتجاوز العشرين . ولذلك تراني أعيش
وحدى بين الزهور والأحلام

ثم تولانا صمت طويل عاودها فيه الهدوء فعادت
تقول وهي تبتسم :

إنك لتسخر مني إذا علمت ... إذا علمت
كيف أقضي أماسي كلما كان الجو جميلاً والطبيعة
مشرقة . أني لأثير في نفسي الحجل والرثاء في
وقت معاً

فحاولت حملها على أن تقول لي ما ذا تفعل فلم
أنجح . فهممت بالقيام ، ولكنها هتفت بي قائلة :

— الآن ؟

فأجبتها أني سأتعشى في موت كارلو . فقالت
في شيء من الحياء والحشمة : أتقبل أن تتعشى
معي ؟ إن ذلك يملأ قلبي سروراً وغبطة
فقبلت دعوتها على الفور ، فتهلل وجهها لذلك ؛

فتوسلت إليها قائلاً : سبحان الله ! ماذا ؟
أطلعيني عليه وأنا أعدك ألا أسخر منه . أقسم
لك على ذلك ...

فترددت . ولكنني تناولت يديها المعروقتين
الباردتين وقبلتهما مراراً واحدة بعد أخرى كما
كان حبيبها يفعلان . فتحرك لذلك قلبها فقالت
في شيء من التردد :

أتعدني ألا تضحك ؟
فقلت لها : أعدك وأقسم

فقالت : إذن تعال
ونهمضت فنهضت معها ، وكان الخادم الصغير
الأبله يُسحى الكرسي من ورائها فهمست إليه
بكلمة سريعة فقال :

سماً وطاعة ياسيدي . على الفور
وأخذت بذراعي فشينا تحت الطنف ؛ وكان
المشي متعة للنظر وبهجة للقلب ؛ والبدر الطالع
يرسم في سوائه خطاً طويلاً من الضوء كأنه
شريط من الفضة ، يقع على الرمل الأصفر بين
ردوس الأشجار المدهامة ؛ وكان الشجر في نشوة
إزهاره يسطع شذاه العبق الحاد فأفعم الليل كله .
وكنت ترى من خلال خضرته الحوَّاء آلافاً من
الحباب^(١) تظير مضيئة لساعة كحبات النجوم ،
فهتفت قائلاً :

ما أحرى هذا الزخرف بمشهد من مشاهد
الحب !

فابتسمت ثم قالت :
أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ سترى !

(١) الحباب Luciole ذباب يطير بالليل له شعاع في
ذنبه كالسراج

ودقت الجرس فجاءت الخادم فأمرتها بما تريد ثم
قامت فطافت بي كل مكان في البيت

وكان للبيت طنف مزجج مزردان بالشجيرات
الزهرة يفتح على غرفة الطعام فيرى الجالس فيه
ممشى البرتقال الممتد إلى الجبل . وبين ضامم العشب
والزهر تجمد مقعداً واطئاً يدل وجوده على أن الممثلة
العجوز كثيراً ما تأتي فتجلس فيه

تجولنا في الحديقة ننظر إلى فنون الزهر
وضروب الشجر وأنواع الرياحين ، وكان المساء
يقبل على رُودٍ وهدوء فينشرب في جو السماء الفاتر
أريج الورد والفاغية . ولم يكن غير قليل حتى غابت
أواخر النهار في أوائل الليل ، وحان موعد الطعام
فجلسنا إلى المائدة

كان العشاء لذيذاً طويلاً ارتفعت فيه الكلفة
بينى وبينها حين فطنت إلى ما نشأ لها في قلبي من
شدة الميل وصدق المودة . وشربت إصبعين من النبيذ
كما كانوا يعبرون من قبل فاطمات إلى بأنسها ،
وأطلعني على دخيلة سرها . قالت :

أنظر إلى القمر ! أنى أحبه وأقدسه . لقد
كان الشاهد على سعادتي الجياشة وسروري المرح .
ويخيل إلي أن جميع ذكرياتي منقوشة على صفحته ؛
فما هو إلا أن أطلع وجهه حتى تنهافت على خاطري
سراعاً تباعاً . وفي أغلب العشايا أهى لنفسي مشهداً
من أروع المشاهد ... مشهداً جميلاً ... جميلاً ...
لو كنت تعلم ؟ ... ولكن لا ... إنك لو علمت
هزأت بي وسخرت مني .. لا أستطيع .. لا أجروء ..
لا ... لا ...

أضحك . ولكن الخادمين عادوا إلى آخر المشى فعاد
منظرها أخذاً يملك القلب . ثم أخذوا يتعمدان
رويداً رويداً ، ويختفيان شيئاً فشيئاً ، حتى ذهب كما
يذهب الحلم

واقبل المشى بعدهما موحشاً كثيب المنظر .
وذهبت أنا أيضاً حتى لا أراها على الحال الطبيعية .
فإن هذا المنظر الذي بعث الماضي كله يجب أن يبقى
طويلاً . أجل ، بعث ذلك الماضي كله ! ماضي الغرام
والزينة والبذخ ! ماضي التصنع والخداع والغواية !
ماضي الرشاقة والفتنة بالحق وبالباطل ، ذلك الماضي
الذي لا يزال يحرك شعور الممثلة الشبخة ، ويهز
قلب العاشقة العجوز !
الزيات

في أصول الأدب

للدكتور أحمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على
أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه .
منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل
المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم
تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب
في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية
للرواية التمثيلية الخ الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثنه ١٢ قرشا

ثم أجلسني بجانبها وجمعت قائلة :
ذلك ما يبعث الأسف والأسى على الحياة .
ولكنكم لا تفكرون في شيء من ذلك يا رجال
اليوم .. إنكم مالبون وعمليون وتجار وسامسة !
حتى الحديث إلينا لا تحسنونه ولا تعرفونه . وإذا
قلت (نا) أردت الشواب الكواعب .

لقد أصبح الحب في رأيكم علاقة تبتدى في
الكثير الغالب بحساب الخياطة ، فإذا وجدتم
الحساب أغلى من المرأة قطعتم ؟ وإذا وجدتم المرأة
أغلى من الحساب دفعتم .

صدقة ظريفة ... عادات طريفة !

ثم أمسكت بيدي وقالت : أنظر ! فنظرت
فإذا بمنظر عجيب يشده الفكر ويذهل الخاطر :
هناك في طرف المشى وفي ضوء القمر أقبل فتى
وفتاة يتهاديان وقد أخذ كل منهما بخصر
الآخر . كانا يمشيان هوائاً على الشريط الفضي
فتتعاقب عليهما أضواء القمر وأظلال الشجر . وكان
الفتى في لباس من الدمقس على طراز القرن
الماضي ، وعلى رأسه قبعة مראشة بريش النعام .
وكانت الفتاة ترتدي حلة شمسية^(١) الدليل وقد ذرت
على شعرها الزرور الأبيض ، وصففته على نحو ما كان
يصنع الحسان في العهد الغابر . فلما صارا على مائة
خطوة منا وقفا في وسط المشى وأخذتا يتعاقبان
على أرق ما يكون الغزل والعناق بين عاشقين

تفرست في الحبيين فإذا هما الخادمان : الغلام
والجارية ! وحينئذ استخفني الفرح ومادني السرور
حتى التوى جسمي على المقعد . ومع ذلك غلبت
رغبة الضحك كما يغالب الجريح رغبة الصياح فلم

(١) ذيلها على شكل المظلة

عائدة

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

في مدرسة للمعلمات ،
وحملت شهادتها أو
أجازتها ، وقعدت
في البيت ، فقد كانت
حالتها حسنة لا تحتاجها
إلى العمل لكسب
الرزق ؛ على أن هذا
لم يكن خليقاً أن يمنعها
أن تشتغل بالتعليم لولا
أن « حمودة » خطبها

فآثرت الزواج . ولم يكن يعرفها أو تعرفه قبل
الخطبة ، ولكنهما بعدها تحابا — على الأيام ، فقد
كان حمودة شاباً حديث العهد بالوظيفة ، وكان فيه
حرص وتؤدة ، فاكتفى بالخطبة ، وتمهل حتى يعد
نفسه لحياة الجديدة ويدّخر ما يعمده لازماً لها ،
ومن أجل ذلك كفّ عن التدخين اقتصاداً في
النفقة ، وانصرف عن غشيان المقاهي والاختلاف
إلى دور السينما ، وكانت تلك متعته التي لا يكاد
يلتمس سواها . وكانت أناته تثقل أحياناً على عائدة ،
ويشق عليها طول الانتظار ، وتصبو إلى الانتقال
من بيت أبيها إلى بيت زوجها ، وتجادل حمودة ،
وتشعر أن جسمها كله ينتفض من قوة الحنين إلى
تلك الحياة الجديدة التي كانت تحلم بها وتخيلها منها
صور من التبع واللذات غامضة غير جلية ،
ولكنها متع بحسها سلفاً بالخدر الذي في أعضائها
والفتور الذي يعتريها حتى لتكاد ساقاها — من
فرط الاختلاج — تعجزان عن حملها . وكانت
ربما شعرت بالنفور من حمودة لثقل ما يكافها من
الصبر ؛ وكانت تقول له أحياناً إنه لو كان يحبها كما

كانت « عائدة » تعرف « شبيحة » من خطيبها .
وكان بيت شبيحة هذا مقابلاً لبيتها ، فكانا يتبادلان
التحية والسلام ، وكل منهما في شرفته ، أو نافذته
ولكنه لم يكن يزورها ، وإن كانت دعتة مرات
إلى « تشریفها » . وكان يشتهي أن يجيب الدعوة
ويوثق الصلة ولكنه كان يصد نفسه لعلمه أن
أهلها محافظون ، وإن كانت هي فتاة عصرية . ولم
يكن أحد يعرف ما عمل شبيحة ، فقد كان رجلاً
كتوماً ، قليل الكلام ، طويل الصمت ، يكتفي
بالإشارة إذا أغنت عن الكلمة ، وبالنظرة إذا
كانت حسبه بلاغاً ؛ فإذا بدا له أن يتكلم أوجز
ولم يسهب ، وضرب في كل حديث إلا نفسه
وحياته وعمله . وكان يغيب عن بيته — أو شقيقته —
أياماً ثم يغود ، ولا يسأله أحد أين كان ، أو ماذا
كان يصنع بنفسه ؟ وكان أكبر الظن به أن له
ضيعة يتعهد بها . وكان مديد القامة ، عريض الألواح
وفي عظام وجهه قوة ، وفي نظره — حين
يطيلها — حدة ، ولكنه مع ذلك كان سمحاً ،
حلو الابتسام ، وظريفاً جذاباً — حين يشاء
وكانت « عائدة » قد أتمت دراستها ، وتخرجت

صبيحة الجوع وتذاء الصبوة وصرخة اللهفة ،
وحدث نفسه أنها قادرة على إسعاده وأن حسبها أن
تقول له إنها قانعة بأن تظل خطيبته حتى يأتي في رأيه
أن يبنى بها . ولكنها لا تنفك تستعجله قبل أن يستوفي
عدته ، وبذلك تسلبه السكينة التي هي كل مناه
من الدنيا

وكانت أم عايدة ترى هذا وتدركه ، فيسرها من
حمودة أنه رزين غير طياش وأنه يريد أن يوطد
القاعدة قبل أن يرفع البناء ، ويستوثق من متانة
الأساس قبل أن يفرح بملو الجدران وتفتح النوافذ ،
ولكنه كان يؤلها ويقطع قلبها أن ترى على وجه
بناتها آيات الحركات التي في أحشائها ، وكانت تحدث
نفسها أن السكينة بعض ما يفيض الحبيب على نفس
حبيبه ، وأنها هي آتت زوجها الروح بحبها له ،
وأفرغت على قلبه السكينة الموموقة ، ولكنه لاحيلة
لها ، فقد أحبت عايدة خطيبها ، فلو طلبها ألف ،
كلهم خير منه ، لما رضيت بواحد منهم . ولا خوف
من البطء في الحقيقة ، فان حمودة جاد لا يهزل ،
ووفى لا يخون ولا يغدر ، وعاقل لا يطيش ، ولكن
بناتها ، هي بناتها ، وليس يسعها إلا أن تتألم لها

وكانت عايدة تلتقي شبيحة في بعض الطريق أحياناً
فتسير معه مسافة ، أو تركب معه الترام ، إذا كانت
غائتاً واحدة ، فكان يحز في نفسها ويسخطها عليه
أنه لا يزال يسألها كلما قابلها : « امتي الدخلة إن شاء
الله ؟ » وكانت تراه يبتسم فيكبر في وهما أنه يتهم
ويسخر ، فتثور نفسها وتعود لا تدري على أي
الرجلين سخطها أشد ونقمتها أحمى : على حمودة
الذي يكلفها ما لا تطيق من الصبر ، ويعرضها لهذه

(٢)

يزعم لا أطلاق أن يفطم نفسه عنها هذا الفطام ،
ولكنه كان - في كل مرة - يستطيع أن يفي
بها إلى السكون والرضى والاقتناء

ولم تكن تشكو هذا إلا إليه ، ولكن أمها
كانت تنظر إليها فتدرك - بلا حاجة إلى البت
والشكوى - أن بنتها تحرق نفسها . وكان حمودة
يقضي السهرة في بيت عايدة أحياناً ، ويتعشى مع
الأسرة ، وكان يجلس إلى المائدة أمام عايدة ، فأما
الأب فكان يكب على الصحن ويشغل بالطعام عما
عداه ؛ وأما الأم فكانت عينها لا تزال تنتقل من
حمودة إلى عايدة ، ثم ترد من عايدة إلى حمودة ،
فكانت تراها تنظر إليه ، ولا تكاد تحول عينها عنه
كأنها تريد أن تأكله بلحظها وتلهمه وتجمعه يتسرب
- من عينها - في كيائها المتوقد ، وروحها
المتلهفة . أما حمودة فلم يكن في نظره أكثر من
السرور الهادي والاقرار الرزين بما رزقت من قوة
الجذب وحلاوة الطباع ، وكان على يقين من حبها
له ، فكان الصبر لا يثقل عليه . ولا نكران أنها
كانت تزججه بالحاحها ولكن طبيعة الحذر كانت
تدفعه إلى المقاومة واتقاء العجلة . وكان همه من
حياته رضى القلب وراحة النفس والاطمئنان ،
فطلبه السكينة الهيمنة لا النشوة ، وما أخطأه السكينة
المنشودة قط إلا حين ضغطت عايدة كفه ورفعت
إليه وجهها ، وقد استدارت شفتها كأنما تنهيا
للتقبيل أو تدعوه إليه . ولم يرض عن نفسه ولا عنها
حين أحس بالاضطراب الذي أحدثه له هذا ، فصار
بعد ذلك يعالج أن يخفت ألسنة الهوائف في نفسه
ويسكن الضجة التي قامت فيها ، وحرص على اتقاء
لسها ، وعلى لفت وجهه عنها كلما رأى في عينها

وأراها كل ما يرى ، وأنفق عن سعة ولم يضمن بشيء ، ثم تركها مع أترابها على موعد ودار بنفسها وهي تؤوب إلى البيت أنها لو كانت مع حمودة ، لأوسع قدميها إحفاء ، ولكانت حقيقة أن تخرج من مدينة الملاهي وفي نفسها منى كثيرة . والفاقة ليست عيباً ولكنها على كل حال ضئيلة وضيق . وفي الناس كثيرون أغنى من شيخة ، ولكن شيخة والحق يقال - كذلك حدثت نفسها - كريم سمح . وما أحلى كلامه وأعذب حديثه ، بل ما أحلى صمته وأبلغ نظره ! ولكن الواحدة تشعر بالاطمئنان حين تكون مع حمودة ، ويشيع في نفسها الرضى ، مهما بلغ من شدة الصبوة . أما شيخة - وارتعدت عائدة وهي تناجي نفسها بذلك - فإني أحس وأنا أصعد عيني إليه أنى كالمصفور الناظر إلى الحية .. مرعب .. مرعب .. وطاف برأسها أنها لا تستطيع أن تقاوم تأثيره في نفسها إلا إذا كانت بين الناس ، ولقد وسعها أن تزجره في « المدينة » ولكنها واثقة أنها ما قدرت على ذلك ولا اجترائت إلا لأن حولها من الناس بحر زاخر ، ولو كانت وحدها معه لما وسعها شيء وتكررت القابلات في « مدينة الملاهي » ، ولم يكن من هذا بأس ، لأن الشهر شهر رمضان وفيه يطيب السهر ، وهي على كل حال لا تخرج إلا مع جاراتها وصواحبها ، فلا اعتراض ولا ملاحظة ، لا من الأيوبيين ولا من الخطيب

وقال لها ليلة وهما خارجان من إحدى الملاهي « تعالي ... إن ممي الليلة سيارة فلندر بها دورة » ولم تر بأساً فخرجت معه ، وركبا السيارة وانطلقا بها وهي إلى جانبه ، وأقبل عليها يحدثها ويناجيها ويسرها ويضحكها ، كما لم يكن يفعل من

السخرية من شيخة ، أم على شيخة الذي لا تدري لماذا يسخر منها ويتهكم عليها ؟ ما شأنه هو على كل حال ؟ ولكنها كانت تراجع نفسها وتضبطها فما يليق أن تظهر الغضب لسؤال برىء في ظاهره ، ولا أن تكشف بالغضب عما تنطوى عليه من الألم ، فيعرف خبيثة نفسها ودخيلة صدرها

وقال لها مرة وقد التقي بها في « مدينة الملاهي » إلى جانب المعرض الزراعي : « ليتك تزوجيني ! إن حالي حسن ، وفي وسعي أن أمتعك بالدنيا وأجمل حياتك فيها رحلة جميلة »

فزوت ما بين عينيها وأغلظت له في الرد ، فلم ينهزم ، بل راح يقول :

« إنك تبدين شبابك ، وهو مع ذلك كل حظك من حياتك ... فتاة جميلة مثلك ، تشتهي ولا شك أن ترتدي أنفوس الثياب وآتقها ، وأن يكون بعلمها ذامال ، وخبيراً بالدنيا »

فقال له بحدّة : « وهل شكوت إليك نقصاً أو حاجة حتى تبندرنى بهذا الكلام ؟ »

فاعتذر وقال : « لا أحتاج منك إلى شكوى فإن لي لفراصة ، وأنا أعلم أن شيخة يمشی إلى غايته مشى السلحفاة ، ولو كان يقبل معونتي لأعنته ، ولكنه متكبر ... جداً »

فقال لنفسها إن حمودة يشعر بكرامته ويعتز بها ، وإنه جدير بالإكبار من أجل ذلك ، وإنها هي لاشك تعرف له قدره ، وإن كان يسوءها منه هذا البطل والتسويف

وعدل شيخة عن تحريضها لأنه أحس أن هذا منه يستثير مقاومتها. وذهب يهمس في أذنها بكلمات الإعجاب ، وهاتيك في كل أذن عذاب ، وطاف بها في أرجاء هذه « المدينة » وأركبها كل ما يركب

وتغسل وتخدم ، ولا تتخطى عتبة ، وكان شيخه يغيب عنها أياماً ثم يعود ، ولكنه لا يتركها وحدها فقد كان في البيت حارسه الذي لا يغنى ولا يغفل ؛ ذلك الرجل الأشعث المنكر الهيئة والصوت ، وكانت عودة شيخه في كل مرة إيذاناً بمجيء زوار ، وكان الزوار هم لا يتغيرون ، وكانت إذا حضروا تلزم غرفتها ولا تخرج منها إلا إذا دعاها شيخه ، فكانت تقدم لهم الطعام — تضع أطباقه على المائدة — وتخرج ولا تثبت أو تتلصق ، ولكنه لم يسمعها إلا أن تسمع بعض ما يدور بينهم من الكلام ، فدهشت وتعمدت أن تسمع ، فعلمت أن هؤلاء شركاء يزيفون أوراق النقد ، وأن ههنا في البيت أدوات التزييف ، ولكنها في غرف أرضية ، تذكرت أن الحارس كان لا ينفك يصددها عن الانحدار إليها أو الاقتراب منها ، وعرفت أنهم يحملون ما يزيفون ويوزعونه على أعوان لهم يسافرون به إلى الأسواق في الريف ، وهناك يحتالون حتى يتخلصوا منه ، ثم يعودون بالأوراق الصحيحة ، ويجمعون فيقتسمون وهكذا ...

إذن شيخه عزيز أوراق ، وهذا عمله ! وقد وقعت في حبالته ، فقدف بها سجنتها على الأصح — في هذا المنزل المنقطع ! وأبوها وأما ... وليس لها من الدرية سواها ... وحودة ... ماذا ترى صنعوا ؟ وكانت في أول الأمر تبكي بأربع ، فلما مضت الأيام صار لها أن تهرب وتعود إلى أهلها ، ثم خطر لها أن الرجوع صعب بعد الذي صار إليه أمرها مع شيخه ، وكانت لا تزال تجهل حقيقة ، فقالت لنفسها إن هذه قسمتها ولا حيلة لها تعرفها ، فخير لها أن توطن نفسها على الرضى بما كتب الله عليها . ولم يفتر جها لجمودة ، ولا ضعفت صبرة نفسها إليه

قبل ، فإن كلامه في العادة — على عذوبته — قليل . ولم يكن بالها إلى الطريق ، بل كانت عينها على هذا الرجل الغريب الذي يفرعها ، آنا ، وآونة يرقصها بعذوبته ولينه ، وإذا بالسيارة تقف فجأة أمام بيت منقطع

وقال لها « تعالى »

فنظرت فلم تستطع أن ترى شيئاً ، فقد كان الظلام دامساً ، ولا مصاييح هناك ، فسألته : « أين نحن ؟ »

فلم يزد على أن قال « تعالى ... سترين »

وتناول يدها وأزلهما من السيارة ، ودخل بها البيت ، وكان في دهليزه مصباح بترول صغير مثبت في الحائط بمسمار ، فمشت أمامه ، وخرجت من الدهليز إلى غرفة رحبية ، في وسطها مائدة فوقها مصباح كبير يتدلى من السقف ، وحوطها كراسي من الخيزران ، وتحتها سجادة كبيرة عتيقة ، وإلى اليمين « صفة » عليها شمعدانات وتحتها مبايل الحائط حقيية

وصفق شيخه ، ففتح باب ودخل رجل أشعث منكر الهيئة والصوت ، أوقد المصباح وأشار إليه شيخه فخرج ، وما لبثت عائدة أن سمعت صوت السيارة ، فكاد قلبها يقف من الرعب ، ورفعت عينها إلى شيخه وهي واجفة ، فأوماً إليها فمشت أمامه إلى حيث أشار ، وعينها عليه كأنما كان يجذبها إليه ، وفتحت الباب فإذا وراءه سلم فعاد يومي إليها بعينه وحاجبيه أن اصعدى . ففعلت وهي لا تعى وعرفت وهي تنحط على كرسي في الغرفة التي مضى بها إليها أن هذه هي النهاية !

لبثت في هذا البيت شهوراً تطبخ وتكنس

وحينها إلى السكينة والأمان والدعة والرضى في ظله ، ولكن شيخة كان قد استولى عليها ، وإن لم يستول على نفسها ، فلما تبينت أن هؤلاء مزيغون فزعت وأيقنت أن المسألة قد تغير وجهها ، وأن السجن هو ما لها لا محالة عاجلاً أو آجلاً . ولو اقتصر الأمر على مقامها في بيت شيخة لبقى لها أملها ، ولكن التزييف ؟ ... أى أمل لها الآن في اتقاء الفضيحة والعار والسجن جميعاً ؟ وأهلها المساكين ؟ خير لهم أن تموت ... سيكون ساعة .. أو شهراً ... أو شهوراً ثم يتعززون !

وطال إطراقها وسهومها وتفكيرها ، وكثر أرقها ، ولكن شيخة لم يكن يباليها أو يعبأ كيف تكون . وبحسبه منها أن تقضى حاجته ، وأن يقضى منها لباناته ، بل لقد صار يبدى لها الملل ولا يتقى أن يظهر الضجر ، وسمعت عائدة أحد زواره يقول له مرة :

« عائدة فتاة طيبة »

فهز شيخة رأسه أن نعم ، ولم يقل شيئاً فقال الرجل : « لقد عرمت كما تعلم أن أكف اكتفاء بما حصلت ... فهل عندك مانع من أخذ عائدة ممي ؟ »

فتنبه شيخة وقال : « إيه ؟ »

قال الرجل : « إنها فتاة ، وقد أخلصت في الخدمة فيحسن أن نبعد بها عن هذا كله » فقال شيخة : « آه ! هذا ماتعنى ؟ لا بأس ... متى شئت »

فكادت عائدة تصعق ، وماذا بعد أن تصير هكذا ... يملها رجل فيرميها إلى آخر ؟؟ وانتوت أن تتخلص وتنجو بسرعة

واستطاعت بعد عناء أن تمر على ورقة بيضاء وقلم تخط به ، ثم طوت الورقة ، ولم تزل تحتال وتتحين غفلة من الحارس حتى خرجت ، وسألت أول غلام صادفته عن الحى الذى هى فيه - فما كانت تعرف أين هى - ثم أضافت العنوان إلى مافى الورقة ، وشبكها بدبوس وكتبت عليها عنوان خطيبها وأنقذت الغلام قرشين - فقد بقى معها ما جاءت به من مدينة الملاهى - واستحلفتها أن يرى الورقة فى أى صندوق للبريد ، بطابع أو بغير طابع ، سيان ؛ المهم أن تلقى فى الصندوق والسلام وعادت إلى البيت وهى مشفقة أن يكون الحارس قد فطن إلى خروجها ، وشاء الحظ الحسن أن يكون شيخة وزملاؤه غائبين عن البيت . ولا شك أن شيخة يذهب فى هذه الأيام إلى شقته تلك أمام بيتها ، فيأمر أجراًه ألا يدركه عطف عليها حين يطل من نافذته ويرى شقة أبويها ، وتقع عينه على أحدهما ؟ أو حين يلتقى بخطيبها ؟ وماذا تراه يقول لمحودة حين يشكو إليه اختفاء عائدة ؟ وماذا عساه يقول ؟ كل شيء بالطبع إلا الحقيقة ؛ ومن المحقق أنه ضللهم جميعاً وهو يتظاهر بالاشفاق عليهم ويتبرع بمعونتهم ! وهل ينتظر إلا هذا من مثله ؟

ومر يومان كادت تجن فيهما ، وكانت إذا دخل الليل ، تصعد إلى غرفتها وتجلس إلى النافذة وتحاول أن تنظر من ثقب الشباك ، وأن تخترق بعينها أسداف الظلام ، وكان النوم يغلبها وهى قاعدة ، ثم تنبه وتنهض مذعورة ، مخافة أن يكون أحد قد جاء ، ومضى يائساً . فقد كتبت إلى حمودة أنها ستجلس كل ليلة وراء النافذة القبلية

وفى مساء اليوم الثالث ، وكان شيخة وإخوانه لا يزالون غائبين ، والحارس فى الغرفة التى يفضى

تستعد؟ «هل عندها شيء؟ وستلقى إلى رجل آخر... قبل أن ينقذها حمودة! حتى البكاء ممتنع عليها! وهل تعرف ماذا عسى أن يصنع بها شبيحة إذا سمعها أو رآها تبكي؟ أترأى يمكن أن يظن أن هذا من حبها له، ورغبتها في البقاء معه؟ وهل في وسعها الآن أن تضايقه وتظاهر بهذا لتؤخر رحيلها عن البيت؟

وإنها لنى هذا وما إليه وإذا بحركة عنيفة يرتفع إليها صوتها من تحت، فانتفضت واقفة، وذهبت تعدو إلى الباب، وتسمعت فعلت أن البوليس قد جاء - ولكن كيف دخل؟ لعل الباب كان مفتوحاً - وقبض على الشركاء، ورأت شبحاً يصعد درجات السلم، فارتدت راجعة إلى الغرفة، ووقفت تتلفت ثم توارت وراء ثياب معلقة على مشجب، ودخل الشبح ثم صاح «لا أحد» - واتشى راجعاً... فكاد قلبها يقف مرة أخرى، فقد كان الصوت صوت حمودة، فهل ترى كان يبحث عنها؟ وهل اعتقد أنها هربت قبل مجيئه، وأنها ليست الآن في البيت؟؟ لماذا لم تقل له إنها هنا؟...

وخلا البيت وساد السكون بعد أن مضى ألف عام فيما تحسب وهي واقفة وراء الثياب، فخرجت تمشي وانحدرت إلى الدور الأرضي، وبرزت إلى الفضاء الرحيب أمام البيت، ووقفت تتسمع ثم مشت في الظلام على غير هدى، فما كانت ترى شيئاً، ولم تكن تحس أو تدرك إلا أمراً واحداً.. أنها نجت من السجن، وليكن بعد هذا ما يكون...

وصافح سمعها صوت يقول «هسس! هسس!» ففرغت، وكبر في وهما أن هذا بعض القوم الذين ظنت أنها نجت منهم، ووقفت في مكانها لا تتحرك ولا تكاد تتنفس، فقال الصوت مرة

إليها الدهليز من الباب على عادته سمعت صغيراً خافتاً فحدقت في الظلام فلم تستطع أن ترى، فرفعت الشباك بحذر ورفق وأطلت فسمعت همساً: «عايدة.. عايدة» أنا حمودة! اسمي... هل هنا أحد؟
فهمست من فوق بصوت مبجوح: «لا... الحارس فقط»

فسأل: «متى يجيئون؟»
قالت: «غداً... أو بعده على الأكثر»
قال: «إذن لابد أن تبقى حتى يكونوا جميعاً هنا.. لا تخافى... يجب أن تبقى... سأعود... احذري أن تقولى شيئاً...»
فوعدت

فلم يزد على أن قال «مسكينة!» واختفى في الظلام.

وفي اليوم التالي كان الشركاء جميعاً محيطين بالمائدة، وعائدة تحمل إليهم الطعام، وفرغوا منه فالتفت شبيحة لها وقال:

«اصعدي، واستعدي للخروج»
فريعت، وخافت أن تخرج ويحییء حمودة فلا يجدها، وكيف يعرف بعد ذلك أين ذهبت؟ وكان لابد أن تخفي جزعها فتجلدت وقالت:
«أخرج؟»

قال: «نعم... لم يبق لك محل هنا»
قالت وهي تجاوره: «ولكني أفضل أن أبقى»
قال: «اسمى الكلام، ستمعيشين بعد الليلة مع خليل سامعة؟»

قالت بذلة «حاضر»
وصعدت، وقد أفقدها اليأس المفاجئ كل قدرة وسلبها كل قوة.

وأتقاً ، لما جئت مع البوليس أنك في البيت ، فلما
اعتقلوهم صعدت - متطوعاً - فلم أجد أحداً ،
ولكني شعرت بحركة خفيفة فأيقنت أنك مختبئة ،
فصحت : « لا أحد » وعدت مطمئناً وفي نيتي أن
أعود وحدي لأخذك ، ولكني وأنا عائداً سمعت وقع
قدميك ... هذه هي القصة ... »

قالت : « ألا تريد أن تسمع قصتي ؟ »

قال : « كلا ! إنها لا تعنيني ... حسبي أنني
وجدتك ... والآن قومي ... على فكرة ... لقد
رأيت أن الانتظار لا داعي له ، فهل عندك مانع من
التعجيل ؟ »

قالت : « يجب أن تعلم أنني عشت مع شيخة »

قال : « ألم أقل إنك كنت ضحية ؟ انسي هذا

يا فتاتي وتعالى ... » إبراهيم عبد القادر المازني

أخرى « هسس ! هسس ! » فلم تستطع أن تجيب
ودنا منها شبح ، فسقطت على الأرض مغشياً عليها

لما أفاقت عابدة ، ألقت نفسها راقدة على
الأرض ، وخدها على ساق حمودة ، فابتسم لها ،
« أحسن ؟ » ففكرت عيناها وجلست فقال لها :
« لما جاءني كتابك لم أخبر أحداً ، حتى ولا
البوليس ... أردت أن أهتدي بنفسى أولاً ...
وكان في وسمى أن أنقذك في تلك الليلة ، ولكني
أردت أن أقبض على المجرمين ، فكان لابد أن
تبقى كما كنت حتى لا يشتبهوا ، ويهربوا ...
وكنت أحرص على ألا يقبض عليك معهم ، ولهذا
لم أقل للبوليس شيئاً عنك ، ولكن القبض عليك
لم يكن يخيفني فإنك ضحية ، ولست شريكة ، وكنت

الجو العاطر الروح الجميل

في البقاع المطهرة

تمتعوا فيه بأطول وقت ممكن

وانتهزوا موعد الرحلة الثانية

يوم الأحد ٩ يناير سنة ١٩٣٨

على الباخرة

زمزم

العقارية التي يدفعها الأب عن النصاب الواجب أدائه لخزانة الدولة ، فمن الإرهاق له أن يجبر على دفع رسوم الدخول والامتحان فضلاً عن أثمان الكتب ونفقات الحياة .

وهب أنه باع الأرض لينفق ثمنها في تعليم ابنه فيصبح الشاب إذن أقل استحقاقاً للدخول ، لأنه ينحدر إلى طبقة المعدمين . وقال له أحد كبار الموظفين بسلاطير بوبوف مراقب التعليم العالي وهو يجادله ليقنعه بالعدول :

— تعلم يا كوبرنيك سيروفيتش ما أكنه لك من المودة والاحترام ، ولكن القانون هو القانون ؛ قد يكون قاسياً أو خاطئاً فالأولى أن نعمل على تعديله لا على نقضه وتحطيمه . فأجابه سيروفيتش : « حقاً إن نظر المرء ليختلف تبعاً للزمان والحوادث . أتراني يا جناب المراقب نائراً أو صاحباً محتجاً ، ما ذنب هذا الولد النابغ الذي نال شهادته بكده وجده ، يحرم من التعليم العالي لأن أباه ليس ميسوراً . إن النبوغ من نعم الله التي تهبط على المياسير والمعاسير على السواء

— هدى روعك يا حضرة مدير الأموال المقررة سابقاً — أترأه وقيد أتم تعليمه وهو على ما وصفت من الذكاء والفطنة ، ولم ينس أصله وفاقته وحاجة والديه ، فينشأ نائراً وينضم في غير وعي إلى صفوف المفتونين الحمقى الناقمين على نظام الدولة الراغبين في هلاكه وهلاكه ، فيقطعون معاشك ويمنعون مرتبي ويزاحمون أولادي وأولادك في معترك الحياة بما أوتوا من كفاية نادرة ، وهم لا يزالون ذوى أدمغة بكر وأذهان خصيبة لم تقض على تلافيها حياة الترف والرفاهية التي شئت بركة

بيع جزء من الأرض الموروثة ! وسافرت الوالدة والولد إلى بطرسبرج ونزلا ضيفين على قريب لهما كان فيما مضى مديراً لإدارة الأموال المقررة ، وحملوا إليه هدية حسنة من الدجاج والبط والفاكهة والبقول والزبدة والبيض فأحسن استقبالهما وأكرم وفادتهما واطمأن « الدثورنك »^(١) إذ علم أن الأم قروية من قرية سرجيوسنا وأن الشاب قادم للانتظام في صفوف الجامعة . فوفر على نفسه مشقة التجسس وتبليغ الشرطة خبر مقدمها ، واكتفى بضمانة الموظف القديم الذي أكد له أنهما لا يحملان في حقيتهما البريئة ديناميتاً ولا قنابل يد ولا مسدسات ولا منشورات ثورية ! ولكن مظهر الأم وما تحمله من أمارات النبل الموروث ووسامة الشاب حركت سلوكه وأيقظت وسأوسه فكان يهمس في أذن الموظف القديم كوبرنيك سيروفيتش : « إن كثيراً من الشرفاء الذين أفسدت أذهانهم كتب الساحر العجوز المقيم في « ايسانيا يوليانا »^(٢) قد يتنكرون في هيئة الفلاحين ليصرفوا عنهم ظنون الشرطة » ولا يهدأ باله إلا إذا قال له المضيف : « أنا ضامن لهما ، فهما من أقاربي ، وإن دماءنا لم يتطرق إليها الفساد ...

وسمى الموظف كوبرنيك سيروفيتش لدى أولى الأمر واستكتب الأم والولد عرائض الاسترحام . ولكن مساعيمهم ذهبت أدراج الرياح لِقِلَّةِ الضريبة

(١) بواب المنازل في بطرسبرج وموسكو في العهد القيصري — يجي الأجور ويراقب السكان ويتجسس عليهم للشرطة

(٢) هو ليو تولستوى

الغليان الذي لم يعهد في الشيوخ من أجل طالب
تريد أن تلحقه بالجامعة قهراً ومن هو الطالب ؟
وتناول في اهتمام يمازجه التهمك عريضة ابن الفلاح
وقرأ « جودار برافسكي ... من قرية سرجيوسنا

إحدى ضواحي سراتوف .. وهو بعد عاجز عن دفع
المضروقات خليق بأن ينقطع عن الدراسة إذا
انكشف سترأبيه بنزول أثمان القمح !! وما يق

إلا أن تطلب منا أن نعفيه من الرسوم ونجني على
خزانة الدولة جبا في سواد عينيه وتوقيراً لاضالة شأنه
فقال كوبرنيك وقد ملك زمام غضبه : خزانة
الدولة ؟ عفواً ! لم تصل بي الرعونة إلى هذا الحد ،
ولكنني حسبت ...

— كفاك حساباً فيما مضى ، وأنت تعلم أنني
لا أمل مجلسك ، ولا أكره حديثك ، لولا أن لدى
من الأعمال ... فيا حبذا لو شرفتنى فى منزلى (١٧)
برسپكتيف نيشكى) فنشرب معاً طاساً من الشاي ،
فى مجلس خال من الجدول

فتلقى كوبرنيك السهم بلباقة وأخفى الجرح الذي أصابه في الصميم ونهض في وقار وتؤدة قائلا :
— لا جرم أن نظمنا الاجتماعية والسياسية كالشجرة الكريمة النابتة قد آتت أكلها ، وأنت من خير ثمارها ، عم صباحاً يا سيدي . ولا تخش انتمائي إلى كبير تحوطني حمايته وتظلني رعايته في الأماكن العليا ، إذا حدثتك نفسك بأكل الحى أو السعى فيّ ، وإنما ورائي ماض في خدمة الدولة تنذك جبال الأورال ولا يندك ، وصحيفة ناصعة البياض لن تلوثها وشاية واش أو دسيسة دساس

وعادت الأم الحزينة إلى قرينها وقريتها تحمل اللوعة
(٣)

إلى تلك الأيام السعيدة التي قضاها في كنف أنيكين
صانع الآلهة على ضفاف نهر القوجا

وفي تلك الفترة تعرف جودار إلى اسبازيا
كورنولوفنا إحدى طالبات الجامعة في التاريخ
والاقتصاد وقالت له إنها ابنة مزارع في جزيرة القرية
ليس ميسوراً ولا معسوراً يعيش عيشة راضية بإيراد
سنوى قدره ألفا روبل قانماً بحظه من دنياه، يعتقد
أن السعادة لا تكون إلا لتوسطى الحال أمثاله الذين
لا يعرفون النعيم ولا يجهلون الفقر. وكانت اسبازيا
تحدث جودار أول الأمر عن مستقبل الانسانية
وسعادتها فلا يحرك ساكناً ولا تظهر على وجهه
علام التصديق، فكانت تمازحه في رفق ساخرة من
ارتياحه وشكه هازئة بضعف يقينه، فكان ينتزع
اليقين من سعادته بقربها، والنظر إلى عينيها الزرقاوين
المعقبتين فتأخذه النشوة ويستحوذ عليه السرور
كلما رآها وصافحها وسمع نبرات صوتها الحنون
المهادى. ولما تنبّهت فيه عواطف جديدة لم يعهد لها
وظن أنه أصبح لا يستطيع أن ينتعش إلا في صحبتها
دعاه في أحد أيام الربيع بعد الغداء إلى نزهة خلوية،
فقال له وهما يخترقان بستان إيفان وكاترينا: أراك
يادوشنكا^(١) تخفى عنى أمراً فتشجع فتكلم ولا
تكتم عنى شيئاً. فقال لها: أخفى عنك أنى أحبك حباً
يقصر عنه القول بحيث أهبك حياتى لو شئت.
فحدقت اسبازيا في محياه وأدركت من أثار الصدق
والاخلاص والحزم البادية عليه أنه جاد في قوله
فسكتت وأطرقت ثم تخيرا مقعداً خالياً فجلسا
عليه، وبدرته قائلة:

— وكيف تعلل هذا الشعور والاستعداد

(١) يا عزيزى

بين حنايا أضلاعها، وتخفى الهم الذى احتواها من
خيبة الأمل، وهي تعلم أن زوجها سوف يلقاها
بانتصار رأيه، ويتهمها بالغرور والتطلع إلى مكانة
أسمى من مكانتهم، فكان جزاءها أن تعود وما جنت
من سعيها إلا ترك الولد في البلد النأى غريب الوجه
واليد، أليف هم وغم ووحدة، وقد انحرف في سلك
« الخواجات » والسادة وهو ليس منهم فى شيء
سوى الهيئته والنظر، عليه أكثر مما عليهم، وليس
له مما لهم. وقال لها: « أى نفع لنا وله من العيشة
القاسية في وسط أولئك المرائين المتسترين تحت
ألف نقاب » كأنه يدرك نفاق العاصمة، ففهمت
معنى نظراته الشزراء وأدركت ما يجول بخاطره عنها
ولكنها لم تملك أن ترد غضبه أو تقلل من شأن
انتصاره، فقد شعرت بالضعف والعجز بعد أن رأت
خططها الجميلة ومشروعاتها الرائعة لم تتعد دائرة
خيالها. وهما هي ذى قد تلاشت أحلامها البراقة
واضمحلت أمانها الذهبية. ولكن أوجستا سيياشنا
لم تكن تنهزم حيال بعلمها الظافر، فهي تعلم أنه تأثر
واستاء، ولم ينطق بما قاله إلا ليثير حفيظتها وأن
يحنقها فتم له ما أراد

ولما كانت مصلحة الأموال المقررة في حاجة
إلى الجباة والمحصلين في مواسم العام التي تكون مظنة
لرخاء المولدين ودافعى الضرائب، فقد سعى كورنيك
في تعيين جودار في وظيفة بديوانه القديم، وعمل
الرئيس بوصية كورنيك على جودار فصار جانياً
يدور ويلف ويحصل ويجمع من الصباح إلى المساء،
فلا يعود إلى وكره إلا وقد خارت قواه واضمحلت
إرادته وشعر بهوان النفس وضعف البدن فيتهالك
على فراشه حزيناً يائساً، وهو يئن من الألم ويحن

للتضحية وأنت متبرم بالحياة ناقم عليها كما علمت منك ؟
فقال لها : العلم عند ربى فقد يغفل الزمان مرة
فى الدهر واحدة عن التشكيل بى ، وقد تبسم لى
الأقدار بسمة ولو سهواً .

قالت : أرضاها وتقنع بها ؟

قال : نعم

قالت : ولو كانت بسمة التهم والزراية ؟

فقال لها : على رسلك

قالت له : ألم تكن لك صديقة صغيرة فى قرينك ؟

قال : كلا . لم أعرف النساء قبل أن أرد هذه

العاصمة فقد قضيت ساعات فى رفقة غانيات

رعناوات لم يكن للقائهن من بد ... فأرخت عينها

وقالت :

لقد تركن حتماً أثراً عميقاً فى نفسك الفتية

يا دوشنكا

فقال : كلا ، فقد كنّ غانيات طائشات لاهم

لديهن ولا حساب للغد ، لأنهن لا يعشن إلا للساعة

التي هنّ فيها ، وطالما سمعت منهن قولهن السخيف

الفاتر : « ساعة الحظ لا تُعوّض » فكنت أشمئز

وأقترز وأهم بتركهن حيث كنّ جالسات أو متكئات

صاحيات أم مترنحات

فألت اسبازيا على صاحبها نظرة فاحصة متمهلة

كانها تدرسه عن كذب

فقال لها : ولكن لماذا تريدن منى هذا الاعتراف

الذى لا طائل بعده ؟

فقالت : لا شىء ألبتة يا دوشنكا . لا شىء ألبتة ،

وصممت .. وكانت نفس جودار تحذره بأن اسبازيا

تعلم علم اليقين فيم يفكر ، وماذا وقع له فى خطوته

الأولى نحو الشباب ، ولعلها بعد أمه التى ولدته أدرى

الناس به وأخبرهم بطباعه ، ولقد فهم معنى نظراتها
وأدرك ما يجول بخاطرهما وتوهم أنها تفتح قلبها له
فقال : أية سعادة تغمرنا بفيضها الساحر إن
صدق ظنوني ؟

فقالت : وما تلك السعادة التى تنشدها وتؤمل

أن تغمرنا بفيضها الساحر ؟

فقال لها : لماذا لا ننعم بتلك اللحظة السامحة ؟

فضحكت ضحكة عجيبة وقالت له :

— أراك تتعجل اللذات يادوشنكا ولا تحسب

للمزلة والصحبة البريئة حساباً ، والمرء فى ريفنا

ينشأ على ما عوده أبوه !

فاحمر الفتى خجلاً واضطرب قلبه وود لو تنشق

الأرض فتبتله فتريحه من الحياة ومتاعها وضآلة

أمله فيها ولا سيما بعد هذا الحب الضائع والهفوة

التي وقع فيها وقال :

— عفواً يا آنسة ! إن احتمال إقبال السعادة على

أقلقلنى فذهلت عن نفسى

فقالت له : لا تعجل ولا تدعنى آنسة فلا أزال

اسبازيا التى تعرفها وتود أن تبقى على مودتها — فبلغ

ريقه واطمأن — ولكن قل لى : لماذا لم تدخل

الجامعة وأنت على ما أرى من ذكاء وفطنة ؟

فروى لها تاريخ حياته المومع ، ووصف لها

مآعانه والداه فى تعليمه ، وما تجشمت أمه وقريبه فى

سبيل تحقيق آمالها فيه .. فقالت له :

— ليست الجامعة بالمكان الوحيد الذى يطلب

فيه العلم ويبحث بين جدرانها عن الحقيقة ، ولعلها

آخر مكان يسمى إليه أمثالك لتكوينهم رجالاً

خصوصاً فى بلادنا هذه وزمننا هذا ، ولعلها تكون

أداة تعطيل ورجنى

قال لها وقد فتحت عيناه من الدهشة :

— أين يكون إذن ذلك المكان الذى يتكون فيه الرجال ؟ وإن كانت الجامعة على ما وصفت فما علة الإقبال عليها ، وإقبالك أنت خاصة ؟

قالت : البعض يلتمسون الإجازة التى تفتح لهم أبواب المناصب العليا ، والبعض يلتمس وسيلة للعمل المنتج وهو تعليم الشعب

ومن تلك الليلة صحبته إلى حى بتروفنا فيما وراء النيفا وهو حى العمال والمصانع ، وقادته إلى بيت صغير فبدلاً بثيابهما ثياب صفار الخبازين والعجائين ، فكان من رأهما داخلين لا يعرفهما بعد أن تزيا بزيمهما الجديد . ثم أخذا يجوسان خلال الحارات الضيقة القذرة والأزقة الحالكة الموبوءة حتى بلغا بناية كانت مصنعاً كبيراً أمسى مهجوراً ، وقد اكتظ بمئات العمال يستمعون إلى خطيب فى ثياب راهب ؛ وكان الراهب نحيفاً خفيفاً أجرد أمرد لا شئ فيه غير عينيه كالشعلتين المضيئتين ، وكان صوته كأنغام الكان يوقع به أنغاماً تارة شجية مبكية وطوراً مثيرة مهيبة

وكان الخطيب يقطع من جبل البلاغة ويصوغ من جواهرها ، يفيض تارة كالنهر العذب الفرات وطوراً يهدر كالشلال الرهيب ، يترشح ويميل كقصب السكر بمهب الريح ، وكأنه يطرب لما يقول كأنبع المنشدين ذوى الأصوات اللعلاء والفن الرفيع . انتشى جودار أولاً ، ثم زاغ بصره ، ثم سكر وراح يردد فى نفسه معاني الخطبة الرائعة بمبارات تكاد تكون من ألفاظه وصياغته ، ولم يعد عليه شئ غريباً ، فهذه حياة الفلاحين بصفها الراهب ويجيد ،

وحياة اللهو والغرور ينظمها فى در نضيد ، وتلك صورة اليأس والقنوط التى خلعتها السادة على العبيد ، وهذه صور كل واحدة أفتن من الأخرى للمستقبل السعيد . وكان يتنفل بسامعيه الذين صاروا من تابعيه - من وصف جسيم الحياة حتى ليشمر جودار بحر أوارها ويرى حمرة شررها ، ثم يغرى بوصف جنات الدنيا ، حتى ليتخيل جودار أنه وإسبازيا يلهوان فى أرجاء حديقة فيحاء ويقطفان الأزهار من بين الحشائش المخضلة الندية

ثم انفرط عقد الاجتماع وجلس الخطيب فأقبلوا عليه محتضنونه ويقبلون يديه ويبللون مسوحيه بدموعهم الحارة ، ويركع بعض النساء المعصيات تحت أقدامه ولولا خشية الله لعبده ؛ وكان جودار قد بلغ أعلى درجات التحمس ، ولكن حيائه وكبريائه عاقاه عن مجازاة الجمهور فى اندفاعه وقنع بأن قال لها : « ما هذا الذى رأينا وسمعنا ؟ »

فقالت له : هذا صوت المستقبل یرن فى أذنيك ليوقظك كما أيقظ هذه الألوف من الضحايا المستغرقة فى النوم العميق . فقال لها : وكيف السبيل إلى الاقتداء به وبلوغ شأوه فى الفصاحة والمعرفة ؟

قالت : سهر الليالى أو القراءة والاستنقاع فى تلك الينابيع الفياضة بماء الحق الصافى

وفى الغداة قالت إسبازيا لجودار : إن كنت ترغب فى تذوق هذه الحياة الفاتنة وتقصد إلى مشاركتنا فى العمل المنتج فما عليك إلا أن تغير حياتك ، وأن تعيش عيشة مزدوجة ، فأنت فى عملك نهراً وتبعث فى الليل رجلاً آخر . فلما قبل نفحته بجواز مزيف يحمل اسماً جديداً يعرف به فى أطراف الليل وجزءاً من النهار ، وهو اندوماك نوقالوف ، فصار يغشى محافل

الحركة ، ويلتهم الكتب التهاماً ويواصل العمل ، لا يعمل ولا يضجر ، فتجددت حياته وخلع رداء الماضي وصار كالجواد الكريم الذي يقصد إلى اتجاه واحد لا يحيد عنه يمنة أو يسرة محمولا على أجنحة من حب الفوز والتحمس للنصر ، يستنشق ريح الأمل الذي يحدوه ، ويبقى في يد اليأس تراب الماضي الأليم . وكانت بطرسبرج في فجر القرن العشرين قد استيقظت فنهضت كالغادة الحسنة ، تنفض عن كاهلها غبار سهرة الليلة البارحة ، وأنجحت نفوس الشباب من كل جنس ولون ودين وطبقة إلى العلم . وعند ما فتحت الدوما أبوابها للزارعين فكر جودار في الاستقالة من منصبه الصغير ، ولكنه تمهل وقد اشتهر في الأوساط الثورية باسمه الجديد « اندوماك نوفالوف » ولكن لم يقف على سره أحد غير فتاته المخلصة التي جمته إلى الزعماء والقادة ، وكانوا هم أيضاً يحملون أسماء مستعارة مثله ؛ وأظهر اندوماك نوفالوف كفاية في التنظيم وقدرة فائقة على خدمة وطنه ، وامتدت إليه الأيدي بالعمولة واشترأت نحوه أعناق الطامحين والمعجبين ، وطلب إليه أن يستقيل من وظيفة التحصيل والجباية التي كان يشغلها في مصلحة الأموال المقررة لينقطع للعمل القوي فيتيقنه ، وأصبح لا يسمع أحداً يناديه باسمه القديم . وعند الانتخاب العام صار نوفالوف في مقدمة المرشحين لمجلس الدوما عن حي يتروقتا وهو حي الخبازين ، وفاز بلا منازع . فقد كان ناخبوه سامعيه ومريديه وأصدقائه الذين يلتفون حوله في الغداة والعشي . وعند ما ألقت الوزارة رشحته حزب « برايدا تراسكوييا ^(١) » وهو الكثرة

الغالبة ، لوزارة المعارف ، فحمل « محفظتها » وفاز بكرسيها المرموق من فطاحل الرجعيين بعين الجشع . ودخل قصر الوزارة ، وجلس في القاعة التي تربع في دستها باديف ومستولين وسميرنوف وجوجو لوقتش ^(٢) وكلهم كونت أوبارون . فكان أول همه أن ألنى القرار الذي يحرم أولاد الفلاحين من دخول الجامعة لعجز النصاب ؛ وكان عليه أن يجدد شباب التعليم ويبدل نظمه البالية ، فأكب على العمل ليل نهار واتخذ مقره ومسكنه ومثواه في الوزارة لا يغادرها ولا يبارح مكتبه إلا لمرقده . وفي إحدى الأمسيات الهادئة اتخذ طريقه إلى سيزاك تويلاي ^(٢) إزاء پرسكتيف نيفسكي ، حيث يقطن قريبه الشيخ كوبرنيك سيروقتش ، ولما استأذن على رب البيت استقبله في دهشة قائلاً : « جودار يا ولدي العزيز ! أين أنت ؟ لقد قطعنا ولا ذنب لنا إلا عجونا في السنين الخوالي عن إلحاقك بالجامعة ، ولكنك رضيت بوظيفتك ، وقد أقعدتني الشيخوخة عن متابعة السعي ، فقال جودار : — لا عليك يا عماء فهذا تاريخ قديم نسيت ، ولم أقعد عن الدرس والطلب ... حتى ... وقطع عليه الحديث دخول هورين الولد البكر ، ولم ير جودار منذ بضع سنين فقال له : — دعني أُنظر إلى وجهك يا ابن عمتي ما أشبهك بنوفالوف وزير معارفنا الجديد ! وخرج ثم عاد مسرعاً ويده « جازيت بورصانيا » وفيها تصاوير الوزراء الجدد ... ووضعها تحت عيني والده ... فابتسم الشيخ وقال :

(١) من وزراء المعارف السالفين

(٢) شارع في بطرسبرج

(١) الحق الصراح

فأخذ يحرق الأرم غيظاً ويعض بنان الندم آسفاً ،
ثم نهض وودع وانصرف . وفي اليوم التالي دعا
سيروقتش ليلقاه في تمام الساعة الثانية عشرة في
قصر الوزارة .

ولم يدر الشيخ سبب الدعوة ولكنه حافظ على
موعدھا ولبس أنفريابه واستأذن على الوزير فأحسن
استقباله ، ولكن عيني كوبرنيك جحظتا وفيه فغر
من الدهشة عند ما سمع صوت الوزير أندوماك نوقالوف
ولم يمالك أن سألہ : سيدي الوزير ... أتعرف شخصاً
اسمه جودار برافسكي ؟ فدنا جودار منه ، وقد خشي
على عقل الشيخ وحياته وقال له :

— فلنفترض يا سيدي المدير السابق للأموال
المقررة أن جودار برافسكي وأندوماك نوقالوف علما
على شخص واحد ، فهل كنت تفرح وتغتبط وتقبل
شكرها أو شكره وتكتم سرها أو سره ؟ فنهض
الشيخ مرتجفاً ، وهو يهمس : ولدي ! ولا هدا روعه
قال له جودار : الآن سأنتقم لك وأخذ بشارك ،
وأظفرك بعدوى وعدوك

ودق الجرس ، وطلب إلى كاتم سره أن يدعو
إليه مراقب التعليم العالي . ودخل الموظف القديم
سلاثير بوبوف يجر أثقال السنين ويحمل أعباء اللحم
والشحم ، وحيث وقف منتظراً .

— يا جناب المراقب . أقدم اليك السيد كوبرنيك
سيروقتش . ففتح الرجل عينيه ورحب به مطمئناً
إلى رجل من العهد القديم

وأذن الوزير للموظف بالجلوس قائلاً :

— لك أن تجلس . فقد ألغيت النظم القديمة ،
ونحب أن نأتي على التقاليد البالية دفعة واحدة .
ومن هذه التقاليد وظيفة المراقب على التعليم العالي ،

« عند رعايانا التتر والتركان مثل ينطبق على
هذه الحالة » لقد خلق الله في كل بقعة من الأرض
أربعين شخصاً على صورة واحدة ، وليست وزارة
المعارف بكبيرة على ابن عمك ، لو أنه وفق إلى دخول
الجامعة ، أو دخل من « الباب الخلفي » ثم خفض
صوته هامساً : « باب الثورة والدوبا ... » لو أنه ظفر
بلقاء الأب جايون^(١) وخطب في الجماهير . ولكن
لا عليه ، فإن الدهر لم يساعده . أف لهذا الوغد
التكبر سلاثير بوبوف الذي كان مراقباً للتعليم العالي
إنه خنوص خبيث ، يدافع عن الطبقات كائنها بنات
خالته ، ويقصى الفقراء عن مناهل العلم كما لو أنهم
يخطفون من بين يديه صحن البورش^(٢) الذي يتجرعه
ويسد به نهمة !

فقال جودار وقد امتنع لونه : أظن هذا الرجل
لا يزال مراقباً للتعليم العالي

فقال الشيخ كوبرنيك : حتي في عهد هذه
الوزارة الثورية . إنه لخرق في الرأي وخضوع للظلم
ورجوع بالعلم إلى العصور المظلمة ، واستسلام
للرجعيين

فقال ولده هورين : من يسمعك لا يشك في
أنك تأثر مع أنك قضيت معظم عمرك المبارك في
الطاعة المطلقة . فتهدد الشيخ حتى اهتز صدره وقال :
آه لو عرف الشباب وآه لو قدر المشيب !

وكان جودار يهم أن يروح بحقيقة حاله ،
ولكن الليالي والأيام علمته الكظم والكتمان
ولما بدأ يشرب الشاي تذكر والديه وخصمه

(١) راهب سياسي خطب وكتب وثار ثم نال نقوداً
كثيراً حول سنة ١٩٠٥

(٢) نوع من حساء الحضر واللحم

بوبوف : هذا الذي قلته بالنص لصاحبي فهاج
وسخط وما زال يذكرها لي

الوزير : هبني وقريبك الشاب شخصاً واحداً
ولا تحقد على صديقك القديم . فانه لم يعرقل غير
ما أمر بعرقته . والآن يا سيدي المراقب على التعليم
العالي سابقاً ، أستودعك الله وأصافحك ، وإن كان
لديك قريب فقير لا يملك أهله دفع النصاب فرحباً
به لأن هذا القانون كما تعلم قد ألني قبل الاستغناء
عنه . وخرج الرجل

وقال سيبروفتش وهو يمانق قريبه : لقد بعثتني
من مرقدي

فقال الوزير : لي عندك مطلب وهو أن تستدعي
والدي وتكشف لهما في رفق حقيقة ماجري ، وأن
تتلطف بوالدي قبل أن تراني فأني أخشى عليها شدة
الفرح بولدها الذي حرم من التعليم العالي لأنه لم يكن
على شيء في نظر المحترم بوبوف

محمد لطفي جمعة

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالانجليزية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

فهي من اليوم ملغاة وزائلة . وعليك أن تذكر أنك
آخر من شغلها ولك أن تتمتع من هذه الساعة بكل
ما تمنحك الاحالة على المعاش الكامل من الراحة
والرفاهية ، وإن الوزارة لم تستغن عنك إلا على
مضض فقد كنت شديد الحرص على قوانينها
ولوائحها . فرد الشيخ كوبرنيك قبل أن يفيق
المعزول من دهشته : ولا سيما يا سيدي الوزير
حرمان نوابغ الشبان من الالتحاق بالجامعة بسبب
عجز والديهم عن دفع النصاب

فقال بوبوف : أذكر أن السيد سيبروفتش نفسه
وهو من أعز أصدقائي رجائي وألح في استثناء واحد
من هدم القاعدة ، وكان يظن الفتى نابغاً فخيبت رجاءه
لأن الشاب لم يكن على شيء ، فغضب صاحبي حتى
كدنا نشتبك في معركة ... ولا أظنه قد ندم على
عدم نجاحه في مسعاه

فقال سيبروفتش : لعلك لو قبلت رجائي لبقيت
في منصبك هذا من يدري ؟ ...

فقال بوبوف : لا أفهم ما ترى إليه يا سيدي
المدير السابق

فقال الوزير : من يدري ؟ لعل الشاب الذي
خفيت أمله كان في موضعي فيذكر لك هذا الصنيع
ولكنك تقول إنه لم يكن على شيء

فقال بوبوف : هذا احتمال بعيد التحقيق

الوزير : وما كان اسمه ؟

سيبروفتش : جودار . جودار برافسكي ياسيدي

الوزير من مقاطعة سراتوف

الوزير :

كنت طبعاً ياسيد سيبروفتش تسمى لتعليم شاب
واحد في الجامعة ولعله كان يجيب أو ينضم إلى

صفوف المتطرفين

صديقين ، وهما هي ذى
آصرة إلى آصرة ،
فطار إليه يبشره ثم
انطلقا معاً إلى الحقول
كعصفورين استشعرا
جمال الطبيعة في يوم
صاف من أيام الربيع
فراحا يدفان بجناحين
فيهما النشاط والسعادة

من صميم الريف

الجزء

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

وجاءت الزوجة الصالحة تشعر الفتى السعادة
وتسعد هي إلى جانبه ، وأغمض الدهر جفنيه عنهما
فرشفا معاً — على حين غفلة منه — كأساً من
السعادة صافية ما يكدرها خصام ولا يشوبها جفاء
وتصرمت السنون وهوبها حتى ...

وخرج عبد العزيز عند الأصيل — كما يفعل
بين الحين والحين — إلى شاطئ الغدير ، برقة
صديق جبيب إلى نفسه ، توثقت بينهما عروة
الصداقة منذ زمان على رغم ما بينهما من تفاوت
فبعد العزيز من عليّة القوم ومحمود من أواسط الناس ؛
غير أن شيئاً في حياتهما جمع بينهما فأنس كل منهما
برفيقه واطمأن إليه ... خرجا معاً يستروحان نسمات
الربيع ويتمتعان النظر برؤية فتيات القرية وهن يملأن
جرارهن وفيهن الجمال يرف رفيفاً حلواً ما زوقته
المدنية ولا شوهته الأصباغ ، يتسمنن في خفر
ويتحدثن في استحياء . وهيج الشاطئ والفتيات
في نفس عبد العزيز ذكرى غرام مسحت عليه يد
الأيام فراح يقص على صاحبه قصته . وانطلقا والحديث
ذو شجون ، وراع عبد العزيز أن يرى على خطوات

عبد العزيز بن الحاج أحمد فتى طوى العشرين
من سني عمره فيه قوة الشباب ، ومرح الطفولة ،
ودلال الغنى ، ونشوة السلطة ، لا تشغله مشاغل
الحياة ، ولا تثقله حاجات العيش ، فأبوه شيخ فيه
الغنى والجاه ، وفيه الشفقة والحنان ؛ فهو لا يقسو
على أولاده فيبعث في نفوسهم المقت ، ولا يقتر عليهم
فينفث في قلوبهم البغض ... وهو حين رأى ابنه
الأكبر — عبد العزيز — يحبون نحو الشباب رويداً
رويداً جذبه من المدرسة ليسيّط على عمله ، ويلقى
بين يديه قياد أمره ؛ ثم هو ما يرح يسدى إليه
النصيحة في لين ، ويلقى عليه الدرس في رفق ؛ وأراد
الرجل أن يلقي في روع ابنه أنه رجل فانطلق يحدّثه
حديث الزواج فاطمأن الفتى إلى حديث أبيه وفي
نفسه اللذة ، وفي قلبه النشوة ؛ ثم انطلق من لده
وعلى شفّيته ابتسامة ...

وبدا الفتى مرحاً طروباً ، فزينب — الزوجة
المنتظرة — ابنة خاله فيها الجمال والحياء ، وفيها العقل
والهدوء ؛ ثم هو يتعشق الزواج ليبدو في أعين الناس
رجلاً فيه الرجولة ؛ وأخوها زميله في المدرسة ،
ورفيقه في الحقل ، وتربته في الملعب ؛ شبيهاً معاً

واختلف الفتى إلى الناحية التي رأى فيها الفتاة يدفعه قلبه ، فهو يسمي إليها في صحبة صديقه محمود مرة ، ووحده مرات ، يتمتع نظره وقلبه معاً برؤية صاحبه ثم ... توثقت العروة وانكشف الحجاب فراح يتحدث إليها أو يجلس على خطوات منها أو يقدم إليها هدية صغيرة ؛ والفتاة تستشف نوازع قلبه فتدفعه عن نفسها في دلال وتجذبه إليها في رضا . وتلاقيا - مرة - على حين غفلة من الرقباء فاندفع يقول لها وتقول له ... وحال حالهما ... لقد كان هذا الهوى في عيني الفتاة لهواً وفي عيني الفتى عبثاً ، فاستحال - بعد حين - في قلبيهما حباً جامحاً وعشقاً عاصفاً ؛ والفتى ما يستطيع أن يجلس إلى فتاته في خلوة ، والفتاة لا تستطيع أن تجد السبيل إلى فتاتها . وأنى تخلص إليه وهي في قيد من أبيها وهو فظ غليظ الكبد ، وقيد من أهلها وهم حوالها يترصدونها ، وقيد من دارها وهي في قلب القرية ؟ فثار الحب ثورة لا يجد لها متنفساً .

وأظلمت الدنيا في عيني عبد العزيز حين أحس بقلبه يدفعه إلى فتاته في شدة وعنف وهو يعلم أن لا سبيل إليها وهو زوج ، وتوزعت الخواطر السود فبدأ كسف البال حزناً مهموماً ، وانظفاً إشراق وجهه واستلبه العشق من مرحة ومحمود من ورائه يسرى عنه ويخفف من آلامه وينزع عنه أشجانه ليت الفتى ضم جوانحه على لبيب من الأسى يتأجج فما أرسله حمماً تنلظي به الزوجة المسكينة . لقد تراءى له أن زوجته هي العقبة الكؤود التي تحول بينه وبين أمه ، فلبس لها لباس الشر ، فما يرمقها إلا شراً ، وفي عبوس ، وما يحدثها إلا

(٤)

منهما فتاة ليست هي ممن يعرف من بنات القرية ولا هي من طرازهن ، فهي طفلة حسناء جميلة المعارف ساحرة العينين ، ترتدى ثياب الريف في تأنق ، وتعمل عمل الريفيات في حذر ، كأنها لم تدرج في القرية ولم تشب بين سائرها وأرضها ؛ فتعلق بصره بها مايطرف ولا يتحول . ثم اندفع يسأل صديقه : « ترى من تكون هذه الفتاة الفتانة ؟ » قال محمود : « أفلا تعرفها ؟ إنها سمعية بنت حسنين الفلاح » وعجب الفتى أن تكون هذه الحسنة ابنة فلاح جلف قدر وهي كأنها زهرة يانعة تفتح عنها كبتها منذ ساعة تتأنق في ثياب ذات ألوان جذابة يسترها قميص أسود رقيق شفاف خشية أن تذهب طعنة للألسن ومضغة في الأفواه . ومن من الفلاحات تستطيع أن تبدو أمام الأعين في غير ثوبها الأسود الصفيق ؟ وعجب الفتى مرة أخرى أن يبدو وجهها في صفائه ونبهاه لم تلوحه الشمس فتطقي بعض جماله ، وأن يرى يديها في روتقهما ونغومتها لم يلوتهما البرسيم ، وأن يرف ثوبها في نظافة ونظام لم يعصف به الغيظ . فقال لصديقه : « أف يكون ذلك حقاً ؟ » قال محمود « نعم » قال « فما بالها على ما أرى من حسن وأنق وبهاء ورونق ؟ » قال محمود : « لا جرم إنها قد قضت عمراً من عمرها عند خالتها في القاهرة لا ترى الريف إلا قليلاً قليلاً ؛ وحين مات زوج خالتها وكان موظفاً بالحكومة ارتدت الخالة وابنة أختها ليعيشا في ظلال الأهل هنا ... هنا في القرية » قال عبد العزيز : « يا عجبا ! يا عجبا ! » ثم انطلقا ... وابتسم الفتى أن وجد في نفسه شيئاً يجذبه إلى الفتاة ظنه بعض هوج الشباب

الحديث الجاف الخشن ، ولا يطمئن إليها إلا ريثما
ينفلت من لديها ... واضطربت هي أن ترى زوجها
وحبيبها ينطوي على هم في نفسه لا يحدثها حديثه
وهو كان ينشر على عينها حديث حياته كلها ...
لقد أعرض عنها على غير ذنب ، وعافها دون جناية
فحزّت في نفسها آلام ما تستطيع أن تبوح بشيء
منها

وهفت نحوه — ذات مرة — تداعبه وترقه
عنه فردّها في غلظة ، وجلست إليه — أخرى —
تريد أن تحدّثه فدفعها في جفاء ، وتقدّمت أيام والفتاة
تضيق بما ترى من زوجها ... ثم نادى شجاعته
قلبتها فقالت : أي عبد العزيز ! لقد مرّت الأيام ،
وأنا أراك في كمد وحزن وما أجده المرأة على أن
أسألك سر أمرك ، وفي نفسي أنها سحابة ما تلبث
أن تتفشع فما بالك ؟ « قال في فتور : « لا شيء ! »
قالت : « ولكنني أراك تغيرت فأصبحت رجلاً غير
الذي أعرف . أفأستطيع أن أسري عنك بعض ما
أهمك ؟ « فصمت وفي نفسه خواطر تتناوحه وهو
ما يقوى على أن يحدثها حديث قلبه فيعصف بضبابية
من السعادة في قلبها تكاد تنضب ؛ ولكنها استمرت
تقول : « وأنا الآن إلى جانبك أشعر كأنني غريبة عنك »
قال في هدوء : « وماذا أحسست مني ؟ » قالت :
« أحس منك الجفاء والكراهية ، ولشد ما يؤلني
أن أراك تطمئن إلى العزلة ، وتسكن إلى الوحدة ،
وعليك أثر الحزن والأسى ؛ ولقد عرفت فيك المرح
الطروب ... » قال : « هذا بئس لا أبوح به »
قالت « وأنا ... ؟ » قال « إنه لا ... » واعتقل
لسانه فما استطاع حديثاً واضطربت في خاطرها
هي فكرة

لقد ألقى الفتى في قلب زوجته بالوساوس تقرضه
فهي ما تستقر وما تهدأ . ماذا عسى أن يكون الأمر ؟
إن المرأة لتضطرب للخاطرة تطيف بخيالها فيعصف
بها الشك ، وهي لا تأمن قلب زوجها الشاب . أخفاً
أن يفلق قلب الشاب دون النساء جميعاً سوى زوجته ،
وهو ما يزال يضطرم حياة ونشاطاً يهفو نحو الجمال
ويندفع في أثر المتعة ؟ لعله ... لعله ... ووقفت
الكلمات على شفيتها

وجلست زينب إلى خادم عجوز تنفض أمامها
أمرها ، وتشكو بثها وحزنها ، وابتسمت العجوز
في أسى ، وهي تقول : « لا ضير ! سأتيك بالخبر
اليقين ! » وراحت العجوز تتقصص الفتى عن بعد
وفي خفية ، وترسل ابنتها في أثره فأنكشف أمامها
الأمر كله ... ثم انقلبت إلى الزوجة تنذرها الهاوية
التي توشك أن تتردى فيها

وأعجز الفتاة أن ترد الزوج إليها بعد إذ أعرض
ونأى فانطلقت إلى دار أبيها ... انطلقت المسكينة
إلى دار أبيها هرباً من نار متسعة عاشت فيها شهوراً
فسحت على مرحها وشبابها في وقت معاً

وتجاذب الفتى أمران وقد هجرته زوجته :
حبه لفتاته ، وحنانه إلى زوجته التي صحبها السنين
الطوال فما أحس منها أذى ولا استشعر ضيقاً ؛
غير أن شيطان الحب هبّ من مرقده يوسوس ،
فأسلس وانقاد ... ثم انطلق إلى فتاته ...

وأغلظ الأب على ابنه واشتد ، ثم انطلق إلى
زوجة ابنه يصلحها فما أبي الأب وما تعوقت الزوجة ؛
غير أن حياتهما اضطربت فأصبحت جحياً يتسمر
الما وضيقاً وأسى ، فانطلقت — مرة أخرى — إلى

في ابنها ، وهو يدرج بازائها ، سلوة وعزاء
ومرت الأيام وسعدية تحاول جهدها أن تجذب
الفتى إليها فتصرفه عن زوجته الأولى فيستغنى عنها
فيقطع ما بينه وبينها ، وهي لا تستطيع أن تصارحه
ببغيتها خيفة أن تثير فيه كوامن الذكري ، ثم هي
ما تنفك قلقه مضطربة خشية أن تجد النصيحة إلى
قلبه الطريق فينبذها وينطوي عنها ؛ وعبد العزيز
ما يزال — رغم هذا — ابن أبيه يقوم على أمره في
غير فتور ولا كسل

وهفت نفس الفتى إلى ابنه — والناس يحملون
إليه خبره — فراح يطلبه في إلحاح يداعبه ويلاعبه ،
ثم يحبوه ببعض الحلوى واللعب ، وينفحه بالقروش
و... كأنه يكفر عن بعض ما استزله الشيطان عنه ،
ووجد الطفل في أبيه العطف والحنان فانطلق في أثره
وجلس الطفل إلى أمه — ذات مرة — وقد
وجد فقد أبيه ، فهو لم يره منذ أيام ... جلس إليها
يستحها أن تحمله إليه ، وهي تهدي من إلحاحه
وتبعث فيه الأمل ، ثم هي تدفعه عنها في رفق ...
وذهب صبر الطفل فانطلق في شوق ينتظر أباه لدى
المنطف ؛ وانتظر فطال به الانتظار ... ومر صبي
بازاء الطفل ومن ورأه رفيق له يشد في أثره
ويرشقه بالحصى ، وطاشت واحدة فسقطت على رأس
الطفل وهو آمن في ناحية من الطريق فصرخ :
« يا أبي ... يا أبي ! » أيدرك الطفل معنى الصرخة
التي أرسلها مدوية حين آلت له الحياة وصدمته الحصاد ؟
لقد انشق لها قلب الأب وهو يسير الهويني في طريقه
كأن القدر ساقه ليلبي نداء ابنه فيخفف عنه بعض
ما أصابه ، فحمله بين يديه وانطلق به إلى داره ...
واختلف الطفل إلى دار أبيه ثم راح يستوضح

دار أبيها وفيها بضعة منه ، لا تخضع لأمر أبيها
ولا تلين لرجاء أمها ؛ ثم ... ثم وجدت في ابنها
سلوة وعزاء

وطرب الفتى لما كان فانطلق إلى صديقه محمود
يحديثه حديث أمانيه فراح هذا يحذره رغبت أمره ،
ولكن أنى له أن يلتقي إليه السمع والفتاة تفتح له
ذراعيها كل مساء وتلقاه في ابتسامة حلوة آسرة ،
وتسقيه من رحيق السعادة كأساً مترعة ؛ ومن
ورائها أمها تغريه بأمر ؛ والأب يرى ويسمع ؛ غير
أن طمعه في مال عبد العزيز ومال أبيه ينشر على
عينيه حجاباً كثيفاً ، وهو رجل غفل يهتز ظرباً
أن يترأى له أن ابنته ستصبح في يوم ما ... فيصبح
هو ... والحاج أحمد يبلغ إليه بعض خبر ابنه فما يرى
فيه سوى نزوة من نزوات الشباب الطائش ما تبرح
أن تنطق أو تثوب ، وهو لا يستطيع أن يتحدث
الحديث ضناً على هيئته أن ينفرط عقدها من قلب
ابنه ... وانطوت الشهور سراعاً ... والفتى يطمئن
إلى الفتاة ويسكن إلى حديث أمها

والثالث عقل الفتى واختلط عليه الأمر ، وعلى
حين غفلة من أهله أصبح زوج سعدية
ماذا يستطيع الشيخ أن يفعل وقد انفلت الزمام
من يده ؟ إن قلبه لا يطاوعه على أن يقذف بابنه في
منأى عنه ، فخرم على زوجته الجديدة أن تلج داره .
لاضير ، فالفتى يسكنها داراً أخرى ، وهي تخفف
عنه بعض ما يصيبه وتداوى داءه في حذق ومهارة .
واطمأن الفتى إلى زوجته الجديدة وقد أسدل على
الأولى ستار النسيان فعاشت في دار أبيها زوجة
بلا زوج ، تتناوحها الآلام ، وتلتهمها الغيرة ، فتجد

مَهْ الشَّاعِرُ

بقلم الأستاذ محمود بك خيروت

السمع، مع أن أحداً
على ما أعلم لم يفكر
في اختياره إلى الآن؟
ولكن آخر أجابه
بأنه سبق التسمية به
وإن له عنده لقصة
طريفة روتها له
أحدى قريباته

وكانت صديقة لصاحبة هذا الاسم

ظلت زمناً غير قصير ووجهها مسنداً إلى زجاج
النافذة وما كان هناك ما يلفت النظر أو تقع عليه
العين، وقد أخذ الرذاذ يتساقط في الطريق خيوطاً
على هيئة حبات صغيرة من الملح، وهي تنقر ذلك
الزجاج نقرأ متواصلاً والضباب الكثيف يرتفع
شيئاً فشيئاً في الفضاء فتختفي فيه صور الأشجار
والبيوت والأفق فلم يكن هناك في الجانب المقابل
للنافذة إلا الطبيعة الجامدة المتضائلة كساها الشتاء
توباً قائماً من الحزن

ولكن نظراتها كانت ضالة زائغة، فكانها تنظر
أمامها إلى شيء وهي لا تنظر في الحقيقة إلى شيء، وإنما
كانت تفكر فيما يتردد على خاطرها من الذكريات
وقد ملكت عليها صوابها وحواسها حتى أنها
لم تسمع طرق بابها؛ فاضطرت ابنة عمي إلى الدخول
فألفستها على تلك الصورة مستغرقة في خيالاتها
وأحلامها، فما أذهلها أمرها وهي تعلمها أدبية وشاعرة
رقية تحب الطبيعة وتعشق جمالها، فلا بد أن منظر
هذا الرذاذ المتساقط وذلك الضباب المنتشر أخذ

خطر لنا أن نهجر المقاهي والمجالس العامة التي
لا فائدة منها وأن نجتمع في بيوتنا بالتناوب، فكنا
عند كل مساء تقطع فيها الوقت سامرين إلى منتصف
الليل أو إلى ما بعده ونحن نعرض لمختلف الموضوعات
من سياسة أو أدب أو تاريخ أو قصص أو غير ذلك
ولقد جرتنا الحديث ذات ليلة إلى الأسماء التي
يختارها الآباء لأطفالهم وإلى غرائبها في بعض الأحيان
وإلى الدوافع التي تحملهم على اختيارها دون سواها
وقد تكون لاعتبارات مضي زمنها، أو لآمال مستقبلية
يرجون تحقيقها. فترام يطلقون على طفلهم اسم
« الغالي » بعد أن كاد العقم يجرعهم في سبيله
كووس الأسي، أو اسم « ست الدار » على أمل أن
تكون الطفلة يوماً ما زينة أهلها وسيدة بيتها،
أو « أبو الغيط » لعل هذا الطفل يعطف عليه الحظ
فيصبح فيما بعد مزارعاً موفقاً

وهكذا أخذنا نستعرض كثيراً من الأسماء
من صلاح الدين إلى أبو القمصان إلى فارس إلى
غصن فوردة، وإلى غير ذلك من هذا النوع الذي
لا ينتهي. وعند ذلك صاح أحدنا: ألا ترون
يأرفاق أن اسم « سنبلة » اسم جليل المعنى حلو في

بلبها والطبيعة دائماً جميلة فتانة مهما تعاقبت الأيام
والفصول

وكانت الفتاة قد انتهت فالتفتت إلى خلفها
ووجهها ينم عن الحزن والتفكير حتى ارتاعت
ابنة عمي وسألها عن أمرها ، فأجابتها في بساطة أن
لا شيء ... وهو جواب كان يحمل في طياته أثر
ما كان يشغل بالها ، وما كان إلا جواب هؤلاء الذين
حياتهم أشبهه بأفق ذلك الشتاء تتلاشى شيئاً فشيئاً
في ضباب الأيام الضائعة. وهي تمر على حالة واحدة
لا جديد فيها

وكان التعب قد نال منها فارتعت فوق مقعد قريب وهي تردد جوابها السابق : لا شيء ، لا شيء . — وهذا الشحوب وهذا التفكير الباديان على وجهك يا سمنلة ؟

— قد يكون ذلك لرداءة الجو، ألا ترين؟
(مشيرة إلى النافذة)

في الربيع يصعد ماء الحياة المبتسمة إلى أجسامنا
نحن أغصان الحياة فنشعر كأننا نولد من جديد
ونسيم الآمال العذبة يهز أعطافنا ويفرس الابتسامات
في شفاها فتفتتح عن قُبل الحب الهنيئة كما تفتتح
أحكام الورد العطر اليانع

وفي الربيع تمتد الأغصان وتنمو الأوراق
وسواء كانت من المتسلقات أو مما يلبث مكانه فإنها
تتلاءم الفضاء بهاء وبهجة ، وتكسو الأرض خضرة
ونضرة ، وقد رقت السماء وطاب الجو ، فلانشعر عنده
بحاجة إلى ذلك الفرو الذي نلف أعناقنا به عند
الشتاء وقد غمرتنا النشوة وجرى في دمننا النشاط
وارتسم على ملامحنا البشر ، وصفت بشرتنا فاستغنت

عن ذلك الجمال الصورى الذى نطلبه عند الأصباغ
والأعطار

أما في الشتاء...

وعند ذلك قاطعتهما صديقتهما قائلة :

أما الشتاء فقد أطريته من قبل كما أطريت
فصل الربيع الآن . ألم تقولى إنه صاحب الرقيق
الذي نخطب وده وتجد قلوبنا دقاها عنده ، وأنه
الذى يهين لنا سبيل الأحلام الناعمة ونحن من
حول الموقد نصطلى ناره وتتناول الأفاصيص ننصت
إليها كما تنصت الطفلة الصغيرة . إلى ما تقصه عليها
جدتها حتى يغلب جفنها النعاس ؟

— الحقيقة أن لأمرجتنا أقفالا مفاتيحها
الفصول

— بل قولى إنك بحاجة إلى الحب حاجة الغصن
الظمان إلى ارتشاف الماء

— وما ذا عساه أن يفيد مع من عصفت بها
الأقدار فما عاد يشغل رأسها خاطر ولا قلبها حب ،
ولم يعد خلفها ماض ولا أمامها بحال لأمل ؟ لقد
أصبحت يستوى في عيني الشتاء والربيع والضحك
والبكاء وقد آليت أن أعيش وحدي مع نفسي
أذوق طعم العزلة فيها وإن كانت عزلة قاسية مريرة
حتى أن الدقائق لتمر من حياتي دون أن أشعر بها

أما أبو سنبله فكان رجلاً فقيراً لا يملك في
 قلوب إلا بضعة أفدنة ضئيلة الأيراد ، ولكنه كان
 مزارعاً نشيطاً قوي الإرادة يفيض قلبه دائماً بالأمل ،
 فأخذ يجد ويقتصد حتى أصبح من أعيان ذلك البندر .
 فلما بسط الله له في الرزق وهياً له أسباب السعادة

الحبين . وكان القراء يشعرون بما في هذا الشعر من السهولة والقوة وحلاوة الأسلوب ، حتى أصبح هذا الشاعر المجهول معلوماً عند جميع الناس لا تخلو أحاديثهم في مجتمعاتهم من ذكره ، وكلهم يتعنى لو أنه يكشف عن اسمه وعن مكانه فيملأون عيونهم منه بعد أن استهواهم وسحروهم بشعره .

وكانت سنبلة قد انتهت إلى ما تنقله المجلات عن هذا الشاعر ، فكانت إذا حضر بها ساعى البريد تسرع إلى فهارسها فإذا وقع بصرها على الشاعر المجهول قلبت صحفها لتعثر على ما ينشره على الناس من جديد ، حتى إذا ما انتهت من قراءته استرخت على مقعدها وقد دبت في مفاصلها النشوة

ولقد أخذ هذا الشعر يغتصب كل يوم شيئاً من فراغ قلبها حتى استولى عليه وهي تقول : لا يقول مثل هذا الشعر إلا قلب عذبه الحب ، فن هي السعيدة التي ظفرت منه بهذا الثناء المنظوم ؟ بل من هي تلك القاسية التي لا تجزي إحسانه إليها بإحسان منها ، وهي تباعد حين يتقرب ، وتصد عند ما يترضى ؟ ثم تقول : ليتني كنت أنا بيت القصيد من شعوره فأباهي وأتبه على أجمل الفتيات ، ثم تبكي وكثيراً ما دفعها الشوق إلى معرفته فسألت أصحاب تلك المجلات عنه ولكنهم أجابوها بأنهم هم أيضاً يجهلون من هو

— إنك يا سنبلة في أوج شبابك وحسنك كالثمرة اليانعة الناضجة لا تنتظر إلا اليد السعيدة التي تمتد لتقطفها فلم لا تفكرين في الزواج ؟
— فكرت فيه ولكنني لم أتزوج من شاب

انتقل إلى القاهرة بعد أن اقتنى بها أنحر العمارات وشيد لسكناء هذا القصر الأنيق وهو يطل على حديقة قصر يملكه صديق له من الصغر ، وكان لهذا الصديق ولد في سن سنبلة وسيم القسمات لطيف الحديث جم الحياء تخرج في الجامعة المصرية بعد أن نال إجازتها في فن الأدب ، فاقترح أبوه على جاره أن يزوجه من ابنته ، ولكنها استمهلت أباه في لطف بحجة أنها لا تزال صغيرة ، وأن من يريده لها لا يزال في قليل التجربة

وكانت العادة في مثل هذا الحال أن يتبادل أقارب الطرفين صورتي الخاطب والخطوبة ، حتى إذا وقع كل منهما من قلب الآخر وتهايات الأسباب لإبرام الزواج ساغ لهما التزاور والاختلاط . وهكذا ظلت صورة سنبلة عند خاطبها وصورته عندها

ولقد كان شديد الولع بها ففعل فيه رفضها ما يفعله السهم النافذ حتى غلبه الحزن وامتد إلى جسمه السقم . وكثيراً ما كان الأطباء يعمودونه فلا يجدون لمرضه سبباً ظاهراً ، ولذلك كانوا يشيرون عليه بالرياضة والأسفار وارتياح الرياض والمتنزهات حتى أنه كان كثير الجلوس في جوسق بالحديقة تطل عليه شرفة في ذلك القصر الذي دفن آماله فيه

وكانت مجلات الأدب في ذلك العهد كثيرة تنشر على قرائها ما يرسله إليها الكتاب والشعراء من وحي خيالهم وسحر بيانهم ، وكل منهم يضع اسمه على ما يكتب إلا واحداً كان يقتصر على كلمتي « شاعر مجهول » وكان شعره يتناول كل لون من ألوان الحياة وبخاصة الحب وما يتصل به من مآسى

لأن قلب الرجل دائماً في سن العشرين ، وهذا القلب هو الذي ساحتله ؛ وحسبي أنه فتى صهرته نار الحب فأوحت إلى خياله بهذا الشعر السماوي الذي غمر نفسي واحتل قلبي وتغلغل في خواطري وأحلامي ودمي .

وكانت هذه الصديقة موفدة في الحقيقة من قبل والد الخاطب وقد فكر في أن صلتها بسنبلة وقد بدأت من الصغر في المدرسة كفيلة بالانتهاء واسترضائها ولذلك عادت تسألها :

— وما هو يا سنبلة عيب هذا الشاب الذي طلب أبوه يدك له ؟ إنني لأراه فتى في شرح الشباب بهي الطلعة مليح القامة وهو فوق ذلك متعلم وأبوه غني ، وهو صديق لأبيك

ولكن سنبلة لزمت الصمت ، وأخذت تنظر إليها من طرف خفي كأنها تتكشف ما دفع بها إلى هذا السعي . فلما ألحت عليها صاحت فيها : أبداً ؛ أبداً ؛ لن يكون إلا ما أردت . وإذا كان أبي أو أبوه هما اللذين وسطاك بينه وبينى فحسبك أنك وقفت على أمرى ، ولك من الآن أن تصرحى لهما به . ومع هذا ...

وعند ذلك قصدت في عنف إلى درج المكتب وأخرجت منه صورة ذلك الفتى ثم اندفعت إلى باب الشرفة المطلة على الحديقة ، وكان جالساً تحتها فمزقتها ثم ألقت بأجزائها إليه قبل أن تدركها صديقتها ...

ولقد كان هذا الفتى يعيش إلى تلك اللحظة على الأمل . فلما قذفت سنبلة في وجهه برسمه على تلك

متقلب تعربنى ساعات نشوته الأولى ثم ينفذ غنى — ما أخطأت ؛ فإن أخطر ما يكون مثل هذا الزواج الذي لا يقوم إلا على مجرد المتعة ، فإذا ما خمدت نار تلك النشوة الأولى راح يبحث له عن متعة أخرى ترفع ما تراكم من رماد نزقه فوق تلك النار . وليس على مثل هذا الأساس المضطرب يستقيم الزواج وتصان الأسر

— ولا أرى كذلك أن أتزوج من أى شاب وإن كان جميلاً

— إذن فأنت تريد أن تزوجى من غنى ؟
— ولا هذا أيضاً فإن أبى وافر الغنى على ما تعلمين ، ولكنى ...

وكانت صديقتها تعلم مبلغ ولعها بما تقرأه في المجلات من مقطوعات الشاعر المجهول فصاحت بها :
— أترأك تحدثين نفسك بالزواج من هذا الشاعر . إذن فأنت تجرين وراء الخيال يا سنبلة

— وليه ؟ أليس بموجود ؟
— بلى ولكنك لا تعرفين من هو ولا أين يقيم . ومن يدري ؟ ربما أصل إلى الاهتداء إليه يوماً ما .

— ربما . ولكن ماذا يكون من أمرك لو أنك وجدته عند ذلك دميماً أو طاعناً في السن ؟

— إعلمي يا صديقتي أن مثل هذا الشاعر كمثله النور الساطع ، فهل تستطيع عينك أن تحدد فيه حتى تهتدى إلى شيء من عيوبه ؟ ومع ذلك فإن لهؤلاء الشعراء أرواحاً صافية لطيفة تحول بين عيوننا وبين ما نحسبه عليهم من العيوب . أما أنه لا يكون كفتي في السن فهذا ما لا أحفل به ،

مع المجلات ، فلما رفعت الغلاف عنه وجدته صورتها
التي كانت عند ذلك الشاب يردها إليها ، وقد قطع
كل أمل منها ، وكاد الأسى يقضى عليه بسببها .
ولكنها رأت بظهرها هذين البيتين :

ياطلعة الشمس هل تدرين كيف قضى

على هناء حياتي ردك القاسي

حسبي على أي حال ما قضيت به

فالشمس تشرق من بعد على الناس

الشاعر المجهول

وما كادت تقع عينها على توقعه حتى انهمر
سيل الدمع من عينيها وارتدت عند صدر صديقتها
وهي تردد في صوت مختنق خافت : إنه هو . إنه
هو . ثم اندفعت إلى داره وكان على آخر رمق

ولم تمض أيام على ذلك حتى فكر الجاران في
إبرام الزواج وأخذوا يتكلمان في معداته وفي المهر
الذي يقدم له . ولكنها اقتربت من جيبها وقالت
له في دلال : إن لي عندك - أيها الشاعر الذي
عذبني وكان بعيداً عني وهو قريب مني - مهراً
من نوع آخر . ففهم غرضها وأخرج من جيبه
ورقة مطوية ناولها إياها ضمنها هذا الشعر :

أطلت فقالوا إنها البدر مسفر

وهلت فقالوا ها هو الفصن يخطر

ولا البدر يحكي وجهها في صفائه

ولا الفصن يحكي قدّها فهي تسخر

تبارك باريها فكم هو مبدع

يصوغ من الحسن الظبا ويصور

(٥)

الحشنة الزرية أدرك أن هذا الخيط الباقي قد انقطع
وأن الاستمرار في التعلق بها بعد ذلك إنما هو ضرب
من الجنون . ولكن أنى لقلبه أن يقنع بذلك وقد
أصبح ملكاً لها ؟ وكان جلوسه في الحديقة في
ذلك الفصل القارس مما ساعد على تغلغل الداء فيه ،
فاختفى عن الحديقة من ذلك اليوم ولزم فراشه ،
وقد أخذ الأطباء يعودونه إلا طبيباً واحداً هو
الذي كان أقدرهم على شفائه : « وداوني بالتي كانت
هي الداء »

أما سنبلة فما كانت من يوم ذلك الحادث تأبه له
أو تفكر فيه لأن كل خواطرها كانت منصرفة إلى
شاعرها ، ولكنه انقطع عن نشر مقطوعاته من
ذلك اليوم مما حيرها وأطار لبها ، وهي تظن الظنون
وتحسبه مريضاً أو على سفر ، أو أنه ظفر بتلك التي
كانت رسول إلهامه ووحيه ...

وكانت صديقتها ، بالرغم مما صدمتها به على ما
سبق ، تزورها من وقت لآخر ، ولكنها تحاشت أن
تشترك معها في حديث يتعلق بابن الجار أو بذلك
الشاعر ، إلا أنها كانت حيرى لما كانت تراه على وجه
سنبلة من دلائل الحزن والذبول ، وهي تقول في
نفسها : لعلها تأثرت بمرض ذلك الشاب ، وأنها
الآن نادمة على ما فرط نحوه منها

وبينما هما كذلك دق الجرس ، فأسرعت سنبلة
إلى تلقف أعداد المجلات الجديدة من خادمتها ووضعتها
على المكتب ، ثم أخذت تتصفحها عدداً عدداً ولكنها
لم تجد فيها شيئاً جديداً ، فتغير لونها وكاد ينهمر الدمع
الذي كتّمته في ماقيها .

على أنها لمحت فوق المكتب شيئاً ملفوفاً كان

ومن عجب إعراضها وهي خلسة
تحدّق من طرفٍ خفي وتنظر
فشككتني فيها وفيه سيوفه
وإنّ نغار الظبي أدنى وأيسر
فنبهت عيني أن تغضّ لتتّقي
مضاربه واللحظ كالسيف أبتر
وحذّرت قلبي أن يميل مع الهوى
وما بعده إلا الأسى والتحسر
فما سمّا مئني فقابي معذب
بهجرانها والعين بالدمع تهمر
وبينهما نفسٌ تناجي شقيّة
لقد صحت ما قد كنت أخشى وأحذر
وكم قاتل ما بعد شكواك والبكا
وما بعد جفنٍ في دجى الليل يسهر
أما آن أن تنسى فتسلو كما سلّت
وتصبر لكن كيف أسلو وأصبر
ولم تستبني أمرى إذا كنت عنده
بريثاً فتسغى أو مُسيئاً فتغفر
ألم يكفها سهمدى وسقمي وأدمي
وفي بعض هذا إن تشأ ما يكفر
وفي ليلة طالت على وعوّدِي
تملككم ممّا أعانى التآثر
تذكرتها والجو صاف وريحه
كأنفاسها والليل نشوان مُقمر
إذا بي أراها بيننا فكأنما
تمثّل لي في الحلم ما كنت أذكر
وكانت وقد ألقت على القوم نظرة
ثناها الحسباً تمشي الهوبنا وتمترُ

وجسّت يدي قد راعها ما أصابني
فصاحت بماذا أنت بالله تشعُر
ومن عجب دأى بها وهي أصله
وتسألني عن علّتي وهي أخبر
فلما خلت من عوّدِي الدار أجھشت
ومدمعها بالؤلؤ الرطب يحدر
تقول رعاك الله ما أنت واجد
من النار في جنبي منه وأكثر
ولكن تجاهلت الذي كان بينهم
لكي يجهلوا ما بيننا فهو أستر
ومالت على صدرى وهمت إلى في
وكم قلة فيها الدواء للبشر
محمود فهيرت

تاريخ الأدب العربي

لرؤسّاء أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمّة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

اليوم - كما كانت
تفضل في الماضي



اشكال القوة الشافية الملقطة للألم في النوع الانساني وقد تمكّن النوع
الانسان من اصدار المزيدي من الخير ان كان ينقص على اذنه وعقا قد تمكّن
منها في هذا الدوا فاعلم بوقف الألم ونيل الشفا من تفاع حركه الجسم
ويجب النوم المزيدي للمصاب بالآفة وفيه القوة الى اصابه بالزوال الدوا صاحب
والضعف الناجي من المزيدي وقد مضى اسير في الدوا الطبية العروية فان دوا
واحد يحل محله دوا وعمله سريع وعاجل فهو لا يخفى ذلك عليك ان تقبل
عليه وتجربه فانه الرضا من الناس يستعملونه الذين لا يخافون من تعاقب فصل الصيف
ومرارة وما تاتي به من الألم



اسير في مجلبا النوم للمصايب
 بالذرف وجلب الراحة
 للمصايبه تبعب الذراع صاب
 وصحى الجسم منه الحيات
 الوافدة وتخفف الالام
 منه صمايا الدير يا وفوق
 ذلك فانه يقضى على برد
 الصيف والافطار نزا
 في ليلة واحدة ويجمع
 الالام الحزين عنه
 النار

٦ هـ اعظم هبة قد بها
العام للنوع الانساني

ASPRO
RFL TRADE MARK

۲۵ قرصان
ملیمات

۱۴۰۱ اقراص
۱۴۰۲ اقراص

۲۷
۵
فروش

الوصف
ج. ب. شريهان وشركاه
القاهرة ٢٣ شارع المدايق
المنزه ٩ شارع طرسون
اسير ومصنوع في إنجلترا

استعمل اسیرہ فی حالات

| | | |
|----------------|-----------------|---------------|
| الاضطرابات | السرد | وجمع الانسان |
| او جماع الراس | السروريات | و ما ترمز الى |
| الاضطراب | الاضطراب | تأثير السموات |
| التأثير المصحي | التراب والارض | الدم الخفيف |
| عروق النساء | صلى الصبي | الطائر يا |
| النفوس | الصورة العنصرية | السربو |

اسیر و فی سناول ایری المجمع ۲۷

غفرلهم

للكاتب الروسي نطون تشيكوف
بقلم الأديب السيد جورج سليست

شاباً ليس من جمال
الخلق وحسن الخلق
في كثير ولا قليل
كنيجانور، لأنه أبدأ
بأسر الوجه كالح
الأسارير، ذو عيني
صغيرتين وقسمات
لا وسامة فيها ولا
انسجام، ولأنه سكير
قلما يصحو من نشوة
الصهباء أو ينجو من

سورة الخمر، ولأنه فظ الطبع غليظه كثيراً ما ينهال
على حبيته بالضرب كلما أغضبته في قول أو أحنقته
في عمل، ويكيل لها الشتائم لكل بادرة منها لا تروقه
ويقذعها بالسباب ما شاء له خلقه السيء وطبعه
الوحشي فتنفجر منه وتبكي، ولكن ما هي إلا ساعة
أو بعض ساعة حتى تعود إليه ناسية ما لقيتها من
عنته وفظاظته، وتغمره بحبها وحنانها كأنه لم
يجترح في حقها إثماً ولم يلصق بها إهانة، وترقه
قبلاها الحري كأنه لم يسيء إليها قط ولم يؤذها،
وكأنما لم يبدر منه إلا كل ما يحبه إليها ويغريها به
وتساءل «اليوكين» عن كنه هذا الحب غير
المألوف، وعن مدى اللذة النفسانية في هذا الهوى
الغريب، وقال إنه لا يلومها لأنها لا تحب رجلاً
أقرب إلى مزاجها وطباعها وأدنى إلى تفهم نفسياتها
وعقليتها من ذلك السكير الغر، فإن لها كما للناس
ذوقاً في الحب ليس من المنطق ولا الحكمة في شيء
أن تؤاخذ عليه وتلام من أجله، وللناس فيما يعشقون
مذاهب، كما يقولون، ولكنه يحاول أن يدرك مقدار
السعادة الشخصية في مثل هذا الهوى الغريب الفذ،

حفلت المائدة بالطلي المتع من الأحاديث، كما
حفلت باللذة الشهي من أصناف الطعام، وأندر
المدعوون إنداراً لذيذاً عذياً، فلقد شاقهم جميعاً
أن يفتنوا في أحاديثهم ففعلوا ما شاء لهم ظرفهم
وأدبهم كأنما كان واحداً يسمى ليذندة في طلاوة
القول وحلاوة النكتة، فأتوا بالبديع المستطرف
من المالح، وجاءوا بالسائغ المستحب من النوادر؛
فرننت الضحكات بريشة ناعمة تنبئ سامعها
بما شمل مرسلها من سرور، واستحوذ عليهم من
مراح، وظلوا كذلك ردحاً من الزمن غير يسير
يتطارحون روائع الطراف حتى أطل عليهم
«نيجانور» لشأن من شئون الخدمة، فإذا
«باليوكين» يغير الحديث لدى مرآه ويبدل مجرى
القول، ويتخذ من هذا النادل موضوعاً لما يضطرم
في نفسه من ميول وأهواء، وإذا به يقص على
مدعويه أن لنيجانور هذا قصة غرام رائعة، وإن
الفاتنة «بلاجيا» كانت ولم تزل صبة به مغرمة،
وكان ولم يزل هائماً بها كليفاً؛ وأبدى تعجبه كيف
تتمشق فتاة على حسن موق وقد رشيق كبلاجيا

بين ذراعى تسألنى عن الهدية التى سأقدمها إليها فى آخر الأسبوع

إننا معشر الروسيين والحق يقال لا نفتأ نتساءل
كلما أحببنا : أرفيع حبنا أم وضيع ؛ روحاني أم
شهواني ؟ وإلى أين يؤدى بنا هذا الحب يا ترى ؟
وهل يلىق بنا أن نمن فيه أم نقف عند حدنا خوف
التورط فيما لا يحمد عقباه ؟

وأنا أقول من غير مواربة ولا مداجاة : إننى
لن أسأل نفسى هذه الأسئلة الباردة بعد اليوم .
قد أكون مخطئاً فى نظرتى هذه إلا أننى لا ولن
أستبدل بها سواها ؛ وقد يكون الخير كل الخير فى
التروى قبل أن يطوح الرء بنفسه فى حب ، إلا أننى
أعلم العلم اليقين أن هذا التروى يُفقدُه لذة الروح
ومتعة النفس ويرمض القلب ويشقيه

إلى أعرف هذه الأمور حق المعرفة وأدركها
حق الإدراك لأنى بلوتها بنفسى وخبرتها
ولمت عيناه وتألق محياه كأنما غمرته سورة
علوية من البشر والسرور ، وظهر للرائين بأجل
وضع وأفن صورة ، وشاعت على ثغره الجميل بسمعة
وادة جميلة

وتراعى كأنه يريد أن يتكلم عن ذكرى ، عن
أمر مضى وله فى نفسه أثر وبقيا ، كأنه يود أن
يقص قصة من أقاصيص الشباب الناشئ ، قصة
هوى مكبوت . والأعزبون الذين يسكنون وحدهم
عندهم دائماً فى قرارة نفوسهم أشياء هم أبدأ على
استعداد للتحدث عنها من تلقاء ذواتهم ، والمقاهى
فى المدن ملقى الأعزبين يؤمونها لتزجية الوقت
بأحاديثهم ، وأنى تبصر أعزبين معاً فقل إنهما
يتساران عن هوى ويتحادثان عن حب

ويود لو يستطيع أن يوفق إلى حل ما فى الحب من
طلاسم ، وإلى سبر غوره وكشف النقاب عن
معمياته لا سيما والحب لم تذكر عنه حتى الآن إلا
حقيقة مفردة لا جدل فيها ولا خلاف عليها وهي
أنه « عظيم » وكل ما عدا ذلك مما كتب عنه ، أو قيل
فيه قابل للجدل وللأخذ والرد وللمناقشات الطويلة
المرهقة ، وليس إلا مقدمات للغز لا يزال مغلقاً
ولسر لم يبرح غامضاً ، وإن البيان الذى يظهر مطابقاً
للحالة لا يتفق وعشراً سواها ، وإنه من الخير أن
تبحث كل حالة من حالات الحب على حدة ، مستقلة
تمام الاستقلال عن أخواتها ، فالتخصيص وحده
— كما يقول الأطباء — يؤخذ به ويؤبه له ، لا التعميم
— « بالصواب نطقت » قال الأستاذ بوركين :
— أجل ! هذا هو الحق الصراح يا صديقى ،
فنحن الروسيين جد مولعين بالألغاز والأحاجى ، أو
بالأحرى يستهوينا الغامض المبهم فنحوم حوله فقط ؛
أما أن نكتشف جوهره ونبلغ لبابه فأمر لسنا من
طلابه وليس لنا به غاية ولا مأرب ، وكتابنا رعاهم
الله وحرصهم يجملون الحب ما شاء لهم ذوقهم
الشعري الأنيق ويحيطونه بهالة من الروعة والجلال
ويوشونه كالربيع بالورد المفوّف والأرج المعطار
والبلبل الفريد

إننا لانفهم الحب كما يجب أن نفهمه ، أو لانحاول
أن ندركه كما يتحتم علينا أن نفعل ، ورجالنا يحسبون
أن الحب هو الزواج ، فإذا أحببت عادة فعليك أن
تطلب يدها لتبنى بها ، ونساؤنا يقدرن الحب بمقدار
الهدايا ، فعلى قدر هداياك ، يكون حبك وهواك
وإنى لا أزال أذكر يوم كنت طالباً فى موسكو .
إننى أحببت أو خيّل إلى أنى أحببت سيدة فاتنة
لطيفة دقيقة الحسن رقيقة الشعور كانت كلما احتبستها

وأن أثار على مطالعة أمهات الصحف والمجلات
ظناً مني أنني أستطيع أن أجمع بين عناء العمل وبين
لذة الثقافة فإذا برأيتي بخيب ، وإذا بي بعد بضعة
أسابيع أتخلى عن سكني في الطابق العلوي الأنيق
الترتيب والرياش وأهبط إلى الطابق الأسفل أنام
وأقوم فيه لا عن تبذل ولكن عن وني . ولم ألبث
أن تعودت أن أرقد كالفلاحين حيث يتفق لي أن
أفعل ، في العجالة أو على المشيم أو في كوخ
حارس الغابات لشدة ما كان ينتابني من تعب
يرهق القوى ويضني الجسم

وبقيت كذلك أنصب على العمل انصباباً من
غير تراخ ولا توان حتى قبض الله لي ما يرفه عني
بعض الترفيه إذ عيّنت قاضياً شرفياً لمحكمة الولاية
الصلحية ، وأصبح لي ما ينزعني من إدارة أعمال
الزراعية ولو إلى حين ، وبات من الحتم على أن
أذهب كلما دعت الحاجة إلى المحكمة في المدينة
فأساهم في أعمال القضاة . وهكذا عدت إلى شيء من
سابق العهد السري وحياة الترف والنماء ، وأصبح
لي كثير من المعارف والأصحاب من سرات البلد
ووجهائه يستقبلوني لدى مجيئي إلى المدينة بكل
بشاشة وترحاب

إلا أن أحب العلاقات الودية إلى نفسي
والطفها عندي كانت تلك التي توثقت عراها بيني
وبين نائب رئيس المحكمة السيد « لوجا نوقتش » ؛
وما إخال أن يترك من يجهله ، فهو رجل رصين
جذاب ، كريم النفس ، طيب القلب إلى حد بعيد
وإني لأذكر حين دعاني للمرة الأولى لتناول
الطعام على مائدته بعد جلسة طويلة مستنا بعدها
الجهد والوصب فقبلت الدعوة شاكراً وذهبت

كانت السماء تتراءى من خلال زجاج النوافذ
مربدة الأديم ، والأشجار مخضلة الأفنان من
رذاذ المطر الذي وكف منذ حين ، والسحاب
الأدكن تحدوه الريح كما يحدو الراعي سائمته ، وكان
الطقس بارداً قرأ في حين كانت قاعة المائدة دافئة
والراحة المضمونة فيها تغري بالبقاء ، إما للتحدث
أو للاصغاء

وتنحج البوكين ، ورطب شفثيه بطرف
لسانه وانطلق في حديثه يقول :

« لا أزال أيتها الأعزاء منذ أمد بعيد أسكن
في هذه الأرباض وأدير بنفسى أعمال استثمار
أراضينا فيها ، فقد عزت على كثيراً لدين تخرجت
من الجامعة أن أجد جل أراضينا مرهونة وأن
أرى أبي غارقاً في ديونه لكثرة ما تكبد من
مصاريف في سبيل تثقيفي في خير جامعات موسكو ،
فموتت على ألا أهجر الأرض حتى أفي ما عليه
من ديون

ولما كنت أعلم أن ريع الأرض ضئيل وأني
لن أوفق إلى مبتغاي ما لم أبذل كل ما في وسعي من
قدرة ، رحت أستغل الأرقاء والعبيد في هذا السبيل
الشاق ، والزراعة كما لا يخفى عنكم تستلزم بذل الجهود
وتستدعي إفراغ القوى ، فلم أدع في القرية ولا في
القرى المجاورة رجلاً سابحاً^(١) إلا استدعيت للعمل
عندي ، أو امرأة فارغة إلا أتيت بها فحراثوا وزرعوا
حتى البور والسباخ . وكان العمل مستمراً ما تنقطع
فوريته ولا تهدأ حدته من مطلع الشمس حتى مغربها
وحاولت في مستهل الأمر ألا أهجر الكتب

(١) رجل سابح : فارغ لا عمل عنده والسباخ من
الأرض ما لم يحرث

بإدانة أولئك المتهمين إدانة لا تتفق والعدالة في شيء، فكانت تصني إلى حديثي بإعجاب وتهز رأسها الصغير الجميل وتسال زوجها متعجبة دهشة:

— وكيف جرى ذلك إذن يا «ديمتري»؟
وديمتري لوجانوفتش كان رجلاً زمتنارزينا يعتقد كل الاعتقاد أن البت في القضايا لا يكون على المائدة ولا في حديث خاص، وأن ذلاقة اللسان يجب ألا تبرىء مذنباً وتجرم بريئاً، وأن الحكم يجب أن يكون صارماً مهما كان نوع الذنب ليكون المحكوم عليه عبرة لسواه، وليرهب الناس القانون ويحترموا الشرائع وقال لي رداً على سؤال قرينته بلهجة ملؤها الرزانة والجد: «لسنا يا صديقي من أصحاب الفتن ولا من مشيرى القلائل فحسبك أننا لن نعتقل ولن يحكم علينا»

ولما رأي على أهبة الإجابة رفع يمينه بكل هدوء وقال: «أرجو منك يا عزيزي أن تترك هذه الأحاديث لفرصة أخرى أكثر ملاءمة من هذه؛ وإنني سأنتفق وإياك على رأى واحد فيما بعد. أما الآن فكل واشرب، فالأكل والشراب على قدر المحبة كما يقول العامة وهم في قولهم جد مصيبين، أليس كذلك يا «أنا»؟

فأحنت «أنا» رأسها وقالت: «بلى يا عزيزي»
وإنني الآن أستطيع أن أقول لكم أيها الأعزاء إن هذين الزوجين كانا سعيدين هائنين على أتم ألفة وأشمل وفاق؛ وإنهما كانا متفاهمين كل التفاهم لا يتحاجان في أمر ولا يعترض أحدهما على رأى الآخر، وإن فعل فبكثير من اللطف والحنان والأدب وكانت الإشارة أو الغمزة من أحدهما كافية لفهام الآخر مراده.

أنا وهو إلى منزله وتعرفت هناك بالسيدة قرينته «أنا اليكسيفنا»، وهى عادة في مستهل العشرين من عمرها ما إن رأيتها حتى شعرت بمجاذب خفي يدنيني منها ويحببها إلي.

أنا لا أستطيع اليوم أيها الأعزاء، وقد مضى دهر من الزمن طويل على هذه الحادثة، أن أقول لكم على التدقيق ماذا وجدت في السيدة «أنا» حتى أعجبت بها الإعجاب كله وحتى نالت من نفسى من النظرة الأولى المكانة العظمى وتبوءت من قلبي المنزل الأسمى، ولكن كل شيء كان لي واضحاً جلياً حين كنا على المائدة معاً وحين كنت أتناول الغداء وأرمقها بين الفينة والفينة من طرف خفي بنظرات ما أدرى والله كيف أنعتها، وكل ما أستطيع الآن أن أحده لكم منها هو أنى رأيتها فتية تجمع إلى الحسن الساحر سرعة الخاطر، وإلى خفة الروح وحزم الفؤاد حياء المحصنات وخف العذارى. وشعرت فوراً أنها شخص أنيس قريب إلى قلبي، كأنى أعرفها منذ نومة أظفارها أيام كانت طفلة مريحة تملأ الفضاء ضحكاتها وأناشيداً، أو كأن رسمها الكريم مطبوع في ذهني منذ زمن بعيد، أو كأن هذا الحيا الطلق وهاتين العينين الساجيتين وهذا الجسم البديع مما ألفه نظرى وأحبه قلبي قبل ذلك اليوم.

وقد كنت وأنا جالس إلى المائدة ما أزال تأثر النفس هائج الأعصاب لنقمتى على الحكم الجائر الذى أصدره رئيس المحكمة على أربعة من اليهود أنهموا بتأليف عصاة تقطع الطرق وتعيث فساداً، ورحت من تأثرى وانفعالى أسرد تفاصيل المحاكمة على السيدة «أنا» وأبين لها الخطأ الفادح الذى وقع فيه القاضى

وقالت لي لما انتهت الرواية وقمنا معاً نتخبط في
على مهل :

— أ كنت مريضاً ؟

فأجبتها أن وعكة أملت بي فبرحت بجسمي وأني
برئت منها أو كدت فقلت :

— أراك سقيماً شاحب اللون ذابلاً في حين
أنك كنت في الربيع مرحاً طروباً ، وكنت حين
شرقتنا بتناول الغداء على مائدتنا ممتلئاً فتنة وسحراً ،
وكنت بأحاديثك ملهما تفتن في القول وتتصرف به
على هواك ببيان عذب كان له الوقع الجميل في نفسي .
وأعترف لك الآن أنك استمكنتني إليك بروعة
أحاديثك وشعرت بميل نحوك وعطف ودي ما
حنت ضلوعي على مثله لمخلوق سواك ، ولا أدري
لماذا تذكرتك كثيراً في الصيف المنصرم ؟ ولا
لماذا كان طيفك يمثل أغلب الأحيان أمام عيني ؟
واليوم وأنا قادمة إلى المسرح كانت نفسي تحدثني
بلقائك ؛ وهأنذا الآن ألقاك ، ولكن علي غير
ما كنت أود ، كمدأ محزوناً . فقلت : « أ كنت تنتظرين
لقائي إذن ... يا أنا ... ؟ »

وكانت تلك هي المرة الأولى التي لفظت فيها
اسمها الكريم من غير لقب ، فرفعت إلي عينيها
الساجيتين بجلال ، ولما التقى النظران أطرقت
حياء ، وخرج الخفر خديها الناضرين الناعمين
بحمرة الورد

ولم نلث أن افترقنا على أمل اللقاء القريب .
أجل . لقد افترقنا ، ولكن فيمن كنت أفكر وأنا
أسير إلى المنزل لأقضي ليلتي فيه ؟ وخيال من كان
ملازمي آناء ليلتي تلك ؟ وطيف أية خورية كان ذلك
الذي راود أجفاني حتي الصباح ؟ وعند من أودعت
روحي وقلبي ومشاعري جميعاً ؟ ، الجواب واحد

وبعد الغداء عزفنا معاً على البيان فكان توقيعهما
عليه لطيفاً مشجياً ، وأنشدت هي أغنية رقيقة عذبة
حركت بها مكامن الاحساسات من نفسي ، ولم
يلبث أن أغطش الليل فقامت مودعاً شاكرآ لها
لطفهما وحسن ضيافتهما ، وعدت إلى منزلي . وكان
ذلك في أول فصل الربيع المراح

ومضت الأشهر تبعاً ، ولم تدع لي مشاغلي
الكثيرة فرصة واحدة لأهبط المدينة ، ولكن
ذكرى المرأة الفتية الشقراء الوسيمة الوجه الفاتنة
القسيمات لم تبرح خاطري قط ، وطيفها الحبيب لم
يحل عن ناظري

وفي أخريات الخريف مثلت في المدينة إحدى
السرديات الرائعة لمشروع خيرى ، وكان أن دخلت
مقصورة الحاكم ، ولشد ما خفق قلبي لدى
رأيت « أنا اليكسيفنا » ، وشعرت من جديد
بضغط قوى على صدري لا سبيل إلى دفعه كان
مآناه إحساسى بأثر الجمال البليغ في نفسي الساهمة
المرورة ، فحيث ، وجلست قرب « أنا » مأخوذاً
بسحر عينيها الحاليتين ، ولقلبي وجيب دونه وجيب
الفؤاد المروع

أجل ! لقد جلست قربها أنظر إلى المسرح
والممثلين فلا أرى هذا ولا هؤلاء إلا أطيافاً وأشباحاً ،
فقد كان فكري شريداً بمنأى عن التمثيل وهواته
محصوراً كله في هذه التي رحت أخالسها النظر من
حين إلى حين ، والتي كنت كلما احتك كنتي بكتفها
عرضاً أشعر بغمرة اللذات وقيض الهناءات ، كأن
مفاتيح العالم ومباهج الحياة استعجالت جميعاً امرأة
فاتنة شقراء هي هذه التي أسعد بالجلوس حياها
أنلى من روعة حسننها الضحيان

عازف مفن^(١)؛ صوتاً ناعماً انتزعني من غمرة
الخواطر ولجة الآراء، وانتشاني من وخز الضمير
وتبكيته، وألقاني أمامها هي ليهرني جمالها الرفيع،
وتغويني أنوثتها الفذة، وتسكرني نبرات صوتها
المرنان في العبارات الترحيبية المنمقة التي انفرجت
عنها شفتاها الرقيقتان المغريتان وهي تتقدم نحوي
بخطى موقعة توقيماً

ولم نلبث أن قمنا إلى المائدة، وبعد تناول الغداء
عزف ديمتري على البيان قطعة موسيقية أوقعتين،
ثم أنشدت هي أنشودة غرام حملتني بها بعدوبة الغناء
ورخامته ورقة المعنى وروعته إلى ملا غير هذا الملاء
تحف به الهناءات والمتع، وتلاعبت بمواطني ما شاء
لها الفن الرفيع والصوت البديع، ودارت بيننا
بعد ذلك أحاديث شتى تناولنا فيها مختلف الشؤون
الثقافية كالموسيقى والأدب والفلسفة والدين والعلوم،
وشربنا خلال الحديث الشاي مراراً، ولم نفق من
غمرته إلا على صوت الطفلة وهي تنشج بأكية معولة
والحاضنة تناعبها وتداعبها لعلها تسكت، فهضت
«أنا» وقتت على إثرها مودعاً، وكان الليل قد
أوشك أن ينتصف

وأمسيت بعد ذلك كثير التردد على آل
«لوجانوفتش» لا أهبط البلد إلا وأقضي جل أوقاتي
عندهم؛ ويات يشوقهم مرآي كما يشوقني مرآهم؛
وأصبحت أغشى منزلهم ساعة أشاء كأني فرد من
أفراد الأسرة دون أن يستأذن لي عليهم بالدخول؛
ولم تلبث حياتي أن أصبحت حينئذ دائماً وشوقاً
مستمرّاً، وبت لا أستسيغ العيش ولا أستطيع
الحياة إلا في بيتهم، أو إن شئت فقولوا إلا حياها

(١) اللفظة الصحيحة لكلمة فنان الشائعة على أعلام الكتاب

على هذه الأسئلة كلها أيها الأعزاء، هو: «أنا»
نعم أيها الرفاق، إنها «أنا» لا سواها، فأنا هي التي
أذكت في روحي جذوة مضطربة لا ينطق سعيها؛
وهي التي أرهفت بحسنها الرفيع وصوتها الساحر
إحساسي وشعوري، وهي وحدها التي حركت في
قلي الخلى عواطف الحب

وما انتصف النهار حتى كانت قدمي تقوداني
إلى منزلها كأن قوة خفية تدفع بي إليه، وما أعلنت
الخادم نبأ قدومي حتى هرع لوجانوفتش إلى يستقبلني
بما فطر عليه من لطف وإيناس، وهش بوجهي
وبش، وقال لي إن زوجته حدثته عن مرآي ليلة
البارحة، وإنه كان يعمل نفسه بقدومي إليه، وإنه
كان سيعتب على كثيراً لو حرمته زيارتي، فتحرك
لساني بشكره، وأما ذهني فقد ماج واضطرب،
وراحت الأفكار تتقاذفني بتياراتها وتصطرع في
رأسي قوية عنيفة؛ أأكون سافل الأخلاق منحطها
فأخذ صداقة زميلي ووده وسيلة لحب غير مشروع؟
أيظهر لي هذا الأدب الجم، وهذا اللطف المتناهي،
وهذا الإخاء الخالص، فأصبو إلى امرأته وأحوّل
قلبي عنه ولها منه طفلة رضيعة هي أحوج ما تكون
إلى عطف أمها وحنانها؟ أو ليس حي لهذه الزوجة
الأم إغواء وإثماً؟ أأندفع وراء عاطفتي الجامحة اندفاعاً
فيه كثير من التهور والجنون والضلال وأنا الذي
تؤثر عنه الزناة والتعقل وبعد النظر؟ وبكلمة
موجزة: الأخون صديقي في شريكة حياته ووالدة
ابنته؟

أجل: كانت هذه الأفكار وأمثالها تصطرع
في خاطري اصطراعاً عند ما سمعت صوتاً حنوناً
حسبته لرقته وعدوبته منبعثاً عن أوتار تنقرها ريشة

وترمقني بمثلها، وتحدثنا عن شتى الأمور، وطرقنا مختلف الموضوعات إلا موضوع حبنا فلم ينطق لنا به لسان ولم نلم به لا تصريحاً ولا تلميحاً، ولقد كنا سعيدين السعادة كلها هاتئين فوق مدى الظن. ولما أقبل زوجها سرّاً كثيراً بمرآي، ورحنا معاً نزجى الوقت بالحديث ونسرى عنا بالعزف على البيان حيناً وبالإنشاد حيناً آخر

أنا لم أعرف بعد في حياتي بإسادة رجلاً أظهر قلباً وأصفى نية وأوفى ولاءً من «ديمتري لوجانوفتش» فقد كان لا يشك في امرأته قط كأنه كان واثقاً من طهارة نفسها وعفتها ولا يرتاب بي على كثرة ما كان يأتي فيراني في منزله، وكان هو وقرينته يفكران في أمرى أكثر من تفكيرى فيه وينكران على هذه الحياة القلقة المضطربة التي أحيانا من غير شكوى ولا تبرم، في قرية لا متعة فيها ولا راحة لمن كان في مثل ثقافتى؛ وكان يعز عليهما أن أبذل شبابى كادحاً جاهداً في العمل المرهق ولا يتبقى لدي من إيراد المواسم إلا النزر اليسير من المال أنفقه على شؤونى الخاصة بكثير من التقدير خشية نفاذه قبل الأوان

وكان يترامى لهما أنى أتألم وأنى ما كنت أتكلم أو أحسو الشراب إلا لأموه على نفسى وأنفس عنها بعض ما بها من شجن وغم. ولقد كنت أشعر بنظراتهما الفاحصة حتى في ساعات سرورى وانسراحي كأنهما كانا يودان أن يستطلعا بها مكنونات قلبى ويستكشفا ضميرى. وكان يؤلماهما حقاً أن يريانى سادراً في التفكير البائس، وكثيراً ما كانا يعرضان على المال عند ما كانا يدريان أن على قسطاً مستحقاً من الدين، ويلحان على بوجوب

هى؛ وكثيراً ما كنت أدخل دارهم فلا أرى فيها إلا الحاضنة والخادم فأستلقى على الأريكة فى الثوب أطالع فى صحيفة أو أقرأ فى كتاب، فإن مللت من القراءة حنوت على الطفلة أهدها تارة وأناغيها طوراً، حتى إذا حان ميعاد عودة «أنا» من السوق هرعت إلى الباب أنتظرها على عتبة، فما إن تقبل مثقلة الدراعين بما تكون قد ابتاعته من أدوات ولوازم ولعب، حتى أتقدم إليها أروح عنها بحمل أشياءها جميعاً كأنى غلام يدأب على خدمة سيده بكل تيه ونحر

وبات الزوجان يقلقان على إذا أطلت عنهما غيابى كأنما اتصلت أسباب حياتى بأسباب حياتهما، وبت أنا لا أستروح نسيم السعادة إلا بغشيائى منزلها وترددى عليهما، ولم يكن من شىء يحول دون رغبتى فى ذلك إلا وعكة تلم بى أو مرض يعرونى. ولقد وفدت مرة بعد غياب طال أمده فدخلت الدار وجلست على إحدى أرائك الثوبى ساهماً محزوناً، فما هى إلا بضع دقائق حتى أقبلت «أنا» فى مبادلها وصاحت لئن رأيتى بلهفة الجزعة اللتاغة: — أهذا أنت؟ لماذا حبست عنا قدومك كل هذه المدة؟ ولماذا حرمتنا من أنسك هذا الأمد الطويل؟ أأصابك مكروه؟

لقد كانت نظراتها الواعدة المتألقة بطهر الحب، ويدها العاجيتان الممدودتان إلى، ورداؤها المنزلى البسيط الأنيق وشعرها المغدودن الناعم، وصوتها ذو الجرس الحنون، ومشيتها الوزونة الخطى، وكل ما فيها يؤثر فى تأثيراً عجيباً ويثير فى حنايا ضلوعى مواطنى المكبوتة الكظيمة

وجلست حياها أرمقها بنظرات ملؤها الحب

فكنت أضن بهذا الحب العذري الرفيع ، هذا الحب
النفساني العالي أن يسف وأن ينحط من رفعته
إلى حضيض المهانة والابتذال . وكنت أربأ بنفسى
أن تهوى إلى الدرك الوضيع الشائن ، وأنزهها عن
ارتكاب الإثم الموبق ، فما حاولت على كثرة ترددي
على منزلها واجتماعي الطويلة بها أن أقبلها ،
أو أرتشف رحيق الهوى العذري من شفتيها ، لأنني
كنت أعد حتى تقبيلها مساً بولائي لزوجها وخطاً
من قيمة الصداقة البريئة الخالصة التي ربطت بيننا ،
وامتهاناً للأخاء الذي وحد بين قلبي وقلبه

وليس معنى هذا يا أعزائي أنني صنو الملائكة
الأطهار وأن صدري لا تختلج فيه عاطفة ثائرة ولا
تخفق في حناياه نزوة جامحة ، لا ! فقد كانت تجيش
بصدري نوازع شتى ولكني كنت أكتبها وأخذ
حدثها . وكان يجول في خاطري بعض الأحايين أن
هذه الخطة النقية التي أتبعها في حب هذه المخلوقة
الساحرة لم تكن مثلي ، وأنها ليست إلا من صنع
الخيال الخاطي ، وأن رعى العهود وحفظ الوعود
واحترام الصداقة وتقديس الأخوة ليس إلا أوهاماً
في أوهام ، وأن الشرف والعفاف والنزاهة والتجرد
والشهامة والإباء ليست إلا أسماء لغير مسميات
لا وجود لها إلا في بطون الكتب وعقول المترمطين
الخبولين ، واصطلاحات لا معنى لها إلا في عقول
هؤلاء وأمثالهم من المأفونين أولى النظريات التي
يستحيل تطبيقها على البشر بوجه من الوجوه ؛
ولكني كنت لا ألبث أن أزجر نفسي عن مثل
هذه الفكرة وأقول إنها خاطئة أوحاها إلي الشيطان
وزينها لي الهوى

وهكذا يا أعزائي رحت أكلف بها من غير

تقبل مساعدتهما المادية لي إلا أنني كنت أشكرهما
عواطفهما الرقيقة بكثير من الأدب واللفظ ، وآبى
أن أستدين منهما بارة واحدة مع أنني كثيراً ما كنت
في أمس الحاجة إلى المال . وكنت أؤثر أن أستدين
من المرابين على أن أظهر أمامهما بمظهر الوضيع المهان
ودارت الأيام دورتها ، وأصبحت «أنا» أما
لولدين كالربيع طلاقة وسنا ، ولدين مرحين غردين
كبلبلين ، انطبعت فيهما ما فيها من نجابة وذكاء ،
ورونق وبهاء ، ولدين كانا نخر أبيهما ، وعنوان
بهجته ونبع مسرته ، إلا أنهما لم يكونا كذلك
لأمرهما التي كانت ترى فيهما ذبولاً لآمالها وتصويحاً
لآمالها

لقد كانت تعطف عليهما وتحبهما ، ولكن عطفاً
مشوباً بالكدر وحباً ممزوجاً بالكآبة والحزن ،
لأنها كانت تشعر في أعماقها أن كل عام يزيد في
نموهما وحيويتهما ينقص من قوتها وحيويتها هي ،
ولأنهما كلما تقدم بهما العمر نحوقة الصبا والشباب
انحدر بها إلى هاوية الكبر والمهرم ، وأصبحت
غير قيمة بالتقدير ولا جديرة بالإعجاب والحب

لقد كان هذا الخاطر يعضها ويرمضها ، ولم
أكن بحاجة لتصرح لي به ، فحركاتها وتصرفاتها
ومسحة الشجن التي علت قسماها كانت كلها ناطقة
به ؛ ولكنها كانت على خطأ واضح وضلال مبين ،
فشحوبها الساهم جاءها فتنة على فتنة وسحراً على
سحر ، وكونها أمماً لم يحل دون إعجابي بها بل على
النقيض زاد في حبي لها وتغالي بها

لقد أحببتها حباً عميقاً هادئاً لا نزوة عاطفية فيه
ولا جراح نفس ، وأحبتي هي كذلك حباً شريفاً
طاهراً ، لقد نزهت حبي عن الفاسد والأهواء ،

استطيع أن أنأى بها ؟ ! لو أنى ترى موسى أسبح
في أقطار المعمور وأجوب عواصم العالم ، أو لو أنى
زعيم فذة في بلادى تعبدنى الجماهير ، أو لو كنت
عالمًا كبيراً أو مغنياً خطيراً أو كاتباً محريراً ، إذن
ليس الأمر وهان ، أما أن انتقل بها من حياة عادية
لأخرى شبيهة بها أو أحطّ منها فما أرفضه وآباه
الإباء كله ؟ فالى أين المال لو قدر الله لحبنا أمداً
ولسعادتنا أجلاً ؟ ! وماذا يكون مصيرها هي يا ترى
لو ألمّ بي مرض عضال أقعدنى عن العمل وجعاني
طريح الفراش ، أو وافانى الأجل المحتوم فت ؟ !
كنت أفكر في هذا وأنا جالس إليها ، وأحسب
أنها كانت تفكر فيه مثلي ، وأن خواطرها لم تكن
إلا هذه أو ما يقرب منها ، وإخال أنها كانت تفكر
في زوجها الذى لم يسيء إليها قط ، في ولديها فلذتى
كبدها ، في أمها التى كانت تعبدها وتحب صهرها
كابنها الحبيب .

وأمر آخر كان يرمضها على ما أظن ويمض
منها الروح : أليكون حبها مسعدى يا ترى ؟ أم إنه
يبلينى بنكبات لا أول لها ولا آخر فيزيد حياتى
تعقيداً وجديّ عثوراً ؟ ! وكان يتراءى لها عدا
ذلك أنها فقدت الكثير من نشاطها بعد أن أصبحت
أمّاً لولدين ، وأنها لم تعد كفءاً لى لتستهلّ معى
حياة جديدة تتطلب جهداً وافرّاً ؛ وكثيراً ما كانت
تقول لزوجها أمانى إن على أن أبني بفتاة ذات مزايا
كثيرة تكون لى نعم العون فى شؤونى كافة ،
ولسكنها كانت تتبع فوراً عبارتها هذه بقولها له إن
من الصعوبة بمكان أن أعثر فى المدينة بأسرها على
فتاة كالتى تبتغيها وتبغها لى
وكان يطيب لها أن تخرج معى إلى المنزهات

أمل وأهم بها دون رجاء . فكنا نجتمع الساعات
الطوال فنمزح كثيراً ونصمت كثيراً كذلك ،
وكنت أنظر إليها نظرات الوله ، وتنظر إلى نظرات
التتيم ، ويحاول أحدهما أن يبوح للآخر بحبه ،
ويشبه شكاة قلبه ؛ غير أنه يعود إلى نفسه فيؤثر الصمت
ويفضل السكوت . وأى حاجة بنا للقول وكل ما بنا
ينطق بالحب ويهتف بالهوى ؟ وأى جدوى للتصريح
وكلانا يدرك حق الإدراك ما يعتلج فى نفس رفيقه
من وجد لا عجز وجوى مستعر ؟

وإن الصمت فى مثل هذه المواقف لأبلغ من
النطق ، والسكوت خير من الكلام . ولقد كنا
سعيدين بالكلام عندما كنا نتكلم جدّاً أو مزاحاً ،
وهاتئين بالصمت عندما كنا نطلق لأخيلتنا العنان
ذاهلين ممرورين تأهين فى عالم الرؤى والأحلام
كنت أفكر وأنا جالس حياهما فى ظلم القدر
وقسوة القضاء ؛ أفكر فى حبي لها وحبها لى هذا
الحب الناعم الساجى ، أفكر فى زوجها الكهل
وفتوتها اليانعة ، أفكر فى كيف أن الأقدار شاءت أن
يصادفها هو لا أنا ، وكيف ألقها فى سبيله لا فى
سبيلى ؛ وكنت أحياناً أشتط فى تأملاتى ويذهب
بى خيالى كل مذهب ، فيخطر لى أن أنتزعها من
أحضان زوجها وولديها وأفرّ بها ضارباً بصداقة
زوجها وبالشرف عرض الحائط ؛ غير أنى لا ألبث
أن أعود إلى عقلى الرصين وأثوب إلى هداى فأعترف
عن هذا رأى الفاسد الأخطل ، وأقول فى نفسى
إن هذا لو تمّ لجاء منتهى القسوة وغاية الظلم .
وما إخال أننى فظّ إلى هذا الحد فأحطم سعادة
عائلة يجلى فيها الصغير والكبير الإجلال كله ، ويشق
بى جميع أفرادها ثقة عمياء كبرى . ثم إلى أين

لا تطيق أن ترى زوجها ولا ولديها الحبيبين ،
وغدت تتردد على أمها وأختها كثيراً وتقضى عندهما
روحاً من النهار طويلاً ثم تنكفي عائدة إلى منزلها
كسيرة الخاطر محزنة النفس

وتغيرت اجتماعاتها فيما تغير من عاداتها ، فأما
ساعات اللقاء سلسلة من الصمت الطويل والتأمل
العميق ، وأضحت تظهر لي بمظهر الندى أمام الناس
كلما ضمني وإياها مجلس أو نادي . فإن تناظرت
وأحداً من الناس انحازت إليه ضدي ؛ وإن
تحدثت عن أمر ناقضته ولم توافق عليه ؛ وإن
سقط شيء من يدي عرضاً قالت لي يبرودة ساخرة :
« أهنتك » ؛ وإن صحبتها إلى الملهى وحدث أن نسيت
أن أستحضر معي النظارة قالت بفتور : « كنت أعلم
أنك ستنساه ! »

وصمت « اليوكين » لحظة نظر فيها من خلال
النافذة إلى السماء التي انقشعت عن أديمها بعض
السحب وأن أنة « خافتة » ثم استطرده يقول :
« كل شيء في الوجود يأسادة إلى نفاذ ، ولا
شيء في حياتنا — لسوء الطالع أو لحسنه — إلا
ينتهي إما عاجلاً أو آجلاً . ووقت انفصالي عن
« أنا » أو بالأحرى انفصالها عني قد دنا وحان ؛
فقد عين « لوجانوقتش » رئيساً لحكومة مجاورة
لبولونيا وكان عليه أن يبيع كل ما عنده من أثاث
ورياش وخيول وحتى منزله الريفي الجميل . وعلى
ذكر المنزل الريفي هذا أقول إننا عند ما كنا لآخر
مرة فيه وقفت « أنا » حياءً تتأمل معي الحديقة
الغناء التي تساوره ، والحقول المنبسطة أمامها
بخضرتها السندسية ونبتها المخضلة ؛ وكان كلانا
منقبض النفس مكيد الأساير يشيع تلك المرائي
بنظرات حزينة ويودعها لآخر مرة وداعاً لا لقاء

العامة غير آبهة لألسن الوشاة ولا مكترثة لأقوال
النمامين ، فنستمتع معاً بالنسيم السجاج والفيء
السجسج ، ونتملى من منظر الورد وعبق الزهر ؛
ويلد لها أن أحجبها إلى الملهى لحضور إحدى
الروايات المسرحية الممتعة ، فنذهب سيراً على الأقدام
ونجلس في المقصورة كتفاً إلى كتف وجنباً إلى
جنب ، فإن بدا في المسرحية موقف غرامي رائع
التفتت إلي بعينين نصف مطبقتين ، ومحييا وادع كسته
الماطفة كل روعتها وسحرها ، ونفراتن ترتقص
عليه مغريات النى ، وتمت :

« اليوكين ! » فأحنو عليها وصوتها الرخيم
يرن في مسمي ، وحبها يغور في أضلعي ، وأهمس
بجب : « أنا ! » وأهممت بتقبيلها فما إن يكاد يصل
نغري إلى نغرها حتى أسحب رأسي وأراجع عنها
أظماً ما أكون إلى رشفة من بين ثناياها ، وأحس
القبلة في فمي فارتيم ، فترد هي رأسها الصغير المحبوب ،
وتطلق من صدرها المجهود زفرة لاهبة حررى ولا
تنبس . وأحسب أن تلك اللحظات القلائل هي خير
ما كنت أشعر فيه بالسعادة والنعيم ، وأحس فيها
بأن « أنا » لي وحدي ، وأن واحداً لا يطيق
العيش قصياً عن رفيقه يتقل على جمر البعد ونار
النوى ! ، ولكن وأسفاه ، ينتهي التمثيل ونخرج
من الندى فيذهب كل إلى طيته كغريبين لا صلة
للوأحد بالآخر ولا سبب يمت به إليه

ومرّت الأيام بعضها في إثر بعض ،
وأصبحت « أنا » سوداوية الطبع ضيقة الخلق
تتبرم بالحياة وتشكو منها وتحزن لغير داع وتغضب
لغير سبب ، وباتت ترى في الكائنات نقصاً مشوهاً
كرهت الوجود من أجله وضافت به ؛ لا ، بل تعدى
الأمر إلى بيتها وأسرتها فاجتوت منزلها وأمست

بعده . ولما التفت إليها رأيت في محجرتها دمتين
تترآن ! (١)

وساءت صحتها قبل الرحيل الى مقر زوجها
الجديد ، فاستشار لها الأطباء فأثبتوا أنها مصابة
بضعف الأعصاب والقوى جميعاً ونصحوا لها
بالاستشفاء في « الكريمة » وقرروا أن تعالج في
ذلك المصح الفاتن بالهواء الرخي والماء المعدني والمناخ
السري ، حتى إذا تم لها الشفاء وقبض لها البرء
لحقت بزوجها إلى مسكنه العتيد

ورافقت أنا إلى المحطة حيث اجتمع لوداعها
جم غفير من علية القوم وسراة البلد ، وقرع الجرس
مؤذناً بتحريك القطار بعد قليل ، فودعت زوجها
وولديها والناس جميعاً ، ولما لم يبق إلا ثوان قلائل
لسيره قفزت إلى العربة لأضع رزمة لها كانت قد
نسيتهما ولأودعها الوداع الأخير وحدي . ولما التفت
نظراتنا خذلتنا قوانا ، ووهي جلدا ، فاحتضنتها
بين ذراعي لأول مرة في حياتي فألقت رأسها الصغير
على صدري الخفاق ، ولم تمالك نفسها من البكاء
فأنهرت من مقلتيها الدموع غزيرة حرى

وفي تلك الغمرة الساحرة حنوت أذتشف من
مقلتيها الدمع وأكفكف بشفتي العبرات الواكفة
وألثمها في فمها وخديها وعنقها وشعرها وكتفيها
وأني وقع عليها تغري لثمات كلها هوى وجوى ،
وشعرت في تلك اللحظات بحزن عميق في نفسي
لم يسبق لي أن شعرت بمثله في ساعة من ساعات
حياتي ، وانقبضت انقباضاً لا عهد لي بمثله من قبل ،
وأدركت في تلك الدقيقة فقط إبان الأسى المحرق
الذي اجتاح كياني كله أن أيامنا التي قضيناها معاً
وتصرمت منها الساعات قد ذهبت هدرأ فيما لا طائل

(١) رأراً الدمع دار في المحور ولم يسقط

تحت ولا غنية فيه ، وأن هذا الذي حال بين حبها
وييني من إباء وشرف وكرامة لم يكن إلا هراءً وانفواً ؛
وأني أخطأت خطأ فادحاً في عدم انصياعي إلى
عاطفتي وهواي ؛ وأدركت في تلك اللحظة فقط أن
على المرء عند ما يحب أن يرتفع فوق العرف والشرائع ،
وأن يسمو فوق الترهات والأباطيل ، وأن يتخلى
عن التفكير في غده ومستقبله ، وألا يبحث في أمور
السعادة والشقاء ، والرزيلة والفضيلة ، والشرف
والتهتك ، أو يضيع أوقاته سدى ؛ وليندفع وراء
حبه إن شاء متعة نفسه وراحة قلبه

وقبلتها للمرة الأخيرة قبلات حارة أودعتها كل
ما في فؤادي من حنين وحب وصالحها مودعاً إياها
إلى الأبد . وكان القطار قد تحرك فجلست في العربة
المجاورة أبكي حتى بلغ بنا المحطة الأولى فنزلت وعدت
منها إلى قريتي ماشياً

وأطلت الشمس من وراء الغيوم الدكناء التي
كانت تحجبها وأرسلت أشعتها المنعشة من خلال
النوافذ فقام « بوركين » و « إيفان » إلى الشرفة
يتأملان جمال الطبيعة الساحر ويحدقان في ترعة الماء
وقد لمت صفحتها كالرآة الوضيئة تحت شعاع
الشمس ، ورثيا في نفسيهما لمضيفهما الذي حدثهما
بسذاجة وإخلاص عن حبه الشهيد ، وأشققا على
هذا الرجل النابغ الأروع الذي يقضي أيامه في هذه
الحقول والبساتين دون أن يكثرث بالعلم أو بالأدب
أو بأي شيء سواه يدخل السرور إلى قلبه الحزين
الباكى ، الذي يحن إلى الماضي البعيد حنيناً يصوح
شبابه الوريث ويؤيس نفسه ، ويتلفت كثيراً بلوعة
وحرقة إلى خيال تلك المرأة الفاتنة التي قضى بقربها
خير سني صباه دون أن ينال منها حتى في آخر عهده
بها إلا قبلات معدودات هي كل ذخيرة من هواه

مورج سلسني

الرسالة

في سنتها السادسة

على الرغم من ارتفاع أثمان الورق هذا الارتفاع الفاحش ، وبالرغم من تقدم الرسالة هذا التقدم المطرد ، وبالرغم مما سنبذله في تحسينها من الجهد في عابها الجديد ، سيبقى اشتراكها كما هو : ستون قرشاً في الداخل ، وجنيه مصري في الخارج ، وتقدم إلى من يدفعه في أثناء شهر يناير المقبل مجلة الرواية مجاناً

الرواية

وليست الرواية هدية ضئيلة القدر ، فإنها تصدر جميلة الطبع والوضع في سبعين صفحة ، وهي المجلة الوحيدة التي تقرأ فيها القصة العربية الفنية مكتوبة بأسلوب بليغ مشرق ، أو القصة الأوربية الرائعة مترجمة بلسان أمين صادق . وحسبك دليلاً على قوتها وقيمتها أن مجموعة سنتها المنصرمة تشتمل على ٣٤ أقصوصة موضوعة ، و ١١٦ أقصوصة منقولة ، وثلاث مسرحيات ، وعلى النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لألفريد دي موسيه ، وملحمة الأوديسة لهوميروس ، وكتاب يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم . أما مجموعة السنة القادمة فستكون أروع وأجمع وألد . واشتراكها وحدها ثلاثون قرشاً في مصر ، وخمسون في الخارج

اشتراكات الطلبة والمعلمين الإلزاميين

يشارك الطلبة والمعلمون الإلزاميون في الرسالة وحدها بأربعين قرشاً ، وفي الرواية وحدها بعشرين قرشاً ، وفيهما معاً بخمسة وخمسين قرشاً . ويجوز أن يقسط هذا المبلغ أقساطاً تبتدىء في يناير وتنتهى في شهر مايو من سنة ١٩٣٨

الاشتراك في الرسالة

يقوى عقلك ، ويغنى ثقافتك ، ويطلعك على تطور الفكر العالمى الجدير

والاشتراك في الرواية

يربى ذوقك ويرهف شعورك ويمتلك بروائع الفن القصصى الحديث

ماذا تريد أن تفعل في هذا العالم ؟
إلى أين مصيرك إذا أنت خرجت من هذه
الغرفة ، وإذا بقيت فيها فما هي آمالك منها ؟
أفلا تحس وأنت تنظر إلى هذه المرأة أن في
قلبك كنزاً لا يزال دفيناً ؟ أفلا ترى أن ما تفقده
الآن ليس ما بدا ، بل ما كان يمكن أن يبدو فبق
مُضمرأ ، وأن أفعج الوداع هو ما يشعرك بأنك لم
تفصح عن كل شيء ؟

لماذا لم تتكلم منذ ساعة ؟ فقد كان لك أن
تتملك السعادة قبل انتقال عقرب الزمان خطوة
واحدة

لماذا لم تعلن أملك إذا كنت تتألم ؟ وإذا كنت
تحب فلماذا أضمرت حبك ؟

إنك الآن كحاشد الأموال يموت على أكوام
كنوزه . لقد أقفلت بابك على نفسك أيها الحريص
وها أنت ذا وراء المزايل المحكمة تهزها عبثاً لأنها لن
تعنو لسلطانك فهي منيعة ومن صنع يديك

أيها الضال ، إنك نسيت ربك عند ما اشتبهت ؛
وبلغت مشتهاك فلعبت بسعادتك كما يلعب الأطفال
بالدمى وما خطر لك أن ما تقلبه يداك سريع
العطب ، وليس لك أن تظفر بمثله عند ما تشاء . لقد
احتقرت مأمك وأهملت التمتع به وأنت تتلهى
بالابتناس ولا يخطر لك أن هنالك ملاكاً صالحاً
يسهر عليك ولا ينقطع عن الصلاة ليحفظ لك
بهذا الشبح الذي لا يلوح حتى يختفي

أواه ! لو أن في السماء ملاكاً يتولى حراستك ،
فما هو فاعل يا ترى الآن ؟

إنه لاشك جالس إلى معزقه وقد تراخى جناحاه
وامتدت يداه إلى مضارب الأنغام ليتغنى بأنشودة

من أعماق النفوس



اعترفان في العصر

والفريد رى موسيه

بمعلم الأبتاز فليكن فارس

الجزء الخامس

الفصل السادس

وقلت في نجوى لداي : « لم يبق لي إلا أن
أسدي إليك نصيحة يا هذا : خير لك أن تموت
أنتهز فرصة شعورك بالصلاح في هذه الساعة
واذهب إلى الفناء كيلا تتوغل في الشر غداً

إن أملك الآن امرأة تحبها وهي منطرحه على
فراش احتضارها ، فلا تردد . مد يدك إلى صدرها
واكتف منها بأنها لم تمت بعد ، وما دمت تشعر
بالاحتقار لنفسك . أطبق أجفانك ولا تفتحها بعد ،
ذلك خير لك من أن تشيعها إلى مرقدتها الأخير
ثم يجي غدك فتسلوها

بادر إلى إغماد خنجر في قلبك ما دام هذا
القلب لم يتحول بعد عن الله الذي أبدعه

أفيوقفك صباك عن الاندفاع إلى الموت ؟ وأي
شيء تريد الاحتفاظ به من هذا الصبا ؟ أتأسف
لسواد شعرك ؟ إذا لم يشب هذا الشعر في ظلمة
هذا الليل على مفركك فخير له ألا يعلوه بياض
الشيب أبداً ...

أبدية ، أنشودة الحب والسلوان ! ولكن أعضاء هذا الملك ترتعش وقد انطوى جناحاه وهوى رأسه كالقصبة المنكسرة . لقد مرّ به ملاك الموت ، وما لمس كتفه حتى تبدد وتوارى في الكون الفسيح وها أنت ذاباق وحدك على الأرض وأنت في الثانية والعشرين من سنى حياتك بعد أن كان الحب الشريف السامى وقوة شبابك سيوجدان منك كائناً له شأنه في الحياة

لقد مررت بك أيام طويلة من الملل والأحزان وساورك التردد ، وأنقلت عليك الشبيبة الطائشة ، فأوصلتك هذه الحنن إلى يوم كان لك أن تتوقع فيه بلوغ الطمأنينة والسلام . لقد كان لك أن تتوقع من حياتك التي وقفتها على كائن امتلك لبك أن تهب عليها نسمة جديدة فإذا أنت تشهد انهيار كل شىء يحيط بك . وقد انقلبت شهواتك الفامضة إلى أسى صريح . لقد كان قلبك من قبل خالياً منها هو الآن يصبح مهجوراً ...

هذا هو حالك ، وأنت لم تزل واقفاً عند حيرتك وترددك !

ما الذى تتوقعه وهي قد سئمتك ولم تعد لحياتك من قيمة عندها . إنها تهجرك فلم لا تهجر أنت نفسك ؟ ولييك عليك من أحبوا شبابك ، إنهم ليسوا بعددين

إن قلباً حكمه الخزى أمام من يهوى لجدير بالصمت إلى الأبد . لقد مررت على قلب بريجيت فعليك بالمحافظة على ما أبقاه من أثر فيك ، فإذا بقيت في الحياة فلا بد لك من درس آثارها ؛ ولا سبيل لك للمحافظة على أنفاسك المدنسة إلا باستكمال تدنيسها ؛ ولا قبل لك بالحياة إذا أنت لم تشتريها بهذا الثمن .

اسوف تضطر لتتمكن من احتمال حياتك ألا تكتفى بنفسيان الحب ، بل عليك أن تتعلم جحوده ونكرانه كما عليك ألا تنسى ما كان صالحاً فيك فحسب ، بل عليك أيضاً أن تقتل أية جرثومة قد تستنبت الأيام منها صلاحاً ، لأنك إذا بقيت للحب متذكراً فلن تستطيع أن تخطو على الأرض خطوة واحدة ، وأن تضحك أو تبكي ، وأن تحسن إلى فقير . لن تستطيع الشعور بالحنان لحظة واحدة دون أن تسمع صرخة الدم في قلبك قائلة لك : إنك ما خلقت صالحاً إلا لإسعاد بريجيت بكل عاطفة طيبة فيك

إنك لن تقوم بأى عمل دون أن يذهب عملك مثيراً أحد الشقاء في أعماق أحشائك فكل ما تحتاج له روحك ينبه فيها تأسفاً على ما فات فيتحول الأمل نفسه وهو رسول السماء في القلوب يدعوها إلى الحياة — إلى شبح قائم ينضم إلى الماضى ليؤاخيها . فإذا ما حاولت بلوغ أمنية انقلب جهدك ندماً لأن القاتل لا يذهب في الظلمة إلا وهو يربط على صدره بكلتا يديه خشية أن تقع أنامله على جدار فتتم آثارها عليه

تلك هي الحياة التي قدرت عليك في آتيك فاختر بين روحك وجسدك إذ لا بد لك من القضاء على أحدها

إن ذكرى الخير ستدفع بك إلى ارتكاب الشر فما عليك إلا أن تصبح جثة باردة إذا كنت تحاذر أن تبقى شبحاً لداثك !

أيها الفتى مت في صلاحك لعل أحداً يأتى إلى قبرك فيذرف الدمع عليه «

وانطرح أمام السرير فاقدأ هداى لا أعلم من أنا ولا أحس بما أفعل ، وأرسلت بريجيت زفرة وهي

الهدان ينفران إلى الحياة ، وكل لفظة ترسلها إلى
صراخها تقنعها بوجوب البقاء ؟ وأي رجل لا يتقدم
مهتأ لها بشفائها عند ما تجف آخر دمة على أجفانها
وتلتصع أول ابتسامة على ثناياها ؟

لن تمضي ثمانية أيام على صمتها حتى تبدأ
بالتأمل من ذكر اسمي لأنها لا تجيء على ذكرى
إلا وهي ترسل حولها نظرات من يستنجد الناس
لاقتناص السلوان ، فلا يطول الزمن حتى تمتنع عن
التفكير في "وتجنب سماع اسمي . وفي صبيحة يوم من
أيام الربيع تفتح نافذتها لتنظر الانداء ترصع الأزهار
وتتنصت إلى زقزقة العصافير بين ناضرات الغصون
فتستغرق في وجومها قائلة : لقد أحبيت فيما مضى .
وعندئذ من سيكون قربها ياترى فيقول : وستحبين
إيفان ، فتصني إليه ؟

أين أكون أنا حينذاك ، أيتها الخائنة ؟ أين
أكون حين تنحنين وقد علا وجهك احمرار برعم
الورد يتفتق عن أكمامه إذ يتصاعد كل ما فيك من
فتاء وبهاء وينمقد تاجاً على مفرقك ؟

ستقولين إن قلبك مغلق ، ولكنك تسر حين
منه هالة من أنوار جديدة تستهوي كل أشعة منها
قبلة غرام . وما من امرأة تعلن إرادتها بأن تحب
كل امرأة القائلة إنها لن تحب بعد !

وأية غرابة في هذا ؟ أفلمست أنت أيضاً بنت
حواء ؟ أفما تعرفين اعتدال قوامك وروعة نمرك
وقد وصف جمالك من رآه فلا تعتقدين كما تعتقد
الغذاري أن لكل النساء مالك تحت أستارك ولا
تجهلين ما للتمنع من قيمة في عواطف الرجال ؟
وهل ترضى المرأة التي غرّها الفناء أن تحرم ما
يولده الإعجاب بها من غرور ؟ وهل تعدّ نفسها

تدفع عنها غطاءها كأنها ترحزح عنها حملاً ثقيلاً ،
فانكشف صدرها ناهداً بناصع بياضه أمام عيني
واهتزت مشاعري كلها لهذا المشهد فما عرفت
أهو الحزن يستولي على ، أم الشهوة تتلاعب بدمي
وخطر لي فجأة خاطر ملأني ذعراً فإذا بي
أقول : « أواه ! أترك جميع هذا لسواي ؟ أموت
وأزل إلى القبر فيبقى هذا الصدر بعدي يتنفس
هواء السماء ؟ أمن العدل أن تمتد يد غير يدي إلى
هذه البشرة الشفافة الناعمة ، وأن تلتصق بفمها
شفتان غير شفتي ويجول في قلبها غرام غير غرامي ؟
أيقف قرب هذا السرير رجل سواي ؟

أتكون بريجت سعيدة حية معبودة وأكون
أنا في زاوية من القبر أتثر رمادا ؟
أية مدة من الزمان تحتاجها للنسيان إذا مت
غداً ؟ وأي مقدار من الدموع ستدرف على حجر
قبري ؟

من يدري ؟ لعلها لن تذرف قطرة واحدة من
جفونها على ، ولن يقترب منها صديق بل لن
يقترب منها أحد دون أن يقول لها إن موتى كان
خيراً لها من بقاء فيعزيها ويدعوها إلى الانقطاع
عن ذكرى ؛ وإذا هي بكت يحولها الناس عن التفكير
بي ، وإذا استمر حي حياً في قلبها بعدي فإن الناس
سيعملون على بشفائها منه كأنه سم زعاف له ترياقه
وهي نفسها لعلها في اليوم الأول تصمم على
اللاحاق بي ، ولكنها لا تلبث حتى تتحول بعد شهر
عن طريق المدفن كيلا ترى حتى من بعيد أغصان
الصفصاف الباكي المتهدلة على شاهد قبري

وهل لها أن تفعل غير ذلك وما كان الجمال
الرائع إلا سالياً عتيماً ؟ وكيف تطلب الموت وهذان

من الأحياء إذا ضرب عليها الحجاب وساد حول
جمالها السكوت ، وما جمالها في عقيدتها سوى ما يلتصع
من شهوة في عين عاشقها وما يتدفق من ثناء على
شفقيته

لا ... لا مجال للشك في أن من أحب مرّة
يتمتع عليه ألا يحب بعد . فمن يرى الموت يفزع منه
إلى الحياة

إن بريجيت تمواني وقد يقتلها هواها ولكنها
ستندفع إلى صدر غيري إذا أنا انتحرت من أجلها .
وانحنيت فوق السرير وأنا أردد كلمة : غيري ...
غيري ... حتى لاصق جيني كتفها العاري

وقلت في نفسي : أليست هي أرملة ؟ أفما مرّ الموت
قربها من قبل ؟ أفما اعتنت يداها الصغيرتان بمريض
وكفتنا جثة ميت ؟ وما تجهل دموعها الأولى المدة
التي جفت بعدها ، والدموع الثانية ستجف بأسرع
من الأولى

وقاني الله استهواء الوسواس الخناس ! أفما
بوسعي أن أقضي عليها وهي مستغرقة في نومها ؟
ولو أنني نهبتها من رقادها الآن لأقول لها إن
ساعتها قد دنت وإننا سنطلق روحينا بآخر عناق
وآخر قبلة ، فإنها لن تتردد في القبول . وليكن
بعد ذلك ما يكون ، فإني الدليل على أن كل شيء
لا ينتهي بالموت إلى الفناء ...

وكنت مشهوراً بيدي سكيناً عثرت عليه
أهو الخوف أم الجبن أم التوهم الذي جرّ التفكير
إلى الاعتقاد بالحياة الأخرى ؟ وما يعلم عنها من
يقولون بها ؟ إن تلك الحياة قد أوجدت للجاهلين
وللغوغاء من الناس وما بلغ الاعتقاد بها في أحد
مبلغ اليقين إذا لم ير أحد من نواظير القبور ميتاً

يخرج من قبره ليذهب إلى بيت كاهن فيقرع بابه ،
وقد مضى الوقت الذي كانت تتراءى فيه أشباح
الأموات للأحياء بعد أن حظرت الشرطة اقتحام
المعمور على الباقيين من معقل الموت فما يهتف من
قبور هذه الأيام إلا من سارع الناس إلى مواراته
التراب قبل نخود أنفاسه . من أخرس الموت في
هذا الزمان إذا كان قد أسمع صوته من قبل ؟ فهل
اختار الروح المنطلق السكوت كيداً لأن الحكومات
تمنع المؤمنين من الاحتشاد على الطرق لإقامة شعائر
الدين ؟

إن في الموت النهاية والهدف . لقد وضع الله
الموت حداً والبشر يتناقشون في أمره وقد كتب
على جبين كل منهم : إنك فريسة الموت ، شدت
أم أبيت

وماذا يقول الناس إذا أنا قتلت بريجيت ؟ ليقولوا
ما يشاءون فلن تسمع ولن أسمع أنا بما سيتشددون .
ستنشر غداً إحدى الجرائد أن أوكتاف ت ... قتل
خليلته ، وبعد غد لن يتحدث بنا أحد ، ويرجع
كل من شيع نعشنا إلى بيته ليتناول غداءه على عادته ،
وأبقى أنا وبريجيت تحت أطباق الثرى في رقاد عميق
لا تنبهنا منه الأقدام السائرة فوق ترابنا

أفلا ترين أيتها الحبيبة أننا سنرقد هنالك
بسلام ؟ أفليس التراب خير فراش وثير تتوسده
فلا يحتاجه الأوصاب والأوجاع ولن يقدم في جواره
من سكان القبور من يغتابنا مقبحاً اتحادنا أمام الله .
هنالك ستتعانق عظامنا وقد تعرت عن كل كبرياء
واضطراب ، وما يعقده الموت المعزى لا يحلّ وما
يجمعه لا يبدّد

لسأذا ترتعش فرقاً من العدم أيها الجسد المعد

المرضعات من مجرمين ! فلماذا يعنى عن هؤلاء
الآبقين ؟ ومن من الأحياء يستفيد من الحساب
الذى يؤديه الأموات ؟

إذا كان قد وجب على الإنسان أن يعاقب على حياته
فقد كانت السماء ولا ريب خالية خاوية ، أفما يكفى
الإنسان شقاء أن يقضى عليه بالحياة ؟ ذلك ما قاله
فولتير على سرير احتضاره ، ومن أولى منه بهذه
الصرخة وهى أنين شيخ جاحد قطع من حياته كل
رجاء ؟

لآية علة يقوم هذا العراك ؟ ومن هو يا ترى
ذلك السرح أبصاره من العلياء فى هذه المآسى ؟
من هذا المشرف متسلياً على مشاهد هذه المخلوقات
التي لا ينقطع توالدها ولا تنتهى مدتها ، فيلذ له أن
يرى الصروح تشيد ثم تنبت الأعشاب بين أطلالها ،
وأن يرى الزارع يزرع ثم تكتسح العاصفات ما زرع ،
وأن يرى الأحياء يمشون ثم يصرخ بهم الموت :
قفوا ... وأن يرى الدموع تسيل حيناً ثم تجف على
مسالكها ، وأن يرى وجه الشبية متورداً بالحب
ثم يراه مجمداً بالهرم ؟

من هو هذا المتلهي بالنظر إلى الناس يمشون
أمام السماء باسطين أكف ضراعتهم إليها فلا تزيد
السماء سنبلة واحدة على ما ينبت من السنابل فى
حقولهم ؟

من هو مبدع كل هذه الأشياء ليمجد وحده
بعلمه ؟ إن جميع ما صنع هباء بهباء

إن الأرض سائرة إلى الفناء ، وقد قال هرشل إن
حياتها ستنتهى بالصقيع ، فمن هو يا ترى الرافع على
يده هذه القطرة من البخار المتجمد المحقق بها منتظراً
انحلالها وتطير عناصرها كما يحقق الصياد بوشل من

ليكون فريسة له ؟ كل ساعة تمر من الزمان إنما هى
خطوة من قدميك نحو الفناء تقطع بها حلقة من
سلسلة حياتك . وما غذاؤك إلا من كل شئ ميت ؛
فالسما تثقل عليك والأرض التى تطأها بقدميك
تشدهما لتجذبك إليها . انزل ... انزل إلى الحفرة
ودع عنك هذا الخوف ، لأنك لا ترتعش إلا لكلمة
الموت فما عليك إلا أن تقول : إننى لن أحيأ بعد .
وهل الحياة إلا وقر ينفس الإنسان عن كربه
باطراحه ؟ ولماذا تقف تجاه الموت مترددين إذا كان
قد تحتم علينا الوصول إليه عاجلاً أو آجلاً

إن المادة لا تفنى وقد عالج العلماء بكل ما لديهم
من الوسائل ذرة منها فعجزوا عن إخراجها من
خيز الوجود إلى العدم . فإذا كان لا مسيطر على
المادة إلا تصارييف الصدفة العمياء فأى شر ترتكبه
إذا هي انتقلت من عذاب إلى عذاب آخر ما دامت
عاجزة عن استبدال سيدها المسيطر عليها ؟ وهل
يهم الله للشكل الذى أبدوفيه ولثوب الذى تتشحه
أوجاعى ؟ إن عذابى مستقر فى جمجمتى وهذا العذاب
إنما هو ملكى وأنا حر فى القضاء عليه ؛ أما الأكرة
العظيمة فليست لى ، فأنا أعيدها إلى من أودعنى
إياها ، أتخلى عنها للأرض فليتخذها شاعر كاساً
يحتسى فيها خمرة جديدة

أية ملامة أستحق إذا أنا فعلت ، ومن ذا الذى
يوجه هذه الملامة إلى ؟ وأى قاض صارم سيحكم
بالخيانة على ، وهو لا يعلم شيئاً من أمرى لأنه لم
يكن كامناً فى أحشائى ؟

إذا كان قد قضى على كل مخلوق بقسط من
العمل لا بد له من القيام به ، وإذا كان التمرد على هذا
العمل جريمة ، فبالأطفال الذين يموتون على أنداء

لقد كتبنا وأملينا الشرائع الإلهية والانسانية
ونحن نقف واجبين خائفين مما كتبنا
يعيش واحدنا ثلاثين سنة صابراً على أوجاع
وهو يعتقد أن تجلده مقاومة وكفاح ، في حين أنه
لو أطلقت على هيكل تفكيره قبضة من البارود
المشتعل لاستنبت على أحد القبور زهرة ناضرة .
وكنت وأنا أتفوه بهذه الكلمات أصوب
السكين إلى بريجيت وألقي رأس النصل على صدرها ،
وبت فاقداً رشدي كالمحموم ورفعت الغطاء لأهدى
السكين إلى منبض قلب خليلتي . فإذا بصليب صغير
من الأبنوس يلتصق بسواده بين يديها ، وإذا بي
أراجع مذعوراً ، وقد تراخت أنا ملي عن مقبض
السلاح فسقط من يدي

وكانت عمة بريجيت هي التي أعطتها هذا الصليب
في ساعة احتضارها ، وما كنت قد رأيته على صدرها
قبل هذه المرة ، ولعلها علقته في عنقها عندما غرمتنا
على السفر كنعويذة تقيها الأخطار .

وشبكت كفاً بكف فجأة والتوت ركبتي فأذا
أنا راكع أهتف والارتعاش يهزني : أ كنت هنا ،
يا سيدي ؟ أ كنت هنا وأنا لا أدري ؟

ليقرأ هذه الصفحة من لا يؤمنون بالسيد المسيح
لقد كنت أنا أيضاً لا أومن ، فما كنت ارتدت المبادئ
لا بأيام الطفولة ، ولا بأيام المدرسة ، ولا عندما
أصبحت رجلاً ؛ فلم يكن لديني ، لو صح أن تدعى
عقيدتي ديناً ، رموز ولا طقوس إذ لم أكن أعتقد
إلا بالله لا وحي منه ولا طرق لعبادته ، لأنني تسلمت
منذ صباه قتي بأداب العصر ، ورضعت من أئدائه
ما درت على الناس من عقيم الإلهاد . فكانت
الكبرياء البشرية إلهة الآنانية تمنع في أن يتفوه

مياه البحر يتوقع تبخره ليظفر بالملح من راسبه
إن نظام التجاذب الذي يقلق العوالم في مدارها
إنما هو دافعها إلى الفناء قارصاً من أحشائها بشهوة
لا حد لها . فما من كوكب إلا ويجر شقوته دائراً
بالأنين على محوره ، وكل العوالم تتنادى من أقصى
الأفلاك إلى أقصاها مشتاقة إلى راحة السكون
مفتشة عن أول كوكب يتوقف عن مسيره بينها .
ولكن الله يمنعها أن تستقر فهي دائبة أبداً على
عمل لا غاية فيه ولا نفع منه . إنها تدور وتدور ،
تتألم وتحترق ، تنطفئ وتشتعل ، تنحدر وترتفع
تتلاصق وتتجانب ، وتتشابك تشابك الحلقات حاملة
على سطوحها آلافاً من المخلوقات تتجدد بلا انقطاع
وهذه الكائنات تضطرب وتتلاقى فيلتصق بعضها
بعض برهة من الزمان ثم تسقط ليقوم غيرها بعدها ،
فالحياة تندفع دائماً إلى حيث انعدمت الحياة كالهواء
يهب أبداً إلى حيث فرغ الهواء ...

كل شيء يسير على ناموس مقرر في هذه
الأفلاك فكل مسلك خط بأسطر من ذهب ومن
نار ، وكل شيء ذاهب على نغمات الموسيقى السماوية
وهو يتجه أبداً على صراط لا قبل له بالتحول عنه .
وكل هذا ليس شيئاً ؛ وكل هذا هباء ...

ونحن ، نحن الأشباح التعسة التي لا اسم لها ،
الأشباح الناحلة المثقلة بأوجاعها السائرة كالوهم في
هذا الكون الفسيح ، وما نفخت فيها نسمة الحياة
إلا لتلد الموت ، لأنفسنا نبذل الجهود لنثبت أن لنا
مهمة كبرى ، وأن هنالك من يشعر بوجودنا فنتردد
في إطلاق رصاصة على رأسنا كأننا إذا فعلنا وهرزنا
كتفنا نأتي أمراً فرياً ...

وكان موتنا سيخرج هذا الكون عن نظامه

للاضرار بأي مخلوق . وهأنذا أقسم بمسيحك نفسه
إنني لن أقتلك ولن أنتحر فما أنا إلا مجنون . ما أنا
إلا ولد حسب نفسه رجلاً . أنت لا تزالين حية
والحمد لله ، ولسوف تستعينين بصباك وجمالك على
نسياني ، وإذا ما قدرت على منحى العفو لما أورتتك
من داء فإن عفوك نفسه شيشفيك من دائك

نأى بأمن إلى الصباح يا بريجيت ، وغدا ستنطقين
بحكمك فأرضخ لأى قرار تتخذين

وأنت أيها المسيح ، أنت يا من كنت لها منقذاً
جداً لي بغفرانك ، ولا تقل لها ما رأيت : لقد ولدت
في عصر ملحد جاحد فيا لشدة ما يحق على من
التفكير أيها المنبثق من روح الله . إن الناس قد
نسوك فما علمنى أحد أن أحبك . إننى ما طلبتك
 يوماً في المعابد ولكنى وجدتكم الآن حيث لا أملك
التغاضى عن رهبتى وخشوعى . وقد ظفرت شفتائى
ولو مرة قبل موتى بتقبيلك على صدر ممتلئ بالآيمان
بك . فليكن إيمانها حارساً لها وأنت يا سيدى أذكر
هذا البائس الذى لم يجسر على اقتحام الموت عند
ما رآك مسمراً على صليبك . لقد أنقذتنى من الشر
وأنا كافر ولو كنت مؤمناً لأنزلت على روحى العزاء .
اغفر لمن جعلونى ملحداً بعد أن جدت بالندامة على .
اغفر لجميع المجدفين لأنهم لم يروك في ساعة يأسهم
إن المسرات البشرية تقوم على السخرية ولا
رحمة فيها ، والسعداء في هذه الحياة يظنون أنهم في
غنى عنك أيها المسيح فاذا هم جدفوا عليك في
كبريائهم فانهم سيقادون يوماً إلى معمودية الدموع .
أشفق عليهم لأنهم يرون أنفسهم في مأمن من
عواصف الحياة ولأنهم يحتاجون إلى تأديب المصائب
ليهرعوا إليك

بالصلاة فتندفع روحى في ارتياعها طالبة العزاء في
الكفر والجحود

وبت كالشامل قد أضاع رشده عند ما رأيت
رأس المسيح على صدر بريجيت ، فتراجعت عنها
مذعوراً لا لايمانى بل لعلمى بأنها تؤمن به

وقفت يدي وما شئت لرهبة سنحت عبثاً ،
كنت في الليل منفرداً وحدى ولا ترانى عين إنسان
فما كانت معتقدات الناس لتنال من روعى ، وكنت
أملك تحويل عيني عن هذه القطعة الخشبية بل أملك
القبض عليها وإلقائها في الرماد ، ولكنى بدل
طرحها هي طرحت سلامى

إن ما شعرت به في تلك اللحظة نفذ إلى أعماق
روحي ولما يزل مستقراً حتى اليوم فيها

ما أشقى الناس الذين يهزأون بما يمكنه أن ينقذ
حياة إنسان ، وما يهيم الاسم والشكل والآيمان .
أفليس كل ما هو صالح مقدساً ؟ فبأية حق يتناول
المخلوق على خاتمه ؟

وشعرت في داخلى ينبوع يتدفق من ذرى
تفكيرى كالجداول المنسربة من ذوبان الثلوج على
القمم وقد لحتها عين الشمس المنيرة المحرقة ، وارتفع
الندم من عذابى ارتفاع البخور من مجامره

لقد كنت على وشك ارتكاب جريمة ، ولكنى
ما رأيت آلة الاجرام تسقط من يدي حتى شعرت
ببراءة نفسى ، فقد كفت لحظة لاستعيد السكون
والقوة والهدى ، فتقدمت إلى السرير وانحنيت على
ضم خيلتى مقبلاً صليبيها على صدرها قائلاً لها :

— نأى بسلام فإن عين الله ساهرة عليك .
لقد مررت بك أعظم خطر وأنت تبسمين في أحلامك
ولكن اليد التى هدوت حياتك لن تمتد يوماً

الفصل السابع

وفي اليوم التالي عند الظهر كان شاب وامرأة
يخترقان حديقة «القصر الملكي» وذراعاها مشتبهان
تحت أشعة الشمس ؛ دخلا مخزن صائغ واختارا
خاتمين متشابهين فقدم كل منهما خاتماً إلى الآخر وهما
يتسلمان . وسارا في نزهة قصيرة ثم دخلا مطعم
« بروفينسو » وصعدا إلى إحدى غرفه المظلة على
أجل مناظر الدنيا ، وهنالك انفردا بعد انسحاب
الخدم وتقدما إلى النافذة يصرخان النظر ويد كل
منهما تربت على يد رفيقه

وكان الشاب مرتدياً أثواب السفر وقد طفح
وجهه بشراً كعريس يرى عروسه لأول مرة مباهج
باريس . وكان مرح هذا الشاب جبوراً هادئاً يرم
عن سعادة لا اضطراب فيها ، ولو أن رجلاً مرت
به تجارب الحياة نظر إلى هذا الشاب لتبين فيه طفولة
تستحيل إلى رجولة ، وغرماً تستقيه العاطفة من
التفكير

وكان هذا الشاب يتطلع إلى السماء ثم يتأمل
ملامح رفيقته فتنحدر من أجفانه دموع يتركها
سائلة على وجنتيه وقد أنارتها ابتساماته

أما المرأة فكانت شاحبة وقد انطبعت على
ملاحمها آثار التفكير العميق وهي لا تحديق إلا
في وجه رفيقها ، ولا تملك نفسها من مسامرة مرحة ،
غير أنها في الوقت نفسه لا تحاول إخفاء ما يطفو
على وجهها من قرارة قلبها

وكانت إذا ابتسم رفيقها ابتسمت له ، فكانها
في جوارها تسير مسامرة ولا تختار اختياراً ، فإذا
ما تكلم تكلمت وإذا ما قدم لها طعاماً أكلت ،

ليست حكمتنا وشكوكنا إلا الأعيب أطفال
في يدنا فاعفر لنا لأننا نتوهم أننا كافرون . اغفر لنا
أيها المبتسم على جلبة الفداء . إن أشد ما ينزل بنا
من شقاء في حياتنا العابرة . كالظل إنما هو محاولة
غرورنا أن ينسلك وأنت تعلم وما تخفى خافية عليك
أن هذا الغرور وهم تبدده نظرة منك . أفأ كنت
رجلاً ؟ وهل رفعتك إلى مرتبة الألوهية غير
المذاب ؟ إن مراقبتك إلى السماء كانت آلة تعذيب
رفعت منها فاتحاً ذراعيك إلى أحضان مصدرك
الأسنى . ونحن على مثالك يقتادنا الألم إليك كما
اقتادك إلى أبيك . إننا لا نتقدم للانحناء أمام رسمك
إلا وعلى جباهنا كاليل الشوك . ولا نلمس رجلك
الداميتين إلا بأيد دامية ، فإنك بمذاب الشهداء
اكتسبت محبة البائسين !

ولاحت طلائع الفجر وبدأ كل شيء ينتبه
مرسلاً في الأثير أصوات الحياة ، وشعرت بالعياء
لشدة ما نالني فأردت الانسحاب من غرفة بريجيت
طلباً لبعض الراحة ، وبينما أنا متجه نحو الباب ارتمي
على أحد المقاعد ثوب من أثوابها على الأرض فإذا
بورقة مطوية تسقط منه . والتقطتها فإذا هي رسالة
معنونة بخط بريجيت ولم تكن ملصقة فنشرتها وقرأت
ما يأتي :

٢٥ ديسمبر

« عند ما تصل إليك رسالتي هذه أكون بعيدة
عنك ، ولعلها لن تصل إليك أبداً . إن حظي مرتبط
بحظ رجل ضحيت في سبيله كل شيء فهو لا يطيق
الحياة بدوني . ولسوف أحاول أن أموت من أجله .
إنني أحبك ، الوداع . أشفق علي »

وقلبت الورقة فإذا عليها هذا العنوان :
إلى هنري سميت في بلدة ن . . . نافذة البريد

سنشقي كلانا . لك الزمان أنت وأنا لي الله
— أوكتاف ... أوكتاف ... أنت واثق
من أنك لست على ضلال ؟

— لا أعتقد بأن أحدا سيسلو الآخر يابريجيت،
ولكنني واثق من أن ليس لنا أن تبادل المغفرة
الآن ، غير أن هذه المغفرة محتومة علينا حتى ولو قدر
ألا نلتقي بعد

— ولماذا لن نلتقي يوما ؟ فأنت لم ترل في
ريمان الشباب

وأردفت بإبتسامة صرّة :

— سنلتقي بئامن من كل خطر لأول غرام
يحتل قلبك بعد غرامي

— لا ، يا صديقتي . ثقي بأنني لن أراك دون
أن يشور بي كامن غرامي . قدر الله أن يكون
الرجل الذي اتخلى له عنك أهلاً لك . إن سميت
فتي صالح وطيب القلب ولكن مهما بلغ حبك له
فسوف لا تنقطعين عن حيي . ولو أنني أقرر الآن
بقاءك معي هنا أو اللحاق بي لما كنت تردددين في
اتباع ما أريد

— ما أصدق ما تقول !

— أصحيح هذا ؟ أتلحقين بي إذا أنا
دعوتك ؟

ولكنه بعد أن هتف بهذه الكلمات من أعماق
قلبه استطرذ على مهل :

— من أجل هذه المطاوعة يجب ألا نلتقي أبداً .

إن من الحب في هذه الحياة ما يبلبل الرأس والحس
وما يزعرع العقل والقلب ، وليس غير نوع واحد
من الحب يختفي في الروح دون أن يعكر صفوها
لأنه ينشأ منها ولا يموت إلا بانطلاقتها

ولكنها كانت تذهب في نفسها من حين إلى حين
كأنها في غيبوبة عما حولها ، وكانت سكنت هذه
المرأة وحركاتها كلها تنم عن استرخاء تستسلم فيه
لرفيقها استسلام التابع الضعيف يستمد حياته من
متبوعه وقد أصبح خيالاً له وصدى لصوته . وما
كان الشاب مخدوعاً بحالة رفيقته بل كان ينفذ إلى
سريرتها وفيه شيء من الغرور وكثير من الرضى فإذا
هي تراخت وألصق تذكرها عينها بالأرض هب
يعالجها بقوته متكلفاً المرح لينقذها من ضعفها ؛ فقد
كان بين هذين الرفيقين تمازج غريب من الفرح
والحزن والاضطراب والسكون ، فإذا ما نظر
إليهما متأمل خالهما تارة أسعد الناس وتارة أشق
من في الحياة ، وغاب عنه هذا السر يشد أحدهما
إلى الآخر برابطة الأسي عقدت على عاطفة أقوى
من الحب ، وهل أقوى من الحب سوى عطف
الصديق على الصديق ؟

وما كان يلوح في عيونهما شيء من لمعات
الشهوة ويد الواحد تشد على يد الآخر فكأنما ولا
ثالث بينهما يتحدثان بصوت خافت فيسندان جبيناً
إلى جبين كأنهما يتعاونان على التذكرات المرهقة
دون أن تتجاذب الشفاه إلى قبلات الغرام ، ودقت
الساعة تؤذن بالأولى بعد الظهر وكل منهما محقق
في عيني رفيقه يستنجد بها ، فكأنهما ضعيفان يتلمسان
من الضعف مخرجاً إلى الصلاح ، وتهدت المرأة
وقالت :

— لعلك مخطئ يا أوكتاف

فقال : لا . لست مخطئاً يا صديقتي ، ثقي بما
أقول . إنك مقدمة على تحمل العذاب ولقد يطول
صبرك عليه أما أنا فلا نهاية لعذابي . ولكننا

هاتى يدك ودعى الناس يهزأون من كلمة أقولها
وهم لا يفهمونها

« لنبق صديقين ويستودع كل منا الله رفيق
إلى الأبد »

عند ما تعانقنا لأول مرة كان فى كل منا ذات
خفية أدركت أننا سنتحد فلندع هذه الذات الخفية
وقد اتحدت منى ومنك أمام الله جاهلة افتراقنا على
الأرض ، فلا تقوى ساعة خلاف تافه من الزمان على
حل اتحادنا فى السعادة التى لا تزول

وكان لم يزل قابضاً على يدها فنهضت وهى تشرق
بوجهها وتقدمت نحو المرأة بابتسامة غريبة وأخذت
مقرضها من حقيبتها وقطعت خصلة طويلة من
شعرها ، ثم نظرت إلى وجهها ملياً بعد أن شوهرته
بحرمانه قطعة من تاجه وتقدمت بهذه القطعة
إلى عاشقها

وضربت الساعة ثانية فخرجا عائدين من الحديقة
وعلى وجهيهما علامات الرضى التى كانت تلوح عليهما
وهما قادمان على طريقها

وقال الشاب — ما أجمل هذه الشمس !
فقالت المرأة — إنه نهار جميل لن يمضى أثره
من هنا . وضربت بشدة على صدرها
وأسرعا بالمسير وتواريا بين الجموع

وبعد ساعة مرت عربية على مرتفع وراء
حواجز فوتنبلو وكان الشاب مستقلاً وحده هذه
العربة يلقى نظرة أخيرة على المدينة التى رأى فيها
النور وهو يوجه الشكر لله لأنه من ثلاثة ابتلاهم
العذاب بجزيرته لم يبق إلا شقى واحد

« انتهى الكتاب »

فليكس فارس

(٨)

— وهل ستحرمنى من مراسلتك يا أوكثاف ؟

— لا . سأكتب إليك مدة من الزمن لأن

ما سأواجهه من عذاب فى بادئ الأمر سيقطننى
لإحالة إذا أنا حرمت. نفسى من كل تعزية . لقد
اقتربت منك على مهل وبكل حذر حتى عرفتني
وحق ... لا ، لنندع الماضى . ولسوف تنقطع رسائلى
عنك رويداً رويداً وهكذا سأبجدر على مهل من
الذروة التى رقيتها منذ سنة ، ولقد يكون لهذه
الرجعة الحزينة روعتها

وإذا ما رجعت بالله كرى إلى الأيام التى كنت
حيّاً فيها فلا أقف أمامها وقفة التأمل فى قبر عقدت
الخضرة والأزهار فوقه قباباً تظلل اسمين لراحلين
عزيزين يرقدان فيه فأشعر بحزن مغمم بالأسرار
وأريق دموع الأسى حولة لا صرارة فيها

وارتمت المرأة عند سماعها هذه الكلمات على
مقعد معولة باكية ؛ وبكى الشاب معها ولكنه بقى
دون حراك كأنه ينكر على نفسه لوعتها ، وعند
ما جفت ما آقيه تقدم إلى صديقه وقبل أناملها على
مهل وقال :

— صدقيني أن من يشعر بحبك له مهما كانت
العاطفة التى تشمينه بها إنما يستمد من هذا الشعور
قوة وإقداماً . لا يداخلك ريب ياربجيت فى هذه
الحقيقة وهى أنه لن يفهمك أحد كما فهمتك أنا .
ولعل سواي يبذل لك من الحب ما أنت أهل له ،
ولكن لن يصل أحد بحبه لك إلى الأعماق التى
أحببتك منها . سيدارى سواى ما أهنت فيك من
الصفات فيحوظك بفرامه ، ستجدين عاشقاً أفضل
منى ولكنك لن تجدى لك أحاً مثلى

والقوس المتيدة العنيدة ، ووقف فوق الوصيد حتى لا يفر أحد من أعدائه فينجو من الموت الذي هو ملاقيه ، ثم نثر الكنانة عند قدميه وهتف بالعشاق يقول : « وهكذا يأسدة تم فصول المأساة ، وهكذا أيضاً تنتهى المباراة التي لم يفز فيها واحد منكم ... والآن ... أنظروا ... إني لن أسدد سهامى إلى هذه الأهداف بعد ، بل إني مسدد إلى غرض آخر .. »

ومثد الوتر العُرد ، وأرسل إلى حلقوم أنطونيوس سهماً صراعاً عجلاً به إلى هيدز . وكان العليج يوشك أن يحتسى كأساً ذهبية من أعتق الخمر ، فسقطت الكأس من يده الداهلة ، وسقط هو يتشحط في دمه ، ويلفظ أنفاسه . وذعر الآخرون حينما رأوا أخاهم يسقط إلى الأرض رمّة لا نامة فيها ولا حراك ، وهاجوا وماجوا ، وهبوا يبحثون عن أسلحتهم ... ولكن هيهات ! لقد أخفاها أودسيوس وولده ليلة أمس ... فأنى لهم بها !! وصاحوا بأودسيوس : « أيها المجنون لقد أخطأت المرمى ! ماذا أصابك ؟ إنك تسدد إلينا ؟ لقد قتلت أنبل شباب إيثاكا ، ثكلتك أمك ! أبداً لن تحمل بعد هذه قوساً أبداً

وانكشف الستر ، وعاد إلى الشحاذ الفقير عنفوانه ، واتخذت من فمه الحميم فقال : « أيها السكالب ! قال^(١) مازعتم أن أودسيوس لن يؤوب ! هأنذا أيها العبيد ! لقد استبحتم حتى يتي وأذلتهم قدسك الحرام ، وأوضعتم في الفتنة فاعتديتم على نسائي ولم تبالوا أن تتعشقوا زوجى بينا رجلها حتى يسعى على قدميه ، غير عابئين بمن يطلع عليكم في السماء وهو بكم محيط ، ولا مبالين بما تضج به الرفات الكريمة في ترى هذه الأرض من فعالكم ، فويل لكم قد جان حينكم ! »

(١) خاب



الأول ذنب

لهيرودس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصول السابقة

« لما وضعت حروب طروادة أوزارها عاد جميع أبطال الاغريق إلى أوطانهم ماعدا أودسيوس ملك إيثاكا فقد نسي أن يضحى للآلهة قبل أن يبحر فأضله نبتيون إله البحار ووقف له بالمرصاد وأغرق أساطيله وظل يترصده كلما هم بالعودة إلى وطنه حتى انتهى به المطاف إلى ملك القياشين الذي أحبه وأكرم مثواه وأرسله على بعض سفنه إلى شاطئ إيثاكا — وبينما كان أودسيوس في تجوالاته كان أمراء الملكة قد يتسوا من أوبته وعشقوا زوجته ، وطمعوا أن تختار أحدهم زوجاً لها مكان أودسيوس لفرط جمالها وباهر حسنها ولكنها شغلهم عن نفسها بحيل اخترعتها حتى عاد زوجها ولقى ولده تلياك واتفقا على الانتقام من العشاق كما سيأتى ... وكان أشد العشاق هيأماً يبلوبها أنطونيوس ويوريماخوس من نبلاء إيثاكا — وسيلقيان أول الناس مصرغهما ... »

الانتقام الهائل ...

وأتى أودسيوس أمهاله، وأطرح مزرقة، وبرز للملأ أودسيوس القوي الحديدي الجبار، وتناول كنانة الأسهم التي تهمهم فيها المنايا وتغمغم ،

فصرعه ، وخر اللثيم بمالج سكرة الموت ، وانتشرت ضيابة الفناء الأبدى على وجهه المقبوح فأطبقت عينيه ... وهنا ... هاج الأمير أمفينوم وماج وهجم على أودسيوس بسيفه الذى تقطر من حده المنيا ... وكاد اللثيم ينال من خصمه منالاً لولا أن قفز تليماك برمح العظيم فأغمدته فى صدره وردده عن أبيه وعاد مكانه دون أن ينتزع الرمح مخافة أن يتكاثر عليه الأعداء ... وقال تليماك لأبيه : « أبتاه ! إنه يجب أن تستعد بسلاح أكثر ... وإنى ذاهب فحضر ما نحتاج إليه وعائد بسرعة البرق » فقال أبوه وهو يتصيد القوم بسهامه : « هلم يا ولدى وهات ما استطعت ، فلشد ما أخشى أن تفرغ هذه السهام فلا أستطيع أن أدفعهم عن الباب ... » وانطلق تليماك إلى غرفة السلاح فأحضر ما مست الحاجة إليه من رماح وسيوف وخوذات ، وأدّرع بما هو حسبه منها ، ثم ألبس الراعيين الأمينين أضعافاً ثلاثين (١) وزودهما بسيفين بشارين ، ووقف الثلاثة إلى جنب البطل العظيم بمنعون تكاثر العشاق عليه ، بينما هو يرسل سهامه فتخترقهم وتستأصل شأفتهم واحداً فواحداً ، حتى إذا فرغت سهامه ، وقف الأبطال الثلاثة يذودون من دون الباب حتى لبس أودسيوس دروعه ووضع على رأسه خوذة ، وأخذ رمحين عظيمين فى كلتا يديه ، وعاد إلى كفاحه وكانت ثمة فى الجانب الآخر من البهو بوابة صغيرة لم يفتن العشاق إليها ، فأرسل أودسيوس راعي الخنازير ليحرسها وليحول بين العشاق وبينها ... وضافت الدنيا حتى غدت ككفة الحابل فى أعين القوم ، ونجهمت لهم حتى غدت كالليل البهيم ألقى غواشيه فوق رؤوسهم ، وناء بكاسكه على صدورهم ... فقال

(١) درعين سابقين

وارتعدت فرائص الكلاب كما دعاهم أودسيوس وطارأت حمرة الخمر من خدودهم ، ووقف يوريماخوس متخاذلاً وهو يقول : « إن كنت حقاً ملكنا أودسيوس فكلنا نعتذر عما ارتكبناه من الإثم فى بيتك . ولقد تكلمت فقلت الحق كل الحق ولكنك قد أردت أنطونيوس الذى دعانا إلى كل ذلك والذى كان يطمح أن يتربع على عرشك ويملك كما ملكت ، فاعف عنا واصفح عن خطايانا ، فنحن بالرغم من كل ما حصل شعبك الأمين ورعاياك الأوفياء الأولياء ... على أننا سنموضك مما استبحنا مالا بمال وعتاداً بعتاد » فقال أودسيوس : « يوريماخوس أيها التذلل ! إنكم مهما ملائتم يدي بالذهب فلن تشفوا حردى ولن تذهبوا غلاتي حتى أنتقم منكم جميعاً لما صدر عنكم من إفك وما ارتكبتم من أوزار ! فاختراروا لكم ! الحرب التى جدت بكم فجدوا بها ، والقتال الذى لا محيص منه ولا محيد عنه ، أو ... فالفرار الفرار ... ولن تجدوا إلى الفرار سبيلاً ... » وزلزل الجميع زلزالاً شديداً ، وجفت ألسنتهم فى حلوقهم فما عرفوا ماذا يحيرون ، ثم هتف فيهم يوريماخوس فجأة يقول : « أيها الإخوان لقد تحجر قلب هذا الرجل فلن يعرف سبيلاً إلى الرحمة ، وها قد قبض على القوس بكلتا يديه ، ووقف فوق الوصيد يذودنا عن الباب ، ولن يفلت أحد منا من سهامه قط ، بل إنه سيقنصنا واحداً بعد واحد ... ولا أرى إلا أن تفرعوا إلى سيوفكم فتخترطوها ، وإلى المناضد فتدّرعوا بها ، ثم نهجم عليه كرجل واحد عسى أن نرحضه من الباب فننجوا بأنفسنا ونلوذ بالفرار فإذا بلغنا المدينة فأننا سالمون ! » ثم فرغ من صيحته واستل جُرازه ، وهجم على أودسيوس مُرعداً من مجراً ، ولكن أودسيوس أصابه بسهم فى صدره

أنا وتليماك لنذود دون الباب « وانطلق الراعيان فوق كل منهما خلف مصراع من باب الغرفة حتى إذا برز ميلانتيوس انقضا عليه وكبلاه ودفعاه داخل الغرفة ، ثم ربطاه في عمود هناك ، وقال له يومايوس « إهنا يا صاح وارقد هنا إلى الصباح ، وأكبر ظني أن الشمس لا تشرق عليك إلا وروحك في عالم الظلال والأشباح ، فلا تراك قطمانك بعد اليوم » وأغلقا الباب وعادا أدراجهما إلى مولاها وولده ، ووقف الأربعة يناضلون جحفاً بأكمله . ثم بدت مينرفا الحكيمة في زي منطور وطيلسانه فعرفها أودسيوس وفرح بها قلبه ، وهتف بها قائلاً : « منطور أيها العزيز معونتك وتأيدك فنحن صديقان منذ القدم ! » وهتف العشاق يتنادون : « احذر يا منطور وإلا فتلقى حتفك بعد أن نظفر بهذا الوغد . ولحظت مينرفا ذعر أودسيوس مما رأى من تسليح القوم فقالت تؤنبه وتحته : ما هذا التقاعس عن الحلبة يا أودسيوس ؟ هل فقدت شجاعتك وعنفوانك ؟ إنك ما أحجمت مثل ما تحجم اليوم طوال عشر سنوات حاربها في طروادة من أجل هيلين فهل يشق عليك أن تلقى هذه الحفنة من عشاق ينلoup في بيتك ، بل في عقر دارك ؟ هلم ! قف إلى جانبي وانظر إذا كان منطور قد عرق الصداقة القديمة ! »

وحاربت معه ساعة ، ولكنها تركته ليعمل للنصر بمفرده ، وانسحرت فكانت عصفوراً من عصافير الجنة جعل يرف ويرف في سماء البهو ؛ حتى وقف على إحدى خشباته ... وفرح العشاق لما رأوا من مفارقة منطور ، وعادت إليهم بعض شجاعتهم لما رأوا المحاربين الأربعة يقفون وحدهم في مدخل الباب الكبير ... وقال أحدهم مخاطب الباقيين :

قائلهم : « ألا يستطيع أحد أن يمرق من البوابة فيصيح بأهلنا ويستنجدهم لنا ؟ »

فانبرى له ميلانتيوس ^(١) يجيبه : « هذا عبث لن يكون وراءه طائل ، فإن رجلاً واحداً يستطيع أن يقفنا جميعاً لو فعلنا ، دون أن نبأخ الباب ... بل لدي فكرة ... إني أعرف أين خبأ أودسيوس وابنه أسلحتنا ، وسأطلق فأحضر أسلحتكم منها ما يقيكم منها ... » ثم تعلق بحبال مدلاة من كوة في السقف وتسلق عليها حتى نفذ ثمت ، وانطلق إلى غرفة السلاح فأحضر اثنتي عشرة درعاً ورمحاً كثيرة وخوذات وظل يلقى بها من الكوة فيتلقاها رفاقه ويدرعون بها ... ولو كان مع أودسيوس سهم واحد يرسله إلى هذا العالج قبل أن يتعلق بالحبال لما استطاع أن يحضر هذه العدد . قال أودسيوس : « أي بني لقد خاننا أحد ودل القوم على غرفة السلاح فانظر كيف يتضاعف عناؤنا ويزيد بلاؤنا » فقال تليماك : « كلا يا أبتاه ، إنه لم يخننا أحد ، والذنب ذنبي ، فقد تركت باب الغرفة دون أن أوصده ... يومايوس ! انطلق ففلق باب غرفة السلاح وأحضر مفتاحها ؛ وانظر هل خاننا أحد ، أو أن هذا من فعل ميلانتيوس كما أحس ! » وانطلق يومايوس فرأى ميلانتيوس ذاهباً إلى غرفة السلاح ليحضر عدداً آخر ورمحاً ، فقال الراعي : « هاهو ميلانتيوس الوغد منطلق إلى الغرفة كما حدس مولاي » وهتف بتليماك : « هاهوذا ! هاهوذا ! هل أحضره حياً لياقي جزاءه أم أقتله حيث هو ؟ » فقال أودسيوس : « بل اذهب أنت وأخوك الراعي فشدوا وثاقه واحبساه في الغرفة حتى يلقى جزاءه ، وسأبقى ^(١) هو الراعي الخائن الذي أصبح ضلعه مع العشاق ضد مولاها / أودسيوس

كان يعني بي إذ أنا صبي في المهد ! » وكان الننادي قد فزع مما رأى ، وخبأ نفسه تحت مقعد كبير ، ثم طرح عليه جلد ثور ، فلما سمع تليماك يقول لأبيه هذا القول ، برز من مكانه ، وتعلق برجلي تليماك ، وأنشأ يتوسل ويتضرع ، ويبيكي ويتصدع . فقال له أوديسيوس : « لا تجزع أيها الرجل ، فلقد أُنقذك ولدي كما أُنقذ المنشد ... اذهبا فانتظرا في الرحبة ، فعندى ما يشغلني عنكما الآن ... وانطلق الرجلان وهما لا يصدقان أنهما نجوا ، وجلسا عند المذبح ينتظران قتلتهما في كل لحظة ... ثم مضى أوديسيوس يبحث في البهو ويبحث المناضد عمن يكون به رمق من الحياة فيجهز عليه ، بيد أنهم خروا جميعاً مضرجين بدمائهم في التراب ، وقد تكبكبوا فوق بعضهم كالسمك فوق الساحل يقذف به الصياد في يوم صائف ... ثم قال لاينه أن يدعو الموضع العجوز يوريكليا ، فأقبلت ورأت أوديسيوس واقفاً كالسارد بين القتلى وقد لطخت الدماء يديه ورجليه وصدره ، فكادت المرأة تجن من الفرح لهذا النصر المبين الحاسم ، وأوشكت تصيح وتزغرد ، لولا أن ردعها أوديسيوس عن ذلك : « أيتها الموضع العجوز اكتمى فرحتك ، فإنه ينبغي ألا تكون شامة فوق جثث القتلى ، وألا يكون صياح ، لأنها إرادة السماء وقد نفذت فيهم بما أسرفوا من قبل وكانوا من المفسدين ! » ثم أمر بالجثث أن تحمل خارج القصر ، وبالدماء أن تغسل ، فتم ذلك في أقصر وقت ، والتفت إلى الموضع يحدثها ويقول : « أرايت ؟ اذهبي الآن فأحضري ناراً وكبريتاً كيما نطهر الحجرة ، ثم أخبري بنلوب أن تلقاني ههنا ! » . فقالت العجوز « سمعاً وطاعة لك يا بني ! سأفعل ما أمرت ، ولكني سأحضر لك ثوباً تلبسه قبل كل شيء ،

» هلموا فليقذف ستة منا رماحهم قذفة واحدة إلى صدر أوديسيوس ، فإنه إن سقط واسترحنا منه ، فلن نلقى عناء من الباقين » ولباه أصحابه ، فقفذوا برماحهم في صدر أوديسيوس ، ولكن .. هيهات .. إن واحداً منهم لم يصب غرضاً من الصدر العظيم ... وهنا ... هتف أوديسيوس برفاقه ، فانقض الأربعة على أربعة من المهاجرين فجعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل مهاجمه ... وروع الآخرون فارتدوا على أعقابهم ، وانزوا في الركن السحيق من البهو ، وبهذا استطاع أوديسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من صدور القتولين ... ولم يهتم الراعيان بما أصابهما من جراح بالغة ، بل وقفا يناضلان ويفديان سيديهما ... ولما رأت مينرفا ما يلقى المحاربون الأربعة من تكرار الأعداء ، رفت في الهواء ، ثم كشفت عن درعها الهائلة التي تجلب الموت على كل من يراها ، ووضعت خوذتها الرائعة ثم انبرت للقوم ، وهجم المحاربون الأربعة يطاردون الأعداء ، والأعداء يجرون من ههنا إلى ههنا مذعورين ذاهلين مما رأوا من درع مينرفا ... وجعل أوديسيوس ورفاقه يصطلمونهم أربعة بعد أربعة ... حتى لم يبق إلا المنشد المسكين فيميوس ، الذي قسره العشاق على الإنشاد لهم ، وتطريهم تطريباً لم يؤثره ، ولم يؤثر عليه ... لقد فزع المنشد المسكين من هول المجزرة ... وانطرح تحت قدمي أوديسيوس يقول : « مولاي ! أوديسيوس العظيم ! ارحمني واعفني فقد قهرني القوم على ما رأيت ! اصفح عن المنشد البائس الذي يدخل السرور على أفئدة الآلهة ، ويذهب الحزن عن قلوب الناس ! » وهتف تليماك بأبيه يقول : « اصفح عنه يا أبي ، فإنه لا تثريب عليه ولا لوم ... وهلم ننفذ الننادي إن كان ما يزال به رمق ، فلقد

فانه لا ينبغي أن تظل واقفاً هكذا في أسماك هذه «
بيد أن أوديسيوس أمرها أن تفعل ما أخبرها من
فورها ، فانطلقت العجوز ، وعادت بالنار والكبريت
وأخذ أوديسيوس في تطهير البهو الكبير

بنلوب ... وأخيراً ... بنلوب !

وهرولت الموضع العجوز فصعدت إلى الطابق
العلوي ، حيث كانت سيدتها المحزونة تتقلب على
فراش الهموم والأحزان فهتفت بها وهي تضحك ،
وتكاد تجن من الفرح : « هلمى يا بنيتى فاشهدي
بعينيك كيف حققت الآلهة أحلامك واستجابت
لصلواتك ... هلمى ... لقد عاد أوديسيوس وبطش
البطشة الكبرى بأعدائه فقتلهم عن بكرة أبيهم
بعد ما كان من خباياهم وبعد ما استباحوا من
حرمانه وما أراغوا من خيره وهزئوا بولده ...
إنهضى ! »

ولم تصدقها بنلوب ، وقالت مستهزئة بها :
« لشد ما عدوت طورك وغبت عن صوابك أيتها
المرضع العزيزة حين توقطينى بعثل هذا العبت وذاك
الحديث الملق ! لقد حرمتنى من غفوة يالها من غفوة
لم تكنجل عيناى بأهدأ منها ولا أروح منذ أن
فارقنا أوديسيوس إلى الأرض المشئومة ... تالله لو
حصل مثل هذا بمن هن دونك سناً ومنزلة من
الخدم لكان لى معهن شأن آخر ... ولكن ...
لا عليك يا يوركليا ... » فتبسمت الموضع ثم قالت :
« وى ! تالله إنه للحق ، ولا صربة فيما أقول ... إنه
هو الشحاذ الفقير الذي كلك ، والذي عبث به القوم
وقد كان يعرف تليماك كل ذلك ، ولكنه جملة سراً
بينه وبين أبيه حتى يثار من الأمراء ويستأصل
شأقتهم ! » فوثبت بنلوب من سريرها مسبوكة
ذاهلة ، وطوقت بذراعها عنق يوريكليا ، وأنشأت

تقول : « خبرينى بالله عليك أيتها العزيزة .. خبرينى
بالله عليك ... إذا كانت ما تقولين حقاً فأنى
لأوديسيوس أن يلقي وحده كل هؤلاء ؟ وأنى لواحد
أن يهزم فيلقاً من مائة أويديدون ؟ » فقالت الموضع :
« لعمرك ما رأيت كيف حدث هذا الأمر ، ولكنى
سمعت بأذنى هاتين أنين القتلى ... لقد كنا جميعاً
جاسات داخل القصر ، وفرائصنا ترتعد من الفرق
وكانت النوافذ كلها مغلقة بأمر سيدى ، حتى أقبل
تليماك فدعانا إلى البهو ، حيث رأينا أوديسيوس واقفاً
بين الرمم وهو الآن يطهر البهو من أدرانهم بالنار
والكبريت ؛ والمدفأ يتأجج بلظى كالجحيم ، ولقد
أرسلنى لأدعوك إليه حتى يفرح بك ويطمئن قلبك
بعد طول العذاب » وكانت العجوز تتكلم وهي
ما تنقطع عن الضحك والمرح ، فقالت لها بنلوب :
« أيتها الموضع العزيزة لا يقتلك الفرح والصخب ..
تالله إنه لن يفرح بأوديسيوس اليوم أحداً أفرح به
أنا وولدى تليماك ... هذا إن كان ما قلت حقاً ...
على أننى لا أصدق ... لا جرم إنه إله كريم أقبل
لينتقم لنا من هؤلاء العرايب جزاء ما أنزلوا بنا من
هوان فأبادهم جميعاً .. أما أوديسيوس فلا ! لقد قضى
أوديسيوس ، وقضى إلى الأبد ! » فقالت يوريكليا :
« أما ترالين غير مصدقة يا طفلى (!) العزيزة ؟
ألا فاسمى ! هاك دليلاً آخر ؛ بينما كنت أغسل
قدمى الرجل الفقير اللاجئ تحسست يداى ندوباً فى
فى ساقه ذكرتنى بالندوب التى أحدثها الخنزير البرى
فى ساقى سيدى أوديسيوس ، فلما كشفت عنها
تبينتها ، وتأكدت أنه هو ، وأردت أن أصبح بك
لأخبرك ، وأزف إليك البشرى . لكنه أطبق يده
على فمى فلم أستطع أن أنبس ... تعالى ! هلمى معى
الآن وانظري بعينيك لترى إن كنت كاذبة ، تعالى
جملت فداك ! » وانطلقا معاً ، وطافت الدكريات

الآمال الكواذب التي تجرعت غصصها مدى عشرين عاماً... « أما أوديسيوس فقد مضى فاستحم وتوضخ بأحسن الطيوب ، وأضفى عليه من كل سارير وقوف موشى ، ثم نزلت ميسرفا فنفخت فيه من روح الشباب ، وسكبت في عروقه دماء الفتوة ، ومسحت يديها الكريمتين على وجهه المجد ذى الأسارير فأشرق وتألّق ، وهدّلت شعره على كتفيه غداً رفاجة كقطع من الليل البهيم . ثم إنه انطلق إلى البهو فجلس تلقاء بنلوب وأنشأ يقول : « أيتها الزوجة المعجبة ! أما والله لقد ركت بين جنبيك الآلهة قلباً ليس كقلوب النساء .. وأي امرأة تنبذ من زوجها مكاناً قصياً كما تنبذين يا بنلوب ... بعد إذ عاد إليك من تجوال عشرين سنة كلهن قلائل وأهوال ... يوريكليا ! هلمي فامهدي لي فراشاً بيديك الضعيفتين ، مادام الحديد البارد الذي خلق منه قلبها لا يلين ! » ومع كل هذا فقد كان الريب يزّين على فؤاد بنلوب ، فقالت تخبره : « مولاي ! إني وأيم الحق لا معجبة ولا بي خيلاء ، ولكنى أذكر أحسن الذكر كيف كنت يوم همت بك سفينتك الجبارة إلى اليوم ... يوريكليا ! اذهبي أيتها المرضع فأحضري سرير زواجنا من الخدج ، واجعلي عليه الوسائد والحسانات ليسترىح عليه مولاك كما أمرك . » وعجب أوديسيوس لما تكلمت به زوجته ، فقال : « إنك يا زوجتي تمزقين نياط قلبي بما تقولين ! أنى لأحد ما من العالمين أن يحرك سريرى بـله أن يحمله ، إن لم تكونى قد أطلعت على سره ؟ لقد صنعت مخدعى واتخذت سريرى في جذع الزيتون الهائلة ... فهل ما يزال سريرى في موضعه ثمت ، أم أن أحداً قد قطع الجذع العتيد واحتمل السرير إلى مكان بعيد ؟ » وهنا ، مادت الدنيا برأس بنلوب ، وتأكّدت أن الرجل زوجها من

رأس بنلوب ، ولم تدرك ما ذا عساها فاعلة إذا كان ما أنبأت به المرضع حقاً ... فلما دخلتا البهو جلست بنلوب على مقعد كبير من المدفأ ، ثم طفقت تحديق بعصرها في أوديسيوس ، وكان جالساً وظهره إلى عمود من عماد البهو ، وعيناه تبحثان في الأرض ، وكأنه كان ينتظر أن تتكلم بنلوب قبل أن يفوه هو بكلمة ... بيد أنها لم تنبس ، بل كانت ذاهلة شاردة ، تنظر إليه مرة فتوشك أن تعرف فيه بعلمها الحبيب ، ولكنها كانت إذا نظرت منفرقة وخرقة ، والآمال التي لا تستر بعض جسمه الهائل عجبت ، وتولاها الدهش ، وانمقد لسانها فما يكاد يبين وقال تليماك آخر الأمر : « أماء ! لشد ما تحجر قلبك وغلظت كبذك ! لم لا تهضين فتعانقني أبي !! أية زوجة ينحبس لسانها كما انحبس لسانك ، فما تكلم زوجها الذي آب من سفر سنين كلها أشجان وكلها أحزان ، وكلها آلام متصلة ومتاعب تنوء بحملها الجبال ! » فقالت أمه تحييه : « تالله يا بني لقد ذهلت عن نفسى وإني لفي تيه فما أكاد أبين ... ولكن إذا كان حقاً أوديسيوس ، فإن لنا علامات هي سر ذات بيننا ، ولا يعرفها أحد سوانا » فتبسم أوديسيوس وقال : « لا عليك يا بني ! دعها فستستبين حقيقتي حين أخلع هذه الأسبال » ثم انتحى وولده ناحية ، وأسر إليه أنهما ينبغي أن يتهايا لما غسى أن يكون من تألب الايثاكيين عليهما وشغبهم لما كان من قتل ساداتهم ، وما يتوقع من قيامهم بثورة عامة لا تبقى ولا تذر للانتقام من القاتل ... وذكر أوديسيوس أنهما يجب أن يقيما في البهو فيأخذا في مثل ما كان العشاق يأخذون فيه من قصف وعبث ومجانة ... وحسب المارة أن بنلوب قد اختارت بعلمها من بين الأمراء ... « فهي لم تعد تطيق الوحدة ، ولا تحتمل الترميل ، ولا تقوى على حياة

غير شك ، تخفق قلبها خفقاناً شديداً ، وانطلقت
تعدو نحوه ، ثم طوقت عنقه بذراعيها ، وراحت
تبكي وتنتحب ، وتقول له : « لا تنقم علي إذن
يا أوديسيوس ، ولا يحزنك أنني لم أعرفك منذ
أول نظرة ... أواه أيها العزيز ! لقد قضت الآلهة
أن نفرق وتتعذب كل هذه السنين وما كان من
شكى فهو أثر من احتراسى خشية أن يخدعني
أحد فيدعي أنه أنت ، ويخرف علي ويهرج
حتى ينالني بالخداع والخب ... ولكن ما دمت قد
ذكرت لي سر الخدع والسرير والزيتونة ، وهو ما
لا يعلمه أحد غيري وغيرك وغير يوريكيا ، فالآن
فاهناً ، ولأهناً أنا ، وليطمئن قلبي ... قلبي الوفي
الذي أردت إليك كآخر عهدك به ، لا ينطوي إلا
على حبك ، ولا يضم غير الوفاء لك .. » وعانقها
أوديسيوس ... وضم إلى صدره صدرها ... والتف
حول عنقه ذراعاها البضتان البيضاءوان - وجد
عاجهما الناعم الأملس حول كاهله ، ووقف أوديسيوس
على شاطئ البحر كما يقف السباح المتعب النهوك
على شاطئ البحر وقد بلغه بعد جهد ، فأعضاؤه متراخية
وأعصابه موهونة ، وقلبه خفق ، وروحه نشوى ،
وذراعه مع ذاك معلقتان بالشاطئ وقد سمرتا فيه ...
وقال بعد لأي : « والله يا زوجتي العزيزة إنا ما بلغنا
بعد نهاية أشجاننا وأحزاننا ، وإن أماننا لا مدأ
بعيداً وهو ما أخر تنبأ لي عنها الكاهن تيريزياس
حينما رحلت إليه في هيدز ، وإنى لا أدري ماذا يكون
من أمري ... ولكن ... لا ... لننطلق الآن إلى
مخدعنا العزيز الطاهر فإن بي حاجة إلى الراحة
والاستجمام ... وإن بي لشوقاً مبرحاً ونزوعاً شديداً
إليك » . فقالت بثلوب : « المخدع الطاهر النقي معد
في أيما لحظة أردت يا أوديسيوس العزيز ... بيد أنك
أثرت شجني وفزعت شجوى بما ذكرت عما

يتربص بنا من هم جديد ، فهلا ذكرت لي ماذا
زعم لك تيريزياس في العالم الآخر ؟ إنى مشوقة إلى
ما قال ، فاذكره بحق الآلهة عليك » فأجاب أوديسيوس
« عمرك الله لم تسألين عن أمر إن يُبد لك
يسؤوك ؟ ولكن لا خير ... سأذكر لك ما نبأني به
تيريزياس » ثم وجم قليلاً وقال : « لقد أشار أن
أن أحمل مجدافاً عظيماً على كاهلي ، ثم أنطلق مهاجراً
إلى ممالك نائية وأصقاع سحيقة ، حتى أكون في
قوم لم يسمعوأ عن البحر قط ، ولم يروا في حياتهم
مجدافاً ولا سارية ، فإذا لقيت أول من يسألني عما
أحمل ، وهل هو من ذرة مما ينسف به القمح غمرست
المجداف في الأرض ، ثم تقربت إلى إله البحار
نبتيون الجبار بقرايين تمحو ما بيني وبينه ، وتعقد
بيننا أواصر السلام والوثام ، كما تقربني إلى أعوانه
الآخرين من آلهة الماء ، فإذا فعلت استرحت من
لأواء الحياة ، وجنبتني أرزاؤها ، وعدت إلى شعبي
وإليك ، وإلى ولدي وقصري فعشت بينكم بسلام ،
حتى يأتييني الموت هادم اللذات من أعماق البحر ،
ولكنه سيكون موتاً طيباً لا مخوفاً ولا مرهوباً ،
بل سكرة بين أمنة ونعاس . بعد إذ الجسم موهون ،
والقلب فارغ ، والرأس مشتعل والروح سالية قالية . »
وهكذا ظل الجيبان المشوقان يتحدثان قطعاً
من الليل ، بينما كانت الموضع وخادمة أخرى تمهدان
الفراش على ضوء المشاعل ... ثم أقبلت الوصيصة
فذهبت تمشي بين أيديهما إلى المخدع ، وفي يديهما
المشعل المقدس بفيض نوراً ولألاء كما أفاض منذ
عشرين سنة ... ولهما ظلام الليل ، وستر الهوى ،
وسكن البهو بعد ما ضج بالعزف والقصف ، وهذا
القصر في سدول السعادة

دريني مشبه

(الفصل الأخير في العدد المقبل)

طُبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي رقم ٧



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامت العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخل ستون قوشاً ، والخارج ما يساوى جنباً مصرياً ، والبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

برل ابستراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٦ - ١٥ يناير سنة ١٩٣٨

العدد ٢٤

من أحسن القصص



فهرس العدد

| صفحة | القصص | القصص | القصص |
|------|------------------------------|--------------------------------|---------------------------------|
| ١٤٨٢ | النجوم | للقصصى الفرنسى ألفونس دوديه | بقلم أحمد حسن الزيات ... |
| ١٤٨٦ | الشهرة بعد الثمانين | مترجمة عن الانجليزية | بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار |
| ١٤٨٨ | ١٩ مارس | للقصصى بريس فيليبوف | بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ... |
| ١٥٠١ | هبة الموت | للكاتب الفرنسى أناتول فرانس | بقلم السيد محمد العزاوى ... |
| ١٥٠٤ | العلم | للكاتبة الانجليزية لويز هيلجرز | بقلم الأديب جورج سلسي ... |
| ١٥١٠ | عروس البحر | للشاعر الهندى رابندانات طاغور | بقلم السيد فخرى شهاب السعيدى |
| ١٥١٣ | الأم التوحشة | للقصصى الفرنسى دى موباسان | بقلم الأديب كمال الحريرى ... |
| ١٥١٩ | الدهر المعلم | أقصوصة مصرية | بقلم الأديب نجيب محفوظ ... |
| ١٥١٩ | لينوتشكا | للقصصى الروسى اسكندر كوپرين | بقلم شكرى محمد عياد ... |
| ١٥٣٦ | الأوذيسة | لهوميروس | بقلم الأستاذ دريني خشبة ... |
| ١٥٤٢ | فهرس المجلد الأول من الرواية | | |

النجم

قصة راعي من رعاية الغنم
للقصصى الفرنسى ألفونس دوديه
بقلم احمد حسن الزيات

أو إليها أن يقص على
أبناء الناس في السهل
من حفلات التعميد
ومهرجانات الزواج ؛
ولكن الشيء الذى
كان يثير شوقي
ويستبد بهواي ، هو
أن ينعطف الحديث
ويستفيض إلى حال
ابنة سيدى الأنسة
اصطيفانيت وهى أجل

فتاة فى الفراسخ العشرة التى تحيط بهذه البقعة
كنت أسأل وأنا أخفى مظاهر الاهتمام : هل
تذهب غالباً إلى الحفلات والأبهاء ، وهل يتقدم
إليها كثير من الشباب الظرفاء ؟ ولئن سألتى سائل
ماذا ترد عليك هذه الأنباء وأنت الراعى الفقير الحقير
لأقولن له إننى كنت قد بلغت سن العشرين وكانت
هذه الأنسة هى كل ما رأيت وعلمت فى حياتى من
الجمال والحسن

وفى ذات أحد من الآحاد كنت أنتظر زاد
الأسبوعين فلم يصل فى موعده . فحملت تأخره فى الصباح
على حفلة القداس ؛ ولما متع النهار وثار العاصفة
عزوته إلى أن البغل لم يستطع السير لرداءة
الجو ووحل الطريق . ثم اقتربت الساعة الثالثة
فصحت السماء ، والتمتع الجبل بالشمس والماء ،
فسمعت من خلال رفيف^(١) الأشجار وخير
الجداول صوت الجلاجل فى عنق البغل ، وهو فى
بهجة جرسه وحدة رنينه أشبه بايقاع الأجراس
(١) رف الشجر : تقاطر من أوراقه الندى أو الماء

كنت وأنا أرمي الغنم على شعاف اللوبرون
أقضى الأسابيع الطوال لا أسمع صوتاً يهتف ولا
أرى قدماً تسمى . فأنا وحدى أعيش فى الرعى
القفى لا أجد بجانبى غير كلبي ، ولا أنظر أمامى
غير قطيعي ، اللهم إلا ناسك (مندور) فقد كان يمر
من حين إلى حين بهذا المكان وهو يبحث عن
الأعشاب الطبية فى الجبل ، وإلا بعض الفحامين
من أهل (ييمون) ألح وجوههم السود وهم
يمرون من بعيد ؛ ولكن هؤلاء الناس قد فقدوا
الرغبة فى الكلام لطول العزلة فأصيبوا بداء الصمت ،
وجعلوا تصاريف العيش وأقاويل الناس فى القرى
والمدن فقلت عليهم السذاجة .

كذلك كنت أسمع فى كل أسبوعين جلاجل
بغلنا وهو يصعد فى حدود الجبل حاملاً إلى زاد
نصف الشهر ، فأنظر إليه وهو يلوح من فوق
النحدر شيئاً فشيئاً وقد تتأ على ظهره رأس
فلاح المزرعة الشاب ، أو قناع العمة (نوراد)
الشيخة . حقاً لقد كنت سعيداً ! كنت أطلب إليه

في عيد الفصح . ولكن الذي كان يقوده في هذه المرة لم يكن فلاح المزرعة ولا العمدة نوراد ؛ إنما كان ... إحزَرُ مَنْ ؟ كان الذي يقوده آنستنا بنفسها ... آنستنا بشخصها ... استوت على صهوة في اعتدال بين جنيتيه (١) وقد تورّد خداهما من هواء الجبل وطراءة الجو بعد العاصفة

وقفت اصطفانيت الجميلة مطيتهم على باب الحظيرة ، ثم قالت وهي تترجل : إن الفتى مريض ، والعمدة نوراد في عطلة عند أولادها ؛ وإن الذي عوقها هو ضلالها في شعاب الطريق .

ولكن الذي يراها في زينة يوم الأحد بشريطها المكلل بالزهر ، ونطاقها المضمخ بالعطر ، وفستانها الجميل بالخرم ، يظنها لجمال هندامها وحسن شاريتها قد أضاعت وقتها في مراقبة الرجال ، لا في تلمس طريقها بين الأدغال

يا للمخلوقة الظريفة ! إن عيني كانتا تحمقان إليها في غير فتور ولا ملل . كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها اصطفانيت من قرب . فما كنت أراها إلا في الشتاء حينما اهبط السهل بالقطعان ، وأرجع إلى الضيعة في المساء لتناول العشاء : كنت ألحها أحياناً تجتاز الردهة في خفة الغزالة لا تعوج على شيء ولا تتحدث إلى خادم . وكانت دائماً على أتم ما تكون الفتاة من الزينة ، وعلى أقل ما تظهر الجميلة من الزهو . أما الآن فهي لي وأمامي ولأجلي ؛ أرتو إليها بمجامع عيني ، ولا يحول شيء بينها وبينني ! أليس ذلك مما يُزهف الفؤاد ويذهب الوعي ؟ أخرجت اصطفانيت الزاد من السلتين ثم أخذت تنظر إلى ماحوالها نظرة استطلاع وشوق ؛ ثم شمّرت

(١) جنيتا البعير والبغل ما يحمل علي جنبيه

ثوبها الأبيض قليلاً مخافة أن يبتل ، ودخلت الحظيرة تريد أن ترى الركن الذي أنام فيه ، ومذود القش الذي أرقد عليه ، ومعطى المعلق على الحائط ، ثم عصا وزنادي الموضوعين على الأرض ، فوجدت في كل أولئك مبعثاً للهو وسبيلاً إلى الفرجة .

قالت الأنسة الجميلة : إذن أنت تعيش هنا ياراعى المسكين ! لا ريب أنك تضجر من المقام لطول الوحدة وضيق المزالة . قل لي ماذا تصنع وفيما تفكر ؟ فقام بنفسى أن أجيبها : « فيك يا سيدتي » وما كنت أكذب بهذا الجواب على نفسي ، ولكنني كنت من اضطراب النفس بحيث لا أجد كلمة تقال ولا جواباً يُغنى .

وأعتقد أنها لاحظت على ذلك الاضطراب ، فوجدت الحبيثة سرور قلبها في أن تضاعف ربكتي بأسئلتها العابثة ، قالت :

— وصديقتك الطيبة ياراعى ؟ أما تصعد الجبل لتراك من حين إلى حين ؟ لا بد أن تكون هي المعزة الذهبية أو الجهورية (إستيريل) التي لا تركض إلا على رؤوس الجبال .

كانت اصطفانيت نفسها وهي تتحدث إلى أشبه الناس بالجهورية إستيريل في جمال ضحكها ورأسها مائل إلى الخلف ، وسرعة عودتها سرعة جعلت ظهورها أشبه بالرؤيا .

— استودعك الله ياراعى !

— وأنت في أمان الله يا سيدتي .

ثم ألقت على البغل سلالها الفارغة وانصرفت . فلما غيَّبها الطريق المنحدر كان يخيل إلى أن الحصى الذي كان يتطاير من حوافر البغل يقع على فؤادي خصاة خصاة ؛ وقد بقي وقعه في أذني طويلاً ، طويلاً . وظللت بقية النهار كالوسنان

لا أجروا على الحركة مخافة أن يتبدد هذا الحلم .
فلما تضيفت الشمس للغروب ، وأخذت بطون
الأودية تترق لدنو المساء ، والأغنام الشاغية يتضام بعضها
إلى بعض لتدخل الحظيرة ، سمعت صوتاً يهتف بي
من المنحدر ، ورأيت فتاتنا ترجع لامهلهلة ولا متدلة
كما كان يظهر عليها منذ هنيئة ، ولكنها كانت
ترجف من الخوف وترمش من البلب .
والظاهر أنها حين بلغت أسفل الجبل رأت نهير
(السرّج) قد طما وفاض بعد المطر ، فأرادت أن تغامر
في عبوره فأشفت بها المغامرة على الفرق .

وأفطع ما في الأمر أنها في هذه الساعة من الليل
لا تستطيع أن تفكر في العودة إلى الضيعة ، لأنها وحدها
لا تبين معالم الطريق ولا تأمن عوارضه ، وأنا لا أستطيع
أن أترك القطيع لأبلغ بها موضع الأمن . والتفكير
في أنها ستقضي ليلتها على الجبل في هذا المكان يعض
قلبا بالهم ويقض جنبها بالقلق ، لأن أهلها على
الأخص سيبيتون من الاشفاق والخوف على غير
قرار ولا سكينة . فسكنت روعها وأزلت خوفها
وقلت لها :

لا بأس عليك ! إن ليالي يوليو قصار ياسيدي ؛
وليس في الأمر على سونه ما تخشى عواقبه ، والهم
ساعة ثم ينقضي !

ثم أسرع فأوقدت النار بالخطب الجزل لتجفف
عليها قدميها وثوبها ، فقد كان لا يزال يرف من ماء
النهر ؛ ثم وضعت بين يديها شيئاً من اللبن والجبن
وعزمت عليها أن تأكل . ولكن الصغيرة المسكينة
ما كانت تفكر في طعام ولا دفء . وغلبها الأمر
على العزاء فاستكانت للعبرة ؛ وهاج ذلك من نفسي
فدمعت عيناي أنا أيضاً

على أن الليل كان قد غشى الأرض ، فلم يبق
إلا غبار من الشمس على شعاف الجبل ، أو بخار من
الضوء على حواشي المغرب ؛ فطلبت إلى الأنسة
أن تدخل الحظيرة لتستريح وتغفو ، وبسطت لها
فروة جديدة من جلود الخراف على فراش من
القش الطري الوثير ، ثم تمنيت لها ليلة سعيدة ونومة
هنيئة ، وخرجت فجلست أمام الباب .

شهد الله أنني على الرغم من نار الحب التي كانت
تحرق دمي وتلدع شغاف قلبي لم يرد على فكري خاطر
سوء ، ولم تقم بنفسى رغبة منكرة . اللهم لا شيء
إلا نخوة شديدة فيها الكبر وفيها الفخر ، لأن في زاوية
من زوايا الحظيرة ، وعلى مقربة من القطيع المستطلع ،
ترقد ابنة سيدي في رعايتي وحمايتي ، كأنها نعمة لم
يخلق الله في قطعان الأرض أغلى منها قيمة ولا
أنصع منها بشرة !

أبدأ لم أرا السماء في مثل هذا العمق ، ولم أ شاهد
النجوم على مثل هذا البهاء . كل شيء في الكون
مما حوالى قد تغير في نفسي وفي عيني هذه الليلة !

كان بصري يجول في رقيع الجلد ، وفكري
يسبح في أجواء الخيال ، وإذا باب الحظيرة يفتح ،
والأنسة الجميلة تخرج ! نبا بها الفراش فلم تكتحل
عينها بنوم ! لأن النعم كانت تحدث في القش
خشخشة وهي تتحرك ، أو تردد الثغاء وهي تحلم ،
فامتنع عليها الرقاد فأثرت أن تكون بجانب
النار . فلما رأيت ذلك منها طرحت على كتفها
فروتي ثم أرتت النار وهيجت اللهب وجلستنا نصطليها
جنباً إلى جنب ، لا ننبس بكلمة ولا نهم بحديث

لو كنت قضيت ليلة في العزاء تحت النجوم لعرفت

كانها راع سماوى صغير؛ ثم قالت فى لهجة الإعجاب والعجب :

ما أكثر النجوم وما أجملها ! أبداً ما رأيتموها على هذه الكثرة وفى هذا الجمال ! هل تعرف أسماءها أيها الراعى ؟

أجل يا سيدتى. أنظري ! إن فوقنا تماماً « طريق القديس جاك » (يريد المجرة) إنه يسير من فرنسا قدماً إلى إسبانيا . خطه القديس جاك دى غاليسيا للبطل شيرلمان ليدله به على الطريق الواضح فى حروبه الشعواء مع العرب . وعلى بعد منه ترين « مركبة الأرواح » (اللب الأكبر) بمجاورها الأربعة المشرقة . فالنجوم الثلاث اللاتي يسرن فى المقدمة هن الخيول ، وهذه النجمة الصغيرة التي ترينها تلقاء النجمة الثالثة هى السائق . أترين ذلك الوابل من النجوم الذي يتساقط من حولها ؟ تلك هى الأرواح التي لا يريدنا الله فى ملكوته

وأدنى من ذلك قليلاً تبصرين « مشط البستاني » أو الملوك الثلاثة (الجوزاء) ! تلك ساعتنا معشر الرعاة نوقت بها حركات الفلك ؛ فما هو إلا أن أنظر إليها كما أنظر الآن حتى أعرف أن الليل قد انتصف ، وأن نصفه الأول قد مضى . وأدنى من ذلك قليلاً نحو الجنوب يلمع « جان دى ميلان » وهو شعلة الأجرام الفلكية (الأبرق)^(١) . وإليك ما يزعمه الرعاة عن هذا النجم : يزعمون أن « جان دى ميلان » هو « الملوك الثلاثة » و « قفص الفراريج » (الثريا) كانوا مدعويين ذات ليلة إلى عرس نجمة من النجوم الصديقة . وكان « قفص الفراريج » معجباً فصار أول المدعويين واتخذ الطريق الأعلى . أنظري هناك تجديه فى أقصى السماء . وقطع « الملوك الثلاثة » الطريق من أسفل

(١) من نجوم الشعرى اليمانية .

أن عالماً خفياً يستيقظ فى الوحدة والسكون حين يرقد الناس وتسكن الجوارح . حينئذ ترسل الينابيع شدوها الواضح ، وتشعل الغدران ألهاها الصغيرة ، وتذهب الأرواح وتجىء حرة طليقة ، وتشعر أن فى الهواء حفيفاً لا يكاد يُحس ، وجرساً لا يكاد يُدرك ، فيخيل إليك أنك تسمع الغصون تنمو والأعشاب تنبت

إن النهار معاش كل حى ؛ أما الليل فمعاش كل شيء . ومن لم يتعود هذه الظواهر أحس لها رهبة وأوجس منها خيفة . لذلك كانت فتاتنا ترتعد من الخوف ، وتميل على وتلتصق بى كلما طار إلى أذنيها صوت أو حركة . وعلى حين بغتة ارتفع إلى أسماعنا من الغدير البراق صوت طويل شجى متموج ، وفى اللحظة نفسها انسابت فى أجواز الفضاء نجمة جميلة فسامت رأسينا ، ثم هوت فى اتجاه الصوت كأنما كانت هذه الأنة التي سمعناها تحمل معها هذا الضوء الذي رأيناه

فسألت اصطفانيت فى صوت خافت :

— ما هذا ؟

فأجبتها : هذه روح تدخل الجنة يا سيدتى . ثم رسمت بيدي على صدرى علامة الصليب فضلّبت هى أيضاً ، ومكثت برهة مرفوعة الرأس مشدوّهة الفكر متزايلة الشاعر ثم قالت : أحق أنكم يا معشر الرعاة سحرة ؟ فقلت لها : كلا يا آنستى ؛ ولكننا فى الجبل نعيش على مقربة من الكواكب ، فنحن نعلم من أمرها وسرها ما لا يعلمه سكان السهول وكانت لا تزال تنظر فى النجوم وقد اعتمد رأسها على كفها واتشحت بجلد الخروف فبدت

الشهرة بعد الثمانين

من: حمزة عن الإنجليزية

للاستاذ عبد اللطيف النشار

لم يقولوا للمستر « إيدى وارن » إنه في اليوم الذي يبلغ فيه عامه الثاني والثمانين سيري آماله في الحياة وقد تحققت كلها : تلك الآمال التي قضى العمر في النزوع إليها . ولكنهم أخبروه بأنه في ذلك اليوم سينال نعمة يكون لها أثر حسن في بقية حياته وكان « إيدى » منذ السادسة عشرة من عمره موسيقياً يشتغل في المسرح ، لكنه لم يكن قط نابغاً في مهنته . ولم يهتم أحد قط من أصحابه على كثرة عددهم بأنه من العبقرين . فقد كانت شخصيته عادية لا ميزة لها سوى شدة ما بها من الغموض لكنه كان يحب المسرح من كل قلبه ، وكان يعتقد أنه طيب القلب . وكان لذلك يثق بنفسه ثقة عظيمة . ويرى أن هذه الثقة هي السبب في احتماله خرفته كل هذه المدة الطويلة دون أن يصادف منها نجاحاً ودون أن يطمح في بلوغ غاية

وكان « إبدى وارن » رجلاً متواضعاً ، ولولا اعتقاده أنه طيب القلب لما قبل أن يشتغل في مسرح من أحقر المسارح في حي منعزل من أحياء المدينة الفقيرة . لكنه بالرغم من تواضعه واقتناعه كان يعبس ويقطب في بعض الأحيان ، ويقول لأصحابه : « سيأتي يوم من الأيام ترون فيه اسمي مكتوباً بحروف من النور في شارع « وست أند »

يُكتب اسمه بالأنوار ! ذلك أمل لا يبلغه من
المثلين غير العظيم النابه الذي يستحق أن يقرأ اسمه

أسفل فلهقوا به . أما الكسول النؤوم « جان
دي ميلان » فقد قعد به كسله ونومه عن اللحاق فظل
في المؤخرة ؛ وثارت به الحمية فرماهم بمصاه يريد أن
يقفهم بها . ومن ذلك سمي « الملوك الثلاثة » عصا
« جان دي ميلان » أيضاً

على أن أجمل الكواكب جمعاء إنما هو كوكبنا
ياسيدتي : كوكب الراعي ؛ ذلك الذي يضيء لنا في
الفجر حينما نغدو بالقطيع إلى المرعى ، وفي الغروب
حينما نروح به إلى الحظيرة . وإنا لنسميه أيضاً
(ماجلون) : ماجلون الجميلة التي تجري وراء « بيبر
دي بروكنس » (زحل) ثم تزوج منه كل سبع سنين .
فقلت الجملة :

— كيف أيها الراعى؟ وهل بين النجوم زواج؟
— نعم يا سيدتى ولا ريب

وأخذت أشرح لها كيف يكون زواج النجوم
وقرآن الكواكب، ولكنني أحسست شيئاً ندياً رقيقاً
يقع على كتفي في لين ورفق . ذلك كان رأسها الجميل
أماله خدرُ النعاس فاستلقى على في تكسر قليل جميل
نال الشريط المزدهر، والمخرم المكوى، والشعر المموج .
وباتت هكذا لا تفيق ولا تتحرك حتى شحب وجه
السماء ، وذوى روض النجوم ، وغرقت هوادى الليل
في ضوء الصباح المنتشر . وكنت أرامقها وهي في
حضن الكرى وفي أعماق نفسى ثورة ، وفي صميم
قلبي اضطراب . ولكنني كنت في حمى هذا الليل
السافر الباهر لأهم بسوء ، ولا أفكر في ريبة ، ولا
أخطر بيالى غير الخواطر الجميلة . وكانت الكواكب
من حولنا ومن فوقنا تواصل سيرها الذلول الصامت
كأنها القطيع الوديع الضخم ، وقد تمثل في نفسى
لحظة من اللحظات أن نجمة من هاتيك النجوم هي
أجملها رؤاء وأبهرها ضياء قد ضلت طريقها فأقبلت
على واستملت على كتفى لتنام !
الزيات

أنفسهم من السرور . وبدأت على ثغره ابتسامة مضيئة ، وضحك ضحكة من استخفه الطرب . وكان الإعلان بالمصاييح يتضمن هذه العبارة :

إيدى وارن الموسيقى الممثل الغريب الأطوار
الاسم بالأنوار ! نسي وارن في هذه اللحظة أنه مريض ، ونسى كل شيء إلا أن المعجزة التي كان يرجوها قد تحققت ، وأنه قد بلغ ما كان يرجو
اسمه ! اسمه هو لا اسم رجل آخر !

اسمه بالنور ! وكان العرق البارد يتصبب من جبينه ، ولكن ثغره مشرق بابتسامة وقلبه خافق بنشيد وكان المسرح غاصاً بالناس بفضل النشاط الذي أبداه الممثلون . ولما جاء موعد رفع الستار حملوا «إيدى» إلى المسرح ووضعوا على صدره «الكان» مسح الرجل عينيه من دموع الضعف ودموع الهرم ودموع السعادة ، ثم وقع بضعة ألحان مرحة . ولما أوشك الدور أن ينتهي سقط «الكان» من يده وصاح من كانوا على منصة المسرح :

« الطبيب ! الطبيب ! إن إيدى قد ... »

وهرعوا إلى جسمه الضئيل فحيل إليهم أنهم لا ينظرون إلى جثمان ميت ، فان الوجة يضيء بالبشر ، والشفقتين يقتبران من ابتسامة وسأل أحدهم الطبيب :

« أخبرنا هل هو .. هل هو ... ؟ »

وقبل أن يجيبه الطبيب دخل عامل الكهرباء مهتما فاندس بين الواقفين دون أن يلاحظ سبب اجتماعهم وقال : « لقد حدث خلل في الجهاز الكهربائي الذى يضيء فى الشارع فانطفأ النور الذى على باب المسرح وانطفأ اسم «إيدى وارن» عبر اللطيف النساء

كل رجل وكل امرأة وكل طفل فى لندن . وكان وارن يعتقد أن سيأتى يوم ينال فيه ذلك المجد فىرى اسمه مضيئاً أمام أكبر مسرح فى العاصمة .

وقد بلغ الآن الثانية الثمانين ولما ينل هذا المجد . وكانت صحته سيئة ، حتى لقد أشار عليه أطباؤه ألا يطيل الجلوس بين أصدقائه ، ففضى ثلاثة أعوام فى فراشه لا يبارحه إلا إلى المسرح . وهو يحلم بأنه سيأتى اليوم الذى يرى فيه اسمه مكتوباً بالنور

وكان أمله فى المسرح لا يبشر بذلك ؛ فإن مئات الألوف سمعوه وهو يغنى ، ولكن الذين يذكرونه لا يتجاوز عددهم مائة . على أنه كان ذا أصدقاء حقيقيين يربو عددهم على أصدقاء أى موسيقى آخر . وكانوا من مختلف الطبقات : من أدنى السوقة طبقة إلى أعلى العسكريين مرتبة ، وفيهم الممثلون والممثلات ؛ وله على الطائفة الكبيرة أفضال سابقة ، فهو لذلك حائر لثقتها ، فقد كان يخلص النصيح لكل فرد من أفرادها عند حدوث الأزمات . وكان رأيهم فيه قبيحاً ، ولكنهم على الرغم من ذلك يحبونه .

ولما علموا بقرب عيد ميلاده الذى يبلغ فيه الثانية والثمانين جدوا فى العمل واشتركوا فى تقديم هدية عظيمة إليه ، ودبروا لذلك تديراً بديعاً يمود عليه بالكسب الوفير بعد الحفلة التى عزموا على إقامتها وأعلنوا عنها . ولم يكن الجمهور على علم بصاحب هذا الاسم الذى تقام الحفلة من أجله

واستأجر الممثلون المسرح من دون أن يخبروه . وفى المساء الذى تقام فيه الحفلة جاءوا إليه بعد أن جن الظلام فوجدوه فى حالة ضعف شديد فقادوه إلى المسرح فى عربة . ولما وقع بضره على اسمه مكتوباً بالنور كوفى الممثلون على متاعبهم وعلى ما أنفقوه من المال بما أدخله صاحبهم الفانى على

النحاس الأحمر متصلة بين السماء والأرض . كانت مركبة الكهرباء خالية إلا من راكب واحد ، شأنه المنظر ، شره العين والأذن ، رث الهيئة أخذ يرقبني عن كتب ، ويتظاهر بالقراءة في « جورنال دى جنيف » وهو لا يقرأ في الواقع إلا صحيفة وجهي ، ولا يدرس إلا ثيابي يحاول أن يتفهم شخصيتي من أنفي إلى يائي ... وكان الحديث يرهف أذنيه ليتسمع الحديث بيني وبين نفسي ؛ فلما أعطاني الملزم تذكرة ونقده ثمنها ، أخذ يسأله ويتلقى جوابه في حذر ، وقد كان بلاريب يسأله عن الناحية التي أقصد إليها ، ولكن بائع التذاكر خافه بنظرة في اتجاهي ، فحنق الراكب الدميم القدر عليه وغضب وأدار وجهه ولزم الصمت حتى ظننته مجنوناً فأخذت أقرأ في كتاب ، ولم آت على صفحة كاملة حتى اهتديت إلى حقيقة الرجل أو ماظننته حقيقة أمره . لا بد أن يكون جاسوساً روسياً يتعقبني كماداتهم : يتعقبون كل شاب روسي في البلاد الأجنبية ... خصوصاً إذا كانت ميوله مجهولة ... آه فطنت الآن فقط هذه البنت الملعونة خادمة المطعم لا بد أنها « أرشدته » إليّ بعد أن وجهتني إلى المكان الذي تريده ، لأبقى تحت مراقبتهم . إذن هي قعيدة الجواسيس وكبيرة الخبرين وشيخة « البصاصين » في هذه البقعة . وها قد وقعت أول ما وقعت في فوهة البركان ، أو بين فكي الأسد ! الله ما أذكاني وما أيقظ شعوري ! لقد دلتني قلبي على الفخ الذي يجب أن أسقط فيه ... ولكن علام هذا الاضطراب وتلك الوسوسة ؟ أمطوب أنا للحكومة القيصريّة ؟ أم أنني فوضوي أو نازي خطر ؟ لا هذا ولا ذاك ... لست « مشبوهاً » وليس في تاريخي تهمة تقتضي التقصي

والاقتفاء . ولكن ماذا تصنع لتلك الحكومة التي لا تعيش إلا في ظل جيش عمرهم من الجواسيس ، ولا تكتفي بمراقبة الرجال ، بل أشباه الرجال وأشباه الرجال ... دع عنك أن شعورك بأنك موضع الرية ومثار الشكوك يشل حركتك ، ويعرقل سعيك ، ويربك أعمالك ، ويقصى الناس عنك . فإذا أنا فاعل إذا ؟ بلغت المكان الذي أقصد إليه ، وكان هذا اللفظ الثقيل في أترى ، يتحرى اسمي ولقبى وسنى وصنعتي ومقصدي ومصدرى وموردي ، ثم أقع في عش زناير ، تمد فيه أنفاسي ، وتقاس خطواتي ، وتلتقف كلماتي ، وتعبث الأيدي بأوراق ، وتختلس صوري ، وتتهب نظراتي ، ويسترق السمع من وراء أبوابي ونوافذني ؛ إنها إذن حياة لا تطاق وعيشة بغيضة وسجن لا يحتمل . فإذا أنا صانع لأضال هذا الوغد الذي لم يؤت من « الفن » ما يكفي لإخفاء أمره على فريسته ؟ تميزت لو لم أكن روسياً من مواليد ١٩ مارس سنة ١٨ بمدينة كييف بنذر مقاطعة يادولى ... وعند ذلك ذكرت أن اليوم عيد ميلادي ، وأني جئت جنيف لأرى الشمس وأزهار الربيع وزرقة الماء في البحيرة الشهيرة ، وقمة الجبل الأبيض المعتمة بالجليد . فإذا بالشمس محتجبة وراء براقع سميكة من الغيوم المتراكمة ، وإذا السماء تمطر ماء أحمر كالدم القاني ؛ أما الأزهار فقد انثنت أعناقها وطأطأت رؤوسها ؛ وإذا بي أقع في مخالب تلك الجاسوسة الحسناء التي أسلمتني بغير جريرة ولا ذنب لذلك « المخبر » المهتك في حرفته الحقيرة ... فياله من عيد ميلاد سعيد ! وباليثني بقيت في لوزان العزيزة ، آمناً في سربي ، مطمئناً في غرفتي ، محاطاً بعناية مدام بروشيه التي لا عيب فيها إلا ثروتها !

فأين أنا منها الآن ! وأين هي منى في تلك الغربة الموحشة وليس بيني وبين بيتي الذي آوى إليه في « أفينوديز آل ب » إلا بضع ساعات في القطار . وأخيراً فكرت فيما ينبغي من الخطر ويضيع على هؤلاء الشرار جهودهم . وطال تفكيري ، ثم هداني إلى النزول عند الوقفة الأولى كمن بلغ غايته فإذا تبعني « فحل الدناب ^(١) » الذي يقتفيني بأمر « خضراء الدمن » التي باعته بغير ثمن ولا ثأر ولا حقد مبكيت ، فأسأله عن علة تبغي ، فإن لم أخلص منه بهذه الطريقة السهلة أستغيث بالشرطي وأصمم على اقتياده إلى مقر الجند ، لأقف على داعي تجسسه . فإن مجابهة الخطر وتعميل الحوادث ولو كانت معقدة خير من الخوف ولو كان خيالياً ، وأروح للنفس من القلق ولو أنه من ثمرات الدهن الكليل ...

وقف الترام ونادى « الملزم » : سان جورج .
بتي لانسي . القرافة والبستان — كاميانى راسين !
آخر الخط — ترمينوس

ولم يكد الكسارى ينق بلك الأسماء متتالية حتى أسقط في يدي ووقفت كل شعرة في بدني — لا رعباً ولا فرعاً — ولكن غضباً وغيظاً . ونزلت مرغماً ؛ وقيل أن أستدير رأيت الرجل يدنو منى في أدب وخجل لم أعهد لها منه في المركبة ، وقد كشف عن رأس أصلع لامع كقشر الرمان ناعم كبطن الأفي أجرد كالصحراء وقال :

(لعل سيدي يقصد إلى نزل راسين ؟)

— وما شأنك أنت إن كنت أقصد إلى تلك

(١) خير تعريب لكلمة mouchard الفرنسية

الحفرة من جهنم أم لا أقصد إليها ؟
— شأني ؟ أنا صاحب النزل ياسيدي ، وسترى أنه ليس حفرة من جهنم بل روضة من النعيم ...
— ولماذا كنت تقتفى أثرى منذر كبت الترام ؟
— توهمت أنك سيد غريب تريد الإقامة في مكان هادئ فأردت أن أؤدي خدمة لك ... ولنفسى . تفضل أولاً بالدخول لتسترخ من وعشاء السفر ، فأثار التعب بادية عليك . وعندنا حمام مستعد ومائدة لا تخلو من الطعام الشهى . وكان المطر الأحمر لا يزال يهطل ولكنني لم أكن أبالي .
وفي تلك اللحظة أطل من باب الشرفة طفلان كاللائكة وقالوا في نفس واحد :

— بابا . أدخل وادع السيد معك ولا تتلقيا هذا المطر الأحمر الفظيع ، إنه كالدم ! فقال الرجل « بونجور فرد ! بونجور فينجوا » فقالا في صوت واحد « بونجور بابا » فسري عني وقلت لنفسي : لا يكون هذان الطفلان من أعوان المؤامرة على ، فإنهما أظهر من أن يكيدا الغريب . البيت الذي فيه أطفال مأمون العاقبة . ثم ألقيت بنظرة أخرى فإذا الأشجار الباسقة تظلل المدخل ، والزرع الأخضر المخضل بالمطر الأحمر قد اكتسى حلة غمرية يعجز عن التفنن في تأليف ألوانها أمر المصورين . قد دخلت وصعدت الدرج والرجل يسبقني ببضع خطوات . ولم أك دأصل إلى الردهة حتى تقدمت إلى خادم وتناولت عصاي ومعطفي وقبعتي وخلعت يسيدها حدائي (كما لو كنت في بيت أهلي في روسيا) وتقدمني زاسين نفسه (جاسوس الترام) إلى الحمام حيث الماء الدافئ وصابون جولدفلور الذي أفضله

على سائر أنواع الصابون وفوطة نظيفة وقناني وأحقاق وأدوات زينة كاملة العدد . وقال لي وهو يغلق الباب وراءه : سيكون الشاي معداً عند خروجك . وإذا كان لديك متاع في « مستودع الأمانات » بالمحطة ، فما عليك إلا أن تعطيني رقمه لنحضره بالتليفون ونسلم الوصول لحامله . بعد نقد أجره ، فما دريت إلا وأنا أسلمه الوصول بيدي فابتسم وانحنى وقال « شكراً سيدي » كأمر خادم في أرقى فندق ...

فأقلقتني هذه الابتسامة الخبيثة من ذى الوجه المشوه والرأس المجذب . ولكن أدبه وصوته كانا يناقضان تشويبه ودمامته ، فما رأيت مخلوقاً بعضه يكذب بعضه غير هذا الرجل : راسين ذى العينين الزرقاوين واللعب السائل والشعر الأشقر اللعين . ولكنه لم يمهلي حتى أفكر في دمامته ، واتصل كلح البرق بمخزن الودائع اتصال المتعود ، وكلف الموظف بارسال المتاع على جناح السرعة ...

وبعد برهة قصيرة كنت جالساً إلى مائدة أنيقة أشرب الشاي وأتذوق الفطائر اللينة الدسمة . واختفى راسين ، فظننته منكباً على تدوين تقرير مفصل ليرفعه إلى رؤسائه !

وفيا أنا أشرب الشاي مشرد الفكر ، غير عابئ بلذة الراحة بعد التعب والرى بعد الظأ بقدر انشغالي بما ينتظرني على يد هذا الجاسوس المتطرف أطلت « فيجو » وأخوها « فرد » من باب الغرفة وحيياني تحية الود

فاستدرجتهما بناعم القول ، وسألتهما عن السيد الذي قال لاه « بابا » وكنت أظن حتى تلك اللحظة

أنهما يمزحان أو يمثلان دوراً تلقناه . فهمسا — وقد استولى كل منهما على أذن من أذني — أنه لا يستطيع أن يدخل إلى قاعة الاستقبال مادام فيها ضيف ، هذا تنبيه مامعليه ! وهو لا يستطيع مخالفتها وإلا ... برر ... برر ...

وأخذ الطفلان يغردان في أذني ويلعبان أمامي كالطيور الصغيرة المرححة .

وبعد برهة سمعت صوت الحمال ورأيت حقائبي تحمل إلى أعلى الدار ، ولم يطلب أحدهم مني حساباً ، وجاءت جانيت تخبرني أن غرفتي قد أعدت وأن متاعى قد نقل إليها فما علي إلا أن أصعد ريثما تعد لي الحمام الدافئ . كأمر سيدتها مدام راسين . فتركت الطفلين وتبعت خطاهما إلى غرفة رحيبة أنيقة الأثاث شرقية شمالية تدخلها الشمس ويتخللها الهواء ، وكان المطر الدامي لم ينقطع ، والغرفة مطلة على الحديقة تتراءى للناظر من نوافذها مباهج البستان وتسمع منها أجراس كنيسة عتيقة ، تخفى وراء أبراجها الضخمة المناظر الأخرى التي ورد اسمها على لسان الملزم في الترام ...

ففتحت جانيت الخقائب وصفت الثياب في مواضعها من الصّوان وأطلقت سراح الكتب التي كانت كالأسرى مكتوفة الأيدي مكتومة الأنفاس في ظلام الصناديق وتركتني لتعد الماء الساخن . وبعد فترة كنت أختال في ثياب جديدة وبدت على « نضرة النعيم وألقيت نظرة على كتي ، ولكن قلبي اضطرب واستولى على القلق مما يدبره لي ذلك الأصلع اللعين . وزادني جزعاً أنني لم أجد في المنزل أحداً سواي . ولم أعهد فندقاً يخلو من المقيمين

بطاع . وبعد هنيهة دخل الغرفة في ذل واستخذاء
— يجرح رجليه ويتلفت خلفه وينظر نظرة الوجمل
والحذر — راسين — جاسوس الترام — فجلس
في طرف المائدة — فقالت له السيدة :
— دائماً متأخر ؟

فأجابها بصوت الطفل المذنب :

— عفواً يا عزيزتى . فقد كنت ...

ولسكنها لم تمهله حتى يتم كلامه ونظرت إلى
باسمة ساخرة وقالت :

— حضرة زوجى مسيو راسين . ثم دفعت
بوعاء الحساء في ناحيته فنهض ومد ذراعيه كالعابد
المنتظر الإلهام ، وصرفت السيدة نظرها عنه كما
يصرف رب الدار اللثيم نظره عن ضيف ثقيل أو
زائر متطفل . وأخذت تؤنسني وتقدم إلى الطعام
وتنقله من الصحفة إلى أطباق مختارة ألده وأدسمه
وأشهاه وهي لا تداعب طفلها إلا قليلاً . وتناولت
قنينة من البلور فيها ما طاب من نبيذ الكروم
الغنية ، وسكبت في قدحى من ياقوتها ورأيت
راسين ينظر إلى دورق البلور وقد لمعت أضلاعه
وكواكبه بنور الكهرباء وحمرة الخمرة ، وهو يداعب
كأسه بأنامله يريد أن يملأها ، فاقترحت أن يشار كنا
فقالت :

— إن زوجى لا يشرب النبيذ فقد نهاه الطبيب .
أليس كذلك يا راسين ؟

فقال المسكين مغمماً : نه ... نه ... يم يا عزيزتى
ولم يطفىء المسكين ظمأه إلا بالماء القراح الذى
لا طعم له ولا رائحة ولا لون ...
ولما جاء دور الفاكهة تناولت سيلين (وكان

والراجلين غير هذا . وبعد أن أجلت الطرف في
الأشجار سمعت دقات جرس وجاءت جانبى تنبئنى
بحلول موعد العشاء وهو في الساعة — وقد
تمودت أن أتعشى في لوزان قبيل التاسعة أو بعدها
بقليل فأنحدرت على مهل أنزل الدرج وأفكر فيما
عسى أن يحدث لى

ولم أكد أصل إلى غرفة الطعام حتى دخلت
على سيدة في الثلاثين من عمرها لم تر عيني أجمل
منها ولا أبدع وأروع . وقبل أن أتمكن من
استجلاء روائها وأمتع الطرف بمنظرها الفتان
بدرتنى بالتحية والابتسام ، ودعتنى إلى الجلوس على
رأس المائدة كأنى صاحب الدار ، وجلست إلى يمينى
في ثوب من الحرير الأزرق وحول عنقها عقد من
حجارة زرقاء كريمة ، وفي أذنيها قرطان من الياقوت .
ولما كان الجو لا يزال رطباً من أثر المطر واحتجاب
الشمس في ذلك اليوم — عيد ميلادى ١٩ مارس —
فقد وضعت على كتفها شالاً من الحرير الأبيض ،
وتعطرت بخلاصة الأزهار فتأرجح منها الطيب منعشاً
مغرياً خلابة

واندفعت تتكلم وتضحك حتى لكأنها عرفتنى
منذ الصغر

وبعد برهة دعت بولديها فرد وفيجو فجلسا
على يسارها ، وجاءت الخادم (جانبى) بوعاءين من
الحساء فقالت ربة الدار : هذه خلاصة اللحم ، وتلك
خلاصة الخضر والبقول ، فأيهما تفضل ؟ فإن لدينا
طعاماً لكل ذى ذوق . أما أنا فأختار لك خلاصة
اللحم لأنها تقويك . فلم أخالف لها إشارة لأنها
كانت تتكلم بلهجة الأمر الناهي الذى تمود أن

— خير ... ما دام السيد ومالت إلى تريد
أن تتعرف اسمي فقلت : جوديل ستارسكي من
كيف يا دولي — طبيب في طريقى إلى باريس
وبرلين . فأبرقت أسرتها وتهللت وتركت البيانو ،
وجلست أمامى وقالت لزوجها من جديد :
« مادام السيد الطبيب يشفع لك في هذا اليوم
وهو عيد ميلادى ، فقد ولدت في ١٩ مارس سنة
١٨٠٠ وقد نسيت أن تقدم إلى هدية ...
فأردت أن أنقذ موقف راسين الذى تحول
بفضي له شفقة عليه ، وقلت :

— عيد ميلادك ١٩ مارس ؟ يا للعجب !
فقلت : وأى عجب في ذلك ؟ الآن المظر كان
أحر ؟

قلت : كلا ، بل لأنه عيد ميلادى أنا أيضاً
فأحمر وجه المرأة وانفعلت ولمعت عيناها ، وقالت :
إنه عيد سعيد حقاً . وقال راسين : كنت أتوى أن
أتفرغ لانتقاء هديتى إليك ولكن تبقى السيد
وتطوعى لارشاده إلى النزل أنسانى

فقلت : لا عليك يا راسين فقد عفوت عنك
فقلت : أنا الكفيل بهدية العيد لهذه المصادفة

السارة

وتجاهلت سيلين وجود زوجها وانصرفت
بفكرها ونظرها وحواسها إلى ، وكأنها عرفتني منذ
طفولتها فأخذت تحدثني عن ماضيها ونشأتها في
أسرة غنية ، وكيف أن أباه كان يثير الإعجاب
والحسد بما يعمله في يوم ميلادها إذ كان ينفق
المال بغير حساب ، ويوزع الهدايا والتحف
على الجميع . وكانت تسخر من زوجها سخيرة

هذا اسمها) برتقالة وقشرتها وفصلت فصوصها عن
بذورها بمهارة وأضافت إليها السكر وعصير الزهر
وقدمتها إلى مبهجة ، ودحرجت لزوجها برتقالة
مريضة صفراء مجمدة . ولو كان في البرتقال إناث
عوانس لسكانت منها تلك التى زفت إلى راسين .
ونفضنا عن المائدة وانتقلنا إلى غرفة الجلوس ،
فسارت أمامى ، لا لتقدمنى ولكن لتربنى قدامها
وثوبها ينحدر من خصرها الناحل إلى كتيب
أردافها المترنة ...

وأخذت مكانها بجانب البيانو بحيث أرى وجهها
وأسمع صوتها وأمتع الطرف بأناملها الدقيقة الطائلة
وهى تداعب مفاتيح العاج ، وأخذت تعزف أنغام
« حديقة بللها القطر » من أطرب ما ألفه
« تشيكوفسكى »

وفى أثناء العزف دخل راسين يتسلل كالجرذ
المسلوخ بصلعته البراقة التى أشبهت في نظرى مؤخر
قرد عتيق ، فلم أستطع أن أكم ضحكى فوقفت
سيلين ونظرت إلى قائلة :

هل يضحكك عزفى ؟

فقلت : لا ...

فنظرت إلى زوجها وقالت : أنت هنا ؟ ألم أقل
لك أن ترقد الأطفال أولاً ؟ فقال : لقد ذهبا إلى
جديتهما ليلهما بحديثها قبل النوم

فقلت : هذا حسن ، تعلم أننى أصير فريسة
أعصابى إذا غنيت في حضرتك ثم لا تفارقنى ؟

فقلت لها : ذريه يا سيدتى يؤنسنى في السهرة
الأولى . فنظرت إلى وسكنت على مضض ، وجلس
الرجل مكتئباً منقبض النفس . فقلت سيلين :

— كنت تسألني شيئاً فأكمل حديثك
قلت لها : هل هذا الرجل زوجك حقاً ؟
فأطرقت برأسها ، وقالت : نعم
قلت : وهل هو والد هذين المسكين البريثين ؟
فرد وفيجو ؟

قالت : نعم
قلت : ولماذا تعاملين به بتلك القسوة ، وتمزجين
على ظهره مزاحاً أليماً في حضرة رجل غريب وأنت
المهذبة المثقفة ؟ حقاً إن جمالك وظرفك وذوقك
كانت خليفة برجل أجمل وأرق وأعلم وأكيس
ولكن مادمت رزقت منه ولديك أما كان الأجدر
بك ... فقاطعتني قائلة :

— وهل ولدت حقيقة في ١٩ مارس ؟
قلت : نعم
قالت ولم تملك دموعها في هذه المرة :

— كنا أغنياء وهذا البيت الذي تراه معداً
لنزول الغرباء كان أحد قصورنا الخلوة ، وكان أبي
من أغنى أصحاب مصانع الساعات في هذه المقاطعة
وهو الذي اخترع ساعة الهيكل الشهيرة ؛ فبعد أن
بلغت الثامنة من عمري مرضت وفقدت السمع
والنطق ؛ فلم يدخر أبي وسعاً في علاجي وأنفق
نصف ثروته على الأطباء والدجالين والصيدلة
والمشعوذين ، ولكن راح المال على غير طائل ؛
وبعد أن كنت طفلة جميلة ساحرة ذوى جمالي وصرت
شبحاً أصفر اللون ؛ وبعد أن كنت نامية نوماً
حسناً فرهة أسير نحو الأنوثة الناضجة بقدم ثابتة
وأمل لامع ، أمسيت مخلوقة بلهاء لا أعى ولا أدرك .
وانطفأ نور الذكاء من عيني وانقطعت صلتى بالعالم

جائحة بين الحين والحين ، وترميه بنظرات أحد
من الخناجر وأحى متن الشرر وهو يطأطأ
الرأس ويغضي البصر . كان حبه لزوجته نوعاً
من العبادة المكتومة التي يكنها الرقيق المحروم
لمولاته المعبودة

وقد أدرك الزوج المسكين أن الهفوة الصغرى
أو الإهمال غير المقصود أو اللفظ في غير موضعه
تفقد البقية الباقية من صبرها عليه فتطرده من البيت
أو تقطع عيشه في غير رفق أو تصادره في رزقه
وتحرمه على الأقل رؤية ولديه (؟) فكانت حاله
حال المسكين الذي يراقب مسلك نفسه ويخشى أن
يخطيء فينفي ويحرم

وكانت سيلين تتكلم وتلهو وتمزج وأنا في شغل
شاغل ، أقول لنفسي : « أتكون هذه الأسرة من
الفطنة وسعة الحيلة بحيث تمثل هذه الأدوار البارة
لاستدراجي وتقل أخباري ؟ »

وفي الساعة التاسعة نهض راسين وتقدم إلى
زوجته وقبل يدها ، وحياني بانحناء صلته الجريئة
وخرج يتعثر في أذيال الاستكانة والصغار
وعند ما رأت سيلين ظهره قالت : أف !!

فقلت لها : ليس من حق أن أسألك وأنا ضيفك
وقد أبي أدبك وكرمك أن تسأليني عن هويتي قبل
أن تقبليني في بيتك ولم تعرفي ما أدفع لإقامتي
فأحمر وجهها وكادت تصرخ في وجهي ولكنها
ملكنت نفسها وقالت :

لم أنتظر أن تحكم عليّ بالضعة حتى هذا الدرك
ولكنك معذور لأنك لا تعرفنا ... ومرت بعينها
غيمة رأيت فيها أثر دموع جهدت في احتباسها
وقالت :

قالت : الحقيقة أنني عقيب الزواج ضاقت الدنيا
في عيني وتضرعت إلى السماء ، طالبة الغوث والنجدة ،
ورأيت في نومي أنني أسمع وأنكلم . ففتحت عيني
فاذا الحلم حقيقة . فسرى عني قليلاً وأنا في أشد
الدهشة والعجب

فضحكت وقلت لها :

— يا لك من جميلة تنكرين الجميل ...

فضحكت وقالت : ليس هذا ختام القصة فإن
أبي سلمه زمام ثروته وفوض إليه الأمر كله في
التجارة والإدارة وظن أنه يستريح على ظهره كما
قلت إنني أمرح على ظهره ، فحسر الأنوك المال
والمصنع وضيع التجارة ، ورحنا نحن ضحية جهله
وسخافة عقله . ولم تتمكن من إنقاذ شيء من ثروتنا
غير هذا البيت الذي وهبه الدائنون لي لأن أكبرهم
نصيياً كان يحبني كما حدى بناته . وهو الذي أشار
علينا باتخاذ نزل .

فأطرقت أنا بدوري . وكنت بين مصدق
ومكذب ، لولا أنها حملت إليّ تو الساعة صورها
وهي طفلة ، وهي صبية ، وهي علية ، وهي بشباب
الإكليل ، ووثائق المصنع ، وتاريخ والديها
وصورها . فلم يبق لدي شك في صدق روايتها ،
وكانت الساعة الأولى بعد نصف الليل عند ما نظرت
إلى نظرة غريبة وقالت :

— لا بد أنك يا دكتور قد تعبت ، فقد حملتك

أعباء تاريخي فوق أعباء السفر . فانهض ونم نوماً
سميداً فقد أعددت لك فراشاً وثيراً . ونبئني بما
تشهيه للإفطار حتى أعده لك بيدي

فقلت لها : عندما رأيت الغرفة والسرير قبل

والناس ، وصرت أداة حية ولكنها معطلة . وبلغت
العشرين وأنا على تلك الحال بعد أن جف ماء الحياة
من عودي ، وذبلت نضرة الجمال من وجهي ،
وانقلبت محاسني دمامة لا تطلق

فأشار قسيس الحى على أبي أن يزوجني قبل
أن تفوت على تلك الفرصة من العمر فأمسى عائساً
خرساء صماء تنقادني أمواج الحياة القاسية . ولم يكن
أبي يفكر في أحد من ذوى المسكنة التي تدانينا ،
فاحتواه اليأس حتى كاد يقتله ، فدلّه القسيس على
شاب كان يخدم في الكنيسة ، وينظف مقاعدها
 ويفتح نوافذها ويغلق أبوابها ويعدها لصلاة الجماعة
يوم الأحد . وكان من أسرة طيبة قعد بها الدهر .
فبكي والدي وكاد يغمى عليه من الحزن . أما والدي
فكانت في ذهول لا رجاء في إفاقته منه
وأخيراً . تم الزواج

فقلت : وكان هذا الرجل راسين

فقلت والدموع تخنقها : نعم ! ولكن بعد
الزواج بأسبوع واحد حدثت المعجزة ، فقد عاد إلى
سمي وبدأت أتكلم كالأطفال وأتدرج في النطق إلى
أن استعدت الحاستين كاملتين واسترددت حقوق
من الحياة ، فتعلمت وثققت ، وحاولت أن أرفع
مستوى زوجي الشئس فلم أستطع ، فإن من اعوجاج
الرجل مالا تملك أقدر النساء تقويمه

وفكرت أن انفصل عنه . فلم يقدر أبي على
نسيان جميله ونسب إليه الفضل في شفائي ، إن حقاً
وإن باطلاً . وفوق ذلك فقد حسبه رجلاً وسلمه
زمام ثروته

— ولماذا تدهشين من عرفان أبيك بجميله ؟

أن أراك وأسمع حديثك تمنيت أن أرقد لأستريح .
ولكن الآن لن يطيب لي النوم ...

فابتسمت وقالت : قم ونم . فلعلك ترى في النوم خيراً مما رأيت في اليقظة . فنهضت متردداً آسفاً ، كاسف البال حزينا ، وقد تخيلت الفتاة الروسية التي تخدم في المطعم راقدة في فراش حقير في غرفة ضيقة . وقد حملت ضميري وزر آثامها بما هي بريئة منه ، كما تخيلت راسين البائس الذي يشبه الكلاب العليمة ^(١) التي يلبسونها ثياب الرجال المضحكة لتمثل في الملعب أدواراً قاسية كالقفز من حلقات ملتهبة أو ركوب دراجة محطمة وهي تنبح نباح الكلاب وتأتي بأعمال البشر خاضعة راضية قانعة بقطعة السكر التي تمتد بها يد مدربها القاسي ... وهو الآخر آثامته ونخوته وظننت به الظنون ، ولم يكن إلا ساعياً في إرضاء هذه الحسنة بجلب نزيل جديد . واشتقت على الرغم مني إلى الحب الذي حركته في تلك المرأة القاسية المسكينة . ورسبت في قرارة نفسي جثالة من الآلام والأوهام التي مزت بي من نصف النهار إلى نصف الليل بغير انقطاع . فتناولت يدها وصاحتها وأبقيتها في كفي فترة ثم رفعتها إلى شفتي ، لأنني أحسست أنها كانت تنتظر ذلك مني وترغب فيه

وصعدت أمانى في الدرج إلى أن بلغت غرفتي . وقالت لي وهي تفتحها بيدها « ليلة سعيدة » وراحت في الظلام تلمس مرقدها . أين ؟ في أحضان راسين كأم في حضن الوحدة والخيال ؟ وهي لاشك تفضلهما على حضنه ...

(١) Chiens savants تدرب على أعمال وحركات

نخلت ثيابي ببطء وانطرحت على فراشي ، وكان التعب قد أضنانني فرحت بعد لحظة في سبات عميق . وحملت أن الباب قد انفتح وتسالت منه سيلين على أطراف أصابعها حافية في سواد الليل ، وما زالت تدنو من فراشي وهي تكتم أنفاسها حتى شعرت بلهبها فوق جبیني الذي كان يتصبب عرقاً من الفرح والانفعال . وحملت أنني لمست زر الكهرياء المعلق بخيط من حرير فوق رأسي فأضاءت الغرفة وفتحت عيني فإذا سيلين نفسها واقفة على قيد ذراع مني محمرة الوجه لا تنطق ولا تتلفت . وقفت أمامي المرأة التي رثيت لها واشتهيتها وجهاً لوجه وقلبا لقلب وجسداً لجسد ، فحاولت أن أنكلم فلم أستطع ، وبقينا في صمت عميق أحدهما ينظر للآخر ولا يكاد يراه نخشيت في لحظة وجل أن تكون قد عاودها البكم في أثر الانفعال وأنه قد تعداها إلى ! وحاولت أن أنطق لأطمئن على سمعي ونطقي ولسكنني خشيت انفصاح الأمر في هدوء الليل

فمددت إليها يدي وأنا لا أصدق أنها تقبض على شيء من لحم ودم وخشيت أن يكون تمثال الجمال الذي أمانى خيالاً أتلصص إليه الطريق فلا أجده . ولكنني جذبتها إليّ فدنّت مني وهي تتمتع تمنع الرغبة وتحاول أن تكسر من طرفها فلا تستطيع ، وأجلستها على حافة الفراش وقلت لها في همس وقلبي يضطرب وفؤادي ينتفض :

أنت جئت إليّ وأنا أفكر فيك . إنني لأستحق هذه المجازفة الكريمة . فإذا أقول لك ؟ سيلين سيدتي ... تكلمي .

فتبين الأمانى في وجهها وحاولت أن تتكلم

رزقتهما من رجل لا أحبه ومن لا أحبه لا أعرفه
وكانه لم يمسنى

فجئت ولم أعتذر ، فان هواها غطي على عقلي
فتركنى مضطرباً في الدائرة التي خطها حولي ، فسكت
ثم تشجعت وقلت : ولكنني أتحرق شوقاً إليك
وقد أعجبني منك كل شيء : صوتك وجمالك وعيناك
وقدك وذكائك . وقد جمعتنا المصادفة وألفت بين
قلبينا حوادث غير مرقوبة وربطت بين نفسيينا
الطبيعة المواتية في غفلة الأعين وهمود الأسماع

فقلت : أو تقيم طويلاً في جنيف ؟
فقلت : بقدر ما تسمحين لي أن أقيم
فقلت : أما في هذا البيت فلا ، لا لأنه البيت
الذي فيه ولدت وتزوجت ، ولكن لأنني لست فيه
حرة ، ولا أقدر أن أخرج من الحصار الكثيف
الذي يحجر علينا . وإن للحب غاية محتومة فلست
أومن بالصدقة البريئة بين رجل وامرأة في جيتا
الشباب ، وما الحب الذي يتخطى حدود الصداقة
الموهومة إلا امتلاك واستئثار ، وهو الذي أشعر
بأنك خلقت في هذه الليلة

فقلت : ما دمت قد ذكرت زواجك فلا بد
أن تكون له حرمة في نفسك : فكيف تستبيحين
الجمع بين تلك الحرمة وبين الحب الذي تصفين
فقلت : أما الزواج فله الحرمة التي تذكرها
وأكثر ، وأما الزوج فلا ، ولا سيما هذا الذي ألتج
على حياتنا بالشر ، وأنحى على سعادتي بالفقر ، حتى
أوصلنا إلى ما نحن فيه

فقلت لها : لقد قبلت شرطك . وغداً ...

(٢)

فأعياها النطق الصريح . وأطرقت برأسها وتحاملت
على نفسها وانفجرت بالبكاء

فتناولت رأسها وكانت عيناها مغمضتين الا قليلا
والدموع تنهمر منهما بغير نشيج وأدنيت وجهها
إلى محاولاً تقبيلها . فتمنعت في رفق وقالت :
— لا . لا . لم يؤن الأوان .

فجئت وهدر الليل اليها في مشاعري هدير
الغليان وقلت لها :

— لماذا إذن جئت وتجمشت مشقة الديب ؟
فقلت لي : جئت لأنني لم أستطع أن أغمض
عيني دون أن أراك ... وهيئات أن يهنا لي عيش
بعد الليلة بدونك

فقلت : أبهذه السرعة تشغلين ، وبرجل
غريب الوجه واللسان وربما كان غريب القلب
والأطوار أيضاً ؟

فقلت : لست غريباً عني فان سبباً من أسباب
القدر قد وصل حياتي بحياتك ومزج قلبي بقلبك
وأوجد سرّاً بيني وبينك لم أجده مثله بيني وبين
الرجل الوحيد الذي عرفته وهو زوجي

فابتسمت ابتسامة أساءت سيلين فهمها وتوهمت
الشك يجول في أطرافها فقلت :

— ثق أولاً تثق فلا ألومك ولا أرغمك على
تصديقي . إنني على الرغم من زواجي عشر سنين ،
لا أزال بكراً لم يمسنى رجل
قلت وقد أدهشتني جرأتها : وهذان الملاك
الطاهران ؟

قلت : أطفالي ! لقد ظننتك فهمت تلميحي لقد

قالت لي : غداً نكر يا صديقي إلى بحيرة ليمان
نستجلى بهاها ونحترق غابة بوازي^(١) الحاملة نشف
أمعنا فيها بتغريد البلابل فهذا فصل لقائنا وموسم
تحررها ثم تذهب إلى بستان الأمواه النابقة^(٢) وفيه
من الأشجار والأزهار ما يزيل عن نفسنا الحزن
وقد سيطرت عليها نشوة كادت تفقدها
هدوءها ورزانتها . واستمرت في حديثها قائلة : غداً
يا قسم ميلادي نطلق إلى المدينة فنجد في أنحائها
ونطوف بالمخازن الجميلة ثم نطير إلى فرسوا الضاحية
القرية فنعم بالخولة ونقطف أحلى الثمار ونجد اللذة
والسعادة . غداً أنطلق من الأغلال التي طال تقيدي
بها فنسير جنباً إلى جنب في شوارع المدينة الحبيبة
حيث تختلط أصوات الليل التي حرمت من سماعها
في رفقة نفس حبيبة برنين الأجراس التي تدق في
عيد الفصح السعيد ...

وفي تلك الساعة سمعت صوتاً غريباً كأن يداً
تنقر على درفة النافذة فصمتنا وكنمنا أنفاسنا
وهمت بإطفاء النور فنهتني بإشارة من يدها ،
فنهضت في خفة وحذر واتجهت نحو النافذة وفتحتها
برفق بحيث أتمكن من رؤية ما وراءها فرأيت طيراً
ضخماً من طيور الليل يطير عائداً إلى وكره معششاً
في إحدى أشجار الكافور التي كانت تضطرب
وتهتز ، وإن لم تكن هناك رياح عاصفة فأغلقت
الدرفة وعدت إليها وطمأنتها وقلت لها : غداً

ولكنها لم تسكلم ودقت الساعة الثالثة
فدنوت منها وعلى غرة منها ضممتها إلى صدري
فضمتني بحرارة وقوة ما أحسست بمثلاً من قبل ،
وطبعت علي فيها الملهب قبلة لا أنسى لذتها وعبيرها
ما حيت . وكنت في ذهول فلم أشعر بسيلين وهي
تتملص من ذارعي التي كانت حول خصرها ،
فانطرحت على فراشي منهوك القوة ، آسفاً على ما بدر
مني ولكنني سعيد

ولا أدري كم طال نومي

ولكنني تيقظت على صرخة واحدة لم تتكرر
لم تكن صرخة إنسانية . ولكنها نزعته قلبي
من صدري ، وأنبأتني بكارثة لا قبلها ولا بعدها ؛
ثم ساد صمت عميق . وفي تلك الفترة سمعت على
النافذة نقرأ كالذي سمعته عندما كانت السيدة جالسة
على فراشي ، فأضأت الغرفة ، ولبست بعض ثيابي
ووقفت وراء الباب ؛ فإذا حركة وقع أقدام وصوت
امرأة عجوز لم أسمعها من قبل يقول :

— آه ... ماذا صنعت بها أيها الشقي؟ وابنتاه !
جاستون . جاستون . أنظر ما فعل الشرير المجنون
بابنتنا . فوهمت في أول الأمر أن مجرماً ضالاً ،
أو شريداً فاقد العقل قد سطا على الطفلة فيرجو^(١)
ففتحت الباب وتقدمت بعض الخطى فرأيت
باب الغرفة المقابلة لغرفتي مفتوحاً على مصراعيه
وقد وقف فيها شيخان رجل وامرأة . وخرجت
على جانيت مستغيثة نائحة

(١) Bois la boesie في ضواحي جنيف

(٢) بستان بها أيضاً

(١) Virgo اختزال virginie وهو اسم البنت

الرسالة

في سنتها السادسة

على الرغم من ارتفاع أثمان الورق هذا الارتفاع الفاحش ، وبالرغم من تقدم الرسالة هذا التقدم المطرد ، وبالرغم مما سنبذله في تحسينها من الجهد في عامها الجديد ، سيقى اشتراكها كما هو : ستون قرشاً في الداخل ، وجنيه مصري في الخارج ، وتقدم إلى من يدفعه في أثناء شهر يناير المقبل مجلة الرواية مجاناً

الرواية

وليست الرواية هدية ضئيلة القدر ، فإنها تصدر جميلة الطبع والوضع في سبعين صفحة ، وهي المجلة الوحيدة التي تقرأ فيها القصة العربية الفنية مكتوبة بأسلوب بليغ مشرق ، أو القصة الأوربية الرائعة مترجمة بلسان أمين صادق . وحسبك دليلاً على قوتها وقيمتها أن مجموعة سنتها المنصرمة تشتمل على ٣٤ أقصوصة موضوعية ، و ١١٦ أقصوصة منقولة ، وثلاث مسرحيات ، وعلى النص الكامل لكتاب اعترافات فتى مصر لألفريد دي موسيه ، وملحمة الأوديسة لهوميروس ، وكتاب يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم . أما مجموعة السنة القادمة فستكون أروع وأجمع وألذ . واشتراكها وحدها ثلاثون قرشاً في مصر ، وخمسون في الخارج

اشتراكات الطلبة والمعلمين الإلزاميين

يشترك الطلبة والمعلمون الإلزاميون في الرسالة وحدها بأربعين قرشاً ، وفي الرواية وحدها بعشرين قرشاً ، وفيهما معاً بخمسة وخمسين قرشاً . ويضاف إلى ذلك خمسة وثلاثون قرشاً فرق البريد لاشتراكات الخارج . ويجوز أن يقسط هذا المبلغ أقساطاً تبدأ في يناير وتنتهي في شهر مايو من سنة ١٩٣٨

الاشتراك في الرسالة

يقوى عقلك ، وبنمى ثقافتك ، ويطلعك على تطور الفكر العالمي الجدير

والاشتراك في الرواية

يربي ذوقك ، ويرهف شعورك ، ويمتلك بروائع الفن القصصى الحديث

الثامنة. ثم خرج يفطر
في أحد مطاعم «الباليه
روايال». وبينما النادل
يعد له الطعام تصفح
بعض الصحف. وقرأ
فيها أسماء من حق
عليهم الإعدام بساحة
الثورة في الرابع

هَبْ الموت

للكاتب الفرنسي أناتول فرانس
بقلم السيد محمد العزاوي

والعشرين من شهر فلوريال

وهو يذكر أنه أفطر بشهية. ثم قام فنظر في
المرآة إلى خياله، حتى يصلح ما تشعث من لباسه
الأنيق؛ وحتى يرى أهو منبسط الأسارير أم
منقبضها فيرسلها على سجيئها السمحة الطروب.
وهو يذكر - كذلك - أنه سار على شاطئ
السين بخطى خفيفة سريعة، قاصداً منزلاً صغيراً،
يصنع زاوية مع السين وشوارع المازارين

هناك كان يعيش «المواطن لارديون» النائب
العام لدى محكمة باريس الثورية، وقد عرفه أندريه
قبل ذلك راهباً متنسكاً في «أتجرس»، ثم عرفه
جمهورياً متطرفاً في باريس

ودق أندريه الجرس. فظهر له - بعد دقائق -
وجه لارديون يطل من كوة الباب. فلما استوثق
من اسم الزائر ومهنته فتحه على مصراعه مرحباً.
وكان لارديون مطعم الوجه، أحمر الأذنين، لعينيه
بريق خاطف غريب. كان مظهره مظهر الجبان
الضحوك؛ ورحب بأندريه وهو يقوده إلى أنخم
غرف المنزل

جلس أندريه على شاطئ السين ساعة يستروح
النسيم... وما كان أحد أحق منه بنسيم السين
يروح عنه الكد والتعب. إنه سوف يترك هذا
كله بعد حين! وجلس أندريه يفكر. ترى فيم
أمضى بقية يومه؟ ليس يدري أندريه. ولكن
الذي يدريه أنه قضى يومه في باريس؛ وأن كل
شعاب باريس شاهدة اليوم يسير فيها. حتى إذا
ما أضناه اللغب فزع إلى السين الحبيب. أي نهر
وأي جلال!؟ أي موج وأي تبج! أي جمال
وأي هدوء! لن يبصر من هذا شيئاً؛ وهو ليس
بنادم على ذلك. إنه لن يندم لأنه سوف لا يري
أمواجه الوديعه تميم وتدلّف. سوف لا يراها تهادي
إلى جنة الحب، وتنساب إلى تلك الربوة حيث يجثم
بيت «لوس» كهرة بيضاء. إذن فلن يري وكر
الحب ولا عش الغرام. حقاً لن يراه ولن يندم.
لأنه سوف يلتقي في السجرت حبيته، فيجدد
- بقرنها - أيام الوصل والام... مل!

إنه لا يذكر من يومه هذا إلا قليلاً. فهو لا يذكر
إلا أنه أصبح قلقاً حائراً، وأنه اغتسل في الساعة

وأخى لارديون رأسه مؤمناً على مشاعره ،
ومتابعاً قوله . واستأنف أندريه :

— عهدي بك رجل شعور يا لارديون ! وإنى
لأرجوك أن تصل بيتي وبين من أهوى ، بأن
ترسلنى سريعاً إلى سجن « پورت ليبر »

فابتسم لارديون بسمة العبث يخلطه الحزم ،
أو الحزم يخلطه العبث ، ثم قال :

— ها ! ها ! أيها المواطن ! إنك تسألني شيئاً
أغلى من الحياة ! إنك تسألني السعادة ! ثم مد
ذراعيه نحو المخدع قائلاً : إيشاريس ، إيشاريس !
فبرزت من الخدر فتاة عارية الذراعين ، حاسرة
النحر ، ترتدى قميصاً قصيراً وقبعة ناتئة فاحتضنها
لارديون واجتذبتها إلى ركبتيه قائلاً :

— يا ملاكي ! تأمل وجه المواطن ولا تنسبه
أبداً . إن المواطن مثلنا يعمر قلبه الحب والهوى
وهو يعلم أن الفراق مر أليم ؛ ولذلك يريد لقاء حبيبته
في السجن . وطابت نفسه أن يطيح رأسه معها
بالمقصلة . أترين بأساً أن نطوق عنقه بجميل ؟

— فقالت الفتاة وهي تداعب خد القائد الثوري
« كلا ! لا أرى بأساً » .

— إذن فقد أصدرت الحكم بامولاتي . واجب
علينا أن نعين ذينك الحبيين المغرمين المخلصين . أيها
المواطن أندريه جرمين ! أعطني عنوانك وأنا أعمل
على أن تبث في السجن الليلة

فقال أندريه بأنه موفق سعيد . فأجابه لارديون
وهو يصافحه « ستذهب فتلقى حبيبته . نبها بربك
أنك وجدت إيشاريس بين ذراعي لارديون

ولما أن ولج الباب أندريه ألقى مائدة ممدودة
صفت عليها صحاف نخمة فيها طعام أعدد لاثنين .
وهو لا يذكر من ألوانه إلا نخذ خنزير وفروجا ،
« وفطيرة » من الحلوى الفاخرة ، وحساء وشواء
كثيراً .. وبصر أندريه بست من زجاج النجر المعلقة
موضوعة في جردل من الماء لتبرد ، ولاحظ أندريه
فوق المصطلي تفاحاً وفاكهة وجبناً !

وهو يذكر أنه استدار يبصره في الغرفة
الفسيحة ، فأتى زجاجات النجر وقواريرها مختلطة
— على المكتب — بأوراق الجمهورية المبعثر ... ثم
وجد باباً مفتوحاً لم يشك أندريه في أنه يؤدي إلى
مخدع ، فقد كان ثم سرير غير مرتب ... وأخيراً
قال أندريه :

— أيها المواطن لارديون ! لقد جئتكم كي
تسدي إلي جيباً

— أيها المواطن ! إني مستعد أن أهبك إياه
إن لم يتعارض مع مصالح الجمهورية

— إن ما أسألك أيها المواطن لارديون يتفق
ومصالح الجمهورية ، ومصالحك أنت أيضاً

وجلس أندريه بإشارة من لارديون ثم قال :

— أيها النائب ! أنت تعلم أنني أعارضك منذ
عامين وأعارض أصدقاءك ؛ وأناي صاحب مقالات

« مذابح الإرهاب » إنك إذ تقبض علي لا تكون
أسديت إلي الجميل الذي أرجو ، بل تكون أدبت

واجبك ، فليس طلبي إذن أن تقبض علي . ولكن
أعزني سمحك أيها المواطن !
إني مغرم وحبيتي في السجن ...

وأحضانه ؛ فلعلها تستطيع أن تهيك بعض ما تهنيه
إيشاريس ! »

قال أندريه إنه واجد أكثر من ذلك لديها في
السجن . وإنه شاكر ، وآسف أنه لن يستطيع أن
يرد للارديون الجميل . فقال لارديون وهو يضم
إيشاريس :

— إن المروءة هي ألا تطالب من أحسنت إليه
رد الجميل . من يدري متى يأتي دورنا ؟ اليوم دعنا
نشرب ، ولا تفكر في غدٍ وإلا تعكر الصفو

ولاحت الغيوم ... أيها المواطن ! ألا تشاظرنا
الطعام والشراب ؟

واستراحت إيشاريس إلى الدعوة ، فقادت
أندريه بلطف إلى المائدة . ولكنه أفلت منها برشاقة
ومرح ... فخرج يشكر للنائب صنيعه
وهو لا يذكر بعد ذلك كيف أمضى بقية ذلك

اليوم الطويل الثقيل ! ولكنه يدرك الآن أنه ينشق
من نسيم السين آخر أنفاس الحياة ...

سير محمد العزاوي

حجوا بيت ربكم

وزوروا وطن نبيكم

على الباخرتين

زمزم و كوثر

أعدت لكم فيها

شركة مصر للملاحة البحرية

جميع أسباب الاطمئنان ووسائل الراحة والأمان

العالم

للكاتبة الانجليزية لوز هيل جرز
بقتل الأديب جورج سليستي

المجتمع الصاحب .
وخرجت من
المنزل فتاة في مستهل
الصبا ومطلع الشباب
تتألق منها الأسارير
بالوضاء، وتفيض منها
القسمات بالحسن، وقد
زادها ثوبها القروي
البسيط جمالاً فطرياً

محبيا إلى القلوب، ومشت كفيئة الخطى إلى دجاجاتها
تنثر عليها الحب مفترّة الثنايا، والأفراخ تتصايح
حولها صيحات الفرح وتقفز حيا لها مرحلة مسرورة .
فلما فرغت من شأنها مع دواجنها تخطرت بقدها
اللدن المشوق على بساط العشب المتوج الهامات
بأنداء الصباح، وراحت ترمق السماء بعينين حالمتين
تفيضان وداعة ولطفاً، وتتأمل فيما يكتنفها من
الرائي الساحرة بسداجة الولد الغريب

ووقع نظرها على سحابة زرقاء تتصاعد من وراء
الغاية في مطاوى الأفق، ثم على أخرى مرفوعة على
مناكب الهواء السجاح البارد، فوقفت منهوثة
سادرة لحظة أو لحظتين وهزت كتفها في مرارة
واشمزاز وقالت: « الحرب ... مرة أخرى بالنكد
الطالع ! » ورفست الأرض برجلها حانقة غصبي

إن القدر ليأبى أن تكون السعادة إلا مشوبة
بالكدر، والاطمئنان إلا مرتقاً بالقلق والاضطراب؛
وسنة الدهر الخوون ألا يحرم الناس لفتاته المرة
بين الحين والحين كأنما يعز على القضاء الواغل أن
يفلت امرؤ من إساره

والحرب؟ أي جدي في الحرب وأي نفع؟

انصدع عمود الفجر، وتمشت طلّائع الأنوار
في خواشي الليل تمشي الأمل الوضيء في حنايا القلب
البائس الملتاع؛ وأطلت مليكة النهار في محمها النارية
فاترة الطرف تنثر بسمات ثغرها الشيب ذات اليمين
وذات اليسار، فهلت الدنيا واطلقت الكائنات؛
واسترسلت ذوائب الأضواء على السهول الفيح
فاهزت الأغراس وارتعشت السنابل، وانطلق
نسيم الصباح البليل فوق الروج والحقول يهيمس في
آذان الزهر هينمات الهوى، ويتمم في مسامع
النباتات أسرار الغرام، وسبحت في رحاب الأجواء
وفود الأطيّار تسكر السماء بزقزقاتها، فيترنح لأغاريدها
قلب الأثير، وتميد لأناشيدها أعطاف الأفق،
وانحسرت مرأى الطبيعة الفاتنة في تلك السهول
المنبسطة الخضراء عن منزل وضيع قائم حف يباحاته
مخضل النبات وساوره ندى العشب، فبان في روعة
الصباح الضحيان منزلاً من منازل الخلد جامعاً في دعة
تفتن اللب في إطار من الحضرة السندسية يأخذ
بمجامع القلب . منزل وادع اطأنت به أسسه في
تلك الربوع الغرّ التي يُظلمها العلم الفرنسي بالثلث
الألوان اطمئنان أهليه النائين عن شجيج الحياة ولجب

عن همسة ناعمة مدلولها الضمت ، ثم شاعت على قسمة
بسمه كئيبة خرساء ، كان لها في نفسها هي أبلغ
الأثر . ولم يلبث روعها أن أفرخ وبالحا أن اطمان ،
فتقدمت إليه وأسندت ذراعها إلى الباب حياله ،
وقالت له بصوت رقيق أودعته الكثير من العذوبة
والحياء :

— « يلوح لي أنك قادم من معركة إخال أن
رحاها ما تزال دائرة هناك . أليس كذلك ؟ »
وأشاحت برأسها نحو الغاية التي ما فتى الدخان
يتصاعد من ورائها كثيفاً داكناً
وألقى الرجل عليها نظره فرآها تحديق في الأفق
وقد انقبضت منها الملامح وتجهمت ، واصطكت
أسنانها من غيظ كظيم . فقال وقد فارحنه
ولعت عيناه بوميض الغضب :

— « هؤلاء الألمان الخنازير لا هم لهم إلا قتل
الأبرياء وإراقة الدماء ! ليست فرنسا هي التي يريدون
فما هم بحاجة إلى زرعها ولا إلى أرضها ، وإنما الفتك
بأهلها ما يبتغون . إن إزهاق أرواح الناس مبتغاهم ،
وسفك الدم غاية مناهم ؛ إنهم وحوش ضارية لا يلد
لهم إلا مرأى النجيع المهدور يترقرق على الثرى ،
وإلا الأشلاء البعثة هنا وهناك على أديم الأرض .
لقد هجموا علينا فجأة شأنهم في كل غاراتهم الغادرة
وحصدونا برصاصهم حصداً »

ورجع خطوة إلى الوراء ، وأسند ظهره إلى
الباب ونحك ضحكة صفراء ، يحسبها السامع لحفافها
شهقة محتضر ثم قال :

— « أحسب أنني الرجل الوحيد الذي لا يزال
من كتيبتنا على قيد الحياة . لقد قتلوا أفرادها جميعاً
ولم ينج من الموت المحتم إلا أنا . . . لقد مات رفاقي
(٤)

إنها النكبة الكبرى والطامة العظمى ، تنثر الدمار
تثراً فتقوض معالم الدنية وال عمران ، وتطوح
بالشباب إلى مهاوى الردى ، وتبعث بهم إلى أشدق
الموت لقها سائغة هنيئة !

أما المجد والسودد ، أما العز والفخار ، فليست
إلا كلمات جوفاء لا معنى لها إلا عند الجشعين الألى
يتخذون من جماجم الضحايا وأشلائها سلعاً لطامعهم
وما ربهم ، فيا للصبيا الغدور ، ويا للدم المهدور
والشباب زينة الحياة وبهجتها ، وذها بهم ذهاب
الأماني وتلاشي الأحلام ، ونأيهم تصويح لمستقبل
الفتيات العتيد . فالجرب إذن نكبة عند النساء
فادحة تلمس منهن الوتر الحساس في الصميم ، وتسعى
إليهن إساءة ليس إلى اغتفارها والصفح عنها من
سبيل !

كانت نظرات الفتاة معلقة في سحب الدخان
وهو يسمو نحو الأعلى ، وفكرها محصوراً في الحرب
وويلاتها والمساوىء التي تلحق من جرائها بينات
جنسها ، وتاهت في تفكيرها العميق الذي شغلها عن
نفسها حتى أنها لم تَرَ رجلاً يزحف بين السنابل
الخضراء ، ولا سمعت وقع خطاه وهو يعدو على بضعة
أمتار منها ممزق الثياب متربها ، ولم تفق من غمرة
التفكير إلا على صوته الذي أرسله بحذر وهو يسرع
إلى باحة المنزل ويحتمي ببابه

هو شاب في مقتبل العمر عليه بزة الجندي
الفرنسي قد علت محياه الوسيم أمائر الوصب المرقع ،
وتجلت في نظرات عينيه دلائل الجزع ، فما إن وقع
عليه بصرها حتى صاحت مرتاعة :

— « يا إلهي ! لكم أربعتني ! »
فوضع سبابته على شفقيه الرقيقتين اللتين انفرجتا

فرجع إليها نظره الخافت وقال بصوت أجش :
 — « لقد نجوت به منهم . أجل ، لقد أنقذته
 ولكن بعد أن دفعت في سبيل إنقاذه حياتي ...
 وإنها لثمن بخس ... ! »
 وبسط القطعة المطوية برزاة وهدوء ، ثم
 استطرد :

— « إنها علم فرنسا الغالي . لقد فني أفراد
 الكتيبة جميعاً ولم يسلم منها إلا هذا اللواء المفدى ...
 لقد نال هؤلاء الألمان الملاحين كل شيء ما عداه ،
 فهو وحده لم يمس ... لقد أحرزوا النصر ووقفوا
 إلى نيل الظفر المنشود بعد أن أزهقوا أرواحنا
 وأهرقوا دماءنا ... إيه أيتها الفتاة ... »
 وكف عن الكلام هنيئة ، ثم أمسك معصمها
 الذي لوحتته حرارة الشمس دون أن تسفعه ، وهزه
 هزة استجمع لها كل ما فيه من قوى وتابع :
 — « عليك أن تحتفظي بهذا العلم احتفاظك
 بنفائس الأعلق ، وأن تصونه صيانتك لأقدس
 ما عندك . أسمعيني ؟ »

فأجبت بشيء من الجراءة والبدالة :
 — « ما لنا وللعلم الآن يا هذا ، دعنا منه
 ولندير أمر إنقاذك »
 وتفرست فيه لتبين أثر كلماتها في نفسه ،
 فرأته وقد زوى ما بين حاجبيه وكبح وجهه جامد
 النظرات سادر الطرف لا يحير ، فلم يكن منها إلا
 أن أمسكت اليد التي أطبقت على معصمها بقوة ،
 ودلت عليه برقة ، ورمقته بنظرات فائرة تقيم قلب
 الخلى واستأنفت قولها :

— « إن العلم على كل حال لا يتعدى كونه
 قطعة من قماش ، وأما أنت فلي برويك الشباب

كلهم وإنى على آثارهم لقتف . إن هي إلا ساعة
 أو بعض ساعة ألفظ بعدها ... »
 وتوقف عن الكلام ، فساد المكان صمت
 رهيب ، وخيم عليه سكون قاجع . فريعت الفتاة ،
 وتقدمت إليه صرتمشة ، ومدت يدها النحيفة
 السمراء ، وقالت بلهفة الجازعة :

— « ما بك ؟ أمصاب أنت بجرح يحتاج إلى
 تضميد ؟ ألم بك مكروه ؟ دعني أحضر لك جرعة
 من الماء القراح ، أو أقدم إليك المساعدة التي تبتغي ؟
 أفصح بربك ... قل ... أيعوزك شيء ما ؟ أريد
 ماء أو ... ؟ »

فهز رأسه والألم يكبت منه الروح ، وتحيرت
 على ثغره الدابل بسمة هزء بانت من ورائها أسنانه
 اللؤلؤية البيضاء ، وأطلق من صدره المعنى آهة
 اضطرب لها جسده الواهن المهوك وقال :

— « إن زمني يا فتاتي قد تصرف وانقضى ،
 ولم يبق لي من الحياة إلا دقائق معدودات . لقد
 استقرت في صدري رصاصة جانية ، والثغرة التي
 فتحتها فيه ضميئة بالقضاء على أشد الرجال عزماً
 وأقوام بنية ، وقد ألفظ أنفاسي الأخيرة بين يديك
 يا فتاتي ، ولكن لا . لي ما أقوله لك قبل رحيلي
 الأبدي من هذه الدنيا الفانية ... وصيتي الأخيرة
 قبل أن تفارق روحي جسدي »

قال هذا ومد يده إلى صدره وانزع من بين
 ثناياه قطعة من القماش الملون طويت بترتيب كلى ،
 وقدمها إليها وقال : « انظري ! »

فتطلعت الفتاة إلى ما قدمه إليها الجندي الجريح
 وصاحت بدهشة واستغراب لا حد لها :

— « ولكن ما هذا ... ؟ »

أن تحببني في صدرك ... فتصبح فرنسا الحبيبة في
صدر امرأة ، وإنه والله لحسن أمن من برلين »
وصمت هنيهة أطلق فيها من صدره المجهوم
زفرة لاهبة ثم قال بلهجة السيد الأمر :
— « أسرع يافتاة »

ونزلت الفتاة عند رغبته وأذغت لمراده
فراحت تفتح صدرها بأصابعها اللينة الناعمة وراح
هو يتملي بنظر البائس المحزون من روعة الفجوة
الضاحية بين النهدين السريين ، حتى إذا وضعت
العلم المطوي فيها ، وأخذت ترر صدرها وهن
منه العزم وخارت القوى ، فهوى جسمه ، وكاد
يقع على الأرض تحت قدميها الصغيرتين لو لم
تسعه بذراعيها العبالوين المفتولتين ، فاتكا عليهما
قليلاً ثم ارتعش بينهما ارتعاش الطائر الجريح وتعلمل
بينهما بحركة خفيفة مؤلة حاول أن يستجمع فيها
قواه لينتصب واقفاً وججم لنفسه بصوت خفيض
متقطع سمعته الفتاة جلياً واضحاً :

— « يلوح لي أن الموت أدنى إلي مما كنت
أحسب ، فخير لي إذن أن أذهب في سبيل »
ثم التفت إلى الفتاة وحدق في محياها الوضيء
القسبات بعينييه السوداوين الكئيبتين وقال لها :

— اصني لما أقوله لك ولا تحاولي أن تعترضي
على مشيئتي ... أجدى عليك ألا أبقى هنا ، فبقائي
شر لك ، ووبال عليك وعلى ذوبك أجمعين ...
سأسير على بركة الله وحسبي أني أودعت العلم
في حرز حرز ... وحذاريك الألمان يافتاة ...
فاذا شئت أن تحسني إلى نفسك فأنكري عليهم
رؤيتك لي ... لا بل عليك أن تنكريها الإنكار كله

النضير ، وأمامك مستقبل وضيء ملؤه الآمال ،
وأنا ... أريدك أن تحيا ... سأحاول جهدي
لأنجسيك وأعيد إليك قواك وعافيتك ، ولن أذخر
وسعاً في سبيل برئك وشفائك وضمان سعادتك
وهنائك »

وتوقفت عن كلامها مرة أخرى لحظة واحدة
فقط حدثت خلالها فيه ومقلتها تشعان بوميض
غريب ثم قالت :

— « في وسعي أن أخبرك في مكان لا ترفع
إليه عيون أعاديك ، ولن ينالك عندي مهما
تألبت جموعهم وكثرت على ، فالتمويه على هؤلاء
الخنازير الأغبياء سهل ميسور »

وما كادت شفتاه تنفرجان عن آخر لفظته ،
حتى كان هو قد انزع يده من قبضتها انزعاعاً
وصاح بها :

— « خبي فرنسا بدلاً مني . إيه أيتها العذراء
ما أراك تفقهين ما أقول ؛ إن العلم هذا هو فرنسا
بعينها ، متجسمة فيه بكرامتها وإبائها ومجدها الثالث
والطارف ، وشعبها الأنوف النليل ، ويجب ألا
يصل إليه أعداؤنا الألمان بوجه من الوجوه ،
أتفهمين ؟ »

كان يتكلم بشيء غير يسير من الحدة والغضب ؛
والحدة والغضب خلجاناً مأثورتان عن الفرنسيين
جميعاً لا تكاد تستثنى منهم أحداً ؛ غير أنه لم يلبث
أن انفثأت حدته واستكان ، وانطلق بطوي
اللواء طياً سريعاً ومقلته الدابلتان عالقان بمقلتيها
الناعستين ثم قال بلهجة كلها ضراعة وتوسل :
— « إن ردائك واسع فضفاض فعليك بالله

— « إنك تحملين فرنسا في صدرك أيتها الفتاة ... »

وضحك ضحكة هادئة مغتصبة واستطرد في عبارته :
« وأنا رجل على شفير الهاوية وأوشك أن أموت ...
والاحتضار على قيد باع منى وتحدثين إلى مع
ذلك كله عن الهوى والحب ، هيه ... »

وراح صدره يهبط ويعلو بسرعة ، وفؤاده
يمخف حتى ليكاد يسمع وجيئه ؛ فلما أحس بشيء
من الراحة تابع قوله بشيء من المראה كثير :

« لا شأن لي بالهوى ... إنها الحياة التي
ابتغى ؛ ... هي الحياة التي أحتاجها أيتها الغانية ! »
لقد رماها بهذه الكلمات المقتضبة القاسية ،
وإن هي إلا أحجار تنثال لا ألفاظ تقال ، ثم سار
الهويني ، وانطلق يدلف في سبيله دلفة العاني
الكليل

وأما هي فقد انثنت بسكون على الحاجز الخشبي
والياس يرمض منها الجوارح ويقض منها الحشا ،
تواكب نظراتها الحزينة وهو يشق طريقه بين سنابل
الحقل كفى الخطى ويئدها . ولما ابتعد عنها ولم
تعد تسمع حركة ولا نامة ، ولم يبق لها إلا ارتقاص
الأزهار بين أكف النسبات ، وارتعاش النباتات
بين أنامل الهواء ، لكضت صدرها الجيب الفاتن
لكضة أو لكضتين وصاحت من فؤاد متبول
وحشاشة كلي :

— « فرنسا !! أنا أكره فرنسا وأمقتها ! »
ورأى الدمع في محجريها ولم يلبث أن انهمر
على خديها الملهين صبيها سخينا

مورج ملستى

وسيثقون بقولك من غير ريب ، فالوقت لا يزال
باكراً ... أتفهين ؟ ! »

وسكت وكل ما فيه ينم على اليأس الفادح والألم
المر ؛ ونظر حوله نظرات بطيئة فاحصة كأنه راح
يودع ذلك المحيط الزاهر المغمور بالجمال الفطري
الساحر ، ويشيع هاتيك الأرباض التي يهددها
سجع البلبابل وتغريد العنادل كل فجر ، ويناعها
كل مساء حفيف الأوراق في الغصون المُلد
النديّة وهينمة النسيم الرخي في سوق^(١) السنابل
الثرية . ولما هم بالمسير استوقفته الفتاة بنظرة كلها
هوي وجوى ، وقالت له وقد خرج الخفر خديها
النضرين بحمرة الشفق الحالى : « قبلنى — على
الأقل — قبل رحيلك . هبنى ثمة واحدة من ثغرك
الشنيب . وارشف مرة — لا غير — لماي قبل منك ! »
فجمد الجندي في مكانه بارد النظرات ، وقد
وقفت هي أمامه ملتهبة العاطفة بقدها المياس ،
وقوامها الرشيق ، وشبابها الفض الرطيب ، وجسمها
المغرى الفاتن ، وألقى عليها نظرة ضمّنها كل
معاني الزهد والاحتقار ، وقلب شفّتيه ، وهز
منكبّيه وتمتم :

— « واهّا لكن معاشر النساء ! إنكن
جميعاً في العاطفة سواء ؛ ... طبعتن بطابع اتشوى
واحد ، وجبلتن على شاكلة واحدة ! »

وصمت وهو يلهث ، كأنما جشم نفسه مشقة
لا قبل له باحتمالها إلا بجهد ، حتى إذا هدأت
أنفاسه واستراح التفت إليها ثانية وقال :

(١) جمع ساق

الاسبرو ملاكمه الاسبرو الاسبرو

**كيف تقضي
«اسبرو»
لطفك**

بمقدار قطعاً صغيرة مع
البيرة أو الرق ٣ - ٦ سترات
مده ١٥ - ٦ سترات
مده ١٨ - ١٢ سترات
«اسبرو» كغيره من الادوية لو يعطى بغير طهارة
اقصده ٣ سترات بدون اثر الطهارة

لن تحف الاطفال ترا هذه المرة ولذا ننظر حتى نيقم اسبرو لاهل اسفلا في
ولا ارفعوا اصنع المضاعفات معها. وانت تستطيع ذلك بالتاكيد بشرط ان
تأخذ الاسبرو وفي الواقع ان قرصيه او ثلثه معه الاسبرو وشرباً
ساحناً يزيل احاساء الانفلونزا في ليلة واحدة. وقد اثبتت مئات الالوف
من الناس ان هذه اصحج وفسرية شرايات منه وقت لا تخير لغيره علم صحة
هذه القول. لذلك لماذا تناظر؟ ابوه الاسبرو قريباً منك وقت
انتشار الرتومات والانفلونزا والرومازم. عالجها بالاسبرو فبذلك
ما تستطيع نصير منه المرض والوقت والتعب والمال.

ان الاسبرو مادة سليمة وفعالة للمفرغة في الم الحلق
والسبابا للوزنين - قرص اسبرو في اربع ساعات ما تكونه عشرة

بدية لوجع الحلق والسبابا للوزنين وتعمل فملاً واقياً. والسبب الذي يجعل اسبرو سريع الفل في اثاره السخ
والانفلونزا هو اولاً لانه مخفف للمحى وثانياً اذا اخذ داخل الجسم فهو طهر داخلي وذاكل لاجرائهم فهو ذلك بمنزل
طريقتين قرصين لمرأحة المرض وكل الادام التي منه هذه النوع.

**«اسبرو»
تفزع عذره
في الشباب
الرزور**

| | | | | |
|-------|-----|-------|----|------------------------------|
| بيجات | ٥ | قرصان | ٢ | بياع في جميع الاجزاء اعلايات |
| قرصاً | ٢ ½ | اقراص | ١٠ | ومخازن الادوية |
| قرصين | ٥ | قرصاً | ٢٧ | |



ناعستان حالماتان ،
تلتمعان التماع قطر
الندى الوضاء ١
ولكن الأمير
الشاب يستغرق في
كتابه تصفحاً فلا
يرفع عنه عينيه ولا
يفيق ١

عروس البحر

لِلشَّاعِرِ الْهِنْدِيِّ رَابِدْرَانَاتِ طَاهُغُورَ
بِقَلَمِ السَّيِّدِ فَخْرِي شَهَابِ السَّعِيدِي

واعترض الملك الوالد بنجى^(١) ابنه وعشيرته
يسأله عما انحرف بابنه عن الزواج وبغضه إليه !
فقال سمير الأمير : « أيها الملك الجليل ، لقد
زهد الأمير في الزواج ما سمع عن عرائس الأمواه ،
ولقد أقسم في سره لتكون زوجته من عرائس
البحر ، بنات الماء ... »
وأراد الملك أن يعلم من أمر هذه العرائس شيئاً ،
فاستدعى إليه أهل العلم وأرباب الحكمة .. ولكن
أرباب الحكمة لا يعرفون ... ولكن أهل العلم لم
يرووا في كتبهم عن العرائس المزعومات شيئاً !
إنما هاتيك العرائس : عرائس الخيال الموهومات ..
وكذلك قال رواد البحر من الهنود التجار !
فدعا الملك الشيخ إليه سمير ابنه ، يسأله عن
قص على ابنه هذا الخيال الموهوم ؟ فأجاب : إنه
رجل يضرب في الآفاق مجنون ... وقد سمع منه
الأمير ما سمع في الغابة حين كان يصطاد !
فأرسل الملك أعوانه في البحث عن هذا المتشرد
المجنون ليحضره إليه ... حتى وجدوه وجاءوا به
إلى قصر الملك الفخم العظيم ! فسأله الملك عن

(١) النجى : الصاحب أو الصديق

كان شاباً فتياً ، في مرآة قرة العين ، وابتهاج
القلب ، وغبطة النفوس ...
وكان غرة قومه ، ووجه عشيرته ، يثنون له
أعطافهم ، ويمهدون له أكنافهم ، ويؤثرونه بالحب
والإيثار
وكان من حوله يستفزون نفسه الثائرة بأحاديث
الزواج ، وما فيها للقلب من متعة ، وما في الطبع
إليها من طمأنينة وارتياح
قال واحد من رسل الملوك إليه : « أما أميرة
بهليك ... فما أجملها ! إنها كالباقة من أزاهير الربى
في الربيع ! »
ولكن الأمير الشاب أشاح بوجهه - وكان
لم يعلق الحديث منه بشيء - وما أجاب
وقال آخر : « ... وتلك هي أميرة كندهار ..
زاهرة أنيقة ، وضوء بهية ، كمثل وضوء العنقود
النضيد ! »
ولكن الأمير الشاب ينساب في الغابة لا يخرج
منها إلا بعد حين ...
وقال وصيف من سراي الملك - أيه - :
« ... جميلة أميرة كامبهوج جمال قوس الأفق عند
انتشاق أضواء الفجر وأنواره ... وعيناها ... عيناها

وإن هذا لشهر جديد يكاد ينصرم .. والأمير
في مكانه لا يرم !

وفي ليلة من ليالي هذا الشهر أصنى الأمير
الشاب إلى صوت مزمار خافت يطرق أذنيه كالصدى
النأى البعيد ...

وفي اتجاه السيل المنحدر إلى البحيرة الجميلة
كان اتجاه الأمير ... حيث كان مصدر الصوت
الشعري الرخيم ؟

وهناك ، كانت تجلس بين أزهار « اللوتس » (١)
حورية من بنات البحر عرائس الماء المنشودات
إن شعاعاً عبقاً كان ينبثق من زهرة من
من زهور « السيرش » (٢) في مفرقها الجميل

فترجل الأمير عن جواده ، ودنا إلى الحورية
في استحياء يطلب منها تلك الزهرة الجميلة العبقية ..
فرفعت رأسها ترنو إليه ثم سحبت زهرتها من شعرها
وقدمتها قائلة : « إنها إليك »

ثم سألها الأمير : وأى ملكة أنت ؟
فبدت على وجهها علامات الدهش والانكار
ثم قهقهت في ضحكات متزنات كالأنغام .. كان لها
رنين في قلب الأمير الشاب .. لقد ظن الناس تلك
الضحكات مزامير ، لشدة ما يخطئون ...
ثم ركب الأمير جواده ، وأردفها خلفه ومضى
يبحث السير !

وها على ظهر الحصان همس الأمير في أذنها
أن اخلى عنك النقاب .. واذا كرى اسمك الكامل
فأجابت : إن اسمي ؟ كاكارى ... وأما القناع

(١) زهور هندية معروفة لم نجد لها في اللغة ترجمة .

(٢) ليس في العربية وصف كهذا ولكن أمانة الترجمة
اقتضت نقله ، على أن فيه معنى يدركه بعض الذين تبهم الجمل

مملكة عروس الماء أين تكون ؟

قال المجنون : إنها فيما يلي حدود الشمال من
ملككتك أيها الملك العظيم ... عند سفح جبل
« شيتراهي » حيث تنبع بحيرة « كاميا كا » ...
فقال الملك وهل يبصر المرء عرائس الماء هناك ؟
فأجاب الجائل المخبول : نعم ، في إمكان المرء
رؤيتهن ... ولكنه لا يكاد يعرفهن لما يحيطن
به أنفسهن من إبهام وغموض ... غير أنني أعرف
العرائس الفاتنات بأصوات مزاميرهن الرائعة ...
أو بقبس من شعاع لهن وهاج !

فغضب الملك من هذا الهذيان وقال : « إنه
لجنون ! قد أصابه مس من حياة التشرذ والتجوال
فاطردوه »

غير أن الأمير كان قد أصنى إلى ذلك الهذيان
الجميل ... وقد علق بقلبه منه ما سمع ، فليس إلى
طرده من سبيل ...

وجاء الربيع يكاد سنا حسنه يستلب العقول ...
وانبثقت أزاهيره في الغابة تملأها حسناً وعطراً !
فركب الأمير جواده وخرج ... فيسأله الأهل :
إلى أين أيها الفتى النبيل ؟ إلى أين أيها الأمير الجميل ؟
ولكن الأمير ساكت لا يجيب ...

السيل يتدفق منحدرًا من أعالي الجبل ثم ينصب
في البحيرة فيفيض ... وهناك ، هناك قرب الجبل
في المبعد المهجور كان الأمير يقيم !

ومر شهر ، والأمير في معبده يرتقب ، وفي
الشهر هذا اشتدت خضرة الزرع ، واكتست
بوشاح من الزبرجد الزاهي الجميل !

« إن الأميرة قد جاءت متخفية في هذه
الآطار ... »

ولكن أصوات الهزء إن خفت فلم تنقطع ،
أو انقطعت فإلى حين ؛ وكان الأمير إذا سمع ذلك
يهيج ويغضب لأنهم لا يشاركونه شعوره نحو
هذه الأميرة ابنة الماء ؟ !

ومضت الأيام : والأمير على ما وصفنا ، وأهله
على ما ذكرنا ، وزوجه على حالها لم تتغير ، ولم تلق
عنها نقابها البغيض المكروه ...

ولكن الأمير يؤمل وينتظر ، وهو الآن يكتفى
بالأمل والانتظار ...

وإنه لجالس مع « عروس البحر » يسامرها
إذ سألها عن مدى لبس هذا القناع البغيض ؟
فقلت : « بل سيكون لذلك أيها الأمير مدى معلوم ،
ولكن ترثي الآن »

فأجابها : إذن فسيكون ذلك في قمر الشهر
المقبل أيها الأميرة الحسنة ! !

إن قراء^(١) البدر قد اكتملت وضوحاً وقوة ،
فهي الآن تملأ البيد ، وتغسل الحقول ... وتسيل
على الأرض فتغطي على كل ما فيها ... حتى تلك
الغرفة ، وذلك السرير ! !

ولكن أين كاكارى ... أين الأميرة ابنة
« البحر الحسنة » ؟ !

... لقد غابت ، إذ رفعت عنها القناع ! !

فخرى شهاب السعدي « بغداد »

(١) قراء البدر نوره

فما كان قد انكشف كما أراد !

وهنا قال الأمير : وجهك ... أرنيه ... إنني
في حاجة إلى استجلائه أيها الملكة الحسنة
ولكنها فهمت في ضحكات كالأولى كان لها في
قلبه اللطاع وقع ورنين

ثم وصلا إلى المعبد القديم المهجور ... فعلم
الخبر وذاع ؛ وسمع الملك الشيخ بزواج ابنة الأمير
فأرسل إليه الجند والخيول والفيلة والعربات ، في
معبد المهجور !

— واليوم يا « كاكارى » ستذهبن إلى القصر.
ولكنها لم تجبه ، ولكن في عينيها كان الجواب .
لقد كانتا دامتين ، طاغتين بالدموع ، تستعبران !
لقد هاجتها الذكرى ... وأثارت ما في نفسها من
شجون ...

ثم قالت : « بل أنا لا أستطيع الذهاب ...
أيها الأمير المحبوب ! »

ولكن ضوضاء القادمين وجلبتهم غلبت صوتها
الواطيء الضئيل ، وسارت إلى قصر الملك الفخيم !

فرأتها الملكة فقالت : وأي أميرة هذه تكون ؟
ورأتها ابنتها فقالت : يا للعار ! !
ورأتها من وصائف القصر واحدة ، فقالت :
انظرن إلى رداء الأميرة الخلق ... لا بأس عليها
فإنها ممن لا محتجن إلى الثياب إذ أنها من
عرائس الماء !

ولكن الأمير أسكنهن في حلق وغيط شديد .
وقال :

الأمم المنوح حشنة

للقصصى الفرنسى دى موباسان
بقلم الأديب كمال المحمدي

النافرة . كل شىء
فى « فرجيل » كان
يتصبى مشاعر طفولتى
الساذجة ، ويستهم
أحاسيس صباى
الماحة ، خصوصاً
ذلك الجبل الذى يتشح
بالفيضان الشجرى ،
ويتحلى بالرياح

الزهرى ، ويتقلد بمقود النهر الفضية ، وأساور
الغدر البراقة ، كأنه غانية أملود ، بحلها وحلها
ومطارفها وشغوفها

لله كم كنا نلهو بصيد السراطين من شقوق
الجدول ، وقنص أسماك الحيات من غمر الماء ،
وكم كانت سعادتنا سماوية ونشوتنا ملائكية ، حين
كنا نستحم عمراً فى ماء الجدول ، بين أسراب
البط وطوائف المكاكى . ولكن واسفاه كل
ذلك انقضى وانطوى فى غيابة الأربعين عاماً

وأنا فى ضحوة هذا النهار أسير سريع الخطو
رشيق اللقطة كأنى الجدى الطافر ، وكلباى أمانى
يسرحان فى الأرض ويرودان أما كن القنائص
ومواقع الطيور ، وعلى بعد مائة خطوة كان صديقى
« سرفال » يدوس بقدميه الكبيرتين حقلاً من
شجيرات « الشوكى » الممتدة أمامنا . وكنت مجتهداً
فى تنجية كتل من العليق التى كانت تحب غابة
« سادر » من كل جهاتها حين تبصرت كوخاً
متهدماً متهاقاً أسوداً سحماً أكل الدهر عليه وشرب .
وما كدت أثبتته حتى عراني لرؤيته هزة ورعشة .
نعم لقد ذكرته جيداً : فقد كان فى جلسته وموقعه

(٥)

كان قد مضى على رؤيتى ضاحية « فيرون »
أربعون سنة حين أبت إليها هذا الخريف للصيد
اللاهمي والله البرىء والد كرى الحلوة . وقد نزلت
ضيفاً على صديق « سرفال » بعد إذ أعاد بناء قصره
التهدم من غارة الألمان

لشد ما استرقنى جمال هذا الريف ووسوسة
رياح الخريف فى هذه الأمكنة الحبيبة أجواء
سحرية وآفاق شعرية ، ومسارح لذكريات طفولتى
عزيزة على أثيرة عندي . ثم فيها بعد ذلك المناظر
الطبيعية البهيجة ، والمشاجر الخضرة الأريجة ،
ومفاتيح النظر والفؤاد والسمع

أندرى ما يجتذبننا من هذه الأمكنة التى درجت
فيها طفولتنا ونما صباها ؟ ذكريات عذاب حول
نبح مسجور كنا نتصيد فيه السمك ، أو جلسات
إلى دوح مشجر نصفى فيه لغناء الطير ، أو قفزات
مراحات فوق نهير دافق صافق تغوص فيه بأقدامنا ،
أو صعودات إلى ربوة مشرفة مخضوضرة بالنبت
يانعة الزهر مفعومة بالمطر . كنا نتجارى على
مصاعدها فرحين ، أو نتبارى على مسالكها الزلقة
لاهثين ، كأننا الجداء المرحاة الطافرة ، أو الأطباء الرائعة

الجليدة، وملاعها القروية الجافة — أشبه ماتكون بولدها وزوجها. لم يكن أحدهما راق ليعجبها، ولا شيء مهما راع ليضحكها أو يطربها؛ فهي الدهر متعبة منقبضة، بأسرة الوجه راكدة الريح...

على هذه الحال كانت تقضي حياتها الجافة الرتيبة في كوخها المتأبد المبرد. حتى إذا تردى كوخها بردائه الشتوي الأبيض أخذت تختلف مطلع كل أحد إلى القرية تشتري الخبز واللحم، وتبتاع الخضار والفاكهة، ثم ترد في سرعة إلى كوخها وتسلم نفسها إلى عزلتها ووحدتها؛ وفي بعض الأحيان حين كانت تخشى وثبة ذئب عاو أو غارة ضبع طاو، كانت تتقلد بندقية ولدها الصدئة العتيقة وتمشي بها متحاملة مكدودة، محنية القامة، مرتهكة المفاصل منهجرة الصدر، تقتلع أقدامها اقتلاعاً من أبسطة الثلج، بينما فوهة البندقية تعبت بمصابة سوداء حول رأسها، تجتهد الفوهة عبثاً في تنحيها عن شعورها البيضاء المشتعلة شيئاً، والتي لم تكن تحل عين بشرية برؤيتها مكشوفة.

ففي ذات يوم أقبل «البروسيون» إلى القرية غازين ظافرين، فتحتم على كل بيت أو كوخ في القرية استقبال هؤلاء الأضياف الكرام... كل بما تملك يمينه وتتسع له ثروته؛ وإذا كان الظن يتجه إلى ثروة صاحبتنا الوفيرة ونقودها المدفونة، فقد أجبرت على ضيافة أربعة جنود فتيان من الألمان، تحمر الوجوه شقر الدقون زرق العيون، غلاظ شديدي الأسر، مكنتزي اللحم والشحم على رغم شدة الحرب وهولها وعركها أجسام الشباب برحائها؛ وعلى أنهم في حمى النصر ونشوة الغلبة والعزة،

على الحال التي كنت تركته فيها لآخر صرة سنة ١٨٦٩ منفرداً منعزلاً طيب الموقع تكنتفه شجيرات الكرم وترتع في باحته وأمام بابه أسراب الدجاج. فحين شاهدته الآن بهيكله المائل الخرب وجسده الضارع الحزين، انسربت من عيني شئوني وهاجت في صدري شجونني. فذكرت متالماً يوماً كنت فيه ساغباً لاغباً مما أجهدني الصيد، فدخلت هذا الكوخ لأول مرة فقدمت لي صاحبتة قدحاً من نبيذ. كما ذكرت أن صديقي «سرفال» اقتص على حكاية سكاكه فقال: أما رب هذا المسكن فقد قتله حارس من حراس الأحرار في يوم كان يستلب فيه غلة جاره، وأما الولد فلخشونة طبعه وشراسة أخلاقه ووحشية مزاجه فقد كانوا يلقبونه بالولد «التوحش» هو وأمه؛ ولطالما ألتف الزرع وسرق الدجاج وأفسد الحرث والنسل. وهنا خطر لي أن أعلم ما يتم في أمر سكان هذا الكوخ المهجور فناديت صديقي وطلبت منه سرد قصة أهله فقال:

حين أعلنت حرب السبعين تطوع «الولد التوحش» وهو في سنته الثالثة والثلاثين، في عداد من تطوع من شباب القرية، تاركاً أمه المعجوز وحدها في كوخها المنعزل، وليس وراءها من يعولها غير صباية من مال تعاش بها.

كانت وحيدة منبوذة في هذا الكوخ المطرَح النَّائِي، ومع هذا لم يكن الخوف ليعرف مكاناً من قلبها ولا سبيلاً إلى نفسها؛ إنما يخاف ويفزع الخرد الغيد والحسان الأماليد، اللأى قلوبهن هواء، وأعضابهن خيوط عنكبوت. أما «الأم التوحشة» فكانت — بقامتها المنادة المديدة، ومعارفها الخشنة

ووطنها . وليس ذلك بدعاً من قلوب القرويين الأظهار
فالتعصب القوي لم يدخل قلوبهم ، والبغض الوطني
لم يجر في دمائهم . فذلك كله يكاد يكون وفقاً على
قلوب أهل المدن والأمصار ، إن أهل القرية السذج
المساكين ، وسكان الريف الخضع الخاشعين ، الذين
يتحملون الغرم وغيرهم ينعم بالنعيم لأنهم فقراء ،
والذين يطيبون نفساً بلحومهم الحية الغريضة كي
تحرقها نار المدافع وتسفدها جواحم القنابل ، لأنهم
كثير عديدهم في زعم أهل المدن ، والذين يتألمون
من الحرب أشد الألم ويتعذبون أهول العذاب
ويعنون منها بكل طاخية دهياء وكارثة ظلاء لأنهم
مستضعفون في الأرض ، لا يملكون لأنفسهم
وذويهم نفعاً ولا دفعاً ؛ أقول إن هؤلاء المساكين
الأخيار ليسوا أصحاب أمرجة حربية وطبائع جهنمية ،
فلا الموت للذياد عن الوطن المغصوب مما يعتدونه
شرفاً ونخاراً ، ولا نجر الحياة والشباب عندهم بالمآثرة
التي تستأهل إلقاء الأجسام في النار

كان الناس يتحدثون في شأن هؤلاء الجنود
الأربعة وما يلقون عند الأم المتوحشة من رعاية وحذب
وإكرام . ففي ذات صباح بينما كانت صاحبتنا خالية
لنفسها ووحدها في كوخها إذ أبصرت في السهل الممتد
أمامها رجلاً يقصد منزلها . وحين اقترب من الكوخ
عرفت فيه موزع بريد القرية . فلما شاهدها ناولها
ورقة مطوية وقال لها : إنه لكتاب يهملك ياسيدي ،
فأسرعت العجوز بإخراج منظارها الذي تستعين به
على خياطة ملابسها ثم قرأت :
سيدتي المتوحشة :
يسوؤني أن أحمل إليك أنباء فاجعة ألّية لا تهبأ

فقد كانوا نهاية في الظرف والدمائة ولين الجانب ،
يلقون الأم المتوحشة بالوجه الباش واللسان العذب
واللهجة العطوف . ثم هم كانوا لا يألون جهداً في
إراحتها وتوفير نقودها وتقليل إنفاقها عليهم ، ولا
يكافونها عمل شيء أو تهيئة حاجة يستطيعون
الاضطلاع بها دونها . وعلى الجملة فقد كان إصلاح
الملبس وكى الثياب وتنظيف الأقمصة وغسل الأواني ،
وأخيراً مسح زجاج النوافذ وتكسير أحطاب التدفئة
أموراً منوطة بهؤلاء الفتيان الناشطين الذين كانوا
يرعون هذه الأم المتوحشة ، رعاء الأبناء البررة
أهمهم الحبيبة العزيزة . على أن ذلك ما كان يمنعها من
تذكر ولدها الراحل بقامته الطويلة المحنية وجسمه
المهزول الأعرج وأنفه المحذب الأعقف ، وعينه
الرمادية الدكناء وشاربه الغليظ الكث الذي طالما
نما وربا حول فمه وشفتيه ، كغابة كثيفة مشجرة ؛
كانت دأمة التسأل عنه ، كثيرة التلهف لرؤيته ،
لا يمر يوم دون أن تلقى واحداً من هؤلاء الأربعة
بهذا السؤال :

— ألا تدلني على معسكر الفرقة الثالثة والعشرين
من الجيش الفرنسي ؟ والهفتاه على ولدي لقد تطوع
في هذه الفرقة . فكانوا يجيئونها برطانتهم الألمانية ؛
لا نستطيع ذلك ولا نعرفه . وإذا ذكرنا أمهاتهم
المروعات الجازعات ينتظرن إياهم في البلد القصي
تدركهم على هذه الأم اللتاعة المسكينة رحمة فيسرون
عنها اللفة ويرفهن بعض ما تجد من الشجو والحنين .
لهذا ولطف والظرف اللذين كانت تجدهما في
هؤلاء الجنود الأربعة ، كانت « الأم المتوحشة »
تحننهم وتحنو عليهم بالرغم من أنهم أعداء بلادها

بعض من الألم أطراف شاربه الكثر ، كدأبه
حين يفضب ويهيج

علي أن سؤالاً جديداً تهافت على رأسها :
ما عساه صانعين بجسده الدامي المقطع ؟ أيعودون
به إليها كما فعلوا بجسد زوجها أم سيخلفونه جزر
سباع الطير وضواري الوحش ؟

وهنا بلغ سمعها خفق نعال جنودها ، يصخبون
ويجلبون بعد عودتهم من القرية . فغيببت الرسالة
المشئومة في صدرها . ثم إنها ملكت عنان جأشها ،
فاضطنعت هيئة الهدوء والجد واستعادت سحنها
الاعتيادية المألوفة . كان الأربعة في لهو وسرور
وقصف ، وقد عادوا من القرية ظافرين بأرب
حنيد طرى سرقوه ولا شك من احد منازل
القرية . وحين بصروا بالألم أشاروا إليها بلكنتهم
المألوفة : أن أعدى لنا حساء لذيذاً شهياً . فهرعت
الأم تهيء الطعام وتعد مائدة الإفطار . ولكن
شجاعتها خانتها حين تحتم عليها ذبح الحيوان المسكين .
لم تكن هذه المرة الأولى التي تزاول فيها ذبح أرنب
أو دجاجة . فقيم ترتجف يداها ويخفق فؤادها ؟
أخيراً تمت عملية الذبح والسلخ . فظهر اللحم أحمر
تسيل دماؤه الحارة القانية على يدي المعجوز فيسري
لمرآها الخوف والهول في أعروق المرأة ، وترتعد
من قة رأسها حتى إخمص قدمها ، ولاسيما حين
تمثلت في جسده الدامي ولدها الفقيد وقد قتلتها
القنبلة نحر صريعاً للبين والفم

ويتم نضج الحيوان ، فيتخذ الأربعة مجالسهم
حول المائدة وتجلس صاحبتنا في مكانها المعتاد ،

نفسك المذبذبة لسباعها : لقد قتل ابنك ياسيدتي .
انفجرت عليه قنبلة جهنمية فشطرته قسمين ، والحقته
ولما كنت بجانبه في خط القتال وكان قد رجاني
أن أحمل أخباره إليك إن أصيب بنكبة أو أذى
فقد أخرجت من جيبه عقيب الفاجعة ساعته
لأسلمها إليك حين تنتهي الحرب . وتقبلي تحياتي
وتعزيتي الخالصتين :

سيزار ريفور

جندى من الفرقة الثانية من الجيش الفرنسي

وفي ذيل الرسالة تاريخ كتابتها وهو يعود إلى
ثلاثة أسابيع

وقفت الأم أمام هذه الكارثة مأخوذة والهة حيرى ،
لا تحير كلاماً ولا تذرف دمعاً . فقد كان مصابها
يمز على العبرة . ثم أنشأت تردد بينها وبين نفسها :
هو ذا ولدي الحبيب لاقى مصرعه في مطاوى الغربة ،
بعيداً عن أمه الرؤوم ، فوالهفتاه عليه وعلى شبابه
الغض وصباه الشارخ . ثم رحلها الموقف وأتمجدها
الدمع فأذرفت الدموع الغزار وصعدت الزفرات
الحرار . حتى إذا ثابت إليها نفسها وعادوها عازب
حلمها ، أخذت تذكر في حسرة ولهفة أنها لن
تقبله آخر الأبد قبلات أم حنون ، ولن تحتويه
بذراعيها ولن ولن ... يا لظلم الإنسان ! ألم يكف
حراس الأحراج قتل زوجها المسكين حتى قفاهم
الألمان القساة بولدها الوحيد يشطرونه شطرين
كأنه لعبة من سكر بين يدي طفل أرعن . ثم خيل
إلى المرأة المرزأة أنها تراه وسط المعمة ، مفصول
الرأس عن الجسد بارز العينين من محجرتهما .

السلم الصناعي الذي اصطنعتة المعجوز لا بلاغهم
 الغرفة الجديدة ، وما كادوا يفعلون ويغلقون وراءهم
 باب سقف الغرفة الجديدة ، حتى انتزعت الأم
 المتوحشة ذلك السلم الحبل الذي يصلهم بياحة الدار ،
 ثم انسلت ففتحت باب الكوخ الخارجي ، وعادت
 تحمل حزم التبن والحشيش لتألبها بجنب المطبخ .
 وكانت تروح وتغدو إلى غرفة النائمين في حذر
 ورقبة لتطمئن إلى استغراقهم في النوم . وإذا سمعت
 غطيظهم الدوي الصاخب كأنه الأنغام المشوشة
 الناشئة تنبعث من الأوتار المتراخية المعطلة ، ارتدت
 إلى المطبخ فألقت في الموقد المستعر حزمة من الحشيش
 وأعقبها بأخرى من التبن ؛ وحين تأكدت من
 اشتعالها وسرت النار في الأكياس المجاورة غادرت
 المطبخ ، وراحت تتأمل عملها في سكون وجود
 ووحشية . وفي بضع دقائق توهج المكان بالسمير
 المتأجج ثم استحال الكوخ بغرفة ومطبخه ، إلى
 جحيم يتضرم وأتون يقذف باللهب والشرر . ثم
 أخذت ذلسنة اللهب تندلع من النوافذ والشبابيك
 كأنها ألسنة الشياطين ، وهنا انبعثت من الكوخ
 صرخات شاكية ضارعة ، أعقبها أنات وتوسلات
 حزينة مبكية ؛ ثم انقطعت الأنات المدوية ، وخفت
 الصرخات العاوية ، فما عدت تسمع غير فرقعة
 الأخشاب وهي تثر في الفضاء ، أو فرقعة الجدران
 وهي تنهاوى إلى الأرض . أخيراً انفجر الكوخ
 وتصعد هبكله وسط سحب داخنة سحباء وغيوم
 مشتعلة حمراء . فكنت ترى الثلوج في البرية ، وقد
 تألفت وتوهجت من انعكاس النار عليها ، كأنها
 العروس الرعبوب ، ارتدت حلة ناصعة بيضاء مطرزة
 الحواشي بالشرائط الحمر

لا تشتهي طعاماً ولا تسبخ شراباً ، بينما أصحابنا
 يزدردون اللحم الغريض ويشرقون بالنبيذ المعتق
 الأحمر غير حافلين بها ولا ملقين إليها بالآ ؛ على أنها
 كانت تتناوبهم يبصرها الحين بعد الحين ، وتدهيات
 في نفسها أمراً . وعلى حين فجأة فاجأتهم صائحة :
 — أليس غريباً أنى وقد مضى على إضافتكم
 شهر لم أعرف أسماءكم بعد . فأدرك الجنود بعد لأي
 ما تعنيه الأم ، ثم أعلنوا أسماءهم كل بدوره ، ولكن
 ذلك لم يقنعها ، فرجتهم كتابة أسمائهم وأسماء أسراتهم
 وحمل إقامتهم في ورقة خاصة . فأذعن الأربعة
 لمشيئها ثم ناولوها ورقة بما ابتغت ، أخرجت لقراءتها
 منظارها المهود ، وجعلت تنظر إلى خطوطها الغريبة ؛
 وما إن تأملتها برهة حتى طوت الورقة وأخفها
 دون ثيابها بجانب رسالة ابنها الفاجعة . فرغ الأربعة
 من تناول الطعام فأهابت بهم قائلة :

ساعد لكم شيئاً تحبونه ، ثم طفقت تخرج من
 الغرفة التي ينامون فيها أكياس الحشيش وأكياس
 التبن ، وحين سألوها عما تبغى من عملها أجابهم :
 — البرد قارس والجو بارد وسأبني لكم من
 هذه الأكياس غرفة تنعمون فيها بالدفء اللذيذ
 والنوم الهنيئ . فأقبلوا فرحين يساعدونها في
 تكديس الأكياس وتعميم الجوالق . حتى تم لهم
 بذلك غرفة ذات جدر أربعة رجتهم الأم أن يرقدوا
 فيها ليلتهم قارين دافئين هاشين

وفي الغد كانت دهشة أحدهم بالغة ، حين شاهد
 الأم تعيد سيرة الأمس فلا تتلمظ طعاماً ولا تمد
 يدها إلى صحيفة ، ولما سألوها عن سبب امتناعها عن
 الطعام اعتذرت بضعف الشهية وعناء العمل ، ثم
 أضربت نارا لتصطبليها وصعد أصحابنا الأربعة

— هذه رسالة نعي ولدى فيكتور ، ثم أعقبت
وهي تجار كالنمرة الغاضبة :

— وهذه عنوانين جنودكم ، وأرجو أن
تذكروا حين إرسالها إلى أمهاتهم : أنا التي
حرقته فلذات أ كبادهن ، وليكن توقيعها هكذا :
« انتصار سيمون المتوحشة »

لم يستطع الضابط أن يملك غضبه أمام وقاحة
هذه المعجوز وتشفيتها ، فأمر بجنوده فاستاقوها إلى
جدر من كوخها يوشك على الانطفاء ، ثم اصطف
حولها على بعد عشرين متراً اثنا عشر جندياً ، وبرغم
أنها أدركت ما يراد من هذا العمل لم تبد حراكاً
ولا استعدت لدفاع عن نفسها

وهنا ارتفع صوت الضابط يأمر الجنود بإطلاق
النار دفعة واحدة .

لم تسقط المرأة كتلة دامية ، ولكن رصاص
البنادق قصف ركبتيها ، فهوت إلى الأرض
صريعة ، تحمل في يدها المتقبضة رسالة ولدها دامية
حراء

قال صديقي وقد انتهى من سرد قصته على :
ولكى ينتقم الالمان ويشفون حرهم من القرية ،
هدموا قصرى كما تعلم .

ويليها صديقي يقول لى هذا كنت أمثل
لخاطرى ، وأنا أتأمل الكوخ المهدم الحرب ،
شجوا أولئك الامهات اللواتى فقدن أولادهن بين
جدران المتهبة . ثم أعجب وأدهش لهذه البطولة
الشرسة التى أبدتها الأم الثاكل ساعة الموت وحين
تلقت رصاص الجنود

كمال الحبرى

وفى وسط هذا الهرج والمرج كنت تسمع
إرئان جرس يدوى من بعيد ، منذراً بالخطر وداعياً
النجدة ، بينما الأم المتوحشة عالقة البصر إلى
الكوخ وقد تنكبت بندقية ولدها ، وفى نفسها
أن تطلق الرصاص على كل واحد من هؤلاء الأربعة
يسعده جده فينجو من الجحيم اللاهب . حتى إذا
اطمأنت إلى أن كل شيء قد انتهى إلى ما ترغب
ألقت بسلاحها إلى النار المندلعة ، وتسلفت جذع
شجرة ثم راحت ترقب الحريق وادعة ساكنة .
وأهرع من القرية رجال للنجدة ، وفلاحون
لاستطلاع الخبر ، وجند من الالمان للتحقيق ، وكان
على رأسهم ضابط يتقن الفرنسية كأحد أبنائها ، قال
لها : أين جنودنا الأربعة أيتها المعجوز ؟

فدت الأم المتوحشة يدها المعروقة الهزيلة ،
ثم أشارت إلى الحريق الذى بدأت تخمد ناره ،
وأجابت بصوت هادى قوى : هناك هناك .

فأحرق بها الجند ، ثم سألها الضابط :
— ومن كان للسبب فى إضرام النار ؟ فأجابت
المرأة وفى لهجتها التشفى والحنق :

— أنا ... أنا ...
ولم يصدق الضابط قولها وظن النكبة عصفت
برأسها ، فأمر جنوده فسدوا أمامها طريق النجاة ،
غير أنها استسلمت إليهم ، ثم أخذت تقص عليهم
حكاية حالها منذ اليوم الذى استقبلت فيه الجنود
الأربعة ، حتى هذه الساعة التى تشفى فيها غيظها
تأخذ بثأرها من كل ألمانى

فرغت من قصتها وأخرجت من جيبها ورقتين
مطويتين راحت تبين كلاهما على ضوء الحريق
مستعينة بمنظارها ، قالت وهى تفرد إحداها :

الله المخلص

أقصوصة مصرية بقلم الأديب نجيب محفوظ

وأذهله السقوط إذ
بأغته من حيث لم
يقدّر فصكه صكك
وزعزع ثقته بنفسه .
ولم يستطع البقاء في
المدرسة معني من
المصروفات المدرسية
فرجع إلى قريته

حزيناً ينوي صادق النية أن يدرس في داره
ويتقدم إلى الامتحان مرة أخرى ، ولكن كانت
الحياة شاقة مضطربة يكتنفها القلق والازعاج إذ
أن اخوته ضايقهم أن يقبع في عقر داره مطعناً بين
كتبه ويجهدوا هم أنفسهم طيلة يومهم ، فران الهم
على صدره وتقهقر درجات وهوى لدى الامتحان
فكان سقوطه هذه المرة أنكى من المرة الأولى وأشد .
وسرعان ما انبرى له إخوته قائلين : إما العمل معنا
في الحقل وإما أن نرى لك رأياً غير المذاكرة . فساءه
تعصبهم عليه واستبدادهم به فحزم أمتعته وقال لهم
غاضباً : « لا عجب أن يتربص بنا أبناء عمنا
ويقيدونا بالفقر كما قيدوا أبانا من قبل ، مادمت
- وأنتم إخوتي - تأخذكم القسوة على
تفسدون مستقبلى ... فلتكن أمنيته ، وهأنذا
هاجركم وهاجر القرية والديرية ، ولسوف يأتيكم
نباى بعد حين » . وترك القرية غير مستمع إلى
توسلات ، يدفعه الغضب الشديد ، ويخيل إليه أنه
سيغزو المدن ويقهر البلدان ، ولم المأل حتى يعلم
شأنه عن كل شأن

ولد خليل بعد وفاة أبيه بيضعة أسابيع ، ولم
يكن اليتيم أشد ما ادخرته له الحياة ، لأن أباه كان
قد عاش عهدي الشباب والكهولة في فقر مدقع
قضى به عليه نزاع بينه وبين أبناء عمومته على
قطعة كبيرة من الأرض ما زال يؤجل الفصل
فيه أمام المحاكم أعواماً كثيرة حتى تقضت
حياة الرجل في ضيق . وشب الطفل بين أحضان
أمه مع إخوة ثلاثة له يعيشون جميعاً على ريع ثلاثة
فدادين لأهمهم ، فكان من أمر الإخوة الثلاثة
أن عملوا في الحقل على قناعة بما قسم لهم في
حاضرهم ، وعلى أمل أن يعوضهم الله عن
جهدهم وصبرهم خيراً في مستقبلهم . وكان من حظ
خليل أن أرسل إلى الكتاب ثم إلى مدرسة
الزقازيق الابتدائية على كره من إخوته ، وآزره
النجاح فنال الشهادة الابتدائية وأدخل المدرسة
الثانوية . وما زال مثابراً على نشاطه صابراً على
فقره حتى نال شهادة الكفاءة . وبث النجاح في
نفسه إيماناً وطيلاً وعزماً كيداً وثقة مطمئنة ، لولا
أن قدر لحياته غير ما بشرت به طلائعها فزلت به
القدم وخانه الحظ فسقط في امتحان البكالوريا ،

حط خليل في القاهرة وقصد لساعته - مستعيناً
بإرشاد الناس - إلى شبرا حيث قريبه الناظر

وكان الرجل يقيم في بيت كبير قديم ، مكون
من طابقين ، جعل من الطابق الأول فصول
مدرسته ، ومن الثاني نصفه للإدارة ونصفه سكناً
له ، وكانت زيارة خليل مفاجأة لم يتوقعها فرحب
به قائلاً :

« أهلاً وسهلاً .. كيف حال والدتك وإخوتك ؟
أهلاً ... أهلاً ... لم لم تنبئني بمجيئك ؟ » فأجابه
مبتسماً :

« لأنني حتى مساء أمس لم يخطر لي السفر
على ذهن ، ولم أكن أقدر أني تارك القرية قبل
استدارة عام دراسي كامل . فبدت الدهشة على وجه
الناظر وتساءلت عيناه ؛ فاستطرد خليل قائلاً
بلهجة حزينة :

« ضاق بي إخوتي وضقت بهم فالتفت في ذهني
فكرة الهجرة ، وسرعان ما أبرزتها إرادتي إلى حيز
الحقيقة فارتحلت عنهم » فضحك الأستاذ وقال :

« إن تاريخ أسرتنا يتلخص في قصة نزاع شقي
منذ القدم ، يأكل فيه أبناء العم أبناء عمومتهم
والإخوة أبناء أبيهم . وعلى كل حال فحسناً فعلت
فإن القرية لتضيق عن مواهبك . ولكن على
فكرة ... قل لي ما شأن قضيتكم الآن ؟ » فلم
يملك خليل نفسه من الضحك وقال :

« كعهدك بها ، ميتة حتى يأذن الله فيسمها ...
وقد قابلنا المحامي منذ أجل قريب فوعدنا ومنانا
وما بعدنا إلا هواء كما وعد أمنا من قبل ، وكما وعد
أبانا بحمايه رحمة الله عليهما من قبل القبل ...

وكان له قريب يدعى عبد الباسط الغر ، يدير
مدرسة أهلية في العاصمة ، فجعل غايته إليه ، وبني
آماله عليه

وكان خليل يبدو محافظاً على دينه ، وإن وقف
به إسلامه عند حدود المظاهر ، فكان يصلي الصلوات
الخمس ويصوم رمضان ويقرأ القرآن ، ولكن قل
أن تهتز نفسه لمواطف الإيمان العميق ، أو تنبث
في قلبه خلجات التدين الصادقة ؛ ولذا أمكن أن
تستقر في وجدانه آراء يراها منها التدين والأخلاق
الفاضلة كإيمانه بالسطارة واعتقاده أنها فضيلة ما دامت
تعين على العيش والظفر في معترك الحياة . ولم يتخرج
من الكذب والرياء والاحتيال ما دامت هذه جميعها
من دعائم السطارة التي تسد خطاها نحو أهدافها
النافعة ؛ ولم يتنبه ضميره إلى التنافر القائم بين هذه
المبادئ خيراً وشرها فنجا من الأزمات النفسية
والأخلاقية كأنه أشخاص مستقلون في كينونة
واحدة . وظل راضياً هادئاً يعمل لدينه بما يفرضه
عليه من العبادات ، ويعمل لدنياه بما يفريه به الهوى ؛
وسار في طريق الحياة قدماً تدفقه هذه البواعث
المتناقضة كأنه آلة صماء يستعين بها الطبيب على إنقاذ
النفوس ويستعملها الأثيم في إزهاق الأرواح الأبرياء ...
وعلى هذا النحو كان تلميذاً مجتهداً متعبداً ، ولكنه
استعمل مكره وحيلته ، فشارك الآكل طعامه ،
والكسو ثيابه ، والقارئ كتبه ، حتى ساءت
سمعته وامتن ذكروه ، وخاض التلاميذ في سيرته ؛
ولكنه كان يعد نفسه دائماً المظفر المنتصر ما دام
يستطيع الاحتيال على أسباب العيش ؛ وهون عليه
الفقر كبرياؤه وكرامته

« للعبد لله » وعلى كل حال انتظر فستعلم كل شيء
في حينه »

ومن غداة اليوم التالي ابتداء الأستاذ خليل عمله
كمدرس . ولم يكن ذا استعداد خاص للتعليم ،
ولكن ذخيرته من الحيلة أيدته بالقوة والثقة فقام
خير قيام بما يتطلبه عمله من الثبات والظهور بمظهر
العلم والعرفان وألمحته مواهبه ما يسوس به الأطفال
ويضبط النظام ؛ على أنه لم يلبث أن فطن إلى أن
جميع زملائه يستندون في الغالب إلى التهويش
والتضليل لا إلى العمل الصادق والدرس الحق ،
فاطمأنت نفسه وهوش وضلل وكان من المتفوقين .
وكان يهاب قريبه وناظره ويعمل له الحساب ، ولكنه
— بطول الممارسة — اطلع على خبيثة نفسه ، فألفاه
لا يحتفل بالتربية والنظام احتفاله بالحفلات وإيراداتها
ففي الحفل المدرسي توزع بطاقات الدعوة بالمثلثات على
أولياء أمور التلاميذ ، وبالعشرات على كبراء الحى
وأغنيائه ، وفي أثناء الحفل يدور صفار التلاميذ
على كبار المدعويين بالورد وغيره من الأشياء الخفيفة
التي فيدفع المتورطون منهم ثمنه أضعافاً مساهمة في
تنشئته الفقراء ... وكانت وظائف القاعين على هذه
الحفلات أقرب ما تكون شبيها بوظائف محصلي
الضرائب . وقد لعب الأستاذ خليل دوره بمهارة جلبت
له العطف والثقة فأضحى لدى ناظره في منزل مكين
ولدى نهاية الشهر الأول من حياته الجديدة
قصد مع القاصدين إلى حجرة سكرتير المدرسة ،
ليقبض مرتبه — ولم يكن قد سأل عنه تأدياً منه
واطمئناناً إلى تقدير قريبه — ولشد ما كانت دهشته

(٦)

« كل شيء رهن بمشيئة الله فاصبر الصبر الجميل
والآن اخبرني علام عزمت ؟ » فنظر إليه بعينين
مستطلعيتين وقال : « أرغب في أن أجد عملاً »
« أى عمل ؟ »

« آمل أن أجد في مدرستك وظيفة مناسبة »
فصمت الأستاذ مفكراً لحظة ثم قال :
« أظنك لم تحصل بعد على البكالوريا ؟ »
« نعم ولكن معلوماتي لا تقل عن أحد من
حاملها »

« فليكن . فإن عندي مدرسين لا يحملون سوى
الكفاءة ... فما هي المواد التي ترى أن تدرسها ؟ »
فانعش الأمل نفس خليل وتيقظت ثقته بنفسه
وتنهت شطارته فقال بثبات :

« كل ما تعهد به إلى .. عربى .. انجليزي ..
حساب .. رسم .. ديانة .. ألعاب رياضية .. »
« حسن ... وفضلاً عن ذلك فسأعهد إليك
بقسط في إدارة الحفلات »
« أي حفلات ؟ »

« الحفلات المدرسية ... التي تدر على المدرسة
ريعها الحقيقي وخاصة بعد أن أصبحت الاعانة الوزارية
غير مضمونة »

« وما سبب ذلك والوزارة لا تنى عن تشجيع
المدارس الأهلية ؟ »
فتنهذ الأستاذ وقال :

« لأنى تورطت في تأييد الوزارة السابقة
وخطبت في حفل عام أقيم لتكريم الرئيس المستقيل ؛
ولا أظن الوزارة الحاضرة — والعداوة بين حزبها
وحزب الوزارة المستقبلة مشهورة — تنسى هذا

عنه الظنون وتنفي عنه الريب ، أو فما أهون الحياة
جميعاً وما أعبت الجهد يضيع في سبيلها

واستأنف أساليب الحياة التي كانت يتبعها
بإخلاص على عهد التلمذة في مدرسة الزقازيق ،
وتربص بالحفلات المدرسية التي قال الناظر أنها تدر
على المدرسة ريمها الحقيقي ، تلك الحفلات المغرية
حيث تتراكم بطاقات الدعوة أكداً ، أكداً
وتتجمع التبرعات من كل صوب ، ويسهل اللعب على
من كان مثله نشيطاً شاطراً حذقاً ، وجرت يده
في خفة ودبت الحياة في جيوبه المهجورة فاطمأن
نوعاً إلى الحياة واستطاع أن يتمتع نفسه ببعض ليالي
القاهرة الفاتنة طوراً في المقاهي وطوراً في الحانات ،
ولكن الأيام لم تتركه في غيه يجمع فلم يلبث أن
أحس بمراجعة رئيسه تحيط به ، ويحذره يأخذ عليه
المسالك ، فكف مقهوراً خيفة أن يفقد الرهان كله
ويخرج « من المولد بلا حمص » ولكن أتى له
الصبر ونداءات الشهوات لا تخمد لها نار في قلبه
أو يخف لها صراخ

وهذه تحريه إلى مقهى قريب من المدرسة تسهر
فيه شرذمة من إخوانه المدرسين يلعبون الورق إلى
ساعة متأخرة من الليل فارتأى أن يسلك جماعتهم
وأن يجرب حظه ، وقد قابلوا رغبته بدهشة لا تخفى
لأنهم ظنوه بادي الأمر حنبلياً لا يراجع نداء دينه
الحنيف إلا واحداً منهم تحدهاء بنظرة ظفر وقال
وهو يقهقه :

« ألم أقل لكم أنني أعلم ما لا تعلمون ؟ »
وشاركهم في لعبهم ، وجاء الحظ غنياً لآماله ،
فتنهت فيه غريزة الشطارة وانصرف بكليته إلى ترويض

حين سلمه الرجل ثلاثة جنيهات لا غير . وراجعته في
الأمر ولكن الرجل أكد له أنه سلمه مرتبه
بالكامل . فهورل إلى حجرة الناظر والجنيهات في
يده ، وما إن رأى الرجل « الرتب » في يده وطالع
الدهشة المترسمة على وجهه حتى فهم بداهة
ماوراءها ، فابتسم ابتسامة صفراء وقال بهدوء : —
« أغير راض أنت ؟ ... »

طبعاً ... خصوصاً وإني أرى أن من المدرسين —
من هم دوني عملاً ونشاطاً — من يجاوز مرتبتهم
الخمسة جنيهات أو يزيد ... « فاستطرد الرجل وهو
ما يزال محافظاً على هدوئه : —

« لا يفرنك قولهم ولا ما هو مقرر لهم ، فهذا
شيء والقبض شيء آخر ... وثق أنك أوفرهم حظاً .
ولا تنس أنك تشاركني سكني وأنى لن أغفلك
من المكافأة كل حفل مدرسي »
« هذا حسن ، ولكن ... »

« لا لكن يا أستاذ خليل ، أنت قربي ويعز
علي أن تشكو . ولكن ما حيلتي وأنا مدير أعمال
خاسرة لا تكاد أرباحها تفي بمتاعها ؟ ... فلتقنع
بهذا الآن وعزائك أن إخوانك لا يجدون في
الحكومة عملاً ، وإذا وجدوا فلن يطمعوا في مثل
مرتبتك هذا »

وهنا ذكر غرضه الفرعونية أمام إخوته
وتلوهم بقبضة يده وهو يقول : « ولسوف يأتيكم
نباى بعد حين » فشمع بخزي قاتل وخيبة أمل مريرة
إذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يرى لنفسه
حيلة ، وهل تنقصه الحيلة ؟ . وها هي ذي المظاهر
جميعاً — من عبادة وصلاة وتلاوة قرآن — تدفع

القنوط يطالعه في كل مكان

وفي أول مارس دس الجنيهات الثلاثة في صدره وترك المدرسة هائماً وإخوانه يتغامزون ، ولم يلتفت إليهم لأنه كان مشغولاً بأشباع نهمه في حدود الأغلال التي قيده بها الدهر ، ولم يكن يبرأ — حتى في هذا اليوم السعيد يوم أول الشهر — من الابتأس والكآبة ، لأنه يعلم أنه لا يملك حق التصرف في المبلغ الذي معه على ما يشتهي وإلا عرض نفسه لثلاثين يوماً قاحلة ينسى فقر ساعة منها ليل هذا اليوم السعيد ، ولكنه لم يدر بخلده حسابان تلك المفاجأة التي كان يدخرها له الدهر

فقيم هو يضرب في الأرض إذ رأى رجلاً يمر به مسرعاً . عرفه من النظرة الأولى ، فأسرع نحوه حتى لحق به ؛ وأحس به الرجل فتوقف والتفت إليه واستولت عليه الدهشة فصاح :

« خليل افندى ... ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ إنها مصادفة عجيبة تجمعني بك حين أفكر فيك . فتعجب مني واشكر الله كثيراً .. »

« ولم تفكر في يا حضرة المحامي ؟ »
« كي أبشرك يا سيدي فقد كسبتم القضية ورددت إليكم أرض أبيكم وريعتها المتجمع ... »

وكانت كل كلمة تخرج من فم المحامي تهز قلب خليل هزاً عنيفاً حتى خارت قواه وأحس أن الأرض تميد به فاستند إلى الحائط . أنه فرح فوق ما يحتمل ، أما المحامي فاستطرد وهو يهم بالسير : —
إني مسافر هذا المساء إلى الزقازيق ، وسوف

يده على الخفة والرشاقة ... وسرعان ما تنبه الرفاق إلى هذا الرابع أبدأ ... وكان من العسير أن يخفي سره إلى الأبد فخامت حوله الشبهات ، وتجلت في عيون لاعبيه الريبة والحذر ؛ وما زالوا يدافعونه حتى قاطعوه صراحة ونحسوه عن مائدتهم فأب ملوماً محسوراً ...

ومرت عليه الأيام الطويلة وهو يعاني الفقر واليأس ، وأخيراً قتش في جمبته فلم يجد سوى الاقتراض مخففاً عن نفسه ومشبعاً لرغباته وشهواته فاقترض ، اقترض من الناظر ومن المدرسين ومن البواب نفسه . ولما طولب بأداء الدين ماطل وسوف وأجل وتهرب ، فارتفعت الشكوى منه على كل لسان ، واضطر سكرتير المدرسة أن يحجز على مرتبه فلم يف بالمبالغ المطلوبة . وهنا اشتد الغضب بالناظر واستدعاه إليه وقال له معذراً :

« إنك تخيب أمل فيك ، وتضعني في مركز دقيق أمام مرؤوسى ، وإنى أصارحك بأنى لن أصبر على تصرفاتك بعد الآن »

ثم جمع إليه الموظفين وقال لهم في لهجة حازمة قاطعة :

« من يقرض خليلاً بعد الآن فستقع عليه تبعة عمله ... ولن يكون مرتبه ضماناً لأحد ... »

وهكذا وجد نفسه في عزلة رهيبة ، يعيش بين أناس لا تربطهم به صلة عطف أو مودة ، يضيقون به ويضيق بهم ، ويتحاشونه ويتحاشاهم ، فأحاط به الهم وعاش عيشة نكدية يتحمل الحرمان في جزع ، ويتلهف على الأمل يميناً وشمالاً فلا يلقى إلا وجه

« أقابل اخوتك غداً ... »

« خذني معك ... »

« إذا شئت ... ولكن ينبغي أن تعلم أن

أمامكم عدة أيام — ربما بلغت الأسبوع —

تم فيها بعض الاجراءات القانونية قبل أن تتسلموا

أموالكم

« إيه ... »

فاه بها وقد جمد وجهه ، فضحك الأستاذ وقال :

« أخرى بمن انتظر السنين راغماً أن ينتظر

الأيام راضياً ... »

فليكن ، لقد أصبحت السعادة منه قاب قوسين

أو أدنى ، ورأى أن من الحكمة أن ينتظر هذه الأيام

في القاهرة لأنه كره أن يقيم بين إخوته فقيراً ،

ولو أياماً معدودات وهو الذي هجرهم غاضباً متكبراً

وإنها لسعادة عظيمة أن ينتقل الإنسان فجأة

من الفقر إلى الغنى ، شبيه به أن يجد عبد نفسه على

عرش دولة من السادة ، فأى سعادة بعد بؤس ،

وعز أثر ذل ، وظفر عقب خذلان ؟

وقد تحسست يده محفظته فشعر ببغطة ، وذكر

أمانيه منذ لحظة فانفرجت شفتاه عن ابتسامة عذبة

وهمس لضميره : « أستطيع أن أعيش أول ليلة في

حياتي »

واستسلم للأحلام ، ففمرته تياراتها المضطربة ،

ولفحه لهيبها ، فتشعبت به المسالك ، واختلط عليه

الأمس ، وخيل إليه أن جنيناته الثلاثة لن تشبع

نهمه أو تطفى شهوته

فلما أن هدأت نفسه واطمأنت عواطفه الثائرة

رأى الأمر سهلاً يسيراً ووجد « خطة » السهرة

جاهزة بين يديه حاضرة في قلبه من طول ما صورتها

له أمانيه ، وصاغتها أحلامه

فسار بأقدام مطمئنة إلى « الحاتي » وآثر

الحاتي على غيره ، لأن اللحمية كانت أعز المأكول

لديه وأشدّه تمنعاً عليه ، وطلب ما أملاه عليه نهمه

وانكب على المائدة يلتهم ما عليها بجشع وشراهة .

فسكت عنه الجوع ، ولم يكف حتى اضطر إلى

الامتلاء والشبع ، وأخطأ تقديره إذ ترك للمائدة

لحماً شهيياً

ثم عرج بعد ذلك إلى حانة هادئة شرب فيها

وعل حتى دارت رأسه

ثم قادته الخمر — عند منتصف الليل — إلى

فراش لا يذوق النوم الزاقدون عليه

وعند الضحى غادر البيت كأنه غير رجل

الأمس . كان تعباً متهافتاً مصفر الوجه ، يدوى

الصداع في رأسه ، وتلتوى شفتاه من الاشتزاز ،

فتمعجب كيف تنتهي اللذة إلى هذه الحالة

المریضة التي تزهد في الدنيا بأسرها ... وذكر

تلهفه على الملاذ ، وتحرقه على الطعام والشراب

والشهوات ، وذكر أنه كيف روى نفسه من هذه

جميعاً حتى اتخمها فردت إلى ما يعانى من سوء

وضراء ، وكل هذا في ليلة واحدة ... ليلة واحدة

لا أكثر ... وأأسفاه ... لقد كان يظن خطأ

أنه ذو موهبة وقدرة على الاستمتاع بالحياة الدنيا

فاذا به عليل مسكين يتقلب على وجهه عند الكرة

الأولى ... ألا سحقاً للعالم التي لا ترضى في فقر

ولا تسعد حين الثراء ، وسرت به روحه متلهفة

إلا أن جيوبى خالية من النقود وأنا فى شدة الحاجة إلى أجرة السفر وسوف أرد إليك نقودك أضعافاً لدى وصولى القرية ...

« قد كنت لا ترد وأنت مقيم بيننا ... »

« تغير الأمر وصرت من الملاك »

فاقترب منه الشاب وشم فمه ، وارتد مشعراً

وهو يقول :

« صدقت ... لا ريب أنك تملك الضياع

الواسعة ... أنا أيضاً أملك مثلها حيناً قصيراً من

الليالى السعيدة ...

ولكنى أعجب كيف تبقى ربح هذه الخمر فى

رأسك حتى منتصف اليوم الثانى ... »

« لا تهذ . إن ما قلت هو الحق المبين »

فضحك الشاب وهو لا يستطيع تصديقه وسأله

بلهجة تصنع فيها الجذ :

« أى خمر هذه ؟ سمها لى وأنا أشرب وأملك

الضياع وأقرضك ما تشاء ... »

فولى عنه يائساً وهو يعض على أسنانه ، ولم يكن

حظه أعظم توفيقاً مع غيره ، فسألهم واحداً واحداً

ورده جميعاً فى لهجة صارمة حتى لم يبق ممن لم

يسأل سوى حضرة الناظر والبواب . وكان يخشى

الناظر ويتحاشاه فذهب إلى البواب ، ولما أحس

الرجل بأن الحديث يحوم حول الاقتراض قال مسرعاً

« معذرة يا سيدى ، لقد سبق منى يمين الطلاق

ألا أقرضك بعد المرة الأخيرة ، وقد طلقت امرأتى

مرتين — بدافع الخلافات الزوجية — ورددتها

« والثالثة ثابتة » وخراب بيتى قضاء لا يرضيك »

فصاح فى وجهه غاضباً : — « الله يخرّب بيتك »

— وهو يعانى الألم والاشمئزاز — إلى قريته الحبيبة

وتمنى على الله لو يجد نفسه سريعاً بين ديارها ،

يزرع أرضه ويهنأ بعيشة زوجية هادئة بعيداً عن

مهالك النفوس ومثيرات الشهوات ، وبعيداً عن

الناس جميعاً الذين يعيش بينهم فى عزلة رهيبة وسط

سياج من الحذر والمقت

وانتهى عند ذاك إلى المدرسة ، وتذكر وهو

يضع يديه فى جيوبه أنه خالى الوفاض وأنه أنفق آخر

قرش من جنيهاته الثلاثة وخرج مشكوراً مصحوباً

بالسلامة ...

إن ما ينبغى له الآن أن يقترض مبلغاً زهيداً

يسافر به إلى بلدته ويسدل ستاراً كثيفاً على هذه

الحياة التكدية ؛ وإذا كان عشر هذا المبلغ مما يستحيل

عليه اقتراضه وهو مفلس مشهور بالاحتيال فما يظن

أنه يمز عليه الآن اقتراضه وهو غنى من الأغنياء

وعين من الأعيان

وقصد من فوره إلى أول من لاقاه من مدرسى

المدرسة فحياه على غير توقع وقال له :

« من فضلك يا شكرى أفندي ... إنى فى

حاجة شديدة إلى مبلغ زهيد لأنى ... »

فدهش الرجل وقاطعه متسائلاً وهو لا يخفى

دهشته :

« أتقترض ولما يعض غير ليلة على أول الشهر ؟

يا حظ من كنت ضيفهم أمس ... »

« إنك لا تدري من الأمر شيئاً ، لقد ربحنا

القضية ، ألم تعلم أنه كان بيننا وبين أبناء عمنا قضية

منظورة أمام المحاكم منذ أعوام عديدة ؟ هى الحقيقة

ولقد ربحنا القضية وصرت من الأغنياء المعدودين ،

صديقاً ما يزال على حسن ظنه به ؟ ولكن هذا بعيد ، فليته يجد عملاً ولو نصف يومه المنكود هذا وبداله هذا أعسر مطلباً من الأول ، فألقى بنظرة في أركان الطريق يزجو وهو يائس أن يجد كيساً مملوءاً منسياً ...

وحملته قدماه وهو لا يدرى إلى ميدان المحطة فنظر إلى بنيانها وتهد بحسرة موجعة ، وجاس خلالها يطالع القطر التأهبة للرحيل بلحظ حزين كئيب ويشهد المسافرين المتدافعين المهرولين بحسد أليم وانتزع نفسه من المحطة ، واستأنف السير ، ومر الوقت لا يحس به ، حتى أدى المشى قدميه ، ونال التعب منه كل منال ، وخيل إليه في تدهوره أن مفاصله ينفك بعضها عن بعض ، وشعر — بعد طول الجهد — بقرصة الجوع تمزق بطنه الذي لم يستقبل شيئاً منذ عشاء الأمس الفاخر ، فسار يتخبط ، وذكريات القرية ، ومائدة الحاقى ، والحامى ، والناظر . تتمثل أمام مخيلته في صورة مثيرة تاركة خلفها الألم والجزع

والتقى في بعض تجواله الضال بشحاذ — وكانت آية الليل تحتل الآفاق التي ولت عنها أشعة الشفق — يسير متوكئاً على عكازه ، وعلى ظهره جوارق مملوء بما فيه من كسر الخبز ، فتعجب غاية التعجب أن يرجع هذا الشحاذ إلى مأواه آمناً مطمئناً ، سعيداً بما على ظهره وما في سراويله ، وأنت يعاني هو — غنى مديرية الشرقية السري — ألم الجوع والقهر ... فأى دنيا هذه ...

وأجبر الجوع تيار تأملاته على الانقطاع فنبع الشحاذ عن كئيب وقد جددت عيناه على جولقه

ثم قصد إلى قريته يائساً منفعلاً ، وحادثه في الأمر وارتاب الرجل في حقيقة القضية الراجحة لأنه لم يتعود من خليل الصدق ، وساءه أن يقترض في اليوم الثاني من الشهر فقال له باستياء شديد : —

« إنك تتصرف تصرف القصر المهورين وتسى إلى سمعتي وشرفي » فرد عليه بحماسة قائلاً : « أقسم لك بشرفي أننا كسبنا القضية ، وأن الذي أكد لي الخبر هو المحامي نفسه »

« آسف لأن أصارحك بأني لن أومن لك حتى يأتني الخبر من إخوتك ، ولن آمن إن أنا أقرضتك اليوم أن تأتيني غداً وتمثل أمامي نفس المهزلة ، فلتتحمل عاقبة نزقك »

« أرجو أن تصدقني ... »

« لا تلح ... إني بدأت أحس بأن ما يفرق بين أهلينا جميعاً من الشقاق سيفرق بيننا »

فاتفرض خليل من الغضب ، وامتلاً غيظاً ويأساً فضرب المكتب بقبضة يده ضربة شديدة وخرج وهو يدمدم بصوت حائق غير مفهوم

وكانت غصبة اليأس ، لأنه رعى بنفسه في عزلة قاتلة وغدا لا مال له ولا معين ولا صديق ، فاستسلم للغضب وسب ولعن من دون جدوى لأن الغضب لا يستطيع أن يطوى به هذه الأميال التي تفصل بينه وبين قريته أو بينه وبين الراحة والطمانينة

وضرب في الأرض على غير هدى تقوده قدماه ذاهل الفكر ، حائر النفس ، لا يرى بصيصاً من النور ، ولا يمتدى إلى حل ، تتردد عيناه بين المارة والحوانيت والبيوت والمركبات كأنه يتمنى أن تظفرا بمنقذ مجهول ينشله من ورطته وإفلاسه ... لو يجد

فسال لعابه وانخلع قلبه ، وتلف إلى أقدر لقمة فيه ؛
ولا عجب فلو أنه نوى أن يصوم يومه لحل له الإفطار
منذ ساعة على الأقل . وخيل إليه أنه أيسر على
نفسه أن يمد يده بالسؤال إلى هذا التسول من أن
يمدها إلى أفندي محترم في مثل بزه ، ولكن كيف
يفعل ذلك ... ؟

وعرج الرجل إلى منعطف هادئ فاقرب منه
وقلبه يدق بعنف في صدره وقال له بتضرع :
« يا عم ... أعطني كسرة خبز لله »

فنظر إليه الشحاذ دهشاً وفحصه من الرأس
إلى القدم ، أو ببساطة أخرى من الطربوش إلى
الحذاء ، ثم هز رأسه منكراً مستغرباً وقال بلهجة
مررة :

« على الله ! » فتوسل إليه بلهجة صادقة ووجه
ناطق :

« لا تغرنك ثيابي ... إني أكاد أموت جوعاً »
فتردد الرجل بين مصدق ومكذب ثم دس يده
في جواره وناول نصف رغيف ، فارتدبه إلى ركن
مظلم كأنه ظفر بكنز لا يثمن والتمه بشراة وللة
لا تقاس بها لذة الأمس وهو جالس إلى مائدة
الحاتي ، ولكنه لم يتمالك عواطفه فسحبت عيناه
دمعاً ساخنًا كما ينبغي لرجل يملك مالا يقل عن
خمسین فداناً ويمد يده بالسؤال إلى شحاذ عاجز ..
وإذ سكت عنه الجوع عاد إلى السير على غير
هدى ، وإلى التفكير اليائس في معضلته ، ووجد
نفسه فجأة في عماد الدين ، فتذكر ليلة الأمس
القريب ... حقاً إن الحياة عدو في ثياب صديق ،

ولعل أبا نواس - وقد كانت حياته ليالي متصلة من
نوع ليلة الأمس - رد في نهايته إلى مثل ما رد
إليه هذا الصباح وهذا المساء من الألم والمحن فأطلقها
صرخة داوية كما ينفجر البركان من شدة تفاعل
باطن الأرض . ولكن وأسفاه نحن لا نذكر
المظلات إلا حين لا تنفع إلا للعزاء والتأمل . وعرج
إلى اليمين وثقلت خطاه وهو يمر أمام البيت الذي
ولجه بالأمس مترنحاً

أمن الممكن أن يرجو هنا خيراً ... ؟ ومع هذا
فن الذي أطعمه من جوع ... ؟ وصعد مسرعاً
وطرق الباب ثم دخل ، فقابلته بترحاب وقالت له
ضحكة :

« لعل رقت لك ... ؟ »

فقال مضطرباً :

« طبعاً ... طبعاً ... ولكني لست هنا لذلك »

« فلم أنت هنا إذا ... ؟ » فتردد لحظة ولكنه
خشى أن يعق له التردد عن الكلام فقال :

« إصغ إلى ياسيدي ، لقد فقدت نقودي كلها
ولا ناصر لي ولا معين ، وأنا في بلدكم هذا غريب ،
وينبغي أن أعود إلى قريتي بالشرقية ، وأنا - أقسم
لك أني غني والحمد لله . فأقرضيني ريالاً فقط أردت
اليك جنياً ذهبياً ، وخذي على ما تشائين من
الضمانات ، ولكن بالله لا ترفض لأن الرفض معناه
الموت والقنوط

« لعلك وجدت أن ثمن زجاجة الجمعة أرخص
بكثير مما دفعت بالأمس فحنت ... »
« أبدأ أبدأ ... والله العظيم »
« فلك إذا بلطجي ؟ »

« بل أنا بائس قانط » فدقت على صدرها وقالت :
« يا لسوء حظي ... غيرى لا يرجع إليها في
مثل حالتك هذه إلا من يكون قد بذرت تحت قدميها
أموالاً وضياعاً وأنت لم تنفق على سوى جنيته أعرج »
« أتوسل إليك أنا في ورطة شديدة ... »

فقلت بهكم :

« إن كنت عاطلاً ... أوظفك في بيتي »

« يا للدهية ... »

فقلت غاضبة :

« أتغضب وأنت تمد يدك سائلاً .. ؟ »

فأجاب : « هاك طربوشى رهينة »

فصمت هنيئة ، وتناول الموضوع من ناحيته
الجديدة ، ورمقت الطربوش والجاكطة بعين حاملة ..
ثم قالت :

« والجاكطة أيضاً ... لأن الطربوش وحده
لا يساوى شيئاً »

فتنفس الصعداء وخلع الجاكطة مسرعاً وقبض
الريال وفر من أمامها كأنما اختطفه اختطافاً ، ولم
يبق أمامه سوى أن يحزم متاعه الثافه ، فقصده من
توّه إلى حجرته بالمدرسة . فلما وقع نظره على الفراش
خارت قواه فارتدى عليه يبدلته أو على الأصح بينطلونه
وراح في سبات عميق . واستيقظ مبكراً فنهض من
فراشه وأخذ حقييته وترك المدرسة دون أن يودع
أحدًا . وعند منمطف الطريق التقى بأحد الفراشين
وكان قادمًا من بيته قاصداً المدرسة فخياه الرجل
يأدب — على رغم كل شئ — وأبدى استعدادَه لخدمته
بحمل الحقيبة إلى محطة الترام فأعطاه إياه شكراً ،

وسارا جنباً إلى جنب ، وسنحت منه نظرة عارضة
إليه فارتجف جسده لأنه خيل إليه أنه يرى جاكته
عليه ، كان الرجل يرتدى جلباباً وجاكطة وطربوشاً
ويسير مطمئناً لا يقع له في حسابان ما يقوم في نفس
صاحبه من الشك والرهبة . أما خليل فكان ينعم
النظر في الجاكطة ولا يكاد يصدق ما يرى له عيناه .
إنها جاكته نفسه بقماشها وتفصيلها ، بل هذا الزر
المكسور شاهد لا ترتق إليه الشبهات ، فكيف
حصل عليها ؟ أيكون قد سرقها ؟ إنه لا يهضم هذا
الفرض ، ألعلمها إذا أعطته إياها أو بمعنى آخر أهدتها
إليه ؟ إن هؤلاء النسوة اللاتي يرتدى تحت أقدامهن
خيرة الشبان يرتمين بدورهن تحت أقدام أخط
المخلوقات وأدنسها . إنه يعرف ذلك تمام المعرفة ،
فلا مجال للشك .. وتحاشى النظر إلى الرجل وأبت
كبرياؤه أن يوجه إليه أى سؤال أو يفاتحه في أى
حديث . ومشى إلى جانبه شارداً الفكر ساخن
الرأس ملتهب العواطف حتى انتهى إلى المحطة وكر
الرجل راجعاً دون أن يسمع كلمة شكر ...

أواه ... ! لقد كان وهو في محنة الفقر
شاطراً محتالاً لا يشق له غبار ، يأتيه عيشه رغداً من
كل مكان ، ولكن هذا لم يمنعه — وهو أخو مكر
ودهاء — من أن يرى رجلاً هلفوتاً يسلبه لباسه
علانية فلا يستطيع له رداً ، كما لم يمنعه — وهو
صاحب ضياع وأموال — من أن يمد يده بالسؤال
إلى شحاذ من أبناء السبيل وأن يطعم رغيته القدر
وهو يبكي على قارعة الطريق ...

يجيب محفوظ

لينوتشكا

للقصصى الروسى اسكندر كوپرين
بقلم محمد شكرى عياد

بالجمال؛ فلم يعد يجد في
مفاتيح النساء ما يستفزه
أويستثيره، وأدعى
من كل ذلك أنه بات
يفكر في الموت على
غير دأبه، حين كان
يخيل إليه أنه ليس
هو الذى سيموت

بل شخص آخر اسمه فوزنزين
فراح ينشق أعراف الحب
من رياض الشباب، ويحيى
في قلبه المعمود أول إحساسات
الحياة

ذهب إلى المدرسة الداخلية
في حقول جروهووى، حيث
تثقف من السادسة على المذهب
الفزوبلى تحت إشراف عجائز
خيرات، فألقى كل شيء قد
تغير، وألنى من المدرسة قسم
البنين. ثم زار المدرسة الحربية
وكنيسة كاريم حيث وقف إبان
تألمته يناول القسيس البخور،
وحيث سرق أطراف الشموع
وشرب الماء الفاتر بعد حفلة
العشاء الربانى الأخير، ورش
الشماس الثقيل ببعض منه، فخرى

وراءه شيخ الكنيسة بكل أبهته وجلاله. وطاف
بالمعاهد التى مارس فيها أول تجارب الحب الصباني
(٧)

اسكندر كوپرين، كاتب روسى
قريب العهد؛ يمتاز عن كثير من
الكتاب الروس بأنه لم تكن له
رسالة في الحياة غير الفن. فقد كان
يكتب للفن وحده، يتناول الحياة
باحساس فنان فيخرجها بريشة فنان،
غير قاصد إلى فكرة إصلاحية أو
فلسفة اجتماعية. على حين كان تولستوى
مصاحباً اجتماعياً، ودستوفسكى متصوفاً
فيلسوفاً، وجوركي داعية شيوعياً.
وتعد لينوتشكا من أروع ما كتب
كوپرين؛ فهي تحلل إحساساً دقيقاً
عالياً من إحساسات النفس البشرية،
وتحلله تحليلاً صادقاً قوياً خلاصاً.
وللقصصى الفرنسى جى دى موباسان
قصة عنوانها « انتهى Fini » قريبة
الشبه من قصة كوپرين هذه، لولا
ما تحمله القومية والبيئة وشخصية
الكتابين من اختلاف في أسلوب
العرض والتشخيص Delincation.
وقد ترجعنا لقراء الرواية في عدد
قادم، لنتيح لهم فرصة المقارنة بين
فنيين عظيمين في القصة
« المترجم »

عند ما ارتحل الكولونيل
فوزنزين من بطرسبرج إلى
الكريميا، عاج على موسكو
فقضى فيها يومين يتأمل في
مهدى ذكريات طفولته، ويذكر
بين ربوعها أحلام شبابه

ويقال إن بعض الحيوان
إذا أحس دنو الأجل ارتد مودعاً
إلى مسارحه الأولى. وما كان
بفوزنزين من داء يهدده بميته
مبكرة، فقد كان لما يزل في
الأربعين من عمره، قوى العود
منتصب القامة، صحيح الجسم.
ولكنه كان يرى في إحساساته
ومشاعره وصلاته بالعالم منذراً
بشيخوخة الروح وهرم النفس
كان يحس عزوفاً عن اللهو
وانصرافاً إلى تذكارات الأيام

الماضية وإنكاراً لكل ما يحيط به. وذهب من قلبه
حب اجتلاء الطبيعة مخلفاً إحساساً دقيقاً مرهفاً

ثم طلب شايًا وصعد . وكانت الباخرة تسبح في ضباب وردي شف مدت فيه الشمس أسلاكًا من عسجد . وكان الشاطئ الرمل يلمع من بعيد والبحر يغسل جوانب السفينة في لين . وتابعت الباخرة سبيلها فهبط فوزنزين إلى قاعة الطعام فرأى منظرًا عجيبًا ! رأى الموائد قد صفت إلى الحيطان وزينت بالزهور وأغذية عيد الفصح ^(١) ، وكانت أشعة الشمس الوضاعة ترسم على أغطية الموائد دوائر من ذهب ، وتصنع بيض العيد بحمرة الورد وزرقة السفير ^(٢) ، وتتوهج تحتها أزهار الخزامى والبنفسج والسوسن والثالوث

وأقبلت سيدة تفطر ، فأطلق إليها فوزنزين نظرة لمّاحة إذ هي مارة به ، وما كان بها من شباب ولا جمال ، ولكنها كانت ذات قوام خصيب ريان ، وكانت ترتدي ثوبًا بسيطًا محبوبًا رمادي اللون موشى بالحرير عند الطوق وأطراف الأكمام . وكان رأسها مغطى بوشاح شف أنيق ضارب إلى الزرقة ، وكانت تحسّ شايها وتقرأ في نفس الوقت كتابًا فرنسيًا كما حدس فوزنزين من اندماج حجمه واصفرار غلافه

وأوحى إلى فوزنزين عند رؤيتها كأن فيها شيئًا مألوفًا ولكنه بعيد العهد . لم يطالع ذلك في حياها بل في احديداب رقتها ، وارتفاع حاجبها كلما بصرت به . ولكن ذلك التأثير اللاشعوري لم يلبث إلا قليلًا حتى نسي وأحس ؛ وسرعان ما ارتفعت حرارة الجو تذكى الرغبة في نزهة على ظهر السفين ،

العابث ، وولج الحداثق والمتزهات فما رأى هناك أثرًا من آثار صباه ، فقد كان كل شيء قد حال وتبدّل ، فلم يشعر فوزنزين بشيء من الحنين يتفخ الحياة في روحه الخاملة ، ولم ينعم له كرى الشباب بذلك الحزن الجميل اللطيف المتواضع التأمل ، فهز رأسه : « أجل ... أجل ... إنها بداية الهرم وما باليد من شيء ... »

ثم عرض له شأن من شئون العمل حمله إلى « كيف » . ليوم ، فبلغ « أودسة » أول الأسبوع المقدس ^(١) . وثار البحر فتلّبت فوزنزين لأنه لم يكن ملاحًا ماهرًا . وفي السادسة من مساء السبت أقلمت به سفينة « الدوق الأعظم الكسي » من فرضة براكتشكوى . ولم يودعه أحد فسر لذلك إذ لم يكن يحتمل ما يفرضه موقف التوديع من تكلف ونفاق

وكان السافرة قليلين وسوادهم من ركاب الدرجة الثالثة . وجاء فوزنزين خادمه منبئًا أن في الدرجة الأولى — عداه — سيدة وابنتها . فقال الكولونيل في ارتياح : « حسن جدًا .. » وكان كل شيء ينبيّ بسفرة هادئة مريحة ، فقد كانت غرفة فوزنزين حسنة واسعة وضيئة النوافذ ؛ وكان البحر قد هدأ وتطامن بعد عصف وثورة ، وكسته أمواج رخية طفقت تهدد الباخرة وتداعبها في لين ورفق . فنام فوزنزين ليلته تلك كما لم يتم منذ شهور بل منذ أعوام حتى أيقظه صفير الباخرة وقد شارفت يوبا توريا ، وديب الأقدام على ظهرها . فارتدى ملابسه سريعًا

(١) عيد بعث المسيح Easter

(٢) نوع من الياقوت أزرق اللون Sapphire

(١) الأسبوع الذي يسبق سبت الخلاص Holy Week

ويسمى بالإنجليزية أيضًا Passion Week

لفونتين أن سوف يذكرها في لحظة ، ولكنها
صاحت في جذل وهي تمد إليه يدها :

« فونتين ؟ ! كوليا فوزنتين ؟ ! هل عرفتني
الآن ؟ إن اسمي الزيجي لقوفا ... ولكنك تذكر
ولا شك ! أفلا تذكر موسكو ، وشارع بوفارسكي
وحارة بوريسوجلوبسكي ، وبيت الكنيسة وصاحبك
في المدفعية « أركاشا إرلوف ؟ »

وارتعشت اليد التي امتدت تصافح كف السيدة
وشدت عليها بقوة فكانما أعشاها بريق الدكري
« يا إلهي ! أحقا لينوتشكا ؟ ! إنني أستمعك
العفويا إلينا يا إلينا ... »

« فلاديميروفتنا . لقد نسيت ! وأنت كوليا ...
كوليا بعينه ... ذلك الفتى الخجول النفور ذو الحسن
الرهيف ! أي عجب ! أي لقاء عجيب ! هلا جلست ؟ !
كم أنا مسروره ! »

وقال فوزنتين : « حسن . حدثيني عن نفسك
كيف حال أركاشا ؟ وألكسندرا ميلقنا وأولتشكا ؟ »

فعند ما كان فوزنتين طالبا يتأهب للجنسية
اتصلت حباله بحبال زميل يدعى إرلوف . فكان
يمضي أيام الأحد بين أهل صديقه ، وينعم معهم
بعطلة عيد الخلاص وعطلة عيد الميلاد بكل عطلاته
وقبل أن يلحق بالمدرسة العسكرية دهم أركاشا
مرض شديد ، فاضطر آل إرلوف إلى أن ينتجعوا
به الريف ، ومنذ ذلك الحين انبتت الوشيحة التي
ناطت فوزنتين بهم حيناً . ومنذ سنين عديدة سمع
أن لينوتشكا قد عقدت خطبتها على ضابط اسمه
چنيشوك ، أطلق على نفسه الرصاص فجأة لسبب غير
ذی بال

فصعدت السيدة وجلست على مقعد إلى مؤخر
الباخرة ، فكانت تقرأ لحظة ثم تريح الكتاب على
نحدها ، وتحديق في البحر كأنما استهوته دواماته
الدوارة ، ثم إلى الشاطئ الرمل المنعرج تشرف من
فوقه أعشاب قليلة

وراح فوزنتين يذرع السفين جيئة وذهوبا .
وسنح بالسيدة مرة فنظرت إليه محدقة ، وتفرست
فيه متسائلة ، فحيل إليه ثانية أنهما التقيا في مكان ما .
ثم ألح عليه ذلك الشعور وأزعجه وقد وثق أن السيدة
تبادله إياه . بيد أن ذاكرته لم تطاوعه وإن ألحف
وأطال التفكير . فأقبل نحو السيدة للمرة العشرين ؛
ولكنه اقترب منها هذه المرة في يسر أدهشه ،
ورفع أصابعه إلى قبعته العسكرية وصفق مهمازيه
صفقة خفيفة وقال :

« معذرة لما افترضت .. ولكني لا أستطيع
أن أمنع نفسي من الظن أنا تعارفنا من قبل .. أنا
متعارفان من عهد بعيد .. »

لم تكن جميلة على الإطلاق . هي شقراء خفيفة
الحاجبين تفصل شعرها الآخر شعرات مسمرة
يخفيها البريق عن أن ترى من بعيد . وتغطي عينيها
الزرقاوين أهداب خفيفة ، ويرقش النمش وجهها
المتعفن . غير أن فيها كان غضا ورديا ممتلئا بين
القطع جميل الزوايا

أجابته : « وأنا أيضا أجلس هنا وأعجب إن لم
نكن قد التقينا ... اسمي لقوفا ... هل عرفتني ؟ »
« إني آسف ... أنا أدعى فونتين »

فالتع في عيني السيدة بريق سرور ، وأضاء
صفحتها نور ابتسامة مألوفة ، حتى لقد خجل

وقالت مدام لقوفا :

« لقد مات أركاشا في الريف في السنة التسعين بحُمى في رأسه ، ولم تعمر « ماما » بعده غير سنتين ، وأتمت أولتشكا دراستها الطبية فهي اليوم طبيبة أولى في سردوبسك ، وكانت قبل جراحة مساعدة في جاكين ، وهي تأتي الزواج إباء شديداً ، وإن كانت قد سنحت لها فرص كثيرة سائفة ؛ أما أنا فقد تزوجت منذ عشرين عاماً — وتعترت على زاوية فيها ابتسامة — لقد أصبحت الآن عجوزا وزوجى من ملاك الأراضى ، وهو محقق أول لا طويل الباع ولا عريض الشهرة ؛ ولكنه رجل شريف أمين صاحب أسرة ، لا يشرب الخمر ولا يلعب الميسر ولا يكلف بالنساء ككثير من رجال هذا الجيل ، وهذا ما أحمد الله عليه ... »

فقاطعها فوزنترين :

« أفلا تذكرين أنى أحببتك مرة يا إلينا فلاديميروفنا ؟

فضحكت ، وبدأت على محياها كأنه انقلب شاباً من جديد ولحت عين فوزنترين بريق أغشية ذهبية في أسنان كثيرة

« أى هراء ! لقد كان ذاك تجاذباً صبيانياً وحسب . بل لقد كان أقل من ذلك . إنك لم تكن تحبني على الإطلاق ، بل لقد كنت تحب بنات سناتكوف الأربع ، كلا بدورها . فلما تزوجت الأولى ألقيت بقلبك عند قدمى الثانية ، وهكذا على التعقيب ... »

فقال فوزنترين في بشاشة لاعبة :

« آه ! إذن فقد كان بك شيء من الغيرة على ؟ »

« كلا ... مطلقاً ... فما كنت أكن لك إلا مثلما كنت أكن لأخى أركاشا . وعندما بلغنا السابعة عشرة انتابنى شيء من الضيق لما صرفت اهتمامك عني . إنها مهزلة ، ولكنك تعلم أن الفتيات لهن قلوب النساء . قد لا يحب الصامت الخابت ولكن ذلك لا يمنعنا من الغيرة عليه . وعلى أية حال فليس هذا الكلام إلا هراء . خبرنى كيف أنت وماذا تعمل ؟

فحدثها عن نفسه ، عن المجمع ، عن الحزب ، عن عمله في الجيش ، عن عمله الحالى . كلا إنه لم يتزوج وقد فات الأوان . ولقد كانت له بطبيعة الحال نزوات شتى ، وعلائق وشيخة

ثم فتر بينهما الحديث وجلسا صامتتين يترامقان النظر من عيون متعاطفة ظللتها غشاوة من دموع . وتشبعت في ذاكرة فوزنترين صور الماضى تلوح وتنتعش من وراء ثلاثين عاماً . لقد كان أول عهده بليوتشكا ولما يبلغ كلاهما الحادية عشرة ، كانت طفلة نحيلة متقلبة الأهواء مُغيظة الفعال دأمة العراق لا ترى فيها لمحة من جمال ، ففي وجهها كلف وفي ذراعها وساقها طول ، خفيفة الحاجبين حمراء الشعر تندمن شعرها خصلتان رفيفتان تنوسان على خديها وكان الشغب متصلاً بينها وبين فوزنترين وأركاشا ، حتى ليقضى بهم النزاع أحياناً إلى التضارب والتلاطم وما كانت أولتشكا لتشاركهم عبثهم هذا ، فقد كانت تبدو عليها سمة الصدر ورجاحة العقل وسمت الوقار . وكانوا دائمى التردد أيام المظاهرات على المسارح والملاعب ، يشتركون في حفلات عيد الميلاد وتلوين بيض عيد الخلاص ، ويتكابدون ويتغايظون كأنهم

البراقين : « أيها الولد البشع الثقيل ! »

وكان الولد البشع الثقيل واقفاً ويداه ترتجفان وقد ارتحلتا إلى أسفل ، بل لقد كانت ساقاه ترتعدان ، وكان العرق يَبْجُجُ من جبينه . لقد كان اللحظة يحس بين ذراعيه جسدها الرشيق الخاضع التأوّد الأثوى ، ويلمس بصدره نديها الراسخين البسرين المطاوعين الفتّيين ؛ ويشم رائحة جسدها ... رائحة مسكرة كأنها زهور الحور !

وبدا فوزنزين عامه ذلك متخاذلاً ثائراً صريراً الفِكر خفيّ الأحران هتان الدموع ؛ وبات نفوراً خجولاً مضطرباً عاصياً متمرداً . فكانت لا تمنح لحظة إلا مد ساقه إلى كرسي فأوقعه ؛ أو مد يديه فأمسك بينهما شيئاً طرياً ، أو قلب فتاجين الشاي واللبن على المائدة . فكانت الكسندرا ميليقنا تقول عنه في لطف وعطف : « لقد أصبح كوليانا شديد النفار وحشي الطباع . »

وكانت لينوتشكا تهزأ به . فقد كان يقف وراءها سامداً وهي ترسم أو تطرز ، ويحدق في رأسها الحنسيّ فيستشعر إحساساً عجيباً بالألم والسرور ؛ ولقد ينظر إلى نحرها الأبيض ينوس عليه شعرها الأصفر الخفيف التموّج ، أو ينظر كيف يتكسر إزارها المدرسي الأسود حينما تنفّس ، ثم يعود فينبسط ويستدير ، ويمتلئ عند ما تمتلئ رثتها . وكان مرأى السوارين البسيطين على يديها البيضاءين الأثويتين يصاحبه أنى ذهب ، ورائحة الحور تتبعه أينما كان : في المدرسة أو في الكنيسة . وكانت دفاتره وأغطية كتبه تمتلئ بالحرفين الأولين من اسمها . ا. ا. وكانا أيضاً محفورين في غطاء صندوقه ،

دُمى خشبية صغيرة . وعلى هذا الحال تقضت ثلاث سنين ثم ذهبت لينوتشكا — على عادتها — لتقضي الصيف بمنزلهم الريفي بجما كين . وعادت في الخريف إلى موسكو فرآها فوزنزين وقد تبدلت حالاً غير الحال ، فقفر فاه واتسعت عيناه دهشاً . كانت لا تزال بمنأى من أن تسمى جميلة . ولكن كان فيها سحر أروع من سحر الجمال . ذاك سحر الأنوثة الزاهرة المتفتحة تأتي بالمعجزات بين يوم وليلة ، وترد الطفلة الخشنة الطويلة الذراعين والساقين فتاة ساحرة . فقد ظل وجه لينوتشكا محتفظاً بذلك اللون العميق المورّد يجري من تحته دم الشباب الحار المرح . وبدأت أردافها تثقل وتستدير ، ونضج صدرها وبرزت زواياه وانتعش جسمها كله ، وجرى فيه ماء الشباب يكسوه ليونة وغضارة وجمالاً

وسرعان ما تحول ما بينهما . فقد كانا في أحد اجتماعات يوم السبت يلعبان في غرفة نصف مظلمة فبدأ يتصارعان ، وكانت النافذة لا تزال مفتوحة وقد انبعثت من الحديقة الأمامية نبات الخريف المبكر ، ورائحة الأوراق النابتة ؛ وخفقت في الفضاء دقات حزينة بطيئة يرسلها الجرس الكبير في كنيسة بوريسوجلوبسكي

وتلأفا بالسوق ، وتشادا بالأذرع ، وتهايت على وجهيهما أنفاسهما المبهورة . ثم تدافع الدم فجأة إلى خد لينوتشكا حتى بدا في ظلام الغروب واضحاً جلياً . وراحت تهمس في اضطراب وابتسار وغضب وقد غضت طرفها :

« دعني وحدي .. دعني أذهب .. إني لا أريد .. »

ثم أردفت وهي تحدجه بنظرة غاضبة من عينيها

ويشقان الطريق وسط الزحام في خطى متطابقة منتظمة . وكان كل شيء يسكرهما في تلك الليلة الرائعة : الغناء المرح ، والشموع الكثيرة والتقبيل والضحك والجمع المندفق ، وائتلاق النجوم في السماء القاعة ، ورائحة الأوراق الغضة من الحدائق المسورة ؛ وذلك التقارب غير المألوف ، وشعور الضيعة وسط الزحام اللجى . وجذب فوزنزين ذراعها إليه كأنما بغير وعى ، فلم تبدر دأ ملحوظاً ؛ فأعاد تلك الشدة الخفية فاستجابت لها ، فتلمّس في الظلام أطراف بناتها ، فمد يده عليها في لطف فلم تقاوم ولم تنفّلت ولم يبدُ عليها غضب

وبلغا بوابة البيت ، وكان أركاشا قد تركها مفتوحة لها ، وكان لا بد — للوصول إلى البيت — من عبور جسر أقيم بين صفيين من أشجار الزيزفون لاجتناب الرّداغ . فلما اصطفت البوابة وراءها طفق يقبل أصابعها الدافئة اللينة الغضة

« لينوتشكا ... إني أحبك ... إني أحبك »
وطوق جيدها بذراعه وهصرها إليه ، وقبلها قرب الأذن . وانحدرت قبعتها وسقطت على الأرض فما أبه بها ، وظل يقبل خديها الباردتين وهو يهمس كالمحموم : « لينوتشكا ... إني أحبك ... إني أحبك ... »

وعثر بشفتيها وهي تهمس :
« كلا ... كلا ... دعني أذهب ... دعني ... »
أى شفتين حلوتين ملتهبتين ساذجتين لم تقاوم حين قبلها ، ولكنها لم تبادله قبلاًته وراحت تنفّس في سرعة وعمق وخضوع ؛ ففاضت دموع الفرح على خديه تشيع البرد فيهما . وعند ما انتزع نفسه

وسط قلب ممزق ملتهب . وكانت الفتاة الصغيرة تدرك بفرزة المرأة كنه صمته الخاشع المتبتل . ولكنه كان في عينيها فرداً من الأسرة ، مألوفاً إلى حد يبعد بينها وبين أن تحبه . أما هو فقد رآها قد انقلبت مخلوقاً عجيباً يانماً براقاً شديداً ، وإن بقي لديها ذلك الغلام العنيف ذا الصوت الخفيض والسترة العسكرية الضيقة والسراويل الواسعة . فكانت تنازل معارفها من صبيان المدارس في براءة ، وتعاثت ابن القسيس في ساحة الكنيسة . وكان يلذ لها أحياناً أن تصوب إلى فوزنزين نظرة من نظراتها الخاطفة الدكية المرفهة ، فكانها قط يراد فأراً . فإذا نسي نفسه ، وشد على يدها شيئاً ، هددته بينان مورد ، وقالت ملحة : « أنظر ... لا تكشفن » لما « عن كل شيء ! » فتشيع البرودة في أطراف فوزنزين ، ويملاً قلبه خوف قوى صادق ؛ حتى لقد أبلس وأعد العدة ليحب كبرى بنات سنلنكوڤ . ولكن قلبه الذي فاض بالوجد عرف السعادة لحظة في عيد الخلاص ...

كان قد ذهب مع آل إرلوف إلى صلاة منتصف الليل في كنيسة بوريسو جلوبسكي ؛ حيث كان لا لكسندرا ميليفنا مكان خاص فرش ببساط خاص فوقه كرسي وثير . وتلبّثت الكسندرا ميليفنا وأولتشكا في الكنيسة لتريا تبريك خبز العيد وكمكته ، بينما غادر الكنيسة كوليا وأركاشا ولينوتشكا . واختفى أركاشا في الطريق فجأة وكأنما ابتلعته الأرض ، فتابع كوليا ولينوتشكا السير وحيدين .

كانا يسيران وقد اشتبكت الذراع بالذراع ،

معدنى . أما الحاجبان فسوداوان بيّنان ، وفى الفم
اكتناز واستفزاز ، وإن كان بكرأ نديًا جميلًا

وكانت الفتاة تبدي اهتمامًا بالمناورات المشعة ،
فشرح لها فوزنزين عملها وكيفية تكوينها ، ثم
طفق يتحدث عن أعماق البحر الأسود ، وعن عمل
الفواصين ، وعن حوادث السفن ؛ وكان محدثًا
ذرب اللسان فأصغت الفتاة إليه وهى تتنفس من
خلال شفتين منفرجتين ولا تحول بصرها عنه

وكان كلما أنعم النظر إليها ملأ قلبه شعور من
الحزن الرّخى الجميل — عين الشعور الذى كان يتوق
إليه فى موسكو — إلا أنه أعمق وأوسع وأبعث
على الايثار

وعندما غادرتهما الفتاة لتطل على دير هرسونسكى
تناول يد لينوتشكا الكبيرة ققبلها وقال مفكرًا :

« إن الحياة بعد عاقلة ، ولا بد للإنسان من
أن يخضع لأحكامها ، وهى إلى ذلك جميلة ، فأنما
الحياة بحث متصل للأموات ؛ وسوف نذهب أنا
وأنت ، وسوف نفنى ، وتنتمش من جوارحنا
وأفكارنا وأعمالنا ومبادئنا وخيالنا ومواهبنا
لينوتشكا أخرى ، وفوزنزين آخر ؛ فكل شيء
متصل بالآخر منوط به ، وسوف أذهب ، ولكنى
سوف أبقى ؛ وليس لنا إلا أن نحب الحياة ونخضع ؛
فأنا نعيش سويًا ، أحياء ومبعوثين »

وانحنى يقبل يدها مرة أخرى . فلثمت خده
الأعبر فى حنان ، ثم تبادلا النظرات فامتلات
مآقيهما بالدموع ، وابتما ... بسمة حلوة متعبة
حزينة ...

شكرى محمد عباد

عن شفتيها ، ونظر إلى النجوم تضيء من خلال
أغصان الزيزفون رقص فرحًا وانفجر باكيا ...
« لينوتشكا ... إنى أحبك ... »

« دعنى وحدى ... ! »

« لينوتشكا ! »

فصاحت فى غضب ما كان منتظرًا :

« أيها الولد البشع الثقيل ! سوف ترى !
لا كشفن « لاما » عن كل شيء ! سوف أخبرها
ولا شك ... ! »

ولم تخبر أمها بشيء ... ولكنها لم تعد تنفرد
به منذ تلك الليلة . ثم أقبل الصيف ...

« ... وهل تذكرين ... يا إلينا فلاديميروفنا ،
كيف قبل صبي فتاة قرب بوابة بيت الكنيسة فى
مساء جميل من أمسية عيد القيامة ؟ »
فأجابته وهى تضحك فى سراحة :

« أنا لا أذكر شيئًا أيها الولد البشع الثقيل !
وعلى أية حال فهناك ابنتى قد أقبلت ، ويجب أن
أقدمكما . لينوتشكا ! هذا نيكولاى إيشانوفتش
فوزنزين ... صديق قديم ، قديم ، من أصدقاء
طفولتى . وتلك ابنتى لينوتشكا ؛ وهى الآن فى سني
ذلك المساء الجميل من أمسية عيد الفصح »

فقال فوزنزين :

« لينوتشكا الصغيرة ولينوتشكا الكبيرة »

فأجابته مدام ثقوفا — فى شيء من المرارة —
تصحح قوله :

« كلا ... لينوتشكا العجوز ولينوتشكا الفتاة »

وكانت لينوتشكا تشبه أمها شبهًا كبيرًا ، إلا
أنها أجل من الثانية أيام صباها ، وكان لها —
بدل شعر أمها الأحمر — شعر كستنائى ذو لمان

أخيل زعيم الميرميدون ، وروح أخيل نفسه ،
وروح أجا كس العظيم ... وغرف أجا ممنون روح
أمفيديون العاشق المحروب الذي قتله أوديسوس
فيمن قتل من عشاق بنلوب ، فكلمه ، وكلمه
أمفيديون فقص عليه ما كان من مأساتهم الغرامية
وما كان من أوبة أوديسوس المفاجئة واختلاطه
بهم في صورة فقير شحاذ ... إلى آخر القصة
الدائمة المشجية التي انتهت بقتلهم جميعاً ... وما
كاد يفرغ حتى بدا العجب في محيا القائد أجا ممنون
وطفق يثني على وفاء بنلوب ، وشجاعة صديقه
أوديسوس ، ثم راح ينمى على زوجته الآثمة
كليتمنسترا ما كان من غدرها ، وتدير غيلته مع
حبيبها الفاسق إيجستوس ...

وهكذا انتهت الأشباح الآثمة إلى ظلمات
هيدز ... إلى مملكة بلوتو ... حيث تلقى جزاءها
العادل من مخالب سيريريوس الحادة وأظفاره
القواطع

هذا ما كان من أمر تلك الفئة الباغية
أما ما كان من أمر أوديسوس فقد استيقظ في
بكرة اليوم التالي واستيقظت معه بنلوب السعيدة ،
وهب من فراشه فارتدى ملابسه ، ووضع عليه
سلاحه ، ثم أمر زوجه ألا تخاطب من الناس
إنسياً حتى يعود ، وأن تغلق عليها أبواب القصر ،
لأنه منطلق إلى أيه ليزف إليه البشرى بنفسه .
ودعا إليه تليماخوس ليصحبه وليصحبه الراعيان
المخلصان الوفيان ، بعد إذ يسبخ كل منهما عليه
دروعه ، ويستعد بسلاحه

وانطلق الأربعة يطوون شوارع المدينة التي
خيم عليها الصمت دون أن يشعر بهم أحد من
أهلها ، حتى بلغتوا الخلاء ، وما زالوا يذرعونه حتى



الأولاد الذين

لهيريروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

أوديسوس يلقي أباه

ويقرر السلام على ربوع أثينا

وهتف هرمز بأرواح القتلى فهتهمت ،
ثم أشار إليها بعصاه السحرية فسحر الكرى
مقلها ثم أشار كربة أخرى فأهرعت في إثره كما
تهرع الخفافيش في إثر دليها

وانطلق حبيب الآلهة فعب عباب البحر المحيط ،
وعبرت الأرواح الهائمة في إثره ، وجاز صخرة
لوكيديا ، وبوابة الشمس الخالدة ، ثم انطلق ،
والأرواح الهائمة من خلفه ، في تيه الأحلام ، وعبر
بها في مروج آسفوديل ذات الأشباح ، حيث لقي
القتلى أرواح ذويهم وأبطالهم من رجال هيلاس
الذين سقطوا تحت أسوار طروادة ... وهناك ...

وقفوا طويلاً يتناجون ، وكلم ابن إليوس قائد
الهيلانيين أجا ممنون وراثله ، فكلمه أجا ممنون
وتحسّر عليه ، ورأوا روح بتروكلوس حبيب

غريب جواب آفاق ، ويحدثه ، ليعلم ما في قلبه ،
فذهب إليه ، ووقف عن كذب يكلمه :

— « أيها الشيخ ويكأنك لا علم لك بأمور
هذا الزرع ، وإن أثمر بستانك وآتى أكله ! حقاً ،
إني لا أرى عشباً في الأرض ، ولا شجرة إلا وهي
مثمرة ، ولا زهرة إلا وهي مُسفرة نامية ، وما ذاك
إلا لسهرك عليها ... بيد أنه لن يسوءك إن لاحظت
أنك تعنى بهذا البستان أكثر مما تعنى بنفسك ،
مع ما أنت فيه من تقادم السن ولفحة الشمس
ووطأة المرض ... وما أحسب مولاك إلا قاسي القلب
عليك ، قليل الاحتفاء بك والتوجع من أجلك ،
مع مالك من سياء النبل ، ومظاهر الملوك ؛ فما كان
أحجى بك — وأنت في هذه السن — أن تستحم
وتتضمخ وتنام ملء عينيك ، لا يزججك عمل ، ولا
تؤودك أكلاف الحياة ؛ ولكن قل لي بالله عليك
أيها الشيخ ، لمن تنصب كل هذا النصب ، وبستان
من هذا ؟ خبرني ! لا تخف على أيها الأب ، فلقد
لقيت من سألته فلم يأبه بي ولم يُعِنِ بمسألتى ...
ولقد ذرعت الرحب حتى وصلت هذه الأرض إيثاكا
لأنى كنت أقدم فيما مضى من الزمان فأحل ضيقاً
على أمير عزيز فيها ، وما أعرف إن كان ما زال حياً
يرزق ، أو مضى لا قدر الله إلى هيدز ؛ ولقد كان
هذا الصديق يزورني في وطني فأكرم مثواه كما
يكرم مثواي ، ولقد كان يحدثني الأحاديث عن أبيه
ليرتس بن آز سيزياس ... وما أنس لا أنس أيام
كان يحمل إلى الهدايا فأردها إليه أضمافاً مضاعفة ،
فمن ذاك أننى نفقته مرة بسبع بدر من خالص
الذهب ، وبحالة من فضة مزدانة بأفواف الزهر ،
واثنى عشر صداراً ، واثنى عشر ديناراً ، ومثلهن
من أكرم البُسُط ، وشيء كثير من ثياب القاقم
(٨)

كانوا عند المزرعة المصون الناضرة ، وهناك ، نظر
أودسيوس بعينين مشوقتين ، وقلب ملتاع خفيق ،
إلى البيت الصغير الذي يؤوى أباه الضعيف الشيخ ،
حيث يقضي أيامه في أسي ليس بعده أسي ، ويجتر
هومره في صمت كصمت الموتى ، ويدرف دموعه
في قنوط وسكون ... لا يراه أحد ، ولا يشكو بشه
إلى مخلوق إلا هذه المرأة المعجوز الحيزون التي
تخدمه في رضى ، وتسهر عليه في حب له ،
وإشفاق من أجله ... وكان ليرتس ، الأب المحزون
يتلهى بالعمل في بستان قريب يشذب شجيراته ،
ويهندب زهيراتَه ، فأمر أودسيوس ولده وراعيه
أن يبقوا في المنزل ليعدوا غداء فاخراً وشواء سميناً
لأنه يحب أن يلقى أباه في البستان وحده ...

— وانطلق أودسيوس إلى البستان ، فوجد
الفلاحين قد انصرفوا إلى أعمالهم ، ووجد أباه
يجوس خلال الأشجار كالشبح ، ويهوى بفأسه
فيحتفر حولن ، وهو بين القينة والقينة يصلح من
باسه الخشن الذي تحذه من جلد عنز ، كما تحذمه قفازيه
وجوريه ... ووقف أودسيوس تحت كثرة باسقة
وطفق ينظر إليه ، ويقلب في السنين الطوال التي
بؤود تحتهن عينيه ، ثم يتعجب للقلب الكبير الذي
صمد لحدن الزمان ولأواء الأيام فلم يتصدع ولم
يهن ، وإن كان بعض حزنه لتنوء منه الجبال

وانبجس الدمع من عيني أودسيوس ، وانهمر
على خديه الحزينين ، وأوشك أن يمضى نحو أبيه فيأخذه
في حضنه ، ويفجأ بالبشرى القاتلة ، لو لا خيفته
على تلك الشيخوخة المتداعية أن تنقض حين
لا تحتمل النبأ العظيم ... نبأ عودة قطعة القلب
والكبد بعد يأس عشرين عاماً ... لهذا آثر
أودسيوس ألا يفعل ، وآثر أن يلقى أباه كرجل

وانعقدت سحابة مظلمة من مرارة الحزن
فحجبت الضوء عن عيني ليرتيس ؛ ثم إنه أهوى
إلى الأرض فقبض قبضات من التراب وراح يحثوها
على رأسه ، ويئن أنيناً مؤلماً . ولم يحتمل أوديسيوس
أن يرى أباه في هذه الحال ، بل كاد صدره ينشق
من حسرة عليه ، فهرول نحوه ، وأخذه ملء ذراعيه
وجعل يضمه إلى صدره ويقبله ويقول : « أبتاه !
أبتاه ! هو أنا ذا ! أنا أوديسيوس عدت إليك بعد
عشرين عاماً فافرح وهدى روعك ، ولتنته آلامك
وإليك أحسن البشريات ! لقد قتلت أعدائي العشاق
جميعاً . قتلهم في بيتي ، وانتقمت لك ولي ولبنلوب ! »
بيد أن ليرتيس وقف ذاهلاً عن نفسه ، ثم
نظر إلى ولده وقال : « إن كنت حقاً ولدى
أوديسيوس ، فهات برهانك الذي يقطع شكي ! »
فقال أوديسيوس : « ألا تصدق ! إذن فانظر
إلى الندوب الخالدة التي أحدثها في ساقى خنزير
الفلاة إذ أنا حدثت يا أبى ! ألا تذكر يوم كنا
على جبل برناسوس ، وكان جدى أوتوليكوس معنا
ثمة ، وكان يتحفنى بالهدايا واللى ؟ وهاك دليلاً آخر
يوم مشيت معك في هذه الحديقة ورجوتك أن تجعل
بعض هذه الأشجار باسمى ، فمشيت معك ، ورحت
أنت تسميها لى بأسمائها ، فجعلت لى ثلاث عشرة
كثرة ، وعشر تفاحات ، وثلاثين تينة ، وخمسين
صفاً من الكروم الناضرة التي كان يزرع القمح بين
عرائشها التي كانت تتدلى منها العناقيد من كل لون ! »
والمجابهة الشك عن فؤاد ليرتيس ، فأخذ ولده
بين ذراعيه المرتجفتين وراح يضمه ويقبله ، ويصعد
في صدره الرحب القوى أنفاسه ، حتى إذا وهنت
قواه أرسله ، وأخذ يحدثه فيقول : « يا للآلهة !
يا أرباب السموات الخالدة في شعاف الأولب ! أهكذا

والسنباب ، ثم أهديت إليه أربع جوار كدس
أبكار اختارهن بنفسه مثقفات مهذبات ، يتخابلن
في الخز ، ويرفلن في الديباج »

وازدحمت الدموع الحرار بكل الدكريات
المشجية في عيني الرجل الشيخ ، وقال يجيب
أوديسيوس : « أيها الأخ لقد بلغت منك ، فهذه
هى إثاكا ... بيد أنها - وأأسفاه ! - نهب
مقسم بين فئة باغية ظالمة لا تخضع لقانون ولا تعرف
شريعة ... أما صديقك فوا أسفى عليه ... ويا ألف
أسى على هدايك ! من لك به اليوم ليردها عليك
أضعافاً مضاعفة يا صاح ! ولكن قل لى بربك
وأصدقنى : منذ كم سنة لقيت صديقك التاعس ،
الذى هو أبى ؟ إيه ... ! له الله ! ما أحسب إلا أن
السماك قد اغتذى به ، أو أنه غدا يوماً جزر السباع
وكل نسر قشعم ! أو اه عليك يا أوديسيوس يا ولدى !
هكذا قضيت ولم أذرف على ثراك عبرة ، ولم تكتحل
عيننا أمك قبل أن تموت برؤياك ... ولا بنلوب !
ولا بنلوب أيضاً كانت إلى جانبك لتغض بيدها
أجفانك ... ولكن ... ولكن قل لى أيها الأخ
من أنت ، ومن أى البلاد قدمت ؟ وابن من من
الكرام الأكابر ؟ وفي أى الرفاق وصلت إلى إثاكا
وفي أى السفائن ؟ أم وصلت بك إحدى الجوارى
المنشآت ثم غادرتك فى إثاكا ؟ »

وقال أوديسيوس وهو يلفق ما يقول : « أنا من
أنا ... ف ... أنا إيريتوس بن أفيداس بن بوليمون
من أمراء ألياس ، من أعمال صقلية ، ولقد هبت
على سفينتى عاصفة هوجاء فدفعتنا نحوه بلادكم وألقينا
المراسى فى مينائكم ... ولقد لقيت أوديسيوس لآخر
مرة منذ خمس سنوات ، وقد اترقنا وكلنا أمل أن نلتقى
لنتبادل تذكارات المحبة وهدايا الصداقة والوفاء والود »

فلما رأوا ما ارتد إلى سنيدهم من شبابه ، وهذا الرجل الغريب الذي يجلس بين العائلة المقدسة ، وقفوا مسبوهم مشدوهين ، لا يعرفون ماذا يقولون ... وحدهم أودسيوس ، ثم بدأ يكلمهم في لطف وخبث ويقول : « اجلس أيها العجوز دوليوس فكل أنت ورجالك ... لا تعجب ! فليس ثمة متسع لدهش أو عجب ... اجلس قبل كل شيء أملاً بطنك وبطون رجالك ... لقد انتظرناكم طويلاً ، لكنكم استأنيتم ! » ولكن سرعان ما عرف دوليوس مولاه حين سمع صوته ، فأقبل عليه ، وتناول يديه ، وطفق يغمرها بالقبل الباكية ويقول : « أوه يا مولاي ! هكذا والله تستجيب السماء ! لقد طالما جأرتنا ولقد طالما دعونا فلها الثناء إذ ردتك إلينا ! فعش واسلم وسر وابتهج .. ولكن .. هل علمت الملكة بقدم مولاي ؟ أم ننتقل من فورنا فنزف إليها البشري ؟ » وطمأنه أودسيوس ، فجلس الرجل مبتهجاً مسروراً ، وجلس أبناؤه معه ، وأخذوا في أكلهم وشرابهم ، وأخذ أودسيوس يلاطفهم ويداعبهم .. وهكذا عاد الحبور مرة أخرى إلى بيت ليرتيس !

وقرع آذان الناس في المدينة ما كان من قدوم أودسيوس ، وما حاق بالأمرء المعاميد من نكبة على يديه الجبارتين فأهرعت جموعهم إلى قصره صاحبة ناعبة ، ثم انطلقوا إلى حيث كدست أجساد القتلى فحرق كل قتيله ، وأرسلت جثث الغرباء إلى ذويهم في أوطانهم في سفن الصيادين من كل فج لتسحق في ثمة ... واجتمعوا بعد ليتشاورا بينهم فيما ينبغي أن يكون ... فنهض يوبيتيس والأسمي يزلزل جوامحه وأنشأ يقول : « أيها الرفاق ! وهكذا كان هذا الرجل الطاغية حرباً دأمة عليكم فلم يصبكم منه إلا

قضيت آخر الأمر أن ينصب جام غضبك وحمم تقيمتك على هؤلاء الكفرة الفجرة ! ولكن ! لشد ما أخشى أن يتألب الجمهور علينا ، فيهرع إلى هنا ، ويطلبوا ثأر ذويهم ؟

فتبسم أودسيوس وقال له يطمئنه : « لا عليك يا أبي ... هلم الآن نذهب إلى بيتك الجليل ، فلقد أرسلت تليماك ثمة ومعه الراعي ، ويومايوس الوفي ، ليعدوا لنا طعاماً سريعاً خفيفاً »

وأعد الطعام ، ومزجت الخمر ، وذهبت الخادم العجوز فأعدت حماماً لسيدها الشيخ ، ثم ضمخته وأضفت عليه ملابس نظيفة ... وتنزلت مينرفا الكريمة فشت يديها الإلهيتين على جسم ليرتيس فتدفق الشباب في عروقه ، وعاد إليه رواؤه وحسن سمته ، فلما خرج من الحمام تعجب أودسيوس وقال له : « تالله يا أبت إني لا أشك أن بعض الآلهة قد رد إليك صباك . وخلع عليك برودة الشباب من جديد ! »

ولم يكن عجب ليرتيس بأقل من عجب ولده ... « تعاليت يا جوف ! وتقديست يا مينرفا ! وسما جدك يا أبولو ! لقد كسوتوني نضرة الشباب التي كانت لي يوم ملكت مدينة تريكوس بمعونة السيفالينيين الشجعان ! أوأه لو قد رلى أن أقف إلى جنبك أمس يا بني ، ليكون لي شرف مجالدة الأوغاد الذين قتلت ، إذن ، لحظيت بكوكبة منهم أخرج أديم الأرض بدمائها ، فأشفي منهم حرّداً في صدري ، وغلا في حشاشتي ! »

وأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ، ثم جلسوا على الأرائك متقابلين .. وكانت الخادم العجوز قد انطلقت إلى المزارع فدعت كبير الفلاحين دوليوس ، فأقبل في زجالة الدين كدهم العمل وأنهكتهم المثابة ...

ونصرفهم عن ولده وزوجه ومتاع هذه الحياة الدنيا ،
فأيتهم أ كبرالا باء ، ورفضتم أقبح الرفض ، وجعلتموها
فتنة كنت أستعيز بالآلهة منها ؟! فعلام تغلى مراجل
صدوركم يا قوم ؟ وفيما ائتماركم بالرجل وقد ثار لعرضه ؟
ألا فاسمعوها كلمة مخلصه أسديها إليكم ... الرأي ألا
تذهبوا ، وألا تجعلوها فتنة لا تصيبين الدين ظلموا
خاصة ، بل اقمذوا ههنا آمنين ، ولا تكونوا كالذي
سمى إلى حتفه بظلفه ، وأبطأت عليه المنايا فسمى
قُدُماً إليها ! ... وما فرغ حتى زجر القوم
وتصايحوا به ، وضجوا من كل مكان ... ثم إنهم
سمعوا إلى شيطان يوبيتيس ففزعوا إلى أسلحتهم ،
وأسبغوا عليهم من دروعهم ، وانطلقوا إلى المدينة
فنظموا فيها صفوفهم ، وأقاموا يوبيتيس قائداً
منحوساً عليهم ، وما جعلوه كذلك إلا ليلقى حتفه
بيد أوديسيوس ، وتعجل روحه إلى النار !

ومضت مينرقا إلى سيد الأولب ، جوف العلى
فوقفت يبابه تقول : « أبتاه ! أين عن سريرتك ،
واكشف عن مكتوم قلبك ومكتون نفسك ! هل
يحل على هذه الفتنة الظالة غضبك ، أم أنك لما نحها
نحبتك ، ومحضها بحمايتك ؟ » فتبسم من قولها وأنشأ
يجيب : « وفيما هذا التساؤل يا ابنتي ؟ ألم تقدرى
أنت أن يعود أوديسيوس إلى وطنه فيذبح بيديه
أولئك العتاة الطغاة ، ويريح وجه الأرض من
خبائثهم ؟ ليكن ما تشائين ! إصنعى ما بدا لك ...
ولكن نصحى أحضك إياه يا مينرقا ! مادام
أوديسيوس قد ثار لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام
على الأرض ، وليحل الأمان في ربوعها ، وليتقاسم
الملأ على الود والصفاء ، وليحكم أوديسيوس بين الناس
بالعدل ... وعلينا نحن أن نزع ما في صدورهم من
غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ناراتهم ، ثم لتكن

الشر ، ولم تشعل لكم فعاله إلا الندامة ! فلقد ساق
شبابكم وخيرة أبطالكم إلى اليوم المشئومة حيث قتلوا
أجمعين ، وينقلب إليكم اليوم ليذبح ساداتكم وذوى
الصولة فيكم ... فاهلوا إذن وروا رأيكم فيه قبل
أن ينطلق إلى بيلاوس فيطلب العون عليكم ، وتصبحوا
على ما قصرتم نادمين ! إنا إن لم نثار لضحايانا فأى
عار يسمننا وأى خزي يصمننا يا قوم ! وأية حياة
هذه التى تحيونها بعد ما حل بكم من هوان ومذلة ...
لخير لكم أن تذبحوا أنفسكم فترحلوا إلى هيدز مع
أرواح قتلاكم ولن تكونوا على ذلك من الأسفين ! »
ثم جلس وهو يتصدع من الحزن على صاحبه أنتينوس
الذى كان أول ضحايا أوديسيوس ... وقام ميدون
المنشد التاعس فقال : « أيها المواطنون أعيرونى
آذانكم ! تالله إن أوديسيوس لم يرم سهامه إذ رمى ،
ولكن بعض الآلهة كان يرسم له ويتافح عنه ، ولقد
رأيت به معنى هاتين فى صورة منظور ، ووالله ما هو
منطور ، ووالله لقد كان يمشى بين يديه ههنا وههنا
فيراع العشاق وتفزع قلوبهم ويسقط بعضهم فوق
بعض فتأخذهم سهام أوديسيوس ويروى من دمائهم
جرازه ! » وما كاد يفرغ ميدون ، وكان فيهم أمينا
صادقا ، حتى طارت ألوانهم وامتعت جباههم ،
ونظر بعضهم إلى بعض ، وادأرأوا طويلا ، ثم
وقف هاليتير بطلهم القديم بن مسطور ، وكانت له
دراية بكشف أستار الماضى والحاضر والمستقبل ،
فصعّر خده وقال : « أيها الإخوان ! يا أبناء
إيثاكا ! اسمعوا وعوا ! تالله لقد طالما مهدتم للفتنة ،
وإنها لثمره أنتم غارسو شجرتها وأنتم اليوم جنائتها ..
أنذ كرون يوم رجوتكم فألحفت عليكم فى الرجاء أنا
وصاحبى ميدون هذا ، أن نذهب فنمنع القصر من
شبابكم ، ونصون عرض أوديسيوس من أبنائكم ،

لهم من أنفسهم أمانةً ، ولتجر البركات عليهم
أجمعين ، وليصبحوا بجولنا أصفاء متحايين »

وزفت مينرفا من السموات العلى إلى إيثاكا

وفرغ أصحاب أوديسيوس من أكلهم فأمرهم
أن يتحسسوا آثار القوم ، فانطلق أحد أبناء
دوليوس إلى المدينة فرأى من استعداد أهلها
ما رأى ، وجاء إلى مولاه على عجل فقال له : « مولاي !
لقد تسلح الإيثاكيون وهم موشكون أن يقدموا
إليك ! » فهض أوديسيوس فادّرع وادّرع أبوه
وابنه وخادماء وأبناء دوليوس الستة ، وادّرع
دوليوس كذلك ، وادّرع الفلاحون الآخرون ،
وحمل كل سلاحه ، وبرزوا إلى الطريق وفي
مقدمتهم أوديسيوس

وبدت مينرفا في صورة منظور في طيلسانه ،
فلما رآها أوديسيوس فرح واستبشر ، والتفت إلى
تليماك فقال : « أى بنى عليك أنت أن تحمينا اليوم
فلقد عرفت ما خاض أبوك من معامع ، وسنرى من
يحارب خيراً من صاحبه اليوم ! » فقال تليماك يجيبه :
« إطمئن يا أبى فستري كيف يحمى العسلوج فرعه ،
وكيف يشب الفرع على أصله . تالله لن أفضحك
فيما وكلت إليّ يا أبى ، ولن يخيب رأى أهلى فى ! »
وفرح الوالد بمقالة ابنه ، وشكر للآلهة وأثنى عليها
واقتربت مينرفا من ليرتيس ، وهى ما تزال فى
صورة منظور ، فقالت له : « أوه أيها الجد الوقور !
صل لمينرفا وابتهل ، وتوسل إلى جوف ، أن يمنحك
القوة والجلد ، ثم اهجم بحربتك على يوبيتيس فروّها
من دمه ، فالسماء كلها معك » ولسته بيدها فتدفق
شبابه فى قلبه ، وكان جيش الأعداء قد اقترب منهم

فطار ليرتيس إليهم برمحه ، وأقض يوبيتيس بضربة
فى صدره ، فخرج سنان الرمح يلمع من ظهره ورأى
أوديسيوس ذلك فطار إلى الملاء بسلاخه ورماحه ،
وانقض تليماك فى إثره ، وهجم الآخرون فى إثر
تليماك ، ولم يطل القراع ، فقد فزع الأعداء واختلط
نظامهم ، فولوا الأدبار ، ولكن هيات الانجاة
اليوم ! فلقد سد عليهم أوديسيوس ورفاقه الطرق ،
وأخذوا عليهم المسالك ، فهم فى ضيق وهم ذاهلون !
وهتفت ابنة جوف العذراء بأوديسيوس ورجاله
تقول : « السلام عليكم أيها المحاربون ! السلام ! السلام
قبل أن تجرى دماؤكم أنهاراً ! »

قد بدت مينرفا فى صورتها الإلهية المقدسة
فارتعدت فرائص القوم ، وتخاذلوا فيما بينهم ، حتى
أحجاب أوديسيوس ! لقد ارتجفت أعصابهم وعصف
الدعر بسواعدهم ، وكادت سيوفهم ورماحهم تنتثر
على الأرض ... ولم يعبأ أوديسيوس ، بل هجم كالنمر
على القوم المهزمين يودلو بصعقتهم ، وطفى يرق
ويرعد ، ويرأر بصوته المدوى العظيم ، فغضب سيد
الأولب ، وأرسل إحدى صواعقه نذيراً من لدنه
إلى مينرفا ، فمجلت إليه ذات العينين الزبرجديتين ،
وزجرته عن الناس وهى تقول : « لا يا أوديسيوس !
لا يا ابن ليرتيس النبيل ، لا يجدر هذا بماضيك ! ضع
حداً لهذه المجزرة المروعة أو تجلب عليك غضب
جوف العلى ! »

وخبت أوديسيوس ، وسرّت مينرفا ، وعقد
منظور الصالح بين الفريقين ، ودخل الناس فى السلم
كافة ... !

درينى هسيبة

(تمت الأوديسة)

فهرس المجلد الأول من الرواية

| الصفحة | القصة | المؤلف | الترجم | العدد ١ |
|--------|--------------------------------------|---------------------------|-----------------------|---------|
| ٢٠٦ | العقد الضائع | ابراهيم عبدالقادر المازني | | |
| ٢١٣ | ماريا | أقصوصة انجليزية | أحمد عبد العظيم شحاته | |
| ٢١٩ | المرأة الشاعرة | توماس هاردي | نظمي خليل | |
| ٢٢٨ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | | |
| ٢٣٣ | رجل بلا روح | كاثين رينولد | أحمد فتحي مرسى | |
| ١٤١ | المستربكوكورفاقه ديكنز | | عائد | |
| ٢٤٧ | سر أبي الهول | موريس رستان | خليل هنداي | |
| ٢٥٣ | اعترافات فتى العصر | دي موسيه | فليكس فارس | |
| ٢٥٨ | الأوديسة | هوميروس | دربي خشبة | |
| | العدد ٥ | | | |
| ٢٦٦ | الوصية | موباسان | أحمد حسن الزيات | |
| ٢٧٠ | الدكان | ابراهيم عبدالقادر المازني | | |
| ٢٨٢ | غرام الشعراء | أقصوصة فرنسية | ف . ف | |
| ٢٨٥ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | | |
| ٢٩٠ | ضحية | أندره كورتيس | محمد الرافعي | |
| ٢٩٧ | الصمت | يونيدي أنديريف | عبد الرحمن صدقي | |
| ٣٠٧ | الحذاء المشوم | جرازياديدا | كامل محمود حبيب | |
| ٣١١ | اعترافات فتى العصر | دي موسيه | فليكس فارس | |
| ٣١٨ | الأوديسة | هوميروس | دربي خشبة | |
| ٣٢٤ | سر أبي الهول | موريس رستان | خليل هنداي | |
| | العدد ٦ | | | |
| ٣٣٠ | الحامي | موباسان | أحمد حسن الزيات | |
| ٣٣٤ | هتاف الهاوية | أقصوصة فرنسية | ف . ف | |
| ٣٣٦ | كيف كنت عمّا | ابراهيم عبدالقادر المازني | | |
| ٣٤١ | مبارزة | تقولا تشيخوف | عبد الرحمن صدقي | |
| ٣٤٥ | من القاتل | أندره وارنود | محمد الرافعي | |
| ٣٥١ | في سبيل الزوجة | توماس هاردي | كامل محمود حبيب | |
| ٣٥٧ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | | |
| ٣٦٣ | الساحر | تشرلوكوف | نظمي خليل | |
| ٣٧١ | صيد السمك | سرسفلد | حسن حبشي | |
| ٣٧٤ | اعترافات فتى العصر | دي موسيه | فليكس فارس | |
| ٣٨٠ | الأوديسة | هوميروس | دربي خشبة | |
| ٣٨٥ | سر أبي الهول | موريس رستان | خليل هنداي | |
| | العدد ٧ | | | |
| ٣٩٤ | من ذكريات القرية | أحمد حسن الزيات | | |
| ٤٠١ | الملاكمة | ابراهيم عبدالقادر المازني | | |
| ٤٠٩ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | | |
| ٤١٤ | دورثيا | مسز جور | كامل محمود حبيب | |
| ٤١٩ | تسي تانا | أقصوصة يابانية | محمد مصطفى | |
| الصفحة | القصة | المؤلف | الترجم | العدد ٢ |
| ٢ | ضوء القمر | موباسان | أحمد حسن الزيات | |
| ٦ | الذي يضحك أخيراً | ابراهيم عبدالقادر المازني | | |
| ١٣ | لونان من الحب | بلاسكو إبانيز | عبد الرحمن صدقي | |
| ١٩ | خصام | محمود تيمور | | |
| ٢٧ | إليانورا | ادجار ألن پو | محمود الحقيف | |
| ٣٢ | مقتل رضوان كتنخدا محمد فريد أبو حديد | | | |
| ٣٩ | مجهود ضائع | مرجريت كندى | أحمد فتحي مرسى | |
| ٤٦ | جوليا | جان جاك روسو | أحمد حسن الزيات | |
| ٥٠ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | | |
| ٥٩ | اعترافات فتى العصر | ألفرد دي موسيه | فليكس فارس | |
| ٦٣ | الأوديسة | هوميروس | دربي خشبة | |
| ٦٨ | مغالبة جبل إفرست | عائد | | |
| | العدد ٢ | | | |
| ٧٣ | الحلية | موباسان | أحمد حسن الزيات | |
| ٧٩ | ليتني ما ولدته | لويجي بيراندو | حسن صادق | |
| ٩١ | لو تكاشف الناس | فرنسيس دوير | محمد الرافعي | |
| ٩٧ | الهارب | ابراهيم عبدالقادر المازني | | |
| ١٠٧ | قلب الرجل | من القصص الايطالي | محمود الحقيف | |
| ١١٢ | لينورا | برجر الألماني | عبد الرحمن صدقي | |
| ١١٥ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | | |
| ١٢١ | اعترافات فتى العصر | دي موسيه | فليكس فارس | |
| ١٢٨ | الأوديسة | هوميروس | دربي خشبة | |
| ١٣٤ | فتاة اليابان | أحمد فتحي مرسى | | |
| | العدد ٣ | | | |
| ١٣٨ | ولد | موباسان | أحمد حسن الزيات | |
| ١٤٧ | تفيدة | ابراهيم عبدالقادر المازني | | |
| ١٥٥ | أرملة | أقصوصة فرنسية | عبد الرحمن صدقي | |
| ١٥٩ | اليأس في الحب | أنور به بلزاك | محمود الحقيف | |
| ١٦٤ | عدو | أقصوصة إيطالية | كامل محمود حبيب | |
| ١٦٨ | جوليا | جان جاك روسو | أحمد حسن الزيات | |
| ١٧١ | المستربكوكورفاقه ديكنز | عائد | | |
| ١٧٦ | الصيني | أقصوصة انجليزية | أحمد فتحي مرسى | |
| ١٨٥ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | | |
| ١٩١ | اعترافات فتى العصر | دي موسيه | فليكس فارس | |
| ١٩٦ | الأوديسة | هوميروس | دربي خشبة | |
| | العدد ٤ | | | |
| ٢٠١ | في الربيع | موباسان | أحمد حسن الزيات | |

| الصفحة | القصة | المؤلف | الترجم |
|--------|-------------------------------------|---------------------------|----------------------|
| ٤٢٢ | فلوريدورومرجريت أقصوصة فرنسية ف . ف | | |
| ٤٢٥ | على قم الالب | عن الانجليزية | أحمد فتحى مرسى |
| ٤٣٠ | المرأة الحائرة | توماس هاردى | نظمى خليل |
| ٤٣٧ | الاوديسة | هوميروس | دريى خشبة |
| ٤٤٥ | اعترافات فى العصر | دى موسيه | فليكس فارس |
| ٤٥٠ | سر أبي الهول | موريس رستان | خليل هنداوى |
| | العدد ٨ | | |
| ٤٥٨ | الحب الملعون | موباسان | أحمد حسن الزيات |
| ٤٦٢ | ليسلى | ابراهيم عبدالقادر المازنى | |
| ٤٧٠ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | |
| ٤٧٦ | الفريق | محمود الخفيف | |
| ٤٨٤ | الشيطانة | برنار نابون | محمد الرافعى |
| ٤٩١ | السيدة نكولتش آدم مولر | كامل محمود حبيب | |
| ٤٩٧ | المراقب | تشيرلوكوف | نظمى خليل |
| ٥٠٥ | اعترافات فى العصر | دى موسيه | فليكس فارس |
| ٥١٢ | الاوديسة | هوميروس | دريى خشبة |
| ٥١٦ | سر أبي الهول | موريس رستان | خليل هنداوى |
| | العدد ٩ | | |
| ٥٢٢ | الموسوم | موباسان | أحمد حسن الزيات |
| ٥٢٦ | من غير عنوان | تشيرلوكوف | محمود البدوى |
| ٥٢٩ | غرام أدوار الثالث مسرحية انجليزية | عبد الحميد حمدى | |
| ٥٣٤ | مات الملك عاش الملك كوليردج | محمد عبد الفتاح محمد | |
| ٥٣٩ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | |
| ٥٤٥ | الحياة | ابراهيم عبدالقادر المازنى | |
| ٥٥٥ | ايلة ممطرة | فليكس براون | كامل محمود حبيب |
| ٥٦١ | القلب المحطم | واشنطن أرفنج | حسين محمد كامل |
| ٥٦٥ | اعترافات فى العصر | دى موسيه | فليكس فارس |
| ٥٧١ | الاوديسة | هوميروس | دريى خشبة |
| ٥٧٧ | سر أبي الهول | موريس رستان | خليل هنداوى |
| | العدد ١٠ | | |
| ٥٨٦ | اكسوس ومكريا أسطورة اغريقية | أحمد حسن الزيات | |
| ٥٩٣ | السال | أقصوصة فرنسية | ابن عبد الملك |
| ٥٩٧ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | |
| ٦٠٣ | الزوجة | واشنطن أرفنج | حسين محمد كامل |
| ٦٠٨ | المريض | ابراهيم عبدالقادر المازنى | |
| ٦١٦ | وتفضلوا بقبول | سالتيكوف | عبد اللطيف النشار |
| ٦٢٠ | جزاء الاجتهاد | رتشارد جارت | عبد الحميد حمدى |
| ٦٢٦ | الذراع الثابطة | توماس هاردى | نظمى خليل |
| ٦٣٣ | اعترافات فى العصر | دى موسيه | فليكس فارس |
| ٦٤١ | الاوديسة | هوميروس | دريى خشبة |
| الصفحة | القصة | المؤلف | الترجم |
| | العدد ١١ | | |
| ٦٥٠ | عذراء حلب | فليكس فارس | |
| ٦٥٧ | فى المرج | مكسيم جوركي | أحمد فتحى مرسى |
| ٦٦٣ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | |
| ٦٦٤ | عاقل | ابراهيم عبدالقادر المازنى | |
| ٦٧٤ | فى غمرة الموت | أمبروس بيرس | عبد الحميد حمدى |
| ٦٨٢ | الرسالة الاخيرة | رالف بلومر | محمد عبد الفتاح محمد |
| ٦٨٧ | الطفل السيد | رايندرانات طاغور | شكرى محمد عياد |
| ٦٩٢ | النقد الذهبى | فرانسوا كويه | محمد العزاوى |
| ٦٩٧ | اعترافات فى العصر | دى موسيه | فليكس فارس |
| ٧٠٤ | الاوديسة | هوميروس | دريى خشبة |
| | العدد ١٢ | | |
| ٧١٤ | حفلة عرس | بلاسكو يانيز | عبد اللطيف النشار |
| ٨٢١ | خيالة فى رسائل | نجيب محفوظ | |
| ٧٢٨ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | |
| ٧٣٤ | الذباية | كاترين منسفيلد | عبد الحميد حمدى |
| ٧٣٩ | ناهد | ابراهيم عبدالقادر المازنى | |
| ٣٤٨ | ماتيو فالكونى | برسيير ميريميه | كامل محمود حبيب |
| ٨٥٣ | بعد عشرين عاماً | توماس هاردى | نظمى خليل |
| ٧٦١ | اعترافات فى العصر | دى موسيه | فليكس فارس |
| ٧٦٨ | الاوديسة | هوميروس | دريى خشبة |
| | العدد ١٣ | | |
| ٧٧٨ | التائه | ابراهيم عبدالقادر المازنى | |
| ٧٨٣ | الغرفة المشتركة | جون ماديسون | أحمد فتحى مرسى |
| ٧٨٨ | يوميات نائب | توفيق الحكيم | |
| ٧٩٥ | أجلافين وسيليزيت | موريس ماترنك | محمد غلاب |
| ٨٠٦ | طرق القدر | أوهزى | عبد الحميد حمدى |
| ٨٢٤ | شجرة عيد الميلاد | دستوفسكى | عبد اللطيف النشار |
| ٨٢٩ | اعترافات فى العصر | دى موسيه | فليكس فارس |
| ٨٣٥ | الاوديسة | هوميروس | دريى خشبة |
| | العدد ١٤ | | |
| ٨٤٢ | الحب | انطون تشيخوف | عبد الحميد حمدى |
| ٨٤٨ | شبح كاترفيل | اسكار وايلد | بشير الشريق |
| ٨٦٥ | الفتاة التى سلبتني ولدى | | إميل فرج |
| ٨٧٥ | الأحجار الجائعة | طاغور | شكرى محمد عياد |
| ٨٨١ | أجلافين وسيليزيت | ماترنك | محمد غلاب |
| ٨٩٤ | اعترافات فى العصر | دى موسيه | فليكس فارس |
| ٨٩٩ | الأوديسة | هوميروس | دريى خشبة |
| | العدد ١٥ | | |
| ٩٠٦ | نمر مسز باكتيد ساكى | | عبد الحميد حمدى |
| ٩١٠ | الحب والزيتون | لكاتب تركى | عبد اللطيف أحمد |

| الصفحة | القصة | المؤلف | الترجم |
|--------|---|---------------------------------|---------------------|
| ٩٢٦ | فدريجو | بروسير ميرييه | حسن صادق |
| ٩٣٣ | كرد علي | بوشكين | عبد اللطيف النشار |
| ٩٣٧ | عودة الروح | تيودور دي بانيل | السيد محمد الغزاوي |
| ٩٤١ | أجلالين وسيليزيت ماترنك | محمد غلاب | فليكس فارس |
| ٩٥٣ | اعترافات في العصر | دي موسيه | دريبي خشبة |
| ٩٦٠ | الأوديسة | هوميرس | العدد ١٦ |
| ٩٧٠ | علي الحديدة | ابراهيم عبدالقادر المازني | عبد الحمدي حمدي |
| ٩٧٤ | قصة بلا نهاية | أنطون تشيخوف | محمد خيرت |
| ٩٨٢ | المرض المتبادل | نجيب محفوظ | محمد الغزاوي |
| ٩٨٧ | جبات | موباسان | كامل محمود حبيب |
| ٩٩٣ | فاوست | تشيكراف | أميل فرج |
| ١٠٠١ | على الباغي تدور الدوائر عن الإنجليزية | محمود خيرت | أحمد فتحي مرسى |
| ١٠١٣ | إنها أمي | فيلكس فارس | فليكس فارس |
| ١٠١٧ | الغلب الفضي | دي موسيه | العدد ١٧ |
| ١٠٢٣ | اعترافات في العصر | دي موسيه | المؤلف |
| ١٠٣٤ | لو عرف الشباب | ابراهيم عبدالقادر المازني | محمود خيرت |
| ١٠٤١ | الدم | أميل زولا | عبد الحمدي حمدي |
| ١٠٤٦ | سباق الحصاد | ليام أوفلاهرتي | يوسف فهمي |
| ١٠٥٢ | روز | أوسكار وايلد | حسن صادق |
| ١٠٥٧ | سالمو | هاتز أندرسون | شكري محمد عياد |
| ١٠٧٩ | البائعة الصغيرة | دي موسيه | فليكس فارس |
| ١٠٨١ | اعترافات في العصر | هوميرس | دريبي خشبة |
| ١٠٨٨ | الأوديسة | العدد ١٨ | محمود خيرت |
| ١٠٩٨ | الطلل | نخري أبو السعود | جورج سلسي |
| ١١٠٦ | أم إمام | أنطون تشيكراف | نجيب محفوظ |
| ١١١٦ | السهم الرابع | جورج سلسي | شكري محمد عياد |
| ١١٢٢ | الحظ | بشير الصريق | عبد اللطيف النشار |
| ١١٢٨ | الراكبون إلى البحر | جورج ملتون سنج | عبد اللطيف النشار |
| ١١٣٤ | الملك الشاب | أوسكار وايلد | فليكس فارس |
| ١١٤٢ | إن تهمل النار | ليوتولنسوي | دريبي خشبة |
| ١١٤٨ | يصعب عليك | دي موسيه | العدد ١٩ |
| ١١٥٣ | إطفائها | هوميرس | المؤلف |
| ١١٦٢ | الطيبار الذهبي في قصر يوسف ماتيلا سيراو | محمد لطفي جمعة | خليل هندواي |
| ١١٧٤ | غادة البحر | ابسن | كامل محمود حبيب |
| ١١٧٧ | الغرفة الزرقاء | بروسير ميرييه | جورج سلسي |
| ١١٨٢ | ذو الغمد | أنطون تشيكراف | عبد اللطيف النشار |
| ١١٩٣ | فنشتر يوفيفاني | أديب عباسي | أحمد فتحي مرسى |
| ١١٩٦ | سجاية | تولستوي | فليكس فارس |
| ١٢٠١ | كورني فاسيليف | دي موسيه | العدد ٢٠ |
| ١٢٠٩ | اعترافات في العصر | دي موسيه | المؤلف |
| ١٢١٨ | الأوديسة | هوميرس | العدد ٢١ |
| ١٢٢٦ | ليلة هائلة | أنطون تشيكراف | أحمد حسن الزيات |
| ١٢٣٢ | ساكنوا الكهوف | فرديناند فون سار | هيرمان بار |
| ١٢٤٢ | الشامة | ألفريد دي موسيه | موباسان |
| ١٢٦٤ | الماء الملح | أديب عباسي | يوري فيليخوف |
| ١٢٧١ | اعترافات في العصر | دي موسيه | أندرية بيرابو |
| ١٢٨٠ | الأوديسة | هوميرس | أنطون تشيكراف |
| ١٢٩٠ | الغرام الأول | أحمد حسن الزيات | رايندرانات طاغور |
| ١٢٩٥ | الزوجة الحسنة | هيرمان بار | خليل هندواي |
| ١٢٩٩ | في ليلة الميلاد | موباسان | فليكس فارس |
| ١٣٠٩ | يقظة الضمير | يوري فيليخوف | العدد ٢٢ |
| ١٣١٥ | خيال الحب | أندرية بيرابو | سيدنا الشيخ حسين |
| ١٣٢٢ | قصة كمان | أنطون تشيكراف | الحب والتجسس |
| ١٣٢٩ | الأغلال | رايندرانات طاغور | الأم البيضاء |
| ١٣٣٢ | بقية حية | تورجنيف | طبيب الأقليم |
| ١٣٣٦ | اعترافات في العصر | دي موسيه | قددنا الماضي البغيض |
| ١٣٤٥ | الأوديسة | هوميرس | الوطنية |
| ١٣٥٤ | سيدنا الشيخ حسين | أحمد حسن الزيات | اعترافات في العصر |
| ١٣٥٩ | الحب والتجسس | جيمس جولد كوزيتز محمد لطفي جمعة | الأوديسة |
| ١٣٧١ | الأم البيضاء | تيودور سولوجوب | العدد ٢٣ |
| ١٣٧٩ | طبيب الأقليم | إيفان تورجنيف | جولي رومان |
| ١٣٨٥ | قددنا الماضي البغيض | أديب عباسي | عائدة |
| ١٣٩٦ | الوطنية | عن الإنجليزية | عشية أو ضحاها |
| ١٤٠٠ | اعترافات في العصر | دي موسيه | الجزء |
| ١٤١٠ | الأوديسة | هوميرس | مهر الشاعر |
| ١٤١٨ | جولي رومان | موباسان | غرام |
| ١٤٢٤ | عائدة | ابراهيم عبدالقادر المازني | اعترافات في العصر |
| ١٤٣١ | عشية أو ضحاها | ليونيد أندرييف | الأوديسة |
| ١٤٤٠ | الجزء | كامل محمود حبيب | العدد ٢٤ |
| ١٤٤٥ | مهر الشاعر | محمود بك خيرت | النجوم |
| ١٤٥٢ | غرام | أنطون تشيكراف | مارس |
| ١٤٦٤ | اعترافات في العصر | دي موسيه | هبة الموت |
| ١٤٧٤ | الأوديسة | هوميرس | العلم |
| ١٤٨٢ | النجوم | ألفونس دوديه | عروس البحر |
| ١٤٨٨ | مارس | يوري فيليخوف | الأم المتوحشة |
| ١٥٠١ | هبة الموت | أنطون فرانس | الدهر الملعون |
| ١٥٠٤ | العلم | لويز هيلجرز | لينوتشكا |
| ١٥١٠ | عروس البحر | طاغور | الأوديسة |
| ١٥١٣ | الأم المتوحشة | موباسان | العدد ٢٥ |
| ١٥١٩ | الدهر الملعون | نجيب محفوظ | العدد ٢٦ |
| ١٥٢٩ | لينوتشكا | اسكندر كوبرين | العدد ٢٧ |
| ١٥٣٦ | الأوديسة | هوميرس | العدد ٢٨ |

الرسالة

بمذكرات سيرة الملك والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنياً مصرياً ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪

FIN

DU

DOCUMENT

المروية

مجلة أسبوعية للفقه والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1937
Volume 2